[illegible]

سورة البقرة ٨	سورة ال عمران ٦٧	سورة النساء ٨٩	سورة المائدة ١١٧	سورة الانعام ١٤٠	
سورة الاعراف ١٥٧	سورة الانفال ١٧٧ وعلى الاعراف رجال ١٦١	سورة التوبه ١٨٩	سورة يونس ٢٠٧	سورة الهود ٢١٦	سورة يوسف ٢٢٥
سورة الرعد ٢٣٤	سورة ابرهيم ٢٤٠	سورة الحجر ٢٤٥	سورة النحل ٢٤٩	سورة الاسرى ٢٥٩	سورة الكهف ٢٧٣
سورة مريم ٢٨٥	سورة طه ٢٩٣	سورة الانبياء ٣٠٢	سورة الحج ٣١٠	سورة المؤمنون ٣١٩	سورة النور ٣٢٦
سورة الفرقان ٣٣٩	سورة الشعرا ٣٤٥	سورة النمل ٣٥٢	سورة القصص ٣٥٩	سورة العنكبوت ٣٦٦	سورة الروم ٣٧٢
سورة لقمان ٣٧٧	سورة السجدة ٣٨٠	سورة الاحزاب ٣٨٢	سورة سبأ ٣٩٦	سورة فاطر ٤٠٢	سورة يس ٤٠٧
سورة والصافات ٤١٤	سورة ص ٤١٩	سورة الزمر ٤٢٤	سورة المؤمن ٤٣١	سورة فصلت ٤٣٨	سورة الشورى ٤٤٣
سورة الزخرف ٤٤٧	سورة الدخان ٤٥٢	سورة الجاثيه ٤٥٥	سورة الاحقاف ٤٥٧	سورة محمد عليه السلام ٤٦٢	سورة الفتح
سورة الحجرات ٤٦٩	سورة ق ٤٧٣	سورة الذاريات ٤٧٦	سورة والطور ٤٧٨	سورة والنجم ٤٨٠	سورة اقتربت ٤٨٣
سورة الرحمن ٤٨٦	سورة الواقعه ٤٨٩	سورة الحديد ٤٩٤	سورة المجادله ٤٩٩	سورة الحشر ٥٠٢	سورة الممتحنه ٥٠٦
سورة عيسى ٥٠٩	سورة الجمعه ٥١٠	سورة المنافقين ٥١٢	سورة التغابن ٥١٣	سورة الطلاق ٥١٤	سورة التحريم ٥١٧

سورة الملك ٥١٩	سورة ن ٥٢٠	سورة الحاقة ٥٢٣	سورة المعارج ٥٢٥	سورة نوح ٥٢٧	سورة الجن ٥٢٨
سورة المزمل ٥٣١	سورة المدثر ٥٣٢	سورة القيمة ٥٣٤	سورة الدهر ٥٣٥	سورة والمرسلات ٥٣٧	سورة النباء ٥٣٨
سورة النازعات ٥٤٠	سورة عبس ٥٤١	سورة التكوير ٥٤٢	سورة انفطرت ٥٤٤	سورة المطففين ٥٤٥	سورة الانشقاق ٥٤٦
سورة البروج ٥٤٧	سورة الطارق ٥٤٩	سورة الاعلى ٥٤٩	سورة الغاشية ٥٥٠	سورة الفجر ٥٥١	سورة البلد ٥٥٣
سورة والشمس ٥٥٤	سورة والليل ٥٥٥	سورة والضحى ٥٥٦	سورة الم نشرح ٥٥٦	سورة التين ٥٥٧	سورة العلق ٥٥٨
سورة القدر ٥٥٨	سورة لم يكن ٥٦٠	سورة الزلزال ٥٦٠	سورة العاديات ٥٦١	سورة القارعة ٥٦٢	سورة التكاثر ٥٦٢
سورة العصر ٥٦٣	سورة الهمزة ٥٦٣	سورة الفيل ٥٦٣	سورة لايلاف ٥٦٥	سورة ارايت ٥٦٥	
سورة الكوثر ٥٦٦	سورة الكافرون ٥٦٦	سورة الفتح ٥٦٧	سورة تبت		
سورة الاخلاص ٥٦٨	سورة الفلق ٥٧٠	سورة الناس ٥٧٠			

يونس هود يوسف رعد حجر

بقره ال عمران نسا مائده انعام اعراف انفال برات نحل اسرا كهف مريم طه انبيا

حج مؤمنون نور فرقان شعرا نمل قصص عنكبوت روم لقمان سجده احزاب

سبا فاطر يس صافات ص زمر حم لر محمد فتح حجرات ذاريات طور

والنجم قمر الرحمن واقعه حديد مجادله حشر ممتحنه صف جمعه منافقون تغابن تحريم

تبارك ن الحاقه معارج نوح قل اوحي مزمل مدثر قيمه ان

مرسلات عم نازعات عبس الخ

عدد اوراق ٥٧٠

عدد سطر ٢٩

قال زياد لابنه اياك وصدر المجلس
فانها مجلس قلعة كتبه احمد بن
... بن حسن بن احمد
قلاني لاري

٣٨٤

وقف السلطان الاعظم والخاقان الاكرم الافخم
ناشر العدل والاحسان ومرتب اساس الامور بالرشد والعرفان
السلطان ابن السلطان السلطان ابو المكارم والاحسان عثمان خان
ابن السلطان مصطفى خان مد الله اساس دولته الطاهر
وجعل خلافته الباهره وانا الداعي لدولته الحاج ابراهيم حنيف
المفتش باوقاف الحرمين
غفر له

NURUOSMANİYE KÜTÜPHANESİ
Kısmı : N.O.
Yeni Kayıt 281
Eski Kayıt 384
Tasnif No. 297.1 = 927

روي عن انس بن مالك قال كان شابا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى علقمة وكان شديد الاجتهاد وكان عظيم الصدقة فمرض واشتد مرضه فبعث امراته الى رسول الله تخبره فلما جاءت قالت يا رسول الله ان زوجي علقمة في النزع فاردت ان اعلمك حاله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لبلال وعلي وسلمان وعمار بن ياسر اذهبوا الى علقمة وانظروا ما حاله فانطلقوا حتى دخلوا عليه فقالوا له اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قل لا اله الا الله محمد رسول الله فلم ينطلق لسانه فلما ايقنوا انه هالك بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه بحاله فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل له ابوان فقيل اما ابوه فقد مات وله ام كبيرة فقال يا بلال انطلق الى امه واقراها مني السلم وقل لها ان قدرت على المصير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والا فقري حتى ياتيك فقالت نفسي لنفسه الفداء انا احق باتيانه واخذت العصا بيدها ومشت حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ان سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم رد عليها السلم ثم جلست بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها اصدقيني وان كذبت جاء به الوحي من الله تعالى كيف كان حال علقمة قالت يا رسول الله كان يصلي كذا وكذا وكان يتصدق بجملة الدراهم ما يدري ما وزنها ولا عددها قال لها فما حالك وحاله قالت يا رسول الله انا ساخطة عليه واجدة قال لها ولم ذلك قالت كان يؤثر امراته علي فقال النبي صلى الله عليه وسلم سخط امه حجب لسانه عن الشهادة فقال لها اما ترضين عنه فقالت لا ثم قال لبلال انطلق واجمع لي حطبا كثيرا حتى احرقه بالنار فقالت يا رسول الله تحرق ابني وثمرة فؤادي بالنار بين يدي وكيف يصبر على ذلك قلبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام علقمة عذاب الله اشد وابقى فان سرك ان يغفر الله له فارضي عنه فوالذي نفسي بيده لا ينتفع بصلوته ولا صيامه ولا بصدقته ما دمت عليه ساخطة فرفعت يديها مع ثديها الى السماء وقالت اللهم اني اشهدك واشهد ملئكتك وهذا رسولك صلى الله عليه وسلم ومن حضرني اني قد رضيت عن ولدي علقمة قال النبي صلى الله عليه وسلم يا بلال انطلق فانظر هل يستطيع ان يقول لا اله الا الله فلعل ام علقمة تكلمت بما ليس في قلبها حياء مني فانطلق بلال فلما انتهى الى الباب سمع علقمة وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا مولاي ان سخط ام علقمة حجب لسانه عن الشهادة وان رضاها اطلق لسانه فمات من يومه ذلك فاتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بغسله وتكفينه ثم صلى عليه ثم قام على قبره وقال يا معشر المهاجرين والانصار من فضل زوجته على امه فعليه لعنة الله ولا يقبل منه صرفا ولا عدلا ولا فرضا ولا نافلة تنبيه

في التحذير عن قطع الرحم

عن يحيى بن سالم قال كان عندنا بمكة رجل من اهل خراسان وكان رجلا صالحا وكان الناس يودعونه ودائعهم فجاء رجل فاودعه عشرة الاف دينار وخرج الرجل في حاجته فقدم مكة وقد مات الخراساني فسال اهله وولده عنها فلم يكن لهم بها علم فقال الرجل للفقهاء بمكة وكانوا يومئذ مجتمعين متوافرين اودعت فلانا عشرة الاف دينار وقد مات وسالت اهله وولده فلم يكن لهم به علم فما تامروني فقالوا نحن نرجوا ان يكون الخراساني من اهل الجنة فاذا مضى من الليل ثلثه او نصفه ائت زمزم واطلع فيها وناد يا فلان بن فلان انا صاحب الوديعة ففعل ذلك ثلث ليال فلم يجبه احد فاتاهم فاخبرهم فقالوا انا لله وانا اليه راجعون نخشى ان يكون صاحبك من اهل النار ائت اليمن فان بها واديا يقال له برهوت وفيه بئر فاذا مضى ثلث الليل او نصفه فناد يا فلان بن فلان انا صاحب الوديعة ففعل ذلك فاجابه في اول صوت فقال ويحك ما الذي انزلك هاهنا وقد كنت صاحب خير قال كان لي اهل بخراسان فقطعتهم حتى مت فاخذني الله بذلك فانزلني هذا المنزل واما مالك فانه على حاله واني لم امن ولدي على مالك فدفنته في بيت كذا فقل لولدي يدخلك داري ثم صر الى البيت فاحفر فانك ستجد مالك فرجع فوجد ماله على حاله تمت

في التحذير عن الغيبة

ذكر عن عيسى بن مريم عليه السلم انه قال لاصحابه ارايتم لو اتيتم على رجل نائم قد كشف الريح عن عورته اكنتم تسترون عليه قالوا نعم قال لا بل كنتم تكشفون البقية قالوا سبحان الله كيف نكشف البقية قال اليس يذكر الرجل عندكم الغيبة فتذكرونه باسوء ما فيه فانتم تكشفون بقية الثوب عن عورته قال الفقيه رضي الله عنه سمعت ابي رحمه الله يحكي ان الانبياء الذين لم يكونوا مرسلين كانوا يرون في المنام وبعضهم كانوا يسمعون من الصوت ولا يرون احدا وكان نبي من الانبياء ممن يرى في المنام وانه راى ذات ليلة في المنام كان قائلا يقول له اذا اصبحت فاول شيء يستقبلك فكله والثاني اكتمه والثالث اقبله والرابع لا تؤيسه والخامس اهرب منه فلما اصبح اول شيء استقبله جبل اسود عظيم فوقف وتحير وقال قد امرني ربي ان اكل هذا ثم رجع الى نفسه وقال ان ربي عز وجل لم يامرني بما لا اطيق فلما عزم على اكله ومشى اليه لياكله فلما دنا منه صغر الجبل فلما انتهى وجده كاللقمة احلى من العسل فاكله وحمد الله تعالى ومضى قليلا فاستقبله طست من ذهب وقال امرت بان اكتمه فحفر له في الارض فدفنه فيها ومضى فالتفت فاذا الطست فوق الارض فرجع فدفنه مرتين او ثلثا وهو يخرج على وجه الارض وقال اني قد عملت ما امرت فذهب فاستقبله طائر خلفه بازي يريد ان ياخذه فقال يا نبي الله اغثني فقبله وجعله في كمه فجاء البازي وقال يا نبي الله اني جائع واني كنت في طلب هذا الصيد منذ الغداة حتى اردت اخذه فلا تؤيسني من رزقي فقال في نفسه اني امرت ان اقبل الثالث فقبلته وامرت بان لا اؤيس الرابع والرابع هذا البازي فكيف اصنع به فلما تحير في ذلك اخذ السكين وقطع من فخذ نفسه قطعة من لحم فرمى بها الى البازي فاخذها ومضى فراى جيفة منتنة فهرب منها فلما امسى قال يا رب اني فعلت ما امرتني به فبين لي ما كان امر هذه الاشياء فراى في منامه وقائل يقول له اما الاول الذي اكلته فهو الغضب يكون في اول الامر كالجبل وفي اخره اذا صبر وكظم الغيظ احلى من العسل واما الثاني الطست فهو العمل الحسن كلما كتمته ظهر واما الثالث من ائتمنك بامانة فلا تخنه والرابع اذا سالك انسان حاجة فاجتهد في قضائها وان كنت محتاجا اليها والخامس الغيبة فاهرب من الذين يغتابون الناس تنبيه

روي عن حماد بن سلمة قال باع رجل غلاما ثم قال للمشتري ليس له عيب الا انه نمام فاستخفه المشتري واشتراه على ذلك فمكث الغلام عنده اياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك وهو يتسرى عليك يعني يريد ان يشتري جارية افتريدين ان يعطف عليك قالت نعم قال لها خذي الموسى واحلقي شعرات من باطن لحيته اذا نام ثم جاء الغلام الى الزوج فقال ان امراتك تخادن يعني انها اتخذت خدنا وهي قاتلتك اتريد ان يتبين ذلك لك قال نعم قال فتناوم لها فتناوم فجاءت المراة بالموسى لتحلق الشعرات من باطن لحيته فظن الزوج انها تريد قتله فاخذ منها الموسى وقتلها فجاء اولياؤها فقتلوه فوقع القتال بين الفريقين تمت

في الكبر

روى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من لبس الصوف وانتعل المخصوف وركب حماره وحلب شاته واكل مع عياله فقد نحى الله عنه الكبر

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من خصف نعله ورقع ثوبه وعفر وجهه في السجود فقد برئ من الكبر

وذكر عن عمر بن عبد العزيز انه اتاه ذات ليلة ضيف فكان يكتب شيئا فكاد السراج ان يطفى فقال الضيف اقوم الى المصباح فاصلحه فقال [illegible] فقال الضيف [illegible] يا امير المؤمنين فقال ذهبت وانا عمر ورجعت وانا عمر [illegible] الناس [illegible] عند الله متواضعا

قال سمعت رسول الله صلى الله عليه [illegible] الرحمة على قوم فيهم قاطع رحم [illegible] شعب الايمان وقال لا يدخل الجنة قاطع رحم متفق عليه وقال [illegible]

عن انس رضي الله عنه ان العبد ليموت والداه او احدهما وانه لهما لعاق فلا يزال يدعو لهما ويستغفر لهما حتى يكتبه الله عز وجل بارا من اصبح مطيعا لله عز وجل في والديه اصبح له بابان مفتوحان من الجنة وان كان واحدا فواحدا ومن اصبح عاصيا لله عز وجل في والديه اصبح له بابان مفتوحان من النار وان كان واحدا فواحدا قال رجل وان ظلماه قال صلى الله عليه وسلم وان ظلماه وان ظلماه وان ظلماه

في كتاب خصائص [illegible] ابي الربيع سليمان بن سبع السبتي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحجر الاسود [illegible] اعطا عليه فصاغوا [illegible] وامره ان ينقش عليه لا اله الا الله فنقش واتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الم امرك ان تنقش عليه لا اله الا الله فنزل جبرئيل عليه السلم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال زدت محمد رسول الله قال والذي بعثك بالحق ما فعلت الا ما امرتني به فهبط [illegible] وقال [illegible] يقول لك احببتنا فكتبت اسمنا ونحن احببناك فكتبنا اسمك

عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله ان لي قرابة اصلهم ويقطعوني واحسن اليهم ويسيئون الي واحلم عنهم ويجهلون علي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لئن كنت كما قلت فكانما تسفهم المل ولا يزال معك من الله عز وجل ظهير عليهم ما دمت على ذلك رواه مسلم

المل الرماد اي تجعل في وجوههم كلون الرماد

ظهير اي عون

وعن ابن عباس [illegible]

عن عبد الله [illegible] قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يجالسنا اليوم قاطع رحم [illegible]

في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبرئيل فبشرني انه من مات من امتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة قلت وان زنا وان سرق قال وان زنا وان سرق اشار بالزنا والسرقة الى انه تعالى يتجاوز عن المعاصي المتعلقة بحق الله بعد الكفر كالزنا والمتعلقة بحق العباد كالسرقة ولم يذكر القتل لكثرة السرقة والزنا وقلة وقوع القتل والا ان بعض الصحابة اثم عليه الحد فيهما دون القتل

قال الامام ولد بار

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من ولد بار ينظر الى والديه نظرة رحمة الا كتب الله له بكل نظرة حجة مبرورة قالوا وان نظر كل يوم مائة مرة قال صلى الله عليه وسلم نعم الله اكبر واطيب

في الصدقة

قال الفقيه ابو الليث رحمه الله سمعت ابي رحمه الله يقول كان في زمان عيسى بن مريم عليه السلم رجل يسمى ملعونا من بخله فجاءه رجل ذات يوم يريد الغزو فقال يا ملعون اعطني شيئا من السلاح استعين به في غزاتي وتنجو من النار فاعرض عنه ولم يعطه شيئا فرجع الرجل عنه فندم الملعون فناداه واعطاه سيفه ورجع فاستقبله عيسى عليه السلم مع عابد قد عبد الله سبعين سنة فقال له عيسى من اين جئت بهذا السيف قال اعطانيه الملعون ففرح عيسى عليه السلم بذلك لما سمع وكان الملعون قاعدا على بابه فلما مر به عيسى عليه السلم مع العابد قال الملعون في نفسه اقوم وانظر الى وجه عيسى ووجه العابد فلما قام ونظر اليهما قال العابد انا ابعد من هذا الملعون لئلا يحرقني بناره فاوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلم قل لعبدي المذنب اني قد غفرت له بصدقته بالسيف لحمد الله تعالى وقل للعابد انه رفيقك في الجنة فقال العابد والله ما اريد ان اكون رفيقه في الجنة فلا حاجة الى صحبة مثله فاوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلم ان قل لعبدي انك لم ترض بقضائي وحقرت عبدي وقد جعلتك ملعونا من اهل النار وقد بدلت منازلك في الجنة مع الذي له في النار واعطيت ما كان لك في الجنة لعبدي ومنزله في النار لك

تنبيه العاقل

عن ابي الفرج الازدي ان عيسى بن مريم عليه السلم مر بقرية وفي تلك القرية قصار فقال اهل القرية يا عيسى نبي الله ان هذا القصار يخرق علينا ثيابنا ويحبسها فادع الله تعالى ان يهلكه لا يرد الى زمنه قال عليه السلم اللهم اهلكه فذهب القصار يقصر الثياب ومعه ثلثة ارغفة فجاءه عابد كان يتعبد في تلك الجبال فسلم على القصار فقال هل عندك خبز تطعمني او تريني حتى انظر اليه او اشم ريحه فاني لم اكل الخبز منذ كذا وكذا وكان معه ثلثة ارغفة فاطعمه رغيفا فقال يا قصار غفر الله لك وطهر قلبك فاعطاه الثاني فقال يا قصار غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فاطعمه الثالث فقال يا قصار بنى الله لك قصرا في الجنة قال فرجع القصار من العشاء فقال اهل القرية يا عيسى هذا القصار قد رجع فقال ادعوه الي فلما اتاه قال يا قصار اخبرني ما عملت اليوم قال اتاني سياح من تلك الجبل فاستطعمني وكان معي رغيفان اعطيتهما اياه فكل رغيف اعطيته يدعو لي بدعوة فقال عيسى هات رزمتك حتى انظر اليها قال ففتحها فاذا بحية سوداء ملجمة بلجام من حديد فقال عيسى عليه السلم يا اسود قال لبيك قال اليس بعثت الى هذا قال نعم ولكن جاءه سياح من تلك الجبال فاستطعمه فكل رغيف يطعمه يدعو له بدعوة وملك قائم يقول امين فبعث الله الي ملكا من الملئكة فالجمني بلجام من حديد فقال عيسى عليه السلم يا قصار استانف العمل فقد غفر لك

وعن ابي بكرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الذنوب يغفر الله عز وجل منها ما شاء الا عقوق الوالدين فانه يعجل لصاحبه في الحيوة قبل الممات

هذه الاحاديث رواه البيهقي في شعب الايمان

قال علي رضي الله عنه لكميل بن زياد يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق

قال سحنون لا يصلح العلم لمن ياكل حتى يشبع

قال علي رضي الله عنه الابدال بالشام والنجباء بمصر والعصائب بالعراق ارادوا بالعصائب جماعة يجتمعون للحرب والفتن وقيل ارادوا جماعة من الزهاد لانه قرنهم بالابدال والنجباء وكان حماد بن زيد رضي الله عنه يقول الابدال وعلامتهم انه لا يولد لهم ولد وتزوج حماد بضعا وسبعين امراة فلم يولد له قال الغزنوي ماوى الابدال جبل لبنان لا ياكلون الا الحلال [illegible]

عن محمد بن يحيى [illegible] من بني اسرائيل في صومعته [illegible]

[illegible]

قال الشيخ قال سمعت ابي رحمه الله قال بلغنا ان صالحا المري اقبل في ليلة الجمعة يريد المسجد الجامع ليصلي فيه صلاة الفجر فمر بالمقبرة فقال لو اقمت حتى يطلع الفجر فاصلي ركعتين واتكى على قبر فعمل ذلك فغلبته عيناه فراى في المنام كان اهل القبور قد خرجوا من قبورهم فقعدوا حلقا حلقا يتحدثون اذا شاب عليه ثياب دنسة قاعد وحده مغموما فلم يلبثوا الا قليلا حتى اقبلت الاطباق مغطاة بمناديل فكلما جاء احدهم طبقا اخذه ودخل في قبره حتى بقي الفتى في اخر القوم فلم ياته شيئا فقام حزينا ليدخل في قبره فقلت له يا عبد الله مالي اراك حزينا على هذه الحال فقال يا صالح المري هل رايت الاطباق قلت نعم قلت فما هي الاطباق قال هي اطباق الاحياء لموتاهم كلما تصدقوا عنهم او دعوا لهم اتاهم ذلك في ليلة الجمعة واني رجل من اهل السند اقبلت بوالدتي اريد الحج فلما صرت بالبصرة توفيت بها فتزوجت والدتي بعدي ولم تذكر لزوجها انه كان لها ولد والهتها الدنيا فما تذكرني بشفقة ولا لسان فحق لي الحزن اوليس لي احد من يذكرني قال صالح واين منزل امك فوصف لي الموضع ودلني عليه فلما اصبحت وقضيت صلوتي اقبلت وسالت عن منزلها فارشدت اليها فجئت فاستاذنت عليها وقلت ان صالح المري بالباب فاذنت لي بالدخول فدخلت فقلت احب ان لا يسمع كلامي وكلامك احد فدنوت حتى كان بيني وبينها الا الستر فقلت يرحمك الله هل لك من ولد قالت لا قلت وهل كان لك ولد فتنفست وقالت كان ولد ومات فقصصت عليها القصة قال فبكت حتى تحدر دمعها على خدها ثم قالت يا صالح ذلك من كبدي وحشاي وكان بطني له وعاء وثديي له سقاء وحجري له خباء ثم دفعت الي الف درهم وقالت تصدق بها عن حبيبي وقرة عيني ولا اعود النساء في الدعاء والصدقة فيما بقي من عمري قال فطلعت فتصدقت بالف درهم فلما كان في يوم الجمعة الاخرى اقبلت اريد الجامع فاتيت المقبرة وصليت ركعتين واستندت الى قبر فغفوت فاذا القوم قد خرجوا من قبورهم واذا انا بالفتى عليه ثياب بيض فرحا مسرورا اقبل حتى دنا مني ثم قال يا صالح جزاك الله عني خيرا فقد وصلت الينا الهدية فقلت لكم تعرفون الجمعة قال نعم وان الطيور في الهواء لتعرفها وتقول سلام سلام من يوم صالح يوم الجمعة ۔ والله اعلم

في الرجاء

روي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خرج من عندي خليلي جبرئيل انفا فقال يا محمد والذي بعثك بالحق ان لله عبدا من عباده عبد الله خمسمائة سنة على راس جبل عرضه وطوله ثلثون ذراعا والبحر المحيط به اربعة الاف فرسخ من كل ناحية قد اخرج الله له عينا عذبة بعرض الاصبع اسفل الجبل وشجرة رمان تخرج له كل يوم رمانة فاذا كان المساء نزل واصاب من الوضوء واخذ تلك الرمانة فاكلها ثم عاد الى الصلوة فسال ربه ان يقبضه ساجدا وان لا يجعل للارض ولا لشيء على جسده سبيلا حتى يبعث يوم القيمة وهو ساجد ففعل فنحن نمر عليه اذا هبطنا واذا عرجنا وهو على حاله في السجود قال جبرئيل فنحن نجد في العلم انه يبعث يوم القيمة فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول الرب تبارك وتعالى ادخلوا عبدي الجنة برحمتي فيقول العبد بل بعملي فيقول الله عز وجل للملئكة حاسبوا عبدي بنعمتي عليه وبعمله فيوجد نعمة البصر قد احاطت بعبادة خمسمائة عام فبقيت نعمة البصر على العبادة وبقي نعمة سائر جسده فيقول الرب تعالى ادخلوه النار فيجر الى النار فينادي ربه بل برحمتك ادخلني الجنة فيقول الله تعالى ردوه فيوقف بين يدي الله عز وجل فيقول عبدي من خلقك ولم تك شيئا فيقول انت يا رب فيقول اكان ذلك من قبلك او برحمتي فيقول بل برحمتك فيقول له ومن قواك على عبادتي خمسمائة سنة فيقول انت يا رب فيقول من انزلك في جبل وسط البحر واخرج لك الماء العذب من الماء المالح واخرج لك رمانة في كل ليلة وانما تخرج في السنة مرة وسالتني ان اقبضك ساجدا ففعلت ذلك فيقول يا رب انت قال فذلك كله برحمتي وبرحمتي ادخلك الجنة ادخلوا عبدي الجنة برحمتي فنعم العبد كنت يا عبدي فادخله الله الجنة قال جبرئيل انما الاشياء برحمة الله تعالى

في الامر بالمعروف

روي انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان من الناس ناسا مفاتيح للخير مغاليق للشر ومن الناس ناس مفاتيح للشر مغاليق للخير فطوبى لعبد جعل الله مفاتيح الخير على يديه يعني من امر بالمعروف ونهى عن المنكر لهو مفتاح للخير مغلاق للشر وهو من المومنين كما قال والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاما الذي يامر بالمنكر وينهى عن المعروف لهو مفتاح الشر وهو من علامة المنافقين كما قال الله تعالى والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض

في التوبة

يحكى انه كان في بني اسرائيل امراة بغية وكانت مفتتنة للخلق بحسنها وجمالها وكان باب دارها مفتوحا فكل من مر بها وهي قاعدة على السرير وبازائها تجاه الباب وراها افتتن واحتاج ان يحضر عندها بعشرة دنانير او اقل واكثر حتى تاذن له بالدخول عليها فمر على بابها ذات يوم عابد من العباد فوقع بصره عليها في الدار وهي قاعدة على السرير فافتتن بها وجعل يجاهد نفسه ويدعو الله تعالى ليزيل ذلك عن قلبه فلم يزل ذلك عنه ولم يملك نفسه حتى باع تماثيله وجمع من الدنانير ما يحتاج اليه وجاء الى بابها فامرت ان يسلم ذلك الى وكيلها وواعدته وقتا لمجيئه فجاء اليها في ذلك الوقت وقد تزينت وجلست في بيتها على سريرها فدخل عليها العابد وجلس معها على سريرها فلما مد يده اليها وانبسط اليها تداركته رحمة الله وبركة عبادته المتقدمة فوقع في قلبه ان الله تعالى يراني على هذه الحالة فوق عرشه وانا في الحرام وقد بطل عملي كله فوقعت الهيبة في قلبه فارتعد في نفسه وتغير لونه فنظرت المراة فراته متغير اللون فقالت له ما الذي بك قال اني اخاف ربي فاذني لي بالخروج فقالت له ويحك ان كثيرا من الخلق يتمنون ساعة مني ايش هذا الذي انت فيه فقال لها اني اخاف الله رب العالمين وان المال الذي دفعته اليك هو موهوب مني لك حلال فاذني لي بالخروج فقالت له انت لم تعمل هذا العمل قط قال لا قالت له من اين انت وما اسمك فاخبرها انه من قرية كذا واسمه فلان فاذنت له بالخروج فخرج من عندها وهو يدعو بالويل والثبور ويبكي على نفسه واما المراة فانها وقعت الهيبة في قلبها ببركة صدق العابد فقالت في نفسها ان هذا الرجل اول ذنب قد اذنب وقد دخل عليه من الخوف ما دخل واني قد اذنبت منذ كذا وكذا سنة وان ربه الذي يخاف منه هو ربي وخوفي منه ينبغي ان يكون اشد من خوفه فتابت الى الله تعالى واغلقت بابها عن الناس ولبست ثيابا خلقة واقبلت على العبادة ومكثت في العبادة ما شاء الله فقالت في نفسها اني لو انتهيت الى ذلك الرجل فلعله ان يتزوج بي فاكون عنده واتعلم منه امر ديني ويكون عونا لي على عبادة الله تعالى فتجهزت وحملت معها من الاموال والخدم ما شاء الله فانتهت الى تلك القرية وسالت عنه فاخبر العابد ان ههنا امراة تسال عنك فخرج العابد اليها فلما راته المراة كشفت عن وجهها لكي يعرفها فلما راها العابد عرف وجهها وتذكر الذي كان بينه وبينها فصاح صيحة فخرجت روحه فبقيت المراة حزينة وقالت اني خرجت لاجله وقد مات فهل احد من اقاربه يتزوجني فقالوا ان له اخا صالحا ولكنه معسر ليس له مال فقالت لا باس به واني لي من المال ما فيه غناه وكفاية فجاء اخوه فتزوج بها فولد منها سبعة كلهم صاروا انبياء في بني اسرائيل ۔ والله اعلم

منتخب شرح الاحاديث للكلاباذي عن انس رضي الله عنه عن النبي
عليه السلم قال الطبقات اثنى خمس طبقات كل طبقة منها
اربعون سنة فطبقتي وطبقة اصحابي اهل العلم والايمان
والطبقة الثانية الى الثمانين اهل البر والتقوى والطبقة
الاولى الى العشرين ومائة اهل التراحم والتواصل
والطبقة الاولى الى الستين ومائة اهل التقاطع
والتدابر والطبقة الاولى الى المائتين
اهل الهرج والحرب ثم ترتيبه ... ولد

از هیبت مرگ شیر خرگوش شود دانا جهان ز عقل بیهوش شود
ای وای در آن زمان که از دادن جان گفتن شهادتت فراموش شود

عن عبد الله عباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لامته عشية عرفة بالمغفرة فاجيب اني قد غفرت لهم ما خلا المظالم فاني اخذ للمظلوم من الظالم قال اي رب ان شئت اعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم فلم يجب عشيته فلما اصبح بالمزدلفة اعاد الدعاء فاجيب الى ما سال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم او قال تبسم فقال له ابو بكر وعمر بابي انت وامي ان هذه لساعة ما كنت تضحك فيها فما الذي اضحكك اضحك الله سنك قال ان عدو الله ابليس لما علم ان الله قد استجاب دعائي وغفر لامتي اخذ التراب فجعل يحثوه على راسه ويدعو بالويل والثبور فاضحكني ما رايت من جزعه ۔ رواه ابن ماجه

منه

اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك ۔ قد جمع النبي صلى الله عليه في هذه الحكمة علما كثيرا لان الرجل يقدر على الاعمال في حال شبابه ما لا يقدر عليها في حال هرمه وايضا لان الشاب اذا تعودوا المعصية لا يقدرون على الامتناع منها في حال الهرم فينبغي للشاب ان يتعود في حال شبابه اعمال الخير ليسهل عليه في حال الهرم وقوله وصحتك قبل سقمك لان الصحيح نافذ الامر في ماله ونفسه فينبغي للصحيح ان يغتنم صحته ويجتهد في الاعمال الصالحة في ماله وبدنه لانه اذا مرض ضعف بدنه عن الطاعة وقصرت يده عن ماله الا في مقدار ثلثه وقوله وفراغك قبل شغلك يعني من الليل تكون فارغا وبالنهار مشغولا فينبغي ان يصلي بالليل في حال فراغه ويصوم النهار في وقت شغله في ايام الشتاء كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الشتاء غنيمة المومن طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه وقوله وغناك قبل فقرك يعني اذا كنت راضيا بما اتاك الله من القوت فاغتنم ذلك ولا تطمع فيما في ايدي الناس وقوله وحياتك قبل موتك لان الرجل ما دام حيا يقدر على العمل فاذا مات انقطع عمله فينبغي للمومن ان لا يضيع ايامه ويغتنم ايامه الباقية ۔

عن عبد الحميد بن محمود المعولي قال كنت جالسا عند ابن عباس فاتاه قوم فقالوا انا خرجنا حجاجا ومعنا صاحب لنا حتى انتهينا الى ذات الصفاح فمات فهيانا له ما يحتاج اليه ثم انطلقنا فحفرنا له قبرا ولحدا فلما فرغنا فاذا نحن باسود قد ملا اللحد يعني الحية فحفرنا له في مكان اخر فاذا نحن باسود قد ملا اللحد فحفرنا له ثالثا فاذا نحن باسود قد ملا اللحد فتركناه واتيناك فقال ابن عباس ذلك الغل كان يغل به انطلقوا فادفنوه في احدها فوالله لو حفرتم له الارض كلها لوجدتم ذلك فاخبر قومه قال فانطلقوا فدفنوه في بعضها فلما رجعنا اتينا اهله برحل كان له فسالنا زوجته ما الذي كان يصنع قالت كان يبيع الطعام يعني الحنطة وياخذ كل يوم مقدار قوته ثم يقرض من القصب مثله ومن الكعبر ويلقيه فيه ۔ انبوب القصب

روي عن عمرو بن دينار قال كان رجل من اهل المدينة له اخت في ناحية المدينة فاشتكت وكان ياتيها ليعودها ثم ماتت فجهزها وحملها الى قبرها فلما دفنت ورجع الى اهله ذكر انه نسي كيسا كان معه فاستعان برجل من اصحابه فاتيا القبر فنبشاه فوجدا الكيس فقال للرجل تنح عني حتى انظر على اي حال اختي فرفع بعض ما على اللحد فاذا القبر مشتعل نارا فرده وسوى القبر ورجع الى امه فقال لها اخبريني عما كانت عليه اختي فقالت لا تسال عن اختك فقد هلكت قال فلتخبريني قالت كانت اختك تؤخر الصلوة ولا تصلي بطهارة تامة وتاتي ابواب الجيران اذا ناموا فتلقم اذنها ابوابهم فتخرج حديثهم يعني انها تمشي بالنميمة ۔

روي عن ابرهيم بن ادهم رحمه الله انه قيل له لو جلست حتى تتم مكثك فقال اني مشغول باربعة اشياء لو تفرغت منها جلست كم قيل وما هي فقال اولها اني تفكرت في يوم الميثاق حين اخذ الميثاق على بني ادم وقال الله تعالى هولاء في الجنة ولا ابالي وهولاء في النار ولا ابالي فلا ادري من اي الفريقين انا والثاني اني تفكرت في الولد اذا خلقه الله في بطن امه ونفخ فيه الروح فيراه الملك الذي وكل به يا رب اشقي ام سعيد فلا ادري كيف خرج جوابي في ذلك الوقت والثالث حين ينزل ملك الموت اذا اراد ان يقبض روحي فيقول يا رب مع الاسلام ام مع الكفر فلا ادري كيف يخرج جوابي والرابع تفكرت في قول الله تعالى وامتازوا اليوم ايها المجرمون فلا ادري من اي الفريقين اكون ۔

يعني ان الارض تنادي كل يوم خمس كلمات يا ابن ادم تمشي على ظهري ومصيرك في بطني يا ابن ادم تاكل الالوان على ظهري وتاكلك الديدان في بطني يا ابن ادم تضحك على ظهري وتبكي في بطني يا ابن ادم تفرح على ظهري وتحزن في بطني يا ابن ادم تذنب على ظهري وتعذب في بطني ۔

بسم الله الرحمن الرحيم عليه توكلت وهو رب العرش الكريم

الحمد لله البادي المبدئ بدائع آياته الناطقة بكلامل البرهان ؞ الهادي المهدي صنائع هباته الرائقة بجلائل الامتحان ؞
المحسن الينا بجميل ما عمّنا به من احسانه الالوف ؞ الممتن علينا بجزيل ما ضمّنا اليه من امتنانه العطوف ؞ المبقي على
ولسانه العالمين بالحق المبين ؞ والكتاب المستبين ؞ المشكي لاعناء العاملين بالحق المتين ؞ والعقل المتين ؞ الذي
ارسل الرسل النذر الناهية عن اتخاذ طريف هذه العاجلة وتلادها ؞ وانزل الزبر الهادية الى استنقاذ تلك الآجلة وعتادها ؞
يعلم ما تكنه الصدور من الاسرار المحجوبة في توامير اشغاف القلوب ؞ ويبصر ما تجنه السطور من الاسطار المكتوبة في طوامير
صداف الغيوب ؞ نحمده على ما شرفنا به من الايمان بوحدانيته ؞ ونشكره على ما عرّفنا منه من الايقان بفردانيته ؞
ونستعينه على ما استكبرناه من نزغة الشيطان ؞ ونستغفره مما استكرناه من جنية العصيان ؞ ونعوذ بكنفه مما استدنّاه
من خيانة هذا الزمان ؞ ونلوذ بكرمه مما استكفيناه من اهانة ذاك الاوان ؞ ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
ولا حدّ له ولا ندّ له ولا ضدّ له ؞ ونشهد ان محمدا عبده المأمور بدعوة خلقه اليه ؞ وامينه المؤتمن على ما في كتابه
المنزل عليه ؞ ارسله بشيرا بالقرآن الصادع ؞ ونذيرا بالسيف القاطع ؞ وداعيا بالاذن الرادع ؞ وسراجا بالنور
الساطع ؞ فبيّن منار التوحيد بتشييده واشاده ؞ وابان آثار الشرك بتابيره وابادة ؞ وهدى العباد سداد الطريق
ورشاده ؞ وجاهد في الله حق جهاده واجاده ؞ فصلى الله عليه وعلى آله الانقياء مفاتيح التقى ؞ واصحابه الاصفياء
مصابيح الدجى ؞ وسلم تسليما جاوز عدد قطر الامطار ؞ وكرّم تكريما عدا مدد حروف الاسفار ؞ **اما بعد** قال الخادم
السنة النبوية ابو المحامد عفيف بن سعيد بن مسعود بن محمد بن مسعود الكازروني ؞ سقاه الله برحمته صوب غفرانه
وكساه بفضله ثوب رضوانه ؞ لما نظرت في تفسير شيخنا شيخ الاسلام ؞ قدوة الائمة الاعلام ؞ عماد الدين ابي الفداء اسمعيل بن
كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء القرشي ؞ روّح الله روحه ؞ ووالى من الرحمة فتوحه ؞ وجدته كتابا جامعا لانواع العلوم الدينية
حاويا للفوائد والاسرار اليقينية ؞ قد اودع فيه لطائف غريبة ؞ ودقائق انيقة عجيبة ؞ مع عبارات موشحة واستعارات
مرشحة ؞ من تروّى في حسن اتساقه ؞ وتدبّر في مطالعه ومساقه ؞ وتفرّج في حدائق حقائقه بفكره ؞ اغناه عن شرح فضيلة
مصنفه والاشارة بذكره ؞ لكنه بحسب وضع زماننا ؞ والله المستعان على اطفاء نائرة الفتن ؞ وهو المشتكى من اهله
اليه من المصائب والمحن ؞ مطوّل بحيث يقصر الهمم عن تحقيقه وتحصيله ؞ ويكلّ الفكر عن ضبط جملته وتفصيله ؞ مشحون
بالاسانيد والطرق والتكريرات ؞ واختلاف الاقوال والوجوه بالعبارات ؞ فاقترح علي بعض اخواني في طريق العلم و

مؤلف

والدين ؞ وخلاني من اهل المعاني واليقين ؞ ان الخص منه مقاصده وامير لبّه من مبانيه ؞ وابين لهم ما هو المراد من مقاطعه
ومعانيه ؞ فقلت في تحرير الجواب ؞ ما للتراب ورب الارباب ؞ من اين وكيف لي واني ؞ ان ارشف ريقه المهنّى
فلم تزدهم الا المبالغة والالحاح ؞ والمراجعة بالترامي لهم بالانجاح ؞ فلما لم يكن لي بدّ من تلقيهم بالاجابة ؞ والله الكريم
ولي الاصابة ؞ استخرت الله تعالى واستوفقته ؞ واستدعيت من فضله واستوثقته ؞ ورغبني دواعي الشكر الى غوص
ذلك البحر العميق ؞ وبعثني بواعث الذكر الى استخراج ما فيه من الدر والعقيق ؞ حتى صرحت بما اعجبني من عجائب تلك
الجواهر نظما ونثرا ؞ وشرحت ما افهمني من غرائب تلك المآثر سرا وجهرا ؞ وتركت فيه الاسانيد والمكررات ؞ وسائر
ما يستغنى عنه في المطولات ؞ وسميته البدر المنير ؞ الملخص من تفسير ابن الكثير ؞ سائلا من الله المنان الهداية والتوفيق
لاتمامه ؞ فان ذلك من تمام فضله وانعامه ؞ وان ينفعني اولا ثم الطالبين ؞ وسائر المسلمين ؞ انه خير موفق ونعم المعين ؞

سطر

المقدمة اعلم انه يجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله وتفسيره وطلبه من مظانه وتعلمه وتعليمه كما قال الله تعالى واذ
اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الآية وقال عز وعلا ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم
ثمنا قليلا الآية ذم الله تعالى اهل الكتاب قبلنا باعراضهم عن كتاب الله واقبالهم على الدنيا وجمعها واشتغالهم بغير ما امروا
به من اتباع كتاب الله فعلينا ايها المسلمون ان ننتهي عما ذمهم الله به وان ناتي بما امرنا به من تعليم القرآن وتعلمه وتفهمه و
تفهيمه قال جل ذكره الم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الى قوله لعلكم تعقلون ففي ذكر الله تعالى لهذه الآية بعد التي قبلها
تنبيه على انه تعالى كما يحيي الارض بعد موتها كذلك يلين القلوب بالايمان بعد قسوتها من الذنوب والمعاصي ثم اعلم ان اصح طرق
المفسر ان يفسر القرآن بالقرآن فما اجمل في مكان فانه مفسر في مكان آخر وما اختصر في موضع فانه مفصل في موضع آخر

مفسرة ام

فان اعياك ذلك فعليك بالسنة فانها شارحة وموضحة له قال امامنا الشافعي رضي الله عنه كل ما حكم به رسول الله فهو مما
فهمه من القرآن قال الله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما وقال عز وعلا
وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون وقال تعالى وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا
فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اني اوتيت القرآن ومثله معه يعني السنة وهي
ايضا نزلت عليه بالوحي كما انزل عليه القرآن الا انها لا تتلى كما يتلى القرآن وقد استدل الشافعي وغيره عليه بادلة كثيرة ليس
هنا موضعها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه حين بعثه الى اليمن بم تحكم قال بكتاب الله قال فان لم تجد
قال بسنة رسول الله قال فان لم تجد قال اجتهد رايي قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره وقال الحمد لله الذي
وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله رواه اصحاب السنن باسناد جيد وحينئذ اذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة
رجعنا ذلك الى اقوال الصحابة رضي الله عنهم فانهم اعلم بذلك لما شاهدوه من القرآن والاحوال التي اختصوا بها ولما لهم من
الفهم والعلم الصحيح لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالخلفاء الراشدين والائمة المهتدين ومنهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم قال
الامام ابو جعفر محمد بن جرير الطبري باسناده الى ابن مسعود انه قال والذي لا اله غيره ما نزلت آية من كتاب الله الا وانا اعلم فيمن نزلت
واين نزلت ولو اعلم مكان احد اعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لاتيته وقال ايضا كان الرجل اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن
حتى يعرف معانيهن والعمل بهن قال ابو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا انهم كانوا يستقرئون
من النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعا ومنهم
الحبر البحر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وترجمان القرآن ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال له اللهم فقهه في الدين

وعلمه التأويل وقال ابن مسعود نعم ترجمان القرآن ابن عباس هذا وقد عمر ابن عباس بعد ابن مسعود ستا وثلثين سنة فما
ظنك بما كسبه من العلوم بعده وعن ابي وائل قال استخلف علي رضي الله ابن عباس على الموسم فخطب الناس فقرأ في خطبته سورة
البقرة وفي رواية سورة النور ففسرها تفسيرا لو سمعته الروم والترك والديلم لاسلموا ولهذا غالب ما يرويه اسمعيل بن عبد الرحمن
السدي الكبير في تفسيره عن هذين الرجلين ابن مسعود وابن عباس ولكن في بعض الاحيان ينقل عنهم ما يحكونه من اقاويل اهل الكتاب
التي اباحها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا
فليتبوأ مقعده من النار رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو ولهذا كان عبد الله بن عمرو قد اصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب
اهل الكتاب وكان يحدث منها بما فهمه من هذا الحديث من الاذن في ذلك ولكن هذه الاحاديث الاسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد
فانها على ثلثة اقسام احدها ما علمنا صحته مما بايدينا مما نشهد له بالصدق فذاك صحيح والثاني ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه و
الثالث ما هو مسكوت عنه لا من هذا ولا من ذاك فلا نؤمن به ولا نكذبه ويجوز حكايته لما تقدم وغالب ذلك مما ليس فيه فائدة تعود
الى امر ديني ولهذا اختلف علماء اهل الكتاب في مثل هذا كثيرا ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك كما يذكرون في مثل هذا اسماء اصحاب
الكهف ولون كلبهم وعدتهم ونحوها ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز كما قال تعالى سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم الآية فقد
اشتملت هذه الآية على الادب في هذا المقام فانه تعالى اخبر عنهم بثلثة اقوال ضعف القولين الاولين وسكت عن الثالث فدل على
صحته اذ لو كان باطلا لرده كما ردهما ثم ارشد الى ان الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته فترك السؤال عن امثاله والاشتغال بالاهم اولى
واما من حكى خلافا في مسألة ولم يستوعب اقوال الناس فيها فهو ناقص اذ قد يكون الصواب في الذي تركه او يحكي الخلاف ويطلقه و
لا ينبه على الصحيح من الاقوال فهو ناقص ايضا فان صحح غير الصحيح عامدا فقد تعمد الكذب او جاهلا فقد اخطأ والله اعلم

فصل

اذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا عن الصحابة رضي الله عنهم فقد رجع الاكثرون في ذلك الى اقوال التابعين كمجاهد بن جبر فانه
كان آية في التفسير وقد قال عرضت المصحف على ابن عباس ثلث عرضات من فاتحته الى خاتمته اوقفه عند كل آية واسأله عنها وكان
ابن عباس يقول له اكتب ولهذا قال سفين الثوري اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك وكسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس
وعطاء بن ابي رباح والحسن البصري ومسروق بن الاجدع وسعيد بن المسيب وابي العالية والربيع بن انس وقتادة و
الضحاك بن مزاحم وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم فتذكر اقوالهم في الآية فيقع في عباراتهم تباين في الالفاظ يحسبها من
لا علم عنده اختلافا فيحكيها اقوالا وليس كذلك فان منهم من عبر عن الشيء بلازمه او بنظيره ومنهم من نص على الشيء بعينه
والكل بمعنى واحد في كثير من الاماكن فليتفطن لذلك والله الهادي وقال شعبة وغيره اقوال التابعين في الفروع ليست حجة اي
على غيرهم من المخالفين فكيف تكون حجة في التفسير وهذا صحيح اما اذا اجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة فان اختلفوا فلا
يكون قول بعضهم على بعضهم حجة ولا على من بعدهم ويرجع في ذلك الى لغة القرآن او السنة او لغة العرب واقوال الصحابة في ذلك
واما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام لما روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال في القرآن برأيه او بما لا يعلم فليتبوأ مقعده
من النار رواه النسائي وابو داود والترمذي وقال هذا حديث حسن وفي سننهم عن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من قال في القرآن برأيه فقد اخطأ وفي لفظ لهم من قال في كتاب الله برأيه فاصاب فقد اخطأ اي لانه قد تكلف ما لا علم له به و
سلك غير ما امر به وان اصاب في نفس الامر لانه لم يأت الامر من بابه فكان كمن حكم بين الناس على جهل فهو في النار وان وافق
الصواب لكن اخف جرما ممن اخطأ وقد سمى الله تعالى القذفة كاذبين فقال فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون
فالقاذف كاذب ولو كان قد قذف من زنى في نفس الامر لانه تكلف ما لا علم له به والله اعلم ولهذا تحرج جماعة من السلف عن تفسير

ما لا علم

ما لا علم لهم به قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه اي ارض تقلني واي سماء تظلني اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم وسئل
هو عن قوله وفاكهة وابا فقال هذه الفاكهة عرفناها فما الأب ففكر ثم تفكر فقال ان هذا لهو التكلف يا عمر وهكذا نقل
عن عمر رضي الله عنه وهذا محمول على انهما انما ارادا اعلم كيفية الأب والا فكونه نبتا فظاهر لقوله فانبتنا فيها حبا وعنبا الآية
وروي ان ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها فابى ان يقول وسأل رجل ابن عباس عن يوم كان مقداره الف سنة
فقال له فما كان مقداره خمسين الف سنة فقال الرجل انما سألتك لتحدثني فقال هما يومان ذكرهما الله في كتابه الله اعلم بهما فكره ان يقول
في كتاب الله ما لا يعلم وسأل طلق بن حبيب جندب بن عبد الله عن آية من القرآن فقال له احرج عليك ان كنت مسلما لما غبت عني او قال
ان تجالسني وكان سعيد بن المسيب اذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال انا لا نقول في القرآن شيئا ولا نتكلم الا في المعلوم منه
وقال في جواب سائل لا تسألني عن القرآن وسل عمن يزعم انه لا يخفى عليه شيء منه يعني عكرمة ومع ان سعيدا كان اعلم الناس
بالحلال والحرام كان اذا سئل عن تفسير آية سكت وقال عبيد الله بن عمر لقد ادركت فقهاء المدينة وانهم ليعظمون القول
في التفسير منهم سالم بن عبد الله والقاسم بن محمد وسعيد بن المسيب ونافع وقال هشام بن عروة ما سمعت ابي تاول آية من كتاب الله
قط وقال محمد بن سيرين سألت عبيدة السلماني عن آية من القرآن فقال ذهب الذين كانوا يعلمون فيما انزل القرآن فاتق الله
وعليك بالسداد وقال مسلم بن يسار اذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده وقال ابرهيم التيمي كان اصحابنا يتقون التفسير
ويهابونه وقال الشعبي والله ما من آية الا وقد سألت عنها ولكنها الرواية عن الله عز وجل وعن مسروق قال اتقوا التفسير فانما هو
الرواية عن الله عز وجل فهذه الآثار ونحوها عن ائمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام فيما لا علم لهم به في التفسير فاما من تكلم
بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهما اقوال في التفسير ولا منافاة لانهم تكلموا فيما علموه وسكتوا
عما جهلوه وهذا هو الواجب على كل احد فانه يجب السكوت فيه عن غير المعلوم كما يجب القول فيما سئل عنه بالمعلوم لقوله تعالى لتبيننه
للناس ولا تكتمونه والحديث المروي من سئل عن علم فكتمه الجم يوم القيمة بلجام من نار فاما ما روي عن عائشة قالت ما كان النبي
يفسر شيئا من القرآن الا آيا تعد علمهن اياه جبرئيل عليه السلم فانه حديث منكر وتكلم عليه ابن جرير بما حاصله ان هذه الآيات مما
لا يعلم الا بالتوقيف عن الله تعالى مما وقفه عليه جبرئيل وهذا تأويل صحيح ان صح الحديث فان من القرآن ما استأثر الله بعلمه ومنه
ما يعلمه العلماء ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها ومنه ما لا يعذر احد في جهله كما صح بذلك ابن عباس ان التفسير على اربعة اوجه
وجه تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر احد بجهله وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله وقد روي فيه حديث مطعون
اولاه ان يوقف على ابن عباس وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انزل القرآن على سبعة احرف حلال وحرام لا يعذر في
بالجهالة به وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه الا الله ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب رواه محمد بن السائب الكلبي وهو
متروك الحديث والله اعلم

سورة الفاتحة هي مكية وقيل مدنية

ويقال مدنية نزلت مرتين بمكة مرة وبالمدينة اخرى
وهي سبع آيات بلا خلاف وانما اختلفوا في البسملة هل هي آية مستقلة من اولها كما هو المشهور عن الجمهور او بعض آية ام لا يعد
من اولها بالكلية على ثلثة اقوال نبينها في موضعها ان شاء الله وهي خمس وعشرون كلمة ومائة وثلثة عشر حرفا قال البخاري
في اول كتاب التفسير سميت ام الكتاب لانه يبدأ بكتابتها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلوة وقيل انما سميت بذلك لرجوع معاني
القرآن كله الى ما تضمنته قال ابن جرير والعرب تسمي كل جامع امر او مقدم لامر اذا كانت له توابع هو لها امام جامع اما فيقولون
للجلدة التي تجمع الدماغ ام الرأس ويسمون لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها اما واستشهد بقول ذي الرمة **شعر**

على رأسه ام لنا نقتدي بها * جماع امور لا نعاصي لها امرا *

يعني الرمح وسميت مكة ام القرى لتقدمها امام جميعها وقيل
لان الارض دحيت منها وقالوا ايضا الفاتحة لانها يفتتح بها القراءة وافتتح الصحابة بها كتابة المصحف الامام وصح تسميتها

فاتحة الكتاب هي سورة الحمد سميت بذلك لانه
استفتح بها اي ابتدئ وتسمى ام الكتاب لانها
وسمي كلام الله كتابا لجمعه الاحكام والقصص و
والامثال ولهذا المعنى سمي ايضا قرآنا لانه
الاشياء وسمي ايضا فرقانا لانه فرق بين الحق
وقيل ان المراد بقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا

ليست بذه الحاجه لنو امر السوره

المثاني لانها تثنى في الصلوة فتقرا في كل ركعة وان كان للمثاني معنى غيرها كما سياتي في موضعه ان شاء الله وفي مسند احمد
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هي ام القرآن وهي السبع المثاني وهي القرآن العظيم وفي رواية اخرى له وهي
فاتحة الكتاب وفي تفسير ابي بكر بن مردويه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين سبع ايات
بسم الله الرحمن الرحيم احديهن وهي السبع المثاني والقرآن العظيم وهي ام الكتاب وفاتحة الكتاب وقد روى الدارقطني ايضا عن
الثقات نحوه او مثله وفسر علي وابن عباس رضي الله عنهم السبع المثاني بالفاتحة وان البسملة هي الاية السابعة منها

ذكر ما ورد في فضائل الفاتحة

عن ابي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال كنت اصلي فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه
حتى صليت واتيته فقال ما منعك ان تاتيني قال قلت يا رسول الله اني كنت اصلي قال الم يقل الله يا ايها الذين آمنوا
استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ثم قال لاعلمنك اعظم سورة في القرآن قبل ان تخرج من المسجد قال فاخذ بيدي
فلما اراد ان يخرج من المسجد قلت يا رسول الله انك قلت لاعلمنك اعظم سورة في القرآن قال نعم الحمد لله رب العالمين هي
السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته هكذا رواه البخاري ورواه ابو داود والنسائي وابن ماجه نحوه ومالك في الموطا
عن ابي سعيد مولى عامر بن كريز ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى ابي بن كعب وهو يصلي في المسجد فلما فرغ من صلوته
لحقه قال فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على يدي وهو يريد ان يخرج من باب المسجد ثم قال اني لارجوا ان لا تخرج من باب المسجد
حتى تعلم سورة ما انزل في التورية ولا في الانجيل ولا في القرآن مثلها قال ابي فجعلت ابطئ في المشي رجاء ذلك ثم قلت
يا رسول الله السورة التي وعدتني قال كيف تقرا اذا افتتحت الصلوة قال فقرات عليه الحمد لله رب العالمين حتى اتيت على
آخرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي هذه السورة وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اعطيت فابو سعيد هذا
ليس بابي سعيد بن المعلى كما اعتقده ابن الاثير في جامع الاصول فان ابن المعلى صحابي انصاري وذاك تابعي من موالي خزاعة ورواه
احمد عن ابي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي بن كعب وهو يصلي فقال يا ابي الحديث بنحو ما سبق ورواه
الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح فتبين ان ذلك قضيتان والله اعلم وعن عبد الله بن جابر العبدي الصحابي وقيل
الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك يا عبد الله بن جابر بخير سورة في القرآن قلت بلى يا رسول الله
قال اقرا الحمد لله رب العالمين حتى تختمه رواه احمد واستدلوا بهذا الحديث وامثاله على تفاضل بعض الايات على بعض
عن ابي سعيد الخدري قال كنا في مسير لنا فنزلنا فجاءت جارية فقالت ان سيد الحي سليم وان نفرنا غيب فهل منكم راق
فقام معها رجل منا برقية فرقاه فبرا فامر له بثلثين شاة وسقانا لبنا فلما رجع قلنا له تحسن رقية او كنت ترقي قال
لا ما رقيت الا بام الكتاب قلنا لا تحدثوا شيئا حتى ياتي او نسال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدمنا المدينة ذكرنا
للنبي صلى الله عليه وسلم فقال وما كان يدريه انها رقية اقسموا واضربوا لي بسهم رواه البخاري ومسلم وابو داود وفي
رواية لهما ان ابا سعيد هو الذي رقى ذلك السليم يعني اللديغ وعن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعنده جبرئيل اذ سمع نقيضا فوقه فرفع جبرئيل بصره الى السماء فقال هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط فنزل منه
ملك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابشر بنورين قد اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرا
حرفا منهما الا اوتيته رواه النسائي ولمسلم نحوه وعن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلوة لم يقرا فيها بام
القرآن فهي خداج ثلثا غير تمام فقيل لابي هريرة انا نكون وراء الامام قال اقرا بها في نفسك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال الله عز وجل قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سال فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني
عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي وقال مرة فوض الي عبدي فاذا

سميت سبعا لانها سبع آيات وقيل لان فيها
سبع آداب كل آية لادب وهي الحمد و
الثناء وبصفات الذات وبصفات
الافعال والعبادة والاستعانة وطلب
الهداية والتبري من حال الكافرين
واما عدد آياتها فقد اختلف الناس فيه
فالذي ذهب اليه اهل مكة والكوفة وهو
قول الشافعي رضي الله عنه ان البسملة الاية
الاولى من الفاتحة والثانية العالمين و
الثالثة الرحيم والرابعة يوم الدين و
الخامسة نستعين والسادسة المستقيم و
السابعة ولا الضالين

[illegible]

نقض الحمل ظهره اثقله واصله
الصوت ومنه قوله تعالى انقض
ظهرك والنقيض صوت المحامل

قال اياك

قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين
انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سال رواه مسلم وفي رواية للنسائي فنصفها لي ونصفها
لعبدي ولعبدي ما سال والكلام على ما يتعلق بالحديث مما يختص بحكم الفاتحة من وجوه احدها انه قد اطلق فيه لفظ الصلوة
والمراد القراءة كقوله تعالى ولا تجهر بصلوتك الاية اي بقراءتك وفيه عظمة القراءة في الصلوة وانها من اكبر اركانها اذ
اطلقت العبادة واريد بها جزء واحد منها وهو القراءة كما اطلق لفظ القراءة واريد بها الصلوة في قوله تعالى وقرآن الفجر ان قرآن
الفجر كان مشهودا اي المراد صلوة الفجر كما جاء في الصحيحين انه تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار فدل هذا كله على انه لا بد من القراءة في
الصلوة وهو اتفاق من العلماء لكن اختلفوا في مسئلة نذكرها في الوجه الثاني وهو هل يتعين للقراءة فيها الفاتحة ام يجزئ هي وغيرها
على قولين فعند ابي حنيفة ومن وافقه انها لا يتعين بل ما قرا به من القرآن في الصلوة اجزاه لعموم قوله تعالى فاقروا ما تيسر من القرآن
وبما ثبت في الصحيحين من معناه وعند مالك والشافعي واحمد وجمهور العلماء انه يتعين قراءة الفاتحة في الصلوة ولا يجزي بدونها
واحتجوا بقوله عليه الصلوة والسلام من صلى صلوة لم يقرا فيها بام القرآن فهي خداج اي ناقص وبما ثبت في الصحيحين انه عليه الصلوة
والسلام قال لا صلوة لمن لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب وفي صحيح ابن خزيمة وابن حبان انه عليه الصلوة والسلام قال لا يجزئ صلوة
لا يقرا فيها بام القرآن والاحاديث في هذا الباب كثيرة ثم ان مذهب الشافعي ومن وافقه انه يجب قراءتها في كل ركعة وعند
آخرين لا يجب قراءتها في معظم الركعات الوجه الثالث هل يجب قراءة الفاتحة على المأموم فيه ثلثة اقوال احدها انه يجب عليه قراءتها
كما يجب على امامه لما سبق والثاني انه لا يجب عليه قراءة بالكلية لا الفاتحة ولا غيرها ولا في الجهرية ولا في السرية لما في مسند احمد ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان له امام فقراءة الامام له قراءة وهو ضعيف والثالث انه يجب في السرية ولا يجب في الجهرية
لقوله صلى الله عليه وسلم انما جعل الامام ليؤتم به فاذا كبر فكبروا واذا قرا فانصتوا وذكر بقية الحديث رواه مسلم وكذا رواه
اهل السنن وهذا قول قديم للشافعي ورواية عن احمد والغرض من ذكر هذه المسائل بيان اختصاص سورة الفاتحة باحكام
لا تتعلق بغيرها من السور والله اعلم وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضعت جنبك على الفراش
وقرات فاتحة الكتاب وقل هو الله احد فقد امنت من كل شئ الا الموت رواه الحافظ ابو بكر البزار

الكلام في تفسير الاستعاذة

قال الله تعالى فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله الاية قال بعض القراء وغيرهم يتعوذ بعد القراءة لظاهر الاية ولدفع الاعجاب
بعد فراغ العبادة وقال آخرون هو الاستعاذة اولا وآخرا جمعا بين الدليلين قاله في التتمة وعليه حمزة وابو حاتم السجستاني
والمشهور الذي عليه الجمهور ان الاستعاذة انما تكون قبل القراءة لان المعنى اذا اردت القراءة كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة
فاغسلوا وجوهكم اي اذا اردتم القيام والدليل عليه ما في مسند احمد عن ابي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا قام من الليل فاستفتح صلوته وكبر قال سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم
يقول لا اله الا الله ثلثا ثم يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه ويقول الله اكبر
ثلثا ورواه اصحاب السنن الاربعة وقال الترمذي هو اشهر حديث في هذا الباب والهمز الموتة وهي الخنق والنفخ الكبر
والنفث الشعر وفي سنن ابن ماجه نحوه وعن ابي بن كعب رضي الله عنه قال تلاحى رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم
فتمزع انف احدهما غضبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم شيئا لو قاله ذهب عنه ما يجد اعوذ بالله من
الشيطان الرجيم رواه احمد وابو داود والترمذي وفي الصحيحين عن سليمن بن صرد قال استب رجلان عند النبي صلى الله عليه
وسلم ونحن عنده جلوس فاحدهما يسب صاحبه مغضبا قد احمر وجهه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لو قالها لذهب

عاذ بالشيء يعوذ اذا التجا اليه وكذلك
وفلان عياذي وملاذي اي ملجاي وال
في الاصل العاتي المتمرد من الجن و
والدواب والمراد به اذا اطلق
وشياطين الجن فاذا اريد اطلاقه
الجن قيل شيطان الانس ويوم
اذا بعد والرجيم المرحوم فعيل
وهو الملعون المبعد

[illegible]

عنه ما يجد لو قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقالوا للرجل الا تسمع ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لست بمجنون وقد روى ان جبريل اول ما نزل بالقرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم امره بالاستعاذة ثم اعلم ان معنى اعوذ بالله استجير بجناب الله تعالى من الشيطان ان يضرني في ديني او دنياي او يصدني عن فعل ما امرت به او يحثني على فعل ما نهيت عنه فانه لا يكف الشيطان عن الانسان الا الله ولهذا امر الله تعالى بمصانعة شيطان الانس ومداراته باسداء الجميل اليه ليرده طبعه عما هو فيه من الاذى وامر بالاستعاذة به من شيطان الجن لانه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل لانه شرير بالطبع لا يكفه عنك الا الذي خلقه كما يعلم من قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف الاية وقوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ الاية وقوله ادفع بالتي هي احسن الاية وقوله لا تستوي الحسنة ولا السيئة الاية والشيطان في اللغة مشتق من شطن اذا بعد فهو بعيد بطبعه عن طبع البشر وبعيد بفسقه عن كل خير وقيل مشتق من شاط اشتغل لانه مخلوق من نار وقيل كلاهما صحيح في المعنى ولكن الاول اصح وعليه يدل قول امية بن ابي الصلت في ذكر ما اوتي سليمن عليه السلم: ايما شاطن عصاه عكاه ثم يلقى في السجن والاغلال: وقال ايما شاطن ولم يقل ايما شائط: وقال النابغة الذبياني: نأت بسعاد عنك نوى شطون فبانت والفؤاد بها رهين: يقول بعدت بها طريق بعيدة: قال سيبويه والعرب تقول تشيطن فلان اذا فعل فعل الشياطين ولو كان من شاط لقالوا تشيط فالصحيح الاول ولهذا يسمون كل من تمرد من جني وانسي وحيوان شيطانا قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين شياطين الانس والجن الاية وفي مسند احمد عن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر تعوذ بالله من شياطين الانس والجن فقلت او للانس شياطين قال نعم وفي مسلم عنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع الصلوة المرأة والحمار والكلب الاسود فقلت يا رسول الله ما بال الكلب الاسود من الاحمر من الاصفر قال الكلب الاسود شيطان وروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ركب برذونا فجعل يتبختر به فجعل يضربه فلا يزداد الا تبخترا فنزل عنه وقال ما حملتموني الا على شيطان ما نزلت عنه حتى انكرت نفسي والرجيم فعيل بمعنى مفعول اي انه مرجوم مطرود عن الخير كله كما قال تعالى رجوما للشياطين وقوله وحفظا من كل شيطان مارد الاية وقوله وحفظناها من كل شيطان رجيم الاية

لطيفة

الفرق بين شيطان الجن والانس

بسم الله الرحمن الرحيم

اتفق العلماء على انها بعض اية من سورة النمل ثم اختلفوا هل هي اية مستقلة من اول كل سورة او من اول كل سورة كتبت في اولها او انها بعض اية من اول كل سورة او انها كذلك في الفاتحة دون غيرها او انها انما كتبت للفصل لا انها اية على اقوال العلماء سلفا وخلفا وذلك مبسوط في غير هذا الموضع وفي سنن ابي داود باسناد صحيح عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم وفي صحيح ابن خزيمة عن ام سلمة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة في اول الفاتحة في الصلوة وعدها اية وهو ضعيف وروى عن جماعة من الصحابة انها اية من كل سورة الا براءة وعليه كثير من التابعين وبه قال الشافعي واحمد بن حنبل في رواية عنه وجماعة وقال مالك وابو حنيفة وموافقوهم ليست اية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وقال داود هي اية مستقلة في اول كل سورة لا منها وهو قول لاحمد هذا ما يتعلق بكونها من الفاتحة ام لا فاما الجهر بها فمفرع على هذا فمن راى انها ليست منها فلا يجهر بها وكذا من قال انها اية في اولها فاما من قال بانها اية من اوائل السور فاختلفوا فذهب الشافعي الى انه يجهر بها مع الفاتحة والسورة وهو مذهب طوائف من الصحابة والتابعين وائمة المسلمين سلفا وخلفا والحجة في ذلك انها بعض الفاتحة فيجهر بها كسائر الفاظها وقد روى النسائي في سننه عن ابي هريرة انه صلى فجهر في قراءته بالبسملة وقال بعد ان فرغ اني لاشبهكم صلوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وصححه جماعة من الائمة وفي المستدرك للحاكم عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر

[illegible]

بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال صحيح وفي البخاري عن انس بن مالك انه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت قراءته مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم وفي مسند احمد وسنن ابي داود وغيره عن ام سلمة انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين وصححه الدارقطني وروى الشافعي عن انس ان معوية صلى بالمدينة فترك البسملة فانكر عليه من حضر من المهاجرين ذلك فلما صلى المرة الثانية بسمل وفي هذه الاحاديث والاثار كفاية ومقنع في الاحتجاج والله اعلم وقد ذهب اخرون الى انه لا يجهر بالبسملة في الصلوة وهذا هو الثابت عن الخلفاء الراشدين وبعض الصحابة وطوائف من سلف التابعين وخلفهم وهو مذهب ابي حنيفة والثوري واحمد وعند مالك انه لا يقرأ البسملة بالكلية لا جهرا ولا سرا محتجين بما في مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلوة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين وبما في الصحيحين عن انس قال صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمن رضي الله عنهم وكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين ولمسلم لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم لا في اول القراءة ولا في اخرها فهذه ماخذ الائمة رحمهم الله في هذه المسئلة والله اعلم

فصل في فضلها

في مسند الامام ابي محمد عبد الرحمن بن ابي حاتم رحمه الله باسناده عن ابن عباس ان عثمن بن عفان رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بسم الله فقال هو اسم من اسماء الله وما بينه وبين اسم الله الاكبر الا كما بين سواد العين وبياضها من القرب وهكذا رواه ابو بكر بن مردويه وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى بن مريم اسلمته امه الكتاب ليعلمه فقال له المعلم اكتب فقال ما اكتب قال بسم الله قال له عيسى وما بسم الله قال المعلم ما ادري قال له عيسى الباء بهاء الله والسين سناؤه والميم مملكته والله اله الالهة والرحمن رحمن الدنيا والاخرة والرحيم رحيم الاخرة رواه ابن مردويه وقد رواه ابن جرير ايضا وهذا غريب جدا ويمكن ان يكون صحيحا الى من دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون من الاسرائيليات لا من المرفوعات والله اعلم وعن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انزلت على اية لم تنزل على نبي غير سليمن بن داود وهي بسم الله الرحمن الرحيم وعن جابر قال لما نزل بسم الله الرحمن الرحيم هرب الغيم الى المشرق وسكنت الرياح وهاج البحر واصغت البهائم باذانها ورجمت الشياطين من السماء وحلف الله تعالى بعزته وجلاله ان لا يسمى اسمه على شيء الا بارك فيه رواهما ابن مردويه في تفسيره وان عميرا قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فعثر بالنبي صلى الله عليه وسلم فقلت تعس الشيطان فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل تعس الشيطان فانك اذا قلت تعس الشيطان تعاظم وقال بقوتي صرعته واذا قلت بسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب رواه احمد فهذا من تأثير بركة بسم الله ولهذا يستحب قول بسم الله في اول كل عمل وقول كالخطبة ودخول الخلاء والوضوء للاحاديث الواردة فيه ومن العلماء من اوجبها عند الذكر ههنا ومنهم من قال بوجوبها مطلقا وكذا تستحب عند الذبيحة وفي مذهب الشافعي وجماعة واوجبها اخرون عند الذكر ومطلقا في قول ومنهم من اوجبها في الحالة هذه وكذا تستحب عند الجماع للحديث المشهور والله اعلم ثم ان النحاة اختلفوا في متعلق الباء في قوله تعالى بسم الله هل هو اسم او فعل وكل قد ورد به القرآن اما من قدره باسم فتقديره بسم الله ابتدائي فلقوله تعالى بسم الله مجريها ومرسيها ومن قدره بالفعل امرا او خبرا نحو ابدأ بسم الله او ابتدأت بسم الله فلقوله اقرأ باسم ربك وكلاهما صحيح فان الفعل لا بد له من مصدر فلك ان تقدر الفعل ومصدره بحسب ما سبق مما يناسبه فالمشروع ذكر الله في الشروع في ذلك تبركا واستعانة على الاتمام والتقبل حيث اول ما نزل به جبريل من قوله قل بسم الله اي اقرأ بذكر اسم الله ربك واما الاسم فهل هو المسمى او غيره فيه ثلثة اقوال احدها ان الاسم هو المسمى وهو قول ابي عبيدة وسيبويه واختاره

الرحمن الرحيم

[illegible]

البا قلاني وابن فورك وقال الامام فخر الدين محمد بن عمر الرازي في مقدمات تفسيره قالت الحشوية والكرامية والاشعرية الاسم نفس المسمى وغير التسمية وقالت المعتزلة الاسم غير المسمى ونفس التسمية والمختار عندنا ان الاسم غير المسمى وغير التسمية ثم نقول ان كان المراد بالاسم هذا اللفظ الذي هو اصوات مقطعة وحروف مؤلفة فالعلم الضروري حاصل بانه غير المسمى وان كان المراد بالاسم ذات المسمى فهذا يكون من باب ايضاح الواضحات وهو عبث فثبت ان الخوض في هذا البحث على جميع التقديرات يجري مجرى العبث ثم شرع يستدل على مغايرة الاسم المسمى فانه قد يكون الاسم موجودا والمسمى مفقودا كلفظة المعدوم ولانه قد يكون للشيء اسماء متعددة كالمترادفة وقد يكون الاسم واحدا والمسميات متعددة كالمشترك وذلك دال على تغاير الاسم والمسمى وايضا الاسم لفظ وهو عرض والمسمى قد تكون ذاتا ممكنة او واجبة بذاتها وايضا فلفظ النار والثلج لو كان هو المسمى لوجد اللافظ بذلك حر النار او برد الثلج ونحو ذلك ولا يقوله عاقل وايضا فقد قال الله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما فهذه اسماء كثيرة والمسمى واحد وهو الله تعالى وايضا فقوله ولله الاسماء الحسنى اضافها اليه كما قال فسبح باسم ربك العظيم ونحو ذلك والاضافة تقتضي المغايرة وقوله فادعوه بها اي فادعوا الله باسمائه وذلك دليل على انها غيره واحتج من قال الاسم هو المسمى بقوله تبارك اسم ربك والمتبارك هو الله والجواب ان الاسم معظم لتعظم الذات المقدسة وايضا فاذا قال الرجل زينب طالق يعني امرأته طلقت ولو كان الاسم غير المسمى لما وقع الطلاق والجواب ان المراد ان الذات المسماة بهذا الاسم طالق قال الرازي واما التسمية فانها جعل الاسم معينا لهذه الذات فهي غير الاسم ايضا والله اعلم

قوله الله علم للرب تعالى يقال انه الاسم الاعظم لانه يوصف بجميع الصفات كما قال تعالى هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة الآية هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس الآية هو الله الخالق البارئ الآية فاجرى الاسماء الباقية كلها صفات له كما قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وقل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الآية وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدة من احصاها دخل الجنة وجاء تعدادها في رواية الترمذي وابن ماجه وفيها اختلاف زيادات ونقصان وهو اسم لم يسم به غيره تبارك وتعالى ولهذا لا يعرف في كلام العرب له اشتقاق من فعل ويفعل فذهب بعض النحاة الى انه اسم جامد لا اشتقاق له وهو منقول عن الشافعي والخطابي وامام الحرمين والغزالي ويروى عن الخليل وسيبويه ان الالف واللام فيه لازمة قال الخطابي الا ترى انك تقول يا الله ولا تقول يا الرحمن فلولا انه من اصل الكلمة لما جاز ادخال حرف النداء على الالف واللام وقيل انه مشتق واستدلوا عليه بقول رؤبة بن العجاج:

لله در الغانيات المده ... سبحن واسترجعن من تألهي

فقد صرح الشاعر بلفظ المصدر وهو التأله من اله يأله الاهة وتألها كما روي عن ابن عباس انه قرأ ويذرك والاهتك اي عبادتك اي انه كان يعبد ولا يعبد وكذا قال مجاهد وغيره واصل ذلك الاله فحذفت الهمزة التي هي فاء الكلمة فالتقت اللام التي هي عينها مع اللام الزائدة في اولها للتعريف فادغمت احداهما في الاخرى فصارتا في اللفظ لاما واحدة مشددة وفخمت تعظيما فقيل الله

الرحمن الرحيم اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ورحمن اشد مبالغة من رحيم وعليه اكثر السلف وكما سبق في الاثر عن عيسى عليه السلام وقد زعم بعضهم انه غير مشتق وحكي عن المبرد ان الرحمن اسم عبراني غير عربي وقال احمد بن يحيى الرحيم اسم عربي والرحمن عبراني فلهذا جمع بينهما قال الزجاج في تفسيره وهذا القول مرغوب عنه قال القرطبي والدليل على انه مشتق ما خرجه الترمذي وصححه عن عبد الرحمن بن عوف انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى انا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته قال وانكار العرب الرحمن لجهلهم بالله وبما وجب له قيل وهما بمعنى واحد كندمان ونديم قاله ابو عبيدة وقال ابو علي الفارسي الرحمن اسم عام في جميع انواع الرحمة يختص به الله تعالى والرحيم انما هو في جهة المؤمنين كما قال وكان بالمؤمنين رحيما وقال ابن عباس هما اسمان

الرحمن بخشنده بر خلق بوجود وحيات
الرحيم بخشاينده بر ايشان برزق و محافظت
از آفات

رقيقان

[illegible]

رقيقان احدهما ارق من الآخر اي اكثر رحمة وحكي عن الخطابي وغيره انهم استشكلوا هذه الصفة وقالوا لعله ارفق كما جاء في الحديث ان الله رفيق يحب الرفق في الامر كله وانه يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وقال ابن المبارك الرحمن اذا سئل اعطى والرحيم اذا لم يسئل يغضب وهذا كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وابن ماجه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه وقال بعض الشعراء:

الله يغضب ان تركت سؤاله ... وبني آدم حين يسأل يغضب

وقال العرزمي الرحمن بجميع الخلق الرحيم بجميع المؤمنين قالوا ولهذا قال الرحمن على العرش استوى فذكر الاستواء باسمه الرحمن ليعم جميع خلقه برحمته وكان بالمؤمنين رحيما فخصهم باسم الرحيم وزعم بعضهم ان الرحيم اشد مبالغة من الرحمن لانه اكد به والتاكيد اقوى من المؤكد والجواب ان هذا ليس من باب التاكيد بل من باب النعت بعد النعت ولا يلزم فيه ما ذكر واما الرحيم فانه وصف به غيره كما في قوله تعالى بالمؤمنين رؤوف رحيم كما وصف غيره بغير ذلك من اسمائه كقوله فجعلناه سميعا بصيرا والحاصل ان من اسمائه تعالى ما يسمى به غيره ومنها ما لا يسمى به غيره كاسم الله والرحمن والخالق والرازق ونحو ذلك ولهذا ابتدأ باسم الله ووصفه بالرحمن لانه اخص واعرف من الرحيم لان التسمية اولا انما تكون باشرف الاسماء فلهذا ابتدأ بالاخص فالاخص فان قيل فاذا كان الرحمن اشد مبالغة فهلا اكتفي به عن الرحيم فقد روي عن عطاء الخراساني ما معناه انه لما تسمى غيره تعالى بالرحمن جيء بلفظ الرحيم ليقطع التوهم بذلك فانه لا يوصف بالرحمن الرحيم الا الله تعالى وقد زعم بعضهم ان العرب لم تكن تعرف الرحمن حتى رد الله عليهم بقوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولهذا قال كفار قريش يوم الحديبية لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم لا نعرف الرحمن ولا الرحيم وقوله تعالى قالوا وما الرحمن والظاهر ان انكارهم هذا انما هو جحود وعناد وتعنت في كفرهم فانه قد وجد في اشعار الجاهلية تسمية الله بالرحمن كما انشد ابن جرير لبعضهم:

الا ضربت تلك الفتاة هجينها ... الا قضب الرحمن ربي يمينها

وقال سلامة الطهوي:

عجلتم علينا عجلتينا عليكم ... وما يشا الرحمن يعقد ويطلق

قال ابن عباس الرحمن فعلان من الرحمة وهو من كلام العرب وقال الرحمن الرحيم الرقيق الرفيق بمن احب ان يرحمه والبعيد الشديد على من احب ان يعنف عليه وقال قال الحسن الرحمن اسم ممنوع والرحيم اسم لا يستطيع الناس ان ينتحلوه تسمى به تبارك وتعالى

الحمد لله رب العالمين قال ابن جرير معنى الحمد لله الشكر لله خالصا دون سائر ما يعبد من دونه ودون كل ما برأ من خلقه بما انعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد ولا يحيط بعددها غيره احد في تصحيح الآلات لطاعته وتمكين جوارح اجسام المكلفين لاداء فرائضه مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق وغذاهم به من نعيم العيش من غير استحقاق منهم ذلك عليه مع ما نبههم عليه ودعاهم اليه من الاسباب المؤدية الى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم فلربنا الحمد على ذلك كله اولا وآخرا وقال الحمد لله ثناء اثنى به على نفسه وفي ضمنه امر عباده ان يثنوا عليه فكانه قال قولوا الحمد لله وقد قيل ان قول القائل الحمد لله ثناء عليه باسمائه الحسنى وصفاته العلى وقوله الشكر لله ثناء عليه بنعمه واياديه ثم شرع في رد ذلك بما حاصله ان جميع اهل المعرفة بلسان العرب يوقعون كلا من الحمد والشكر مكان الآخر وهذا الذي ادعاه فيه نظر لانه اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين ان الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية والشكر لا يكون الا على المتعدية ويكون بالجنان واللسان والاركان كما قال الشاعر:

افادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا

ولكنهم اختلفوا ايهما اعم الحمد او الشكر على قولين والتحقيق ان بينهما عموما وخصوصا فالحمد اعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه لانه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية تقول حمدته لفروسيته وحمدته لكرمه وهو اخص لانه لا يكون الا بالقول والشكر اعم من حيث ما يقعان به لانه يكون بالقول والفعل والنية كما تقدم وهو اخص

[illegible]

لانه لا يكون الا على الصفات المتعدية لا يقال شكرته لفروسيته و تقول شكرته على كرمه واحسانه الى هذا حاصل ما حرره بعض المتاخرين
والله اعلم وقال ابو نصر اسمعيل بن حماد الجوهري الحمد نقيض الذم تقول حمدت الرجل احمده حمدا ومحمدة فهو حميد ومحمود
والتحميد ابلغ من الحمد والحمد اعم من الشكر وقال في الشكر هو الثناء على المحسن بما اولاكه من المعروف يقال شكرته و
شكرت له وباللام افصح

ذكر اقوال السلف في الحمد

قال ابن عباس قال عمر قد علمنا سبحان الله ولا اله الا الله فما الحمد قال
علي رضي الله عنه كلمة اختارها الله لنفسه ورضيها لنفسه وقال ابن عباس الحمد لله كلمة الشكر والاستخذاء له والاقرار له بنعمه
وهدايته وغير ذلك واذا قال العبد الحمد لله قال شكرني عبدي وقال كعب الاحبار الحمد لله ثناء الله وقال الضحاك الحمد لله رداء
الرحمن وقد ورد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت الحمد لله رب العالمين فقد شكرت الله فزادك وعن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله رواه اصحاب السنن والالف واللام في الحمد للاستغراق على جميع
اجناس الحمد وصنوفه لله تعالى كما جاء في الحديث اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك الخير كله واليك يرجع الامر كله الحديث
والرب هو المالك المتصرف ويطلق في اللغة على السيد وعلى المتصرف للاصلاح وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى ولا يستعمل
الرب في غير الله الا بالاضافة تقول رب الدار ورب كذا وقد قيل انه الاسم الاعظم والعالمين جمع عالم والعالم جمع لا واحد له
من لفظه والعوالم اصناف المخلوقات في البر والبحر وكل قرن منها يسمى عالما ايضا قال ابن عباس اي الحمد لله الذي له الخلق
كله السموات والارضون وما فيهن وما بينهن مما نعلم ومما لا نعلم وقال رب الانس والجن وهو المراد من قوله تعالى ليكون للعالمين
نذيرا وقال الفراء وابو عبيدة العالم عبارة عما يعقل وهم الانس والجن والملائكة والشياطين ولا يقال للبهائم عالم وقال
زيد بن اسلم العالم كل من له روح مرتزق وقال الحافظ ابن عساكر خلق الله سبعة عشر الف عالم اهل السموات واهل الارض
عالم وسائر ذلك لا يعلمهم الا الله تعالى وقال قتادة كل صنف عالم وقال ابو العالية الانس عالم والجن عالم وما سوى ذلك ثمانية
عشر الف عالم وقال تبيع الحميري العالمين الف امة ستمائة في البحر واربعمائة في البر وقد روي نحوه مرفوعا باسناد ضعيف عن
جابر بن عبد الله قال قل الجراد في سنة من سني عمر التي ولي فيها فسال عنه فلم يخبر بشيء فاغتم لذلك فارسل راكبا يضرب الى كذا و
الى الشام وآخر الى العراق يسال هل يرى من الجراد شيء ام لا قال فاتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة من جراد فالقاها
بين يديه فلما رآها كبر ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خلق الله الف امة ستمائة في البحر واربعمائة في البر
فاول شيء يهلك من هذه الامم الجراد فاذا هلكت تتابعت مثل النظام اذا قطع سلكه

الرحمن الرحيم

سبق تفسيرهما في البسملة

مالك يوم الدين

قرا بعض القراء مالك بالالف وقرا آخرون ملك وكلاهما صحيح متواتر في السبع وعن ابن شهاب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر وغيرهما من الصحابة كانوا يقرءون مالك يوم الدين وقد روى ابن مردويه من طريق
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرؤهما ومالك ماخوذ من الملك كما قال انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون
وقال قل اعوذ برب الناس ملك الناس وملك ماخوذ من الملك كما قال لمن الملك اليوم وقال قوله الحق وله الملك وقال
الملك يومئذ الحق للرحمن وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه لما تقدم من ان رب العالمين عام في الدنيا والآخرة
وانما اضيف الى يوم الدين لانه لا يدعي احد هناك شيئا ولا يتكلم احد الا باذنه للآيات المصرحة بذلك وقال ابن عباس
لانه لا يملك احد في ذلك اليوم معه حكما كملكهم في الدنيا ويوم الدين يوم الحساب للخلائق وهو يوم القيامة يدينهم باعمالهم
ان خيرا فخير وان شرا فشر الا من عفي عنه وكذلك قال غيره من الصحابة والتابعين والسلف وقيل معناه انه القادر على اقامته

الرحمن بخشنده وجود یاری وبکرم
درآورنده [illegible] جهانیان
الرحیم بخشاینده ویکبار روزیت
برومنان بود ودرآوردن ایشان بهشت
المالک هو المتصرف فی الاعیان
المملوکة کیف شاء والملک المتصرف
بالامر والنهی فی المامورین

مالک یوم الدین یعنی مالک روز جزا
ملک هر ملکی را زوال است ملک او
لم یزل ولا یزال است امروز رب العالمین
فردا مالک یوم الدین مالک ومتولی حساب
بندگان [illegible] اگر حساب
من در دست [illegible] باشد [illegible]
که در دست خدای [illegible]
[illegible]
ان ربک سریع العقاب وانه لغفور رحیم

وصلى

وهذا قريب من الاول وشبيه بقوله يوم نقول كن فيكون قوله تعالى

اياك نعبد واياك نستعين

العبادة في اللغة
الذلة يقال طريق معبد وبعير معبد اي مذلل وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف وقدم المفعول
وهو اياك وكرر للاهتمام والحصر اي لا نعبد الا اياك ولا نتوكل الا عليك وهذا هو كمال الطاعة والدين يرجع كله الى هذين
المعنيين فالاول تبرؤ من الشرك والثاني تبرؤ من الحول والقوة والتفويض الى الله عز وجل كما جاء في غير من
الآيات وتحول الكلام من الغيبة الى المواجهة بكاف الخطاب وهو مناسبة لانه لما اثنى على الله تعالى فكانه اقترب
وحضر بين يدي الله فلهذا قال اياك نعبد واياك نستعين وفي هذا دليل على ان اول السورة خبر من الله تعالى بالثناء على نفسه
الكريمة بجميل صفاته الحسنى وارشاد لعباده ان يثنوا عليه بذلك ولهذا لا تصح صلوة من لم يقرا ذلك وهو قادر عليه
كما جاء في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلوة لمن لم يقرا بفاتحة الكتاب وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي
ما سال اذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال اثنى علي عبدي واذا قال
مالك يوم الدين قال مجدني عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال
واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سال
وقال الضحاك عن ابن عباس اياك نعبد يعني اياك نوحد ونخاف ونرجو يا ربنا لا غيرك واياك نستعين على طاعتك وعلى
امورنا كلها وقال قتادة اياك نعبد واياك نستعين لان العبادة له هي المقصودة والاستعانة وسيلة اليها والاهتمام و
الحزم تقديم ما هو الاهم فالاهم والله اعلم

اهدنا الصراط المستقيم

لما تقدم الثناء على المسئول جل وعلا ناسب ان
يعقب بالسؤال كما قال فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سال والهداية ههنا الارشاد والتوفيق وقد تعدى
الهداية بنفسها كما ههنا فتضمن معنى الهمنا او وفقنا او ارزقنا او اعطنا وقد تعدى بالى كقوله اجتبيه وهداه الى صراط
مستقيم وهذا بمعنى الارشاد والدلالة وقد تعدى باللام كقوله الحمد لله الذي هدانا لهذا واما الصراط المستقيم فقد اجمعوا
انه الطريق الواضح لا اعوجاج فيه وهكذا في لغة العرب قال جرير بن عطية امير المومنين على صراط اذا اعوج الموارد مستقيم
وقد تستعير العرب الصراط فتستعمله في كل قول وعمل وصف باستقامة او اعوجاج فتصف المستقيم باستقامته والمعوج باعوجاجه
ثم اختلف المفسرون في تفسيره وان كان حاصله الى شيء واحد وهو متابعة امر الله ورسوله فروي انه كتاب الله كما روي
علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصراط المستقيم كتاب الله رواه احمد والترمذي مرفوعا وهو حبل الله
المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم وقد روي هذا موقوفا عليه وهو اشبه وقال ابن عباس وجماعة من الصحابة ذاك الاسلام
يقول الهمنا الطريق الهادي وهو دين الله الذي لا عوج فيه وقال ابن الحنفية هو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره وهو
الاسلام كما روى النواس بن سمعان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط
سوران فيهما ابواب مفتحة وعلى الابواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا ايها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا
تتعوجوا وداع يدعو من جوف الصراط فاذا اراد الانسان ان يفتح شيئا من تلك الابواب قال ويحك لا تفتحه فانك ان
تفتحه تلجه فالصراط الاسلام والسوران حدود الله والابواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على راس الصراط كتاب الله
والداعي من فوق واعظ الله في قلب كل مسلم رواه احمد والنسائي والترمذي باسناد حسن وقال مجاهد هو الحق وقال
ابو العالية هو النبي صلى الله عليه وسلم وصاحباه وصدقه الحسن فان من تابعهم فقد اتبع الحق والاسلام والقرآن وبالله

سوال — چه گفت نعبدک با آنکه اخصر است
جواب — از برای تنبیه بنده باید که از الله
بخود ننگرد نه از خود به الله ازینجا بود که مصطفی
صلی الله علیه وسلم در غار با ابوبکر صدیق گفت لا تحزن
ان الله معنا لاجرم فضل یافت بر موسی که گفت
کلا ان معی ربی سیهدین

قال العلماء المراد بالصلوة في قوله قسمت الصلوة الفاتحة سميت
لانها لا تصح الا بها كقوله الحج عرفة وفيه دليل على وجوبها وقال
انه قد عرفت ان المراد من لفظ الصلوة بما ورد فيه من
التفصيل انما الفاتحة وقال ايضا ان التنصيف منصرف
الى آيات السورة وذلك انها سبع آيات ثلاث منها ثناء
ثلاث مسئلة والآية المتوسطة بين آيات الثناء وآيات
نصفها ثناء ونصفها دعاء فاذا ليست البسملة آية منها
قال الشيخ محي الدين به قول واضح وقد اجاب الاصحاب عنه
باوجه احدها ان التنصيف عائد الى جملة الصلوة لا الى الفاتحة
حقيقة اللفظ والثاني انه عائد الى ما يختص بالفاتحة من
الآيات الكاملة والثالث معناه فاذا انتهى العبد الى الحمد
رب العالمين

وهذا اكمل احوال السائل ان يمدح مسئوله ثم يسال
حاجته لانه انجح للحاجة ولهذا ارشد الله تعالى
اليه لانه الاكمل وقد يكون السوال بالاخبار
عن حال السائل واحتياجه كما قال موسى رب
اني لما انزلت الي من خير فقير وقد يتقدم معه
وصف المسئول كقول ذي النون لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين وقد يكون بمجرد
الثناء على المسئول

ابن مسعود فان **قيل** كيف يسال المؤمن الهداية في كل وقت وهو متصف بذلك فيكون تحصيل الحاصل فالجواب انه لولا احتياجه الى سؤالها في جميع حالاته لما ارشده الله الى ذلك فانه مفتقر في كل لحظة وحالة الى الله في تثبيته على الهداية ورسوخه فيها فان العبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله فارشده اليه في كل وقت ليمده بالمعونة والتوفيق فانه تعالى تكفل بالاجابة لمن دعاه لاسيما المضطر المفتقر اليه في آناء الليل واطراف النهار فلا يكون تحصيلا للحاصل قوله تعالى **صراط الذين انعمت عليهم** هذا تفسير للصراط المستقيم وعند النحاة بدل منه ويجوز ان يكون عطف بيان وهم المذكورون في سورة النساء في قوله تعالى ومن يطع الله والرسول الى وكفى بالله عليما قال ابن عباس صراط الذين انعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من ملائكتك وانبيائك والصديقين والشهداء والصالحين كالآية وقال الربيع بن انس هم النبيون وقال مجاهد هم المؤمنون وقال وكيع هم المسلمون وقال عبد الرحمن بن زيد هم النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه وما سبق عن ابن عباس اعم وافضل قوله تعالى **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** اي اهدنا صراط الذين انعمت عليهم ممن تقدم وصفهم ونعتهم وهم اهل الهداية والاستقامة والطاعة لله ورسوله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه وزواجره غير صراط المغضوب عليهم وهم الذين فسدت ارادتهم فعلموا الحق وعدلوا عنه ولا صراط الضالين وهم الذين فقدوا العلم فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون الى الحق واكد الكلام بلا ليدل على ان ثم مسلكين فاسدين وهما طريقتا اليهود والنصارى وعن بعض النحاة ان غير ههنا استثناء منقطع لاستثنائهم عن المنعم عليهم وليسوا منهم وما سبق اولى كقول الشاعر

كانك من جمال بني اقيش يقعقع عند رجليه بشن

اي كانك جمل من جمال بني اقيش وهكذا غير المغضوب عليهم اي غير صراط المغضوب عليهم اكتفاء بالمضاف اليه عن ذكر المضاف ومنهم من زعم ان لا في قوله ولا الضالين زائدة وتقديره غير المغضوب عليهم والضالين مستشهدا ببيت العجاج

في بئر لا حور سرى وما شعر

اي في بئر حور والصحيح ما تقدم ولهذا روي باسناد صحيح ان عمر بن الخطاب كان يقرا وغير الضالين وهذا محمول على انه صدر منه على وجه التفسير فدل على ان لا انما جيء بها لتاكيد النفي والفرق بين الطريقين ليجتنب كل منهما فان طريقة اهل الايمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به واليهود فقدوا العمل والنصارى فقدوا العلم ولهذا كان الغضب لليهود والضلال للنصارى لان من علم وترك استحق الغضب بخلاف من لم يعلم والنصارى لما كانوا قاصدين شيئا لكنهم لم يهتدوا الى طريقه لانهم لم ياتوا الامر من بابه وهو اتباع الرسول الحق ضلوا وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه لكن اخص اوصاف اليهود الغضب واخص اوصاف النصارى الضلال وبهذا جاءت الاحاديث والآثار ففي حديث عدي بن حاتم قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله غير المغضوب عليهم قال هم اليهود ولا الضالين قال هم النصارى هم الضالون رواه احمد ورواه جماعة من الصحابة منهم ابو ذر وابن مسعود وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم بطرق مختلفة ولم نعرف من المفسرين احدا خالف هنا والشاهد على ذلك قوله تعالى في خطابه مع بني اسرائيل في سورة البقرة بئسما اشتروا به انفسهم وفي سورة المائدة قل أؤنبئكم بشر من ذلكم الى قوله سواء السبيل وقال لعن الذين كفروا الى قوله لبئس ما كانوا يفعلون **فصل** اشتملت هذه السورة الكريمة وهي سبع آيات على حمد الله وتمجيده والثناء عليه بذكر اسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته العلى وعلى ذكر المعاد وهو يوم الدين وعلى ارشاده عبيده الى سؤاله والتضرع اليه والتبري من حولهم وقوتهم الى اخلاص العبادة له وتوحيده بالالوهية تبارك وتعالى وتنزيهه ان يكون له شريك او نظير او مماثل والى سؤالهم اياه بالهداية الى الصراط المستقيم وهو الدين القويم وتثبيتهم عليه

غير المغضوب عليهم نه راه آنکسان که خشم گرفته بر ایشان
یعنی قبل از وجود به صرف غضب رانده اند و بدان سبب
بکفر اقدام نموده اند یا راه جهودان که به سبب تمرد
در معانده و مکابره و قتل انبیا و تحریف کتب
برایشان خشم گرفته [illegible]

بنمای ما راه آنان که به فضل خود انعام کرده
بر ایشان به نعمت نبوه و رسالت و ولایت و
صدیقیت و شهادت و صلاحیت یا راه آنان
که اهل قربند و به کمال نبوت ظاهر که قبول شریعت
و به جمال نبوت باطن که اطلاع بر اسرار حقیقت
است ایشانرا معزز و مکرم ساخته
نه راه آنکسان که خشم گرفته بر ایشان یعنی قبل از
وجود به صرف غضب رانده اند و بدان سبب
بکفر اقدام نموده اند یا راه جهودان که به سبب
تمرد در معانده و مکابره و قتل انبیا و تحریف کتب
برایشان خشم گرفته   و نه راه گمراهان
یعنی کسانی که بعد از وجود در طرق مختلفه و سبل منحرفه
افتاده اند یا راه ترسایان که بواسطه افراط
در شان مسیح و تفریط در باب حبیب گمراه گشته اند

[illegible]

٨

حتى تفضي بهم ذلك الى جواز الصراط الحسي يوم القيامة المفضي بهم الى جنات النعيم في جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين واشتملت على الترغيب في الاعمال الصالحة ليكونوا مع اهلها يوم القيامة والتحذير من مسالك الباطل لئلا يحشر مع سالكيها يوم القيامة وهم المغضوب عليهم والضالين **فصل** يستحب لمن قرا الفاتحة ان يقول بعدها آمين بالمد او القصر ومعناه اللهم استجب والدليل عليه ما رواه وائل بن حجر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قرا غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقال آمين مد بها صوته رواه احمد وابو داود وفي رواية رفع بها صوته ورواه على وابن مسعود وغيرهم من الصحابة وقال الترمذي حديث حسن وابن ماجه وفي رواية فيرتج بها المسجد قال اصحابنا ويستحب ذلك للخارج من الصلوة ويتاكد في حق المصلي سواء اماما كان او ماموما او منفردا لما جاء في الصحيحين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا امن الامام فامنوا فانه من وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه **و**قال ابن عباس قلت يا رسول الله ما معنى آمين قال رب افعل واختلفوا في الجهر للماموم في الجهرية وحاصله ان الامام اذا نسي التامين جهر الماموم به قولا واحدا وان امن الامام جهرا فالجديد انه لا يجهر الماموم وهو مذهب ابي حنيفة ورواية عن مالك لانه ذكر من الاذكار فلا يجهر به كسائر اذكار الصلوة والقديم انه يجهر به وهو مذهب احمد والرواية عن مالك لما تقدم حتى يرتج المسجد وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت عنده اليهود فقال انهم لم يحسدونا على شيء كما يحسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الامام آمين رواه احمد وروى ابن ماجه بنحوه مختصرا وفي تفسير ابن مردويه عن ابي هريرة قال **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال الامام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقال آمين فوافق آمين اهل الارض آمين اهل السماء غفر الله للعبد ما تقدم من ذنبه ومثل من لا يقول آمين كمثل رجل غزا مع قوم فاقترعوا فخرجت سهامهم ولم يخرج سهمه فقال لم لم يخرج سهمي فقيل انك لم تقل آمين

تفسير سورة البقرة

ذكر ما ورد في فضلها

عن معقل بن يسار رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البقرة سنام القرآن وذروته نزل مع كل آية منها ثمانون ملكا رواه احمد وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء سنام وسنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي رواه الترمذي باسناد ضعيف وفي مسلم والترمذي والنسائي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجعلوا بيوتكم قبورا فان البيت الذي يقرا فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان وعن اسيد بن حضير قال هو يقرا من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده اذ جالت الفرس فسكت فسكنت فقرا فجالت الفرس فسكت فسكنت ثم قرا فجالت الفرس فانصرف وكان ابنه يحيى قريبا منها فاشفق ان تصيبه فلما اخذه رفع راسه الى السماء فاذا مثل الظلة فيها امثال المصابيح عرجت في الجو حتى ما يراها فلما اصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقرا يا ابن حضير اقرا يا ابن حضير قال فاشفقت يا رسول الله ان تطا يحيى وكان منها قريبا فانصرفت اليه ورفعت راسي الى السماء فاذا مثل الظلة فيها امثال المصابيح فخرجت حتى لا اراها قال وتدري ما ذاك قال لا قال تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرات لاصبحت ينظر الناس اليها لا تتوارى منهم رواه البخاري وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثا وهم ذوو عدد فامر عليهم احدثهم سنا لحفظه سورة البقرة وقال اذهب انت اميرهم رواه الترمذي وصححه

ما ورد في فضلها وفضل آل عمران عن بريدة قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول تعلموا سورة البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة ثم قال تعلموا سورة البقرة وآل عمران فانهما الزهراوان تظلان صاحبهما

ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا قال احدكم في الصلوة آمين
والملائكة في السماء آمين فوافقت
احديهما الاخرى غفر له ما تقدم
من ذنبه م م

يوم القيمة كانهما غمامتان او غيايتان او فرقان من طير صواف رواه احمد وعن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرؤا القرآن فانه شافع لاصحابه يوم القيمة اقرؤا
الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما تاتيان يوم القيمة كانهما غمامتان او كانهما غيايتان او كانهما فرقان من طير صواف
تحاجان عن اهلهما ثم قال اقرؤا البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة رواه احمد ومسلم
في الصلوة الزهراوان المنيرتان والغياية ما اظلك من فوقك والفرق القطعة من الشيء والصواف المصطفة المتضامة
والبطلة السحرة اي لا يمكنهم النفوذ في قاريهما والله اعلم وعن النواس بن سمعان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و
سلم يقول يؤتى بالقرآن يوم القيمة واهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورة البقرة وآل عمران كانهما غمامتان او
ظلتان سوداوان بينهما شرق او كانهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما رواه مسلم **ذكر ما ورد في
السبع الطول** عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اخذ السبع الاول من القرآن فهو حبر رواه احمد
وعن سعيد بن جبير في قوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني قال هي السبع الطول البقرة وآل عمران والنساء والمائدة
والانعام والاعراف ويونس **فصل** سورة البقرة جميعها مدنية بلا خلاف كما صح به ابن عباس وابن الزبير و
زيد بن ثابت وغير واحد من ائمة التابعين والمفسرين قال بعض العلماء وهي مشتملة على الف خبر والف امر والف نهي وقال
العادون آياتها مائتان وثمانون وسبع آيات وكلماتها ستة آلاف ومائة واحدى وعشرون كلمة وحروفها خمسة و
عشرون الفا وخمسمائة حرف والله اعلم وقد روى ابن مردويه حديثا غريبا لا يصح رفعه باسناده الى انس بن مالك قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء وكذلك القرآن كله ولكن قولوا
سورة التي يذكر فيها البقرة والتي يذكر فيها آل عمران وكذا القرآن كله وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود انه رمى الجمرة من بطن
الوادي فجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه ثم قال هذا مقام الذي انزلت عليه سورة البقرة اتفقا عليه وقد روى
ابن مردويه باسناده ان النبي صلى الله عليه وسلم راى في اصحابه تاخرا في بعض غزواته والغالب انه كان غزوة حنين فناداهم
وقال يا اصحاب سورة البقرة وكذلك جعل الصحابة يوم اليمامة مع اصحاب مسيلمة حين تاخروا لكثافة جيش بني حنيفة
يتنادون يا اصحاب سورة البقرة حتى فتح الله عليهم رضي الله عنهم

بسم الله الرحمن الرحيم

الم اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في اوائل السور فمنهم من قال هي مما استاثر الله بعلمه فردوا علمها الى الله
ولم يفسروها ومنهم من فسرها واختلف هؤلاء في معناها فقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم انما هي اسماء السور معتضدا
بما ورد في الصحيحين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرا في صلوة الصبح يوم الجمعة الم السجدة وهل اتى على الانسان
وقال مجاهد الم وحم والمص وص فواتح افتتح الله بها القرآن والم اسم من اسماء القرآن وهكذا عن قتادة وزيد بن اسلم
ولعل هذا يرجع الى معنى ما سبق من قول عبد الرحمن والا فيبعد ان يكون المص اسما للقرآن كله لان المتبادر الى الفهم منه سورة
سورة الاعراف لا معنى مجموع القرآن وقيل اسم من اسماء الله تعالى الاعظم وهو قسم اقسم به وروى عنه انه قال الم انا الله
اعلم وعن ابي العالية في الم قال هذه الاحرف الثلثة من التسعة والعشرين حرفا دارت بها الالسن كلها ليس منها
حرف الا وهو مفتاح اسم من اسمائه وليس منها حرف الا وهو من آلائه وبلائه وليس منها حرف الا وهو في مدة اقوام
وآجالهم وهذا من ابي العالية على معنى الاشارة والتاويل لا على جهة التفسير كما يرد ما اورد عليه قال عيسى بن مريم
عليهما السلم وعجب واعجبا انهم ينطقون باسمائه ويعيشون في رزقه فكيف يكفرون به فالالف مفتاح اسمه الله واللام

[illegible]

ضاع بهم

[illegible]

مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد فالالف آلاء الله واللام لطف الله والميم مجد الله فالالف سنة واللام
ثلثون سنة والميم اربعون سنة هذا لفظ ابن ابي حاتم ونحوه رواه ابن جرير والتوفيق بين هذه الاقوال ممكن فانه لا منافاة
بينها فان كل حرف منها دال على اسم من اسمائه وصفة من صفاته كما افتتح سورا كثيرة بتحميده وتسبيحه وتعظيمه ولا مانع
من ذلك كما نقل عن ابي العالية لان الكلمة الواحدة تطلق على معان كثيرة كلفظ الامة فانها تطلق ويراد بها تارة الدين
كقوله انا وجدنا آباءنا على امة واخرى الرجل المطيع لله كقوله ان ابرهيم كان امة قانتا لله واخرى الجماعة كقوله وجد
عليه امة من الناس واخرى الحين من الدهر كقوله وادكر بعد امة اي بعد حين على الاصح فكذلك ههنا ومما انشده
من الشواهد على صحة اطلاق الحرف الواحد على بقية الكلمة بدلالة السياق عليها قول الشاعر قلت لها قفي فقالت قاف
لا تحسبينا انا نسينا ما خاف يعني وقفت وقول آخر ما للظليم غال كيف لايا ينقد عنه جلده اذا يا
يعني اذا يفعل كذا وكذا فاكتفى بالياء من يفعل وقول الآخر بالخير خيرات وان شرا فا ولا اريد الشر الا ان تا
يقول ان شرا فشر ولا اريد الشر الا ان تشاء فاكتفى بالفاء والتاء عن نفس الكلمتين وقال بعض اهل العربية
هي حروف من حروف المعجم استغنى بذكر ما ذكر منها في اوائل السور عن ذكر بواقيها التي تتمة الثمانية والعشرين حرفا
كما يقول القائل ابني يكتب في ا ب ت ث اي في حروف المعجم الثمانية والعشرين فيستغني بذكر بعضها عن مجموعها قال
الشيخ رحمه الله مجموع الحروف المذكورة في اوائل السور بحذف المكرر منها اربعة عشر حرفا وهي ا ل م ص ر ك ه ي ع ط س
ح ق ن يجمعها قولك نص حكيم قاطع له سر وهي نصف الحروف عددا والمذكور منها اشرف من المتروك وبيان
ذلك من صناعة التصريف ومن ههنا لخص بعضهم في هذا المقام كلاما فقال لا شك ان هذه الحروف لم ينزلها الله سبحانه
عبثا ولا سدى ومن قال من الجهلة ان في القرآن ما هو تعبد لا معنى لها بالكلية فقد اخطا خطا كبيرا فتعين ان لها
معنى في نفس الامر فان صح لنا فيها من المعصوم شيء قلنا به والا وقفنا حيث وقفنا وقلنا آمنا به كل من عند ربنا ولم يجمع
العلماء فيها على شيء معين وانما اختلفوا فمن ظهر له بعض الاقوال بدليل فعليه اتباعه والا فالوقف حتى يتبين هذا المقام
والمقام الآخر في الحكمة التي اقتضت ايراد هذه في اوائل السور ما هي مع قطع النظر عن معانيها في انفسها فقال بعضهم
انما ذكرت ليعرف بها اوائل السور وهذا ضعيف لان الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه وفيما ذكرت فيه بالبسملة
تلاوة وكتابة وقال آخرون بل ابتدى بها لتفتح لاستماعها اسماع المشركين اذ تواصوا بالاعراض عن القرآن
حتى اذا استمعوا له تلا عليهم المؤلف منه وهو ضعيف ايضا لانه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور وليس كذلك ولو
كان كذلك ايضا لانبغى الابتداء بها في اوائل الكلام معهم سواء كان الافتتاح بسورة او غير ذلك مع ان سورة البقرة
وآل عمران مدنيتان ليستا خطابا للمشركين فانتقض ما ذكروه وقال آخرون بل انما ذكرت هذه في اوائل السور التي
ذكرت فيها بيانا لاعجاز القرآن وان الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع انه من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون
بها وهذا ما نقله الامام الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين وقرره الزمخشري في كتابه ونصره اتم نصر واليه ذهب
الشيخ ابو العباس بن تيمية وشيخنا ابو الحجاج المزي رحمهم الله قال الزمخشري ولم يرد كلها مجموعة في اول القرآن
وانما كررت ليكون ابلغ في التحدي والتبكيت ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد ان يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان
اعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء وهو الواقع والله اعلم واما من زعم انها دالة على معرفة المدد
وانه يستخرج من ذلك اوقات الحوادث والفتن والملاحم فقد ادعى ما ليس له وطار في غير مطاره وقد ورد في

[illegible] قد لبس علينا امرك [illegible]
حتى ما ندري اقليلا اعطيت ام كثيرا [illegible]
[illegible] فقالوا لقد تشابه علينا امره [illegible]
[illegible] منه آيات محكمات هن ام الكتاب
واخر متشابهات

قال المبرد انزلت هذه الحروف تنبيها
على ان القرآن ليس الا من هذه الحروف
وانتم قادرون عليها عارفون بقوانين
الفصاحة فكان يجب ان تاتوا بمثل هذا
القرآن فلما عجزتم عنه دل ذلك على انه
من عند الله لا من عند البشر وهذا كل
سورة افتتحت بالحروف ففيها الانتصار
للقرآن وبيان اعجازه

ذلك حديث منكر مردود فانه ادل على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته فلا نطول الكتاب به والله اعلم قوله تعالى **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين** قال ابن عباس اى هذا الكتاب وعليه ائمة التابعين فان ذلك بمعنى هذا وهذا معروف فى كلام العرب فانهم يستعملون كلا منهما مكان الآخر والكتاب هو القرآن ومن قال ان المراد به التوراة والانجيل فقد ابعد النجعة وتكلف ما لا علم له به والريب الشك قال ابن عباس وابن مسعود واناس من الصحابة والتابعين لا ريب فيه لا شك فيه قال ابن ابى حاتم لا اعلم فى هذا خلافا والمعنى هذا الكتاب وهو القرآن لا شك فيه انه منزل من عند الله كما فى سورة الم السجدة وقال بعضهم هذا خبر ومعناه النهى اى لا ترتابوا فيه ومن القراء من يقف على قوله لا ريب ويبتدى بقوله فيه هدى للمتقين والوقف على لا ريب فيه اولى لما مر آنفا ولانه يصير قوله هدى صفة للقرآن وذلك ابلغ من كون فيه هدى وهدى يحتمل ان يكون مرفوعا على النعت ومنصوبا على الحال وخصت الهداية للمتقين كما قال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء الى قوله بعيد وقوله وننزل من القرآن ما هو شفاء الآية الى غير ذلك من الآيات الدالة على اختصاص المؤمنين بالنفع بالقرآن لانه هو فى نفسه هدى ولكن لا يناله الا الابرار كما قال يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم الآية وقال السدى عن ابن عباس وابن مسعود وطائفة من الصحابة هدى للمتقين يعنى نورا للمتقين وهم المؤمنون وقال ابن عباس هدى للمؤمنين الذين يتقون الشرك ويعملون بطاعتى وعنه ايضا للمتقين الذين يحذرون من الله عقوبته فى ترك ما يعرفون من الهدى ويرجون رحمته فى تصديق ما جاء به وقال الشعبى هدى من الضلالة قال الحسن البصرى اى الذين اتقوا ما حرم عليهم وادوا ما افترض عليهم وقيل هم الذين يخشون كبائر الاثم وقال قتادة هم الذين نعتهم الله بقوله الذين يؤمنون بالغيب الآية والتى بعدها واختار ابن جرير ان الآية تعم ذلك كله وهو كما قال وقد روى الترمذى وابن ماجه باسنادهما عن عطية السعدى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا باس به حذرا لما به باس قال الترمذى حسن غريب وعن معاذ بن جبل قال يحبس الناس يوم القيمة فى بقيع واحد فينادى مناد اين المتقون فيقومون فى كنف الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر قيل من المتقون قال قوم اتقوا الشرك وعبادة الاوثان واخلصوا لله العبادة فيمرون الى الجنة **الذين يؤمنون بالغيب** قال ابن عباس يؤمنون يصدقون وقال الربيع بن انس يؤمنون اى يخشون قال ابن جرير وغيره والاولى ان يكونوا موصوفين بالايمان بالغيب قولا واعتقادا وعملا وقد تدخل الخشية لله فى معنى الايمان الذى هو تصديق القول بالعمل والايمان كلمة جامعة للاقرار بالله وكتبه ورسله وتصديق الاقرار بالفعل قال الشيخ اما الايمان فى اللغة فيطلق على التصديق المحض وقد يستعمل فى القرآن والمراد به ذلك كما قال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وكما قال اخوة يوسف لابيهم وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وكذلك اذا استعمل مقرونا بالاعمال كقوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فاما اذا استعمل مطلقا فالايمان الشرعى المطلوب لا يكون الا اعتقادا وقولا وعملا هكذا ذهب اليه اكثر الائمة بل قد حكاه الشافعى واحمد وغير واحد اجماعا ان الايمان قول وعمل ويزيد وينقص وقد ورد فيه آثار كثيرة قد افردنا الكلام فيه فى اوائل شرح صحيح البخارى ولله الحمد والمنة ومنهم من فسره بالخشية كقوله تعالى ان الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله من خشى الرحمن بالغيب والخشية خلاصة الايمان والعلم كما قال انما يخشى الله من عباده العلماء و اما الغيب ههنا فاختلف عبارات السلف فيه وكلها صحيحة ترجع الى ان الجميع مراد قال ابو العالية وقتادة اى يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته ولقائه ويؤمنون بالحيوة بعد الموت وبالبعث وقال ابن مسعود و

الاتقاء الحجز من الخشين ومنه يقال اتقى بترسه اى جعله حاجزا بين نفسه ومن يقصده فكان المتقى يجعل امتثال الاوامر والاجتناب حاجزا بينه وبين العذاب قال عمر بن الخطاب لكعب الاحبار رضى الله عنهما حدثنى عن التقوى فقال هل اخذت طريقا ذا شوك قال نعم قال فما عملت فيه قال حذرت فتحرزت قال كعب ذلك التقوى وقال عمر بن عبد العزيز التقوى ترك ما حرم الله واداء ما افترض الله

اناس من الصحابة اما الغيب فهو ما غاب عن العباد من امر الجنة وامر النار وما ذكر فى القرآن وعن ابن عباس هو ما جاء من الله تعالى وقال زر الغيب القرآن وقال عطاء من آمن بالله فقد آمن بالغيب وقيل اى بالاسلام وقيل بالقدر وكل متقارب فى معنى واحد لان جميع هذه المذكورات من الغيب الذى يجب الايمان به وعن ابن مسعود انه قال ان امر محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا لمن رآه والذى لا اله غيره ما آمن احد قط ايمانا افضل من ايمان بالغيب ثم قرا الم ذلك الكتاب الى قوله المفلحون رواه الحاكم فى مستدركه من طرق وقال صحيح على شرط الشيخين وفى مسند احمد عن ابى جمعة قال تغدينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا ابو عبيدة ابن الجراح فقال يا رسول الله احد خير منا اسلمنا معك وجاهدنا معك قال نعم قوم من بعدكم يؤمنون بى ولم يرونى وفى طريق آخر انه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا معاذ بن جبل عاشر عشرة فقلنا يا رسول الله هل من قوم اعظم اجرا منا آمنا بك واتبعناك قال ما يمنعكم من ذلك ورسول الله بين اظهركم ياتيكم بالوحى من السماء بل قوم من بعدكم ياتيهم كتاب من بين لوحين يؤمنون به ويعملون بما فيه اولئك اعظم منكم اجرا مرتين وفى الحديث دليل على جواز العمل بالوجادة كما هو مقرر فى علم الحديث وقد روى نحوه مبسوطا عن طريق عمرو بن شعيب و **يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون** قال ابن عباس اى يقيمون الصلوة بفروضها باتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والاقبال عليها فيها وقال قتادة هى المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها وهكذا قال مقاتل بن حيان مع تلاوة القرآن فيها والتشهد والصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس ومما رزقناهم اى زكوة اموالهم وعن ابن مسعود نفقة الرجل على اهله وهذا قبل ان ينزل الزكوة وعن الضحاك كانت النفقات قربانا يتقربون بها الى الله على قدر ميسرتهم وجهدهم حتى نزلت فرائض الصدقات سبع آيات فى سورة براءة هن الناسخات المثبتات واختار ابن جرير ان الآية عامة فى الزكوة والنفقات فانها اولى الصفات واحقها بصفة القوم ليكونوا مؤدين زكوة كان ذلك او نفقة من لزمته نفقته من اهل وعيال وغيرهم بالقرابة والملك وغير ذلك لان الله عم وصفهم ومدحهم بذلك وكل محمود عليه قال الشيخ كثيرا ما يقرن الله بين الصلوة والانفاق من الاموال فان الصلوة حق الله وعبادته وهى مشتملة على توحيده والثناء عليه وتمجيده والابتهال اليه ودعائه والتوكل عليه والانفاق هو الاحسان الى المخلوقين بالنفع المتعدى اليهم واولى الناس بذلك القرابات والاهلون والمماليك ثم الاجانب فان كل ذلك داخل فى قوله ومما رزقناهم ينفقون وقد ثبت فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بنى الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وصوم رمضان وحج البيت والاحاديث فى هذا كثيرة واصل الصلوة فى كلام العرب الدعاء قال الاعشى ؛ لها حارس لا يبرح الدهر بيتها ؛ فان ذبحت صلى عليها وزمزما ؛ وقال الآخر ؛ وقابلها الريح فى دنها ؛ وصلى على دنها وارتسم ؛ وقال الآخر ؛ تقول بنتى وقد قربت مرتحلا ؛ يا رب جنب ابى الاوصاب والوجعا ؛ عليك مثل الذى صليت فاغتمضى ؛ نوما فان لجنب المرء مضطجعا ؛ يقول عليك من الدعاء مثل الذى دعيت لى وهذا ظاهر ثم استعمل الصلوة فى الشرع فى ذات الركوع والسجود والافعال المخصوصة بشروطها المعروفة وصفاتها وانواعها المشهورة قال ابن جرير وارى ان الصلوة المفروضة سميت صلوة لان المصلى متعرض لاستنجاح طلبته من ثواب الله بعمله مع ما يسأل ربه فيها من حاجاته واما الزكوة فسياتى بيانها فى موضعها ان شاء الله تعالى **والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون** قال ابن عباس اى والذين يصدقونك بما جئت به من الله وما جاء به من قبلك من المرسلين لا يفرقون بينهم ولا يجحدون ما جاءوا به من ربهم وبالآخرة اى بالبعث والقيمة والجنة والنار والحساب

و الميزان و سميت الآخرة لانها بعد الدنيا و اختلف المفسرون في الموصوفين ههنا هل هم الموصوفون بما تقدم و من هم
على ثلثة اقوال احدها ان الموصوفين اولا هم الموصوفون ثانيا وهم مؤمنوا العرب و اهل الكتاب و غيرهم و هو قول
مجاهد و ابي العالية و الربيع و قتادة و الثاني هما واحد وهم مؤمنوا اهل الكتاب فيكون عطف صفات على صفات كما قال تعالى سبح اسم
ربك الاعلى الى قوله احوى و كما قال الشاعر الى الملك القرم و ابن الهمام ∴ و ليث الكتيبة في المزدحم ∴ فعطف الصفات بعضها
على بعض و الموصوف واحد و الثالث ان الموصوفين اولا مؤمنوا العرب و الموصوفون ثانيا بقوله و الذين يؤمنون بما
انزل اليك الآية مؤمنوا اهل الكتاب نقله السدي عن ابن عباس و ابن مسعود و اناس من الصحابة و اختاره ابن جرير و الشاهد لذلك
قوله تعالى و ان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله الآية و قوله الذين اتيناهم الكتاب من قبله الى قوله ينفقون و ثبت في الصحيحين عن
ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال ثلثة يؤتون اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه و آمن بي
و رجل مملوك ادى حق الله و حق مواليه و رجل ادب جاريته فاحسن تاديبها ثم اعتقها فتزوجها و مستشهد ابن جرير لمناسبة
و هو ان الله تعالى وصف في اول هذه السورة المؤمنين و الكافرين فكما انه صنف الكافرين الى منافق و كافر فكذلك
المؤمنون صنفهم الى عربي و كتابي قال الشيخ رحمه الله ما نقل عن مجاهد انه قال اربع آيات من سورة البقرة في نعت المؤمنين
و اثنان في نعت الكافرين و ثلث عشرة في نعت المنافقين فهذه الآيات الاربع عامة في كل مؤمن اتصف بها من عربي و عجمي و
كتابي من انسي و جني و ليس تصح واحدة من هذه الصفات بدون الاخرى بل كل واحدة مستلزمة للاخرى و شرط معها فلا يصح الايمان
بالغيب و اقام الصلوة و ايتاء الزكوة الا مع الايمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه و سلم و ما جاء به من قبله من الرسل و الايقان
بالآخرة كما ان هذا لا يصح الا بذاك و قد امر الله تعالى المؤمنين بذلك كما قال يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله و رسوله الآية
و قال و لا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الآية و قال يا اهل الكتاب آمنوا بما نزلنا الآية و قال قل يا اهل الكتاب
لستم على شيء الآية و اخبر تعالى عن المؤمنين كلهم بذلك فقال آمن الرسول بما انزل اليه من ربه و المؤمنون كل آمن بالله و
ملائكته و كتبه و رسله الآية و قال و الذين آمنوا بالله و رسله الآية و غيرها من الآيات الدالة على امر جميع المؤمنين بالايمان
بالله و رسله و كتبه لكن لمؤمني اهل الكتاب خصوصية و ذلك انهم مؤمنون بما في ايديهم مفصلا فاذا دخلوا في الاسلام و
آمنوا به مفصلا كان لهم على ذلك الاجر مرتين و اما غيرهم فانما يحصل لهم الايمان بما تقدم مجملا كما جاء في الصحيح اذا حدثكم
اهل الكتاب فلا تصدقوهم و لا تكذبوهم الحديث و لكن قد يكون ايمان كثير من العرب بالاسلام الذي بعث به محمد صلى الله عليه و
سلم اتم و اكمل من ايمان من دخل منهم في الاسلام فهم و ان حصل لهم اجران من تلك الحيثية فغيرهم قد يحصل له من التصديق
ما ينيف ثوابه على الاجرين اللذين حصلا لهم و الله اعلم **اولئك على هدى من ربهم و اولئك هم المفلحون**
اي الموصوفون بما تقدم على نور و بصيرة من الله تعالى و المفلحون في الدارين قال ابن عباس على هدى من ربهم اي على نور من
ربهم و استقامة على ما جاءهم و اولئك هم المفلحون اي الذين ادركوا ما طلبوا و نجوا من شر ما منه هربوا قال ابن جرير
اي انهم على نور من ربهم و برهان و استقامة و سداد بتسديد الله اياهم و توفيقه لهم و معنى المفلحون المنجحون
المدركون ما طلبوا عند الله باعمالهم و ايمانهم بالله و كتبه و رسله من الفوز بالثواب و الخلود في الجنات و النجاة مما
اعد الله لاعدائه من العقاب و قيل ان اسم الاشارة في قوله اولئك عائد الى مؤمني اهل الكتاب على ما تقدم من الخلاف فيجوز ان
يكون و الذين يؤمنون بما انزل اليك منقطعا مما قبله و ان يكون مرفوعا على الابتداء و خبره اولئك على هدى من ربهم و المختار
انه عائد الى جميع ما تقدم ذكره لما رواه السدي مسندا عن ابن مسعود و غيره من الصحابة اما الذين يؤمنون بالغيب فهم المؤمنون

من العرب

[illegible]

من العرب و الذين يؤمنون بما انزل اليك المؤمنون من اهل الكتاب ثم جمع الفريقين فقال اولئك على هدى من ربهم الآية
و اولئك هم المفلحون و قد سبق من الترجيح ان ذلك صفة المؤمنين عامة و الاشارة عائدة عليهم و الله اعلم و روى ابن ابي
حاتم باسناده عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه و سلم و قيل له يا رسول الله انا نقرأ من القرآن فنرجو و نقرأ و نكاد
ان نيأس فقال الا اخبركم عن اهل الجنة و اهل النار قالوا بلى يا رسول الله قال الم ذلك الكتاب الى قوله المفلحون هؤلاء اهل
الجنة قالوا انا نرجو ان نكون هؤلاء ثم قال ان الذين كفروا سواء عليهم الى قوله عظيم هؤلاء اهل النار قالوا لسنا هم يا رسول الله
قال اجل **ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون** اي الذين غطوا الحق
و ستروه و قد كتب الله عليهم ذلك سواء عليهم انذارك و عدمه فانهم لا يؤمنون بما جئتهم كما قال تعالى ان الذين حقت عليهم
كلمة ربك لا يؤمنون الى الاليم و قال في حق معاندي اهل الكتاب و لئن اتيت الذين اوتوا الكتاب الآية اي من كتب الله عليه الشقاء
فلا مسعد له و من اضله فلا هادي له قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يحرص ان يؤمن جميع الناس و يتابعوه
على الهدى فاخبره الله تعالى انه لا يؤمن الا من سبق له السعادة في الذكر الاول و لا يضل الا من سبق له من الله الشقاء في الذكر
الاول اي انهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك و جحدوا ما عليهم من الميثاق و قد كفروا بما جاءك و بما جاءهم به غيرك فكيف
يسمعون منك الانذار و التحذير و عن ابي العالية انه قال نزلت هاتان الآيتان في قادة الاحزاب و هم الذين قال فيهم الم تر
الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا و المعنى الذي سبق عن ابن عباس اظهر و تفسر بقية الآيات التي في معناها و الله اعلم و قد سبق
قريبا حديث عبد الله بن عمرو في الاخبار عن اهل الجنة و النار **ختم الله على قلوبهم و على سمعهم و على ابصارهم
غشاوة و لهم عذاب عظيم** اي طبع الله قال قتادة استحوذ عليهم الشيطان اذ اطاعوه فهم لا يبصرون اي ما
فعل الله بهم من الختم و لا يفقهون و لا يعقلون و قال مجاهد الطبع ثبت الذنوب على القلب فحفت به من كل نواحيه
حتى تلتقي عليه و التقاؤها عليه الطبع و الرين ايسر من الطبع و الطبع ايسر من الاقفال و هو اشد ذلك كله و قال
بعض المفسرين معنى ختم الله على قلوبهم اخبار من الله عن تكبرهم و اعراضهم عن الاستماع لما دعوا اليه من الحق كما يقال
ان فلانا لاصم عن هذا الكلام اذا امتنع عن سماعه و رفع نفسه عن تفهمه تكبرا قال ابن جرير و هذا لا يصح لان
الله قد اخبر انه هو الذي ختم على قلوبهم و اسماعهم قال و الحق عندي في ذلك ما صح بنظيره الخبر عن رسول الله صلى الله
عليه و سلم قال ان المؤمن اذا اذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب و استغفر صقل قلبه و ان زاد زادت
حتى تعلو قلبه فذلكم الران الذي ذكر الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون رواه احمد و النسائي و ابن ماجه
و الترمذي و قال حسن صحيح قال فاخبر صلى الله عليه و سلم ان الذنوب اذا تتابعت على القلوب اغلقتها فاذا اغلقتها
اتاها حينئذ الختم من قبل الله تعالى و الطبع فلا يكون للايمان اليها مسلك و لا للكفر منها مخلص فذلك هو الختم و الطبع الذي
ذكر الله في قوله ختم الله على قلوبهم و على سمعهم و نظير الختم و الطبع ما تدركه الابصار من الاوعية و الظروف التي لا
يوصل الى ما فيها الا بفض ذلك عنها ثم حلها فكذلك لا يصل الايمان الى قلوب من وصف الله انه ختم على قلوبهم الا بعد
فض خاتمه و حل رباطه عنها و اعلم ان الوقف التام على قوله و على سمعهم و قوله و على ابصارهم غشاوة جملة تامة فان
الطبع يكون على القلب و على السمع و الغشاوة و هي الغطاء يكون على البصر كما نقل السدي عن ابن مسعود و اناس من الصحابة
انهم قالوا في قوله ختم الله على قلوبهم و على سمعهم فلا يسمعون و لا يعقلون و جعل على ابصارهم غشاوة اي على اعينهم فلا
يبصرون و قال ابن جريج الختم على القلب و السمع و الغشاوة على البصر قال تعالى فان يشا الله يختم على قلبك و قال و ختم

و الطبع على ختم الكيس و الباب

الختم عند اهل السنة عبارة عن منعهم الايمان بالاغراق و الخذلان و عدم انشراح الصدر للكلام و الحكم على قلوبهم بالعصيان لسابق علمه فيهم بالبعد و الحرمان و هم المراد بقوله اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم اي من الشك و الشبهة و الطغيان و اسناد الختم الى الله عندهم على ظاهره لانه تعالى يضل من يشاء و يهدي من يشاء و عند المعتزلة معنى ختم الله على قلوبهم جعله فيها نكتة سوداء علامة للملائكة على كفرهم و نفاقهم ككتابة الايمان في قلوب المؤمنين ليعرفوا بها اعتقادهم التي لا تظهر بالجوارح ٥

مبتدأ و خبر متعلق بالجار ضمير الغشاوة و قال الاخفش غشاوة مرفوعة متعلق الجار كارتفاع الفاعل بالفعل فلا ضمير فيه و المعنى و على عيونهم غطاء شامل من غطاء التغافل تمنع رؤيته الحق و الآيات فلا يرون الحق ابدا و الابصار جمع البصر و هو العين او نورها و قوة باصرتها تبصر بها الاشياء كالبصيرة نور القلب تدرك بها الاشياء و حاصل المعنى ان الله تعالى جعل قلوبهم بحيث لا تفهم و اسماعهم بحيث لا تسمع و ابصارهم بحيث لا تنتفع بالمرائي مكافاة لهم على اصرارهم على المعاصي و هذا المذكور بعض عذابهم في الدنيا ٥

[illegible]

على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة قال ابو حيان ومن نصب غشاوة في قوله وعلى ابصارهم غشاوة يحتمل انه نصبها باضمار فعل تقديره وجعل على ابصارهم غشاوة ويحتمل ان يكون نصبها على الاتباع على محل وعلى سمعهم كقوله تعالى وحور عين وقول الشاعر ❊ علفتها تبنا وماء باردا ❊ حتى شتت همالة عيناها ❊ وقول الآخر ❊ ورأيت زوجك في الوغى ❊ متقلدا سيفا ورمحا ❊ تقديره سقيتها ماء باردا ومعتقلا رمحا ولما تقدم وصف المؤمنين في صدر السورة باربع آيات ثم عرف حال الكافرين بهاتين الآيتين شرع تعالى في بيان حال المنافقين الذين يظهرون الايمان ويبطنون الكفر كما انزل في سور اخر تعريفا لاحوالهم ليجتنب عنها وعن تلبس بها فقال تعالى **ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون** النفاق هو اظهار الخير واسرار الشر وهو انواع اعتقادي وهو الذي يخلد في النار صاحبه وعملي وهو من اكبر الذنوب كما سنبينه في موضعه ان شاء الله وهذا كما قال ابن جريج المنافق الذي يخالف قوله فعله وسره علانيته ومدخله مخرجه ومشهده مغيبه وقد نزلت صفاته في السور المدنية لانه لم يكن بمكة نفاق بل كان هناك من كان يظهر الكفر مستكرها وهو في الباطن مؤمن فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان بها الانصار من الاوس والخزرج وكانوا في جاهليتهم يعبدون الاصنام كمشركي قريش وبها اليهود على طريقة اسلافهم وكانوا ثلاث قبائل بنو قينقاع حلفاء الخزرج وبنو النضير وبنو قريظة حلفاء الاوس فاسلم من اسلم من الانصار من القبيلتين وقل من اسلم من اليهود الا عبد الله بن سلام رضي الله عنه ولم يكن اذ ذاك نفاق ايضا لانه لم يكن للمسلمين بعد شوكة يخاف بل قد كان عليه الصلاة والسلام وادع اليهود وقبائل كثيرة من احياء العرب حوالي المدينة فلما كانت وقعة بدر واظهر الله كلمته واعلى الاسلام واهله قال عبد الله بن ابي بن سلول وكان راسا بالمدينة وهو من الخزرج وكان سيد الطائفتين في الجاهلية وكانوا قد عزموا ان يملكوه فجاءهم الخير واسلموا واشتغلوا عنه فبقي في نفسه من الاسلام واهله فلما كانت وقعة بدر قال هذا امر قد توجه فاظهر الاسلام مع طوائف من اتباعه وآخرون من اهل الكتاب فمن ثم وجد النفاق في المدينة وما حولها من الاعراب واما المهاجرون فلم يكن منهم احد يهاجر مكة الا مخلصا تاركا ماله وارضه وولده رغبة فيما عند الله قال ابن عباس وما هم بمؤمنين اي المنافقين من الاوس والخزرج ومن كان على امرهم وكذا فسرها ابو العالية والحسن وقتادة والسدي ولهذا نبه الله سبحانه على صفات المنافقين لئلا يغتر المؤمنون بظاهر حالهم فيقع بذلك فساد من عدم الاحتراز منهم ومن اعتقاد ايمانهم فهم كفار في نفس الامر وهذا من كبار المحذورات ان يظن باهل الفجور خير فقال الله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله اي يقولون ذلك قولا ليس وراءه شيء آخر كما قال اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله اي انما يقولون ذلك اذا جاؤك فقط لا في نفس الامر ولهذا يؤكدون في الشهادة بان ولام التاكيد في خبرها كما اكدوا قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وليس الامر كذلك كما اكذبهم في شهادتهم وفي خبرهم هذا بالنسبة الى اعتقادهم بقوله وما هم بمؤمنين وقوله يخادعون الله اي باظهارهم ما اظهروه من الايمان مع اسرارهم الكفر يعتقدون لجهلهم بانهم يخادعون الله بذلك وان ذلك نافعهم وانه يروج عليه كما يروج على بعض المؤمنين كما قال تعالى يوم يبعثهم جميعا الآية ولهذا قابلهم بقوله وما يخدعون الا انفسهم اي وما يغرون بصنيعهم هذا ولا يخدعون الا انفسهم وما يشعرون ذلك من انفسهم كما قال ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ومن القراء من قرا وما يخادعون وكلا القراءتين ترجع الى معنى واحد فلو قيل كيف يكون المنافق لله وللمؤمنين مخادعا وهو لا يظهر بلسانه خلاف ما هو له معتقدا بقلبه الا تقية قيل لا يمتنع العرب ان يسمي من يكون مثله مخادعا فكذلك المنافق سمي مخادعا للمؤمنين باظهاره بلسانه خلاف ما يضمره بقلبه ليتخلص به من القتل والسبا وهو وان كان مخادعا للمؤمنين في الدنيا فهو لنفسه بذلك خادع لانه يظهر لها بفعله ذلك انه يعطيها امنيتها ويسقيها كاس سرورها من النعم وهو يهلكها في الجحيم ويجرعها به كاس الجحيم ويلقيها في العذاب الاليم فذلك خديعته نفسها ظنا منه مع اساءته اليها انه اليها محسن كما قال تعالى وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون اعلاما منه عباده المؤمنين ان المنافقين باساءتهم الى انفسهم غير شاعرين ولا دارين ولكنهم على عمى من امرهم مقيمون وعن ابن جريج قال يظهرون لا اله الا الله يريدون ان يحرزوا بذلك دماءهم واموالهم وفي انفسهم غير ذلك وعن قتادة قال نعت المنافق ان يصدق بلسانه ويكذب بقلبه ويخالف بعمله يصبح بحال ويمسي على غيره ويمسي على حال ويصبح على غيره يتكفأ تكفي السفينة كلما هبت ريح ثبت معها **في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون** قال ابن عباس واناس من الصحابة اي شك فزادهم الله شكا وقال اهل التابعين يعني الرياء وقيل المراد النفاق وهذا كالاول وهذا مرض في الدين لا في الجسد اي زادهم الله رجسا كما في قوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم اي شرا الى شرهم وضلالة الى ضلالتهم وهو الجزاء من جنس العمل **واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون** قال ابن عباس الفساد في الارض هو الكفر والعمل بالمعصية وعليه ابو العالية لانه من عصى الله او امر بمعصية الله فقد افسد في الارض لان صلاح الارض والسماء بالطاعة وهكذا قال قتادة والربيع بن انس وعن مجاهد قال اذا ركبوا معصية قيل لهم لا تفعلوا كذا وكذا قالوا انما نحن مصلحون على الهدى وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه لم يجئ اهل هذه الآية بعد قال ابن جرير ويحتمل ان سلمان اراد بهذا ان الذين يأتون بعد بهذه الصفة اعظم فسادا من الذين كانوا في زمان النبي صلى الله عليه وسلم لا انه لم يمض من تلك الصفة احد قال ابن جرير واهل النفاق مفسدون في الارض بمعاصيهم فيها وركوبهم ما نهاهم عنه ربهم وشكهم في دينه الذي لا يقبل من احد عملا الا بالتصديق والايقان بحقيقته وتكذيبهم المؤمنين بدعواهم الى ما هم عليه ومظاهرتهم اهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على اولياء الله اذا وجدوا فرصة فذلك فسادهم في الارض وهم يحسبون انهم بذلك مصلحون فيها وهذا الذي قاله حسن فان من الفساد اتخاذ الكافرين المؤمنين اولياء كما قال تعالى والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الآية فقطع الله الموالاة بينهم كما قال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء فالمنافق لما كان ظاهره الايمان اشتبه امره على المؤمنين فكان الفساد من جهة المنافق حاصلا لانه هو الذي غر المؤمنين بقوله الذي لا حقيقة له ووالى الكافرين على المؤمنين ولو انه استمر على حاله الاولى لكان شره اخف ولو اخلص العمل لله وتطابق قوله وعمله افلح وانجح قال ابن عباس قالوا انما نحن مصلحون اي انما نريد الاصلاح بين الفريقين من المؤمنين واهل الكتاب يقول الله الا انهم يعني ان هذا الذي يعتمدونه ويزعمون انه اصلاح اي المداراة بين الفريقين هو عين الفساد ولكن من جهلهم لا يعلمون انه فساد **واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون** قال ابن عباس وابن مسعود وغيره واحد من الصحابة يعني واذا قيل للمنافقين آمنوا كما آمن الناس اي كايمان الناس بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والجنة والنار وغير ذلك من امتثال الاوامر واجتناب النواهي قالوا انؤمن كما آمن السفهاء يعنون الصحابة يقولون انصير نحن وهؤلاء بمنزلة واحدة على طريقة واحدة وهم سفهاء والسفهاء جمع سفيه وهو الجاهل الضعيف الراي القليل المعرفة بمواقع المصالح والمضار فتولى الله جوابهم بقوله الا انهم هم السفهاء فاكد وحصر السفاهة فيهم ولكن لا يعلمون من تمام

جمع بعد التوحيد في من لان لفظ يصلح للواحد والجمع

[illegible]

جهلهم بحالهم في الضلالة ان ذلك اودى لهم والمغ في العمى والبعد عن الهدى **وإذا لقوا الذين آمنوا
قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون الله يستهزئ
بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون** فاذا لقي هؤلاء المنافقون المؤمنين قالوا آمنا اي اظهروا لهم الايمان
والموالاة والمصافاة غرورا منهم للمؤمنين ونفاقا ومصانعة وتقية وليشركوهم فيما اصابوا من خير وغنيمة وإذا
خلوا انصرفوا وذهبوا وخلصوا الى شياطينهم قالوا انا معكم فضمن خلوا معنى انصرفوا لتعديته بالى ليدل على الفعل المضمر
والفعل الملفوظ به ومنهم من قال الى هاهنا بمعنى مع والاول احسن وعن ابي مالك يعني مضوا وشياطينهم سادتهم و
كبراؤهم ورؤساؤهم من احبار اليهود ورؤوس المشركين والمنافقين الذين يامرونهم بالتكذيب وخلاف ما جاء به
الرسول صلى الله عليه وسلم وقادتهم في الشر هكذا عن ابن عباس واناس من الصحابة وائمة التابعين ويكون الشيطان من
الانس والجن كما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن الآية وفي المسند عن ابي ذر رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذ بالله من شياطين الانس والجن الآية وفي المسند عنه فقلت يا رسول الله
وللانس شياطين قال نعم وقوله انا معكم قال ابن عباس اي انا على مثل ما انتم عليه انما نحن مستهزءون اي انما نحن نستهزئ
بالقوم ونلعب بهم وعنه ايضا اي ساخرون باصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال تعالى في جوابهم ومقابلتهم الله
يستهزئ بهم اي انه تعالى فاعل بهم ذلك يوم القيمة في قوله يوم يقول المنافقون والمنافقات الآية وقوله ولا يحسبن
الذين كفروا الآية قال ابن جرير فهذا وما اشبهه من استهزاء الله تعالى ومكره وسخريته وخديعته للمنافقين واهل
الشرك به وقال آخرون بل استهزاؤه بهم توبيخه اياهم ولومه لهم على ما ركبوا من معاصيه والكفر به قالوا وهذا و
امثاله على سبيل الجواب كقول الرجل لمن يخدعه اذا ظفر به انا الذي خدعتك ولم يكن منه خديعة ولكن قال ذلك اذا صار
الامر اليه وهذا مثل ومكروا ومكر الله ونحوه وذلك اخبار من الله انه مجازيهم جزاء الاستهزاء ومعاقبهم عقوبة الخداع
فاخرج خبره عن جوابه اياهم وعقابه لهم مخرج خبره عن فعلهم الذي استحقوا العقاب في اللفظ وان اختلف المعنيان
كما قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فالاول ظلم والثاني عدل والى هذا المعنى
وجهوا كل ما في القرآن من نظائر ذلك وقال آخرون ان الله اخبر عن المنافقين انهم اذا خلوا الى مردتهم قالوا
انا معكم على دينكم في تكذيب محمد وما جاء به وانما نحن بما نظهر لهم من قولنا لهم مستهزءون فاخبر الله انه يستهزئ بهم فيظهر
لهم من احكامه في الدنيا من عصمة دمائهم واموالهم خلاف الذي لهم عنده في الآخرة يعني من العذاب والنكال ووجه
هذا القول ونصره ابن جرير بان المكر والخداع والسخرية على وجه اللعب والعبث منتف عن الله بالاجماع واما على وجه
الانتقام والمقابلة بالعدل والمجازاة فلا يمتنع ذلك وبنحوه قال ابن عباس الله يستهزئ بهم يسخر بهم للنقمة منهم
وقوله ويمدهم قال ابن عباس يملي لهم وقال مجاهد يزيدهم قال ابن جرير والصواب يزيدهم على وجه الاملاء والترك
لهم في عتوهم وتمردهم كما قال ونقلب افئدتهم الآية والطغيان المجاوزة في الشيء كما قال انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية
قال ابن عباس اي في كفرهم يترددون وبه قال ابو العالية واقرانه في كفرهم وضلالتهم والعمه الضلال يقال عمه فلان
يعمه عمها وعموها اذا ضل اي وفي ضلالتهم وكفرهم الذي قد غمرهم دنسه وعلاهم رجسه يترددون حيارى ضلالا
فلا يجدون الى المخرج سبيلا لان الله قد طبع على قلوبهم وختم عليها واعمى ابصارهم عن الهدى واغشاها فلا يبصرون
رشدا ولا يهتدون سبيلا **أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا**

مهتدين

[illegible]

مهتدين قال ابن مسعود واناس من الصحابة يعني اخذوا الضلالة وتركوا الهدى وقال ابن عباس اي الكفر بالايمان
وقال قتادة استحبوا الضلالة على الهدى وهذا يشبه في المعنى قوله تعالى في ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى
وحاصل ذلك ان المنافقين عدلوا عن الهدى الى الضلالة واعتاضوا عن الهدى بالضلالة وهو معنى قوله تعالى اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى اي بذلوا الهدى ثمنا للضلالة وسواء في ذلك من كان منهم قد حصل له الايمان ثم رجع
الى الكفر او انهم استحبوا الضلالة على الهدى كما قد يكون حال فريق آخر منهم فانهم انواع واقسام ولهذا قال تعالى فما ربحت
تجارتهم وما كانوا مهتدين قال قتادة قد والله رأيتموهم خرجوا من الهدى الى الضلالة ومن الجماعة الى الفرقة ومن
الامن الى الخوف ومن السنة الى البدعة **مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله
ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون** قد شبههم
الله في اشترائهم الضلالة بالهدى وصيرورتهم بعد التبصرة الى العمى بمن استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله وانتفع بها
وابصر بها ما عن يمينه وشماله فبينا هو كذلك اذ طفئت ناره وصار في ظلام شديد لا يبصر ولا يهتدي وهو مع ذلك
اصم لا يسمع ابكم لا ينطق اعمى لو كان ضياء لما ابصر فلهذا لا يرجع الى ما كان عليه قبل ذلك فكذلك هؤلاء المنافقون في
استبدالهم الضلالة عوضا عن الهدى واستحبابهم الغي على الرشد وفي هذا المثل دلالة على انهم آمنوا ثم كفروا كما اخبر عنهم
تعالى في غير هذا الموضع وزعم ابن جرير ان المضروب لهم المثل هاهنا لم يؤمنوا في وقت من الاوقات محتجا بقوله ومن الناس
من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين والصواب ان هذا اخبار عن حال نفاقهم وكفرهم وهذا لا ينفي انه كان
قد حصل لهم ايمان قبل ذلك ثم سلبوا فطبع على قلوبهم ولم يستحضر ابن جرير قوله تعالى ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا الآية فلهذا
وجه هذا المثل بانهم استضاءوا بما اظهروه من كلمة الايمان في الدنيا ثم اعقبهم ظلمات يوم القيمة قال وصح ضرب مثل
الجماعة بالواحد كما قال رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت اي كدوران عيني الذي
يغشى عليه من الموت وقال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة قال الشيخ وقد التفت في اثناء المثل من الواحد
الى الجمع في قوله فلما اضاءت ما حوله الآية وهو افصح وابلغ وقوله ذهب الله بنورهم اي ذهب عنهم ما ينفعهم وهو
النور وابقى لهم ما يضرهم وهو الاحراق والدخان وتركهم في ظلمات وهو ما هم فيه من الشك والكفر والنفاق لا يبصرون اي
لا يهتدون الى طريق الخير ولا يعرفونها وهم مع ذلك صم لا يسمعون خيرا بكم لا يتكلمون بما ينفعهم عمي في ضلالة وعماية
البصيرة فلهذا لا يرجعون الى ما كانوا عليه من الهداية التي باعوها بالضلالة ويؤيد ذلك ما قاله المفسرون قال ابن عباس
وابن مسعود واناس من الصحابة ان ناسا دخلوا في الاسلام بعد مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ثم نافقوا فكان مثلهم
كمثل رجل كان في ظلمة فاوقد نارا فلما اضاءت ما حوله من قذى او اذى فابصره حتى عرف ما يتقي منها فبينما هو كذلك اذ
طفئت ناره فاقبل لا يدري ما يتقي من اذى فكذلك المنافق كان في ظلمة الشرك فاسلم فعرف الحلال والحرام والخير والشر
فبينما هو كذلك اذ كفر فصار لا يعرف الخير من الشر وقال ابن عباس اما النور فهو ايمانهم الذي كانوا يتكلمون به و
اما الظلمة فهي ضلالتهم وكفرهم يتكلمون به وهم قوم كانوا على هدى ثم نزع عنهم فعتوا بعد ذلك وبه قال عبد الرحمن بن زيد
وقال عطاء هذا مثل المنافق يبصر احيانا ويعرف احيانا ثم يدركه عمى القلب وعن ابن عباس ايضا قال هذا مثل ضربه الله للمنافقين
انهم كانوا يعتزون بالاسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء فلما ماتوا سلبهم الله ذلك العز كما

سلب صاحب النار ضوءه وقال ابو العاليه وقتاده بنحوه وبمعناه. وقال الحسن البصري وتركهم في ظلمات فذلك حين يموت المنافق فيظلم عليه عمله عمل السوء فلا يجد له عملا من خير عمل به يصدق به قول لا اله الا الله فهم لا يرجعون الى الهدى والاسلام ولا يتوبون **او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شيء قدير** هذا مثل اخر لضرب آخر من المنافقين وهم قوم يظهر لهم الحق مرة ويشكون تارة اخرى فقلوبهم في حال شكهم وكفرهم كصيب وهو المطر وعليه ابن مسعود وابن عباس وطوائف من الصحابة والتابعين نزل من السماء في حال ظلمات وهي الشكوك والكفر والنفاق ورعد وهو ما يزعج القلوب من الخوف فان من شانهم الخوف الشديد والفزع كما قال تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو والبرق وهو ما يلمع في قلوب هؤلاء في بعض الاحيان من نور الايمان كما قال يجعلون اصابعهم في آذانهم الآية اي ولا يغني عنهم حذرهم شيئا لان الله محيط بالكافرين بقدرته وهم تحت مشيئته وارادته كما قال والله من ورائهم محيط ثم قال يكاد البرق يخطف ابصارهم اي لشدته وقوته في نفسه وضعف بصائرهم وعدم ثباتها للايمان وقال ابن عباس يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين لشدة ضوء الحق كلما اضاء لهم اي كلما ظهر لهم من الايمان شيء استانسوا به واتبعوه وتارة يعرض لهم الشكوك فاظلمت قلوبهم فوقفوا حائرين وهكذا قال ابو العاليه وغير واحد من التابعين او كلما اصاب المنافقين من عز الاسلام اطمانوا اليه وان اصاب الاسلام نكبة قاموا ليرجعوا الى الكفر كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف الآية وهكذا يكون حالهم يوم القيامة عندما يعطى النور بحسب ايمانهم فمنهم من يعطى النور ما يضيء له فراسخ واكثر من ذلك و اقل من ذلك ومنهم من يطفى نوره تارة ويضيء له اخرى ومنهم من يمشي على الصراط تارة ويقف اخرى ومنهم من يطفى نوره بالكليه وهم الخلص من المنافقين الذين قال الله فيهم يوم يقول المنافقون والمنافقات الآية وقال في حق المؤمنين يوم ترى المؤمنين والمؤمنات الآية وقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم الى قوله قدير

ذكر الحديث الوارد في ذلك

عن ابن مسعود قال يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وادناهم نورا على ابهامه يطفى مرة ويتقد مرة هكذا رواه ابن جرير باسناده وقال عبد الرحمن بن ابي حاتم باسناده عن عبد الله نورهم يسعى بين ايديهم على قدر اعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة وادناهم نورا من نوره في ابهامه يتقد مرة ويطفى اخرى وقال ابن عباس ليس احد من اهل التوحيد الا يعطى نورا يوم القيامة واما المنافق فيطفى نوره فالمؤمن مشفق مما يرى من اطفاء نور المنافقين فهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا وروى الضحاك نحوه ثم اعلم ان المؤمنين صنفان مقربون وابرار وان الكافرين صنفان دعاة ومقلدون وان المنافقين ايضا صنفان منافق فيه شعبة من نفاق كما جاء في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه شعبة واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واستدلوا به على ان الانسان قد تكون فيه شعبة من ايمان وشعبة من نفاق اما عملي لهذا الحديث او اعتقادي كما دلت عليه الآية وذهب اليه طائفة من السلف كما تقدم وعن ابي سعيد قال قال رسول الله

الناس

صلى الله عليه وسلم القلوب اربعة ١ قلب اجرد فيه مثل السراج يزهر ٢ وقلب اغلف مربوط على غلافه ٣ وقلب منكوس و قلب مصفح فاما القلب الاجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره واما القلب الاغلف فقلب الكافر واما القلب المنكوس فقلب المنافق الخالص عرف ثم انكر واما القلب المصفح فقلب فيه ايمان ونفاق ومثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم فاي المدتين غلبت على الاخرى غلبت عليه رواه احمد باسناد جيد حسن وقوله ولو شاء الله الى آخره قال ابن عباس اي لما تركوا الحق بعد معرفته ان الله على كل شيء قدير وقال ابن اسحق اي ان الله على كل ما اراده بعباده من نقمة او عفو قدير قال ابن جرير انما وصف الله نفسه بالقدرة في هذا الموضع لانه حذر المنافقين باسه وسطوته واخبرهم انه بهم محيط وعلى اذهاب اسماعهم وابصارهم قدير **يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون** شرع الله تعالى في بيان وحدانية الوهيته بانه هو المنعم على عبيده باخراجهم من العدم الى الوجود واسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة بان جعل لهم الارض فراشا اي مهدا كالفراش مقررة مثبتة بالرواسي الشامخات والسماء بناء وهو السقف كما قال سقفا محفوظا وانزل لهم من السماء اي من السحاب ماء في وقته عند احتياجهم اليه فاخرج لهم به من انواع الزروع والثمار رزقا لهم ولانعامهم كما قرر في غير هذا الموضع ومن اشبه آية بهذه قوله تعالى الذي جعل لكم الارض قرارا الآية ومضمونه انه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها فهو المستحق ان يعبد وحده ولا يشرك به غيره ولهذا قال فلا تجعلوا لله اندادا وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك الحديث وكذا حديث معاذ اتدري ما حق الله على عباده ان يعبدوه ولا يشركوا به الحديث وفي الحديث الآخر لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ليقل ما شاء الله ثم شاء فلان عن ابن عباس قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشئت فقال اجعلتني لله ندا ما شاء الله وحده لا شريك له اخرجه النسائي وابن ماجه وفي رواية عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده وقوله يا ايها الناس قال ابن عباس الخطاب للفريقين الكفار والمنافقين اي وحدوا ربكم الذي خلقكم ولا تشركوا به غيره من الانداد التي لا تنفع ولا تضر وانتم تعلمون انه لا رب لكم غيره يرزقكم وقد علمتم ان الذي يدعوكم اليه الرسول من توحيده هو الحق لا شك فيه وهكذا قال قتادة وعن ابن عباس في قوله فلا تجعلوا لله اندادا قال هو الشرك اخفى من دبيب النمل على صفا سوداء في ظلمة الليل وهو ان تقول والله وحياتك يا فلان وحياتي ولولا كلبة هذا او لولا البط في الدار لاتانا اللصوص وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت ونحو ذلك وكل هذا من الشرك وقال ابو العاليه وطائفة من ائمة التفسير اندادا اي عدلاء شركاء وقال مجاهد وانتم تعلمون انه اله واحد في التوراة والانجيل وفي معناها ذكر حديثا عن الحارث الاشعري ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى امر يحيى ابن زكريا بخمس كلمات ان يعمل بهن ويامر بني اسرائيل ان يعملوا بهن وكان يبطئ فقال له عيسى انك امرت بخمس كلمات ان تعمل بهن وتامر بني اسرائيل ان يعملوا بهن فاما ان تبلغهن واما ان ابلغهن فقال يا اخي اني اخشى ان سبقتني ان اعذب او يخسف بي قال فجمع يحيى بن زكريا بني اسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقعد على الشرف فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله امرني بخمس كلمات ان اعمل بهن وآمركم ان تعملوا بهن اولهن ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا فان مثل ذلك مثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بورق او ذهب فجعل يعمل ويؤدي غلته الى غير سيده فايكم يسره ان يكون عبده كذلك وان الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه و

ولا تشركوا به شيئا و امركم بالصلوة فان الله ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت فاذا صليتم فلا تلتفتوا و امركم بالصيام
فان مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك وان خلوف فم الصائم اطيب عند الله من
ريح المسك و امركم بالصدقة فان مثل ذلك كمثل رجل اسره العدو فشدوا يديه الى عنقه و قدموه ليضربوا عنقه فقال لهم
هل لكم ان افتدي نفسي منكم فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل و الكثير حتى فك نفسه و امركم بذكر الله كثيرا وان مثل ذلك
كمثل رجل طلبه العدو سراعا في اثره فاتى حصنا حصينا فتحصن فيه و ان العبد احصن ما يكون من الشيطان اذا كان
في ذكر الله قال و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم و انا امركم بخمس الله امرني بهن الجماعة و السمع و الطاعة و الهجرة
و الجهاد في سبيل الله فانه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه الا ان يراجع ومن دعا بدعوى
جاهلية فهو من جثى جهنم قالوا يا رسول الله و ان صام وصلى و زعم انه مسلم قال نعم فادعوا المسلمين باسمائهم
على ما سماهم الله المسلمين المؤمنين عباد الله هذا حديث حسن رواه احمد و الشاهد منه و ان الله خلقكم و رزقكم فاعبدوه ولا تشركوا
به شيئا **وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله**
ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة
اعدت للكافرين لما قرر سبحانه انه لا اله الا هو شرع في تقرير النبوة فخاطب الكفار بقوله و ان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فاتوا بسورة من مثل ما جاء به ان زعمتم انه من عند غير الله فعارضوه بمثل ما جاء به و استعينوا على ذلك
بمن شئتم من دون الله فانكم لا تستطيعون قال ابن عباس شهداءكم اعوانكم وقيل شركاءكم و قال مجاهد ناس يشهدون به و قد
تحداهم الله بهذا الخطاب في غير موضع من القرآن ففي سورة الاسراء قل لئن اجتمعت الانس و الجن الآية و في سورة هود ام يقولون
افتراه الآية و في يونس وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه الآية الى قوله ان كنتم صادقين و هذه
الآيات مكية ثم تحداهم بذلك ايضا في المدينة فقال و ان كنتم في ريب اي شك مما نزلنا على محمد صلى الله عليه وسلم فاتوا بسورة من مثله
يعني مثل القرآن قاله مجاهد و قتادة و اختاره ابن جرير بدليل قوله بعشر سور مثله و قوله لا ياتون بمثله وقيل من مثل محمد يعني من
رجل امي مثله و الصحيح الاول لان التحدي عام لهم كلهم مع انهم افصح الامم و قد تحداهم بهذا مرة بعد اخرى كما مر مع شدة عداوتهم
له و بغضهم لدينه و بغضه لدينهم و مع هذا عجزوا عن ذلك و لهذا قال تعالى فان لم تفعلوا و لن تفعلوا و لن لنفي التابيد في
المستقبل اي لن تفعلوا ذلك ابدا و هذه ايضا معجزة اخرى فان القرآن كلام الخالق فكيف يشبه كلام المخلوقين و لهذا ثبت في
الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من الانبياء من نبي الا قد اعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر و انما
كان الذي اوتيت وحيا اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة و انما كان الذي اوتيت اي الذي اختصصت
به من بينهم هذا القرآن الذي اعجز البشر ان يعارضوه بخلاف غيره من الكتب الالهية فانها ليست بمعجزة والله اعلم وقوله
فاتقوا النار التي وقودها الناس و الحجارة اما الوقود بفتح الواو فهو ما يلقى في النار لاضرامها كالحطب و نحوه و المراد بالحجارة
ههنا هي حجارة الكبريت العظيمة السود الصلبة المتينة وهي اشد الاحجار حرا اذا احميت اعاذنا الله منها قال ابن مسعود هي
حجارة من كبريت خلقها الله يوم خلق السموات و الارض في السماء الدنيا يعدها للكافرين و قال ابن عباس و اناس من الصحابة
هي حجارة في النار من كبريت اسود يعذبون به مع النار و عن مجاهد هي انتن من الجيفة و الضمير في قوله اعدت عائد الى النار
المذكورة و هو الظاهر و يحتمل عوده الى الحجارة كما قال ابن مسعود و لا منافاة بينهما في المعنى لانهما متلازمان و معنى اعدت ارصدت
و حصلت لمن كفر بالله و رسوله **وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها**

[illegible]

الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها
ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون لما ذكر الله تعالى ما اعده لاعدائه الكفار من العذاب
عطف عليه بذكر حال اوليائه المؤمنين وهو المراد من تسمية القرآن مثاني على الاصح كما سنبينه في موضعه وهو ان يذكر الايمان
ويتبع بذكر الكفر او عكسه او حال السعداء ثم الاشقياء او عكسه و حاصله ذكر الشيء و مقابله و اما ذكر الشيء و نظيره فذاك التشابه
كما سنوضحه و وصف الجنات بانها تجري من تحتها الانهار كما وصف النار بان وقودها الناس و الحجارة و المعنى تجري من
تحت اشجارها و غرفها و قد جاء في الحديث ان انهارها تجري في غير اخدود و جاء في الكوثر ان حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف
و لا منافاة بينهما و طينها المسك الاذفر و حصباؤها اللؤلؤ و الجوهر رزقنا الله اياها من فضله و روى ابن ابي حاتم باسناده
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهار الجنة تفجر من تحت تلال او من تحت جبال المسك و قوله كلما
رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل قال ابن عباس و ابن مسعود و جماعة من الصحابة انهم اتوا بالثمرة من
الجنة فلما نظروا اليها قالوا هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا وبه قال قتادة و ابن زيد و عليه ابن جرير و قال عكرمة قالوا هذا
الذي رزقنا من قبل اي بالامس يعني ما اشبهه به و قيل اي هذا عينه لشدة مشابهة بعضها بعضا لقوله و اتوا به متشابها و قال
يحيى بن كثير يؤتى احدهم بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى باخرى فيقول هذا الذي اوتينا به من قبل فتقول الملائكة كل فان اللون
واحد و الطعم مختلف و قال عشب الجنة الزعفران و كثبانها المسك و قال ابو العالية في قوله و اتوا به متشابها
يشبه بعضه بعضا في اللون و يختلف في الطعم و عن مجاهد و الربيع و السدي نحوه و عن ابن مسعود و طائفة من الصحابة
معناه و عن ابن عباس في رواية عكرمة يشبه ثمر الدنيا و لا يشبه شيء مما في الجنة ما في الدنيا الا في الاسماء و قوله لهم فيها ازواج
مطهرة اي من القذر و الاذى و الحيض و البول و الغائط و النخام و البزاق و المني و الولد قاله ابن عباس و جماعة من
التابعين كما روى ابو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى و لهم فيها ازواج مطهرة قال من الحيض و الغائط و
النخاعة و البزاق حديث غريب رواه الحاكم في المستدرك و قال صحيح على شرطهما و حمله على قول الصحابي موقوفا اولى و
الله اعلم و قوله وهم فيها خالدون تمام السعادة فانهم مع هذا النعيم في مقام امين من الموت فلا زوال له بل في نعيم سرمدي
على الدوام حشرنا الله في زمرتهم **ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين**
آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا
يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون عن ابن عباس
و ابن مسعود و جماعة من الصحابة رضي الله عنهم لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين يعني قوله مثلهم كمثل الذي استوقد
نارا و قوله او كصيب من السماء الآيات الثلث قال المنافقون الله اعلى و اجل ان يضرب هذه الامثال فانزل الله هذه
الآية و قال قتادة لما ذكر الله العنكبوت و الذباب قال المشركون ما بال العنكبوت و الذباب يذكران فانزل الله ان الله
لا يستحيي ان يضرب مثلا اي ان الله لا يستحيي من الحق ان يذكر ما قل او كثر و الاول اظهر لان الآية مدنية و قال الربيع
ابن انس هذا مثل ضربه الله للدنيا اذ البعوضة تحيا ما جاعت فاذا سمنت ماتت و كذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب لهم
هذا المثل في القرآن اذا امتلؤا من الدنيا ريا اخذهم الله عند ذلك وعن ابي العالية نحوه و اختلافهم هذا في سبب
النزول و اختار ابن جرير الاول لانه احسن بالسورة و انسب و معنى الآية انه تعالى اخبر انه لا يستحيي اي لا يستنكف و قيل لا يخشى

ان يضرب مثلا اي مثل كان باي شي صغيرا او كبيرا وما ههنا للتقليل وبعوضة منصوبة على البدل كما تقول لاضربن ضربا ما فيصدق بادنى شي واختار ابن جرير ان ما موصوله وبعوضة معربة بها وذلك سائغ في كلام العرب انهم يعربون صلة ما ومن باعرابهما لانهما يكونان معرفة تارة ونكرة اخرى كما قال حسان بن ثابت ٭ وكفى بنا فضلا على من غيرنا ٭ حب النبي محمد ايانا قال وان يكون بعوضة منصوبة بحذف الجار وتقديره بعوضة الى ما فوقها وفما فوقها قولان احدهما فما دونها في الصغر والحقارة كما اذا وصف الرجل باللوم والشح تقول السامع نعم وهو فوق ذلك يعني فيما وصفت والثاني فما هو اكبر منها لانه ليس شي احقر ولا اصغر من البعوضة وهذا اختيار ابن جرير فانه لا يستصغر شيئا يضرب به مثلا ولو كان في الحقارة والصغر كالبعوضة كما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت في قوله يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له الى قوله والمطلوب وقال مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء الى قوله يعلمون وقال الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة وقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا الاية ثم قال ضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم الاية كما قال ضرب لكم مثلا من انفسكم الاية وقال ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء الاية وقد قال وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وامثالها في القرآن كثير قال بعض السلف اذا سمعت المثل في القرآن ولم افهمه بكيت على نفسي لان الله تعالى يقول وما يعقلها الا العالمون قال قتاده يضل به كثيرا يعني المنافقين ويهدي به كثيرا يعني المؤمنين فيزيد هولاء ضلالة الى ضلالتهم لتكذيبهم بما قد علموه حقا يقينا ويزيد هولاء هدى الى هداهم وايمانا الى ايمانهم لتصديقهم بما قد علموه حقا يقينا قال ابو العاليه الفاسقين هم المنافقون ونحوه عن الربيع اي فسقوا فاضلهم الله بفسقهم وعن سعد بن ابي وقاص في قوله الذين ينقضون عهد الله الى آخره قال هم الخوارج الحرورية اي الذين خرجوا على علي بن ابي طالب رضي الله عنه بالنهروان والمراد انهم داخلون في الموصوفين في الاية لان الفاسق في اللغة هو الخروج عن الطاعة تقول العرب فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها ولهذا يقال للفارة فويسقة لخروجها من جحرها للفساد فالفاسق يشمل الكافر والعاصي وفسق الكافر اشد وافحش والمراد بالآية الفاسق الكافر بدليل قوله الذين ينقضون عهد الله الى آخره فان هذه صفات الكفار واختلفوا في معنى العهد ههنا وقال بعضهم هو وصية الله الى خلقه في امره اياهم بما امرهم به ونهاه اياهم عما نهاهم عنه وقيل هو في اهل الكتاب والمنافقين منهم وعهد الله الذي نقضوه هو ما اخذ الله عليهم في التورية من العمل بما فيها واتباع محمد صلى الله عليه وسلم اذا بعث ونقضهم ذلك هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته وكتمانهم نعته بعد اعطائهم الله من انفسهم الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه وهذا اختيار ابن جرير وقول مقاتل بن حيان وقال آخرون بل عنى بهذه الاية جميع اهل الكفر والشرك والنفاق وعهده الى جميعهم في توحيده وفي اوامره ونواهيه ونقضهم ذلك تركهم للاقرار بربوبيته وتكذيبهم الرسل والكتب مع علمهم بما اتى ما اتوا به حق وروي نحوه عن مقاتل وقيل هو العهد الذي اخذه عليهم حين اخرجهم من صلب آدم في قوله واذ اخذ ربك من بني آدم الآيتين ونقضهم ذلك تركهم الوفاء به وقال ابو العاليه والربيع بن انس هي ست خصال من المنافقين اذا كانت فيهم الظهرة على الناس اظهروا هذه الخصال اذا حدثوا كذبوا واذا وعدوا اخلفوا واذا ائتمنوا خانوا ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه وقطعوا ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض واذا كانت الظهرة عليهم اظهروا الخصال اذا حدثوا كذبوا واذا وعدوا اخلفوا واذا ائتمنوا خانوا وقوله ويقطعون ما امر الله به ان يوصل قيل المراد به صلة الارحام والقرابات وبه قال قتاده لقوله فهل عسيتم ان توليتم الآية ورجحه ابن جرير وقيل هو اعم من ذلك فكل ما امر الله بوصله وفعله قطعوه وتركوه وقوله اولئك هم الخاسرون اي في الآخرة قال ابن عباس كل شي نسبه الله الى غير اهل الاسلام من اسم مثل خاسر فالمراد به الكفر وما نسبه الى اهل الاسلام فالمراد به الذنب والخاسرون هم الناقصون انفسهم حظوظهم بالمعصية

ما بين

من رحمة الله كما يخسر الرجل في تجارته وكذلك الكافر والمنافق خسر بحرمان الله اياه من رحمته التي للعباده في القيمة احوج ما كانوا الى رحمته **كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون** اي كيف تجحدون وجوده وتعبدون معه غيره وكنتم امواتا اي قد كنتم عدما فاخرجكم الى الوجود كما قال تعالى ام خلقوا من غير شي الآية وكغيرها من الآيات وقال ابن عباس كنتم امواتا اي في اصلاب آبائكم لم تكونوا شيئا حين خلقكم ثم يميتكم موتة الحق ثم يحييكم حين يبعثكم وهي مثل قوله امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فكنتم ترابا قبل ان يخلقكم فهذه ميتة ثم احياكم فخلقكم فهذه حيوة ثم يميتكم فترجعون الى القبور فهذه موتة اخرى ثم يحييكم يوم القيمة فهذه حيوة وقاله ابن مسعود وبه قال السدي واكثر التابعين **هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات وهو بكل شي عليم** المراد من الاستواء ههنا القصد والاقبال لانه عدي بالى اي قصد الى السماء فسويهن اي خلق السماء سبعا والسماء ههنا اسم جنس ولهذا قال فسويهن وهو بكل شي عليم اي وعلمه محيط بجميع ما خلق وفي الاية دلالة على ان الله تعالى ابتدا بخلق الارض اولا ثم خلق السموات كما صرح في سورة حم السجدة قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الى قوله ذلك تقدير العزيز العليم واما قوله تعالى ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسويها واغطش ليلها واخرج ضحيها والارض بعد ذلك دحيها فقد قيل ان ثم ههنا انما هي لعطف الخبر على الخبر لا لعطف الفعل على الفعل كقول الشاعر ٭ قل لمن ساد ثم ساد ابوه ٭ ثم ساد قبل ذلك جده ٭ وقيل ان الدحي كان بعد خلق السموات وعن ابن مسعود وناس من الصحابة رضي الله عنهم في قوله هو الذي خلق لكم الآية قال ان الله تعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا غير ما خلق قبل الماء فلما اراد ان يخلق الخلق اخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء ثم ايبس الماء فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع ارضين في يومين في الاحد والاثنين فخلق الارض على الحوت وهو الذي ذكره الله في القرآن ن والقلم والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك على صخرة والصخرة في الريح وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء ولا في الارض فتحرك الحوت واضطرب فتزلزلت الارض فارسى عليها الجبال فقرت فالجبال تفخر على الارض فذلك قوله وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم وخلق الجبال فيها واقوات اهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين الثلثاء والاربعاء وذلك حين يقول ءانكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الى قوله وبارك فيها اي انبت شجرها وقدر فيها اقواتها لاهلها في اربعة ايام سواء للسائلين اي هكذا الامر لمن سال ثم استوى الى السماء وهي دخان وذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة ولانه جمع فيه خلق السموات والارض سمي يوم الجمعة وخلق في كل سماء خلقها من الملائكة والبحار وجبال البرد وما لا نعلم ثم زين السماء الدنيا بالكواكب فجعلها زينة وحفظا من الشياطين فلما فرغ من ذلك استوى على العرش فذلك حين يقول خلق السموات والارض في ستة ايام الاية وعن عبد الله بن سلام مختصرا وعن ابي هريرة قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الاحد وخلق الشجر فيها يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة من آخر ساعة من ساعات الجمعة وفيما بين العصر الى الليل وهذا الحديث من غرائب صحيح مسلم وقد تكلم فيه البخاري وغيره وجعلوه من كلام الاحبار وان ابا هريرة سمعه من كعب وانما اشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعا والله اعلم **واذ قال ربك للملئكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون** اي واذكر يا محمد اذ قال ربك للملئكة واقصص

معناه

قيل الخطاب عام للملائكة وقيل الخطاب للملائكة الذين كانوا سكان الارض فاراد الله ان يعلم [illegible]

على قومك ذلك وهذا امتنان من الله على بني آدم اني جاعل في الارض خليفة اي قوما يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن كما قال
ويجعلكم خلفاء الارض وليس هٰهنا المراد بالخليفة آدم فقط اذ لو كان كذلك لما حسن قول الملكة اتجعل فيها من يفسد الخ
فانهم انما ارادوا ان من هذا الجنس من يفعل ذلك وكانهم علموا ذلك بعلم خاص الهمهم الله . و قول الملكة هذا ليس على
وجه الاعتراض على الله و الحسد لبني آدم كما قيل بل انما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك يعني يا ربنا ما الحكمة
في خلق هؤلاء مع ان منهم من يفسد في الارض و يسفك الدماء فان كان المراد طاعتك فنحن نسبح بحمدك و نقدس لك اي نصلي
لك ولا يصدر منا شيء من ذلك فاجابهم بقوله اني اعلم ما لا تعلمون فاني سأجعل فيهم الانبياء و ارسل فيهم الرسل و يوجد فيهم
الصديقون و الشهداء و الاولياء و الابرار و العلماء و الخاشعون له المتبعون رسله ذكر اقوالهم فيما ذكر قال قتادة
قوله اني جاعل اي اني فاعل فاخبرهم بذلك و قال السدي استشار الملكة في خلق آدم والاول احسن وقوله في الارض عن ابن
مسعود و اناس من الصحابة ان الله قال للملكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا و ما يكون ذلك الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون
في الارض ويتحاسدون و يقتل بعضهم بعضا قال ابن جرير اي خليفة مني يخلفني في الحكم بين خلقي و هو آدم و من قام مقامه
في طاعة الله و الحكم بالعدل من خلقه و اما الافساد و سفك الدماء بغير حقها فمن غير خلفائه و الخليفة فعيلة من خلف فلان
فلانا اذا قام مقامه فيه كما قال تعالى ثم جعلناكم خلائف في الارض الآية و لذلك يقال للسلطان الاعظم خليفة لانه خلف الذي
كان قبله و قال ابن اسحق اي ساكنا و عامرا يسكنها و يعمرها خلفا ليس منكم وعن ابن عباس قال اول من سكن الارض الجن
فافسدوا فيها و سفكوا فيها الدماء و قتل بعضهم بعضا فبعث الله اليهم ابليس فقتلهم من معه من الملكة و طردهم فالحقهم
بجزائر البحور و اطراف الجبال ثم خلق آدم و اسكنه اياها و لذلك قال اني جاعل في الارض خليفة قال عبد الله بن عمر وكان الجن
بنو الجان في الارض قبل ان يخلق آدم بالفي سنة فافسدوا في الارض و سفكوا الدماء على نحو ما سبق وعن بعضهم انما قالت الملكة
ما قالت لان الله اذن لها في السؤال عن ذلك بعد ما اخبرها ان ذلك كائن من بني آدم فسألته الملكة على التعجب منها و كيف يعصونك يا رب
و انت خالقهم فقال اني اعلم ما لا تعلمون يعني ان ذلك كائن منهم و ان لم تعلموه انتم و هذا اختيار ابن جرير و قوله ونحن نسبح قال قتادة
التسبيح و التقديس الصلوة اي نصلي لك و نعظمك و نكبرك و عليه مجاهد قيل و التقديس التطهير وقيل اي لا نعصي و لا نأتي شيئا تكرهه
اي ننزهك و نبرئك مما يضيفه اليك اهل الشرك وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملكة فقال انبئوني
باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العزيز الحكيم قال
يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض و
اعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون هذا بيان لشرف آدم على الملكة بما اختصه الله به من علم اسماء كل شيء دونهم و هذا بعد
سجودهم له و انما قدم هنا على ذلك لمناسبته ما سبق في عدم علمهم بحكمة خلق الخليفة حين سألوا عن ذلك و لهذا بين لهم شرف
آدم بما فضل به عليهم في العلم فقال وعلم آدم الاسماء كلها قال ابن عباس عرض عليه اسماء ولده انسانا فانسانا والدواب
و غير ذلك فقال هذا الفرس هذا الجمل هذا الحمار و اشباه ذلك من الامم و كذا الارض و البحر و الجبل و عنه ايضا علمه اسم كل دابة
و كل شيء حتى اسم القصعة و القدر و عليه اكثر السلف و كذا اسماء ذريته كلهم و اسماء النجوم و اختار ابن جرير انه علمه اسماء
الملكة و اسماء ذريته لانه قال ثم عرضهم و هذا عبارة عما يعقل و ليس بلازم فان ذلك لا ينفي ان يدخل معهم غيرهم و يعبر عن
الجميع بصيغة من يعقل للتغليب كما قال والله خلق كل دابة من ماء الآية و الصحيح ما قاله ابن عباس انه علمه اسماء الاشياء كلها
ذواتها و افعالها حتى الفسوة و الفسية و نحوه ما جاء في الصحيحين في حديث الشفاعة فيأتون آدم فيقولون انت ابو الناس

ونحن نسبحك حامدين لك

ز هذا الامه

خلقك الله

خلقك الله بيده و اسجد لك ملكته و علمك اسماء كل شيء فدل هذا على انه علم اسماء جميع المخلوقات و لهذا قال ثم عرضهم على
الملكة يعني المسميات قال ابن عباس و اناس من الصحابة ثم عرض الخلق على الملكة و قال مجاهد ثم عرض اصحاب الاسماء وعن الحسن
و قتادة قال علمه كل شيء و جعل يسمي كل شيء باسمه و عرضت عليه امة امة و قوله ان كنتم صادقين اي ان كنتم تعلمون لم اجعل في
الارض خليفة وعن ابن مسعود و غيره من الصحابة ان كنتم صادقين ان بني آدم يفسدون في الارض و يسفكون الدماء و اولاها
ما قال ابن عباس و من قال بقوله و معناه انبئوني باسماء من عرضته عليكم ايتها الملكة القائلون بما قلتم ان كنتم صادقين في قيلكم
اني ان جعلت خليفتي في الارض من غيركم عصاني ذريته و افسدوا و سفكوا الدماء و ان جعلتكم فيها اطعتموني و اتبعتم
امري بالتعظيم لي و التقديس فاذا انتم لا تعلمون ذلك و قد تشاهدونه فبما هو غير موجود اي فانتم بما هو غير موجود من الامور
الكائنة التي لم توجد احرى ان تكونوا غير عالمين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا هذا تقديس و تنزيه من الملكة لله تعالى
ان يحيط احد بشيء من علمه الا بما شاء و ان يعلموا شيئا الا ما علمهم تعالى انك انت العليم اي بكل شيء الحكيم في خلقك و امرك
و في تعليمك من تشاء و منعك من تشاء لك الحكمة و العدل التام في ذلك قال ابن عباس سبحان الله تنزيه الله نفسه عن السوء
و هو اسم تعظم الله به و تحاشا به عن السوء و قوله يا آدم انبئهم باسمائهم قال زيد بن اسلم قال انت جبرئيل انت ميكائيل انت
اسرافيل و قال مجاهد قال اسم الحمامة و الغراب و اسم كل شيء وعن قتادة نحوه فلما ظهر فضل آدم على الملكة في ذلك قال
الله للملكة الم اقل لكم الآية اي الم اتقدم اليكم اني اعلم الغيب الظاهرة و الخفي كما قال فانه يعلم السر و اخفى و قوله و يعلم ما تخفون
و ما يعلنون و قيل غير ذلك و قوله و اعلم ما تبدون قال ابن عباس اي اعلم السر كما اعلم العلانية و قال هو و ابن مسعود و اناس من الصحابة
ما تبدون يعني قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها و ما كنتم تكتمون ما اسره ابليس في نفسه من الكبر و الاغترار و عليه اكثر ائمة التابعين
و قال ابو العالية و جماعة هو قولهم لن يخلق ربنا خلقا الا كنا اعلم منه و اكرم عليه منه قال ابن جرير و الاولى قول ابن عباس
اي و اعلم مع علمي غيب السموات و الارض ما تظهرون بالسنتكم و ما كنتم تخفون في انفسكم فلا يخفى علي شيء سواء عندي سرائركم و
علانيتكم و الذي اظهروه بالسنتهم قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها و الذي كانوا يكتمونه ما كان عليه منطويا ابليس من الخلاف على
الله في امره و التكبر على طاعته و صح ذلك كما تقول العرب قتل الجيش و هزموا و انما قتل او هزم الواحد او البعض كما قال تعالى ان
الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم و انما كان واحدا من بني تميم والله اعلم و اذ قلنا للملكة اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس ابى و استكبر و كان من الكافرين هذه كرامة اخرى عظيمة من الله تعالى لآدم امتن بها على ذريته حيث امر
الملكة بالسجود له قال ابن عباس كان ابليس من حي من احياء الملكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملكة و كان اسمه
الحارث و كان خازنا من خزان الجنة قال و خلقت الملكة كلهم من نور غير هذا الحي قال و خلقت الجن الذين ذكروا في
القرآن من مارج من نار و هو لسان النار الذي يكون في طرفها اذا التهبت و خلق الانسان من طين فاول من سكن الارض الجن
فافسدوا فيها و سفكوا الدماء فبعث الله اليهم ابليس في جند من الملكة من حيه فقتلهم ابليس و من معه حتى الحقهم بالجزائر
و اطراف الجبال فلما فعل ابليس ذلك اغتر في نفسه فقال صنعت شيئا لم يصنعه احد فاطلع الله على ذلك من قلبه و لم يطلع الملكة
الذين كانوا معه فقال الله للملكة الذين معه اني جاعل في الارض خليفة فقالت الملكة مجيبين له اتجعل فيها من يفسد فيها
و يسفك الدماء كما افسدت الجن و سفكت الدماء و انما بعثنا عليهم لذلك فقال اني اعلم ما لا تعلمون يقول اني اطلعت على
قلب ابليس على ما لم تطلعوا عليه من كبره و اغتراره قال ثم امر بتربة آدم فرفعت فخلق الله آدم من طين لازب و اللازب
اللزج الطيب من حماء مسنون منتن و انما كان حمأ مسنونا بعد التراب فخلق آدم بيده فمكث اربعين ليلة جسدا ملقى و كان

ابليس يأتيه فيضربه برجله فيصلصل فيصوت فهو قوله من صلصال كالفخار اي كالشيء المنفرج الذي ليس بمصمت ثم يدخل في فيه ويخرج من دبره وبالعكس ثم يقول لست شيئا للصلصلة ولشيء ما خلقت ولئن سلطت عليك لاهلكنك ولئن سلطت علي لاعصينك قال فلما نفخ الله فيه من روحه اتت النفخة من قبل راسه فجعل لا يجري شيء منها من جسده الا صار لحما ودما فلما انتهت النفخة الى سرته نظر الى جسده فاعجبه ما راى من جسده فذهب لينهض فلم يقدر فهو قوله تعالى خلق الانسان عجولا اي ضجرا لا صبر له على سراء ولا ضراء قال فلما تمت النفخة في جسده عطس فقال الحمد لله رب العالمين بالهام الله فقال الله له يرحمك الله يا آدم ثم قال تعالى للملائكة الذين كانوا مع ابليس خاصة دون الملائكة الذين في السموات اسجدوا لآدم فسجدوا كلهم اجمعون الا ابليس ابى واستكبر لما كان حدث نفسه من الكبر والاغترار فقال لا اسجد له وانا خير منه واكبر سنا واقوى خلقا خلقتني من نار وخلقته من طين يقول ان النار اقوى من الطين فلما ابى ابليس ان يسجد آيسه الله من الخير كله وجعله شيطانا رجيما عقوبة لمعصيته ثم علم آدم الاسماء كلها وهي هذه الاسماء التي يتعارف بها الناس انسان ودابة وارض وسهل وحزن وجبل وفرس وحمار واشباه ذلك من الامم وغيرها ثم عرض هذه الاسماء على اولئك الملائكة يعني جيله وقال لهم انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم تعلمون لم اجعل في الارض خليفة قال فلما علمت الملائكة موجدة الله عليهم فيما تكلموا به قالوا سبحانك تنزيها لله من ان يكون احد يعلم الغيب غيره تبنا اليك لا علم لنا الا ما علمتنا تبريا منهم من علم الغيب الا ما علمتنا كما علمت آدم فقال يا آدم انبئهم باسمائهم يقول اخبرهم باسمائهم قال الم اقل لكم ايتها الملائكة خاصة اني اعلم غيب السموات والارض ولا يعلمه غيري واعلم ما تبدون اي ما تظهرون وما كنتم تكتمون اي اعلم السر كما اعلم العلانية يعني ما كتم ابليس في نفسه من الكبر والاغترار هذا سياق غريب وروى السدي عن طريق ابن مسعود بمعناه مع ما فيه من الاسرائيليات مع زيادة ونقصان وفيها كان ابليس مع ملكه خازنا فوقع في صدره وقال ما اعطاني الله هذا الا لمزية لي على الملائكة ووقع في نفسه الكبر واطلع الله على ذلك منه فقال الله للملائكة اني جاعل في الارض خليفة والغرض ان الله لما امر الملائكة بالسجود لآدم كان ابليس داخلا فيهم لانه وان لم يكن من عنصرهم الا انه كان تشبه بهم وصار مذموما بمخالفته للامر وسنبسط الكلام في ذلك عند قوله الا ابليس كان من الجن ونحوه ما روي عن ابن عباس قال كان ابليس قبل ان يركب المعصية من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الارض وكان من اشد الملائكة اجتهادا واشرفهم واكثرهم علما وكان من ذوي الاجنحة الاربعة وكان له سلطان سماء الدنيا وسلطان الارض ولذلك دعاه الى الكبر وعن الحسن قال ما كان ابليس من الملائكة طرفة عين قط وانه لاصل الجن كما ان آدم اصل الانس وقيل ان ابليس كان من الجن الذين طردتهم الملائكة فاسره بعض الملائكة وكان صغيرا وكان مع الملائكة يتعبد معها فلما امروا بالسجود لآدم سجدوا وابى ابليس فلذلك قوله الا ابليس كان من الجن وقوله وكان من الكافرين اي من العاصين وقال السدي اي الكافرين الذين لم يخلقهم الله يومئذ يكونون بعده وقال محمد بن كعب القرظي ابتدأ الله خلق ابليس على الكفر والضلالة وعمل بعمل الملائكة فصيره الى ما ابدي عليه خلقته من الكفر وقال قتادة كانت الطاعة لله والسجدة لآدم اكرمه الله بها وحسد ابليس عدو الله على ما اعطاه من الكرامة فابى وكان بدؤ الذنب الكبر

وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين

هذا اكرام آخر لآدم عليه السلام بان اباح الله له الجنة يسكن فيها حيث شاء ويأكل منها ما شاء رغدا اي هنيئا واسعا طيبا وقد اختلفوا في الجنة التي

اسكنها الله

اسكنها الله آدم اهي في السماء ام في الارض والاكثرون على الاول وسيأتي تقريره في سورة الاعراف ان شاء الله والآية تدل على ان حواء خلقت قبل دخول آدم الجنة وقد صرح به محمد بن اسحق حيث قال لما فرغ الله من معاتبة ابليس اقبل على آدم وقد علمه الاسماء كلها فقال يا آدم انبئهم باسمائهم الى قوله الحكيم قال ثم القيت السنة على آدم قال ابن عباس وغيره ثم اخذ ضلعا من اضلاعه من شقه الايسر ولأم مكانه لحما وآدم نائم لم يهب من نومه حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء فسواها امراة ليسكن اليها فلما كشف عنه السنة وهب من نومه رآها الى جنبه فقال لحمي ودمي وزوجتي فسكن اليها فلما زوجه الله وجعل له سكنا من نفسه قال له يا آدم اسكن الآية ويقال ان خلق حواء كان بعد دخوله الجنة كما قال السدي باسناده عن ابن مسعود وغيره من الصحابة قال اخرج ابليس من الجنة واسكن آدم الجنة فكان يمشي فيها وحشيا ليس له زوج يسكن اليها فنام نومة فاستيقظ وعند راسه امراة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها ما انت قالت امراة قال ولم خلقت قالت تسكن الي قالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه ما اسمها يا آدم قال حواء قال ولم سميتها به قال لانها خلقت من حي فقال الله يا آدم اسكن الآية واما قوله ولا تقربا هذه الشجرة فهو اختبار من الله وامتحان لآدم وقد اختلف في هذه الشجرة ما هي قال ابن عباس وجماعة من اتباعه هي الكرم وبه قال ابن مسعود واناس من الصحابة ويهود انها الحنطة كما نقل ان ابن عباس قال هي السنبلة يعني البر وعن وهب بن منبه قال هي البر ولكن الحبة منها في الجنة ككلى البقر الين من الزبد واحلى من العسل وعن الحسن البصري وطائفة هي الزيتونة وقال مجاهد هي التينة وبه قال قتادة ونقل عن وهب انها شجرة غصونها متشعب بعضها في بعض وكان لها ثمر تاكله الملائكة لخلدهم وهي الثمرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته قال الامام ابو جعفر بن جرير والصواب ان يقال ان الله نهى آدم وزوجته عن اكل شجرة بعينها من اشجار الجنة دون سائر اشجارها فاكلا منها ولا علم عندنا باي شجرة كانت على التعيين لانه تعالى لم يضع لعباده دليلا على ذلك في القرآن ولا في السنة الصحيحة وجاز ان تكون واحدة مما ذكر وذلك علم لم ينفع العالم به علمه وان جهله جاهل لم يضره جهله به والله اعلم وقوله فازلهما الشيطان عنها يصح ان يكون الضمير في عنها عائدا الى الجنة وان يكون عائدا الى الشجرة فعلى الاول يكون كما قرا حمزة فازالهما اي فنحاهما عنها وعلى الثاني يكون المعنى كما قال الحسن وقتادة فازلهما اي من قبل الزلل اي فانما ازلهما الشيطان عنها اي بسببها ونظيره يؤفك عنه من افك اي يصرف بسببه من هو مأفوك ولهذا قال فاخرجهما مما كانا فيه اي من اللباس والمنزل الرحب والرزق الهني والراحة والمستقر القرار والمتاع الارزاق والآجال الى حين الوقت اي الى وقت موقت ومقدار معين ثم تقوم القيامة وقد ذكر بعض السلف ههنا اخبارا اسرائيلية عن قصة الجنة وكيفية دخول ابليس اليها ووسوسته وسنذكرها ان شاء الله في سورة الاعراف وروى ابن ابي حاتم باسناده عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم رجلا طوالا كثير شعر الراس كانه نخلة سحوق فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فاول ما بدا منه عورته فلما نظر الى عورته جعل يشتد في الجنة فاخذت شعره شجرة فنازعها فناداه الرحمن يا آدم مني تفر فلما سمع كلام الرحمن قال يا رب لا ولكن استحياء حديث غريب منقطع وعن ابن عباس قال ما اسكن آدم الجنة الا ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس صححه الحاكم وقال عبد بن حميد عن الحسن قال لبث آدم في الجنة ساعة من نهار تلك الساعة ثلاثون ومائة سنة من ايام الدنيا وقال السدي قال الله اهبطوا منها جميعا فنزل آدم بدحنا ارض بالهند وانزل معه بالحجر الاسود وبقبضة من ورق الجنة قد قبضها منها اسفا على الجنة فبثه بالهند فنبتت شجرة الطيب فانما اصل ما يجاء به من الهند من الطيب من تلك القبضة وقال الحسن اهبط آدم بالهند وحواء بجدة وابليس بدستميسان من البصرة على اميال والحية باصفهان وقيل اهبط آدم بالصفا وحواء بالمروة وقال رجاء بن سلمة اهبط آدم يداه على ركبتيه مطأطئا راسه واهبط ابليس مشبكا بين اصابعه

وخالفه [illegible] في الاسلام [illegible] الى الجنة على انه لم يوزخ واحد منهم [illegible] في يوم كذا [illegible] السعود [illegible] يسبو وعقد [illegible] السعود [illegible] ونكر [illegible]

جمع كلمة [illegible]

في ذلك

رأسه الى السماء وعن ابي موسى الاشعري قال ان الله حين اهبط آدم من الجنة الى الارض علمه صنعة كل شيء وزوده من ثمار الجنة فثماركم هذه من ثمار الجنة غير ان هذه تتغير وتلك لا تتغير وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها رواه مسلم والنسائي **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم** ق ل اهل التابعين هذه الكلمات هي قوله تعالى قالا ربنا ظلمنا انفسنا الآية ه ق ل ابن عباس علم شان الحج وعنه ايضا قال آدم الم تخلقني بيدك قيل له بلى ونفخت في من روحك قيل له بلى وعطست فقلت يرحمك الله وسبقت رحمتك غضبك قيل له بلى وكتبت علي ان اعمل هذا قيل بلى قال افرايت ان تبت هل انت راجعي الى الجنة قال نعم قال الحاكم صحيح ه ق ل ابن عباس فذلك قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وعن مجاهد قال الكلمات اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الراحمين اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم قوله انه هو التواب الرحيم اي انه يتوب على من تاب اليه واناب كقوله الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وغيره من الآيات الدالة على انه تعالى يغفر الذنوب ويتوب على من يتوب **قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** اخبر الله تعالى عما انذر به آدم وزوجته وابليس حين اهبطهم الى الارض والمراد بالمخاطبين الذرية لانه سينزل الكتب ويبعث الانبياء والرسل و نحوه عن ابي العالية وقال مقاتل بن حيان الهدى محمد وعن الحسن الهدى القرآن وهذان القولان صحيحان والاول اعم اي من اقبل على ما انزلت به الكتب وارسلت به الرسل فلا خوف عليهم اي فيما يستقبلون من امر الآخرة ولا هم يحزنون على ما فاتهم من امور الدنيا كما قال في سورة طه قال اهبطا منها جميعا الآية وقوله خالدون اي مخلدون فيها لا يجدون عنها ولا محيص وعن ابي سعيد الخدري ق ل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اهل النار الذين هم اهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون لكن اقوام اصابتهم النار بخطاياهم او بذنوبهم فاماتتهم اماتة حتى اذا صاروا فحما اذن في الشفاعة رواه مسلم **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون** يامر الله تعالى بني اسرائيل بالاسلام ومتابعة محمد صلى الله عليه وسلم ويهيجهم بذكر ابيهم اسرائيل وهو يعقوب نبي الله عليه السلام وتقديره يا بني العبد الصالح المطيع لله كونوا مثل ابيكم في متابعة الحق كما تقول يا ابن الكريم افعل كذا يا ابن العالم اطلب العلم ونحو ذلك فاسرائيل هو يعقوب كما رواه ابو داود الطيالسي باسناده عن ابن عباس قال حضرت عصابة من اليهود نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب قالت اللهم نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد وقوله تعالى اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم ق ل مجاهد نعمة الله هي ما نجى لهم الحجر وانزل عليهم المن والسلوى وانجاهم من عبودية آل فرعون وقال ابو العالية نعمته ان جعل منهم الانبياء والرسل وانزل الله عليهم الكتب وهذا كما قال لهم موسى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم الآية وقوله واوفوا بعهدي اي الذي اخذت من اعناقكم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم اذا جاءكم انجز لكم ما وعدتكم عليه بتصديقه واتباعه بوضع ما كان عليكم من الآصار والاغلال التي كانت في اعناقكم ق ل الحسن هو قوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الآية اوف بعهدكم اي انجي عنكم وادخلكم الجنة كذا قال السدي واقرانه واياي فارهبون هذا انتقال من الترغيب الى الترهيب

قالت عائشة رضي الله عنها لما اراد الله تعالى ان يتوب على آدم طاف بالبيت سبعا والبيت يومئذ ربوة حمراء فلما صلى الركعتين استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبت لي وارضني بما قسمت لي فاوحى الله تعالى الى آدم يا آدم قد غفرت لك ولن ياتيني احد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت ذنوبه وكشفت همومه وغمومه ونزعت الفقر من عينيه وجاءته الدنيا وهي لا تريده

بالقبول والثواب والاعزاز في الدنيا

اي فاخشون لئلا انزل بكم ما انزلت بمن كان قبلكم من النقمات التي قد عرفتم فدعاهم اليه بالرغبة والرهبة لعلهم يرجعون الى الحق واتباع الرسول والاتعاظ بالقرآن ولهذا قال وآمنوا بما انزلت اي بالقرآن الذي انزله على محمد صلى الله عليه وسلم مشتملا على الحق من الله تعالى مصدقا لما بين يديه من التوراة والانجيل ق ل ابو العالية اي لانهم يجدون نعته صلى الله عليه وسلم مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ولا تكونوا اول كافر به ق ل ابن عباس اي كافر بالقرآن وعندكم فيه من العلم ما ليس عند غيركم او بمحمد صلى الله عليه وسلم وكلاهما صحيح لانهما متلازمان واما قوله اول كافر به اي اول من كفر من بني اسرائيل مباشرة فان يهود المدينة اول بني اسرائيل خوطبوا بالقرآن فكفرهم به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا اي لا تعتاضوا عن الايمان بآياتي وتصديق رسولي بالدنيا وشهواتها فانها قليلة فانية ق ل ابن المبارك القليل الدنيا بحذافيرها ه ق ل ابن جبير نحوه وقيل هو الطمع وقال ابو العالية اي لا تاخذوا اجرا فانه مكتوب عندهم يا ابن آدم علم مجانا كما علمت مجانا وفي سنن ابي داود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يرح رائحة الجنة يوم القيامة واما تعليم العلم باجرة فان كان قد تعين عليه فلا يجوز ان ياخذ عليه اجرة ويجوز ان يتناول من بيت المال ما يقوم بحاله وحال عياله فان لم يحصل منه شيء ومنعه التعليم عن الكسب فهو كما لم يتعين عليه يجوز ان ياخذ عليه اجرة عند مالك والشافعي واحمد وجمهور العلماء كما في الصحيح في قصة اللديغ ان احق ما اخذتم عليه اجرا كتاب الله وقوله واياي فاتقون عن طلق بن حبيب قال التقوى ان تعمل بطاعة الله رجاء رحمة الله على نور من الله وان تترك معصيته مخافة عذابه على نور منه يعني احذروا عذابي في كتمانكم الحق واظهاركم خلافه **ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين** فنهاهم عن تلبيسهم الحق بالباطل وتمويهه به وكتمانهم اياه ونهاهم الله عن شيئين معا وامرهم باظهار الحق اي ولا تخلطوا الحق بالباطل وادوا النصيحة لعباد الله من امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال قتادة ولا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالاسلام ان دين الله الاسلام ق ل ابن عباس اي ولا تكتموا ما عندكم مما تعلمون من الكتب الذي بايديكم ويجوز ان يكون تكتموا مجزوما وان يكون منصوبا اي لا تجمعوا بين هذا وهذا كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن ق ل الزمخشري وفي مصحف عبد الله وتكتمون الحق اي كاتمين الحق وانتم تعلمون حال اتصافا ومعنا وانتم تعلمون الحق ويجوز ان يكون المعنى وانتم تعلمون ما في ذلك من الضرر العظيم على الناس من اضلالهم عن الهدى المفضي بهم الى النار ان سلكوا ما تبدونه فيهم من الباطل المشوب بالحق لترويجه عليهم والبيان والايضاح عكسه الكتمان وخلط الحق بالباطل واقيموا الصلوة امرهم الله ان يصلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وان يؤتوا الزكوة اليه ونصه واجبة لا ينفع الاعمال الا به وبالصلوة واركعوا مع الراكعين اي وكونوا مع المؤمنين في احسن اعمالهم ومن اخص ذلك واجله الصلوة **اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون** اي كيف يليق بكم يا اهل الكتاب وانتم تامرون الناس بجماع الخير وتنسون انفسكم فلا تاتمرون بما تامرونهم وانتم مع ذلك تتلون الكتاب وتعلمون ما فيه افلا تعقلون ما انتم صانعون بانفسكم فتنتبهوا من رقدتكم وتتبصروا من عمايتكم ه ق ل ابن جريج كان اهل الكتاب والمنافقون يامرون الناس بالصوم والصلوة ويدعون العمل بما يامرونهم فعيرهم الله بذلك وعن ابن عباس اي تنهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة وتتركون انفسكم اي وانتم تكفرون بما فيها من عهدي اليكم من تصديق رسولي وتنقضون ميثاقي وتجحدون ما تعلمون من كتابي ه ق ل ابو الدرداء وهذه الآية لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله ثم يرجع الى نفسه فيكون لها اشد مقتا والغرض من الآية انه تعالى ذمهم على هذا الصنيع ونبههم على خطائهم في حق انفسهم حيث كانوا يامرون بالخير ولا يفعلونه

وليس المراد ذمهم على امرهم بالبر مع تركهم له بل على تركهم له فان الامر بالمعروف معروف وهو واجب على العالم ولكن الاولى
ان يفعله مع من امرهم به ولا يتخلف عنهم كما قال شعيب عليه السلم وما اريد ان اخالفكم الآية فكل من الامر بالمعروف و فعله
واجب لا يسقط احدهما بترك الآخر على اصح القولين و ذهب بعضهم الى ان مرتكب المعاصي لا ينهى غيره عنها وهذا ضعيف و اضعف
من هذا تمسكهم بهذه الآية فانه لا حجة لهم فيه و الصحيح ان العالم يامر بالمعروف وان لم يفعله و ينهى عن المنكر و ان ارتكبه قال
سعيد بن جبير لو كان المرء لا يامر بالمعروف و لا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما امر احد بمعروف و لا نهى عن منكر فان المعصوم
معدوم لكنه مذموم على تركه الطاعة و فعله المعصية لعلمه بها و مخالفته على بصيرة فانه ليس من يعلم كمن لا يعلم و جاءت احاديث كثيرة
في الوعيد على ذلك منها ما رواه ابن حبان في صحيحه عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مررت ليلة اسري بي على
اناس تقرض شفاههم و السنتهم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء امتك الذين يامرون بالبر و ينسون
انفسهم و في الصحيحين عن اسامة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار
فتندلق به اقتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه فيطيف به اهل النار فيقولون يا فلان ما اصابك الم تكن تامرنا
بالمعروف و تنهانا عن المنكر فقال كنت آمركم بالمعروف و لا آتيه و انهاكم عن المنكر و آتيه و ما احسن ما قال مسلم بن عمرو
ما اقبح التزهيد من واعظ ⁂ يزهد الناس و لا يزهد ⁂ لو كان في تزهيده صادقا ⁂ اضحى و امسى بيته المسجد ⁂ ان رفض الناس
فما باله ⁂ يستمنح الناس و يسترفد ⁂ الرزق مقسوم على من ترى ⁂ ينال الابيض و الاسود ⁂ **واستعينوا بالصبر
والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون**
يرشد الله عبيده فيما يرجون من خير الدنيا بالاستعانة بالصبر و الصلوة اي استعينوا على طلب الخير بالصبر على الفرائض و الصلوة
قال مجاهد الصبر هنا الصيام و لهذا سمي رمضان شهر الصبر كما جاء في الحديث الصوم نصف الصبر و قيل المراد الكف عن المعاصي
و لهذا قرنه باداء الصلوة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصبر صبران صبر عند المصيبة حسن و احسن منه الصبر عن
محارم الله و قال سعيد بن جبير الصبر اعتراف العبد لله بما اصاب فيه و احتسابه عند الله و رجاء ثوابه و قد يجزع الرجل و هو
يتجلد لا يرى منه الا الصبر و قال ابو العالية اصبروا على مرضاة الله و اعلموا انها من طاعة الله و اما الصلوة فانها من اكبر العون
على الثبات في الامر كما قال تعالى اتل ما اوحي اليك من الكتاب الآية و عن حذيفة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر
صلى رواه ابو داود و الضمير في وانها عائد الى الصلوة قاله مجاهد و اختاره ابن جرير و يحتمل ان يعود الى ما دل عليه الكلام و هو
الوصية بذلك كقوله تعالى و قال الذين اوتوا العلم الآية و كقوله و لا تستوي الحسنة و لا السيئة الى قوله و ما يلقاها الا ذو حظ عظيم
اي ما يلقى هذه الوصية و على التقديرين قوله لكبيرة معناه مشقة ثقيلة الا على الخاشعين اي المصدقين بما انزل الله المؤمنين حقا
الخائفين سطواته كما جاء في الحديث لقد سالت عن عظيم و انه ليسير على من يسره الله عليه و معنى الآية استعينوا بها بحبس انفسكم
على طاعة الله و اقامة الصلوة المانعة من الفحشاء و المنكر المقربة من رضى الله العظيم فانها ثقيلة الا على المتواضعين لطاعته المتذللين
من مخافته و قوله تعالى الذين يظنون الى آخره من تمام الكلام السابق اي الا على الخاشعين الذين يعلمون انهم محشورون اليه يوم
القيمة و ان امورهم راجعة الى مشيئته يحكم فيه بما يشاء و الظن هنا بمعنى اليقين و العرب تسمي اليقين ظنا و الشك ظنا لانه من
اسماء الاضداد و منه قوله تعالى و راى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها و قال مجاهد كل ظن في القرآن يقين و علم و قال
ابن جريج هو كقوله اني ظننت اني ملاق حسابيه اي علمت **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم
على العالمين** يذكرهم الله تعالى بسالف نعمه على اسلافهم و ما فضلهم به من ارسال الرسل منهم و انزال الكتب عليهم على سائر الامم

الاقتاب جمع قتب وهو المعاء

ومثال النبي صلى الله عليه وسلم مثل العالم الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كمثل السراج يضيء للناس و يحرق نفسه

وانها اي الاستعانة بالصبر والصلوة او الصلوة او الصبر لكبيرة الا على الخاشع ايضا

وذلك التفضيل وان كان في حق الآباء لكن يحصل الشرف للابناء

[illegible]

من اهل

من اهل زمانهم كما قال و لقد اخترناهم على علم على العالمين و قال و اذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم الآية و قال
الربيع بن انس بما اعطوا من الملك و الرسل و الكتب على من كان في ذلك الزمان لان هذه الامة افضل منهم لقوله تعالى كنتم خير
امة الآية و في السنن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انتم موفون سبعين امة انتم خيرها و اكرمها على الله و الاحاديث في
هذا كثيرة و نذكر بعضها عند قوله كنتم خير امة و قيل المراد تفضيل بنوع ما من الفضل على سائر الناس و لا يلزم تفضيلهم مطلقا حكاه
الامام الرازي و فيه نظر و قيل انهم فضلوا على سائر الامم لاشتمال امتهم على الانبياء منهم و فيه نظر لان العالمين عام يشتمل من
قبلهم و من بعدهم من الانبياء فابراهيم الخليل قبلهم و هو افضل من سائر انبيائهم و محمد صلى الله عليه وسلم بعدهم و هو افضل
من جميع الخلق و سيد ولد آدم في الدنيا و الآخرة صلوات الله و سلامه عليه **واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا
ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون** لما ذكرهم الله تعالى بنعمه اولا عطف عليه التحذير
من حلول نقمته بهم يوم القيمة فقال واتقوا يوما يعني يوم القيمة لا تجزي اي لا يغني احد عن احد كما قال و لا تزر وازرة وزر
اخرى و قال لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه و قال يا ايها الناس اتقوا ربكم و اخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده الآية
و امثالها و قال ابن عباس لا يؤخذ منها عدل اي بدل و البدل الفدية و عن ابي العالية نحوه و جاء في الحديث العدل الفدية
و قوله و لا هم ينصرون اي و لا احد يغضب لهم فينصرهم و ينقذهم من عذاب الله فلا يعطف عليهم ذو قرابة و لا ذو جاه و لا يقبل
ناصر من نفسهم و لا من غيرهم كما قال فما له من قوة و لا ناصر اي ان الله تعالى لا يقبل فيمن كفر به فدية و لا شفاعة و لا ينقذ احدا من عذابه
منقذ و قال ابن جرير و تاويل قوله و لا هم ينصرون انهم يومئذ لا ينصرهم ناصر كما لا يشفع لهم شافع و لا يقبل منها عدل و لا فدية
بطلت هنالك المحاباة و اضمحلت الرشا و الشفاعات و ارتفع من القوم التعاون و التناصر و صار الحكم الى العادل الجبار
**واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي
ذلكم بلاء من ربكم عظيم واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون**
اي واذكروا يا بني اسرائيل نعمتي عليكم اذ خلصتكم من آل فرعون اي قومه و انقذتكم من ايديهم و قد كانوا يوردونكم و يذيقونكم سوء العذاب
و ذلك ان فرعون لعنه الله كان قد راى رؤيا هالته راى نارا خرجت من بيت المقدس فدخلت دور القبط ببلاد مصر الا
دور بني اسرائيل تعبيرها ان زوال ملكه يكون على يدي رجل من بني اسرائيل و يقال بل تحدث سماره عنده بان بني اسرائيل يتوقعون
خروج رجل منهم يكون لهم به دولة و رفعة فعند ذلك امر فرعون بقتل كل ذكر يولد بعد ذلك من بني اسرائيل و ان يترك البنات
و امر باستعمال بني اسرائيل في مشاق الاعمال و اراذلها و معنى يسومونكم يولونكم و فرعون علم لكل من ملك مصر كافرا من العماليق
و غيرهم كقيصر في الروم و كسرى في الفرس و تبع في يمن و النجاشي في الحبشة و يقال ان اسم فرعون الذي كان في زمن موسى الوليد
ابن مصعب و قيل مصعب بن الريان و ايا ما كان فعليه لعنة الله و كان من سلالة عمليق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح و كنيته ابو مرة
و اصله من اصطخر فارس و قوله و في ذلكم بلاء من ربكم عظيم قال ابن عباس نعمة عظيمة عليكم و به قال ابو العالية و السدي و مجاهد
و غيرهم و اصل البلاء الاختبار و يكون بالخير و الشر كما قال و نبلوكم بالشر و الخير فتنة و قال و بلوناهم بالحسنات و السيئات و اكثر ما
يقال في الشر بلوته بلاء و في الخير ابليه ابلاء و بلاء قال زهير بن ابي سلمى ⁂ جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم ⁂
و ابلاهما خير البلاء الذي يبلو ⁂ جمع بين اللغتين لانه اراد فانعم الله عليهما خير النعم التي يختبر بها عباده و قيل و في قوله و في ذلكم
اشارة الى ما كانوا فيه من العذاب المهين من ذبح الابناء و استحياء النساء و البلاء ههنا في الشر و قوله تعالى و اذ فرقنا بكم البحر
فانجيناكم اي و بعد ان انقذناكم من آل فرعون و خرجتم مع موسى و خرج فرعون في طلبكم فرقنا بكم البحر فانجيناكم اي خلصناكم منهم

يكلفونكم و يذيقونكم

اشارة الى الانجاء وقيل الى السوء

[illegible] والنكاح على سبيل الاستحقاق

[illegible]

قال في اللباب فرقنا بكم البحر اي
جعلنا البحر فرقا بسببكم وكحل
[illegible]

وحجزنا بينكم وبينهم واغرقناهم وانتم تنظرون ليكون ذلك اشفى لصدوركم وابلغ في اهانة عدوكم عن عمرو بن ميمون قال لما خرج
موسى ببني اسرائيل بلغ ذلك فرعون فقال لا تتبعوهم حتى تصيح الديكة فوالله ما صاح ليلتئذ ديك حتى اصبحوا فدعا بشاة
فذبحت ثم قال لا افرغ من كبدها حتى يجتمع الي ستمائة الف من القبط فلم يفرغ من كبدها حتى اجتمع اليه ستمائة الف من القبط
فلما اتى موسى البحر قال له رجل من اصحابه يقال له يوشع بن نون اين امر ربك يا موسى فوالله ما كذبت ولا كذبت قال امامك
يشير الى البحر فاقحم يوشع فرسه في البحر حتى بلغ الغمر فذهب به الغمر ثم رجع فقال اين امر ربك فعل ذلك ثلث مرات
ثم اوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم يقول مثل الجبل ثم سار موسى ومن
معه واتبعهم فرعون في طريقهم حتى تتاموا فيه اطبقه الله عليهم فلذلك قال واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون وكذلك
قال غير واحد من السلف كما سياتي بيانه في موضعه وقد ورد ان هذا اليوم كان عاشوراء كما قال ابن عباس قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة فراى اليهود يصومون يوم عاشوراء فقال ما هذا اليوم الذي تصومون قالوا هذا يوم صالح هذا يوم
نجى الله تعالى بني اسرائيل من عدوهم فصامه موسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا احق بموسى منكم فصامه رواه احمد وفي
الصحيحين نحوه **واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ثم عفونا عنكم
من بعد ذلك لعلكم تشكرون واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون** اي واذكروا نعمتي في
عفوي عنكم لما عبدتم العجل بعد ذهاب موسى لميقات ربه عند انقضاء امد المواعدة وكانت اربعين يوما وهي المذكورة في
الاعراف في قوله وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر قيل انها ذو القعدة وعشر من ذي الحجة وكان ذلك بعد خلاصهم
من فرعون وانجائهم من البحر وقوله واذ آتينا موسى الكتاب يعني التورية والفرقان هو ما يفرق بين الحق والباطل والهدى
والضلال وكان ذلك ايضا بعد خروجهم من البحر كما دل عليه سياق ما في سورة الاعراف **واذ قال موسى لقومه يا قوم
انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه
هو التواب الرحيم** قال الحسن البصري في هذه الآية قال موسى ذلك حين وقع في قلوبهم من شان عبادتهم العجل ما
وقع اي من الاسف والندامة المستفاد من قوله تعالى ولما سقط في ايديهم وراوا انهم قد ضلوا الآية قال ابو العالية
وغيره بارئكم اي خالقكم وفيه تنبيه على عظم جرمهم اي فتوبوا الى الذي خلقكم وقد عبدتم معه غيره وروى النسائي باسناده عن
ابن عباس قال قال الله تعالى ان توبتهم ان يقتل كل رجل منهم كل من لقي من ولد او والد فيقتله بالسيف ولا يبالي
من قتل في ذلك الموطن فتاب اولئك الذين كان خفي على موسى وهرون ما اطلع الله من ذنوبهم فاعترفوا بها وفعلوا ما
امروا به فغفر الله للقاتل والمقتول وهذه قطعة من حديث الفتون وهو المبسوط في الاصل في سورة طه وعن ابن عباس ايضا
قال امر موسى قومه عن امر ربه ان يقتلوا انفسهم فاحتبى الذين عكفوا على العجل فجلسوا وقام الذين لم يعكفوا على العجل فاخذوا
الخناجر بايديهم وبعث اليهم ضبابة فاصابتهم ظلمة شديدة فجعل يقتل بعضهم بعضا لا يحنو رجل على قريب ولا بعيد
فانجلت الظلمة عنهم وقد اجلوا عن سبعين الف قتيل كل من قتل منهم كانت لهم توبة وكل من بقي كانت له توبة وفي رواية
السدي حين كثر القتل وكادوا ان يتفانوا دعا موسى وهرون ربنا اهلكت بني اسرائيل ربنا البقية البقية فامرهم ان يضعوا
السلاح وتاب عليهم وكان من قتل منهم شهيدا ومن بقي منهم مكفرا عنه فذلك قوله فتاب عليكم انه هو التواب اي كثير قبول
توبة العباد الرحيم بهم **واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم
تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون** اي واذكروا نعمتي عليكم في بعثي اياكم من الصعق اذ سالتم رؤيتي

اراد الله تعالى ان يقدس موسى من العادة والطبيعة ورسم البشرية بصفاء الخلوة ونيران الجوع ليتهيا لاستعداد تحمل انوار المشاهدة فصارت سنة لاوليائه من طلاب المعرفة والمشاهدة تلك الاربعين ٩ عرائس

ويتنادون فيها رحم الله عبدا صبر حتى بلغ الله رضاه

انه هو التواب اي الذي يكثر توفيق التوبة وقبولها من المومنين ويبالغ في الانعام عليهم قال السلمي كان توبة بني اسرائيل افناء انفسهم ولهذه الامة اشد وهو افناء نفوسهم عن مرادها مع بقاء رسوم الهياكل ٩

[illegible]

جهرة اي علانية عيانا مما لا يستطاع لكم ولا لامثالكم وهم السبعون الذين اختارهم موسى فساروا معه فسمعوا كلاما
وصعقوا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فماتوا اصعقة وقوله وانتم تنظرون اي فصعق بعضهم وبعضهم ينظرون
ثم بعث هؤلاء وصعق هؤلاء وقال السدي فقام موسى يبكي ويقول يا رب ماذا اقول لبني اسرائيل اذا اتيتهم وقد اهلكت
خيارهم لو شئت اهلكتهم من قبل واياي الآية ثم ان الله احياهم فقاموا وعاش رجل رجل ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فذلك
قوله ثم بعثناكم الى آخره قال الربيع بن انس كان موتهم عقوبة لهم فبعثوا بعد الموت ليستوفوا آجالهم وعليه قتادة
وقال محمد بن اسحق لما رجع موسى الى قومه فراى ما هم عليه من عبادة العجل وقال لاخيه وللسامري ما قال وحرق العجل
وذراه في اليم اختار موسى منهم سبعين رجلا الخير فالخير وقال انطلقوا الى الله وتوبوا اليه مما صنعتم وسلوه التوبة على
من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم فخرج بهم الى طور سيناء لميقات وقته له ربه وكان لا ياتيه
الا باذن منه وعلم فقالوا يا موسى اطلب لنا الى ربك نسمع كلام ربنا فقال افعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه الغمام حتى تغشى
الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى اذا كلمه الله وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع احد ان ينظر اليه
فضرب دونه الحجاب ودنا القوم حتى اذا دخلوا الغمام وقعوا سجودا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل
فلما فرغ اليه من امره انكشف عن موسى الغمام فاقبل اليهم فقالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة فماتوا
جميعا وقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي قد سفهوا افلم يزل موسى يناشد ربه
ويدعوه ويرغب اليه ويقول ~~رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي قد سفهوا~~ ويطلب اليه حتى رد اليهم ارواحهم فطلب
اليه التوبة من بني اسرائيل من عبادة العجل فقال لا الا ان يقتلوا انفسهم وقال الامام الرازي انهم بعد احيائهم قالوا
يا موسى انك لا تطلب من الله شيئا الا اعطاك فادعه يجعلنا انبياء فدعا بذلك فاجاب الله دعوته وهذا غريب جدا وفي رواية فلما
تاب الله عليهم قال لهم موسى ان هذه الالواح فيها كتاب الله فيه الاوامر والنواهي فقالوا ومن ياخذه بقولك انت لا والله
حتى نرى الله جهرة فيقول هذا كتابي فخذوه فقال لهم خذوا كتاب الله فقالوا لا فقال اي شيء اصابكم قالوا متنا ثم حيينا فقال خذوا
كتاب الله قالوا لا فبعث الله ملكة فنتقت الجبال فوقهم وكان هذا بعد الاحياء وحكى الماوردي في ذلك قولين احدهما انه سقط
التكليف عنهم لمعاينتهم الامر حتى صاروا مضطرين الى التصديق والثاني انهم مكلفون لئلا يخلو عاقل عن التكليف قال القرطبي
هذا هو الصحيح لان معاينتهم الامر لا يمنع تكليفهم لان بني اسرائيل قد شاهدوا امورا عظاما من خوارق العادات وهم في ذلك
مكلفون **وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا
ولكن كانوا انفسهم يظلمون** فلما فرغ الله تعالى من ذكر دفع النقمة عنهم شرع في ذكر ما اسبغ عليهم من النعمة فقال وظللنا
عليكم الغمام جمع غمامة سمي به لانه يغم السماء اي يواريها ويسترها وهو السحاب الابيض ظللوا به في التيه ليقيهم حر الشمس وعليه
اكثر ائمة التابعين وقال مجاهد هو الغمام الذي ياتي الله فيه يوم القيمة ولم يكن الا لهم وعليه آخرون يعني ليس من زي السحاب
بل احسن منه واطيب وابهى منظرا كما قال ابن عباس غمام ابرد من هذا واطيب وهو الذي ياتي الله فيه في قوله الا ان ياتيهم الله
في ظلل من الغمام وهو الذي جاءت فيه الملائكة يوم بدر وقوله وانزلنا عليكم المن اختلفوا في المن ما هو قال ابن عباس كان المن
ينزل عليهم على الاشجار فيغدون اليه فياكلون منه ما شاؤا وقال مجاهد المن صمغة وقال عكرمة هو شيء انزله الله عليهم
مثل الطل شبه الزيت الغليظ وقال قتادة كان المن ينزل في محلتهم سقوط الثلج اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل يسقط عليهم
من طلوع الفجر الى طلوع الشمس ياخذ الرجل منهم قدر ما يكفيه يومه ذلك فاذا تعدى ذلك فسد ولم يبق حتى اذا كان يوم سادسه

ثم السبب الصاعقة هي نار جاءت من السماء [illegible]

ويقول لم

ليوم جمعته أخذ ما يكفيه لذلك اليوم وليوم سابعه لانه كان يوم عيد وعبادة لا يشخص فيه لامر معيشته ولطلبه شيء وهذا كله في البرية وقال الربيع كان شرابا ينزل عليهم مثل العسل فيمزجونه بالماء ثم يشربونه وقال وهب خبز الرقاق مثل الذرة او مثل النقي وقيل انه العسل قال امية بن ابي الصلت فرأى الله انهم بمضيع لا بذي مزدرع ولا مثمورا فسناها عليهم غاديات وترى مزنهم خلايا وخورا عسلا ناطفا وماء فراتا وحليبا ذا بهجة مامورا فالناطف هو السائل والحليب المرمور الصافي منه والغرض ان عباراتهم متقاربة وانه كل ما انعم الله به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك مما ليس لهم فيه عمل ولا كد والمن المشهور ان اكل وحده كان طعاما وحلاوة وان مزج مع الماء صار شرابا طيبا وان ركب مع غيره صار نوعا آخر ولكن ليس هو المراد من الآية وحده لما في الصحيحين والزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين وزاد الترمذي في روايته عليه العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم واما السلوى هو السماني قال عكرمة هو طير كطير يكون في الجنة اكبر من العصفور وقال قتادة تحشرها عليهم الريح الجنوب وكان الرجل يذبح منها ما يكفيه ليومه ذلك فاذا تعدى فسد كما سبق في المن وقال وهب السلوى طير سمين مثل الحمام كان يأتيهم فيأخذون منه من سبت الى سبت وفي رواية عنه قالوا يا موسى اللحم فقال الله لاطعمنهم من اقل لحم يكون في الارض فارسل عليهم ريحا فاذرت عند مساكنهم السلوى وهو السماني مثل ميل في ميل قيد رمح في السماء فخبؤا للغد فنتن اللحم وخنز الخبز وقال السدي لما دخلوا التيه قالوا لموسى كيف لنا بما ههنا اين الطعام فانزل الله عليهم المن وكان يسقط على شجر الزنجبيل والسلوى وكان يأتي احدهم فينظر الى الطير ان كان سمينا ذبحه والا ارسله فاذا سمن اتاه فقالوا هذا الطعام فاين الشراب فامر الله فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنا عشرة عينا فقالوا هذا الشراب فاين الظل فظلل عليهم الغمام فقالوا هذا الظل فاين اللباس فكانت ثيابهم تطول معهم كما يطول الصبيان ولا يتخرق لهم ثوب فذلك قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام الآية وقال ابن عباس خلق لهم في التيه ثياب لا تتخرق ولا تدرن وقوله كلوا امر اباحة وارشاد وامتنان وقوله وما ظلمونا الى آخره اي امرناهم بالاكل مما رزقناهم وان يعبدونا فخالفوا وكفروا فظلموا انفسهم هذا مع ما شاهدوه من الآيات البينات والمعجزات القاطعات والخوارق العادات ومن هنا تبين فضيلة اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم على سائر اصحاب الانبياء عليهم السلم في صبرهم وثباتهم وعدم تعنتهم كما كانوا معه في اسفاره وغزواته منها عام تبوك في ذلك القيظ والحر الشديد والجهد لم يسألوا خرق عادة ولا ايجاد امر مع ان ذلك كان سهلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لما اجهدهم الجوع سألوه في تكثير الطعام فجمعوا ما معهم فجاء قدر مبرك الشاة فدعا الله فيه فامرهم فملأوا كل وعاء معهم وكذا لما احتاجوا الى الماء سأل الله فجاءت سحابة فامطرتهم فشربوا وسقوا الابل وملأوا اسقيتهم ثم نظروا فاذا هي لم تجاوز العسكر فهذا هو الاكمل في الاتباع والمشي مع قدر الله مع متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم **وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون** هنا ما لامهم الله على نكولهم عن الجهاد ودخولهم الارض المقدسة وذلك انهم لما قدموا مع موسى من بلاد مصر فامروا بدخول الارض المقدسة التي هي ميراثهم وقتال من فيها من العماليق الكفرة فنكلوا عن قتالهم وضعفوا واستحسروا فرماهم الله في التيه عقوبة لهم كما ذكره تعالى في سورة المائدة ولهذا كان اصح القولين ان هذه البلدة هي بيت المقدس كما نص عليه السدي والربيع وقتادة وغيرهم لقوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم الآيات وقال آخرون هي اريحا وهذا بعيد لانها لم تكن على طريقهم وابعد من ذلك قول من ذهب الى انها مصر

حكاه

حكاه الرازي في تفسيره والصحيح الاول وكان هذا لما خرجوا من التيه بعد اربعين سنة مع يوشع بن نون عليه السلم وفتحها عليهم عشية جمعة وقد حبست لهم الشمس يومئذ قليلا حتى امكن الفتح ولما فتحوا امروا ان يدخلوا باب البلد سجدا اي شكرا لله على ما انعم به عليهم من الفتح والنصر ورد بلدهم اليهم وانقاذهم من التيه والضلال قال ابن عباس سجدا اي ركعا من باب صغير وزاد سفين الثوري فدخلوا من قبل استاههم وقال الحسن البصري امروا ان يسجدوا على وجوههم حال دخولهم واستبعده الرازي اذ المراد بالسجود هنا الخضوع قال ابن عباس كان الباب قبل القبلة وهو باب الحطة من باب ايلياء بيت المقدس فدخلوا على شق وقال ابن مسعود فدخلوا مقنعي رؤسهم اي رافعي رؤسهم خلاف ما امروا به وقولوا حطة قال ابن عباس مغفرة استغفروا وقال طائفة عنه اي قولوا هذا الامر حق كما قيل لكم وقال عكرمة قولوا لا اله الا الله وقال الحسن وقتادة اي احطط عنا خطايانا وقوله نغفر لكم جواب للامر اي اذا فعلتم ما امرناكم غفرنا لكم الخطيئات وضاعفنا لكم الحسنات وحاصله انهم امروا ان يخضعوا لله تعالى عند الفتح بالفعل والقول وان يعترفوا بذنوبهم وان يشكروا على النعمة عندها والمبادرة الى ذلك من المحبوب لله تعالى كما هو مستفاد من سورة اذا جاء نصر الله وقوله تعالى فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم في البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فدخلوا يزحفون على استاههم فبدلوا وقالوا حبة في شعرة وفي رواية محمد بن اسحق حنطة في شعيرة وفي رواية سفين الثوري قيل لهم ادخلوا الباب سجدا اي ركعا وقولوا حطة مغفرة فدخلوا على استاههم وجعلوا يقولون حنطة حمراء فيها شعيرة وعن ابن مسعود انه قال انهم قالوا احطي سمقا انبة مزبا وهي بالعربية حبة حنطة حمراء مثقوبة فيها شعرة سوداء فذلك قوله فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم وحاصل ذلك انهم بدلوا امر الله من الخضوع بالقول والفعل فامروا ان يدخلوا سجدا فدخلوا من قبل استاههم رافعي رؤسهم وامروا ان يقولوا حطة اي احطط عنا ذنوبنا فاستهزؤا وقالوا حنطة في شعيرة وهذا في غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة ولهذا انزل الله بهم بأسه وعذابه بفسقهم كما قال فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء قال ابن عباس كل شيء في كتاب الله من الرجز يعني به العذاب اي بانواعه كالغضب من الله وبه قال ابو العالية وقال ابن جبير هو الطاعون كما روى خزيمة بن ثابت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الطاعون رجز ارسل على طائفة من بني اسرائيل او على من كان قبلكم هكذا في الصحيحين **وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين** اي اذكروا نعمتي عليكم في اجابتي لموسى حين استسقاني لكم وتيسيري لكم الماء واخراجه من حجر يحمل معكم وتفجير الماء منه من اثنتي عشرة عينا لكل سبط من اسباطكم عين قد عرفوها فكلوا من المن والسلوى واشربوا من هذا الماء الذي انبعه لكم بلا سعي ولا كد منكم واعبدوا الذي هيأ لكم ذلك ولا تقابلوا النعم بالعصيان فتسلبوها قال ابن عباس جعل بين ظهرانيهم حجر مربع وامر موسى فضربه بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا من كل ناحية منه ثلث عيون واعلم كل سبط عينهم يشربون منها لا يرتحلون من منقلة الا وجدوا ذلك منهم بالمكان الذي كان منهم بالمنزل الاول وهذا قطعة من حديث الفتون الذي رواه النسائي وغيره وقال عطية العوفي كان حجرا مثل راس الثور يحمل على ثور فاذا نزلوا منزلا وضعوه فضرب موسى بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا فاذا ساروا حملوه على ثور فاستمسك الماء وقال قتادة كان حجرا طوريا من الطور قال ابن عباس شق لهم من الحجر انهارا لكل سبط نهرا يشربون منه وهذه القصة شبيهة لما ذكر في سورة الاعراف لكن تلك مكية فلذلك كان الاخبار عنهم بضمير الغائب لانه تعالى يقص ذلك على رسوله عليه الصلوة والسلم عما فعل بهم واما في هذه السورة فانها مدنية فلهذا كان الخطاب متوجها اليهم فقال

هناك فانبجست وهو اول الانفجار وقال هنا ما آل اليه الحال وهو الانفجار فناسب كل منهما محله ﴿واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم﴾ اي واذكروا نعمتي عليكم من انزال المن والسلوى طعاما طيبا نافعا سهلا واذكروا سآمتكم وضجركم بما رزقتكم وسؤالكم موسى استبدال ذلك بالاطعمة الدنية من البقول ونحوها مما سألتم قال الحسن فبطروا ذلك ولم يصبروا عليه وذكروا عيشهم الذي كانوا فيه وكانوا اهل عدس وبصل وبقل وثوم فقالوا يا موسى الى آخره البقول والقثاء والعدس والبصل كلها معروفة واما الثوم فقد اختلفوا في معناه فوقع في قراءة ابن مسعود بالثاء وهكذا فسره مجاهد وعن الحسن بالفاء قال ابن عباس هو الثوم وهو من الحروف المبدلة لتقارب مخرجيهما وقال غيره الفوم الحنطة وهو ايضا منقول عن ابن عباس وقال اما سمعت قول احيحة بن الجلاح ۞ قد كنت اغنى الناس شخصا واحدا ۞ ورد المدينة عن زراعة فوم وقال الفوم الحنطة بلسان بني هاشم وعليه اكثر التابعين وقال البخاري قال بعضهم الحبوب التي تؤكل كلها فوم وقوله تعالى اتستبدلون الذي هو ادنى هذا تقريع لهم وتوبيخ على ما سألوا من هذه الاطعمة الدنية مع ما كان لهم من العيش الرغيد والطعام الهني الطيب اهبطوا مصرا هكذا هو منون مصروف مكتوب بالالف في المصاحف العثمانية وهو قراءة الجمهور بالصرف قال ابن جرير ولا استجيز القراءة بغيره لاجماع المصاحف على ذلك قال ابن عباس اي مصرا من الامصار رواه وقد قال عكرمة واقرانه في قراءة ابن مسعود وابي بن كعب اهبطوا مصر من غير صرف ويحتمل ان يكون المراد مصر فرعون على قراءة الصرف ايضا ويكون من باب قواريرا قواريرا والحق ان المراد مصر من الامصار كما روي عن ابن عباس وغيره والمعنى ان موسى يقول ان هذا الذي سألتم ليس بامر عزيز بل هو كثير في اي بلد دخلتموه تجدونه فليس يساوي مع دناءته وكثرته في الامصار ان اسأل الله ولهذا قال في جوابهم اتستبدلون الى آخره ولما كان سؤالهم هذا من البطر والاشر ولا ضرورة فيه لم يجابوا اليه ﴿وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ اي وضعت عليهم والزموا بها شرعا وقدرا اي لا يزالون مستذلين من وجدهم استذلهم واهانهم وضرب عليهم الصغار وهم مع ذلك في انفسهم اذلاء متمسكنون قال ابن عباس هم اصحاب القبالات يعني اصحاب الجزية يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون قال الحسن اذلهم الله فلا منعة لهم وجعلهم تحت اقدام المسلمين والمسكنة الفاقة قاله ابو العالية وغيره وقيل الخراج والجزية وباءوا بغضب اي استحقوا الغضب من الله وقال ابن جرير استوجبوا سخطا والمعنى انصرفوا او رجعوا به ولا يقال باء الا موصولا اما بخير واما بشر يقال باء فلان بذنبه يبوء به بوءا وبواء ومنه قوله تعالى اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فالمعنى فرجعوا منصرفين متحملين غضب الله قد صار عليهم من الله غضب ووجب عليهم منه سخط وقوله ذلك بانهم كانوا يكفرون اي هذا الذي جازيناهم به من الذلة والمسكنة واحلال الغضب بهم بسبب استكبارهم عن اتباع الحق وكفرهم بآيات الله واهانتهم للانبياء واتباعهم حتى افضى بهم الحال الى ان قتلوهم فأي كبر اعظم من هذا انهم كفروا بآيات الله وقتلوا الانبياء بغير الحق ولهذا جاء في المتفق على صحته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكبر بطر الحق وغمط الناس وفي مسند احمد انه عليه الصلوة والسلم قال الكبر من بطر او قال سفه الحق وغمط الناس يعني رد الحق وانتقاص الناس والازدراء بهم والتعاظم عليهم ولهذا لما ارتكب بنو اسرائيل ما ارتكبوا احل الله بهم باسه الذي لا يرد وكساهم ذل الدارين جزاء وفاقا وعن ابن مسعود قال كانت بنو اسرائيل في اليوم يقتل ثلثمائة نبي ثم يقيمون سوق بقلهم في آخر النهار

لازم كردانيده شد

[illegible]

دعر ٥١

وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اشد الناس عذابا يوم القيمة رجل قتله نبي او قتل نبيا وامام ضلالة وممثل من الممثلين وقوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون علة اخرى في مجازاتهم بما جوزوا به انهم كانوا يعصون ويعتدون فالعصيان فعل المناهي والاعتداء المجاوزة عن حد المأذون فيه او المامور به والله اعلم ﴿ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ لما بين الله تعالى حال من خالف اوامره وارتكب زواجره وتعدى في فعل ما لا اذن فيه وانتهك المحارم وما احل بهم من النكال نبه تعالى على ان من احسن من الامم السالفة واطاع فان له جزاء الحسنى وكذلك الامر الى قيام الساعة فكل من اتبع الرسول النبي الامي فله السعادة الابدية فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه ولا هم يحزنون على ما يتركونه كما قال الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وعن سلمان قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن اهل دين كنت معهم فذكر من صلوتهم وعبادتهم فنزلت ان الذين آمنوا والذين هادوا الاية ذكره ابن ابي حاتم وفي رواية فقال سلمان كانوا يصومون ويصلون ويؤمنون بك ويشهدون انك ستبعث نبيا فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال له نبي الله هم من اهل النار فاشتد ذلك عليه فانزل الله هذه الاية وكان ايمان اليهود انه من تمسك بالتورية وسنة موسى عليه السلم كان مؤمنا مقبولا حتى جاء عيسى فلما جاء عيسى فمن لم يدعها ولم يتبع عيسى عليه السلم كان هالكا وايمان النصارى ان من تمسك بالانجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمنا مقبولا حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم فمن لم يتبعه منهم كان هالكا وهذا لا ينافي قول ابن عباس في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا الى آخره وقوله تعالى الذي نزل بعد ذلك ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه الاية من انه لا يقبل من احد طريقة ولا عملا الا ما كان موافقا لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم بعد ان بعثه بما بعثه به فاما قبل ذلك فكل من اتبع الرسول في زمانه فهو على هدى وسبيل نجاة فاليهود اتباع موسى الذين كانوا يتحاكمون الى التورية في زمانهم واليهود من الهوادة وهي المودة او التهود وهو التوبة كقوله انا هدنا اليك اي تبنا فكانهم سموا بذلك في الاصل لتوبتهم ومودتهم في بعضهم بعضا ولما بعث عيسى وجب عليهم اتباعه والانقياد له فاصحابه واهل دينه هم النصارى سموا بذلك لتناصرهم فيما بينهم ويقال لهم انصار كما قال عيسى من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله وقيل لانهم نزلوا ارضا يقال لها ناصرة قاله قتادة عن ابن عباس والنصارى جمع نصران كنشاوى جمع نشوان وسكارى جمع سكران ويقال للمرأة نصرانة لقول الشاعر نصرانة لم تحنف ولما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ورسولا الى بني آدم على الاطلاق وجب عليهم تصديقه فيما اخبر وطاعته فيما امر والانكفاف عما عنه زجر وهؤلاء هم المؤمنون حقا وسموا مؤمنين لكثرة ايمانهم وشدة ايقانهم ولانهم مؤمنون بجميع الانبياء الماضية والمغيبات الآتية واما الصابئون فقد اختلف فيهم قال مجاهد هم قوم بين المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين وكذا روي عن عطاء وسعيد بن جبير وقال ابو العالية وبعض التابعين هم فرقة من اهل الكتاب يقرأون الزبور وقال الحسن انهم كالمجوس وعنه انه قال هم قوم يعبدون الملئكة قيل وكانوا يقرأون الزبور ويصلون القبلة ويصومون من كل سنة ثلثين يوما وقال وهب الصابي الذي يعرف الله وحده وليست له شريعة يعمل بها ولم يحدث كفرا وقال عبد الرحمن بن زيد الصابئون اهل دين من الاديان كانوا بجزيرة الموصل يقولون لا اله الا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا شي الا التوحيد ولم يؤمنوا برسول فمن ذلك كان المشركون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه هؤلاء الصابئون يشبهونهم بهم واظهر الاقوال قول مجاهد ومتابعيه ووهب بن منبه وانهم باقون على فطرتهم ولا دين لهم يتبعونه

العصيان مخالفة الامر ۹

اي من آمن من هولاء ايمانا خالصا ودخل الاسلام ۹

حين يخاف الكفار عن العقاب ويحزن المقصرون على تفوت الثواب ۹

[illegible]

فيه

ويتقون به والله اعلم واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ذكرهم الله تعالى ما اخذ عليهم من العهود والمواثيق بالايمان به وحده واتباع رسله واخبر انه لما اخذها عليهم رفع الجبل على رؤسهم ليقروا بما عوهدوا عليه ويأخذوه بقوة وامتثال كما قال تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم الآية والطور هو الجبل نص عليه ابن عباس واصحابه وفي رواية عنه الطور ما انبت من الجبال وما لم ينبت فليس بطور وقال انهم لما امتنعوا عن الطاعة رفع عليهم الجبل ليسمعوا وقال السدي فلما ابوا ان يسجدوا امر الله الجبل ان يقع عليهم فنظروا اليه وقد غشيهم فسقطوا سجدا فسجدوا على شق ونظروا بالشق الآخر فرحمهم الله فكشف عنهم فقالوا ما سجدة احب الى الله من سجدة كشف بها العذاب عنا فهم يسجدون كذلك وقال الحسن خذوا ما آتيناكم يعني التورية والمراد بالقوة الطاعة والعمل بما فيه وقال قتادة القوة الجد وقوله واذكروا ما فيه اي اقرؤا ما في التورية واعملوا به وقوله ثم توليتم اي ثم بعد هذا الميثاق المؤكد العظيم انثنيتم ونقضتموه فلولا فضل الله اي توبته وارسال الانبياء والمرسلين اليكم لكنتم من الخاسرين في الدارين بنقضكم ذلك الميثاق ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين اي ولقد علمتم يا معشر اليهود ما حل باهل القرية التي عصت امر الله وخالفوا عهده في تعظيم يوم السبت على ما كان مشروعا لهم فتحيلوا في اصطياد الحيتان فيه كما يجي بيانه في سورة طه مبسوطا فمسخهم الله الصورة القردة وهي اشبه شي بالانسان في الظاهر وليست به حقيقة فكذلك عملهم وحيلهم لما كانت مشابهة للحق في الظاهر ومخالفة له في الباطن كان جزاؤهم جنس عملهم قال المفسرون اهل تلك القرية هم اهل ايلة وقوله كونوا قردة قال مجاهد مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة وانما هو مثل ضربه الله كمثل الحمار يحمل اسفارا قال ابن جرير هذا غريب خلاف الظاهر ان القوم صاروا قرودا تعاوى لها اذناب بعد ما كانوا رجالا ونساء وقال عطاء نودوا يا اهل القرية كونوا قردة فجعل الذين نهاهم يدخلون عليهم فيقولون يا فلان الم ننهكم فيشيرون برؤسهم ان بلى قال ابن عباس فلم يحيوا في الارض الا ثلثة ايام ولم يعش مسخ فوق ثلثة ايام ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل وقد خلق الله القردة والخنازير وسائر الخلق في الستة الايام التي ذكر الله في كتابه فمسخ هؤلاء القوم في صورة القردة وكذلك يفعل بمن يشاء كما يشاء ويحوله كما يشاء ومعنى خاسئين اذلاء صاغرين قال ابن عباس ان الله انما افترض على بني اسرائيل اليوم الذي افترض عليكم في عيدكم يوم الجمعة فخالفوا الى السبت فعظموه وتركوا ما امروا به فابتلاهم الله تعالى فيه فحرم عليهم ما احل لهم في غيره وكانوا في قرية بين ايلة والطور يقال لها مدين فحرم الله عليهم في السبت الحيتان صيدها واكلها وكانوا اذا كان يوم السبت اقبلت اليهم شرعا الى ساحل بحرهم حتى اذا ذهب السبت ذهبن فلم يروا حوتا صغيرا ولا كبيرا الى السبت آخر فكانوا كذلك حتى اذا طال عليهم الامد واشتهوا الحوت عمد رجل منهم فاخذ حوتا سرا يوم السبت فخزمه بخيط وربطه على وتد في الساحل وخبأه في الماء حتى اذا كان الغد جاء فاخذه فانطلق به فاكله حتى اذا كان يوم السبت الآخر عاد لمثل ذلك ووجد الناس ريح الحيتان فعثروا على صنع ذلك الرجل ففعلوا كما فعل واكلوا سرا زمانا طويلا لم يعجل الله عليهم بعقوبته حتى صادوها علانية وباعوها بالاسواق فقالت طائفة من اهل البقية ويحكم اتقوا الله ونهوهم عما يصنعون وقالت طائفة اخرى لم تأكل ولم تنه القوم عما صنعوا لم تعظون قوما الله مهلكهم الآية فبينما هم على ذلك اصبحت تلك البقية في انديتهم ومساجدهم ففقدوا الناس فلا يرونهم فقالوا ان

وذلك ان الله تعالى انزل التورية على موسى عليه السلام فامر موسى قومه ان يعملوا باحكامها فابوا ان يقبلوها وكانت شريعة ثقيلة فامر الله جبرئيل عليه السلام ان يقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤسهم مقدار قامة الرجل وقال لهم ان لم تقبلوا التورية ارسلت هذا الجبل عليكم ٢

قردة جمع قرد قيل مسخ الشباب قردة والشيوخ خنازير لهم اذناب يتعاوون

خاسئين حزنان

الحيوانات و احوال السمك [illegible] الصغار والكبار والاباعد [illegible] لا زنا ومغبوبا [illegible] زاد النبي [illegible]

للناس

ع

قال القاضي ابو الطيب في اواخر الصداق من تعليقه الحيل جائزة في الجملة قال تعالى في قصة ابرهيم من فعل هذا بآلهتنا يا ابرهيم انه لمن الظالمين قال بل فعله كبيرهم هذا وحلف بنفسه واحتال الصدقة وقال في قصة ايوب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث ومن السنة ما رواه سويد بن حنظلة قال خرجنا ومعنا وائل بن حجر نريد النبي صلى الله عليه وسلم فاخذه اعداء له فتحرج القوم ان يحلفوا وحلفت انه اخي فخلى عنه العدو فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال صدقت المسلم اخو المسلم فاجاز النبي صلى الله عليه وسلم فعله ثم قال القاضي وانما يجوز من الحيل ما كان مباحا يتوصل الى مباح فاما فعل المحظورات ليتوصل به الى المباح فلا يجوز وقد اجاز الحنفية الحيلة المحظورة ليتصل بها الى المباح وروى ابن المبارك عن ابي حنيفة ان امرأة شكت اليه زوجها وانه قال لها ارتدي لينفسخ النكاح وحكى انه قال لرجل قبل ام امرأتك بشهوة فان نكاح زوجتك ينفسخ والدليل على ان مثل هذا لا يجوز ان الله تعالى عاقب من احتال بحيلة محظورة قال واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر وكان الله حرم عليهم صيد السمك وكان السمك لا يدخل موضعا يصطادونه الا يوم السبت فاحتالوا بان وضعوا الشباك يوم الجمعة فدخل السمك يوم السبت فاخذوه يوم الاحد فمسخهم الله قردة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها واكلوا اثمانها [illegible]

للناس لشأنا فانظروا ما هو فذهبوا ينظرون في دورهم فوجدوها مغلقة عليهم قد دخلوها ليلا فغلقوها على انفسهم فاصبحوا فيها قردة والغرض من هنا بيان خلاف ما ذهب اليه مجاهد فان الصحيح انهم مسخوا صورة ومعنى قوله تعالى فجعلناها نكالا قال بعضهم الضمير راجع الى القردة وقيل عائد على الحيتان وقيل على العقوبة وقيل على القرية وهذا هو الصحيح اي فجعل الله اهل هذه القرية بسبب اعتدائهم في سبتهم نكالا اي عاقبناهم عقوبة فجعلناها عبرة وقوله لما بين يديها اي لما حولها من القرى ولما خلفها من القرى قاله ابن عباس وقال سعيد بن جبير اي لمن بحضرتها من الناس يومئذ وقال آخرون وما خلفها لمن بقي بعدهم من الناس من بني اسرائيل ان يعملوا مثل عملهم وقيل اي لما بين يديها من ذنوب القوم ولمن يعمل بعدها مثل تلك الذنوب وقال السدي في قوله وموعظة للمتقين هم امة محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان المراد بالموعظة هنا الزاجر اي جعلنا ما احللنا بهؤلاء من الناس من العقوبة ومقابلة ما ارتكبوه من محارم الله وما تحيلوا به من الحيل فليحذر المتقون صنيعهم لئلا يصيبهم ما اصابهم ففي الحديث القوي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود فتستحلوا محارم الله بادنى الحيل ع واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين اي واذكروا نعمتي عليكم في خرق العادة لكم في شأن البقرة وبيان القاتل باحياء الله المقتول ونصه على من قتله منهم كما قال ابن ابي حاتم باسناده عن عبيدة السلماني قال كان رجل من بني اسرائيل غنيا لا يولد له وكان له مال كثير وكان له ابن اخ فقتله ليرثه ثم احتمله ليلا فوضعه على باب رجل منهم ثم اصبح يدعيه عليهم حتى تسلحوا وركب بعضهم الى بعض فقال ذوو الرأي والنهى علام يقتل بعضكم بعضا وهذا رسول الله فيكم فاتوا موسى عليه السلام فذكروا ذلك له فقال ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة الآية فلو لم يعترضوا البقرة لاجزأت ادنى بقرة ولكن شددوا فشدد الله عليهم حتى انتهوا الى البقرة التي امروا بذبحها فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها فقال والله لا انقصها من ملء جلدها ذهبا فاخذوها بذلك فذبحوها فضربوه ببعضها فقام فقالوا من قتلك فقال هذا لابن اخيه ثم سقط ميتا فلم يعط من ماله شيئا فلم يورث قاتل بعد وفي رواية فاخذ القاتل وهو الذي كان اتى موسى فشكى اليه قتيله فقتله الله على سوء عمله وعن ابن عباس قال كان شيخ في بني اسرائيل كثير المال وكان بنو اخيه فقراء لا مال لهم ولم يكن للشيخ ولد فقالوا ليت عمنا قد مات فورثنا ماله فاتاهم الشيطان فقال لهم هل لكم الى ان تقتلوا عمكم فترثوا ماله وتغرموا اهل المدينة التي لستم منها ديته وذلك انهما كانتا مدينتين كانوا في احداهما وكان القتيل اذا قتل فطرح بين القريتين قيس ما بين القتيل والقريتين فايتهما كانت اقرب اليه غرمت الدية وانهم لما قتلوا عمهم طرحوه على باب المدينة التي ليسوا منها فلما اصبح اهل المدينة جاء بنو اخي المقتول فقالوا عمنا قتل على باب مدينتكم فوالله لتغرمن لنا ديته قال اهل المدينة نقسم بالله ما قتلنا ولا علمنا قاتله ولا فتحنا باب مدينتنا منذ اغلق حتى اصبحنا فعمدوا الى موسى فقال بنو اخي الشيخ عمنا وجدناه مقتولا على باب مدينتهم وقال اهل المدينة نقسم بالله ما قتلنا ولا فتحنا باب المدينة حين اغلقناه حتى اصبحنا وان جبرئيل جاء بامر ربه السميع العليم الى موسى فقال قل لهم ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة فتضربوه ببعضها وتروى هذه القصة بطرق اخر فيها اختلال وتفاوت والظاهر انه ماخوذ من كتب بني اسرائيل مما يجوز نقله ولا نعتمد عليها الا ما هو الحق قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون

[illegible]

قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت
بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون هنا اخبار عن تعنتهم وكثرة سؤالهم من رسولهم ولهذا لما ضيقوا على
انفسهم ضيق عليهم ولو انهم ذبحوا اي بقرة كانت لوقعت الموقع عنهم كما قال ابن عباس لو اخذوا ادنى بقرة اكتفوا
بها ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم وذلك انه لما قال لهم موسى ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا انسالك عن القتيل وعن
قتله وتقول اذبحوا بقرة اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول
انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك والفارض التي لا تلد والبكر التي لم تلد الا ولدا واحدا والعوان النصف
التي بين ذلك قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها اي نقي اللون تسر الناظرين
اي تعجبهم قالوا ادع لنا ربك الى قوله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا
شية فيها من بياض ولا سواد ولا حمرة قالوا الآن جئت بالحق فطلبوها فلم يقدروا عليها حتى ابصروها عند رجل من
ابر الناس بامه فسالوه ان يبيعهم اياها ببقرة فابى فاعطوه ثنتين فابى فزادوه حتى بلغوا عشرا فقالوا والله لا نتركك
حتى ناخذها منك فانطلقوا به الى موسى فقالوا يا نبي الله انا وجدناها عند هذا فابى ان يعطيناها وقد اعطيناه ثمنا وافيا
فقال له موسى اعطهم بقرتك فقال يا رسول الله انا احق بمالي فقال صدقت فقال للقوم ارضوا صاحبكم فاعطوه وزنها
ذهبا فابى فاضعفوا له مثل ما اعطوه وزنها حتى اعطوه عشر مرات وزنها ذهبا فباعهم اياها واخذ ثمنها فذبحوها
فقال اضربوه ببعضها فضربوه بالبضعة التي بين الكتفين فعاش فسالوه من قتلك فقال ابن اخي وسقط ميتا فاخذوه
فقتلوه وقوله لا فارض ولا بكر قال ابن جريج اي لا كبيرة هرمة ولا صغيرة لم يلحقها الفحل وبه قال كثير من الائمة وقوله عوان
بين ذلك اي بين الكبيرة والصغيرة وهي اقوى ما يكون من الدواب واحسن وقال سعيد بن جبير كانت صفراء القرن و
الظلف وقال عطية فاقع لونها تكاد تسود من صفرتها وقال ابن جبير اي صافية اللون وبه قال اكثرهم وقال
ابن عباس شديدة الصفرة تكاد من صفرتها تبيض وقوله تسر الناظرين قال ابو العالية وآخرون اي تعجبهم وكنت اذا
نظرت الى جلدها تخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وقوله ان البقر تشابه علينا اي لكثرتها ميزها لنا وصفها
وانا ان شاء الله اذا بينتها لنا لمهتدون اليها عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان بني اسرائيل
قالوا وانا ان شاء الله لمهتدون ما اعطوا ولكن استثنوا وقوله لا ذلول الى آخره اي انها ليست مذللة بالحراثة ولا
معدة للسقي في السانية بل مكرمة حسناء مسلمة صحيحة لا عيب فيها قاله ابو العاليه وقال مجاهد وغيره مسلمة من الشية
لا بياض ولا سواد بل لونها واحد مسلمة القوام والخلق قالوا الآن جئت بالحق اي بينت لنا قالوا وقبل ذلك قد جاءهم
الحق فذبحوها وما كادوا يفعلون اي كادوا الا يفعلوا ولم يكن ذلك الذي ارادوا لانهم مع هذا البيان وهذه الاسولة
والاجوبة والايضاح لم يريدوا ان يذبحوها لانه لم يكن غرضهم الا التعنت وقال آخرون لم يكادوا ان يفعلوا ذلك
خوفا من الفضيحة ان اطلع الله على القاتل الذي اختصموا فيه وقيل لغلاء ثمنها والله اعلم واذ قتلتم نفسا فادارأتم
فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته
لعلكم تعقلون فادارأتم اي اختلفتم فقال بعض انتم قتلتموه وقال الآخرون بل انتم قتلتموه والله مظهر ما سترتموه فقلنا
اضربوه ببعضها اي بشي كان من اعضاء هذه البقرة فالمعجزة حاصلة به وهي بيان القاتل ولو كان في تعيينه لنا فائدة عائدة
الى ديننا او دنيانا لعينه الله ولكن ابهمه فلا نتكلف في تعيينه لعدم نقل صحيح وقيل انه ضرب بجميعها وقيل بلسانها وقيل بالعظم

لا فارض صفة للبقرة او خبر لمحذوف
وكذلك لا بكر اي غير مسنة هرمة و
لا بكر اي غير فتية صغيرة لم تلد قط
وتركيب البكر للاولية عوان اي
هي نصف وسط في السن بين
ذلك اي بين المذكور من السنين
سن الفارض وسن البكر
فافعلوا ما تؤمرون اي الذي تؤمرون
او امركم بمعنى مأموركم من ذبح البقرة
ولا تتوقفوا ولا تكرروا السوال فيه

الاولى نزلت في قتل النفس واحيائها بعد الموت
للاحتجاج به على منكري البعث والمعنى وكان الامر بذبح
البقرة حين قتلتم نفسا

الذي

الذي يلي الغضروف وقيل بعجزها وقوله كذلك يحيي الله نبه الله تعالى على قدرته واحيائه الموتى بما شاهدوه من امر القتيل و
جعل الله ذلك الصنيع حجة لهم على المعاد وعن رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى قال اما مررت بواد
ممحل ثم مررت به خضراء قال بلى قال كذلك النشور او قال كذلك يحيي الله الموتى وشاهد ذلك قوله تعالى وآية لهم الارض
الميتة احييناها الى قوله افلا تشكرون ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة و
ان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من
خشية الله وما الله بغافل عما تعملون هنا توبيخ وتقريع لهم على ما شاهدوه من آيات الله واحيائه الموتى
ثم قست قلوبكم من بعد ذلك قال ابن عباس لما ضرب القتيل ببعض البقرة جلس احيى ما كان قط فقيل له من قتلك قال ابن
اخي قتلني فقبض فقال ما قتلته وانكره اقاربه وكذبوا الحق بعد ما راوه فقال الله تعالى ثم قست قلوبكم يعني بني اخ المقتول
وموافقته فصارت قلوب بني اسرائيل مع طول الامد قاسية بعيدة عن الموعظة بعد ما شاهدوه من الآيات والمعجزات
فهي في قسوتها كالحجارة التي لا علاج للينها او اشد قسوة من الحجارة فان منها ما يتفجر منها العيون الجارية بالانهار
ومنها ما يشقق فيخرج منه الماء وان لم يكن جاريا ومنها ما يهبط من راس الجبل من خشية الله وفيه ادراك لذلك بحسبه
كما قال تسبح له السموات السبع الى قوله غفورا وزعم بعضهم ان هذا من باب المجاز كما اسندت الارادة الى الجدار في قوله
يريد ان ينقض وقال آخرون من المحققين ولا حاجة الى هذا فانه تعالى يخلق فيها هذه الصفة كما في قوله تعالى انا عرضنا
الامانة على السموات وغيرها من الآيات الكريمات والاحاديث الصحيحة في المعجزات وغيرها مما شوهد من خوارق العادة
قال بعضهم المراد بانفجار الانهار كثرة البكاء وبخروج الماء بالانشقاق البكاء وبالهبوط من خشية الله بكاء القلب
من غير دموع العين واختلف اهل العربية في معنى الآية فقال بعضهم او هنا بمعنى الواو فهي كالحجارة واشد قسوة كقوله
تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا وكما قال النابغة الذبياني: قالت الا ليتما هذا الحمام لنا: الى حمامتنا او نصفه فقد
يريد ونصفه وقال جرير بن عطيه: نال الخلافة او كانت له قدرا: كما اتى ربه موسى على قدر: وقال آخرون او
هنا بمعنى بل اي فهي كالحجارة بل اشد قسوة وكقوله تعالى اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وامثاله
وقيل المعنى فهي كالحجارة او اشد قسوة عندكم وقيل المراد بذلك الابهام على المخاطب كما قال ابو الاسود: احب محمدا حبا شديدا
وعباسا وحمزة والوصيا: فان يك حبهم رشدا اصبه: وليس بمخطئ ان كان غيا: ولا شك ان ابا الاسود لم يكن شاكا
في ان حب من سمى رشد ولكنه ابهم على من خاطبه قيل وقال لابي الاسود حينئذ شككت فقال كلا والله ثم قرا وانا او
اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين فقال اوكان شاكا من اخبر بهذا في الهادي منهم من الضال وقال بعضهم معنى الآية
قلوبهم لا يخرج من احد هذين المثلين اما ان تكون مثل الحجارة في القسوة واما ان تكون اشد منها قسوة قال ابن جرير
فالمعنى على هذا بعضها كالحجارة قسوة وبعضها اشد قسوة من الحجارة وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وان ابعد الناس من الله القلب القاسي رواه الترمذي
وقال عز افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من
بعد ما عقلوه وهم يعلمون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض
قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون او لا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون اي افتطمعون ايها المؤمنون ان يؤمن لكم اي ينقاد لكم بالطاعة هؤلاء الفرقة الضالة من اليهود الذين

الطمع تروع النفس الى الشيء بشهوة
محذوف اي افترجون في ان يؤمن
اليهود لكم

شاهدوا آباؤهم من الآيات البينات ما شاهدوا ثم قست قلوبهم بعد ذلك وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يتأولونه
على غير تأويله من بعد ما فهموه ووعوه ومع هذا يخالفونه على بصيرة وهم يعلمون انهم مخطئون فيما ذهبوا اليه من تحريفه وتأويله
وهذا اياس من الله وتسلية للمؤمنين قال بعضهم انهم طلبوا من موسى ان يسمعوا كلام الرب كما مر فلما سمعوا ذلك يأمرهم و
ينهاهم وانصرفوا الى بني اسرائيل حرف فريق منهم ما امرهم به فهم الذين عنى الله تعالى في الآية وقال السدي هي التورية حرفوها
وهذا اعم مما سبق وقال ابو العالية عمدوا الى ما انزل الله وكتابهم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم فحرفوه عن مواضعه وقال
بعضهم يحرفون كتابهم فيجعلون الحلال فيها حراما والحرام فيها حلالا والحق فيها باطلا والباطل فيها حقا وقوله واذا لقوا الذين
آمنوا قالوا آمنا قال ابن عباس اي بأن صاحبكم رسول الله ولكنه اليكم خاصة واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا لا تحدثوا العرب
بهذا فانكم كنتم تستفتحون به عليهم فانزل الله الآية ليحاجوكم به اي أتقرون بانه نبي وقد علمتم انه قد اخذ الله الميثاق عليكم باتباعه وهو
يخبرهم انه النبي الذي كنا ننتظر ونجده في كتابنا اجحدوه ولا تقروا به يقول الله اولا يعلمون ان الله يعلم الآية وقال السدي هؤلاء
ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا وبه قال ابن عباس واكثر السلف حتى قال بعضهم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لا يدخلن
علينا قصبة المدينة الا مؤمن فقال رؤساؤهم من اهل الكفر والنفاق اذهبوا فقولوا آمنا واكفروا اذا رجعتم الينا وكانوا
يفعلون هكذا اذا دخلوا المدينة يقولون نحن مسلمون ليعلموا خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره واذا رجعوا عادوا الى الكفر
فلما اخبر الله نبيه به قطع ذلك عنهم فلم يكونوا يدخلون وقال ابو العالية معنى اتحدثونهم بما انزل عليكم وكتابكم من نعت محمد
صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد هو ما امر النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة ان يقولوا تحت حصونهم يا اخوان القردة والخنازير
يا عبدة الطاغوت فقالوا من اخبر هذا الامر محمدا ما خرج هذا الا منكم اتحدثونهم بما حكم الله للفتح ليكون حجة عليكم وقال السدي
اي من العذاب وكانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذبوا به بل قولوا نحن احب الى الله واكرم عليه منكم وقوله اولا يعلمون الى
آخره يعني ما اسروه من كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم به وهم يجدونه مكتوبا عندهم قاله ابو العالية وقتادة وقال الحسن
والربيع ما اسروا انهم كانوا اذا خلا بعضهم الى بعض تناهوا ان يخبر احد منهم المسلمين بما فتح الله عليهم لما في كتابهم خشية
ان يحاجهم المسلمون بما في كتابهم عند ربهم وما يعلنون يعني حين قالوا آمنا **ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني
وان هم الا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا
به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون** قال مجاهد اي ومن اهل الكتاب والامي هو
الذي لا يحسن الكتابة وهو ظاهر في قوله لا يعلمون الكتاب اي لا يدرون ما فيه ولهذا جاء في صفات النبي انه امي لانه لم يكن يحسن
الكتابة كما في قوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب الآية وقال عليه الصلوة والسلم انا امة امية لا نكتب ولا نحسب الحديث
اي لا نفتقر في عباداتنا ومواقيتنا الى كتاب ولا حساب وقال ابن عباس الاميون في الآية قوم لم يصدقوا رسولا ولا كتابا منزلا
فكتبوا بايديهم ثم قالوا للسفلة الجهال هذا من عند الله سماهم اميين لجحودهم كتب الله ورسله اسناده ضعيف وقوله الا اماني
اي الا كذبا يتكلمون بالظن بغير ما في كتاب الله هذا قول الاكثر وقال ابو العالية والربيع وقتادة يتمنون على الله ما ليس لهم
فقالوا نحن من اهل الكتاب وليسوا منهم قال ابن جرير والصواب ما نقل عن ابن عباس انهم لا يفقهون من الكتاب الذي انزله الله
لكنهم يتخرصون الكذب والاباطيل زورا وكذبا والتمني ههنا هو تخلق الكذب وتخرصه وقيل المراد بالاماني مشددا او مخففا
ايضا التلاوة استثناء منقطعا كما في قوله تعالى الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته وقول كعب بن مالك تمنى كتاب الله اول ليله
وآخرها لاقى حمام المقادر وقول آخر تمنى كتاب الله اول ليله تمنى داود الزبور على رسل وان هم الا يظنون اي لا يدرون ما فيه

ومنهم اميون مبتدا وخبر اي ومن
اليهود قوم متقلدون لا يعرفون التورية
ولا يحسنون الكتابة جمع امي وهو الذي
لا يكتب ولا يحسب منسوب الى الام
الذي اي هو باق على اصل خلقته
لم يتعلم الكتابة او الى الام اي هو
على ما ولدته امه لم يتعلم من الرجال علما

ويجحدون نبوتك بالظن بغير الحق وقوله فويل للذين يكتبون الكتاب الآية هؤلاء صنف آخر من اليهود وهم الدعاة الى الضلال
بالزور والكذب على الله واكل اموال الناس بالباطل والويل الهلاك والدمار وهي كلمة مشهورة قال سيبويه الويل لمن وقع
في الهلكة وويح لمن اشرف عليها وهو تفجع وحزن وقيل الويل صديد في اصل جهنم وقال عطاء واد في اصل جهنم لو سيرت فيه
الجبال لاماعت وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا
قبل ان يبلغ قعره رواه الترمذي وقال حديث غريب قال ابن عباس هم احبار اليهود يقولون هذا من عند الله فيأخذون به ثمنا قليلا
قال الحسن الثمن القليل الدنيا بحذافيرها وقوله فويل لهم مما كتبت ايديهم من الكذب والبهتان وويل لهم مما يكسبون اي من السحت
قال ابن عباس اي مما يأكلون به الناس السفلة وغيرهم **وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم
عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون** هذا اخبار عن اليهود فيما ادعوه لانفسهم من
انهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم ينجون منها فرد الله عليهم بقوله قل اتخذتم عند الله عهدا اي بذلك فان كان قد
وقع فهو لا يخلف وعده ولكن ما جرى هذا ولا كان ولهذا اتى بام التي بمعنى بل اي بل تقولون على الله ما لا تعلمون من الكذب والافتراء
عليه قال ابن عباس ان اليهود كانوا يقولون هذه الدنيا سبعة آلاف سنة وانما يعذب بكل الف سنة يوما في النار وانما هي سبعة
ايام معدودات فانزل الله هذه الآية وعنه ايضا انهم قالوا لن تمسنا النار الا اربعين ليلة وهي مدة عبادتهم العجل وانهم زعموا
بان وجدوا في التورية مكتوبا ان ما بين طرفي جهنم مسيرة اربعين سنة فيمكثون فيها اربعين يوما الى ان ينتهوا الى شجرة الزقوم
النابتة في اصل الجحيم وقال عكرمة خاصمت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن ندخل النار الا اربعين ليلة وسيخلفنا اليها
قوم آخرون يعني محمدا واصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على رؤسهم بل انتم خالدون مخلدون لا يخلفكم اليها احد
فانزل الله هذه الآية وجاء في الصحيح انه عليه الصلوة والسلم سأل اليهود من اهل النار فقالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخسؤوا والله لا نخلفكم فيها ابدا **بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون**
اي ليس الامر كما تمنيتم واشتهيتم بل انه من عمل سيئة واحاطت به خطيئته ووافى يوم القيمة وجميع اعماله سيئات فهو من اهل النار
والذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا بمقتضى الشريعة فهو من اهل الجنة وهذا شبيه بقوله تعالى ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب
الى قوله نقيرا قال ابن عباس بلى من كسب سيئة اي عمل مثل اعمالكم وكفر بمثل ما كفرتم به حتى يحيط به كفره فما له من حسنة وعنه قال
الكفر وعن السدي وغيره السيئة الكبيرة من الكبائر وعن الربيع واحاطت به خطيئته قال الذي يموت على خطاياه من قبل ان
يتوب وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم ومحقرات الذنوب فانهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه رواه
احمد وقوله والذين آمنوا قال ابن عباس اي من آمن بما كفرتم وعمل بما تركتم من دينه فله الجنة خالدين فيها يعني ان العقاب و
الثواب مقيم على اهله ابدا لا انقطاع له **واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا
وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ثم
توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون** يذكرهم الله تعالى باوامره واخذ ميثاقهم على ذلك وانهم تولوا عنه
كله واعرضوا عمدا وهم يعرفونه ويذكرونه امرهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وبهذا امر جميع خلقه ولذلك خلقهم كما
نطقت به الآيات البينات ثم بعده حق المخلوقين واكدهم واولاهم بحق الوالدين ولهذا قرن الله كثيرا بين حقه وحق الوالدين

الخطيئة كل ما نهى الله عنه واخبر ان من ارتكبه
دخل النار روي ان رجلا سأل الحسن عن
الخطيئة المحيطة فقال سبحان الله اراك
الا ذا لحية اما تقرأها انظر في المصحف
فكل شيء نهى الله تعالى عنه واوعد عليه بالنار
فهو الخطيئة المحيطة به

مصدرا ومفعول به
وهو عطف على معنى
لا تعبدون اي وقلنا
لهم احسنوا بالاب والام
او وصينا بان تحسنوا اليهما
احسانا او قلنا لهم افعلوا
بهما احسانا اي تلطفا
وبرا لا عنفا معهما فيما
لا يخالف الرافة

فى الآيات الواضحات و فى الصحيحين عن ابن مسعود قال قلت يا رسول الله اى العمل افضل قال الصلوة لوقتها قلت ثم اى قال بر الوالدين قلت ثم اى قال الجهاد فى سبيل الله وذى القربى اي القرابة يعني صلة الرحم و اليتامى وهم الصغار الذين لا كاسب لهم من الاباء و المساكين هم الذين لا يجدون ما ينفقون على انفسهم و اهليهم و سياتى الكلام على هذه الاصناف عند آية النساء التى امرنا الله بها صريحا فى قوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا الآية و قوله وقولوا للناس حسنا اي كلموهم طيبا و لينوا لهم جانبا و ل الحسن فالحسن من القول ان تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتحلم و تعفو و تصفح وكل خلق حسن رضيه الله و فى مسلم وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحقرن من المعروف شيئا و ان لم تجد فالق اخاك بوجه طلق و قد جمع الله فى هذه الاية بين طرفى الاحسان الفعلى و القولى بان امرهم ان يقولوا للناس حسنا بعد ما امرهم بالاحسان اليهم بالفعل ثم اكد الامر بعبادته و الاحسان الى الناس بالمتعين من ذلك وهو الصلوة و الزكوة فقال و اقيموا الصلوة وآتوا الزكوة و اخبر انهم تولوا عن ذلك كله اي تركوه وراء ظهورهم و اعرضوا عنه عمدا بعد العلم به الا قليلا منهم و قد امر الله هذه الامة بنظير ذلك فى سورة النساء بقوله و اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا الى قوله فخورا فقامت هذه الامة من ذلك بما لم تقم به امة من الامم قبلها و لله الحمد و المنة

وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان ياتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحيوة الدنيا ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون

هذا انكار على اليهود الذين كانوا فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة و ما كانوا يعانونه من القتال مع الاوس و الخزرج وهم الانصار كانوا فى الجاهلية عباد الاصنام وكانت بينهم حروب كثيرة وكانت يهود المدينة بنى قينقاع و النضير حلفاء الخزرج وبنو قريظة حلفاء الاوس فكانت العرب اذا نشبت بينهم قاتل كل فريق مع حلفائه فيقتل اليهودى اعداءه و قد يقتل اليهودى الاخر من الفريق الاخر وذلك حرام فى دينه ونص كتابه و يخرجونهم من بيوتهم و ينهبون ما فيها من الاثاث و الامتعة و الاموال ثم اذا وضعت الحرب اوزارها استفكوا الاسارى من الفريق المغلوب و افتدوا عملا بحكم التورية و لهذا قال تعالى و اذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم اي لا يقتل بعضكم بعضا ولا يخرجه من منزله ولا يظاهر عليه لان اهل الملة الواحدة بمنزلة النفس الواحدة كما قال عليه الصلوة و السلم مثل المؤمنين فى توادهم و تراحمهم و تواصلهم بمنزلة الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى و السهر ثم اقررتم بمعرفة هذا الميثاق وصحته و انتم تشهدون و قوله ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم قال ابن عباس انباهم الله بذلك من فعلهم و قد حرم عليهم فى التورية سفك دمائهم و افترض عليهم فيها فداء اسراهم بان لا يجدوا اسيرا من بنى اسرائيل ذكرا او انثى الا كان يجب عليهم ان يشتروه و يعتقوه و ان كانوا اعداء و قد سبق انهم كانوا فريقين بعضهم حلفاء بعض من الاوس و الخزرج و اذا وقعت تظاهر كل واحد من الفريقين حلفاءه على اخوانه حتى تسافكوا دماءهم بينهم ثم انهم كانوا يفتدون اسراءهم و يبطلون ما اصابوا من الدماء و يقتلون من قبل منهم فيما بينهم مظاهرة لاهل الشرك عليهم فانباهم الله بقوله افتؤمنون ببعض الكتاب و تكفرون ببعض اي تفادونهم بحكم التورية و تقتلونهم و فى التورية ان لا يفعل هكذا و فى الاية الكريمة ذم لليهود فى قيامهم بامر التورية و مخالفة شرعها مع معرفتهم بذلك وشهادتهم

اي واحسنوا الى صاحب القرابة وهو مصدر كالرجعى

اي قامت الحرب و اشتعلت

جيرانه قبليهم الى الخروج دارهم

قوله ثم انتم هؤلاء اي يا هؤلاء اي ما كيد لانتم
او بمعنى الذين و هو خبر انتم و ثم للاستبعاد
لما ارتكبوه من القتل و الاجلاء و العدوان بعد اخذ
الميثاق عليه و الاقرار و الشهادة عليه
تقتلون انفسكم خبر انتم او صلة هؤلاء
او حال والعامل فيها معنى الاشارة اي يقتل
بعضكم بعضا وهم وانتم كنفس واحدة
وتخرجون فريقا منكم من ديارهم الضعفاء
منهم كانكم تخالفون عهد الله ولا تراعون ميثاقه
فيقتل بعضكم بعضا ويخرجه من داره تظاهرون عليهم اي
تتعاونون عليهم الفريق الذي هو اهل ملتكم بالاثم والعدوان
بالمعصية و الظلم المستحق عليه اللوم وان ياتوكم اي هؤلاء المغلوبون

له بالصحة فلهذا لا يؤتمنون على ما فيها ولا على نقلها ولا يصدقون فيما يكتمونه من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم و نعته و مبعثه و مخرجه وغير ذلك من شؤونه التى قد اخبرت بها الانبياء قبله و اليهود لعنهم الله يتكاتمونه بينهم و لهذا قال تعالى فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحيوة الدنيا اي بسبب مخالفتهم شرع الله و امره و يوم القيمة يردون الى اشد العذاب جزاء على ما كتموه من كتاب الله الذى بايديهم و ما الله بغافل عما تعملون اولئك الذين اشتروا اي استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة و اختاروها فلا يخفف عنهم العذاب اى لا يفتر عنهم ساعة واحدة ولا هم ينصرون اى ليس لهم ناصر ينقذهم مما هم فيه من العذاب الاليم و لا يجيرهم منه

ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون

نعتهم الله بالعتو و العناد و المخالفة و الاستكبار على الانبياء وانهم انما يتبعون اهواءهم فذكر تعالى انه آتى موسى التورية فحرفوها و بدلوها و خالفوا امرها و ارسل الرسل الذين يحكمون فى شريعته من بعده و هو المراد بقوله وقفينا من بعده بالرسل اي اتبعنا و اردفنا حتى ختمهم بعيسى بن مريم فجاء بما يخالف التورية فى بعض الاحكام و اعطاه من البينات وهى المعجزات قال ابن عباس من احياء الموتى و خلقه من الطين كهيئة الطير و نفخه فيها فيكون طيرا باذن الله و اخباره بالغيوب و قوله و ايدناه بروح القدس هو جبريل عليه السلم فايده به على صدقه فيما جاءهم به فاشتد تكذيبهم و حسدهم و عنادهم له فكانت بنو اسرائيل تعامل الانبياء عليهم السلم اسوء معاملة ففريقا يكذبونه و فريقا يقتلونه و ذلك قوله افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى الآية قال ابن مسعود و ابن عباس و اكثر الائمة روح القدس هو جبريل ودليله مع قوله تعالى قل نزله الروح الامين على قلبك ما فى البخارى تعليقا عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع لحسان بن ثابت منبرا فى المسجد فكان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ايد حسان بروح القدس كما نافح عن نبيه و فى بعض الروايات قال لحسان اهجهم او هاجهم و جبريل معك و فى قول عن ابن عباس روح القدس هو الاسم الاعظم الذى كان عيسى يحيى به الموتى و قيل المراد الانجيل كما جعل القرآن روحا كما قال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا قال ابن جرير و الصواب الاول لانه تعالى اخبر انه ايد عيسى به كما اخبر فى قوله اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك و على والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا و اذ علمتك الكتاب و الحكمة و التورية و الانجيل الآية فذكر انه ايده به فلو كان الروح المؤيد به هو الانجيل لكان فى الآية تكرار لا معنى له والله اعز ان يخاطب عباده بما لا يفيدهم

وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون

قال ابن عباس اي فى اكنة لا تفقه و هى القلوب المطبوع عليها و قيل اي عليها غطاء و غشاوة و لا يخلص اليها ما يقول وقيل اي اوعية علم مملوة به لا نحتاج الى علم محمد و لا غيره و على هذا قراءة من قرا بضم اللام على جمع غلاف و لهذا لعنهم الله بكفرهم اي ليس الامر كما ادعوا بل قلوبهم ملعونة مطبوع عليها كما فى سورة النساء بل طبع الله عليها بكفرهم و اختلفوا فى معنى فقليلا ما يؤمنون فقال بعضهم فقليل من يؤمن منهم و عليه الامام الرازى و قيل فقليل ايمانهم يعنى انهم يؤمنون بما جاء به موسى من امر المعاد و الثواب و العقاب ولكنه لا ينفعهم لانه مغمور بما كفروا به من الذى جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم و قيل انما كانوا غير مؤمنين بشئ و انما قال فقليلا ما يؤمنون و كلهم كافرون كما تقول العرب قل ما رايت مثل هذا قط يريد ما رايت مثل هذا قط و الله اعلم

ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين

اي ولما جاء اليهود القرآن

ليس يخفف عنهم العذاب لا يزول عنهم ولا يفتر

واشتروا لذاتهم الدنيا ولذاتها بنعيم الآخرة ورغبوا عنها واختاروا عليها [illegible]

قوته بروح القدس والمراد به تاييده

الذي أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم مصدق لما معهم يعني التورية وقد كانوا من قبل مجي محمد هذا الرسول بهذا الكتاب
يستنصرون بمجيئه على اعدائهم من المشركين اذا قاتلوهم يقولون انه سيبعث نبي في آخر الزمان نقتلكم معه وفي رواية انهم
كانوا يدعون ويقولون اللهم انا نسالك بحق النبي الامي الذي وعدتنا خروجه في آخر الزمان الا نصرتنا عليهم فينصرون
قال بعض الانصار فينا والله وفي اليهود الذين كانوا جيراننا نزلت هذه الآية فانا قد علوناهم دهرا في الجاهلية ونحن
اهل الشرك وهم يقولون ان نبيا سيبعث الآن قد اظل زمانه فنتبعه ونقاتلكم معه قتل عاد وارم فلما بعث الله رسوله
من قريش واتبعناه كفروا به يقول الله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فقال لهم بعض الانصار يا معشر اليهود اتقوا الله و
اسلموا فانه هو الذي تستفتحون عليهم به اي تستظهرون وتصفون بصفته قال سلام بن مشكم ما جاءنا بشي نعرفه وما هو بالذي
كنا نذكر لكم فانزل الله ذلك قوله فلعنة الله على الكافرين اي بما عاندوا وانكروا الحق بئسما اشتروا به انفسهم ان
يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب و
للكافرين عذاب مهين اي بئس ما باعوا به انفسهم واعتاضوا لانفسهم ورضوا به من الكفر بما انزل على محمد صلى الله عليه و
سلم وكتمان ما جاء به من الحق بالباطل وترك تصديقه ومؤازرته حسدا وبغيا وكراهية لان ينزل الله من فضله وكرامته على من
يشاء من عباده بان يجعله من غيرهم فباؤا بغضب على غضب اي فاستوجبوا واستقروا وغضب الله عليهم بكفرهم بالانجيل وعيسى
ثم غضب عليهم بكفرهم بمحمد والقرآن هذا عن ابن عباس واصحابه وللكافرين عذاب مهين لما كان سبب كفرهم البغي والحسد
ومنشأ ذلك الكبر قوبلوا بالاهانة والصغار في الدارين كما قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين
وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون يوم القيمة امثال الذر في صور الناس يعلوهم كل شي
من الصغار حتى يدخلوا سجنا في جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الانيار يسقون من طينة الخبال عصارة اهل النار في النار
رواه احمد والترمذي واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه
وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ولقد جاءكم
موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون اي واذا قيل لليهود وامثالهم من اهل الكتاب آمنوا
بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه واتبعوه قالوا نؤمن بما انزل علينا اي يكفينا الايمان بالتورية والانجيل ويكفرون
بما بعده وهو الحق حال كونه مصدقا لما معهم وهم يعلمون ان ما انزل عليه هو الحق من التورية لا اصل قل فلم تقتلون اي
ان كنتم صادقين في دعواكم الايمان بما انزل اليكم فلم قتلتم الانبياء الذين جاؤكم بتصديق التورية والحكم بها وانتم تعلمون صدقهم
وقد حرم الله فيها قتلهم بل امركم فيها باتباعهم وتصديقهم وذلك من الله تعيير وتكذيب لهم وقوله ولقد جاءكم موسى
بالبينات هي الآيات الواضحة والدلائل القاطعة على رسالته وهي معجزاته الباهرة المشهورة ثم اتخذتم العجل اي معبودا من دون
الله في زمان موسى وايامه بعدما ذهب عنكم الى الطور لما جاءه الحق وانتم ظالمون فيما صنعتموه من عبادتكم العجل وانتم تعلمون
انه لا اله الا الله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا
قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين
هذا تعداد خطاياهم عليهم ومخالفتهم للميثاق وعتوهم الى ان رفع الله عليهم الطور ليهلكوهم به حتى قبلوه ثم خالفوه
ولهذا قال قالوا سمعنا وعصينا وقد تقدم تفسيره وقوله واشربوا اي قال قتادة اشربوا في قلوبهم حبه حتى خلص ذلك
الى قلوبهم اي في حال عبادتهم اياه وعن ابي الدرداء قال قال النبي صلى الله عليه وسلم حبك الشي يعمي ويصم رواه ابو داود

اي الذي علموه في التورية من ارسال
النبي وانزال الكتاب وجواب لما
كفروا به اي جحدوا نبوته وكذبوه
حسدا وحرصا على الرياسة

بئس فعل ماض لا تتصرف تصرف الافعال
وضع للذم كنعم للمدح وما نكرة موصوفة
شيا او الشي الذي باعوا به
حظ انفسهم من الجنان والمخصوص بالذم
ان يكفروا بما انزل الله

اي واذكروا حين اخذنا منكم عهدكم على
قبول الحق ورفعنا فوقكم الطور اي الجبل
حين امتنعتم من قبول التورية خذوا ما
آتيناكم بقوة اي وقلنا لكم اقبلوا ما اعطيناكم
من الكتاب بجد واجتهاد واسمعوا اي
ما امرتم به من احكام التورية سماع تقبل
وطاعة متمكنين منه وناوين العمل بموجبه
قالوا سمعنا اي فهمنا بالآذان وعصينا
اي ما امرنا فيها بالقلوب حيث قالوا في الجواب
سمعنا ما قال ربنا ولكن لا سماع طاعة

وعن السدي

وعن السدي قال اخذ موسى العجل فذبحه بالمبرد ثم ذراه في البحر فانتشر فيه ثم قال لهم اشربوا منه فشربوا فمن كان يحبه خرج
على شاربيه الذهب فذلك قوله واشربوا في قلوبهم العجل وقوله قل بئسما يامركم به ايمانكم اي بئسما تعتقدونه قديما وحديثا
من كفركم بآيات الله ومخالفتكم الانبياء ثم كفركم بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا اكبر ذنوبكم واشد الامور عليكم فكيف
تدعون لانفسكم الايمان وقد فعلتم ما فعلتم من القبائح قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة
من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم
بالظالمين ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف
سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون قال ابن عباس يقول الله لنبيه
صلى الله عليه وسلم قل لهم ان كانت لكم الدار الآخرة الآية فتمنوا اي ادعوا بالموت على اي الفريقين اكذب منهم او من المسلمين
فابوا ذلك عليه والله عليم بالظالمين اي بعلمهم بما عندهم من العلم بك والكفر بذلك ولو تمنوا الموت ذلك اليوم ما بقي
على وجه الارض يهودي الا مات وقال ابن جرير بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان اليهود تمنوا الموت
لماتوا ولراوا مقاعدهم من النار ولما نكلوا عن ذلك علم كل احد انهم ظالمون اذ لو كانوا جازمين بما هم فيه لاقدموا عليه
فلما تاخروا علم كذبهم ولما كانت الحيوة عندهم عزيزة عظيمة لما كانوا يعلمون من سوء ما لهم بعد الموت باهلهم بالموت ولهذا
قال تعالى ولن يتمنوه ابدا وقوله ولتجدنهم احرص الناس على حيوة اي على طول عمر لما يعلمون من مآلهم السيء وعاقبتهم الخاسرة
عند الله لان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فهم يودون لو تاخروا عن مقام الآخرة بكل ما امكنهم وما يحذرون واقع لا محالة
حتى انهم احرص من المشركين الذين لا كتاب لهم وهذا من باب عطف الخاص على العام قال ابن عباس ومن الذين اشركوا الاعاجم
وقال الحسن البصري المنافق احرص الناس على الحيوة من المشرك يود احدهم اي احد اليهود يدل عليه سياق الآية وقال ابو العالية
يعني المجوس قال ابن عباس يود احدهم لو يعمر الف سنة هو قول الفارسي زه هزار سال يقول عش الف سنة وما هو بمزحزحه اي
ما هو بمنجيه من العذاب وذلك لان المشرك لا يرجو خيرا بعد الموت فيحب طول الحيوة واليهودي قد عرف ما له في الآخرة من الخزي
قال ابو العالية وابن عمر فما ذاك بمغنيه من العذاب ولا بمنجيه منه والله بصير بما تعملون اي خبير بصير بما يعمل عباده من خير وشر
وسيجازيهم باعمالهم قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى
وبشرى للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين
اجمع اهل التفسير ان هذه الآية نزلت جوابا لليهود اذ زعموا ان جبرئيل عدو لهم وان ميكائيل ولي لهم واختلفوا في سبب ما قالوه
فقال بعضهم سببه مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر نبوته كما في مسند احمد عن ابن عباس قال حضرت عصابة
من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القسم حدثنا عن خلال نسالك عنهن لا يعلمهن الا نبي فقال النبي عليه الصلوة والسلام
سلوا عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما اخذ يعقوب على بنيه لئن انا حدثتكم شيئا فعرفتموه لتتابعني على الاسلام فقالوا
ذلك لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوني عما شئتم فقالوا اخبرنا عن اربع خلال نسالك عنهن اخبرنا اي الطعام
حرم اسرائيل على نفسه قبل ان تنزل التورية واخبرنا كيف ماء المراة وماء الرجل وكيف يكون الذكر والانثى واخبرنا بهذا النبي
الامي في التورية ومن وليه من الملكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم عهد الله لئن انا انباتكم لتتابعني فاعطوه ما
شاء من عهد وميثاق فقال نشدتكم بالذي انزل التورية على موسى هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا فطال
سقمه منه فنذر لله نذرا لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب اليه وكان احب الطعام اليه لحمان الابل

بكفرهم حال من ضمير ... اي مخلوطا بكفرهم
او الباء للسببية اي
بسبب كفرهم واعتقادهم

خالصة من دون الناس
اي من غير بني آدم
او من غير محمد واصحابه

ان كنتم صادقين
في دعواكم لان من
ايقن انه من اهل
الجنة اشتاق اليها
وتمنى سرعة الوصول
الى نعيمها واحب التخلص
من الدار التي هي دار
الكدورة والاذى

بما قدمت ايديهم
اي بسبب ذنوبهم موجبات النار
والدخول في دار البوار كتحريف
التورية وتاويل احكام الله على
غير ما هي عليه والكفر بمحمد والقرآن
وغير ذلك من العصيان لعلمهم بكونهم
ابدا مانعهم عن دخول الجنان

و احب الشراب اليه البانها فقالوا اللهم نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد عليهم و انشدكم بالله الذي لا اله الا هو الذي انزل التورية على موسى هل تعلمون ان ماء الرجل ابيض غليظ و ان ماء المراة اصفر رقيق فايهما علا كان له الولد و الشبه باذن الله فاذا علا ماء الرجل ماء المراة كان الولد ذكرا باذن الله و اذا علا ماء المراة ماء الرجل كان الولد انثى باذن الله قالوا اللهم نعم قال اللهم اشهد قال وانشدكم بالذي انزل التورية على موسى هل تعلمون ان هذا النبي الامي تنام عيناه ولا ينام قلبه قالوا اللهم نعم قال اللهم اشهد قالوا انت الآن فحدثنا من وليك من الملكة فعندها نجامعك او نفارقك قال فان وليي جبرئيل ولم يبعث الله نبيا قط الا وهو وليه قالوا فعندها نفارقك لو كان وليك سواه من الملكة لبايعناك وصدقناك قال فما منعكم ان تصدقوه قالوا انه عدونا فانزل الله عز وجل قل من كان عدوا لجبرئيل الى آخره فعندها باؤا بغضب على غضب وروى النسائي و الترمذي نحوه وفيه زيادة ونقصان و في رواية قالوا فانه عدو لنا ولا ياتي الا بالحرب و الشدة و القتال فنزلت الآية و في البخاري قال عكرمة جبر و ميك واسراف عبد و ايل الله عن انس بن مالك قال سمع عبدالله بن سلام بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ارض يخترف فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة و ما اول طعام اهل الجنة و ما ينزع الولد الى ابيه او الى امه قال اخبرني جبرئيل بهن آنفا قال جبرئيل قال نعم قال ذاك عدو اليهود من الملكة فقرا هذه الآية من كان عدوا لجبرئيل فانه نزله على قلبك اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب و اما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت و اذا سبق ماء الرجل ماء المراة نزع الولد واذا سبق ماء المراة نزعت قال اشهد ان لا اله الا الله و اشهد انك رسول الله يا رسول الله ان اليهود قوم بهت و انهم ان يعلموا باسلامي قبل ان تسالهم يبهتوني فجاءت اليهود فقال اي رجل عبدالله ابن سلام فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا و سيدنا و ابن سيدنا قال ارايتم ان اسلم عبدالله بن سلام فقالوا اعاذه الله من ذلك فخرج عبدالله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا فانتقصوه قال هذا الذي كنت اخاف يا رسول الله هذا سياق البخاري ولمسلم نحوه وقريب منه وعن بعضهم ان ايل عبارة عن عبد و الكلمة الاخرى هي اسم الله لان كلمة ايل لا تتغير في الجميع فوزانه عبدالله عبد الرحمن عبد الملك عبد القدوس فعبد موحد في ذلك و اختلفت الاسماء المضاف اليها وكذلك جبرئيل و ميكائيل ونحوهما و في كلام غير العرب تقدموا المضاف اليه على المضاف والله اعلم و قال آخرون بل سبب قبلهم ذلك منا ظلمة جرت بينهم و بين عمر بن الخطاب في امر النبي صلى الله عليه وسلم و ذلك نقل بروايات كلها في الاصل قريب مما مضى والله اعلم و اما قوله تعالى قل من كان عدوا لجبرئيل اي من عادى جبرئيل فانه الروح الامين نزل بالذكر الحكيم على قلبك من الله باذنه له في ذلك فهو ملك رسول من رسل الله و من عادى رسولا فقد عادى جميع الرسل كما ان من كفر برسول فانه يلزمه الكفر بجميع الرسل كما قال تعالى ان الذين يكفرون بالله و رسله و يريدون ان يفرقوا بين الله و رسله الى قوله مهينا فحكم عليهم بالكفر المحقق اذ آمنوا ببعضهم و كفروا ببعضهم و كذلك من عادى جبرئيل فانه عدو لله لان جبرئيل لم ينزل بامر من تلقاء نفسه و انما نزل بامر ربه كما قال و ما نتنزل الا بامر ربك الآية و في البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب و لهذا غضب الله لجبرئيل على من عاداه فقال من كان عدوا لجبرئيل الآية و قوله لما بين يديه اي الكتب المتقدمة و هدى وبشرى اي هداية لقلوبهم و بشارة لهم بالجنة و ليس ذلك الا للمؤمنين و قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته و رسله اي من عاداني و ملائكتي و رسلي من الملكة و البشر و عطف جبرئيل و ميكائيل عليها من باب عطف الخاص على العام استنصارا لجبرئيل لانه كان سفيرا بين الله و انبيائه و قرن معه ميكائيل لفظا اعلاما لليهود بان من عادى واحدا منهما

انما خص القلب بالذكر لانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم و العلم و التدبر و الحفظ و الوعي وكان حقه على قلبي لوله قل ولكنه جاء على حكاية كلام الله كما تكلم به كانه قال قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبرئيل فانه نزله على قلبك ه

مصدقا اي لما ... لما قبله من الكتب المتقدمة حال من ضمير نزل و هو الهاء وكذلك هدى وبشرى [illegible]

... عن جبرئيل فقالوا هو عدونا يطلع محمدا على سرنا و هو صاحب كل خسف و سنة و عذاب و شدة وان ميكائيل يجي بالخصب و الرخاء و السلم فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبرئيل و هو عن يمينه و ميكائيل عن يساره فقال عمر اني اشهد ان من كان عدوا لجبرئيل فهو عدو لميكائيل ومن كان عدوا لهما فان الله عدو له نزل من كان عدوا لله اي مبغضا ه

فقد عادى الآخر لانه ايضا كان ينزل على الانبياء احيانا لكن جبرئيل اكثر و لا منه لانه كان موكلا بالهدى و ميكائيل بالقطر و النبات كما ان اسرافيل موكل بالقبور و نفخ الصور وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما قال اسم جبرئيل و ميكائيل من اسمائكم عبدالله و عبيدالله و كل اسم مرجعه الى ايل فهو الى الله و قيل اسم جبرئيل في الملكة خادم الله وقوله فان الله عدو للكافرين انما اظهر اسم الله ههنا في موضع الاضمار رفعا لهذا المعنى و اعلاما لهم بان من عادى وليا لله فقد عادى الله و من عادى الله فان الله عدو له وهو حينئذ فقد خسر الدنيا و الآخرة كما قال الشاعر:

لا ارى الموت يسبق الموت شيء ۔ يسبق الموت ذا الغنى و الفقيرا

و قال آخر:

ليت الغراب يغب دائبا كان الغراب مقطع الاوداج ۔

و في الحديث اني لاثار لاوليائي كما يثار الليث الحرب والله اعلم

ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون او كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمن وما كفر سليمن ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتريه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون ولو انهم امنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون

اي لقد انزلنا اليك يا محمد علامات واضحات دالة على نبوتك وهي ما حواه كتاب الله من خفايا علم اليهود و مكنونات سرائر اخبارهم و انباء عما تضمنته كتبهم التي لم يعلمها الا علماؤهم و ما حرفوا و ابدلوا و اخبرهم مما في التورية فاطلع الله عليه في القرآن نبيه صلى الله عليه وسلم فكان في ذلك من امره الدلالات القاطعات لمن انصف نفسه اذ من شان كل ذي فطرة صحيحة تصديق من اتى بمثله من غير تعلم تعلمه من بشر كما قال ابن عباس ولقد انزلنا اليك آيات بينات و انت تتلوها عليهم و تخبرهم بها غدوة و عشية و بين ذلك وانت عندهم امي لم تقرا كتابا و تخبرهم بما في ايديهم على وجهه ليكون لهم عبرة و بيانا و عليهم حجة لو كانوا يعلمون وعنه ايضا قال قال ابن صوريا يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه و ما انزل الله عليك من آية بينة فنتبعك فانزل الله و لقد انزلنا اليك آيات الآية و قال مالك بن الصيف حين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخذ الله عليهم من الميثاق و ما عهد اليهم في شانه عليه الصلوة و السلام و الله ما عهد الينا في محمد و لا اخذ علينا ميثاقا فانزل الله او كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم قال الحسن في قوله بل اكثرهم لا يؤمنون نعم ليس في الارض عهد يعاهدون عليه الا نقضوه و نبذوه يعاهدون اليوم و ينقضون غدا و قال قتادة نبذه اي نقضه و النبذ الطرح و الالقاء وقوله و لما جاءهم رسول الآية اي و لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتورية فخاصموه بها فاتفقت التورية و القرآن فنبذوا التورية اي اطرح طائفة منهم كتاب الله الذي بايديهم مما فيه البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم اي تركوه كانهم لا يعلمون ما فيها و اقبلوا على تعلم السحر و اتباعه و اخذوا و اخذوا كتاب آصف و سحر هاروت و ماروت قال قتادة ان القوم كانوا يعلمون و لكنهم نبذوا علمه و كتموه و جحدوا به و قوله تعالى و اتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن في سبب نزوله اقوال عن السلف يقرب معنى بعضها الى بعض و لا تعارض بينها و منها ما قال ابن عباس لما ذهب ملك سليمن ارتد فئام من الجن و الانس و اتبعوا الشهوات فلما رجع الله الى سليمن ملكه و قام الناس على الدين كما كانوا ظهر سليمن على كتبهم فدفنه تحت كرسيه فلما توفي سليمن عليه السلام ظهر الانس و الجن على تلك الكتب قالوا

الثأر والثؤرة الذحل يقال ثأرت القتيل وبالقتيل ثأرا وثؤرة اي قتلت قاتله و يقال ثأرتك بكذا اي ادركت به ثاري منك واثأرت من فلان ادركت ثاري منه واصل الثأر ... وقت الرجل اذا اشتد غضبه ... واشد ...

وما يكفر بها الا الفاسقون اي الكافرون بآياتنا الخارجون عن اوامرنا المتمردون عن اعراضنا

او كلما ... اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا الله او عاهدوا النبي عهدا او هو ان لئن خرج محمد ليؤمنن به وليكونن معه على مشركي العرب فلما بعث نقضوا العهد وكفروا به ه

هذا كتاب من الله نزل على سليمن أخفاه منا فأخذوا به وجعلوه دينا فانزل الله ولما جاءهم رسول الى قوله لا يعلمون واتبعوا
الشهوات التي كانت تتلوا الشياطين وهي المعازف واللعب وكل شيء يصد عن ذكر الله وفي رواية عنه قال كان آصف
كاتب سليمن وكان يعلم الاسم وكان يكتب كل شيء بامر سليمن ويدفنه تحت كرسيه فلما مات سليمن اخرجته الشياطين فكتبوا بين
كل سطرين سحرا وكفرا وقالوا هذا الذي كان سليمن يعمل بها قال فاكفره جهال الناس وسبوه ووقف علماؤهم فلم يزل جهالهم
يسبونه حتى انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم واتبعوا ما تتلوا الشياطين الآية اي واتبعت اليهود الذين اوتوا الكتاب بعد
اعراضهم عن كتاب الله الذي بايديهم ومخالفتهم الرسول عليه الصلوة والسلام ما يرويه ويخبر به وتحدث الشياطين على
ملك سليمن وعداه بعلى لانه ضمن تتلو تكذب قال الحسن البصري قد كان السحر قبل زمان سليمن لان السحرة كانوا في زمن
موسى وسليمن عليه السلم بعده وفي قوم صالح وهم قبل الخليل عليه السلم وقوله تعالى وما انزل على الملكين ببابل هاروت
وماروت ذهب بعض المفسرين الى ان ما في وما انزل نافية كما قال ابن عباس ما انزل عليهما السحر فالمعنى على هذا واتبعوا
ما تتلو الشياطين على ملك سليمن من السحر وما كفر سليمن ولا انزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس
السحر ببابل هاروت وماروت فيكون قوله ببابل هاروت وماروت في المعنى مقدما ويكون المراد بالملكين جبريل و
ميكائيل لان سحرة اليهود كانوا يزعمون ان الله انزل السحر على لسانهما الى سليمن فاكذبهم الله بذلك واخبرهم ان السحر من عمل الشيطان
ولا يعلم الناس ذلك ببابل وان الذي يعلمهم ذلك ببابل رجلان اسم احدهما هاروت واسم الآخر ماروت وهما من الانس
قال ابن جرير انما يعني الذي وادعى ان هاروت وماروت ملكان انزلهما الله الى الارض واذن لهما في تعليم السحر
اختبارا للعباد بعد انه بين لهم على السنة الرسل ان ذلك منهي عنه وانهما كانا مطيعين في ذلك ممتثلا لما امرا به وهذا
غريب جدا واغرب منه قول من قال انهما من الجن قال الضحاك هما علجان من اهل بابل وحينئذ لا انزال بمعنى الخلق لا
بمعنى الايحاء كما في قوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وفي الحديث ما انزل الله داء الا وانزل له دواء وذهب
آخرون الى الوقف على قوله يعلمون الناس السحر وما نافية كما سبق وذهب كثيرون من السلف الى انهما كانا ملكين انزلا من
السماء الى الارض وكان من امرهما ما قدر وفي مسند احمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه سمع نبي الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان آدم لما اهبطه الله الى الارض قالت الملكة اي رب اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء الآية قالوا ربنا نحن
اطوع لك من بني آدم قال الله تعالى هلموا ملكين من الملكة حتى نهبطهما الى الارض ننظر كيف يعملان قالوا ربنا هاروت وماروت
فاهبطا الى الارض ومثلت لهما الزهرة امراة من احسن البشر فجاءتهما فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تكلما بهذه الكلمة
من الاشراك فقالا والله لا نشرك بالله شيئا ابدا فذهبت عنهما ثم رجعت بصبي تحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تقتلا
هذا الصبي فقالا والله لا نقتله ابدا فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تشربا هذا الخمر فشربا
فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي فلما افاقا قالت المرأة والله ما تركتما شيئا ابيتماه علي الا فعلتماه حين سكرتما فخيرا بين عذاب الدنيا
وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا ونقل ابن جرير باسناده الى علي رضي الله عنه يقول كانت زهرة امراة جميلة من اهل فارس
وانها خاصمت الى الملكين هاروت وماروت فراوداها عن نفسها فابت عليهما الا ان يعلماها الكلام الذي اذا تكلم به احد يعرج
به الى السماء فعلماها فتكلمت وعرجت الى السماء فمسخت كوكبا وهذا غريب وروى قصتهما عن ابن عباس نحو مما سبق عن ابن عمر
وفيها فلما ذهب عنهما السكر وعلما ما وقعا فيه من الخطيئة ارادا ان يصعدا الى السماء فلم يستطيعا وحيل بينهما وبين ذلك وكشف
الغطاء ما بينهما وبين السماء فنظرت الملكة الى ما وقعا فيه فعجبوا كل العجب وعرفوا ان من كان في غيب فهو اشد خشية فجعلوا بعد

ولذلك يستغفرون

ذلك يستغفرون لمن في الارض فنزل في الملكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض فلما عاينا حالهما قصدا ادريس عليه السلام
فاخبراه عن امرهما وسألاه ان يستشفع لهما الى الله تعالى ففعل ذلك ادريس فقيل لهما اختارا عذاب الدنيا او عذاب الآخرة فقالا
اما عذاب الدنيا فانه ينقطع ويذهب واما عذاب الآخرة فلا انقطاع له فاختارا عذاب الدنيا فجعلا ببابل وهما يعذبان وفي رواية
عن ابن عمر فعلقا ببابل وجعلا يكلمان الناس كلامهما وهو السحر وعن مجاهد معلقان في الحديد مطويان تصفقان باجنحتهما
وقد روى قصتهما عن جماعة من ائمة التابعين بانواع وطرق وحاصلها راجع الى اخبار بني اسرائيل وليس فيها حديث مرفوع
صحيح الاسناد وقد آمنا بما في القرآن منطوقا ومفهوما والله اعلم وقوله تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة
فلا تكفر قال السدي اذا اتاهما انسان يريد السحر وعظاه وقالا له لا تكفر انما نحن فتنة فاذا ابى قالا له ائت
هذا الرماد فبل عليه فاذا بال عليه خرج منه نور فسطع حتى يدخل السماء وذلك الايمان واقبل شيء اسود كهيئة الدخان
حتى يدخل في مسامعه وكل شيء منه وذلك غضب الله فاذا اخبرهما بذلك علماه السحر وهذا معنى قول ابن عباس في الآية
وقال الحسن نعم انزل الملكان بالسحر ليعلما الناس البلاء الذي اراد الله ان يبتلي به الناس واخذ عليهما الميثاق ان لا يعلما احدا
حتى يقولا انما نحن فتنة اي بلاء ابتلينا به فلا تكفر قال ابن جريج لا يجترئ على السحر الا كافر واما الفتنة فهي المحنة والاختبار
وقد استدل بهذه الآية من يكفر من تعلم السحر مستدلا بقول ابن مسعود من اتى كاهنا او ساحرا فصدقه بما يقول فقد كفر بما
انزل على محمد صلى الله عليه وسلم اسناده صحيح وقوله فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي فيتعلم الناس من هاروت
وماروت من علم السحر ما يعرفون به فيما يتصرفون فيه من الافاعيل المذمومة ما انهم ليفرقون به بين الزوجين مع ما بينهما من
الالفة والمحبة وهذا من صنيع الشياطين وسبب التفريق من ان يخيل بالسحر ما يخيل الى الرجل او المرأة من الآخر من سوء منظر
او خلق ونحوه او عقد او بغضه ونحوه من الاسباب المقتضية للفرقة والمراد بالمرء الرجل وتأنيثه امرأة وقد يثنى كل منهما ولا
يجمعان وما هم بضارين به من احد الا باذن الله اي بقضائه وتخليته بينه وبين ما اراد ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم
اي ليس له نفع يوازي ضرره وقوله ولقد علموا اي ولقد علم اليهود الذين استبدلوا بالسحر عن الاسلام لمن فعل فعلهم ذلك انه ما له في
الآخرة من نصيب وجهة عند الله وليس له دين وقوله ولبئس ما شروا به انفسهم الآية اي ولبئس البدل ما استبدلوا به من
السحر عوضا عن الايمان ومتابعة الرسل لو كان لهم علم بما وعظوا به ولو انهم آمنوا بالله ورسله واتقوا المحارم لكان مثوبة الله على ذلك
خيرا لهم مما اختاروه لانفسهم ورضوا به وهذا دليل آخر على كفر الساحر وهو رواية عن احمد وموافقيه وقيل بل لا يكفر ولكن
حده القتل لما رواه الشافعي واحمد ان بجالة بن عبدة قال كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان اقتلوا كل ساحر وساحرة قال
فقتلنا ثلث سواحر وفي الترمذي عن جندب الازدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حد الساحر ضربه بالسيف وقد صح ان
حفصة ام المؤمنين رضي الله عنها سحرتها جارية لها فامرت بها فقتلت وحمل الشافعي هذا على سحر يكون شركا

فصل

وقد ذكر الوزير ابو المظفر بن هبيرة في كتابه الاشراف بابا في السحر فقال اجمعوا على ان السحر له حقيقة الا ابا حنيفة فانه قال لا
حقيقة له عنده واختلفوا فمن تعلم السحر واستعمله فقال مالك واحمد يكفر بذلك ومن اصحاب ابي حنيفة من قال ان تعلمه ليتقيه او
ليجتنبه فلا يكفر ومن تعلمه معتقدا جوازه او انه ينفعه كفر وكذا من اعتقد ان الشياطين يفعل له ما يشاء فهو كافر وقال الشافعي
اذا تعلم السحر قلنا له صف لنا سحرك فان وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده اهل بابل من التقرب الى الكواكب السبعة وانها تفعل
ما يلتمس منها فهو كافر وان كان لا يوجب الكفر فان اعتقد اباحته فهو كافر قال ابن هبيرة وهل يقتل بمجرد فعله واستعماله فقال مالك
واحمد نعم وقال الشافعي وابو حنيفة لا فاما ان قتل بسحره انسانا فانه يقتل عند مالك والشافعي واحمد وقال ابو حنيفة لا يقتل

آمنوا م

حتى تكرر ذلك منه او تقرر ذلك في حق شخص معين واذا قتل فانه يقتل حدا عندهم الا الشافعي فانه قال يقتل والحالة هذه قصاصا قال وهل اذا تاب الساحر تقبل توبته فقال مالك وابو حنيفة واحمد في المشهور عنهما لا يقبل وقال الشافعي واحمد في الرواية الاخرى تقبل واما ساحر اهل الكتاب فعند ابي حنيفة يقتل كما يقتل الساحر المسلم وقال مالك والشافعي واحمد لا يقتل لقصة لبيد بن الاعصم واختلفوا في المسلمة الساحرة فعند ابي حنيفة انها لا تقتل ولكن تحبس وقال الثلثة حكمها حكم الرجل والله اعلم وقال الزهري يقتل ساحر المشركين لانه عليه الصلوة والسلام سحرته امراة يهودية فلم يقتلها

يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم هذا نهي للمؤمنين عن التشبه بالكافرين في مقالهم وفعالهم وكانوا يتسترون في تقدير الكلام ما هو نقص فاذا ارادوا ان يقولوا اسمع لنا يقولون راعنا مريدين بها تحريف الكلمة والاستهزاء والطعن في الدين كما كانوا اذا سلموا يقولون السام عليك والسام هو الموت ولذلك قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف امري ومن تشبه بقوم فهو منهم رواه احمد وابو داود ففيه دلالة على النهي الشديد والوعيد على التشبه بالكفار في اقوالهم وافعالهم ولباسهم واعيادهم وعباداتهم وغير ذلك من امورهم التي لم تشرع لنا وقال ابن مسعود اذا سمعت الله يقول يا ايها الذين امنوا فارعها سمعك فانه خير يامر به او شر ينهى عنه وقال ابن عباس كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ارعنا سمعك وانما راعنا كقولك عاطنا وكذا قال اكثر التابعين وفي رواية لا تقولوا اسمع منا ونسمع منك وقال الحسن الراعن من القول السخري منه نهاهم الله ان يسخروا من قول محمد صلى الله عليه وسلم وما يدعوهم اليه من الاسلام كان اليهود كانوا يقولونها سخرية واستهزاء وقوله ما يود الذين كفروا بين الله تعالى بذلك شدة عداوة الكافرين من اهل الكتاب والمشركين الذين حذر من مشابهتهم بالمؤمنين ليقطع المودة بينهم وبين الكفار ونبه على ما انعم به على المؤمنين من الشرع التام الذي شرعه لنبيهم صلى الله عليه وسلم حيث يقول والله يختص برحمته من يشاء الاية

ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شي قدير الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير اي ما نبدل او نمحو من اية او نثبت خطها ونبدل حكمها قاله مجاهد وعن بعض التابعين نحوه وقيل هو قبضها ورفعها مثل الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة وقال ابن جرير هو ما ينقل من حكم اية الى غيره فيبدله ويغيره وذلك ان يحول الحلال حراما والحرام حلالا والمباح محظورا وبالعكس ولا يكون ذلك الا في الامر والنهي والحظر والاطلاق والمنع والاباحة واما الاخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ واصل النسخ النقل والتحويل واختلف اهل الاصول في حده والامر فيه قريب معلوم عند العلماء ولخص بعضهم انه رفع الحكم بدليل شرعي متاخر فيه نسخ الاخف بالاثقل وعكسه والنسخ لا الى بدل واما تفاصيل احكامه فتبين في اصول الفقه وكان قراءة الزهري ما ننسخ بضم النون وقوله او ننساها يقرا على وجهين فمن قراها بفتح النون والهمزة بعد السين فمعناه نؤخرها ونتركها قاله ابن عباس واتباعه وقال قتادة كان الله تعالى ينسي نبيه صلى الله عليه وسلم ما يشاء وينسخ ما يشاء وهذا على قراءة الضم وترك الهمزة وقال الحسن ان نبيكم اقرئ قرانا ثم نسيه وقال ابن عباس كان مما ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي بالليل وينساه بالنهار فنزلت الاية وعنه قال قال عمر اقرانا ابي واقضانا علي وانا لندع من قول ابي وذلك ان ابيا يقول لا ادع شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها رواه البخاري وقوله نات بخير منها او مثلها اي في الحكم بالنسبة الى مصلحة المكلفين وقال علي رضي الله عنه اي خير لكم في المنفعة وارفق بكم وقال السدي نات بخير من الذي نسخناه او مثل الذي تركنا وقال قتادة نات باية فيها تخفيف فيها رخصة فيها امر فيها نهي وقوله الم تعلم ان الله على كل شي قدير يرشد الله تعالى بهذا الى انه المتصرف في خلقه بما يشاء فله الخلق والامر وهو المتصرف فكما خلقهم كما يشاء كذلك يحكم في عباده بما يشاء ويفعل ما يريد لا معقب لحكمه ولا يسال عما يفعل ويختبر عباده وطاعتهم لرسله بالنسخ فيامر بالشي لما فيه من المصلحة التي يعلمها تعالى ثم ينهى عنه لما يعلمه تعالى فالطاعة كل الطاعة في امتثال امره واتباع رسله في تصديق ما اخبروا وامتثال ما امروا وترك ما عنه نهوا وفي هذا المقام رد عظيم وبيان بليغ لكفر اليهود وتزييف شبههم لعنهم الله في دعوى استحالة النسخ اما عقلا كما زعم بعضهم جهلا وكفرا واما نقلا كما تخرصه اخرون منهم افتراء وافكا وقوله الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الاية اي الم تعلم يا محمد ان لي ملك السموات والارض وسلطانهما دون غيري احكم فيهما وفيما فيهما بما اشاء من الامر والنهي والنسخ والتبديل والتغيير من احكامي التي احكم بها وعبادي ما اشاء اذا اشاء واقر فيهما ما اشاء قاله ابن جرير ثم قال وهذا الخبر وان كان خطابا لنبيه صلى الله عليه وسلم على وجه الخبر عن عظمته فهو تكذيب لليهود الذين انكروا نسخ احكام التورية وجحدوا نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام لمجيئهما بما جاءا به من عند الله بتغيير ما غير الله من حكم التورية فاخبرهم الله ان له ملك السموات والارض وسلطانهما وان الخلق اهل مملكته وطاعته وعليهم السمع والطاعة لامره ونهيه وان له امرهم بما يشاء ونهيهم عما يشاء ونسخ ما يشاء واقرار ما يشاء قال الشيخ رحمه الله الذي يحمل اليهود على البحث في مسالة النسخ انما هو الكفر والعناد فانه ليس في العقل ما يدل على امتناع النسخ في احكام الله تعالى لانه يحكم ما يشاء كما يفعل ما يريد مع انه قد وقع ذلك في كتبه المتقدمة وشرائعه الماضية كما احل لادم تزويج بناته من بنيه ثم حرم ذلك وكما اباح لنوح بعد خروجه من السفينة اكل جميع الحيوانات ثم نسخ حل بعضها وكان نكاح الاختين مباحا لاسرائيل وبنيه وقد حرم الله ذلك في شريعة التورية وما بعدها واشياء كثيرة يطول ذكرها وهم يعترفون بذلك ويصدفون عنه

ام تريدون ان تسئلوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل نهى الله تعالى في هذه الاية عن كثرة سوال النبي صلى الله عليه وسلم عن الاشياء قبل كونها كما قال لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وقد جاء في الصحيحين النهي عن كثرة السوال وفي صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شي فاجتنبوه وقال انس ابن مالك نهينا ان نسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شي فكان يعجبنا ان ياتي الرجل من اهل البادية فيساله ونحن نسمع وعن ابن عباس قال قال رافع بن حرملة ووهب بن زيد يا محمد ايتنا بكتاب تنزله علينا من السما نقراه وفجر لنا انهارا نتبعك ونصدقك فانزل الله ام تريدون ان تسالوا رسولكم الاية اي بل تريدون او هي على معنى الاستفهام الانكاري وهو يعم المؤمنين والكافرين فانه عليه الصلوة والسلام رسول الله الى الجميع وقال مجاهد كما سئل موسى من قبل ان يريهم الله جهرة سالت قريش رسول الله ان يجعل لهم الصفا ذهبا قال نعم وهو لكم كالمائدة لبني اسرائيل فابوا ورجعوا وعن قتادة والسدي نحوه والمراد ان الله ذمهم على السوال على وجه التعنت والاقتراح كما سالت بنو اسرائيل تعنتا وعنادا وقوله ومن يتبدل الكفر بالايمان اي ومن يشتري الكفر بالايمان فقد خرج عن الطريق المستقيم الى الجهل والضلال وهذا حال الذين عدلوا عن تصديق الانبياء واتباعهم والانقياد لهم الى مخالفتهم وتكذيبهم والاقتراح عليهم بالاسئلة التي لا يحتاجون اليها على وجه التعنت والكفر **ود كثير من**

[illegible]

اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامره ان الله على كل شي قدير واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير يحذر الله تعالى عباده المومنين عن سلوك طريق الكفار واعلمهم بعداوتهم لهم وبما فيهم من الحسد عليهم مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم عليه الصلوة والسلام وامر عباده المومنين بالصفح والعفو والاحتمال حتى ياتي امر الله من النصر والفتح وامرهم باقامة الصلوة وايتاء الزكوة وحثهم على ذلك ورغبهم فيه كما قال ابن عباس كان حيي بن اخطب واخوه ابو ياسر من اشد يهود العرب حسدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانا جاهدين في رد الناس عن الاسلام ما استطاعا فانزل الله فيهما ود كثير من اهل الكتاب الاية وقيل نزلت في كعب بن الاشرف وكان شاعرا يهجو النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس ان رسولا اميا كان يخبرهم بما في ايديهم من الكتب والايات فيجحدونه كفرا وحسدا ولذلك قال كفارا حسدا من عند انفسهم اي من قبل انفسهم من بعد ما اضاء لهم الحق وتبين لهم ان محمدا رسول الله يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل بحيث لم يجهلوا منه شيئا ولكن الحسد حملهم على الجحود فعيرهم الله ووبخهم ولامهم اشد الملامة وشرع لنبيه صلى الله عليه وسلم وللمومنين ما هم عليه من التصديق بما انزل الله عليهم وما انزل من قبلهم بكرامته وثوابه ومعونته لهم وقوله فاعفوا واصفحوا الخ قال ابن عباس نسخه قوله واقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وكذا قاله ابو العالية وقتادة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه يعفون عن المشركين واهل الكتاب كما امرهم ويصبرون على اذاهم حتى ياتي الله بامره اي حتى اذن الله فيهم بالقتل فقتل الله به من قتل من صناديد قريش وقوله واقيموا الصلوة حثهم الله تعالى على الاشتغال بما ينفعهم وتعود عليهم عاقبته يوم القيمة من اقام الصلوة وايتاء الزكوة حتى يمكن الله لهم النصر في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ولهذا قال ان الله بما تعملون بصير يعني ان الله لا يغفل عن عمل عامل ولا يضيع لديه سواء كان خيرا او شرا فانه سبحانه اعلم كل عامل بعمله بانه بصير بجميع اعمالهم ليجدوا في طاعته وينتهوا عن معصيته وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود ليست النصارى على شي وقالت النصارى ليست اليهود على شي وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بين الله تعالى اغترار اليهود والنصارى بما هم فيه حيث ادعت كل طائفة منهم انه لن يدخل الجنة الا من كان على ملتها فرد عليهم تعالى في هذه الدعوى التي لا حجة لها ولا بينة بقوله تلك امانيهم قال ابو العالية اماني تمنوها على الله بغير حق وكذا قال قتادة ثم قال قل يا محمد هاتوا برهانكم اي ايتوا بينتكم على ذلك ان كنتم صادقين فيما تدعونه ثم قال بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن اي اخلص العمل لله وحده لا شريك له قال سعيد بن جبير وجهه اي دينه وهو محسن اي متبع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فان للعمل المتقبل شرطين احدهما ان يكون خالصا لله وحده والاخر ان يكون صوابا موافقا للشريعة ولهذا قال عليه الصلوة والسلام من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد رواه مسلم وقوله فله اجره عند ربه ضمن الله لهم على ذلك تحصيل الاجور وامنهم مما يخافونه من المحذور فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه ولا هم يحزنون على ما مضى فيما يتركونه كما قال ابن جبير لا خوف عليهم في الاخرة ولا هم يحزنون للموت وقوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شي الاية بين الله تعالى تناقضهم وتباغضهم وتعاديهم وتعاندهم قال ابن عباس لما قدم اهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم اتتهم احبار اليهود فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رافع بن حرملة ما انتم على شي

وكفر بعيسى

قالت اليهود للمسلمين بعد وقعة احد الم تروا الى ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم نزل ود كثير من اهل الكتاب

وكفر بعيسى وبالانجيل وقال رجل من اهل نجران لليهود ما انتم على شي وجحد نبوة موسى وكفر بالتورية فانزل الله في ذلك قوله وقالت اليهود الاية وقوله وهم يتلون الكتاب اي وان كلا يتلو في كتابه تصديق من كفر به فان في التورية ما اخذ الله عليهم على لسان موسى بالتصديق بعيسى وفي الانجيل ما جاء به عيسى بتصديق موسى وما جاء به من التورية من عند الله وكل يكفر بما في يدي صاحبه وقال ابو العالية والربيع هذا القول يقتضي ان كلا من الطائفتين صدقت بما رمت به الطائفة الاخرى ولكن سياق الاية يقتضي ذمهم فيما قالوه مع علمهم بخلاف ذلك ولهذا قال تعالى وهم يتلون الكتاب اي وهم يعلمون ان شريعة التورية والانجيل كل منهما قد كانت مشروعة في وقت ولكن تجاحدوا فيما بينهم عنادا وكفرا ومقابلة للفاسد بالفاسد وقوله كذلك قال الذين لا يعلمون قال عطاء هم امم كانت قبل اليهود والنصارى وقبل كتابهم وقال السدي هم العرب قالوا ليس محمد على شي واختار ابن جرير انها عامة تصلح للجميع وليس دليل يخصص بعضا فالحمل على الجميع اولى وقوله فالله يحكم بينهم اي انه تعالى يجمع بينهم يوم المعاد ويفصل بينهم بقضائه العدل الذي لا يجور فيه ولا يظلم مثقال ذرة وهذا كما قال تعالى في سورة الحج ان الذين امنوا والذين هادوا الى قوله شهيد ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اختلفوا فيمن منع على قولين احدهما ما نقل عن ابن عباس انهم النصارى وقال مجاهد كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وقال قتادة في قوله وسعى في خرابها هو بخت نصر البابلي المجوسي واصحابه خرب بيت المقدس واعانه عليه النصارى من الروم وانما اعانوه على ذلك من اجل ان بني اسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا وهذا عن السدي والحسن البصري والثاني ما قال ابن زيد هم المشركون حالوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ان يدخل مكة يوم الحديبية حتى نحر هديه بذي طوى وهادنهم وقال لهم ما كان احد يصد عن هذا البيت فقالوا لا يدخل علينا من قتل اباءنا يوم بدر وفينا باق والسعي في خرابها انهم قطعوا من يعمرها بذكر الله واتيانها للحج والعمرة وعن ابن عباس قال ان قريشا منعوا النبي صلى الله عليه وسلم الصلوة عند الكعبة فانزل الله الاية واختار ابن جرير القول الثاني وقال لان قريشا لم يسع في خراب الكعبة وانما الروم سعوا في خراب بيت المقدس لان دينهم كان اقدم من دين اليهود واما قوله ان قريشا لم تسع في خراب الكعبة فليس كذلك فانهم اخرجوا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه واستحوذوا عليها باصنامهم واندادهم وشركهم كما قال تعالى وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام الاية وقال وما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله الى قوله من المهتدين فاذا كان حالهم هكذا فاي خراب لها اعظم من ذلك وليس المراد من عمارتها زخرفتها واقامة صورتها فقط انما عمارتها بذكر الله واقامة شرعه فيها ودفع الدنس والشرك عنها وقوله اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين هذا خبر معناه امر اي لا تمكنوا هؤلاء اذا قدرتم عليهم من دخولها الا تحت الهدنة او الجزية ولهذا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح في سنة تسع ان ينادي برحاب منى الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقيل الا خائفين اي من المومنين ان يبطشوا بهم وقيل ان هذه بشارة من الله للمسلمين انه سيظهرهم على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد وان يذل المشركين لهم حتى لا يدخل المسجد الحرام احد منهم الا خائفا يخاف ان يوخذ فيعاقب او يقتل ان لم يسلم وقد انجز الله ما وعد كما سبق وانه صلى الله عليه وسلم اوصى ان لا يبقى بجزيرة العرب دينان وان يجلى اليهود والنصارى منها ولله الحمد والمنة وهذا هو الخزي لهم في الدنيا لان الجزاء من جنس العمل كما صدوا المومنين عن المسجد الحرام واما من فسره ببيت المقدس فقال كعب الاحبار ان النصارى لما ظهروا على بيت المقدس خربوه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم انزل عليه هذه الاية وليس في الارض نصراني يدخل بيت المقدس الا

لهم في الدنيا خزي ولهم
في الاخرة عذاب عظيم
الدوام في النار
بكفرهم

ومن ان يسبح المصلين والذاكرين ان يصلون
ويذكروا الله فيها والخراب اسم للتخريب
كالسلام اسم للتسليم وجمع المساجد
وان وقع المنع والتخريب على مسجد واحد
ليعم الحكم للجميع

وقيل المراد بالمساجد جميع المساجد
او الارض كلها لانها مساجد

ما ينبغي لهؤلاء الكفار دخول تلك المساجد
الا على حال الخوف من المومنين ان
يبطشوا بهم فضلا ان يجترؤا على
تخريبها ومنع المومنين منها

وقيل الخزي قتل الحربي وسبي
الذراري والذلة والجزية
على الذمي

قال العلماء زعم اليهود ان الله سبحانه لما خلق الارض صعد الى السماء
من الصخرة فاتخذوها قبلة والنصارى يستقبلون المشرق لولادة
مريم من جهة شرقية

وهو خائف ان تضرب عنقه او أُخيف باداء الجزية و الاهانة بها قيل وكذلك اليهود لما عصوا الله فيه اتصفا اعظم من عصيان النصارى كانت عقوبتهم فيه اعظم و فسر طائفة الخزي في الدنيا بخروج المهدي و ق ل قتادة باداء الجزية عن يد وهم صاغرون و الصحيح ان الخزي في الدنيا اعم من ذلك كله و قد ورد في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو اللهم احسن عاقبتنا في الامور كلها و اجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة حديث حسن رواه احمد **ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم** هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الذين اخرجوا من مكة و فارقوا مسجدهم و مصلاهم و قد كان عليه الصلوة والسلام يصلي بمكة الى بيت المقدس و الكعبة بين يديه فلما قدم المدينة توجه الى بيت المقدس ستة عشر او سبعة عشر شهرا ثم صرفه الله الى الكعبة بعد ولهذا قال ولله المشرق و المغرب و عن ابن عباس قال اول ما نسخ من القرآن شان القبلة قال الله ولله المشرق و المغرب الآية فصلى نحو بيت المقدس كما مر ثم صرفه الله الى البيت العتيق و نسخها فقال ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام الآية وقوله فاينما تولوا ق ل مجاهد حيث ما كنتم فلكم قبلة تستقبلونها الكعبة وقيل بل نزلت هذه الآية اذنا من الله ان يصلي التطوع حيث توجه من شرق او غرب في مسيره و في حال شدة الخوف وكان ابن عمر يصلي حيث توجهت به راحلته ويذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك رواه مسلم وحديث صلوة الخوف في البخاري على طبق الآية مبين و ق ل آخرون بل نزلت في قوم عميت عليهم القبلة فلم يعرفوا شطرها فصلوا على انحاء مختلفة فنزلت الآية اعلاما بذلك ان صلوتهم ماضية عن عامر بن ربيعة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة سوداء مظلمة فنزلنا منزلا فجعل الرجل ياخذ الاحجار فيعمل مسجدا يصلي فيه فلما ان اصبحنا اذا نحن قد صلينا على غير القبلة فقلنا يا رسول الله لقد صلينا ليلتنا هذه لغير القبلة فانزل الله ولله المشرق و المغرب الآية ق ل الترمذي حديث حسن ليس اسناده بذاك و في اعادة الصلوة لمن تيقن خطاه قولان اصحهما يعيد والله اعلم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين المشرق والمغرب قبلة اي لاهل المدينة و اهل الشام و اهل العراق وله مناسبة ههنا رواه الترمذي و قال حديث حسن صحيح ق ل ابن جرير و يحتمل فاينما تولوا وجوهكم في دعائكم لي فهنالك وجهي استجيب لكم دعاءكم ان الله واسع يسع خلقه كلهم بالكفاية و الافضال و اما قوله عليم اي بعمالهم ما يغيب عنه منها شيء ولا يعزب عن علمه بل هو بجميعه عليم والله اعلم **وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون** هاتان الآيتان رد على النصارى ومن اشبههم من اليهود ومشركي العرب ممن جعل الملئكة بنات الله فكذبهم الله في دعواهم و قولهم ان لله ولدا فقال سبحانه اي تقدس وتنزه و تعالى عن ذلك علوا كبيرا بل له ما في السموات اي ليس الامر كما افتروا وانما له ملك السموات و الارض ومن فيهن وهو خالقهم و المتصرف فيهم و رازقهم و مقدرهم و مسخرهم و مصرفهم كما يشاء والجميع عبيد له فكيف يكون له ولد منهم و الولد انما يكون بين شيئين متناسبين والله تعالى ليس له نظير ولا شبيه ولا صاحبة له كما قال بديع السموات والارض انى يكون له ولد الآية وغيرها من الآيات الظاهرة في ذلك الناطقة به و في البخاري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فيزعم اني لا اقدر ان اعيده كما كان و اما شتمه اياي فقوله لي ولد فسبحاني ان اتخذ صاحبة او ولدا و في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ق ل لا احد اصبر على اذى يسمعه من الله انهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم و يعافيهم وقوله كل له قانتون اي مقرون له بالعبودية و الاخلاص مطيعون يوم القيمة كائنا ما كان قاله عكرمة و آخرون و القنوت هو الطاعة و الاستكانة الى الله وعن ابي سعيد الخدري مرفوعا كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة رواه احمد و قوله

جوز ابو حنيفة واصحابه دخول المسجد الحرام
وغيره للمشركين ومنعه مالك مطلقا والشافعي
لا يجوزه في المسجد الحرام ويجوزه في غيره

المعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام
او بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا
فصلوا في اي بقعة من بقاعها شئتم

من السعة ويستعمل حقيقة في المكان
ومجازا في العلم والانعام والكلفة و
الغنى التام والمعنى انه تعالى موسع
الجود والفضل لا حاجة به بجميع الاشياء
او موسع النعمة على عباده في الدنيا و
موسع الرحمة والمغفرة عليهم في العقبى
او موسع الشريعة فانه وسع على عباده في دينهم
رخصة ولا يضطرهم الى ما يعجزون عن ادائه
تعطفا ورحمة

بديع السموات والارض اي خالقهما على غير مثال سبق وهو مقتضى اللغة ومنه يقال للشيء المحدث بدعة ق ل ابن جرير اي مبدعها يعني منشئها و المحدث ما لم يسبقه الى انشاء مثله و احداثه احد و قوله واذا قضى امرا يبين بذلك تعالى كمال قدرته وعظم سلطانه و انه اذا قدر امرا واراد كونه فانما يقول له كن مرة واحدة فيكون اي فيوجد على وفق ما اراد كما في غيره من الآيات البينات و ق ل الشاعر اذا ما اراد الله امرا فانما يقول له قوله كن فيكون ونبه الله تعالى بذلك ايضا على انه خلق عيسى بكلمة كن فكان كما امره الله كما قال ان مثل عيسى عند الله الآية **وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون** عن ابن عباس قال قال رافع بن حريملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ان كنت رسولا من الله كما تقول فقل لله فليكلمنا حتى نسمع كلامه فانزل الله هذه الآية و هذا ما قاله النصارى و ق ل ابو العالية و اقرانه هذا قول كفار العرب كذلك قال الذين من قبلهم قالوا هم اليهود و النصارى و يؤيد ذلك قوله تعالى لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله هل كنت الا بشرا رسولا وغيره من الآيات الدالة على كفر مشركي العرب وعتوهم وسؤالهم ما لا حاجة لهم به و قوله تشابهت قلوبهم اي اشتبهت قلوب مشركي العرب قلوب من تقدمهم في الكفر و العناد و العتو وقوله قد بينا الآيات اي قد اوضحنا الدلالات على صدق الرسل بما لا يحتاج معها الى سؤال آخر و زيادة اخرى لمن ايقن وصدق الرسل و فهم ما جاءوا به عن الله تعالى **انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسال عن اصحاب الجحيم** اي بشيرا بالجنة ونذيرا بالنار و قوله ولا تسال قراه بعضهم بضم التاء على الخبر و في قراءة ابي بن كعب وما تسال و في قراءة ابن مسعود ولن تسال نقلهما ابن جرير اي لا نسالك عن كفر من كفر بك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وكقوله فذكر انما انت مذكر و غيره من الآيات و قرا آخرون ولا تسال بفتح التاء على النهي اي لا تسال عن حالهم كما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليت شعري ما فعل ابواي ثلاث مرات فنزلت ولا تسال عن اصحاب الجحيم فما ذكرهما حتى توفاه الله تعالى وهذا محمول على انه كان في حال استغفاره لهما قبل ان يعلم حالهما فلما علم ذلك تبرأ منهما واخبر عنهما انهما من اهل النار و عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التورية فقال اجل والله انه لموصوف في التورية بصفته في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل لا فظ ولا غليظ و لا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن نقبضه حتى نقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله فيفتح به اعينا عميا و آذانا صما و قلوبا غلفا رواه البخاري و احمد **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون** اي ليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك ابدا فدع طلب ما يرضيهم و يوافقهم و اقبل الى طلب رضى الله في دعائهم الى ما بعثك به من الحق و قل ان هدى الله الذي بعثني به هو الهدى اي الدين المستقيم الصحيح الكامل ق ل قتادة في قوله قل ان هدى الله هو الهدى خصومة علمها الله محمدا صلى الله عليه وسلم و اصحابه يخاصمون بها اهل الضلالة و قد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا تزال طائفة من امتي يقتتلون على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى ياتي امر الله رواه عبد الله بن عمرو في الصحيح وقوله ولئن اتبعت اهواءهم فيه تهديد و وعيد شديد للامة عن اتباع طرائق اليهود و النصارى بعد ما علموا من القرآن و السنة

عاذا بالله من ذلك فان الخطاب مع الرسول عليه الصلوة والسلام والمراد الامة وقوله الذين اتيناهم الكتاب هم
اليهود والنصارى وقوله يتلونه حق تلاوته كان عمر بن الخطاب اذا مر بذكر الجنة سال الله الجنة واذا مر بذكر النار
تعوذ بالله من النار وقال ابن مسعود والذي نفسي بيده ان حق تلاوته ان يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأه كما انزل الله
ولا يحرف الكلم عن مواضعه ولا يتاول منه شيئا على غير تاويله وعنه ابن عباس وقال الحسن يعملون بمحكمه ويؤمنون
بمتشابهه ويكلون ما اشكل عليهم الى عالمه وقوله اولئك يؤمنون به اي من اقام كتابه من اهل الكتب المنزلة على الانبياء
المتقدمين حق اقامته آمن بما ارسلناك به يا محمد كما قال ولو انهم اقاموا التورية الاية وقال قل يا اهل الكتاب لستم
على شيء الاية وغيره من الايات المصرحة بذلك وقوله ومن يكفر به بيانه ما ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال والذي نفسي بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي الا دخل النار **يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس
شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون** قد تقدم نظير هذه الاية في صدر السورة
واعيدت ههنا للتاكيد والحث على اتباع الرسول النبي الامي الذي يجدون صفته في كتبهم ونعته واسمه وامره وامته
يحذرهم عن كتمان هذا وكتمان ما انعم به عليهم وامرهم ان يذكروا نعمة الله عليهم من النعم الدنيوية والدينية ولا يحسدوا
بان بعثه الله من العرب ولا يكذبوه ولا يميلوا عن موافقته **واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني
جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين** لقد بين الله تعالى في الاية
شرف ابرهيم عليه السلام وانه جعله اماما للناس يقتدى به في التوحيد حين قام بما كلفه الله من الاوامر والنواهي ولهذا
قال واذ ابتلى ابرهيم ربه اي واذكر يا محمد لهؤلاء الكفرة الذين ينتحلون ملة ابرهيم وليسوا عليها ابتلاء الله اياه اي اختباره له
بما كلفه به فقام بهن كلهن كما قال وابرهيم الذي وفى اي وفى جميع ما شرع له وكما في غيره من الايات الناطقات بذلك وقوله
بكلمات اي بشرايع واوامر ونواهي فاتمهن اي قام بهن وقوله اني جاعلك للناس اماما هذا جزاء على ما فعل فانه كما قام بالاوامر
وترك الزواجر جعله الله للناس اماما وقدوة يقتدى به ويحتذى حذوه واختلف في تعيين تلك الكلمات قال ابن عباس
هي المناسك وروى عنه ايضا انها الطهارة خمس في الراس وخمس في الجسد فالراس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق
والسواك وفرق الراس وفي الجسد تقليم الاظفار وحلق العانة والختان ونتف الابط والاستنجاء بالماء وفي رواية عنه
هي عشر ست في الانسان اي تمامه واربع في المشاعر وهي الطواف والسعي ورمي الجمار والافاضة وعنه ايضا هي الاسلام ثلثون
سهما منها عشر ايات في براءة التائبون العابدون الى اخر الايات وعشر ايات في اول سورة قد افلح المؤمنون وسال سائل
وعشر ايات في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الى اخرها فاتمهن كلهن فكتب له براءة وعنه ايضا قال الكلمات التي ابتلى الله
بها ابرهيم فاتمهن فراق قومه في الله حين امر بفراقهم ومحاجة نمرود في الله حين وقفه على ما وقفه عليه من خطر الامر
الذي فيه خلافهم وصبره على قذفهم اياه في النار والهجرة بعد ذلك من وطنه حين امره الله بالخروج عنهم وما امره به من الضيافة
والصبر عليها وماله وما ابتلي به من ذبح ابنه حين امره بذبحه وقال الحسن وما ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر فاحسن في ذلك
وعرف ان ربه دائم لا يزال وبالختان وقيل غير ذلك والله اعلم وقوله قال ومن ذريتي لما جعل الله ابرهيم اماما سال ان تكون
الامامة من بعده في ذريته فاجيب الى ذلك واخبر انه سيكون من ذريته ظالمون وانه لا ينالهم عهد الله ولا يكونون ائمة فلا
يقتدى بهم والدليل على انه اجيب الى طلبته قوله تعالى في سورة العنكبوت وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وكل نبي ارسله الله

ولا هم ينصرون اي ولا احد يدفع عنهم
للارتقاء الى حسن المآب اولا
يمنعون ما ينزل بهم من الشدة و
العذاب في ذلك اليوم لانهم احاطوا
بانواع ذنوبهم وكونهم استعدوا لقبول
فيض الشفاعة والنصرة عن انفسهم
بترك التقوى واتباع الشيطان و
الهوى ه

الابتلاء في الاصل التكليف بالامر
الشاق من البلاء لكنه لما كان
منها يستلزم الاختبار بالنسبة و
ابتليته بمعنى اختبرته

كلمات ابتلى بها ابرهيم

وكل كتاب انزله الله بعد ابرهيم من ذريته واختلفوا في الظالمين قال مجاهد لا يكون لي امام ظالم وقيل اي لا اجعل
اماما ظالما يقتدى به وقيل اي لا يكون امام مشرك وقيل اي ليس للظالمين عهد وان عاهدته فانقضه قاله مجاهد وقال قتادة
اي في الاخرة واما في الدنيا فقد ناله من الامن والرزق والمعاش وقيل غير ذلك والله اعلم **واذ جعلنا البيت مثابة للناس
وامنا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى** قال ابن عباس يثوبون اليه ثم يرجعون وعليه موافقوه وقال عطاء مثابة
اي مجمعا وامنا وقال ابو العالية امنا من العدو وان يحمل فيه السلاح وقد كانوا في الجاهلية يتخطف الناس من حولهم وهم امنون
لا يسبون ومضمون ذلك ان الله يذكر شرف البيت وما جعله موصوفا به شرعا وقدرا من كونه محلا تشتاق اليه الارواح وتحن
اليه لا يقضون منه وطرا يأتونه ثم يرجعون الى اهليهم ثم يعودون اليه استجابة لدعاء الخليل في قوله فاجعل افئدة من الناس
تهوي اليهم واختلفوا في المراد بالمقام ما هو قال ابن عباس هو الحرم كله وعنه ايضا هو مشاعر الحج ومناسكه وقيل الحج كله
وقيل الحجر الذي في المسجد وهو حجر كان ابرهيم يقوم عليه ويناوله اسمعيل الحجارة وعن جابر لما طاف النبي صلى الله عليه وسلم قال له عمر
هذا مقام ابينا ابرهيم قال نعم قال افلا نتخذه مصلى فانزل الله واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وعن انس قال قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وافقت ربي في ثلث قلت يا رسول لو اتخذت من مقام ابرهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقلت يا رسول الله
يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فانزل الله اية الحجاب قال وبلغني معاتبة النبي صلى الله عليه
وسلم بعض نسائه فدخلت عليهن فقلت ان انتهيتن او ليبدلن الله رسوله خيرا منكن حتى اتيت احدى نسائه فقالت يا عمر اما في
رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن انت فانزل الله عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن الاية رواه البخاري
وذلك دليل على ان المراد بالمقام هو الحجر الذي كان ابرهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار وكلما كمل ناحية
انتقل الى الناحية الاخرى يطوف حول الكعبة وابرهيم واقف عليه حتى تم جدارات الكعبة وكانت اثار قدميه ظاهرة
فيه ولم يزل هذا معروفا تعرفه العرب في جاهليتها ولهذا قال ابو طالب في قصيدته المعروفة باللامية وموطئ ابرهيم في الصخر رطبة
على قدميه حافيا غير ناعل وقال انس بن مالك رايت المقام فيه اثر اصابعه عليه السلام واخمص قدميه غير انه اذهبه
مسح الناس بايديهم وقد كان المقام ملصقا بجدار الكعبة قديما ومكانه معروف اليوم الى جانب الباب مما يلي الحجر يمنة الداخل
على الباب وكان الخليل لما فرغ من بناء البيت وضعه الى جدار البيت او انه انتهى عنده البناء فتركه ههنا ولهذا والله اعلم
امر بالصلوة هناك عند فراغ الطواف وناسب ان يكون عند مقام ابرهيم حيث انتهى بناء الكعبة فيه وانما اخره عن جدار
الكعبة امير المؤمنين عمر بن الخطاب احد الائمة المهتدين واحد الرجلين اللذين قال فيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر وعن عائشة رضي الله عنها قالت ان المقام كان في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وزمان ابي بكر ملصقا بالبيت ثم اخره عمر رضي الله عنه **وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل ان طهرا بيتي للطائفين
والعاكفين والركع السجود واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا امنا وارزق اهله من الثمرات
من امن منهم بالله واليوم الاخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس
المصير واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا و
اجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم**
قال الحسن البصري في قوله وعهدنا امرهما ان يطهراه من الاذى والنجس ولا يصيبه من ذلك شيء وقيل اي من الاوثان والريب
وقوله للطائفين قال قتادة اي من اتاه من الغرباء والعاكفين اي المقيمين فيه او من اقام عنده من المسافرين والركع جمع راكع

الركع المصلين في البيت

الواردين حوله

ان مصدرية اي وامرناهما واوصينا اليهما
على سبيل التاكيد بان صونا بيتي من الادناس
وعن ايديه من الاوثان والانجاس والطواف
مع الحدث والحيض والعاصي ومن جميع المعاصي
التي تصدر من الناس قولا وفعلا ه

والسجود جمع ساجد والمراد اهل الصلوة من المسلمين يعني تقدمنا بوحينا الى ابرهيم واسمعيل ان طهرا بيتي من الشرك والريب و
ابنيا خالصا لله وحده للطائفين والعاكفين والركع السجود وتطهير المساجد ماخوذ من هذه الآية ومن غيرها ومن كثير من الاحاديث
وقوله واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا امنا عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابرهيم حرم بيت الله وآمنه واني حرمت
المدينة ما بين لابتيها فلا يصاد صيدها ولا يقطع عضاهها رواه مسلم هنا وقد حرم الله مكة قبل خلق السموات والارض كما جاء في
الصحيحين عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض
فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيمة وانه لم يحل القتال فيه لاحد قبلي ولم يحل لي الا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيمة لا يعضد
شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاها فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقينهم ولبيوتهم
قال الا الاذخر وكلاهما [illegible] ابن الحرث لان ابرهيم بلغ عن الله حكمه فيها وتحريمه اياها وانها لم تزل بلدا حراما عند الله قبل بناء ابرهيم
عليه السلام لها وقوله بلدا آمنا اي من الخوف لا يرعب اهله وقد فعل الله ذلك شرعا وقدرا كما جاء في غيرها من الآيات وفي صحيح مسلم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لاحد ان يحمل بمكة السلاح وقوله وارزق اهله من الثمرات الآية وقال ابن عباس كان ابرهيم
يحجرها على المومنين فانزل الله ومن كفر ايضا ارزقهم كما ارزق المومنين وقوله فامتعه اي فارزقه ثم اضطره اي ثم الجئه بعد
امتاعه في الدنيا وبسطنا عليه من ظلها الى عذاب النار وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته
ثم قرا وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد واما قوله تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت الى آخره القواعد
جمع قاعدة وهي السارية والاساس اي واذكر يا محمد لقومك بناء ابرهيم واسمعيل البيت ورفعهما القواعد منه وهما يقولان ربنا تقبل منا
انك انت السميع العليم فهما في عمل صالح وهما يسئلان الله ان يتقبل منهما خوفا ان لا يتقبل منهما وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال
اول ما اتخذ النساء المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جاء بها ابرهيم وبابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى
وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في اعلا المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا
فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابرهيم منطلقا فتبعته ام اسمعيل فقالت يا ابرهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انس
ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابرهيم
حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهولاء الدعوات ورفع يديه فقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد
غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش
ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت
عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي
الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال
ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعي الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت
ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه
وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهي تفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم
الله ام اسمعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك
لا تخافي الضيعة فان ههنا بيت الله يبني هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه
السيول فتاخذ عن يمينه وشماله وكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم او اهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا

في اسفل مكة

انما سال ذلك لانه كان بواد غير ذي زرع ومن ثم نقلت الثمرات الى دعائه من الطائف والشام وروي ان الله تعالى بعث جبريل الى الشام بعد دعاء ابرهيم عليه السلام حتى اقتلع ارض الطائف من موضع الاردن ثم طاف بها حول الكعبة سبعا فلذلك سميت الطائف ثم انزلها بتهامة ومنها يجيء الى مكة انواع الثمرات

في اسفل مكة فراوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فارسلوا جريا او جريين
فاذا هم بالماء فاقبلوا قال وام اسمعيل عند الماء فقالوا اتاذنين لنا ان ننزل عندك قالت نعم ولا حق لكم في الماء قالوا
نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك ام اسمعيل وهي تحب الانس فنزلوا وارسلوا الى اهليهم فنزلوا
معهم حتى اذا كانوا بها اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه
امراة منهم وماتت ام اسمعيل فجاء ابرهيم بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركته فلم يجد اسمعيل فسال امراته عنه فقالت خرج يبتغي
لنا ثم سالها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة فشكت اليه قال فاذا جاء زوجك اقرئي عليه السلام و
قولي له يغير عتبة بابه فلما جاء اسمعيل كانه آنس شيئا فقال هل جاءكم من احد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسالنا عنك فاخبرته
وسالني كيف عيشنا فاخبرته انا في جهد وشدة قال فهل اوصاك بشيء قالت نعم امرني ان اقرا عليك السلام ويقول غير عتبة
بابك قال ذاك ابي وقد امرني ان افارقك الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث عنهم ابرهيم عليه السلام ما شاء الله
ثم اتاهم بعد فلم يجده فدخل على امراته فسالها عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف انتم وسالها عن عيشهم وهيئتهم فقالت
نحن بخير وسعة واثنت على الله عز وجل قال ما طعامكم قالت اللحم قال فما شرابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء
قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم دعا لهم فيه قال فهما لا يخلو عليهما احد بغير مكة الا لم يوافقاه
قال فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه فلما جاء اسمعيل قال هل اتاكم من احد قالت نعم اتانا شيخ حسن
الهيئة واثنت عليه فسالني عنك فاخبرته فسالني كيف عيشنا فاخبرته انا بخير قال فاوصاك بشيء قالت نعم هو يقرا عليك السلام و
يامرك ان تثبت عتبة بابك قال ذاك ابي وانت العتبة امرني ان امسكك ثم لبث ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يبري نبلا
تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد قال يا اسمعيل ان الله امرني بامر قال
فاصنع ما امرك ربك قال وتعينني قال واعينك قال فان الله امرني ان ابني ههنا بيتا واشار الى اكمة مرتفعة على
ما حولها قال فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل اسمعيل ياتي بالحجارة وابرهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه
له فقام عليه وهو يبني واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وقال السدي ان الله امر
ابرهيم ان يبني البيت هو واسمعيل فانطلق ابرهيم حتى اتى مكة فقام هو واسمعيل فاخذ المعول لا يدريان اين مكان البيت فبعث الله
ريحا يقال لها الخجوج لها جناحان وراس في صورة حية فكنست لهما ما حول الكعبة عن اساس البيت الاول فاتبعاها بالمعول
يحفران حتى وضعا الاساس فذلك قوله تعالى واذ بوانا لابرهيم مكان البيت فلما بنيا القواعد فبلغا مكان الركن قال ابرهيم
لاسمعيل يا بني اطلب لي حجرا حسنا اضعه ههنا فقال يا ابت اني كسلان لغب قال علي ذلك فانطلق يطلب حجرا وجاء جبريل
بالحجر الاسود من الهند وكان ابيض ياقوتة بيضاء مثل الثغامة وكان آدم هبط به من الجنة فاسود من خطايا الناس فجاء
اسمعيل بحجر فوجده عند الركن فقال يا ابت من جاءك بهذا قال جاء به من هو انشط منك فبنيا وهما يدعوان ربنا تقبل منا
انك انت السميع العليم وهذا يدل على ان قواعد البيت كانت مبنية قبل ابرهيم وانما هدي ابرهيم اليها وبوئ لها ولهذا قال ابن عباس
القواعد التي كانت قواعد البيت قبل ذلك وعن عطاء وقتادة قالا لما اهبط الله آدم من الجنة كانت رجلاه في الارض وراسه
في السماء يسمع كلام اهل السماء ودعاءهم ياتنس اليهم فهابت الملئكة حتى شكت الى الله في دعائها وصلوتها فخفضه الله الى
الارض فنقص الى ستين ذراعا فلما فقد ما كان يسمع منهم استوحش فشكى ذلك الى الله في دعائه فوجه الى مكة فكان موضع قدمه
قرية وخطوه مفازة حتى انتهى الى مكة وانزل الله ياقوتة من ياقوت الجنة فكانت على موضع البيت الآن فلم يزل يطوف به آدم

فائدة
ان الحجر الاسود نزل من الجنة وهو اشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم رواه الدارقطني والترمذي وقال حسن صحيح [illegible]

وبنوه حتى انزل الله الطوفان فرفعت تلك الياقوتة حتى بعث الله ابرهيم عليه السلام فبناه كما سبق وقال ابن عباس وضع البيت على اركان الماء على اربعة اركان قبل ان يخلق الدنيا بالفي عام ثم دحيت الارض من تحت البيت وعن مجاهد وغيره من اهل العلم ان الله لما بوأ ابرهيم مكان البيت خرج اليه من الشام وخرج معه باسمعيل وبامه هاجر واسمعيل طفل يرضع وحملوا فيما حدثني على البراق ومعه جبرئيل يدله على موضع البيت ومعالم الحرم وكان لا يمر بقرية الا قال ابهذه امرت يا جبرئيل فيقول امضه حتى قدم به مكة وهي اذ ذاك عضاه سلم وسمرة بها اناس يقال لهم العماليق خارج مكة وما حولها والبيت يومئذ ربوة حمراء مدرة فقال ابرهيم اههنا امرت ان اضعهما قال جبرئيل نعم فعمد بهما الى موضع الحجر فانزلهما فيه وامر هاجر ام اسمعيل ان تتخذ فيه عريشا فقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع الى قوله لعلهم يشكرون وقد خلق الله موضع البيت قبل ان يخلق شيئا بالفي سنة واركانه في الارض السابعة وقيل ان آدم بناه اولا من اربعة اجبل من حرا وطور زيتا وطور سيناء والجودي ثم بناه ابرهيم كما مر وروى ابن ابي حاتم باسناده ان ذا القرنين قدم مكة فوجد ابرهيم واسمعيل يبنيان قواعد البيت فقال ما لكما ولارضي فقالا نحن عبدان مأموران امرنا ببناء هذه الكعبة فقال هاتا البينة على ما تدعيان فقامت خمسة اكبش فقلن نحن نشهد ان ابرهيم واسمعيل عبدان مأموران ببناء هذه الكعبة فقال قد رضيت وسلمت ثم مضى وذكر الازرقي في تاريخ مكة ان ذا القرنين طاف مع ابرهيم بالبيت وفي الصحيحين عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الم تري ان قومك حين بنوا البيت اقتصروا عن قواعد ابرهيم فقلت يا رسول الله الا تردها على قواعد ابرهيم فقال لولا حدثان قومك بالكفر وقال عبد الله بن عمر لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر الا ان البيت لم يتمم على قواعد ابرهيم وفي رواية لولا ان قومك حديث عهدهم بكفر لنقضت الكعبة ولجعلتها على اساس ابرهيم فجعلت لها بابين بابا يدخل منه الناس وبابا يخرجون وفي رواية لمسلم لهدمت الكعبة فالزقتها بالارض وجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة اذرع من الحجر فان قريشا اقتصرتها حيث بنت الكعبة وقوله تعالى حكاية عن دعائهما ربنا واجعلنا مسلمين لك الآية اي مستسلمين لامرك خاضعين لطاعتك وقيل اي مخلصين لك ثابتين على ذلك قال عكرمة قال الله قد فعلت ومن ذريتنا امة مسلمة لك المراد العرب وخصهم لانهم من ذرية ابرهيم وبنو اسرائيل وقد قال ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وقوله وارنا مناسكنا اي علمنا شرائع ديننا واعلام حجنا وقال مجاهد مذابحنا فاجابه الله فاتاه جبرئيل فاتى به البيت فلما رفعا القواعد واتما البنيان اخذ بيده فاخرجه الى الصفا قال هذا من شعائر الله ثم انطلق به الى المروة فقال هذا من شعائر الله ثم انطلق به نحو منى فلما كان من العقبة اذا ابليس قائم عند الشجرة فقال كبر وارمه فكبر ورماه ثم انطلق ابليس فقام عند الجمرة الوسطى فلما حاذى به جبرئيل وابرهيم قال له كبر وارمه فكبر ورماه ثم انطلق ابليس فقام عند الجمرة القصوى فقال كبر وارمه فكبر ورماه فذهب ابليس وكان الخبيث اراد ان يدخل في الحج شيئا فلم يستطع فاخذ بيد ابرهيم حتى اتى به المشعر الحرام فقال هذا المشعر الحرام فاخذ بيد ابرهيم حتى اتى به عرفات فقال هذه عرفة قال قد عرفت ما اريتك ثلث مرات **ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم** هذا اخبار عن تمام دعوة ابرهيم لاهل الحرم ان يبعث الله فيهم رسولا من ذريته وقد استجاب الله ذلك في بعث محمد صلى الله عليه وسلم رسولا في الاميين اليهم والى سائر الاعجمين من الجن والانس كما روى عرباض بن سارية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني عند الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وسانبئكم باول ذلك دعوة ابرهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا امي التي رأت وعن ابي امامة قال قلت

يا رسول الله

المناسك جمع منسك بفتح السين وكسرها وهو موضع العبادة اي وبصرنا وعرفنا متعبداتنا في الحج كالمواقف للتعبد وموضع الوقوف والرمي والطواف والسعي او مذابحنا للذبح وتب علينا اي اقبل توبتنا وتجاوز عن زلتنا وما يسهو في حقنا انك انت التواب الرحيم اي كثير القبول للتوبة وكثير الرحمة لمن تاب من الخطيئة ٥

اسلمت لرب العالمين
في الخبر لا يكمل ايمان المرء حتى يكون بين يدي سيده كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء وفي الزبور
يا داود تريد واريد ولا يكون الا ما اريد فان اسلمت لما اريد كفيتك ما تريد وان لم تسلم لما اريد
اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد قال بعضهم سلامة النفس في التسليم وبلاؤها في التدبير ٥

يا رسول الله ما اول بدء امرك قال دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورأت امي انه خرج منها نور اضاءت له قصور الشام ثم انما احمد والمراد ان اول من ذكره وشهره في الناس ابرهيم ولم يزل ذلك حتى فصح باسمه عيسى بن مريم خاتم انبياء بني اسرائيل حيث قام فيهم وقال اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد وقوله ورأت امي قيل كان مناما رأته حين حملت به وقصته على قومها فشاع فيهم وقوله ويعلمهم الكتاب والحكمة يعني القرآن والحكمة يعني السنة وقيل الفهم في الدين ويزكيهم يعني طاعة الله والاخلاص وقيل ويعلمهم الخير فيفعلوه ويستكثروا من طاعته والشر فيتقوه ويجتنبوا بما يسخط من معصيته وقوله انك انت العزيز الحكيم اي العزيز الذي لا يعجزه شيء وهو قادر على كل شيء الحكيم في افعاله واقواله فيضع الاشياء محالها بعلمه وحكمته **ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون** هذا رد على الكفار فيما احدثوه من الشرك بالله المخالف لملة ابرهيم امام الحنفاء فانه جرد التوحيد لله ولم يدع معه غيره وتبرا من كل معبود سواه وخالف في ذلك سائر قومه حتى تبرا من ابيه فقال يا قوم اني بريء مما تشركون وكما في غيره من الآيات الناطقة بذلك فقوله ومن يرغب عن ملة ابرهيم اي عن طريقته ومنهجه فيخالفها ويرغب عنها الا من ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره بتركه الحق الى الضلال حيث خالف طريق من اصطفي في الدنيا للهداية والرشاد من حداثة سنه الى ان اتخذه الله خليلا وهو في الآخرة من السعداء المقبولين فترك طريقته وملته واتبع طرق الضلالة والغي قال ابو العالية وقتادة نزلت هذه الآية في اليهود احدثوا طريقا ليست من عند الله وخالفوا ملة ابرهيم فيما احدثوه ويشهد لصحته قوله تعالى ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا الى قوله والله ولي المؤمنين وقوله اذ قال له ربه اسلم اي امره بالاخلاص والانقياد والاستسلام فاجاب الى ذلك شرعا وقدرا وقوله ووصى بها ابرهيم اي وصى بهذه الملة الشريفة وهي الاسلام لله ليحرصوا عليها ويحبوها ويحافظوا عليها الى حين الوفاة ووصوا ابناءهم بها من بعدهم يا بني ان الله اصطفى اي اختار لكم دين الاسلام فاحسنوا في حال الحيوة والزموه ليرزقكم الله الوفاة عليه فان المرء غالبا يموت على ما كان عليه ويبعث على ما مات عليه فان من قصد الخير وفق له ومن نوى صالحا ثبت عليه **ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون** يقول الله هذا محتجا على مشركي العرب واهل الكتاب بني اسرائيل ان يعقوب لما حضرته الوفاة وصى بنيه بعبادة الله وحده لا شريك له فقال لهم ما تعبدون الآية وذكر اسمعيل مع الآباء من باب التغليب لانه عمه اي نوحده بالالوهية ولا نشرك به شيئا غيره ونحن له مطيعون خاشعون والاسلام هو ملة الانبياء قاطبة وان تنوعت شرائعهم واختلفت مناهجهم كما قال وما ارسلنا من قبلك من رسول الآية والآيات في هذا كثيرة ومن الاحاديث قوله عليه الصلوة والسلام نحن معاشر الانبياء اولاد علات وديننا واحد وقوله تلك امة قد خلت اي هؤلاء المذكورين في الآية قد مضت لها ما كسبت اي ان السلف الماضين من آبائكم من الانبياء والصالحين لا ينفعكم انتسابكم اليهم اذا لم تفعلوا خيرا يعود نفعه عليكم فان لهم اعمالهم التي عملوها ولكم اعمالكم ولهذا جاء في الاثر من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه **وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين** قال ابن عباس قال الاعور عبد الله بن صوريا ما الهدى الا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتدي وقالت النصارى مثل ذلك فانزل الله وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا وقوله بل ملة ابرهيم اي لا نريد ما دعوتم اليه بل نتبع ملة ابرهيم حنيفا اي مستقيما حاجا والحنيف الذي يستقبل البيت بصلوته ويرى ان حجه عليه ان استطاع

اي نتبع دينكم وملتكم

منصوب باضمار اعني او حال باعتبار المضاف والمضاف اليه
والحنيف الميل والاستقامة اي المائل عن كل دين باطل الى دين الاسلام او مستقيما في الحق ودعائم الاحكام ٥

يتلو عليهم آياتك
اي يقرأ عليهم ما يوحى اليه من آيات كتابك ودلائل توحيدك وصدق انبيائك وكمال عظمتك وكبريائك ويعلمهم شرائع دينك ومعاني كلامك ٥

اي اخترناه في عالم الملك للخلة والنبوة والاسعادة في الدين ٥

عن سنة ابرهيم وشريعته الواضحة حنيفية الى ما يبرزه من التوحيد والرحمة والاخلاق الحسنة السنية والاداعات الصالحة ٥

وقيل اى مستقيما وقال ابو قلابة الحنيف الذى يؤمن بالرسل كلهم من اولهم الى آخرهم وقال قتادة الحنيفية شهادة ان لا اله الا الله يدخل فيها جميع الاوامر والنواهى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم و اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ارشد الله تعالى عباده المؤمنين الى الايمان بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم مفصلا وبما انزل على الانبياء المتقدمين مجملا وان لا نفرق بين احد منهم بل يؤمنوا بهم كلهم ولا يكونوا كمن قال الله فيهم يريدون ان يفرقوا بين الله ورسله الآيتين وفى البخارى عن ابى هريرة قال كان اهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبما انزل الله قال ابو العالية وقتادة الاسباط بنو يعقوب اثنا عشر رجلا كل رجل منهم امة من الناس امر الله المؤمنين ان يؤمنوا به ويصدقوا بكتبه كلها وبرسله ولكن لا يعملوا الا بما فيها الا بالقرآن فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون اى فان آمن الكفار من اهل الكتاب وغيرهم بمثل ما آمنتم من الايمان بجميع كتب الله ورسله فقد اصابوا الحق وارشدوا اليه وان تولوا عن الحق الى الباطل بعد قيام الحجة عليهم فانما هم فى شقاق فسينصرك الله عليهم ويظفرك بهم قال نافع بن ابى نعيم ارسل الى بعض الخلفاء بمصحف عثمان بن عفان لاصلحه وكان فى حجره حين قتل فوقع الدم على فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم فبصرت عينى بالدم على هذه الآية والمراد بصبغة الله دين الله كما تقدم قاله ابن عباس وطائفة من الائمة وعن ابن عباس ان بنى اسرائيل قالوا يا موسى هل يصبغ ربك فقال اتقوا الله فناداه ربه يا موسى سألوك هل يصبغ ربك فقل نعم انا اصبغ الالوان الاحمر والا بيض والاسود والالوان كلها من صبغى وانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون اى مطيعون قل اتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون هذا ارشاد الى ترك المجادلة اى تناظروننا فى توحيد الله والاخلاص له والانقياد والاتباع لامره وهو ربنا المتصرف فينا وفيكم المستحق لاخلاص الالهية له وحده لا شريك له ولنا اعمالنا اى نحن براء منكم وانتم براء منا كما قال تعالى فان كذبوك فقل لى عملى الآية وغيرها من الآيات ونحن له مخلصون اى فى العبادة والتوجه ثم انكر الله عليهم فى دعواهم ان ابرهيم والمذكورين بعده كانوا على ملتهم اما اليهودية او النصرانية فقال ءانتم اعلم ام الله اى بل الله اعلم مخبرا بانهم لم يكونوا هودا ولا نصارى كما قال ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا الآية وقوله ومن اظلم ممن كتم قال الحسن كانوا يقرؤن فى كتابهم ان الدين الاسلام وان محمدا رسول الله وان ابرهيم والمذكورين بعده فى الآية كانوا براء من اليهودية والنصرانية فشهد الله بذلك واقروا به على انفسهم لله فكتموا شهادة الله عندهم وقوله وما الله بغافل تهديد ووعيد شديد اى علمه محيط بعملكم وسيجزيكم عليه ثم قال مؤكدا لما تقدم تلك امة قد خلت اى مضت لها ما كسبت اى لهم اعمالهم ولكم اعمالكم وليس يغنى عنكم انتسابكم اليهم من غير متابعتكم اياهم فلا تغتروا بمجرد النسبة اليهم حتى تنقادوا لاوامر الله واتباع رسله فانه من كفر بنبى واحد فقد كفر بسائر الرسل ولا سيما من كفر بسيد المرسلين وخاتم النبيين عليه وعليهم الصلوة والسلام سيقول السفهاء من الناس ما ولىهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم عن البراء بن عازب ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى الى بيت المقدس ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا وكان يعجبه ان تكون قبلته قبل البيت وانه صلى اول صلوة صلاها صلوة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على اهل المسجد وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت وكان الذى مات على القبلة قبل ان يحول قبل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فانزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم رواه البخارى ورواه مسلم نحوه وقال السفهاء هم اهل الكتاب ما ولىهم عن قبلتهم التى كانوا عليها فانزل الله قل لله المشرق والمغرب الآية وقال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة امره الله ان يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب قبلة ابرهيم وكان يدعو الله وينظر الى السماء فانزل الله عز وجل فولوا وجوهكم شطره وحاصل ذلك انه قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر باستقبال صخرة بيت المقدس وكان بمكة يصلى بين الركنين فتكون بين يديه الكعبة وهو مستقبل صخرة بيت المقدس فلما هاجر الى المدينة تعذر الجمع بينهما فامره الله بالتوجه الى البيت العتيق فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس واعلمهم بذلك وكان اول صلوة صلاها اليها صلوة العصر كما تقدم وفى الصحيحين وفى النسائى برواية سعيد بن المعلى انها الظهر واما اهل قباء فلم يبلغهم الخبر الى صلوة الفجر من اليوم الثانى كما فى الصحيحين ان ابن عمر قال بينما الناس بقباء فى صلوة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة وفيه دليل على ان الناسخ لا يلزم حكمه الا بعد العلم وان تقدم نزوله وابلاغه لانهم لم يؤمروا باعادة العصر والمغرب والعشاء والله اعلم ولما وقع هذا حصل لبعض الناس من اهل الريب والنفاق والكفر من اليهود ارتياب وزيغ عن الهدى وشك وقالوا ما ولىهم اى ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا وتارة كذا فانزل الله جوابهم قل لله المشرق والمغرب اى الحكم والتصرف والامر كله لله وحيث ما تولوا فثم وجه الله اى الشان كله فى امتثال اوامر الله فحيث ما وجهنا توجهنا فان الطاعة فى امتثال امره ولله برسوله عليه الصلوة والسلام وامته عناية عظيمة اذ هداهم الى قبلة ابرهيم عليه السلام وجعل توجههم الى الكعبة التى هى اشرف بيوت الله فى الارض ولهذا قال والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى فى اهل الكتاب انهم لا يحسدونا على شىء كما يحسدونا على يوم الجمعة التى هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى القبلة التى هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الامام آمين رواه احمد وقوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا يعنى انما حولناكم الى قبلة ابرهيم واخترناها لكم لنجعلكم خيار الامم لتكونوا يوم القيمة شهداء على الامم لان الجميع معترفون لكم بالفضل والوسط ههنا الخيار والاجود كما يقال قريش اوسط العرب نسبا ودارا اى خيارها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطا فى قومه اى اشرفهم نسبا ولما جعل الله هذه الامة وسطا خصها باكمل الشرائع واقوم المناهج كما قال تعالى هو اجتبيكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج الى قوله شهداء على الناس وعن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى نوح فيقال من يشهد لك فيقول محمد وامته فذلك قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا قال والوسط العدل فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم اشهد عليكم رواه احمد والبخارى والنسائى والترمذى وروى ابن مردويه باسناده عن جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وامتى يوم القيمة على كوم مشرفين على الخلائق ما من الناس احد الا ود انه منا وما من نبى كذبه قومه الا

اما من المشركين اى العادلين بالله او توبيخ لكفار اهل الكتاب وتعريض بهم فانهم كانوا يدعون انهم على ملة ابرهيم وهم مشركون بالله عزه

[illegible]

في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى امراة من السبي قد فرق بينها وبين ولدها فجعلت كلما وجدت صبيا من السبي اخذته فالصقته بصدرها وهي تدور على ولدها فلما وجدته ضمته اليها والقمته ثديها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترون هذه طارحة ولدها في النار وهي تقدر على ان لا تطرحه قالوا لا يا رسول الله قال فوالله لله ارحم بعباده من هذه بولدها

ونحن نشهد انه قد بلغ رسالة ربه عز وجل رواه الحاكم في مستدركه وقوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي انما شرعنا لك يا محمد التوجه اولا الى بيت المقدس ثم صرفناك عنها الى الكعبة لنظهر حال من يتبعك ويستقبل معك حيثما توجهت ممن ينقلب اي يرتد عن دينه وان كانت لكبيرة اي هذه الفعلة وهو صرف التوجه الى الكعبة اي وان كان هذا امرا عظيما في النفوس الا على الذين هدى الله قلوبهم وايقنوا بتصديق الرسول وان كل ما جاء به فهو الحق الذي لا مرية فيه وان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فله ان يكلف عباده بما يشاء وينسخ ما يشاء وله الحكمة التامة والحجة البالغة في جميع ذلك فان ذلك لا يثقل عليهم وبهذا من ثبت على تصديق الرسول عليه الصلوة والسلام واتباعه في ذلك وتوجه حيث امره الله من غير شك كان من سادات الصحابة وقد ذهب بعضهم الى ان السابقين الاولين هم الذين صلوا القبلتين وقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلوتكم الى بيت المقدس قبل ذلك وما يضيع ثوابها عند الله وعن ابن عباس وما كان الله ليضيع ايمانكم اي بالقبلة الاولى وتصديقكم نبيكم واتباعه الى القبلة الاخيرة اي ليعطيكم اجرهما جميعا ان الله بالناس لرؤف رحيم وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبي فاذا امراة من السبي قد تحلب ثديها تسعى اذا وجدت صبيا في السبي اخذته فالصقته ببطنها وارضعته فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم اترون هذه طارحة ولدها في النار وهي تقدر ان لا تطرحه قلنا لا قال لله ارحم بعباده من هذه بولدها **قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضيها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون** قال ابن عباس اول ما نسخ من القرآن القبلة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان اكثر اهلها اليهود فامره الله ان يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها بضعة عشر شهرا وكان يحب قبلة ابرهيم وكان يدعو الى الله وينظر الى السماء فانزل الله قد نرى تقلب وجهك في السماء الى قوله شطره فارتاب من ذلك اليهود وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها والشطر الجهة والقبل والنحو وروى النسائي عن ابي سعيد بن المعلى قال كنا نغدو الى المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصلي فيه فمررنا يوما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد على المنبر فقلت لقد حدث امر فجلست فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية قد نرى تقلب وجهك في السماء حتى فرغ من الآية قلت لصاحبي تعال نركع ركعتين قبل ان ينزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنكون اول من صلى فتوارينا فصليناهما ثم نزل النبي صلى الله عليه وسلم فصلى للناس يومئذ الظهر وكذا رواه ابن حبان والمشهور الذي عليه الاكثر ان اول صلوة صليت الى الكعبة العصر والله اعلم وعن عمارة بن اوس قال بينما نحن في الصلوة اي في مسجد قبا نحو بيت المقدس ونحن ركوع اذ نادى مناد بالباب ان القبلة قد حولت الى الكعبة قال فاشهد على امامنا انه انحرف فتحول هو والرجال والصبيان وهم ركوع نحو الكعبة وقوله وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره امر الله تعالى باستقبال الكعبة من جميع جهات الارض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ولا يستثنى عن هذا شي الا النافلة في حال السفر فانه يصليها حيثما توجه قالبه وقلبه نحو الكعبة وكذا في حال القتال والخوف يصلي على كل حال وكذا من جهل جهة القبلة فيصلي اجتهادا وان كان مخطئا في نفس الامر لان الله لا يكلف نفسا الا وسعها وقوله وان الذين اوتوا الكتاب اي اليهود الذين انكروا استقبالكم الكعبة وانصرافكم عن بيت المقدس يعلمون ان الله تعالى موجهك اليها بما في كتبهم وعن انبيائهم من النعت والصفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وامته وما خصه الله به وشرفه وشريعته الكاملة ولكنهم يتكاتمون ذلك حسدا وكفرا وعنادا ولهذا هددهم الله تعالى بقوله وما الله بغافل عما يعملون **ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين** هذا اخبار عن كفر اليهود وعنادهم

وفي الحديث كان القبلة لما حولت ارتد قوم من المسلمين الى اليهودية وقالوا رجع محمد الى دين آبائه

ومخالفتهم

ومخالفتهم لما يعرفونه من شان النبي صلى الله عليه وسلم وانه لو اقام عليهم كل دليل على صحة ما جاءهم به لما اتبعوه وتركوا اهواءهم وقوله وما انت بتابع قبلتهم اخبار عن شدة متابعته صلى الله عليه وسلم لما امره الله به وانه متمسك بامر الله وطاعته واتباع مرضاته وكذا امته ثم حذر الله من مخالفة الحق الذي يعلمه العالم الى الهوى فان الحجة عليه اقوم من غيره انا مخاطبة والمراد الامة بقوله ولئن اتبعت اهواءهم الآية **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين** يعني ان اهل الكتاب يعرفون صحة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم كما يعرف احدهم ولده والعرب كانت تضرب المثل في صحة الشي بهذا ثم اخبر الله انهم مع هذا التحقق والايقان العلمي ليكتمون الناس ما في كتبهم من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون ثم ثبت تعالى نبيه والمؤمنين بان ما جاء به هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك فهو مرفوع على خبر مبتدا مضمر وقيل باضمار فعل اي جاءك الحق من ربك فقال فلا تكونن من الممترين **ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شي قدير** قال ابن عباس اي لكل من اهل الاديان قبلة يرضونها ووجهة الله حيث يتوجه المومنون وعن قال مجاهد واخرون لليهودي وجهة هو موليها وللنصراني وجهة هو موليها وهداكم انتم ايتها الامة القبلة التي هي الكعبة وعن الحسن وجماعة امر كل قوم ان يصلوا الى الكعبة وقرا ابن عباس وابو جعفر الباقر وابن عامر ولكل وجهة هو مولاها وقوله اينما تكونوا اي هو قادر على جمعكم من الارض فيجمعكم يوم القيمة فيجازيكم باعمالكم وان تفرقت اجسادكم **ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون** هذا ثالث ما امر الله باستقبال المسجد الحرام من جميع اقطار الارض تاكيدا وتحقيقا وقوله لئلا يكون للناس اي اهل الكتاب فانهم يعلمون من صفة هذه الامة التوجه الى الكعبة فاذا فقدوا ذلك من صفتها ربما احتجوا بها عليهم ولئلا يحتجوا بموافقة المسلمين اياهم في التوجه الى بيت المقدس وقال ابو العالية وغيره يعني به اهل الكتاب حين قالوا صرف محمد الى الكعبة واشتاق الرجل الى بيت ابيه ودين قومه وكان حجتهم على النبي صلى الله عليه وسلم انصرافه الى بيت الحرام ان قالوا سيرجع الى ديننا كما رجع الى قبلتنا وقوله الا الذين ظلموا يعني مشركي مكة ووجهه بعضهم بان الاستثناء منقطع اي ولكن الذين ظلموا يجادلونكم بالباطل وقال ابو عبيدة الا في موضع واو العطف اي والذين ظلموا ايضا لا يكون لهم حجة وقوله فلا تخشوهم اي لا تخشوا شبه الظلمة المتعنتين وافردوا الخشية لي فاني اهل ان اخشى وقوله ولاتم نعمتي عليكم عطف على لئلا يكون اي ولاتم عليكم فيما شرعت لكم من استقبال الكعبة لتكمل لكم الشريعة من جميع وجوهها ولعلكم تهتدون اي الى ما ضلت عنه الامم هديناكم وخصصناكم به ولهذا كانت هذه الامة اشرف الامم وافضلها **كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون** يذكر الله عباده المومنين بما انعم عليهم من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم اليهم يتلو عليهم الآيات المبينات ويزكيهم اي يطهرهم من رذائل الاخلاق وافعال الجاهلية ويعلمهم القرآن والحكمة اي السنة ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون فانهم كانوا في الجاهلية جهالا ضلالا فانتقلوا ببركة رسالته الى حال الاولياء وسجايا العلماء فصاروا اعمق الناس علما وابرهم قلوبا واصدقهم لهجة وكما قلت ذلك ذكر في وقال ابن عباس ببعثة الله محمدا صلى الله عليه وسلم ندب المومنين الى الاعتراف بهذه النعمة

والمعنى لئلا يكون حجة لاحد من الكفار الا للمعاندين منهم وذلك ان بعض اليهود قالوا ما تحول النبي الى الكعبة الا لما قيل انه اخوان محمد الامين يريده فيما بحكم وبعضهم قالوا ما تحول محمد الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء وقال المشركون لو علم محمد انا اهدى سبيلا من اليهود فلذلك رجع عن قبلتهم فيوشك ان يرجع الى ديننا

بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين

اي الحق بالبيان ووضوح البرهان بانك على الحق وان القبلة الكعبة

صفة مصدر وما مصدرية اي معرفة مثل معرفة ابنائهم من ابناء غيرهم

الحسن والعقل لا يلتبسون عليهم والمراد عبد الله بن سلام واصحابه روي انه قال انا اشد معرفة برسول الله مني بابني لاني لا اشك في كتابنا ولا ادري ما احدثت النساء من الخيانة بعد عتقي

محذوف والمعنى لكل فرق مولي وجهه نفسه الى قبلة ومستقبل اليها

ولهذا فاستبقوا الخيرات اي على طلب خيرتها تقول وليته ووليت اليه اذا اقبلت عليه

بادروا ايها المومنون عزتكم اوليستبق بعضكم بعضا الى الطاعات والنقلات البر الحسنات من التوجه الى الكعبة

اي انت وامتك وغيره يا محمد فاجوا ثوابه على الطاعة وخافوا عقابه على المعصية

ان اليهود قالوا لم يرد محمد واصحابه ان قبلتهم حتى يرد بنا بهم وقالوا محمد تحالفنا في ديننا ويصلي الى قبلتنا

وهي حجتهم في توجهكم الى الكعبة

لاتم نعمتي ورحمتي في دنياي وآخرتي

بهدايتي اياكم الى قبلة ابرهيم خليلي واعطاكم مودتي فيهم لكم الملة الحنيفية والدرجات العلية الاخروية

ومخالفتهم

ومعالمتها مذكوره وشكره فقال فاذكروني اذكركم قال زيد بن اسلم ان موسى عليه السلام قال يارب كيف اشكرك قال
تذكرني ولا تنساني فاذا ذكرتني فقد شكرتني واذا نسيتني فقد كفرتني وقال الحسن اي اذكروني فيما افترضت عليكم اذكركم فيما
اوجبت لكم على نفسي قال سعيد بن جبير اذكروني بطاعتي اذكركم بمغفرتي ورحمتي وقال ابن عباس ذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه
وفي الحديث الصحيح يقول الله تعالى من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منهم وقوله واشكروا لي امر الله
بشكره ووعد على شكره بمزيد الخير فقال واذ تاذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان الله اذا انعم على عبد نعمة يحب ان يرى اثر نعمته على خلقه رواه احمد يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر
والصلوة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون
لما فرغ الله من بيان الامر بالشكر شرع في بيان الصبر والارشاد الى الاستعانة بالصبر والصلوة فان العبد اما ان يكون في نعمة فيشكر
عليها او في نقمة فيصبر عليها وفي الحديث عجبا لامر المؤمن ان اصابه خير حمد الله وشكره وان اصابته مصيبة حمد الله وصبر فالمؤمن
يوجر في كل امره رواه البيهقي وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر صلى والصبر صبران فصبر على ترك المحارم
والمآثم وصبر على فعل الطاعات والقربات والثاني اكثر ثوابا لانه المقصود وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما اذا جمع الله
الاولين والآخرين ينادي مناد اين الصابرون ليدخلوا الجنة قبل الحساب قال فيقوم عنق من الناس فتلقاهم الملئكة فيقولون
الى اين يا بني آدم فيقولون الى الجنة فيقولون وقبل الحساب قالوا نعم قالوا ومن انتم قالوا الصابرون قالوا وما كان صبركم
قالوا صبرنا على طاعة الله وصبرنا على معصية الله حتى توفانا الله قالوا انتم كما قلتم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين وقوله ولا تقولوا
لمن يقتل في سبيل الله اموات يخبر تعالى ان الشهداء في برزخهم احياء يرزقون كما جاء في صحيح مسلم مرفوعا ان ارواح الشهداء في حواصل
طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تاوي الى قناديل معلقة تحت العرش فاطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال ماذا تبغون فقالوا
يا ربنا واي شيء نبغي وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك ثم عاد اليهم بمثل هذا فلما راوا انهم لا يتركون من ان يسألوا قالوا
نريد ان تردنا الى الدار الدنيا فنقاتل في سبيلك حتى نقتل فيك مرة اخرى لما يرون من ثواب الشهادة فيقول الرب جل جلاله اني كتبت انهم
اليها لا يرجعون وعن كعب بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده
يوم يبعثه رواه مالك والشافعي واحمد وفيه دلالة لعموم المؤمنين ايضا وان كان الشهداء خصوا بالذكر في القرآن تشريفا لهم وتكريما
ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين
اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
واولئك هم المهتدون اي لنختبرنكم ونمتحننكم بقليل من الخوف والجوع فيظهر كل منهما عليكم ونقص من الاموال اي
ذهاب بعضها والانفس كموت الاصحاب والاقارب والاحباب والثمرات اي لا تغل الحدائق والمزارع كما تعهده وكان
بعض النخيل لا يثمر الا تمرة واحدة وكل هذا وامثاله اختبار من الله عباده فمن صبر اثابه ومن قنط احل به عقابه ولهذا قال
وبشر الصابرين وقال بعضهم المراد من الخوف هنا خوف الله والجوع صيام رمضان ونقص الاموال الزكوة والانفس الامراض
والثمرات الاولاد وفيه نظر ثم بين تعالى من الصابرين الذين شكرهم بقوله الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اي تسلوا
بقولهم هذا عما اصابهم وعلموا انهم ملك لله يتصرف في عبيده بما يشاء وعلموا انه لا يضيع لديه مثقال ذرة يوم القيمة وانهم اليه راجعون
في الدار الآخرة ولهذا اخبر تعالى عما اعطاهم على ذلك فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة اي ثناء من الله عليهم ورحمة امن من العذاب وقال
عمر بن الخطاب نعم العدلان ونعمت العلاوة اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة فهذان العدلان واولئك هم المهتدون

هذه العلاوة وهي ما توضع بين العدلين وهي زيادة في الحمل فكذلك هؤلاء اعطوا ثوابهم وزيدوا ايضا وقد ورد في ثواب الاسترجاع
احاديث كثيرة منها عن ام سلمة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا
لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اجره الله في مصيبته واخلف له خيرا منها قالت فلما
توفي ابو سلمة قلت كما امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخلف الله لي خيرا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه مسلم ان
الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع
خيرا فان الله شاكر عليم عن عروة قال قلت لعائشة ارايت قول الله ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او
اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما فوالله ما على احد جناح ان لا يطوف بهما قالت عائشة بئسما قلت يا ابن اختي انها لو كانت
على ما اولتها عليه كانت فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما ولكنها انما انزلت ان الانصار كانوا قبل ان يسلموا يهلون لمناة الطاغية
التي كانوا يعبدونها عند المشلل وكان من اهل لها يتحرج ان يطوف بالصفا والمروة فسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية ثم قد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بهما فليس لاحد ان يترك الطواف بهما رواه في الصحيحين
وفي مسلم وفي حديث جابر الطويل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من طوافه بالبيت عاد الى الركن فاستلمه ثم خرج من باب
الصفا وهو يقول ان الصفا والمروة من شعائر الله ثم قال ابدأوا بما بدأ الله به وعن حبيبة بنت ابي تجراة قالت رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يطوف بين الصفا والمروة وهو يسعى ويقول اسعوا فان الله كتب عليكم السعي رواه احمد وهذا دليل
لمذهب الشافعي وموافقيه بان السعي بينهما ركن لا يتم الحج الا به وقد بين الله تعالى ان الطواف بينهما من شعائر الله اي مما شرع الله
لابراهيم في مناسك الحج وقد تقدم في حديث ابن عباس في قصة هاجر وترددها بين الصفا والمروة في طلب الماء لولدها
لما نفد ماؤها وزادها حتى كشف الله كربتها وانبع لهما زمزم التي ماؤها طعام طعم وشفاء سقم فينبغي للساعي بينهما
ان يستحضر فقره وحاجته الى الله في هدايته وصلاح حاله ويلتجي اليه ليزيح ما هو فيه من النقائص والعيوب وان يثبته
على الصراط المستقيم الى مماته وان يحوله الى حال الكمال والغفران والله هو الموفق ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات
والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا
واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار
اولئك عليهم لعنة الله والملئكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
قال ابو العالية نزلت هذه الآية في اهل الكتاب كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم اخبر انهم يلعنهم كل شيء على صنيعهم ذلك فكما ان
العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في الماء والطير في الهواء فهؤلاء بخلاف العلماء فيلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وفي الآية
وعيد شديد لمن كتم ما جاءت به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدى النافع للقلوب بعد ما بينه الله لعباده في كتبه المنزلة وفي
الحديث النبوي عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سئل عن علم علمه فكتمه الجم يوم القيمة بلجام من نار
عن البراء قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة فقال ان الكافر يضرب ضربة بين عينيه فيسمعها كل دابة غير الثقلين فتلعنه كل
دابة سمعت صوته فذلك قول الله اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون يعني دواب الارض وقال مجاهد وعكرمة
اذا اجدبت الارض قالت البهائم هذا من اجل عصاة بني آدم لعن الله عصاة بني آدم قال ابو العالية والربيع وقتادة ويلعنهم اللاعنون يعني الملئكة و
المؤمنون ثم استثنى الله بقوله الا الذين تابوا واصلحوا اي رجعوا عما كانوا فيه واصلحوا اعمالهم واحوالهم وبينوا للناس ما كانوا
يكتمونه فاولئك اتوب عليهم وفي هذا دلالة على ان الداعية الى كفر او بدعة اذا تاب الى الله تاب الله عليه بخلاف الامم السالفة فانه لم يكن تقبل

تقبل توبتهم ممن ابتلى بذلك منهم ولكن هذا من شريعة نبي التوبة ونبي الرحمة صلوات الله وسلامه عليه ثم اخبر الله عمن كفر به و
استمر به الحال الى مماته بان عليهم لعنة الله والملئكة والناس اجمعين خالدين فيها اي في اللعنة التابعة لهم الى يوم القيمة ثم المصاحبة
لهم في نار جهنم التي لا يخفف عنهم العذاب اي لا ينقص عما هم فيه ولا يفتر عنهم ساعة واحدة بل هو متواصل دائم والهكم اله واحد
لا اله الا هو الرحمن الرحيم هذا اخبار عن تفرده بالالهية وانه لا شريك له بل هو الله الواحد الفرد الصمد الذي لا اله الا هو
وانه الرحمن الرحيم وفي الحديث القوي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في هذين الايتين والهكم اله واحد
لا اله الا هو الرحمن الرحيم والم الله لا اله الا هو الحي القيوم ثم ذكر الدليل على تفرده بالالهية بتفرده بخلق السموات والارض و
ما فيهما وما بين ذلك مما ذراه وبرأ من المخلوقات الدالة على وحدانيته تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا
به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء و
الارض لايات لقوم يعقلون قال ابن عباس ان قريش اتت محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انا نريد ان تدعو ربك ان
يجعل لنا الصفا ذهبا فنشتري به الخيل والسلاح فنؤمن بك ونقاتل معك فقال اوثقوا الي لئن دعوت ربي فجعل لكم الصفا
ذهبا لتؤمنن بي فاوثقوا له فدعا ربه فاتاه جبرئيل فقال ان ربك قد اعطاهم الصفا ذهبا على انهم ان لم يؤمنوا بك اعذبهم
عذابا لا يعذبه احدا من العالمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب لا بل دعني وقومي فلادعهم يوما بيوم فانزل الله الاية
ان في خلق السموات والارض اي تلك في ارتفاعها واتساعها وكواكبها السيارة والثوابت ودوران فلكها وهذه الارض في
انخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها ووهادها وعمرانها وما فيها من المنافع واختلاف الليل والنهار هذا يجيء ثم يذهب
ويخلفه الآخر ويعقبه لا يتأخر عنه لحظة وتارة يطول هذا ويقصر هذا والفلك التي في البحر اي في تسخير البحر بحمل السفن من جانب
الى جانب لمعاش الناس والانتفاع بما عند اهل ذلك الاقليم وما انزل الله من السماء من ماء فاحيى به الارض بعد موتها كما قال
تعالى واية لهم الارض الميتة احييناها الى قوله ومما لا يعلمون وبث فيها من كل دابة اي على اختلاف اشكالها والوانها ومنافعها
وصغرها وكبرها وهو يعلم ذلك كله ويرزقه ولا يخفى عليه شيء من ذلك وتصريف الرياح اي فتارة تاتي بالرحمة وتارة بالعذاب
وتارة مبشرة بين يدي السحاب وتارة تسوقه وتارة تجمعه وتارة تفرقه وتارة تصرفه والسحاب المسخر اي سائر بين السماء والارض
يسخر الى ما شاء الله من الاراضي والاماكن كما يصرفه تعالى لايات لقوم يعقلون اي في هذه الاشياء دلالات بينة قاطعة على و
حدانية الله تعالى وقال عطاء نزلت بالمدينة والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم فقال كفار قريش بمكة كيف يسع الناس اله
واحد فان كان هذا فليأتنا باية فانزل الله ان في خلق السموات والارض الى قوله يعقلون ومن الناس من يتخذ من دون
الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب
ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب
وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرا منهم كما تبرءوا منا كذلك
يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ذكر الله حال المشركين في الدنيا وما لهم في الاخرة
حيث جعلوا له اندادا اي امثالا ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه وهو الله لا اله الا هو لا ضد له ولا شريك معه
وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك وقوله والذين امنوا
اشد حبا لله ولحبهم لله وتمام معرفتهم به وتوحيدهم له لا يشركون به شيئا بل يعبدونه وحده ويتوكلون في جميع امورهم عليه

ثم توعد الله المشركين به الظالمين لانفسهم بذلك فقال ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا اي ان الحكم
له وحده لا شريك له وان جميع الاشياء تحت قهره وسلطانه ثم اخبر عن كفرهم باوثانهم وتبري المتبوعين من التابعين
فقال اذ تبرا الذين اتبعوا اي الملئكة الذين كانوا يزعمون انهم يعبدونهم في الدنيا تقول الملئكة تبرانا اليك ما كانوا ايانا
يعبدون الى قوله مؤمنون والجن ايضا تتبرا منهم كما قال تعالى ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى قوله كافرين
وقوله وراوا العذاب اي عاينوا عذاب الله وتقطعت بهم الحيل والاسباب للخلاص ولم يجدوا عن النار معدلا ولا مصرفا
قال ابن عباس الاسباب اي المودة وقوله لو ان لنا كرة اي قال الذين اتبعوا لو ان لنا عودة الى الدنيا حتى نتبرا من هؤلاء
ومن عبادتهم فلا نلتفت اليهم بل نوحد الله وحده بالعبادة وهم كاذبون في هذا بل لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه كما اخبر الله
عنهم بذلك ولهذا قال كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات جمع حسرة اي يرفع لهم الجنة فينظرون اليها والى مساكنهم
فيها لو اطاعوا الله فيتحسرون ويبعثون فيخلدون في النار يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا
ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا
على الله ما لا تعلمون لما بين الله انه لا اله الا هو خالق كل شيء بين عليه انه الرازق لجميع خلقه ومن عليهم بانه اباح
لهم مما في الارض حلالا من الله مستطابا في نفسه غير ضار لابدانهم ولا لعقولهم ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان اي
طرائقه ومسالكه فيما اضل اتباعه فيه من تحريم البحائر والسوائب والوصائل ونحوها مما كان زينه لهم في جاهليتهم كما
في حديث صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله ان كل مال منحته عبادي فهو لهم حلال وفيه واني خلقت عبادي
حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما احللت لهم وعن ابن عباس قال تليت هذه الاية
عند النبي صلى الله عليه وسلم فقام سعد بن ابي وقاص فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني مستجاب الدعوة فقال يا سعد اطب
مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذي نفس محمد بيده ان الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه اربعين يوما وايما
عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار اولى به وقوله انه لكم عدو مبين تنفير عنه وتحذير منه وقال قتادة والسدي
المعاصي كلها من خطوات الشيطان ونزغاته وقيل هي نذور الجاهلية كما ان رجلا نذر ان ينحر ابنه فافتاه مسروق بذبح كبش
وقال هذا من خطوات الشيطان وقال ابن عباس ما كان من يمين او نذر في غضب فهو من خطوات الشيطان وقوله انما يامركم
بالسوء والفحشاء اي انما يامركم الشيطان بالافعال السيئة واغلظها الفاحشة كالزنا ونحوه واعظم من ذلك القول على الله بلا علم
فيدخل في هذا كل كافر ومبتدع واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا اولو
كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء و
نداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون اي واذا قيل لهؤلاء الكفرة اتبعوا ما انزل الله على رسوله واتركوا ما انتم فيه من الضلال
والجهل قالوا في الجواب بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اي من عبادة الاصنام والانداد قال تعالى منكرا عليهم اولو كان اباؤهم
اي الذين يقتدون بهم ويتبعون اثرهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون اي ليس لهم فهم ولا هداية وقال ابن عباس نزلت
في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا فانزل الله ذلك ثم ضرب
لهم مثلا فقال ومثل الذين كفروا اي فيما هم فيه من الغي والضلال كالدواب السائمة التي لا تفقه ما يقال لها بل اذا نعق بها
راعيها اي دعاها الى ما يرشدها لا تفقه ما يقول بل انما تسمع صوته فقط هذا عن ابن عباس واتباعه وقوله صم بكم عمي اي صم

عن سماع الحق بكم لا يتفوهون به عمي عن رؤية طريقه ومسلكه فهم لا يعقلون شيئا ولا يفهمونه يا ايها الذين آمنوا كلوا
من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم امر الله المؤمنين باكل الحلال
وان يشكروه على ذلك ان كانوا عبيده فان اكل الحلال سبب لاجابة الدعاء والعبادة كما ان اكل الحرام يمنع قبولهما كما في صحيح مسلم عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وقال يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل
يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب
لذلك ولما امتن عليهم برزقه وارشدهم الى الاكل من طيبه ذكر انه لم يحرم عليهم من ذلك الا الميتة وهي التي تموت حتف انفها
من غير تذكية شرعية وكذلك الدم من اي نوع كان والمراد به الجاري وقد استثنى الشرع من الميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد
والطحال كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان الميتتان الحوت والجراد والدمان الكبد والطحال رواه
احمد وابن ماجه وكذلك حرم عليهم لحم الخنزير مطلقا وكذا شحمه فانه منه وكذلك حرم عليهم ما اهل به لغير الله وهو ما ذبح على
غير اسمه تعالى من الانصاب والانداد والازلام ونحو ذلك مما كانت الجاهلية ينحرون له ثم اباح تعالى تناول ذلك عند الضرورة عند
فقد غيرها من الاطعمة فقال فمن اضطر غير باغ اي في غير بغي ولا عدوان وهو مجاوزة الحد فلا اثم عليه اي في اكل ذلك وقال مجاهد
غير باغ ولا عاد اي ان كان قاطعا للسبيل او مفارقا للائمة او خارجا في معصية الله فلا رخصة له وان اضطر اليه وقيل اي غير
مستحله وقال عطاء لا يشوي من الميتة ليشتهيه ولا يطبخه ولا ياكل الا العلقة وهي ما يسد رمقه وقوله ولا عاد اي لا يشبع
منها وقال قتادة في اكله ان يتعدى حلالا الى حرام وهو يجد عنه بدا وقوله فلا اثم عليه اي فيما اكل من اضطرار ولا يزيد على ثلث
لقم ان الله غفور لما اكل من الحرام رحيم اذ اباح له من الحرام في الاضطرار قاله ابن جبير ان الذين يكتمون ما انزل الله من
الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيمة
ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم
على النار ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد يعني اليهود الذين
كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم مما يشهد له بالرسالة فكتموا ذلك لئلا تذهب رياستهم وما ياخذونه من الهدايا ويخشوا ان
اظهروا ذلك ان تتبعه الناس ويتركوهم ويفوتهم ذلك فباعوا انفسهم بذلك النزر القليل واعتاضوا عن الهدى واتباع
الحق فخابوا وخسروا في الدارين اما في الدنيا فان الله قد اظهر لعباده صدق رسوله بالآيات الظاهرات فصدقه الذين كانوا يخافون
ان يتبعوه وصاروا عونا له على قتالهم وذمهم الله في كتابه في غير موضع من ذلك هذه الآية فقوله ما ياكلون اي انما ياكلون ما
ياكلونه في مقابلة كتمان الحق نارا تأجج في بطونهم يوم القيمة كما قال تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الآية وقوله
ولا يكلمهم الله لانه غضبان عليهم لما كتموا مما علموا فاستحقوا الغضب فلا ينظر اليهم ولا يزكيهم اي لا يثني عليهم ولا يمدحهم بل يعذبهم
عذابا اليما وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك
كذاب وعائل مستكبر ثم اخبر الله عنهم بقوله اولئك الذين اشتروا اي اعتاضوا واستبدلوا عن الهدى ونشر ما في كتبهم من نعته وصفته
صلى الله عليه وسلم بالضلالة وهو تكذيبه والكفر به والعذاب بالمغفرة اي اعتاضوا عن المغفرة بالعذاب وهو ما تعاطوه من اسبابه

المذكورة وقوله فما اصبرهم على النار اي انهم في عذاب شديد يتعجب من رآهم فيها من صبرهم على ذلك من شدة ما هم فيه من العذاب
وقوله ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي انما استحقوا هذا العذاب الهائل لان الله انزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى الانبياء
قبله كتبه بتحقيق الحق وابطال الباطل وهؤلاء اتخذوا آيات الله هزوا فخالفوه وكذبوه وجحدوه وكتموا صفته فلهذا استحقوا
العذاب والنكال وقوله لفي شقاق اي لفي خلاف وضلال بعيد ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب
ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة وآتى الزكوة
والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في الباساء والضراء وحين الباس اولئك الذين
صدقوا واولئك هم المتقون هذه آية عظيمة مشتملة على جمل وقواعد عميمة وعقيدة مستقيمة كما روي عن ابي ذر انه
سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فتلا عليه ليس البر ان تولوا وجوهكم الى آخر الآية ثم سأله ايضا فتلاها عليه ثم سأله فقال
اذا عملت حسنة احبها قلبك واذا عملت سيئة ابغضها قلبك وهذا منقطع ولما امر الله المؤمنين الى التحول الى الكعبة شق ذلك
على طائفة من اهل الكتاب وبعض المسلمين فانزل الله بيان حكمته فيه وهو ان المراد هو طاعة الله وامتثال اوامره والتوجه حيثما وجه
فهذا هو البر والتقوى والايمان الكامل وليس في لزوم التوجه الى جهة من المشرق والمغرب بر ولا طاعة ان لم يكن عن امر الله و
شرعه ولهذا قال ليس البر الى آخر الآية وعن ابن عباس اي ليس البر ان تصلوا ولا تعملوا فهذا حين تحول من مكة الى المدينة
ونزلت الفرائض والحدود فامر الله بالفرائض والعمل بها فان هذا كمال الايمان وحقيقته العمل وعن مجاهد البر ما ثبت في القلوب
من طاعة الله ولكن البر اي التقوى ان تؤدوا الفرائض على وجوهها وعن الثوري هذه انواع البر كلها وهو كما قال فان من اتصف
بهذه الآية فقد استكمل الايمان وهو الايمان بالله وانه لا اله الا هو وصدق بوجود الملائكة الذين هم سفرة بين الله ورسله والكتاب
وهو اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الانبياء حتى ختمت باشرفها وهو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب المشتمل على كل سعادة
في الدارين الذي نسخ به كل ما سواه من الكتب قبله وآمن بانبياء الله كلهم من اولهم الى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم اجمعين وآتى
المال اي واخرجه وهو محب له راغب فيه كما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال افضل الصدقة ان تصدق
وانت صحيح شحيح تامل الغنى وتخشى الفقر وكما قال ويطعمون الطعام على حبه الآية وذوي القربى هم قرابات الرجل وهم اولى من
اعطى من الصدقة لانه صدقة وصلة واليتامى هم الذين لا كاسب لهم وقد مات آباؤهم وهم ضعفاء دون البلوغ والقدرة
على الكسب وفي الحديث لا يتم بعد الحلم والمساكين وهم الذين لا يجدون ما يكفيهم في قوتهم وكسوتهم وسكناهم فيعطون
ما يسد حاجتهم وخلتهم وفي الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده التمرة والتمرتان
واللقمة واللقمتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه وابن السبيل وهو المسافر المجتاز الذي
قد فنيت نفقته فيعطى ما يوصله الى بلده وكذا المسافر في طاعة فيعطى ما يكفيه ذهابا وايابا وعن ابن عباس هو الضيف
الذي ينزل بالمسلمين وكذا عن الائمة والسائلين قالوا وهم الذين يتعرضون للطلب فيعطون من الزكوات والصدقات كما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على فرس رواه احمد وفي الرقاب وهم المكاتبون الذين لا يجدون ما يؤدونه في كتابتهم
وسياق الكلام على هذه الاصناف في سورة براءة ان شاء الله وعن فاطمة بنت قيس قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المال
حق سوى الزكوة ثم قرأ ليس البر ان تولوا وجوهكم الى قوله وفي الرقاب وقوله واقام الصلوة اي واتم افعال الصلوة في اوقاتها باركانها

المكتوبة

ولا تمهل حتى اذا بلغت الروح الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا

وابعاضها على الوجه المشروع وقوله وآتى الزكوة يحتمل ان يكون المراد به زكوة النفس وتخليصها من الرذائل والاخلاق الدنية لقوله قد افلح من زكيها وان يراد به زكوة المال كما قاله سعيد بن جبير ويكون المذكور من قبل هو التطوع والبر والصلة وقوله والموفون بعهدهم اذا عاهدوا هم المخلصون في دين الله وعكسه النفاق كما صح في الحديث آية المنافق ثلث اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وقوله والصابرين في البأساء اي في حال الفقر وفي حال المرض وهو الضراء وحين البأس اي في حال القتال مع الاعداء قاله ابن مسعود وابن عباس وقتادة والتابعين وانما نصب الصابرين على المدح والحث على الصبر في هذه الاحوال لشدته وصعوبته وقوله اولئك الذين صدقوا اي هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا في ايمانهم لانهم حققوا الايمان القلبي بالاقوال والافعال واولئك هم المتقون لانهم اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات **يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم تتقون** نزلت في قريظة والنضير وذلك ان بني النضير قد غلبت قريظة في الجاهلية وقهروهم فكان اذا قتل النضري القرظي لا يقتل به بل يفادي بمائة وسق من التمر واذا قتل القرظي النضري قتل به او فادوه بمائتي وسق من التمر ضعف دية القرظي فامر الله بالعدل في القصاص اي اوجب الله عليكم القصاص ايها المؤمنون فاقتلوا حركم بحركم وعبدكم بعبدكم وانثاكم بانثاكم ولا تتجاوزوا ولا تعتدوا كما اعتدى من قبلكم وغيروا حكم الله فيهم كفرا وعنادا وقال سعيد بن جبير ان حيين من العرب في الجاهلية اقتتلوا قبل الاسلام بقليل وكان بينهم قتل وجراحات حتى قتلوا العبيد والنساء فلم يقتص بعضهم من بعض حتى اسلموا وكان احد الحيين يتطاول على الآخر في العدة والاموال فحلفوا ان لا يرضوا حتى يقتل بالعبد منا الحر منهم والمرأة منا بالرجل منهم فنزل فيهم الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى والقرينتان الاخريان منسوختان بقوله النفس بالنفس فجعل الاحرار في القصاص سواء فيما بينهم من العمد في النفس فما دونها وجعل العبيد مساوين فيما بينهم من العمد في النفس فما دونها رجالهم ونساؤهم قاله ابن عباس وقوله فمن عفي قال ابن عباس فالعفو ان يقبل الدية في العمد وكذا قاله آخرون فاتباع بالمعروف اي فعلى الطالب اتباع بالمعروف اذا قبل الدية وعلى القاتل اداء اليه باحسان اي من القاتل من غير ضرر ولا مدافعة ويؤدي ذلك باحسان ذلك تخفيف اي الذي شرع لكم من اخذ الدية في العمد تخفيف من الله عليكم ورحمة بكم مما كان محتوما على الامم قبلكم من القتل والعفو فانه لم يكن في بني اسرائيل العفو بالدية ولا ان منهم وكان من اهل الانجيل العفو فجعل لهذه الامة القصاص والعفو والدية وقوله فمن اعتدى بعد ذلك اي بعد اخذ الدية وقبولها فله عذاب شديد موجع والاعتداء القتل بعد اخذ الدية وعن ابي شريح الخزاعي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اصيب بقتل او خبل اي جرح فانه يختار احدى ثلاث اما ان يقتص واما ان يعفو واما ان ياخذ الدية فان اراد الرابعة فخذوا على يديه ومن اعتدى بعد ذلك فله نار جهنم خالدا فيها رواه احمد وقوله ولكم في القصاص حيوة اي شرع القصاص لكم حكمة عظيمة وهي بقاء المهج وصونها لانه اذا علم القاتل انه يقتل انكف عن صنيعه فكان في ذلك حيوة النفوس وفي الكتب المتقدمة القتل انفى للقتل وهذه العبارة في القرآن افصح وابلغ واوجز وقال طائفة من العلماء بيني وبينكم من يحل يريد ان يقتل آخر فيمنعه مخافة ان يقتل يا اولي الالباب اي ذوي العقول والفهوم والنهى لعلكم تتقون اي تنزجرون وتتركون محارم الله والتقوى اسم جامع لفعل الطاعات وترك المنكرات **كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين**

هذه الآية جامعة للكمالات الانسانية باسرها ودالة عليها لانها بكثرتها وكثرة تشعبها منحصرة في ثلثة اشياء صحة العقيدة وحسن الادب مع الخالق والخليقة وتهذيب النفس عن النقيصة ولهذا وصف الله سبحانه المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه وطوية جنانه وبالتقوى اعتبارا للمعاملة مع الحق والخلق واليه اشار النبي بقوله عليه الصلوة والسلام من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان ٩

كتب عليكم القصاص في القتلى اي المقتولين اذا كان القتل عمدا والقصاص ان تفعل بالجاني مثل ما فعل بالمجني عليه ويشتق عنه صورة واصله من قص اثره اذا تبعه ومنه القصة لانها اتباع لخبر ماض ومعنى الايجاب يتوجه على الولي ان لا يتعدى وعلى القاتل ان يسلم النفس وعلى الحكام الحكم به والتمكين للولي اذا طلبه ٩

بالمعروف حقا على المتقين فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم هذا امر بالوصية للوالدين والاقارب وكان واجبا على الاصح حتى نزلت آية الفرائض فنسخته وصارت المواريث مقررة ياخذها اهلها من غير وصية ولهذا جاء في السنن عن عمرو بن خارجة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب وهو يقول ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث وعن ابن عباس قال كان لا ارث مع الوالدين غيرهما الا وصية الاقربين فانزل الله آية الميراث فبين ميراث الوالدين واقر وصية الاقربين من الثلث قال الشيخ رحمه الله والعجب من ابي عبد الله الرازي كيف ذكر في تفسيره الكبير ان هذه الآية غير منسوخة وانما هي مفسرة بآية المواريث ومعناه كتب عليكم ما اوصى به من توريث الوالدين والاقربين من قوله يوصيكم الله في اولادكم هذا نزاع لفظي لا يخفى على الفطن والله اعلم قال وهو قول اكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء قال ومنهم من قال انها ثابتة منسوخة فيمن يرث ثابتة فيمن لا يرث وهو مذهب ابن عباس وبعض الائمة واجابه بان تحملنا انه قال به جماعة ولكن على قول هؤلاء لا يسمى هذا نسخا في اصطلاحنا المتاخر لان آية الميراث انما رفعت حكم بعض افراد ما دل عليه عموم آية الوصية لان الاقربين اعم ممن يرث وممن لا يرث فرفع حكم من يرث بما عين له وبقي الآخر على ما دلت عليه الآية الاولى وهذا على قول من قال ان الوصاية في ابتداء الاسلام كان ندبا حتى نسخت فاما على قول من قال كانت واجبة وهو الاصح فيتعين ان تكون منسوخة بآية الميراث لما سبق فآية الميراث حكم مستقل لذوي الفروض والعصبات رفع بها حكم هذه بالكلية وبقي الاقارب الذين لا ميراث لهم والمستحب ان يوصي لهم من الثلث استيناسا بآية الوصية ولما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده والاحاديث والآيات ببر الاقارب والاحسان اليهم كثيرة وقوله ان ترك خيرا اي مالا واختلفوا هل الوصية فيه مشروعة قليلا كان او كثيرا ام مخصوصة بالكثير فمنهم من قال بها مطلقا ومنهم من خصصها بالكثير وكم الكثير روي ان رجلا من قريش مات فترك ثلثمائة او اربعمائة درهم ولم يوص قال علي رضي الله عنه ليس بشيء انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وقال ابن عباس من لم يترك ستين دينارا لم يترك خيرا وقال طاوس لم يترك خيرا من لم يترك ثمانين دينارا وقوله بالمعروف اي بالرفق والاحسان بحيث لا يجحف بورثته كما ثبت في الصحيحين ان سعدا قال يا رسول الله ان لي مالا ولا يرثني الا ابنة لي افاوصي بثلثي مالي قال لا قال فالشطر قال لا قال فالثلث قال والثلث كثير انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس وقال ابن عباس لو ان الناس غضوا من الثلث الى الربع فانه عليه الصلوة والسلام قال والثلث كثير وقوله فمن بدله اي فمن بدل الوصية فغير حكمها بعد ان عرفها وزاد فيه او نقص او كتم فانما اثمه على الذين يبدلونه اذ ذلك وقد وقع اجر الميت على الله قاله ابن عباس ان الله سميع اي قد اطلع على ما اوصى به الميت وهو عليم بذلك وبما بدله الموصى اليهم جنفا قال ابن عباس وآخرون الجنف الخطأ وهذا يشمل انواع الخطأ كلها وهو الميل عن الحق او اثما اي عمدا وحيفا وعدوانا وقد ورد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الخير سبعين سنة فاذا اوصى حاف في وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل اهل الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة قال ابو هريرة اقرؤوا ان شئتم تلك حدود الله فلا تعتدوها وقوله فلا اثم عليه اي ان الرجل اذا حضر ميتا وهو يوصي وراه يميل عن الحق او يسرف او يحيل في تنقيص او ترجيح فلا حرج عليه ان يامره بالعدل وينهاه عن الحيف وقال بعضهم فلا حرج على وصيه او وليه او حاكم المسلمين ان يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصى لهم فرد الوصية الى العدل والحق **يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم**

الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون امر الله تعالى بالصيام وهو الامساك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله لما فيه من تزكية النفس وتنقيتها من الاخلاط الرديئة والاخلاق الرذيلة امر وجوب كما اوجب على من كان قبلكم فليجتهد هؤلاء في اداء هذا الفرض اكمل مما فعله اولئك لتضييق مسالك الشيطان منهم كما ثبت في الصحيحين يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء ثم بين انه ليس في جميع الايام فيتحرجوا عنه بل اياما معدودات ثلثة ايام من كل شهر وكان هذا في ابتداء الاسلام ثم نسخ بصوم رمضان كما سياتي روي عن ابن مسعود وابن عباس ومعاذ رضي الله عنهم ان الصيام اولا من كل شهر ثلثة ايام لم يزل هكذا مشروعا من زمان نوح الى ان نسخ بصوم شهر رمضان ق ل الحسن البصري والله لقد كتب الصيام على كل امة خلت كما كتبه علينا شهرا كاملا واياما معدودة وقوله لعلكم تتقون اى بالصوم لانه وصلة الى التقوى لما فيه من كسر الشهوات ثم بين الله حكم الصيام فقال فمن كان منكم مريضا اى المريض والمسافر لا يصومان في حالهما لما في ذلك من المشقة عليهما بل يفطران ويقضيان بعدة ذلك من ايام اخر لكن الصحيح المقيم الذي يطيق الصيام فقد كان مخيرا بين الصيام وبين الاطعام ان شاء صام وان شاء افطر واطعم عن كل يوم مسكينا فان اطعم اكثر من مسكين عن كل يوم فهو خير وان صام كان افضل من الاطعام قاله ابن مسعود وابن عباس واتباعهما وفي مسند احمد عن معاذ قال احيل الصيام على ثلثة احوال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلثة ايام وصام عاشوراء ثم ان الله فرض عليه الصيام وانزل الله يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام الآية فكان من شاء صام ومن شاء اطعم مسكينا فاجزأ ذلك عنه ثم انزل الله الآية الاخرى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن الى قوله فليصمه فاثبت الله صيامه على المقيم الصحيح ورخص فيه للمريض والمسافر وثبت الاطعام على الكبير الذي لا يستطيع الصيام قال وكانوا ياكلون ويشربون وياتون النساء ما لم يناموا فاذا ناموا امتنعوا ثم ان رجلا من الانصار يقال له صرمة كان يعمل صائما حتى امسى فجاء الى اهله فصلى العشاء ثم نام فلم ياكل ولم يشرب حتى اصبح صائما فراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جهد جهدا شديدا فقال ما لي اراك قد جهدت جهدا شديدا قال يا رسول الله اني عملت امس فجئت حين جئت فالقيت نفسي فنمت فاصبحت حين اصبحت صائما قال وكان عمر قد اصاب من النساء بعدما نام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فانزل الله احل لكم ليلة الصيام الرفث الآية رواه ابو داود وفي الصحيحين عن عائشة انها قالت كان عاشوراء يصام فلما نزل رمضان كان من شاء صام ومن شاء افطر وقوله وعلى الذين يطيقونه فدية وقرا بعضهم يطوقونه ق ل ابن مسعود اى يتجشمونه وكان من شاء صام ومن شاء افطر واطعم كما سبق حتى نسختها فمن شهد منكم الشهر فليصمه د ق ل ابن عباس هذا في شان الشيخ الكبير والمراة الكبيرة لا يستطيعان ان يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا وليس بمنسوخ مطلقا فالحاصل ان النسخ ثابت في حق الصحيح المقيم دون الشيخ الفاني المقيم الذي لا يستطيع الصيام فله ان يفطر ولا قضاء عليه لعجزه عنه لكن يجب عليه الاطعام كما مر على الصحيح ومما الحق بهذا الحامل والمرضع اذا خافتا على انفسهما او ولدهما حكما وفدية شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون مدح الله شهر رمضان بانزال القرآن فيه وكما اختصه بذلك ورد الحديث بان الكتب الالهية انزلت فيه

مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون وسمي بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع او لانه يرمض الذنوب اى يحرقها خبر مبتدا محذوف تقديره هي الشهر يعني الايام المعدودات فما بعده نعت له او بدل من الصيام على حذف المضاف اى كتب عليكم صيام شهر رمضان او مبتدا خبره الذي انزل فيه القرآن اى ابتدئ فيه انزاله او انزل كله في ليلة القدر من اللوح الى بيت العزة في السماء الدنيا ثم نزل به جبريل نجوما في عشرين او ثلث وعشرين سنة بحسب الحوادث والمصالح

على الانبياء عليهم السلام في مسند احمد عن واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انزلت صحف ابراهيم في اول ليلة من رمضان وانزل الله القرآن لاربع وعشرين خلت من رمضان وفي رواية جابر ان الزبور نزل لثنتى عشرة خلت من رمضان والانجيل لثمانى عشرة خلت من رمضان والباقي كما تقدم اما الصحف والتورية والزبور والانجيل فنزل كل منها على النبي الذي انزل عليه جملة واحدة واما القرآن فانما نزل جملة واحدة الى بيت العزة من السماء الدنيا في ليلة القدر من شهر رمضان كما قال انا انزلناه في ليلة القدر وقال انا انزلناه في ليلة مباركة ثم نزل بعد متفرقا بحسب الوقائع ترتيلا في الشهور والايام على رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا روي عن ابن عباس وقوله هدى للناس اى دلائل وحجج بينة واضحة لمن فهمها وتدبرها دالة على صحة ما جاء به من الهدى المنافي للضلال والرشد المخالف للغي ومفرقا بين الحق والباطل والحلال والحرام وقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه هذا ايجاب حتم على من شهد هلال رمضان وكان مقيما صحيحا في بدنه ان يصوم لا محالة وقد سبق انه ناسخ لما مضى ولما ختم حكم الصيام اعاد ذكر الرخصة للمريض والمسافر في الافطار بشرط القضاء فقال ومن كان مريضا منكم اى ومن كان به مرض يشق عليه الصيام معه او يتضرر به او في سفر مباح فله ان يفطر فاذا افطر يقضي مكان كل يوم يوما آخر ولهذا قال يريد الله بكم اليسر اى انما رخص لكم في الفطر في الحالتين تيسيرا عليكم ورحمة بكم **وههنا مسائل يتعلق بالآية احدها** انه قد ذهب طائفة من السلف قالوا من كان مقيما في اول الشهر ثم سافر في اثنائه لم يجز له الافطار بعذر السفر لقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وانما يباح الافطار لمسافر استهل الشهر وهو مسافر وهذا مردود بانه صلى الله عليه وسلم خرج في شهر رمضان لغزوة الفتح فصام حتى بلغ الكديد ثم افطر وامر الناس بالفطر متفق عليه **الثانية** ذهب بعض الصحابة والتابعين الى وجوب الافطار في السفر لقوله فعدة من ايام اخر والصحيح الذي عليه الجمهور ان الامر في ذلك على التخيير وليس بحتم لما روى ابو سعيد ق ل غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لست عشرة مضت من شهر رمضان فمنا من صام ومنا من افطر فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم رواه مسلم **الثالثة** قالت طائفة منهم الشافعي الصيام في السفر افضل من الافطار لفعل النبي صلى الله عليه وسلم كما سبق وقالت طائفة بل الافطار افضل اخذا بالرخصة لما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الصوم في السفر فقال من افطر فحسن ومن صام فلا جناح عليه وقالت طائفة هما سواء لحديث عائشة ان حمزة بن عمرو الاسلمي قال يا رسول الله اني كثير الصيام افاصوم في السفر فقال ان شئت فصم وان شئت فافطر متفق عليه وقيل ان تضرر بالصيام فالافطار افضل لحديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا قد ظلل عليه فقال ما هذا فقالوا صائم فقال ليس من البر الصيام في السفر متفق عليه **الرابعة** القضاء هل يجب متتابعا ام يجوز متفرقا فيه قولان احدهما يجب التتابع لان القضاء يحكي الاداء والثاني لا يجب لان التتابع انما يجب في الشهر لضرورة ادائه فيه اما بعد انقضائه فالمراد صيام ايام عدة ما افطر ولهذا قال فعدة من ايام اخر ثم قال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وفي الصحيحين عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا وفي السنن انه عليه الصلوة والسلام قال بعثت بالحنيفية السمحة السهلة اى انما ارخص لكم في الافطار للعذر لارادته بكم اليسر وانما امركم بالقضاء لتكملوا عدة شهركم وقوله ولتكبروا الله على ما هداكم اي لتذكروا الله عند انقضاء عبادتكم كما قال فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله الآية وقوله في سورة الجمعة واذكروا الله كثيرا وقوله وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس الآية ولهذا جاءت السنة باستحباب التسبيح والتكبير والتحميد بعد الصلوات المكتوبات ولهذا قالوا بمشروعية التكبير في عيد الفطر من هذه الآية حتى ذهب داود الظاهري الى وجوبه في عيد الفطر وفي مقابلته مذهب ابى حنيفة بانه لا يشرع التكبير في عيد الفطر والباقون على استحبابه وقوله ولعلكم تشكرون اى اذا قمتم بما امركم الله به من اداء

وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن اى انزل وهو هداية للناس باعجازه وآيات واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل ه ق

عن عمر بن الخطاب قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوتين في رمضان يوم بدر والفتح فافطرنا فيهما رواه في شرح السنة

[illegible] رخصا [illegible] عنكم من الافطار رخص لكم عند وجود الاعذار

الفسق والمشقة بالزام الصوم فيها او اليسر الخير والصلاح [illegible] والعسر الشر والفساد رخص لكم [illegible] بالاعذار لتسهل عليكم [illegible] ولتتموا عدة رمضان بالقضاء عدة ما فات

ذوابته وترك محارمه وحفظ حدوده فلعلكم ان تكونوا من الشاكرين لانعمه واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون روي ان اعرابيا قال يا رسول الله اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فانزل الله هذه الآية وقال عطاء لما نزلت وقال ربكم ادعوني استجب لكم قال الناس لو نعلم اي ساعة ندعو فنزلت الآية وعن ابي موسى الاشعري قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فجعلنا لا نصعد شرفا ولا نعلو شرفا ولا نهبط واديا الا رفعنا اصواتنا بالتكبير قال فدنا منا فقال يا ايها الناس اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غائبا انما تدعون سميعا بصيرا ان الذي تدعون اقرب الى احدكم من عنق راحلته رواه في الصحيحين وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا دعاني وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه رواهما احمد والمراد انه تعالى لا يخيب دعاء داع ولا يشغله عنه شيء بل هو سميع الدعاء وعن ابي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا اعطاه الله بها احدى ثلاث خصال اما ان يعجل دعوته واما ان يدخرها له في الآخرة واما ان يصرف عنه من السوء مثلها قالوا اذا نكثر قال الله اكثر رواه احمد والترمذي وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع باثم او قطيعة رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول دعوت فلم ار يستجاب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء رواه مسلم وفي ذكره تعالى هذه الآية الباعثة على الدعاء متخللة بين احكام الصيام ارشاد الى الاجتهاد في الدعاء عند اكمال العدة بل وعند كل فطر لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للصائم عند فطره لدعوة ما ترد رواه ابن ماجه وقوله فليستجيبوا لي اي فليجيبوا لي بالطاعة وليستدعوا مني الاجابة احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون هذه رخصة من الله للمسلمين ورفع لما كان عليه الامر في الابتداء فانه كان اذا افطر احدهم حل له الاكل والشرب والجماع الى صلاة العشاء او ينام قبل ذلك وحينئذ كان ذلك يحرم عليه الى الليلة القابلة فوجدوا من ذلك مشقة كبيرة والرفث هنا الجماع قاله ابن عباس والجمهور وقوله هن لباس لكم قال ابن عباس وآخرون يعني هن سكن لكم وانتم سكن لهن قيل لا يسكن شيء الى شيء كسكون احد الزوجين الى الآخر وقال الربيع هن فراش لكم وانتم لحاف لهن والحاصل ان كلا منهما يخالط الآخر ويباشره فناسب لهما الرخصة في المجامعة ليلة رمضان لئلا يشق عليهما كما قيل: اذا ما الضجيع ثنى جيدها : تداعت فكانت عليه لباسا وقد سبق سبب نزول الآية في حديث معاذ فرتبا وفي البخاري ان البراء قال لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله وكان رجال يخونون انفسهم فانزل الله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم وقال ابن عباس كان المسلمون في شهر رمضان اذا صلوا العشاء حرم عليهم النساء والطعام الى مثلها من القابلة ثم ان ناسا من المسلمين اصابوا من النساء والطعام في شهر رمضان ليلة بعد العشاء منهم عمر بن الخطاب فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله الآية وفي رواية ان عمر لما اصاب جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشكو الى الله واليك الذي صنعت من وقاعي مع اهلي فقال عليه الصلاة والسلام ما كنت خليقا ان تفعل فنزل احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم

الآية وقوله تختانون انفسكم اي تجامعون النساء وتاكلون وتشربون بعد صلاة العشاء فتاب عليكم وعفا عنكم فكان ذلك عفوا من الله ورحمة فالآن باشروهن اي جامعوهن وابتغوا ما كتب الله لكم يعني الولد مع حظ الجماع وقيل ليلة القدر وقوله كلوا واشربوا اباح الله تعالى الاكل والشرب مع ما تقدم من اباحة الجماع في اي ساعة من الليل شاء الصائم الى ان يتبين ضياء الصبح من سواد الليل وعبر عن ذلك بالخيط الابيض من الخيط الاسود ودفع اللبس بقوله من الفجر كما جاء في البخاري عن سهل بن سعد قال انزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ولم ينزل من الفجر وكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجليه الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل حتى تتبين له رؤيتهما فانزل الله بعد من الفجر فعلموا انما يعني الليل والنهار وعن عدي بن حاتم قال لما نزلت هذه الآية وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود عمدت الى عقالين احدهما اسود والآخر ابيض فجعلتهما تحت وسادتي وجعلت انظر اليهما فلا يتبين لي الابيض من الاسود فلما اصبحت غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بالذي صنعت فقال ان وسادك اذا لعريض انما ذلك بياض النهار من سواد الليل رواه في الصحيحين وقوله ان وسادك لعريض اي ان كان يسع لوضع الخيط الاسود والابيض المرادين من الآية تحتها فانهما بياض النهار وسواد الليل فيقتضي ان يكون بعرض المشرق والمغرب هكذا فسر في البخاري وفي اباحته تعالى جواز الاكل الى الفجر دليل على استحباب السحور لانه من باب الرخصة والاخذ بها محبوب ولهذا وردت السنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحث على السحور كما في الصحيحين عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسحروا فان في السحور بركة وفي مسلم قال عليه الصلاة والسلام ان فصل ما بين صيامنا وصيام اهل الكتاب اكلة السحر ويستحب تاخيره الى قرب انفجار الفجر لما جاء في الصحيحين لما جاء في الصحيحين عن انس عن زيد بن ثابت قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا الى الصلاة قال انس قلت لزيد كم كان بين الاذان والسحور قال قدر خمسين آية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال امتي بخير ما عجلوا الافطار واخروا السحور رواه احمد وقد ورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه الغداء المبارك وكما يجوز الافطار بغروب الشمس يجب الامساك بطلوع الفجر حتى يصح الصوم ففي الصحيحين عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يمنعنكم اذان بلال من سحوركم فانه ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا اذان ابن مكتوم فانه لا يؤذن حتى تطلع الفجر ومن جعله تعالى الفجر غاية اباحة الجماع استدل على انه من اصبح جنبا في رمضان يغتسل ويصح صومه ولا حرج عليه لما في الصحيحين من حديث عائشة وام سلمة رضي الله عنهما انهما قالتا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح جنبا من جماع غير احتلام ثم يغتسل ويصوم قالت ام سلمة ثم لا يفطر ولا يقضي وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل يقتضي الافطار بغروب الشمس حكما شرعا كما جاء في الصحيحين عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا فقد افطر الصائم وفيهما ايضا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وفي مسند احمد عن ليلى امراة بشير بن الخصاصية قالت اردت ان اصوم يومين مواصلة فمنعني بشير وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه وقال يفعل ذلك النصارى ولكن صوموا كما امركم الله واتموا الصيام الى الليل فاذا كان الليل فافطروا ولهذا ورد النهي عن الوصال في الاحاديث الصحيحة وهو ان يصل صوم يوم بيوم آخر ولا ياكل بينهما شيئا منها ما قالت عائشة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة لهم قالوا انك تواصل قال اني لست كهيئتكم اني يطعمني ربي ويسقيني فقد ثبت النهي عنه للامة وانه كان من خصائصه وانه عليه الصلاة والسلام كان يقوى على ذلك ويعان والاظهر ان ذلك الطعام والشراب في حقه انما كانت معنوية لا حسيا والا فلا يكون مواصلا مع الحسي ولكن كما قال الشاعر لها احاديث من ذكراك تشغلها

عن الشراب وتلهيهما عن الزاد وأما من أحب الإمساك إلى وقت السحر فله ذلك لما في الصحيحين عن أبي سعيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تواصلوا فأيكم أراد أن يواصل فليواصل إلى السحر وكان السلف يفعلون هكذا ويواصلون من السحر إلى السحر
وبعضهم يواصلون الأيام المتعددة رياضة لأنفسهم كثيرا وكانوا يجدون قوة عليه كما روي عن ابن الزبير رضي الله عنهما أنه
كان يواصل سبعة أيام ويصبح في اليوم السابع أقواهم وأجلدهم لأنهم يفعلونه عبادة وقال أبو العالية إنما فرض الله
الصيام بالنهار فإذا جاء الليل فمن شاء أكل ومن شاء فلا يأكل وقوله تعالى ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد المراد
بالمباشرة هنا المجامعة والعكوف الإقامة على الشيء أي لا تقربوهن ما دمتم عاكفين في المسجد ولا في غيره كذا قاله مجاهد و
غير واحد وهم كانوا يفعلون ذلك حتى نزلت هذه الآية وهذا أمر متفق عليه أن المعتكف يحرم عليه مجامعة النساء ما دام
معتكفا في المسجد أو ذهب إلى منزله لحاجة وكذا مقدماتها بالإنزال وله شرائط وأحكام مبينة في كتب الفقه وذكر الاعتكاف
بعد الصيام إرشاد وتنبيه على الاعتكاف في الصيام أو في أواخر شهر الصيام كما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان
يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده هكذا في الصحيحين وقوله تلك حدود الله
أي المباشرة في الاعتكاف وقال عبد الرحمن بن زيد يعني هذه الحدود الأربعة وقرأ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى قوله إلى
الليل وهكذا عن غيره كذلك يبين الله آياته للناس أي كما بين الصيام وأحكامه وشرائعه كذلك يبين الله سائر أحكام الدين على
لسان نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم للناس لعلهم يتقون أي لكي يتقوا ويعرفوا كيف يهتدون وكيف يطيعون لينجوا من العذاب

ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم و
أنتم تعلمون قال ابن عباس وأكثر المفسرين هذا في الرجل يكون عليه مال بلا بينة فيجحده ويخاصم إلى الحكام وهو يعرف أن
عليه الحق وأنه آثم آكل حرام أي لا تخاصم وأنت تعلم أنك ظالم وقد ورد في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا إنما
أنا بشر وإنما يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن تكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من نار
فليحملها أو ليذرها فدلت الآية والحديث على أن حكم الحاكم لا يغير شيئا في نفس الأمر وأنه نافذ ظاهرا لا حقيقة فإن طابق ما في
نفس الأمر فذاك وإلا فللحاكم الأجر وللمحتال الإثم والفريق الطائفة والإثم الظلم والمراد اليمين الكاذبة وأنتم تعلمون أي تعلمون
بطلان ما تدعونه في كلامكم وهذا إعلام بأن قضاء القاضي لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وإنما يقضي بنحو الظاهر والله يتولى السرائر
وأن الخصومة باقية إلى يوم القيمة **يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت**
من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون قال ابن عباس سأل
الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأهلة فنزلت هذه الآية وقال أبو العالية قالوا لم خلقت الأهلة فأنزل الله يسئلونك عن الأهلة
قل هي مواقيت للناس يقول جعلها الله مواقيت لصوم المسلمين وإفطارهم وعدة نسائهم ومحل دينهم كذا عن الأكثرين وعن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الله الأهلة مواقيت للناس فصوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فعدوا
ثلاثين يوما حديث صحيح وقوله وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها عن البراء قال كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت
من ظهره فأنزل الله الآية رواه البخاري وعن جابر قال كانت قريش تدعى الحمس وكانوا يدخلون من الأبواب في الإحرام وكانت الأنصار
وسائر العرب لا يدخلون من باب في الإحرام فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بستان إذ خرج من بابه وخرج معه قطبة بن عامر
الأنصاري فقالوا يا رسول الله إن قطبة بن عامر رجل تاجر وإنه خرج معك من الباب فقال له ما حملك على ما صنعت قال رأيتك

وتدلوا بها الى الحكام بالجزم عطف على
ولا تأكلوا والاصل الادلاء والقاء الدلو
وارسالها في البئر اى ولا تلقوا بالحجة
او بالخصومة او بالاموال الى الحكام و
القضاة السوء على سبيل الرشوة ونحوها
والمعنى لا تجمعوا بين اكل الاموال بالباطل
وادلائها الى الحكام ثم علل الادلاء
فقال لتاكلوا فريقا اى تدلوا بها اليهم
لتاخذوا بحكمهم طائفة اى بعضا من
اموال الناس بالاثم اى بالحرام او الظلم
او بما يوجب اثما كشهادة الزور والحجة
الباطلة واليمين الكاذبة ه

على جهة المثل والمعنى ليس البر ان تسئلوا اشياء من
غير وجه الذى امر الله به او هو كناية عن اتيان النساء
في ادبارهن كنى عن النساء بالبيوت لكونهن
منها وروى ان ناسا من الانصار اذا احرموا بحج
او عمرة في الجاهلية او ابتداء الاسلام اذا رجع احدهم
الى بيته لحاجة لم يدخل حائطا ولا خيمة ولا بيتا ولا دارا
من الباب بل يدخل الخيمة من خلفها وينقب جدار البيت و
الحائط من الخلف ويدخل ويخرج من النقب ويرون ذلك
فجاء رجل فدخل من باب البيت فعير بذلك فنزلت الآ

دخلته ففعلت كما فعلت فقال إني أحمسي قال له فإن ديني دينك فأنزل الله الآية وقال عطاء كان أهل يثرب إذا رجعوا
من عيدهم دخلوا منازلهم من ظهورها ويرون أن ذلك أدنى إلى البر فقال الله وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها وقوله
واتقوا الله أي احذروا الله فافعلوا ما أمركم به واتركوا ما نهاكم عنه لكي تفلحوا غدا إذا وقفتم بين يديه فيجازيكم **وقاتلوا**
في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم
وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم
فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى
لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين قال أبو العالية وغيره في قوله
وقاتلوا في سبيل الله هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتله ويكف عمن كف عنه حتى
نزلت سورة براءة وليست بمنسوخة بل إنما هو تهييج وإغراء بالأعداء الذين همتهم قتال المسلمين أي كما يقاتلونكم فقاتلوهم أنتم كما قال و
قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ولهذا قال واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم أي لتكن همتكم منبعثة
على قتالهم كما أن همتهم منبعثة إلى قتالكم وإلى إخراجهم من بلادهم التي أخرجوكم منها قصاصا ولا تعتدوا أي في ذلك وفيه النهي
عن ارتكاب المعاصي من المثلة والغلول وقتل النساء والصبيان ومن ليس من أهل القتال والفساد قاله الحسن وهو منقول
عن ابن عباس وغيره ولهذا جاء في صحيح مسلم عن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اغزوا في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله
اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا وفي مسند أحمد ولا أصحاب الصوامع ولما كان في الجهاد إزهاق
النفوس وقتل الرجال نبه الله على أن ما اشتمل عليه من الكفر والشرك به والصد عن سبيله أبلغ وأشد وأعظم من القتل
ولهذا قال والفتنة أشد من القتل وقال أبو مالك أي ما أنتم مقيمون عليه أكبر من القتل وقال آخرون أي الشرك أشد من
القتل وقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام لما جاء في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن هذا البلد حرمه
الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيمة ولم يحل لي إلا ساعة من نهار وإنها ساعتي هذه حرام
بحرمة الله إلى يوم القيمة لا يعضد شجره ولا يختلى خلاه فإن أحد ترخص لقتال رسول الله فقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يأذن
لكم يعني بذلك قتاله أهلها يوم فتح مكة فإنه فتحها عنوة وقتلت رجال منهم عند الكعبة وقيل صلحا لقوله من أغلق بابه فهو
آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن وقوله حتى يقاتلوكم أي إلا أن يبدؤوكم بالقتال فيه فلكم حينئذ
قتالهم وقتلهم دفعا للصيال وقوله فإن انتهوا أي فإن تركوا القتال في الحرم وأنابوا إلى الإسلام والتوبة فإن الله يغفر ذنوبهم
وإن كانوا قد قتلوا المسلمين في حرم الله ثم أمر بقتال الكفار حتى لا تكون فتنة أي شرك ويكون الدين لله أي يكون دين الله هو الظاهر العالي
على سائر الأديان لما ثبت في الصحيحين أنه عليه الصلاة والسلام قال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقوله فإن انتهوا
أي فإن انتهوا عما فيه من الشرك وقتال المؤمنين فكفوا عنهم فإن من قاتلهم بعد ذلك فهو ظالم ولا عدوان إلا على الظالمين وقيل
أي فإن انتهوا فقد تخلصوا من الظلم وهو الشرك فلا عدوان أي فلا معاقبة عليهم بعد ذلك **الشهر الحرام بالشهر الحرام**
والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله
مع المتقين قال ابن عباس وأكثر مفسري التابعين لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا في ذي القعدة من الهجرة ومنعه
سنة ست

كذلك جزاء الكافرين
اى مثل ذلك الجزاء جزاء الكافرين
الذين يقتلوا حيث وجدوا او ان
تفعل بهم مثل ما فعلوا ه

مبتدا وخبر روي ان المشركين لما صدوا النبي واصحابه عن البيت عام الحديبية
في ذي القعدة سنة ست وصالحوه ان يرجع في العام القابل فلما كان
ذو القعدة دخل النبي واصحابه مكة واعتمروا ونحروا واقاموا
بها ثلث ليال وكان المشركون قد فخروا عليه بردة عن
البيت عام الحديبية حتى رجع الى المدينة والمعنى

المشركون عن الدخول والوصول الى البيت حتى صالحهم على الدخول من قابل فدخلها في السنة الآتية هو ومن كان معه من
المسلمين واقصه الله منهم فنزلت في ذلك هذه الآية والحرمات قصاص عن جابر قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه
وسلم يغزو في الشهر الحرام الا ان يغزا ويغزو فاذا حضره اقام حتى ينسلخ رواه احمد ولهذا لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم
وهو مخيم بالحديبية ان عثمن قتل وكان قد بعثه في رسالة الى المشركين بايع اصحابه وكانوا الفا واربعمائة تحت الشجرة على
قتال المشركين فلما بلغه ان عثمن لم يقتل كف عن ذلك ومال الى المسالمة والمصالحة وكان ما كان وقوله فمن اعتدى
عليكم امر بالعدل حتى في المشركين نقل عن ابن عباس انه نزل بمكة حيث لا شوكة ولا جهاد ثم نسخ باية القتال بالمدينة ورده ابن
جرير وقال بل الآية مدنية نزلت بعد عمرة القضية هكذا عن مجاهد وقوله واتقوا الله امر لهم بطاعة الله وتقواه واخبار بانه
تعالى مع الذين اتقوا بالنصر والتأييد في الدارين وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا
ان الله يحب المحسنين قال ابن عباس واكثر المفسرين نزلت في النفقة في سبيل الله وروي ان رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو
بالقسطنطينية حتى خرقه ومعه ابو ايوب الانصاري فقال ناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب نحن اعلم بهذه الآية انما نزلت
فينا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدنا معه المشاهد ونصرناه فلما فشى الاسلام وظهر اهله احببنا معشر الانصار ان نقيم
ونجيا فقلنا قد اكرمنا الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصره حتى فشى الاسلام وكثر اهله وكنا قد آثرناه على الاهلين والاموال
والاولاد وقد وضعت الحرب اوزارها فنرجع الى اهلينا ونقيم فيهم فنزل وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والتهلكة
الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد فما زال ابو ايوب يجاهد في سبيل الله حتى كان آخر غزوة غزاها بقسطنطينية في زمن معوية
فتوفي هناك ودفن في اصل سورها وهم يستسقون به وقيل التهلكة هي البخل وترك الانفاق وهي كل شيء تصير عاقبته الى الهلاك وقال
بعضهم هي ان يذنب الرجل الذنب فيقول لا يغفر لي وليس لي توبة فييئس من رحمة الله وينهمك في المعاصي فنهى عن ذلك ولهذا قال
ابن عباس التهلكة عذاب الله وعن بعضهم ان القوم كانوا في سبيل الله فيتزود الرجل وكان افضل تزودا من الآخر فينفق حتى
لا يبقى من زاده شيء احب ان يواسي صاحبه او ان الرجل يخرج بغير نفقة فاما ان يقطع او كان عيالا للآخرين فانزل الله الآية فامرهم
الله ان يستنفقوا مما رزقهم والتهلكة ان يهلك الرجل من الجوع او العطش او المشي وقال ابن بريدة فضل احسنوا اي في الآية
الامر بالانفاق في سبيل الله في سائر وجوه القربات والطاعات والاجتناب عن الامساك والبخل فانه هلاك لمن اعتاده ثم عطف عليه
بقوله واحسنوا ان الله يحب المحسنين تأكيدا وتحريضا **واتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم فما استيسر من الهدي**
ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او
نسك فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج و
سبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب
لما عطف الله ذكر الجهاد على الصيام شرع في بيان المناسك وأمر باتمام الحج والعمرة وظاهر السياق اكمال افعالهما بعد الشروع فيهما و
لهذا قال بعده فان احصرتم اي صددتم عن الوصول الى البيت ومنعتم من اتمامهما ولهذا اتفقوا على ان الشروع في الحج والعمرة ملزم
مطلقا وعن عمر رضي الله عنه من تمامهما ان يفرد كل واحد منهما عن الآخر وان يعتمر في غير اشهر الحج وقال القاسم بن محمد العمرة في
اشهر الحج غير تامة ولكن في المحرم تامة وفيه نظر لانه ثبت في البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر اربع عمر كلها في ذي القعدة
ولا اعتمر قط في غير ذلك بعد الهجرة وعن ابن عباس في هذه الآية من احرم بحج او عمرة فليس له ان يحل حتى يتمهما وتمام الحج يوم النحر اذا رمى

جمرة العقبة

اذا رمى جمرة العقبة وزار البيت والصفا والمروة فقد حل وقال الحج عرفة والعمرة الطواف وتمامهما ان يحرم من اهله
ويهل من الميقات ينبغي ان تقصد بهما وجه ذلك خاصة لا تجارة ولا حاجة ولكن انشاؤهما من الميقات وقال علقمة واقيموا الحج
والعمرة الى البيت وقرأ الشعبي والعمرة بالرفع وقال ليس بواجبة وروي عنه خلاف ذلك وقد روي احاديث كثيرة عن
جماعة من الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع في احرامه بينهما وثبت في الصحيح انه قال لاصحابه من كان معه هدي فليهل
بحج وعمرة وايضا دخلت العمرة في الحج الى يوم القيمة وسبب نزول هذه الآية انه جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم متضمخ
بالزعفران عليه جبة فقال كيف تأمرني يا رسول الله في عمرتي فانزل الله الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين السائل عن العمرة
فقال ها انا ذا فقال ألق عنك ثيابك ثم اغتسل ثم ما كنت صانعا في حجك فاصنعه في عمرتك وفي الصحيحين معناه الا ذكر الغسل
وقوله فان احصرتم نزلت هذه سنة ست عام الحديبية حين حال المشركون بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين البيت وانزل
لهم رخصة ان يذبحوا ما معهم من الهدي وان يتحللوا من احرامهم وامرهم بذلك فلم يفعلوا انتظارا للنسخ حتى خرج عليه الصلوة
والسلام فحلق راسه ففعل الناس وكان منهم من قصر راسه فلذلك قال عليه الصلوة والسلام رحم الله المحلقين قالوا والمقصرين
يا رسول الله فقال في الثالثة والمقصرين واختلفوا في الحصر هل هو عام مطلقا او مختص بالعدو ولا يتحلل بغير ذلك وهذا منقول
عن ابن عباس وقال آخرون وهو الاصح انه اعم من ان يكون من عدو او مرض او ضلال الطريق او نحوه لانه عليه الصلوة والسلام
قال من كسر او عرج فقد حل رواه احمد وقال المسيب الاحصار من كل شيء آذاه وثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم دخل على ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب فقالت يا رسول الله اني اريد الحج وانا شاكية فقال حجي واشترطي ان محلي حيث
حبستني وفيه صحة الاشتراط في الحج وقد علق الشافعي القول بصحته على صحة هذا الحديث وقال الائمة بصحته ولله الحمد وقوله فما استيسر
من الهدي قال علي رضي الله عنه هو شاة وقال ابن عباس الهدي من الانعام الابل والبقر والشاة وعليه جمهور المفسرين
وهو مذهب الائمة الاربعة اي مما تيسر مما يسمى هديا والهدي من بهيمة الانعام وفي الصحيحين ان عائشة قالت اهدى رسول الله
صلى الله عليه وسلم مرة غنما وقوله ولا تحلقوا رؤسكم عطف على قوله واتموا الحج لا على قوله فان احصرتم كما زعمه ابن جرير لان النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه عام الحديبية لما احصروا حلقوا وذبحوا هديا هم خارج الحرم فاما في حال الامن والوصول الى
الحرم فلا يجوز الحلق حتى يبلغ الهدي محله ويفرغ الناسك من اعمال الحج والعمرة ان كان قارنا او من فعل احدهما ان كان مفردا او
متمتعا وقوله فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه عن كعب بن عجرة قال حملت الى النبي صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي
فقال ما كنت ارى ان الجهد بلغ بك هذا اما تجد شاة قلت لا قال فصم ثلثة ايام او اطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع
من طعام واحلق راسك فنزلت فيّ خاصة وهي لكم عامة رواه البخاري وقال ابن عباس اذا كان او او فايه اخذت اجزأت
عنك وهو مذهب الائمة الاربعة انه مخير في هذا المقام ان شاء صام وان شاء تصدق وان شاء ذبح شاة وتصدق بها على
الفقراء ولما كان لفظ القرآن في بيان الرخصة قدم الاسهل فالاسهل ولما امر النبي صلى الله عليه وسلم كعب بن عجرة بذلك ارشده الى
الافضل فالافضل فكل في مقامه حسن ولله الحمد وقوله فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج اي فاذا تمكنتم من اداء المناسك فمن كان
منكم متمتعا بالعمرة الى الحج كما احرم بهما وهو القران او احرم بالعمرة اولا فلما فرغ منه احرم بالحج وهذا هو التمتع الخاص المعروف بين الفقهاء
واما العام فيشمل القسمين كما دلت عليه الاحاديث الصحاح فان من الرواة من يقول تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخر يقول قرن
ولا خلاف انه ساق هديا وقوله فما استيسر من الهدي اي فليذبح ما قدر عليه من الهدي واقله شاة وقوله فمن لم يجد اي فمن لم يجد هديا

التهلكة مصدر بمعنى الهلاك اي لا تهلكوا انفسكم
بايقاع النفوس في الاخطار وكالمبارزة
مع رهط من الكفار او في المعاصي والاوزار
او بالاسراف في الانفاق وتضييع وجه
المعاش حتى تفتقروا اليكم وتضيعوا
عيالكم بتذليل الكفاف ه

ففدية من صيام او صدقة او نسك

فليصم ثلثة ايام في الحج اى في ايام المناسك والاولى ان تصومها قبل يوم عرفة في العشر وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم فلو لم تصم
الثلثة قبل العيد فلا يجوز ان يصوم ايام التشريق على الصحيح لما في مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايام التشريق ايام اكل وشرب
وذكر الله وفي صيام السبعة قولان احدهما في الطريق قال مجاهد هي رخصة اذا شاء صامها في الطريق والثاني اذا رجع الى
وطنه واذا فاتته الثلثة في الحج فرق بينها وبين السبعة في القضاء بقدر التفريق في الاداء وقوله تلك عشرة كاملة هي
تاكيد كما تقول العرب رايت بعيني وسمعت باذني وقوله تعالى ولا تخطه بيمينك وقوله فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقيل
معنى كاملة الامر باكمالها واتمامها واختاره ابن جرير وقيل اى مجزئة عن الهدي وعليه الحسن وقوله ذلك لمن لم يكن
اهله حاضري المسجد الحرام قيل هم اهل الحرم خاصة دون غيرهم فان الاجماع على ان لا متعة على اهل الحرم وكان ابن عباس
يقول يا اهل مكة لا متعة لكم فانها احلت لاهل الافاق وحرمت عليكم انما يقطع احدكم واديا ثم يهل بعمرة وقال اخرون
هم اهل الحرم ومن بينه وبين المواقيت ومذهب الشافعي انهم اهل الحرم ومن كان منه على مسافة لا يقصر فيها الصلوة فانه يعد حاضرا
لا مسافرا وقوله واتقوا الله اى فيما امركم ونهاكم واعلموا ان الله شديد العقاب لمن خالف امره وارتكب ما عنه زجره الحج
اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه
الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب اختلفوا في تقديره فقيل تقديره الحج حج
اشهر معلومات فيكون الاحرام بالحج فيها اكمل به فيما عداها وان كان ذلك صحيحا والقول بصحة الاحرام بالحج في جميع السنة مذهب الائمة
الثلثة وذهب الشافعي الى انه لا يصح الاحرام بالحج الا في اشهره فلو احرم به قبلها ينعقد عمرة على الاصح وعلى هذا فقيل تقديره وقت الحج
اشهر معلومات فهو مخصص لها من بين شهور السنة كما روي ان ابن عباس قال لا ينبغي لاحد ان يحرم بالحج الا في اشهر الحج
فان من السنة ان يحرم بالحج في اشهره كما جاء في بعض الروايات مرفوعا وفي بعضها عن جابر موقوفا وهو الاصح وقوله اشهر [illegible] علقه
البخاري عن ابن عمر قال هي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة وعليه علي وابن مسعود وجماعة من الصحابة واكثر ائمة التابعين
وهو مذهب الشافعي وابي حنيفة واحمد وقال ابن جرير وصح اطلاق الجمع على شهرين وبعض الثالث تغليبا كقوله تعالى فمن تعجل
في يومين فلا اثم عليه وانما تعجل في يوم وبعض يوم وقال مالك هي شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله وعليه ابن عمر وطائفة وفائدته
ان تكون العمرة مكروهة في بقية ذي الحجة فانه مختص بالحج وليس من اشهر العمرة وان كان عمل الحج قد انقضى وقوله فمن فرض فيهن الحج
اى اوجب باحرامه حجا قال ابن جرير اجمعوا على ان المراد بالفرض ههنا الايجاب والالزام وقيل اى من احرم بحج او عمرة والفرض
الاحرام قاله ابن عباس واتباعه وقوله فلا رفث اى من احرم بالحج او العمرة فليجتنب الرفث وهو الجماع ودواعيه من الملامسة
والتقبيل ونحو ذلك وكذا التكلم به بحضرة النساء جليا عن ابن عباس وروي ان ابن عباس كان يحدو وهو محرم ويقول
وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا قال ابو العالية فقلت تكلم بالرفث وانت محرم قال انما الرفث ما قيل
عند النساء وقال ايضا الرفث التعريض بذكر الجماع وهي العرابة في كلام العرب والفسوق هي المعاصي والسباب والصيد ففي
الصحيح سباب المسلم فسوق وقيل هي هنا الذبح للاصنام لقوله تعالى او فسقا اهل لغير الله به وقيل هي التنابز بالالقاب والصحيح انها
جميع المعاصي بانواعها وان كان في جميع السنة منهيا عنه الا انه في الشهر الحرام اكد واكثر اثما لقوله تعالى فلا تظلموا فيهن انفسكم
ولقوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم واختار ابن جرير المراد ههنا ارتكاب محرمات الاحرام وفي الصحيحين قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وقوله ولا جدال في الحج قال مجاهد اى ليس

جدال

جدال بين الناس فان الحج قد استقام وقيل كانوا يقفون مواقف مختلفة يتجادلون كلهم يدعي ان موقفه موقف ابرهيم
فقطعه الله بما انزل على نبيه المناسك وقيل كانت قريش اذا اجتمعت بمنى قال هؤلاء حجنا اتم من حجكم وقال هؤلاء حجنا
اتم من حجكم وقال ابن جرير والمراد قطع التنازع في مناسك الحج وقيل المراد بالجدال هنا المخاصمة وقال ابن مسعود
هو ان تماري صاحبك حتى تغضبه وكذا عن ابن عباس وبعض التابعين وقال ابن عمر هو السباب والمراء والخصومات
اى بغير رخصة الشرع لما روى الزبير رضي الله عنه ان اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم حجاجا حتى اذا كنا بالعرج نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست عائشة الى جنبه وجلست الى جنب ابي و
كانت زمالة ابي بكر وزمالة رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدة مع غلام ابي بكر فجلس ابو بكر ينتظره الى ان تطلع عليه فاطلع
وليس معه بعيره فقال اين بعيرك فقال اضللته البارحة فقال ابو بكر بعير واحد تضله فطفق يضربه ورسول الله صلى الله
عليه وسلم يتبسم ويقول انظروا الى هذا المحرم ما يصنع رواه احمد وابو داود وابن ماجة وفي الحديث ان ضرب الجمال
وما دابة جائز ولكن تركه اولى لايهام الحديث الانكار اللطيف على ابي بكر وقوله وما تفعلوا من خير يعلمه الله لما نهاهم
عن اتيان القبائح قولا وفعلا حثهم على فعل الجميل واخبرهم انه عالم به وسيجزيهم عليه اوفر الجزاء يوم القيمة وقوله وتزودوا
عن ابن عباس كان اناس يخرجون من اهليهم ليست معهم ازودة يقولون نحج بيت الله ولا يطعمنا فقال الله تزودوا
ما يكف وجوهكم عن الناس وقال عكرمة ان اناسا كانوا يحجون بغير زاد فانزل الله الاية وفي رواية عن ابن عباس قال
كان اهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فانزل الله وتزودوا اى من الكعك والدقيق والسويق وقال
ابن عمر ان من كرم الرجل طيب زاده في السفر وكان يشترط على من صحبه الجودة وقوله فان خير الزاد التقوى لما امرهم بالزاد
للسفر في الدنيا ارشدهم الى زاد الاخرة وهو استصحاب التقوى اليها كما قال وريشا ولباس التقوى ذلك خير لما ذكر اللباس
الحسي نبه مرشدا الى اللباس المعنوي وهو الخشوع والطاعة والتقوى وذكر انه خير من هذا وانفع وقال مقاتل بن
حيان لما نزلت هذه الاية وتزودوا قام رجل من فقراء المسلمين فقال يا رسول الله ما نجد ما نتزوده فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تزود ما تكف به وجهك عن الناس وخير ما تزودتم التقوى وقوله واتقون يا اولي الالباب اي
اتقوا عقابي ونكالي وعذابي لمن خالفني ولم ياتمر بامري يا ذوي العقول والافهام ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا
من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هديكم وان كنتم
من قبله لمن الضالين في البخاري عن ابن عباس قال كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواق الجاهلية فتاثموا ان
يتجروا في الموسم وفي رواية فجاء الاسلام تاثموا ان يتجروا فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فانزل الله هذه الاية
ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج اى لا حرج عليكم في الشرى والبيع قبل الاحرام وبعده وفي مسند احمد
عن ابي امامة التيمي قال قلت لابن عمر انا نكري فهل لنا من حج قال اليس تطوفون بالبيت وتاتون المعرف وترمون الجمار
وتحلقون رؤسكم قال قلنا بلى فقال ابن عمر جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فساله عن الذي سالتني فلم يجبه حتى نزل عليه جبريل
بهذه الاية ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال انتم حجاج وفي رواية قال انا قوم نكري
ويزعمون انه ليس لنا حج قال الستم تحرمون كما يحرمون وتطوفون كما يطوفون وترمون كما يرمون قال بلى قال فانت حاج
ثم ذكر الحديث والفضل الرزق من التجارة وغيره وسئل عمر رضي الله عنه كنتم تتجرون في الحج قال وهل كانت معايشهم الا في الحج

الزاملة بعير يستظهر به الرجل يحمل متاعه
وطعامه عليه سو صحاح

اى بر وطاعة بانواعه وجواب الشرط
يعلمه اى اى خير تفعلونه قليلا او كثيرا
سرا وعلانية فان الله تعالى عالم به
وبالاخلاص فيه فيجزيكم عليه وهو
حث للمؤمنين على الخير عقيب النهي عن
الشر وان يستعملوا مكان الكلام
القبيح الكلام الحسن ومكان الفسوق
البر والتقوى ومكان الجدال
الوفاق والاخلاق الجميلة ٥

اى في ان تطلبوا عطاء وتفضلا كائنا من ربكم
وهو الربح والرزق بالتجارة والاجارة ٥
في طريق الحج وانما يباح لهم ذلك ما لم يشغلوا
به عن العبادة وفي تنكير الفضل اعلام بكثرة ٥
تنوعه والمعنى ليس على العبد اثم ان يطلب
من الله اى فضل يريده ٥ بشرط ان يقوم
بحقه سو

وقوله تعالى فاذا افضتم من عرفات انما صرف عرفات لانه في الاصل جمع كمسلمات ومؤمنات سمي بها بقعة معينة فروعي فيه الاصل
وعرفة موضع الوقوف بالحج وعمدة افعاله ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج عرفات ثلثا فمن ادرك عرفة قبل ان تطلع
الفجر فقد ادرك وايام منى ثلثة فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه ووقت الوقوف من زوال يوم عرفة الى طلوع
الفجر من يوم النحر لان النبي صلى الله عليه وسلم وقف في حجة الوداع بعد ان صلى الظهر الى ان غربت الشمس وقال لتاخذوا عني
مناسككم وقال فمن ادرك عرفة قبل ان تطلع الفجر فقد ادرك وهذا مذهب مالك وابي حنيفة والشافعي وعند احمد ابتداؤه
من اول يوم عرفة وقيل سميت عرفات لما قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه بعث الله جبريل الى ابرهيم عليهما السلام فحج به حتى اذا
اتى عرفة قال عرفت وكان قد اتاها مرة قبل ذلك فسميت بها وروي عن ابن عباس وابن عمر تسمى عرفات المشعر الاقصى والمشعر
الاقصى والالال على وزن الهلال ويقال للجبل في وسطها جبل الرحمة قال ابو طالب في قصيدته وبالمشعر الاقصى اذا قصدوا له
الال الى تلك الشراج القوابل عن المسور بن مخرمة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد
فان هذا اليوم الحج الاكبر الا وان اهل الشرك والاوثان كانوا يدفعون في هذا اليوم قبل ان تغيب الشمس اذا كانت الشمس في رؤس
الجبال كانها عمائم الرجال في وجوهها وانا لندفع بعد ان تغيب الشمس وكانوا يدفعون من المشعر الحرام بعد ان تطلع الشمس اذا
كانت الشمس في رؤس الجبال كانها عمائم الرجال في وجوهها وانا ندفع قبل ان تطلع الشمس نخالف هدينا هدي اهل الشرك رواه
ابن مردويه بهذا اللفظ وفي حديث جابر الطويل في صحيح مسلم قال فلم يزل واقفا يعني بعرفة حتى غربت الشمس واردف اسامة
خلفه ودفع ويقول بيده اليمنى ايها الناس السكينة السكينة حتى اتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء باذان واقامتين
ولم يسبح بينهما شيئا ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح باذان واقامة ثم ركب القصواء حتى اتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة
فدعا الله وكبره وهلله ووحده فلم يزل واقفا حتى اسفر جدا ودفع قبل ان تطلع الشمس وفي الصحيحين عن اسامة انه سئل كيف كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين دفع قال كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص والعنق انبساط السير والنص فوقه وقوله فاذكروا الله
عند المشعر الحرام هي جمع الصلوتين بها وهو المزدلفة كلها قاله ابن عباس والجمهور والمشاعر هي المعالم الظاهرة وانما سميت المزدلفة
به لانه داخل الحرم والوقوف بها واجب وتركه مجبور بالدم على الصحيح وقوله واذكروه كما هداكم تنبيه لهم على ما انعم به عليهم
من الهداية والبيان والارشاد الى مشاعر الحج على ما كان عليه ابرهيم عليه السلام ولهذا قال وان كنتم من قبله لمن الضالين اي من
قبل هذا الهدى وقيل القرآن وقيل الرسول والكل متقارب ومتلازم **ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا
الله ان الله غفور رحيم** ثم ههنا عطف خبر على خبر وترتيبه عليه كانه تعالى امر الواقف بعرفات ان يدفع الى المزدلفة
ليذكر الله عند المشعر الحرام وامر ان يكون وقوفه مع جمهور الناس بعرفات كما كان الجمهور يصنعون بها الا قريشا فانهم
لم يكونوا يخرجون من الحرم فيقفون في طرف الحرم عند ادنى الحل ويقولون نحن اهل الله في بلدته وقطان بيته وفي البخاري
عن عائشة قالت كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وكانت سائر العرب يقفون بعرفات
فلما جاء الاسلام امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله من حيث افاض الناس
وكذا قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وغيرهم واختاره ابن جرير وحكى عليه الاجماع وقال ابن عباس مما يقتضي ان المراد
بالافاضة ههنا هي الافاضة من المزدلفة الى منى لرمي الجمار والله اعلم وقال الضحاك والمراد بالناس ابرهيم عليه السلم وفي
رواية عنه الامام قال ابن جرير ولولا اجماع الحجة على خلافه لكان هو الارجح وقوله واستغفروا الله كثيرا ما امر الله بذكره

بعد قضاء العبادات ولهذا ثبت في مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا فرغ من الصلوة استغفر ثلثا وفي الصحيحين
انه ندب الى التسبيح والتحميد والتكبير ثلثا وثلثين ثلثا وثلثين وقد روى ابن جرير ههنا حديث العباس بن مرداس في استغفاره
صلى الله عليه وسلم لامته عشية عرفة والاحاديث في الاستغفار كثيرة **فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم
آباءكم او اشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق ومنهم
من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب
مما كسبوا والله سريع الحساب** امر الله تعالى بذكره والاكثار منه بعد قضاء المناسك وفراغها وقوله كذكركم آباءكم
قال عطاء هو كقول الصبي ابه امه يعني كما يلهج الصبي بذكر ابيه وامه فكذلك انتم فالهجوا بذكر الله بعد قضاء النسك وكذا
عن ابن عباس واتباعه وقال كان اهل الجاهلية يقفون في الموسم فيقول الرجل منهم كان ابي يطعم ويحمل الحمالات ويحمل الديات
ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم فانزل الله الآية والمقصود منه الحث على كثرة ذكر الله تعالى ولهذا كان انتصاب قوله او اشد ذكرا
على التمييز تقديره كذكركم آباءكم او اشد منه ذكرا واو ههنا لتحقيق المماثلة في الخبر كقوله فهي كالحجارة او اشد قسوة وليست للشك قطعا
بل لتحقيق المخبر عنه بانه كذلك او ازيد منه ثم انه تعالى ارشد الى دعائه بعد كثرة ذكره فانه مظنة الاجابة فذم من لا يسأله
الا في امر دنياه وهو معرض عن اخراه فقال فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق اي من نصيب ولا حظ
وهذا يتضمن التنفير عن التشبه بمن هو كذلك عن ابن عباس كان قوم من الاعراب يجيئون الى الموقف فيقولون اللهم اجعله عام
غيث وعام خصب وعام ولاد حسن لا يذكرون من امر الآخرة شيئا فانزل الله فيهم فمن الناس الآية وكان يجيء بعدهم آخرون
من المؤمنين يقولون ربنا آتنا في الدنيا حسنة الى الآخرة فانزل الله اولئك لهم نصيب الآية وفيه مدح لمن سأل الدنيا والآخرة
فانه جمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا وصرفت كل شر فان الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ودار رحبة
وزوجة حسنة ورزق واسع وعلم نافع وعمل صالح وثناء جميل الى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين ولا منافاة بينها
فانها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا واما الحسنة في الآخرة فاعلى ذلك دخول الجنة وتوابعه من الامن من الفزع الاكبر في العرصات
وغير ذلك من امور الآخرة الصالحة واما النجاة من النار فهو مقتضى اجتنابهم في الدنيا المحرمات والآثام وترك الشبهات
والحرام وقال بعضهم من اعطي قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وجسدا صابرا فقد اوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووقي
عذاب النار ولهذا وردت السنة في الترغيب في هذا الدعاء عن انس بن مالك قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم ربنا
آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار رواه البخاري وفي مسند احمد سأل قتادة انسا اي دعوة اكثر ما يدعو
به النبي صلى الله عليه وسلم قال كان اكثر دعوة يدعو بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحديث وعن انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم عاد رجلا من المسلمين قد صار مثل الفرخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدعو بشيء او تسأله اياه قال نعم
كنت اقول اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله لا تطيقه او لا تستطيعه
فهلا قلت ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قال فدعا الله فشفاه رواه احمد ومسلم وعن عبد الله
ابن السائب انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيما بين ركني بني جمح والركن الاسود ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
وقنا عذاب النار وقوله مما كسبوا اي من الخير والدعاء بالثواب والجزاء والله سريع الحساب اي اذا حاسب فحسابه سريع لا
يحتاج الى عقد ولا فكر قال الحسن اسرع من لمح البصر **واذكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل في يومين**

ج منسك بفتح السين وكسرها وهو
العبادة اي اذا اديتم عباداتكم
التي امرتم بها في الحج وذبحتم ذبائحكم
او فرغتم منها ونفرتم من موضعها

اولئك اي الفريق الثاني وهم الداعون
بالحسنيين او كلا الفريقين لهم نصيب
مما كسبوا اي لكل منهم حظ مما دعوا
وسألوا من منافع الدارين وكما لا
المنزلين معطيهم من ذلك بحسب نياتهم
وعلى قدر هممهم وطوياتهم كقوله و
اتاكم من كل ما سألتموه وقوله من
كان يريد حرث الآخرة نزد له
في حرثه الاية ويسمى السؤال كسبا
لانه من اعمال اللسان

فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون

قال ابن عباس الايام المعدودات ايام التشريق والمعلومات ايام العشر قال عكرمة واذكروا الله يعني التكبير ايام التشريق خلف الصلوات المكتوبات الله اكبر الله اكبر عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة ويوم النحر وايام التشريق عيدنا اهل الاسلام هي ايام اكل وشرب وذكر الله رواه احمد وقال عليه الصلوة والسلام ايام التشريق ايام اكل وشرب وذكر الله رواه مسلم قال ابن عباس المعدودات اربعة ايام يوم النحر وثلثة بعده وعليه الجمهور من الصحابة والتابعين وقيل هو ذكر الله على الاضاحي واول وقته من يوم النحر الى آخر ايام التشريق وايضا الذكر خلف الصلوات والمطلق في سائر الاوقات وفي وقته اقوال اشهرها الذي عليه العمل انه من صلوة الصبح يوم عرفة الى صلوة العصر من آخر ايام التشريق وقد ثبت ان عمر رضي الله عنه كان يكبر في قبته فيكبر اهل السوق بتكبيره حتى ترتج منى تكبيرا وقد جاء في الحديث الذي رواه ابو داود وغيره انما جعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لاقامة ذكر الله عز وجل وقوله فمن تعجل في يومين اي من نفر من الحاج في اليوم الثاني من ايام التشريق فلا اثم عليه في ترك البيتوتة ورمي يوم الثالث ومن تاخر توقف حتى بيت الليلة الثالثة ونفر في اليوم الثالث بعد رميه فلا اثم عليه لا في تعجله ولا في تاخيره لمن اتقى اي عن مباشرة المحرمات في حجه واتقوا الله اي فيما بقي من عمركم حتى يلقوا مكافاتكم يجزاكم في المحشر الجنة **ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد** قال السدي نزلت في الاخنس بن شريق جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واظهر الاسلام وفي باطنه خلاف ذلك وعن ابن عباس انها نزلت في نفر من المنافقين تكلموا في خبيب واصحابه الذين قتلوا بالرجيع وعابوهم فانزل الله مدحا لخبيب واصحابه وذما للمنافقين وقيل بل ذلك عام في المنافقين كلهم وهو الصحيح وعن نوف البكالي قال اني لاجد صفة من هذه الامة في كتاب الله المنزلة يعني غير القرآن قوم يحتالون الدنيا بالدين السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر يلبسون للناس مسوك الضان وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله تعالى فعلي تجترئون او بي تغترون حلفت بنفسي لابعثن عليهم فتنة تترك الحليم فيها حيران وروى نحوه الترمذي عن ابي هريرة مرفوعا واما قوله ويشهد الله قرا ابن محيصن بفتح الياء وضم الجلالة اي اسم الله ومعناه هذا وان اظهر لكم الحيل لكن الله علم من قلبه القبح كقوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وقرا الجمهور بضم الياء ونصب الجلالة ومعناه انه يظهر للناس الاسلام ويبارز الله بما في قلبه من الكفر والنفاق وعن ابن عباس ومجاهد ان معناه انه اذا اظهر للناس الاسلام حلف واشهد لهم ان الذي في قلبه موافق للسانه وهذا صحيح وقوله وهو الد الخصام الالد في اللغة الاعوج وهكذا المنافق في حال خصومته يكذب ويزور عن الحق ولا يستقيم معه بل يفتري ويفجر كما ثبت في الحديث الصحيح اذا خاصم فجر وفي البخاري عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم وقوله واذا تولى سعى اي قصد اي هذا الاعوج في المقال السيء في الفعال ذاك قوله وهذا فعله كلامه كذب واعتقاده فاسد وافعاله قبيحة وليس له همة الا الفساد في الارض واهلاك الحرث وهو محل نماء الزروع والثمار والنسل وهو نتاج الحيوانات الذين لا قوام للناس الا بهما قال مجاهد اذا سعى في الارض فسادا منع الله القطر فهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد اي لا يحب من هذه صفته ولا من صدر منه ذلك وقوله واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم اي اذا وعظ هذا الفاجر في مقاله وفعاله وقيل له اتق الله وانزع عن قولك وارجع الى الحق امتنع وابى واخذته الحمية والغضب بسبب

والمعنى بهم مخيرون من التنزين فلا ينكر احد الرفيقين على الآخر

وهو الد الخصام قال الزجاج تاويله انه شديد الخصومة

ما اشتمل عليه

ما اشتمل عليه من الآثام ولهذا قال فحسبه جهنم ولبئس المهاد اي هي كافيته عقوبة في ذلك والمهاد الفراش وقوله ومن الناس من يشري نفسه لما اخبر عن المنافقين بصفاتهم الذميمة ذكر المؤمنين بصفاتهم الحميدة قال ابن عباس نزلت في صهيب بن سنان الرومي وذلك انه لما اسلم بمكة واراد الهجرة منعه الناس ان يهاجر بماله وقالوا ان احب ان يتجرد منه ويهاجر فعل فتخلص منه واعطاهم اياه فانزل الله هذه الآية فيه فلما تلقاه عمر بن الخطاب وجماعة الى طرف الحرة قالوا له ربح البيع فقال وانتم فلا اخسر الله تجارتكم وما ذاك فاخبروه ان الله انزل فيه هذه الآية وعليه اكثر التابعين وفي رواية ابن مردويه انه عليه الصلوة والسلام قال له ربح البيع صهيب ربح البيع صهيب وقال الآخرون نزلت في كل مجاهد في سبيل الله كما قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الآية **يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم** امر الله عباده المؤمنين به المصدقين برسوله ان ياخذوا بجميع عرى الاسلام وشرائعه والعمل باوامره وترك زواجره قال ابن عباس وبعض التابعين السلم هو الاسلام وقال آخرون هو الطاعة والموادعة وكافة اي جميعا هكذا عنهم وقال مجاهد اي اعملوا بجميع وجوه البر وزعم عكرمة انها نزلت في نفر من اليهود اسلموا واستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ان يسبتوا ويقيموا التورية ليلا فامرهم الله باقامة شرائع الاسلام والاشتغال بها عما عداها وهو انه امروا كلهم ان يعملوا بجميع شعب الايمان وشرائع الاسلام اي ادخلوا في شرائع دين محمد صلى الله عليه وسلم ولا تدعوا منها شيئا وحسبكم الايمان بالتورية وما فيها وقوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي اعملوا في الطاعات واجتنبوا ما يامركم الشيطان فانما يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ولهذا قال انه لكم عدو مبين قال مطرف اغش عباد الله لعبيد الله الشيطان وقوله فان زللتم اي عدلتم عن الحق بعد ما قامت عليكم الحجج فاعلموا ان الله عزيز اي في انتقامه لا يفوته هارب ولا يغلبه غالب حكيم في احكامه ونقضه وابرامه ولهذا قال ابو العالية وطائفة عزيز في نقمته حكيم في امره وقيل عزيز في نصره ممن كفر به اذا شاء حكيم في عذره وحجته الى عباده **هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملئكة وقضي الامر والى الله ترجع الامور** هدد الله الكافرين بمحمد صلى الله عليه وسلم بقوله هل ينظرون يعني يوم القيمة لفصل القضاء بين الخلائق فيجزي كل عامل بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر ولهذا قال وقضي الامر الى آخره وقد ذكر ابن جرير ههنا حديث الصور بطوله عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث مشهور وفيه ان الناس اذا اهتموا لموقفهم في العرصات تشفعوا الى ربهم بالانبياء واحدا واحدا من آدم فمن بعده فكلهم يحيد عنه حتى ينتهوا الى محمد صلى الله عليه وسلم فاذا جاؤا اليه قال انا لها انا لها فيذهب فيسجد لله تحت العرش ويشفع عند الله في ان ياتي لفصل القضاء بين العباد فيشفعه الله فياتي في ظلل من الغمام بعد ما تنشق السماء الدنيا وينزل من فيها من الملئكة ثم الثانية ثم الثالثة الى السابعة وينزل حملة العرش والكروبيون قال وينزل الجبار عز وجل في ظلل من الغمام والملئكة ولهم زجل في تسبيحهم يقولون سبحان ذي الملك والملكوت سبحان ذي العرش ذي الجبروت سبحان الحي الذي لا يموت سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت سبوح قدوس رب الملئكة والروح قدوس قدوس سبحان ربنا الاعلى ذي السلطان والعظمة سبحانه ابدا ابدا وقال ابن ابي حاتم عن عبد الله بن عمرو هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل الآية قال يهبط حين يهبط وبينه وبين خلقه سبعون الف حجاب منها النور والظلمة والماء فيصوت الماء في تلك الظلمة صوتا تنخلع له القلوب وعن ابي العالية الملئكة يجيئون في ظلل من الغمام والله تعالى يجيء فيما يشاء وهي في بعض القراءة هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام وهي جمع ظلة **سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين**

ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد
معمول له
طلبا لرضاه

يريد انهم لا يسلون باياتهم ولا يرجعون
عن الجري على عاداتهم فما ينتظرون الا
اتيان الله يوم القيمة في ظلل لقضاء
امرهم ومحاسبتهم وجزاء فعلهم ومجازاتهم
وذلك الوقت اوان فضيحتهم وحسرتهم
لا زمان تدارك ما ضيعوا من زراعتهم
بغفلتهم وقضي الامر اي واتم امر اهلاكهم
بسوء فعالهم وفرغ منه

آمنوا واتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق من يشاء بغير حساب هذا اخبار عن بني اسرائيل بانهم كم قد شاهدوا
مع موسى من آية بينة اي حجة قاطعة على صدقه فيما جاءهم به كيده وعصاه وفلقه البحر وضربه الحجر وما كان من تظليل الغمام
عليهم في شدة الحر ومن انزال المن والسلوى وغير ذلك من الآيات الدالة على وجود الفاعل المختار وصدق من جرت هذه الخوارق
على يديه ومع هذا اعرض كثير منهم عنها وبدلوا نعمة الله كفرا اي استبدلوا بالايمان بها الكفر بها ومن يبدل نعمة الله اي كتاب الله
وقيل عهد الله وقيل اي من ينكر الدلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان الله شديد العقاب ثم اخبر تعالى عن تزيينه الحيوة الدنيا
للكافرين الذين رضوا بها واطمأنوا اليها وجمعوا الاموال ومنعوها عن مصارفها التي امروا بها ويسخرون من الذين آمنوا الذين
اعرضوا عنها وانفقوا اموالهم في طاعة ربهم وبذلوا ابتغاء وجه الله ولهذا فازوا بالمقام الاسعد والحظ الاوفر
يوم معادهم ولهذا قال والله يرزق من يشاء بغير حساب اي يعطي من يشاء من خلقه عطاء كثيرا جزيلا بلا حصر ولا تعداد
في الدنيا كما جاء في الحديث ابن آدم انفق انفق عليك وفي الصحيح يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت
وما لبست فابليت وما تصدقت فامضيت وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس كان الناس امة واحدة فبعث الله
النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما
اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما
اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم قال ابن عباس كان بين نوح وآدم
عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وكذلك هي في قراءة عبد الله كان الناس امة و
احدة فاختلفوا وعن قتادة كانوا على الهدى جميعا فبعث الله النبيين وكان اول نبي بعث نوحا وذلك بعد ان عبدوا الاصنام وكان اول
رسول بعثه الله الى اهل الارض ولهذا قال وانزل معهم الكتاب الحق اي من بعد ما قامت عليهم الحجج وما حملهم على ذلك الا
البغي بعضهم على بعض وقوله فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه فاختلفوا في يوم الجمعة فاتخذ اليهود يوم السبت والنصارى يوم الاحد
فهدى الله امة محمد للقبلة واختلفوا في الصلوة فمنهم من يركع ولا يسجد ومنهم بالعكس ومنهم من يتكلم فيها ومنهم من يمشي فيها
فهدى الله امة محمد للحق من ذلك وعلى هذا سائر اختلافاتهم في شأن الانبياء والكتب وغير ذلك من الاحكام والاعمال وقوله باذنه
اي بعلمه بهم وارادته فيهم بما هداهم له والله يهدي من يشاء من خلقه الى صراط مستقيم اي وله الحكمة والحجة البالغة وعن عائشة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يصلي يقول اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم
الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط
مستقيم رواه مسلم ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء و
الضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب
اي ام حسبتم ان تدخلوا الجنة قبل ان تبتلوا وتختبروا كما فعل بالذين من قبلكم من الامم ولهذا قال ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم
الباساء والضراء اي الامراض والاسقام والآلام والمصائب والنوائب وعن الاكثر الباساء الفقر والضراء السقم وزلزلوا خوفوا
من الاعداء زلزالا شديدا وامتحنوا امتحانا عظيما كما جاء في الصحيح عن خباب بن الارت قال قلنا يا رسول الله الا تستنصر لنا الا
تدعو الله لنا قال ان من كان قبلكم كان احدهم يوضع المنشار على مفرق راسه فيخلص الى قدميه لا يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط
الحديد ما بين لحمه وعظمه لا يصرفه ذلك عن دينه ثم قال والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف

الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون وقوله مثل الذين خلوا اي سنتهم وقوله متى نصر الله اي يستفتحون على اعدائهم
ويدعون بقرب الفرج والمخرج عند ضيق الحال والشدة قال الله الا ان نصر الله قريب كما قال فان مع العسر يسرا يسئلونك
ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل
وما تفعلوا من خير فان الله به عليم اي كيف ينفقون يعني نفقة التطوع فبين لهم ذلك بقوله قل ما انفقتم من
خير اي اصرفوا في هذه الوجوه كما جاء في الحديث امك واباك واختك واخاك ثم ادناك ادناك هذا عن ابن عباس وللتابعه في هذه
مواضع النفقة الشرعية قال السدي نسختها الزكوة وقوله وما تفعلوا من خير اي مهما صدر منكم من فعل معروف فان الله سبحانه و
سيجزيكم على ذلك اوفى الجزاء كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان
تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون هذا ايجاب من الله تعالى للجهاد على المسلمين ان يكفوا شر الاعداء عن
حوزة الاسلام قال الزهري الجهاد واجب على كل احد غزا او قعد فالقاعد عليه اذا استعين ان يعين واذا استغيث ان يغيث واذا
استنفر ان ينفر وان لم يحتج اليه قعد ولهذا ثبت في الصحيح من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات ميتة جاهلية وقوله وهو
كره لكم اي شديد عليكم ومشقة بكم وهو كذلك فانه اما ان يقتل او يجرح مع مشقة السفر ومجالدة الاعداء ثم قال وعسى ان تكرهوا
شيئا وهو خير لكم اي لان القتال يعقبه النصر والظفر على الاعداء وحصول الغنائم وقوله وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم عام في الامور
كلها قد يحب المرء شيئا وليس له فيه خير ولا مصلحة ومن ذلك القعود عن القتال وقد يعقبه استيلاء العدو ثم قال والله يعلم اي هو
اعلم بعواقب الامور منكم واخبر بما فيه صلاحكم في دنياكم واخراكم فانقادوا للامر ترشدوا يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه
قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة
اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن
دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله
والله غفور رحيم روى ابن ابي حاتم باسناده عن جندب بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رهطا وبعث
عليهم ابا عبيدة بن الجراح او عبيدة بن الحرث فلما ذهب ينطلق بكى صبابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس فبعث عليهم مكانه
عبد الله بن جحش وكتب له كتابا وامره ان لا يقرا الكتاب حتى يبلغ مكان كذا وكذا وقال لا تكرهن احدا على السير معك من اصحابك
فلما قرا الكتاب استرجع وقال سمعا وطاعة لله ولرسوله فخبرهم الخبر وقرا عليهم الكتاب فرجع رجلان وبقي بقيتهم فلقوا ابن
الحضرمي فقتلوه ولم يدروا ان ذلك اليوم من رجب او جمادى فقال المشركون للمسلمين قتلتم في الشهر الحرام فانزل الله يسئلونك
عن الشهر الحرام الآية ورواه محمد بن اسحق بن يسار في كتاب السيرة مبسوطا وفيه فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما امرتكم بقتال
في الشهر الحرام فاسقط في ايدي القوم وظنوا انهم قد هلكوا وعنفهم المسلمون فيما صنعوا وقالت قريش قد استحل محمد واصحابه الشهر
الحرام وسفكوا فيه الدم واخذوا فيه الاموال واسروا فيه الرجال فلما اكثروا في ذلك انزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يسئلونك
عن الشهر الحرام قتال فيه اي ان كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام واخراجكم منه وانتم
اهله اكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم والفتنة اكبر من القتل اي قد كانوا يفتنون المسلم في دينه حتى يردوه الى الكفر بعد ايمانه
فذلك اكبر عند الله من القتل ولا يزالون اي ثم هم مقيمون على اخبث من ذلك واعظمه غير تائبين ولا نازعين ومعنى يردوكم

يعرفونكم وحبطت معنا. بطلت فلما فرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق حين نزل القرآن وطمعوا الاجر فقالوا
فقالوا يا رسول الله انطمع ان تكون لنا غزوة نعطى فيها اجر المجاهدين فانزل الله ان الذين آمنوا والذين هاجروا اى فارقوا عشائرهم
ومنازلهم واموالهم وجاهدوا المشركين فى طاعة الله فجعلها جهادا اولئك يرجون رحمة الله اى هم على اعظم الرجاء قال
فكان عمرو بن الحضرمى اول قتيل قتل بين المسلمين والمشركين وخمّس رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغنيمة اربعة اخماسه
للمجاهدين وخمسا لله ولرسوله وهى اول غنيمة غنمها المسلمون يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع
للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الايات
لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم
فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم هذه الآية ممهدة لتحريم الخمر
ولم يكن مصرحا بل معرضة ولهذا قال عمر لما قرئت عليه اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا حتى نزل التصريح بتحريمها كما يجئ بيانه
وسببه مبسوطا فى سورة المائدة والخمر ما خامر العقل والميسر القمار وقوله قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس اما اثمهما
فهو فى الدين واما المنافع فدنيوية من حيث ان فيها نفع البدن وهضم الطعام واخراج الفضلات وتشحيذ بعض الاذهان
ولذة الشدة المطربة التى فيها كما قال حسان فى الجاهلية ۞ فنشربها فتتركنا ملوكا ۞ واسدا لا ينهنهنا اللقاء ۞ وكذا
بيعها والانتفاع بثمنها وما كان يكسبه بعضهم من الميسر فينفقه على نفسه وعياله ولكن هذه المصالح لا توازى مضرته و
مفسدته الراجحة لتعلقها بالعقل والدين ولهذا قال واثمهما اكبر من نفعهما وقوله ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو قرئ
بالنصب والرفع وكلاهما حسن قريب روى ان معاذ بن جبل وثعلبة اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ان
لنا ارقاء واهلين فماذا ننفق من اموالنا فانزل الله الآية والعفو ما فضل من اهلك ومن تلزمك نفقته هذا عن الجمهور
وقال الحسن لا تنفق مالك فتقعد تسأل الناس ويدل عليه ما رواه ابو هريرة قال قال رجل يا رسول الله عندى دينار
قال انفقه على نفسك قال عندى آخر قال انفقه على اهلك قال عندى آخر قال انفقه على ولدك قال عندى آخر قال
فانت ابصر رواه مسلم وعنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما كان على ظهر غنى واليد العليا خير من
اليد السفلى وابدأ بمن تعول وروى فى مسلم ايضا ابن آدم ان تبذل الفضل خير لك وان تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف
وابدأ بمن تعول ثم قيل انها منسوخة باية الزكوة كما نقل عن ابن عباس وطائفة وقيل بل مثبتة بآية الزكوة قاله مجاهد و
غيره وقوله كذلك يبين الله لكم اى كما فصل لكم هذه الاحكام وبينها واوضحها كذلك يبين الله لكم سائر الآيات فى احكامه و
وعده ووعيده لعلهم يتفكرون فى الدنيا والآخرة قال ابن عباس يعنى فى زوال الدنيا وفنائها واقبال الآخرة وبقائها
وعن قتادة لتعلموا فضل الآخرة على الدنيا فآثروا الآخرة على الاولى وقوله ويسئلونك عن اليتامى قال ابن عباس لما نزلت ولا تقربوا
مال اليتيم الا بالتى هى احسن وان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه
فجعل يفضل الشئ من طعامه فيحبس له حتى يأكله او يفسد فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فخلطوا
طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم رواه ابو داود والنسائى وقوله قل اصلاح لهم خير اى اصلاح اموالهم من غير اجرة خير
واعظم اجرا وان تخالطوهم اى وان خلطتم طعامكم بطعامهم وشرابكم بشرابهم فلا بأس عليكم لانهم اخوانكم فى الدين ولهذا قال
والله يعلم المفسد من المصلح اى يعلم من قصده ونيته الافساد والاصلاح وقوله ولو شاء الله لاعنتكم اى ولو شاء لضيق عليكم

واحرجكم ولكنه وسع عليكم وخفف عنكم واباح لكم مخالطتهم بالتى هى احسن واصل العنت الشدة والمشقة ان الله عزيز فى سلطانه
وقدرته على الاعنات حكيم فيما صنع من تدبيره وترك الاعنات ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة
خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو
اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس
لعلهم يتذكرون هذا تحريم نكاح المشركات على المؤمنين حتى يؤمن والمراد مشركات العرب الذين يعبدون الاصنام فان
الله قد استثنى منهن نساء اهل الكتاب بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب قاله ابن عباس وفى الحديث نتزوج نساء اهل الكتاب
ولا يتزوجون نساءنا والاجماع منعقد على ذلك وقوله ولامة مؤمنة قال السدى نزلت فى عبد الله بن رواحة كانت له امة
سوداء فغضب عليها فلطمها ثم فزع فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبرها فقال له ما هى فقال تصوم وتصلى وتحسن الوضوء
وتشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال يا عبد الله هذه مؤمنة فقال والذى بعثك بالحق لاعتقنها ولاتزوجنها ففعل
فطعن عليه ناس من المسلمين وقالوا نكح امة سوداء وكانوا يريدون ان ينكحوا الى المشركين وينكحوهم رغبة فى احسابهم فانزل الله
الآية وفى الصحيحين عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تنكح المرأة لاربع لمالها وحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين
تربت يداك وفى مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة وقوله ولا تنكحوا المشركين حتى
يؤمنوا اى لا تزوجوا الرجال المشركين النساء المؤمنات كما قال تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ثم قال ولعبد مؤمن خير من
مشرك اى ولرجل مؤمن ولو كان عبدا حبشيا خير من المشرك وان كان رئيسا سريا اولئك يدعون الى النار اى معاشرتهم ومخالطتهم
تبعث على حب الدنيا واقتنائها وايثارها على الدار الآخرة وعاقبة ذلك وخيمة والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه اى بشرعه وما
امر به وما نهى عنه ويبين آياته من احكامه وزواجره ومعنى يتذكرون يتعظون ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى
فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم
الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم وقدموا
لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين عن انس ان اليهود كانوا اذا حاضت المرأة منهم
لم يؤاكلوها ولم يجامعوها فى البيوت فسأل اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ويسئلونك عن المحيض الآية فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شئ الا النكاح فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل ان يدع من امرنا شيئا الا خالفنا فيه
فجاء اسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا يا رسول الله ان اليهود قالت كذا وكذا فلا نجامعهن فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى ظننا ان قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل فى آثارهما فسقاهما
فعرفا ان لم يجد عليهما رواه مسلم واحمد فقوله فاعتزلوا النساء يعنى الفرج والمحيض هو الحيض والاذى ما يكره من كل شئ و
المراد بالاعتزال ترك الوطى وذهب بعضهم الى انه يحرم مباشرة الحائض فيما عدا الفرج وعن بعض ازواج النبى صلى الله عليه وسلم
ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد من الحائض شيئا القى الى فرجها ثوبا رواه ابو داود وعنه ان مسروقا سأل عايشة ما يحل
للرجل من امرأته اذا كانت حائضا قالت كل شئ الا الجماع وهذا قول ابن عباس وطائفة وعن ميمونة بنت الحرث ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يباشر امرأة من نسائه امرها فاتزرت وهى حائض رواه البخارى وعن عائشة نحوه وعن معاذ بن
جبل قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحل لى من امرأتى وهى حائض قال ما فوق الازار والتعفف عن ذلك افضل رواه

ابو داود وهذه الاحاديث حجة على انه يحل ما فوق الازار منها وهو الراجح من قولي الشافعي ورجحه كثير من العراقيين وحرمه غيرهم وذلك لانه حريم الفرج فهو حرام لئلا يتوسل به الى تعاطي ما حرم الله عز وجل الذي اجمع العلماء الى تحريمه وهو المباشرة في الفرج ثم من فعل ذلك فقد عصى واثم ويستغفر الله ويتوب اليه هل يلزمه كفارة الصحيح انه لا يلزمه لكن المستحب ان يتصدق بدينار ان وطئ حالة قوة الدم واقباله وبنصفه ان وطئ حالة ضعفه وادباره وقوله ولا تقربوهن حتى يطهرن تفسير لقوله فاعتزلوا ونهي عن قربانهن بالجماع ما دام الحيض باقيا ومفهومه حله اذا انقطع وقوله فاذا تطهرن فأتوهن فيه ندب وارشاد الى غشيانهن بعد الاغتسال وهذا امر ندب لا وجوب على الصحيح وقوله من حيث امركم الله قال ابن عباس وغير واحد يعني الفرج لا غيره وقال غيره يعني طاهرات غير حيض ولهذا قال ان الله يحب التوابين اي من الذنب وان تكرر غشيانه ويحب المتطهرين اي المتنزهين من الاقذار والاذى وهو ما نهوا عنه من اتيان الحائض او غير المأتي وقوله نساؤكم حرث لكم قال ابن عباس الحرث موضع الولد فأتوا حرثكم انى شئتم اي كيف شئتم مقبلة ومدبرة في صمام واحد كما ثبت في البخاري وغيره عن جابر قال كانت اليهود تقول اذا جامعها من ورائها جاء الولد احول فنزلت نساؤكم حرث لكم وعن ابن عباس قال جاء عمر بن الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما الذي اهلكك قال حولت رحلي البارحة قال فلم يرد عليه شيئا فاوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم هذه الاية نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم اقبل وادبر واتق الدبر والحيضة رواه الترمذي وفي سنن ابي داود فأتوا حرثكم انى شئتم اي مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعني بذلك موضع الولد وعن خزيمة بن ثابت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يأتي الرجل امرأته في دبرها وفي رواية انه عليه الصلوة والسلام قال لا يستحيي الله من الحق لا تأتوا النساء في اعجازهن رواها احمد والنسائي وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى رجل اتى رجلا او امرأة في الدبر رواه الترمذي وفي طريق عمرو بن شعيب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الذي يأتي امرأته في دبرها هي اللوطية الصغرى رواه احمد وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من اتى امرأته في دبرها رواه ابو داود والنسائي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي يأتي امرأته في دبرها لا ينظر الله اليه رواه احمد وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال استحيوا من الله حق الحياء لا تأتوا النساء في ادبارهن رواه النسائي وقوله وقدموا لانفسكم اي من فعل الطاعات مع امتثال ما نهاكم عنه من ترك المحرمات ولهذا قال واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه اي فيحاسبكم على اعمالكم جميعا وبشر المؤمنين اي المطيعين لله فيما امرهم التاركين ما عنه زجرهم وعن ابن عباس في قوله وقدموا لانفسكم قال اي التسمية عند الجماع وثبت في البخاري عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان احدهم اذا اراد ان يأتي اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان ابدا **ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم** اي لا تجعلوا ايمانكم بالله مانعة لكم من البر وصلة الرحم اذا حلفتم على تركها كقوله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم الاية فالاستمرار على اليمين آثم لصاحبها من الخروج منها بالتكفير كما في البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال والله لان يلج احدكم بيمينه في اهله آثم عند الله من ان يعطي كفارته التي افترض الله عليه وهكذا رواه مسلم وقال ابن عباس يقول لا تجعلني عرضة ليمينك ان لا تصنع خيرا ولكن كفر عن يمينك واصنع الخير وهو مذهب ويؤيد ذلك ما ثبت في الصحيحين عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني والله ان شاء الله لا احلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها الا اتيت الذي هو خير وتحللتها وفيهما ايضا انه عليه الصلوة والسلام قال لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك وقوله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اي لا يعاقبكم ولا يلزمكم بما صدر منكم من الايمان اللاغية وهي التي لا يقصدها الحالف بل تجري على لسانه عادة من غير تأكيد ولا تعقيد قالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والله وبلى والله رواه ابو داود ولهذا قالت هم القوم يتدارؤون في الامر فيقول هذا لا والله وبلى والله وكلا والله لا تعقد عليه قلوبهم وكذا اللغو في المزاحة والهزل تقول لا والله بلى والله فذاك لا كفارة في شيء من ذلك انما الكفارة فيما عقد عليه قلبه ان تفعله ثم لا تفعله وعنها ايضا انها كانت تتأول الاية وتقول هو الشيء يحلف عليه احدكم ولا يريد الا الصدق فيكون على غير ما حلف عليه وعن ابن عباس وطائفة نحوه وعنه ايضا قال لغو اليمين ان تحرم ما احل الله لك فلا عليك فيه كفارة وقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد هو ان تحلف على الشيء وهو تعلم انه كاذب وهي كقوله ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان والله غفور لعباده حليم عليهم **للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم** الايلاء حلف الزوج على الامتناع من وطئ ممكن فاذا حلف ان لا يجامع امرأته مدة فلا يخلو اما ان تكون اقل من اربعة اشهر او اكثر منها فان كانت اقل فله ان ينتظر انقضاء المدة ثم يجامع امرأته وعليها ان تصبر وليس له المطالبة بالفيئة في هذه المدة واما اذا زادت المدة على اربعة اشهر فلها مطالبته بعد انقضاء اربعة اشهر اما ان يفيء اي يجامع واما ان يطلق فيجبره الحاكم على هذا او ذاك لئلا يضر بها فقوله تعالى للذين يؤلون اي يحلفون على ترك الجماع من نسائهم اي المنكوحات وفيه ان الايلاء مختص بالزوجات دون الاماء كما هو مذهب الجمهور اي ينتظر الزوج اربعة اشهر من حين الحلف ثم يوقف ويطالب بالفيئة او الطلاق ولهذا قال فان فاؤا اي رجعوا الى ما كانوا عليه يعني الجماع قاله ابن عباس وكثيرون فان الله غفور اي لما سلف من التقصير في حقهن بسبب اليمين وفيه دليل على ان المولي اذا فاء بعد الاربعة اشهر لا كفارة عليه كما هو القول القديم الذي هو الجديد من مذهب الشافعي والجمهور ان الكفارة عليه لعموم وجوب التكفير على كل حالف لقوله عليه الصلوة والسلام من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير رواه مسلم وقوله وان عزموا الطلاق فيه دليل الجمهور انه لا يقع الطلاق بمجرد مضي المدة وذهب قوم الى انه يقع طلقة بمضي اربعة اشهر وعن سليمن بن يسار قال ادركت بضعة عشر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يقول يوقف المولي رواه الشافعي وعن ابي صالح قال سألت اثني عشر رجلا من الصحابة عن الرجل يولي عن امرأته فكلهم يقول ليس عليه شيء حتى تمضي اربعة اشهر فيوقف فان فاء والا طلق وهو مروي عن عمر وعثمان وعلي وغيرهم من الصحابة والتابعين وهو مذهب مالك والشافعي واحمد قالوا ان لم يفئ الزم الطلاق فان لم يطلق طلق عليه الحاكم وهي رجعية وقال مالك لا يجوز له رجعتها حتى يجامعها في العدة وهذا غريب جدا ومن مناسبة تأجيل المولي باربعة اشهر ما رواه الامام مالك في الموطأ عن عبد الله بن دينار قال خرج عمر بن الخطاب ليلا فسمع امرأة تقول

تطاول هذا الليل واسود جانبه * وارقني ان لا خليل الاعبه *
فوالله لولا الله اني اراقبه * لحرك من هذا السرير جوانبه

فسأل عمر ابنته حفصة رضي الله عنها كم اكثر ما تصبر المرأة عن زوجها قالت ستة اشهر او اربعة اشهر فقال عمر لا احبس احدا من الجيوش اكثر من ذلك **والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر وبعولتهن احق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم** هذا امر للمطلقات المدخول بهن من ذوات الاقراء بان يتربصن بانفسهن ثلثة قروء وهو ان يمكث احداهن بعد الطلاق ثم تتزوج ان شاءت هذا في الحرة

العرضة اسم لما يعرض دون الشيء ويصير حاجزا ومانعا منه كالقبضة اسم لما يقبض به المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين اي على شيء مما يحلف عليه ورأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك وانما سمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين اذ هو موقعها ومتعلقها واللام متعلق بالفعل اي ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحاجزا

بن رواحة الانصاري بينها وعن قطيعة ختنه لبشير بن النعمان وذلك ان ابن رواحة حلف ان لا يدخل عليه ابدا ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصمه ويقول قد حلفت بالله ان لا افعل ولا يحل لي الا ان ابر في يميني فانزل الله هذه الاية
لباب

هو كلام الرجل في بيته م

الايلاء سوكند خوردن

الايلاء من المراة ان يحلف الزوج ان لا يقربها اكثر من اربعة اشهر على وجه الضرار والغضب فاذا مضت المدة فاما ان يجامع ويكفر واما ان يطلق ٩

اي قصدوا على طلاق النساء بعد انقضاء مدة الايلاء والعزم العقد وهو عقد القلب وتوطين النفس على امضاء الشيء والطلاق اسم للتطليق كالسلام اسم للتسليم والمعنى ان تركوا الفيء وطلقوا بعد مضي اربعة اشهر فان الله سميع الطلاق المواقع عليهم عليم بقصدهم وعزمهم وفيه وعيد على اضرار المراة وترك الفيئة

المطلقات زنان طلاق داده

فاما الامة اذا طلقت تعتد بقرئين لانها على النصف من الحرة والقرء لا يتبعض وكانت لها قرآن ولقوله عليه الصلوة والسلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه ونزلت الآية حين طلقت اسماء بنت يزيد بن السكن ولم تكن للمطلقة عدة قالت فانزل الله حين طلقت والمطلقات يتربصن بانفسهن وقد اختلفوا في المراد بالاقراء قالت عائشة الاقراء الاطهار وعليه اكثر ائمة التابعين ل ابن عمر اذا طلق الرجل امرأته فدخلت في الدم من الحيضة الثالثة فقد برئت منه وبرئ منها وعليه مالك والشافعي والفقهاء السبعة واستدلوا عليه بقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي في الاطهار ولما كان الطهر الذي تطلق فيه محتسبا دل على انه احد الاقراء الثلثة المامور بها ولهذا قالوا اقل مدة تصدق فيها المرأة في انقضاء عدتها اثنان وثلثون يوما ولحظتان واستشهد من جهة اللغة بقول الاعشى. ففي كل عام انت جاشم غزوة . تشد لاقصاها عزيم عزائكا . مورثة مالا وفي الحي رفعة . لما ضاع فيها من قروء نسائكا . يمدح امرأ آثر الغزو على المقام حتى ضاعت ايام الطهر من نسائه لم يواقعهن فيها وقيل المراد بالاقراء الحيض وهو ثاني القولين في القرء فلا تنقضي العدة حتى تطهر من الحيضة الثالثة زاد بعض وتغتسل منها واقل وقت تصدق المرأة فيه في انقضاء عدتها ثلثة وثلثون يوما ولحظة وهو قول كثير من الصحابة والتابعين وهو مذهب ابي حنيفة وموافقيه واصح الروايتين عن احمد انه نقل عن الاكابر من الصحابة يقولون الاقراء الحيض وبه قال الثوري والاوزاعي وآخرون ويؤيد ذلك ما جاء في سنن ابي داود والنسائي عن فاطمة بنت ابي حبيش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها دعي الصلوة ايام اقرائك فهذا لو صح لكان صريحا في ان القرء هو الحيض لكن بعض رواته مجهول ل ابن جرير اصل القرء في كلام العرب الوقت لمجيء الشيء المعتاد مجيئه في وقت معلوم ولادبار الشيء المعتاد ادباره لوقت معلوم وهذا يقتضي ان يكون مشتركا بين الطهر والحيض واليه ذهب بعض الاصوليين و ل ابو عمرو بن العلاء العرب تسمي الحيض قرءا وتسمي الطهر قرءا وتسمي الحيض مع الطهر جميعا قرءا ل ابن عبد البر لا خلاف في ذلك انما الخلاف في ان المراد من الآية ما هو على القولين وقوله ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن اي من حبل او حيض قاله ابن عباس وابن عمر واكثر الائمة وقوله ان كن يؤمن بالله تهديد لهن على قول خلاف الحق وهذا دليل على ان المرجع في هذا اليهن لانه امر لا يعلم الا من جهتهن وتتعذر اقامة البينة غالبا على ذلك فرد الامر اليهن وتوعدن فيه لئلا يخبرن بغير الحق اما استعجالا لانقضاء العدة او رغبة منها في تطويلها لما لها في ذلك من المقاصد وقوله وبعولتهن اي زوجها الذي طلقها احق بردها اليه ما دامت في عدتها ان كان مراده به الاصلاح والخير لا الاضرار وتطويل العدة عليها وهذا في الرجعيات فاما المطلقات البوائن فلم تكن في حال نزول هذه الآية مطلقة بائن وانما صار ذلك لما حصروا في الطلقات الثلث فصار للناس مطلقة بائن وغير بائن وقوله ولهن مثل الذي عليهن اي ولهن على الرجال من الحق مثل ما للرجال عليهن فليؤد كل واحد منهما الى الآخر ما يجب عليه بالمعروف كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته في حجة الوداع فاتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بامان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وعن حكيم بن معوية القشيري عن ابيه قال قلت يا رسول الله ما حق زوجة احدنا عليه ل ان تطعمها اذا طعمت وان تكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت ل ابن عباس اني لاحب ان اتزين للمرأة كما احب ان تتزين لي المرأة لان الله يقول ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وقوله وللرجال عليهن درجة اي الفضيلة في الخلق والخلق والمنزلة وطاعة الامر والانفاق والقيام في المصالح

في بعض الاعراب ينتظرن

جمع بعل والتاء لاحقة لتانيث الجمع كالعمومة والخؤولة والسهولة جمع بعل وسهل

يعرف في الشرع والعقل وعادات الناس فلا يكلف احدهما صاحبه ما ليس

يتحمل مشقة الغزو

اي وكما للنساء على الرجال حقوق من المهر والكسوة والنفقة وحسن الصحبة وترك المضارة بالمراجعة مثل الذي عليهن اي للرجال من الحقوق والطاعة

[illegible]

ارجعه عليها اولى
بحكما عليه

[illegible]

والفضل

والفضل في الدنيا والآخرة كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله به بعضهم على بعض وقوله والله عزيز اي في انتقامه ممن عصاه حكيم في امره وشرعه وقدره الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون هذه الآية رافعة لما كان عليه الامر في ابتداء الاسلام من ان الرجل كان احق برجعة امرأته وان طلقها مائة مرة ما دامت في العدة فلما كان هذا فيه ضرر على الزوجات قصرهم الله الى ثلث طلقات واباح الرجعة في الواحدة والثنتين وابانها بالكلية في الثالثة فقال الطلاق مرتان هكذا عن ابن عباس وعن عروة بن الزبير عن عائشة قالت كان الرجل احق برجعة امرأته وان رجلا من الانصار قال لامرأته لا اطلقك ابدا ولا آويك ابدا قالت وكيف ذلك قال اطلقك حتى اذا دنا اجلك راجعتك فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله الطلاق مرتان وقوله فامساك بمعروف اذا طلقتها واحدة او ثنتين فانت مخير فيها ما دامت عدتها باقية بين ان تراجعها ناويا الاصلاح لها والاحسان اليها وبين ان تتركها حتى تنقضي عدتها وتبين منك محسنا اليها لا تظلمها من حقها شيئا ولا تضارها وعن ابن عباس نحوه روي ان رجلا قال يا رسول الله ارايت قول الله الطلاق مرتان فاين الثالثة ل التسريح باحسان الثالثة وقوله ولا يحل لكم اي ولا يحل لكم ان تضاجروهن وتضيقوا عليهن لتفتدين منكم بما اعطيتموهن من الاصدقة او ببعضه كما قال تعالى ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن شيئا الآية فاما ان وهبت المرأة منه شيئا عن طيب نفس فهو قوله فان طبن لكم عن شيء الآية واما اذا تشاقق الزوجان فلم تقم المرأة بحقوق الرجل وابغضته ولم تقدر هو على معاشرتها فلها ان تفتدي منه بما اعطاها ولا حرج عليها في بذلها له ولا عليه في قبول ذلك منها ولهذا قال الا ان يخافا الا يقيما حدود الله الآية بخلاف ما لم يكن لها عذر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة رواه احمد وابو داود وابن ماجه وفي الحديث المختلعات المنتزعات هن المنافقات رواه النسائي ثم ان بعض الائمة قالوا لا يجوز الخلع الا بسبب الشقاق والنشوز من جانب المرأة فيجوز للرجل حينئذ قبول الفدية لما يعلم من الآية ولا يجوز في غيره الا بدليل والاصل عدمه وعليه ابن عباس واتباعه حتى قال مالك وغيره لو اخذ منها شيئا وهو مضار لها وجب رده اليها وكان الطلاق رجعيا وذهب الشافعي الى انه يجوز الخلع مطلقا في حال الشقاق وعند الاتفاق بطريق الاولى وعليه جميع اصحابه وذكر ابن جرير ان الآية نزلت في شان ثابت بن قيس بن شماس وامرأته حبيبة بنت سهل الانصاري كانت تحت ثابت بن قيس وان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى الصبح فوجد حبيبة بنت سهل عند بابه في الغلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه فقالت انا حبيبة بنت سهل فقال ما شانك فقالت لا انا ولا ثابت بن قيس لزوجها فلما جاء زوجها ثابت قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه حبيبة بنت سهل قد ذكرت ما شاء الله ان تذكر فقالت حبيبة يا رسول الله كل ما اعطاني عندي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ منها فاخذ منها وجلست في اهلها وفي البخاري عن ابن عباس ان امرأة ثابت بن قيس بن شماس اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ما اعتب عليه في خلق ولا دين ولكني اكره الكفر في الاسلام ل رسول الله صلى الله عليه وسلم اتردين عليه حديقته فقالت نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

والا تبقى المراة ابدا

ايها الازواج

[illegible]

أقبل الحديقة وطلقها تطليقة وقيل ان المرأة هي جميلة اخت عبد الله بن ابي بن سلول كما نقل ابن جرير ان عبد الله بن عباس
قال ان اول خلع كان في الاسلام في اخت عبد الله بن ابي انها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لا يجمع
راسي وراسه شيء ابدا فقال زوجها يا رسول الله اني اعطيتها افضل مالي حديقة لي فان ردت علي حديقتي قال ما تقولين
قالت نعم ان شاء زدته قال ففرق بينهما وقد اختلفوا في انه هل يجوز ان ياخذ اكثر مما اعطاها فذهب الجمهور الى الجواز لعموم
قوله تعالى ولا جناح عليهما فيما افتدت به روي ان امرأة اتت عمر بن الخطاب فشكت زوجها فاباتها في بيت الزبل فلما اصبحت
قال لها كيف وجدت مكانك قالت ما كنت عنده ليلة اقر لعيني من هذه الليلة قال خذ ولو عقاصها قال البخاري واجاز
عثمن الخلع دون عقاص راسها ومعنى هذا ان يجوز ان ياخذ منها كل ما بيدها من قليل وكثير ولا يترك لها سوى عقاص شعرها وبه
قال عمر بن الخطاب ابن عمر وابن عباس ومرافقوه وهذا مذهب الجمهور قال احمد واصحاب ابي حنيفة لا يجوز ان ياخذ منها اكثر مما
اعطاه وعليه علي بن ابي طالب وكثير من التابعين واختلفوا في الخلع فذهب اكثرهم الى انه تطليقة بائنة ينقص به عدد الطلاق وهو قول
عمر وعثمن وعلي وابن مسعود وبه قال اكثر التابعين واليه ذهب مالك واصحاب ابي حنيفة وهو اظهر قولي الشافعي وذهب قوم الى انه
فسخ لا ينقص به عدد الطلاق وهو قول ابن عمر وابن عباس وبه قال عكرمة وطاوس واليه ذهب احمد واحتجوا بان الله تعالى ذكر الطلاق
مرتين ثم ذكر بعده الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة قال فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ولو كان الخلع طلاقا لكان الطلاق
اربعا ومن قال بالاول جعل الطلقة الثالثة او تسريح باحسان وقوله تلك حدود الله اي هذه الشرائع التي شرعها لكم هي حدود الله
اي ما منعه الشرع عن المجاوزة عنه كما ثبت في الحديث الصحيح ان الله حد حدودا فلا تعتدوها وفرض فرائض فلا تضيعوها الحديث
وقد يستدل بهذه الاية من ذهب الى ان جمع الطلقات الثلث بكلمة واحدة حرام كما هو مذهب المالكية ومن وافقهم وقوله تعالى
فان طلقها فلا تحل له اي اذا طلق الرجل امرأته طلقة ثالثة بعد ما طلقها مرتين فانها تحرم عليه حتى تنكح زوجا غيره اي حتى يطأها زوج
اخر في نكاح صحيح يطأها زوج اخر في نكاح فلو لم يطأها في نكاح صحيح او وطئها واطئ في غير نكاح ولو في ملك يمين لم تحل للاول لانه ليس
بزوج وهكذا لو تزوجت ولكن لم يدخل بها الزوج لم تحل للاول واشتهر ان سعيد بن المسيب قال يحصل المقصود من تحليلها للاول
بمجرد العقد على الثاني وفي صحته عنه نظر مع ان ابن عبد البر حكاه عنه في الاستذكار والله اعلم وقد نقل ابن جرير باسناده عن سعيد بن المسيب
عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل تزوج المرأة فيطلقها قبل ان يدخل بها البتة فيتزوجها زوج اخر فيطلقها قبل ان يدخل
بها اترجع الى الاول قال لا حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتها ورواه احمد باسناده عن سعيد بن المسيب وليس فيه قوله قبل ان يدخل
بها البتة فهذا من رواية سعيد عن ابن عمر مرفوعا على خلاف ما حكي عنه فيبعد ان يخالف ما رواه بغير مستند والله اعلم وفي مسند احمد
عن ابن عمر قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يطلق امرأته ثلثا فتتزوج زوجا اخر ثم يطلقها قبل ان يدخل بها هل تحل للاول
قال لا حتى تذوق عسيلته وفي الصحيحين عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن المرأة تزوجها الرجل فيطلقها فتتزوج رجلا
فيطلقها قبل ان يدخل بها اتحل لزوجها الاول قال لا حتى يذوق عسيلتها وفيهما عنها ايضا قالت دخلت امرأة رفاعة القرظي
وانا وابو بكر عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان رفاعة طلقني البتة وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما عنده مثل الهدبة
واخذت هدبة من جلبابها وخالد بن سعيد بالباب لم يؤذن له فقال يا ابا بكر الا تنهى هذه عما تجهر به بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فما زاد رسول الله صلى الله عليه وسلم على التبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانك تريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى
تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك ثم اعلم ان المقصود من الزوج الثاني ان يكون راغبا في المرأة قاصدا لدوام عشرتها كما هو المشروع

ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون

من التزويج

من التزويج واشترط مالك مع ذلك ان يطأها وطئا مباحا فلو وطئها وهي محرمة او صائمة او معتكفة او حائض او نفساء
او هو صائم او محرم او معتكف لم تحل للاول بهذا الوطء واشترط الحسن البصري الانزال مع الوطء متمسكا بما فهمه من ذوق
العسيلة ويلزم على هذا ان تنزل المرأة ايضا وليس المراد بالعسيلة المني بل المراد مطلق الجماع لانه عليه الصلوة والسلام قال الا
ان العسيلة الجماع رواه احمد والنسائي واما اذا كان قصد الثاني ان يحلها للاول فهذا هو المحلل الذي وردت الاحاديث
بذمه ولعنه ومتى صرح بمقصوده شرطا فقالوا انه للعقد بطل النكاح عند جمهور الائمة وعن ابن مسعود في روايات ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لعن الله المحلل والمحلل له وفي رواية المحلل والمحلل له ملعون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم رواه احمد والنسائي
والترمذي ورواه علي بن ابي طالب وابن عباس وابو هريرة ايضا كما في ابي داود وابن ماجة ايضا وعن عقبة بن عامر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بالتيس المستعار قالوا بلى يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو المحلل لعن الله المحلل والمحلل له انفرد به ابن ماجة
وروي ان عمر بن الخطاب قال لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما وقوله فان طلقها اي الزوج الثاني بعد الدخول بها فلا جناح عليهما
ان يتراجعا اي المرأة والزوج الاول ان ظنا ان يقيما حدود الله اي يتعاشرا بالمعروف قال مجاهد ان ظنا ان نكاحهما على غير
دلسة وتلك حدود الله اي شرائعه واحكامه يبينها اي يوضحها لقوم يعلمون واختلفوا فيما اذا طلق رجل امرأته طلقة او طلقتين وتركها
حتى انقضت عدتها ثم تزوجت باخر فدخل بها ثم طلقها فانقضت عدتها ثم تزوجها الاول هل تعود اليه بما بقي من الثلث والمجموع
الثلاث مذهب الائمة الثلثة الاول ومذهب ابي حنيفة الثاني وحجته ان الثاني اذا هدم الثلاث فلان يهدم ما دونها بالطريق
الاولى واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن
ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا ايات الله هزوا واذكروا نعمة الله
عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم هذا امر من الله
لمن طلق امرأته رجعية ان يحسن في امرها اذا مضت عدتها ولم يبق منها الا ما يمكنه فيه الرجعة فاما ان يمسكها اي يرجعها الى
عصمة نكاحه بمعروف وهو ان يشهد على رجعتها وينوي عشرتها بالمعروف او يسرحها اي يتركها حتى تنقضي عدتها ويخرجها
من منزله بالتي هي احسن من غير شقاق ولا مخاصمة ولا تقابح قال الله تعالى ولا تمسكوهن ضرارا قال ابن عباس وكثير من الائمة
كان الرجل يطلق المرأة فاذا قاربت انقضاء العدة راجعها ضرارا لئلا تذهب الى غيره ثم يطلقها فتعتد فاذا شارفت على
انقضاء العدة طلق ليطول عليها العدة فنهاهم الله عن ذلك وتوعدهم عليه فقال ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه اي بمخالفته
امر الله قوله ولا تتخذوا ايات الله هزوا قال مسروق هو الذي يطلق في غير كنهه ويضار امرأته بطلاقها وارتجاعها لتطول
عليها العدة وقال الحسن واخرون هو الرجل يطلق ويقول كنت لاعبا او يعتق او ينكح ويقول كنت لاعبا فانزل الله ولا
تتخذوا ايات الله هزوا قال ابن عباس طلق رجل امرأته وهو يلعب لا يريد الطلاق فانزل الله ولا تتخذوا ايات الله هزوا فالزمه
رسول الله صلى الله عليه وسلم الطلاق وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث جدهن جد وهزلهن جد
النكاح والطلاق والرجعة رواه ابو داود والترمذي وقوله واذكروا نعمة الله عليكم اي في ارساله الرسول بالهدى والبينات
اليكم وما انزل اليكم من الكتاب والحكمة اي السنة يعظكم به اي يأمركم وينهاكم ويتوعدكم على ارتكاب المحارم واتقوا الله اي فيما تأتون
وفيما تذرون واعلموا ان الله بكل شيء عليم اي فلا يخفى عليه شيء من اموركم السرية والجهرية وسيجازيكم على ذلك واذا طلقتم النساء
فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به

اي وصلن الى اخر عدتهن والاجل يقال للمدة
كلها واخرها ومنتهاها فيقال لعمر الانسان
اجل وللموت الذي ينتهي العمر اجل والبلوغ
الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه على
الاتساع كقولهم بلغنا البلد عند مقاربته
وان لم تنته اليه ٥

لتعتدوا
اللام للعلة او للعاقبة متعلقة
بضرارا اي لتطولوا عليهن بطول
حبسهن في العدة او لتلجئوهن
الى الافتداء في الخلع ٥

اي ايات القرآن واحكامه من الحلال والحرام
والحكمة اي مواعظه ونصائحه واسراره و
دقائقه والمعنى اذكروها بالعمل بها
وحفظ حدودها ورسومها

[illegible]
في الشرع ويحسن في المروة والعقل
[illegible]

اي اذا تراضى الخطاب والازواج
والنساء فيما بينهم ٥

الاجل هنا اخر المدة اي فانقضت عدتهن
والخطاب للاولياء او للازواج المطلقين
الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء
العدة لحمية الجاهلية او لغيرها

من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون قال ابن عباس وكثير من التابعين ان الآية نزلت في رجل يطلق امرأته طلقة او طلقتين فتنقضي عدتها ثم يبدو له تزويجها وان يراجعها وتريد المرأة ذلك ويمنعها اولياؤها عن ذلك فنهى الله ان يمنعوها وفيها ان المرأة لا تملك ان تزوج نفسها وانه لا بد لها في النكاح من ولي كما قال الزهري وابن جرير كما جاء في الحديث لا تزوج المرأة المرأة ولا تزوج المرأة نفسها فان الزانية هي التي تزوج نفسها وفي هذه المسئلة مخالفة بين العلماء محررة في كتب الفروع وفي البخاري عن الحسن ان اخت معقل بن يسار طلقها زوجها فتركها حتى انقضت عدتها فخطبها فأبى معقل فنزلت فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن وفي الترمذي عن معقل بن يسار انه زوج اخته رجلا من المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت عنده ما كانت ثم طلقها تطليقة لم يراجعها حتى انقضت العدة فهويها وهويته ثم خطبها مع الخطاب فقال له يا لكع اكرمتك بها وزوجتكها فطلقتها والله لا ترجع اليك ابدا آخر ما عليك قال فعلم الله حاجته اليها وحاجتها الى بعلها فانزل الله واذا طلقتم النساء الى قوله وانتم لا تعلمون فلما سمعها معقل قال سمع لربي وطاعة ثم دعاه فقال ازوجك واكرمك واسم المرأة فاطمة بنت يسار وقوله يوعظ به اي هذا الذي نهيناكم عنه من منع الولايا ان يتزوجن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف يأتمر به ويتعظ به وينفعل له من كان منكم ايها الناس يؤمن بشرع الله وحكمه ويخاف وعيد الله وعذابه في الآخرة وما فيها من الجزاء ذلكم ازكى لكم اي متابعة شرع الله في ردهن الى ازواجهن وترك الحاح في ذلك ازكى لكم واطهر لقلوبكم والله يعلم اي من المصالح فيما يأمر به وينهى عنه وانتم لا تعلمون الخيرة فيما تأتون ولا فيما تذرون والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير هذا بيان كيفية ارضاع الاولاد وكمال الرضاعة سنتان فلا اعتبار بها بعد ذلك ولهذا قال لمن اراد ان يتم الرضاعة وذهب الاكثر الى انه لا يحرم من الرضاعة الا ما كان دون الحولين فاذا كان فوقها لم يحرم عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الامعاء في الثدي وكان قبل الفطام رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند اكثر اهل العلم من الصحابة والتابعين ومعنى قوله في الثدي اي في حال الرضاعة قبل الحولين كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحرم من الرضاع الا ما كان في الحولين رواه الدارقطني بسنده عن ابن عباس والقول بانها لا يحرم بعد الحولين مروي عن علي وجماعة من الصحابة وجمهور التابعين وهو مذهب الشافعي واحمد وابي يوسف ومحمد واحد قولي مالك وفي قول آخر عنه انها سنتان وشهران او ثلاثة اشهر وقال ابو حنيفة سنتان وستة اشهر وقال مالك ولو فطم الصبي دون الحولين فارضعته امرأة بعد فصاله لم يحرم لانه قد صار بمنزلة الطعام فقد روي عن عمر وعلي انهما قالا لا رضاع بعد فطام ويحتمل انهما ارادا الحولين كقول الجمهور وقوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف اي وعلى والد الطفل نفقة الوالدات وكسوتهن بالمعروف اي بما جرت عادة امثالهن في بلدهن من غير اسراف ولا اقتار بحسب قدرته كما قال تعالى لينفق ذو سعة من سعته الآية وقوله لا تضار والدة بولدها اي بان تدفعه عنها لتضر اباه بتربيته ولكن ليس لها دفعه اذا ولدته حتى تسقيه اللبأ الذي لا يعيش بدون تناوله غالبا ثم بعد هذا لها دفعه اذا ولدته عنها ان شاءت اذا لم يكن مضارة لابيه كما لا يحل له انتزاعه منها لمجرد الضرار لها ولهذا قال ولا مولود له

لفظ يرضعن خبر ومعناه امر للامهات بالارضاع رحمة على الاولاد اي ليرضعن اولادهن سنتين تامتين ان مثل هم احببن ذلك لانهن احق به من غيرهن والناجي بلفظ الخبر لانه لا يجب على المرأة ارضاع ولدها ان وجدت مرضعة اولى والا يجب بالاجرة ان كان الوالد موسرا

انما ذكر بلفظ المولود له لا بلفظ الوالد ليدخل فيه سيد الامة فانها اذا ذاتت ولد من عبده او من غيره كان او الواجب على السيد النفقة لانه المولود له

بولده اي بان يريد ان ينتزع الولد منها اضرارا بها قاله مجاهد واكثر الائمة وقوله وعلى الوارث مثل ذلك قيل في عدم الضرار بقريبه وقيل عليه مثل ما على والد الطفل من الانفاق على والدة الطفل والقيام بحقوقها وعدم الاضرار بها وهو قول الجمهور وقوله فان ارادا فصالا عن تراض منهما اي فان اتفق والدا الطفل على فطامه قبل الحولين ورأيا في ذلك مصلحة له وتشاورا في ذلك واجمعا عليه فلا جناح عليهما في ذلك فلو انفرد احدهما بذلك دون الآخر لا يكفي ولا يجوز ان يستبد بذلك احدهما دون مشاورة الآخر احتياطا بحال الطفل والزاما للنظر في امره وقوله وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي اذا اتفقت الوالدة والوالد على ان يتسلم منها الولد ويسترضع له غيرها اما لعذر منها او لعذر له فلا جناح عليهما في بذله ولا عليه في قبوله منها اذا سلم اليها اجرتها الماضية التي هي احسن واسترضع لولده غيرها بالاجرة بالمعروف واتقوا الله في جميع احوالكم واعلموا ان الله بما تعملون بصير اي فلا يخفى شيء من احوالكم واقوالكم والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير امر الله تعالى النساء اللاتي يتوفى عنهن ازواجهن ان يعتددن اربعة اشهر وعشر ليال وهذا حكم عام يشمل المدخول بهن وغير المدخول بهن بالاجماع والمستند في غير المدخول بها عموم الآية والحديث الذي صححه الترمذي ان ابن مسعود سئل عن رجل تزوج امرأة فمات عنها ولم يدخل بها ولم يفرض لها فقال ارى لها صداقا مثلها لا وكس ولا شطط ولها العدة ولها الميراث فقام معقل بن سنان الاشجعي فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى به في بروع بنت واشق ففرح عبد الله ولا يخرج من ذلك الا المتوفى عنها زوجها وهي حامل فان عدتها بوضع الحمل ولو لم تمكث بعده سوى لحظة لعموم قوله واولات الاحمال الآية وكذلك يستثنى من ذلك الزوجة اذا كانت امة فان عدتها على النصف من عدة الحرة شهران وخمس ليال على قول الجمهور قيل والحكمة في جعل عدة الوفاة اربعة اشهر وعشرا احتمال اشتمال الرحم على حمل فاذا انتظر به هذه المدة ظهر ان كان موجودا وقوله يتربصن اي ينتظرن ويعتددن بترك الزينة والطيب وقوله فاذا بلغن اجلهن الآية فيها وجوب الاحداد على المتوفى عنها زوجها مدة عدتها لما ثبت في الصحيحين عن ام حبيبة وزينب بنت جحش امي المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا وفيهما ايضا عن ام سلمة ان امرأة قالت يا رسول الله ان ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها افنكحلها فقال لا كل ذلك يقول لا مرتين او ثلاثا ثم قال انما هي اربعة اشهر وعشر وقد كانت احداكن في الجاهلية تمكث سنة قالت زينب بنت ام سلمة كانت المرأة اذا توفي عنها زوجها دخلت حفشا ولبست شر ثيابها ولم تمس طيبا ولا شيئا حتى تمر بها سنة ثم تخرج فتعطى بعرة فترمي بها ثم تؤتى بدابة حمار او شاة او طير فتفتض به فقل ما تفتض بشيء الا مات ومن هنا ذهب الاكثر الى ان هذه الآية ناسخة للآية التي بعدها وهي قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا الآية ويجب الاحداد على جميع الزوجات المتوفى عنهن ازواجهن سواء في ذلك الصغيرة والآيسة والحرة والامة والمسلمة والكافرة لعموم الآية خلافا لبعض الفقهاء كما هو مقرر في كتب الفقه وقوله فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الاولياء فيما فعلن اي اللاتي انقضت عدتهن اي من التزين والتعرض للنكاح الحلال المعروف ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم في انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم يقول لا جناح عليكم في التعريض بخطبة النساء في عدتهن من الوفاة دون التصريح قال ابن عباس هو ان يقول اني اريد

التزوج وإني احب امراة من امرها كذا وكذا يعرض لها بالقول المعروف وكذا حكم المطلقة المبتوتة يجوز التعريض لها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس حين طلقها زوجها البتة وامرها ان تعتد في بيت ابن ام مكتوم فاذا حللت فآذنيني فلما حلت زوجها اسامة بن زيد فاما المطلقة الرجعية فلا يجوز لغير الزوج التصريح بخطبتها ولا التعريض قوله او اكننتم اي اضمرتم في انفسكم من خطبتهن كقوله تعالى وربك يعلم ما تكن صدورهم ولهذا قال علم الله انكم ستذكرونهن اي في انفسكم فرفع الحرج عنكم في ذلك ثم قال ولكن لا تواعدوهن سرا قال الجمهور يعني الزنا وعن ابن عباس لا يقل لها اني عاشق وعاهديني ان لا تتزوجي غيري ونحو هذا فنهى عن ذلك وقيل هو ان يتزوجها في العدة سرا فاذا حلت اظهر ذلك والقول المعروف هو ان يقول اني فيك لراغب ونحوه وقوله ولا تعزموا عقدة النكاح يعني ولا تعقدوا العقد بالنكاح حتى تنقضي العدة وهو المراد بقوله حتى يبلغ الكتاب اجله واجمعوا على انه لا يصح العقد في عدة المعتدة فان عقد بامراة في عدتها فدخل بها فرق بينهما ثم اذا انقضت عدتها يجوز له استيناف نكاحها على الصحيح وقوله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم هذا وعيد على ما يقع في الضمائر من الميل اليهن وارشاد الى الضمائر بالخير دون الشر ثم لم يؤيسهم من رحمته ولم يقنطهم من عائدته فقال واعلموا ان الله غفور حليم لا جناح عليكم

ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين اباح الله تعالى الطلاق قبل الدخول بها وقبل الفرض لها ان كانت مفوضة ولهذا امر بامتاعها وهو تعويضها عما فاتها بشيء يناسبها بحسب حاله قال ابن عباس اعلى متعة الطلاق خادم ودون ذلك الورق ودونه الكسوة ونحو ذلك وذهب ابو حنيفة الى انه متى تنازعا في قدرها وجب عليه نصف مهرها وقال الشافعي احب ان لا ينقص من ثلثين درهما وحكم الائمة ان من تزوج امراة ولم يفرض لها مهرا ثم طلقها قبل المسيس يجب عليه المتعة بالاتفاق وان طلقها بعد الفرض قبل المسيس فلا متعة لها عند الاكثر ولها نصف الفرض المفروض واختلفوا في المطلقة بعد الدخول فذهب جماعة الى انه لا متعة لها لانها اخذت المهر وهو مذهب ابي حنيفة وذهب آخرون الى انها تستحق المتعة لقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف وهو مذهب الشافعي لان استحقاقها المهر بمقابلة ما اتلف عليها من منفعة بضعها فلها المتعة على وحشة الفراق ومتعوهن اي اعطوهن من مالكم ما يتمتعن به على الموسع اي الغني قدره اي امكانه وطاقته وعلى المقتر الفقير بالمعروف اي بما امركم الله من غير ظلم ومن الحكماء من استحبها لكل مطلقة سوى المفوضة المفارقة قبل الدخول ولهذا قال حقا على المحسنين **وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير** هذه الآية دالة على اختصاص المتعة بما دلت عليه الآية السابقة وانها يجب نصف المهر المفروض اذا طلق قبل الدخول لا غير وتشطر الصداق والحالة هذه امر مجمع عليه فانه متى كان قد سمى لها صداقا ثم فارقها قبل الدخول بها فانه يجب نصف ذلك الآن عند الائمة الثلثة ويجب جميعه اذا خلا بها الزوج وان لم يدخل بها وقال ابن عباس في الرجل يتزوج المراة فيخلو بها ولا يمسها ثم يطلقها ليس لها الا نصف الصداق لان الله يقول وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن الآية قال الشافعي وبهذا اقول وهو ظاهر الكتاب وقوله الا ان يعفون اي النساء عما وجب لها على زوجها من النصف فلا يجب لها عليه شيء وعليه الاكثر وقوله او يعفو الذي بيده عقدة النكاح عن ابن ابي حاتم بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ولي عقدة النكاح الزوج وعن شريح قال سألني علي بن ابي طالب عن الذي بيده عقدة النكاح فقلت هو ولي المراة فقال علي لا بل هو الزوج وعليه الجمهور وبه قال ابو حنيفة والشافعي في الجديد فان بيد الزوج عقدها وابرامها ونقضها وهدمها

وكما لا يجوز للولي ان يهب شيئا من مال المولية فكذلك في الصداق وفي قول عن ابن عباس وجماعة انه ابوها واخوها ومن لا تنكح الا باذنه وهو مذهب مالك وموافقيه ومأخذه ان الولي هو الذي اكسبها اياه فله التصرف فيه بخلاف سائر مالها وقوله وان تعفوا اقرب للتقوى قال ابن عباس اقربهما للتقوى الذي يعفو وقال مجاهد وطائفة الفضل هنا ان تعفو المراة عن شطرها او اتمام الرجل الصداق لها ولهذا قال ولا تنسوا الفضل بينكم اي الاحسان وعن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليأتين على الناس زمان عضوض يعض المؤمن على ما في يديه وينسى الفضل رواه ابن مردويه وقيل لا تنسوا الفضل بينكم اذا اتاه السائل وليس عنده شيء فليدع له ان الله بما تعملون بصير اي لا يخفى عليه شيء من اموركم واحوالكم وسيجزي كل عامل بعمله

حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون امر الله تعالى بالمحافظة على الصلوات بحدودها واداءها في اوقاتها كما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي العمل افضل قال الصلوة على وقتها قلت ثم اي قال الجهاد في سبيل الله قلت ثم اي قال بر الوالدين قال حدثني بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزدته لزادني وفي مسند احمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احب العمل الى الله تعجيل الصلوة لاول وقتها وهكذا رواه ابو داود والترمذي وخص من بينها بمزيد التاكيد الصلوة الوسطى وقد اختلفوا فيها اي صلوة هي فقيل انها الصبح حكاه مالك في الموطأ عن علي وابن عباس وعن ابي رجاء العطاردي قال صليت مع ابن عباس الفجر فقنت ورفع يديه ثم قال هذه الصلوة الوسطى التي امرنا ان نقوم فيها قانتين رواه ابن جرير وعن ابي العالية انه صلى مع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة الغداة فلما ان فرغوا قال قلت لهم ايتهن الصلوة الوسطى قالوا التي قد صليتها قبل وعليه كثير من التابعين وهو الذي نص عليه الشافعي محتجا بقوله تعالى وقوموا لله قانتين والقنوت عنده في صلوة الصبح ومنهم من قال هي وسطى باعتبار انها لا تقصر وهي بين صلوتين رباعيتين مقصورتين وبه يرد المغرب وقيل باعتبار اخر وقيل الوسطى هي الظهر لما في مسند احمد عن زيد بن ثابت قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلي صلوة اشد على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فنزلت الآية وقال ان قبلها صلوتين وبعدها صلوتين وقيل ان الوسطى صلوة العصر وبه قال اكثر التابعين وهو مذهب ابي حنيفة ومروي عن كثير من الصحابة وعليه الجمهور والدليل عليه ما رواه علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله قلوبهم وبيوتهم نارا ثم صلاها بين العشائين المغرب والعشاء رواه مسلم واصحاب السنن والمسانيد وعن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوة الوسطى صلوة العصر رواه احمد ويؤيد ذلك ما في الصحيح عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذي تفوته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله وعن ابي يونس مولى عائشة قال امرتني عائشة ان اكتب لها مصحفا قالت اذا بلغت هذه الآية حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى فآذني قال فلما بلغتها آذنتها فاملت علي حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وصلوة العصر وقوموا لله قانتين سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه احمد ومسلم وعن حفصة مثله فلو عورض بان واو العطف وصلوة العصر يدل على المغايرة فتكون الوسطى غيرها اجيب بان حديث علي رضي الله عنه اصح واصرح منه وهذا يحتمل ان يكون الواو زائدة كما في قوله و لتستبين سبيل المجرمين وليكون من الموقنين او يكون لعطف الصفات لا لعطف الذوات كقوله ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكقوله والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى وقال الشاعر:

الى الملك القرم وابن الهمام: وليث الكتيبة في المزدحم:

وقد نص سيبويه على جواز قول القائل مررت باخيك وصاحبك ويكون الصاحب هو الاخ نفسه ولما لم يثبت في مصحف

البيان لمعنى التفاضل والترك والتفضل بما التفضل وهو الفعل الجميل الزائد ليس بواجب والمعنى لا تغفلوا ولا تتركوا ايها الرجال والنساء ان تفضل بعضكم على بعض بالعفو عن حصة في الصداق

الامام ولا قرأ بذلك احد من القراء لا من السبعة ولا غيرهم وفي مسلم عن البراء قال نزلت حافظوا على الصلوات وصلوة العصر فقرأناها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ثم نسخها الله فانزل حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى فعلى هذا يكون هذه التلاوة ناسخة للفظ رواية عائشة وملغيا لها ان كانت الواو للمغايرة والا فلفظها فقط والله اعلم وقيل ان الصلوة الوسطى هي المغرب لما حكي عن ابن عباس في رواية قال صلوة الوسطى المغرب ووجه هذا بعضهم بانها وسطى في العدد بين الرباعية والثنائية وبانها وتر المفروضات وبما جاء فيها من الفضيلة وقيل ان الوسطى هي العشاء الآخرة وهو اختيار الواحدي في تفسيره وقيل الوسطى واحدة من الخمس لا بعينها وابهمت فيهن كما ابهمت ليلة القدر في الحول او الشهر او العشر ويحكى هذا عن سعيد بن المسيب وبعض التابعين واختاره امام الحرمين في النهاية وقيل بل الصلوة الوسطى مجموع الصلوات الخمس وهذا ضعيف ليس عليه دليل من كتاب ولا سنة ولا اثر وقيل غير ذلك من الجماعة والجمعة والنوافل المسنونة فيها الجماعة وغيرها ليليا او نهاريا وتوقف آخرون ولم يزل الاختلاف فيها موجودا من زمن الصحابة الى الآن وكل هذه الاقوال فيها ضعف بالنسبة الى التي قبلها وانما المدار ومعترك النزاع في الصبح والعصر وقد ثبت السنة بانها العصر فتعين المصير اليها وعن حرملة بن يحيى والربيع والزعفراني واحمد بن حنبل اصحاب الامام الشافعي رحمهم الله ان الشافعي قال كل ما قلت وكان عن النبي صلى الله عليه وسلم خلاف قولي مما يصح فحديث النبي اولى ولا تقلدوني وفي رواية عنه اذا صح الحديث وقلت قولا فانا راجع عن قولي وقائل بذلك ومن ههنا قطع القاضي الماوردي بان مذهب الشافعي ان صلوة الوسطى هي العصر وان كان قد نص في الجديد وغيره انها الصبح لصحة الاحاديث انها العصر وقوله وقوموا لله قانتين اي خاشعين ذليلين مستكينين بين يديه وهذا يستلزم ترك الكلام في الصلوة لما في مسند احمد عن زيد بن ارقم قال كان الرجل يكلم صاحبه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في الحاجة في الصلوة حتى نزلت هذه الآية وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت رواه اكثر اصحاب السنن و

قوله فان خفتم فرجالا او ركبانا لما امر الله عباده بالمحافظة على الصلوات على ما سبق ذكر الحال التي يشغل الشخص فيها عن ادائها على الوجه الاكمل وهي حال القتال وما اشبهها فقال فان خفتم اي فصلوا على اي حال كان رجالا او ركبانا يعني مستقبلي القبلة وغير مستقبليها كما روي عن نافع ان ابن عمر كان اذا سئل عن صلوة الخوف وصفها ثم قال فان كان خوف اشد من ذلك صلوا رجالا على اقدامهم او ركبانا مستقبلي القبلة او غير مستقبليها قال نافع لا ارى ابن عمر ذكر ذلك الا عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه البخاري ولمسلم نحوه وقال ابن عباس في هذه الآية يصلي الراكب على دابته والراجل على رجليه ووافقه الاكثر وزادوا ويومي براسه ايما توجه وعن جابر قال اذا كانت المسايفة فليومي براسه ايماء حيث كان وجهه فذلك قوله فرجالا او ركبانا وعن ابن عباس قال فرض الله الصلوة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة وعن جابر مثله وقال البخاري في باب الصلوة عند مناهضة الحصون وقال الاوزاعي ان كان تهيأ الفتح ولم يقدروا على الصلوة صلوا ايماء كل امرئ لنفسه فان لم يقدروا على الايماء أخروا الصلوة حتى ينكشف القتال ويامنوا فيصلوا ركعتين فان لم يقدروا صلوا ركعة وسجدتين فان لم يقدروا لا يجزيهم التكبير ويؤخرونها حتى يأمنوا وبه قال مكحول وقال انس بن مالك حضرت مناهضة تستر عند اضاءة الفجر واشتد اشتعال القتال فلم يقدروا على الصلوة فلم نصل الا بعد ارتفاع النهار فصليناها ونحن مع ابي موسى ففتح لنا قال انس وما يسرني بتلك الصلوة الدنيا وما فيها هذا لفظ البخاري ثم استشهد على ذلك بحديث تاخيره صلى الله عليه وسلم صلوة العصر يوم الخندق بعذر المحاربة الى بعد غيبوبة الشمس وقوله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لاصحابه لما جهزهم الى بني قريظة

لا يصلين احد

لا يصلين احد منكم العصر الا في بني قريظة فمنهم من ادركته الصلوة في الطريق فصلوا وقالوا لم يرد منا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تعجيل السير ومنهم من ادركته فلم يصل الى ان غربت الشمس في بني قريظة فلم يعنف واحدا من الفريقين فهذا يدل على اختيار البخاري لهذا القول والجمهور على خلافه ويقولون ان صلوة الخوف على ما ورد به القرآن والاحاديث لم يكن مشروعة في غزوة الخندق وانما شرعت بعد ذلك وقد جاء مصرحا بهذا في حديث ابي سعيد وغيره اما مكحول والاوزاعي والبخاري فيجيبون بان مشروعية صلوة الخوف بعد ذلك لا ينافي جواز ذلك لان هذا حال نادر خاص فيجوز فيه مثل ما قلنا بدليل صنيع الصحابة زمن عمر في فتح تستر وقد اشتهر ولم ينكر وقوله فاذا امنتم فاذكروا الله اي فاتموا صلوتكم كما امرتم فاتموا اركانها وابعاضها وادابها كما علمكم اي مثل ما انعم عليكم وهداكم للايمان وعلمكم ما ينفعكم في الدنيا والآخرة وقابلوا بالشكر والذكر وسياتي بيان صلوة الخوف في سورة النساء ان شاء الله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون الاكثرون على ان هذه الآية منسوخة بالتي قبلها وهي قوله يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فان ما زاد عليها من السكنى والنفقة والحداد وما يتعلق به سقط بانقضائها قال ابن الزبير قلت لعثمن بن عفان والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا قد نسختها الآية الاخرى فلم تكتبها او تدعها قال يا ابن اخي لا اغير شيئا منه من مكانه رواه البخاري يعني قال ابن الزبير لعثمن اذا كان حكمها قد نسخ بالاربعة اشهر وعشرا فما الحكمة في ابقاء رسمها مع زوال حكمها فانه يوهم بقاء حكمها فاجابه عثمن بان هذا امر توقيفي وانا وجدتها مثبتة في المصحف كذلك فاثبتها حيث وجدتها وعن ابن عباس قال كان الرجل اذا مات وترك امرأة اعتدت سنة في بيته ينفق عليها من ماله ثم انزل الله بعد والذين يتوفون منكم الآية فهذه عدة المتوفى عنها زوجها الا ان تكون حاملا فعدتها ان تضع ما في بطنها وقال فنسختها آية المواريث فجعل لهن الربع والثمن مما ترك الزوج ووافقه الاكثر قال عطاء عن ابن عباس عدتها عند اهلها فتعتد حيث شاءت وهو قول الله غير اخراج ان شاءت اعتدت عند اهلها وان شاءت سكنت في وصيتها وان شاءت خرجت لقول الله فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن ثم جاء الميراث فنسخ السكنى وقوله وصية قرئ بالنصب على معنى فليوصوا لهن وصية وقرئ بالرفع اي كتب عليكم الوصية وقوله متاعا اي متعوهن متاعا والمراد نفقة سنة وما يحتاج اليه من الكسوة والسكنى غير اخراج اي فلا تخرجن اي فاذا انقضت عدتهن بالاربعة اشهر وعشر او بوضع الحمل واخترن الخروج والانتقال فانهن لا يمنعن من ذلك لقوله فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف يعني التزين للنكاح وقيل لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول وقيل في ترك منعهن من الخروج لان الخيرة في ذلك لهن وقوله وللمطلقات متاع قال عبد الرحمن ابن زيد لما نزل قوله ومتعوهن على الموسع قدره الى قوله على المحسنين قال رجل ان شئت احسنت ففعلت وان شئت لم افعل فنزلت وللمطلقات متاع وقد استدل بهذه من ذهب الى وجوب المتعة لكل مطلقة سواء كانت مفوضة او مفروضا لها او مطلقة قبل المسيس او مدخولا بها وهو قول عن الشافعي واليه ذهب بعض السلف واختاره ابن جرير ولم يوجبها مطلقا يخص من هذا العموم بمفهوم قوله لا جناح عليكم ان طلقتم النساء الآية واجاب الاولون بان هذا من باب ذكر بعض افراد العموم فلا تخصيص على المشهور المنصوص والله اعلم وقوله كذلك يبين الله لكم آياته اي في احلاله وتحريمه وفي فرضه وحدوده فيما امركم به ونهاكم عنه مفصلة غير مجملة في وقت احتياجكم اليه لعلكم تعقلون اي كي تفهموا وتتدبروا الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون وقاتلوا في سبيل الله

[illegible]

واعلموا ان الله سميع عليم من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون روى عن ابن عباس انهم كانوا اربعة آلاف وعنه ثمانية آلاف وفي رواية عنه اربعون الفا وقيل تسعة آلاف وقيل بضعة وثلثين الفا وكانوا اهل قرية يقال لها داوردان على فرسخ من واسط وذكر واحد من السلف ان هؤلاء القوم كانوا اهل بلدة في زمان بني اسرائيل استوخموا ارضهم واصابهم بها وباء شديد فخرجوا فرارا الى البرية فنزلوا واديا افيح فملأوا ما بين عدوتيه فارسل الله اليهم ملكين احدهما من اسفل الوادي والآخر من اعلاه فصاحا بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم موت رجل واحد فحيزوا الى الحظائر وبني عليهم جدران وفنوا وتمزقوا وتفرقوا فلما كان بعد دهر مر بهم نبي من بني اسرائيل يقال له خزقيل فسأل الله ان يحييهم على يديه فاجابه الى ذلك وامره ان يقول ايتها العظام البالية ان الله يأمركم ان تجتمعوا فاجتمع عظام كل جسد بعضها الى بعض ثم امره فنادى ايتها العظام ان الله يأمركم ان تكتسي لحما وعصبا وجلدا فكان ذلك وهو يشاهده ثم امره فنادى ايتها الارواح ان الله يأمركم ان يرجع كل روح الى الجسد فقاموا احياء ينظرون قد احياهم الله بعد رقدتهم الطويلة وهم يقولون سبحانك لا اله الا انت وكان في احيائهم عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسماني يوم القيمة ولهذا قال ان الله لذو فضل على الناس اي فيما يريهم من الآيات الباهرة والدلالات اللامعة ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يقومون بشكر ما انعم الله عليهم في دينهم ودنياهم وفي هذه القصة دليل على انه لن يغني حذر عن قدر فانه لا ملجأ من الله الا اليه ففي الصحيحين ان عمر بن الخطاب خرج الى الشام حتى اذا كان بسرغ لقيه امراء الاجناد ابو عبيدة بن الجراح واصحابه واخبروه ان الوباء قد وقع بالشام فجاءه عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا لبعض حاجته فقال ان عندي من هذا علما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان بارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه واذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه فحمد الله ثم انصرف وقوله وقاتلوا في سبيل الله اي كما ان الحذر لا يغني عن القدر كذلك الفرار من الجهاد لا يقرب اجلا ولا يباعده بل الاجل المحتوم والرزق المقسوم مقدر مقنن لا يزاد فيه ولا ينقص منه كما قال الله تعالى الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا الآية وقوله تعالى وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الآية وروينا عن سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه انه قال في سياق الموت لقد شهدت كذا وكذا موقفا وما من عضو من اعضائي الا وفيه رمية او طعنة او ضربة وها انا اموت على فراشي كما تموت العير فلا نامت اعين الجبناء يعني انه يتألم لكونه لم يمت قتلا في الحرب ويتأسف على ذلك وقوله من ذا الذي يقرض الله يحث الله عباده على الانفاق في سبيله وقد كرر تعالى هذه الآية في كتابه العزيز في غير موضع عن ابن مسعود قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له قال ابو الدحداح الانصاري يا رسول الله وان الله عز وجل ليريد منا القرض قال نعم يا ابا الدحداح قال ارني يدك يا رسول الله فناوله يده فقال اني قد اقرضت ربي عز وجل حائطي قال وحائط له فيه ستمائة نخلة وام الدحداح فيه وعيالها قال فجاء ابو الدحداح فناداها يا ام الدحداح قالت لبيك قال اخرجي فقد اقرضته ربي عز وجل وقوله قرضا حسنا قالوا هو النفقة في سبيل الله وقيل هو النفقة على العيال وقيل هو التسبيح والتقديس وقوله فيضاعفه له كما قال مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله الآية وسياق الكلام عليه وعن ابي عثمان النهدي قال اتيت ابا هريرة فقلت له انه بلغني انك تقول ان الحسنة تضاعف الف الف حسنة فقال وما اعجبك من ذلك لقد سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليضاعف الحسنة الفي الف حسنة رواه احمد وفي الترمذي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دخل سوقا من الاسواق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كتب الله له الف الف حسنة ومحى عنه الف الف سيئة وقوله والله يقبض ويبسط اي انفقوا ولا تبالوا فالله هو الرزاق يضيق على من يشاء من عباده الرزق ويوسعه على آخرين وله الحكمة البالغة

في ذلك واليه ترجعون يوم القيمة **الم تر الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين** قال قتادة هذا النبي هو يوشع بن نون وهذا بعيد لان هذه القصة كانت بعد موسى بدهر طويل وفي زمن داود كما هو مصرح في القصة الآتية وكان بين موسى وداود اكثر من الف سنة وقال السدي هو شمويل عليه السلام وهو شمويل بن بالي بن علقمة بن حام من نسل هرون وقال وهب بن منبه وغيره كان بنو اسرائيل بعد موسى عليه السلام على طريق الاستقامة مدة من الزمان ثم احدثوا الاحداث وعبدوا الاصنام ولم يزل بين اظهرهم من الانبياء من يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويقيمهم على منهج التورية الى ان فعلوا ما فعلوا فسلط الله عليهم اعداءهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة واسروا خلقا كثيرا واخذوا منهم بلادا كثيرة ولم يكن احد يقاتلهم الا غلبوه وذلك انهم كانوا عندهم التورية والتابوت الذي كان في قديم الزمان موروثا لخلفهم عن سلفهم الى موسى الكليم فلم يزل بهم تماديهم على الضلال حتى استلبه منهم بعض الملوك في بعض الحروب واخذ التورية من ايديهم ولم يبق من يحفظها منهم الا القليل وانقطعت النبوة من اسباطهم ولم يبق في سبط لاوي الذي يكون فيه الانبياء الا امرأة حامل من بعلها وقد قتل فاخذوها فحبسوها في بيت واحتفظوا بها لعل الله يرزقها غلاما يكون نبيا لهم ولم تزل تلك المرأة تدعو الله ان يرزقها غلاما فسمع الله لها ووهبها غلاما فسمته شمويل اي سمع الله ومنهم من يقول شمعون وهو بمعناه فشب ذلك الغلام ونشأ فيهم وانبته الله نباتا حسنا فلما بلغ سن الانبياء اوحى الله اليه وامره بالدعوة اليه وتوحيده فدعا بني اسرائيل فطلبوا منه ان يقيم لهم ملكا يقاتلون معه اعداءهم فقال لهم النبي فهل عسيتم ان اقيم لكم ملكا ان لا تفوا بما التزمتم من القتال معه قالوا وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي وقد اخذت منا بلادنا وسبيت اولادنا فلما كتب اي فرض عليهم القتال تولوا اي اعرضوا عن الجهاد الا قليلا منهم وهم الذين عبروا النهر مع طالوت كما سيأتي والله عليم بالظالمين بما ضيعوا من امر الله فجازيهم **وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفيه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم** لانه لم يكن طالوت من بيت الملك منهم ولم يكن هو من سبط يهوذا قالوا انى يكون اي كيف يكون هو ملكا علينا ونحن احق بالرياسة منه وهو مع هذا فقير ولا مال له وقيل كان سقاء وقيل دباغا وهذا اعتراض منهم على نبيهم وتعنت وكان الاولى بهم طاعة وقول معروف فاجابهم نبيهم بقوله ان الله اصطفيه عليكم اي اختاره لكم من بينكم وهو اعلم بكم منكم وزادكم بسطة في العلم اي هو مع هذا اعلم منكم وانبل واشكل منكم واشد قوة واصبر في الحرب يعني اتم علما وقامة منكم ومن ههنا ينبغي ان يكون الملك ذا علم وشكل حسن وقوة شديدة في بدنه ونفسه ثم قال والله يؤتي ملكه من يشاء اي هو الحاكم الذي ما شاء فعل ولا يسأل عما يفعل لعلمه وحكمته ورأفته بخلقه ولهذا قال والله واسع اي هو واسع الفضل يختص برحمته من يشاء عليم بمن يستحق الملك ممن لا يستحقه **وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين** اي ان بركة ملك طالوت ان يرد الله عليكم التابوت الذي كان اخذ منكم فيه سكينة قيل اي فيه وقار وجلالة وعن ابن عباس حيث تعرفون من آيات الله فتسكنون اليه كذا عن الحسن

وعن ابن عباس ايضا السكينة طست من ذهب كانت تغسل فيه قلوب الانبياء اعطاه الله موسى و وضع فيها الالواح
نقله السدي وعن علي قال السكينة ريح خجوج ولها راسان وجناحان وذنب قاله مجاهد و قال وهب السكينة راس هرة ميتة
اذا صرخت في التابوت بصراخ هر ايقنوا بالنصر وجاءهم الفتح وعنه ايضا روح من الله يكلم اذا اختلفوا في شيء تكلم
فاخبرهم ببيان ما يريدون وقوله وبقية قيل اي تفيز من المن ورضاض الالواح وقيل العصا والنعلان والالواح اي
موسى وهرون وقوله تحمله الملئكة قال ابن عباس جاءت الملئكة تحمل التابوت بين السماء والارض حتى وضعته بين يدي طالوت
والناس ينظرون وقال السدي اصبح التابوت في دار طالوت فآمنوا بنبوة شمعون و اطاعوا طالوت وقيل جاءت به الملئكة على
عجلة على بقرة او بقرتين وقيل ان التابوت كان باريحا وكان المشركون لما اخذوه وضعوه في بيت تحت صنمهم فاصبح التابوت
على راس الصنم فانزلوه فوضعوه تحته فاصبح كالاول و الصنم مكسر القوائم ملقى بعيدا فعلموا ان ذلك امر من الله لا
قبل لهم به فاخرجوا التابوت من بلدهم في بعض القرايا فاصاب اهلها داء في رقابهم فامرتهم جارية من سبي بني
اسرائيل ان يردوه الى بني اسرائيل حتى تخلصوا من هذا الداء فحملوه على بقرتين فاقبلتا به لا يقربه احد الا مات حتى قربتا من
بلد بني اسرائيل فكسرتا النيرين و رجعتا وجاء بنو اسرائيل فاخذوه و في رواية فدفنوه في مخراة لهم فكان كل من تبرز هناك
اخذه الناسور والقولنج وقيل انه تسلمه داود عليه السلام و انه لما قام اليها حجل من فرحه بذلك وقيل كان التابوت في قرية من
قرى فلسطين يقال لها ازدود وقوله ان في ذلك لآية لكم اي على صدقي فيما جئتكم به من النبوة وفيما امرتكم به من طاعة طالوت
ان كنتم مؤمنين بالله واليوم الآخر فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه
فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه
هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا
الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين اخبر الله تعالى عن طالوت حين خرج في جنوده و
من اطاعه من ملأ بني اسرائيل وكانوا يومئذ على ما ذكره السدي ثمانين الفا قال ان الله مبتليكم اي مختبركم بنهر قال ابن عباس
وغيره هو نهر بين الاردن و فلسطين يعني نهر الشريعة المشهور وقوله فليس مني اي فلا يصحبني اليوم في هذا الوجه الا من اغترف
غرفة بيده فلا باس عليه فشربوا منه الا قليلا منهم قال ابن عباس من اغترف منه بيده روي ومن شرب منه لم يرو و وافقه
الاكثر و قال السدي فشرب منه ستة وسبعون الفا و بقي معه اربعة الاف وعن البراء بن عازب قال كنا نتحدث ان اصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم الذين كانوا يوم بدر ثلثمائة و بضعة عشر على عدة اصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر وما جاز معه الا مؤمن
رواه البخاري ولهذا قال تعالى فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده اي استقلوا انفسهم عن
لقاء عدوهم لكثرتهم فشجعهم علماؤهم العالمون بان وعد الله حق فان النصر من عند الله ليس عن كثرة عدد ولا عدد ولهذا قالوا
كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة والفئة الجماعة لا واحد له و جمعه فئات وفئون باذن الله اي نقضائه وارادته والله مع الصابرين
بالنصر والمعونة ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا
على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما
يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين تلك آيات
الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين اي لما تحيزت الايمان وهم قليل من اصحاب طالوت لعدوهم اصحاب جالوت وهم
[illegible]

عدد كثير

عدد كثير قالوا ربنا افرغ علينا اي انزل علينا صبرا من عندك وثبت اقدامنا في لقاء الاعداء وجنبنا الفرار والعجز وانصرنا
على القوم الكافرين فهزموهم اي غلبوهم وقهروهم بنصر الله لهم وقتل داود جالوت ذكروا في الاسرائيليات انه قتله بمقلاع
كان في يده رماه به فاصابه فقتله وكان طالوت قد وعده ان قتل جالوت ان يزوجه ابنته و يشاطره نعمته ويشركه في
امره فوفى له ثم آل الملك الى داود مع ما منحه الله من النبوة العظيمة ولهذا قال وآتاه الله الملك اي الذي كان بيد طالوت
والحكمة اي النبوة بعد شمويل وعلمه مما يشاء الله من العلم الذي اختصه به ثم قال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض اي
لولا هو يدفع عن قوم باخرين كما دفع عن بني اسرائيل بمقاتلة طالوت وشجاعة داود لهلكوا كما قال ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لهدمت صوامع الآية قال ابن جرير باسناده عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة اهل
بيت من جيرانه البلاء ثم قرا ابن عمر ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض وباسناده عن جابر بن عبد الله قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده و اهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ
الله ما دام فيهم و قال ابن مردويه باسناده عن ثوبان رفع الحديث قال لا يزال فيكم سبعة بهم تنصرون وبهم تمطرون و
بهم ترزقون حتى ياتي امر الله و باسناده عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الابدال في امتي ثلثون بهم تقوم
الارض وبهم تمطرون وبهم تنصرون و قوله ولكن الله ذو فضل على العالمين اي من عليهم فضلا عليهم ورحمة بهم يدفع عنهم بعضهم
ببعض وله الحكم والحكمة والحجة على خلقه في جميع اقواله و افعاله ثم قال تعالى تلك آيات الله التي قصصناها عليك من امر الذين ذكرناهم
بالحق اي بالواقع من الخبر الذي تعلمه علماء بني اسرائيل و انك يا محمد لمن المرسلين هذا تاكيد و توطئة للقسم تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه
بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا
فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد هنا بيان لتفضيل بعض الرسل
على بعض كما قال ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الآية منهم من كلم الله يعني موسى ومحمدا صلى الله عليهما وسلم ورفع بعضهم درجات
كما ثبت في حديث الاسراء حين راى النبي صلى الله عليه وسلم الانبياء في السموات بحسب تفاوت منازلهم عند الله تعالى فان قيل فما الجمع
بين هذه الآية وبين الحديث الثابت في الصحيحين وهو قوله عليه الصلوة والسلام لا تفضلوني على الانبياء و في رواية لا تفضلوا بين
انبياء الله فانه حين استب المسلم واليهودي فلطمه المسلم حين قال والذي اصطفى موسى على العالمين الحديث فالجواب من وجوه
احدها ان هذا كان قبل ان يعلم بالتفضيل والثاني ان هذا من باب الهضم والتواضع والثالث ان هذا نهي عن التفضيل في مثل هذه
الحالة و الرابع لا تفضلوا بمجرد الاهواء والخامس ليس مقام التفضيل اليكم وانما هو الى الله وعليكم الانقياد والتسليم وقوله وآتينا
عيسى ابن مريم البينات اي الحجج والدلائل القاطعات على صحة ما جاء به الى بني اسرائيل من انه عبد الله ورسوله وايدناه بروح القدس
يعني جبريل ثم قال ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم الآية اي بل كل ذلك عن قضاء الله و قدره ولهذا قال ولكن الله يفعل ما يريد
يوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا
خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون امر الله عباده بالانفاق مما رزقهم في سبيله ليدخروا ثواب ذلك عند ربهم و
ليبادروا الى ذلك قبل ان ياتي يوم القيمة يوم لا يباع احد من نفسه ولا يباع بمال ولا بشيء ولا تنفعه خلة احد صداقته ولا نسابته
ولا شفاعة الشافعين وقوله والكافرون هم الظالمون اي ولا ظالم اظلم ممن وافى الله يومئذ كافرا والحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون

سلطان العاشقين شيخ ابو محمد روزبهان ميگويد الله سبحانه وتعالى خود را بدان صفتها موصوف فرمود تا سلطنت او در دل بندگان ظاهر شود و هر کسی که لا آله الا الله ميگويد
محتاج است بر چهار خصلت تفرد و تعظيم و حلاوت و حرمت هر کسی که او را تفرد نيست منافق است هر کسی که او را تعظيم نيست مبتدع است هر کسی که
او را حلاوت نيست مرائيست و هر کسی که او را حرمت نيست فاسق است وحي آن کسی است که زندگان بر او قائم است و قيوم آنکسی است که مردگان نه او زنده شوند

ولم يقل والظالمون هم الكافرون الله لا آله الا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم هذه آية الكرسي وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بانها افضل آية في كتاب الله عن ابي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم ساله اي آية في كتاب الله اعظم قال الله ورسوله اعلم فرددها مرارا فقال اي آية الكرسي قال ليهنك العلم يا ابا المنذر رواه مسلم وعن ابي هريرة قال وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكوة رمضان فاتاني آت فجعل يحثو من الطعام فاخذته وقلت لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة قال فخليت عنه فاصبحت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة ما فعل اسيرك البارحة قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال اما انه قد كذبك وسيعود فعرفت انه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيعود فرصدته فجاء يحثو من الطعام فاخذته فقلت لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعني فاني محتاج وعلي عيال لا اعود فرحمته فخليت سبيله فاصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة ما فعل اسيرك قلت يا رسول الله شكى حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال اما انه قد كذبك وسيعود فرصدته فجاء يحثو من الطعام فاخذته فقلت لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا آخر ثلث مرات انك تزعم لا تعود ثم تعود قال دعني اعلمك كلمات ينفعك الله بها اذا اويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي الله لا آله الا هو الحي القيوم حتى تختم الآية فانك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فخليت سبيله فاصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل اسيرك قلت زعم انه يعلمني كلمات ينفعني الله بها قال اما انه صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلث ليال قلت لا قال ذاك شيطان رواه البخاري في بلده مواضع من صحيحه وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء سنام وسنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي رواه الترمذي وقال غريب وعن اسماء بنت يزيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيها من الآيتين الله لا آله الا هو الحي القيوم ان فيهما اسم الله الاعظم رواه احمد وابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا دبر كل صلوة مكتوبة آية الكرسي لم يمنعه من دخول الجنة الا ان يموت رواه النسائي في عمل اليوم والليلة وقد ورد في فضلها احاديث كثيرة فاكتفينا بالتي احترازا عن الاطالة فقوله الله لا آله الا هو اخبار بانه المتفرد بالالوهية لجميع الخلائق الحي القيوم اي الحي في نفسه الذي لا يموت ابدا القيم لغيره وكان عمر رضي الله عنه يقرأ القيام بالالف فجميع الموجودات مفتقرة اليه وهو غني عنها ولا قوام لها بدون امره كقوله ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره وقوله لا تاخذه سنة ولا نوم اي لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه بل هو قائم على كل نفس بما كسبت لا يغيب عنه شيء ولا يخفى عليه خافية ولا تغلبه سنة وهي الوسن والنعاس ولهذا قال ولا نوم لانه اغلظ من السنة وفي الصحيح عن ابي موسى قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باربع كلمات فقال ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل النهار قبل الليل وعمل الليل قبل النهار حجابه النور او النار لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه عن ابن عباس ان بني اسرائيل قالوا يا موسى هل ينام ربك قال اتقوا الله فناداه ربه عز وجل يا موسى سالوك هل ينام ربك فخذ زجاجتين في يديك فقم الليل ففعل موسى فلما ذهب من الليل ثلث نعس فوقع لركبتيه ثم انتعش فضبطهما حتى اذا كان آخر الليل نعس فسقط الزجاجتان فانكسرتا فقال يا موسى لو كنت انام لسقطت السموات والارض فهلكن كما هلكت الزجاجتان في يديك

في الحجة المنقول ازمن قال في دبر كل صلوة مكتوبة اللهم اني اقدم اليك بين كل نفس ولمحة ولحظة وطرفة يطرف بها اهل السموات والارض
وكل شيء هو في علمك كائن او قد كان اقدم بين يدي ذلك كله الله لا آله الا هو الحي القيوم الى العظيم كتبت له الملكة في كل ساعة
من ساعات الليل والنهار وهي اربع وعشرون ساعة سبعين الف حسنة قال محمد بن
علي الترمذي حاسبنا فاذا هي الف الف وسبعمائة الف وثمانون
الف حسنة

على نبيه صلى الله عليه وسلم انه آية الكرسي وقوله له ما في السموات وما في الارض اخبار بان الجميع عبيده وفي ملكه وتحت قهره وسلطانه كقوله ان كل من في السموات والارض الآية وقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه هذا من عظمته وجلاله وكبريائه ان لا يتجاسر احد على ان يشفع الا ان ياذن له في الشفاعة كما في حديث الشفاعة آتي تحت العرش فاخر له ساجدا فيدعني ما شاء الله ان يدعني ثم يقال ارفع راسك وقل تسمع واشفع تشفع قال فيحد لي حدا فادخلهم الجنة وقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم دليل على احاطة علمه بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها وقوله ولا يحيطون بشيء من علمه اي لا يطلع احد من علم الله على شيء الا بما اعلمه الله واطلعه عليه ويحتمل ان يكون المراد لا يطلعون على شيء من علم ذاته وصفاته الا بما اطلعهم الله عليه كقوله ولا يحيطون به علما وقوله وسع كرسيه السموات والارض قال ابن عباس اي علمه ووافقه جماعة وعنه ايضا قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله وسع كرسيه السموات والارض قال كرسيه موضع قدميه والعرش لا يقدر قدره الا الله رواه ابن مردويه وموقوفا عليه اصح وقال السدي الكرسي تحت العرش وفي الحديث ما السموات السبع في الكرسي الا كدراهم سبعة القيت في ترس وفي رواية اذن درهم ما الكرسي في العرش الا كحلقة من حديد القيت بين ظهري فلاة من الارض وقد زعم بعض اهل الهيئة من المسلمين ان الكرسي عندهم هو الفلك الثامن وهو الذي فوقه الفلك التاسع وهو الفلك الاثير ويقال له الاطلس ورد عليهم آخرون وعن الحسن البصري ان الكرسي هو العرش والصحيح انه غيره كما دلت عليه الآثار وقوله ولا يؤده حفظهما اي لا يثقله ويكربه حفظ السموات والارض ومن فيهما بل ذلك سهل عليه يسير لديه والاشياء كلها حقيرة بين يديه ذليلة صغيرة بالنسبة اليه وقوله وهو العلي العظيم كقوله وهو العلي الكبير و الكبير المتعال وهذه الآيات وما في معناها من الاحاديث الصحاح الاجود فيها طريقة السلف الصالح امرارها كما جاءت من غير تكييف وقيل العلي هو الرفيع فوق خلقه بالملك والسلطنة والعظيم الكبير الذي لا شيء اعظم منه والله اعلم لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم اي لا تكرهوا احدا على الدخول في دين الاسلام فانه بين واضح جلي دلائله وبراهينه من هداه الله له وشرح صدره دخل فيه على بينة ومن اعمى قلبه وختم على سمعه وبصره لا يفيده الدخول فيه مكرها وذكروا انها نزلت في قوم من الانصار وان كان حكمها عاما قال ابن عباس كانت المراة من الانصار تكون مقلاة اي لا يعيش لها ولد وكانت تنذر لئن عاش لها ولد لتهودنه فاذا عاش ولدها جعلته في اليهود فجاء الاسلام وفيهم منهم فلما اجليت بنو النضير وكان فيهم عدد من اولاد الانصار فارادت الانصار استردادهم فنزلت لا اكراه في الدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خير اصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فاجلوهم معهم وعنه ايضا قال كان رجل من الانصار من بني سالم بن عوف يقال له حصين كان له ابنان نصرانيان وكان هو مسلما فقال للنبي صلى الله عليه وسلم الا استكرههما فانهما ابيا الا النصرانية فانزل الله الآية وقال عطاء نزلت في اهل الكتاب اذا قبلوا الجزية وذلك ان العرب لم يكن لها كتاب فلن يقبل منهم الا الاسلام واما اهل الكتاب اذا بذلوا الجزية يقبل منهم وكيف عنهم وقال ابن مسعود كان هذا في الابتداء قبل ان يؤمر بالقتال فصارت منسوخة باية السيف وفي الصحيح عجب ربك من قوم يقادون الى الجنة في السلاسل يعني اسارى الكفار الذين يؤتى بهم في الوثاق والقيود ثم يسلمون وتصلح اعمالهم وسرائرهم وقوله فمن يكفر بالطاغوت اي من خلع الانداد والاوثان وما يدعو اليه الشيطان ووحد الله فعبده وحده وشهد انه لا آله الا هو فقد استمسك بالعروة الوثقى اي فقد ثبت في امره واستقام على الطريقة المثلى والصراط المستقيم والطاغوت الشيطان اي فقد استمسك من الدين باقوى سبب والعروة القوية التي لا تنفصم فهي في نفسها محكمة وربطها قوي وشديد والوثقى تانيث الاوثق وهو المحكم والمراد

الايمان والاسلام قال الضحاك يعني لا اله الا الله وقيل القرآن وقيل الحب في الله والبغض في الله والكل صحيح لا تنافي فيه وقوله لا انفصام لها اي لا انقطاع لها دون دخول الجنة والله سميع لدعائك اياهم الى الاسلام عليم بحرصك على ايمانهم الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قد اخبر الله انه يهدي من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرج عباده من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الكافرين انما وليهم الشيطان زين لهم ما فيه من الجهالات والضلالات ويخرجونهم ويحيدونهم عن طريق الحق الى الكفر والطاغوت يكون مذكرا ومؤنثا وواحدا وجمعا وقوله يخرجونهم من النور اي من الايمان الذي كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بما في كتبهم من نعته فلما بعث كفروا به وانما وحد تعالى لفظ النور وجمع الظلمات لان الحق واحد والكفر اجناس كثيرة والخلود المكث الابدي السرمدي الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه ان آتيه الله الملك اذ قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين هذا الذي حاج ابرهيم هو ملك بابل نمرود بن كنعان بن ابن كوش بن سام بن نوح قاله مجاهد وغيره وقيل نمرود بن فالخ بن عامر بن شالخ بن ارفخشذ بن نوح ملك الدنيا مشارقها ومغاربها اربعة مؤمنان وكافران فالمؤمنان سليمان بن داود وذو القرنين والكافران نمرود وبخت نصر قاله مجاهد اي الم تر بقلبك يا محمد الذي عارض وحاج ابرهيم في وجود ربه وذلك انه انكر ان يكون ثم اله غيره كما قال بعده فرعون لملائه ما علمت لكم من اله غيري ان آتيه الله الملك وما حمله على هذا الطغيان والكفر الغليظ والمعاندة الشديدة الا تجبره وطول مدته في الملك كما قيل مكث اربعمائة سنة في ملكه و كان طلب من ابرهيم دليلا على وجود الرب الذي يدعو اليه فقال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت اي الدليل على وجوده حدوث هذه الاشياء المشاهدة بعد عدمها وعدمها بعد وجودها وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة انها لم تحدث بنفسها فلابد لها من موجد اوجدها وهو الرب الذي ادعو الى عبادته وحده لا شريك له فعند ذلك قال نمرود انا احيي واميت قال بعض المفسرين وذلك اني اوتى بالرجلين استحقا القتل فآمر بقتل احدهما فيقتل وبالعفو عن الآخر فلا يقتل والظاهر انه غير مراد ولانه ليس جوابا لما قال ابرهيم ولا في معناه لانه مانع لوجود الصانع وانما اراد ان يدعي لنفسه هذا المقام عنادا ومكابرة ويوهم انه الفاعل لذلك وانه هو يحيي ويميت ولهذا اجابه ابرهيم بقوله فان الله ياتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب اي اذا كنت كما تدعي فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في خلق ذواته وتسخير كواكبه وحركاته فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق فان كنت الها كما ادعيت فأت بها من المغرب فلما علم عجزه وانقطاعه وانه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام بهت اي اخرس ولم يتكلم وقامت عليه الحجة وقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يلهمهم حجة ولا برهانا بل حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد وهذا التنزيل على هذا المعنى احسن مما ذكره كثير من المتكلمين ان عدول ابرهيم عن المقام الاول الى المقام الثاني انتقال من دليل الى اوضح منه ومنهم من يطلق عبارة رديئة وليس كما قالوه بل المقام الاول يكون كالمقدمة للثاني ومبين لبطلان ما ادعاه نمرود في الاول والثاني ولله الحمد ذكر السدي ان هذه المناظرة كانت بين ابرهيم ونمرود بعد خروج ابرهيم من النار ولم يكن اجتمع بالملك الا ذلك اليوم وعن زيد بن اسلم ان نمرود كان عنده طعام وكان الناس يغدون اليه للميرة في سنة قحط فوفد ابرهيم في جملتهم وكان بينهما هذه المناظرة ولم يعط ابرهيم من الطعام كما اعطى الناس بل خرج وليس معه شيء من الطعام فلما قرب من اهله عمد الى كثيب من التراب فملأ منه عدليه وقال اشغل عن اهلي اذا قدمت عليهم فلما قدم وضع

رحاله وجاء فاتكى فنام فقامت امرأته سارة الى العدلين فوجدتهما ملآنين طعاما طيبا فعملت منه طعاما فلما استيقظ ابرهيم وجد الذي قد اصلحوه فقال انى لكم هذا قالت من الذي جئت به فعلم انه رزق رزقهم الله ثم ان الله ابتلى نمرود ببعوض دخل منخره فمكث فيه قرنا عذبه الله بها وكان يضرب راسه بالمرازب تلك المدة كلها حتى اهلكه الله بها او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت فى الارض عدد سنين قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير لما كان قوله الم تر الى الذي حاج ابرهيم في قوة هل رايت مثل الذي حاج ابرهيم عطف عليه بقوله او كالذي مر على قرية واختلفوا في هذا المار روى عن علي رضي الله عنه انه قال هو عزير وبه قال ابن عباس وغيره وهو المشهور وقال وهب بن منبه هو ارميا بن حلقيا وهو اسم الخضر وقيل اسمه حزقيل بن بورا واما القرية فالمشهور انها بيت المقدس مر عليها بعد تخريب بخت نصر لها وقتل اهلها وهي خاوية اي ليس فيها احد من خوت الدار تخوى خواء وخويا وقوله على عروشها اي ساقطة على عروشها وجدرانها على عرصتها فوقف متفكرا فيما آل امرها اليه بعد العمارة العظيمة وقال انى يحيي هذه الله بعد موتها وذلك لما راى من دثورها وشدة خرابها وبعدها عن العود الى ما كانت عليه قال الله تعالى فاماته الله مائة عام ثم بعثه قالوا وعمرت البلدة بعد مضي سبعين سنة من موته وتكامل ساكنوها وتراجعت بنو اسرائيل اليها فلما بعثه الله بعد موته كان اول شيء احيى الله منه عينيه لينظر بهما الى صنع الله فيه كيف يحيي بدنه فلما استقل سويا قال الله له اي بواسطة الملك المبعوث اليه كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قالوا وذلك انه مات اول النهار ثم بعثه الله في آخر نهار فلما راى الشمس باقية ظن انها شمس ذلك اليوم فقال او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وذلك انه كان معه فيما ذكر عنب وتين وعصير فوجده كما كان لم يتغير منه شيء لا العصير استحال ولا التين حمض ولا العنب نتن وانظر الى حمارك اي كيف يحييه الله تعالى وانت تنظر ولنجعلك آية للناس اي دليلا على المعاد وانظر الى العظام كيف ننشزها اي نرفعها فنركب بعضها على بعض عن زيد بن ثابت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا كيف ننشزها بالزاي وقرئ ننشرها اي نحييها قاله مجاهد ثم نكسوها لحما قال السدي وغيره تفرقت عظام حماره حواليه يمينا وشمالا فنظر اليها وهي تلوح من بياضها فبعث الله ريحا فجمعها من كل موضع من تلك المحلة ثم ركب كل عظم في موضعه حتى صار حمارا قائما من عظام لا لحم عليها ثم كساها الله لحما وعصبا وعروقا وجلدا وبعث ملكا فنفخ في منخري الحمار فنهق باذن الله عز وجل وذلك كله بمرأى من العزير فعند ذلك لما تبين الله له هذا كله قال اعلم ان الله على كل شيء قدير اي عالم بهذا وقد رايته عيانا فانا اعلم اهل زماني بذلك وقرا آخرون قال اعلم على صيغة الامر واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن ياتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم ذكروا السؤال ابرهيم عليه السلام اسبابا منها لما قال لنمرود ربي الذي يحيي ويميت احب ان يترقى من علم اليقين بذلك الى حق اليقين وان يرى ذلك مشاهدة فقال رب ارني كيف تحيي الموتى وفي الصحيحين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن احق بالشك من ابرهيم اذ قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي وانما طلب ابرهيم الايمان حسا وعيانا لانه فوق ما كان عليه من الاستدلال والمستدل لا يزول عنه الوسواس والخواطر ولهذا قال ولكن ليطمئن قلبي وفي الحديث ليس الخبر كالمعاينة

واختلفوا في الطيور الاربعة ما هي قال ابن عباس هي الغراب والطاوس والديك والحمامة وعنه ايضا نسرا بدل الحمامة وقال
عطاء بطة خضراء وغرابا اسود وحمامة بيضاء وديكا احمر وقوله فصرهن اليك اي قطعهن ومزقهن هنا عن الاكثر
ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا فاخذهن وذبحهن ثم قطعهن ومزقهن وخلط بعضهن في بعض ثم جزاهن اجزاء وجعل
على كل جبل منهن جزءا واخذ ارؤسهن بيده ثم امره الله ان يدعوهن فدعاهن كما امره الله فجعل ينظر الى الريش يطير الى الريش
والدم الى الدم واللحم الى اللحم والاجزاء من كل طائر تتصل بعضها ببعض حتى قام كل طائر على جثته واتينه يسعين سعيا ليكون ابلغ له
في الرؤية التي سألها وجعل كل طائر يجي ليأخذ راسه الذي في يده فاذا قدم له غير راسه يأباه واذا قدم اليه راسه تركب مع بقية
جثته بحول الله وقوته ولهذا قال واعلم ان الله عزيز حكيم اي عزيز لا يغلبه شيء ولا يمتنع منه شيء وما شاء كان بلا مانع لانه العظيم القاهر
لكل شيء حكيم في افعاله واقواله وشرعه وقدره قال ابن عباس في قوله ولكن ليطمئن قلبي ما في القرآن اية ارجى عندي منها اي لما يعترض
في الصدور ويوسوس به الشيطان مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل
سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم هذا مثل ضربه الله لتضعيف الثواب لمن انفق في سبيله
وابتغاء مرضاته وان الحسنة يضاعف بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف قال سعيد بن جبير في سبيل الله اي في طاعة الله وقال مكحول يعني به
الانفاق في الجهاد من رباط الخيل واعداد آلة الجهاد وقال ابن عباس الجهاد والحج يضعف الدرهم فيهما الى سبعمائة ضعف ولهذا
قال كمثل حبة الآية وهذا المثل ابلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة فان هذا فيه اشارة الى ان الاعمال الصالحة ينميها الله لاصحابها
كما ينمي الزرع لمن بذره في الارض الطيبة وعن ابي مسعود ان رجلا جاء بناقة مخطومة فقال يا رسول الله هذه في سبيل الله فقال
لك بها يوم القيمة سبعمائة ناقة رواه مسلم وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل جعل حسنة ابن
ادم بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف قال الله الا الصوم فانه لي وانا اجزي به رواهما احمد وقوله والله يضاعف لمن يشاء اي بحسب
اخلاصه في عمله والله واسع اي فضله واسع كثير اكثر من خلقه عليم بمن يستحق ومن لا يستحق الذين ينفقون اموالهم في
سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم يا ايها الذين امنوا
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر
فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا
يهدي القوم الكافرين قوله ثم لا يتبعون ما انفقوا من الخيرات والصدقات منا على ما اعطوه فلا يمنون به على احد
لا بقول ولا بفعل ولا اذى اي لا يفعلون مع من احسن اليه مكروها يحبطون به ما سلف من الاحسان ثم وعدهم الله الجزاء الجزيل على
ذلك فقال لهم اجرهم اي ثوابهم على الله لا على احد سواه ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من اهوال القيمة ولا هم يحزنون اي على ما خلفوه
من الاولاد ولا ما فاتهم من الحيوة الدنيا وزهرتها ولا ياسفون عليها لانهم قد صاروا الى ما هو خير لهم من ذلك ثم قال تعالى قول
معروف اي من كلمة طيبة ودعاء لمسلم ومغفرة اي عفو عن ظلم قولي او فعلي خير من صدقة يتبعها اذى وفي الحديث انه عليه الصلوة
والسلم قال ما من صدقة احب الى الله من قول حسن الم تسمع قوله قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى رواه ابن ابي حاتم
والله غني اي عن خلقه حليم اي يحلم ويغفر ويصفح ويتجاوز عنهم وعن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة لا يكلمهم الله
يوم القيمة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم المنان بما اعطى والمسبل ازاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب رواه مسلم

قوله والله غني حليم هذا وعيد من المؤذي والمنان وفي الخبر اذا سال سائل فلا تقطعوا عليه مسألته حتى يفرغ منها
ثم ردوه ببذل يسير او برد جميل فانه قد ياتيكم من ليس بانس ولا جان ينظر كيف صنيعكم فيما خولكم
الله المنان وقال بشر بن الحارث رايت في المنام علي بن ابي طالب فقلت له قل لي شيئا لعل الله ينفعني به فقال
ما احسن عطف الاغنياء على الفقراء رغبة في ثواب الله واحسن منه تيه الفقراء على الاغنياء ثقة بالله
الكبير

وعن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا مكذب بقدر رواه النسائي
وابن ماجه وقوله كالذي ينفق ماله رئاء الناس اي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كما تبطل صدقة من راءى بها الناس
فاظهر لهم انه يريد وجه الله وانما قصده مدح الناس له او شهرته بالصفات الجميلة منهم ليقال انه كريم ونحوه من المقاصيد
الدنيوية مع قطع النظر عن معاملة الله وابتغاء مرضاته وثوابه ولهذا قال ولا يؤمن بالله واليوم الاخر ثم ضرب الله مثل ذلك
المرائي بانفاقه فقال فمثله كمثل صفوان هو جمع صفوانة وقيل صفوان مفرد ايضا وهو الصخر الاملس عليه تراب فاصابه وابل وهو
المطر الشديد فتركه صلدا اي فترك الوابل ذلك الصفوان املس يابسا لا شيء عليه من ذلك التراب بل قد ذهب كله فكذلك اعمال المرائين
تذهب وتضمحل عند الله وان ظهر لهم اعمال فيما يرى الناس كالتراب ولهذا قال لا يقدرون على شيء مما كسبوا اي على ثواب ما عملوا في
الدنيا والله لا يهدي القوم الكافرين ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم
كمثل جنة بربوة اصابها وابل فاتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير
وهذا مثل المؤمنين المنفقين اموالهم ابتغاء مرضات الله عنهم في ذلك وتثبيتا من انفسهم اي وهم متحققون مثبتون ان الله سيجزيهم
على ذلك اوفر الجزاء ونظيره في المعنى قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا اي يؤمن ان الله شرعه ويحتسب عند الله ثوابه
وقيل اي تصديقا وتثبيتا عليه الاكثر وقوله كمثل جنة اي بستان بربوة وهو المكان المرتفع المستوي من الارض وتجري منها الانهار
قال ابن عباس وفي الربوة ثلث لغات ضم الراء وبها قراءة الاكثر وفتحها وهي قراءة بعض اهل الشام والكوفة ويقال انها لغة تميم
وكسر الراء وهي قراءة ابن عباس وقوله فاصابها وابل هو كما مر المطر الشديد فاتت اكلها اي ثمرتها ضعفين اي بالنسبة الى غيرها من
الجنان والطل هو اللين من المطر اي هذه الجنة بهذه الربوة هكذا حالها يصيبها وابل او طل ويكفيها ذلك وكذلك عمل المؤمن
لا يبور ابدا بل يتقبله الله ويكثره وينميه كل عامل بحسبه ولهذا قال والله بما تعملون بصير اي لا يخفى عليه من اعمال عباده شيء
ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات و
اصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الايات
لعلكم تتفكرون عن ابن عباس ان عمر بن الخطاب قال يوما لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيم ترون هذه الاية نزلت ايود احدكم
ان تكون له جنة من نخيل واعناب قالوا الله اعلم فغضب عمر فقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي شيء يا امير المؤمنين
فقال عمر يا ابن اخي قل ولا تحقر نفسك قال ابن عباس ضربت مثلا لعمل قال عمر اي عمل قال ابن عباس لعمل قال عمر لرجل غني يعمل
بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله رواه البخاري وفي هذا كفاية في تفسير هذه الاية وتبيين ما فيها
من المثل بعمل من احسن العمل اولا ثم بعد ذلك انعكس سيرته فبدل الحسنات بالسيئات فابطل بعمله الثاني ما اسلفه من العمل الصالح
واحتاج الى شيء من الاول فلم يحصل له ولهذا قال واصابه الكبر اي الهرم والاعصار وهو الريح الشديد فيه نار فاحترقت اي احرق
ثمارها واباد اشجارها واي حال يكون كحاله وعن ابن عباس ايضا قال ضيعه في شبابه فاصابه الكبر وولده وذريته ضعاف عند
آخر عمره فجاءه اعصار فيه نار فاحرق بستانه فلم يكن له قوة ان يغرس مثله ولم يكن عند نسله خير يعودون به عليه كذلك يبطل
الله عمل هذا المنافق والمرائي حين لا مستغيث لهما ولا توبة يوم القيمة كما ليس له قوة فيغرس مثل بستانه ولا يجد قدم لنفسه خيرا يعود
عليه وقد روى الحاكم في مستدركه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه اللهم اجعل اوسع رزقك علي في كبري وانقضاء
عمري ولهذا قال تعالى كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون اي لكي تعتبروا وتفهموا الامثال والمعاني وتنزلوها على المراد منها

اعلموا ان م

[illegible]

يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث
منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد الشيطان يعدكم الفقر ويامركم
بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب امر الله عباده المؤمنين بالانفاق والمراد به الصدقة ههنا من طيبات
ما رزقهم مما كسبوا من التجارة والثمار والزروع ونحو ذلك من طيب المال واجوده وانفسه لا من رذالته ورديه وخبيثه ولستم
اي لو اعطيتم ذلك ما اخذتموه الا ان تغمضوا اي الا ان تغضوا البصر وتساهلوا فيه استحياء من صاحبه فالله اغنى عنه منكم فلا
تجعلوا لله ما تكرهون وقيل معناه لا تعدلوا عن المال الحلال وتقصدوا الى الحرام فتجعلوا نفقتكم منه وعن ابن مسعود قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم بينكم ارزاقكم وان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين الا
من يحب فمن اعطاه الدين فقد احبه والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يامن جاره بوائقه
قالوا وما بوائقه يا نبي الله قال غشمه وظلمه ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق به فيتقبل منه ولا
يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ان الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن ان الخبيث لا يمحو الخبيث رواه احمد
والصحيح القول الاول وقوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون الاية قال البراء بن عازب نزلت فينا كنا اصحاب نخل فكان الرجل ياتي من
نخله بقدر كثرته وقلته ياتي بالقنو فيعلقه في المسجد وكان اهل الصفة ليس لهم طعام فكان احدهم اذا جاع جاء فضربه بعصاه فسقط
من البسر والتمر فياكل وكان الناس ممن لا يرغبون في الخير ياتي بالقنو الحشف والشيص وياتي بالقنو قد انكسر فنزلت ولا تيمموا
الخبيث منه تنفقون الاية قال لو ان احدكم اهدي له مثل ما اعطى ما اخذه الا على اغماض وحياء وكنا بعد ذلك يجيء الرجل بصالح
ما عنده كذا رواه الترمذي عن الدارمي وقال حديث حسن غريب وقوله واعلموا ان الله غني حميد اي وان امركم بالصدقات
بالطيب منها فهو غني عنها وانما ذلك ليساوي الغني الفقير وهو غني عن جميع خلقه وجميع خلقه فقراء اليه حميد اي محمود
في جميع افعاله واقواله وقوله الشيطان يعدكم الفقر عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة
بابن آدم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك
فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرا الشيطان يعدكم الفقر الاية هكذا رواه الترمذي و
النسائي والمعنى الشيطان يخوفكم الفقر لتمسكوا ما بايديكم فلا تنفقوه في مرضات الله ويامركم بالفحشاء اي مع نهيه اياكم عن الانفاق
يامركم بالمعاصي والماثم والمحارم والله يعدكم مغفرة منه اي في مقابلة ما امركم الشيطان بالفحشاء وفضلا اي في مقابلة
ما خوفكم من الفقر وهو الواسع الغني وقوله يؤتي الحكمة من يشاء قال ابن عباس يعني المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه
محكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله والمراد تفسير القرآن وقال مجاهد الحكمة اصابة القول يعني العلم
والفقه والقرآن وقال ابو العالية خشية الله راس كل حكمة والحكمة الكتاب والفهم وقيل السنة وهو الفقه في دين الله والصحيح
ما قاله الجمهور انها اعم واعلاها النبوة كما جاء في الحديث من حفظ القرآن فقد ادرجت النبوة في جنبيه غير انه لا يوحى اليه
وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته
في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها وقوله ومن يؤت الحكمة قال الحسن هو الورع في دين الله وقوله وما يذكر الا اولوا
الالباب اي ما ينتفع بالموعظة والتذكار الا من له لب وعقل وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله

[illegible]

بعلمه وما

يؤتي الحكمة من يشا
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا

[illegible]

يعلمه وما للظالمين من انصار ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير
لكم ونكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير اخبر الله تعالى بانه عالم بجميع ما يفعله العاملون من الخيرات ففيه مجازاته
على ذلك اوفر الجزاء للعاملين بذلك ابتغاء وجهه ورجاء موعوده وتوعد من خالف امره وعاند وكذب خبره وعبد معه
غيره فقال وما للظالمين من انصار اي يوم القيامة ينقذهم من عذاب الله ونقمته وقوله ان تبدوا الصدقات اي اظهرتموها فنعم شيء هي
وقوله وان تخفوها وتؤتوها الفقراء الاية فيه دلالة على ان اسرار الصدقة افضل من اظهارها لانه ابعد من الرياء الا ان يترتب على الاظهار
مصلحة راجحة من اقتداء الناس به فيكون افضل من هذه الحيثية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة و
المسر بالقرآن كالمسر بالصدقة وقال عامر الشعبي في قوله ان تبدوا الصدقات انزلت في ابي بكر وعمر رضي الله عنهما اما عمر فجاء بنصف
ماله حتى دفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما خلفت وراءك لاهلك يا عمر قال خلفت لهم نصف مالي واما
ابو بكر فجاء بماله كله فكاد ان يخفيه من نفسه حتى دفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما خلفت وراءك لاهلك
يا ابا بكر فقال عدة الله وعدة رسوله فبكى عمر فقال بابي انت يا ابا بكر والله ما استبقنا الى باب خير الا كنت سابقا والاية عامة في ان
اخفاء الصدقة افضل سواء كانت مفروضة او مندوبة لكن ابن عباس قال جعل الله صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا
وجعل صدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وقوله ونكفر عنكم من سيئاتكم اي بدل الصدقات لا سيما اذا كانت
سرا يحصل لكم الخير في رفع الدرجات وتدرؤ ونكفر بضم الراء وبالجزم عطفا على محل جواب الشرط وهو قوله فنعما هي وقوله والله
بما تعملون خبير اي لا يخفى عليه من ذلك شيء وسيجزيكم عليه سبحانه وبحمده ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما
تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم
لا تظلمون للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء
من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسالون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم الذين
ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا
هم يحزنون عن ابن عباس قال كانوا يكرهون ان يرضخوا لانسابهم من المشركين فسالوا فرخص لهم فنزلت الاية الى قوله وانتم لا تظلمون
وعنه ايضا انه عليه الصلوة والسلام كان يامر بان لا يتصدق الا على اهل الاسلام حتى نزلت هذه الاية فامر بالصدقة بعدها على كل من
سال من كل دين وما تنفقوا من خير فلانفسكم كقوله من عمل صالحا فلنفسه ونظائرها في القرآن كثيرة وقوله وما تنفقون الا ابتغاء
وجه الله قال عطاء يعني اذا اعطيت لوجه الله فلا عليك ما كان عمله يعني ان المتصدق اذا تصدق ابتغاء وجه الله فقد وقع اجره على
الله وهو مثاب على قصده سواء كان برا او فاجرا او مستحقا او غيره وهو معنى تمام الاية وما تنفقوا من خير الاية وحديث الصحيحين عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رجل لاتصدقن الليلة بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية فاصبح الناس يتحدثون
تصدق على زانية فقال اللهم لك الحمد على زانية لاتصدقن الليلة بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد غني فاصبحوا يتحدثون تصدق
الليلة على غني فقال اللهم لك الحمد على غني لاتصدقن الليلة بصدقة فخرج فوضعها في يد سارق فاصبحوا يتحدثون تصدق على سارق
فقال اللهم لك الحمد على زانية وعلى غني وعلى سارق فاتي فقيل له اما صدقتك فقد قبلت اما الزانية فلعلها ان تستعف بها
عن زناها ولعل الغني يعتبر فينفق مما اعطاه الله ولعل السارق ان يستعف بها عن سرقته وقوله للفقراء الذين احصروا في سبيل
الله يعني المهاجرين الذين انقطعوا الى الله والى رسوله وسكنوا المدينة وليس لهم سبب يردون به على انفسهم ما يغنيهم ولا يستطيعون

الصبيان والحث على الاحسان والدعوة الى الايمان فلا تمنعهم الصدقة لتدخلوا في ملتك لاجل حاجتهم الى عطيتك [illegible] كافرا سال [illegible]
ان تطعمه فابى عن ذلك الا ان يسلم فلم يسلم ورجع عنه فعاتبه الله على ذلك وقال انما الهدى على كره منهم ولم نطلب منه الايمان وانت تطلبه منه
بالطعام يوم طلب الكافر واطعمه فقال الكافر [illegible] فاسلم

وهم فقراء المهاجرين اولو الصفة كانوا
نحوا من اربعمائة رجل لا مساكن لهم ولا عشائر
ياوون اليهم كانوا يسكنون صفة المسجد ويتعلمون القرآن
بالنهار ويتعلمون القرآن بالليل ويخرجون في كل
سرية بعثها رسول الله فحث الناس
بالصدقة عليهم

[illegible]

ضرباً في الأرض يعني سفراً للتكسب في طلب المعاش والضرب هو السفر وقوله يحسبهم الجاهل أي الجاهل بأمرهم وحالهم يحسبهم
أغنياء من التعفف في لباسهم وحالهم ومقالهم وفي هذا المعنى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المسكين
الذي تردّه التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يُفطن له فيُتصدَّق عليه ولا يسأل
الناس شيئاً متفق على صحته وقوله لا يسألون الناس إلحافاً أي لا يلحّون في المسألة ولا يكلفون الناس ما لا يحتاجون إليه فإن
الإلحاف الإلحاح واللجاج عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة أوقية فهو ملحف والأوقية
أربعون درهماً وفي رواية انه عليه الصلوة والسلام قال من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافاً رواه أحمد وقوله
وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم أي لا يخفى عليه شيء منه وسيجزي أوفى الجزاء وأتمّه يوم القيمة أحوج ما يكون إليه وقوله الذين ينفقون
أموالهم هذا مدح منه تعالى للمنفقين في سبيله وابتغاء مرضاته في جميع الأوقات والأحوال حتى ان النفقة على الأهل يدخل في
ذلك أيضاً كما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبي وقاص حين عاده مريضاً في مكة عام حجة الوداع
وانك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا ازددت بها درجة ورفعة حتى ما تجعل في في امرأتك وقال ابن عباس هم الذين
يعلفون الخيل في سبيل الله وقوله فلهم أجرهم عند ربهم أي يوم القيمة على ما فعلوا من الإنفاق في الطاعات وسبق تفسير باقي الآية

الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربوا واحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون

لما ذكر الله الأبرار أهل
الإنفاق والصدقات والصلات شرع في ذكر الأشرار أكلة الربوا وأموال الناس بالباطل وكيفية بعثهم ونشورهم فقال الذين
يأكلون الربوا لا يقومون أي من قبورهم يوم القيمة الا كما يقوم المصروع حال صرعه تخبط الشيطان له وذلك انه يقوم قياماً منكراً
قال ابن عباس آكل الربوا يبعث يوم القيمة مجنوناً يخنق وبه قال بعض التابعين وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أتيت ليلة أسري بي على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء أكلة الربوا
رواه أحمد وعن سمرة بن جندب في حديث المنام الطويل فأتينا على نهر حسبت انه كان يقول أحمر مثل الدم وإذا في النهر رجل سابح
يسبح وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة وإذا ذلك السابح يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع الحجارة عنده فيفغر له
فاه فيلقمه حجراً وذكر في تفسيره انه آكل الربوا رواه البخاري وقوله ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربوا أي انما جوّزوا ذلك
لاعتراضهم على أحكام الله في شرعه وليس هذا قياساً منهم للربوا على البيع لأن المشركين لا يعترفون بمشروعية أصل البيع الذي شرعه
الله في القرآن ولو كان هذا من باب القياس لقالوا انما الربوا مثل البيع وانما أرادوا انه نظيره فلم حرّم هذا وأبيح ذاك وهذا اعتراض
منهم على الشرع وقوله وأحل الله البيع وحرم الربوا يحتمل ان يكون من تمام كلام المشركين اعتراضاً على الشرع أي هذا مثل هذا وأحلّ هذا
وحرّم هذا ويحتمل ان يكون من كلام الله ردّاً عليهم أي قالوا ما قالوه من الاعتراض مع علمهم بتفريق الله بين هذا وهذا حكماً وهو الحكيم
الذي لا معقب لحكمه والعالم بحقائق الأمور ومصالحها وما ينفع عباده فيبيحه لهم وما يضرهم فينهاهم عنه وهو أرحم بهم من
الوالدة بولدها الطفل ولهذا قال فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى أي من بلغه نهي الله عن الربوا فانتهى حال بلوغ الشرع
فله ما سلف من المعاملة لقوله عفا الله عما سلف وكما قال النبي عليه الصلوة والسلام يوم فتح مكة وكل ربا في الجاهلية موضوع تحت
قدميّ هاتين وأول ربا أضع ربا العباس ولم يأمرهم بردّ الزيادات المأخوذة في حال الجاهلية بل عفى عما سلف كما قال تعالى

الفخم متقدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً فيقبلون مثل الإبل المنهومة يخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون فإذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فيميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم أحدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون ان يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيترددونهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة وآل فرعون يقولون اللهم لا تقم الساعة أبداً

فله ما سلف

قوله الإثم ما حاك في القلب صدر هذا الحديث عن وابصة بن معبد رضي الله عنه انه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال جئت تسأل عن البر والإثم قال نعم قال استفت قلبك البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن
إليه القلب والإثم ما حاك في النفس الى آخر الحديث

أي اطلب الفتوى من قلبك فما سكن قلبك على أنه حق فخذه فإن سكون القلب علامة حقيقته وما تشكك في كونه حقاً أو باطلاً فاتركه وان أفتاك الناس بحقيقته مثاله ان المفتي يفتي بأن كل ما لم يتيقن كونه حراماً جاز أكله فإن ترى رجلاً له الحلال ومال حرام فلا تأكل من ماله شيئاً وان أفتاك المفتي

له ما سلف وامره الى الله أي فله ما أكل من الربوا قبل التحريم وقوله ومن عاد أي الى الربوا ففعله بعد بلوغ نهي الله له عنه فقد
استوجب العقوبة وقامت عليه الحجة ولهذا قال فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما نزلت الذين يأكلون الربوا الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يذر المخابرة فليؤذن بحرب من الله ورسوله
رواه أبو داود والحاكم في مستدركه وانما حرمت المخابرة وهي المزارعة ببعض ما يخرج من الأرض والمزابنة وهي اشتراء الرطب
في رؤوس النخل بالتمر على وجه الأرض والمحاقلة وهي اشتراء الحب في سنبله في الحقل بالحب على وجه الأرض وما شاكلهما حسماً
لمادة الربوا لأنه لا يعلم التساوي بين الشيئين قبل الجفاف ولهذا قال الفقهاء الجهل بالمماثلة كحقيقة المفاضلة وباب الربوا من
أشكل الأبواب على كثير من أهل العلم وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثلاث وددت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد
إلينا فيهن عهداً ننتهي إليه الجد والكلالة وأبواب من أبواب الربوا يعني بذلك بعض المسائل التي فيها شائبة الربوا والشريعة شاهدة
بأن كل حرام فالوسيلة إليه مثله لأن ما أفضى إلى الحرام حرام كما ان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وقد ثبت في الصحيحين
عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الحلال بيّن وان الحرام بيّن وبين ذلك أمور مشتبهات
فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يخالطه
وفي السنن عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك وفي حديث
آخر الإثم ما حاك في القلب وترددت فيه النفس وان أفتاك الناس وأفتوك وعن ابن عباس آخر ما نزل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبض قبل ان يفسرها لنا فدعوا الربوا والريبة رواه أحمد وابن ماجة وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لعن الله آكل الربوا وموكله وشاهديه وكاتبه قالوا وما يشهد عليه ويكتب الا اذا أظهر في صورة عقد شرعي ويكون داخله
فاسداً فالاعتبار بمعناه لا بصورته اذ الأعمال بالنيات

يمحق الله الربوا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

أخبر تعالى انه يمحق الربوا أي يزيلها ويذهبها بالكلية من يد صاحبه أو يحرمه بركة ماله
فلا ينتفع به بل يعذبه به في الدنيا ويعاقبه عليه يوم القيمة كما قال تعالى لا يستوي الخبيث والطيب الآية وعن ابن مسعود ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الربوا وان كثر فان عاقبته يصير الى قلّ رواه أحمد وعن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالإفلاس أو بجذام رواه أحمد وقوله ويربي الصدقات قرئ بضم الياء والتخفيف
من ربا الشيء يربو وأرباه يربيه أي كثّره ونمّاه ينميه وقرئ بالتشديد من التربية كما رواه أبو هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبه كما يربي
أحدكم فلوّه حتى تكون مثل الجبل هذا لفظ البخاري ولمسلم نحوه ورواه أيضاً أكثر أصحاب السنن وقوله والله لا يحب كل كفار
أثيم أي لا يحب كفور القلب أثيم القول والفعل ولا بد من مناسبة في ختم الآية بهذه الصفة وهي ان المرابي لا يرضى بما قسم الله
له من الحلال ولا يكتفي بما شرع له من التكسب المباح فهو يسعى في أكل أموال الناس بالباطل ثم قال مادحاً للمؤمنين بربهم
المطيعين أمره المؤدين شكره المحسنين الى خلقه وإقامة الصلوة وإيتاء الزكوة مخبراً عما أعد الله لهم من الكرامة وانهم يوم القيمة
من التبعات آمنون فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الى آخره

يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي

عطاء وعكرمة نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان في التمر فلما حضر الجداد قال لهما صاحب التمر ان أنتما أخذتما حقكما لا يبقى لي ما يكفي عيالي فهل لكما ان تأخذا النصف وأضعف لكما ففعلا فلما حل الأجل طلبا الزيادة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهما وأنزل الله الآية فسمعا وأطاعا وأخذا رؤوس أموالهما

من الربوا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون يامر الله عباده المؤمنين ناهيا لهم عما يقربهم الى سخطه ويبعدهم عن رضاه بقوله يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اي خافوه وراقبوه فيما تفعلون وذروا ما بقي اي اتركوا ما لكم على الناس من الزيادة على رؤس الاموال بعد هذا الانذار ان كنتم مؤمنين اي بما شرع الله لكم من تحليل البيع و تحريم الربوا وقال بعض التابعين ان هذا السياق نزل في بني عمرو بن عمير من ثقيف وبني المغيرة بن مخزوم كان بينهم ربوا في الجاهلية فلما جاء الاسلام ودخلوا فيه طلبت ثقيف ان تاخذه منهم فتشاوروا وقالت بنو المغيرة لا نؤدي الربوا في الاسلام فكتب في ذلك عتاب بن اسيد نائب مكة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فكتب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فقالوا نتوب الى الله ونذر ما بقي من الربوا فتركوه كلهم وهذا تهديد شديد لمن استمر على تعاطي الربوا بعد الانذار قال ابن عباس فاذنوا بحرب اي استيقنوا بحرب يقال يوم القيمة لآكل الربوا خذ سلاحك للحرب ثم قرا فان لم تفعلوا الآية و قال فمن كان مقيما على الربوا لا ينزع عنه فحق على امام المسلمين ان يستتيبه فان نزع والا ضرب عنقه وقال الحسن وابن سيرين والله ان هؤلاء الصيارفة لاكلة الربوا وانهم قد اذنوا بحرب من الله ورسوله وقوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون اي بوضع رؤس الاموال ايضا بل لكم ما بذلتم من غير زيادة ولا نقصان كما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فقال الا ان كل ربوا كان في الجاهلية موضوع عنكم كله لكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وقوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة الآية يامر الله تعالى بالصبر على المعسر الذي لا يجد وفاء فقال وان كان ذو عسرة الآية لا كما كان اهل الجاهلية يقول احدهم لمدينه اذا حل عليه الدين اما ان تقضي واما ان تربي ثم يندب تعالى الى الوضع عنه ويعد على ذلك الخير والثواب فقال وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون اي بان تتركوا راس المال بالكلية وتضعوه عن المدين وقد ورد بذلك احاديث كثيرة منها ما رواه ابو القسم الطبراني باسناده عن ابي امامة اسعد بن زرارة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يظله الله يوم لا ظل الا ظله فلييسر على معسر او ليضع عنه وعن ابي قتادة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نفس عن غريمه او محا عنه كان في ظل عرشه يوم القيمة رواه مسلم وعن حذيفة وابي مسعود قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اتي به الله عز وجل فقال ماذا عملت في الدنيا فقال له الرجل ما عملت مثقال ذرة من خير فقال له ثلثا وقال في الثالثة اي رب كنت اعطيتني فضلا من المال في الدنيا وكنت ابايع الناس فكنت اتيسر على الموسر وانظر المعسر فقال تبارك وتعالى نحن اولى بذلك منك تجاوزوا عن عبدي فغفر له هكذا رواه مسلم والبخاري نحوه وعن ابي اليسر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله رواه مسلم ثم ذكر الله تعالى عباده زوال الدنيا وفناء ما فيها من الاموال وغيرها وبقاء الآخرة والرجوع اليه تعالى ومحاسبته على ما عملوا ومجازاته اياهم بما كسبوا فقال واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وقد روي ان هذه الآية آخر آية من القرآن العظيم وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزولها تسع ليال هكذا عن ابن عباس وغيره رواه النسائي وقيل توفي بعد نزولها باحد وثلثين يوما اي تصيرون وتردون الى الله يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا ياب كاتب ان يكتب

فان لم تفعلوا

وفي الحديث من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيمة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه

ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون

كما علمه الله

كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامراتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم هذه الآية اطول آية في القرآن عن سعيد بن المسيب انه بلغه ان احدث القرآن بالعرش العظيم آية الدين عن ابن عباس انه قال لما نزلت آية الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول من جحد آدم عليه السلام ان الله لما خلق آدم مسح ظهره فاخرج منه ما هو ذار الى يوم القيمة فجعل يعرض ذريته عليه فراى فيهم رجلا يزهر فقال اي رب من هذا قال هذا ابنك داود قال اي رب كم عمره قال ستون عاما قال رب زد في عمره قال لا الا ان ازيده من عمرك فكان عمر آدم الف سنة فزاده اربعين عاما فكتب عليه بذلك كتابا واشهد عليه الملئكة فلما احتضر آدم واتته الملئكة قال انه بقي من عمري اربعون عاما فقيل له انك قد وهبتها لابنك داود قال ما فعلت فابرز الله عليه الكتاب واشهد عليه الملئكة رواه احمد فقوله يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين هذا ارشاد من الله لعباده المؤمنين اذا تعاملوا بمعاملات مؤجلة ان يكتبوها ليكون ذلك احفظ لمقدارها وميقاتها واضبط للشاهد فيها وقد نبه على هذا في آخر الآية حيث قال ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا وعن ابن عباس قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في الثمار السنتين والثلث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم الى اجل معلوم رواه البخاري وقوله فاكتبوه امر من الله تعالى بالكتابة للتوثقة والحفظ وعن بعضهم من ادان فليكتب ومن ابتاع فليشهد وكان ذلك واجبا ثم نسخ بقوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وبقي الاستحباب وقوله وليكتب بينكم كاتب بالعدل اي بالقسط والحق ولا يجر في كتابته على احد ولا يكتب الا ما اتفقوا عليه من غير زيادة ونقصان وقوله ولا ياب كاتب ان يكتب ولا يمتنع من يعرف الكتابة اذا سئل ان يكتب للناس ولا ضرورة عليه في ذلك فكما علمه الله ما لم يكن يعلم فليتصدق على غيره ممن لا يحسن الكتابة وليكتب كما جاء في الحديث ان من الصدقة ان تعين صانعا او تصنع لاخرق وقيل واجب للكاتب يعني اذا تعين لها وقوله وليملل اي وليملل المدين على الكاتب اي ليقر على نفسه بلسانه بما في ذمته من الدين والاملال والاملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد وليتق الله في ذلك ولا يبخس منه شيئا اي لا يكتم منه شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها محجورا عليه بتبذير ونحوه او ضعيفا اي صغيرا او مجنونا او لا يستطيع ان يمل هو اما بالعي او جهل بموضع صوابه من خطائه فليملل وليه بالعدل وقوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم امر بالاشهاد مع الكتابة لزيادة التوثقة فان لم يكونا رجلين فرجل وامراتان وهذا انما يكون في الاموال وما يقصد به من المال وانما اقيمت المراتان مقام الرجل الواحد لنقصان عقل المراة كما في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر النساء تصدقن فاني اريتكن اكثر اهل النار فقلن فيم يا رسول الله قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رايت من ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل الحازم من احديكن قلن وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله قال اليس شهادة المراة نصف شهادة الرجل فقلن بلى قال فذلك من نقصان عقلها اليس اذا حاضت لم تصل ولم تصم فقلن بلى قال فذلك من نقصان دينها وقوله ممن ترضون من الشهداء فيه دلالة على اشتراط العدالة في الشهود وهذا مقيد حكم به الشافعي

الى اجل مسمى

على كل مطلق في القرآن من الامر بالاشهاد من غير اشتراط وقد استدل من رد المستور بهذه الاية الدالة على ان يكون الشاهد
عدلا مرضيا وقوله ان تضل احديهما يعني المراتين اذا نسيت الشهادة فتذكر احديهما الاخرى اى تحصل لها ذكرى بما وقع به
الاشهاد ولهذا قرا الاكثر بالتشديد من التذكار وقوله ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا اي اذا دعوا للتحمل فعليهم الاجابة
وهو قول قتادة والربيع وهذا كقوله ولا ياب كاتب ومن ههنا تستفاد ان تحمل الشهادة فرض كفايه وهو مذهب الجمهور
المراد بقوله ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا للاداء لحقيقة قوله الشهداء والشاهد حقيقة فيمن تحمل فاذا دعي لادائها فعليه
الاجابة اذا تعينت والا فهو فرض كفايه وقال مجاهد والاكثر اذا دعيت لتشهد فانت بالخيار واذا شهدت فدعيت
فاجب وقوله ولا تساموا هذا من تمام الارشاد وهو الامر بكتابة الحق صغيرا كان او كبيرا فقال ولا تساموا اى ولا تملوا ان
تكتبوا الحق على اى حال كان من القلة والكثرة الى اجله وقوله ذلكم اقسط عند الله واقوم اى هذا الذى امرناكم به من الكتابة للحق
اذا كان مؤجلا هو اقسط عند الله اي اعدل واقوم للشهادة اي اثبت للشاهد اذا وضع خطه ثم راه تذكر به الشهادة
لاحتمال انه لو لم يكتبه ان ينساه كما هو الواقع غالبا وادنى الا ترتابوا اى اقرب الى عدم الريبة بل ترجعون عند التنازع
الى الكتاب الذى كتبتموه فيفصل بينكم بلا ريبة وقوله الا ان تكون تجارة حاضرة اى اذا كان البيع بالحاضر يدا بيد فلا باس
في عدم الكتابة لانتفاء المحذور في تركها فاما الاشهاد على البيع فقد قال الله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم يعني اشهدوا
على حقكم اذا كان فيه اجل او لم يكن فاشهدوا عليه بكل حال وهذا منسوخ عند الاكثر بقوله فان امن بعضكم بعضا و
محمول عند الجمهور على الارشاد والندب لان النبي عليه الصلوة والسلم كان كثيرا ما يبايع ولم يكن يشهد عليه للحديث المشهور
الذى رواه احمد في قصة ابتياعه الفرس من الاعرابي من غير اشهاد عليه وانكار الاعرابي عليه وشهادة خزيمة بن ثابت على
صدق النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا جعل شهادته مثل شهادة رجلين وقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد قيل معناه لا يضار
الكاتب ولا الشاهد فيكتب هذا خلاف ما يملي ويشهد هذا بخلاف ما يسمع او يكتمها بالكلية وقيل اصله يضارر بفتح
الراء على الفعل المجهول والكاتب والشهيد مفعولان ومعناه ان يدعو الرجل الكاتب والشاهد وهم على شغل مهم
فيقولان نحن على حاجة فاطلب غيرنا فيقول الداعي ان الله امركما ان تجيبا فليح عليهما فيشغلهما عن حاجتهما نهى عن ذلك وامر بطلب
غيرهما وعليه ابن عباس وقوله وان تفعلوا فانه فسوق بكم اي ان خالفتم ما امرتم به او فعلتم ما نهيتم عنه فانه فسوق كائن
بكم اي لازم لكم لا تحيدون عنه ولا تنفكون منه واتقوا الله اى خافوه وراقبوه واتبعوا امره واتركوا زجره ويعلمكم الله والله
بكل شي عليم اي هو عالم بحقائق الامور ومصالحها وعواقبها بحيث لا يخفى عليه شي من الاشياء **وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا**
فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن امانته وليتق الله ربه ولا تكتموا
الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه والله بما تعملون عليم اي ان كنتم مسافرين وتداينتم الى اجل مسمى ولم تجدوا
كاتبا يكتب لكم او لم تجدوا قرطاسا او دواتا او قلما فليكن بدل الكتابة رهن مقبوضة في يد صاحب الحق قاله ابن عباس وفيه
دليل على ان الرهن لا يلزم الا بالقبض كما هو مذهب الجمهور واستدل آخرون على انه لا بد وان تكون الرهن مقبوضا في يد المرتهن
وهو رواية عن ابي حنيفة واليه ذهب طائفة وقال بعض السلف لا يكون الرهن مشروعا الا في السفر قاله مجاهد وغيره وقد
ثبت في الصحيحين عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلثين وسقا من شعير رهنها
قوتا لاهله وفي رواية من يهود المدينة واسمه ابو الشحم اليهودي وقوله فان امن بعضكم بعضا قال ابو سعيد هذه نسخت ما قبلها

فليؤد الذي اؤتمن امانته

بعض الدائنين او المعاملين منكم
بعض المديونين بامانته وامن
من جحوده وخيانته لحسن ظنه به
فلم يأخذ منه رهنا ولم يشهد
على معاملته احدا

مفعول يؤدى
اي دينه والامانة اسم لما اؤتمن عليه
وسمي الدين امانة لائتمانه عليه
بترك الارتهان منه اي فليؤد
المديون ما في ذمته من الدين
ولا يماطل
ولا ينكر حق الدائن

اى فلا باس حينئذ ان لا تكتبوا ولا تشهدوا وقوله وليتق الله يعني المرتهن لحديث سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
على اليد ما اخذت حتى تؤديه رواه احمد وقوله ولا تكتموا الشهادة اي لا تخفوها بل ادوها قال ابن عباس وغيره شهادة
الزور من اكبر الكبائر وكتمانها كذلك ولهذا قال ومن يكتمها فانه اثم قلبه اي فاجر قلبه واراد به مسخ القلب والله بما تعملون
من بيان الشهادة وكتمانها عليم **لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم**
به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شي قدير اخبر الله تعالى ان له ملك السموات والارض وما
فيهن وما بينهن وانه المطلع على ظواهرهن وما بطن وسرائرهن وان دقت واخبر انه سيحاسب عباده على ما فعلوه وما اخفوه في صدورهم
كما قال قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله وقد اخبر ايضا بمزيد علمه وهو المحاسبة على ذلك ولهذا لما نزلت هذه الآية
اشتد ذلك على الصحابة وخافوا منها ومن محاسبة الله لهم على جليل الاعمال ودقيقها وهذه من شدة ايمانهم وايقانهم عن ابي هريرة
قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لله ما في السموات والارض اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم جثوا على الركب فقالوا يا رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلوة والصيام والجهاد والصدقة وقد
انزل الله عليك هذه الاية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتاب من قبلكم سمعنا وعصينا
بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقترأها القوم وذلت بها السنتهم انزل الله في اثرها امن الرسول بما انزل
اليه من ربه الى قوله واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله فانزل لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة
لنا به قال نعم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولينا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم ورواه ابن عباس مختصرا رواه مسلم فهي
منسوخة بالتي بعدها وقد ثبت في الكتب الستة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل تجاوز لي عن امتي
ما حدثت به انفسها ما لم تتكلم او تعمل به وفي الصحيح عنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله اذا هم عبدي بسيئة فلا
تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها سيئة واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا وفيهما ايضا عن
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب الحسنات والسيئات فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة
كاملة فان هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له
عنده حسنة كاملة فان هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة وقال ابن عباس وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم
به الله لم تنسخ ولكن الله اذا جمع الخلائق يوم القيمة يقول اني اخبركم بما اخفيتم في انفسكم مما لم تطلع عليه ملائكتي فاما المؤمنون فيخبرهم و
يغفر لهم ما حدثوا به انفسهم وهو قوله يحاسبكم به الله يقول يخبركم واما اهل الشك والريب فيخبرهم بما اخفوا من التكذيب وهو
قوله يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وهو قوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم اي من الشك والنفاق وبه
قال الحسن وعليه ابن جرير واحتج على انه لا يلزم من المحاسبة المعاقبة وانه تعالى قد يحاسب ويغفر وقد يحاسب ويعاقب بحديث النجوى
في الصحيحين وهو ما قال ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنى المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع كنفه فيقرره بذنوبه
فيقول هل تعرف ذنب كذا فيقول نعم اي رب حتى يقرره بذنوبه وراى في نفسه انه قد هلك قال سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها
لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته او كتابه بيمينه واما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤس الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم
الا لعنة الله على الظالمين **آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله وملئكته وكتبه ورسله**

لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولينا فانصرنا على القوم الكافرين قد ورد في فضل هاتين الآيتين احاديث منها عن ابي مسعود الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه رواه البخاري ومسلم بنحوه وعن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز من تحت العرش لم يعطهن نبي قبلي رواه احمد وعن عبد الله بن مسعود قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم اعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا اعطي الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله من امته شيئا المقحمات رواه مسلم وعن النعمن بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام انزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولا تقرآن في دار ثلث ليال فيقربها شيطان قال الحاكم هذا صحيح على شرط مسلم فقوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه اخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك عن قتادة قال ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال ويحق له ان يؤمن وفي رواية ابن خوله وقوله والمؤمنون عطف على الرسول ثم اخبر عن الجميع فقال كل آمن بالله الى قوله من رسله فالمؤمنون يؤمنون بان الله واحد احد فرد صمد لا اله غيره ولا رب سواه ويصدقون بجميع الانبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء على المرسلين والانبياء لا يفرقون بين احد منهم فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض بل الجميع عندهم صادقون بارون راشدون مهديون هادون الى سبيل الخير وان كان بعضهم ينسخ شريعة بعض باذن الله حتى نسخ الجميع بشرع محمد صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين وخاتم النبيين الذي تقوم الساعة على شريعته وقوله وقالوا سمعنا واطعنا اي سمعنا قولك يا ربنا وفهمناه وقمنا به وامتثلنا العمل بمقتضاه غفرانك ربنا سؤال المغفرة والرحمة واللطف قال ابن عباس قال قد غفرت لكم واليك المصير اي المرجع والمآب يوم يقوم الحساب روي انه لما نزلت آمن الرسول الى اليك المصير قال جبريل ان الله قد احسن الثناء عليك وعلى امتك فسل تعطه فسال لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى آخر السورة وقوله لا يكلف الله نفسا اي لا يكلف الله احدا فوق طاقته وهذا من لطفه تعالى بخلقه ورافته بهم واحسانه اليهم وهذه هي الناسخة الرافعة لما كان اشفق منه الصحابة في قوله وان تبدوا ما في انفسكم الآية اي هو وان حاسب وسال لكن لا يعذب الا على ما يملك الشخص دفعه واما ما لا يملك دفعه من حديث النفس ووسوستها فهذا لا يكلف به الانسان وكراهية للوسوسة السيئة من الايمان وقوله لها ما كسبت اي من الخير وعليها ما اكتسبت اي من الشر وذلك في الاعمال التي تدخل تحت التكليف ثم قال مرشدا عباده الى سؤاله وقد تكفل لهم بالاجابة كما ارشدهم وعلمهم ان يقولوا ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا اي ان تركنا فرضا على جهة النسيان او فعلنا حراما كذلك او اخطانا اي الصواب في العمل جهلا منا بوجهه الشرعي وقد تقدم في حديث مسلم قال الله نعم اي قد فعلت وعن ام الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تجاوز لامتي عن ثلث عن الخطا والنسيان والاستكراه رواه ابن ابي حاتم وقوله ربنا ولا تحمل علينا اصرا اي لا تكلفنا من الاعمال الشاقة وان اطقناها كما شرعته للامم الماضية قبلنا من الاغلال والآصار التي كانت عليهم التي بعثت نبيك محمدا صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة بوضعه في شرعه الذي ارسلته به من الدين الحنيف السهل السمح قال الله نعم كما سبق والاصر ذنب لا توبة له وقوله ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به اي من التكليف والمصائب والبلاء مما لا يطيق اي من الوسوسة وشدة الشهوة والعشق وقيل المسخ وغير ذلك وقوله واعف عنا اي فيما بيننا وبينك مما تعلمه من تقصيرنا وزللنا واغفر لنا اي فيما بيننا وبين عبادك فلا تظهرهم على مساوينا واعمالنا القبيحة وارحمنا اي فيما يستقبل فلا توقعنا

وعليها ما اكتسبت

كما حملته على الذين من قبلنا

بتوفيقك في التبعة اخرى ولهذا قالوا ان المذنب يحتاج الى ثلثة اشياء ان يعفو الله عنه فيما بينه وبينه وان يستره عن عباده فلا يفضحه بينهم وان يعصمه فلا يوافقه في نظيره وقد تقدم في حديث مسلم ان الله قال نعم وقوله انت مولينا اي ولينا وناصرنا وعليك توكلنا وانت المستعان فانصرنا على القوم الكافرين اي الذين جحدوا دينك وانكروا وحدانيتك وعبدوا غيرك فانصرنا عليهم واجعل العاقبة لنا في الدارين قال الله نعم وعن معاذ انه كان اذا ختم سورة البقرة قال آمين

تفسير سورة آل عمران

وهي مدنية لان صدرها الى ثلث وثمانين آية منها نزل في وفد نجران وكان قدومهم سنة تسع من الهجرة كما سياتي بيانه عند آية المباهلة ان شاء الله وقد سبق مما ورد في فضلها مع سورة البقرة في اول تفسير البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام

قد ذكرنا الحديث الوارد في ان اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين الله لا اله الا هو الحي القيوم والم الله لا اله الا هو الحي القيوم عند تفسير آية الكرسي وسبق الكلام على قوله الم في اول سورة البقرة وتقدم تفسير قوله الله لا اله الا هو الحي القيوم في تفسير آية الكرسي وقوله نزل عليك الكتاب يعني نزل عليك القرآن بالحق يا محمد اي لا شك فيه ولا ريب بل هو منزل من عند الله انزله بعلمه وقوله مصدقا لما بين يديه اي من الكتب المنزلة قبله من السماء على الانبياء فهي تصدقه بما اخبرت به وبشرت في قديم الزمان وهو يصدقها لمطابقته اياها وقوله وانزل التورية اي على موسى والانجيل على عيسى من قبل هذا القرآن هدى للناس اي في زمانهما وانزل الفرقان وهو الفارق بين الهدى والضلال والحق والباطل بما يذكره تعالى من الحجج والبينات والبراهين القاطعات ويبينه ويوضحه ويرشد اليه قال قتادة والربيع هو القرآن واختار ابن جرير انه مصدر هيهنا لتقدم ذكر القرآن في قوله نزل عليك الكتاب وهو القرآن وقوله ان الذين كفروا اي جحدوا بآيات الله وانكروها وردوها بالباطل لهم عذاب شديد يوم القيمة والله عزيز اي منيع الجناب عظيم السلطان ذو انتقام ممن كذب بآياته وخالف رسله

ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم

اخبر الله تعالى انه يعلم غيب السموات والارض لا يخفى عليه منه شيء هو الذي يصوركم اي يخلقكم كما يشاء في الارحام من ذكر وانثى وحسن وقبيح وشقي وسعيد لا اله الا هو العزيز الحكيم اي هو الذي خلق وهو المستحق للالهية وحده لا شريك له وله العزة التي لا ترام والحكمة والاحكام وفي هذه الآية تعريض بل تصريح بان عيسى عبد مخلوق كما خلق سائر البشر لان الله صوره في الرحم وخلقه كما شاء

هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد

يخبر الله تعالى ان في القرآن آيات بينات واضحات الدلالة لا التباس على احد من الناس ومنها آيات اخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير منهم او بعضهم فمن رد ما اشتبه عليه الى الواضح منه وحكم المحكم على المتشابه فقد اهتدى ومن عكس انعكس ولهذا قال هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب اي اصله الذي يرجع اليه عند الاشتباه واخر متشابهات اي يحتمل دلالتها موافقة المحكم ويحتمل شيئا آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد وقد اختلفوا في المحكم والمتشابه فقال ابن عباس المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وما يؤمر به ويعمل به وعنه ايضا قال المحكمات في قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم والآيتان بعدها وقوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الى ثلث آيات بعدها وقوله هن ام الكتاب قيل هي فواتح السور

اصل الكتاب سميت بها لانهن مكتوبات في جميع الكتب وقيل في المتشابهات انهن منسوخه ومقدمه ومؤخره وامثاله واقسامه
وما يؤمن به ولا يعمل به وقيل هي الحروف المقطعة في اوائل السور واحسن ما قيل في ذلك هو الذي نص عليه محمد بن اسحق بن يسار
حيث قال منه آيات محكمات فهن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل ليس له تحريف ولا تصريف عما وضعن
عليه والمتشابهات في الصدق لهن تصريف وتحريف وتاويل ابتلى الله بهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام لا يصرفن
الى الباطل ولا يحرفن عن الحق ولهذا قال تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ضلال وخروج عن الحق الى الباطل فيتبعون
ما تشابه منه اي انما ياخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم ان يحرفوه الى مقاصدهم الفاسدة وينزلوه عليها لاحتمال
لفظه لما يصرفونه واما المحكم فلا نصيب لهم فيه لانه دافع لهم وحجة عليهم ولهذا قال ابتغاء الفتنة اي الاضلال لاتباعهم
ايهاما لهم انهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن وهو حجة عليهم لا لهم كما لو احتج النصارى بان القرآن قد نطق بان عيسى روح
الله وكلمته القاها الى مريم وتركوا الاحتجاج بقوله ان هو الا عبد انعمنا عليه وبغيرها من الآيات المصرحة عليه بانه خلق من
مخلوقات الله وعبد ورسول من رسل الله وقوله ابتغاء تاويله اي تحريفه على ما يريدونه وقال السدي يبتغون ان يعلموا
ما يكون وما عواقب الاشياء في القرآن عن عائشة قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية هو الذي انزل عليك الكتاب
منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات الى قوله اولوا الالباب قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رايت الذين
يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سمى الله فاحذرهم رواه البخاري وفي الحديث انه عليه الصلوة والسلام قال قد حذركم الله
فاذا رايتموهم فاعرفوهم وفي حديث آخر هم الخوارج ومعناه صحيح فان اول بدعة وقعت في الاسلام فتنة الخوارج في قسمة غنيمة حنين
في حديث ذي الخويصرة ثم كانوا ظهورهم ايام علي بن ابي طالب فقتلهم بالنهروان ثم تشعبت منهم شعوب وقبائل وآراء
واهواء ومقالات ونحل كثيرة منتشرة ثم نبعت القدرية ثم المعتزلة ثم الجهمية وغير ذلك من البدع التي اخبر بها الصادق
المصدوق في قوله ستفترق هذه الامة على ثلث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال ما انا عليه
واصحابي اخرجه الحاكم في مستدركه وقوله وما يعلم تاويله الا الله اختلفوا في الوقف ههنا فقيل على الجلالة كما قال ابن عباس التفسير
اربعة انحاء تفسير لا يعذر احد في فهمه وتفسير تعرفه العرب من لغاتها وتفسير يعلمه الراسخون في العلم وتفسير لا يعلمه الا الله عز وجل
وبه قال طائفة من السلف وعن طاوس قال كان ابن عباس يقرا وما يعلم تاويله الا الله ويقول الراسخون آمنا به اي انهم يؤمنون به
ولا يعلمون تاويله وحكى ابن جرير ان قراءة عبد الله بن مسعود ان تاويله الا عند الله والراسخون في العلم يقولون واختاره ومنهم من
يقف على قوله والراسخون في العلم يقولون ومنهم من يقف على في العلم وتبعهم كثير من المفسرين والاصوليين وقالوا الخطاب بما لا يفهم
بعيد وعن ابن عباس قال انا من الراسخين الذين يعلمون تاويله وعن مجاهد والراسخون في العلم يعلمون تاويله يقولون آمنا به وقد في
الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل والراسخون في العلم اي الداخلون فيه
وهم الذين اتقنوا علمهم بحيث لم يدخلهم في معرفتهم شك واصله من رسوخ الشيء وهو ثبوته والمراد المحققون من العلماء ومن
فصل في هذا المقام وقال التاويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان احدهما بمعنى حقيقة الشيء وما يؤول امره اليه ومنه قوله تعالى
ورفع ابويه على العرش الى قوله حقا وقوله هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي تاويله اي حقيقة ما اخبروا به من امر المعاد فان اريد
بالتاويل هذا فالوقف على الجلالة لان حقائق الامور وكنهها لا يعلمها على الجلية الا الله ويكون قوله والراسخون في العلم مبتدا ويقولون
آمنا به خبره واما ان اريد بالتاويل المعنى الآخر وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشيء كقوله نبئنا بتاويله اي بتفسيره فان اريد به

بهذا المعنى

هذا المعنى فالوقف على والراسخون في العلم لانهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار وان لم يحيطوا علما بحقائق
الاشياء وعلى كنه ما هي عليه وعلى هذا يكون قوله يقولون آمنا به حال وشاع هذا وهو ان يكون من المعطوف دون المعطوف
عليه وقوله يقولون آمنا به اي بالمتشابه كل من عند ربنا اي الجميع من المحكم والمتشابه حق وصدق وكل واحد منهما يصدق الآخر
ويشهد له لان الجميع من عند الله وليس شيء من عند الله بمختلف ولا متضاد كقوله افلا يتدبرون القرآن الى قوله كثيرا ولهذا قال
وما يذكر الا اولوا الالباب اي انما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها اولوا العقول السليمة والفهوم المستقيمة وسئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الراسخين في العلم قال من برت يمينه واستقام قلبه ومن عف بطنه وفرجه فذلك من الراسخين في العلم
وعن عبد الله بن عمرو سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتدارؤن في القرآن فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله
بعضه ببعض وانما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوا وما جهلتم فكلوه الى عالمه
رواه احمد وابن ماجة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل القرآن على سبعة احرف والمراء في القرآن كفر ثلثا
ما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه الى عالمه حديث صحيح الاسناد ثم قال تعالى مخبرا عنهم انهم دعوا ربهم قائلين ربنا
لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا اي لا تملها عن الهدى بعد اذ اقمتنا عليه ولا تجعلها كالذين في قلوبهم زيغ الذين يتبعون ما تشابه
من القرآن ولكن ثبتنا على صراطك المستقيم ودينك القويم وهب لنا من لدنك رحمة تثبت بها قلوبنا وتجمع بها شملنا و
تزيدنا بها ايمانا وايقانا انك انت الوهاب وعن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على
دينك ثم قرا ربنا لا تزغ قلوبنا الآية وعن اسماء بنت يزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر في دعائه يا مقلب القلوب
ثبت قلبي على دينك قالت قلت يا رسول الله ان القلب ليتقلب قال نعم ما خلق الله من آدم من بشر الا ان قلبه بين اصبعين
من اصابع الرحمن ان شاء اقامه وان شاء ازاغه فنسال الله ربنا ان لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا ونساله ان يهب لنا من
لدنه رحمة انه هو الوهاب رواهما ابن جرير وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استيقظ من الليل قال لا اله
الا انت سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك لذنبي واسالك رحمتك اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي بعد اذ هديتني وهب لي
من لدنك رحمة انك انت الوهاب رواه ابو داود ربنا انك جامع الناس اي يقولون في دعائهم انك يا ربنا ستجمع بين خلقك
يوم معادهم وتفصل بينهم وتحكم بينهم فيما اختلفوا فيه وتجزي كلا بعمله وما كان عليه في الدنيا من خير وشر ان الذين
كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود النار كداب آل فرعون
والذين من قبلهم كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب هذا اخبار عن حال
الكفار بانهم في الآخرة وقود النار ولا ينفعهم الاموال والاولاد عند الله من عذابه واليم عقابه اي ان الذين كفروا بآيات الله
وكذبوا رسله وخالفوا كتابه لن تغني عنهم اموالهم الآية والوقود الحطب الذي تسجر به النار وتوقد به وعن ام الفضل ام عبد الله
ابن عباس رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام ليلة بمكة فقال هل بلغت يقولها ثلثا فقام عمر بن الخطاب فقال نعم
فقال عليه الصلوة والسلام ليظهرن الاسلام حتى يرد الكفر الى مواطنه وليخوضن رجال البحار بالاسلام وليأتين على الناس
زمان يقرؤن القرآن فيقرؤنه فيقولون قد قرانا وقد علمنا فمن هذا الذي هو خير منا فما في اولئك من خير قالوا يا رسول الله
من اولئك قال اولئك منكم واولئك هم وقود النار رواه ابن ابي حاتم وابن مردويه وقوله كداب آل فرعون اي كصنيع آل فرعون
وفعلهم والداب بالتسكين والتحريك كنهر ونهر وهو الصنيع والحال والشان والامر والعادة كما يقال لا يزال هذا دابي ودابك

وقال امرؤ القيس وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك اسى وتجمل كدأبك من ام الحويرث قبلها وجارتها ام الرباب بمأسل والمعنى كعادتك وام الحويرث حين اهلكت تكن فيهما وبكيت دارها ورسمها ومعنى الآية ان الكافرين لا يغني عنهم الاولاد ولا الاموال بل يهلكون ويعذبون كما جرى لآل فرعون ومن قبلهم من المكذبين بالرسل فيما جاؤهم به من آيات الله وحججه فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب اي شديد الاخذ اليم العقاب لا يمتنع منه احد ولا يفوته شيء **قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار** اي قل يا محمد للكافرين ستغلبون اي في الدنيا وتحشرون اي يوم القيمة الى جهنم وبئس الفراش الذي مهد لهم روى ابن اسحق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصاب من اهل بدر ما اصاب ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال يا معشر يهود اسلموا قبل ان يصيبكم الله بما اصاب قريشا فقالوا يا محمد لا يغرنك من نفسك ان قتلت نفرا من قريش اغمادا لا يعرفون القتال انك والله لو قاتلتنا لعرفت انا نحن الناس وانك لم تلق مثلنا فانزل الله في ذلك قل للذين كفروا الى اولي الابصار وعن ابن عباس مثله ولهذا قال تعالى قد كان لكم آية في فئتين التقتا اي قد كانت لكم ايها اليهود والقائلون ما قلتم آية اي دلالة على ان الله معز دينه وناصر رسوله ومظهر كلمته في فئتين اي طائفتين التقتا اي للقتال فئة تقاتل في سبيل الله وهم المسلمون واخرى كافرة وهم مشركوا قريش يوم بدر وقوله يرونهم مثليهم رأي العين قيل اي يرى المشركون يوم بدر المسلمين مثليهم في العدد رأي العين اي جعل الله ذلك فيما رآه سببا لنصرة الاسلام عليهم وقيل اي يرى الفئة المسلمة الفئة الكافرة مثليهم اي ضعفيهم في العدد ومع هذا نصرهم الله عليهم وهذا غير بعيد على ما اوله ابن جرير وقال هذا كما تقول عندي الف وانا محتاج الى مثليها واكون محتاجا الى ثلثة الاف ولا شك ان الكفار كانوا ما بين التسعمائة الى الالف والمسلمين ثلثمائة وثلثة عشر وقال عبد الله بن مسعود هذا يوم بدر وقد نظرنا الى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا وقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم مائة قال فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم فقال الفا فعند ما عاين كل من الفريقين الآخر رأى المسلمون المشركين مثليهم اي اكثر منهم بالضعف ليتوكلوا ويتوجهوا ويطلبوا الاعانة من الله تعالى ورأى المشركون المؤمنين كذلك ليحصل لهم الرعب والخوف والجزع ثم لما حصل المصاف والتقى الفريقان قلل الله هؤلاء في اعين هؤلاء وهؤلاء في اعين هؤلاء ليقدم كل منهما على الآخر ليقضي الله امرا كان مفعولا اي ليفرق بين الحق والباطل فيظهر اهل الايمان على الكفر والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار اي ان في ذلك لعبرة لمن له بصيرة وفهم يهتدي به الى حكمة الله وافعاله وقدره الجاري بنصر عباده المؤمنين **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد** يخبر الله تعالى عما زين للناس في هذه الدنيا من انواع الملاذ من النساء والبنين فبدأ بالنساء لان الفتنة بهن اشد كما ثبت في الصحيح انه قال صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء فاما اذا كان القصد بهن الاعفاف وكثرة الاولاد فهذا مطلوب مرغوب فيه

مندوب

مندوب اليه كما قال عليه الصلوة والسلام الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة ان نظر اليها سرته وان امرها اطاعته وان غاب عنها حفظته في نفسها وماله وقال في حديث آخر حبب الي الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلوة وقالت عائشة لم يكن شيء احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخيل وفي رواية من الخيل الا النساء وحب البنين تارة يكون للتفاخر والزينة فهو داخل في هذا وتارة يكون لتكثير النسل وتكثير امة محمد صلى الله عليه وسلم ممن يعبد الله وحده لا شريك له فهذا محمود ممدوح كما ثبت في الحديث تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيمة وحب المال كذلك تارة يكون للفخر والخيلاء والتكبر على الضعفاء وهذا مذموم وتارة يكون للنفقة في القربات وصلة الارحام والقرابات فهذا ممدوح محمود شرعا وقد اختلف المفسرون في مقدار القنطار فقيل الف دينار وقيل الف ومائتا دينار وقيل اثنا عشر الف دينار وقيل اربعون الفا وقيل ستون الفا وقيل سبعون الفا وقيل ثمانون الفا وقيل غير ذلك وحاصلها المال الجزيل وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم القنطار اثنا عشر الف اوقية كل اوقية خير مما بين السماء والارض رواه احمد وموقوفا اصح وعن انس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله والقناطير المقنطرة قال القنطار الفا اوقية صحيح على شرط الشيخين وان لم يخرجاه والمقنطرة المحصنة المحكمة الكثيرة المنضدة بعضها فوق بعض وقيل المضروبة المنقوشة وقال ابو سعيد الخدري القنطار ملء مسك الثور ذهبا وحب الخيل على ثلثة اقسام تارة يكون ربطها اصحابها معدة لسبيل الله متى احتاجوا اليها غزوا عليها فهؤلاء يثابون وتارة فخرا ونواء لاهل الاسلام فهذه على صاحبها وزر وتارة للتعفف واقتناء نسلها ولم ينس حق الله في رقابها فهذه لصاحبها ستر كما ورد به الحديث الصحيح الذي يجيء في موضعه واما المسومة فعن ابن عباس هي الراعية المطهمة الحسان وعليه الاكثر وقيل هي الغرة والتحجيل وعن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من فرس عربي الا يؤذن له مع كل فجر يدعو يقول اللهم انك خولتني من خولتني من بني آدم فاجعلني من احب ماله واهله اليه او احب اهله وماله اليه رواه احمد وقوله والانعام يعني الابل والبقر والغنم والحرث يعني الاراضي المتخذة للغراس والزراعة وعن سويد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير مال امرئ مهرة مأمورة او سكة مأبورة المأمورة الكثيرة النسل والسكة النخل المصطفة والمأبورة الملقحة ثم قال تعالى ذلك متاع الحيوة الدنيا اي انما هذا زهرة الحيوة الدنيا وزينتها الفانية الزائلة والله عنده حسن المآب اي المرجع والثواب وقال ابن جرير قال عمر بن الخطاب لما نزلت زين للناس حب الشهوات قلت يا رب الآن حين زينتها لنا فنزلت قل أؤنبئكم بخير من ذلكم الآية اي قل يا محمد للناس أأخبركم بخير مما زين للناس في هذه الحيوة الدنيا من زهرتها ونعيمها الذي هو زائل لا محالة ثم اخبر عن ذلك فقال للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار اي تتخرق ما بين جوانبها وارجائها الانهار من انواع الاشربة من العسل واللبن والخمر والماء وغير ذلك مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر خالدين اي ماكثين فيها ابدا لا يبغون عنها حولا وازواج مطهرة اي من الدنس والخبث والاذى والحيض والنفاس وغير ذلك مما يعتري نساء الدنيا ورضوان من الله اي يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم بعده ابدا ولهذا قال في الآية التي في براءة ورضوان من الله اكبر اي اعظم مما اعطاهم من النعيم المقيم ثم قال والله بصير بالعباد اي فيعطي كلا بحسب ما يستحقه من العطاء **الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار** يصف المتقين الذين وعدهم الله الثواب الجزيل فقال تعالى الذين يقولون ربنا اننا آمنا اي بك وبكتابك وبرسولك فاغفر لنا

[illegible]

اي بايمانك وبما شرعته لنا فاغفر لنا ذنوبنا وتقصيرنا في امرنا بفضلك ورحمتك وقنا عذاب النار ثم قال الصابرين اي
في قيامهم بالطاعات وتركهم المحرمات والصادقين فيما اخبروا به من ايمانهم بما يلتزمونه من الاعمال الشاقة والقانتين
القنوت الطاعة والخضوع والمنفقين اي من اموالهم في جميع ما امروا به من الطاعات والقربات ومواساة ذوي الحاجات
والمستغفرين بالاسحار دال على فضيلة الاستغفار وقت الاسحار وثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ينزل الله تبارك وتعالى في كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول هل من سائل فاعطيه هل من مستغفر فاغفر له
الحديث وروى ابن مردويه عن انس قال كنا نؤمر اذا صلينا من الليل ان نستغفر في آخر السحر سبعين مرة شهد الله انه
لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله
الاسلام ~~قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل~~
~~من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير~~ وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم
بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن
وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ءاسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك
البلاغ والله بصير بالعباد شهد الله وكفى به شهيدا وهو اصدق الشاهدين انه لا اله الا هو اي المتفرد بالالوهية لجميع
الخلائق وان الجميع عبيده وخلقه ثم قرن بشهادته شهادة ملائكته فقال والملائكة واولوا العلم وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في
هذا المقام قائما بالقسط منصوب على الحال وهو في جميع الاحوال كذلك والقسط العدل اي قائما بتدبير الخلائق لا اله الا هو
تاكيد لما سبق العزيز الذي لا يرام جنابه عظمة وكبرياء الحكيم في افعاله واقواله وشرعه وقدره وعن الزبير بن العوام قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة يقرأ هذه الآية شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله
الا هو العزيز الحكيم قال وانا على ذلك من الشاهدين يا رب رواه احمد وقوله ان الدين عند الله الاسلام اي لا دين عنده
مقبول سوى الاسلام فهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم فسد الله جميع الطرق اليه
الا من جهته عليه الصلوة والسلام فمن لقي الله بعد بعثته وبلوغ دعوته اليه بدين غير شريعته فليس بمتقبل بل يكون مردودا
من الخاسرين فان الدين المقبول محصور في الاسلام واستحب العلماء لمن يقرأ هذه الآية ان يقول بعدها وانا اشهد بما شهد الله
به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة وان الدين عند الله الاسلام حتى يدخل به الجنة لما ورد فيه حديث قوي
وذكر ابن جرير ان ابن عباس قرأ شهد الله انه بكسر انه وفتح ان الدين عند الله الاسلام والجمهور قرأوها بالكسر على الخبر وكلا
المعنيين صحيح ولكن ما عليه الجمهور اظهر ثم اخبر تعالى ان الذين اوتوا الكتاب الاول انما اختلفوا بعد ما قامت عليهم الحجة
بارسال الرسل اليهم وانزال الكتب عليهم فقال وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم اي بغى
بعضهم على بعض فاختلفوا في الحق لتحاسدهم وتباغضهم وتدابرهم فحملهم ذلك على المخالفة في الاقوال والافعال وان كانت
حقا ثم قال ومن يكفر بآيات الله اي من جحد بما انزل الله في كتابه فان الله سيجازيه على ذلك ويحاسبه على تكذيبه ويعاقبه لمخالفته
كتابه ثم قال فان حاجوك اي جادلوك في التوحيد فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعني على ديني يقولون بمقالتي ثم امر رسوله
ان يدعو الى دينه والدخول في شرعه فقال وقل للذين اوتوا الكتاب الآية المراد بالاميين مشركوا العرب والبلاغ تبليغ الرسالة

[illegible]

[illegible]

اي وعلى الله حسابهم واليه مرجعهم ومآبهم وهو الهادي الى الرشاد بحكمته البالغة ولهذا قال والله بصير بالعباد اي هو
عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلالة وهذه الآية وامثالها من اصرح الدلالات على عموم بعثته الى جميع الخلق كما
هو معلوم من دينه ضرورة وفي الصحيحين وغيرهما مما ثبت تواتره بالوقائع انه صلى الله عليه وسلم بعث كتبه الى ملوك الآفاق
عربهم وعجمهم يدعوهم الى الله امتثالا لامره له بذلك وقال عليه الصلوة والسلام والذي نفسي بيده لا يسمع بي احد من
هذه الامة لا يهودي ولا نصراني ثم مات ولم يؤمن بالذي ارسلت به الا كان من اهل النار رواه مسلم ان الذين
يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس
فبشرهم بعذاب اليم اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين تذم الله
اهل الكتاب بما ارتكبوه من المآثم والمحارم في تكذيبهم بآيات الله قديما وحديثا التي بلغتهم اياها الرسل استكبارا عليهم و
عنادا وتعاظما على الحق وفي قتلهم الانبياء بتبليغهم شرع الله من غير جريمة ولا سبب بل لكونهم دعوهم الى الحق و
قتلهم الذين يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهذا هو غاية الكبر كما قال عليه الصلوة والسلام الكبر بطر الحق
وغمط الناس وعن ابي عبيدة بن الجراح قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او
رجلا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون النبيين الآية ثم قال يا ابا عبيدة قتلت
بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا في اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا
من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله في كتابه رواه ابن
ابي حاتم وابن جرير ولهذا عاقبهم الله على ذلك بالذلة والصغار في الدنيا والعذاب المهين في الآخرة فقال فبشرهم بعذاب
اليم اي موجع مهين اولئك الذين حبطت اي بطلت اعمالهم وهو ان لا تقبل وفي الآخرة الا يثابوا عليها ولا يكون لهم
ناصر ينجيهم من عذاب الله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم
بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات
وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما
كسبت وهم لا يظلمون هذا انكار على اليهود والنصارى المضلين فيما كانوا يزعمون بكتابيهم وهما التورية والانجيل
فاذا دعوا الى التحاكم اليهما فيما تولوا وهم معرضون عنهما وهذا في غاية المذمة لمخالفتهم وعنادهم ثم قال تعالى ذلك
بانهم قالوا اي انما حملهم وجرأهم على مخالفة الحق افتراؤهم على الله بانهم انما يعذبون في النار سبعة ايام عن كل الف سنة
في الدنيا يوما كما سبق بيانه في تفسير سورة البقرة ثم قال وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون اي ثبتهم على دينهم الباطل ما خدعوا
به انفسهم من انهم لا يعذبون في النار الا سبعة ايام وقد افتروا هذا من تلقاء انفسهم فتهددهم الله وتوعدهم
بقوله فكيف اذا جمعناهم اي كيف حالهم وقد افتروا على الله وكذبوا رسله وقتلوا انبياءه وعلماء قومهم والله سائلهم عن ذلك
كله ومحاسبهم عليه ومجازيهم به ليوم لا ريب فيه اي لا شك في وقوعه ووفيت اي وفيت كل نفس جزاء ما كسبت من خير
او شر وهم لا يظلمون اي لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء و
تنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار
وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب

[illegible]

وقيل الملك هو العلم الديني والعمل به وقيل القناعة مع الرضا في الخبر القناعة مال لا ينفد وفيه ملوك الجنة من امتي

اي قل يا محمد معظما لربك ومتوكلا عليه وشاكرا له اللهم مالك الملك اي لك الملك كله انت المعطي وانت المانع وانت الذي ما شئت كان وما لم تشا لم يكن وفي هذه الاية تنبيه وارشاد الى شكر نعمه تعالى على رسوله عليه الصلوة والسلام وامته لان الله حول النبوة من بني اسرائيل الى النبي العربي القرشي سيد المرسلين وخاتم النبيين الذي خصه الله بخصائص لم يعطها نبي من الانبياء ولهذا قال تعالى قل اللهم مالك الملك اي انت المتصرف في خلقك الفعال لما تريد لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا راد لما قضيت وقوله تولج الليل في النهار اي تاخذ من طول هذا وتزيد في قصر هذا فيعتدلان ثم تاخذ من هذا في هذا فيتفاوتان ثم يعتدلان وهكذا في فصول السنة ربيعا وصيفا وخريفا وشتاء وقوله وتخرج الحي من الميت اي تخرج الحبة من الزرع والزرع من الحبة والنخلة من النواة والنواة من النخلة والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة وما جرى هذا المجرى من جميع الاشياء وترزق من تشاء بغير حساب اي تعطي من شئت من المال ما لا يعده ولا يقدر على احصائه وتقتر على آخرين لما لك في ذلك من الحكمة والارادة وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب في هذه الاية من آل عمران قل اللهم مالك الملك الى آخر الاية رواه الطبراني لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقية ويحذركم الله نفسه والى الله المصير نهى الله عباده المؤمنين ان يوالوا الكافرين وان يسروا اليهم بالمودة من دون المؤمنين ثم توعد على ذلك بقوله ومن يفعل ذلك اي ومن يرتكب نهي الله في هذا فقد برئ من الله كما في غيرها من الايات الواضحات وقوله الا ان تتقوا منهم تقاة اي الا من خاف في بعض البلدان او الاوقات من شرهم فله ان يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته كما في البخاري عن ابي الدرداء انه قال انا لنكشر في وجوه اقوام وقلوبنا تلعنهم وقال ابن عباس ليس التقية بالعمل انما التقية باللسان ويؤيد ذلك قوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان الاية ثم قال تعالى ويحذركم الله نفسه اي ويحذركم نقمته في مخالفته وسطوته في عذابه لمن والى اعداءه وعادى اولياءه والى الله المصير اي المرجع والمنقلب ليجازي كل عامل بعمله قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل شيء قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد هذا اخبار من الله بانه عالم بالسرائر والضمائر والظواهر وانه لا يخفى عليه منهم خافية بل علمه محيط بهم في سائر الاحوال وجميع الاوقات وجميع ما في السموات والارض لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا اصغر من ذلك في جميع اقطار الارض والبحار وهو على كل شيء قدير اي قدرته نافذة في جميع ذلك وهذا تنبيه لعباده على خوفه وخشيته حتى لا يرتكبوا المناهي فانه عالم بجميع امورهم قادر على معاجلتهم بالعقوبة فانه يمهل ثم ياخذ اخذ عزيز مقتدر ولهذا رتب عليه يوم تجد كل نفس ما عملت من شيء يوم القيمة يحضر للعبد جميع اعماله من خير وشر فما راى من اعماله حسنا سرته وافرحته وما راى من قبيح ساءه وغاظه وود انه لو تبرأ منه وان يكون بينهما امدا بعيدا كما يقول لشيطانه الذي كان مقترنا به في الدنيا وحمله على فعل السوء يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ثم قال تعالى موكدا ومتوعدا ويحذركم الله نفسه اي يخوفكم عقابه ثم قال مرجيا لعباده لئلا ييأسوا من رحمته والله رؤف اي رحيم بخلقه قال الحسن من رافته بهم حذرهم نفسه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين

تي الملك من تشاء
وتنزع الملك ممن تشاء
وتعز من تشاء وتذل
من تشاء بيدك الخير انك
على كل شيء قدير

هذه الاية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس على طريقة الشرعية فانه كاذب في دعواه حتى يتبع الشرع والدين في جميع اقواله وافعاله كما ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد ولهذا قال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله اي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم اياه وهو محبته اياكم وهو اعظم من الاول كما قال بعضهم ليس الشان ان تحب انما الشان ان تحب وقوله يغفر لكم ذنوبكم اي باتباعكم الرسول يحصل لكم هذا كله ثم قال آمرا لكل احد من خاص وعام قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا اي تخالفوا عن امره فان الله لا يحب الكافرين فيه دليل على ان مخالفته في الطريقة كفر وان ادعى محبة الله حتى يتابع الرسول المرسل الى جميع الثقلين صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم يخبر تعالى انه اختار هذه الطائفة الخلق على سائر اهل الارض فاصطفى آدم عليه السلام خلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسكنه الجنة ثم اهبطه منها الى الارض لما له في ذلك من الحكمة واصطفى نوحا عليه السلام وجعله اول رسول بعثه الى اهل الارض لما عبد الناس الاوثان وانتقم له لما طالت مدته بينهم يدعوهم الى الله ولم يزدهم ذلك الا فرارا فدعا عليهم فاغرقهم الله ولم ينج منهم الا من كان معه واصطفى آل ابراهيم ومنهم سيد البشر وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم وآل عمران وهو والد مريم ام عيسى بن مريم فعيسى من ذرية ابراهيم كما سياتي في سورة الانعام ان شاء الله وقال ابن اسحق هو عمران آخر والاول الصحيح لمناسبة ما بعده اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم اسم المرأة حنة بنت فاقوذا قال ابن اسحق وكانت امرأة لا تلد فرأت يوما طائرا يزق فرخه فاشتهت الولد فدعت الله تعالى ان يهبها ولدا فاستجاب الله دعاءها فواقعها زوجها فحملت فلما تحققت الحمل نذرت ان يكون محررا اي خالصا مفرغا للعبادة لخدمة بيت المقدس فقالت رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع لدعائي العليم بنيتي فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت قرئ برفع التاء على انها تاء المتكلم وانها من تمام قولها وقرئ بتسكينها على انها من قول الله وليس الذكر كالانثى اي في القوة والجلادة في العبادة والخدمة واني سميتها مريم وهذا كما قال عليه الصلوة والسلام ولد لي الليلة ولد وسميته باسم ابي ابرهيم متفق عليه ثم قال تعالى اخبارا عن ام مريم انها قالت واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم اي عوذتها بالله عز وجل من شر الشيطان وعوذت ذريتها وهو ولدها عيسى عليهما السلام فاستجاب الله لها ذلك كما في الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مسه اياه الا مريم وابنها ثم يقول ابو هريرة اقرؤا ان شئتم اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب اخبر الله بقبوله نذرها قبولا مرضيا وانبتها نباتا حسنا اي جعلها شكلا مليحا ويسر لها اسباب القبول وقرنها بالصالحين من عباده ولهذا قال وكفلها زكرياء وقرئ بتشديد الفاء ونصب زكرياء على المفعولية اي جعله كافلا لها قال ابن اسحق وما ذاك الا انها كانت يتيمة وقيل اصابت بني اسرائيل سنة جدب فكفلها زكريا لذلك وكان ذلك لسعادتها لتقتبس منه

في الحديث كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى
قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل
الجنة ومن عصاني فقد ابى

عِلْمًا مانعًا وعملًا دافعًا ولانه كان زوج خالتها وقيل زوج اختها كما ورد في الصحيح فاذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة وفي الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى في عمارة بنت حمزة ان تكون في حضانة خالتها امراة جعفر بن ابي طالب وقال الخالة بمنزلة الام ثم اخبر تعالى عن سيادتها وجلالتها في محل عبادتها فقال كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال ابن عباس اي فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف وقيل اي صحفا فيها علم والاول اصح وفيه اثبات كرامات الاولياء فاذا راى زكريا هذا عندها قال يامريم انى لك هذا اي من اين لك هذا قالت هو من عند الله قال الحسن حين ولدتها امها لم تلقم ثديا قط كان يأتيها رزقها من الجنة فيقول لها زكريا انى لك هذا قالت هو من عند الله تكلمت وهي صغيرة وكان هذا حديث مطعون في غاية الضعف لم نكتبه لعدم الاحتياج اليه **هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملئكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لي اية قال ايتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار** لما راى زكريا ان الله كيف يرزق مريم قال ان الذي قدر على ان ياتي مريم بالفاكهة في غير حينها من غير سبب لقادر على ان يصلح زوجتي ويهب لي ولدا في غير حينه على الكبر فطمع في الولد وذلك ان اهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان زكريا قد شاخ ولم يكن له ولد فعند ذلك سال ربه وناداه خفيا فدخل المحراب وغلق الابواب وقال رب هب لي من لدنك اي من عندك ذرية طيبة اي ولدا صالحا انك سميع الدعاء فنادته اي خاطبته الملئكة شفاها خطابا اسمعته وهو قائم في محراب عبادته ومحل مناجاته وطاعته بشارة ان الله يبشرك بيحيى اي بولد يوجد لك من صلبك اسمه يحيى قال قتادة انما سمي يحيى لان الله احياه بالايمان وقوله مصدقا بكلمة من الله قال ابن عباس واكثر الائمة اي بعيسى بن مريم وهو اول من صدق به وعلى سنته ومنهاجه وعنه ايضا قال كان يحيى وعيسى ابني خالة وكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد الذي في بطني يسجد للذي في بطنك فذلك تصديقه له في بطن امه وهو اكبر من عيسى بستة اشهر وقوله وسيدا قالوا اي في العلم والعبادة وقيل هو الحليم التقي وقيل هو الذي لا يغلبه الغضب وقيل الكريم على الله وحصورا قالوا هو الذي لا يولد له ولا ماء له ينزل قال عبد الله بن عمرو مرفوعا ما من احد يلقى الله الا ذا ذنب الا يحيى بن زكريا لم يتناول من الارض وقال الحصور ما كان ذكره مثل ذي وفي رواية مثل هدبة الثوب وقد يرفع مع ذلك لكون اغض لبصره وقيل الحصور هو الممتنع من الوطي مع القدرة عليه وهذا اقرب لما استحقاق الثناء وابعد من الحاق الافة بالانبياء وقوله ونبيا وهذه بشارة ثانية بنبوته بعد البشارة بولادته فتعجب زكريا من وجود الولد منه وقال رب انى يكون لي غلام اي من اين لي الولد وقد بلغني الكبر قال اي الملك كذلك اي هكذا امر الله عظيم لا يعجزه شيء قال رب اجعل لي اية اي علامة استدل بها على وجود الولد مني قال ايتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا اي اشارة لا تستطيع النطق مع انك سوي صحيح ثم امر بكثرة الذكر والشكر والتسبيح في هذه الحال فقال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار وقيل المراد بالتسبيح الصلوة والعشي ما بين زوال الشمس الى الغروب ومنه سمي صلوة الظهر والعصر صلوتي العشي والابكار ما بين صلوة الفجر الى الضحى **واذ قالت الملئكة يامريم ان الله اصطفيك وطهرك واصطفيك على نساء العالمين يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون**

كلما ظرف زمان وفيه معنى الشرط كاذا وهو جوابه بعد حال من زكريا اي كلما وقت دخل زكريا عليها في الغرفة او في المسجد او موضع الامام في المسجد سمي به لانه محل محاربة الشيطان والنفس وجوابه كلما وجد عندها

قرئ بكسر ان على اضمار القول او لان النداء نوع منه والباقون بالفتح اي بانه

وامراتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء

هذا اخبار من الله بما خاطبت به الملئكة مريم عن امر الله لهم بذلك ان الله قد اختارها لكثرة عبادتها وشرفها وطهرها من الاكدار واصطفاها مرة بعد مرة بجلالتها على نساء العالمين في الصحيحين عن علي بن ابي طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امراة فرعون تفرد به الترمذي وصححه ثم اخبر تعالى عن الملئكة انهم امروها بكثرة العبادة والدؤب في العمل لما يريد الله بها مما قدره وقضاه لما فيه رفعتها في الدارين بما اظهر الله فيها من عظيم قدرته حيث خلق منها ولدا من غير اب فقال يامريم اقنتي القنوت هو الطاعة في الخشوع وكانت تقوم في الصلوة حتى ورمت قدماها وسالت دما وقيحا قال الحسن يعني اعبدي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين اي كوني منهم ثم قال لرسوله عليه الصلوة والسلام بعدما اطلعه على جلية الامر ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اي نقصه عليك وما كنت لديهم اي ما كنت عندهم يا محمد فتخبر عنهم معاينة عما جرى بل اطلعك الله على ذلك كانك شاهد حاضر لما كان من امرهم حين اقترعوا في شان مريم ايهم يكفلها قال عكرمة والسدي وغير واحد خرجت ام مريم بها تحملها في خرقتها الى بني الكاهن بن هرون اخي موسى عليهما السلام وهم يومئذ حجبة بيت المقدس فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فاني حررتها وهي ابنتي ولا تدخل الكنيسة حائض وانا لا اردها الى بيتي فقالوا هذه ابنة امامنا وكان عمران يؤمهم في الصلوة فقال زكرياء ادفعوها الي فان خالتها تحتي فقالوا لا تطيب انفسنا فذلك حين اقترعوا باقلامهم عليها ثم انهم ذهبوا الى نهر الاردن واقترعوا هنالك على ان يلقوا اقلامهم فايهم ثبت قلمه في جرية الماء فهو كافلها فالقوا اقلامهم فاحتملها الماء الا قلم زكريا فانه ثبت قلمه في جرية الماء وكان مع ذلك كبيرهم وسيدهم ونبيهم عليه السلام **اذ قالت الملئكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون** هذه بشارة من الملئكة لمريم بان سيوجد منها ولد عظيم الشان اي يبشرك بولد يكون وجوده بكلمة من الله اي بقوله له كن فيكون وهذا تفسير قوله مصدقا بكلمة من الله على ما ذكره الجمهور كما سبق اسمه المسيح اي يكون مشهورا بهذا في الدنيا يعرفه المؤمنون به وانما سمي المسيح لكثرة سياحته وخشيته الى الامة حيث لا بات له وجيها اي له وجاهة ومكانة عند الله في الدنيا بما يوحيه الله اليه من الشريعة وينزله عليه من الكتاب وغير ذلك مما منحه به وفي الاخرة يشفع عند الله فيمن ياذن له فيه ويكون من اولي العزم وقوله ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يدعوا الى عبادة الله وحده لا شريك له في حال صغره معجزة واية وفي حال كهوليته حين يوحي الله اليه بذلك ومن الصالحين اي في قوله وعمله له علم صحيح وعمل صالح وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه قال لم يتكلم في المهد الا ثلثة عيسى وصبي في زمن جريج وصبي آخر فلما سمعت مريم هذه البشارة من الملئكة قالت في مناجاتها رب انى يكون لي ولد اي كيف يوجد هذا الولد مني ولست بذات زوج ولا من عزمي ان اتزوج ولست بغيا حاشى لله فقال لها الملك عن الله في جوابها كذلك اي هكذا امر الله عظيم لا يعجزه شيء وصرح ههنا بقوله يخلق ولم يقل يفعل كما في قصة زكريا بل نص ههنا على انه يخلق لئلا يبقى لمبطل شبهة واكد ذلك بقوله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اي فلا يتاخر شيئا بل يوجد عقيب الامر بلا مهلة **ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون**

توجيه الكلام اي نلقيه اليك بارسال جبرئيل وقراءته عليك لتعلم ذلك بايحائنا لانه ما لا يعرف الا بالوحي واصل الايحاء يستعمل في معاني ستة الرسالة والاشاره والالهام والكلام الخفي والكتابة والايماء والي الغير قرئ سكونه وخيانتهم تقوله وما كنت لديهم اي عند الاحبار اولاد الانبياء والرئيس تنافسوا في كفالة مريم

قيل الاسهم التي يكتبون بها التوراة او اقداحهم وبها غيهم التي كانوا يتقارعون بها في الاشياء وهي الازلام او سهام الرمي

عيسى ابن مريم وانا نسبه اليها اعلاما لها انها تلده بلا اب

قيل سمي به لانه مسح بالبركة او لانه ما مسح ذا عاهة الا برئ باذن الله

ومن المقربين اي عند الله وهو عطف على وجيها وحال ثانية

ويكلم الناس حال ثالثة وفي المهد حال من ضميره او ظرف له اي ويخبرهم بالحكم والنبوة والاسرار الغيبية الخافية عن عقول الاناسي وحال الطفولية قبل وقت الكلام وهو قوله اني عبد الله اتاني الكتاب الاية معجزة لمريم براءة لامه وروي ان مريم اذا خلت بعيسى حدثها وحدثته واذا شغلت عنه سبح في بطنها وهي تسمع

وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التورية ولاحل
لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه
هذا صراط مستقيم الظاهر ان المراد بالكتاب هنا الكتابة وسبق تفسير الحكمة في سورة البقرة والتورية والانجيل معروفان
وقد كان عيسى بن مريم يحفظهما وقوله ورسولا الى بني اسرائيل اي ويجعله رسولا الى بني اسرائيل قائلا لهم اني قد جئتكم باية من
ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وكذلك كان يفعل يصور من الطين شكل طير ثم ينفخ فيه فيطير
عيانا باذن الله الذي جعل هذا معجزة له وهي تدل على ان الله ارسله وابرئ الاكمه قيل هو الذي يبصر نهارا ولا يبصر ليلا فهو
وقيل بالعكس وقيل هو الاعمش وقيل هو الذي ولد اعمى وهو اشبه لانه ابلغ في المعجزة والابرص معروف واحيي الموتى باذن الله قالوا
بعث الله كل نبي من الانبياء بمعجزة تناسب اهل زمانه فكان الغالب على زمان موسى السحر وتعظيم السحرة فبعثه الله بمعجزة بهرت الابصار
وحيرت كل سحار فلما استيقنوا انها من عند العظيم الجبار انقادوا للاسلام وصاروا من الابرار واما عيسى فبعث في زمن الاطباء
واهل الطبائع فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لاحد اليه الا ان يكون مؤيدا من الذي شرع الشريعة فمن اين للطبيب قدرة على
احياء الجماد او على مداواة الاكمه والابرص او بعث من هو في قبره رهين الى يوم التناد وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم بعثه الله
في زمن الفصحاء والبلغاء وتجاويد الشعراء فاتاهم بكتاب من الله العزيز لو اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثله او بعشر سور او
بسورة من مثله لم يستطيعوا ابدا وذلك لان كلام الرب لا يشبهه كلام المخلوق ابدا وقوله وانبئكم بما تاكلون اي اخبركم بما اكل احدكم
الآن وما هو مدخر له في بيته لغد ان في ذلك لاية لكم اي على صدقي فيما جئتكم به ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التورية اي مقررا لها
ومثبتا ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم فيه دلالة على ان عيسى نسخ بعض شريعة التورية وهو الصحيح وقيل لم ينسخ منها شيئا بل احل لهم ما
كانوا يتنازعون فيه فاخطأوا فكشف لهم عن الغطاء في ذلك كما قال في الاية الاخرى ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه والله اعلم ثم قال وجئتكم
باية اي بحجة ودلالة على صدقي فيما اقول لكم فاتقوا الله واطيعون اي فاعبدوه فانا وانتم سواء في العبودية له والخضوع و
الاستكانة اليه هذا فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا
بالله واشهد بانا مسلمون ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله
والله خير الماكرين اي فلما استشعر عيسى منهم التصميم على الكفر والاستمرار على الضلال قال من انصاري الى الله يعني من
انصاري في الدعوة الى الله وقيل الى بمعنى مع والاول اقرب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مواسم الحج قبل الهجرة من رجل يؤويني
حتى ابلغ كلام ربي فان قريشا قد منعوني ان ابلغ كلام ربي حتى وجد الانصار فآووه ونصروه وهكذا عيسى بن مريم انتدب له
طائفة من بني اسرائيل فآمنوا به ووازروه ونصروه ولهذا قال تعالى مخبرا عنهم قال الحواريون الى قوله مع الشاهدين قيل الحواريون
كانوا قصارين سموا بذلك لبياض ثيابهم وقيل صيادين والصحيح ان الحواري الناصر كما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه و
سلم قال ان لكل نبي حواريا وحواري الزبير وعن ابن عباس في قوله فاكتبنا مع الشاهدين قال مع امة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال
تعالى مخبرا عما هموا به من الفتك بعيسى واراده بالسوء والصلب حين تمالأوا عليه ووشوا به الى ملك ذلك الزمان وكان كافرا
فانهوا اليه ان ههنا رجلا يضل الناس ويصدهم عن طاعة الملك ويفسد الرعايا ويفرق بين الاب
وابنه وغير ذلك مما رموه به انه ولد زنية حتى استثاروا غضب الملك فبعث في طلبه من ياخذه ويصلبه فلما احاطوا بمنزله و
ظنوا انهم قد ظفروا به نجاه الله من بينهم ورفعه من روزنة ذلك البيت الى السماء والقى شبهه على رجل ممن كان عنده في المنزل

فيكون طيرا اسم جنس يقع على الواحد
والجمع اي فيصير طيرا حيا طيارا
كسائر الطيور وقرئ طائرا قيل انه
الخفاش وهو اعجب الطيور خلقا لان
له اسنانا ولا اثداء وثديا وحيضا و
ليس الا لحا طير بلا ريش

قيل كان يخبر الرجل بما اكل البارحة وبما ياكل
اليوم وما ادخره للعشاء وقال السدي كان
في الكتاب يحدث الصبيان بما يصنع آباؤهم
ويقول للغلام انطلق فقد اكل اهلك كذا و
كذا ورفعوا لك كذا وكذا فينطلق الصبي
الى اهله ويبكي عليهم حتى يعطوه ذلك الشيء
فيقولون من اخبرك فيقول عيسى فحبسوا
صبيانهم عنه وقالوا لا تلعبوا مع هذا
الساحر فجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم
فقالوا ليسوا ههنا فقال فما في هذا البيت
قالوا خنازير قال كذلك يكونون ففتحوا عليهم
فاذا هم خنازير ففشا ذلك في بني اسرائيل
فهمت به بنو اسرائيل فلما خافت عليه امه
حملته على حمير لها وخرجت هاربة به

نحن انصار الله آمنا بالله
واشهد بانا مسلمون ربنا
آمنا بما انزلت واتبعنا
الرسول فاكتبنا

فلما دخل اولئك اعتقدوه في ظلمة الليل عيسى فاخذوه واهانوه وصلبوه ووضعوا على راسه الشوك وكان هذا من مكر الله بهم
فانه نجى نبيه ورفعه من بين اظهرهم وتركهم في ضلالهم يعمهون واعتقدوا انهم قد ظفروا به وطبع الله على قلوبهم
بالقسوة والعناد ولهذا قال ومكروا اي ومكر الله واصل المكر الخديعة والحيلة ومكر الله مجازاتهم على مكرهم فسمي الجزاء
باسم الابتداء لانه في مقابلته اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا
وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون
فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات
والذكر الحكيم اختلفوا في معنى قوله اني متوفيك ورافعك قال قتادة وغيره هذا من المقدم والمؤخر تقديره اني رافعك الي و
متوفيك يعني بعد ذلك وعن ابن عباس اي اني مميتك وعن وهب بن منبه قال توفاه الله ثلاث ساعات من النهار حين رفعه
اليه وقال ابن اسحق والنصارى يزعمون ان الله توفاه سبع ساعات ثم احياه وقيل ثلاثة ايام ثم احياه ثم رفعه وقيل ليس توفاه موت
بل المراد ههنا النوم كما قال تعالى هو الذي يتوفاكم بالليل وقوله الله يتوفى الانفس الى قوله يتفكرون وفي الحديث الحمد لله الذي احيانا
بعد ما اماتنا وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهود ان عيسى لم يمت وانه راجع اليكم قبل يوم القيمة وقوله و
مطهرك اي برفعي اياك الى السماء وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة وهكذا وقع فان المسيح عليه السلام لما رفعه الله
الى السماء تفرقت اصحابه بعده شيعا فمنهم من آمن بما بعثه الله به على انه عبد الله ورسوله وابن امته ومنهم من غلا فيه فجعله ابن الله
وآخرون قالوا هو الله وآخرون قالوا هو ثالث ثلاثة وقد حكى الله مقالاتهم في القرآن ورد على كل فريق واستمروا كذلك قريبا
من ثلثمائة سنة ثم ظهر لهم ملك من ملوك اليونان يقال له قسطنطين فدخل في دين النصرانية قيل حيلة ليفسده فانه كان فيلسوفا
وقيل جهلا منه الا انه بدل لهم دين المسيح وحرفه وزاد فيه ونقص واحل في زمانه لحم الخنزير وصلوا له الى المشرق وصوروا له
الكنائس وزاد في صيامهم عشرة ايام وصار صاحب دينهم وبنى مدينته المنسوبة اليه واتبعه الطائفة الملكية وهم في هذا كله
قاهرون لليهود فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فكان من آمن به يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله على وجه الحق كانوا هم اتباع
كل نبي على وجه الارض ودينهم لا يزال قائما منصورا ظاهرا على كل دين ولهذا فتح الله لاصحابه مشارق الارض ومغاربها فاخذوا كنوز
قيصر وكسرى ولا يزال الاسلام فوقهم الى يوم القيمة ثم قال ثم الي مرجعكم الى يوم القيمة الى قوله من ناصرين وكذلك الله فعل بمن كفر
بالمسيح من اليهود او غلا فيه او اطراه من النصارى عذبهم في الدنيا بالقتل والسبا واخذ المال والصغار بهم وفي الآخرة عذابهم
اشد واشق واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم اي في الدارين في الدنيا بالنصرة والظفر وفي الآخرة بالجنات
العاليات وقوله فان الله لا يحب الظالمين اي لا يرحم الكافرين ولا يثني عليهم بالجميل ذلك نتلوه عليك اي هذا الذي قصصناه
عليك يا محمد في امر عيسى ومبدأ ميلاده وكيفية امره هو مما قاله الله واوحاه اليك وانزله عليك من اللوح المحفوظ فلا مرية فيه
والذكر القرآن والحكيم المحكم الممنوع من الباطل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون
الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا و
ابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ان هذا
هو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين

المكر الخديع وهو في الاصل تدبير خفي وحيلة
يجلب بها الشخص غيره الى المضرة وهو قبيح جدا
فلا يسند الى الله تعالى ولا يوصف به الا مجازا
على وجه من اوجه الكلام والمقابلة والمجازاة
كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها قال
الفراء المكر من الله استدراجه للعباد وهو
جذبهم الى الهلاك وتقربهم اليه قليلا
قليلا من حيث لا يشعرون انه سيئة
اعمالهم من مكر اعدائه

وعن بعض وجماعة ان في الآية تقديما و
تاخيرا معناه اني رافعك الي ومطهرك من
الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالك من السماء
وفي الحديث والذي نفسي بيده ليوشكن ان
ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا يكسر الصليب
ويقتل الخنزير ويضع الجزية فيفيض المال
حتى لا يقبله احد وفي رواية ويهلك في
زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك الدجال
فيمكث في الارض اربعين ثم يتوفى ويصلي
عليه المسلمون

فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون
فاما الذين كفروا فاعذبهم
عذابا شديدا في الدنيا والآخرة
وما لهم من ناصرين

[illegible]

اى ان مثل عيسى عند الله فى قدرة الله تعالى حيث خلقه بلا اب كمثل آدم فانه تعالى خلقه من غير اب ولا ام بل خلقه من تراب
ثم قال له كن فيكون فالذى خلق آدم قادر على خلق عيسى بطريق الاولى وان جاز ادعاء البنوة فى عيسى بكونه مخلوقا من
غير اب فجواز ذلك فى آدم بطريق الاولى ومعلوم بالاتفاق ان ذلك باطل فدعواها فى عيسى اشد بطلانا واظهر فسادا
ولكن الرب تعالى اراد ان يظهر قدرته لخلقه حين خلق آدم لا من ذكر ولا من انثى وخلق حواء من ذكر بلا انثى وخلق عيسى
من انثى بلا ذكر كما خلق بقية البرية من ذكر وانثى كما قال فى سورة مريم ولنجعله آية للناس وقال ههنا الحق من ربك اى
هذا هو القول الحق فى عيسى لا محيد عنه ولا صحيح سواه وماذا بعد الحق الا الضلال فلا تكن من الممترين اى الشاكين والمراد من هذا الخطاب
الامة ثم قال آمرا رسوله عليه الصلوة والسلام ان يباهل من عاند الحق فى امر عيسى بعد ظهور البيان فمن حاجك فيه الى قوله
على الكاذبين اى نحضر هؤلاء من الفريقين ونحضرهم حالة المباهلة فنجعل لعنة الله على الكاذبين منا ومنكم وكان سبب نزول هذه
المباهلة وماقبلها من اول السورة الى ههنا فى وفد نجران النصارى حين قدموا المدينة فجعلوا يحاجون فى عيسى ويزعمون فيه ما
يزعمون من البنوة والالهية فانزل الله صدر هذه السورة ردا عليهم كما ذكره ابن اسحق وغيره قال فى السيرة وقدم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران ستون راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم من يؤول اليهم امرهم وهم العاقب واسمه
عبد المسيح والسيد وهو الايهم وابو حارثة بن علقمة اخو بكر بن وائل واوس بن الحرث وزيد وقيس ويزيد ونبيه وخويلد
ابن عمرو وخالد بن عبدالله ويحنس وامر هؤلاء يؤول الى ثلثة منهم وهم العاقب وكان امير القوم وذا رأيهم وصاحب
مشورتهم والسيد وكان ثمالهم ومجتمعهم وابو حارثة وكان اسقفهم وحبرهم وامامهم وكان من العرب من بنى بكر بن
وائل ولكنه تنصر فعظمته الروم وشرفوه لما علموا من صلابته فى دينهم وقد كان يعرف امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وشانه وصفته
مما علمه من الكتب المتقدمة ولكن احتمله جهله على الاستمرار بالنصرانية لما يرى من تعظيمه ووجاهته عند اهلها فقدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة ودخلوا عليه مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جبب واردية فى جمال رجال بنى الحرث بن كعب.
فتعجب الصحابة من زينتهم وحانت وقت صلوتهم فقاموا فى المسجد يصلون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا
الى المشرق قال فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ابو حارثة والعاقب والسيد وهم على دين الملك مع اختلاف امرهم يقولون
هو الله ويقولون هو ولد الله ويقولون هو ثالث ثلثة فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلما قالا قد اسلمنا
قال انكما لم تسلما فاسلما قالا بلى قد اسلمنا قبلك قال كذبتما منعكما من الاسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب واكلكما الخنزير
قال فمن ابوه يا محمد فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهما فانزل الله فى ذلك من قولهم واختلاف امرهم صدر سورة آل
عمران الى بضع وثمانين آية منها فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملاعنتهم وعرض عليهم قالوا يا ابا القاسم دعنا ننظر فى
امرنا ثم نأتيك بما نريد ان نفعل فيما دعوتنا اليه ثم انصرفوا عنه فخلوا بالعاقب فقالوا يا عبد المسيح ماذا ترى فقال والله يا معشر
النصارى لقد عرفتم ان محمدا نبى مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم انه ما لاعن قوم نبيا قط فبقى كبيرهم ولا
نبت صغيرهم وانه الاستيصال منكم ان فعلتم لتهلكن وان ابيتم الا الاقامة على ما انتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا
الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم قد راينا ان لا نلاعنك ونتركك على دينك ونرجع
على ديننا ولكن ابعث رجلا من اصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا فى اشياء اختلفنا فيها فى اموالنا فانكم عندنا رضى فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ايتونى العشية ابعث معكم القوى الامين فبعث معهم ابا عبيدة بن الجراح فقال اخرج معهم

من بعد ما جاءك من العلم فقل
تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم
ونساءنا ونساءكم وانفسنا
وانفسكم ثم نبتهل فنجعل
لعنة الله

روى انه لما نزلت هذه الآية دعاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المباهلة فقالوا حتى ننظر
فى امرنا ونأتيك غدا فلما تخالوا قالوا للعاقب
وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله
لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبى حق
وانه والله ما لاعن قوم نبيهم قط الا هلكوا
فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا
النبى صلى الله عليه وسلم من الغد خرج اليهم محتضنا
الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه و
على خلفها وهو يقول لهم اذا دعوت فامنوا
فلما رآهم النصارى قال احدهم يا معشر النصارى
انى لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا
من مكانه لازاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا
يبقى على وجه الارض نصرانى الى يوم القيمة
فابوا المباهلة وقبلوا الجزية وانصرفوا
فقالوا يا ابا القاسم قد راينا ان لا نلاعنك
وان نتركك على دينك ونثبت على ديننا
فقال صلى الله عليه وسلم فان ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا قال فانى اناجزكم
فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكنا نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدى
اليك كل عام الفى حلة الف فى صفر والف فى رجب فصالحهم صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم
والذى بعثنى بالحق لو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران و
اهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على فضل اهل بيته وكان امتناعهم عن المباهلة دليلا على حقية دعوى النبى

فاقض بينهم

فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه قد ذهب معهم وفى البخارى عن حذيفة قال جاء العاقب والسيد صاحبا نجران الى رسول الله
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان ان يلاعناه قال فقال احدهما لصاحبه لا تفعل فوالله لئن كان نبيا فلاعناه لا نفلح نحن و
لا عقبنا من بعدنا قالا انا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلا امينا ولا تبعث معنا الا امينا فقال لابعثن معكم رجلا امينا
حق امين فاستشرف لها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قم يا ابا عبيدة بن الجراح فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا امين هذه الامة ورواه مسلم واصحاب السنن واحمد بنحوه وقد روى البيهقى فى دلائل النبوة قصة وفد نجران مطولة وفيها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالحهم على الجزية وكتب عليها هذا ما كتب محمد رسول الله لنجران ان كان عليهم حكمه فى كل ثمرة وكل
صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق فافضل عليهم وترك كله على الفى حلة يؤدوا اليه كل عام فى كل رجب الف حلة وفى كل صفر الف حلة
وذكر تمام الشروط وبقية السياق والغرض ان وفودهم كان فى سنة تسع من الهجرة لان الزهرى قال كان اهل نجران اول من ادى
الجزية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما نزلت آية الجزية بعد الفتح وهى قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الى قوله وهم
صاغرون وفى مسلم عن سعد بن ابى وقاص قال لما نزلت هذه الآية ندع ابناءنا وابناءكم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا و
فاطمة وحسنا وحسينا ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتى ثم قال تعالى ان هذا لهو القصص الحق اى هذا الذى قصصنا عليك يا محمد
فى شأن عيسى هو الحق البين لا معدل عنه وما من اله الا الله من صلة اى ما اله الا الله وهو العزيز الحكيم فان تولوا اى عن هذا
الى غيره فان الله عليم بالمفسدين اى من عدل عن الحق الى الباطل فهو المفسد والله عليم به وسيجزيه على ذلك شر الجزاء وهو القادر
الذى لا يفوته شى سبحانه وبحمده **قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا**
نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون
هذا الخطاب يعم اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم والكلمة يطلق على الجملة المفيدة كما قال ههنا ثم وصفها بقوله سواء
اى عدل ونصفة نستوى نحن وانتم فيها ثم فسرها بقوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا لا وثنا ولا صنما ولا صليبا ولا نارا
ولا شيئا بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له ثم قال ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله يعنى لا يطيع بعضنا بعضا فى معصية الله
قاله ابن جريج وقيل لا يتخذ بعضنا لبعض فان تولوا اى عن هذا النصف وهذه الدعوة فاشهدوا وهم انتم على استمراركم على الاسلام الذى
شرعه الله لكم وقد ذكرنا فى شرح البخارى عن ابى سفيان فى قصته حين دخل على قيصر فسأله عن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجبته
بجميع ذلك صدقا الا ما داهنت فيه من قوله فى جواب هل يغدر فقلت لا ونحن منه فى مدة ما ندرى ما هو صانع فيها مع ان ابا سفين
كان اذ ذاك مشركا لم يسلم بعد وكان ذلك بعد صلح الحديبية وقبل الفتح قال ثم جئ بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه فاذا
فيه ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء الى قوله مسلمون وقد سبق ان ابن اسحق قال ان صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين
آية نزلت فى وفد نجران وان الزهرى قال هم اول من بذل الجزية ولا خلاف ان آية الجزية نزلت بعد الفتح فما وجه الجمع بين كتابة
هذه الآية قبل الفتح الى هرقل وبين ما ذكره ابن اسحق والجواب من وجوه احدها يحتمل ان هذه الآية نزلت مرتين مرة قبل الحديبية
ومرة بعد الفتح والثانى يحتمل ان قول ابن اسحق ليس بمحفوظ فى جميع ذلك ولا مطلقا لدلالة حديث ابى سفين والثالث يحتمل ان
قدوم وفد نجران كان قبل الحديبية وان ما بذلوه مصالحة عن المباهلة لا على الجزية ووافق نزول الجزية بعد ذلك والرابع يحتمل
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بكتب هذا الكلام فى كتابه الى هرقل ولم ينزل القرآن موافقة له كما نزل لموافقة عمر فى الحجاب
وغيره والله اعلم **يا اهل الكتاب لم تحاجون فى ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده افلا تعقلون**

[illegible]

اى ذو الحكمة
الذى لا مدخل
فى تدبيره وتبيين
والوصف بالعزة
نافى وجود شريك
تعارضه فى ملكه والوصف
بالحكمة يمنع من اتخاذ الصاحبة
والولد

والمعنى تعالوا
واقبلوا الى الكلام مستقيم عدل
عن نهج الحق ونحن وانتم فيه
على السواء اذ انصفنا و
نزلنا عن الاهواء

اى لا يتخذ
بعضنا اربابا

والمنزل اربابا فى طلب الارزاق
الاموال واصحاب الثروة
او الرؤساء والملوك والاحبار و
الرهابين مطاعا نطيعهم فى معصية الله
وترك طاعته وفى ما احدثوا من تحليل حتى
وتحريمهم من غير رجوع الى الشرع اللائحة

ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجّون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون ما كان
ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان اولى الناس بابرهيم
للذين اتّبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين ينكر الله تعالى على اليهود والنصارى في محاجتهم
في ابرهيم ودعوى كل طائفة منهم انه كان منهم قال ابن عباس اجتمعت نصارى نجران واحبار يهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتنازعوا عنده فقالت الاحبار ما كان ابرهيم الا يهوديا وقالت النصارى ما كان ابرهيم الا نصرانيا فنزلت هذه الآية اي كيف
تدعون ايها اليهود انه كان يهوديا وقد كان زمنه قبل ان ينزل الله التورية على موسى وكيف تدعون ايها النصارى انه كان
نصرانيا وانما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر ولهذا قال افلا تعقلون ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم هذا انكار على
من يحاجّ فيما لا علم له به فان اليهود والنصارى تحاجّوا في ابرهيم بلا علم ولو تحاجّوا فيما بايديهم منه علم مما يتعلق باديانهم
التي شرعت لهم الى حين بعثة محمد صلى الله عليه وسلم لكان اولى بهم وانما تكلموا فيما لم يعلموا فانكر الله عليهم ذلك وامرهم
برد ما لا علم لهم به الى عالم الغيب والشهادة الذي يعلم الامور على حقائقها وجلياتها ولهذا قال والله يعلم وانتم لا تعلمون
ثم قال ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما اي متحنفا عن الشرك قصدا الى الايمان ثم قال ان اولى
الناس بابرهيم اي ان احق الناس بمتابعة ابرهيم الذين اتبعوه على دينه وهذا النبي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا
من اصحابه المهاجرين والانصار ومن بعدهم وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لكل نبي ولاة من
النبيين وان وليي منهم ابي وخليل ربي وفي رواية ابي وخليل ربي ثم قرأ ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي
الآية رواه الترمذي وقوله والله ولي المؤمنين اي ولي جميع المؤمنين برسله ودّت طائفة من اهل الكتاب
لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله
وانتم تشهدون يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون وقالت
طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم
يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او
يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء
والله ذو الفضل العظيم هذا اخبار عن حسد اليهود للمؤمنين وارادتهم اضلالهم وان وبال ذلك انما يعود على انفسهم
وهم لا يشعرون فهم ممكور بهم ثم قال تعالى منكرا عليهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون اي تعلمون وتتحققون
حقيتها يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق اي ما في كتبكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانتم تعلمون ذلك وتتحققونه
وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا الآية هذه مكيدة ارادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس امر دينهم وهو انهم
اشتوروا بينهم ان يظهروا الايمان اول النهار ويصلوا مع المسلمين صلوة الصبح فاذا جاء آخر النهار ارتدوا الى دينهم ليقول
الجهلة من الناس انما ردهم الى دينهم اطلاعهم على نقيصة وعيب في دين المسلمين ولهذا قالوا لعلهم يرجعون وعن ابن عباس
قالت طائفة من اهل الكتاب اذا لقيتم اصحاب محمد اول النهار فآمنوا فاذا كان آخره فصلوا صلوتكم لعلهم يقولون هؤلاء
اهل الكتاب وهم اعلم منا وقوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم اي لا تطمئنوا ولا تظهروا اسراركم وما عندكم الا لمن تبع
دينكم ولا تظهروا ما بايديكم الى المسلمين فيؤمنوا به ويحتجوا به عليكم قل ان الهدى هدى الله اي هو الذي يهدي قلوب المؤمنين الى
اتم الايمان بما ينزله على عبده محمد المصطفى عليه الصلوة والسلام من الآيات البينات والدلائل القاطعات فان كتمتم ايها اليهود ما في ايديكم من

بايديكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم يقولون لا تظهروا ما عندكم من العلم للمسلمين
فيتعلموه منكم ويمتازون به عليكم لشدة الايمان به ويحاجوكم به عند الله اي يتخذوه حجة عليكم بما بايديكم فتقوم به الحجة في
الدنيا والآخرة قال الله تعالى قل ان الفضل بيد الله اي الامور كلها تحت تصرفه وهو المعطي المانع يمنّ على من يشاء بالايمان
والعلم والتصرف التام ويضل من يشاء ويعمي بصره وبصيرته ويختم على سمعه وبصره والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء اي اختصكم
ايها المؤمنون من الفضل بما لا يحد ولا يوصف بما شرف به نبيكم صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء وهداكم به لاكمل الشرائع
ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤدّه اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤدّه
اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون على
الله الكذب وهم يعلمون بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين هذا اخبار من الله بان اليهود
خونة تحذيرا للمؤمنين من الاغترار بهم فان منهم من ان تأمنه بقنطار اي من المال يؤدّه اليك وما دونه بطريق الاولى ان يؤديه
القنطار المال الكثير
ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما اي بالمطالبة والملازمة والالحاح في استخلاص حقك واذا كان
الدينار المال القليل يقول منهم من يؤدي الامانة وان كثرت ومنهم من لا يؤديها وان قلت
هذا صنيعه في الدينار فما فوقه اولى ان لا يؤديه وسبق بيان القنطار في اول السورة والدينار معروف وقال مالك بن دينار
انما سمي الدينار لانه دين ونار فمن اخذه بحقه فهو دينه ومن اخذه بغير حقه فله النار ويناسب هذه الآية ما رواه البخاري
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل سأل بعض بني اسرائيل ان يسلفه الف دينار فقال ائتني بالشهداء
اشهدهم قال كفى بالله شهيدا قال ائتني بالكفيل قال كفى بالله كفيلا قال صدقت فدفعها اليه الى اجل مسمى فخرج في البحر فقضى حاجته
ثم التمس مركبا ليركبها يقدم عليه للاجل الذي اجله فلم يجد مركبا فاخذ خشبة فنقرها فادخل فيها الف دينار وصحيفة منه الى صاحبه
ثم زجج موضعها ثم اتى بها الى البحر فقال اللهم انك تعلم اني تسلفت فلانا الف دينار فسألني كفيلا فقلت كفى بالله كفيلا وسألني
شهيدا فقلت كفى بالله شهيدا فرضي بذلك واني جهدت ان اجد مركبا ابعث اليه الذي له فلم اقدر واني استودعتكها فرمى
بها الى البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركبا يخرج الى بلده فخرج الرجل الذي كان اسلفه ينظر لعل مركبا يجيئه
بماله فاذا بالخشبة التي فيها المال فاخذها لاهله حطبا فلما كسرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الرجل الذي كان تسلف منه
فاتاه بالف دينار وقال والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذي اتيت فيه قال هل كنت
بعثت الي بشيء قال الم اخبرك اني لم اجد مركبا قبل هذا قال فان الله قد ادى عنك الذي بعثت في الخشبة فانصرف بالالف دينار راشدا
وقوله ذلك بانهم قالوا اي انما حملهم على جحود الحق انهم يقولون ليس علينا في ديننا حرج في اكل اموال الاميين وهم العرب فان
الله احلها لنا قال تعالى ويقولون على الله الكذب اي وقد اختلقوا هذه المقالة وائتفكوا هذه الضلالة فان الله حرم عليهم اكل
الاموال الا بحقها وانما هم قوم بهت قال سعيد بن جبير لما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل قال نبي الله صلى الله عليه وسلم
كذب اعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية الا وهو تحت قدمي هاتين الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر ثم قال تعالى
بلى من اوفى بعهده اي لكن من اوفى بعهده منكم يا اهل الكتاب الذي عاهدكم الله عليه من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم اذا بعث
كما اخذ العهد والميثاق على الانبياء وامرهم بذلك واتقى محارم الله واتبع طاعته وشريعته فان الله يحب المتقين ان
الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله
ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم اي ان الذين يعتاضون عما عاهدهم الله عليه من اتباع

شادی که درآمد سن دینار و دیست
نی نی تو مشو شاد که دینار و دیست
ای خواجه اگر رضای حق میطلبی
دینار بده ز دست و دین ار دست

في الاميين سبيل
اي طريق فيما اصبنا
من اموالهم [illegible]
[illegible]

عن عبد الله بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اربع من كن فيه كان منافقا خالصا
ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة
من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان
واذا حدث كذب واذا عاهد غدر و
اذا خاصم فجر ٥

محمد صلى الله عليه وسلم وبيان صفته وامره للناس وعن ايمانهم الكاذبة الفاجرة بالاثمان القليلة وهي عروض هذه الحيوة الدنيا الفانية الزائلة فاولئك لا خلاق لهم في الآخرة اي لا نصيب لهم فيها ولا حظ لهم منها ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم بعين الرحمة ولا يزكيهم اي من الذنوب والادناس بل يامر بهم الى النار ولهم عذاب اليم عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم قلت يا رسول الله من هم خسروا وخابوا قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب رواه مسلم وعن وائل بن حجر قال جاء رجل من حضرموت ورجل من كندة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الحضرمي يا رسول الله ان هذا قد غلبني على ارض لي كانت لابي وقال الكندي هي ارضي في يدي ازرعها ليس له فيها حق فقال النبي صلى الله عليه وسلم للحضرمي الك بينة قال لا قال فلك يمينه قال يا رسول الله ان الرجل فاجر لا يبالي على ما حلف عليه قال ليس لك منه الا ذلك فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ادبر اما لئن حلف على ماله ليأكله ظلما ليلقين الله وهو عنه معرض رواه مسلم قال علقمة هو امرؤ القيس بن عابس الكندي وخصمه ربيعة بن عبدان وروي انه لما هم ان يحلف نزلت هذه الآية فامتنع ان يحلف واقر لخصمه ودفعها اليه **وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** اي ان منهم لفريقا يحرفون الكلم عن مواضعه ويبدلون كلام الله ويزيلونه عن المراد به ليوهموا الجهلة انه في كتاب الله كذلك وينسبونه الى الله وهو كذب على الله وهم يعلمون من انفسهم انهم قد كذبوا وافتروا في ذلك كله ولهذا قال وهم يعلمون قال ابن عباس يحرفون يزيلون وليس احد من خلق الله يزيل لفظ كتاب من كتب الله لكنهم يحرفونه يتأولونه على غير تأويله وقال وهب بن منبه ان كتب الله كما انزلها الله لم يغير منها حرف ولكنهم يضلون بالتحريف والتأويل وكتب يكتبونها من عند انفسهم ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله فاما كتب الله فانها محفوظة لا تحول قال ابن ابي حاتم فان عنى وهب بذلك ما بايديهم فلا شك انه قد دخلها التبديل والتحريف والزيادة والنقص وان عنى كتب الله التي هي عنده فهي كما قال محفوظة لم يدخلها شيء **ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يامركم ان تتخذوا الملئكة والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون** قال ابو رافع القرظي اليهودي حين اجتمعت الاحبار من اليهود والنصارى من اهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الاسلام يا محمد اتريد ان نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم فقال رجل من اهل نجران او ذاك تريد منا يا محمد واليه تدعونا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله ان نعبد غير الله او نامر بعبادة غير الله ما بذلك بعثني الله ولا بذلك امرني فانزل الله في ذلك ما كان لبشر الآية اي ما ينبغي لبشر آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة ان يقول للناس اعبدوني من دون الله اي مع الله فاذا كان هذا لا يصلح لنبي ولا لمرسل فلأن لا يصلح لاحد من الناس غيرهم بطريق الاولى والبشر جمع بني آدم لا واحد له من لفظه كالقوم والجيش والحكم العلم والفهم والنبوة المنزلة الرفيعة بالانباء وكان اهل الكتاب يعبد بعضهم بعضا فيتعبدون لاحبارهم ورهبانهم كما قال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا وفي الترمذي ان عدي بن حاتم قال يا رسول الله ما عبدوهم قال بلى انهم احلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم اياهم فالجهلة من الاحبار والرهبان والمشايخ الضلال يدخلون في هذا الذم والتوبيخ بخلاف الرسل واتباعهم من العلماء العاملين فان الرسل هم السفراء بين الله وبين خلقه في اداء الرسالة وابلاغ الامانة فقاموا بذلك اتم القيام والعلماء خلفاؤهم في تقوية الدين وانفاذ الشريعة وقوله ولكن كونوا ربانيين اي ولكن يقول الرسول للناس كونوا ربانيين اي حكماء علماء حلماء اتقياء

وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولهم عذاب اليم رجل حلف على مال مسلم فاقتطعه ورجل حلف انه اعطى بسلعته اكثر مما اعطى وهو كاذب ورجل منع فضل ماء فان الله يقول اليوم امنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك ٩

اين اشارت است بفضيلت معلمان و نواختن معلمان وتنبيهي است بهم معلم را وهم متعلم را مي گويد حكيم نه آنست كه در علم كوشد وروايت ودرايت حكيم آنست كه علم بعمل وگفتار بكردار پيوند چي از ياران رسول صلى الله عليه وسلم در مسجد قبا جمع شوند و مذاكره ميكردند مصطفى صلى الله عليه وسلم در آمد گفت تعلموا ما شئتم ان تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا حديث آنكه خواهيد علم بياموزيد و برخوانيد كه تا علم بعمل نه پيوندد و بدانچه دانيد كار نكنيد هرگز نتوان آن جهانی و نواخت الهي نرسيد قال ابو الدرداء ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات و

وعليه الجمهور وقرئ تعلمون بالتشديد من التعليم وتدرسون اي تحفظون الفاظه وتقرؤون ثم قال ولا يامركم اي ولا يامركم بعبادة احد غير الله لا نبي مرسل ولا ملك مقرب ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون هذا تعجب وانكار اي لا يفعل ذلك فان الانبياء انما يامرون بالايمان وهو عبادة الله وحده لا شريك له **واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون** يخبر الله تعالى انه اخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم الى عيسى عليهما السلام مهما آتى الله احدهم من كتاب وحكمة وبلغ اي مبلغ ثم جاءه رسول من بعده ليؤمنن به ولينصرنه ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته وقوله لما آتيتكم اي لمهما اعطيتكم والاصر هنا العهد فقيل اي تقبل ما حملتم من عهدي وميثاقي الشديد المؤكد وقوله فمن تولى بعد ذلك اي اعرض عن هذا العهد والميثاق فاولئك هم الفاسقون اي الخارجون عن الايمان قال علي بن ابي طالب وابن عباس ما بعث الله نبيا من الانبياء الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وعن عبد الله بن ثابت قال جاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني مررت باخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التورية الا اعرضها عليك قال فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن ثابت فقلت له الا ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا قال فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والذي نفس محمد بيده لو اصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم انكم حظي من الامم وانا حظكم من النبيين رواه احمد وفي بعض الاحاديث لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما الا اتباعي فمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء دائما الى يوم الدين ومقدمهم وامامهم كما امهم ليلة الاسراء ببيت المقدس وهو الشفيع يوم المحشر وصاحب المقام المحمود **افغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** هذا انكار على من اراد دينا سوى دين الاسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له الذي له اسلم من في السموات والارض اي استسلم له من فيهما طوعا وكرها كما جاء في آيات اخر فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله والكافر كرها فانه تحت التسخير والقهر وقد ورد في تفسير هذه الآية حديث على معنى آخر رواه الطبراني مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها اما من في السموات فالملئكة واما من في الارض فمن ولد على الاسلام واما كرها فمن اتي به من سبايا الامم في السلاسل والاغلال يقادون الى الجنة وهم كارهون كما ورد في الصحيح عجب ربك من قوم يقادون الى الجنة في السلاسل وقوله واليه ترجعون اي يوم المعاد فيجازي كلا بعمله ثم قال تعالى قل آمنا بالله وما انزل علينا يعني القرآن وعلى غيره من الانبياء من الصحف والوحي والاسباط بطون بني اسرائيل المنشعبة من اولاد اسرائيل وهو يعقوب الاثني عشر وما اوتي موسى وعيسى يعني به التورية والانجيل وما اوتي النبيون من ربهم وهذا يعم جميع الانبياء جملة لا نفرق بين احد منهم بل نؤمن بجميعهم ونحن له مسلمون فالمؤمنون من هذه الامة مؤمنون بكل من ارسل وبكل كتاب انزل لا يكفرون بشيء من ذلك ثم قال ومن يبتغ غير الاسلام دينا اي من سلك طريقا سوى ما شرعه الله فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين كما جاء في الحديث الصحيح من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد **كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملئكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم**

اي لا يرشد الى الصواب من نقض عهد الله واتبع هواه وارتضى على السواد ووضع الكفر والضلال موضع الايمان والرشاد ٩

والمراد بالناس العموم لقوله لعن الله الظالمين لا الكافر

العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم عن ابن عباس
قال كان رجل من الانصار اسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم ندم فارسل الى قومه ان سلوا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة قال
فنزلت الآية فارسل اليه قومه فاسلم هكذا رواه النسائي والحاكم وابن حبان وفي رواية عن مجاهد ان الرجل هو الحارث بن
سويد قال فحملها اليه رجل من قومه فقرأها عليه فقال الحارث انك والله ما علمت لصدوق وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصدق
منك وان الله لاصدق الثلثة قال فرجع الحارث فاسلم وحسن اسلامه وقوله وجاءهم البينات اي قامت عليهم الحجج والبراهين على
صدق ما جاءهم الرسول ووضح لهم الامر ثم ارتدوا الى ظلمة الشرك فكيف يستحق هؤلاء الهداية بعد ما تلبسوا به من العماية و
قوله خالدين فيها اي في اللعنة فلا يفتر عنهم العذاب ولا يخفف عنهم ساعة واحدة والانظار الامهال وقوله الا الذين تابوا
هذا من لطفه ورأفته ورحمته وعائدته على خلقه انه من تاب الى الله تاب الله عليه كما فعل بالحارث بن سويد ان الذين كفروا
بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون ان الذين كفروا وماتوا
وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين
هذا وعيد وتهديد لمن كفر بعد ايمانه ثم ازداد كفرا اي استمر عليه حتى مات فانه لا يقبل توبته عند الممات قال ابن عباس ان قوما
اسلموا ثم ارتدوا ثم اسلموا ثم ارتدوا فارسلوا الى قومهم يسألون لهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية
اي من مات على الكفر فلن ينقذه من عذاب الله شيء ولو افتدى نفسه من الله بملء الارض ذهبا من شرقها الى غربها عن انس عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال يقال للرجل من اهل النار يوم القيمة ارأيت لو كان لك ما على الارض من شيء اكنت مفتديا به قال فيقول نعم
فيقول قد اردت منك اهون من ذلك قد اخذت عليك وانت في ظهر آدم ان لا تشرك بي شيئا فابيت الا الشرك رواياه في الصحيحين
ولهذا قال اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين اي وما لهم من احد ينقذهم من عذاب الله ولا يجيرهم من اليم عقابه لن تنالوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم في الصحيحين عن انس لما نزلت لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون قال ابو طلحة يا رسول الله ان الله يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان احب اموالي الي بيرحاء انها صدقة
لله ارجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ ذاك مال رابح وقد سمعت
ما قلت واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها ابو طلحة في اقاربه وبني عمه وقوله مما تحبون اي من
احب اموالكم اليكم قال الحسن كل انفاق يبتغي به المسلم وجه الله حتى التمرة ينال به هذا البر وقال عطاء لن تنالوا شرف الدين والتقوى
حتى تصدقوا وانتم اصحاء اشحاء كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان
تنزل التورية قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك
هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين قال ابن عباس حضرت
عصابة من اليهود نبي الله صلى الله عليه وسلم فقالوا حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن الا نبي قال سلوني عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة
الله وما اخذ يعقوب على بنيه لئن انا حدثتكم شيئا فعرفتموه لتتابعني على الاسلام قالوا فذلك لك قالوا اخبرنا عن اربع خلال اخبرنا اي
الطعام حرم اسرائيل على نفسه وكيف ماء المرأة وماء الرجل وكيف هذا النبي الامي في النوم ومن وليه من الملئكة فاخذ عليهم العهد لئن اخبرهم
ليتابعنه وقال انشدكم بالذي انزل التورية على موسى هل تعلمون ان اسرائيل مرض مرضا شديدا فطال سقمه فنذر لله نذرا لئن شفاه
الله من سقمه ليحرمن على نفسه احب الطعام واحب الشراب اليه وكان احب الطعام اليه لحمان الابل واحب الشراب اليه البانها
قالوا اللهم نعم قال اللهم اشهد عليهم وقال انشدكم بالله الذي لا اله الا هو والذي انزل التورية على موسى هل تعلمون ان ماء الرجل

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصدق وانت
صحيح شحيح تامل الغنى وتخشى الفقر والمراد
صدقة الفرض او التطوع او كلاهما او ما يعم
المال وغيره مما يتقرب به الى الله تعالى كبذل
الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله
والمهجة في سبيله بالصدق والاخلاص فالحصر
المعنى لا وصول الى المطلوب الا ببذل المحبوب
فمن انفق محبوبه من الاموال وجد مطلوبه من
الاخروي ومن كان مربوطا بحظوظ نفسه لا يجد
مرغوبا من عند ربه وكان السلف اذا احبوا
شيئا من المال جعلوه لله روي ان ابا بكر
كان يكثر الصدقة باللوز والسكر فقيل له ان
ثمنها انفع للفقراء فقال اني احبها فنزل ... الآية
وروي ان عمر رضي الله عنه اشترى جارية حسناء
من سبايا فتح مداين كسرى فاعجبته فاعتقها فقيل له ... الآية ونزل بابي ذر ضيف
فقال للراعي ايتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني فقال وجدت خير الابل فحلها فذكرت
يوم حاجتك

ابيض غليظ وماء المرأة اصفر رقيق فايهما علا كان له الولد والشبه باذن الله ان علا ماء الرجل على ماء المرأة كان ذكرا وان
علا ماء المرأة ماء الرجل كان انثى باذن الله قالوا نعم قال اللهم اشهد عليهم قال وانشدكم بالذي انزل التورية على موسى هل تعلمون
ان هذا النبي الامي تنام عيناه ولا ينام قلبه قالوا اللهم نعم قال اللهم اشهد قال وان وليي جبرئيل ولم يبعث الله نبيا قط الا وهو
وليه قالوا فعندها نفارقك لو كان وليك غيره لتابعناك فعند ذلك قال تعالى قل من كان عدوا لجبريل الآية رواه احمد وقيل سبب
نزول هذه الآية ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تزعم انك على ملة ابرهيم وكان ابرهيم لا ياكل لحوم الابل والبانها وانت
تاكلها ولست على ملته وكل ما نحرمه اليوم كان ذلك حراما على ابرهيم ونوح حتى انتهى الينا فانزل الله هذه الآية فقوله كل الطعام كان حلا
لبني اسرائيل اي كانت حلالا لهم جميع الاطعمة فان نوحا لما خرج من السفينة اباح الله له جميع دواب الارض ياكل منها ثم بعد هذا حرم اسرائيل
على نفسه لحمان الابل والبانها فاتبعه بنوه في ذلك وجاءت التورية بتحريم ذلك ثم قال قل فاتوا بالتورية فاتلوها فانها ناطقة بما قلناه فمن
افترى على الله الكذب اي من كذب على الله وادعى انه شرع لهم السبت والتمسك بالتورية دائما وانه لم يبعث نبيا آخر يدعو الى الله بالبراهين
والحجج بعد هذا الذي بيناه من وقوع النسخ وظهور ما ذكرنا فاولئك هم الظالمون ثم قال قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم اي اتبعوا ملته التي
شرعه في القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فانه الحق الذي لا شك فيه وهي الطريقة التي لم يات نبي باكمل منها ولا ابين ولا اتم ان
اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابرهيم ومن
دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين
اي ان اول بيت وضع لعموم الناس لعبادتهم ونسكهم يطوفون به ويصلون اليه ويعتكفون عنده للذي ببكة يعني الكعبة التي بناها
ابرهيم عليه السلام ونادى الناس الى حجه ولهذا قال مباركا اي وضع مباركا وهدى للعالمين في الصحيحين عن ابي ذر قال قلت يا رسول الله
اي مسجد وضع اول قال المسجد الحرام قلت ثم اي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون سنة قلت ثم اي قال ثم حيث ادركت الصلوة
فصل فكلها مسجد قال علي رضي الله عنه كانت البيوت قبله ولكنه كان اول بيت وضع لعبادة الله وزعم السدي انه اول بيت وضع على وجه
الارض مطلقا والصحيح قول علي وقوله تعالى للذي ببكة هي اسم من اسماء مكة على المشهور قيل سميت بذلك لانها تبك اعناق الجبابرة والظلمة
يعني يذلون بها ويخضعون عندها وقيل لان الناس يتباكون فيها اي يزدحمون قال قتادة ان الله بك الناس جميعا فيصلي النساء
امام الرجال ولا يفعل ذلك ببلد غيرها وقيل بعضهم وقيل البيت وما حوله بكة وما وراء ذلك مكة وقال عطية وعكرمة بكة موضع البيت
وما سوى ذلك مكة ولمكة اسماء كثيرة منها بكة ومكة والبيت الحرام والبيت العتيق والبلد الامين والمامون وام رحم وام القرى والعرش
على وزن بدر والقادس لانها تطهر من الذنوب والمقدسة والناسة بالنون والباء والنساسة والحاطمة والرأس وكوثا والبلدة
والبنية والكعبة وقوله فيه آيات بينات اي دلالات ظاهرة انه من بناء ابرهيم وان الله عظمه وشرفه فيه مقام ابرهيم اي الذي استعان به
ابرهيم في رفع البناء منه الجدران حيث كان يقف عليه ويناوله ولده اسمعيل وقد كان ملصقا بجدار البيت حتى اخره عمر بن الخطاب
رضي الله عنه واما نقل الى موضعه الآن حتى لا يشوش المصلون خلفه بالطوافين قال مجاهد اثر قدميه في المقام آية بينة و
هكذا عن بعض المفسرين وقال ابو طالب في قصيدته وموطئ ابرهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل وقال ابن عباس
الحرم كله مقام ابرهيم وقال مجاهد الحج كله مقام ابرهيم قوله ومن دخله يعني حرم مكة اذا دخله الخائف يامن من كل سوء وكذلك كان الامر
في حال الجاهلية قاله الحسن وقال ابن عباس من عاذ بالبيت اعاذه البيت واذا خرج اخذ بذنبه ومن جملة تحريمها اصطياد
صيدها وتنفيره عن اوكاره وحرمة قطع شجرها وقلع حشيشها كما ثبت في الاحاديث الصحاح منها في الصحيحين عن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيمة لا يعضد

الطعام اسم شامل لجميع ما يؤكل او مصدر
بمعنى المطعوم والحل الحلال مصدر بمعنى
الفاعل يقال حل الرجل حلا فهو حلال

من شرطه والجملة مستانفة اي من دخل البيت
لقضاء النسك متقربا لله عائذا بالحجة متوجها
اليه معرفة وحجة يكون آمنا يوم القيمة
يكون آمنا يوم القيمة ويؤيده الدليل
قوله عليه السلام من صبر على حر مكة ساعة
من نهار تباعدت جهنم عنه مسيرة مائتين
عام

شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاها فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقينهم ولبيوتهم
فقال الا الاذخر ولهما عن ابي هريرة نحوه وعن ابي شريح العدوي انه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث ائذن لي ايها
الامير ان احدثك قولا قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح سمعته اذناي ووعاه قلبي وابصرته عيناي حين
تكلم به انه حمد الله واثنى عليه ثم قال ان مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر
ان يسفك بها دما ولا يعضد بها شجرة فان احد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقولوا ان الله اذن لرسوله
ولم ياذن لكم وانما اذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد الغائب رواه مسلم
وغيره وعن ابن عباس مرفوعا من دخل البيت دخل في حسنة وخرج من سيئة وخرج مغفورا له وقوله تعالى ولله على الناس حج البيت
هذه آية وجوب الحج عند الجمهور وقيل بل هي قوله واتموا الحج والعمرة لله والاول اظهر وقد وردت الاحاديث بانه احد اركان الاسلام
ودعائمه وقواعده وقد اجمعوا عليه اجماعا ضروريا وانما يجب على المكلف في العمر مرة واحدة بالنص والاجماع وفي مسند احمد عن
ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل اكل عام يا رسول الله فسكت حتى
قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم رواه مسلم وعن ابن عباس قال خطبنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يا ايها الناس ان الله قد فرض عليكم الحج فقام الاقرع بن حابس فقال يا رسول الله افي كل عام قال لو قلتها لوجبت ولو
وجبت لم تعملوا بها ولم تستطيعوا ان تعملوا بها الحج مرة فمن زاد فهو تطوع رواه احمد وابو داود والنسائي واما الاستطاعة
فتارة يكون الشخص مستطيعا بنفسه وتارة بغيره كما هو مقرر في كتب الفقه عن ابن عمر قال قام رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
من الحاج يا رسول الله قال الشعث التفل فقام آخر فقال اي الحج افضل يا رسول الله فقال العج والثج فقام آخر فقال ما السبيل يا رسول الله
قال الزاد والراحلة رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجلوا الى الحج يعني
الفريضة فان احدكم لا يدري ما يعرض له رواه احمد وقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين قال ابن عباس واكثر التابعين ومن جحد
فريضة الحج فقد كفر والله غني عنه وقال عكرمة لما نزلت فريضة الحج قالت اليهود لم يكتب علينا وابوا ان يحجوا قال الله ومن كفر
فان الله غني عن العالمين وعن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه
ان يموت يهوديا او نصرانيا وذلك ان الله تعالى يقول ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا رواه الترمذي وابن جرير و
ابن ابي حاتم **قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا اهل الكتاب**
لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون
هذا تعنيف من الله لكفرة اهل الكتاب على عنادهم للحق وكفرهم بآيات الله وصدهم عن سبيله من اراده من اهل الايمان بجهدهم
وطاقتهم مع علمهم ان ما جاء به الرسول حق من عند الله بما عندهم من العلم عن الانبياء المتقدمين عليهم السلام وما بشروا به و
نوهوا من ذكر النبي العربي سيد العالمين وقد توعدهم الله على ذلك بانه شهيد على صنيعهم ذلك وما خالفوا بايديهم عن الانبياء
ومقابلتهم الرسول المبشر بالتكذيب والجحود وانه ليس بغافل عما تعملون وسيجزيهم على ذلك يوم لا ينفعهم مال ولا بنون والصد المنع
والصرف والعوج والزيغ والميل والله اعلم **يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب**
يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله
فقد هدي الى صراط مستقيم هذا تحذير من الله لعباده المؤمنين ان تطيعوا اهل الكتاب الذين يحسدونهم على ما آتاهم
الله من فضله لئلا يضلوهم ويلقوهم في الكفر ثم قال وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله اي ان الكفر بعيد عنكم وحاشاكم منه

الشعث المتفرق الشعر والمراد بالعج رفع الصوت بالتلبية والثج اراقة دم الهدي

فان آيات الله تنزل على رسوله ليلا ونهارا وهو يتلوها عليكم ويبلغها اليكم وهذا كقوله تعالى وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول
يدعوكم الى قوله رؤف رحيم كما روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الخلق اعجب اليكم
ايمانا قالوا الملائكة قال وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم قالوا فالنبيون قال ما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم قالوا
فنحن قال وما لكم لا تؤمنون وانا بين اظهركم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اعجب الخلق الي ايمانا لقوم يكونون
من بعدي يجدون صحفا فيها كتاب يؤمنون بها رواه البيهقي في دلائل النبوة وقوله ومن يعتصم بالله اي ومع هذا فالاعتصام
بالله والتوكل عليه هو العمدة في الهداية والعدة في مباعدة الغواية والوسيلة الى الرشاد وحصول المراد **يا ايها الذين**
آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم
على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون قال عبد الله بن مسعود
اتقوا الله حق تقاته هو ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر رواه الحاكم مرفوعا والموقوف اصح وقد ذهب
جماعة من التابعين وغيرهم الى ان هذه الآية منسوخة بقوله فاتقوا الله ما استطعتم وقال ابن عباس لم تنسخ ولكن حق تقاته ان
يجاهد في سبيله حق جهاده ولا تاخذهم في الله لومة لائم ويقوموا بالقسط ولو على انفسهم وابائهم وابنائهم وقوله ولا
تموتن الا وانتم مسلمون اي حافظوا على الاسلام في حال صحتكم وسلامتكم لتموتوا عليه فان الكريم قد اجرى عادته بكرمه انه من
عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بعث عليه فنعوذ بالله من خلاف ذلك عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول قبل موته بثلاث لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله رواه مسلم وقوله واعتصموا بحبل الله جميعا اي بعهد الله و
قيل يعني القرآن كما جاء في الحديث في صفته هو حبل الله المتين وقوله ولا تفرقوا امرهم الله بالجماعة ونهاهم عن الفرقة كما في صحيح مسلم
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا
بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وان تناصحوا من ولاه الله امركم ويسخط لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال وقوله واذكروا نعمة
الله عليكم نزلت الآية في شان الاوس والخزرج فانه قد كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية وضغائن طال بسببها الوقائع بينهم فلما جاء الله
بالاسلام فدخلوا فيه صاروا اخوانا متحابين بجلال الله متواصلين في ذات الله متعاونين على البر والتقوى وكانوا على شفا حفرة من
النار اي على طرفها بسبب كفرهم فانقذهم الله منها ان هداهم للايمان وقد امتن عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قسم غنائم
حنين حين عتب بعضهم بما فضل عليهم في القسمة بما اراه الله فخطبهم فقال يا معشر الانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم
متفرقين فالفكم الله بي وعالة فاغناكم الله بي كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله امن وروى ابن اسحق ان رجلا من اليهود مر بملا
من الاوس والخزرج فساءه ما هم عليه من الاتفاق والالفة فبعث رجلا معه وامره ان يجلس بينهم ويذكرهم ما كان من حروبهم يوم
بعاث وتلك الحروب ففعل فلم يزل ذلك دابه حتى حميت نفوس القوم وغضب بعضهم على بعض وتثاوروا ونادوا
بشعارهم وتواعدوا الى الحرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتاهم فجعل يسكنهم ويقول ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم
وتلا عليهم هذه الآية فندموا واصطلحوا والقوا السلاح وتعانقوا رضي الله عنهم **ولتكن منكم امة يدعون الى الخير و**
يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من
بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم
اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها

فقد هدي الى صراط مستقيم
اي ارشد الى دين
الاسلام وكمال
الهداية الى المرام

وفي الحديث انما انا بشر يوشك ان ياتيني
رسول ربي فاجيبه واني خلفت فيكم شيئين
لن تضلوا ابدا ما اخذتم بهما وعملتم بما فيهما
كتاب الله وسنتي

المسلمين المتفقين
على الحق والصواب

امة فاعل وما بعدها صفتها ان كان يكن تامة
اي ولتكن منكم جماعة منهم كفاية وعلم
بالاحكام وتدبير الامور للامام
وهي لام الامر للتاكيد

تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما في السموات وما في الارض والى الله

ترجع الامور اي ولتكن منكم امة منتصبة للقيام بامر الله في الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال الضحاك هم خاصة الصحابة والمجاهدون والعلماء وقال محمد الباقر الخير اتباع القرآن والسنة والمقصود من الآية ان تكون فرقة من الامة متصدية لهذا الشأن بلا فتور وان كان ذلك واجبا على كل فرد من الامة بحسبه كما ثبت في صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان وفي رواية وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل وعن حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم رواه احمد والترمذي وحسنه ثم قال تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا الآية ينهى هذه الامة ان يكونوا كالامم الماضية في افتراقهم واختلافهم وتركهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قيام الحجة عليهم عن معاوية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلث وسبعين ملة يعني الاهواء كلها في النار الا واحدة وهي الجماعة رواه ابو داود واحمد بن حنبل وقوله يوم تبيض وجوه يعني يوم القيمة حين تبيض وجوه اهل السنة والجماعة وتسود وجوه اهل البدعة والضلالة قاله ابن عباس فاما الذين اسودت قال الحسن هم المنافقون وقوله فذوقوا العذاب هذا نعت كل كافر واما الذين ابيضت وجوههم يعني في الجنة ماكثون فيها ابدا لا يبغون عنها حولا وقوله تلك آيات الله اي هذه آيات الله وحججه وبيناته نتلوها عليك يا محمد بالحق اي نكشف ما الامر عليه في الدنيا والآخرة وما الله يريد ظلما للعالمين اي ليس بظالم لهم بل هو الحكم العدل الذي لا يجور لانه القادر على كل شيء العالم بكل شيء فلا يحتاج مع ذلك الى ان يظلم احدا من خلقه ولهذا قال ولله ما في السموات وما في الارض اي الجميع ملك له والى الله ترجع الامور اي هو المتصرف في الدنيا والآخرة الحاكم فيهما

كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤ بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون

يخبر الله عن هذه الامة الهادية بانهم خير الامم فقال كنتم خير امة عن ابي هريرة كنتم خير امة اخرجت للناس قال خير الناس للناس يأتون بهم في السلاسل في اعناقهم حتى يدخلوا في الاسلام رواه البخاري وهكذا قال ابن عباس والاكثرون يعني انهم خير الامم وانفع الامم للناس ولهذا قال تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر عن درة بنت ابي لهب قالت قام رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فقال يا رسول الله اي الناس خير قال خير الناس اقرأهم واتقاهم وآمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واوصلهم للرحم رواه احمد والنسائي والصحيح ان هذا عام في جميع الامة كل قرن بحسبه وخير قرونهم الصحابة رضي الله عنهم ثم الذين يلونهم وفي مسند احمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انتم توفون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله عز وجل حسنه الترمذي وانما حازت هذه الامة قصب السبق الى الخيرات بنبيها محمد صلى الله عليه وسلم فانه اشرف خلق الله واكرم الرسل على الله عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت ما لم يعط احد من الانبياء فقلنا يا رسول الله ما هو قال نصرت بالرعب واعطيت مفاتيح الارض وسميت احمد وجعل التراب لي طهورا وجعلت امتي خير الامم رواه احمد وعن ابي الدرداء قال سمعت ابا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يقول يا عيسى اني باعث بعدك امة ان اصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وان اصابهم

ما يكرهون

وأولئك هم المفلحون

واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم

وجوههم

٧٩

ما يكرهون احتسبوا وصبروا ولا حلم ولا علم قال يا رب كيف هذا لهم ولا حلم ولا علم قال اعطيهم من حلمي وعلمي رواه احمد وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت سبعين الفا يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر قلوبهم على قلب رجل واحد فاستزدت ربي فزادني مع كل واحد سبعين الفا رواه احمد وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة سبعون الفا بغير حساب ولا عذاب قيل من هم يا رسول الله قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وفي رواية وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم فقام رجل آخر فقال سبقك عكاشة رواه مسلم والبخاري نحوه ولهذا الحديث طرق كثيرة وروايات مختلفة فيها زيادات من العدد والفضيلة ولله الحمد وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ترضون ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا ثم قال اما ترضون ان تكونوا ثلث اهل الجنة فكبرنا ثم قال اني لارجو ان تكونوا شطر اهل الجنة وعن بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اهل الجنة عشرون ومائة صف هذه الامة من ذلك ثمانون صفا رواه الترمذي وحسنه وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن الآخرون الاولون يوم القيمة نحن اول الناس دخولا الجنة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه الناس لنا فيه تبع غدا لليهود وللنصارى بعد غد والاحاديث في هذا الباب كثيرة فمن كان متصفا بما في معنى هذه الآية دخل معهم في هذا الثناء عليهم والمدح لهم كما قال عمر بن الخطاب من سره ان يكون من تلكم الامة فليؤد شرط الله فيها رواه ابن جرير ومن لم يتصف بذلك اشبه اهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ولهذا لما مدحهم الله بها شرع في ذم اهل الكتاب وتأنيبهم فقال ولو آمن اهل الكتاب اي بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم لكان خيرا لهم منهم المؤمنون اي قليل منهم من يؤمن بالله وما انزل اليهم واكثرهم على الضلالة والكفر ثم قال تعالى مبشرا عباده المؤمنين ان النصر والظفر لهم على اهل الكتاب فقال لن يضروكم الا اذى الآية وهكذا وقع فانهم يوم خيبر اذلهم الله وارغم انوفهم وكذلك من قبلهم من يهود المدينة بني قينقاع والنضير وقريظة كلهم اذلهم الله وكذلك نصارى الشام كسرهم الصحابة في غير موطن وسلبوهم ملك الشام ابد الآبدين ولا تزال عصابة الاسلام قائمة بامر الله حتى ينزل عيسى ابن مريم ويحكم بملة الاسلام ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ولا يقبل الا الاسلام ثم قال تعالى ضربت عليهم الذلة اي الزمهم الله الذلة والصغار اينما كانوا فلا يأمنون الا بحبل من الله اي بذمة من الله وهو عقد الذمة لهم وضرب الجزية عليهم والزامهم احكام الملة وحبل من الناس اي امان منهم لهم كما في المهادن والمعاهد والاسير اذا امنه احد من المسلمين ولو امرأة قال ابن عباس اي بعهد من الله وعهد من الناس وعليه اكثر التابعين وقوله وباؤوا بغضب من الله اي الزموا فالتزموا بغضب من الله وهم يستحقونه وضربت عليهم المسكنة اي الزموها قدرا وشرعا ولهذا قال ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق وانما حملهم على ذلك الكبر والبغي والحسد فاعقبهم ذلك الذلة والصغار ابدا متصلا بذل الآخرة ثم قال ذلك بما عصوا اي انما حملهم على الكفر بآيات الله وقتل رسله انهم كانوا يكثرون العصيان لاوامر الله والغشيان لمعاصي الله والاعتداء في شرع الله عياذا بالله من ذلك

ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت

حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون قال ابن مسعود وغيره اي لا يستوى اهل الكتاب وامة محمد صلى الله عليه وسلم ويؤيد ذلك ما قال اخر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة صلوة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل هذه الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم قال وانزلت هذه الاية الى قوله عليم بالمتقين رواه احمد والمشهور عند كثير من المفسرين كما روى عن ابن عباس انها نزلت فيمن امن من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية وغيرهما اي لا يستوى من تقدم ذكرهم بالذم من اهل الكتاب وهؤلاء الذين اسلموا ولهذا قال ليسوا سواء اي ليس هم على حد سواء بل منهم المؤمن ومنهم المجرم ولهذا قال من اهل الكتاب امة قائمة اي بامر الله مطيعة لشرعه فهي مستقيمة يتلون ايات الله اي يقومون الليل ويكثرون التهجد ويتلون القرآن في صلوتهم يؤمنون بالله واليوم الآخر وهؤلاء هم المذكورون في آخر السورة وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله الى قوله سريع الحساب وما تفعلوا من خير اي لا يخفى على الله عمل عامل ولا يضيع لديه اجر من احسن عملا ثم قال مخبرا عن الكفرة بانه لن تغني عنهم اموالهم اي لا ترد عنهم باس الله وعذابه اذا اراده بهم ثم ضرب مثلا لما ينفقه الكفار في هذه الدار والصر البرد الشديد وقيل النار يعنى السموم الحارة التي تهلك وهذا قريب منه لان البرد الشديد يحرق الزرع والثمار كما يحرق الشيء النار وقوله فاهلكته اي احرقته اذا نزلت على حرث قد آن جذاذه او حصاده فلم ينتفع اصحابه منه بشيء فكذلك الكفار يمحق الله ثواب اعمالهم وثمرتها كما اذهب ثمرة هذا الحرث بذنوب صاحبه وكذلك بسبب ظلمهم على انفسهم بالكفر والمعصية يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط هذا نهي للمؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة اي لا تطلعوهم على سرائركم وما تضمرونه لاعدائكم والمنافقون بجهدهم وطاقتهم لا يألون المؤمنين اي لا يقصرون فيما يوقعهم في الشر والفساد فقوله من دونكم اي من غيركم من اهل الاديان وبطانة الرجل خاصة اهله الذين يطلعون على داخلة امره كما جاء في البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان بطانة تامره بالخير وتحضه عليه وبطانة تامره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله وقيل لعمر بن الخطاب ان ههنا غلاما من اهل الحيرة وكان من اهل الذمة كاتب فلو اتخذته كاتبا قال قد اتخذت اذا بطانة من دون المؤمنين وقوله ودوا ما عنتم اي يودون ما يشق عليكم من الضرر والشر والعنت المشقة وقوله قد بدت البغضاء من افواههم اي وقد لاح على صفحات وجوههم وفلتات السنتهم من العداوة مع ما هم مشتملون عليه في صدورهم من البغضاء للاسلام واهله ما لا يخفى مثله على لبيب ولهذا قال قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون وقوله ها انتم اولاء تحبونهم اي انتم ايها المؤمنون تحبون المنافقين بما يظهرون لكم من الايمان فتحبونهم على ذلك وهم لا يحبونكم لا ظاهرا ولا باطنا وتؤمنون بالكتاب كله اي ليس عندكم في شيء منه شك ولا ريب وعندهم الشك والريب والحيرة وعن ابن عباس اي تؤمنون بكتابكم وكتابهم وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم فانتم احق بالبغضاء لهم منهم لكم والانامل اطراف الاصابع قاله قتادة وقال الشاعر وما حملت كفاي انملي العشرا وقال آخرون هي الاصابع وهذا شان المنافقين يظهرون للمؤمنين الايمان والمودة وهم في الباطن بخلاف ذلك من كل وجه كما قال تعالى واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وذلك اشد الغيظ والحنق قال تعالى

قل موتوا بغيظكم اي مهما كنتم تحسدون عليه المؤمنين ويغيظكم ذلك منهم فاعلموا ان الله متم نعمته على عباده المؤمنين ومكمل دينه فموتوا انتم غيظا ان الله عليم بذات الصدور اي بما يطوى عليه ضمائركم وتكنه سرائركم من الحسد والغل للمؤمنين وهو مجازيكم عليه في الدنيا بالذل والهوان وفي الآخرة بالعذاب الشديد ثم قال ان تمسسكم حسنة تسؤهم هذا دال على شدة عداوتهم للمؤمنين وهو انهم اذا اصاب المؤمنين نصر وتأييد وخصب ساء ذلك المنافقين وان اصابهم سيئة اما جدب او اديل عليهم الاعداء يفرحوا بها لما لله في ذلك من الحكمة كما جرى يوم احد فرح المنافقون بذلك قال تعالى مخاطبا عباده المؤمنين وان تصبروا الآية يرشدهم الى السلامة من شر الاشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل عليه ولا حول ولا قوة الا بالله فانه محيط بهم وهو الذي ما شاء كان وما لم يشا لم يكن ولا يقع شيء في الوجود الا بتقديره ومشيته ثم شرع في قصة احد وما كان فيها من الاختبار لعباده المؤمنين والتمييز بين المؤمنين والمنافقين وبيان صبر الصابرين فقال واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون المراد بهذه الوقعة يوم احد وكانت يوم السبت من شوال سنة ثلث من الهجرة قال قتادة لاحدى عشرة خلت منها وكان سببها ان المشركين حين قتل من قتل من اشرافهم يوم بدر وسلمت العير بما فيها من التجارة التي كانت مع ابي سفين فلما رجعوا الى مكة قال ابناء من قتل ورؤساء من بقي لابي سفين ارصد هذه الاموال لقتال محمد فانفقوها في ذلك وجمعوا الجموع والاحابيش واقبلوا في قريب من ثلثة آلاف حتى نزلوا قريبا من احد تلقاء المدينة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة واستشار الناس اخرج اليهم ام نمكث بالمدينة فاشار عبد الله بن ابي بالمقام بالمدينة فانهم ان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوها قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين واشار آخرون من الصحابة ممن لم يشهد بدرا بالخروج اليهم فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لامته وخرج عليهم وقد ندم بعضهم وقالوا لعلنا استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان شئت ان نمكث فقال ما ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يرجع حتى يحكم الله له فسار عليه الصلوة والسلام في الف من اصحابه فلما كان بالشوط رجع عبد الله بن ابي في ثلث الجيش مغضبا لكونه لم يرجع الى قوله وقال هو واصحابه لو نعلم اليوم قتالا لاتبعناكم ولكنا لا نراكم تقاتلون واستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرا حتى نزل الشعب من احد في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وقال لا يقاتلن احد حتى نامره بالقتال وتهيأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال يوم السبت وهو في سبعمائة من اصحابه وامر على الرماة عبد الله بن جبير اخا بني عمرو بن عوف والرماة يومئذ خمسون رجلا فقال انضحوا الخيل عنا ولا نؤتين من قبلكم والزموا مكانكم ان كانت النوبة لنا او علينا وان رايتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم فظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين واعطى اللواء مصعب بن عمير اخا بني عبد الدار واجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الغلمان يومئذ وارجأ آخرين حتى امضاهم يوم الخندق بعد هذا اليوم بقريب من سنتين وتعبأت قريش وهم ثلثة آلاف ومعهم مائتا فرس قد جنبوها فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن ابي جهل ودفعوا اللواء الى بني عبد الدار ثم كان بين الفريقين ما سياتي في مواضعه عند هذه الآيات ولهذا قال تعالى واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين اي تنزلهم منازلهم وتجعلهم ميمنة وميسرة وحيث امرتهم والله سميع لما تقولون عليم بضمائركم وقوله اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا الآية عن جابر بن عبد الله قال فينا

اي تسعون في اضرارهم بكل ممكن مما يستطيعون من المكر والخديعة والجبال الشر والفساد

واذا لقوكم قالوا آمنا

واذكر حين خرجت غدوة من حجرة عائشة

نزلت اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما نحب وفي رواية وما يسرني انها لم تنزل لقول الله تعالى والله وليهما وقوله ولقد نصركم الله ببدر كان في يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة اثنين من الهجرة وهو يوم الفرقان الذي اعز الله فيه الاسلام واهله ودمغ فيه الشرك وحزبه هذا مع قلة عدد المسلمين يومئذ فانهم كانوا ثلثمائة و ثلثة عشر رجلا فيهم فارسان وسبعون بعيرا والباقون مشاة ليس معهم من العدد جميع ما يحتاجون اليه وكان العدو يومئذ ما بين التسعمائة الى الالف في سوابغ الحديد والبيض والعدة الكاملة من الخيول المسومة والخيلاء الزائدة فاعز الله رسوله واظهر وحيه وتنزيله وبيض وجه النبي وقبيله واخزى الشيطان وجيله ولهذا قال تعالى ممتنا على المؤمنين المتقين ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة اي قليل عددكم لتعلموا ان النصر انما هو من عند الله لا بكثرة العدد والعدد ولهذا قال في الآية الاخرى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم الآية وبدر محلة بين الحرمين تعرف ببدر بن النارين وقيل بدر بئر لرجل يسمى بدرا وقوله فاتقوا الله لعلكم تشكرون اي تقوموا بطاعته **اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم** اختلفوا في هذا الوعد هل كان يوم بدر او يوم احد على قولين احدهما ان قوله اذ تقول للمؤمنين متعلق بقوله ولقد نصركم الله ببدر روي هذا عن اكثر التابعين وعليه ابن جرير قال الشعبي ان المسلمين بلغهم يوم بدر ان كرز بن جابر يمد المشركين فشق عليهم فانزل الله الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملائكة منزلين الى قوله مسومين فبلغت كرزا الهزيمة فلم يمد المشركين وقال الربيع بن انس امد الله المسلمين بالف ثم صاروا ثلثة الاف ثم صاروا خمسة الاف فان قيل فما وجه الجمع بين هذه الآية على هذا القول وبين قوله تعالى في قصة بدر اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين فالجواب ان التنصيص على الالف ههنا لا ينافي الثلثة الالاف فما فوقها لقوله مردفين يعني يردفهم غيرهم ويتبعهم الوف اخر مثلهم فالظاهر ان ذلك كان يوم بدر كما هو المعروف ان قتال الملائكة انما كان يوم بدر والقول الثاني ان هذا الوعد متعلق بقوله واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين وذلك يوم احد وهو قول مجاهد وغيره من التابعين لكن قالوا لم يحصل الامداد بالخمسة الالاف لان المسلمين فروا يومئذ زاد عكرمة ولا بالثلثة الالاف لقوله تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا فلم يصبروا بل فروا فلم يمدوا بملك واحد وقوله بلى ان تصبروا يعني تصبروا على مصابرة العدو وتتقوني وتطيعوا امري وقوله ويأتوكم من فورهم هذا قالوا اي من وجههم هذا وقال مجاهد وغيره اي من غضبهم هذا وقيل من سفرهم هذا وقوله يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين اي معلمين بالسيما عن علي بن ابي طالب كان سيما الملائكة يوم بدر الصوف الابيض في نواصي خيولهم وقيل بالصوف الاحمر وقال مجاهد محذفة اعرافها معلمة نواصيها واذنابها بالصوف الابيض وقيل مسومين بالعمائم وعن ابن عباس مرفوعا كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم سود ويوم حنين عمائم حمر ولم تقاتل الملائكة الا يوم بدر وكانوا في غيره عددا ومددا لا يضربون وقال ابن الزبير كان على الزبير يوم بدر عمامة صفراء معتجرا بها فنزلت الملائكة عليهم صفر وقوله وما جعله الله اي وما انزل الله الملائكة الا بشرى لكم وتطييبا لقلوبكم وتطمينا لها والا فانما النصر من عند الله الذي لو شاء لانتصر

من اعدائه بدونكم ومن غير احتياج الى قتالكم ولهذا قال وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم اي هو ذو العزة التي لا ترام والحكمة في قدره والاحكام ثم قال تعالى ليقطع طرفا اي امركم بالجهاد والجلاد لما له في ذلك من الحكمة ليهلك امة من الذين كفروا او يكبتهم اي يصرعهم بوجوههم وقيل يخزيهم فينقلبوا اي يرجعوا خائبين اي لم يحصلوا على ما املوه من الظفر ثم اعترض بجملة دلت على ان الحكم في الدارين له وحده لا شريك له فقال ليس لك من الامر شيء اي بل الامر كله الي وقيل اي ليس لك من الحكم شيء في عبادي الا ما امرتك به فيهم ثم ذكر تعالى بقية الاقسام فقال او يتوب عليهم اي مما هم فيه من الكفر ويهديهم بعد الضلالة او يعذبهم في الدنيا والآخرة على كفرهم وذنوبهم ولهذا قال فانهم ظالمون اي يستحقون ذلك عن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا رفع راسه من الركوع في الركعة الثانية من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا بعدما يقول سمع الله لمن حمده فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء الآية رواه البخاري والنسائي وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد ان يدعو على احد او يدعو لاحد قنت بعد الركوع وربما قال اذا قال سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف يجهر بذلك وكان يقول في بعض صلوته في صلوة الفجر اللهم العن فلانا وفلانا لاحياء في العرب حتى انزل الله ليس لك من الامر شيء رواه البخاري ثم قال تعالى ولله ما في السموات وما في الارض اي الجميع ملكه واهلهما عبيد بين يديه يغفر لمن يشاء اي هو المتصرف فلا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل والله غفور رحيم **يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين** ينهى الله عباده المؤمنين عن تعاطي الربوا واكله اضعافا مضاعفة كما كانوا يعادونه في الجاهلية اذا حل الاجل يقولون اما ان تقضي واما ان تربي فان قضاه والا زاده في القدر وزاده الآخر في المدة وهكذا كل عام فيتضاعف القليل حتى يصير كثيرا مضاعفا وامرهم بالتقوى لعلهم يفلحون في الاولى والاخرى ثم توعدهم بالنار وحذرهم منها فقال واتقوا النار التي اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ثم ندبهم الى فعل الخيرات فقال وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات فهذا تنبيه على اتساع طولها اي فما ظنك بطولها وقيل بل عرضها كطولها لانها قبة تحت العرش والشيء المقبب والمستدير عرضه كطوله وقد دل على ذلك ما ثبت في الصحيح اذا سألتم الجنة فاسألوه الفردوس فانه اعلى الجنة واوسط الجنة ومنه تفجر انهار الجنة وسقفها عرش الرحمن وفي مسند احمد ان هرقل كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم انك دعوتني الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله اين الليل اذا جاء النهار يعني حيث شاء الله وهذا يحتمل انه لا يلزم من عدم مشاهدتنا الليل اذا جاء النهار ان لا يكون في مكان وان كنا لا نعلمه وكذلك النار حيث شاء الله او ان المعنى ان النهار اذا تغشى وجه العالم من هذا الجانب فان الليل يكون من الجانب الآخر فكذلك الجنة في اعلى عليين فوق السموات تحت العرش والنار في اسفل السافلين ثم ذكر تعالى صفة اهل الجنة فقال الذين ينفقون في السراء والضراء اي في

وعلى الله فليتوكل المؤمنون

بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة

قوله ويأتوكم من فورهم هذا اي ويأتيكم المشركون من ساعتهم هذه من غير لبث والفور مصدر بمعنى الغليان والتحرك يقال فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق على الحالة التي لا توقف فيها ولا تراخي والمعنى ياتوكم في الحال قوله يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين اي يزد في عددكم ربكم بخمسة الالاف من الملائكة معلمين للقتال من التسويم الذي يوطها سيما الشر ماخوذ من السومة التي هي العلامة تقرى بكسر الواو بمعنى قد اعلموا نفوسهم بعلامة صفرا وبيض قد ارخوها بين اكتافهم واعلموا خيولهم بالصوف الابيض في نواصيها واذنابها وبفتح الواو فانهم سوموا والمعنى ان صبرتم على المقاتلة واخرتم من المخالفة

لعل ربك في الامر شي اي ليس لك من هذا الامر او من امر القتال شي وانما هو امر الله وحده قيل لما كسرت رباعية النبي صلعم يوم احد وشج راسه ودمي وجهه وتسيل الدم عليه وجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم واراد ان يدعو عليهم او لما هم ان يدعو على المنهزمين من اصحابه يوم احد او لما دعا في قنوت الفجر على بني سليم ورعل وذكوان بالاستيصال حين قتلوا سبعين رجلا من قراء المهاجرين الذين علموهم القران نزلت الاية الكريمة منعاله صلى الله عليه وسلم عن ذلك لعلمه بان فيهم من يؤمن ويحسن حاله في الاسلام اي ليس اليك يا محمد امر السعادة العباد و هدايتهم او امر شقاوتهم وتكاثهم او امر قطعهم وكبتهم وخيبتهم لانك عبد مبلغ لا تملك من امر الخلق شيئا لتلعنهم او تدعو عليهم وانما انا الذي اتوب على من اشاء واعذب من اشاء وعواقب العباد عليك مستورة لانك لا تدري لبرقي وحكمي فيهم

قال صلى الله عليه وسلم السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار والجاهل السخي احب الى الله من العالم البخيل

[illegible]

البر والرخاء والمنشط والمكره وجميع الاحوال اي انهم لا يشغلهم امر من طاعة الله والانفاق في مراضيه والاحسان الى خلقه
من قراباتهم وغيرهم بانواع البر وقوله والكاظمين الغيظ اي اذا ثار بهم الغيظ كظموه يعني كتموه فلم يعملوه وعفوا مع ذلك عمن اساء
اليه وقد ورد في الآثار يقول الله ابن آدم اذكرني اذا غضبت اذكرك اذا غضبت فلا اهلكك فيمن اهلك وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ليس الشديد بالصرعة لكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب رواه احمد وعن حارثة بن قدامة انه سأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله قل لي قولا ينفعني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغضب فاعاد عليه مرارا كل ذلك يقول لا تغضب رواه
احمد وعن ابي ذر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا غضب احدكم وهو قائم فليجلس فان ذهب عنه الغضب والا فليضطجع رواه
احمد وعن معاذ بن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو قادر على ان ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى
يخيره من اي الحور شاء رواه ابو داود والترمذي وحسنه وغيرهم ثم قال والعافين عن الناس اي مع كف الشر يعفون عمن ظلمهم في
انفسهم موجدة على احد وهذا اكمل الاحوال ولهذا قال والله يحب المحسنين وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان
يوم القيمة نادى مناد يقول اين العافون عن الناس هلموا الى ربكم وخذوا اجوركم وحق على كل امرئ مسلم اذا عفى ان يدخل الجنة قوله
والذين اذا فعلوا فاحشة اي اذا صدر عنهم ذنب اتبعوه بالتوبة والاستغفار عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان رجلا اذنب ذنبا
فقال رب اني اذنبت ذنبا فاغفره لي فقال الله عز وجل عبدي عمل ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي ثم عمل
ذنبا آخر فقال رب اني عملت ذنبا فاغفره فقال عز وجل عبدي علم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به اشهدكم اني قد غفرت لعبدي
فليعمل ما شاء رواه احمد والبخاري ومسلم وفي الاستغفار احاديث كثيرة وقوله ولم يصروا اي تابوا من ذنوبهم ورجعوا الى الله عن قريب
ولم يستمروا على المعصية ولو تكرر منهم الذنب تابوا منه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم
سبعين مرة رواه ابو داود والترمذي وقوله وهم يعلمون قال مجاهد اي ان من تاب تاب الله عليه وهذا كقوله الم يعلموا
ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وقيل وهم يعلمون ان الاصرار ضار وانه معصية ثم قال تعالى اولئك جزاؤهم اي على هذه الصفات
مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار اي من انواع المشروبات ماكثين فيها ونعم اجر العاملين يعني الجنة قد خلت
من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة
للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح
مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين
وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون يخاطب الله
عباده المؤمنين الذين قتل منهم سبعون رجلا بقوله قد خلت من قبلكم اي تجري نحو هذا في الامم السالفة من اتباع الانبياء ثم كانت العاقبة
لهم والدائرة على الكافرين ولهذا قال فسيروا في الارض الآية ثم قال هذا بيان للناس يعني القرآن فيه بيان للامور على جليتها وكيف كان
الامم الاقدمون مع اعدائهم وهدى يعني القرآن فيه خبر ما قبلكم وموعظة لقلوبكم عن المحارم والمآثم اي زاجر ثم قال مسليا للمؤمنين
ولا تهنوا اي لا تضعفوا بسبب ما جرى ولا تحزنوا وانتم الاعلون اي العاقبة والنصر لكم ايها المؤمنون ان يمسسكم قرح اي ان كنتم
قد اصابتكم جراح وقتل منكم طائفة فقد اصاب اعداءكم قريب من ذلك من قتل وجراح وتلك الايام نداولها اي نديل عليكم الاعداء تارة

او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله

فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين

[illegible]

وان كانت لكم العاقبة لما لنا في ذلك من الحكمة ولهذا قال وليعلم الله الذين آمنوا قال ابن عباس اي لنرى من صبر على مناجزة
الاعداء ويتخذ منكم شهداء يعني يقتلون في سبيله ويبذلون مهجهم في مرضاته وليمحص الله الذين آمنوا اي ليطهرهم من الذنوب
ويكفر عنهم ويرفع درجاتهم بحسب ما اصيبوا به ويمحق الكافرين اي يفتنهم ويهلكهم فانهم اذا ظفروا بغوا وبطروا
فيكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم ثم قال ام حسبتم ان تدخلوا الجنة اي احسبتم ان تدخلوا الجنة ولم تبتلوا بالقتال و
الشدائد اي لا يحصل لكم دخول الجنة حتى تبتلوا ويرى الله منكم المجاهدين في سبيله والصابرين على مقاومة الاعداء وقوله
ولقد كنتم تمنون الموت من قبل اي قد كنتم ايها المؤمنون قبل هذا اليوم تتمنون لقاء العدو وتتوقون الى مناجزتهم ومصابرتهم
فها قد حصل لكم الذي تمنيتموه وطلبتموه فدونكم فقاتلوا وصابروا وقد ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا
تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ولهذا قال فقد رأيتموه يعني الموت
اي شاهدتموه في لمعان السيوف وحد الاسنة واشتباك الرماح وصفوف الرجال للقتال والمتكلمون يعبرون عن هذا بالتخييل
وهو مشاهدة ما ليس بمحسوس بالمحسوس كما تتخيل الشاة صداقة الكبش وعداوة الذئب وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي
الله الشاكرين وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها و
سنجزي الشاكرين وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا
وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا
في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب
الآخرة والله يحب المحسنين لما انهزم من انهزم من المسلمين يوم احد وقتل من قتل منهم نادى الشيطان الا ان محمدا قد
قتل ورجع ابن قميئة الى المشركين فقال لهم قتلت محمدا وانما كان قد ضرب رسول الله فشجه في راسه فوقع ذلك في قلوب كثير من
الناس واعتقدوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل وجوزوا ذلك عليه كما قد قص الله عن كثير من الانبياء عليهم السلام فحصل
لهم ضعف ووهن وتأخر عن القتال ففي ذلك نزل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل اي له اسوة بهم في الرسالة وفي جواز
القتل عليه وعن ابي نجيح ان رجلا من المهاجرين مر على رجل من الانصار وهو يتشحط في دمه فقال له يا فلان اشعرت ان محمدا
قد قتل فقال الانصاري ان كان محمد قد قتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم فنزل وما محمد الا رسول رواه البيهقي في دلائل النبوة ثم
قال تعالى منكرا على من حصل له ضعف افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم اي رجعتم القهقرى وقوله ومن ينقلب على عقبيه فلن
يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين اي الذين قاموا بطاعته وقاتلوا عن دينه واتبعوا رسوله حيا وميتا وفي الصحاح والسنن
والمسانيد عن عائشة رضي الله عنها ان ابا بكر رضي الله عنه اقبل على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس
حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغشى بثوب حبرة فكشف عن وجهه ثم اكب عليه وقبله وبكى ثم قال
بابي انت وامي والله لا يجمع الله عليك موتتين اما الموتة التي قد كتبت عليك فقد متها قال ابن عباس ان ابا بكر خرج وعمر
يكلم الناس وقال اجلس يا عمر وقال ابو بكر اما بعد من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت
قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الى قوله الشاكرين قال فوالله لكأن الناس لم يعلموا ان الله انزل هذه الآية

وانتم تنظرون

[illegible]

حتى تلاها ابو بكر فتلقاها منه الناس كلهم فما اسمع بشرا من الناس الا يتلوها قال عمر ما هو الا ان سمعت ابا بكر تلاها فعقرت
حتى ما يقلني رجلاي وحتى هويت الى الارض وقوله وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله اي لا يموت احد الا بقدر الله
وحتى يستوفي المدة التي جعلها الله له ولهذا قال كتابا مؤجلا وفي هذه الاية تشجيع للجبناء وترغيب لهم في القتال فان
الاقدام والاحجام لا ينقص ولا يزيد فيه وقوله ومن يرد ثواب الدنيا اي من كان عمله للدنيا فقط نال منها ما قدره الله ولم يكن له
في الاخرة من نصيب ومن قصد بعمله الدار الاخرة اعطاه الله منها مع ما قسم له منها كما قال من كان يريد حرث الاخرة نزد
له في حرثه الاية وسنجزي الشاكرين اي سنعطيهم من فضلنا ورحمتنا بحسب شكرهم وعملهم ثم قال تعالى مسليا للمؤمنين وكاين
من نبي قاتل معه ربيون كثير معناه كم من نبي قتل وقتل معه ربيون من اصحابه كثير وهذا اختيار ابن جرير فانه قال واما
الذين قرؤا قتل معه ربيون كثير فانهم قالوا انما عنى بالقتل النبي وبعض من معه من الربيين دون جميعهم وانما نفى الوهن
والضعف عمن بقي من الربيين ممن لم يقتل قال ومن قرا قاتل فانه اختار ذلك لانه لو قال قتلوا لم يكن لقوله فما وهنوا وجه
معروف لانه يستحيل ان يوصفوا بانهم لم يهنوا ولم يضعفوا بعد ما قتلوا ثم اختار قراءة من قرا قتل معه ربيون لان الله عاتب بهذه
الآيات والتي قبلها من انهزم يوم احد وتركوا القتال فقال لهم افان مات او قتل ايها المؤمنون ارتددتم عن دينكم و
انقلبتم على اعقابكم وقيل وكم من نبي قتل معه ربيون كثير وقال ابن اسحق وغيره اي وكاين من نبي اصابه القتل ومعه
ربيون اي جماعات فما وهنوا بعد نبيهم وذلك لصبرهم والله يحب الصابرين فجعل قوله ومعه ربيون حالا قال ابن عباس
والجمهور الربيون الجموع الكثيرة وقيل علماء صبر ابرار اتقياء وقوله فما وهنوا الاية اي فما ضعفوا لقتل نبيهم وما استكانوا
اي فما ارتدوا عن بصيرتهم ولا عن دينهم ان قاتلوا على ما قاتل عليه نبي الله حتى لحقوا بالله وقيل فما ذلوا لعدوهم وما كان
قولهم الا ان قالوا اي لم يكن لهم هجيرى الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا الاية فآتاهم الله ثواب الدنيا اي النصر والظفر والعا
وحسن ثواب الاخرة اي جمع لهم ذلك مع هذا والله يحب المحسنين يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم
على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب
بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وماواهم النار وبئس مثوى الظالمين ولقد صدق الله وعده
اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من
يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على
المؤمنين اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم فاثابكم غما بغم
لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون يحذر الله عباده المؤمنين عن طاعة الكافرين و
المنافقين فان طاعتهم تورث الردى في الدارين ولهذا قال ان تطيعوا الذين كفروا الى اخره ثم امرهم بطاعته والاستعانة به
والتوكل عليه فقال بل الله مولاكم اي ناصركم وحافظكم على دينكم وهو خير الناصرين ثم بشرهم بانه سيلقي في قلوب اعدائهم الخوف
منهم والذلة لهم بسبب كفرهم مع ما ادخر لهم في الاخرة من العذاب فقال سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب الاية وقد ثبت
في الصحيحين عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر
وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا واحلت لي الغنائم واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه وبعثت الى الناس عامة

من الغمرة

عن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم من كانت نيته طلب الاخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله واتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه امره ولا ياتيه منها الا ما كتب له

قال ابن مسعود الربيون الالوف الكلبي الربية الواحدة عشرة آلاف الضحاك الربة الواحدة الف وقيل هم الاتباع والربانيون الولاة والربيون الرعية وقيل منسوب الى الرب وهم الذين يعبدون الرب

يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين

بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا

وماواهم النار وبئس مثوى الظالمين

المثوى المنزل والثواء طول الاقامة

وعن ابن عباس قال قذف الله في قلوب ابي سفيان الرعب فرجع الى مكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان ابا سفيان قد اصاب
منكم طرفا وقد رجع وقذف الله في قلبه الرعب رواه ابن ابي حاتم وقوله ولقد صدقكم الله وعده قال ابن عباس وعدهم الله النصر
وقد يستدل بهذه الاية على احد القولين السابقين في قوله اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم الى قوله مسومين ان ذلك
كان يوم احد لان عدوهم كان ثلثة آلاف مقاتل فلما واجهوهم كان الظفر والنصر اول النهار للاسلام فلما عصت الرماة
ولم يثبتوا وقتل بعض المقاتلة تاخر الوعد الذي كان مشروطا بالثبات والطاعة ولهذا قال ولقد صدقكم الله وعده اي اول
النهار اذ تحسونهم باذنه اي تقتلونهم قتلا ذريعا بتسليطه اياكم عليهم حتى اذا فشلتم اي جبنتم والفشل الجبن قاله ابن عباس
وتنازعتم في الامر وعصيتم كما وقع للرماة من بعد ما اراكم ما تحبون وهو الظفر بهم منكم من يريد الدنيا وهم الذين رغبوا
في المغنم حين راوا الهزيمة ومنكم من يريد الاخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم اي ردكم عنهم ليمتحنكم ثم اداله عليكم ليختبركم ويبتليكم ولقد
عفى عنكم اي غفر لكم ذلك الصنيع وذلك والله اعلم لكثرة عدد العدو وعددهم وقلة عدد المسلمين وعددهم وقال ابن جريج اي لم
يستاصلكم والله ذو فضل على المؤمنين في البخاري عن البراء قال لقينا المشركين يومئذ واجلس النبي صلى الله عليه وسلم جيشا من الرماة
وامر عليهم عبد الله بن جبير وقال لا تبرحوا ان رايتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وان رايتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا فلما لقيناهم
هربوا حتى رايت النساء يشتددن في الجبل رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن فاخذوا يقولون الغنيمة الغنيمة فقال
عبد الله عهد النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تبرحوا فابوا فلما ابوا صرف وجوههم فاصيب سبعون قتيلا واشرف ابو سفيان فقال
افي القوم محمد فقال لا تجيبوه فقال افي القوم ابن ابي قحافة فقال لا تجيبوه فقال افي القوم ابن الخطاب فقال ان هؤلاء قد قتلوا
فلو كانوا احياء لاجابوا فلم يملك عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله قد ابقى الله لك ما يخزيك فقال ابو سفيان اعل هبل فقال النبي صلى الله
عليه وسلم اجيبوه قالوا ما نقول قال قولوا الله اعلى واجل فقال ابو سفيان ان لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اجيبوه قالوا ما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم قال ابو سفيان يوم بيوم بدر والحرب سجال وتجدون مثلة لم آمر بها
ولم تسؤني وفيه ايضا عن عائشة قالت لما كان يوم احد هزم المشركون فصرخ ابليس اي عباد الله اخراكم فرجعت اولاهم
واجتلدت هي واخراهم فبصر حذيفة فاذا هو بابيه اليمان فقال اي عباد الله ابي ابي قالت فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه فقال حذيفة يغفر الله
لكم قال عروة فوالله ما زالت في حذيفة منها بقية خير حتى لقي الله تعالى قال ابن عباس ما كان النصر والظفر لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اول النهار حتى قتل من اصحاب لواء المشركين سبعة او تسعة وجال المسلمون جولة نحو الجبل وصاح الشيطان قتل محمد
فوقع بعد ذلك ما وقع قال الزبير بن العوام ولقد رايتني انظر الى خدم هند وصواحباتها مشمرات هوارب بعد ان اصبنا اصحاب
اللواء حتى ما يدنو منه احد من القوم فلم يزل صريعا فاخذته عمرة بنت علقمة فرفعته لقريش فلاثوا بها وفي مسند احمد هذه
القصة مبسوطة وفيها فنظروا فاذا حمزة قد بقر بطنه واخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع ان تاكلها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اكلت شيئا قالوا لا قال ما كان الله ليدخل شيئا من حمزة في النار فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة فصلى
عليه وجيء برجل من الانصار فوضع الى جنب حمزة فصلى عليه فرفع الانصاري وترك حمزة حتى جيء باخر فوضعه الى جنب حمزة فصلى
عليه ثم رفع وترك حمزة حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلوة وقوله اذ تصعدون ولا تلوون على احد اي صرفكم عنهم اذ تصعدون
في الجبل هاربين من اعدائكم وقرا الحسن وقتادة اذ تصعدون بفتح التاء من الصعود وهو الارتقاء على الجبال ونحوها والقراءة

الطرف العين

قيل لما رجع صلى الله عليه وسلم واصحابه الى المدينة [illegible] من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر [illegible]

الواو في لما زائدة [illegible] فشلتم تنازعتم اي اختلفتم وكان ذلك الاختلاف ان الرماة اختلفوا حين انهزم المشركون [illegible] الغنيمة [illegible] عبد الله بن جبير [illegible] فلما [illegible] السلمين [illegible]

[illegible] ارباب الاشارات [illegible] من يريد الدنيا [illegible] ومن يريد الاخرة [illegible] محروم

المعروفة بالضم من الاصعاد وهو السير في مستوى الارض ولا تلوون على احد اي لا تلتفت بعضكم على بعض من الدهش والخوف
والرسول يدعوكم في اخراكم اي وقد خلفتموه وراء ظهوركم وهو يدعوكم الى ترك الفرار والى الرجعة قال السدي لما اشتد المشركون على المؤمنين
باحد فهزموهم دخل بعضهم المدينة وانطلق بعضهم فوق الجبل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الي عباد الله الي عباد الله
فذكر الله صعودهم الى الجبل ثم ذكر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اياهم فقال اذ تصعدون الآية وكذا قال ابن عباس وغيره قالوا ولم يبق
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الا طلحة بن عبيد الله وسعد بن ابي وقاص بعد ابي بكر وعمر وعلي وعبد الرحمن بن عوف واحد عشر
رجلا من الانصار وفي الصحيحين عن سعد قال رايت يوم احد عن يمين رسول الله وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه اشد
القتال ما رايتهما قبل ذلك اليوم ولا بعده يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام وفيهما ايضا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشتد غضب الله على قوم فعلوا برسول الله وهو حينئذ يشير الى رباعيته واشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله في سبيل الله يعني
ابي بن خلف طعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده في حفرة حلقه فمات منها وقوله فاثابكم غما بغم اي فجاءكم غما على غم ونظيره قوله
ولاصلبنكم في جذوع النخل اي على جذوع النخل والغم الكرب قال ابن عباس الغم الاول بسبب الهزيمة حين قيل قتل محمد والثاني حين
علاهم المشركون فوق الجبل وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ليس لهم ان يعلونا وقيل الغم الاول ما اصابهم من القتل والجراح
والغم الثاني ما سمعوا ان محمدا قد قتل فانساهم الغم الاول وقيل الغم الاول بسبب فاتهم من الغنيمة والفتح والثاني باشراف العدو
عليهم قال ابن جرير الاولى بالصواب ما قيل فاثابكم بغمكم ايها المؤمنون بحرمان الله اياكم غنيمة المشركين والظفر بهم والنصر عليهم
وما اصابكم من القتل والجراح يومئذ بعد الذي قد اراكم في ذلك ما تحبون بمعصيتكم ربكم وخلافكم امر نبيكم غم ظنكم ان نبيكم صلى الله
عليه وسلم قد قتل وميل العدو عليكم بعد فلولكم منهم وقوله لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة والظفر بعدوكم ولا ما اصابكم من
القتل والجرح قاله ابن عباس وآخرون والله خبير بما تعملون ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم
وطائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان
الامر كله لله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا قل لو
كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في
قلوبكم والله عليم بذات الصدور ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض
ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم امتن الله على المؤمنين فيما انزل عليهم من السكينة والامنة وهو النعاس
الذي غشيهم وهم في السلاح في حال همهم وغمهم والنعاس في مثل تلك الحال دليل على الامان كما قال في سورة الانفال اذ يغشيكم النعاس
امنة منه وعن ابن مسعود قال النعاس في القتال امن من الله وفي الصلاة من الشيطان وعن ابي طلحة قال كنت فيمن تغشاه النعاس يوم
احد حتى سقط سيفي من يدي مرارا يسقط واخذه ويسقط واخذه رواه البخاري والطائفة الاخرى المنافقون ليس لهم هم الا
انفسهم اجبن قوم وارعبه واخذله للحق يظنون بالله غير الحق من انه لا ينصر محمدا وانه قتل وان الاسلام قد باد واهله يتاملون كظن
اهل الجاهلية انما هم اهل شك وريب في الله اي حملتهم انفسهم على الهم والقلق والخوف والطائفة الاولى اهل ايمان ويقين
وتوكل وهم الجازمون بان الله سينصر رسوله وينجز له مامولة ثم اخبر تعالى عن المنافقين انهم يقولون في تلك الحال هل لنا
من الامر من شيء يعني النصر يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك وتفسيره يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا اي يسرون هذه

الناس من الامر لفظه استفهام و معناه جحد

فانا رسول الله [illegible]

[illegible]

المقالة اي لو كنا على الحق ما قتلنا ههنا وقال الزبير لقد رايتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف علينا ارسل الله
علينا النوم فما منا رجل الا وذقنه في صدره قال فوالله اني لاسمع قول معتب بن قشير لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا
فحفظتها منه وفي ذلك انزل الله يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز اي لخرج الذين قضي عليهم
القتل الى مصارعهم اي هذا قدر مقدر من الله وحكم حتم لازم لا مهرب منه وقوله وليبتلي الله ما في صدوركم اي يختبركم بما جرى
عليكم ليميز الخبيث من الطيب وليمحص اي ليظهر امر المؤمن والمنافق للناس في الاقوال والافعال والله عليم بذات الصدور من
الخير والشر ثم قال ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان اي جمع المسلمين والمشركين يوم احد وقد انهزم اكثر المسلمين انما استزلهم
الشيطان اي طلب زلتهم واوقعهم في الخطيئة ببعض ذنوبهم وهو ترك المركز ولقد عفا الله عنهم اي عما كان منهم من الفرار ان الله
غفور حليم اي يغفر الذنب ويحلم عن خلقه ويتجاوز عنهم يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم
اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم
والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما
يجمعون ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون هذا نهي عن التشبه بالكفار في اعتقادهم الفاسد المستفاد من قوله
لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض اي سافروا فيها للتجارة ونحوها او كانوا غزى اي غزاة جمع غاز فقتلوا
لو كانوا عندنا اي في البلد ما ماتوا اي في السفر وما قتلوا اي في الغزو وقوله ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم اي خلق هذا الاعتقاد في نفوسهم ليزدادوا
حسرة على موتاهم وقتلاهم ثم قال تعالى ردا عليهم والله يحيي ويميت اي بيده الخلق واليه يرجع الامر ولا يحيا احد ولا يموت الا بمشيئته
وقدرته ولا يزاد في عمر احد ولا ينقص منه الا بقضائه وقدره والله بما تعملون بصير اي علمه وبصره نافذ في جميع خلقه لا يخفى عليه
من امورهم شيء وقوله ولئن قتلتم في سبيل الله او متم تضمن هذا ان القتل والموت في سبيل الله وسيلة الى نيل رحمة وعفوه ورضوانه
وذلك خير من البقاء في الدنيا وجمع حطامها الفاني ثم اخبر بان كل من مات او قتل فمصيره ومرجعه الى الله تعالى فيجزيه بعمله ان
خيرا فخير وان شرا فشر فقال ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون اي في العاقبة فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا
غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل
على الله ان الله يحب المتوكلين ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم
من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة ثم
توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله وماواه جهنم
وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم
رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال
مبين لقد من الله على رسوله وعلى المؤمنين فيما الان لهم قلبه واطاب لهم لفظه كما قال فبما رحمة من الله لنت لهم يعني اي شيء جعلك
لهم لينا لولا رحمة الله بك وبهم قال قتادة ما صلة اي فبرحمة من الله والعرب تصلها بالمعرفة كقوله فبما نقضهم ميثاقهم وبالنكرة
كقوله عما قليل وكذا ههنا وقال الحسن هذا خلق محمد صلى الله عليه وسلم نعته الله به وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى
لقد جاءكم رسول الآية وعن ابي امامة قال اخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا امامة ان من المؤمنين من يلين له قلبي
رواه احمد ثم قال تعالى ولو كنت فظا اي الفظ الغليظ والمراد به هنا غليظ الكلام لقوله بعده غليظ القلب اي لو كنت سيء الكلام
قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك ولكن الله جمعهم عليك والان جانبك لهم تاليفا لقلوبهم كما قال عبد الله بن عمرو انه راى

او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون

اي سهلت لهم اخلاقك وكثرة احتمالك ولم تسرع اليهم فيما كان منهم يوم احد

[illegible]

منعة النبي في الكتب المتقدمه انه ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وعن عائشة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله امرني بمداراة الناس كما امرني باقامة الفرائض حديث غريب رواه المسعودي ولهذا قال
فاعف عنهم وشاورهم في الامر وكذلك كان عليه الصلوة والسلام يشاور اصحابه في الامر اذا احدث تطييبا لقلوبهم ليكونوا فيما يفعلونه
انشط لهم كما شاورهم يوم بدر في الذهاب فقالوا لو امرتنا ان نخيضها البحر لاخضناها وشاورهم في قضايا كثيره وفي مواطن
انصا واختلفوا هل كان واجبا عليه او من باب الندب تطييبا لقلوبهم على قولين قال ابن عباس في قوله وشاورهم في الامر
نزل في ابي بكر وعمر وفي مسند احمد مرسلا انه عليه الصلوة والسلام قال لابي بكر وعمر لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما وعن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المستشار مؤتمن رواه ابو داود والنسائي والترمذي وحسنه وقوله واذا عزمت فتوكل على الله اي
اذا شاورتهم وعزمت عليه فتوكل على الله فيه لا على مشاورتهم اي ثق بامر الله وثق به ان الله يحب المتوكلين وقوله ان ينصركم الله الاية
هي من قبيل ما تقدم من قوله وما النصر الا من عند الله ثم امرهم بالتوكل عليه فقال وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقوله وما كان لنبي ان يغل
اي ما ينبغي لنبي ان يخون قاله ابن عباس وغير واحد وقال فقدوا قطيفة حمراء يوم بدر فقال بعض الناس من المنافقين لعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم اخذها واكثروا في ذلك فانزل الله وما كان لنبي ان يغل وهذه تنزيه له من جميع وجوه الخيانة في اداء الامانة و
قسم الغنيمه وغير ذلك وقيل وما كان لنبي ان يغل بان يقسم لبعض السرايا ويترك بعضا وقيل بان يترك بعض ما انزل اليه فلا يبلغه
امته وقرا بعضهم بضم الياء وكسر الغين اي يخان اي يتهم بالخيانة وقال قتادة والربيع نزلت يوم بدر وقد غل بعض اصحابه ثم
قال تعالى ومن يغلل الاية وهذا تهديد شديد وقد ورد النهي عن ذلك كما رواه ابو مالك الاشجعي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اعظم الغلول عند الله ذراع في الارض تجدون الرجلين جارين في الارض او في الدار فيقتطع احدهما من حظ صاحبه ذراعا فاذا
اقتطعه طوقه في سبع ارضين الى يوم القيمه رواه احمد وعن المستورد بن شداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ولي
لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا او ليست له زوجة فليتزوج او ليس له خادم فليتخذ خادما او ليست له دابة فليتخذ دابة ومن اصاب
شيئا سوى ذلك فهو غال رواه احمد وفي الصحيحين عن ابي حميد الساعدي قال استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الازد
يقال له ابن اللتبية على الصدقة فجاء فقال هذا لكم وهذا اهدي لي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال ما بال العامل
نبعثه فيقول هذا لكم وهذا اهدي لي افلا جلس في بيت ابيه وامه فينظر ايهدى اليه ام لا والذي نفس محمد بيده لا ياتي احد منكم
منها شيء الا جاء يوم القيمه على رقبته ان كان بعيرا له رغاء او بقرة لها خوار او شاة تيعر ثم رفع يديه حتى راينا عفرة ابطيه
ثم قال اللهم هل بلغت ثلثا وعن معاذ بن جبل قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن فلما سرت ارسل في اثري فرددت
فقال اتدري لم بعثت اليك لا تصيبن شيئا بغير اذني فانه غلول ومن يغلل يات بما غل يوم القيمه لهذا دعوتك فامض لعملك
رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال الكلبي اي يمثل له ذلك الشي في النار فيحمل على ظهره ويعذب به وفي الباب احاديث
كثيره وقوله افمن اتبع رضوان الله الاية اي لا يستوي من اتبع رضوان الله وتحمل ثوابه واجير من وبيل عقابه ومن استحق غضب الله
والزم به فلا محيد له عنه وماويه يوم القيمه جهنم وبئس المصير ثم قال هم درجات عند الله قال الحسن وغيره يعني اهل الجنة
واهل النار درجات ومنازل متفاوتون في منازلهم ودرجاتهم في الجنه ودركاتهم في النار كما قال ولكل درجات مما عملوا و
لهذا قال والله بصير بما يعملون اي وسيوفيهم اياها لا يظلمهم خيرا ولا يزيدهم شرا بل يجازي كلا بعمله وقوله لقد من الله على المؤمنين
اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم اي من جنسهم ليتمكنوا من مخاطبته ومجالسته وسؤاله والانتفاع به كما ورد في غيره من الايات
فهذا ابلغ في الامتنان ان يكون الرسول اليهم بحيث يمكنهم مخاطبته ومراجعته في فهم الكلام ولهذا قال يتلو عليهم اياته يعني القران

رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاستغفر لهم

فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده

يات بما غل يوم القيمة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون

كمن باء بسخط من الله

ويزكيهم

ويزكيهم اي يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ليزكوا انفسهم ويطهرهم من الدنس والخبث الذي كانوا فيه في حال شركهم
وجاهليتهم ويعلمهم الكتاب والحكمة اي القران والسنة وان كانوا من قبل هذا الرسول لفي غي وجهل ظاهر بين لكل احد
اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شي قدير وما
اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في
سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم
ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا
عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين قال الله تعالى اولما اصابتكم مصيبة هي ما اصيب منهم يوم احد من قتل السبعين منهم
قد اصبتم مثليها يعني يوم بدر فانهم قتلوا من المشركين سبعين واسروا سبعين قلتم انى هذا اي من اين جرى علينا هذا قل هو
من عند انفسكم قال ابن عباس قال عمر بن الخطاب لما كان يوم احد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من اخذهم الفداء فقتل
منهم سبعين وفر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على راسه وسال الدم على وجهه
فانزل الله عز وجل اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم باخذكم الفداء رواه احمد وقال ابن جريج
وغيره قل هو من عند انفسكم اي بسبب عصيانكم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امركم ان لا تبرحوا من مكانكم فعصيتم يعني بذلك
الرماة ان الله على كل شي قدير اي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه ثم قال تعالى وما اصابكم يوم التقى الجمعان اي فراركم
بين يدي عدوكم وقتلهم لجماعة منكم وجراحتهم لاخرين كان بقضاء الله وقدره وله الحكمة في ذلك قوله وليعلم المؤمنين
اي الذين صبروا وثبتوا ولم يتزلزلوا وليعلم الذين نافقوا يعني اصحاب عبد الله بن ابي بن سلول الذين رجعوا معه من اثناء
الطريق فاتبعهم من اتبعهم من المؤمنين يحرضونهم على الاياب والقتال والمساعدة ولهذا قال او ادفعوا قال ابن عباس
وجماعة يعني كثروا سواد المسلمين وقيل ادفعوا بالدعاء وقيل رابطوا فتعللوا قائلين لو نعلم قتالا لاتبعناكم وقال مجاهد
يعنون لو نعلم انكم تلقون حربا لجئناكم ولكن لا تلقون قتالا ولما رجع ابن سلول بمن معه وممن اطاعه من الطريق اتبعهم عبد الله
ابن عمرو بن حرام يقول يا قوم اذكروا الله ان تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوكم قالوا لو نعلم انكم تقاتلون ما اسلمناكم ولكنا
لا نرى ان يكون قتال فلما ابوا الا الانصراف عنهم فقال لهم ابعدكم الله اعداء الله فسيغني الله عنكم ومضى رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الله هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان قد استدل بهذا على ان الشخص قد يتقلب به الاحوال فيكون في حال اقرب الى
الكفر وفي حال اقرب الى الايمان ثم قال يقولون بافواههم يعني انهم يقولون القول ولا يعتقدون صحته ومنه قولهم هذا لو
نعلم قتالا لاتبعناكم فانهم كانوا يتحققون انه كان منهم قتال ولهذا قال تعالى والله اعلم بما يكتمون اي من تحققهم بذلك و
قوله الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا اي لو سمعوا من مشورتنا عليهم في القعود وعدم الخروج ما قتلوا مع
من قتل قال تعالى قل فادرؤا اي ان كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت فينبغي انكم لا تموتون والموت لابد اتيا اليكم
ولو كنتم في بروج مشيدة ان كنتم صادقين ان الحذر يغني عن القدر ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل
احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من
خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر
المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم

فباذن الله

وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله

[illegible]

الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل
فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان
يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين هنا اخبار عن الشهداء بانهم ان قتلوا في هذه الدار فان
ارواحهم حية مرزوقة في دار القرار قال ابن عباس نزلت هذه الآية في حمزة واصحابه من قتلى احد وعليه قتادة وغيره
عن مسروق قال سألنا عبد الله عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله فقال اما انا قد سألنا عن ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ارواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي الى تلك القناديل
فاطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيئا فقالوا اي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم
ثلث مرات فلما راوا انهم لن يتركوا من ان يسألوا قالوا يا رب نريد ان ترد ارواحنا في اجسادنا حتى نقتل في سبيلك
مرة اخرى فلما راى ان ليس لهم حاجة تركوا رواه مسلم وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من نفس تموت لها
عند الله خير يسرها ان ترجع الى الدنيا الا الشهيد فانه يسره ان يرجع الى الدنيا فيقتل مرة اخرى لما يرى من فضل الشهادة رواه
مسلم وقد روى احمد في مسنده عن الشافعي عن مالك باسناد صحيح حديثا فيه البشارة لكل مؤمن بان روحه تكون في الجنة تسرح ايضا
فيها وتأكل من ثمارها وترى ما فيها من النضرة والسرور وتشاهد ما اعد الله لها من الكرامة عن كعب بن مالك قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه ومعنى تعلق تأكل وفيه ان روح
المؤمن تكون على شكل طائر في الجنة واما ارواح الشهداء فكما سبق في حواصل طير خضر فهي كالراكب بالنسبة الى ارواح عموم
المؤمنين فانها تطير بنفسها وقوله فرحين بما آتاهم الله من فضله الآية اي الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله احياء عند الله و
هم فرحون بما هم فيه من النعمة والغبطة ومستبشرون باخوانهم الذين يقتلون بعدهم في سبيل الله انهم يقدمون عليهم
وانهم لا يخافون مما امامهم ولا يحزنون على ما تركوه وراءهم قيل ويستبشرون اي ويسرون بلحوق من لحقهم من اخوانهم
على ما مضوا عليه من جهادهم ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذي اعطاهم قال السدي يؤتى الشهيد بكتاب فيه
يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا وفلان يوم كذا وكذا فيسر بذلك كما يسر اهل الدنيا بقدوم غائبهم وقال سعيد بن جبير لما
دخلوا الجنة وراوا ما فيها من الكرامة للشهداء قالوا يا ليت اخواننا الذين في الدنيا يعلمون ما عرفناه من الكرامة فاذا شهدوا
القتال باشروها بانفسهم حتى يستشهدوا فيصيبوا ما اصبنا من الخير فاخبر الله رسوله بامرهم وما هم فيه من الكرامة واخبرهم
اني قد انزلت على نبيكم واخبرته بامركم وما انتم فيه فاستبشروا بذلك فذلك قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم
الآية وقد ثبت في الصحيحين عن انس في قصة اصحاب بئر معونة السبعين من الانصار الذين قتلوا في غداة واحدة وقنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوهم يدعو عليهم ويلعنهم قال ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رفع ثم قال يستبشرون بنعمة من الله
وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين قال ابن اسحق استبشروا وسروا لما عاينوا من وفاء الموعود وجزيل الثواب وقال
ابن زيد هذه الآية جمعت للمؤمنين كلهم سواء الشهداء وغيرهم وقلما ذكر الله فضلا ذكر به الانبياء وثوابا اعطاهم الا ذكر ما
اعطى الله المؤمنين من بعدهم وقوله الذين استجابوا لله والرسول هذا كان يوم حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال
وذلك ان المشركين لما اصابوا ما اصابوا من المسلمين كروا راجعين الى بلادهم فلما استمروا في سيرهم تندموا لم لا تمموا على
اهل المدينة وتشاوروا في الرجعة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب المسلمين الى الذهاب وراءهم ليرعبهم ويريهم
ان بهم قوة وجلدا ولم يأذن لاحد سوى من حضر الوقعة يوم احد سوى جابر بن عبد الله فانه اذن له فخرج المسلمون مع ما بهم

[illegible]

بر طرف کون الهی جان در تن اگر از تو
محروم بماند مرده زند الست و اگر
راه تو گسسته تو شود بامید وصال زنده
جاودانست شوریده وقت شبلی گفت
من كان في الله تلفه كان الله خلفه

سری سقطی گفت حق عز وعلا را در خواب دیدم گفت ای سری خلق را بیافریدم بعضی دنیا دیدند در ان او بخشند بعضی بلا دیدند و زینت و عافیت گریختند بعضی از بلا بیند [illegible]
محبت ند جان و دل باز کردند لعنت وصال خواستند ممن انتم وما تريدون شما کدام گروهید وچه خواهید سری گفت جواب گفتم انک لتعلم ما نرید گفت یا سری لاصبن علیکم البلاء صبا
بعزت وجلال و قدر من که تا زنانه بلا بر سر شما فرو کنادم [illegible] بر سر [illegible] بگردانم سری گفت [illegible] الهام ربانی جواب باز دادم الیس المبتلی انت [illegible]
بلا بر سر ما نه تو جوابی بود نفس المحبة على الالام صابرة لعل مسقمها يوما يداويها از دوست [illegible] ما را [illegible] خوش بود [illegible] خوش بود [illegible]

[illegible]

من الجراح ولا تأخذن طاعة الله ورسوله وعن عكرمة قال لما رجع المشركون من احد قالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب اردفتم
بئسما صنعتم ارجعوا فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فندب المسلمين فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الاسد او بئر ابي عتبة
فقال المشركون نرجع من قابل فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل الذين استجابوا لله والرسول الآية قال
ابن اسحق ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من بني عبد الاشهل كان شهد احدا مع اخيه وكانا جريحين فلما اذن مؤذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو قال احدهما لاخيه اتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما لنا
من دابة نركبها وما منا الا جريح ثقيل فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت ايسر جرحا منه فكان اذا غلب حملته
عقبة حتى انتهينا الى ما انتهى اليه المسلمون وفي البخاري عن عائشة الذين استجابوا لله والرسول الآية قالت لعروة يا ابن اختي
كان ابواك منهم الزبير وابو بكر لما اصاب نبي الله صلى الله عليه وسلم ما اصاب يوم احد وانصرف عنه المشركون خاف ان يرجعوا
فقال من يرجع في اثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا منهم ابو بكر والزبير قال الحسن البصري ان ابا سفيان واصحابه لما
اصابوا من المسلمين ما اصابوا رجعوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابا سفيان قد رجع وقد قذف الله في قلبه
الرعب فمن ينتدب في طلبه فقام النبي صلى الله عليه وسلم وجماعة من الصحابة فتبعوهم فبلغ ابا سفيان ان النبي صلى الله عليه وسلم
يطلبه فلقي عيرا من التجار فقال ردوا محمدا ولكم من الجعل كذا وكذا واخبروهم اني قد جمعت لهم جموعا واني راجع اليهم
فجاء التجار فاخبروه فقال عليه الصلوة والسلم حسبنا الله ونعم الوكيل فانزل الله هذه الآية وقوله الذين قال لهم الناس ان الناس
قد جمعوا لكم الآية اي الذين توعدهم الناس بالجموع وخوفوهم بكثرة الاعداء فما اكترثوا لذلك بل توكلوا على الله واستعانوا به
وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قال ابن عباس حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابرهيم حين القي في النار وقالها محمد حين قالوا
ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل رواه البخاري وعن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا وقعتم في الامر العظيم فقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل رواه ابن مردويه وقوله فانقلبوا بنعمة من الله وفضل
اي لما توكلوا على الله كفاهم ما اهمهم ورد عنهم باس من اراد كيدهم فرجعوا الى بلدهم بنعمة اي عافية من الله وتجارة و
ربح تام لم يمسسهم سوء مما اضمر لهم عدوهم واتبعوا رضوان الله في طاعته وطاعة رسوله فاعطاهم ثواب الغزو ورضي عنهم
والله ذو فضل عظيم قال ابن عباس النعمة سلامتهم والفضل ان عيرا مرت وكان في ايام الموسم فاشتراها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فربح مالا فقسمه بين اصحابه وعن مجاهد ان ابا سفيان قال موعدكم بدر حيث قتلتم اصحابنا فقال رسول الله صلى الله عليه و
سلم عسى فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم لموعده حتى نزل بدرا فوافقوا السوق فيها فابتاعوا فذلك قوله تعالى فانقلبوا بنعمة
من الله وفضل قال وهي غزوة بدر الصغرى ثم قال تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه اي يخوفكم اولياءه ويوهمكم انهم ذوو
باس وذوو شدة فلا تخافوهم اي واذا سول لكم واوهمكم فتوكلوا علي والجأوا الي فاني كافيكم وناصركم عليهم كما قال
تعالى اليس الله بكاف عبده الآية وغيرها من الآيات ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله
شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان
لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا
اثما ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان
الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فامنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا

من بعد ما اصابهم القرح
الجرح
للذين احسنوا منهم
واتقوا اجر عظيم
معصية

محل الذين خفض [illegible] مردود على الذين الاول

فاخشوهم فزادهم ايمانا
تصديقا ويقينا وقوة
فخافوهم واحذروهم فانه لا طاقة لكم بهم

ای کافینا الله
اسم الموكول اليه الامور فعيل بمعنى مفعول

[illegible]

فلكم اجر عظيم ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون
ما بخلوا به يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير اي لا يحزنك مبادرة الكفار الى
المخالفة والعناد وذلك من شدة حرصه على هداية الناس انهم لن يضروا الله شيئا مسارعتهم في الكفر يريد الله ان لا يجعل
لهم اي حكمته فيهم انه يريد بمشيته وقدرته الا يجعل لهم نصيبا في الاخرة ولهم عذاب عظيم ثم قال مخبرا عن ذلك اخبارا
مقررا ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوا هذا بذاك لن يضروا الله شيئا انما يضرون انفسهم ولهم عذاب اليم
اي موجع مؤلم ثم قال ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم اي نمهل والاملاء التاخير والامهال خير لانفسهم انما نملي
لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين وهذه وامثالها من الايات على معنى الاستدراج اي لا بد ان يعقد سببا من المحنة
يظهر فيه وليه ويفتضح به عدوه يعرف به المؤمن الصابر والمنافق الفاجر يعني بذلك يوم احد الذي امتحن به المؤمنين
فظهر به ايمانهم وصبرهم وجلدهم وثباتهم في طاعة الله ورسوله وهتك به ستر المنافقين وظهر مخالفتهم ونكولهم عن الجهاد
وخيانتهم لله ولرسوله ولهذا قال ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه قال مجاهد ميز بينهم يوم احد وقيل بالجهاد
والهجرة وقال السدي قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا بمن يؤمن به ومن يكفر فانزل الله ما كان الله ليذر المؤمنين الاية و
المراد بالطيب والخبيث المؤمن والكافر ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب اي انتم لا تعلمون غيب الله في خلقه
حتى يميز لكم المؤمن من الكافر لولا ما يعقده من الاسباب الكاشفة عن ذلك ثم قال ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيطلعه على
بعض علم الغيب لقوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الى قوله رصدا ثم قال فامنوا بالله ورسله اي اطيعوا الله ورسوله
واتبعوه فيما شرعه لكم وان تؤمنوا اي بما جاء به الرسول وتتقوا مخالفته فلكم اجر عظيم وقوله ولا يحسبن الذين يبخلون
اي لا يحسبن البخلاء ان جمعهم المال ينفعهم بل يضرهم عليه في دينهم وربما كان في دنياهم ثم اخبر بمال امر ماله البخيل يوم القيمة
فقال سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة يعني يجعل ما منعه من الزكوة حية تطوق في عنقه يوم القيمة تنهشه من فوقه الى قدمه
قاله الحاكم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكوته مثل له شجاعا اقرع له زبيبتان
يطوقه يوم القيمة فياخذ بلهزمتيه يعني شدقيه يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا هذه الاية ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم
الله من فضله الاية رواه البخاري وعن ابن مسعود قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من عبد لا يؤدي زكوة ماله الا جعل له
شجاع اقرع يتبعه يفر منه وهو يتبعه فيقول انا كنزك ثم قرا عبد الله مصداقه من كتاب الله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة
رواه النسائي والترمذي وابن ماجه وعن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ترك بعده كنزا مثل له شجاع اقرع يوم
القيمة له زبيبتان يتبعه ويقول من انت ويلك فيقول انا كنزك الذي خلفت بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقضمها
ثم يتبعه سائر جسده رواه الطبراني وقوله ولله ميراث السموات والارض يعني انه الباقي الدائم بعد فناء خلقه فانفقوا مما
جعلكم مستخلفين فيه فان مرجع الامور كلها الى الله فقدموا من اموالكم ما ينفعكم يوم معادكم والله بما تعملون خبير اي بنياتكم
وضمائركم لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء
بغير حق ونقولوا ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا ان الله عهد الينا الا
نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم
ان كنتم صادقين فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي الناس خير قال من طال عمره
وحسن عمله قيل فاي الناس شر
قال من طال عمره وساء عمله

یعنی الله را نیست که شما که مومنانید
آمیخته با منافقان بهم باز گذارد و تمیز
ناکرده یعنی بر الله است که تمیز کند و منافق
از مومن جدا کند و آن تمیز آنست که
تکلیف جهاد کند و به هجرت دین و ثبوت
اسلام فرماید تا هر چه منافق بود باز پس
نشیند از رسول و جهاد نکند و هر چه
مؤمن بود برخیزد و با رسول خدا
به اعداء دین بکوشد رب العالمین
این بکرد و بر جای احد روز احد
که منافقان نفاق خویش اظهار کردند
و آن روز از جهاد تخلف نمودند

[illegible]

قال ابن عباس لما انزل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة قالت اليهود يا محمد افتقر ربك فيسأل
عباده القرض فانزل الله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير الاية وعن ابن عباس قال دخل ابو بكر الصديق بيت المدراس
فوجد ناسا كثيرا من اليهود قد اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فنحاص وكان من علمائهم ومعه حبر آخر يقال له اشيع فقال ابو بكر
لفنحاص اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التورية فآمن
وصدق واقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فنحاص يا ابا بكر تزعم ان ربنا يستقرض اموالنا
وما يستقرض الا الفقير من الغني فان كان ما تقول حقا فان الله اذا لفقير ونحن اغنياء وانه ينهاكم عن الربوا ويعطينا ولو
كان غنيا ما اعطانا الربوا فغضب ابو بكر فضرب وجه فنحاص ضربا شديدا وقال والذي نفسي بيده لولا الذي بيننا وبينكم من العهد
لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال قولا عظيما يزعم ان الله فقير وانهم عنه
اغنياء فلما قال ذلك غضبت لله فجحد ذلك فنحاص فانزل الله ردا على فنحاص وتصديقا لابي بكر لقد سمع الله قول الذين قالوا
الاية وقوله سنكتب ما قالوا تهديد ووعيد ولهذا قرنه بقوله وقتلهم الانبياء بغير حق هذا قولهم في الله وهذا معاملتهم لرسل الله
وسيجزيهم الله على ذلك شر الجزاء ولهذا قال ونقول ذوقوا عذاب الحريق الاية اي يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا وتحقيرا وقوله
الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار هذا تكذيب لهؤلاء الذين زعموا ان الله عهد اليهم
في كتبهم ان لا يؤمنوا برسول حتى يكون من معجزاته ان من تصدق بصدقة من امته فتقبل منه ان ينزل نار من السماء تأكلها قاله
ابن عباس وغيره قال تعالى قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات اي بالحجج والبراهين وبالذي قلتم اي وبنار تاكل القرابين المتقبلة
فلم قتلتموهم اي بالتكذيب والمخالفة والمعاندة ان كنتم صادقين انكم تتبعون الحق وتنقادون للرسل ثم قال تعالى مسليا لنبيه
عليه الصلوة والسلام فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك الاية اي لا يوهنك تكذيب هؤلاء لك فلك اسوة بمن قبلك من
الرسل الذين كذبوا فيما جاءوا به من البينات وهي البراهين القاطعة والزبر وهي الكتب المتلقاة من السماء كالصحف المنزلة
على الرسل والكتاب المنير اي المبين الواضح الجلي كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة
فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور لتبلون
في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا
وتتقوا فان ذلك من عزم الامور هذا اخبار بعموم جميع الخليقة بان كل نفس ذائقة الموت كقوله كل من عليها فان
الاية فهو تعالى وحده هو الحي الذي لا يموت والجن والانس يموتون وكذلك الملائكة وحملة العرش وينفرد الواحد القهار بالديمومة
والبقاء وهذه الاية تعزية لجميع الناس فانه لا يبقى احد على وجه الارض حتى يموت فاذا انقضت المدة وانتهت البرية اقام الله
القيمة وجازى الخلائق باعمالها جليلها وحقيرها روى ابن ابي حاتم باسناده عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لما توفي النبي
صلى الله وجاءت التعزية جاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس
ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل ما فات فبالله
فثقوا واياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته قال علي تدرون من هذا هذا الخضر عليه السلام
رواه جعفر بن محمد عن ابيه الباقر وقوله فمن زحزح عن النار اي نجي وابعد عنها وادخل الجنة فقد فاز اي ظفر بالنجاة

[illegible]

[illegible]

ونجا من الخوف وقوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور تصغير لشان الدنيا وتحقير لامرها وانها دنية فانية قليلة زائلة
كما قال والاخرة خير وابقى وقال وما عند الله خير وابقى وفي الحديث المعتبر والله ما الدنيا في الاخرة الا كما يغمس احدكم
اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع وقال قتادة في هذه الاية هي متاع متروكة اوشكت والله ان تضمحل من اهلها فخذوا من هذه
المتاع طاعة الله ان استطعتم ولا قوة الا بالله وقوله لتبلون في اموالكم وانفسكم اي لا بد ان يبتلي المؤمن في شيء من ماله
او نفسه او ولده او اهله ويبتلى المرء على قدر دينه وقوله ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب الاية هذا تسلية للمؤمنين عما
ينالهم من الاذى من اهل الكتاب والمشركين نزل بعد الهجرة قبل وقعة بدر وامرهم بالصبر والصفح حتى يفرج الله فقال
فان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور اي من حقيقة الايمان وعن اسامة بن زيد قال كان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
يعفون عن المشركين واهل الكتاب كما امرهم الله ويصبرون على الاذى قال الله ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب الاية وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتاول في العفو ما امره الله حتى اذن الله فيهم رواه ابن ابي حاتم فكل من قام بحق او امر بمعروف او
نهي عن منكر فلا بد ان يؤذى فما له دواء الا الصبر في الله والاستعانة به والرجوع اليه واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما
يشترون لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة
من العذاب ولهم عذاب اليم ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير هذا توبيخ وتهديد لاهل الكتاب
الذين اخذ عليهم العهد على السنة الانبياء ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وان ينوهوا بذكره في الناس فاذا بعثه الله تابعوه
فكتموا ذلك وتعوضوا عنه بالدون الدني والحظ الدنيوي السخيف فخسرت صفقتهم وبئست معاملتهم وفي هذا تحذير للعلماء ان
يسلكوا مسلكهم فان عليهم ان يبذلوا ما بايديهم من العلم النافع ولا يكتموا منه شيئا فقد ورد عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم علمه ثم كتمه الجم يوم القيمة بلجام من نار رواه احمد وابو داود والترمذي وقوله لا تحسبن
الذين يفرحون بما اتوا الاية يعني بذلك المرائين المتكثرين بما لم يعطوا كما جاء في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من ادعى دعوى كاذبة ليتكثر بها لم يزده الله الا قلة وفيهما ايضا مرفوعا المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور وقال ابن عباس
سال النبي صلى الله عليه وسلم اهل الكتاب عن شيء فكتموه اياه واخبروه بغيره فخرجوا قد اروه ان قد اخبروه بما سالهم عنه واستحمدوا
وفرحوا بما اتوا من كتمانهم فنزلت الاية هكذا في الصحيحين وفي البخاري عن ابي سعيد ان رجالا من المنافقين كانوا اذا خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله واذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغزو اعتذروا
اليه وحلفوا واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا الاية وروى مسلم نحوه وقوله فلا تحسبنهم
بمفازة من العذاب تقرا بالتاء على مخاطبة المفرد وبالياء على الاخبار عنهم اي لا تحسبن انهم ناجون بل لا بد لهم منه ولهذا
قال ولهم عذاب اليم ثم قال ولله ملك السموات والارض اي هو مالك كل شيء والقادر على كل شيء فلا يعجزه شيء فهابوه ولا تخالفوه
واحذروا نقمته وغضبه فانه العظيم الذي لا اعظم منه القدير الذي لا اقدر منه ان في خلق السموات والارض و
اختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون
في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار
فقد اخزيته وما للظالمين من انصار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان امنوا بربكم فامنا ربنا

فان ذلك الصبر والتقوى من معزومات الامور اي
مما يجب ان يعزم عليه من الامور ويبالغ في طلبه
لظهور رشده وكثرة فوائده او مما عزم الله عليه
اي امر به وبالغ فيه واراد ان يكون من عبيده
يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله اي امر كبير النفع
من امورات الرب ومشدداته لا بد لكم ان تصبروا
وتحذروا خلافها والعزم في اللغة اثبات الراي
وتوطين النفس على امضاء الشيء وفي الشرع ما
شرع على المكلف

قال ابو هريرة لولا ما اخذ الله على
اهل الكتاب ما حدثتكم بشيء ثم تلا
هذه الاية واذا اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب وقال الحسن
ابن عمارة اتيت الزهري بعد ان
ترك الحديث فالفيته على بابه
فقلت ان رايت ان تحدثني فقال
اما علمت اني تركت الحديث فقلت
اما ان تحدثني واما ان احدثك
فقال حدثني فقلت حدثني الحكم بن
عيينة عن يحيى بن الجزار قال
سمعت علي بن ابي طالب يقول ما
اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا
حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا قال
فحدثني اربعين حديثا [illegible]

[illegible]

فاغفر لنا

[illegible]

فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا
يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد قال ابن عباس اتت قريش اليهود فقالوا بما جاءكم موسى قالوا عصاه ويده بيضاء للناظرين
واتوا النصارى فقالوا كيف كان عيسى قالوا كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ادع لنا
ربك يجعل لنا الصفا ذهبا فدعا ربه فنزلت هذه الاية ان في خلق السموات والارض الى اولي الالباب فليتفكروا فيها هكذا رواه
الطبراني وفيه عجب فان الاية مدنية وسؤالهم ذلك كان بمكة فالله اعلم ومعنى الاية انه يقول الله ان في ارتفاع السماء واتساعها
وانخفاض الارض وكثافتها وما فيهما من الايات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارات وثوابت وبحار وجبال وقفار
واشجار ونبات وزروع وغير ذلك واختلاف الليل والنهار من تعاقبهما وتعارضهما بالطول والقصر فانه يطول هذا
ويقصر هذا ثم يعتدلان ثم ينعكسان وكل ذلك تقدير العزيز العليم ولهذا قال لايات لاولي الالباب اي ذوي العقول التامة
والذكية التي تدرك الاشياء كما هي بحقائقها ثم وصف اولي الالباب فقال الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم كما في
البخاري عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنبك
اي لا يقطعون ذكره في جميع احوالهم بسرائرهم وضمائرهم والسنتهم ويتفكرون في خلق السموات والارض اي يفهمون ما فيهما من
الحكم الدالة على عظمة الخالق وقدرته وعلمه وحكمته قائلين ربنا ما خلقت هذا باطلا اي ما خلقت هذا الخلق عبثا بل بالحق لتجزي
الذين اساؤا بما عملوا وتجزي الذين احسنوا بالحسنى ثم نزهوه عن العبث وخلق الباطل فقالوا سبحانك اي عن ان تخلق شيئا باطلا
فقنا عذاب النار اي يا من خلق الخلق بالحق والعدل يا من هو منزه عن النقائص والعيب والعبث قنا من عذاب النار بحولك
وقوتك ثم قالوا ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اي اهنته واظهرت خزيه لاهل الجمع وما للظالمين من انصار اي يوم القيمة
لا مجير لهم منك ولا محيد لهم عما اردت بهم ربنا اننا سمعنا مناديا اي داعيا يدعو الى الايمان وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان امنوا بربكم اي يقول امنوا بالله الذي خلقكم وربكم فامنا اي فاستجبنا له واتبعناه ربنا فاغفر لنا اي ذنوبنا اي بايماننا
واتباعنا نبيك استر ذنوبنا وعيوبنا وكفر عنا سيئاتنا فيما بيننا وبينك وتوفنا مع الابرار اي الحقنا بالصالحين ربنا
واتنا ما وعدتنا على رسلك قيل معناه على الايمان برسلك وهذا اظهر وقيل على لسان رسلك من الفضل والرحمة وقيل من النصر و
الظفر ولا تخزنا يوم القيمة اي على رؤس الخلائق انك لا تخلف الميعاد اي لا بد من المعاد الذي اخبرت عنه رسلك وهو القيام بين يديك
يوم القيمة وقد ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرا هذه الايات العشر من اخر ال عمران اذا قام من الليل لتهجده في الصحيحين
قال ابن عباس بت عند خالتي ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الاخر قعد
فنظر الى السماء فقال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب ثم قام فتوضا واستن فصلى
احدى عشرة ركعة ثم اذن بلال فصلى ركعتين ثم خرج فصلى بالناس الصبح وفي رواية اخرى لهما فحدثه استيقظ رسول الله
صلى الله عليه وسلم من منامه فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرا العشر الايات الخواتم من سورة ال عمران ثم قام الحديث بطوله
وقد ورد في ذلك احاديث اخر مبسوطة في الاصل فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى
بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن
عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب

المعنى الذين يذكرون الله باللسان والقلب بالتسبيح
والتهليل والتكبير والحمد قائمين وقاعدين ومضطجعين
فنصب قياما جمع قائم وقعودا جمع قاعد
وسجود وعلى جنوبهم على الحال اي يداومون ذكر
الله على اي حال كانوا من قيام وقعود
واضطجاع لا يخلون عنه في اغلب الاحوال
في الخبر سيروا سبق المفردون قيل من
المفردون يا رسول الله قال المستهترون
بذكر الله وضع الذكر عنهم اوزارهم فوردوا
القيمة خفافا ومعنى المستهترون المولعون
الحريصون

[illegible]

اى نا جابهم ربهم قال الشاعر و داع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب قالت ام سلمة يا رسول الله لا نسمع الله ذكر النساء فى الهجرة بشئ فانزل الله هذه الآية قالت الانصار هى اول ظعينة قدمت علينا قال الحاكم صحيح على شرط البخارى ومعنى الاية ان المؤمنين ذوى الالباب لما سالوا ما سالوا فاستجاب لهم ربهم عقب ذلك بفاء التعقيب كما تعالى فليستجيبوا لى و قوله انى لا اضيع عمل عامل منكم هذا تفسير للاجابة اى قال لهم مخبرا انه لا يضيع عمل عامل لديه بل توفى كل عامل بقسط عمله من ذكر او انثى و قوله بعضكم من بعض اى جميعكم فى ثوابى سواء فالذين هاجروا اي تركوا دار الشرك و اتوا الى دار الايمان و فارقوا الاحباب و الخلان و الاخوان و الجيران و اخرجوا من ديارهم اي ضايقهم المشركون حتى الجاؤهم الى الخروج من بين اظهرهم و لهذا قال و اوذوا فى سبيلى اى فى طاعتى و دينى بانهم آمنوا بالله وحده وقوله و قاتلوا و قتلوا هذا اعلى المقامات ان يقاتل فى سبيل الله يعقر جواده و يعفر وجهه بدمه و الثراب و قد ثبت فى الصحيح ان رجلا قال يا رسول الله ارايت ان قتلت فى سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر يكفر الله عنى خطاياى قال نعم ثم قال كيف قلت قال فاعاد عليه ما قال فقال نعم الا الدين قاله لى جبرئيل آنفا و لهذا قال لاكفرن عنهم سيئاتهم الآية اى تجرى من خلالها الانهار من انواع المشارب من لبن و عسل و خمر و ماء غير آسن و غير ذلك و قوله ثوابا من عند الله اضافه اليه ليدل على انه عظيم لان العظيم الكريم لا يعطى الا جزيلا كثيرا كما قال الشاعر ان يعذب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالى و قوله والله عنده حسن الثواب اى حسن الجزاء لمن عمل صالحا لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم ماويهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار اى لا تنظر الى هؤلاء الكفار مترفون فيه من النعمة والغبطة و السرور فعما قليل يزول هذا كله عنهم و يصبحون مرتهنين باعمالهم السيئة فانما نمد لهم فيما هم فيه استدراجا و جميع ما هم فيه متاع قليل ثم ماويهم جهنم اى مصيرهم جهنم وبئس المهاد اى الفراش و هذه كغيرها من الآيات الواردة فى هذا المعنى ثم قال بعد ذلك لكن الذين اتقوا الى آخرها قال عليه الصلوة والسلام انما سموا الابرار لانهم بروا الآباء و الابناء كما ان لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حقا هكذا رواه ابن مردويه و رواه ابن ابى حاتم باسناده عن ابن عمر موقوفا و هو اشبه قال الحسن الابرار الذين لا يؤذون الذر و قال ابن مسعود ما نفس برة و لا فاجرة الا الموت خير لها لئن كان برا لقد قال الله وما عند الله خير للابرار وعن ابى الدرداء قال ما من مؤمن الا و الموت خير له و ما من كافر الا و الموت خير له فان الله يقول وما عند الله خير للابرار و يقول و لا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون اخبر تعالى عن طائفة من اهل الكتاب انهم يؤمنون بالله حق الايمان و بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم مع ايمانهم بالكتب المتقدمة و انهم خاشعون لله اي مطيعون خاضعون متذللون بين يديه لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا اي لا يكتمون ما بايديهم من البشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم و ذكر صفته و نعته و مبعثه و هؤلاء هم خيرة اهل الكتاب وصفوتهم سواء كانوا هودا او نصارى والآيات فى شانهم نحوها كثيرة فى القرآن و فى الصحيحين ان النجاشى لما مات نعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصحابه و قال

نعاه جبرئيل عليه السلم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فى اليوم الذى مات فيه

من متاع الدنيا

اى يسير باطل

اى ثوابا وجزاء نصب على التميز

اى حكم جميعكم كحكم واحد منكم فيما افعل بكم من مجازاتكم على اعمالكم

نزلت فى المشركين وذلك انهم كانوا فى رخاء ولين من العيش يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين ان اعداء الله فيما نرى من الخير ونحن فى الجهد فانزل الله

ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مشربة وانه لعلى حصير ما بينه و بينه شئ وتحت راسه وسادة من ادم حشوها ليف و عند رجليه قرظ مصبوب وعند راسه اهب معلقة فرايت اثر الحصير فى جنبه فبكيت فقال ما يبكيك فقلت يا رسول الله ان كسرى و قيصر فيما هما فيه وانت رسول الله فقال اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة

درویش را سر کوی فنا بس است
ترک متاع خانه متاع سرا بس است
کو سر کرم ز فرش منقش مباش رنگ
پهلو منقش از اثر بوریا بس است
گر خازن حرم نزند لعن غره ای
از اشتران قافله بانگ درا بس است
نتوان نشستن از تک و پو در طریق عشق
آن را که باد پا ندهد دست پا بس است
گر روی زرد ما نشد از جام عشق سرخ
زخم کبود و سیلی غم بر قفا بس است

[illegible]

ان اخا لكم

ان اخا لكم بالحبشة قد مات فصلوا عليه فخرج بهم الى الصحراء فصفهم فصلى عليه و عن انس قال لما توفى النجاشى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفروا لاخيكم فقال بعض الناس تامرنا ان نستغفر لعلج مات بارض الحبشة فنزلت وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله الاية رواه ابن ابى حاتم و رواه ابن جرير عن جابر و فى روايته فقال المنافقون بدل فقال بعض الناس و عن عائشة قالت لما مات النجاشى كنا نتحدث انه لا يزال يرى على قبره نور رواه ابو داود و سئل الحسن عن قوله وان من اهل الكتاب الآية قال هم اهل الكتاب الذين كانوا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فعرفوه و الاسلام و اتبعوه بعد ذلك و قد ثبت فى الصحيحين عن ابى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة يؤتون اجرهم مرتين فذكر منهم و رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه و آمن بى و قوله لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا اى لا يكتمون ما بايديهم من العلم كما فعله الطائفة الرذولة منهم بل يبذلون مجانا و لهذا قال اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب قال مجاهد يعنى سريع الاحصاء و قوله يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا و رابطوا قال الحسن البصرى امروا ان يصبروا على دينهم الذى ارتضاه الله لهم وهو الاسلام فلا يدعوه لسراء و لا لضراء و لا لشدة و لا لرخاء حتى يموتوا مسلمين و ان يصابروا الاعداء الذين يكتمون دينهم وكذا قال غير واحد و اما المرابطة فهى المداومة فى مكان العبادة و الثبات فيقال المراد انتظار الصلوة بعد الصلوة قال ابن عباس وغير واحد كما فى مسلم و النسائى و عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بما يمحو الله به الخطايا و يرفع به الدرجات اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد و انتظار الصلوة بعد الصلوة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط و عن ابى سلمة بن عبد الرحمن قال اقبل على ابو هريرة يوما فقال اتدرى يا ابن اخى فيما انزلت هذه الآية يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا و رابطوا قلت لا قال اما انه لم يكن فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم غزو يرابطون فيه و لكنها نزلت فى قوم يعمرون المساجد يصلون الصلوة فى مواقيتها ثم يذكرون الله فيها فعليهم انزلت اصبروا اى على الصلوات الخمس و صابروا انفسكم و هواكم و رابطوا فى مساجدكم و اتقوا الله فيما عليكم لعلكم تفلحون هكذا رواه الحاكم فى مستدركه وقيل المراد بالمرابطة ههنا مرابطة الغزو فى نحور العدو و حفظ ثغور الاسلام و صيانتها عن دخول الاعداء الى حوزة بلاد المسلمين وقد وردت الاخبار بالترغيب فى ذلك و ذكر كثرة الثواب فيه منها عن سهل بن سعد الساعدى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها رواه البخارى و عن فضالة بن عبيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ميت يختم على عمله الا الذى مات مرابطا فى سبيل الله فانه ينمو له عمله الى يوم القيمة و يامن فتنة القبر رواه النسائى و الترمذى و عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله و عين باتت تحرس فى سبيل الله رواه الترمذى و قال حسن غريب و قوله و اتقوا الله اى فى جميع اموركم و احوالكم كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه الى اليمن اتق الله حيث ما كنت و اتبع السيئة الحسنة تمحها و خالق الناس بخلق حسن لعلكم تفلحون فى الدنيا و الآخرة و قال القرظى اتقوا الله فيما بينى و بينكم لعلكم تفلحون غدا اذا لقيتمونى وقيل اصبروا على النعماء و صابروا على البأساء و الضراء و رابطوا فى دار الاعداء و اتقوا اله الارض و السماء لعلكم تفلحون فى دار البقاء

تفسير سورة النساء وهى مدنية

عن ابن عباس قال ثمان آيات نزلت فى سورة النساء هى خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس و غربت يريد الله ليبين لكم و يهديكم سنن الذين من قبلكم و يتوب عليكم و الله عليم حكيم و الله يريد ان يتوب عليكم و يريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم و خلق الانسان ضعيفا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم و ان تك حسنة يضاعفها ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء و من يعمل سوء

[illegible]

يا من بملكوت كل شئ بيده
طوبى لمن ارتضاك مولى لعبده
اين بس كه دلم جز تو ندارد كامى
تو خواه بده كام دلم خواه مده

در ديده عيان تو بوده من غافل
در سينه نهان تو بوده من غافل
از جمله جهان نشان ترا مى جستم
خود جمله جهان تو بوده من غافل

اوظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم الى قوله رحيما رواه ابن مسعود في الجمع الاخير رواه ابن جرير

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا

امر الله تعالى خلقه بتقواه وهي عبادته وحده لا شريك له ونبههم على قدرته التي خلقهم بها من نفس واحدة وهي آدم عليه السلم وخلق منها زوجها وهي حواء خلقت من ضلعه الايسر من خلفه وهو نائم فاستيقظ فرآها فاعجبته فانس اليها وانست اليه وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن خلقن من ضلع وان اعوج شيء في الضلع اعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج وفي رواية وكسرها طلاقها وقوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء اي وذرأ من آدم وحواء رجالا كثيرا ونساء ونشرهم في اقطار العالم على اختلاف اصنافهم وصفاتهم والوانهم ولغاتهم ثم اليه بعد ذلك المعاد والحشر ثم قال واتقوا الله اي بطاعتكم اياه الذي تساءلون به والارحام هذا كما يقال اسالك بالله وبالرحم قال ابن عباس واتقوا الله الذي به تعاقدون وتعاهدون واتقوا الارحام ان تقطعوها ولكن بروها وصلوها وعليه بعض التابعين وقرأ بعضهم والارحام بالخفض عطفا على الضمير في به اي تساءلون به وبالارحام وعليه مجاهد وغيره وقوله ان الله كان عليكم رقيبا اي هو مراقب لجميع اعمالكم واحوالكم وفي الحديث الصحيح اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وهذا ارشاد وامر بمراقبة الرقيب وان اصل الخلق اب واحد وام واحدة ليعطف بعضهم على بعض ويحنوا على ضعفائهم

وآتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا

امر تعالى بدفع اموال اليتامى اليهم اذا بلغوا الحلم كاملة موفرة ونهى عن اكلها وضمها الى اموالهم ولهذا قال ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال ابو صالح لا تعجل بالرزق الحرام قبل ان ياتيك الرزق الحلال الذي قدر لك وقال ابن جبير لا تتبدلوا الحرام من اموال الناس بالحلال من اموالكم فلا تعط مهزولا وتاخذ سمينا ولا تعط زيفا وتاخذ جيدا قاله ابن المسيب والزهري وغيرهما وكان احدهم ياخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم ويجعل فيها مكانه مهزولة ويقول شاة بشاة وكذا في الدرهم الزيف والجيد وقوله ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اي لا تخلطوها فتاكلوها جميعا وقوله انه كان حوبا كبيرا اي اثما عظيما وفي الحديث في سنن ابي داود اغفر لنا حوبنا وخطايانا والحوب الاثم اي ان اكلكم اموالهم مع اموالكم اثم عظيم وخطأ كبير فاجتنبوه وقوله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى اي اذا كان في حجر احدكم يتيمة ويخاف ان لا يعطيها مهر مثلها فليعدل الى ما سواها من النساء فانهن كثير ولم يضيق الله عليه وعن عروة بن الزبير عن عائشة ان رجلا كانت له يتيمة فنكحها وكان لها عذق وكان يمسكها عليه ولم يكن لها من نفسه شيء فنزلت فيه وان خفتم الا تقسطوا احسب انها قالت كانت شريكته في ذلك العذق وفي ماله وفي رواية عن عروة انه سال عائشة عن قول الله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى قالت يا ابن اختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها يشركه في مالها ويعجبه مالها وجمالها فيريد وليها ان يتزوجها بغير ان يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا عن ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن ويبلغوا بهن اعلى سنتهن في الصداق وامروا ان ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن رواهما البخاري قوله مثنى وثلاث ورباع اي انكحوا ما شئتم من النساء ان شاء احدكم ثنتين وان شاء ثلاثا وان شاء اربعا ولا يزيد على ذلك لان المقام مقام امتنان واباحة فلو كان يجوز الجمع بين اكثر من اربع لذكره قال الشافعي وقد دلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبينة عن الله انه لا يجوز لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجمع بين اكثر من اربع وهذا مجمع عليه بين العلماء الا ما حكي عن طائفة من الشيعة انه يجوز الجمع بين اكثر من اربع الى تسع وقال بعضهم بلا حصر ولا يعتد بخلافهم فانهم تمسكوا في ذلك بفعل النبي صلى الله عليه وسلم كما هو مثبت وكان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم لما جاء في الاحاديث الدالة على الحصر في اربع منها عن ابن عمر ان غيلان بن سلمة الثقفي اسلم وتحته عشر نسوة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اختر منهن اربعا رواه الشافعي واحمد والترمذي وغيره ووجه الدلالة انه لو كان يجوز الجمع بين اكثر من اربع لسوغ له رسول الله صلى الله عليه وسلم في بقاء العشر وقد اسلمن معه كما هو مصرح في رواية اخرى فلما امره بامساك اربع وفراق سائرهن دل على انه لا يجوز الجمع بين اكثر من اربع بحال واذا كان هذا في الدوام ففي الاستئناف اولى وعن الحارث بن قيس الاسدي قال اسلمت وعندي ثمان نسوة فذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم فقال اختر منهن اربعا رواه ابو داود وابن ماجة وعن نوفل بن معاوية الديلي قال اسلمت وعندي خمس نسوة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك اربعا ايتهن شئت وفارق الاخرى فعمدت الى اقدمهن صحبة عجوز عاقر معي منذ ستين سنة فطلقتها فهذه كلها شواهد على صحة ما تقدم وقوله فان خفتم الا تعدلوا فواحدة اي فان خفتم من تعداد النساء الا تعدلوا بينهن فليقتصر على واحدة او على الجواري السراري فانه لا يجب قسم بينهن ولكن يستحب فمن فعل فحسن ومن لا فلا حرج وقوله ذلك ادنى الا تعولوا اي ادنى ان لا تكثر عيالكم قاله زيد بن اسلم وابن عيينة والشافعي وهذا ماخوذ من قوله تعالى وان خفتم عيلة الى قوله فسوف يغنيكم الله من فضله قال الشاعر

فما يدري الفقير متى غناه ... وما يدري الغني متى يعيل

يقال عال الرجل يعيل عيلة اذا افتقر وفيه نظر لانه كما يخشى كثرة العائلة من تعداد الحرائر كذلك يخشى من تعداد السراري ايضا والصحيح ما قاله الجمهور اي ان لا تجوروا يقال عال في الحكم اذا قسط وظلم وجار وهذا كما قال ابو طالب

بميزان قسط لا يخيس شعيرة ... له شاهد من نفسه غير عائل

وعن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ادنى ان لا تعولوا قال لا تجوروا رواه ابن حبان في صحيحه وعن ابن عباس واكثر التابعين ان لا تميلوا وهو مختار ابن جرير وقوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة اي فريضة مسماة والنحلة في كلام العرب الواجب اي لا تنكحها الا بشيء واجب لها يعني على الرجل دفع الصداق الى المراة حتما وان يكون بطيب نفس فان طابت هي له بعد تسميته فوهبته او شيئا منه فلياكله حلالا طيبا ولهذا قال تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا اي سائغا طيبا محمود العاقبة عن علي رضي الله عنه قال اذا اشتكى احدكم شيئا فليسال امراته ثلاثة دراهم او نحو ذلك فليبتع عسلا ثم ياخذ ماء السماء فيجمع هنيئا مريئا شفاء مباركا

ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا

ينهى الله تعالى عن تمكين السفهاء من التصرف في الاموال التي جعلها قياما اي تقوم بها معايش الناس من التجارة وغيرها ومنه يؤخذ الحجر على السفهاء وهم اقسام فتارة يكون الحجر للصغر وتارة يكون للجنون وتارة لنقص العقل والدين وهو السفه وتارة للفلس وحكم كل منها مبسوط في كتب الفقه والمراد بالسفهاء في الآية النساء والصبيان قاله ابن عباس وابن مسعود والاكثر وعن ابي امامة مرفوعا ان النساء السفهاء الا التي اطاعت قيمها رواه ابن ابي حاتم وعن ابي هريرة قال الخدم وهم

لا مناقضة بين قولهما ومن ولامن نفس واحدة لان مرجع حواء الى النفس الواحدة

مقاتل والكلبي نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب ماله فمنعه عمه فترافعا الى النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت الآية فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فقال صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطيع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله انفق في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا كيف بقي الوزر فقال ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر على والده

فانكحوا ما طاب لكم من النساء

تنتظر

شياطين الانس وقوله وارزقوهم فيها قال ابن عباس اى لا تعمد الى مالك وما خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امراتك
او بنيك ثم تنتظر الى ما فى ايديهم ولكن امسك مالك واصلحه وكن انت الذى تنفق عليهم من كسوتهم ومؤونتهم ورزقهم
وقوله وقولوا لهم قولا معروفا قال مجاهد يعنى فى البر والصلة وفى الاية الاحسان الى من فى مؤونتك بالفعل من الانفاق فى الكساوى
والارزاق والكلام الطيب ومكارم الاخلاق وقوله تعالى وابتلوا اليتامى قال ابن عباس وغيره اى اختبروهم حتى اذا بلغوا النكاح
يعنى البلوغ وهو فى الغلام والجارية بالحلم وهو نزول المنى باى نوع كان لما فى سنن ابى داود عن على مرفوعا لا يتم بعد احتلام و
لا صمات يوم الى الليل واخرى باستكمال خمس عشرة سنة لما فى الصحيحين عن ابن عمر قال عرضت على النبى صلى الله عليه وسلم يوم احد وانا
ابن اربع عشرة فلم يجزنى وعرضت عليه يوم الخندق وانا ابن خمس عشرة فاجازنى قال عمر بن عبد العزيز هذا الفرق بين الصغير و
الكبير ويشترك فيهما الرجل والمراة واختلفوا فى انبات الشعر الخشن حول الفرج والصحيح انها بلوغ فى اولاد الكفار دون اولاد المسلمين
لاحتمال المعالجة كما فى مسند احمد عن عطية القرظى قال عرضنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قريظة فكان من انبت قتل ومن
لم ينبت خلى سبيله فكنت فيمن لم ينبت فخلى سبيلى رواه اهل السنن الاربعة قال الترمذى حسن صحيح واما ما يختص بالنساء فهو
الحيض والحبل اذا كان بعد استكمال تسع سنين وقوله فان آنستم منهم رشدا قال سعيد بن جبير يعنى صلاحا فى دينهم وحفظا
لاموالهم قاله ابن عباس وغير واحد وهكذا قال الفقهاء متى بلغ الغلام مصلحا لدينه وماله انفك الحجر عنه فيسلم اليه ماله وقوله
ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ينهى الله تعالى عن اكل مال اليتامى من غير حاجة ضرورية اسرافا اى بغير حق وتعجيلا قبل بلوغهم ثم قال
ومن كان غنيا اى من كان فى غنية عن مال اليتيم فليستعفف اى فليمتنع عنه ولا ياكل منه شيئا قال الشعبى هو عليه كالميتة والدم
لا ياكل منه الا اذا اضطر اليه ومن كان فقيرا اى محتاجا فلياكل منه بالمعروف بحسب سعيه فيه قالت عائشة نزلت هذه الاية
فى ولى اليتيم الذى يقوم عليه ويصلحه اذا كان محتاجا ان ياكل منه بقدر قيامه عليه وعن عبد الله بن عمرو ان رجلا سال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ليس لى مال ولى يتيم فقال كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبادر ولا متاثل مالا رواه احمد وقوله
فاذا دفعتم اليهم اموالهم يعنى بعد بلوغهم الحلم وايناس الرشد منهم فحينئذ سلموا اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم هذا امر للاولياء
ان يشهدوا على الايتام اذا بلغوا الحلم وسلموا اليهم اموالهم لئلا يقع من بعضهم جحود وانكار لما قبضه وتسلمه ثم قال وكفى
بالله حسيبا اى محاسبا وشاهدا ورقيبا على الاولياء فى حال نظرهم للايتام وحال تسليمهم الاموال هل كانت موفرة او منقوصة
مبخوسة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر انى اراك ضعيفا وانى احب لك ما احب لنفسى لا تامرن على اثنين ولا
تولين مال يتيم رواه مسلم **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين
فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم
فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم
نارا وسيصلون سعيرا** قال سعيد بن جبير وقتادة كانوا فى الجاهلية يجعلون المال للرجال الكبار ولا يورثون النساء
والاطفال شيئا فانزل الله الاية اى الجميع فيه سواء فى حكم الله تعالى فى اصل الوراثة وان تفاوتوا بحسب ما فرض الله لكل منهم بما يدلى به
الى الميت من قرابة او زوجية او ولاء فانه لحمة كلحمة النسب عن جابر قال جاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله ان لى ابنتين قد مات ابوهما وليس لهما شىء فانزل الله للرجال نصيب مما ترك الوالدان الاية رواه ابن مردويه
وقوله واذا حضر القسمة اولوا القربى اى ممن ليس لهم من الميراث شىء واليتامى والمساكين فيرضخ لهم من التركة نصيب وكان ذلك

معروفا

[illegible]

واجبا فى ابتداء الاسلام او مستحبا واختلفوا هل نسخ ام لا قال ابن عباس هى محكمة وليست بمنسوخة رواه البخارى وهى
قائمة يعمل بها وعن ابن مسعود وبعض التابعين هى واجبة على اهل الميراث ما طابت به انفسهم وقيل ذلك امر بالوصية لهم وقيل
ان هذه الاية منسوخة بالكلية نسختها الاية التى بعدها يوصيكم الله فى اولادكم وهذا ايضا منقول عن ابن عباس فانه قال كان
ذلك قبل ان تنزل الفرائض فانزل الله بعد ذلك الفرائض فاعطى كل ذى حق حقه فجعلت الصدقة فيما سمى المتوفى رواه ابن مردويه
وابن ابى حاتم وعليه الزهرى وكثير من ائمة التابعين وعن ابن جرير قولا غريبا وحاصله ان معنى الاية عنده واذا حضر قسمة مال
الوصية اولو قرابة الميت فارزقوهم منه وقولوا لليتامى والمساكين اذا حضروا قولا معروفا والصحيح ان المراد فيه الميراث يعنى
اذا حضر هؤلاء الفقراء من القرابة الذين لا يرثون واليتامى والمساكين قسمة مال جزيل فان انفسهم مشغوفة الى شىء منه اذا
راوا هذا ياخذ وهذا ياخذ وهم يائسون لا شىء يعطون فامر الله تعالى ان يرضخ لهم شىء من الوسط يكون صدقة عليهم و
احسانا اليهم كما جاء نظيره فى غيرها من الايات وقوله وليخش الذين لو تركوا الاية قال ابن عباس هذا فى الرجل يحضره
الموت فيسمعه رجل يوصى بوصية تضر بورثته فامر الله السامع ان يتقى الله ويوفقه ويسدده للصواب ولينظر لورثته كما
كان يحب ان يصنع بورثته اذا خشى عليهم الضيعة والذرية الضعاف الاولاد الصغار والسديد العدل والصواب فى
القول وقيل اى فليتقوا الله فى مباشرة اموال اليتامى وهذا عن ابن عباس وهو حسن يتايد بما بعده من التهديد فى اكل مال
اليتامى ظلما فالولى بغبنهم اى كما تحب ان تعامل ذريتك من بعدك فعامل الناس فى ذراريهم اذا وليتهم ثم اعلمهم ان من اكل
مال اليتيم ظلما فانما ياكل فى بطنه نارا فقال ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اى اذا اكلوا اموال اليتامى بلا سبب شرعى فانما
ياكلون نارا تتاجج فى بطونهم يوم القيمة وثبت فى الصحيحين عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات
قيل وما هن يا رسول الله قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق واكل الربوا واكل مال اليتيم والتولى يوم
الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات وقوله وسيصلون سعيرا اى يدخلون النار ويحترقون بها وفى الحديث ان
النبى صلى الله عليه وسلم قال رايت ليلة اسرى بى قوما لهم مشافر كمشافر الابل احدهما قالصة على منخريه والاخرى على بطنه
وخزنة النار يلقمونهم جمر جهنم ويخرجها فقلت يا جبرئيل من هؤلاء قال الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما رواه ابن ابى حاتم
بمثله وعن ابى برزة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبعث يوم القيمة قوم من قبورهم تاجج افواههم نارا قيل يا رسول الله
من هم قال الم تر ان الله قال ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية رواه ابن مردويه **يوصيكم الله فى اولادكم للذكر
مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف
ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه
فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصى بها او دين اباؤكم
وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما** هذه الاية الكريمة والتى
بعدها والتى هى خاتمة هذه السورة اصول علم الفرائض فانها مستنبطة منها ومن الاحاديث الواردة فى ذلك فانها مبينة لها
واما المسائل والفروع فموضعها كتب الفقه وعلم الفرائض مرغب فيه محتاج اليه من اهم مهمات الدين عن ابن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلثة اية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة وما كان سوى ذلك فهو فضل رواه ابو داود وابن ماجه
وعن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلموا الفرائض وعلموه الناس فانه نصف العلم وهو ينسى وهو اول شىء
ينتزع من امتى رواه ابن ماجه ضعف قال ابن عيينة انما سمى الفرائض نصف العلم لانه يبتلى به الناس كلهم وسبب نزول الاية
هذه

القول المعروف ان تلطفوا لهم بالقول و
تقولوا خذوا بارك الله عليكم وتعتذروا
اليهم وتستقلوا ما اعطيتم ولا تستكثروه
ولا تمنوا عليهم

امروا اى الاوصياء بان يخشوا الله فيخافوا على
من فى حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم
على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان
يقدروا ذلك فى انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا
على خلاف الشفقة والرحمة

[illegible]

وفي الصحيحين عن جابر قال عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر في بني سلمة ماشيين فوجدني النبي صلى الله عليه وسلم لا اعقل شيئا فدعا بماء فتوضأ منه ثم رش علي فافقت فقلت ما تأمرني ان اصنع في مالي يا رسول الله فنزلت يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وعنه ايضا قال جاءت امرأة سعد بن الربيع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل ابوهما معك في احد شهيدا وان عمهما اخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا ينكحان الا ولهما مال فقال يقضي الله في ذلك فنزلت آية الميراث فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمهما فقال اعط ابنتي سعد الثلثين وامهما الثمن وما بقي فهو لك رواه ابو داود والترمذي فقوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم اي يأمركم بالعدل فيهم فان اهل الجاهلية كانوا يجعلون جميع الميراث للذكور دون الاناث فامر الله بالتسوية بينهم في اصل الميراث وتفاوت بين الصنفين فجعل للذكر مثل حظ الانثيين وذلك ان الرجل يحتاج الى مؤنة النفقة والكلفة ومعاناة التجارة والتكسب فناسب ان يعطى مثلي ما تأخذ الانثى ومن هنا يعلم انه تعالى ارحم بخلقه من الوالد بولده حيث وصى الوالدين باولادهم وعن ابن عباس قال كان المال للولد وكانت الوصية للوالدين فنسخ الله من ذلك ما احب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين وجعل للابوين لكل واحد منهما السدس والثلث وجعل للزوجة الثمن والربع وللزوج الشطر والربع رواه البخاري وقوله فان كن نساء فوق اثنتين قيل فوق هنا زائدة وتقديره فان كن نساء اثنتين كما في قوله فاضربوا فوق الاعناق وهذا غير مرضي لا هنا ولا هناك فانه ليس في القرآن شيء زائد لا فائدة فيه وهذا ممتنع ثم قوله فلهن ثلثا ما ترك لو كان المراد ما قالوه لقال فلهما ثلثا ما ترك وانما استفيد كون ما للبنتين الثلثان من حكم الاختين في الآية الاخيرة فانه اذا ورث الاختان الثلثين فلان ترث البنتان الثلثين اولى وقوله ولابويه لكل واحد منهما السدس للابوين في الميراث احوال احدها ان يجتمعا مع الاولاد فيفرض لكل واحد منهما السدس فان لم يكن للميت الا بنت واحدة فرض لها النصف ولكل واحد من الابوين السدس ويأخذ الاب السدس الآخر بالتعصيب والثاني ان ينفرد الابوان بالميراث فيفرض للام الثلث ويأخذ الاب الباقي بالتعصيب المحض فلو كان معهما والحالة هذه زوج او زوجة اخذ الزوج النصف او الزوجة الربع وللابوين الباقي للام ثلثه وللاب ثلثاه وهذا هو الصحيح المختار وعليه الائمة الاربعة والثالث من احوال الابوين وهو اجتماعهما مع الاخوة من اي نوع كانوا فانهم لا يرثون مع الاب شيئا ولكنهم يحجبون الام عن الثلث الى السدس فيفرض لها مع وجودهم السدس فان لم يكن وارث سواها وسوى الاب اخذ الاب الباقي وحكم الاخوين في ذلك حكم الاخوة عند الجمهور قال قتادة اضر الاخوة بالام ولا يرثون ولا يحجبها اخ واحد من الثلث ويحجبها ما فوق ذلك وقالوا انما حجبوا امهم من الثلث لان اباهم يلي انكاحهم ونفقتهم عليه دون امهم والله اعلم وقوله من بعد وصية يوصي بها او دين اجمعوا ان الدين مقدم على الوصية لما يفهم من فحوى الآية وعن علي رضي الله عنه قال انكم تقرءون من بعد وصية يوصي بها او دين وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالدين قبل الوصية وان اعيان بني الام يتوارثون دون بني العلات يرث الرجل اخاه لابيه وامه دون اخيه لابيه رواه احمد والترمذي وابن ماجه وقوله آباؤكم وابناؤكم اي انما فرضنا للآباء وللابناء وساوينا بين الكل في اصل الميراث على خلاف ما كان عليه الامر في الجاهلية وفي ابتداء الاسلام من كون المال للولد وللابوين بالوصية كما تقدم عن ابن عباس لان الانسان قد يأتيه النفع الدنيوي او الاخروي او منهما من ابيه ما لا يأتيه من ابنه وقد يكون بالعكس فلهذا قال آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي كما ان النفع مرجو من هذا متوقع من الآخر فلهذا فرضنا لهذا ولهذا وساوينا بين القسمين في اصل الميراث وقوله فريضة من الله اي هذا الذي ذكرناه هو فرض من الله الذي حكم به وقضاه وهو العليم الحكيم الذي يضع الاشياء في محالها ويعطي كلا ما يستحقه بحسبه ولهذا قال

فان قلت لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة قلت لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها ماخوذة من غير عوض كان اخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب انفسهم بها فكان اداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنة الى ادائه فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة الى اخراجها مع الدين ولذلك جيء بكلمة او للتسوية بينهما في الوجوب

[illegible]

ان الله كان عليما حكيما ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين وان كان رجل يورث كلالة او امرأة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم يعني ولكم ايها الرجال نصف ما ترك ازواجكم اذا متن عن غير ولد فان كان لهن ولد الى آخره ظاهر وقد تقدم ان الدين مقدم على الوصية وبعده الوصية ثم الميراث وهذا مجمع عليه وحكم اولاد البنين وان سفلوا حكم اولاد الصلب وقوله ولهن الربع الى آخره سواء في الربع والثمن الزوجة والزوجتان والثلاث والاربع يشتركن فيه وقوله وان كان رجل يورث كلالة هي مشتقة من الاكليل وهو الذي يحيط بالراس من جوانبه والمراد هنا من يرثه من حواشيه لا اصوله ولا فروعه كما روى الشعبي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال اقول فيها برأيي فان يكن صوابا فمن الله وان يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه الكلالة من لا ولد له ولا والد فلما ولي عمر بن الخطاب قال اني لاستحيي ان اخالف ابا بكر في رأي رآه كذا رواه ابن جرير وغيره وبه قال علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس وجمهور السلف والخلف والائمة الاربعة وانعقد الاجماع على ذلك وقوله وله اخ او اخت اي من ام كما هو في قراءة بعض السلف وقوله فهم شركاء في الثلث اي اخوة الام في الثلث وهم يخالفون بقية الورثة من وجوه احدها انهم يرثون مع من ادلوا به وهي الام والثاني ان ذكرهم وانثاهم سواء والثالث انهم لا يرثون الا اذا كان ميتهم يورث كلالة فلا يرثون مع اب ولا جد ولا ولد ولا ولد ابن والرابع انهم لا يزادون على الثلث وان كثر ذكورهم واناثهم وفي المسألة المشتركة وهي زوج وام او جدة واثنان من ولد الام وواحد واكثر من ولد الابوين الجمهور على ان للزوج النصف وللام او الجدة السدس ولولدي الام الثلث ويشاركهم ولد الابوين وهو مذهب مالك والشافعي وهو المنقول عن ابن عباس وبه قال ابو حنيفة وصاحباه واحمد وآخرون وقوله من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار اي لتكن وصيته على العدل لا على الاضرار والجور بان يحرم بعض الورثة او ينقصه او يزيده على ما قدر الله له من الفريضة فمن سعى في ذلك كان كمن ضاد الله في حكمته وقسمته وعن ابن عباس موقوفا قال الاضرار في الوصية من الكبائر ولهذا اختلف في الاقرار للوارث هل هو صحيح ام لا على قولين احدهما لا يصح لانه مظنة التهمة والثاني يصح وعليه الشافعي والبخاري وقد ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث وحجتهما ان رافع بن خديج اوصى ان لا تكشف الفزارية عما اغلق عليه بابها رواه البخاري تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين اي هذه الفرائض والمقادير التي جعلها الله للورثة بحسب قربهم من الميت واحتياجهم اليه هي حدود الله فلا تجاوزوها ولهذا قال ومن يطع الله ورسوله اي فيها فلم يزد بعض الورثة ولا نقص بعضا بحيلة ووسيلة بل تركهم على حكم الله وفريضته وقسمته يدخله جنات تجري من تحتها الانهار الى قوله مهين اي لكونه غير ما حكم الله به وضاد الله في حكمه وهذا انما

او امرأة تورث كلالة ونظم الآية وان كان رجل او امرأة تورث كلالة
فلكل واحد منهما السدس
فان كانوا اكثر من ذلك
الام

روایت از ابی هریره که روایت کرده اند
از سید عالم که فرمود مرد باشد که هفتاد سال
عمل بهشتیان کند و در حالتی که میرد وصیتی
بناحق کند خدای تعالی عاقبت او را به شر ختم
فرماید و ببرد او را به آتش
دوزخ و مرد باشد که هفتاد سال
عمل دوزخیان کند و در زمان مرگ
در وصیت نکو کند خدای تعالی
کردارهای او را به خیر ختم فرماید و به بهشتش
درآرد و نیز فرمود که ضرر و اضرار در
مسلمانی نیست هر کس که میراثی که خدای تعالی
آنرا مقرر فرموده قطع کند الله سبحانه و تعالی
میراثی که او را در بهشت باشد قطع فرماید

[illegible]

يصدد عن عدم رضاه بقسمة الله وحكمه ولهذا يجازيه بالاهانة في العذاب الاليم المقيم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الخير سبعين سنة فاذا اوصى جار في وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل اهل
الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة ثم يقول ابو هريرة اقرأوا ان شئتم تلك حدود الله الى قوله عذاب مهين
رواه احمد واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن
في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا واللذان ياتيانها منكم فآذوهما فان تابا
واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما كان في ابتداء الاسلام ان المرأة اذا زنت فثبت زناها بالبينة
العادلة حبست في بيت فلا تمكن من الخروج منه الى ان تموت ولهذا قال واللاتي ياتين الفاحشة الى قوله سبيلا فالسبيل الذي جعله
الله هو الناسخ لذلك قال ابن عباس كان الحكم كذلك حتى انزل الله سورة النور فنسخها بالجلد والرجم وعليه ائمة التابعين وهو متفق عليه
وعن عبادة بن الصامت قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه الوحي اثر عليه كرب لذلك وتربد وجهه فانزل الله تعالى
عليه ذات يوم فلما سري عنه قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب
جلد مائة والرجم رواه مسلم واصحاب السنن بطرق وروايات وقوله واللذان ياتيانها منكم اي واللذان يفعلان الفاحشة
فآذوهما قال ابن عباس وغيره اي بالشتم والتعيير والضرب بالنعال وكان الحكم كذلك حتى صار منسوخا بما سبق وقال بعض التابعين
نزلت في الرجل والمرأة اذا زنيا قبل الاحصان وقيل في الرجلين اذا فعلا يعني اللواط وفي السنن عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من رأيتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وقوله فان تابا اي ندما ونزعا عما كانا عليه وصلحت
اعمالهما وحسنت فاعرضوا عنهما اي لا تعنفوهما بكلام قبيح ولا تؤذوهما بعد ذلك لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله
كان توابا رحيما وقد ثبت في الصحيحين اذا زنت امة احدكم فليجلدها الحد ولا يثرب عليها اي ثم لا يعيرها بما صنعت بعد اقامة
الحد عليها انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله
عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم
الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما
اي يقبل الله التوبة ممن عمل السوء بجهالة ثم يتوب وكان قبل الغرغرة قال مجاهد وغيره من عصى الله خطأ او عمدا فهو جاهل
حتى ينزع عن الذنب وكان الصحابة يقولون كل ذنب اصابه عبد فهو بجهالة عمدا كان او خطأ وقوله ثم يتوبون من قريب قال
ابن عباس اي ما بينه وبين ان ينظر الى ملك الموت وقال الضحاك ما دون الموت فهو قريب وقال عكرمة الدنيا كلها قريب عن
ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب وفيه ان من تاب
الى الله وهو يرجو الحياة فان توبته مقبولة منه واما متى ايس من الحياة وعاين الملك وحشرجت الروح في الحلق وضاق بها
الصدر وغرغرت النفس فلا توبة متقبلة حينئذ ولهذا قال وليست التوبة للذين يعملون السيئات كما في غيرها من الآيات وقوله و
لا الذين يموتون وهم كفار يعني ان الكافر اذا مات على كفره وشركه لا ينفعه ندمه ولا توبته ولا يقبل منه فدية ولو بملء الارض
ذهبا عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة عبده او يغفر لعبده ما لم يقع الحجاب قيل وما وقوع الحجاب
قال ان تخرج النفس وهي مشركة رواه احمد ولهذا قال اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما اي موجعا شديدا مقيما يا ايها الذين آمنوا
لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن

الا ان

الا ان ياتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا
شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن
قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا اتاخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن
منكم ميثاقا غليظا ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء
سبيلا قال ابن عباس كانوا اذا مات الرجل كان اولياؤه احق بامرأته ان شاء بعضهم تزوجها وان شاؤوا زوجوها وان
شاؤوا لم يزوجوها فهم احق بها من اهلها فنزلت يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم الآية رواه البخاري وابو داود والنسائي وقوله و
لا تعضلوهن قال ابن عباس ان الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته فيعضلها حتى تموت او ترد اليه صداقها فاحكم الله عن ذلك
اي نهى عنه تفرد به ابو داود وروى غير واحد نحوها عن ابن عباس وقال السدي عن ابي مالك كانت المرأة في الجاهلية اذا مات
زوجها جاء وليه فالقى عليها ثوبا فان كان له ابن صغير او اخ حبسها حتى يشب او تموت فيرثها فان هي انفلتت فاتت اهلها
ولم يلق عليها ثوبا نجت فانزل الله هذه الآية يعني ولا تضاروهن في العشرة لتترك لكم من صداقها او حقا من حقوقها على وجه
القهر لها وقال ابن عباس لا تقهروهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن يعني الرجل يكون له المرأة وهو كاره لصحبتها ولها عليه
مهر فيضرها لتفتدي به نفسها وهذا هو الصواب وعليه الاكثر واختاره ابن جرير وقوله الا ان ياتين بفاحشة مبينة قال
الجمهور يعني بذلك الزنا اي انها اذا زنت فلك ان تسترجع منها الصداق الذي اعطيتها وتضاجرها حتى تتركه لك وعن بعضهم
ان المراد النشوز والعصيان وعند ابن جرير انه يعم ذلك كله الزنا والنشوز والعصيان فان هذا كله يبيح مضاجرتها حتى تبرئه
حقها او بعضه ويفارقها وقوله وعاشروهن بالمعروف اي طيبوا اقوالكم لهن وحسنوا افعالكم بحسب قدرتكم من الاجمال و
المبيت والنفقة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلي وفي رواية لاهلي رواه الترمذي و
الدارمي ومن اخلاقه صلى الله عليه وسلم مع اهله انه كان جميل العشرة دائم البشر يداعب اهله ويتلطف بهن ويوسع النفقة
عليهن ويضاحكهن وكان يسابق عائشة توددا اليها بذلك كما هو مبين في الصحاح والسنن وقوله فان كرهتموهن الآية
اي فعسى ان يكون صبركم على امساككم لهن مع كراهتهن فيه خير كثير لكم في الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس هو ان يعطف عليها
فيرزق منها ولدا ويكون فيه خير كثير وفي الحديث الصحيح لا يفرك مؤمن مؤمنة ان سخط منها خلقا رضي منها آخر وقوله
وان اردتم استبدال زوج مكان زوج اي اذا اراد احدكم ان يفارق امرأة ويستبدل مكانها اخرى فلا تاخذن مما كان اصدق
الاولى شيئا ولو كان قنطارا اي مالا كثيرا لا يكاد يحصر وفيه جواز الاصداق بالمال الكثير وقد كان عمر بن الخطاب نهى عن كثرة
الاصداق ثم رجع عن ذلك بعد ان عارضته امرأة من قريش فقالت يا امير المؤمنين نهيت الناس عن المغالاة في صداقهن
وقد قال الله تعالى وآتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا الآية فقال عمر اللهم غفرا كل الناس افقه من عمر ثم رقي المنبر فقال
فقال ايها الناس اني كنت نهيتكم ان تزيدوا النساء في صداقهن على اربعمائة درهم فمن شاء ان يعطي من ماله ما احب اي من
طابت نفسه فليفعل اسناده جيد قوي ثم ان عمر قد عمل بخلاف ما نهى عنه اولا فانه اصدق ام كلثوم بنت علي بن ابي طالب من فاطمة
رضي الله عنهم اربعين الفا اكراما لها وعلى ذلك كان عمل الناس فيما بعد لما فتح الله عليهم الفتوح وقوله وكيف تاخذونه اي
وكيف تاخذون الصداق من المرأة وقد افضيت اليها وافضت اليك والمراد به الجماع وفي سنن ابي داود عن بصرة بن ابي بصرة
انه تزوج امرأة بكرا في خدرها فاذا هي حبلى من الزنا فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقضى لها بالصداق وفرق بينهما

فلا تاخذوا منه شيئا

عسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا

غرغر المريض اذا ترددت روحه في حلقه

وامر بحلها وقال الولد عبد لك والصداق في مقابلة البضع وقوله واخذن منكم ميثاقا غليظا عن ابن عباس وغيره ان المراد بذلك العقد وعنه ايضا امساك بمعروف او تسريح باحسان وعن بعض التابعين هو قوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله كما في صحيح مسلم عن جابر في خطبة حجة الوداع فان كلمة الله هو التشهد في الخطبة وقوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم الاية حرم الله تعالى زوجات الاباء على الابناء تكرمة لهم واحتراما ان يوطا من بعده حتى انها تحرم على الابن بمجرد العقد عليها وهذا امر مجمع عليه قال الاشعث بن سوار توفي ابو قيس وكان من صالحي الانصار فخطب ابنه قيس امراة ابيه على عادة اهل الجاهلية فقالت اني اتخذتك ولدا وانت من صالحي قومك ولكني اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم استامره فاتت فاخبرته فانزل الله هذه الاية رواه ابن ابي حاتم وعن ابن عباس قال كان اهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله الا امراة الاب والجمع بين الاختين فانزل الله هذه الاية فهو حرام في هذه الامة مشنع غاية التشنيع وقوله الا ما قد سلف اي لكن ما مضى في الجاهلية فهو معفو عنه انه كان فاحشة اي من اقبح المعاصي والمقت اشد البغض اي هو امر كبير في نفسه ويودي الى مقت الابن اباه بعد ان يتزوج بامراته لما علم بالتجربة وساء سبيلا اي بئس طريقا لمن سلكه من الناس فمن تعاطاه بعد هذا فقد ارتد عن دينه فيقتل ويصير ماله لبيت المال عن البراء بن عازب قال لقيت عمي ومعه لواء قد عقده له النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له اي عم اين بعثك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثني الى رجل تزوج امراة ابيه وامرني ان اضرب عنقه رواه احمد وقد اجمعوا على تحريم موطوءة الاب بتزويج او ملك او شبهة ايضا فمن باشرها الاب بشهوة دون الجماع او نظر الى فرجها فعند احمد انها تحرم على الابن ايضا وعند اخرين لا تحرم لكن مكروه

حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما

هذه الاية الكريمة في تحريم المحارم من النسب وما يتبعه من الرضاع ومن المحارم بالصهر قال ابن عباس يحرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرا حرمت عليكم امهاتكم الى قوله وبنات الاخت فهذا النسب واستدل الجمهور على تحريم المخلوقة من ماء الزاني عليه بعموم قوله وبناتكم فانها بنت كما هو مذهب الائمة الثلاثة وعن الشافعي في اباحتها قول لانها ليست بنتا شرعية وكما لا ترث بالاجماع لا تدخل في هذه وقوله وامهاتكم اللاتي ارضعنكم اي كما تحرم عليك امك التي ولدتك كذلك امك التي ارضعتك كما في الصحيحين عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة وفي لفظ لمسلم يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب واختلفوا في عدد الرضعات المحرمة والصحيح من مذهب الشافعي انه لا يحرم اقل من خمس رضعات كما هو مبين في كتب الفقه لما قالت عائشة كان فيما انزل من القران عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي فيما يقرا من القران رواه مسلم وقوله وامهات نسائكم اما ام المراة فانها تحرم بمجرد العقد على بنتها سواء دخل بها ام لا يدخل واما الربيبة وهي بنت المراة فلا تحرم بمجرد العقد على امها حتى يدخل بها فان طلق الام قبل الدخول بها جاز له ان يتزوج بنتها ولهذا قال فلا جناح عليكم اي في تزويجهن وهذا خاص بالربائب وحدهن

واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت

~~وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن~~

وقد فهم قوم عود الضمير الى الامهات والربائب فقالوا لا تحرم واحدة من الام والبنت بمجرد العقد على الاخرى حتى يدخل بها لقوله فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وهو خطاء وعن علي رضي الله عنه في رجل تزوج امراة فطلقها قبل ان يدخل بها ايتزوج امها قال هي بمنزلة الربيبة رواه ابن جرير وعليه جمهور ائمة السلف والخلف ومنهم الائمة الاربعة والله اعلم قوله وربائبكم اللاتي في حجوركم الجمهور على ان الربيبة حرام سواء كانت في حجر الرجل ام لا وهذا الخطاب خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له كقوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا وفي الصحيحين ان ام حبيبة قالت يا رسول الله انكح اختي بنت ابي سفيان قال او تحبين ذلك قلت نعم لست لك بمخلية واحب من شاركني في خير اختي قال فان ذلك لا يحل لي قالت فانا نحدث انك تريد ان تنكح بنت ابي سلمة قال بنت ام سلمة قلت نعم قال انها لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي انها لابنة اخي من الرضاعة ارضعتني واباسلمة ثويبة فلا تعرضن علي بناتكن ولا اخواتكن وفي رواية للبخاري اني لو لم اتزوج ام سلمة ما حلت لي فجعل مناط التحريم مجرد تزويجه ام سلمة وحكم بالتحريم لذلك وهذا مذهب الائمة الاربعة وخالفهم داود الظاهري واعتبر مفهوم قيد في حجوركم وحكاه الرافعي عن مالك ايضا واما الربيبة في ملك اليمين فلا خلاف بينهم انه لا يحل لاحد ان يطا امراة وبنتها من ملك اليمين لان الله حرم ذلك في النكاح وملك اليمين تبع له وقوله اللاتي دخلتم بهن الصحيح ان المراد هنا الوطء والوصول اليها بالجماع وقوله وحلائل ابنائكم اي حرمت عليكم زوجات ابنائكم الذين ولدتموهم من اصلابكم يحترز بذلك عن الادعياء الذين كانوا يتبنوهم في الجاهلية كما في قوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها قال الحسن وغيره ان هذه الايات مبهمات وهي حلائل ابنائكم وامهات نسائكم اي عامة في المدخول بها فتحرم بمجرد العقد عليها وهذا متفق عليه وحرمة امراة الابن من الرضاع بدليل قوله عليه الصلوة والسلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقوله وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف اي وحرم عليكم الجمع بين الاختين معا في التزويج وكذا في الوطء بملك اليمين الا ما كان منكم في جاهليتكم فقد عفونا عن ذلك وغفرناه وقد اجمعوا على انه يحرم الجمع بين الاختين في النكاح ومن اسلم وتحته اختان خير فيمسك احدهما ويطلق الاخرى لا محالة وعن فيروز الديلمي قال اسلمت وعندي امراتان اختان فامرني النبي صلى الله عليه وسلم ان اطلق احدهما رواه احمد وابو داود والترمذي وفي لفظ له فقال النبي صلى الله عليه وسلم اختر ايتهما شئت ثم قال هذا حديث حسن واما الجمع بينهما في الوطء بملك اليمين فحرام ايضا لعموم الاية وعليه الجمهور والائمة الاربعة وقد توقف بعض السلف في ذلك فلا يفتي به وقال ابن مسعود يحرم من الاماء ما يحرم من الحرائر الا العدد رواه احمد وقوله والمحصنات من النساء اي وحرم عليكم من الاجنبيات المحصنات وهن المزوجات الا ما ملكت ايمانكم يعني الاماء المملوكات بالسبا وغيره فانه يحل لكم وطيهن اذا استبريتموهن بان الاية نزلت في ذلك عن ابي سعيد الخدري قال اصبنا نساء من سبي اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن ولهن ازواج فسالنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم قال فاستحللنا بها فروجهن رواه احمد ومسلم والنسائي والترمذي وذهب جماعة من السلف كابن مسعود وابن عباس الى ان بيع الامة يكون طلاقا لها من زوجها اخذا بعموم هذه الاية قال ابن عباس طلاق الامة خمسة بيعها طلاقها وعتقها طلاقها وهبتها طلاقها وبراءتها طلاقها وطلاق زوجها طلاقها وعليه بعض السلف والجمهور قديما وحديثا بخلافهم في البيع بانه ليس بطلاق لان البائع خرج عن ملكه فاما منفعة بضعها فهي للزوج لا له ودليل ذلك حديث بريرة حيث اشترتها عائشة واعتقتها ولم ينفسخ نكاحها من زوجها مغيث بل خيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الفسخ والبقاء فاختارت الفسخ وقصتها مشهورة فلو كان بيع الامة طلاقها لما خيرها النبي صلى الله عليه وسلم وان المراد من الاية المسبيات فقط وقيل المراد بهن العفائف حرام عليكم حتى تملكوا عصمتهن بنكاح وشهود ومهور وولي واحدة او اثنتين او ثلاث او اربع وقال عمرو بن عبيدة

[illegible]

اي ما عدا الاربع حرام عليكم الا ما ملكت ايمانكم وقوله كتاب الله عليكم اي هذا التحريم كتاب الله عليكم فالزموا كتابه ولا تخرجوا عن حدوده والزموا شرعه وما فرضه فلا تجاوزوه اعني اربع ولا تباشروا ما حرم عليكم قوله واحل لكم ما وراء ذلكم اي ما عدا من ذكرت من المحارم هن لكم حلال قاله عطاء وغيره وقيل يعني ما ملكت ايمانكم وهي هذه الاية التي احتج بها من احتج على تحليل الجمع بين الاختين وملك اليمين وهي احد الايتين اللتين قيل احلتها اية وحرمتها اية وقوله ان تبتغوا باموالكم اي تحصلوا باموالكم من الزوجات الى اربع او السراري ما شئتم بالطريق الشرعي ولهذا قال محصنين غير مسافحين اي غير زانين ماخوذ من سفح الماء وهو صبه يعني المني وقوله فما استمتعتم به منهن اي غير متزوجين مستعففين اي كما تستمتعون بهن فاتوهن اجورهن يعني الصداق في مقابلة ذلك كقوله واتوا النساء صدقاتهن نحلة وقد استدلوا بعموم هذه الاية على جواز نكاح المتعة ولا شك انه كان مشروعا في ابتداء الاسلام ثم نسخ بعد ذلك ومذهب الشافعي وطائفة انه ابيح ثم نسخ يعني في خيبر ثم ابيح اي في حنين مرة ثم نسخ الى الابد والجمهور على حرمته لما ثبت في الصحيحين عن علي رضي الله عنه قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الاهلية يوم خيبر وفي مسلم عن سبرة بن معبد الجهني انه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة فقال يا ايها الناس اني كنت اذنت لكم في الاستمتاع من النساء وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيمة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تاخذوا مما اتيتموهن شيئا وقوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتم من حمل الاية على نكاح المتعة الى الاجل مسمى قال اي لا جناح عليكم اذا انقضى الاجل ان تراضوا على زيادة وزيادة الجعل قال السدي ان شاء ارضاها من بعد الفريضة الاولى يعني الاجر الذي اعطاها على تمتعه بها قبل انقضاء الاجل بينهما فقال اتمتع منك ايضا بكذا وكذا فاذا انقضت المدة فليس له عليها سبيل وهي منه برية وعليها ان تستبرئ ما في رحمها وليس بينهما ميراث فلا يرث واحد منهما صاحبه ومن قال بالقول الاول وهو النكاح الصحيح قال المراد به الابراء عن المهر والانتقاء والاعتياض اي اذا فرضت لها صداقا فابرأتك عنه او عن شيء منه فلا جناح عليك ولا عليها في ذلك قال ابن زيد اي ان وضعت لك منه شيئا فهو لك سائغ وقال ابن عباس التراضي ان يوفيها صداقها ثم يخيرها يعني في المقام او الفراق قوله ان الله كان عليما حكيما يناسب ذكر هذين الوصفين بعد شرع هذه المحرمات العظيمة **ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن اهلهن واتوهن اجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم**

اي من لم يجد سعة وقدرة لنكاح الحرائر العفائف المؤمنات وقيل الطول الهواء يعني نكاح الامة اذا كان هواه فيها وهذا شرط عجزه عن القدرة على نكاح الحرة وقوله من فتياتكم اي فتزوجوا من الاماء المؤمنات اللاتي ملكهن المؤمنون كذا قال السدي ومقاتل بن حيان والله اعلم بايمانكم اي هو العالم بحقائق الامور وسرائرها وانما لكم الظاهر من الامور وكلكم من نفس واحدة واخوة لبعض ثم قال فانكحوهن باذن اهلهن فيه ان السيد ولي امته لا تزوج الا باذنه وكذا هو ولي عبده ليس لعبده ان يتزوج بغير اذنه لما جاء في الحديث ايما عبد تزوج بغير اذن مواليه فهو عاهر اي زان فان كان مالك الامة امراة زوجها وليها باذنها كما جاء في الحديث لا تزوج المراة المراة ولا تزوج نفسها فان الزانية هي التي تزوج نفسها وقوله فاتوهن اجورهن اي ادفعوا اليهن مهورهن بالمعروف اي عن طيب نفسكم ولا تبخسوا منه شيئا استهانة بهن لكونهن اماء مملوكات وقوله محصنات اي عفائف عن الزنا غير مسافحات اي الزواني اللاتي لا يمتنعن عن احد ارادهن بالفاحشة ولا متخذات اخدان يعني اخلاء سرا الصداق نهى الله عن تزوجهما ما دامتا كذلك وقوله فاذا احصن قرئ بضم الهمزة وكسر الصاد

[illegible] في الدين

ان تبتغوا مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل
وما يحرم ارادة ان تكون ابتغاؤكم باموالكم
التي جعل الله لكم قياما في حال كونكم محصنين
غير مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا
انفسكم فيما لا يحل فتخسروا دنياكم ودينكم و
لا مفسدة اعظم مما يجمع بين الخسرانين و
الاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع
في الحرام

معناه ان الله اعلم بتفاضل ما بينكم وبين
ارقائكم في الايمان ورجحانه ونقصانه
فيهم وفيكم فربما كان ايمان الامة ارجح
من ايمان الحرة والمراة افضل في الايمان
من الرجل وحق المؤمنين ان لا يعتبروا الا
فضل الايمان وهذا تانيس بنكاح الاماء
وترك الاستنكاف منه

مجهولا وقرئ

٩٥

مجهولا وقرئ بفتحهما مرفوعا لازما وقيل معنى القراءتين واحد على قولين احدهما ان الاحصان هنا الاسلام وهذا قول اكثر الصحابة والتابعين وعليه الشافعي استدلالا بالسنة واجماع الاكثر وقال القاسم وسالم احصانها اسلامها وعفافها وقيل المراد ههنا التزوج وهو قول ابن عباس وبعض التابعين وقال مجاهد احصان العبد ان ينكح الحرة واحصان الامة ان ينكحها الحر وهكذا عن ابن عباس وقال الشعبي والنخعي من قرا احصن مجهولا فمراده التزوج ومن قرا معروفا فمراده الاسلام واختاره ابن جرير وقرره ونصره والظاهر ان المراد بالاحصان هنا التزوج لان سياق الاية كله في الفتيات المؤمنات فتعين ان المراد كما فسره ابن عباس ومن تبعه التزويج وعلى كل من القولين اشكال على مذهب الجمهور لانهم يقولون ان الامة اذا زنت فعليها خمسون جلدة سواء كانت مسلمة او كافرة مزوجة او بكرا ومفهوم الاية يقتضي انه لا حد على غير المحصنة ممن زنا من الاماء والجواب من وجهين قال الجمهور الاعتبار بالمنطوق وقد وردت احاديث عامة في اقامة الحد على الاماء فمنها عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه خطب فقال يا ايها الناس اقيموا على ارقائكم الحد من احصن منهم ومن لم يحصن فان امة لرسول الله صلى الله عليه وسلم زنت فامرني ان اجلدها فاذا هي حديث عهد بنفاس فخشيت ان انا جلدتها ان اقتلها فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال احسنت اتركها حتى تماثل رواه مسلم وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا زنت امة احدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر والثاني فيهما ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الامة اذا زنت ولم تحصن قال ان زنت فاجلدوها ثم ان زنت فاجلدوها ثم ان زنت فاجلدوها ثم بيعوها ولو بضفير وهو الحبل قالوا ولم يوقت في الحديث عدد كما وقت في المحصنة في القرآن بنصف ما على المحصنات من العذاب فوجب الجمع بين الاية والحديث بذلك والله اعلم وقوله ذلك لمن خشي العنت منكم اي انما يباح نكاح الاماء بالشروط المتقدمة لمن خاف على نفسه الوقوع في الزنا وشق عليه الصبر عن الجماع وله حينئذ ان يتزوج بالامة وقوله وان تصبروا اي وان تعففوا وتركوا تزوجها وتجاهدوا انفسكم فهو خير لكم لئلا يرقوا الاولاد الحاصلة منها في الرق ومن هذه الاية استدلوا على جواز نكاح الاماء مع العجز عن طول الحرائر ومع خوف العنت لما في نكاحهن من مفسدة رق الولد والدناءة من العدول عن الحرائر اليهن **يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا** اي يريد الله ان يبين لكم ايها المؤمنون ما احل لكم وحرم عليكم مما تقدم ذكره وغيره ويهديكم سنن الذين من قبلكم من شرائع الماضين وطرائقهم الحميدة في اتباع شرائعه التي يحبها ويرضاها ويتوب عليكم اي يتجاوز عنكم وقيل يوفقكم للتوبة من المآثم والمحارم والله عليم في شرعه وقدره حكيم في افعاله واقواله وقوله والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات اي ومن اتباع الشياطين من اهل الكتاب والزناة ان تميلوا من الحق الى الباطل ميلا عظيما باتيانكم ما حرم عليكم يريد الله ان يخفف عنكم اي في شرائعه واوامره ونواهيه وما يقدره لكم ولهذا اباح نكاح الاماء بشروطه وخلق الانسان ضعيفا فناسب التخفيف لضعفه في نفسه وفي عزمه وهمته وقيل ضعيفا في امر النساء بحيث يذهب عقله عندهن **يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما** ان الله نهى عباده المؤمنين ان ياكلوا اموال بعضهم بعضا بالباطل اي بانواع المكاسب التي هي غير شرعية كانواع الربا والقمار وما جرى مجراه من سائر صنوف الحيل وان ظهرت في غالب الحكم الشرعي مما يعلم الله ان متعاطيها انما يريد الحيلة على الربا كما قال ابن عباس

ان في محل الرفع على الابتداء اي وصبركم
عن نكاح الاماء متعففين خير لكم وعن
النبي عليه الصلاة والسلام الحرائر صلاح
البيت والاماء هلاك البيت
كشاف

مكم في يريد اللام
مؤكدة لارادة
التبيين كما زيدت
في لا اباك لتاكيد اضافة
الاب والمعنى يريد الله ان
يبين لكم ما هو خفي عليكم من مصالحكم
وافاضل اعمالكم وان يهديكم مناهج
من كان قبلكم من الانبياء والصالحين
والطرق [illegible]

ان تميلوا
يستوجبون
ان يتوب عليكم

[illegible]

في الحال تشتري ثوبا فتقول ان رضيته اخذته و الا رددته و رددت معه درهما هو الذي قال الله لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
وقال ابن مسعود هي آية محكمة لا تنسخ الى يوم القيمة و قوله الا ان تكون تجارة عن تراض منكم وفي تجارة بالرفع و النصب هذا استثناء
منقطع كانه يقول لا تتعاطوا الاسباب المحرمة في اكتساب الاموال لكن التجارة المشروعة التي تكون عن تراض من البايع و المشتري
فافعلوها و هذه الآية احتج الشافعي على انه لا يصح البيع الا بالقول لانه يدل على التراضي نصا بخلاف المعاطاة فانه قد لا يدل عليه و
لا بد منه وخالفه الجمهور من الايمة الثلثة فهو افقههم فراوا ان الاقوال كما تدل على التراضي فكذلك الافعال تدل في بعض المحال قطعا
فصححوا بيع المعاطاة قطعا و هو قول في مذهب الشافعي ومن تمام التراضي اثبات خيار المجلس بعد العقد كما في الصحيحين ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال البيعان بالخيار ما لم يتفرقا و منه ايضا خيار الشرط بعد العقد الى ثلثة ايام كما هو متفق عليه بين العلماء و قوله
و لا تقتلوا انفسكم اي بارتكاب محارم الله و تعاطي معاصيه و اكل اموالكم بينكم بالباطل ان الله كان بكم رحيما اي فيما امركم به ونهاكم عنه
وقيل اراد به قتل المسلم نفسه كما في الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجاء
بها بطنه يوم القيمة في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن قتل نفسه بسم فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا و من
تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا و فيهما ايضا انه عليه الصلوة و السلام قال من قتل نفسه بشيء
عذب به يوم القيمة و لهذا قال ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما اي ومن يتعاطى ما نهاه الله عنه متعديا فيه ظالما في تعاطيه اي عالما
بتحريمه متجاسرا على انتهاكه فسوف نصليه نارا اي ندخله في الآخرة نارا واي نار وكان ذلك على الله يسيرا اي هينا و هذا تهديد شديد
و وعيد اكيد فليحذر منه كل عاقل ممن القى السمع وهو شهيد و قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه اي اذا اجتنبتم كبائر الآثام
التي نهيتم عنها كفرنا عنكم صغائر الذنوب و تجاوزنا لكم عنها و ادخلناكم الجنة و لهذا قال و ندخلكم مدخلا كريما اي حسنا و في مسند
احمد عن سلمان الفارسي قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم اتدري ما يوم الجمعة قلت هو اليوم الذي جمع الله فيه اباكم قال لكني ادري
ما يوم الجمعة لا يتطهر الرجل فيحسن طهوره ثم ياتي الجمعة فينصت حتى يقضي الامام صلوته الا كانت كفارة له ما بينه وبين الجمعة
المقبلة ما اجتنبت الكبائر و روى البخاري نحوه و عن ابي سعيد و ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ما من عبد
يصلي الصلوات الخمس و يصوم رمضان و يخرج الزكوة و يجتنب الكبائر السبع الا فتحت له ابواب الجنة ثم قيل له ادخل الجنة بسلام
رواه النسائي و الحاكم في مستدركه و ثبت في الصحيحين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل
و ما هن قال الشرك بالله و السحر و قتل النفس التي حرم الله الا بالحق و اكل الربوا و اكل مال اليتيم و التولي يوم الزحف و قذف المحصنات
المؤمنات الغافلات و فيهما ايضا عن انس بن مالك قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر او سئل عن الكبائر فقال الشرك بالله و
قتل النفس و عقوق الوالدين و قال الا انبئكم باكبر الكبائر قول الزور او شهادة الزور او شهادة و عن ابن مسعود قال الكبائر من اول
سورة النساء الى ثلثين آية منها ثم تلا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم و ندخلكم مدخلا كريما و قيل لابن عباس الكبائر
سبع قال الى السبعين اقرب و في رواية ان رجلا قال لابن عباس كم الكبائر سبع قال الى سبعمائة اقرب غير انه لا كبيرة مع استغفار و لا
صغيرة مع اصرار و قال الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب و في هذا الباب احاديث و اقوال كثيرة و عن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من امتي رواه ابو داود و الترمذي و قال حديث حسن صحيح و اختلف علماء الاصول
و الفروع في حد الكبيرة فمن قائل هي ما عليه حد في الشرع ومنهم من قال هي ما عليه وعيد بخصوصه و قيل غير ذلك قال الامام ابو القاسم
الرافعي في العزيز و كتاب الشهادات منه ثم اختلف الصحابة فمن بعدهم في الكبائر و في الفرق بينها و بين الصغائر و للاصحاب في تفسير

الكبيرة وجوه

قال الحسن لا تقتلوا انفسكم يعني اخوانكم اي لا يقتل بعضكم بعضا وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع لا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قال ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان ياكل معك قال ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تصديقه صلى الله عليه وسلم والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون

سفيان الثوري الكبائر ما كان فيه المظالم بينك وبين العباد والصغائر ما كان بينك وبين الله لان الله كريم يعفو واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيمة يا امة محمد ان الله تعالى قد عفا عنكم جميعا المؤمنين و المؤمنات تواهبوا المظالم و ادخلوا الجنة برحمتي
معالم

الكبيرة وجوه احدها انها المعصية الموجبة للحد و الثاني انها المعصية التي يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص الكتاب و السنة وهذا
اكثر ما يوجد لهم وهم الى الاول اميل و الثاني اوفق لما ذكروه عند تفصيل الكبائر و الثالث قال امام الحرمين في الارشاد وغيره كل جريمة
تنبئ بقلة اكتراث مرتكبها بالدين ورقة الديانة فهي مبطلة للعدالة و الرابع ذكر القاضي ابو سعيد الهروي ان الكبيرة كل فعل نص الكتاب
على تحريمه وكل معصية توجب في جنسها حدا من قتل وغيره وترك كل فريضة مامور بها على الفور و الكذب في الشهادة و الرواية و اليمين
هذا ما ذكروه على سبيل الضبط ثم قال القاضي الروياني فقال الكبائر سبع قتل النفس بغير حق و الزنا و اللواط و شرب الخمر و السرقة
و اخذ المال غصبا و القذف و زاد في الشامل عليها شهادة الزور و اضاف اليها صاحب العدة اكل الربوا و الافطار في رمضان بلا عذر
و اليمين الفاجرة و قطع الرحم و عقوق الوالدين و الفرار من الزحف و اكل مال اليتيم و الخيانة في الكيل و الوزن و تقديم الصلوة
على وقتها و تاخيرها عنه بلا عذر و ضرب المسلم بغير حق و الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم عمدا و سب الصحابة و كتمان الشهادة بلا عذر
و اخذ الرشوة و القيادة بين الرجال و النساء و السعاية عند السلطان و منع الزكوة و ترك الامر بالمعروف و النهي عن المنكر مع القدرة
و نسيان القرآن بعد تعلمه و احراق الحيوان بالنار و امتناع المراة من زوجها بلا سبب و الياس من رحمة الله و الامن من مكر الله
و يقال الوقيعة في اهل العلم و حملة القرآن و مما يعد من الكبائر الظهار و اكل لحم الخنزير و الميتة لا عن ضرورة ثم قال الرافعي و للتوقف
مجال في بعض هذه الخصال كقطع الرحم و ترك الامر بالمعروف على اطلاقهما و نسيان القرآن و احراق مطلق الحيوان و قد اشار الغزالي
في الاحياء الى ميل هنا بالتوقف و قد جمع شيخنا ابو عبد الله الذهبي فيها ما يبلغ نحوا من سبعين كبيرة و اذا قيل ان الكبيرة هي ما توعد الشارع
عليها بالنار بخصوصها كما سبق عن ابن عباس و ما تتبع ذلك اجتمع منه شيء كثير و اذا قيل كل ما نهى الله عنه فكثير جدا والله اعلم **ولا تتمنوا**
ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا و للنساء نصيب مما اكتسبن واسئلوا الله
من فضله ان الله كان بكل شيء عليما قال مجاهد قالت ام سلمة يا رسول الله تغزو الرجال و لا نغزو و لنا نصف الميراث فانزل الله
هذه الآية رواه احمد و الترمذي و عن ابن عباس نهى ان يتمنى الرجل فيقول ليت لو ان لي مال فلان و اهله فنهى الله عن ذلك و لكن يسال
الله من فضله و تابعه بعض التابعين و هو الظاهر من الآية و لا يرد على هذا ما ثبت في الصحيح لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا
فسلطه على هلكته في الحق فيقول رجل لو ان لي مثل ما لفلان لعملت بمثله فهما في الاجر سواء فان هذا شيء غير ما نهت الآية عنه و ذلك
ان الحديث حض على تمني مثل نعمة هذا و الآية نهت عن تمني عين نعمة هذا فقال و لا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض اي في الامور
الدنيوية وكذا في الدينية ايضا لحديث ام سلمة آنفا ثم قال للرجال نصيب مما اكتسبوا اي كل له جزاء على عمله بحسبه ان خيرا فخير و ان شرا فشر وقيل
المراد بذلك في الميراث اي كل يرث بحسبه قاله ابن عباس ثم ارشدهم الى ما يصلحهم فقال و اسئلوا الله من فضله اي لا تتمنوا كما سبق
فان التمني لا يجدي شيئا و لكن سلوني من فضلي اعطكم فاني كريم وهاب و عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا الله
من فضله فان الله يحب ان يسال فان افضل العبادة انتظار الفرج رواه الترمذي ثم قال ان الله كان بكل شيء عليما اي هو عليم بمن يستحق
الدنيا فيعطيه منها و بمن يستحق الفقر فيفقره و بمن يستحق الآخرة فيقيضه لاعمالها و بمن يستحق الخذلان فيخذله عن تعاطي الخير و اسبابه
ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان و الاقربون و الذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله
كان على كل شيء شهيدا عن ابن عباس و اكثر التابعين موالي اي ورثة و عصبة و العرب تسمي ابن العم عصبة كما قال الفضل
ابن عباس مهلا بني عمنا مهلا موالينا لا تظهرن لنا ما كان مدفونا و يعني بقوله مما ترك الوالدان و الاقربون من تركه والديه
و اقربيه بالميراث فتاويل الكلام و لكلكم ايها الناس جعلنا عصبة يرثونه مما ترك و الداه و اقربوه من ميراثهم له و قوله و الذين عقدت

التمني ينقسم الى حسد وغبطة فالحسد ان يتمنى ان يكون الشيء له و يزول عن صاحبه وان لم يكن له اذا كان ماضيا و الغبطة ان يتمنى ان يكون له مثله و الاول المنهي عنه

الكلبي لا يتمنى الرجل مال اخيه ولا امراته ولا خادمه ولكن ليقل اللهم ارزقني مثله

وقال صلى الله عليه وسلم من لم يسال الله يغضب عليه

ايمانكم والذين تحالفتم بالايمان المؤكدة انتم وهم فآتوهم نصيبهم من الميراث كما وعدتموهم في الايمان المغلظة ان الله شاهد بينكم في تلك العهود والمعاقدات وقد كان هذا في ابتداء الاسلام ثم نسخ وامروا ان يوفوا بما عاقدوا ولا ينشئوا بعد نزول هذه الآية معاقدة وفي البخاري عن ابن عباس ولكل جعلنا موالي قال ورثة والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصى له وكان الرجل قبل الاسلام يعاقد الرجل يقول ترثني وارثك ويقال للاحياء يتحالفون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل حلف كان في الجاهلية او عقد ادركه الاسلام فلا يزيده الاسلام الا شدة ولا عقد ولا حلف في الاسلام وعنه صلى الله عليه وسلم نحوه فنسختها هذه الآية واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وزاد احمد في روايته وما يسرني ان لي حمر النعم واني نقضت الحلف الذي كان في دار الندوة وعن عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شهدت حلف المطيبين وانا غلام مع عمومتي فما احب ان لي حمر النعم واني انكثه رواه ابن جرير وذلك نص في الرد على من ذهب الى التوارث بالحلف كما هو مذهب ابي حنيفة واصحابه والصحيح قول الجمهور كما هو مقرر في المذاهب ولهذا قال ولكل جعلنا موالي اي ورثة من قراباته من ابويه واقربيه هم يرثونه دون سائر الناس كما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فهو لاولى رجل ذكر اي اقتسموا الميراث على ذوي الفروض فما بقي فاعطوه العصبة وقال ابن المسيب نزلت هذه الآية في الذين كانوا يتبنون رجالا غير ابنائهم ويورثونهم فانزل الله فيهم فجعل لهم نصيبا في الوصية ورد الميراث الى الموالي في ذي الرحم والعصبة وابى الله للمدعين ميراثا ممن ادعاهم وتبناهم **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا** اي الرجل قيم المرأة وهو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها اذا اعوجت بما فضل الله اي لان الرجال افضل من النساء والرجل خير من المرأة ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال وكذلك الملك الاعظم لقوله عليه الصلوة والسلام لن يفلح قوم ولوا امرهم امرأة وكذا منصب القضاء وغير ذلك وبما انفقوا من اموالهم اي من المهور والنفقات والكلف التي اوجبها الله عليهم لهن في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فالرجل افضل من المرأة وله الفضل والافضال فناسب ان يكون قيما عليها وقال ابن عباس اي امراء عليهن ان تطيعه فيما امرها الله به من طاعته وهي ان تكون محسنة الى اهله حافظة لماله وقال الحسن وغيره جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم تستعديه على زوجها انه لطمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القصاص فانزل الله هذه الآية وفي رواية جعفر الصادق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اردت امرا واراد الله غيره رواه ابن ابي حاتم وابن ابي حاتم وابن مردويه وقال الشعبي الآية انه لو قذفها لاعنها ولو تزوجته جلدت وبما انفقوا من اموالهم اي الصداق الذي اعطاها وقوله فالصالحات اي من النساء قانتات قال ابن عباس وغيره اي مطيعات لازواجهن حافظات للغيب وقال السدي اي تحفظ زوجها في غيبته في نفسها وماله وقوله بما حفظ الله اي المحفوظ من حفظه الله وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة اذا نظرت اليها سرتك واذا امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسك ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية رواه ابن جرير وعن عبد الرحمن بن عوف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها واطاعت زوجها قيل لها ادخلي الجنة من اي ابواب الجنة شئت رواه احمد وقوله واللاتي تخافون نشوزهن اي والنساء اللاتي تخافون ان ينشزن على ازواجهن والنشوز هو الارتفاع فالمرأة الناشزة هي المرتفعة على زوجها التاركة لامره المعرضة عنه المبغضة له فمتى ظهر له منها امارات النشوز فليعظها وليخوفها عقاب الله في عصيانه فان الله قد اوجب حق الزوج عليها وطاعته وحرم عليها معصيته

القوام والقيم بمعنى واحد والقوام ابلغ وهو القائم بالمصالح والتدبير والتعليم والمعنى قوامون عليهن قيام الولاة على الرعية مسلطون على تاديبهن وتدبير مصالحهن وكفاية امورهن

لما له عليها من الفضل والافضال وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت آمرا احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها رواه الترمذي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعى الرجل امرأته الى فراشه فابت عليه لعنتها الملائكة حتى تصبح رواه البخاري ومسلم نحوه وقوله واهجروهن في المضاجع قال ابن عباس وغيره الهجران ان لا يجامعها ويضاجعها على فراشها ويوليها ظهره وزاد آخرون عنه ويعظها فان هي قبلت والا فاهجرها في المضجع ولا يكلمها غير ان يذر نكاحها وذلك عليها شديد وعلى ذلك الاكثر وعن معاوية بن حيدة القشيري انه قال يا رسول الله ما حق امرأة احدنا فقال ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت رواه اصحاب السنن وقوله واضربوهن اي اذا لم ترتدع عن ذلك بالموعظة ولا بالهجران فلكم ان تضربوهن ضربا غير مبرح هكذا عن ابن عباس وغيره كما في حديث حجة الوداع في مسلم فاضربوهن ضربا غير مبرح اي غير مؤثر وقال الفقهاء اي لا يكسر فيها عضوا ولا يؤثر شيئا وعن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسأل الرجل فيما ضرب امرأته عليه رواه ابو داود وابن ماجه وقوله فان اطعنكم اي اذا اطاعت المرأة زوجها في جميع ما يريد منها من المشروعات فلا سبيل له عليها بعد ذلك وليس له ضربها ولا هجرانها وقوله ان الله كان عليا كبيرا تهديد للرجال اذا بغوا على النساء من غير سبب فان الله العلي الكبير وليهن وهو ينتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن **وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا** هذا فيما اذا كان النشوز بين الزوجين وقال الفقهاء اذا وقع الشقاق بين الزوجين اسكنهما الحاكم الى جنب ثقة ينظر في امرهما ويمنع الظالم منهما من الظلم فان تفاقم امرهما وطالت خصومتهما بعث الحاكم ثقة من اهل المرأة وثقة من قوم الرجل ليجتمعا وينظرا في امرهما ويفعلا ما فيه المصلحة فيما يريانه من التوفيق او التفريق وتشوف الشارع الى التوفيق ولهذا قال ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما وهذا محمول على ما نقل عن ابن عباس وهو مذهب الجمهور في ان الحكمين اليهما الجمع والتفرقة بحسب المصلحة حتى قال ابراهيم النخعي ان شاء الحكمان ان يفرقا بينهما بطلقة او بطلقتين او ثلاثا فعلا وقال الحسن البصري يحكمان في الجمع ولا يحكمان في التفريق وكذا قال قتادة وزيد بن اسلم وبه قال احمد ودليلهم ان يريدا اصلاحا من غير ذكر التفريق واما اذا كانا وكيلين من جهة الزوجين فانه ينفذ حكمهما في الجمع والتفرقة بلا خلاف ولا بد ان يكون الحكمان منصوبين من جهة الحاكم حتى ينفذ حكمهما وان لم يرض الزوجان وهو الجديد من مذهب الشافعي واختلف القول في جواز بعث الحكمين من غير رضى الزوجين واصح القولين انه لا يجوز الا برضاهما وليس لحكم الزوج ان يطلق الا باذنه ولا لحكم المرأة ان يخلع بمالها الا باذنها واذا اختلف قولهما فلا عبرة بقول الآخر **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا** امر الله بعبادته وحده لا شريك له فانه الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الآنات والحالات فهو المستحق منهم ان يوحدوه ولا يشركوا به شيئا من مخلوقاته كما في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ اتدري ما حق الله على العباد قال الله ورسوله اعلم قال ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ثم قال اتدري ما حق العباد على الله اذا هم فعلوا ذلك ان لا يعذبهم ثم اوصى بالاحسان الى الوالدين فانه سبحانه جعلهما سببا لخروجك من العدم الى الوجود وكثيرا ما يقرن الله بين عبادته والاحسان الى الوالدين في كتابه ثم عطف عليه الاحسان الى القرابات من الرجال والنساء كما جاء في الحديث الصحيح الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم صدقة وصلة ثم قال واليتامى وذلك لانهم قد فقدوا من يقوم بمصالحهم ومن ينفق عليهم فامر الله بالاحسان اليهم والحنو عليهم ثم قال والمساكين وهم المحاويج من ذوي الحاجات الذين لا يجدون ما يقوم بكفايتهم فامر الله بمساعدتهم بما يتم به كفايتهم وسيأتي الكلام على الفقير والمسكين في سورة

براءة قوله والجار ذي القربى أي الذي بينك وبينه قرابة والجار الجنب وهو الذي ليس بينك وبينه قرابة قاله ابن عباس وآخرون وقيل يعني بالأول المسلم وبالآخر اليهودي والنصراني وقيل يعني بالأول المرأة وبالثاني الرفيق في السفر وفي الوصاة بالجار أحاديث كثيرة منها عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه رواه في الصحيحين وعن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره رواه الترمذي وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يا رسول الله قال الذي لا يأمن جاره بوائقه اتفقا عليه وقوله وابن السبيل عن ابن عباس وجماعة هو الضيف الذي يمر عليك مجتازا أي في السفر وقوله وما ملكت أيمانكم وصية بالأرقاء لأن الرقيق أسير في أيدي الناس ولهذا ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يوصي أمته في مرض موته يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم فجعل يرددها حتى يفيض بها لسانه وفي مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوتهم وفيه أيضا أنه عليه الصلاة والسلام قال للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق وفي الصحيحين عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم هم إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا يكلفهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم وقوله إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا أي مختالا في نفسه معجبا متكبرا فخورا على الناس يرى أنه خير منهم فهو عند نفسه كبير وعند الله حقير وعند الناس بغيض وقيل هو الذي لا يشكر الله على نعمه ويفخر على الناس بها وفي الصحيحين عن حارثة بن وهب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر

الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما

قوله يبخلون البخيل الذي يجحد نعمة الله عليه لا تظهر عليه ولا تبين لا في مأكله ولا في ملبسه ولا في إعطائه وبذله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم رواه مسلم والشح غاية البخل مع الحرص وفي الحديث المرفوع أي داء أدوأ من البخل وقوله ويكتمون ما آتاهم الله من فضله أي ويخفون ذلك ولهذا توعدهم بقوله وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والكفر هو الستر والتغطية والبخيل يستر نعمة الله ويكتمها ويجحدها فهو كافر بنعمة الله عليه وفي الحديث إن الله إذا أنعم بنعمة على عبد أحب أن يظهر أثرها عليه رواه الترمذي نحوه وقد حمل بعض السلف هذه الآية على بخل اليهود بإظهار العلم الذي عندهم من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وكتمانهم ذلك قاله ابن عباس وغير واحد والآية محتملة لذلك والظاهر أن سياقها في البخل بالمال فإن الكلام في الإنفاق وإن كان البخل بالعلم داخل في ذلك ثم قال والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس فذكر أولا الممسكين المذمومين وهم البخلاء ثم ذكر الباذلين المرائين الذين يقصدون بإعطائهم السمعة وأن يمدحوا بالكرم لا الإخلاص وفي الحديث الذين هم أول من تسعر بهم النار وهم العالم والغازي والمنفق المراؤون بأعمالهم وقوله ولا يؤمنون بالله قيل نزلت في مشركي مكة المنفقين على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل في اليهود وقيل في المنافقين ومن يكن الشيطان له قرينا أي إنما حملهم على ذلك الشيطان فإنه سول لهم وأملى لهم وحسن لهم القبائح ومن يكن الشيطان له خليلا وصاحبا فبئس هو قرينا كما قال الشاعر

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي

ثم قال تعالى وماذا عليهم لو آمنوا أي أي شيء يضرهم ويؤذيهم لو سلكوا الطريق الحميدة وعدلوا عن الرياء إلى الإخلاص والإيمان بالله ورجاء موعوده في الدار الآخرة لمن أحسن عملا وأنفقوا مما رزقهم الله في مرضاته وقوله وكان الله بهم عليما أي هو عليم بنياتهم الصالحة والفاسدة وبمن يستحق التوفيق منهم فيوفقه لذلك وبمن يستحق الخذلان والطرد والإبعاد عن جناب

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة سيء الملكة أي الذي يسيء إلى المماليك أخرجه الترمذي

بقوله فيطرده **إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا**

أخبر تعالى أنه لا يظلم عبدا من عباده يوم القيامة مثقال حبة من خردل ولا مثقال ذرة بل يوفيها له ويضاعفها إن كانت حسنة كما جاء في سائر الآيات وفي الصحيحين في حديث الشفاعة فيقول الله ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه من النار وفي لفظ أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول أبو سعيد اقرؤوا إن شئتم إن الله لا يظلم مثقال ذرة الآية وقوله وإن تك حسنة يضاعفها قال سعيد بن جبير فأما المشرك فيخفف عنه العذاب يوم القيامة ولا يخرج من النار أبدا كما في الصحيحين أن العباس قال يا رسول الله إن عمك أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعته بشيء قال نعم هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار ويمكن أن يكون هذا خاصا بأبي طالب دون سائر الكفار لما رواه الطيالسي في مسنده عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بها في الدنيا فإذا جاء يوم القيامة لم تكن له حسنة وقوله ويؤت من لدنه أجرا عظيما يعني الجنة قاله أبو هريرة وآخرون عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله يعطيه يعني عبده المؤمن ألفي ألف حسنة ثم تلا يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فإذا قال الله أجرا عظيما فمن يقدر قدره رواه أحمد وقوله فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد هذا إخبار عن هول يوم القيامة وشأنه أي كيف يكون الأمر والحال يوم القيامة حين يجيء من كل أمة بشهيد يعني الأنبياء عليهم السلام كما في قوله تعالى وجيء بالنبيين والشهداء عن ابن مسعود قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ علي قلت يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل قال نعم إني أحب أن أسمعه من غيري فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فقال حسبك الآن فإذا عيناه تذرفان وقوله يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض أي لو انشقت وبلعتهم الأرض وسويت بهم مما يرون من أهوال الموقف وما يحل بهم من الخزي والفضيحة والتوبيخ وقوله ولا يكتمون الله حديثا إخبار عنهم بأنهم يعترفون بجميع ما فعلوه ولا يكتمون منه شيئا قال رجل لابن عباس سمعت الله يقول يعني إخبارا عن المشركين يوم القيامة أنهم قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وقال في الآية الأخرى ولا يكتمون الله حديثا فقال ابن عباس أما قوله والله ربنا ما كنا مشركين فإنهم لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الإسلام قالوا تعالوا فلنجحد فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين فختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم أي بما كانوا يعملون ولا يكتمون الله حديثا رواه ابن جرير وروى أحمد نحوه

يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا

نهى الله عباده المؤمنين عن فعل الصلوة في حال السكر الذي لا يدري معه المصلي ما يقول وعن قربان محلها وهي المساجد للجنب إلا أن يكون مجتازا من باب إلى باب من غير مكث وقد كان هذا قبل تحريم الخمر كما سبق في الحديث في سورة البقرة عند قوله يسألونك عن الخمر والميسر الآية فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاها على عمر فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فلما نزلت هذه الآية تلاها عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا وكانوا لا يشربون الخمر في أوقات الصلوات فلما نزلت قوله يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر الآية فقال عمر انتهينا انتهينا وذكر في سبب نزول هذه الآية أنواعا منها ما رواه سعد بن أبي وقاص قال صنع رجل من الأنصار طعاما فدعانا أناس من المهاجرين ومن الأنصار فأكلنا وشربنا حتى سكرنا ثم افتخرنا فرفع رجل لحي بعير ففزر به أنف سعد وكان سعد مفزور الأنف وذلك قبل أن تحرم الخمر

[illegible]

فنزلت الآية وهذا مختصر من مطول رواه مسلم واكثر اصحاب السنن وعن علي بن ابي طالب قال صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما
فدعانا وسقانا من الخمر فاخذت الخمر منا وحضرت الصلوة فقدموا فلانا فقرأ قل يا ايها الكافرون ما اعبد ما تعبدون ونحن نعبد
ما تعبدون فانزل الله هذه الآية كذا رواه الترمذي وفي سنن ابي داود والنسائي عن علي انه كان هو وعبد الرحمن بن عوف و
رجل آخر فشربوا الخمر فصلى بهم عبد الرحمن فقرأ قل يا ايها الكافرون فخلط فيها فنزلت الآية وقال الضحاك لم يعن بها سكر الخمر انما عنى
بها سكر النوم قال ابن جرير والصواب ان المراد سكر الشراب لان النهي توجه للذي يفهم التكليف والنائم في حكم المجنون وقوله حتى تعلموا
ما تقولون هذا احسن ما يقال في حد السكران لانه الذي لا يدري ما يقول فان المخمور فيه تخليطه في القراءة وعدم تدبره له وخشوعه
فيها ولا يبعد ان يكون النائم داخلا فيه ايضا لما رواه انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا نعس احدكم وهو يصلي فلينصرف و
لينم حتى يعلم ما يقول رواه البخاري وفي مسلم في بعض الفاظه فلعله يذهب فيستغفر فيسب نفسه وقوله ولا جنبا قال ابن عباس لا تدخلوا المسجد
وانتم جنب الا عابري سبيل يعني تمرون به ولا تجلسون وعليه الجمهور وعن يزيد بن ابي حبيب ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد
كانت تصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم فيريدون الماء ولا يجدون ممرا الا في المسجد فانزل الله ولا جنبا الا عابري سبيل وفيه تحريم لبث
الجنب في المسجد كما هو مذهب الجمهور ويحرم تردده وكذا الحائض والنفساء ان امنتا التلويث والا فلا وحديث عائشة في سنن ابي داود
انه عليه الصلوة والسلام قال اني لا احل المسجد لحائض ولا جنب محمول على اللبث والتلويث وقيل معنى الآية لا تقربوا الصلوة الا ان يكون مسافرا
تصيبه الجنابة فلا يجد الماء فيصلي حتى يجد الماء وهذا عن علي وابن عباس ومجاهد ويشهد له ما رواه ابو ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الصعيد الطيب طهور المسلم وان لم يجد الماء عشر حجج فاذا وجدت الماء فامسه بشرتك فان ذلك خير رواه احمد قال ابن جرير والاولى
الاول لان حكم المسافر مبين في قوله وان كنتم مرضى او على سفر الى آخره وكانه تعالى لما نهى عن تعاطي الصلوة على هيئة ناقصة نهى عن
الدخول على محلها كذلك وهي الجنابة وقوله مرضى او على سفر الآية المرض المبيح للتيمم هو الذي يخاف معه من استعمال الماء فوات عضو او
شين او تطويل البرء ومنهم من جوز التيمم لمجرد المرض لعموم الآية قال مجاهد نزلت في رجل من الانصار كان مريضا فلم يستطع ان يقوم فيتوضأ و
لم يكن له خادم فيناوله الماء فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فانزل الله هذه الآية ولا فرق فيه بين السفر الطويل والقصير او جاء
احد منكم من الغائط هو المكان المطمئن من الارض كني بذلك عن التغوط وهو الحدث الاصغر واما قوله او لامستم النساء وقرئ بحذف الالف
ايضا واختلفوا في معناه على قولين احدهما ان ذلك كناية عن الجماع وهو قول ابن عباس واكثر التابعين فان اللمس والمس والمباشرة يستعمل
غالبا في الجماع قال ولكن الله كريم يكني ما شاء بما شاء وقال ابن جرير وقال آخرون هو اعم منه فان كل لمس بيد كان او غيرها من اعضاء جسد
الانسان ينقض الوضوء اذا كان من غير محرمين وعليه ابن مسعود وقال القبلة من اللمس وفيها الوضوء وكذا ابن عمر وقال اللمس في الآية ما دون
الجماع ووافقه جماعة من الصحابة والتابعين منهم عمر بن الخطاب وان روي عنه ايضا انه كان يقبل امرأته ثم يصلي ولا يتوضأ لكن ذلك عنه محمول
على استحباب الوضوء منه وفي اللغة يطلق على الجس باليد كما يطلق على الجماع كما قيل والمست كفي كفه طلب الغنى قال ابن جرير والاولى بالصواب
القول الاول اي المراد به الجماع دون غيره لصحة الخبر عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قبل بعض نسائه ثم خرج الى الصلوة ولم يتوضأ رواه ابو داود
والترمذي وضعفه البخاري وان روي نحوه بطرق وقوله فلم تجدوا ماء فتيمموا فيه وجوب الطلب لانه لا يقال لم يجد الا بعد الطلب وبيان كيفية الطلب في
كتب الفقه وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا معتزلا لم يصل في القوم فقال يا فلان ما منعك ان تصلي مع القوم الست
برجل مسلم قال بلى يا رسول الله ولكن اصابتني جنابة ولا ماء قال عليك بالصعيد فانه يكفيك ولهذا قال تعالى فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا
طيبا والتيمم في اللغة هو القصد تقول العرب تيممك الله بحفظه اي قصدك ومنه قول امرئ القيس ولما رأت ان المنية وردها

عن جابر قال خرجنا في سفر فاصاب رجلا منا حجر فشجه في راسه فاحتلم فسال اصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم قالوا ما نجد لك رخصة وانت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم قتلوه قتلهم الله الا سالوا اذ لم يعلموا فانما شفاء العي السؤال انما كان يكفيه ان يتيمم ويعصب على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده اخرجه ابو داود والدارقطني

[illegible]

وان الحصى من تحت اقدامها دامي تيممت العين التي عند ضارج يفيء عليها الفيء عن مضيقها طامي والصعيد قيل كل ما صعد على
وجه الارض من التراب وغيره من انواع الاشياء وعليه ابو حنيفة ومالك والمراد هنا التراب فقط وهو مذهب الشافعي واحمد و
اصحابهما محتجين بقوله فتصبح صعيدا زلقا اي ترابا املس طيبا وبما ثبت في صحيح مسلم عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه و
سلم فضلنا على الناس بثلث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الماء فخصص
الطهورية بالتراب في مقام الامتنان فلو كان غيره يقوم مقامه لذكره معه والمراد بالطيب الحلال الطاهر وقوله فامسحوا بوجوهكم وايديكم
التيمم بدل عن الوضوء في التطهير به لا انه بدل عنه في جميع اعضائه بل يكفي فيه مسح الوجه واليدين فقط بالاجماع فعند الشافعي يجب ان
يمسح الوجه واليدين الى المرفقين كما في الوضوء ولما ورد في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تيمم فمسح وجهه وذراعيه وهو الجديد
المفتى به وفي القديم انه يجب مسح الوجه واليدين الى الكفين بضربتين وقول آخر انه يكفي مسح الوجه واليدين الى الكفين بضربة واحدة ولما روي
عن عمار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في التيمم ضربة للوجه والكفين رواه احمد وفي مسنده ايضا عن شقيق قال كنت قاعدا مع عبد الله
وابي موسى فقال ابو موسى لعبد الله لو ان رجلا لم يجد الماء لم يصل فقال عبد الله لا فقال ابو موسى اما تذكر اذ قال عمار لعمر الا تذكر اذ
بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم واياك في سرية فاصابتني جنابة فتمرغت في التراب فلما رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرته فضحك
فقال انما كان يكفيك ان تقول هكذا وضرب بكفيه الى الارض ثم مسح كفيه جميعا ومسح وجهه مسحة واحدة بضربة واحدة فقال عبد الله لا جرم
ما رأيت عمر قنع بذلك فقال له ابو موسى فكيف بهذه الآية في سورة النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا قال فما درى عبد الله ما يقول
وقال لو رخصنا لهم في التيمم لاوشك احدهم اذا برد الماء على جلده ان يتيمم وقال في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه استدل به
الشافعي على انه لا بد في التيمم ان يكون ترابا طاهرا له غبار يتعلق بالوجه واليدين منه شيء كما روي عن ابي الجهيم انه مر بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو
يبول فسلم عليه فلم يرد عليه حتى قام الى جدار فحته بعصا كانت معه فضرب بيده عليه فمسح وجهه وذراعيه ثم رد عليه السلام رواه في شرح السنة
وقوله ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اي في الدين الذي شرعه لكم ولكن يريد ليطهركم فلهذا اباح لكم التيمم اذا لم تجدوا الماء وليتم نعمته عليكم لعلكم
تشكرون ولهذا كانت هذه الامة مختصة بشرعية التيمم دون سائر الامم كما ثبت في الصحيح وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وطهورا وفي رواية
وتربتها لنا طهورا اذا لم نجد الماء وقوله ان الله كان عفوا غفورا اي ومن عفوه وغفره لكم شرع لكم التيمم واباح لكم فعل الصلوة به اذا فقدتم
الماء وهذه الآية ترشد للصلوة ان تفعل على هيئة ناقصة من سكر حتى يصحو المكلف ويعقل ما يقول او من جنابة حتى يغتسل او حدث حتى يتوضأ
الا ان يكون مريضا او عادما للماء فان الله عز وجل قد ارخص في التيمم والحالة هذه رحمة لعباده ورأفة بهم وتوسعة عليهم وله الحمد والمنة
وما نزلت هذه الآية قبل التي نزلت في سورة المائدة وكانت قبل تحريم الخمر لانها حرمت بعد غزوة احد في سنة اربع والتي في المائدة نزلت
في اواخر ما نزلت لا سيما صدرها فناسب ان يذكر سبب مشروعية التيمم ههنا وفي مسند احمد عن عائشة انها استعارت من اسماء قلادة فهلكت
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا في طلبها فوجدوها فادركتهم الصلوة وليس معهم ماء فصلوا بغير وضوء فشكوا ذلك الى
النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله آية التيمم فقال اسيد بن حضير لعائشة جزاك الله خيرا فوالله ما نزل بك امر تكرهينه الا جعل الله لك وللمسلمين
فيه خيرا وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيداء او بذات
الجيش انقطع عقد لي فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه واقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فاتى الناس الى ابي بكر
فقالوا اما ترى ما صنعت عائشة اقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء ابو بكر ورسول الله
صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت فعاتبني ابو بكر وقال

وفي الكلام حذف فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي فامسحوا بوجوهكم وقد طرد ذلك في آية المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي ببعضه

قال صاحب الكشاف ان الله كان عفوا غفورا كناية عن الترخيص والتيسير لان من كانت عادته ان يعفو عن الخاطئين ويغفر لهم آثر ان يكون ميسرا غير معسر

ما شاء الله ان يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي ولا يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اصبح على غير ماء فانزل الله اية التيمم فتيمموا فقال اسيد بن حضير ما هي باول بركتكم يا آل ابي بكر قالت فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته

الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا

اخبر الله تعالى عن اليهود انهم يشترون الضلالة بالهدى ويعرضون عما انزل الله على رسوله ويتركون ما بايديهم من العلم عن الانبياء الاقدمين في صفة محمد صلى الله عليه وسلم ليشتروا به ثمنا قليلا من حطام الدنيا ويريدون ان تضلوا السبيل اي يودون لو تكفرون بما انزل الله عليكم ايها المؤمنون وتتركوا ما انتم عليه من الهدى والعلم النافع والله اعلم باعدائكم اي هو يعلم بهم ويحذركم منهم وكفى بالله وليا اي كفى به وليا لمن لجأ اليه وكفى بالله نصيرا لمن استنصره ثم قال تعالى من الذين هادوا من هذه لبيان الجنس وقوله يحرفون الكلم عن مواضعه اي يتأولون الكلام على غير تأويله ويفسرونه بغير مراد الله قصدا منهم وافتراء ويقولون سمعنا وعصينا اي سمعنا ما قلته يا محمد ولا نطيعك فيه هكذا فسره مجاهد وابن زيد وهو المراد وهذا ابلغ في عنادهم وكفرهم انهم يتولون عن كتاب الله بعد ما عقلوه وهم يعلمون ما عليهم في ذلك من الاثم والعقوبة وقولهم واسمع غير مسمع اي اسمع ما نقول لا سمعت قاله ابن عباس ومعناه وقيل اسمع غير مقبول منك والاول اصح وهذا استهزاء منهم واستهتار عليهم وراعنا ليا بالسنتهم اي يوهمون انهم يقولون ارعنا سمعك بقولهم راعنا وانما يريدون الرعونة وقد تقدم الكلام في هذا عند قوله يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا ولهذا قال تعالى عن هؤلاء اليهود الذين يريدون بكلامهم خلاف ما يظهرونه ليا بالسنتهم وطعنا في الدين يعني بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم اي اعدل واصوب ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا اي قلوبهم مطرودة عن الخير مبعدة عنه فلا يدخلها من الايمان شيء نافع الا القليل منهم كعبد الله بن سلام

يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما

امر الله تعالى اهل الكتاب بالايمان بما نزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب العظيم الذي فيه تصديق لما في ايديهم من البشارات به ومتهددا لهم ان لم يفعلوا بقوله من قبل ان نطمس وجوها قال بعضهم طمسها هو ردها الى الادبار وجعل ابصارهم من ورائهم ويحتمل ان يكون المراد فلا يبقى لها سمع ولا بصر ولا انف ومع ذلك ردها الى الادبار وهذا معنى ما قاله ابن عباس اي يجعل وجوههم من قبل اقفيتهم فيمشون القهقرى وهذا ابلغ في العقوبة والنكال وهو مثل ضربه الله لهم في صرفهم عن الحق وردهم الى الباطل ورجوعهم عن المحجة البيضاء الى سبل الضلالة يهرعون ويمشون القهقرى على ادبارهم وهذا كما قال مجاهد من قبل ان نطمس وجوها اي عن صراط الحق فنردها على ادبارها اي في الضلالة وقال السدي نعميها عن الحق ونرجعها كفارا ونردهم قردة وقد ذكر ان كعب الاحبار اسلم زمان عمر وهو يريد بيت المقدس فمر على المدينة فخرج اليه عمر فقال يا كعب اسلم فابى فتركه عمر ثم خرج حتى انتهى الى حمص فسمع رجلا من اهلها حزينا وهو يقول يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم الآية فقال كعب يا رب آمنت يا رب اسلمت مخافة ان تصيبه هذه الآية ثم رجع فاتى اهله باليمن فجاء بهم مسلمين وقوله او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت يعني الذين اعتدوا في سبتهم بالحيلة على الاصطياد وقد مسخوا قردة وخنازير كما يجيء بيانه في سورة

لما ذكر الله تعالى من اول السورة الى هذا الموضع انواعا كثيرة من التكاليف والاحكام الشرعية قطع ههنا الكلام في بيان الاحكام وذكر احوال اعداء الدين واقاصيص المتقدمين لان البقاء في النوع الواحد من العلم مما يكدر الطبع والانتقال من نوع من انواع العلوم الى نوع آخر كانه ينشط الخاطر ويقوي القريحة

كان قيل ان المحو تخطيط صورها وآثارها من العين والانف والحاجب والفم وجعلها على هيئة الادبار قال ابن عباس يجعلها كخف البعير وقيل يجعل الوجوه منابت الشعر كوجوه القردة لان منابت شعور الآدميين في ادبار وجوههم

وروي ان عبد الله بن سلام لما سمع هذه الآية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتي اهله ويده على وجهه فاسلم فقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهي في قفاي

الاعراف وقوله وكان امر الله مفعولا اي اذا امر بامر فانه لا يخالف ولا يمانع ثم اخبر تعالى انه لا يغفر ان يشرك به اي لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به ويغفر ما دون ذلك اي من الذنوب لمن يشاء اي من عباده وقد وردت احاديث متعلقة بهذه الآية الكريمة منها ما في مسند احمد عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدواوين عند الله ثلاثة ديوان لا يعبأ الله به شيئا وديوان لا يترك الله منه شيئا وديوان لا يغفره الله فاما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك بالله قال الله عز وجل من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة واما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه او صلاة تركها فان الله يغفر ويتجاوز ان شاء الله واما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئا فظلم العباد بعضهم بعضا القصاص لا محالة وفيه ايضا عن ابي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقول يا عبدي ما عبدتني ورجوتني فاني غافر لك على ما كان منك يا عبدي ان لقيتني بقراب الارض خطيئة ما لم تشرك بي لقيتك بقرابها مغفرة وفي مسند عبد بن حميد عن جابر قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيئا وجبت له الجنة ومن مات يشرك بالله شيئا وجبت له النار وعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل من علم اني ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا ابالي ما لم يشرك بي شيئا رواه الطبراني وعن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم باكبر الكبائر الاشراك بالله ثم قرأ ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما وهذا كقوله ان الشرك لظلم عظيم وثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك وذكر تمام الحديث

الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا

قال الحسن وقتادة نزل قوله الم تر الى الذين يزكون انفسهم في اليهود والنصارى حين قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقال مجاهد وغيره كان اهل الكتاب يقدمون الصبيان في الدعاء والصلاة امامهم ويزعمون انهم لا ذنوب لهم وقال ابن عباس ان اليهود قالوا ان ابناءنا توفوا وهم لنا قربة ويشفعون لنا ويزكوننا فانزل الله هذه الآية وقيل قالوا انه ليس لنا ذنب كما ليس لابنائنا ذنوب فنزلت هذه الآية فذم التمادح والتزكية وفي الصحيحين عن ابي بكرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يثني على رجل فقال ويحك قطعت عنق صاحبك ثم قال ان كان احدكم مادحا صاحبه لا محالة فليقل احسبه ولا ازكي على الله احدا وعن عمر بن الخطاب قال ان اخوف ما اخاف عليكم اعجاب المرء برأيه فمن قال انه مؤمن فهو جاهل ومن قال انه في الجنة فهو في النار وعن المقداد قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نحثو في وجوه المداحين التراب رواه مسلم وقوله بل الله يزكي من يشاء اي المرجع في ذلك الى الله فانه عالم بحقائق الامور وغوامضها وقوله ولا يظلمون فتيلا اي ولا يترك لاحد من الاجر ما يوازن مقدار الفتيل قال ابن عباس ومجاهد وغيرهم هو ما يكون في شق النواة وعنه ايضا هو ما فتلت بين اصابعك وكلاهما متقارب وقوله انظر كيف يفترون على الله الكذب اي في تزكيتهم انفسهم ودعواهم انهم ابناء الله واحباؤه وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة واتكالهم على اعمال آبائهم الصالحة ثم قال وكفى به اثما مبينا اي كفى بصنيعهم هذا كذبا وافتراء ظاهرا وقوله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت قال عمر بن الخطاب الجبت السحر والطاغوت الشيطان وعليه ابن عباس وتابعوه وعنه ايضا الجبت الشيطان بالحبشية والشرك والاصنام وقيل الكاهن وقيل المراد ههنا حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف وقال الجوهري في الصحاح الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك وفي الحديث الطيرة والعيافة والطرق من الجبت وهذا ليس من محض

العربية لاجتماع الجيم والتاء في حرف واحد من غير حرف ذولقي قال عوف العيافة زجر الطير والطرق الخط يخط في الارض و
الكلام على الطاغوت في سورة البقرة وقال جابر الطاغوت الكاهن ينزل عليه الشيطان وقال مجاهد هو الشيطان في صورة الانسان يتحاكمون
اليه وقال الامام مالك الطاغوت كل ما يعبد من دون الله تعالى وقوله ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا اي
يفضلون الكفار على المسلمين بجهلهم وقلة دينهم وكفرهم بكتاب الله الذي بايديهم عن عكرمة قال جاء حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف
الى اهل مكة فقالوا لهم انتم اهل الكتاب واهل العلم فاخبرونا عنا وعن محمد فقالوا ما انتم وما محمد فقالوا نحن نصل الارحام وننحر الكوماء
ونسقي الماء على اللبن ونفك العناة ونسقي الحجيج ومحمد صنبور قطع ارحامنا واتبعه سراق الحجيج من غفار فنحن خير
ام هو قالوا انتم خير واهدى سبيلا فانزل الله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب الآية وفي رواية عن ابن عباس انهم قالوا لكعب بن
الاشرف الا ترى هذا الصنبور المنبتر من قومه يزعم انه خير منا ونحن نصل الارحام الى آخره اولئك الذين لعنهم الله هذا لعن لهم
واخبار بانهم لا ناصر لهم في الدنيا ولا في الآخرة لانهم استنصروا بالمشركين وقالوا لهم ذلك ليستنصروهم وقد اجابوهم وجاؤا معهم
يوم الاحزاب حتى حفر المسلمون الخندق فكفى الله شرهم وهزمهم ولم ينالوا خيرا ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون
الناس نقيرا ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابرهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم
ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا هذا استفهام انكاري اي ليس لهم نصيب من
الملك ثم وصفهم بالبخل فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اي لانهم لو كان لهم نصيب في الملك والتصرف لما اعطوا احدا من الناس ولا
سيما محمدا شيئا ولا ما يملأ النقير وهو النقطة التي في النواة لكمال بخلهم وشحهم وهذا كقوله تعالى قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي الآية
ولهذا قال وكان الانسان قتورا اي بخيلا ثم قال ام يحسدون الناس يعني بذلك حسدهم النبي صلى الله عليه وسلم على ما رزقه الله من
النبوة العظيمة ومنعهم من تصديقهم اياه حسدهم له لكونه من العرب وليس منهم قال ابن عباس نحن الناس دون الناس قال
تعالى فقد آتينا آل ابرهيم الكتاب اي فقد جعلنا في اسباط بني اسرائيل الذين هم من ذرية ابرهيم النبوة وانزلنا عليهم الكتاب وحكموا
فيهم بالسنن وهي الحكمة وجعلنا منهم الملوك ومع هذا فمنهم من آمن به اي بهذا الايتاء والانعام ومنهم من صد عنه اي كفر به واعرض
عنه وسعى في صد الناس عنه وهو منهم ومن جنسهم فكيف بك يا محمد ولست منهم وقال ايضا فمنهم من آمن به اي فمنهم من آمن
بمحمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من صد عنه فالكفرة منهم اشد تكذيبا لك وابعد عما جئتهم به من الهدى والحق المبين ولهذا قال متوعدا
لهم وكفى بجهنم سعيرا اي وكفى بالنار عقوبة لهم على كفرهم وعنادهم ومخالفتهم كتب الله ورسله ان الذين كفروا بآياتنا
سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا
حكيما والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا اخبر الله عما يعاقب به في نار جهنم من كفر بآياته وصد عن رسله فقال ان
الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا اي ندخلهم فيها دخولا يحيط بجميع اجرامهم واجزائهم ثم اخبر عن دوام عقوبتهم ونكالهم
فقال كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب قال ابن عمر اذا احترقت جلودهم بدلوا جلودا بيضاء امثال القراطيس
وقيل يجعل للكافر مائة جلد بين كل جلدين لون من العذاب وقال الحسن تنضجهم في اليوم سبعين الف مرة وزاد بعضهم كلما
انضجتهم فاكلت لحومهم قيل لهم عودوا فعادوا روى ذلك كله ابن ابي حاتم وقال معاذ بن جبل تبدل في ساعة مائة مرة وقال كعب الاحبار
عشرين ومائة مرة وصححهما عمر مرفوعا وقال الربيع بن انس مكتوب في الكتاب الاول ان جلد احدهم اربعون ذراعا وسنه تسعون

يعني هؤلاء اسارة الى الذين كفروا وقيل اسارة الى عبدة الاصنام وهؤلاء مبتدا واهدى سبيلا خبر في موضع نصب بيقولون والذين كفروا تخصيص وتبيين متعلق بيقولون ايضا

ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا

والغرض من الآية تثبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسليته بان اولئك الانبياء جرت عادة اممهم ان بعضهم آمن بهم وبعضهم بقوا على كفرهم فانت يا محمد لا تتعجب من حال امتك [illegible]

تسعون ذراعا وبطنه لو وضع فيه جبل لوسعه فاذا اكلت النار جلودهم بدلوا جلودا غيرها ويؤكد ذلك الحديث الذي ابلغ منه عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يعظم اهل النار في النار حتى ان بين شحمة اذن احدهم الى عاتقه مسيرة سبعمائة وان غلظ جلده سبعون ذراعا
وان ضرسه مثل احد رواه احمد وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات هذا اخبار عن مآل السعداء في جنات عدن التي تجري فيها الانهار
في جميع فجاجها ومحالها وارجائها حيث شاؤا واين ارادوا وهم خالدون فيها لا يحولون ولا يزولون ولا يبغون عنها حولا وقوله لهم
فيها ازواج مطهرة اي من الحيض والنفاس والاذى والاخلاق الرذيلة والصفات الناقصة كما قال ابن عباس وعن قتادة مطهرة من القذر
والاذى وقال مجاهد من البول والبزاق والمني والولد والاثم ولا حيض ولا كلف وقاله قتادة ايضا وقوله ندخلهم ظلا ظليلا اي ظلا عميقا
كثيرا غزيرا طيبا انيقا وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها قيل هي
شجرة الخلد ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما
يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا لقد امر الله تعالى باداء الامانات الى اهلها عموما وورد في السنن عن سمرة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ادّ الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك وهذا عام في حقوق الله وحقوق عباده مما يأتمنون فيه بعضهم على بعض من غير اطلاع
بينة على ذلك فمن لم يفعل ذلك في الدنيا اخذ منه يوم القيمة كما ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتؤدن الحقوق الى اهلها حتى
تقتص للشاة الجماء من القرناء قال ابو العالية الامانة ما امروا به ونهوا عنه وقال ابن عباس هي مبهمة للبر والفاجر وقال كثير من المفسرين
ان هذه الآية نزلت في شان عثمن بن طلحة بن ابي طلحة واسم ابي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمن بن عبد الدار بن قصي بن كلاب القرشي حاجب
الكعبة وهو ابن عم شيبة بن عثمان بن ابي طلحة الذي صارت الحجابة في نسله الى اليوم اسلم عثمن في هدنة صلح الحديبية اما عمه عثمن بن ابي طلحة
فكان معه لواء المشركين يوم احد وكان يومئذ كافرا وسبب نزولها فيه عن صفية بنت شيبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مكة واطمأن
بها واطمان الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا عثمن بن طلحة فاخذ منه مفتاح
الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده وطرحها ثم وقف على باب الكعبة وفي رواية عن غيرها فقال لا اله الا الله
وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده الا كل ما ثرة او دم او مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت
وسقاية الحاج فلما انتهت خطبته صلى الله عليه وسلم جلس في المسجد فقام العباس رضي الله عنه ومفتاح الكعبة في يده فقال يا رسول الله اجمع
لنا الحجابة مع السقاية بابي انت وامي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين عثمن بن طلحة فقال هاك مفتاحك يا عثمن اليوم يوم وفاء وبر
ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها الآية وقوله واذا حكمتم بين الناس قالوا نزلت في الامراء
والحكام بين الناس وفي الحديث ان الله مع الحاكم ما لم يجر فاذا جار وكله الى نفسه وفي الاثر عدل يوم كعبادة اربعين سنة وقوله ان
الله نعما يعظكم به اي يامركم به من اداء الامانات والحكم بالعدل بين الناس وغير ذلك من اوامره وشرائعه الكاملة الشاملة وقوله ان الله كان
سميعا اي لاقوالكم بصيرا باحوالكم وكان ابو هريرة اذا قرا هذه الآية يضع ابهامه على اذنه والتي تليها على عينه ويقول هكذا سمعت رسول الله
يقرؤها ويضع اصبعيه يعني ابهامه اليمنى على عينه اليمنى والتي تليها على الاذن اليمنى هكذا رواه ابو داود وغيره يا ايها الذين آمنوا
اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون
بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تاويلا قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عبد الله بن حذافة وهكذا رواه البخاري
وغيره وفي الصحيحين عن علي رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليهم رجلا من الانصار فلما خرجوا وجد
عليهم في شيء قال فقال لهم اليس قد امركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تطيعوني قالوا بلى فقال اجمعوا لي حطبا ثم دعا بنار فاضرمها

ان الله كان عزيزا حكيما

به منه ثم قال عزمت عليكم لتدخلنها فقال لهم شاب انما فررتم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار فلا تعجلوا حتى تلقوا رسول الله فان امركم ان تدخلوها فادخلوها قال فرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال لهم لو دخلتموها ما خرجتم منها ابدا انما الطاعة في المعروف وفيهما ايضا عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السمع والطاعة على المرء المسلم فيما احب وكره ما لم يؤمر بمعصية فاذا امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسمعوا واطيعوا وان امر عليكم عبد حبشي رواه البخاري وفي مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبة حجة الوداع ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله اسمعوا له واطيعوا وفيهما ايضا عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبياء فكلما هلك نبي خلفه نبي وانه لا نبي بعدي وستكون خلفاء فيكثرون قالوا يا رسول الله فما تامرنا قال فوا ببيعة الاول فالاول اعطوهم حقهم فان الله سائلهم عما استرعاهم وعن ابن عباس قال اولو الامر منكم يعني اهل الفقه والدين وافقه اكثر التابعين والظاهر ان الآية عامة في كل من الامراء والعلماء وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى اميري فقد عصاني فهذه اوامر بطاعة الامراء والعلماء ولهذا قال اطيعوا الله اي اتبعوا كتابه واطيعوا الرسول اي خذوا بسنته واولي الامر منكم اي فيما امروكم به من طاعة الله لا في معصية الله فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الله كما تقدم وقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول اي الى كتاب الله وسنة رسوله وهذه ان كل شيء تنازع الناس فيه من اصول الدين وفروعه يرد الى الكتاب والسنة فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله وشهدا له بالصحة فهو الحق وماذا بعد الحق الا الضلال ولهذا قال ان كنتم تؤمنون بالله اي ردوا الخصومات اليهما فيما شجر بينكم ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وقوله ذلك خير اي التحاكم الى الكتاب والسنة والرجوع في فصل النزاع اليهما خير واحسن تاويلا اي احسن عاقبة ومآلا وجزاء هكذا قالوا **ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاءوك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا** لقد انكر الله تعالى على من يدعي الايمان بما انزل الله على رسله وهو يريد ان يتحاكم في فصل الخصومات الى غير كتاب الله وسنة رسوله كما ذكر في سبب نزول هذه الآية انها في رجل من الانصار ورجل من اليهود تخاصما فجعل اليهودي يقول بيني وبينك محمد وذاك يقول بيني وبينك كعب بن الاشرف وقيل من المنافقين ممن اظهر الاسلام ارادوا ان يتحاكموا الى احكام الجاهلية وقيل غير ذلك والآية اعم من ذلك كله فانها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكما الى ما سواهما من الباطل وهو المراد بالطاغوت ههنا ولهذا قال يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت الى قوله يصدون عنك صدودا اي يعرضون عنك اعراضا كالمستكبرين عن ذلك كما قال تعالى عن المشركين واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الآية وقال في ذم المنافقين فكيف اذا اصابتهم مصيبة اي فكيف بهم اذا ساقتهم المقادير اليك في مصائب تطرقهم بسبب ذنوبهم واحتاجوا اليك في ذلك ثم جاءوك يحلفون بالله اي يعتذرون اليك ويحلفون ما اردنا بذهابنا الى غيرك وتحاكمنا الى عداك الا الاحسان والموفقى اي المداراة والمصانعة لا اعتقادا بصحة تلك الحكومة ثم قال تعالى اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم اي هذا الضرب من الناس هم المنافقون والله عالم بما في قلوبهم وسيجازيهم على ذلك فانه لا يخفى عليه خافية فاكتف به يا محمد فيهم ولهذا قال له فاعرض عنهم اي لا تعنفهم على ما في قلوبهم وعظهم اي انههم عما في قلوبهم من النفاق وسرائر الشر وقل لهم اي وانصحهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم **وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** اي الا افرضت طاعته على من ارسلته اليهم ولا يطيع احد الا باذني وبتوفيقي اياه لذلك وقوله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم يرشد الله تعالى العصاة والمذنبين اذا وقع منهم الخطأ والعصيان ان ياتوا الى الرسول عليه الصلوة والسلام فيستغفروا الله عنده ويسالوه ان يستغفر لهم فانهم اذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم ولهذا قال لوجدوا الله توابا رحيما والحكاية المنقولة عن العتبي في زيارة الاعرابي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفاره عنده والتماسه الاستغفار عنه صلى الله عليه وسلم له مشهورة وقوله فلا وربك يقسم تعالى بنفسه الكريمة انه لا يؤمن احد حتى يحكم الرسول عليه الصلوة والسلام في جميع الامور فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له ظاهرا وباطنا ولهذا قال ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما اي اذا حكموك يطيعوك في بواطنهم فلا يجدوا حرجا مما حكمت به وينقادوا له في الظاهر فيسلموا لذلك تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة كما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به رواه في شرح السنة وصححه النواوي وفي البخاري عن عروة بن الزبير قال خاصم الزبير رجلا من الانصار في شريج من الحرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال الانصاري يا رسول الله ان كان ابن عمتك فتلون وجهه قال اسق يا زبير ثم احبس الماء يعني حتى يرجع الى الجدر ثم ارسل الماء الى جارك واستوعى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم حين احفظه الانصاري وكان اشار عليهما بامر فيه سعة قال الزبير ما احسب هذه الآية الا نزلت في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية هذا وصورته صورة الارسال وهو في المعنى متصل فان عروة سمع هذا الحديث من اخيه عبد الله عن ابيه الزبير وهكذا رواه ابن ابي حاتم والنسائي اتفاقا والرجل الذي خاصمه الزبير هو حاطب بن ابي بلتعة البدري **ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما** اخبر الله تعالى عن اكثر الناس لو امروا بما هم مرتكبونه من المناهي لما فعلوه لان طباعهم الردية مجبولة على مخالفة الامر ولهذا قال ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم وقد ورد في حديث مرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نهي الناس عن فت بعرة لفتوها وفي الحديث مرسلا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو نهيت رجالا ان ياتوا الحجون لاتوها وما لهم بها حاجة ولهذا قيل النفس مائلة الى الممنوع والعامة تقول كل ممنوع حلو وهذا صحيح فان من الفواحش لو امر به او كان مباحا او مسكوتا عنه لما فعله احد كاللواط وعن الحسن البصري قال لما نزلت ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم الآية قال اناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لو امرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي رواه ابن جرير وابن ابي حاتم ولما نزلت هذه الآية قال ابو بكر الصديق يا رسول الله والله لو امرتني ان اقتل نفسي لفعلت قال صدقت يا ابا بكر واشار النبي صلى الله عليه وسلم الى ابن مسعود وابن رواحة بانهما من اولئك القليل ولهذا قال ولو انهم فعلوا ما يوعظون به اي ما امروا به وتركوا ما ينهون عنه لكان خيرا لهم اي من مخالفة الامر وارتكاب النهي واشد تثبيتا اي تصديقا واذا لآتيناهم من لدنا اي من عندنا اجرا عظيما يعني الجنة ولهديناهم صراطا مستقيما اي في الدنيا والآخرة قال تعالى ومن يطع الله والرسول اي عمل بما امره الله ورسوله وترك ما نهاه الله عنه ورسوله فان الله يسكنه دار كرامته ويجعله مرافقا للانبياء ثم لمن بعدهم في الرتبة وهم الصديقون ثم الشهداء ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم ثم اثنى عليهم فقال وحسن اولئك رفيقا

وسبب نزول هذه الآية ما روى عن سعيد بن جبير انه قال جاء رجل من الانصار الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محزون فقال نحن نغدو عليك ونروح ننظر الى وجهك ونجالسك وغدا ترفع مع النبيين فلا نصل اليك فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم عليه شيئا فاتاه جبريل بهذه الآية ومن يطع الله والرسول الآية قال فبعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم فبشره وفي رواية اخرى انه عليه الصلوة والسلام قال ان الاعلين ينحدرون الى من هو اسفل منهم فيجتمعون في رياضها فيذكرون ما انعم الله عليهم ويثنون عليه وينزل لهم اهل الدرجات فيسعون بما يشتهون وما يدعون به فهم في روضة يحبرون ويتنعمون فيها رواه ابن جرير وعن ربيعة بن كعب الاسلمي انه قال كنت ابيت عند النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته بوضوئه وحاجته فقال لي سل فقلت يا رسول الله اسألك مرافقتك في الجنة قال او غير ذلك قلت هو ذلك قال فاعني على نفسك بكثرة السجود رواه مسلم وفي الترمذي عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التاجر الصدوق الامين مع النبيين والصديقين والشهداء وفي الموطأ والصحيحين عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة ليتراءون اهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري الغابر في الافق من المشرق او المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ولهذا قال تعالى ذلك الفضل من الله اي من عند الله برحمته وهو الذي اهلهم لذلك لا باعمالهم وكفى بالله عليما اي هو عليم بمن يستحق الهداية والتوفيق يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما فليقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما امر الله تعالى المؤمنين باخذ الحذر من عدوهم وهذا يستلزم التأهب لهم باعداد الاسلحة والعدد وتكثير العدد والنفير في سبيل الله ثبات اي جماعة بعد جماعة وفرقة بعد فرقة وسرية بعد سرية جمع ثبة قال ابن عباس اي عصبا يعني سرايا متفرقين او انفروا جميعا يعني كلكم وان منكم لمن ليبطئن قالوا نزلت في المنافقين اي ليتخلفن عن الجهاد ويحتمل ان يتباطأ هو في نفسه ويبطئ غيره عن الجهاد كابن سلول يتأخر عن الجهاد ويثبط الناس عن الخروج فيه ولهذا قال تعالى اخبارا عن المنافق انه يقول اذا تأخر عن الجهاد فان اصابتكم مصيبة اي من قتل وشهادة وغلبة عدو لما لله في ذلك من الحكمة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا اي اذ لم احضر معهم وقعة القتال يعد ذلك من نعم الله عليه ولا يدري ما فاته من الاجر في الصبر او الشهادة ان قتل ولئن اصابكم فضل من الله اي نصر وظفر وغنيمة ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اي كأنه ليس من اهل دينكم يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما اي بان يضرب لي معهم بسهم فيما حصل عليه وهو اكبر قصده وغاية مراده ثم قال تعالى فليقاتل اي المؤمن النافر في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة اي يبيعون دينهم بعرض قليل من الدنيا وما ذاك الا لكفرهم وعدم ايمانهم ثم قال تعالى ومن يقاتل في سبيل الله اي كل من قاتل في سبيل الله سواء قتل او غلب او سلب فله عند الله مثوبة عظيمة واجر جزيل كما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا ايمان بي وتصديق برسلي ان ارجعه بما نال من اجر او غنيمة او ادخله الجنة وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا هنا تحريض على الجهاد وعلى السعي في استنقاذ المستضعفين بمكة من الرجال والصغار المتبرمين بالمقام بها ولهذا

وعن عمرو بن مرة الجهني قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله شهدت ان لا اله الا الله وانك رسول الله وصليت الخمس واديت زكوة مالي وصمت شهر رمضان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيمة هكذا ونصب اصبعيه ما لم يعق والديه رواه الامام احمد وعن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ الف آية في سبيل الله كتب يوم القيمة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا رواه احمد

الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة

ومن يقاتل في سبيل الله

قال تعالى الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية يعني مكة ثم وصفها بالظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا اي سخر لنا من عندك وليا يلي امرنا وناصرا ينصرنا على العدو عنا ثم قال تعالى الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله اي المؤمنون يقاتلون في طاعة الله ورسوله والكافرون يقاتلون في طاعة الشيطان ثم هيج تعالى المؤمنين على قتال اعدائه بقوله فقاتلوا اولياء الشيطان اي حزبه وجنوده وهم الكفار ان كيد الشيطان كان ضعيفا كما فعل يوم بدر لما رأى الملائكة هرب وخذل حزبه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا كان المؤمنون في الابتداء وهم بمكة يؤمرون بالصلوة والزكوة وان لم يبلغ ما لهم نصابا بالمواساة للفقراء منهم وبالصفح والعفو عن المشركين والصبر الى حين وكانوا يودون لو امروا بالقتال ليشتفوا من اعدائهم ولم يكن الحال مناسبا لقلة عددهم وكثرة عدوهم ولكونهم في بلدهم وهو بلد حرام واشرف بقاع الارض فلم يكن الامر بالقتال ابتداء لائقا بالحال ولما هاجروا الى المدينة وحصل لهم منعة وانصار امروا بذلك ومع هذا جزع بعضهم خوفا من مواجهة الناس وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب اي لو ما اخرت فرضه الى مدة اخرى فان فيه سفك الدماء ويتم الاطفال وتأيم النساء وهذه الآية في معنى قوله تعالى ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة الى آخر الآية عن ابن عباس قال ان عبد الرحمن بن عوف واصحابا له اتوا النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فقالوا يا رسول الله كنا في عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا اذلة قال اني امرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم فلما حوله الله الى المدينة امره بالقتال فكفوا فانزل الله الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم الآية والمراد بالاجل القريب الموت المراد بالاجل القريب الموت وقوله قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى اي آخرة المتقي خير من دنياه ولا تظلمون فتيلا اي من اعمالكم بل توفونها اتم الجزاء وهذا ترغيب لهم في الآخرة وتحريض على الجهاد وقرأ الحسن هذه الآية فقال رحم الله عبدا صحبها على حسب ذلك وما الدنيا كلها اولها وآخرها الا كرجل نام نومة فرأى في منامه بعض ما يحب ثم انتبه وكان ابو مسهر ينشد

ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له ... من الله في دار البقاء نصيب
فان تعجب الدنيا رجالا فانها ... متاع قليل والزوال قريب

وقوله اينما تكونوا يدرككم الموت اي انتم صائرون الى الموت لا محالة لا ينجو احد منكم كما في غيرها من الآيات سواء جاهد او لم يجاهد فان له اجلا محتوما وامرا مقسوما كما قال خالد بن الوليد حين جاءه الموت على فراشه لقد شهدت كذا وكذا موقفا وما من عضو من اعضائي الا وفيه جرح من طعنة او رمية وها انا اموت على فراشي فلا نامت اعين الجبناء وقد تقدم هنا في سورة البقرة وقوله ولو كنتم في بروج مشيدة اي حصينة منيعة عالية وقيل هي بروج في السماء وهو ضعيف فانه لا يغني حذر ولا تحصن من الموت كما قال زهير ومن خاف اسباب المنية يلقها ولو رام اسباب السماء بسلم والمشيدة بالتشديد المطولة وقوله وان تصبهم حسنة اي خصب ورزق من ثمار وزروع واولاد ونحو ذلك يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة اي قحط وجدب ونقص في الثمار والزروع او موت في اولاد او نتاج يقولوا هذه من قبلك وبسبب اتباعنا لك واقتدائنا بدينك كما في غيرها من الآيات هذا عن ابن عباس ومقاتل وهكذا حال هؤلاء المنافقين دخلوا في الاسلام ظاهرا وهم كارهون له في نفس

ولهذا اذا اصابهم شر اسندوه الى متابعتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله قل كل من عند الله اي الجميع بقضاء الله وقدره وهو نافذ في البر والفاجر والمؤمن والكافر قال ابن عباس اما الحسنة والسيئة ثم قال تعالى منكرا عليهم في تلك المقالة الصادرة عن شك وريب وقلة فهم وعلم وكثرة جهل وظلم فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا اي قولا والمراد به القرآن اي لا يفهمون معنى القرآن ثم خاطب الرسول عليه الصلوة والسلام والمراد جنس الانسان ليحصل الجواب ما اصابك من حسنة فمن الله اي من فضل الله ومنه ولطفه ورحمته وما اصابك من سيئة فمن نفسك اي فمن قبلك وعملك انت كما قال تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وقيل فمن نفسك اي بذنبك عقوبة لك قال قتادة وذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا يصيب رجلا خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله اكثر وقد روى في الصحيحين عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وقوله تعالى وارسلناك للناس رسولا اي تبلغهم شرائع الله فما يحبه ويرضاه وما يكرهه ويأباه وكفى بالله شهيدا اي على انه ارسلك وهو شهيد ايضا بينك وبينهم وعالم بما تبلغهم اياه وبما يردون عليك من الحق كفرا وعنادا

من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا

وقد ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع الامير فقد اطاعني ومن عصى الامير فقد عصاني وقوله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا اي لا عليك منه انما عليك البلاغ فمن اتبعك سعد ونجا وكان لك مثل اجره ومن تولى عنك خاب وخسر وليس عليك من امره شيء كما جاء في الحديث من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فانه لا يضر الا نفسه وقوله ويقولون طاعة اي يظهرون الموافقة والطاعة فاذا برزوا اي خرجوا من عندك بيت طائفة منهم اي استسروا ليلا فيما بينهم بغير ما اظهروه لك فقال تعالى والله يكتب ما يبيتون اي يعلمه ويكتبه عليهم بما يأمر به حفظته الكاتبين الذين هم موكلون بالعباد يعلمون ما يفعلون والمعنى في هذا التهديد انه تعالى اخبر انه عالم بما يضمرونه ويسرونه فيما بينهم وما يتفقون عليه ليلا من مخالفة الرسول وعصيانه وسيجزيهم على ذلك وقوله فاعرض عنهم اي اصفح عنهم واحلم عليهم ولا تكشف امورهم للناس وتوكل على الله اي اتخذه وكيلا وكفى بالله وكيلا اي كفى به وليا وناصرا ومعينا لمن توكل عليه واناب اليه

افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا

التدبر هو النظر في آخر الامر وقد امر الله بتدبر القرآن ونهى عن الاعراض عنه وعن تفهم معانيه والفاظه البليغة مخبرا لهم انه لا اختلاف فيه ولا اضطراب ولا تضاد لانه تنزيل من حكيم حميد فقال افلا يتدبرون القرآن ثم قال ولو كان من عند غير الله اي ولو كان مفتعلا مختلقا كما يقوله جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم لوجدوا فيه اختلافا كثيرا اي اضطرابا وتضادا كثيرا وهذا سالم من ذلك كله فهو من عند الله عن عبد الله بن عمرو قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوما يتدارءون في القرآن فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض وانما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم فقولوا وما جهلتم فكلوه الى عالمه رواه احمد وابن ماجه وعنه ايضا قال هجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فانا لجلوس اذ اختلف اثنان في آية فارتفعت

اصواتهما فقال انما هلكت الامم قبلكم باختلافهم في الكتاب رواه مسلم والنسائي وقوله واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به انكار على من يبادر الى الامور قبل تحققها فيخبر بها ويفشيها وينشرها وقد لا يكون لها صحة والاذاعة الاشاعة قال مسلم في مقدمة صحيحه كفى بالمرء كذبا ان يحدث بكل ما سمع ولو ردوه الى الرسول حتى يكون النبي عليه الصلوة والسلام هو الذي يحدث به والى اولي الامر منهم اي الخلفاء الراشدين وذوي الرأي من الصحابة لعلمه الذين يستنبطونه منهم وهم العلماء على ما ينبغي ان يكتم وما ينبغي ان يفشا والاستنباط الاستخراج اي يستخرجونه ويستعملونه من معادنه يقال استنبط الرجل العين اذا حفرها واستخرجها من قعورها وقوله لاتبعتم الشيطان الا قليلا يعني المؤمنين وعن قتادة يعني كلكم مستشهدا بقول الطرماح

اشم كثير يدي النوادي قليل المثالب والقادحه

يعني لا مثالب له ولا قادحة فيه

فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا والله اشد بأسا واشد تنكيلا من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ان الله كان على كل شيء حسيبا الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا

امر الله رسوله ان يباشر القتال بنفسه ومن نكل عنه فلا عليه منه ولهذا قال لا تكلف الا نفسك وعن البراء قال لما نزلت فقاتل في سبيل الله قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه قد امرني ربي بالقتال فقاتلوا وقوله وحرض المؤمنين اي على القتال ورغبهم فيه وشجعهم عنده كما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وهو يسوي الصفوف قوموا الى جنة عرضها السموات والارض وفي البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله واقام الصلوة وصام رمضان كان حقا على الله ان يدخله الجنة جاهد في سبيل الله او جلس في ارضه التي ولد فيها قالوا يا رسول الله افلا نبشر الناس بذلك فقال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيل الله بين كل درجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلا الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة وقوله عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا اي بتحريضك اياهم على القتال وعلى مناجزة الاعداء ومدافعتهم عن حوزة الاسلام ومقاومتهم ومصابرتهم وقوله والله اشد بأسا اي هو قادر عليهم في الدنيا والآخرة فانه اشد صولة وسلطانا واشد عقوبة وقوله من يشفع شفاعة حسنة اي من يسعى في امر فترتب عليه خير كان له نصيب من ذلك كما ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اشفعوا فلتوجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء قال مجاهد هذه الآية في شفاعات الناس بعضهم لبعض والكفل النصيب قال ابن عباس الشفاعة الحسنة هي الاصلاح بين الناس والشفاعة السيئة هي المشي بالنميمة بينهم وقيل الحسنة حسن القول في الناس ينال به الثواب والخير والسيئة هي الغيبة واساءة القول في الناس ينال به الشر وقوله كفل منها اي من وزرها وقوله وكان الله بكل شيء مقيتا قال اي حفيظا وحسيبا وقيل المقيت الوهاب الرزاق وقيل يقيت كل انسان بقدر عمله وقوله واذا حييتم بتحية اي اذا سلم عليكم المسلم السلام فردوا عليه افضل مما سلم او بمثل ما سلم به والزيادة مندوبة والمماثلة مفروضة عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله فقال وعليك ورحمة الله ثم اتى آخر وقال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك ورحمة الله وبركاته ثم جاء آخر فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال له الرجل يا رسول الله بابي انت وامي اتاك فلان وفلان فسلما عليك فرددت عليهما اكثر مما رددت علي فقال انك لم تدع لنا شيئا قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها فرددناها عليك هكذا رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وفي الحديث دلالة على ان لا زيادة في السلام على هذه الصفة اذ لو كان لزاد رسول الله

الوصب المرض والنصب التعب

صلى الله عليه وسلم ولما قال في جوابه ما قال وعن عمران بن حصين ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه ثم جلس فقال عشرون ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه ثم جلس فقال ثلثون رواه احمد والترمذي وابو داود والسلام سنة ورده فريضة وهو فرض على الكفاية كما ان السلام سنة على الكفاية فاذا سلم واحد من جماعة كان كافيا في السنة واذا سلم واحد على جماعة فرد واحد منهم سقط الفرض عن جميعهم هذا اذا كان السلام والرد من مسلمين فاما اهل الذمة فلا يبتدؤن بالسلام ولا يزادون بل يرد عليهم بما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سلم عليكم اليهود فانما يقول احدهم السام عليك فقل وعليك وفي مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام واذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم الى اضيقه وقوله حسيبا اي محاسبا مجازيا في الرد بمثله او باحسن منه الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا هذا اخبار بتوحيده وتفرده بالالهية لجميع المخلوقات ومتضمن لقسم لقوله ليجمعنكم الى يوم القيمة فان هذه اللام موطئة للقسم لا ريب فيه اي بلا شك انه سيجمع الاولين والآخرين في صعيد واحد فيجازي كل عامل بعمله ومن اصدق من الله حديثا اي قولا ووعدا اي لا احد اصدق منه في حديثه وخبره ووعده ووعيده فلا اله الا هو ولا رب سواه • فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاؤكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا قيل سبب نزول الآية ما في الصحيحين عن زيد بن ثابت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى احد فرجع ناس من الذين خرجوا معه فكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين فرقة تقول نقتلهم وفرقة تقول لا فانزل الله فما لكم في المنافقين فئتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها طيبة وانها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الحديد وذكر محمد بن اسحق ان عبد الله ابي بن سلول رجع يومئذ بثلث الجيش رجع بثلثمائة وبقي النبي صلى الله عليه وسلم في سبعمائة وفي مسند احمد ان قوما من العرب اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فاسلموا واصابهم وباء المدينة حماها فاركسوا فخرجوا من المدينة فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما لكم رجعتم فقالوا اصابنا وباء المدينة فاجتويناها فقالوا اما لكم في رسول الله اسوة فقال بعضهم نافقوا وقال بعضهم لم ينافقوا هم مسلمون فانزل الله فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا اي ردهم واوقعهم في الخطأ وقيل اهلكهم وقيل اضلهم وقوله بما كسبوا اي بسبب عصيانهم ومخالفتهم الرسول واتباعهم الباطل اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اي لا طريق له الى الهدى والرشاد ولا مخلص له اليه ودوا لو تكفرون اي هم يودون لكم الضلالة لتستووا انتم واياهم فيها وما ذاك الا لشدة عداوتهم وبغضهم لكم ولهذا قال فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله اي يخرجوا معكم الى الجهاد صابرا محتسبا فان تولوا اي اعرضوا وتركوا الهجرة واظهروا كفرهم فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم اي في الحل والحرم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اي لا توالوهم ولا

ولا يرد السلام في الخطبة وعند قراءة القرآن جهرا وعند رواية الحديث وعند مذاكرة العلم وعند الاذان والاقامة ولا يسلم على القاعد لحاجة وفي الحمام ونحو ذلك والمستحب رد السلام على الطهارة وعلى الرجل ... اسرع ... لسلم الرجل اذا دخل على اهله

تستنصروا

تستنصروا بهم على الاعداء ما داموا كذلك ثم استثنى الله سبحانه من هؤلاء فقال الا الذين يصلون الى قوم اي الا الذين لجؤوا وتحيزوا الى قوم بينكم وبينهم مهادنة او عقد ذمة فاجعلوا حكمهم كحكمهم وهذا عن السدي وموافقيه وقوله او جاؤكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم هؤلاء قوم آخرون من المستثنين عن الامر بقتالهم وهم الذين يجيئون الى المصاف ضيقة صدورهم محرجين عن قتالكم لا يهون عليهم ايضا ان يقاتلوا قومهم معكم بل هم لا لكم ولا عليكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم اي من لطفه بكم ان كفهم عنكم ولو شاء الله ان يقاتلوكم لقاتلوكم مع قومهم فان اعتزلوكم اي عن قتالكم والقوا اليكم السلم اي المسالمة والصلح فما جعل الله لكم عليهم سبيلا اي فليس لكم ان تقتلوهم ما دامت حالهم كذلك وهؤلاء كالجماعة الذين خرجوا من بني هاشم يوم بدر مع المشركين فحضروا القتال وهم كارهون كالعباس وعقيل ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قتلهم وامر باسرهم وقوله ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها هؤلاء قوم في الظاهر كمن تقدم ولكن نية هؤلاء غير نية اولئك فان هؤلاء المنافقون يظهرون للمؤمنين الاسلام ليأمنوا بذلك عندهم على دمائهم واموالهم واولادهم ويصانعون الكفار في الباطن فيتعبدون معهم ما يعبدون ليأمنوا بذلك عندهم وهم في الباطن مع اولئك كما قال تعالى واذا خلوا الى شياطينهم الآية فقوله كلما ردوا الى الفتنة اركسوا اي انهمكوا فيها فان لم يعتزلوكم اي فان لم يكفوا عن قتالكم ولم يلقوا اليكم السلم اي المهادنة والصلح ويكفوا ايديهم اي عن القتال فخذوهم اسراء واقتلوهم حيث لقيتموهم واولئكم اي اهل هذه الصفة جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا اي حجة بينة ظاهرة بالقتل والقتال معهم

وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة و دية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا فان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما اي ليس للمؤمن ان يقتل اخاه المؤمن بوجه من الوجوه كما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الا باحدى ثلث النفس بالنفس والثيب الزاني والتارك لدينه المفارق للجماعة ثم اذا وقع شيء من هذه الثلث فليس لاحد من آحاد الرعية ان يقتله وانما ذلك الى الامام او نائبه وقوله الا خطأ هو استثناء منقطع كقول الشاعر:

من البيض لم يظعن بعيدا ولم يطأ : على الارض الا ريط برد مرحل :

وقال مجاهد وغير واحد نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل لامه وهي اسماء بنت مخرمة وذلك انه قتل رجلا كان يعذبه مع اخيه على الاسلام وهو الحارث بن يزيد العامري واضمر له عياش السوء فاسلم ذلك الرجل وهاجر وعياش لا يشعر فلما كان يوم الفتح رآه فظن انه على دينه فحمل عليه فقتله فانزل الله هذه الآية وقال ابن زيد نزلت في ابي الدرداء لانه قتل رجلا وقد كان قال كلمة لا اله الا الله حين رفع اليه السيف فاهوى به اليه فلما ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم قال انما قالها متعوذا فقال له هلا شققت عن قلبه وفي الصحيح ان هذا القاتل كان اسامة والله اعلم وقوله ومن قتل مؤمنا خطأ الواجب في قتل الخطأ اثنان الكفارة لما ارتكبه من الذنب العظيم وان كان خطأ ومن شرطها ان تكون رقبة مؤمنة وعن بعض السلف لا يجزي الصغير حتى يكون قاصدا للايمان والجمهور انه متى كان مسلما صح عتقه عن الكفارة سواء كان صغيرا او كبيرا وقوله ودية مسلمة الى اهله هو الواجب الثاني فيما بين القاتل واهل القتيل عوضا لهم عما فاتهم من قتيلهم وهذه الدية انما تجب اخماسا لما روى ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى ان دية الخطأ

عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم

خطأ تحرير رقبة مؤمنة

عشرون بنت مخاض وعشرون ابن مخاض ذكورا وعشرون بنت لبون وعشرون جذعا وعشرون حقة هذا لفظ النسائي قال الترمذي لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه وانما تجب على عاقلة القاتل لا في ماله قال الشافعي رضي الله عنه لم اعلم مخالفا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالدية على العاقلة وباقي احكامه مبين في كتب الفقه وقوله الا ان يصدقوا اي فتجب الدية مسلمة الى اهله الا ان يتصدقوا بالدية فيعفوا ويتركوا الدية وقوله فان كان من قوم اي اذا كان القتيل مؤمنا ولكن اولياؤه من الكفار اهل الحرب فلا دية لهم وعلى قاتله تحرير رقبة مؤمنة لا غير وقوله وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق اي وان كان للقتيل اولياء اهل ذمة او هدنة فلهم دية قتيلهم فان كان مؤمنا فدية كاملة وان كان كافرا ايضا عند طائفة من العلماء وقيل يجب في الكافر نصف دية المسلم وقيل ثلثها كما هو مبين في كتب الفقه وعلى القاتل تحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين اي لا افطار بينهما بل يسرد صومهما الى آخرهما فان افطر من غير عذر من مرض او حيض او نفاس استانف وفي السفر قولان وقوله توبة من الله اي جعل الله ذلك توبة للقاتل خطا وكان الله عليما بمن قتل خطا حكيما فيما حكم به عليه واختلفوا فيمن لا يستطيع الصوم هل يجب عليه اطعام ستين مسكينا كما في كفارة الظهار على قولين احدهما نعم كما هو منصوص عليه في الظهار وانما لم يذكرها هنا لان هذا مقام تهديد وتخويف وتحذير فلا يناسب ان يذكر الاطعام لما فيه من التسهيل والترخيص والثاني لا يعدل اليه لانه لو كان واجبا لما اخر بيانه عن وقت الحاجة ثم لما بين تعالى حكم القتل الخطا شرع في بيان حكم القتل العمد فقال ومن يقتل مؤمنا متعمدا الآية وهذا تهديد شديد ووعيد اكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم الذي هو مقرون بالشرك بالله في غير آية واحدة من كتاب الله والآيات والاحاديث في تحريم القتل كثيرة منها ما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اول ما يقضى بين الناس يوم القيمة في الدماء وعن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال المؤمن معنقا صالحا ما لم يصب دما حراما فاذا اصاب دما حراما بلح رواه ابو داود وعن معوية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ذنب عسى الله ان يغفره الا من مات مشركا او من قتل مؤمنا متعمدا رواه ابو داود والنسائي وعن سعيد بن جبير في الصحيحين قال اختلف فيها اهل الكوفة فرحلت فيها الى ابن عباس فسألته عنها فقال نزلت هذه الآية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم هي آخر ما نزلت ولم ينسخها شيء وعن ابن جبير قال سالت ابن عباس عن قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال ان الرجل اذا عرف الاسلام وشرائع الاسلام ثم قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم ولا توبة له فذكرت ذلك لمجاهد فقال الا من ندم وهذا عن ابن عباس مروي من طرق كثيرة وممن وافقه في ان لا توبة له ابن عمر وزيد بن ثابت وابو هريرة وغيرهم واحد من التابعين وعن ابن عباس وابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجيء المقتول بالقاتل يوم القيمة ناصيته وراسه بيده واوداجه تشخب دما يقول يا رب سل هذا فيم قتلني حتى يدنيه من العرش رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه والذي عليه الجمهور خلفا وسلفا ان للقاتل توبة فيما بينه وبين ربه فان تاب واناب ورجع وخشع وخضع وعمل عملا صالحا بدل الله سيئاته حسنات وعوض المقتول من ظلامته وارضاه للآيات الصريحة المنصوصة الدالة على ذلك وفي الصحيح خبر الاسرائيلي الذي قتل مائة نفس ثم سال عالما هل له توبة فقال ومن يحول بينك وبين التوبة الحديث كما سبق في موضعه واذا كان هذا في بني اسرائيل فلان يكون التوبة في هذه الامة مقبولة بطريق الاولى واما قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا الآية فقال بعض السلف اي هذا جزاؤه ان جازاه او يجزى عليه وكذا كل وعيد على ذنب لكن قد يكون لذلك الجزاء معارض من اعمال صالحة تمنع وصول ذلك الجزاء اليه على قولي اهل الموازنة والاحباط وهذا احسن ما يسلك في باب الوعيد والله اعلم وعلى تقدير قول ابن عباس ومن وافقه او قول الجمهور حيث لا عمل له صالح ينجو به لا يكون فيها مخلدا ابدا بل الخلود هو المكث الطويل وقد تواترت الاحاديث

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يخرج من النار من كان في قلبه ادنى مثقال ذرة من ايمان واما حديث معوية كل ذنب عسى الله ان يغفره الحديث فعسى للترجي فاذا انتفى الترجي فيهما انتفى وقوع ذلك في احدهما وهو القتل واما من مات كافرا فالنص انه لا يغفر له البتة واما مطالبة المقتول القاتل يوم القيمة فانه حق من حقوق الآدميين وهي لا يسقط بالتوبة وكذا سائر حقوقهم بل لا بد من ادائها اليهم حتى تصح التوبة فان تعذر ذلك فلا بد من المطالبة يوم القيمة ولا يلزم منها وقوع المجازاة اذ قد يكون للقاتل عمل صالح يصرف الى المقتول او بعضها ثم يفضل له اجر فيدخل به الجنة او يعوض الله المقتول من فضله بما يشاء من الدرجات والنعيم ونحو ذلك ثم للقتل العمد احكام في الدنيا وفي الآخرة اما في الدنيا فتسلط اولياء المقتول عليه وهم مخيرون بين القتل قصاصا او العفو او اخذ دية مغلظة ثلثون حقة وثلثون جذعة واربعون خلفة من مال القاتل حالة كما هو مبين في كتب الفقه والصحيح من مذهب الشافعي وموافقيه انه يجب عليه الكفارة لانه اذا وجبت عليه في الخطا كما تقدم فلان يجب عليه في العمد اولى وهذا ما يتعلق بالآخرة وعن واثلة بن الاسقع قال اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا قد اوجب يعني النار بالقتل فقال اعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار رواه ابو داود والنسائي

يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا

عن ابن عباس قال مر رجل من بني سليم بنفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسوق غنما له فسلم عليهم فقالوا ما سلم علينا الا ليتعوذ منا فعمدوا اليه فقتلوه واتوا بغنمه الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن وعن ابن عباس ايضا قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فيها المقداد بن الاسود فلما اتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا وبقي رجل له مال كثير لم يبرح فقال اشهد ان لا اله الا الله فاهوى اليه المقداد فقتله فقال له رجل من اصحابه اقتلت رجلا شهد ان لا اله الا الله والله لاذكرن ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله ان رجلا شهد ان لا اله الا الله فقتله المقداد فقال ادعوا لي المقداد فقال يا مقداد اقتلت رجلا يقول لا اله الا الله فكيف لك بلا اله الا الله غدا فانزل الله يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمقداد كان رجل مؤمن يخفي ايمانه مع قوم كفار فاظهر ايمانه فقتلته وكذلك كنت تخفي ايمانك بمكة قبل رواه البزار وفي البخاري منه مختصرا معلقا وقوله فتبينوا اي فتاملوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر وقوله فعند الله مغانم كثيرة اي خير مما رغبتم فيه من عرض الحيوة الدنيا الذي حملكم على قتل مثل هذا الذي القى اليكم السلم واظهر لكم الايمان فتغافلتم عنه واتهمتموه بالتقية لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا فما عند الله من المغانم الحلال خير لكم من مال هذا وقوله كذلك كنتم من قبل اي قد كنتم من قبل هذا كهذا الذي يسر ايمانه ويخفيه من قومه وقيل اي كنتم ستعفون عن مثل هذا فمن الله عليكم باظهار الاسلام والهجرة وقبول التوبة فتبينوا هذا تاكيد لما تقدم ان الله كان بما تعملون خبيرا قال ابن جبير هذا تهديد ووعيد

لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما

عن البراء قال لما نزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فكتبها فجاء ابن ام مكتوم فشكى ضرارته

القاعدون اي لا يستوي الذين قعدوا في حال كونهم من المؤمنين

ان الاولى الاحتراز عن الجهاد لما يقع في بلاوهم مثل هذا المحذور [illegible]

فأنزل الله غير أولي الضرر رواه البخاري وفيه أيضا عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى عليه لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله فجاء ابن أم مكتوم وهو يمليها علي قال يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت وكان أعمى فأنزل الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي ثم سري عنه فأنزل الله عز وجل غير أولي الضرر وفيه أيضا أن ابن عباس قال لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون إلى بدر فقوله لا يستوي القاعدون من المؤمنين كان مطلقا فلما نزل غير أولي الضرر صار مخرجا لذوي الأعذار المبيحة لترك الجهاد وكذا ينبغي أن يكون لما ثبت في البخاري عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن بالمدينة أقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه قالوا يا رسول الله قال نعم حبسهم العذر وفي هذا المعنى قال الشاعر يا راحلين إلى البيت العتيق لقد سرتم جسوما وسرنا نحن أرواحا إنا أقمنا على عذر وعن قدر ومن أقام على عذر فقد راحا وقوله وكلا وعد الله الحسنى أي الجنة والجزاء الجزيل وفيه دلالة على أن الجهاد ليس بفرض عين بل هو فرض كفاية ثم قال وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ثم أخبر تعالى بما فضلهم به من الدرجات في غرف الجنان ومغفرة الذنوب والزلات ودنو الرحمة والبركات إحسانا منه وتكريما فقال درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما** عن ابن عباس أن ناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي السهم يرمى به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل فأنزل الله إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم رواه البخاري وعنه أيضا قال كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون بالإسلام فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم فقتل بعض فقال المسلمون كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم فنزلت إن الذين توفاهم الملائكة الآية قال فكتب إلى من بقي من المسلمين بهذه الآية لا عذر لهم وقيل نزلت في أناس من المنافقين والآية عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين عاجزا من إقامة الدين بينهم وهو قادر على الهجرة فإنه ظالم لنفسه مرتكب حراما بالإجماع وبنص هذه الآية وقوله ظالمي أنفسهم أي بترك الهجرة قالوا فيم كنتم أي لم مكثتم ههنا وتركتم الهجرة سؤال توبيخ وتقريع قالوا كنا مستضعفين أي لا نقدر على الخروج من البلد ولا الذهاب في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة وعن سمرة بن جندب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله رواه أبو داود وقال السدي لما أسر العباس وعقيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس افد نفسك وابن أخيك قال يا رسول الله ألم نصل قبلتك ونشهد شهادتك قال يا عباس إنكم خاصمتم فخصمتم ثم تلا عليه هذه الآية ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها رواه ابن أبي حاتم والمأوى المنزل والمصير المرجع وقوله إلا المستضعفين هذا عذر من الله تعالى لهؤلاء في ترك الهجرة وذلك أنهم كانوا عاجزين لا يقدرون على التخلص من أيدي المشركين ولهذا قال لا يستطيعون حيلة يعني لا يقدرون على نفقة وقيل أي نهوضا إلى المدينة ولا يهتدون أي لا يعرفون طريقا إلى المدينة فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم أي يتجاوز عنهم في

عطف على يستطيعون والسبيل
معرفة الطريق بأنفسهم أو بدليل
يدلهم عليها

حيلة ولا زاد ولا راحلة
للخروج
للمستضعفين

تركهم الهجرة وعسى من الله واجب وعن أبي هريرة قال بينا النبي صلى الله عليه وسلم يصلي العشاء إذ قال سمع الله لمن حمده ثم قال قبل أن يسجد اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة اللهم أنج سلمة بن هشام اللهم أنج الوليد بن الوليد اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف رواه البخاري وقال ابن عباس كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان وقوله ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا هذا تحريض للمؤمنين على الهجرة وترغيب في مفارقة المشركين فإن المؤمن حيثما ذهب وجد ملجأ يتحصن فيه والمراغم التحول من أرض إلى أرض قاله الأكثر مهاجرا ومذهبا والظاهر أن المراغم هو المتمنع الذي يتخلص به ويراغم به الأعداء وقوله وسعة يعني الرزق وقيل سعة من الضلالة إلى الهدى ومن الفقر إلى الغنى وقوله ومن يخرج من بيته أي ومن يخرج من منزله بنية الهجرة فمات في أثناء الطريق فقد حصل له ثواب من هاجر كما ثبت في الصحاح والسنن عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه وهذا عام في أنواع الهجرة وفي كل الأعمال وعن عبد الله بن عتيك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خرج من بيته مهاجرا في سبيل الله ثم قال بأصابعه هؤلاء الثلاث الوسطى والسبابة والإبهام فجمعهن وقال وأين المجاهدون فخر من دابته فمات فقد وقع أجره على الله أو لدغته دابة فمات فقد وقع أجره على الله أو مات حتف أنفه فقد وقع أجره على الله والله إنها لكلمة ما سمعتها من العرب قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه أحمد وعن أبي مالك الأشعري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من فصل في سبيل الله فمات أو قتل أو وقصته فرسه أو بعيره أو لدغته هامة أو مات على فراشه بأي حتف شاء الله فإنه شهيد وإن له الجنة رواه أبو داود **وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا** أي إذا سافرتم في البلاد فليس عليكم جناح أي حرج وإثم أن تقصروا أي تخففوا من الصلوة بأن ترجع الرباعية ثنائية كما قاله الجمهور على ما هو مبين في الفقه وقوله إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا أخرج مخرج الغالب فإن في ابتداء الإسلام بعد الهجرة كان غالب أسفارهم مخوفة فلا مفهوم له كقوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا وعن يعلى بن أمية قال سألت عمر بن الخطاب قلت ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا وقد أمن الناس فقال لي عمر عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته رواه مسلم وأصحاب السنن وفي الصحيحين عن أنس قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة قيل له أقمتم بمكة شيئا قال أقمنا بها عشرا وفي النسائي عن ابن عباس قال صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة ونحن آمنون لا نخاف شيئا ركعتين ركعتين وعن حارثة بن وهب قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر بمنى أكثر ما كان الناس وآمنه ركعتين رواه البخاري والأحاديث دالة على أن القصر ليس من شرطه وجود الخوف ولهذا قالوا المراد بالقصر ههنا قصر الكيفية لا الكمية لما في الصحيحين عن عائشة أنها قالت فرضت الصلوة ركعتين ركعتين في السفر والحضر فأقرت صلوة السفر وزيد في صلوة الحضر وفي مسلم عن ابن عباس قال فرض الله الصلوة على لسان نبيكم في الحضر أربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة ولا منافاة بين هذين الحديثين لأنها أخبرت أن أصل الصلوة ركعتان ولكن زيد في صلوة الحضر فلما استقر ذلك صح أن يقال فرض صلوة الحضر أربع كما قال ابن عباس لكن اتفق حديثهما على أن صلوة السفر ركعتان وأنها تامة غير مقصورة فيكون المراد بقوله ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة قصر الكيفية كما في صلوة الخوف ولهذا قال إن خفتم إلى آخره ولهذا قال بعدها وإذا كنت فيهم الآية فبين المقصود هنا وذكر صفته وكيفيته ولهذا صدر البخاري كتاب صلوة الخوف بقوله تعالى وإذا ضربتم

والارض الى قوله عذابا مهينا وهكذا عن الضحاك في قوله فليس عليكم جناح ان تقصروا قال ذاك عند القتال يصلي الرجل الراكب تكبيرتين حيث كان وجهه وقال السدي في قوله واذا ضربتم في الارض الآية ان الصلوة اذا صليت ركعتين في السفر فهي تمام التقصير لا يحل الا ان تخاف من الذين كفروا ان يفتنوك عن الصلوة فالتقصير ركعة وقال مجاهد فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة يوم كان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان والمشركون بضجنان فتوافقوا فصلى النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه صلوة الظهر اربع ركعات ركوعهم وسجودهم وقيامهم معا جميعا فهم بهم المشركون ان يغيروا على امتعتهم واثقالهم هكذا عن ابن عمر و جابر واختاره ابن جرير وسئل ابن عمر عن صلوة السفر فقال ركعتان تمام غير قصر انما القصر صلوة المخافة فقيل وما صلوة المخافة فقال يصلي الامام بطائفة ركعة ثم يجي هولاء الى مكان هولاء ويجي هولاء الى مكان هولاء فيصلي بهم ركعة فيكون للامام ركعتان ولكل طائفة ركعة ركعة وقوله ان يفتنكم اي يغتالكم ويقاتلكم الذين كفروا اي في الصلوة وقوله عدوا مبينا اي ظاهر العداوة

واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك ولياخذوا حذرهم واسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتات طائفة اخرى لم يصلوا معك ولياخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا

صلوة الخوف انواع كثيرة فان العدو تارة يكون تجاه القبلة وتارة يكون في غير صوبها والصلوة تكون رباعية وتارة ثلاثية كالمغرب وتارة ثنائية كالصبح وصلوة السفر ثم تارة يصلون جماعة وتارة يلتحم الحرب فلا يقدرون على الجماعة بل يصلون فرادى مستقبلي القبلة وغير مستقبليها رجالا وركبانا ولهم ان يمشوا والحالة هذه ويضربوا الضرب المتتابع في نفس الصلوة ومن العلماء من قال يصلون والحالة هذه ركعة واحدة لما سبق من الحديث وبه قال احمد وجماعة ومنهم من اباح تاخير الصلوة لعذر القتال والمناجزة كما اخر النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب صلوة العصر قيل والظهر فصلاهما بعد الغروب ثم صلى بعدهما المغرب ثم العشاء وكما قال ذلك يوم بني قريظة حين جهز اليهم الجيش لا يصلين احد منكم العصر الا في بني قريظة فادركتهم الصلوة في اثناء الطريق فقال منهم قائلون لم يرد منا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تعجيل السير فصلوا الصلوة لوقتها واخرها آخرون فصلوها في بني قريظة بعد الغروب ولم يعنف واحدا من الفريقين والذين صلوا لوقتها اقرب الى الصواب وان كان الآخرون معذورين ايضا في تاخيرها لاجل الجهاد وامتثال الامر واما الجمهور فقالوا هذا كله منسوخ بصلوة الخوف فانها لم تكن نزلت بعد فلما نزلت نسخ تاخيرها لذلك كما هو بين في حديث ابي سعيد الذي رواه الشافعي واهل السنن وهذا يشكل بما حكاه البخاري في صحيحه في باب الصلوة عند مناهضة الحصون ولقاء العدو من قول الاوزاعي ومكحول ثم قول انس بن مالك في مناهضة حصن تستر وكانه اختار اباحة تاخيرها لعذر القتال كما سبق ولان قصة فتح تستر كان في زمن عمر بن الخطاب ولم ينقل انه انكر عليهم ولا احد من الصحابة وايضا قالوا كانت صلوة الخوف مشروعة في الخندق لان ذات الرقاع كانت قبل الخندق في قول جمهور اهل السير والمغازي وقال البخاري وغيره كانت ذات الرقاع بعد الخندق والله اعلم فقوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة اي اذا صليت بهم اماما في صلوة الخوف وهذه الحالة غير الاولى فان ذلك قصرها الى ركعة كما دل عليه الحديث فرادى رجالا وركبانا مستقبلي القبلة ومستدبريها ثم ذكر حال الاجتماع والايتمام بامام واحد وظاهر الآية تدل على وجوب الجماعة فيها كما ذهب اليه بعضهم والجواب ما تقرر عند الجمهور وسبب نزول هذه الآية ما رواه علي رضي الله عنه قال سال قوم من بني النجار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله انا نضرب في الارض

فكيف نصلي

[illegible]

فليصلوا

ينتشرون

عليكم شدة واحدة

يحملون عليكم حملة واحدة

قال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه غزا محاربا وبني انمار فنزلوا ولا يرون من العدو احدا فوضع الناس اسلحتهم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة له قد وضع السلاح حتى قطع الوادي والسماء ترش فحال الوادي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اصحابه فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقتلك ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على راسه ومعه السيف وقد سله فقال يا محمد من يمنعك مني الآن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت ثم اهوى بالسيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فاكب لوجهه من زلخة زلخها بين كتفيه اي من ضربة ضربها ملك بين كتفيه وندر اي سقط سيفه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذه ثم قال من يمنعك مني الآن يا غورث قال لا احد قال تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واعطيك السيف قال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث والله لانت خير مني قال النبي صلى الله عليه وسلم اجل انا احق بذلك منك فرجع غورث الى اصحابه فقالوا ويلك ما منعك منه قال لقد اهويت اليه بالسيف لاضربه فوالله ما ادري من زلخني بين كتفي فخررت لوجهي وذكر حاله قال وسكن الوادي فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادي الى اصحابه فاخبرهم الخبر وقرا هذه الآية لا جناح عليكم ه

فكيف نصلي فانزل الله واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ثم انقطع الوحي فلما كان بعد ذلك بحول غزا النبي صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر فقال المشركون لقد امكنكم محمد واصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم فقال قائل منهم ان لهم اخرى مثلها في اثرها قال فانزل الله عز وجل بين الصلوتين ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا الى قوله مهينا فنزلت صلوة الخوف رواه ابن جرير وفي مسند احمد عن ابي عياش قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة فصلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم الظهر فقالوا قد كانوا على حال لو اصبنا غرتهم ثم قالوا ياتي عليهم الآن صلوة هي احب اليهم من ابنائهم وانفسهم قال فنزل جبرئيل بهذه الآيات بين الظهر والعصر واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة قال فحضرت يعني صلوة العصر فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا السلاح قال فصففنا خلفه صفين قال ثم ركع فركعنا جميعا ثم رفع فرفعنا جميعا ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم بالصف الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا في مكانهم ثم تقدم هولاء الى مصاف هولاء وهولاء الى مصاف هولاء قال ثم ركع فركعوا جميعا ورفع فرفعوا جميعا ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم والصف الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا ثم سلم عليهم ثم انصرف قال فصلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين مرة بعسفان ومرة بارض بني سليم وله شاهد في البخاري عن ابن عباس قال قام النبي صلى الله عليه وسلم وقام الناس معه فكبر وكبروا معه وركع وركع ناس منهم ثم سجد وسجدوا معه ثم قام الثانية فقام الذين سجدوا وحرسوا اخوانهم واتت الطائفة الاخرى فركعوا وسجدوا معه والناس كلهم في الصلوة ولكن يحرس بعضهم بعضا ولاحاديث صلوة الخوف طرق كثيرة وروايات متنوعة في الصحاح والسنن فمن رامها فعليه بها واما الامر بحمل السلاح في صلوة الخوف فمحمول طائفة على الوجوب وهو احد قولي الشافعي ويدل عليه قوله ولا جناح عليكم الآية وخذوا حذركم هو ما تحذرون وتتقون به من العدو من الترس ونحوه اي بحيث تكونون على اهبة اذا احتجتم اليه لبستموها بلا كلفة والجناح الاثم

فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمانتم فاقيموا الصلوة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما

امر الله تعالى بكثرة الذكر عقيب صلوة الخوف وان كان مشروعا مرغبا فيه بعد غيرها لكن هاهنا آكد لما وقع فيها من التخفيف في اركانها ومن الرخصة في الذهاب فيها والاياب وغير ذلك مما لم يوجد في غيرها ولهذا قال فاذا تمت الى الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم اي في سائر احوالكم ثم قال فاذا اطمانتم اي فاذا امنتم وذهب الخوف وحصلت الطمانينة فاقيموا الصلوة اي اتموها واقيموها كما امرتم بحدودها وخشوعها وسجودها وركوعها وجميع شئونها وقوله ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اي مفروضا قال ابن مسعود وقت كوقت الحج وقال زيد بن اسلم اي منجما كلما مضى نجم جاء نجم يعني كلما مضى وقت جاء وقت وقوله ولا تهنوا اي لا تضعفوا في طلب عدوكم بل جدوا فيهم وقاتلوهم واقعدوا لهم كل مرصد ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون اي كما يصيبكم الجراح والقتل كذلك يحصل لهم كما قال ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ثم قال وترجون من الله ما لا يرجون اي انتم وهم سواء فيما يصيبكم واياهم من الجراح والآلام ولكن انتم ترجون من الله المثوبة والنصر والتاييد كما وعدكم اياه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وهو وعد حق وهم لا يرجون شيئا من ذلك فانتم اولى بالجهاد منهم واشد رغبة في اقامة كلمة الله واعلائها وكان الله عليما اي هو اعلم واحكم فيما يقدره ويقضيه

انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اريك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول

فرغتم من صلوة الخوف واديتموها ه

فاتموا الصلوة تامة من غير قصر

اهل الطمانينة سكون القلب

عند البرء والزيادة وعليه المرض والشدة ه

موقتا محدود الاوقات والكتاب بمعنى المكتوب يعني مكتوبة موقتة باوقات محدودة لا يجوز اخراجها عن اوقاتها بحال ه

ترجون من الثواب الجراحات

عليما باعمالكم وفيما امركم حكيما [illegible]

وكان الله بما يعملون محيطا ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة
ام من يكون عليهم وكيلا اى هو حق من الله وهو يتضمن الحق في خبره وطلبه وقوله لتحكم بين الناس بما اراك الله دليل لمن ذهب الى
انه كان له عليه الصلوة والسلام ان يحكم بالاجتهاد وبما ثبت في الصحيحين عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جلبة خصم بباب
حجرته فخرج اليهم فقال الا انما انا بشر وانما اقضي بنحو ما اسمع ولعل احدكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له فمن قضيت له
بحق مسلم فانما هي قطعة من نار فليحملها او ليذرها وسبب نزول الآية ما قال ابن عباس ان نفرا من الانصار غزوا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بعض غزواته فسرقت درع لاحدهم فاظن بها رجلا من الانصار فاتى صاحب الدرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ان طعمة بن ابيرق سرق درعي فلما رأى السارق ذلك عمد اليها فالقاها في بيت رجل برئ وقال لنفر من عشيرته اني غيبت الدرع
والقيتها في بيت فلان وستوجد عنده فانطلقوا الى نبي الله صلى الله عليه وسلم ليلا فقالوا يا نبي الله ان صاحبنا برئ وان صاحب الدرع
فلان وقد احطنا بذلك علما فاعذر صاحبنا على رؤس الناس وجادل عنه فانه ان لا يعصمه الله بك يهلك فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم فبرأه وعذره على رؤس الناس فانزل الله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق الآية اي احكم بما انزل الله اليك في الكتاب

لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما

استغفر الله ثم قال للذين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفين بالكذب يستخفون من الناس الى قوله وكيلا يعني الذين اتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفين يجادلون عن الخائنين والخصيم المعين والمدافع واستغفر الله اى مما هممت به من جدالك
عن طعمة وابرائه ولا تجادل اى لا تخاصم عن الذين يختانون انفسهم بالخيانة والسرقة وقوله خوانا اى كثير الخيانة اثيما في تلبيسه
بالعز ومعنى الاستغفار هنا السمع والطاعة بحكم الشرع يستخفون اي يستترون ويستحيون من الناس وهذا انكار على المنافقين
فكونهم يستخفون قبائحهم من الناس لئلا ينكروا عليهم ويجاهرون الله بها فانه مطلع على سرائرهم وعالم بافعالهم ولهذا قال

اذ يبيتون ما لا يرضى من القول

وهو معهم الى آخره تهديد لهم ووعيد ثم قال تعالى لقوم طعمة ها انتم هؤلاء جادلتم في الحيوة الدنيا الآية اي هب ان هؤلاء
فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة

وكان الله بما يعملون محيطا

انتصروا في الدنيا بما ابدوه وابدي لهم عند الحكام الذين يحكمون بالظاهر وهم متعبدون بذلك فماذا يكون صنيعهم يوم القيمة
بين يدي الله الذي يعلم السر واخفى ومن ذا الذي يتوكل لهم يومئذ في ترويج دعواهم اى لا احد يكون يومئذ لهم وكيلا ولهذا
قال ام من يكون عليهم وكيلا ثم استأنف فقال **ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما**
ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد
احتمل بهتانا واثما مبينا ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون
الا انفسهم وما يضرونك من شئ وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله
عليك عظيما اخبر الله عن كرمه وجوده ان كل من تاب اليه تاب عليه من اى ذنب كان فقال ومن يعمل سوءا قال ابن عباس اخبر الله عباده
بحلمه وعفوه وكرمه وسعة رحمته ومغفرته فمن اذنب ذنبا صغيرا كان او كبيرا ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ولو كانت ذنوبه
اعظم من السموات والارض والجبال وقال ابن مسعود كان بنو اسرائيل اذا اصاب احدهم ذنبا اصبح قد كتب كفارة ذلك الذنب على
بابه واذا اصاب البول شيئا منه قرضه بالمقراض قال رجل لقد آتى الله بني اسرائيل خيرا فقال عبد الله ما آتاكم خير مما آتاهم
جعل الله لكم الماء طهورا وقال والذين اذا فعلوا فاحشة الآية وقال ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه الآية وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يذنب ذنبا ثم يتوضأ فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله لذلك الذنب الا غفر له وقرأ
هاتين الآيتين يعني السابقتين آنفا رواه احمد وبعض اصحاب السنن وقوله ومن يكسب اثما فانما يكسبه هو كقوله ولا تزر
وازرة وزر اخرى اي انه لا يغني احد عن احد وانما على كل نفس ما عملت لا يحمل عنها غيرها ولهذا قال تعالى وكان الله عليما حكيما

اي من علمه وحكمته وعدله ورحمته كان ذلك ثم قال ومن يكسب خطيئة او اثما يعني كما اتهم بنو ابيرق بصنيعهم القبيح ذلك الرجل
وهو لبيد بن سهل على قول او زيد بن السمين اليهودي على آخر وقد كان بريئا وهم الظلمة الخونة كما نزل به القرآن ثم هذا التقريع
عام فيهم وفي غيرهم ممن اتصف بصفتهم فعليه مثل عقوبتهم وقوله ولولا فضل الله عليك ورحمته ايها النبي المبعوث بالحق
لهمت اي لقصدت واضمرت طائفة منهم يعني قوم طعمة ان يضلوك اي يخطئوك ويلبسوا عليك الامر حتى تدافع عن طعمة
وما يضلون الا انفسهم يعني يرجع وبال ذلك عليهم وما يضرونك من شئ يريد ان ضرره يرجع اليهم ثم امتن عليه بتأييده
اياه في جميع الاحوال فقال وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اي السنة والقضاء بالوحي وعلمك ما لم تكن تعلم اي قبل نزول
ذلك عليه من علم الغيب كقوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا الى قوله الآية وقال وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب
الآية ولهذا قال وكان فضل الله عليك عظيما **لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح**
بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ومن يشاقق الرسول من بعد ما
ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا النجوى هو السر في
التدبير وقيل هو ما ينفرد بتدبيره قوم سرا اي لا خير في كثير مما يديرونه بينهم الا من امر بمعروف وعن ام حبيبة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له ما خلا امرا بمعروف او نهيا عن منكر او ذكر الله رواه الترمذي وابن ماجه وعن ام كلثوم
بنت عقبة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الكذاب بالذي يصلح بين الناس فينمي خيرا وقالت لم اسمعه يرخص في
شئ مما يقول الناس الا في ثلث في الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها رواه اكثر اصحاب السنن
وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلوة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح
ذات البين هي الحالقة رواه احمد وابو داود والترمذي ولهذا قال ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله اي مخلصا في ذلك محتسبا
ثوابه عند الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما اي ثوابا كثيرا واسعا وقوله ومن يشاقق الرسول اي ومن سلك غير طريق الشريعة التي
جاء بها الرسول فصار في شق متعمدا بعد ما ظهر له الحق وتبين واتضح له وقوله ويتبع غير سبيل المؤمنين هذا من تتمة الصفة
ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع وقد تكون لما اجمع عليه الامة فيما اتفقوا عليه تحقيقا فانه قد ضمن لهم العصمة في اجتماعهم
من الخطأ تشريفا لها وتعظيما لنبيها وقد وردت في ذلك احاديث كثيرة ومن العلماء من ادعى تواتر معناها والذي تعول عليه
الشافعي رضي الله عنه في الاحتجاج على كون الاجماع حجة يحرم مخالفته هذه الآية بعد التروي والفكر الطويل وهو من احسن الاستنباطات
واقواها وان كان بعضهم قد استشكل ذلك فاستبعد الدلالة منها عليه ولهذا توعد تعالى على ذلك بقوله نوله ما تولى ونصله
اي اذا سلك هذه الطريق جازيناه على ذلك بان نحسنها في صدره ونزينها له استدراجا ونجعل النار مصيره في الآخرة لان من خرج عن الهدى
لم يكن له طريق الا الى النار يوم القيمة **ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك**
بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله
وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام
ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم
ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا اولئك مأويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا والذين
آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا و

من اصدق من الله قيلا سبق الكلام في معنى قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية وما يتعلق بها من بعض الاحاديث في صدر هذه
السورة عن علي رضي الله عنه انه قال ما في القرآن آية احب الي من هذه الآية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء رواه
الترمذي وقوله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا اي فقد ذهب عن طريق الحق وضل عن الهدى واهلك نفسه في الضلال وفاتته
الداران وقوله ان يدعون من دونه الا اناثا قالت عائشة اوثانا ومع كل صنم جنية قاله ابي بن كعب وعن الضحاك اي قال المشركون الملائكة
بنات الله وانما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى واتخذوها اربابا وصوروهن صور الجواري فحلوا وقلدوها وقالوا هؤلاء يشبهن بنات
الله الذي نعبده يعنون الملائكة وهذا التفسير شبيه بقوله افرايتم اللات والعزى الآية وقال ابن عباس الا اناثا يعني موتى وقال
الحسن كل شيء ميت ليس فيه روح اما خشبة يابسة واما حجر يابس وقوله وان يدعون الا شيطانا مريدا اي هو الذي امرهم بذلك
وحسنه وزينه لهم وهم انما يعبدون ابليس في نفس الامر كما قال الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان والمريد هو المارد
وهو المتمرد العاتي عن الطاعة وقوله لعنه الله اي طرده وابعده من رحمته واخرجه من جواره وقال لاتخذن من عبادك
نصيبا مفروضا اي مقدرا معينا معلوما وقال مقاتل بن حيان من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحد الى الجنة و
لاضلنهم اي عن الحق ولاغوينهم ولامنينهم اي ازين لهم ترك التوبة واعدهم الاماني وآمرهم بالتسويف والتاخير وقوله
ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام قال قتادة وغيره يعني تشقيقها وجعلها سمة وعلامة للبحيرة والسائبة والبتك القطع
ولآمرنهم فليغيرن خلق الله قال ابن عباس يعني خصي الدواب وقيل يعني الوشم وفي صحيح مسلم النهي عن الوشم في الوجه وفي لفظ لعن من فعل
ذلك وعن ابن عباس وطائفة في قوله فليغيرن خلق الله اي دين الله تعالى كما في قوله لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم على قول من جعل
ذلك امرا اي لا تبدلوا فطرة الله ودعوا الناس على فطرتهم كما ثبت في الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء
وفي مسلم عن عياض بن حمار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم
عن دينهم وحرمت عليهم ما احللت لهم ثم قال تعالى ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا اي فقد خسر
الدنيا والآخرة لان خسارها لا استدراك لفائتها وقوله يعدهم ويمنيهم اي يعد الشيطان اولياءه ويمنيهم انهم هم الفائزون
في الدارين وقد كذب وافترى في ذلك ولهذا قال وما يعدهم الشيطان الا غرورا اي باطلا وقوله اولئك اي المستحسنون له فيما وعد
ومناهم ماواهم جهنم اي مصيرهم ومآلهم يوم حسابهم ولا يجدون عنها محيصا اي ليس لهم منها مندوحة ولا مصرف ولا خلاص
ولا مناص ثم ذكر حال السعداء والاتقياء وما لهم في مآلهم من الكرامة التامة فقال والذين آمنوا اي صدقت قلوبهم وعملت جوارحهم
بما امروا به من الخيرات وتركوا ما نهوا عنه من المنكرات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار اي يصرفونها حيث شاؤوا واين شاؤوا
خالدين فيها ابدا اي بلا زوال ولا انتقال وعد الله حقا اي وعدا معلوما حقيقة وحقا تاكيد لتحقيق الخبر ثم قال ومن اصدق
من الله قيلا اي لا احد اصدق منه قولا وخبرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته ان اصدق الحديث كلام الله وخير
الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من
يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن
فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابرهيم
حنيفا واتخذ الله ابرهيم خليلا ولله ما في السموت وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا قال قتادة ذكر لنا ان

وعن الحسن ان هذه الآية نزلت في المشركين وانهم يجزون بسوء اعمالهم كما قال تعالى وهل نجازي الا الكفور واما في شان المؤمنين فنزلت ليكفر الله عنهم اسوء الذي عملوا
ويجزيهم باحسن الذي كانوا يعملون والدليل على ان الآية في الكفار انه ختم الآية بقوله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا اي ولا يجد لنفسه حين ترك موالاة الله
ونصرة دينه من تولاه وينصره في دفع العذاب عنه يوم القيامة وقال في شان المؤمنين انه الولي الذين آمنوا انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا
ويوم يقوم الاشهاد وعن رسول الله صلعم انه قال يا ابا بكر الا اقرئك آية نزلت علي قلت بلى قال فاقرانيها
قال ولا اعلم الا اني وجدت انقصاما في ظهري حتى تمطيت لها فقال رسول الله صلعم ما لك يا ابا بكر قلت
يا رسول الله بابي انت وامي واينا لم يعمل سوءا وانا لمجزيون بكل سوء عملناه فقال رسول الله صلعم اما
انت واصحابك المؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليست لكم ذنوب واما الآخرون
فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة رواه محيي السنة والترمذي

المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم نحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى بالله
منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فانزل الله ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب الآية وهكذا قال
غير واحد وقال ابن عباس هذه الآية نزلت في تخاصم اهل الاديان فقال اهل التوراة كتابنا خير الكتب انزل قبل كتابكم ونبينا
خير الانبياء وقال اهل الانجيل مثل ذلك وقال اهل الاسلام لا دين الا الاسلام وكتابنا نسخ كل كتاب ونبينا خاتم النبيين
وامرتم وامرنا ان نؤمن بكتابكم ونعمل بكتابنا فقضى الله بينهم فقال ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب وخير بين الاديان فقال
ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله الى قوله خليلا والمعنى ان الدين ليس بالتحلي والتمني وليس كل من ادعى شيئا حصل له بمجرد
دعواه حتى يكون له من الله برهان ولهذا قال ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب اي ليس لكم ولا لهم النجاة بمجرد التمني بل العبرة بطاعة
الله واتباع ما شرعه على السنة رسله ولهذا قال بعده من يعمل سوءا يجز به كقوله فمن يعمل مثقال ذرة شرا يره وفي مسند احمد ان ابا بكر
الصديق رضي الله عنه قال يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به فكل سوء
عملنا جزينا به فقال النبي صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض الست تنصب الست تحزن الست تصيبك اللاواء
قال بلى قال فهو مما تجزون به وعن عائشة قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال يا عائشة هذه متابعة
الله للعبد بما يصيبه من الحمى والنكبة والشوكة حتى البضاعة يضعها في كمه فيفزع لها فيجدها في جيبه حتى ان المؤمن ليخرج
من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير رواه الترمذي وعن ابي هريرة قال لما نزلت من يعمل سوءا يجز به شق ذلك على المسلمين فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا فان في كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى الشوكة يشاكها والنكبة ينكبها رواه
احمد والترمذي والنسائي وعن ابن عباس وسعيد بن جبير انهما فسرا السوء بالشرك ايضا وقوله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا
قال ابن عباس الا ان يتوب فيتوب الله عليه والصحيح ان هذا عام في جميع الاعمال على ما تقدم وقوله ومن يعمل من الصالحات الآية لما ذكر
الجزاء على السيآت وانه لا بد ان ياخذ مستحقها من العبد اما في الدنيا وهو الاجود واما في الآخرة والعياذ بالله من ذلك شرع في بيان
احسانه وكرمه ورحمته في قبول الاعمال الصالحة من عباده ذكرانهم واناثهم بشرط الايمان وانه سيدخلهم الجنة ولا يظلمهم
من حسناتهم ولا مقدار النقير وهو النقرة التي في ظهر نواة التمر ثم قال ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اي اخلص العمل
لربه عز وجل فعمل ايمانا واحتسابا وهو محسن اي متبع في عمله ما شرعه الله له وما ارسل به رسوله من الهدى ودين الحق وهذان
الشرطان لا يصح عمل عامل بدونهما اي يكون خالصا صوابا فالخالص ان يكون لله والصواب ان يكون متابعا للشريعة فيصح ظاهره بالمتابعة
وباطنه بالاخلاص ومتى فقد العمل احد هذين الشرطين فسد ومن فقد الاخلاص كان منافقا وهم الذين يراؤون الناس ومن
فقد المتابعة كان ضالا جاهلا ومتى جمعهما فهو عمل المؤمنين الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب الجنة
ولهذا قال تعالى واتبع ملة ابرهيم حنيفا وهم محمد واتباعه الى يوم القيمة كما قال تعالى ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي
الآية وغيرها من الآيات وقوله واتخذ الله ابرهيم خليلا هذا من باب الترغيب في اتباعه لانه امام يقتدى به حيث وصل الى غاية ما
يتقرب العباد له فانه انتهى الى درجة الخلة التي هي ارفع مقامات المحبة وما هو الا لكثرة طاعته لربه كما وصفه به في كثير من الآيات
والخليل الصفي من الخلة وهي صفاء المودة والصداقة وذكر ابن جرير عن بعضهم انه انما سماه الله خليلا من اجل انه اصاب اهل ناحيته
جدب فارتحل الى خليل له من اهل الموصل وقيل اهل مصر ليمتار طعاما لاهله من قبله فلم يصب عنده حاجته فلما قرب من اهله مر بمفازة
ذات رمل فقال لو ملات غرائري من هذا الرمل لئلا اغم اهلي برجوعي اليهم بغير ميرة وليظنوا اني اتيتهم بما يحبون ففعل ذلك

فتحول ما في غرائره من الرمل دقيقا فلما صار الى منزله نام وقام اهله ففتحوا الغرائر فوجدوا دقيقا فعجنوا منه وخبزوا فاستيقظ فسالهم عن الدقيق الذي منه خبزوا فقالوا من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك قال نعم هو من عند خليلي الله فسماه الله بذلك خليلا وهذا من الاسرائيليات التي جاز نقلها وانما سمي خليل الله لشدة محبته لربه عز وجل لما قام به له من الطاعة التي يحبها ويرضاها وعن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فاذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فقال بعضهم ان الله اتخذ ابرهيم خليلا وقال آخر موسى كلمه تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعت كلامكم وعجبكم ان ابرهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة تحته آدم فمن دونه ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع يوم القيمة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين على الله ولا فخر رواه الترمذي والدارمي وقوله ولله ما في السموات وما في الارض اي الجميع ملكه وعبيده وخلقه وهو المتصرف في جميع ذلك لا راد لما قضى ولا معقب لما حكم وقوله وكان الله بكل شيء محيطا اي علمه نافذ في جميع ذلك لا يخفى عليه خافية من عباده ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر **ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما** في الصحيحين عن عائشة ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وترغبون ان تنكحوهن قالت هو الرجل تكون عنده اليتيمة هو وليها ووارثها قد شركته في ماله حتى في العذق فيرغب ان ينكحها ويكره ان يزوجها رجلا فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها نزلت هذه الآية وعن ابن ابي حاتم باسناده قالت عائشة ثم ان الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية فيهن فانزل الله ويستفتونك في النساء الآية قالت والذي ذكر الله انه يتلى عليهم في الكتاب الآية التي قال الله تعالى فيها وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم وقوله وترغبون ان تنكحوهن رغبة احدكم عن يتيمته التي في حجره حين تكون قليلة المال والجمال فنهوا ان ينكحوا ما رغبوا في مالها وجمالها من يتامى النساء الا بالقسط من اجل رغبتهم عنهن واصله ثابت في الصحيحين والمراد ان الرجل اذا كان في حجره يتيمة يحل له تزوجها فانه يرغب في ان يتزوجها فامره الله ان يمهرها اسوة امثالها من النساء فان لم يفعل فليعدل الى غيرها من النساء وقد سبق هذا المعنى في اول السورة وتارة لا يكون للرجل فيها رغبة لدمامتها عنده او في نفس الامر فنهاه الله ان يعضلها من الازواج خشية ان يشركوه في ماله الذي بينه وبينها كما قال ابن عباس كان الرجل في الجاهلية تكون عنده اليتيمة فيلقي عليها ثوبه فاذا فعل ذلك بها لم يقدر احد ان يتزوجها ابدا فان كانت جميلة وهويها تزوجها واكل مالها وان كانت دميمة منعها الرجال ابدا حتى تموت فاذا ماتت ورثها فحرم الله ذلك ونهى عنه وقال في قوله والمستضعفين من الولدان كانوا في الجاهلية لا يورثون الصغار ولا البنات وذلك قوله لا تؤتونهن ما كتب لهن اي لا تعطونهن ما كتب لهن فنهى الله عن ذلك وبين لكل ذي سهم سهمه فقال للذكر مثل حظ الانثيين وقوله وان تقوموا لليتامى بالقسط اي ويفتيكم في ان تقوموا لليتامى بالعدل في مهورهن ومواريثهن وقوله وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما تهييج على فعل الخيرات وامتثال الاوامر وان الله عالم بجميع ذلك وسيجزي عليه اوفر الجزاء واتمه **وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا**

ولن يستطيعوا

ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما

هذا اخبار عن حال الزوجين وبيان لحكمهما حالة نفور احدهما عن الآخر او اتفاقهما او فراقه لها اما الاولى اذا خافت المراة ان ينفر عنها زوجها او يعرض عنها فلها ان تسقط عنه حقها او بعضها من نفقة او كسوة او مبيت او غير ذلك من حقوقها عليه وله ان يقبل ذلك منها ولا حرج في ذلك على احد منهما ولهذا قال فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا ثم قال والصلح خير اي من الفراق وقوله واحضرت الانفس الشح هو افرط البخل وحقيقته الحرص على منع الخير اي الصلح عند المشاحة خير من الفراق ولهذا لما كبرت سودة بنت زمعة وعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فراقها صالحته على ان يمسكها وتترك يومها لعائشة فقبل ذلك منها وابقاها على ذلك وقال ابن عباس خشيت سودة ان يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لا تطلقني واجعل يومي لعائشة ففعل ونزلت هذه الآية وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا الآية رواه الترمذي وفي الصحيحين عن عائشة قالت لما كبرت سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لها بيوم سودة وفي البخاري عن عائشة وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا قالت الرجل تكون عنده المراة ليس بمستكثر منها يريد ان يفارقها فتقول اجعلك من شاني في حل فنزلت هذه الآية وعلى هذا جمهور السلف ولم يعلم خلاف ذلك من احد وفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ليتأسى به امته في شرعية ذلك وجوازه فهو افضل في حقه عليه الصلوة والسلام ولما كان الوفاق احب الى الله من الفراق قال والصلح خير بل الطلاق بغيض اليه سبحانه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابغض الحلال الى الله الطلاق رواه ابو داود وابن ماجه وقوله وان تحسنوا وتتقوا اي وان تتجشموا مشقة الصبر على من تكرهونه منهن وتقسموا لهن اسوة امثالهن فان الله عالم بذلك وسيجزيكم عليه اوفى الجزاء وقوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء اي لن تستطيعوا ولن تقدروا ايها الناس ان تساووا بين النساء من جميع الوجوه فانه وان حصل القسم الصوري ليلة ليلة فلا بد من التفاوت في المحبة والشهوة والجماع كما قاله ابن عباس وآخرون وقال ابن ابي مليكة نزلت هذه الآية ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء في عائشة يعني ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحبها اكثر من غيرها كما جاء في مسند احمد عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك يعني القلب رواه ابو داود والترمذي وقوله فلا تميلوا كل الميل اي فاذا ملتم الى واحدة منهن فلا تبالغوا في الميل بالكلية فتذروها كالمعلقة اي فتبقى الاخرى معلقة لا ذات زوج ولا مطلقة قاله ابن عباس واتباعه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له امراتان فمال الى احدهما جاء يوم القيمة واحد شقيه ساقط رواه احمد واصحاب السنن وقوله وان تصلحوا وتتقوا اي وان اصلحتم في اموركم وقسمتم بالعدل فيما تملكون واتقيتم الله في جميع الاحوال غفر الله لكم ما كان من ميل الى بعض النساء دون بعض ثم قال وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته هذه هي الحالة الثالثة وهي حالة الفراق وقد اخبر تعالى انهما اذا تفرقا فان الله يغنيه عنها ويغنيها عنه بان يعوضه بها من هو خير له منها ويعوضها عنه بمن هو خير لها منه وكان الله واسعا حكيما اي واسع الفضل عظيم المن حكيما في جميع افعاله واقداره **ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا ان يشا يذهبكم ايها الناس ويات باخرين وكان الله على ذلك قديرا**

مركان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا اخبر تعالى انه مالك السموات والارض وانه الحاكم فيهما ولهذا قال ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب اي وصيناكم بما وصيناهم به من تقوى الله بعبادته وحده لا شريك له ثم قال وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا اى هو غني عن عباده حميد في جميع ما يقدره ويشرعه ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا اى هو القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب الشهيد على كل شيء اي له الملك فلا تخافوه وكيلا ولا تتوكلوا على غيره وقوله ان يشأ يذهبكم اى هو قادر على اذهابكم وتبديلكم بغيركم اذا عصيتموه قال بعض السلف ما اهون العباد على الله اذا اضاعوا امره والقدير القادر على كل شيء وقوله مركان يريد ثواب الدنيا اى من ليس له همة الا الدنيا فاعلم ان عند الله ثواب الدنيا والآخرة واذا سالته من هذه وهذه اعطاك واغناك واقناك كما جاء في غيرها من الآيات وقيل المعنى من هذه الآية المنافقون الذين اظهروا الايمان لاجل ذلك فعند الله ثواب الدنيا وهو ما حصل لهم من المغانم وغيرها مع المسلمين وقوله والآخرة اي وعنده ثواب الآخرة وهو ما ادخر لهم من العقوبة بنار جهنم كما في قوله من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم الى قوله يعملون والاول اظهر واغلب فان قوله فعند الله ثواب الدنيا والآخرة ظاهر في حصول الخير في الدارين اي بيده هذا وهذا فلا تقتصرن قاصر الهمة على السعي للدنيا فقط بل لتكن همتك سامية الى نيل المطالب العالية في الدارين فان مرجع ذلك كله الى الله الكريم الذي قسم السعادة والشقاوة بين الناس وعدل بينهم بما علمه فيهم ممن يستحق هذا وممن يستحق ذاك ولهذا قال وكان الله سميعا بصيرا يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا امر تعالى عباده المومنين ان يكونوا قوامين بالعدل فلا يعدلوا عنه يمينا وشمالا وان لا تاخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عنه صارف وان يكونوا متعاونين متساعدين متعاضدين فيه وقوله شهداء لله كما قال واقيموا الشهادة لله اى ليكن اداؤها ابتغاء وجه الله فحينئذ تكون صحيحة عادلة خالية عن التحريف والتبديل ولهذا قال ولو على انفسكم اى اشهد بالحق ولو عاد ضررها عليك فان الله سيجعل لمن اطاعه فرجا ومخرجا من كل امر يضيق عليه وقوله او الوالدين والاقربين اي وان كانت الشهادة على والديك او قرابتك فلا تراعهم فيها بل اشهد بالحق وان عاد ضررها عليهم فان الحق حاكم على كل احد وهو مقدم على كل احد وقوله ان يكن غنيا او فقيرا اي لا تراعه لغناه ولا تشفق عليه لفقره فالله يتولاهما بل هو اولى بهما منك واعلم بما فيه صلاحهما وقوله فلا تتبعوا الهوى اى فلا يحملنكم الهوى والعصبية وبغض الناس اليكم على ترك العدل في اموركم وشؤونكم بل الزموا العدل على اى حال كان وقوله وان تلووا او تعرضوا قال اي تحرفوا الشهادة وتغيروها والليّ هو التحريف وتعمد الكذب والاعراض هو كتمان الشهادة وتركها قال تعالى ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقال النبي صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بخير الشهداء الذي ياتي بشهادته قبل ان يسألها رواه مسلم ولهذا توعدهم بقوله فان الله كان بما تعملون خبيرا اي سيجازيكم بذلك يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا امر الله عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الايمان وشعبه واركانه ودعائمه وليس هذا من باب تحصيل الحاصل بل من باب تكميل الكامل وتقريره وتثبيته والاستمرار عليه كما يقول المؤمن في كل صلاة اهدنا الصراط المستقيم اى بصرنا فيه وزدنا هدى وثبتنا عليه فامرهم بالايمان بالله ورسوله وقوله والكتاب يعني القرآن والكتاب الذي انزل من قبل هذا جنس يشمل جميع الكتب المتقدمة

وقال في القرآن نزّل لانه نزل مفرقا منجما على الوقائع بحسب ما يحتاج اليه العباد في معاشهم ومعادهم واما الكتب المتقدمة فكانت تنزل جملة واحدة ثم قال ومن يكفر بالله الى قوله فقد ضل ضلالا بعيدا اى فقد خرج عن طريق الهدى وبعد عن القصد كل البعد ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا اخبر تعالى عمن دخل في الايمان ثم رجع عنه ثم عاد فيه ثم رجع واستمر على ضلاله وازداد حتى مات فانه لا توبة له بعد موته ولا يغفر الله له ولا يجعل له مما هو فيه فرجا ومخرجا ولا طريقا الى الهدى ولهذا قال لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا قال ابن عباس ثم ازدادوا كفرا اي تموا على كفرهم حتى ماتوا وعن علي رضي الله عنه انه قال يستتاب المرتد ثلاثا ثم تلا هذه الآية ثم قال بشر المنافقين اى من اهل هذه الصفة فانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم ثم وصفهم بانهم يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين يعني انهم معهم في الحقيقة يوالونهم ويسرون اليهم بالمودة ثم قال منكرا عليهم فيما سلكوه ايبتغون عندهم العزة ثم اخبر ان العزة كلها لله وحده لا شريك له ولمن جعلها له كما في غيرها من الآيات والمراد من هذا التهييج على طلب العزة من عند الله والالتجاء الى عبوديته والانتظام في جملة عباده المؤمنين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انتسب الى تسعة آباء كفار يريد بهم عزا وكبرا فهو عاشرهم في النار رواه احمد وقوله وقد نزل عليكم في الكتاب الى قوله انكم اذا مثلهم اي اذا ارتكبتم النهي بعد وصوله اليكم ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله ويستهزأ وينتقص بها واقررتموهم على ذلك فقد شاركتموهم في الذي هم فيه ولهذا قال انكم اذا مثلهم اي في المأثم كما جاء في الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر وقوله ان الله جامع المنافقين والكافرين اي كما اشركوا في الكفر كذلك شارك الله بينهم في الخلود في نار جهنم ابدا وجمع بينهم في دار العقوبة والنكال والقيود والاغلال الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا اخبر تعالى عن المنافقين انهم يتربصون بالمؤمنين دوائر السوء يعني زوال دولتهم وظهور الكفرة عليهم وذهاب ملتهم فان كان لكم فتح من الله اي نصر وتاييد وظفر وغنيمة قالوا الم نكن معكم اي يتوددون الى المؤمنين بهذه المقالة وان كان للكافرين نصيب اي ادالة على المؤمنين في بعض الاحيان كما وقع يوم احد فان الرسل تبتلى ثم يكون لها العاقبة قالوا الم نستحوذ عليكم والاستحواذ الاستيلاء والغلبة اى ساعدناكم في الباطن وخذلناهم حتى انتصرتم عليهم وهذا تودد منهم اليهم فانهم كانوا يصانعون هؤلاء وهؤلاء ليحظوا عندهم ويامنوا كيدهم وذلك لضعف ايمانهم وقلة ايقانهم وقوله تعالى فالله يحكم بينكم يوم القيمة اي بما يعلمه منكم ايها المنافقون من البواطن الردية فلا تغتروا بجريان الاحكام الشرعية عليكم ظاهرا في الحيوة الدنيا لما له تعالى في ذلك من الحكمة فيوم القيمة لا تنفعكم ظواهركم بل هو يوم تبلى فيه السرائر ويحصّل ما في الصدور وقوله ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا اى حجة وذلك يوم القيمة قاله علي وابن عباس ويحتمل ان يكون في الدنيا ايضا بان لا يسلطوا عليهم استيلاء استيصال بالكلية وان حصل لهم ظفر في بعض الاحيان على بعض الناس فان العاقبة للمتقين في الدارين وحينئذ يكون ردا على المنافقين فيما املوه ورجوه وانتظروه من زوال دولة المؤمنين وفيها دليل على منع بيع العبد المسلم من الكافر وبطلانه لما في صحته من التسليط له عليه وبه قال الجمهور ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا

مذبذبين بين ذلك لا الى هولاء ولا الى هولاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا قد تقدم تفسير يخادعون الله فى اول سورة البقرة وقوله وهو خادعهم لا شك ان الله لا يخادع فانه العالم بالسرائر والضمائر لكن المنافقين لجهلهم يتصورون ان امرهم كما راج عند الناس وجرت عليهم احكام الشريعة ظاهرا فكذلك يكون حكمهم يوم القيمة عند الله كما اخبر تعالى عنهم بقوله يوم يبعثهم الله جميعا الآية فقوله وهو خادعهم اى هو الذى يستدرجهم فى طغيانهم وضلالهم فى الدنيا فكذلك فى القيمة كما قال تعالى يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا الى قوله وبئس المصير وعن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمّع سمّع الله به ومن يرائى يرائى الله به متفق عليه وفى الحديث المعتبر ان الله يامر بالعبد الى الجنة فيما يبدو للناس ويعدل به الى النار نعوذ بالله من ذلك واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى هذه صفة المنافقين فى اشرف الاعمال وافضلها وهى الصلوة اذا قاموا اليها قاموا وهم كسالى عنها اى متثاقلين لا يريدون بها الله لانهم لا ايمان لهم بها ولا نية ولا خشية قال ابن عباس يكره ان يقوم الرجل الى الصلوة كسلان ولكن يقوم اليها طلق الوجه عظيم الرغبة شديد الفرح فانه يناجى الله وان الله امامه يغفر له ويجيبه اذا دعاه ثم ذكر تعالى صفة بواطنهم الفاسدة فقال يراؤن الناس اى لا اخلاص لهم ولا معاملة مع الله بل انما يشهدون الصلوة تقية من الناس ومصانعة لهم ولهذا كانوا يتخلفون كثيرا عن الصلوة التى لا يراؤن فيها غالبا كصلوة العشاء وصلوة الصبح كما ثبت فى الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اثقل الصلوة على المنافقين صلوة العشاء وصلوة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لاتوهما ولو حبوا وقوله ولا يذكرون الله الا قليلا اى فى صلوتهم لا يخشعون ولا يدرون ما يقولون بل هم عن صلوتهم لاهون وعما يراد بهم من الخير معرضون وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك صلوة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى اذا كانت بين قرنى الشيطان قام فنقر اربعا لا يذكر الله فيها الا قليلا رواه مسلم وقوله مذبذبين بين ذلك يعنى المنافقين متحيرين بين الايمان والكفر فلا هم مع المؤمنين ظاهرا وباطنا ولا مع الكافرين ظاهرا وباطنا بل ظواهرهم مع المؤمنين وبواطنهم مع الكافرين ومنهم من يعتريه الشك فتارة يميل الى هولاء وتارة يميل الى هولاء فالمشار اليه اولا المؤمنون وثانيا اليهود وعن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة لا يدرى ايتهما يتبع رواه مسلم وعن ابن مسعود قال مثل المؤمن والمنافق والكافر مثل ثلثة نفر انتهوا الى واد فوقع احدهم فعبر ثم وقع الآخر حتى اذا اتى على نصف الوادى ناداه الذى على شفير الوادى ويلك اين تذهب الى الهلكة ارجع عودك على بدئك وناداه الذى عبر هلم الى النجاة فجعل ينظر الى هذا مرة والى هذا مرة فجاء سيل فاغرقه فالذى عبر المؤمن والذى غرق المنافق مذبذبين بين ذلك لا الى هولاء ولا الى هولاء والذى مكث الكافر اى ليسوا مؤمنين مخلصين ولا مشركين مصرحين بالشرك ولهذا قال ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اى ومن صرفه الله عن طريق الهدى فلن تجد له وليا مرشدا فانه من يضلل الله فلا هادى له يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما نهى الله عباده المؤمنين عن اتخاذ الكافرين اولياء من دون المؤمنين يعنى مصاحبتهم ومصادقتهم واسرار المودة اليهم وافشاء احوال المؤمنين الباطنة اليهم كما قال لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء الآية ويحذركم الله نفسه اى يحذركم نقمته فى مخالفته وسطوته فى عقابه لمن والى اعداءه وعادى اولياءه كما سبق فى آل عمران تفسيره اى عقوبته فى تركهم نهيه ولهذا قال اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا اى حجة عليكم فى عقوبته اياكم

المذبذبة جعل الشىء مضطربا واصلها الذب بمعنى الطرد والدفع والمذبذب الذى يذب مرارا عن كلا الجانبين فكلما مال الى جانب يذب عنه فلا يقر بجانب واحد يعنى يذبذبهم الله او الملك او الشيطان او الهوى و

قاله

کرخاک سرکوی دولت باشی
رسوا شدهٔ شهر و محلت باشی
هر رنگ عجب وجود نمایی صد سال
شایسته عفو دو دولت باشی

يستوفى حقه ويكون للظالم الفضل عليه وفى الترمذى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من دعا على من ظلمه فقد انتصر وفى كتاب اللطائف للقاضى ابى يوسف ان امراة من بنى اسرائيل كانت صوامة قوامة سرقت لها امراة دجاجة فنبت ريش الدجاجة فى وجه السارقة وعجزوا عن ازالته عن وجهها فسالوا عن ذلك بعض علمائهم فقال لا يزول الريش الا بدعائها عليها قال فاتتها عجوز فذكرتها بدجاجتها فلم تزل بها الى ان دعت على سارقتها دعوة فسقطت من وجهها الريشة

قال ابن عباس كل سلطان فى القرآن حجة ثم اخبر تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار اى يوم القيمة جزاء على كفرهم الغليظ والنار دركات كما ان الجنة درجات وهم فى توابيت ترتج عليهم فى اسفل النار قاله ابن مسعود وغيره وعن ابى هريرة قال الدرك الاسفل بيوت لها ابواب تطبق عليها فتوقد من تحتهم ومن فوقهم النار وقوله ولن تجد لهم نصيرا اى ينقذهم مما هم فيه ويخرجهم من اليم العذاب ثم اخبر تعالى ان من تاب منهم فى الدنيا تاب الله عليه وقبل منه ندمه اذا اخلص فى توبته واصلح عمله واعتصم بربه فى جميع امره فقال الا الذين تابوا الآية فانه ينفعهم العمل الصالح الذى حصل منهم بالاخلاص وان قل وعن معاذ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اخلص دينك يكفيك القليل من العمل رواه ابن ابى حاتم فاولئك مع المؤمنين اى فى زمرتهم يوم القيمة وسوف يؤت الله المؤمنين فى الآخرة اجرا عظيما اى الجنة وحذف الياء من يؤت فى الخط لسقوطها فى اللفظ لسكون اللام ثم قال مخبرا عن غناه عما سواه وانه انما يعذب العباد بذنوبهم فقال ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم اى اصلحتم العمل وآمنتم بالله ورسوله وكان الله شاكرا عليما اى من شكر شكر له ومن آمن قلبه علمه فجازاه على ذلك اوفر الجزاء لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا قال ابن عباس اى لا يحب الله ان يدعو احد على احد الا ان يكون مظلوما فانه قد رخص له ان يدعو على من ظلمه وذلك قوله الا من ظلم وان صبر فهو خير له وقال عبد الكريم الجزرى هو الرجل يشتمك فتشتمه ولكن ان افترى عليك فلا تفتر عليه وعن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المستبان ما قالا فعلى البادى منهما ما لم يعتد المظلوم رواه ابو داود وعن مجاهد وغيره هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فيخرج فيقول اساء ضيافتى ولم يحسن وفى الصحيحين عن عقبة ابن عامر قال قلنا يا رسول الله انك تبعثنا فننزل بقوم فلم يقرونا فما ترى فى ذلك فقال اذا نزلتم بقوم فامروا لكم بما ينبغى للضيف فاقبلوا فان لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذى ينبغى لهم وعن المقدام بن معديكرب عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ايما مسلم ضاف قوما فاصبح الضيف محروما كان حقا على كل مسلم نصره حتى ياخذ بقرى ليلته رواه احمد وقوله ان تبدوا خيرا اى ان تظهروا ايها الناس خيرا او اخفيتموه او عفوتم عمن اساء اليكم فان ذلك مما يقربكم عند الله ويجزل ثوابكم لديه فان من شانه تعالى ان يعفو عن عباده مع قدرته على عقابهم ولهذا قال فان الله كان عفوا قديرا وفى الحديث الصحيح ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف يؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما توعد الله من كفر به وبرسله من اليهود والنصارى حيث فرقوا بين الله ورسله فى الايمان فآمنوا ببعض الانبياء وكفروا ببعض بمجرد التشهى والعادة وما الفوا عليه آباءهم لا عن دليل قادهم الى ذلك فانه لا سبيل لهم الى ذلك بل بمجرد الهوى والعصبية فاليهود لعنهم الله آمنوا بالانبياء الا بعيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام والنصارى عليهم سخط الله آمنوا بالانبياء وكفروا بخاتمهم واشرفهم محمد صلى الله عليه وسلم والسامرة لا يؤمنون بنبى سوى يوشع خليفة موسى بن عمران والمجوس يقال انهم يؤمنون بنبى لهم اسمه زرادشت ثم كفروا بشرعه فرفع من بين اظهرهم والمقصود ان من كفر بنبى من الانبياء فقد كفر بسائر الانبياء فان الايمان واجب بكل نبى بعثه الله الى اهل الارض ومن رد نبوته للحسد وغيره بان ان ايمانه بمن آمن به ليس شرعيا انما هو عن غرض وعصبية ولهذا قال تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله فوسمهم بانهم كفار والسبيل الطريق والمسلك ثم اخبر عنهم فقال اولئك هم الكافرون حقا اى كفرهم محقق لا محالة بما ادعوا الايمان به لانه ليس شرعيا اذ لو كانوا مؤمنين لآمنوا بمن هو اوضح دليلا و

واصلحوا واعتصموا بالله
اخلصوا دينهم لله فاولئك مع
المؤمنين

يعنى ان تظهروا ايها الناس خيرا من اعمال البر كالصيام والصدقة والصلة والضيافة وغير ذلك او تخفوا الخير فلا تظهروه او تعفوا عن اساءة اليكم فذلك محبوب عند الله فان الله لم يزل ذا عفو بكثير العفو عن العصاة مع قدرته على الانتقام فتخلقوا انتم بخلقه واتصفوا بصفته

ولم يفرقوا بين احد منهم

واوتى حجة منه او نظر واحق النظر فى نبوته وقوله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا اى كما استهانوا بمن كفروا به اما لجهلهم بما جاءهم
من الله واعراضهم عنه واقبالهم على جمع حطام الدنيا واما بكفرهم به عند علمهم بنبوته عنادا كما فعله كثير من احبار اليهود فى
زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم حسدا وعداوة حتى قاتلوه فسلط الله عليهم الذل الابدى الدنيوى والاخروى وقوله والذين
آمنوا بالله ورسله يعنى بذلك امة محمد صلى الله عليه وسلم فهم مؤمنون بكل كتاب انزله الله وبكل نبى بعثه الله كما هو مبين فى آخر سورة
البقرة ثم اخبر تعالى بانه قد اعد الله لهم الجزاء الجزيل والثواب الجليل فقال اولئك سوف نؤتيهم اجورهم اى على ما آمنوا بالله و
رسله وكان الله غفورا لذنوبهم رحيما بهم فى الآخرة يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى
اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات
فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب
سجدا وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا ق السدى وغيره سأل اليهود رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء كما نزلت التورية على موسى مكتوبة او صحفا من الله مكتوبة الى فلان وفلان بتصديقه فيما جاءهم
به وهذا منهم على سبيل التعنت والعناد كما سأل كفار قريش قبلهم نظير ذلك على ما سيجىء فى سورة الاسراء ان شاء الله وقالوا لن نؤمن لك
حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآيات ولهذا قال تعالى فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة اى عيانا فاخذتهم الصاعقة
بظلمهم اى بطغيانهم وعنادهم كما سبق فى سورة البقرة حيث قال تعالى واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وقوله ثم
اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات اى بعد ما رأوا الآيات الباهرة والادلة القاهرة على يدى موسى فى بلاد مصر وما كان من
اهلاك الله عدوهم فرعون هو وجميع جنوده فى اليم فما جاوزوه الا يسيرا حتى اتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى
اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ثم ذكر تعالى قصة اتخاذهم العجل مبسوطة فى سورة الاعراف وفى سورة طه بعد
ذهاب موسى الى مناجاة الله عز وجل ثم لما رجع وكان ما كان جعل الله توبتهم من الذى صنعوه وابتدعوه ان يقتل من لم يعبد
العجل منهم من عبده فجعل بعضهم يقتل بعضا ثم احياهم الله تعالى قال فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا اى حجة بينة
من المعجزات وهى الآيات التسع ثم قال ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وذلك حين امتنعوا من الالتزام باحكام التورية وظهر
منهم اباء عما جاءهم به موسى عليه السلام رفع الله على رؤسهم جبلا ثم الزموا فالتزموا وسجدوا وجعلوا ينظرون الى فوق رؤسهم
خشية ان يسقط عليهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا اى خالفوا القول والفعل كما سبق فى موضعه وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت
اى وصيناهم بحفظ السبت والتزام ما حرم الله عليهم ما دام مشروعا لهم واخذنا منهم ميثاقا غليظا اى عهدا شديدا فخالفوا
وعصوا وتحيلوا على ارتكاب ما نهى الله عز وجل كما هو مبسوط فى سورة الاعراف فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله و
قتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وبكفرهم
وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه
ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا
بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيمة
يكون عليهم شهيدا هذه من الذنوب التى ارتكبوها مما اوجب لعنتهم وطردهم وابعادهم عن الهدى وهو نقضهم المواثيق
والعهود التى اخذت عليهم وكفرهم بآيات الله اى حججه وبراهينه والمعجزات التى شاهدوها على ايدى الانبياء عليهم السلام وقوله وقتلهم

اى فبنقضهم ميثاقهم وما مزيدة للتوكيد
والباء متعلقة بفعل محذوف كانه قيل
فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا
او منعا فبسببهم نقض المواثيق
والكفر بالله وقتل الانبياء و
قول الكذب ان قلوبنا غلف و
بهتان مريم والفخر بقتل عيسى
طبعنا على قلوبهم او عذبناهم و
لعناهم

الانبياء بغير حق وذلك لكثرة اجرامهم واجترائهم على انبياء الله فانهم قتلوا جما غفيرا منهم عليهم السلام وقولهم قلوبنا غلف
قال ابن عباس وآخرون اى فى غطاء وقيل معناه غلف للعلم اى اوعية للعلم قد حوته وحصلته هكذا عنه ايضا وقد سبق نظيره
فى سورة البقرة فعلى الاول كانهم يعتذرون اليه بان قلوبهم لا تعى ما يقول لانها فى غلف وفى اكنة وعلى الثانى عكس عليهم ما ادعوه بعضهم

بل طبع الله عليها بكفرهم

من كل وجه كما سبق فى سورة البقرة ولا يؤمنون الا قليلا اى تمردت قلوبهم على الكفر والطغيان وقلة الايمان وبكفرهم وقولهم
على مريم قال ابن عباس يعنى انهم رموها بالزنا وتابعه الاكثرون وقالوا انهم رموها وابنها بالعظائم فجعلوها زانية وقد حملت
بولدها من ذلك وهى حائض وقولهم انا قتلنا المسيح اى وبدعواهم الكاذبة وبهتانهم فى قولهم انا قتلنا المسيح هذا الذى يدعى
لنفسه هذا المنصب الشريف قتلناه قالوه تهكما واستهزاء وكان من خبر اليهود عليهم لعائن الله انهم لما بعث الله عيسى بن مريم بالبينات
والهدى حسدوه على ما آتاه الله من النبوة والمعجزات الباهرات وخالفوه وسعوا فى اذاه بكل ما امكنهم حتى جعل عيسى لا يساكنهم فى بلدة
بل يكثر السياحة هو وامه عليهما السلام ثم لم يقنعوا بذلك منه حتى سعوا الى ملك دمشق فى ذلك الزمان وكان رجلا مشركا من عبدة
الكواكب وكان يقال لاهل ملته اليونان وانهوا اليه ان ببيت المقدس رجلا يفتن الناس ويضلهم ويفسد على الملك رعاياه فغضب
من ذلك وكتب الى نائبه بها ان يأخذه ويصلبه ويكف اذاه عن الناس فلما قرأ الكتاب امتثل وذهب هو وطائفة من اليهود الى منزل عيسى وهو
فى جماعة من اصحابه اثنى عشر او ثلثة عشر او سبعة عشر نفرا وكان ذلك بعد العصر يوم الجمعة فحصروه هنالك فلما احس عيسى بهم وانه لا محالة
من دخولهم عليه او خروجه عليهم قال لاصحابه ايكم يلقى عليه شبهى وهو رفيقى فى الجنة فانتدب لذلك شاب منهم فكانه استصغره
عن ذلك فاعادها ثانية وثالثة وكل ذلك لا ينتدب الا ذلك الشاب فقال انت هو والقى الله عليه شبه عيسى حتى كانه هو وفتحت روزنة
من سقف البيت واخذت عيسى عليه السلام سنة من النوم فرفع الى السماء وهو كذلك كما قال تعالى اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك و
رافعك الى الآية فلما رفع خرج ذلك النفر فلما رأوا ذلك الشاب ظنوا انه عيسى فاخذوه فى الليل فصلبوه واظهر اليهود انهم سعوا فى
صلبه وتبجحوا بذلك وسلم لهم طوائف النصارى ذلك لجهلهم وقلة عقلهم ما عدا من كان فى البيت مع المسيح فانهم شاهدوا رفعه و
اما الباقون فانهم ظنوا كما ظن اليهود ان المصلوب هو المسيح بن مريم وهذا امتحان من الله عباده لما له فى ذلك من الحكمة البالغة وقد اوضح
الامر وجلاه وبينه فى القرآن العظيم الذى نزله على رسوله الكريم فقال وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم اى رأوا شبهه فظنوه
اياه ولهذا قال وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه اى من ادعى قتله من اليهود ومن سلمه لهم من جهال النصارى كلهم فى شك من ذلك
وحيرة وضلال ولهذا قال وما قتلوه يقينا اى وما قتلوه متيقنين انه هو بل شاكين متوهمين بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا اى منيع
الجناب لا يرام جنابه ولا يضام من لاذ ببابه حكيما اى فى جميع ما يقدره ويقضيه من الامور التى يخلقها وله الحكمة البالغة والسلطان
العظيم وقيل ان شبه عيسى القى على جميع اصحابه وهو اختيار ابن جرير وروى تلك القصة مبسوطة مع زوائد غرائب من الاسرائيليات وافقه
ابن ابى حاتم فى بعضها والله اعلم وقوله وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اختلفوا فى معناه فقال بعضهم اى الا ليؤمنن بعيسى
قبل موت عيسى وذلك بان جميعهم يصدقون به اذا نزل لقتل الدجال فتصير الملل كلها واحدة وهى ملة الاسلام الحنيفية وعليه ابن عباس
والمراد بهم اليهود خاصة وتابعه كثيرون وهذا هو الحق وقال آخرون اى قبل موت الكتابى فانه اذا عاين واحتضر علم الحق من الباطل
لان كل من نزل به الموت رفع الحجاب وتبين له الحق ودينه ق ابن عباس لا يموت يهودى حتى يؤمن بعيسى ولو ضربت عنقه لم يخرج
نفسه حتى يؤمن بعيسى وتابعه جماعة وقال آخرون الا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل موت الكتابى قال على رضى الله عنه فى تفسير
هذه الآية لا يموت النصرانى ولا اليهودى حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن جرير والقول الاول صحيح وهو كذلك لانه المقصود من الآية

في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه فاخبر الله تعالى انه لم يكن الامر كذلك وانما شبه لهم فقتلوا الشبيه وهم لا يتبينون ذلك ثم انه رفعه اليه وانه باق حي وانه سينزل قبل يوم القيمة كما دلت عليه الاحاديث المتواترة التي سنورد بعضها ان شاء الله فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية يعني لا يقبلها من احد من اهل الاديان الا الاسلام والسيف فاخبرت هذه الآية الكريمة انه يؤمن به جميع اهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا اي باعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه الى السماء وبعد نزوله الى الارض واما من فسر الآية بان كل كتابي لا يموت حتى يؤمن بعيسى او بمحمد عليهما الصلوة والسلام فهذا هو الواقع وذلك ان كل احد عند احتضاره ينجلي له ما كان جاهلا به فيؤمن به ولكن لا يكون ذلك ايمانا نافعا له واذا كان قد شاهد الملك كما في قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات الآية ومن الاحاديث الواردة في شانه عليه السلام ما في الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول ابو هريرة واقرؤا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا وزاد في رواية بعد قوله عدلا يقتل الدجال وفي مسلم عنه ايضا انه عليه الصلوة والسلام قال والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى عليها وليذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله احد وفيه ايضا عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عيسى بن مريم بفج الروحاء ليهلن بالحج او العمرة او ليثنيهما جميعا رواه احمد وفي الصحيحين عنه انه عليه الصلوة والسلام قال كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وفيهما ايضا انه عليه الصلوة والسلام قال انا اولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة الانبياء اخوة لعلات امهاتهم شتى ودينهم واحد وليس بيننا نبي وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالاعماق او بدابق فيخرج اليهم جيش من المدينة من خيار اهل الارض يومئذ فاذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون لا والله لا نخلي بينكم وبين اخواننا فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم ابدا ويقتل ثلثهم افضل الشهداء عند الله ويفتتح الثلث لا يفتنون ابدا فيفتتحون قسطنطينية فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون اذ صاح فيهم الشيطان ان المسيح قد خلفكم في اهليكم فيخرجون وذلك باطل فاذا جاؤا الشام خرج فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف اذ اقيمت الصلوة فينزل عيسى بن مريم فامهم فاذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لانذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته رواه مسلم وفي حديث النواس بن سمعان في صحيح مسلم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على اجنحة ملكين اذا طأطأ راسه قطر واذا رفعه تحدر منه مثل جمان اللؤلؤ ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه يعني الدجال حتى يدركه بباب لد فيقتله وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به لقيت موسى قال فنعته فاذا رجل قال حسبته قال مضطرب رجل الراس كانه من رجال شنوءة قال ولقيت عيسى فقال ربعة احمر كانما خرج من ديماس يعني الحمام ورايت ابرهيم وانا اشبه ولده به الحديث وفي البخاري عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت موسى وعيسى وابرهيم فاما عيسى فاحمر جعد عريض الصدر واما موسى فآدم جسيم سبط كانه من رجال الزط وفي مسند احمد عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الانبياء اخوة لعلات امهاتهم شتى ودينهم واحد واني اولى الناس بعيسى بن مريم لانه لم يكن بيني وبينه نبي وانه نازل فاذا رايتموه فاعرفوه رجل مربوع الى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصران كان راسه يقطر وان لم يصبه بلل فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس الى الاسلام ويهلك الله في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال ثم تقع الامنة

ان شاء الله قريبا م

القلاص جمع قلوص وهي الناقة الشابة يعني اي لا يهتم عليها يعني والله اعلم لسكن عيسى عليه السلام ابل الصدقة فلا يامر احدا ان ياخذها ولا يسعى في تحصيلها ٢

[illegible]

يعني اذا خفض عيسى عليه السلام راسه تقطر من شعره قطرات نورانية كاللآلي واذا رفع راسه نزلت تلك القطرات على جانب يمينه ويساره وعلى حيث يسترسل عليه الشعر ٢

المصر الحاجز بين الشيئين قال الشاعر
وجاعل الشمس مصرا لا خفاء به
بين النهار وبين الليل قد فصلا

[illegible]

على الارض حتى ترتع الاسود مع الابل والنمار مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم فيمكث اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون وكذا رواه ابو داود هذا وفي صحيح مسلم انه يمكث سبع سنين فيحتمل ان يكون المراد بلبثه في الارض اربعين سنة مجموع اقامته فيها قبل رفعه الى السماء وبعد نزوله فانه رفع وله ثلث وثلثون على الصحيح وذكر الحافظ ابو القسم بن عساكر في تاريخه انه يدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم في حجرته وهذا يوافق ما ذكره ابن الجوزي في كتاب الوفاء عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عيسى بن مريم الى الارض فيتزوج ويولد له فيمكث خمسا واربعين سنة ثم يموت فيدفن معي في قبري فاقوم انا وعيسى ابن مريم من قبر واحد بين ابي بكر وعمر وفي الترمذي عن عبد الله بن سلام قال مكتوب في التورية صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه قال ابو مودود وقد بقي في البيت موضع قبر وقوله ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا قال قتادة يشهد عليهم انه قد بلغهم الرسالة من الله واقر بالعبودية لله وهذا كقوله تعالى في سورة المائدة واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله الى قوله فانك انت العزيز الحكيم **فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما** اخبر تعالى انه بسبب ظلم اليهود بما ارتكبوه من الذنوب العظام حرم الله عليهم طيبات كان احلها لهم وهذا التحريم قد يكون تقديريا بان الله تعالى قيضهم لان يؤلوا في كتابهم وحرفوا وبدلوا اشياء كانت حلالا فحرموها على انفسهم تشديدا منهم عليها وتضييقا كما روى انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا تشددوا على انفسكم فيشدد الله عليكم فان قوما شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديار رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم رواه ابو داود ويحتمل ان يكون شرعيا يعني انه تعالى حرم عليهم في التورية اشياء كانت حلالا لهم قبل ذلك كما قال كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الآية كما سبق وقد حرم الله تعالى عليهم اشياء كثيرة في التورية كما في سورة الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية اي حرمنا عليهم ذلك بسبب تعنتهم ومخالفتهم رسلهم واختلافهم ولهذا قال فبظلم من الذين هادوا وهو ما سبق من نقضهم الميثاق وكفرهم بآيات الله وبغيهم عليهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وهي ما مر آنفا وبصدهم اي صدهم الناس وانفسهم عن اتباع الحق وهذه سجية لهم استمروا ابدا قديما وحديثا كانوا اعداء الرسل وقتلوا انما قتلوا وقوله واخذهم الربوا وقد نهوا عنه اي ان الله قد نهاهم عن الربوا فتناولوه واخذوه واحتالوا في تحليلها واكلوا اموال الناس بالباطل نحو الرشى في الحكم واعتدنا للكافرين اي هيأنا لهم عذابا اليما مؤلما ثم قال تعالى لكن الراسخون في العلم اي الثابتون فيه الذين لهم قدم راسخة في العلم النافع كما سبق في آل عمران والمؤمنون عطف على الراسخون وخبره يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك قال ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام وامثاله الذين دخلوا في الاسلام وصدقوا بما ارسل الله به محمدا صلى الله عليه وسلم وقوله والمقيمين الصلوة كذا في جميع المصاحف وذكر ابن جرير انها في مصحف ابن مسعود والمقيمون الصلوة والصحيح قراءة الجميع ثم رد على من زعم ان ذلك من غلط الكاتب فقال بعضهم هو منصوب على المدح كما في قوله والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء الآية قالوا وهذا شائع في كلام العرب وقيل هو مخفوض عطفا على قوله بما انزل اليك وما انزل من قبلك يعني وبالمقيمين الصلوة اي وباقامة الصلوة معترفين بوجوبها وكتابتها عليهم والمراد بهم الملائكة على قول وقوله والمؤتون الزكوة اي زكوة الاموال والنفوس والمؤمنون بالله اي يصدقون بانه لا اله الا الله ويؤمنون بالبعث بعد الموت والجزاء على الاعمال خيرها وشرها وقوله اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما

قلت قد ثبت ان من اشراط الساعة تقارب الزمان فعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كالضرمة بالنار رواه الترمذي فلعل ما ورد من كون مكث عيسى عليه السلام سبع سنين باعتبار ما يرجع اليه الاربعون وما ورد من كونه اربعين باعتبار ظاهره فيوافق الخبران ويؤيد هذا انه قد ورد في الخبر في شان مسيح الباطل اربعون سنة على ما في المنهاج ومسيح الباطل نحو مسيح الحق كما ورد في خبر الطواف فتنة من الله عز وجل عن اسماء بنت يزيد بن السكن قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال في الارض اربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة في النار رواه في شرح السنة السعفة غصن النخل ونوقعه مع حدث خمس واربعين سنة ان تكون قد ذكر العقود ولم يتعرض للنيف والله اعلم ٢

في الخبر ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ٢

[illegible]

يعني الجنة انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق و
يعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمن واتينا داود زبورا ورسلا قد قصصنا
عليك ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله
حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما قال ابن عباس قال سكين وعدي بن زيد يا محمد ما نعلم الله انزل على بشر من شيء بعد
موت موسى فانزل الله في ذلك انا اوحينا اليك الى آخر الآيات وقال محمد بن كعب انزل الله يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا الى قوله
بهتانا عظيما فلما تلاها عليهم واخبرهم باعمالهم الخبيثة جحدوا كل ما انزل الله وقالوا ما انزل الله على بشر من شيء ولا موسى ولا عيسى ولا على
نبي من شيء قال فحل حبوته وقال ولا على احد فانزل الله عز وجل فقال وما قدروا الله حق قدره الآية وفيه نظر لان هذه مكية وتلك
في سورة النساء مدنية بل هي رد عليهم لما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء كما سبق ثم ذكر فضائحهم ومعايبهم
وما كانوا عليه من الكذب والافتراء ثم ذكر تعالى انه اوحى الى عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم كما اوحى الى غيره من الانبياء المتقدمين
فقال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الآية والزبور اسم الكتاب الذي اوحاه الله الى داود وسنذكر ترجمة كل نبي من هؤلاء عليهم
السلام عند قصصهم في السورة الآتية ان شاء الله وقوله ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل اي من قبل هذه الآية وهم الذين نص الله
على اسمائهم في القرآن وهم آدم وادريس ونوح وهود وصالح وابرهيم ولوط واسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف وايوب
وشعيب وموسى وهرون ويونس وداود وسليمن والياس واليسع وزكريا ويحيى وعيسى وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين
وقوله لم نقصصهم عليك اي خلقا آخرين لم يذكروا في القرآن وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني خاتم الف نبي
او اكثر وما بعث من نبي يتبع الا وقد حذر امته منه اي من الدجال واني قد بين لي فيه ما لم يبين وانه اعور وان ربكم ليس باعور
وعينه اليمنى عوراء جاحظة لا تخفى كانها نخامة في حائط مجصص وعينه اليسرى كانها كوكب دري معه من كل لسان ومعه
صورة الجنة خضراء يجري فيها الماء وصورة النار سوداء تدخن رواه احمد وقوله وكلم الله موسى تكليما كان بعض المعتزلة من قرأ وكلم الله
موسى تكليما بتحريف الفاعل الى المفعول يعني ان موسى كلم الله على بعض المشايخ فقال له يا ابن اللخناء فكيف تصنع بقوله تعالى ولما جاء
موسى لميقاتنا وكلمه ربه يعني ان هذا لا يحتمل التحريف ولا التأويل وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على موسى
يوم كلمه جبة صوف وكساء صوف وسراويل صوف ونعلان من جلد حمار غير ذكي رواه ابن مردويه وعن ابن عباس قال ان الله ناجى
موسى بمائة الف كلمة واربعين الف كلمة في ثلاثة ايام وصايا كلها فلما سمع كلام الآدميين مقتهم مما وقع في مسامعه من كلام الرب
عز وجل وعن جابر بن عبد الله قال لما كلم الله موسى يوم الطور كلمه بغير الكلام الذي كلمه يوم ناداه فقال له موسى يا رب هذا كلامك
الذي كلمتني فقال لا يا موسى انا كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ولي قوة الالسنة كلها وانا اقوى من ذلك فلما رجع موسى الى بني اسرائيل قالوا
يا موسى صف لنا كلام الرحمن قال لا استطيعه قالوا فشبه لنا قال الم تروا الى صوت الصواعق فانها اقرب شبها منه وليس به وقوله رسلا
مبشرين اي يبشرون من اطاع الله واتبع رضوانه بالخيرات وينذرون من خالف امره وكذب رسله بالعقاب والعذاب وقوله
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل اي ان الله تعالى انزل كتبه وارسل رسله بالبشارة والنذارة وبين ما يحبه ويرضاه مما يكرهه ويأباه
لئلا يبقى لمعتذر عذر وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا احد اغير من الله من اجل ذلك حرم
الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه المدح من الله من اجل ذلك مدح نفسه ولا احد احب اليه العذر من الله
من اجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين ومن اجل ذلك ارسل رسله وانزل كتبه لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله

بعلمه والملئكة يشهدون وكفى بالله شهيدا ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ان الذين
كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا
يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فامنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وكان
الله عليما حكيما لما تضمن قوله تعالى انا اوحينا اليك الى آخر الآيات نبوته والرد على من انكرها قال تعالى لكن الله يشهد لك بانك رسوله
الذي انزل عليه الكتاب وهو القرآن العظيم وقوله انزله بعلمه اي فيه علمه الذي اراد ان يطلع العباد عليه من البينات والهدى وما يحبه
الله ويرضاه وما يكرهه ويأباه وما فيه من العلم بالغيوب ماضيا ومستقبلا وما فيه من ذكر صفاته تعالى المقدسة التي لا يعلمها نبي مرسل ولا
ملك مقرب الا ان يعلمه الله به وقوله والملئكة يشهدون اي بصدق ما جاءك واوحي اليك وانزل عليك مع شهادة الله تعالى بذلك وكفى
بالله شهيدا قال ابن عباس دخل جماعة من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني والله اعلم انكم لتعلمون اني رسول الله فقالوا
لا نعلم ذلك فانزل الله لكن الله يشهد الآية وقوله ان الذين كفروا اي في انفسهم فلم يتبعوا الحق ومنعوا من اتباعه والاقتداء به قد خرجوا
عن الحق وضلوا عنه وبعدوا منه بعدا عظيما شاسعا ثم اخبر تعالى عن حكمه في الكافرين بكتابه ورسوله والصادين عن سبيله و
ارتكاب محارمه بانه لا يغفر لهم ولا يهديهم طريقا اي سبيلا الى الخير الا طريق جهنم وهذا استثناء منقطع خالدين اي ماكثين فيها
مكثا ابديا ثم قال يا ايها الناس قد جاءكم الرسول اي جاءكم محمد عليه الصلوة والسلام بالهدى ودين الحق والبيان الشافي من الله
فامنوا بما جاءكم به واتبعوه يكن خيرا لكم ثم قال وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض اي هو غني عنكم وعن ايمانكم ولا يتضرر
بكفرانكم وكان الله عليما اي بمن يستحق منكم الهداية فيهديه ويستحق الغواية فيغويه حكيما اي في اقواله وافعاله وشرعه يا اهل الكتاب لا تغلوا
في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فامنوا
بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض
وكفى بالله وكيلا ينهى الله تعالى عن الغلو والاطراء كما فعلوه النصارى في شان عيسى عليه السلام حتى اتخذوه الها وغلوا في اتباعه و
اشياعه ممن زعم انه على دينه فقلدوهم في كل ما قالوه حقا او باطلا ولهذا قال اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وفي
البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم فانما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وقوله
ولا تقولوا على الله الا الحق اي لا تفتروا عليه ولا تجعلوا له صاحبة وولدا تعالى الله عن ذلك وتنزه وتقدس فلا اله الا هو ولا رب سواه
ولهذا قال انما المسيح عيسى بن مريم اي انما هو خلق من خلق الله وعبد من عباده قال له كن فكان ورسول من رسله وكلمته القاها الى مريم
اي خلقه بالكلمة التي ارسل بها جبريل الى مريم ونفخ فيها من روحه باذن ربه فكان عيسى باذن الله فصارت تلك النفخة التي نفخها في جيب
درعها فنزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الاب الام والجميع مخلوق لله عز وجل ولهذا قال انه كلمة الله وروح منه لانه لم يكن له اب
يولد منه فانما هو ناشئ من الكلمة التي قال لها بها كن فكان كما جاء في غيرها من الآيات البينات قال قتادة وكلمته القاها الى مريم
هو قوله كن فكان وقال هناد بن يحيى ليس الكلمة صارت عيسى ولكن بالكلمة صار عيسى وهذا احسن مما ادعاه ابن جرير في قوله القاها
الى مريم اي اعلمها بها بل الصحيح انها الكلمة التي جاء بها جبريل الى مريم فنفخ فيها باذن الله فكان عيسى وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه
والجنة حق والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان عليه من العمل وقوله وروح منه اي من خلقه ومن عنده كما في قوله تعالى وسخر لكم
ما في السموات وما في الارض جميعا منه وليست من للتبعيض كما تقوله النصارى عليهم اللعنة بل هي لابتداء الغاية وقال مجاهد وروح منه

اى رسول منه والاول اظهر وهو انه مخلوق من روح مخلوق فاضافه الروح الى الله على وجه التشريف كقوله ناقة الله وطهر بيتى للطائفين
وكما جاء فى حديث الشفاعة فادخل على ربى فى داره اضافها اليه تشريفا وقوله فامنوا بالله ورسله اى وصدقوا بان الله واحد احد
لا صاحبة له ولا ولد واعلموا ان عيسى عبد الله ورسوله ولهذا قال ولا تقولوا ثلثة انتهوا اى لا تجعلوا عيسى وامه مع الله شريكين
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا كما يجى نظيره فى سورة المائدة فالنصارى لعنهم الله لجهلهم ليس لهم ضابط ولا لكفرهم حد بل اقوالهم و
ضلالهم منتشر فمنهم من يعتقده الها ومنهم من يعتقده شريكا ومنهم من يعتقده ولدا وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة واقوال غير
مؤتلفة ولقد احسن بعض المتكلمين فيهم لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا على احد عشر قولا وقوله انتهوا خيرا لكم اى يكن خيرا لكم
انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد اى تعالى وتقدس عن ذلك له ما فى السموات اى الجميع ملكه وخلقه وجميع من فيهما عبيده وهم
تحت تدبيره وتصرفه وهو وكيل على كل شى فكيف يكون له منهم صاحبة او ولد لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا
الملئكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من
دون الله وليا ولا نصيرا اى لن يانف ولن يتعظم والاستنكاف التكبر مع الانفة وهذا معنى قول ابن عباس لن يستكبر وقال
قتادة لن يحتشم وقوله ولا الملئكة المقربون استدل من قال بتفضيل الملئكة على البشر بذلك وليس له فيه دلالة لانه انما عطف الملئكة على المسيح لان
الاستنكاف هو الامتناع والملئكة اقدر على ذلك من المسيح ولا يلزم من كونهم اقوى واقدر على الامتناع ان يكونوا افضل وقيل انما ذكروا لانهم
اتخذوهم الهة مع الله كما اتخذوا المسيح فاخبر تعالى انهم عبيد من عبيده وخلق من خلقه ولهذا قال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
فسيحشرهم اليه جميعا اى فيبعثهم ويجى بهم يوم القيمة ويفصل بينهم بحكمه الذى لا يجور فيه ولا يحيف ولهذا قال فاما الذين امنوا
وعملوا الصالحات فيوفيهم اى فيعطيهم من الثواب على قدر اعمالهم الصالحة ويزيدهم على ذلك من فضله واحسانه وسعة رحمته
وامتنانه وجاء فى الحديث اجورهم ادخالهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع اليه المعروف فى
الدنيا ومن وقف على رواية ابن مسعود اشهر واما الذين استنكفوا اى امتنعوا من طاعة الله وعبادته واستكبروا عن ذلك فيعذبهم
عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا
فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما اخبر الله تعالى مخاطبا
لجميع الناس بانه قد جاءهم منه برهان عظيم وهو الدليل القاطع للعذر والحجة المزيلة للشبهة ولهذا قال وانزلنا اليكم نورا مبينا اى
ضياء واضحا على الحق قال ابن جريج وغيره هو القرآن وقوله واعتصموا به اى جمعوا بين مقامى العبادة والتوكل على الله فى جميع امورهم وقال
ابن جريج امنوا بالله واعتصموا بالقرآن فسيدخلهم فى رحمة اى يرحمهم فيدخلهم الجنة ويزيدهم ثوابا ومضاعفة ورفعا فى درجاتهم
من فضله عليهم واحسانه اليهم ويهديهم اليه صراطا مستقيما اى طريقا واضحا لا اعوجاج فيه ولا انحراف وهذه صفة المؤمنين
فى الدارين فهم فى الدنيا على منهاج الاستقامة وطريق السلامة فى الاعتقادات والعمليات وفى الاخرة على الصراط المستقيم المفضى الى
روضات الجنات يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو
يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل
حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شى عليم فى البخارى عن البراء قال آخر سورة نزلت براءة وآخر آية نزلت
يستفتونك وفى الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مريض لا اعقل قال فتوضا ثم صب على او قال

بلغه خبر مبتدا محذوف اى الهتنا او
الالهة ثلثة الله وابنه وصاحبته

لن يانف ولن يذهب بنفسه ولن يتكبر
من ان يكون عبدا لله
فان عبوديته شرف يتعاظم به وانما الذلة
والاستنكاف فى عبودية غير الله روى
ان وفد نجران قالوا يا محمد انك تعيب
صاحبنا فتقول انه عبد الله فقال النبى
صلى الله عليه وسلم انه ليس بعار لعيسى ان يكون
عبد الله فنزل لن يستنكف المسيح عبدا لله

مسخرة مجبولة عليها والملئكة فى صومها كالمجبولين
على الطاعة لعدم الموانع عنها ليست لهم نفس آمرة
بالسوء ولا شهوة داعية الى الشرور ولا شيطان
يوسوس ويحمل على اتباع خطواته ولا دنيا تشغلهم
بها عن الطاعات والاعمال الاخروية فاذا اطاعوا
صارت طاعتهم بمنزلة العادة كتنفس المتنفس وطرف
الطارف وهل تستوى طاعة المجاهد المكابد مع هذه
الاعداء مع طاعة من يكون فى روح وراحة

صبوا عليه فعقلت فقلت انه لا يرثنى الا الكلالة فكيف الميراث فنزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة الاية
وقد تقدم الكلام على الكلالة وانها ماخوذ من الاكليل الذى يحيط بالراس من جوانبه ولهذا فسرها اكثر العلماء بمن يموت وليس له ولد ولا
والد ومنهم من قال الكلالة من لا ولد له بدليل هذه الاية وقد اشكل حكمها على امير المؤمنين عمر رضى الله عنه كما ثبت فى الصحيحين انه قال
ثلث وددت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا ننتهى اليه الجد والكلالة وابواب من ابواب الربا وفى
مسند احمد عنه ايضا انه قال ما سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شى اكثر مما سالته عن الكلالة حتى طعن باصبعه فى صدرى
وقال يكفيك آية الصيف التى فى آخر سورة النساء رواه مسلم مبسوطا وكان المراد باية الصيف انها نزلت فى فصل الصيف والله اعلم
ولما ارشده النبى صلى الله عليه وسلم الى تفهمها فانه نسى ان يساله عن معناها ولهذا قال فى رواية اخرى فلان اكون سالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عنها احب الى من ان يكون لى حمر النعم وقوله تعالى ان امرؤ هلك اى مات كما قال كل شى هالك الا وجهه وقوله ليس له
ولد المراد لا ولد له ولا والد كما قضى به الصديق رضى الله عنه وعليه الجمهور بدليل قوله وله اخت فلها نصف ما ترك ولو كان هناك
اخت لم ترث شيئا لانها محجوبة بالاب بالاجماع فدل على انه من لا ولد له ولا والد بالنص والتامل التام وقوله وهو يرثها ان لم يكن لها
ولد اى الاخ يرث جميع مالها اذا ماتت كلالة ليس لها ولد اى ولا والد لانه لو كان لها والد لم يرث الاخ شيئا فان فرض ان معه من
له فرض صرف فرضه اليه كزوج واخ من ام وصرف الباقى الى الاخ لما ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الحقوا الفرائض باهلها فما ابقت الفرائض فلاولى رجل ذكر وقوله فان كانتا اثنتين اى فان كان لمن مات كلالة اختان فرض
لهما الثلثان وكذا ما زاد عليهما فى حكمهما ومن ههنا اخذ الجماعة حكم البنتين كما استفيد حكم الاخوات من البنات وقوله فان كانوا
اخوة هذا حكم العصبات من البنين وبنى البنين والاخوة اذا اجتمع ذكورهم واناثهم اعطى للذكر مثل حظ الانثيين وقوله يبين
الله لكم اى يفرض الله لكم فرائضه ويحد لكم حدوده ويوضح لكم شرائعه وقوله ان تضلوا اى لئلا تضلوا عن الحق بعد البيان والله بكل شى
عليم اى هو عالم بعواقب الامور ومصالحها وما فيه الخير لعباده وما يستحقه كل واحد من القرابات بحسب قربه من المتوفى وقال ابن جرير
وقد روى عن عمر رضى الله عنه انه قال انى لاستحيى ان اخالف فيه ابا بكر وكان ابو بكر رضى الله عنه يقول هو ما عدا الولد والوالد
وهذا الذى قاله الصديق عليه جمهور الصحابة والتابعين والائمة فى قديم الزمان وحديثه وهو مذهب الائمة الاربعة والفقهاء السبعة
وبه قال علماء الامصار قاطبة وهو الذى يدل عليه القرآن كما ارشد الله الى انه قد بين ذلك ووضحه فى قوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا
والله بكل شى عليم **تفسير سورة المائدة وهى مدنية** عن اسماء بنت يزيد قالت انى لآخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ نزلت عليه سورة المائدة كلها وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة وفى رواية عبد الله بن عمرو قال انزلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم سورة المائدة وهو راكب على راحلته فلم تستطع ان تحمله فنزل عنها رواهما احمد وعن جبير بن نفير قال حججت فدخلت على عائشة فقالت
لى يا جبير تقرأ سورة المائدة فقلت نعم فقالت اما انها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم من حرام فحرموه رواه
الحاكم فى مستدركه وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا
اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد يا ايها
الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا امين البيت الحرام يبتغون فضلا
من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا
وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب

ليس المراد هنا الاخ للام لانه مستحق الميراث
بل المراد الاخ من الابوين او الاب فانه كان لها
ابن فلا شى للاخ وان كان لها ولد انثى فللاخ
ما فضل من فرض البنات

[illegible]

عبدالله بن مسعود فقال اعهد الي فقال اذا سمعت الله يقول يا ايها الذين آمنوا فارعها سمعك فانه خير يامر به او شر ينهى عنه وعن خيثمة قال كل شيء في القرآن يا ايها الذين آمنوا فهو في التورية يا ايها المساكين رواهما ابن ابي حاتم قوله تعالى اوفوا بالعقود قال ابن عباس و غير واحد هي العهود وحكى ابن جرير الاجماع على ذلك والعهود ما كانوا يتعاقدون عليه من الحلف وغيره يعني ما احل الله وما حرم و ما فرض وما حد في القرآن كله ولا تغدروا ولا تنكثوا قاله ابن عباس ثم شدد في ذلك وقال الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل الآية وقال الضحاك هي ما اخذ الله من الميثاق على من اقر بالايمان بالنبي والكتاب ان يوفوا بما اخذ عليهم من الفرائض والاحكام وقال زيد بن اسلم هي ستة عهد الله وعقد الحلف وعقد الشركة وعقد البيع وعقد النكاح وعقد اليمين واحكامها مبينة في كتب الفروع وقوله احلت لكم بهيمة الانعام هي الابل والبقر والغنم واطلاقها يدل على حلية جنينها اذا وجد ميتا في بطن امه اذا ذبحت كما ورد في سنن ابي داود والترمذي عن ابي سعيد قال قلنا يا رسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة او الشاة وفي بطنها الجنين انلقيه ام ناكله فقال كلوا ان شئتم فان ذكاته ذكاة امه وقوله الا ما يتلى عليكم في موضع النصب على الاستثناء من بهيمة الانعام متصلا تقديره احلت لكم بهيمة الانعام الا الميتة وما اهل لغير الله وغيره مما ذكر في الآية الثالثة من هذه السورة فان ذلك حرام لا يمكن استدراكه وتلاحقه الا ما يتلى عليكم من تحريم بعضها في بعض الاحوال وقوله غير محلي الصيد وانتم حرم قال بعضهم هذا منصوب على الحال من الضمير المجرور في عليكم او من ضمير الفاعل في اوفوا والمراد بالانعام ما يعم الانسي والوحشي واستثنى من الوحشي الصيد في حال الاحرام وقيل المراد احللنا لكم الانعام الا ما يستثنى منها لمن التزم تحريم الصيد وهو حرام اي كما احللنا الانعام في جميع الاحوال فحرموا الصيد في حال الاحرام فان الله قد حكم بهذا وهو الحكيم في جميع ما يامر به وينهى عنه ولهذا قال ان الله يحكم ما يريد وقوله لا تحلوا شعائر الله قال ابن عباس يعني مناسك الحج ومعالمه وقيل شعائر الله محارمه اي لا تحلوا المحارم التي حرمها الله تعالى ولهذا قال ولا الشهر الحرام يعني بذلك تحريمه والاعتراف بتعظيمه وترك ما نهى الله عن تعاطيه فيه من الابتداء بالقتال وتاكيد اجتناب المحارم كما في غيرها من الآيات البينات وحديث حجة الوداع وقال ابن عباس يعني لا تستحلوا قتالا فيه وبه قال طائفة والجمهور ان هذا منسوخ ويجوز ابتداء القتال في الاشهر الحرم واحتجوا بقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم وقالوا المراد تسيير الاربعة الاشهر فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فلم تستثن شهرا حراما من غيره وحكى ابن جرير الاجماع على ان الله قد احل قتال اهل الشرك لو قلد عنقه او ذراعيه لحا جميع اشجار الحرم لم يكن ذلك امانا له من القتل اذا لم يكن تقدم له عقد الذمة من المسلمين او امان وقوله ولا الهدي اي لا تتركوا الاهداء الى البيت فان فيه تعظيم شعائر الله ولا تتركوا تقليدها في اعناقها ليتميز عما عداها من الانعام وليعلم انها هدي الى الكعبة فيجتنبها من يريدها بسوء وتبعث من يراها على الاتيان بمثلها ولهذا لما حج رسول الله صلى الله عليه وسلم بات بذي الحليفة وهو وادي العقيق فلما اصبح طاف على نسائه وكن تسعا ثم اغتسل وتطيب وصلى ركعتين ثم اشعر هديه وقلده واهل بالحج وكان هديه ابلا كثيرة تنيف على الستين من احسن الاشكال والالوان قال ابن عباس نسخ من هذه السورة آيتان آية القلائد وقوله فان جاؤوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وقال ابن عون قلت للحسن نسخ من المائدة شيء قال لا وقوله ولا آمين البيت الحرام اي ولا تستحلوا قتال القاصدين الى بيت الله الحرام وكذا من قصده طالبا لفضل الله وراغبا في رضوانه فلا تصدوه ولا تمنعوه ولا تهيجوه قال غير واحد يبتغون فضلا من ربهم يعني بذلك التجارة وقوله ورضوانا اي يبتغون رضوان الله بحجهم وذكروا ان هذه نزلت في الحطم بن هند البكري كان قد اغار على سرح المدينة فلما كان من العام المقبل اعتمر الى البيت فاراد بعض الصحابة ان يعترضوا عليه في طريقه الى البيت فانزل الله ولا آمين البيت الحرام وهذا منسوخ بآية السيف وبقوله انما المشركون نجس الآية فاما من قصده بالالحاد

جمع العقد وهو العهد والموثق المؤكد شبه بعقد الحبل والوفاء بها اتمامها بفعل ما عقد عليه

البهيمة اسم لكل ذي اربع لا يميز وانما سميت بالبهيمة لانها ابهمت عن ان تميز وتفهم او لان النطق ابهم عليها ولذلك سميت عجماء واضافتها الى الانعام [illegible]

الشعائر جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج كالعرفات والمزدلفة ومنى ومرامي الجمار والطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحج ويعرف بها الحج من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر والمعنى لا تحلوا ترك مناسك الحج بل ائتوا بها جميعا

محيي السنة نزلت الآية في الحطم واسمه شريح بن ضبيعة البكري اتى المدينة وخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له الى ما تدعو الناس فقال الى شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة فقال حسن الا ان لي امراء لا اقطع امرا دونهم ولعلي اسلم وآتي بهم وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان ثم خرج من عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح المدينة فاستاقه وانطلق فاتبعوه فلم يدركوه فلما كان القابل خرج حاجا في حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلد الهدي فقال المسلمون للنبي صلى الله عليه وسلم هذا الحطم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه قد قلد الهدي فقالوا يا رسول الله هذا شيء كنا نفعله في الجاهلية فابى النبي صلى الله عليه وسلم

[illegible]

فيه والشرك عنده والكفر به فانه يمنع اتفاقا ولهذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تسع لما امر الصديق على الحجيج واردفه عليا رضي الله عنهما وامره ان ينادي نيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة وان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقوله واذا حللتم فاصطادوا اي اذا حللتم من احرامكم واحللتم منه فقد ابحنا لكم ما كان محرما عليكم في حال الاحرام من الصيد وقوله ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام قرا بعضهم ان بالفتح وهو ظاهر اي لا يحملنكم بغض قوم قد كانوا صدوكم عن الوصول الى المسجد الحرام يعني عام الحديبية على ان تعتدوا في حكم الله فيهم فتقتصوا منهم ظلما وعدوانا بل احكموا بما امركم الله من العدل في كل احد فانه اقرب للتقوى وهو واجب على كل احد في كل حال قال بعض السلف ما عاملت من عصى الله فيك بمثل ان تطيع الله فيه و الشنآن البغض وقوله وتعاونوا على البر والتقوى امر الله عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات وهو البر وترك المنكرات وهو التقوى ونهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم قال ابن جرير الاثم ترك ما امر الله بفعله والعدوان مجاوزة ما حد الله في دينكم ومجاوزة ما فرض عليكم في انفسكم وفي غيركم وفي الصحيحين عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما قيل يا رسول الله هذا نصرته مظلوما فكيف انصره ظالما قال تمنعه من الظلم فذاك نصرك اياه وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على اذاهم رواه احمد والترمذي وعن مجمع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم انه ظالم فقد خرج من الاسلام رواه الطبراني

حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم

اخبر الله عباده خبرا متضمنا للنهي عن تعاطي هذه المحرمات من الميتة وهي ما مات من الحيوان من غير ذكاة شرعية ولا اصطياد لما فيه من المضرة للدين والبدن ويستثنى منها السمك فانه حلال سواء مات بتذكية او غيرها لما رواه الائمة في سننهم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ماء البحر فقال هو الطهور ماؤه الحل ميتته وهكذا الجراد لما سياتي من الحديث وقوله والدم يعني الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا قاله ابن عباس وغير واحد وقد سئل ابن عباس عن الطحال فقال كلوه فقالوا انه دم فقال انما حرم عليكم الدم المسفوح رواه ابن ابي حاتم وكما قالت عائشة انما نهى عن الدم المسفوح وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احل لنا ميتتان ودمان فاما الميتتان الحوت والجراد واما الدمان فالكبد والطحال رواه الشافعي واحمد وابن ماجه والدارقطني وما احسن ما قال الاعشى: واياك والميتات لا تقربنها ولا تاخذن عظما حديدا مفصدا اي لا تفعل كما تفعله الجاهلية وذلك ان احدهم كان اذا جاع اخذ شيئا محددا من عظم ونحوه فيفصد به بعيره او حيوانا من اي صنف كان فيجمع ما يخرج منه من الدم فيشربه ولهذا حرم الدم على هذه الامة ثم قال: وذا النصب المنصوب لا تاتينه ولا تعبد الاصنام والله فاعبدا وقوله ولحم الخنزير يعني انسيه ووحشيه وكذا شحمه فانه داخل في اجزائه فانه رجس لشمول اللحم جميع الاجزاء من الشحم وغيره وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام فقيل يا رسول الله ارايت شحوم الميتة فانها تطلى بها السفن وتدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام وقوله وما اهل لغير الله به اي ما ذبح فذكر عليه اسم غير الله فهو حرام لان الله امر ان يذبح مخلوقاته على اسمه العظيم فمن عدل عن ذلك وذكر على ذبحها اسم غيره فانها حرام بالاجماع وانما اختلف في تركه عمدا او نسيانا كما سياتي في سورة الانعام وقوله والمنخنقة وهي التي تموت بالخنق اما قصدا او اما اتفاقا بان تتخبل في وثاقها فتموت

اي ان تنتقموا منهم بالحاق مكروه بهم من قتل والجراح واخذ الاموال والمنع عن المسجد الحرام

قال صاحب الكشاف تعاونوا على العفو والاغضاء ولا تعاونوا على الاثم والعدوان على الانتقام والتشفي ويجوز ان يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار انتهى كلامه عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاثم والبر فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في نفسك وكرهت ان يطلع عليه الناس حسن الخلق هنا العفو عن الذنوب ومداراة الناس وتحمل اذاهم والاثم ما حاك اي اثر في قلبك بان اقلقه ولم يطمئن له وهذا باعتبار المؤمن المعتقد الملهم بالحق فلعله صلى الله عليه وسلم علم ذلك منه ويروى ما حك في نفسك قال ابو عبيد حك في نفسي الشيء اذا لم يكن منشرح الصدر به وكان في قلبك منه شيء قال الزمخشري الاثم ما حك في صدرك معناه اثر في قلبك واوهمك انه ذنب وخطيئة

[illegible]

به فهي حرام وأما الموقوذة فهي التي تضرب بشيء يقتل غير محدد حتى تموت وكان اهل الجاهلية يضربونها بالعصي حتى اذا ماتت اكلوها وفي الصحيح ان عدي بن ابي حاتم قال قلت يا رسول الله اني ارمي بالمعراض الصيد فاصيب فقال اذا رميت بالمعراض فكله وان اصابه بعرضه فلا تاكله فانما هو وقيذ فلا تاكله ففرق بين ما اصابه بحده فاحله وما اصابه بعرضه فجعله وقيذا فلم يحله وهذا امر مجمع عليه واختلفوا فيما اذا صدم الجارحة الصيد فقتله بثقله من غير ان يجرحه على قولين والراجح انه حلال لعموم الحكم باباحة ما صاده الكلب ومسائل احكام الصيد مبسوطة مقررة في كتب الفقه وقوله والمتردية هي التي تقع من جبل او تتردى في بئر واما النطيحة فهي التي ماتت بسبب نطح غيرها لها فهي حرام وان جرحها القرن وخرج منها الدم ولو من مذبحها وهي فعيلة بمعنى مفعولة اي منطوحة واكثر ما ترد هذه البنية بدون تاء التانيث كما يقال كف خضيب وعين كحيل واما اتيانها بتاء التانيث فلاجرائها مجرى الاسماء كما في قولهم طريقة وطويلة وقوله وما اكل السبع اي ما عدا عليها انواع من السباع العادية كالاسد والكلب اذا اكل منها فماتت به فهي حرام وان سال منها الدم ولو من مذبحها فلا يحل بالاجماع وقد كان اهل الجاهلية ياكلون ما افضل السبع من النعم ونحوه فحرم الله ذلك في الاسلام وقوله الا ما ذكيتم عائد الى ما يمكن عوده عليه يعني الا ما ادركتم ذكوته من هذه الاشياء السابقة واصل التذكية الاتمام والمراد ههنا اتمام فري الاوداج وانهار الدم قال ابن عباس اي الا ما ذبحتم من هؤلاء وفيه روح فكلوه فهو ذكي وقال علي رضي الله عنه ان مصعت بذنبها او ركضت برجلها او طرفت بعينها فكل والمراد تحقق بقاء الحيوة المستقرة فيها وعليه الجمهور وفي الصحيحين عن رافع بن خديج انه قال قلت يا رسول الله انا لاقوا العدو غدا وليس معنا مدى افنذبح بالقصب فقال ما انهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه ليس السن والظفر وساحدثكم عن ذلك اما السن فعظم واما الظفر فمدى الحبشة واما حديث ابي العشراء عن ابيه انه قال يا رسول الله اما تكون الذكوة الا في الحلق واللبة فقال لو طعنت في فخذها لاجزأ عنك فهو صحيح لكنه محمول على ما لم يقدر على ذبحه في الحلق واللبة كما قال ابو داود هذا ذكوة المتردي والترمذي هذا في الضرورة وقوله وما ذبح على النصب قال مجاهد وابن جريج وغيرهما كانت النصب حجارة حول الكعبة ثلثمائة وستين كانت العرب في جاهليتها يذبحون عندها وينضحون ما اقبل منها الى البيت بدماء تلك الذبائح ويشرحون اللحم ويضعونه على النصب فنهى الله المؤمنين عن ذلك وحرم الله عليهم اكلها ولو ذكر اسم الله عليها لما في الذبح عندها من الشرك وقوله وان تستقسموا بالازلام اي وحرم عليكم الاستقسام بالازلام واحدها زلم وقد يفتح الزاء وكانت العرب في جاهليتها يتعاطون ذلك وهي عبارة عن قداح ثلثة على احدها مكتوب افعل وعلى الاخر لا تفعل والثالث غفل ليس عليه شيء فاذا اجالها فطلع اليهم الامر فعله او الناهي تركه وان طلع الفارغ اعاد الاستقسام والاستقسام فهو ماخوذ من طلب القسم من هذه الازلام قاله ابن جرير وابن ابي حاتم وقال ابن اسحق وغيره ان اعظم اصنام قريش صنم يقال له هبل وكان داخل الكعبة منصوب على بير فيها يوضع الهدايا واموال الكعبة وكان عنده سبعة ازلام مكتوب فيها ما يتحاكمون فيه مما اشكل عليهم فما خرج لهم منها رجعوا اليه ولم يعدلوا عنه وثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل الكعبة وجد ابرهيم واسمعيل مصورين فيها وفي ايديهما الازلام فقال قاتلهم الله لقد علموا انهما لم يستقسما بها ابدا وفي الصحيح ان سراقة بن مالك بن جعشم لما خرج في طلب النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وهما ذاهبان الى المدينة مهاجرين قال فاستقسمت بالازلام هل اضرهم ام لا فخرج الذي اكره لا يضرهم قال فعصيت الازلام واتبعتهم ثم انه استقسم بها ثانية وثالثة كل ذلك يخرج الذي يكره لا يضرهم وكان كذلك وكان سراقة لم يسلم اذ ذاك ثم اسلم بعد ذلك وكانوا يستعملونها في الاستخارة تارة وفي القمار اخرى كما قال مجاهد هي سهام العرب وكعاب فارس والروم كانوا يتقامرون بها وقوله ذلكم فسق اي تعاطيه ضلال وجهالة وشرك وقد امر الله المؤمنين في مقابلتها اذا ترددوا في امورهم

اكل السبع اي ما
افترسه فاكل
السبع وكانوا ياكلونه
والسبع اسم يقع على ما له ناب
يعدو على الانسان ويفترس
الحيوان كالاسد وما دونه

الاستقسام طلب القسم من الازلام اي
وحرم عليكم ان تطلبوا معرفة ما قسم لكم
في الغيب من الخير والشر الذي لا يعلمه
الا الله والازلام هي الاقداح التي
لا ريش لها ولا نصل

وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب الذي
استاثر به علام الغيوب كما قال سبحانه قل لا يعلم من في السموات والارض
الغيب الا الله وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء
على الله ان اريد بالرب في قولهم امرني ربي ونهاني ربي وجه الله تعالى
وما يدريه انه امره او نهاه وجهالة وشرك ان اريد به الصنم

[illegible] من الحق الى الباطل
ومن الهدى الى الضلال ومن
الطاعة الى المعصية

ان يستخيروا

ان يستخيروا اما بالصلوة والدعاء كما هو المشروع في السنن وقوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم قال ابن عباس يعني يئسوا ان تراجعوا دينهم وعليه الاكثر وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قد يئس ان يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم ويحتمل ان يكون المراد انهم يئسوا من مشابهة المسلمين بما تميزوا به من هذه الصفات المخالفة للشرك واهله ولهذا قال تعالى آمرا عباده المؤمنين ان يصبروا ويثبتوا في مخالفة الكفار ولا يخافوا احدا الا الله فقال فلا تخشوهم واخشون اي لا تخافوا منهم في مخالفتكم اياهم واخشوني انصركم عليهم واشف صدوركم منهم واجعلكم فوقهم في الدنيا والاخرة وقوله اليوم اكملت لكم دينكم هذه الاية اكبر نعم الله على هذه الامة حيث اكمل لهم دينهم فلا يحتاجون الى دين غيره ولا الى نبي غير نبيهم ولهذا جعله خاتم النبيين وسيد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين فلا حلال الا ما احله ولا حرام الا ما حرمه ولا دين الا ما شرعه فلما اكمل الدين لهم تمت النعمة عليهم ولهذا قال واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا اي فارضوه انتم لانفسكم فانه الدين الذي ارتضاه الله واحبه وبعث به افضل رسله وانزل فيه اشرف كتبه قال ابن عباس هو الاسلام اخبر الله نبيه والمؤمنين انه قد اكمل لهم الايمان فلا يحتاجون الى زيادة ابدا وقد اتمه الله فلا ينقصه ابدا وقد رضيه الله فلا يسخطه ابدا وقال السدي نزلت هذه الاية يوم عرفة ولم ينزل بعدها حلال ولا حرام ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوفي بعدها باحد وثمانين يوما وروي انه لما نزلت اليوم اكملت لكم دينكم وذلك يوم الحج الاكبر بكى عمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يبكيك قال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاما اذ كمل فانه لم يكمل شيء الا نقص فقال صدقت رواه ابن جرير وفي الصحيحين ان يهوديا قال لعمر بن الخطاب يا امير المؤمنين انكم تقرؤن اية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال واي اية هي قال قوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي قال عمر والله اني لاعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم والساعة التي نزلت فيها عشية عرفة في يوم جمعة ورواه احمد بهذا اللفظ وقال ابن عباس انها نزلت في يوم عيدين اثنين يوم عيد ويوم جمعة وهذا هو الصحيح الذي عليه الجمهور كما سبق وقوله فمن اضطر في مخمصة اي فمن احتاج الى تناول شيء من هذه المحرمات لضرورة الجاءته اليه فله تناول ذلك والله غفور رحيم له لانه تعالى يعلم حاجة عبده المضطر وافتقاره الى ذلك فيتجاوز عنه ويغفر له والمخمصة خلو البطن من الغذاء والتجانف الميل اي غير مائل الى اثم ولا متعاط لمعصية الله فان الله قد اباح له ذلك وهو ان ياكل فوق الشبع وفي صحيح ابن حبان عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب ان تؤتى رخصه كما يكره ان تؤتى معصيته وفي لفظ لاحمد من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الاثم مثل جبال عرفة ولهذا قالوا قد يكون تناول الميتة واجبا في بعض الاحيان وهو ما اذا خاف على مهجته التلف ولم يجد غيرها وقد يكون مندوبا وقد يكون مباحا بحسب الاحوال ثم اختلفوا هل يتناول منها قدر ما يسد به الرمق او له ان يشبع او يتزود ايضا على اقوال كما هو مقرر في الفقه وفيما اذا وجد ميتة وطعام الغير او صيدا وهو محرم هل يتناول الميتة او ذلك الصيد ويلزمه الجزاء او ذلك الطعام ويضمن بدله على قولين للشافعي وليس من شرط جواز تناول الميتة مضي ايام بل متى اضطر الى ذلك جاز له كما روى ابو واقد الليثي انهم قالوا يا رسول الله انا بارض تصيبنا بها مخمصة فما يحل لنا بها الميتة فقال اذا لم تصطبحوا ولم تغتبقوا ولم تحتفئوا بقلا فشانكم بها رواه احمد اي اذا لم تجدوا غداء ولا عشاء ولا بقلا تحتفئونه وتحتفئوا اما بالهمز والمعنف ههنا وفيه وجوه اخرى وعن الفجيع العامري انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يحل لنا من الميتة قال ما طعامكم قلنا نغتبق ونصطبح اي قدح غدوة وقدح عشية قال ذلك وابي الجوع واحل لهم الميتة على هذا الحال رواه ابو داود يعني ذلك الجوع المبيح لاكلها واي الجوع هو تعجبا واعظاما له ويمكن ان يكون واو القسم وابي الباء الموحدة بياء المتكلم اي بابي وقيما ان ذلك هو الجوع على ما هو في المصابيح والله اعلم

بان صاحب الكشاف يئس الذين كفروا من دينكم
ان يبطلوه وان يرجعوا محللين لهذه
الخبائث بعد ما حرمت عليكم
فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم
يظهروا عليكم اي ان خالفتموهم ان يغلبوا عليكم
ويردوكم عن دينكم اي انهم بعد اظهار الدين
كونهم مغلوبين بعد ما كانوا غالبين

يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لما حرم الله الميتة فماذا يحل لنا منها فنزلت يسألونك ماذا أحل لهم قال سعيد بن جبير يعني الذبائح الحلال طيبة لهم وقيل الطيبات ما أحل لهم من كل شيء أن يصيبوه وهو الحلال من الرزق وقوله وما علمتم من الجوارح مكلبين أي وأحل لكم ما اصطدتموه بالجوارح وهي الكلاب المعلمة والبازي وكل طير يعلم الصيد والصقور والفهود وأشباهها وعن عدي بن حاتم قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيد البازي فقال ما أمسك عليك فكل رواه ابن جرير والجوارح الكواسب من الجرح وهو الكسب يقال فلان لا جارح له أي لا كاسب له وقيل سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر بقتل الكلاب قالوا يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها فنزلت هذه الآية فأذن في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن إمساك ما لا نفع فيه منها وقوله مكلبين يحتمل أن يكون حالا من الضمير في علمتم فيكون حالا من الفاعل وأن يكون من المفعول وهو الجوارح أي وما علمتم من الجوارح في حال كونهن مكلبات للصيد وذلك بأن يقتنصه بمخالبها أو أظفارها ويستدل بهذا على أن الجارحة إذا قتل الصيد بصدمته لا بمخالبه وظفره لا يحل وهو أحد قولي الشافعي ولهذا قال تعلمونهن أي تؤدبونهن آداب أخذ الصيد وهو أنه إذا أرسله استرسل وإذا دعاه رجع وإذا أخذ الصيد استمسكه على صاحبه حتى يجيء إليه لا يمسكه لنفسه ولهذا قال فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه فمتى كان الجارحة معلما وأمسك على صاحبه وكان قد ذكر اسم الله عند إرساله حل الصيد وإن قتله بالإجماع وقد ثبت في الصحيحين عن عدي بن حاتم قال قلت يا رسول الله إني أرسل الكلاب المعلمة قال كل ما أمسكن عليك قلت وإن قتلن قال وإن قتلن قلت إني أرمي بالمعراض قال كل ما خزق وما أصاب بعرضه فقتل فإنه وقيذ فلا تأكل وفي رواية إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله فإن أمسك عليك فأدركته حيا فاذبحه وإن أدركته قد قتل ولم يأكل منه فكله وإن أكل فلا تأكل فإنما أمسك على نفسه فإن وجدت مع كلبك كلبا غيره وقد قتل فلا تأكل فإنك لا تدري أيهما قتله وإذا رميت بسهمك فاذكر اسم الله فإن غاب عنك يوما فلم تجد فيه إلا أثر سهمك فكل إن شئت وإن وجدته غريقا في الماء فلا تأكل وهذا دليل الجمهور وهو الصحيح من مذهب الشافعي أنه إذا أكل الكلب من الصيد يحرم إن مات قبل التذكية لقوله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه أي عند الإرسال وبهذا شرط بعضهم كأحمد في المشهور عنه التسمية عند إرسال الكلب وكذا مع الرمي بالسهم وقال بعضهم المراد بهذا التسمية عند الأكل كما ثبت في البخاري عن عائشة أنهم قالوا إن قوما يأتوننا حديث عهدهم بكفر بلحمان لا ندري أذكروا اسم الله عليها أم لا فقال سموا الله أنتم وكلوه وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علم ربيبه عمر بن أبي سلمة فقال سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء وإذا دخل فلم يذكر اسم الله عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت وإذا لم يذكر اسم الله عند طعامه قال الشيطان أدركتم المبيت والعشاء رواه مسلم وأكثر أهل السنن وعن وحشي أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنا نأكل ولا نشبع قال فلعلكم تأكلون متفرقين اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه رواه أبو داود وابن ماجه اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين لما ذكر الله ما حرم على عباده من الخبائث وما أحل لهم من الطيبات قال بعده اليوم أحل لكم الطيبات ثم ذكر حكم ذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارى وقال وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم قال ابن عباس والجمهور أي ذبائحهم

وهذا مجمع عليه أن ذبائحهم حلال للمسلمين لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله ولا يذكرون على ذبائحهم إلا اسم الله وإن اعتقدوا في الله ما هو منزه عنه تعالى وتقدس وقد ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن مغفل قال أصبت جرابا من شحم يوم خيبر فالتزمته فقلت لا أعطي اليوم أحدا من هذا شيئا فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم إلي واستدل به على جواز تناول ما يحتاج إليه من الأطعمة ونحوها من الغنيمة قبل القسمة وهذا ظاهر وفي الصحيح أن أهل خيبر أهدوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مصلية وقد سموا ذراعها وكان يعجبه الذراع فتناوله فنهس منه نهسة فأخبره الذراع أنه مسموم فلفظه وأثر ذلك السم في ثنايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أبهره وأكل معه بشر بن البراء بن معرور فمات فقتلت اليهودية التي سمتها وكان اسمها زينب وقوله وطعامكم حل لهم أي ويحل لكم أن تطعموهم من ذبائحكم وليس هذا إخبارا عن الحكم عندهم اللهم إلا أن يكون خبرا عما أمروا به من الأكل من كل طعام ذكر اسم الله عليه سواء كان من أهل ملتهم أو غيرها والمراد أن لكم أن تطعموهم من ذبائحكم كما أكلتم من ذبائحهم وهذا من باب المكافأة والمجازاة كما ألبس النبي صلى الله عليه وسلم ثوبه لعبد الله بن أبي بن سلول حين مات ودفنه فيه قالوا لأنه قد كسى العباس حين قدم المدينة ثوبه فجازاه النبي صلى الله عليه وسلم ذاك بذلك وأما حديث لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي فمحمول على الندب والاستحباب وقوله والمحصنات من المؤمنات أي وأحل لكم نكاح الحرائر العفائف من النساء المؤمنات وهذا توطئة لما بعده وهو قوله والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم فقيل أراد بالمحصنات الحرائر دون الإماء ويحتمل أن يراد بالحرة العفيفة قاله مجاهد وعليه الجمهور وهو الأشبه لئلا يجتمع فيها أن تكون ذمية وهي غير عفيفة فيفسد حالها بالكلية والظاهر من الآية أن المراد بها العفيفات عن الزنا كما في الآية الأخرى محصنات غير مسافحات ثم اختلفوا في المحصنات الثانية هل تعم كل كتابية عفيفة سواء كانت حرة أو أمة أم لا وقيل المراد بها ههنا الإسرائيليات وهو مذهب الشافعي وقيل المراد الذميات دون الحربيات وقد تزوج جماعة من الصحابة من نساء النصارى ولم يروا بذلك بأسا أخذا بهذه الآية وجعلوا هذه مخصصة للآية التي في البقرة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن إن قيل بدخول الكتابيات في عمومها وإلا فلا معارضة بينهما لأن أهل الكتاب قد يفصل ذكرهم عن المشركين في غير موضع من القرآن وقوله إذا آتيتموهن أجورهن أي مهورهن أي كما هن محصنات عفائف فابذلوا لهن المهور عن طيب نفس وقوله محصنين غير مسافحين فكما شرط الإحصان في النساء وهي العفة عن الزنا كذلك شرطها في الرجال وهو أن يكون الرجل أيضا محصنا عفيفا ولهذا قال غير مسافحين وهم الزناة الذين لا يرتدعون عن معصية ولا يردون أنفسهم عمن جاءهم ولا متخذي أخدان أي ذوي العشيقات اللاتي لا يفعلون إلا معهن كما سبق في سورة النساء ولهذا ذهب أحمد بن حنبل إلى أنه لا يصح نكاح المرأة البغي حتى تتوب وما دامت كذلك لا يصح تزويجها من رجل عفيف وكذا لا يصح عنده عقد الرجل الفاجر على عفيفة حتى يتوب ويقلع عما هو فيه من الزنا وقوله ومن يكفر بالإيمان أي بالله الذي لا يجب الإيمان إلا به وقيل أي بكلمة التوحيد وبما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن فقد حبط أي بطل وضاع عمله وهو في الآخرة من الخاسرين في ثواب الأعمال يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون قالوا يعني إذا قمتم إلى الصلوة وأنتم محدثون وهذه الآية آمرة بالوضوء عند القيام إلى الصلوة ولكن في حق المحدث

على سبيل الايجاب وفي حق المتطهر على سبيل الندب والاستحباب وقد قيل ان الامر بالوضوء لكل صلوة كان واجبا في ابتداء الاسلام
ثم نسخ عن بريدة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل صلوة فلما كان يوم الفتح توضأ ومسح على خفيه وصلى الصلوات بوضوء
واحد فقال له عمر يا رسول الله انك فعلت شيئا لم تكن تفعله قال اني عمدا فعلته يا عمر رواه احمد ومسلم واهل السنن وروى
عن عبد الله بن حنظلة بن الغسيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان امر بالوضوء لكل صلوة طاهرا كان او غير طاهر فلما شق ذلك
عليه امر بالسواك عند كل صلوة ووضع عنه الوضوء الا من حدث رواه احمد وابو داود وفي الحديث استحباب ذلك كما هو مذهب
الجمهور وكان الخلفاء الراشدون يتوضؤن لكل صلوة وتوضأ عمر وضوءا خفيفا فيه تجوّز فقال هذا وضوء من لم يحدث
وهكذا نقل عن علي رضي الله عنهما وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ على طهر كتبت له عشر حسنات رواه
ابو داود والترمذي وقال قوم ان هذه الآية نزلت اعلاما من الله ان الوضوء لا يجب الا عند القيام الى الصلوة دون غيرها
من الاعمال وذلك انه عليه الصلوة والسلام كان اذا احدث امتنع من الاعمال كلها حتى توضأ كما قال علقمة كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا اراد البول احيانا واذا سلم عليه لا يرد حتى نزلت آية الرخصة يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا الآية
وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من الخلاء فقدم اليه الطعام فقالوا الا نأتيك بوضوء فقال انما امرت
بالوضوء اذا قمت الى الصلوة رواه ابو داود والترمذي وقوله فاغسلوا وجوهكم استدلوا به على وجوب النية في الوضوء لان
تقدير الكلام اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم لها كما تقول العرب اذا رأيت الامير فقم اي له وفي الصحيحين حديث الاعمال
بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى ويستحب قبله التسمية على الوضوء لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا وضوء لمن لم يذكر
اسم الله عليه رواه احمد وابو داود والترمذي ويستحب غسل الكف قبل ادخاله الظرف لا سيما عند القيام من النوم لما ثبت في
الصحيحين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا استيقظ احدكم من نومه فلا يدخل يده في الاناء قبل ان تغسلها
ثلاثا فان احدكم لا يدري اين باتت يده وحد الوجه ما بين منابت شعر الراس الى منتهى اللحيين والذقن طولا ومن الاذن
الى الاذن عرضا ويجب غسل ظاهر اللحية النازلة لا غسل موضع التحذيف ولا موضع الصلع ولا غسل النزعتين وهما البياضان
المكتنفان للناصية ويجب ايصال الماء الى ما تحت الحاجبين واهداب العينين والشارب والعذار والعنفقة وان كانت
كثيفة ويستحب تخليل اللحية الكثة لما روى انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا توضأ اخذ كفا من ماء فادخله
تحت حنكه فخلل به لحيته وقال هكذا امرني ربي رواه ابو داود واما العارض واللحية فان كانت كثيفة لا ترى البشرة من تحتها
لا يجب غسل باطنها في الوضوء بل يجب غسل ظاهرها واما المضمضة والاستنشاق فهما سنتان كما هو مبين في كتب الفقه وقوله
وايديكم الى المرافق اي مع المرافق كما قال تعالى ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم الآية وعن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
توضأ ادار الماء على مرفقه رواه الدارقطني والبيهقي ويستحب ادخال العضد في الغسل لما في الصحيحين عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امتي يدعون يوم القيمة غرا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل
وعنه ايضا قال سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء رواه مسلم وقوله وامسحوا برؤسكم
اختلفوا في الباء هل هي ههنا للالصاق وهو الاظهر او للتبعيض على قولين وبيانه في السنة كما في الصحيحين انه قيل لعبد الله بن
زيد بن عاصم توضأ لنا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا باناء فاكفأ منه على يديه فغسلهما ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها
فمضمض واستنشق من كف واحدة ففعل ذلك ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل

وانما امرهم بذلك لانه [illegible] في نومه الى محل
النجس البول لانهم كانوا يستنجون بالاحجار [illegible]
[illegible] في كل وقت والحجر لا يزيل الاثر وربما اصاب اليد
منه شيء [illegible]
[illegible] دون البركة [illegible]
[illegible] بالغسل لذلك

الراس [illegible]

قال الشعبي ومحمد بن جرير لا يجب غسل
المرفقين والكعبين لان حرف الى
للغاية والحد لا يدخل في المحدود
واجيب عنه بان الشيء اذا حدّ
الى جنسه يدخل فيه الغاية فيدخل
المرفق في حد اليد لانه من جنسها
واذا حد الى غير جنسه لا يدخل فيه
الغاية كقوله تعالى ثم اتموا الصيام
الى الليل لم يدخل الليل فيه لانه ليس
من جنس النهار

او ظ

يديه الى المرفقين مرتين مرتين ثم ادخل يده فاستخرجها فمسح راسه فاقبل بيديه وادبر ثم غسل رجليه الى الكعبين وقال هكذا
كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية فاقبل بهما وادبر بدأ بمقدم راسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما حتى رجع الى المكان
الذي بدأ منه ثم غسل رجليه واختلفوا في كمية المسح فذهب مالك واحمد الى وجوب تكميل مسح جميع الراس لظاهر الحديث والحنفية الى
وجوب مسح ربع الراس وهو مقدار الناصية وذهب اصحابنا الى انه انما يجب ما يطلق عليه اسم المسح ولا يتقدر ذلك بحد بل لو مسح بعض شعرة
من راسه اجزأه واحتج الفريقان بحديث المغيرة بن شعبة انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح بناصيته وعلى العمامة وعلى الخفين
رواه مسلم فقال اصحاب احمد انما اقتصر على مسح الناصية لانه كمل مسح بقية الراس على العمامة والمستحب من مذهب الشافعي ان يمسح على الراس
ثلثا وعند احمد مرة وتعليل الشافعي حديث عثمن بن عفان رضي الله عنه انه توضأ بالمقاعد فقال الا اريكم وضوء رسول الله صلى الله عليه
وسلم توضأ ثلثا ثلثا رواه مسلم وقوله وارجلكم قرئ وارجلكم بالنصب عطفا على فاغسلوا وجوهكم وايديكم وعن ابن عباس انه قرأ
وارجلكم ويقول رجعت الى الغسل وعن ابن مسعود وجمهور التابعين نحو ذلك وهذه قراءة ظاهرة في وجوب الغسل كما قاله السلف و
من ههنا ذهبوا الى وجوب الترتيب في الوضوء كما هو مذهب الجمهور خلافا لابي حنيفة حيث لم يشترط الترتيب لان الواو في الآية لا تدل على
الترتيب واجيب عنه بان الآية تدل على غسل الوجه اولا ثم لا يجب الترتيب بعده ولم يقل به احد بل القائل اما بالترتيب التام او بعدمه
مطلقا فوجب الترتيب فيما بعده بالاجماع بلا فارق وايضا لا نسلم ان الواو لا تدل على الترتيب بل هو دال عليه كما هو مذهب طائفة من
اهل العربية وبعض الفقهاء ولئن سلمنا من حيث العربية فلا نسلم من حيث الشرع فيما من شأنه ان يرتب والدليل على ذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما طاف بالبيت خرج من باب الصفا وهو يتلو قوله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله فقال ابدأ بما بدأ الله به
وهو معنى كونها يدل على الترتيب شرعا وايضا لا شك في سنن ابي داود وغيرها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ مرة مرة وقال هذا
وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به فلا يخلو ان يكون توضأ مرتبا فيجب الترتيب او غير مرتب فيجب عدم الترتيب ولا قائل به واما القراءة
الاخرى وهي وارجلكم بالخفض فقد احتج به الشيعة في قولهم بوجوب مسح الرجلين لانها معطوفة عندهم على مسح الراس وقد كان بعض
السلف يجمع بين المسح والغسل كانس بن مالك وقال نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل وعن ابن عباس نحوه وقال الوضوء غسلتان و
مسحتان وهذا محمول على الغسل الخفيف لما سنذكره من السنة الثابتة في وجوبه وانما جازت قراءة الخفض اما على المجاورة وتناسب الكلام
كما في قول العرب جحر ضب خرب وكقوله تعالى عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وهذا شائع ذائع في لغة العرب وقيل هي محمولة
على المسح على الخفين قاله ابو عبد الله الشافعي وقيل اطلق المسح واراد به الغسل الخفيف استعارة لما ورد به السنة وعلى كل تقدير فالواجب
غسل الرجلين فرضا لا بد منه للآية وللاحاديث والدليل على ان المراد به الغسل الخفيف ما روى البيهقي باسناده عن علي بن ابي طالب
انه صلى الظهر ثم قعد في حوائج الناس في رحبة الكوفة حتى حضرت صلوة العصر ثم اتي بكوز من ماء فاخذ منه حفنة واحدة فمسح بها
وجهه ويديه وراسه ورجليه ثم قام فشرب فضله وهو قائم ثم قال ان ناسا يكرهون الشرب قائما وان رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع
كما صنعت وقال هذا وضوء من لم يحدث ورواه البخاري ببعض معناه ومن اوجب من الشيعة مسحهما كمسح الخف فقد ضل وكذا من
جوز المسح او الغسل على التخيير فقد اخطأ ايضا واما من جمع بينهما فذاك محمول على دلكهما لانهما تليان للارض والطين وغير ذلك فقال
بوجوب دلكهما ليذهب ما عليهما ويتنظفا فعبر عن الدلك بالمسح والدليل على وجوب غسلهما وانه لا بد منه ما رواه كثير من الصحابة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غسل الرجلين في وضوئه اما مرة واما مرتين او ثلثا على اختلاف رواياتهم وفي الصحيحين عن عبد الله
ابن عمرو وكذا عن ابي هريرة قال تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرة سافرناها فادركنا وقد ارهقتنا الصلوة صلوة العصر ونحن

تتوضا فجعلنا نمسح على ارجلنا فنادى باعلى صوته اسبغوا الوضوء ويل للاعقاب من النار وعن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اسبغوا الوضوء ويل للاعقاب من النار رواه مسلم وعن عبد الله بن الحرث انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ويل للاعقاب و
بطون الاقدام من النار رواه البيهقي والحاكم وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى قوما يتوضؤن ولم يصب اعقابهم الماء فقال
ويل للعراقيب من النار رواه ابن جرير فلو كان فرض الرجلين مسحهما او انه يجوز ذلك فيهما لما توعد على تركه لان المسح لا يستوعب جميع الرجل
بل يجري فيه ما يجري في مسح الخف هكذا وجه هذه الدلالة على الشيعة ابو جعفر الطبري وعن جابر عن عمر بن الخطاب ان رجلا توضا فترك
موضع ظفر على قدمه فابصره النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارجع فاحسن وضوءك رواه مسلم وعن انس مثله رواه ابو داود وابن ماجه واما ما
ورد من روايات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا ومسح على نعليه وقدميه محمول على انه توضا كذلك وهو غير محدث اذ ليس من الجائز ان تكون
فرائض الله وسنن رسوله متنافية متعارضة وقد صح عنه عليه الصلوة والسلام الامر بعموم غسل الرجلين في الوضوء بالماء كما سبق وليس كما زعم
بعض السلف ان هذه الآية ناسخة لرخصة المسح على الخفين فانه قد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم مسح على الخفين بعد نزول هذه الآية كما في الصحيحين
عن جرير انه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم بال ثم توضا ومسح على خفيه وقد اسلم جرير بعد نزول سورة المائدة وقد خالف الروافض
ذلك كله بلا مستند بل بجهل وضلال مع انه ثابت في الصحيحين عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن نكاح المتعة وهم يستبيحونها وكذلك
هذه الآية دالة على وجوب غسل الرجلين مع ما ثبت بالتواتر من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على وفق ما دلت عليه الآية وهم مخالفون لذلك
كله وليس لهم دليل صحيح في نفس الامر ولله الحمد وهكذا خالفوا ائمة السلف في الكعبين اللذين في الغسل فعندهم انهما ظهر القدم ففي كل رجل
كعب وعند الجمهور ان الكعبين هما العظمان الناتيان عند مفصل الساق والقدم قال الربيع قال الشافعي لم اعلم مخالفا في ان الكعبين اللذين
ذكرهما الله في كتابه هما الناتيان وهما مجمع مفصل الساق والقدم فعند الائمة رحمهم الله ان في كل قدم كعبين كما هو المعروف عند الناس وكما في
الصحيحين ان عثمن توضأ فغسل رجله اليمنى الى الكعبين واليسرى مثل ذلك وقوله وان كنتم مرضى او على سفر الآية وقد تقدم الكلام على ذلك في
تفسير سورة النساء وفي البخاري عن عائشة قالت سقطت قلادة لي بالبيداء ونحن داخلون المدينة فاناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل فثنى راسه
في حجري راقدا واقبل ابو بكر فلكزني لكزة شديدة وقال حبست الناس في قلادة فتمنيت الموت لمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مني وقد اوجعني
ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد فنزلت يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم الآية فقال
اسيد بن حضير لقد بارك الله للناس فيكم يا آل ابي بكر ما انتم الا بركة لهم وقوله ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اي فلهذا سهل عليكم ويسر ولم يعسر
بل اباح التيمم عند المرض وعند فقد الماء توسعة عليكم ورحمة بكم وجعله في حق من شرع له يقوم مقام الماء الا من بعض الوجوه كما هو مقرر في
الفقه وقوله ولكن يريد ليطهركم من الاحداث والذنوب وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون اي لكي تشكروا نعمته عليكم فيما شرعه لكم من التوسعة
والرافة والرحمة والسماحة وقد وردت السنة بالحث على الدعاء عقب الوضوء بان يجعل فاعله من المتطهرين الداخلين في امتثال هذه الآية
عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يتوضا فيحسن الوضوء ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه الا
وجبت له الجنة قلت ما اجود هذه فاذا قائل بين يدي يقول التي قبلها اجود منها فنظرت فاذا عمر رضي الله عنه فقال اني قد رايتك جئت
آنفا قال ما منكم من احد يتوضا فيبلغ او فيسبغ الوضوء ثم يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية
فيدخل من ايها شاء رواه مسلم وزاد الترمذي في آخره اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا توضا العبد المسلم او المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء او مع آخر قطر الماء فاذا
غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء او مع آخر قطر الماء فاذا غسل رجليه خرج كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء

مما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم

وان كنتم جنبا فاطهروا

[illegible]

او مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب رواه مسلم وعن ابي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان
والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن او تملأ ما بين السموات والارض والصلوة نور والصدقة برهان والصبر ضياء و
القرآن حجة لك او عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها او موبقها رواه مسلم وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا يقبل الله صدقة من غلول ولا صلوة بغير طهور رواه مسلم واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا
واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم
شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون وعد الله الذين آمنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم يا ايها الذين آمنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
يذكر الله عباده المؤمنين نعمته عليهم في شرعه لهم هذا الدين وارساله اليهم الرسول الامين وما اخذ عليهم من الميثاق على متابعته ومناصرته
والقيام بدينه وابلاغه عنه وقبوله منه فقال واذكروا نعمة الله عليكم وهذه هي البيعة التي كانوا يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها
عند اسلامهم يقولون بايعناك على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعلى اثرة علينا وان لا ننازع الامر اهله وقيل هو تذكار لما
اخذ الله من العهد على ذرية آدم حين استخرجهم من صلبه واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا قاله مجاهد وغيره والاول
اظهر وهو المحكي عن ابن عباس والسدي وقوله واتقوا الله تاكيد وتحريض على مواظبة التقوى في كل حال ثم اعلمهم انه يعلم ما يختلج في السرائر
والضمائر من الاسرار والخواطر فقال ان الله عليم بذات الصدور وقوله يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله اي كونوا قوامين بالحق لله تعالى
لا لاجل الناس والسمعة وكونوا شهداء بالقسط اي بالعدل لا بالجور وقد ثبت في الصحيحين عن النعمن بن بشير انه قال نحلني ابي غلاما فقالت
امي عمرة بنت رواحة لا ارضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه ليشهده على صدقتي فقال اكل ولدك نحلت مثله قال لا قال اتقوا الله
واعدلوا في اولادكم وقال اني لا اشهد على جور قال فرجع ابي فرد تلك الصدقة وقوله ولا يجرمنكم شنآن قوم اي ولا يحملنكم بغض قوم وعداوتهم
على ترك العدل فيهم بل استعملوا العدل في كل احد صديقا كان او عدوا ولهذا قال اعدلوا هو اقرب للتقوى اي عدلكم اقرب الى التقوى من تركه
ودل الفعل على المصدر الذي عاد الضمير اليه كما في نظائره من القرآن وغيره وهو من باب استعمال افعل التفضيل في المحل الذي ليس في الجانب
الآخر منه شيء كما في قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا وكقول الصحابية لعمر انت افظ واغلظ من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقوله ان الله خبير بما تعملون اي سيجازيكم على ما علم من افعالكم التي عملتموها ان خيرا فخير وان شرا فشر ولهذا قال بعده وعد الله
الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة اي لذنوبهم واجر عظيم وهو الجنة التي هي من رحمته على عباده لا ينالونها باعمالهم بل برحمة منه
وفضل وان كان اعمالهم سبب ذلك ثم قال والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم وهذا من عدله تعالى وحكمته وحكمه الذي لا جور فيه وقوله يا ايها الذين آمنوا
اذكروا نعمة الله عليكم في الصحيح عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل منزلا وتفرق الناس في العضاه يستظلون تحتها وعلق النبي صلى الله عليه و
سلم سلاحه بشجرة فجاء اعرابي الى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذه فسله ثم اقبل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني قال الله قال
الاعرابي مرتين او ثلاثا من يمنعك مني والنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله فشام الاعرابي السيف فدعا النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فاخبرهم بخبر
الاعرابي وهو جالس الى جنبه ولم يعاقبه واسم الاعرابي غورث بن الحارث وذكر قتادة ان قوما من العرب ارادوا ان يفتكوا برسول الله
صلى الله عليه وسلم فارسلوا هذا الاعرابي وتاول اذكروا نعمة الله عليكم الآية وقال ابن عباس ان قوما من اليهود صنعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم و
لاصحابه طعاما ليقتلوه فاوحى الله اليه بشانهم فلم يات الطعام وامر اصحابه فاتوه وقيل هم بنو النضير حين ارادوا

اي بقوله يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة

اي لا تتركوا الحق لعداوة من عاداكم

اي بضمائر القلوب وخفياتها من خير او شر فيجازيكم عليها

اي كونوا شاهدين تشهدون بحقوق الناس بالعدل

اي ستر لذنوبهم وتجاوز عنها

اي جحدوا وحدانيتنا وانكروا رسالتنا

وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا

اي قبلتم وقلتم سمعنا واطعنا

وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم

اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم

فكف ايديهم عنكم واتقوا الله

[illegible]

ان يلقي على راس النبي صلى الله عليه وسلم الرحا لما جاءهم يستعينهم في دية العامريين فاطلع الله رسوله على ما تمالوا عليه فرجع الى المدينه باصحابه
فانزل الله هذه الآيه وقوله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي ومن يتوكل على الله كفاه ما اهمه وحفظه من شر الناس وعصمه ثم امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يغدو اليهم فحاصرهم حتى انزلهم فاجلاهم ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم
اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا
لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل فبما نقضهم
ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسيه يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع
على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا
ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمه فسوف ينبئهم الله بما كانوا
يصنعون لما امر الله عباده بالوفاء بالعهد والميثاق الذي اخذ عليهم كما سبق شرع يبين لهم كيف اخذ العهود والميثاق على اليهود و
النصارى فلما نقضوها اعقبهم ذلك لعنا منه لهم وطردا عن بابه وحجابا للقلوب عن الوصول الى الهدى ودين الحق وهو العلم النافع
والعمل الصالح فقال ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا يعني عرفاء على قبائلهم بالمبايعه والسمع والطاعه لله
ولرسوله ولكتابه وذكر ابن عباس ومحمد بن اسحق وغير واحد ان هذا كان لما توجه موسى عليه السلام لقتال الجبابره فامر ان يقيم نقباء من
كل سبط نقيب قال ابن اسحق وكان من سبط روبيل شامون بن زكون ومن سبط شمعون شافاط بن حري ومن سبط يهودا كالب بن يوفنا
ومن سبط ابين مخائيل بن يوسف ومن سبط يوسف وهو سبط افرايم يوشع بن نون ومن سبط بنيامين فلطمن بن ذفون ومن سبط
زبلون جدي بن سوري ومن سبط يوسف وهو منشا بن يوسف جدي بن موسى ومن سبط دان خملائيل بن جمل ومن سبط اشير
ساطور بن ملكيل ومن سبط نفتالي نحي بن وقسي ومن سبط دان خولائل بن مكيد وقد رايت في السفر الرابع من التوراة تعداد النقباء
على اسباط بني اسرائيل واسماء مخالفه لما ذكره ابن اسحق والله اعلم قال فيها فعلى بني روبيل الضوي بن شادان وعلى بني شمعون
شموال بن حورشيدي وعلى بني يهوذا يحشون بن عميناذاب وعلى بني ايشاخر شال بن صاعون وعلى بني زابلون الياب بن حالون وعلى
بني يوسف افرايم يوشع بن عمنهود وعلى بني منشا حملائيل بن يرصون وعلى بني بنيامين ابيدن بن جدعون وعلى بني دان جعيذر بن
عميشذي وعلى بني اشير نحايل بن عجران وعلى بني جاد السيف بن دعوائيل وعلى بني نفتالي اجذع بن عيتان وهكذا لما بايع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الانصار ليلة العقبه كان منهم اثنا عشر نقيبا ثلثه من الاوس اسيد بن الحضير وسعد بن خيثمه ورفاعه بن عبد المنذر
ويقال بدله ابو الهيثم بن التيهان وتسعه من الخزرج وهم ابو امامه اسعد بن زراره وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحه ورافع
بن مالك بن عجلان والبراء بن معرور وعباده بن الصامت وسعد بن عباده وعبد الله بن عمرو بن حرام والمنذر بن عمرو بن خنيس
رضي الله عنهم وهولاء كانوا عرفاء على قومهم ليلتئذ بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بذلك وهم الذين ولوا المبايعه والمعاقده
عن قومهم للنبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعه وقوله تعالى وقال الله اني معكم اي بحفظي وكلاءتي ونصري لئن اقمتم الصلوة و
آتيتم الزكوة وآمنتم برسلي اي صدقتموهم فيما يجيئونكم به من الوحي وعزرتموهم اي نصرتموهم ووازرتموهم على الحق واقرضتم الله قرضا حسنا
وهو الانفاق في سبيله وابتغاء مرضاته لاكفرن عنكم سيئاتكم اي ذنوبكم امحوها واسترها ولا اواخذكم بها ولادخلنكم جنات اي
ادفع عنكم المحذور واحصل لكم المقصود وقوله فمن كفر بعد ذلك اي من خالف هذا الميثاق بعد عقده وتوكيده وشده وجحده وعامله
معامله من لم يعرفه فقد اخطا طريق الحق وعدل عن الهدى الى الضلال ثم اخبر تعالى بما احل بهم من العقوبه عند مخالفتهم ميثاقه ونقضهم

ان قيل ومن كفر قبل ذلك فقد ضل ايضا
واخطا الطريق المستقيم الذي شرعه الله فكيف قيل
ومن يكفر بعد ذلك قيل اجل لكن الضلال بعده
الشرط المؤكد المعلق بالوعد العظيم وهو تكفير الذنوب
وادخال الجنات الموصوفه باوصف اشنع واظهر جنسه
واعظم قبحه ومعناه ومن كفر بعد ذلك فقد ضل ضلالا

عهدهم فقال فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم اي فبسبب نقضهم الميثاق الذي اخذ عليهم ابعدناهم عن الحق وطردناهم عن الهدى وجعلنا
قلوبهم قاسيه اي يابسه غليظه لا تلين فلا تخلص اليها الايمان ولا تتعظ بموعظه يحرفون الكلم عن مواضعه اي وفسدت فهومهم
وساءت تصرفاتهم في آيات الله وتاولوا كتابه بغير ما انزله وحملوه على غير مراده ونسوا حظا مما ذكروا به اي وتركوا العمل به رغبة عنه
قال الحسن تركوا عرى دينهم ووظائف الله التي لا تقبل العمل الا بها وقال غيره تركوا العمل فصاروا الى حاله رديه فلا قلوب سليمه ولا
فطرة مستقيمه ولا اعمال قويه ولا تزال تطلع على خائنة منهم يعني مكرهم وغدرهم لك ولاصحابك وتمايلهم الى الفتك بك فاعف
عنهم واصفح هذا عين النصر والظفر كما قال بعض السلف ما عاملت من عصى الله فيك بمثل ان تطيع الله فيه وبهذا يحصل لهم تاليف
وجمع على الحق ولعل الله ان يهديهم ولهذا قال ان الله يحب المحسنين يعني به الصفح عمن اساء اليك وقال قتاده قوله فاعف عنهم واصفح
منسوخه بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الآيه وقوله ومن الذين قالوا انا نصارى اي ومن الذين يدعون لانفسهم انهم نصارى يتابعون
المسيح بن مريم وليسوا كذلك اخذنا عليهم العهود والمواثيق على متابعه الرسول ومناصرته وموازرته واقتفاء آثاره اي فنقضوا كما فعل اليهود خالفوا
المواثيق ونقضوا العهود ولهذا قال فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا اي فالقينا بينهم العداوه والتباغض لبعضهم بعضا ولا يزالون كذلك
الى قيام الساعه وكذلك طوائف النصارى على اختلاف اجناسهم لا يزالون متباغضين متعادين يكفر بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا
فالملكيه يكفر اليعقوبيه وكذا النسطوريه والاريوسيه كل طائفه يلعن الاخرى في هذه الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ثم قال تعالى وسوف
ينبئهم الله بما كانوا يصنعون وهذا تهديد ووعيد شديد للنصارى على ما ارتكبوه من الكذب على الله وعلى رسوله وما نسبوه الى الرب تعالى عن
قولهم من جعلهم له صاحبه وولدا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون
من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام و
يخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم اخبر الله تعالى عن نفسه الكريمه انه قد ارسل رسوله محمدا
صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق الى جميع اهل الارض عربهم وعجمهم اميهم وكتابيهم وانه بعثه بالبينات والفرق بين الحق والباطل
فقال يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي يبين ما بدلوه وحرفوه واولوه وافتروا على الله فيه ويسكت عن كثير مما غيروه ولا فائده
في بيانه وقال ابن عباس من كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب لقوله يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب فكان الرجم
مما اخفوه رواه الحاكم في مستدركه ثم اخبر عن القرآن العظيم الذي انزله على نبيه فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين والمراد سبل السلام
طرق النجاه والسلامه وقيل السلام هو الله وطريقه دينه الذي شرعه لعباده وبعث به رسله ويخرجهم من الظلمات الى النور اي وينجيهم من
المهالك ويوضح لهم ابين المسالك فيصرف عنهم المحذور ويحصل لهم المحبوب وينفي عنهم الضلاله ويرشدهم الى اقوم حاله لقد كفر
الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض
جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير وقالت اليهود والنصارى
نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك
السموات والارض وما بينهما واليه المصير اخبر تعالى عن كفر النصارى في ادعائهم في المسيح بن مريم وهو عبد من خلق الله انه
هو الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ثم اخبر عن قدرته على الاشياء وكونها تحت قهره وسلطانه قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك
المسيح بن مريم اي لو اراد ذلك فمن كان يمنعه منه او من الذي يقدر على صرفه عن ذلك ثم قال ولله ملك السموات والارض اي جميع الموجودات
ملكه وخلقه وهو القادر على ما يشاء بعظمته وسلطانه وهذا رد على النصارى لعنهم الله ثم رد على اليهود والنصارى في كذبهم وافترائهم
نحن ابناء الله واحباؤه اي نحن منتسبون الى انبيائه وهم بنوه وله بهم عنايه وهو يحبنا ونقلوا عن كتابهم ان الله قال لعبده اسرائيل

كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب
ويعفو عن كثير
اي يعرض عن كثير مما اخفيتم
فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب
المبين لطالب الاعجاز حيث رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان هذا القرآن من عند الله وهو النور المبين
وهو الشفاء النافع فيه نبأ من قبلكم وخبر من
بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من
تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في
غيره اضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر
الحكيم وهو الصراط المستقيم من قال به
صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به
عدل ومن دعا اليه هدي الى صراط

انت ابن بكر فحملوا هذا على غير تأويله وحرفوه ورد عليهم غير واحد ممن اسلم من عقلائهم وقالوا هذا يطلق عندهم على التشريف و
الاكرام كما نقل النصارى عن كتابهم ان عيسى قال لهم اني ذاهب الى ابي وابيكم يعني ربي وربكم ومعلوم انهم لم يدعوا لانفسهم
من البنوة ما ادعوها في عيسى وانما ارادوا من ذلك معزتهم لديه وحظوتهم عنده ولهذا قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فقال تعالى
ردا عليهم قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي لو كنتم كما تدعون ابناؤه واحباؤه فلم اعد لكم نار جهنم على كفركم وكذبكم وقال بعض الصوفية
لبعض الفقهاء اين تجد في القرآن ان الحبيب لا يعذب حبيبه فلم يرد عليه فتلا عليه الصوفي قل فلم يعذبكم بذنوبكم وهذا الذي قاله حسن
وله شاهد عن انس قال مر النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من اصحابه وصبي في الطريق فلما رأت امه القوم خشيت على ولدها ان يوطأ فاقبلت
تسعى وتقول ابني ابني وسعت فاخذته فقال القوم يا رسول الله ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار قال فخفضهم النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لا والله لا يلقي حبيبه في النار رواه احمد وقوله بل انتم بشر ممن خلق اي لكم اسوة امثالكم من بني آدم وهو تعالى هو الحاكم في جميع عباده يغفر
لمن يشاء ويعذب من يشاء اي هو فعال لما يريد لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ولله ملك السموات اي الجميع ملكه وتحت قهره وسلطانه واليه
المصير اي المرجع والمآب اليه فيحكم في عباده ما يشاء يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا
ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير خاطب الله اهل الكتاب بانه ارسل اليهم رسوله محمدا الذي
لا نبي بعده ولا رسول بل هو المعقب لجميعهم ولهذا قال على فترة من الرسل اي بعد مدة متطاولة ما بين ارساله وعيسى بن مريم وكانت ستمائة سنة
قاله ابو عثمان النهدي وقال سلمان وقتادة خمسمائة وستون رواه البخاري وقيل خمسمائة واربعون وقيل اربعمائة وثلثون وقال ابن عساكر عن
الشعبي انه قال من رفع المسيح الى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم تسعمائة وثلثة وثلثون سنة والمشهور الاول وهو انها ستمائة سنة شمسية او قمرية
والمقصود انه عليه الصلوة والسلام بعث على فترة من الرسل وطموس من السبل وتغير الاديان وكثرة عبادة الاوثان والصلبان والنيران
فكانت النعمة به اتم النعم والحاجة اليه امر عمم فان الفساد كان قد شمل جميع البلاد والجهل قد ظهر في سائر العباد والدين قد التبس
على اهل الارض كلهم حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهدى الخلائق من الظلمات الى النور وتركهم على المحجة البيضاء والشريعة الغراء
ولهذا قال ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير اي لئلا تحتجوا وتقولوا يا ايها الذين بدلوا دينهم وغيروه ما جاءنا من رسول
يبشر بالخير وينذر بالشر فقد جاءكم بشير ونذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والله على كل شيء قدير اي قادر على ثواب من اطاعه وعقاب
من عصاه. واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا
من العالمين يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا يا
موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان من
الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين
قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون قال رب اني
لا املك الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض
فلا تاس على القوم الفاسقين اخبر الله كليمه موسى فيما ذكره قومه نعم الله عليهم وآلاءه لديهم في جمعه لهم خير الدنيا والآخرة لو
استقاموا على طريقتهم فقال واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء اي كلما هلك نبي قام فيكم نبي من لدن
ابيكم ابرهيم والى ما بعده وكذلك كانوا لا يزالون يدعون الى الله ويحذرون نقمته حتى ختموا بعيسى بن مريم ثم اوحى الله الى رسوله محمد
المنتسب الى اسمعيل بن ابرهيم وهو اشرف من جميعهم وقوله وجعلكم ملوكا قال ابن عباس كان الرجل من بني اسرائيل اذا كان له الزوجة
والخادم والدار سمي ملكا وسال رجل عبد الله بن عمرو فقال الست من فقراء المهاجرين فقال عبد الله الك امراة تاوي اليها قال نعم

قال الك مسكن

قال الك مسكن تسكنه قال نعم قال فانت من الاغنياء فقال ان لي خادما قال فانت من الملوك وعن عبد الله بن محصن قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح منكم آمنا في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها رواه الترمذي
وغيره وقوله وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين اي عالمي زمانهم فانهم كانوا اشرف الناس من اليونان والقبط وسائر اصناف
بني آدم كما قال تعالى ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة الى قوله على العالمين فهم كانوا افضل اهل زمانهم لكن هذه الامة
اشرف وافضل منهم عند الله واكمل شريعة واقوم منهاجا واكرم نبيا واعظم ملكا وقال الله كنتم خير امة اخرجت للناس
وقد سبق بيانه وبعض الاحاديث في فضل هذه الامة في سورة آل عمران وقيل هذا الخطاب مع امة محمد صلى الله عليه وسلم والجمهور
انه خطاب من موسى لقومه وهو محمول على عالمي زمانهم وقيل يعني بذلك المن والسلوى وتظليل الغمام وغير ذلك مما خصهم الله به
من خوارق العادات ثم قال مخبرا عن تحريض موسى بني اسرائيل على الجهاد والدخول الى بيت المقدس الذي كان بايديهم في زمان
ابيهم يعقوب لما ارتحل هو وبنوه واهله الى بلاد مصر ايام يوسف عليهما السلام فوجدوا فيها قوما من العمالقة الجبارين قد استحوذوا
عليها وتملكوها فامرهم موسى بالدخول اليها وقتال اعدائهم وبشرهم بالنصر والظفر عليهم فتنكلوا وعصوا امره فعوقبوا
في التيه والتمادي في سيرهم حائرين لا يدرون كيف يتوجهون فيه الى المقصد مدة اربعين سنة عقوبة لهم على تفريطهم في امر الله
فقال تعالى مخبرا عن موسى انه قال يا قوم ادخلوا الارض المقدسة اي المطهرة قال ابن عباس هي الطور وما حوله وقيل اريحا وقيل
ارض بيت المقدس وقيل البلد المعروف بطرف الغور شرقي بيت المقدس وقوله التي كتب الله لكم اي التي وعدكموها الله على لسان
ابيكم اسرائيل انه وراثة من آمن منكم ولا ترتدوا على ادباركم ولا تنكلوا عن الجهاد فتنقلبوا خاسرين فاعتذروا وقالوا ان فيها اي
في هذه البلدة التي امرتنا بدخولها وقتال اهلها قوما جبارين اي ذوي خلق هائلة وقوى شديدة وانا لا نقدر على مقاومتهم و
يمكننا الدخول اليها ما داموا فيها فان يخرجوا منها دخلناها والا فلا طاقة لنا بهم قال ابن عباس لما نزل موسى في قومه قريبا من
المدينة بعث منهم اثني عشر رجلا وهم النقباء الذين ذكرهم الله فبعثهم ليأتوه بخبرهم فساروا فلقيهم رجل من الجبارين فجعلهم
في كسائه فحملهم حتى اتى بهم المدينة ونادى في قومه فاجتمعوا اليه فقالوا من انتم قالوا نحن قوم موسى بعثنا نأتيكم بخبركم فاعطاهم
حبة من عنب تكفي الرجل فقال لهم اذهبوا الى موسى وقومه فقولوا لهم قدره اقدر فاكهتهم فلما اتوهم قالوا يا موسى اذهب
انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون رواه ابن ابي حاتم وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا اخبارا من وضع بني اسرائيل في عظمة خلق
هؤلاء الجبارين وانه كان منهم عوج بن عنق ابن بنت آدم عليه السلام وانه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلثمائة وثلثة وثلثين ذراعا
وثلث ذراع تحرير الحساب وهذا شيء يستحيى من ذكره ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق آدم
وطوله ستون ذراعا ثم لم يزل الخلق ينقص الى الآن ثم ذكروا انه كان كافرا وكان ولد زنية وانه لم يصل الطوفان الى ركبته ولم يغرق
وهذا كذب وافتراء فان الله ذكر ان نوحا دعا فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقال فانجيناه ومن معه اجمعين ثم
اغرقنا بعد الباقين وقال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم واذا كان ابن نوح الكافر غرق فكيف يبقى عوج بن عنق وهو كافر
وولد زنية هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع ثم في وجود عوج نظر والله اعلم وقوله قال رجلان من الذين يخافون اي فلما نكل بنو اسرائيل
عن طاعة ربهم حرضهم رجلان لله عليهما نعمة عظيمة يخافون امر الله وعقابه وقرئ يخافون على صيغة ما لم يسم فاعله اي ممن لهما مهابة
وموضع في الناس قال ابن عباس هما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وعليه الاكثر فقالا ادخلوا عليهم الباب الا اي متى توكلتم على
الله واتبعتم امره ووافقتم رسوله نصركم الله على اعدائكم وايدكم واظفركم بهم ودخلتم البلدة التي كتب الله لكم فلم ينفع ذلك فيهم شيئا
قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وهذا نكول منهم عن الجهاد ومخالفة

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طوبى للشام قيل لاي شيء يا رسول الله قال لان ملائكة الرحمن باسطة اجنحتها عليها وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالشام فان صفوة الله من ارضه الشام وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال قسم الخير عشرة اجزاء فجعل منه تسعة بالشام وواحدة بالعراق وقسم الشر عشرة فجعل منه تسعة بالعراق وواحدة بالشام

برسوله وتخلف عن مقاتلة الاعداء شوقا منهم على الانصراف والرجوع الى بلاد مصر فما احسن ما اجاب به الصحابة يوم بدر رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين استشارهم في قتال النفير الذين جاؤا لمنع العير الذي كان مع ابي سفيان وهم ما بين التسعمائة الى الالف في العدد فتكلم
اكابر المهاجرين فاحسنوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشيروا علي ايها المسلمون واراد به الانصار فقال سعد بن معاذ وغيره
كانك تعرض بنا يا رسول الله فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضنا معك ما تخلف منا رجل واحد انا لا نقول
كما قال بنو اسرائيل اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون والذي بعثك بالحق
لو ضربت اكبادها الى برك الغماد لاتبعناك وفي البخاري عن مقداد نحوه وقال ولكنا نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن
خلفك قال ابن مسعود فرايت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرق لذلك وسره وقوله قال رب اني لا املك الا نفسي واخي
يعني لما نكل هؤلاء عن القتال غضب عليهم موسى وقال داعيا عليهم رب اني لا املك الا نفسي واخي فافرق قال ابن عباس يعني اقض بيني
وبينهم وافصل كما قال الشاعر يا رب فافرق بينه وبيني اشد ما فرقت بين اثنين وقوله قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة لما دعا عليهم موسى
حكم الله عليهم بتحريم دخولها قدرا مدة اربعين سنة ووقعوا في التيه يسيرون ولا يهتدون للخروج منه فتاهوا اربعين سنة يصبحون كل يوم
يسيرون ليس لهم قرار فاذا امسوا كانوا في الموضع الذي ارتحلوا عنه ثم ظلل عليهم الغمام في التيه وانزل عليهم المن والسلوى وهناك
انزلت التورية وشرعت لهم امور الاحكام ثم كانت وفاة هرون ثم بعده بمدة وفاة موسى واقام الله فيهم يوشع بن نون وكالب ومن ههنا
قال بعض المفسرين قوله قال فانها محرمة عليهم هنا وقف تام وقوله اربعين سنة منصوب بقوله يتيهون في الارض فلما انقضت المدة خرج بهم
يوشع بن نون او بمن بقي منهم وبسائر بني اسرائيل من الجيل الثاني فقصد بهم بيت المقدس فحاصرها وكان فتحها يوم الجمعة بعد العصر فلما
تضيفت الشمس للغروب وخشي دخول السبت عليهم قال انك مامورة وانا مامور اللهم احبسها علي فحبسها الله حتى فتحها وامر الله يوشع
ان يامر بني اسرائيل حين يدخلوا بيت المقدس ان يدخلوا بابها سجدا وهم يقولون حطة اي حط عنا ذنوبنا فبدلوا ما امروا به ودخلوا
يزحفون على استاههم وهم يقولون حبة في شعرة وقد سبق هذا كله في سورة البقرة قال ابن عباس فهلك موسى وهرون عليهما السلام وكل
من جاوز الاربعين سنة في التيه وقوله فلا تاس على القوم الفاسقين تسلية لموسى عنهم اي لا تاسف ولا تحزن فيما حكمت عليهم به فانهم يستحقون
ذلك وفي هذه تقريع اليهود وبيان فضائحهم ومخالفتهم لله ولرسوله ونكولهم عن طاعتهما فيما امرهم به من الجهاد فضعفت نفوسهم
عن مصابرة الاعداء ومجالدتهم ومقاتلتهم فظهرت قبائح صنيعهم وهم بغضاء الى الله واعدائه ويقولون مع ذلك نحن ابناء الله و
احباؤه فقبحهم الله لعنة تقمعهم الى النار
**واتل عليهم نبا ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل
من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك
لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين
فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة
اخيه قال يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي فاصبح من النادمين**
لقد ابان الله وخيم
عاقبة البغي والحسد في خبر ابني آدم لصلبه وهما هابيل وقابيل كيف عدا احدهما على الآخر فقتله بغيا عليه وحسدا له فيما وهبه الله
من النعمة وتقبل القربان الذي اخلص فيه لله تعالى ففاز المقتول بدخول الجنة وخاب القاتل وخسر في الدارين فقال تعالى واتل عليهم
اي واقصص على هؤلاء البغاة الحسدة من اليهود واشباههم خبر ابني آدم فيما ذكره المفسرون وقوله بالحق اي كما كان لا لبس فيه ولا
زيادة ولا نقصان وذلك ان الله تعالى كان قد شرع لآدم عليه السلام انه يزوج بناته من بنيه لضرورة الحال وكان يولد له في كل بطن ذكر
وانثى وكان يزوج انثى هذا البطن لذكر البطن الآخر وكانت اخت هابيل دميمة واخت قابيل وضيئة فاراد ان يستاثر بها على اخيه

تم اولاده اربعون في عشرين بطنا
لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده
اربعين الفا

[illegible]

فابى آدم ذلك الا ان تقربا قربانا فمن تقبل منه فهي له فقربا فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل وكان من امرهما ما قص الله في كتابه
وما نقل عن ابن عباس وابن مسعود واناس من الصحابة رضي الله عنهم انه كان لا يولد لآدم مولود الا ولد له غلام وجارية وكان يزوج
غلام هذا البطن جارية البطن الآخر ويزوج جارية هذا البطن غلام البطن الآخر حتى ولد له ابنان يقال لهما هابيل وقابيل وكان
قابيل صاحب زرع وهابيل صاحب ضرع وكان قابيل اكبرهما وكانت له اخت احسن من اخت هابيل وان هابيل طلب ان ينكح اخت
قابيل فابى عليه وقال هي اختي ولدت معي وهي احسن من اختك وانا احق ان اتزوج بها فامره ابوه ان يزوجها هابيل فابى وانهما
قربا قربانا الى الله عز وجل ايهما احق بالجارية وكان آدم قد غاب عنهما الى مكة ينظر اليها وقد قال الله له هل تعلم ان لي بيتا في الارض قال
لا قال ان لي بيتا بمكة فاته فقال آدم للسماء احفظي ولدي بالامانة فابت وقال للارض فابت وقال للجبال فابت فقال لقابيل
فقال نعم تذهب وترجع وتجد اهلك كما يسرك فلما انطلق آدم قربا قربانا وكان قابيل يفخر عليه فقال انا احق بها منك هي اختي
وانا اكبر منك وانا وصي والدي فلما قربا قرب هابيل جذعة سمينة وقرب قابيل حزمة سنبل فوجد فيها سنبلة عظيمة ففركها فاكلها
فنزلت النار فاكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل فغضب وقال لاقتلنك حتى لا تنكح اختي فقال هابيل انما يتقبل الله من المتقين
اي ممن اتقى الله في فعله ذلك قال ابن عباس فخزن الله تلك الجذعة في الجنة اربعين خريفا يرتع فيها وهو الكبش الذي فدى به ابراهيم عليه السلم
ولده وعن معاذ بن جبل قال يحبس الناس في بقيع واحد فينادي مناد اين المتقون فيقومون في كنف الرحمن لا يحتجب الله عنهم و
لا يستتر قيل ومن المتقون قال قوم اتقوا الشرك وعبادة الاوثان واخلصوا العبادة لله فيمرون الى الجنة وقوله لئن بسطت الي
يدك لتقتلني قال هابيل لقابيل حين توعده بالقتل لئن مددت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اي لا اقابلك على
صنيعك الفاسد بمثله فاكون انا وانت سواء في الخطيئة اني اخاف الله رب العالمين اي من ان اصنع كما تريد ان تصنع بل اصبر
واحتسب قال عبد الله بن عمرو وايم الله ان كان لاشد الرجلين ولكن منعه التحرج يعني الورع ان يبسط الى اخيه وفي الصحيحين
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول
قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وعن سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم
والقائم خير من الماشي والماشي خير من الساعي قلت يا رسول الله ارايت ان دخل بيتي وبسط يده ليقتلني قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كن كابن آدم وتلا لئن بسطت الي يدك لتقتلني الآية قاله سعد عند فتنة عثمن رواه احمد وابو داود وكان اول من عمل بهذه الآية
من هذه الامة عثمان بن عفان رضي الله عنه رواه ابن ابي حاتم وقوله اني اريد ان تبوء باثمي واثمك قال ابن عباس وآخرون اي باثم
قتلي وباثمك الذي عليك قبل ذلك وقيل ان ترجع بخطيئتي فتحمل وزرها واثمك في قتلك اياي قال ابن جرير والصواب في ذلك ان يقال
ان تاويله اني اريد ان تنصرف بخطيئتك في قتلك اياي وذلك هو معنى قوله اني اريد ان تبوء باثمي واما معنى واثمك فهو اثمه الذي كان
قبله وذلك معصية الله في اعمال سواه لاجماع اهل التاويل عليه وقوله فطوعت له نفسه اي حسنت وسولت له نفسه وشجعته على قتل
اخيه فقتله بحديدة في يده قاله محمد الباقر وعن بعض الصحابة قال فطلبه ليقتله فراغ الغلام منه في رؤس الجبال فاتاه يوما وهو يرعى
غنما له وهو نائم فرفع صخرة فشدخ راسه فمات فتركه بالعراء وكان اخذه فاضجعه وغمز راسه وعظامه ولا يدري كيف يقتله فقال
له ابليس خذ هذه الصخرة فاطرحها على راسه فاخذها فالقاها عليه فشدخ راسه فقتله ثم جاء ابليس الى حواء مسرعا فقال لها ان
قابيل قتل هابيل فقالت له ويحك واي شيء القتل قال لا ياكل ولا يشرب ولا يتحرك قالت ذلك الموت قال فهو الموت فجعلت تصيح
حتى دخل عليها آدم وهي تصيح فقال لها ما لك فلم تكلمه ثم رجع اليها مرتين فلم تكلمه فقال عليك الصيحة وعلى بناتك وانا وبني منها براء وقوله

[illegible]

فاصبح من الخاسرين اى فى الدارين واى خسارة اعظم من هذه وفى الصحيحين عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه كان اول من سن القتل وقوله فبعث الله غرابا قال السدى باسناده عن بعض الصحابة لما مات الغلام تركه بالعراء ولا يعلم كيف يدفن فبعث الله غرابين اخوين فاقتتلا فقتل احدهما صاحبه فحفر له ثم حثى عليه فلما رآه قال يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاوارى سوأة اخى اى جيفته وقيل عورته لانه كان قد سلب ثيابه فدفن اخاه فاصبح من النادمين قال عطية العوفى لما قتله ندم فضمه اليه حتى اروح وعكفت عليه الطير والسباع متى يرمى به فاكله وكان ذلك اول قتيل من بنى آدم واول ميت قال الحسن ابتلاه الله بندامة بعد الخسران هذا قاله المفسرون المتفقون على ان هذين ابنا آدم لصلبه كما هو ظاهر القرآن وكما هو منطوق الحديث فى قوله الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل ونقل ابن جرير باسناده عن الحسن قال كان الرجلان فى قوله واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا من بنى اسرائيل ولم يكونا ابنى آدم من صلبه وانما كان القربان فى بنى اسرائيل وكان آدم اول من مات هذا غريب جدا وعن الحسن مرسلا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب لكم ابنى آدم مثلا فخذوا من خيرهم ودعوا الشر رواه ابن جرير ثم روى باسناده عن على بن ابو طالب رضى الله عنه انه لما قتل ابن آدم اخاه بكاه آدم فقال

تغيرت البلاد ومن عليها ۞ ولون الارض مغبر قبيح ۞ تغير كل ذى لون وطعم ۞ وقل بشاشة الوجه المليح ۞ فاجيب آدم عليه السلام ۞ اباهابيل قد قتلا جميعا ۞ وصار الحى بالميت الذبيح ۞ وجاء بشرة قد كان منه ۞ على خوف فجاء بها يصيح ۞

ولعل هذا قد انشد على لسان آدم وقيله كما اجيب عنه لا انه قال شعرا فان الانبياء منهيون عن قول الشعر من عندهم والظاهر ان قابيل عوجل بالعقوبة كما ذكره مجاهد انه علقت ساقه بفخذه يوم قتله وجعل الله وجهه الى الشمس حيث ما دارت دار عليه فى الصيف حظيرة من نار وعليه فى الشتاء حظيرة من ثلج عقوبة له وتنكيلا به وعن ابى بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ذنب احرى ان يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخر له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم رواه ابو داود والترمذى وقد اجتمع كلاهما فى قابيل فانا لله وانا اليه راجعون

من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم

اى من اجل قتل ابن آدم اخاه ظلما وعدوانا كتبنا على بنى اسرائيل اى شرعنا لهم واعلمناهم انه من قتل نفسا بغير نفس اى بغير سبب من قصاص او فساد فى الارض واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية فكانما قتل الناس جميعا لانه لا فرق عنده بين نفس ونفس ومن احياها اى ومن حرم قتلها وكف عنه واعتقد ذلك فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار قال سعيد بن جبير اى من استحل دم مسلم فكانما استحل دماء الناس جميعا ومن حرم دم مسلم فكانما حرم دماء الناس جميعا وقال ابن عباس من قتل نبيا او امام عدل فكانما قتل الناس جميعا ومن شد عضد نبى او امام عدل فكانما احيا الناس جميعا وقال مجاهد من قتل نفسا مؤمنة متعمدا جعل الله جزاءه جهنم وغضب عليه ولعنه كما لو قتل الناس جميعا لم يزد على مثل ذلك العذاب ومن لم يقتل احدا فقد حيى الناس منه وقال عبد الرحمن بن زيد عن ابيه من قتل نفسا فقد وجب عليه القصاص فلا فرق بين الواحد والجماعة ومن احياها اى عفى عن قاتل وليه فكانما احيا الناس جميعا وقيل من احياها اى من انجاها من غرق او حرق وهذا تعظيم لتعاطى القتل قال قتادة عظيم والله وزرها وعظيم والله اجرها وعن

عبدالله بن عمرو

تبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوءة اخيه

جيفته لانه قد سلب ثيابه

او عورة

كلمة ويح وتحسر يقال عند الوقوع فى التهلكة

بغير فساد فيها

من كفر او ارتداد او قطع طريق

من حيث انه يهتك حرمة الدماء ويستن القتل ويجرى الناس عليه

خص بنو اسرائيل بالذكر وان كان الناس كلهم فى ذلك سواء لكثرة قتلهم فى زمان النبى صلعم

[illegible]

عبد الله بن عمرو قال جاء حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اجعلنى على شئ اعيش به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حمزة نفس تحييها احب اليك ام نفس تميتها قال بل نفس احييها قال عليك بنفسك رواه احمد وقوله ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات اى بالحجج والبراهين والدلالات الواضحة ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون وهذا تقريع لهم وتوبيخ على ارتكابهم المحارم بعد علمهم بها كما كانت بنو قريظة والنضير وغيرهم من يهود المدينة الذين كانوا يقاتلون مع الاوس والخزرج اذا وقعت بينهم حروب فى الجاهلية ثم وضعت الحرب اوزارها فدوا من اسروه وودوا من قتلوه وقد انكر الله عليهم ذلك فى سورة البقرة حيث قال واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم الآية وقوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله المحاربة هى المضادة والمخالفة وهى صادقة على الكفر وعلى قطع الطريق واخافة السبيل وكذا الافساد فى الارض ويطلق على انواع من الشر ثم قال بعضهم نزلت هذه الآية فى المشركين منهم الحسن فمن تاب منهم من قبل ان تقدروا عليه لم يكن عليه سبيل وليس تحرز هذه الآية الرجل المسلم من الحد ان قتل او افسد فى الارض او حارب الله ورسوله ثم لحق بالكفار قبل ان تقدر عليه لم يمنعه ذلك ان يقام عليه الحد الذى اصاب وعليه ابن عباس كذا رواه ابو داود والنسائى من طريق عكرمة عنه وقيل نزلت فى اليهود وقيل فى الحرورية والصحيح ان هذه الآية عامة فى المشركين وغيرهم ممن ارتكب هذه الصفات كما فى الصحيحين من حديث ابى قلابة واسمه عبد الله بن زيد الجرمى البصرى عن انس بن مالك ان نفرا من عكل ثمانية قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الاسلام فاستوخموا المدينة وسقمت اجسامهم فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا تخرجون مع راعينا فى ابله فتصيبون من ابوالها والبانها فقالوا بلى فخرجوا فشربوا من ابوالها والبانها فصحوا فقتلوا الراعى وطردوا الابل فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث فى آثارهم فادركوا فجئ بهم فقطعت ايديهم وارجلهم من خلاف وسمرت اعينهم ثم نبذوا فى الشمس حتى ماتوا وفى رواية من عكل وعرينة وفى لفظ والقوا فى الحرة يستسقون فلا يسقون وفى لفظ لمسلم ولم يحسمهم وعند البخارى قال ابو قلابة فهؤلاء سرقوا وقتلوا وكفروا بعد ايمانهم وحاربوا الله ورسوله وعن انس قال انما سمل النبى صلى الله عليه وسلم اعين اولئك لانهم سملوا اعين الرعاة ولهذا الحديث طرق كثيرة وروايات وعبارات فى الصحاح والسنن وبهذا يحصل المراد فان ذلك كان سبب نزول هذه الآية واختلفوا فى حكم هؤلاء العرنيين هل هو منسوخ او محكم قيل هو منسوخ بهذه الآية وانها عتاب للنبى صلى الله عليه وسلم كما فى قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم وقيل منسوخ بحديث النهى عن المثلة وفيه نظر وعلى القائل بيان تأخر الناسخ وقال بعضهم هذا كان قبل نزول الحدود وفيه نظر لان قصتهم متأخرة فان جريرا روى بها وقد اسلم بعد نزول المائدة ولا يلتفت الى قول من قال انه عليه الصلاة والسلام لم يسمل اعينهم وانما عزم على ذلك حتى نزل القرآن فبين حكمهم لمخالفته الحديث الصحيح المتفق عليه وكانت تلك عقوبة لاولئك النفر باعيانهم ثم نزلت هذه الآية وعقوبة غيرهم ممن حارب بعدهم ورفع عنهم السمل قاله الاوزاعى واحتج الجمهور بعمومها فذهبوا الى ان حكم المحاربة فى الامصار وفى السبلان على السواء لقوله ويسعون فى الارض فسادا وعليه مالك والشافعى واحمد ومن وافقهم حتى قال مالك فى الذى يغتال الرجل فيخدعه ويدخله بيتا فيقتله ويأخذ ما معه ان هذا محاربة ودمه الى السلطان لا الى ولى المقتول فلا اعتبار بعفوه عنه فى اسقاط القتل وقال ابو حنيفة واصحابه لا تكون المحاربة الا فى الطرقات واما فى الامصار فلا لانه يلحقه الغوث اذا استغاث بخلاف الطريق لبعده ممن يغيثه ويعينه واما قوله ان يقتلوا او يصلبوا الآية قال ابن عباس من شهر السلاح فى قبة الاسلام واخاف السبيل ثم ظفر به وقدر عليه فامام المسلمين بالخيار ان شاء قتله وان شاء صلبه وان شاء قطع يده ورجله وعليه كثير من التابعين وبه قال مالك عملا بظاهر القرآن من التخيير كما فى نظائره من القرآن كقوله فى جزاء الصيد فجزاء مثل ما قتل من النعم الآية وكما فى كفارة الفدية فمن كان منكم مريضا او به اذى الآية وكما فى كفارة اليمين فاطعام عشرة مساكين الآية وقال الجمهور هذه الآية منزلة على احوال كما قال ابو عبد الله الشافعى قال باسناده عن ابن عباس فى قطاع الطريق اذا قتلوا واخذوا المال

بعد ما كتبنا عليهم

الاسراف التباعد عن حد الاعتدال

المحاربة فى حق الله مجاز وفى حق الرسول صلعم

او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف على التعاقب الايدى والارجل

[illegible]

قتلوا و صلبوا و اذا قتلوا و لم يأخذوا المال قتلوا و لم يصلبوا و اذا اخذوا المال و لم يقتلوا قطعت ايديهم و ارجلهم من خلاف و اذا اخافوا السبيل و لم يأخذوا مالا نفوا من الارض هذا ما عليه الجمهور من ائمة السلف و اما فروع هذه المسئلة و دونه فهي مبسوطة في كتب الفقه و اما قوله تعالى او ينفوا من الارض قال بعضهم هو ان يطلب حتى يقدر عليه فيقام عليه الحد او يهرب من دار الاسلام قاله ابن عباس و موافقوه و قيل هو ان ينفى من بلده الى بلد آخر او يخرجه السلطان او نائبه من معاملته بالكلية و قال بعضهم ينفيه من جند الى جند سنين و لا يخرج من ارض الاسلام و قيل المراد بالنفي هنا الحبس و السجن و به قال ابو حنيفة و اصحابه و اختار ابن جرير ان يخرج من بلده الى بلد آخر فيسجن فيه و قوله ذلك لهم خزي في الدنيا اي هذا الذي ذكرته من قتلهم و صلبهم و قطع ايديهم و ارجلهم من خلاف و نفيهم خزي لهم بين الناس في هذه الحيوة الدنيا مع ما ادخره الله لهم من العذاب العظيم يوم القيمة و هذا يؤيد قول من قال نزلت هذه في المشركين فاما اهل الاسلام فقد ثبت في الصحيح عن عبادة بن الصامت قال اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه و سلم كما اخذ على النساء ان لا نشرك بالله شيئا و لا نسرق و لا نزني و لا نقتل اولادنا و لا يعضه بعضنا بعضا فمن وفى منكم فاجره على الله و من اصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو كفارة له و من ستره الله فامره الى الله ان شاء عذبه و ان شاء غفر له و عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم من اذنب في الدنيا ذنبا فعوقب به فالله اعدل من ان يثني عقوبته على عبده و من اذنب ذنبا في الدنيا فستره الله عليه و عفا عنه فالله اكرم من ان يعود في شيء قد عفى عنه رواه احمد و الترمذي و قال حسن غريب قال ابن جرير في قوله ذلك لهم خزي في الدنيا اي شر و عار و نكال و ذلة و عقوبة في عاجل الدنيا قبل الآخرة و لهم في الآخرة عذاب عظيم اي اذا لم يتوبوا من فعلهم ذلك حتى هلكوا في الآخرة مع الجزاء الذي جازيتهم في الدنيا فيها عذاب جهنم و قوله الا الذين تابوا الآية اما على قول من قال هي في اهل الشرك فظاهر و اما المحاربون المسلمون فاذا تابوا قبل القدرة عليهم فانه يسقط عنهم انحتام القتل و الصلب و قطع الرجل و هل يسقط عنهم قطع اليد فيه قولان فظاهر الآية يقتضي سقوط الجميع و عليه عمل الصحابة منهم علي بن ابي طالب و ابن عباس و الحسن بن علي و ابو موسى و عبد الله و جعفر و ابو هريرة رضي الله عنهم **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله و ابتغوا اليه الوسيلة و جاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا و مثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم و لهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار و ما هم بخارجين منها و لهم عذاب مقيم** امر الله عباده بتقواه و هي ملازمة الطاعة و الانكفاف عن المحارم و المنهيات و قوله و ابتغوا اليه الوسيلة قال ابن عباس اي القربة و عليه كثيرون اي تقربوا اليه بطاعته و العمل بما يرضيه و انشد ابن جرير عليه قول الشاعر: اذا غفل الواشون عدنا لوصلنا * و عاد التصافي بيننا و الوسائل * و الوسيلة هي ما يتوسل به الى نيل المقصود و هي ايضا علم لاعلى منزلة في الجنة و هي منزلة رسول الله صلى الله عليه و سلم و داره في الجنة و هي اقرب امكنة الجنة الى العرش و عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة و الصلوة القائمة آت محمدا الوسيلة و الفضيلة و ابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيمة رواه البخاري و عن عبد الله بن عمرو انه سمع النبي صلى الله عليه و سلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول و صلوا علي فانه من صلى علي صلوة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة لا ينبغي الا لعبد من عباد الله و ارجو ان اكون انا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة رواه مسلم و قوله و جاهدوا في سبيله هذا امر بقتال الاعداء من الكفار المعاندين للدين القويم ترغيبا لهم في ذلك بما اعده للمجاهدين في سبيله يوم القيمة من الفلاح و السعادة العظيمة الخالدة التي لا تبيد و لا تحول في الغرف العالية الرفيعة الحسنة مناظرها الطيبة مساكنها ثم اخبر تعالى بما اعده لاعدائه الكفار من العذاب و النكال في الآخرة فقال ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا اي لو ان احدهم جاء يوم القيمة بملء الارض ذهبا و بمثله معه ليفتدي بذلك من عذاب الله الذي قد احاط به و تيقن وصوله اليه لا يتقبل ذلك منه بل لا مندوحة عنه و لهذا قال و لهم عذاب اليم اي موجع يريدون ان يخرجوا من النار

من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم

قال اهل المعاني الوسيلة الرضا بالقضية و الصبر على البلية و التسليم عند الرزية و المجاهدة في سبيله الكاملة مع ورث البرية على خلوص النية

فلا يزالون يريدون الخروج مما هم فيه من شدته و اليم مسه و لا سبيل لهم الى ذلك كلما رفعهم اللهب فصاروا الى اعالي جهنم ضربتهم الزبانية بمقامع الحديد فيردوهم الى اسفلها و لهم عذاب مقيم اي دائم مستمر لا خروج لهم منها و لا محيد لهم عنها و عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم يؤتى بالرجل من اهل النار فيقول الله يا ابن آدم كيف وجدت مضجعك فيقول شر مضجع فيقول هل تفتدي بقراب الارض ذهبا فيقول نعم يا رب فيقول كذبت قد سألتك اقل من ذلك فلم تفعل فيؤمر به الى النار رواه مسلم هذا حال الكفار و اما اهل التوحيد فان الله يحبس قوما بخطاياهم في النار ما شاء فلا يكلمهم فاذا اراد ان يخرجهم اخرجهم بشفاعة محمد صلى الله عليه و سلم **و السارق و السارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله و الله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه و اصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم الم تعلم ان الله له ملك السموات و الارض يعذب من يشاء و يغفر لمن يشاء و الله على كل شيء قدير** حكم الله آمرا بقطع يد السارق و السارقة و كان في قراءة ابن مسعود ايمانهما بدل ايديهما و هي شاذة و ان كان الحكم عند الجمهور موافقا لها لا بها بل هو مستفاد من دليل آخر و قد كان القطع معمولا به في الجاهلية فقرر في الاسلام مع شروط آخر كما كانت القسامة و الدية و القراض و غير ذلك من الاشياء التي ورد الشرع بتقريرها على ما كانت عليه و زيادات هي من تمام المصالح و يقال ان اول من قطع الايدي في الجاهلية قريش قطعوا رجلا يقال له دويك مولى لبني مليح بن عمرو من خزاعة كان قد سرق كنز الكعبة و يقال سرقه قوم و وضعوه عنده و قد ذهب بعض الفقهاء من اهل الظاهر الى انه متى سرق السارق قطعت يده سواء كان قليلا او كثيرا لعموم الآية فلم تعتبروا نصابا و لا حرزا كما سئل عن ابن عباس عن هذه الآية اخاص ام عام فقال بل عام و هذا يحتمل ان يكون موافقا لما ذهب اليه هؤلاء و يحتمل غير ذلك و الله اعلم و تمسكوا بظاهر ما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده و يسرق الحبل فتقطع يده و اما الجمهور فاعتبروا النصاب في السرقة و ان كان قد وقع الخلاف بينهم في قدره فذهب كل من الائمة الاربعة الى قول على حدة فعند مالك ان النصاب ثلثة دراهم مضروبة خالصة فمتى سرقها او ما يبلغ ثمنها او ما فوقها وجب القطع لما في الصحيحين عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قطع في مجن ثمنه ثلثة دراهم و ذهب الشافعي الى ان الاعتبار في القطع بربع دينار او ما يساويه من الاثمان او العروض فصاعدا لما في الصحيحين عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال تقطع يد السارق في ربع دينار فصاعدا و في رواية لمسلم لا تقطع يد السارق الا في ربع دينار فصاعدا و روته عائشة مرفوعا و حديث ثمن المجن و انه كان ثلثة دراهم لا ينافي هذا لانه اذ ذاك كان الدينار اثني عشر درهما فهي ثمن ربع دينار فامكن الجمع بهذه الطريق و هذا مذهب اكثر الصحابة و التابعين و ذهب احمد و من وافقه الى ان كل واحد من ربع الدينار و الثلثة دراهم مرد شرعي فمن سرق واحدا منهما او ما يساويه قطع عملا بالحديثين المتقدمين و اما ابو حنيفة و اصحابه ابو يوسف و محمد و زفر و كذا سفين الثوري فانهم ذهبوا الى ان النصاب عشرة دراهم مضروبة غير مغشوشة و احتجوا بان ثمن المجن الذي قطع فيه السارق على عهد النبي صلى الله عليه و سلم كان عشرة دراهم لما روي عن ابن عباس قال كان ثمن المجن على عهد النبي صلى الله عليه و سلم عشرة دراهم و عن عبد الله بن عمرو نحوه قالوا فهذان صحابيان خالفا ابن عمر في قدر ثمن المجن و الاحتياط الاخذ بالاكثر لان الحدود تدرأ بالشبهات و للجمهور اجوبة شافية و ايرادات على كل منهم و احكامها و شروطها مبسوطة في كتب الفقه و قوله جزاء بما كسبا اي مجازاة على صنيعهما السيء في اخذهما اموال الناس بايديهما فناسب ان تقطع ما استعانا به في ذلك نكالا من الله اي تنكيلا و عقوبة من الله بهما على ارتكاب ذلك و الله عزيز اي في انتقامه حكيم في امره و نهيه و شرعه و قدره ثم قال تعالى فمن تاب من بعد ظلمه و اصلح اي من تاب بعد سرقته و اناب الى الله فان الله يتوب عليه فيما بينه و بينه و اما الاموال فلا بد من ردها او بدلها الى المستحق عند الجمهور و قال ابو حنيفة متى قطع و قد تلفت في يده فانه لا يرد بدله و عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه و سلم اتي بسارق قد سرق شملة فقال ما اخاله سرق فقال السارق بلى يا رسول الله قال

ثم احسموه ثم ائتوني به فقطع اذهبوا به فاقطعوه فاتي به فقال تب الى الله فقال تبت الى الله فقال تاب الله عليك رواه الدارقطني وفي مسند احمد وغيره ان امراة سرقت
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الذين سرقتهم فقالوا يا رسول الله ان هذه المراة سرقت قال قومها نحن نفديها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اقطعوا يدها فقالوا نحن نفديها بخمسمائة دينار فقال اقطعوا يدها فقطعت يدها اليمنى فقالت المراة هل لي
من توبة يا رسول الله قال نعم انت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك امك فانزل الله في سورة المائدة فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان
الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم وهذه المراة هي فاطمة المخزومية التي سرقت وحديثها ثابت مبين في الصحيحين حيث روت عائشة ان
قريشا اهمهم شان المراة المخزومية التي سرقت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح الحديث وقد ورد في احكام السرقة احاديث
كثيرة مذكورة في كتب السنن ثم قال تعالى الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض اي هو المالك لجميع ذلك الحاكم فيه الذي لا معقب لحكمه
يعذب من يشاء من مات على كفره ويغفر لمن يشاء من تاب من كفره والله على كل شيء قدير يا ايها الرسول لا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون
لقوم آخرين لم ياتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن
يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة
عذاب عظيم سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن
يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله
ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين انا انزلنا التورية فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا
للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون
ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون هذه الايات نزلت في المسارعين في الكفر الخارجين
عن طاعة الله ورسوله المقدمين اهواءهم وآراءهم على الشرع المبين من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اي اظهروا الايمان
بالسنتهم وقلوبهم خراب خاوية منه وهؤلاء هم المنافقون ومن الذين هادوا اعداء الاسلام واهله وكلهم سماعون للكذب اي
مستجيبون له سماعون لقوم آخرين لم ياتوك اي يستجيبون لاقوام لا ياتون مجلسك يا محمد وهم الجواسيس وقيل اراد انهم يتسمعون الكلام
وينهونه الى اقوام آخرين ممن لا يحضر عندك من اعدائك يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي يتاولونه على غير تاويله ويبدلونه من بعد ما عقلوه و
وضعه مواضعه وهم يعلمون يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه قيل نزلت في اقوام من اليهود قتلوا قتيلا وقالوا تعالوا ان نتحاكم الى محمد
فان افتاكم بالدية فخذوا ما قال وان حكم بالقصاص فلا تسمعوا منه والصحيح انها نزلت في اليهوديين اللذين زنيا وكانوا قد بدلوا كتاب الله
الذي بايديهم من الامر برجم من احصن منهم فحرفوه واصطلحوا فيما بينهم فقالوا حتى نتحاكم اليه فان حكم بالجلد والتحميم فخذوا عنه و
واجعلوا حجة بينكم وبين الله ويكون نبي من انبياء الله قد حكم بينكم بذلك وان حكم بالرجم فلا تتبعوه في ذلك كما في الصحيحين عن عبد الله بن عمر
انه قال ان اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا ان رجلا منهم وامراة زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون
في التورية في شان الرجم فقالوا نفضحهم ويجلدون قال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها الرجم فاتوا بالتورية فنشروها فوضع احدهم يده
على آية الرجم فقرا ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا آية الرجم قالوا صدق يا محمد فيها آية الرجم فامر
بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما فرايت الرجل يحني على المراة يقيها الحجارة وفي لفظ للبخاري فقال لليهود ما تصنعون بهما قالوا نسخم
وجوههما ونخزيهما قال فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين فجاؤا فقالوا لرجل منهم ممن يرضون اعور اقرأ فقرا حتى انتهى الى

موضع فيها

موضع فيها فوضع يده عليه قال ارفع يدك فرفع فاذا آية الرجم تلوح وقال يا محمد ان فيها آية الرجم ولكنا نتكاتمه بيننا فامر بهما
فرجما وعند مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بيهودي ويهودية قد زنيا فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاء يهود
فقال ما تجدون في التورية على من زنى قالوا نسود وجوههما ونحممهما ونخالف بين وجوههما ونطاف بهما قال فاتوا بالتورية ان
كنتم صادقين قال فجاؤا بها فقرؤها حتى اذا مر بآية الرجم وضع الفتى الذي يقرا يده على آية الرجم وقرا ما بين يديها وما وراءها
فقال له عبد الله بن سلام وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مره فليرفع يده فرفع يده فاذا تحتها آية الرجم فامر بهما رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرجما قال عبد الله بن عمر كنت فيمن رجمهما فلقد رايته يقيها من الحجارة بنفسه فالحديث دال على ان رسول الله صلى الله عليه و
سلم حكم بموافقة حكم التورية وليس هذا من باب الالزام لهم مما يعتقدون صحته لانهم مامورون باتباع الشرع المحمدي ولكن هذا بوحي
خاص من الله اليه بذلك وسؤاله اياهم عن ذلك ليقررهم على ما بايديهم مما تواصوا على كتمانه وجحده وعدم العمل به تلك الدهور الطويلة
فلما اعترفوا به مع علمهم على خلافه بان زيغهم وعنادهم وتكذيبهم لما يعتقدون صحته من الكتاب الذي بايديهم وعدولهم الى
تحاكم الرسول عليه الصلوة والسلام انما كان عن هوى وشهوة لموافقة آرائهم لا لاعتقادهم صحة ما يحكم به ولهذا قالوا ان اوتيتم
هذا اي الجلد والتحميم فخذوه اي اقبلوه وان لم تؤتوه فاحذروا اي من قبوله واتباعه قال تعالى ومن يرد الله فتنته اي كفره و
ضلالته فلن تملك له من الله شيئا اي فلن تقدر على دفع امر الله عنه اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم اي من الكفر والضلال وفي
فيه رد على منكري القدر لهم في الدنيا خزي اي للمنافقين واليهود فخزي المنافقين فيها الفضيحة وهتك الستر باظهار نفاقهم وخزي
اليهود القتل والسبي والاجلاء ولهم في الاخرة عذاب عظيم اي الخلود في النار سماعون للكذب اي الباطل اكالون للسحت اي الحرام
وهو الرشوة وعليه الاكثر اي ومن كانت هذه صفته كيف يطهر الله قلبه وانى يستجيب له ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم فان جاؤك اي
ليتحاكموا اليك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا اي فلا عليك ان لا تحكم بينهم لانهم لا يقصدون بتحاكمهم
اليك اتباع الحق بل ما يوافق هواهم قال ابن عباس وآخرون هي منسوخة بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله وقوله وان حكمت فاحكم
بينهم بالقسط اي بالحق والعدل وان كانوا ظلمة خارجين عن طريق العدل ان الله يحب المقسطين اي العادلين ثم قال تعالى منكرا
عليهم في آرائهم الفاسدة وقصودهم الزائغة في تركهم ما يعتقدون صحته من الكتاب الذي بايديهم وعدولهم الى غيره مما يعتقدون
بطلانه وكيف يحكمونك وعندهم التورية اي وكيف يجعلونك حكما بينهم فيرضون بحكمك وعندهم التورية فيها حكم الله وهو الرجم ثم
يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين اي بمصدقين لك ثم مدح التورية فقال انا انزلنا التورية فيها هدى ونور يحكم بها النبيون
الذين اسلموا اي انقادوا لامر الله كما اخبر عن ابرهيم عليه السلام اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين والمراد بهم النبيون بعثوا من بعد موسى
ليحكموا بما في التورية اي لا يخرجون عن حكمها ولا يبدلونها ولا يحرفونها للذين هادوا اي بينهم وتاخير عن فيه هدى ونور للذين
هادوا ثم قال يحكم بها النبيون والربانيون اي وكذلك الربانيون منهم وهم العلماء العباد والاحبار وهم العلماء الحكماء بما
استحفظوا اي بما استودعوا من كتاب الله الذي امروا ان يظهروه ويعملوا به وكانوا عليه شهداء انه كذلك فلا تخشوا الناس واخشون
اي لا تخافوا منهم وخافوا مني ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وقال ابن جرير باسناده
عن ابن عباس ان الايات التي في المائدة قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم الى قوله المقسطين نزلت في الدية في بني النضير وبني قريظة
وذلك ان قتلى بني النضير كان لهم شرف يؤدى الدية كاملة وان قريظة كانوا يؤدون نصف الدية فتحاكموا في ذلك الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانزل الله ذلك فيهم فحملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحق في ذلك فجعل الدية في ذلك سواء فالله اعلم اي ذلك كان رواه احمد و

قوله بما استحفظوا اي بسبب
امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه
من التضييع والتحريف والتبديل
والتغيير او بسبب سؤال
انبيائهم اياهم ان يحفظوا
كتاب الله بان يحكموا
باحكامه ويتبعوا اقضائه

قوله ومن لم يحكم بما انزل الله
يعني من رد حكما من احكام الله وحكم
بغيره او جحده او استهان به فقد كفر
بذلك الحكم او بالله

ابو داود والنسائي ثم قال انضا عن ابن عباس كانت قريظة والنضير وكانت النضير اشرف من قريظة وكان اذا قتل رجل من قريظة رجلا من النضير قتل واذا قتل رجل من النضير رجلا من قريظة ودى مائة وسق من تمر فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فقالوا ادفعوه الينا فقالوا بيننا وبينكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط رواه ابو داود والنسائي والحاكم في المستدرك ويمكن ان يكون اجتمع السببان في وقت واحد فنزلت هذه الآيات في ذلك كله والله اعلم ولهذا قال بعد ذلك وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس وهذا يقوي ان سبب نزولها قضية القصاص وقوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون قال ابن عباس وكثيرون نزلت في اهل الكتاب وزاد الحسن البصري وهي علينا واجبة وقال آخرون نزلت في بني اسرائيل ورضي الله لهذه الامة وقال الشعبي ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون هذا في المسلمين ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون قال هذا في اليهود ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون في النصارى

وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون

وهذا ايضا مما وبخت به اليهود وقرعوا عليه فان عندهم في نص التورية ان النفس بالنفس وهم يخالفون حكم ذلك عمدا وعنادا وقال ههنا فاولئك هم الظالمون لانهم لم ينصفوا المظلوم من الظالم الذي امر الله بالعدل والتسوية بين الجميع فيه فخالفوا وظلموا وتعدوا على بعض بعضا في مسند احمد عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين بنصب النفس ورفع العين رواه ابو داود والترمذي وقال حسن غريب وقد ذهب كثير من اهل الاصول والفقهاء الى ان شرع من قبلنا شرع لنا اذا حكي مقررا ولم ينسخ كما هو المشهور عن الجمهور وكما حكاه ابو اسحق الاسفرايني عن نص الشافعي واكثر الاصحاب مستدلين بهذه الآية حيث كان الحكم عندنا على وفقها في الجنايات عند جميع الائمة وقال الحسن البصري هي عليهم وعلى الناس عامة وقد حكى النووي في هذه المسألة ثلثة اوجه ثالثها ان شرع ابرهيم حجة دون غيره وصحح منها عدم الحجة ونقلها الشيخ ابو اسحق الاسفرايني قولا عن الشافعي ورجح انه حجة عند الجمهور من اصحابنا والله اعلم وحكى ابن الصباغ في كتابه الشامل الاجماع على الاحتجاج بهذه الآية على ما دلت عليه وقد احتج الائمة كلهم على ان الرجل يقتل بالمراة لعموم هذه الآية وكذا ورد في الحديث الذي رواه النسائي وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب في كتاب عمرو بن حزم ان الرجل يقتل بالمراة وفي الحديث الآخر المسلمون تتكافأ دماؤهم وهذا قول جمهور العلماء وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان الرجل لا يقتل بالمراة الا ان يدفع وليها الى اوليائه نصف الدية لان ديتها على النصف من دية الرجل واليه ذهب احمد في رواية وعن الحسن وعطاء انه لا يقتل بها بل تجب ديتها وهكذا احتج ابو حنيفة بعموم هذه الآية على انه يقتل المسلم بالكافر الذمي وعلى قتل الحر بالعبد وخالفه الجمهور فيهما لما في الصحيحين عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقتل مسلم بكافر واما العبد ففيه عن السلف آثار متعددة انهم لم يكونوا يقيدون العبد من الحر ولا يقتلون حرا بعبد وقد حكى الشافعي الاجماع على خلاف قول الحنفية ولكن لا يلزم منه بطلان قولهم الا بدليل مخصص للآية وقوله والجروح قصاص قال ابن عباس يقتل النفس بالنفس وتفقأ العين بالعين وتقطع الانف بالانف وتنزع السن بالسن وتقتص الجراح بالجراح فهذا تستوي فيه احرار المسلمين فيما بينهم وتستوي فيه العبيد رجالهم ونساؤهم فيما بينهم اذا كان عمدا في النفس وما دون النفس وقوله فمن تصدق به فهو كفارة له قال ابن عباس اي فمن عفا عنه وتصدق عليه فهو كفارة للمطلوب واجر للطالب وعنه ايضا فهو كفارة للجارح واجر المجروح على الله وقيل يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به وعن بعض الصحابة مرفوعا قال هو الذي تكسر سنه او يقطع يده او يقطع الشيء منه او يجرح في بدنه فيعفو عن ذلك فيحط عنه قدر خطاياه فان كان ربع الدية فربع خطاياه وان كان الثلث فثلث خطاياه وان كانت الدية حطت عنه خطاياه كذلك رواه ابن مردويه وعن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يصاب بشيء من جسده فيتصدق به الا رفعه الله به درجة وحط عنه بها خطيئة رواه احمد والترمذي وعن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يجرح في جسده جراحة فيتصدق بها

الا كفر الله

وكتبنا عليهم فيها اي وحكمنا وفرضنا على بني اسرائيل في التورية ان النفس مقتولة بالنفس جزاء اي ان النفس تقتل بقتل النفس ظلما والعين تفقأ بالعين والانف يجدع بالانف والاذن تقطع بالاذن والسن تكسر بالسن والجروح قصاص اي ذات قصاص يعني وحكمنا ان سائر الجراحات فيها قصاص ان امكن ان يعرف فيها المقاصة والمساواة كالشفتين واليدين وان لم يمكن كجرح لحم وكسر عظم ففيه الدية او الحكومة

[illegible]

روي انه عليه السلام قال ثلث من جاء بهن مع الايمان بالله دخل الجنة من اي ابواب الجنة شاء من ادى دينا خفيا وعفا عن قاتله وقرأ دبر كل صلوة عشر مرات قل هو الله احد فقال ابو بكر رضي الله عنه او احداهن قال او احداهن رواه في المختار

الا كفر الله عنه مثل ما تصدق به رواه احمد والنسائي وقوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون قال طاوس وعطاء في الآيات الثلث كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق

وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التورية وهدى وموعظة للمتقين وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون

اي اتبعنا على آثارهم يعني انبياء بني اسرائيل بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التورية اي مؤمنا بها حاكما بما فيها وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور اي هدى الى الحق ونور يستضاء به في ازالة الشبهات وحل المشكلات ومصدقا لما بين يديه من التورية اي متبعا لها غير مخالف لما فيها الا في القليل مما بين لبني اسرائيل بعض ما كانوا يختلفون فيه كما قال تعالى اخبارا عن المسيح انه قال لبني اسرائيل ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم ولهذا اشتهر ان الانجيل نسخ بعض احكام التورية وقوله وهدى وموعظة للمتقين اي وجعلنا الانجيل هدى يهتدى به وموعظة اي زاجرا عن ارتكاب المحارم والمآثم لمن اتقى الله وخاف وعيده وعقابه وقوله وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه قرئ وليحكم بالنصب على ان اللام لام كي اي آتيناه الانجيل فيه هدى ونور ليحكم اهل ملته به في زمانهم وقرئ بالجزم على ان اللام لام الامر اي ليؤمنوا بجميع ما فيه وليقيموا ما امروا به فيه ومما فيه البشارة ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم والامر باتباعه وتصديقه اذا وجد كما قال تعالى قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم الآية وقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل الآية ولهذا قال ههنا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون اي الخارجون عن طاعة ربهم المائلون عن الحق وقد تقدم ان هذه الآية نزلت في النصارى وهو ظاهر من السياق

وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتيكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون

لما ذكر الله التورية ومدحها واثنى عليها وامر باتباعها وذكر الانجيل ومدحه وامر اهله باقامته واتباع ما فيه كما سبق شرع تعالى في ذكر القرآن العظيم الذي انزله على عبده ورسوله الكريم فقال وانزلنا اليك الكتاب بالحق اي بالصدق الذي لا ريب فيه انه من عند الله مصدقا لما بين يديه من الكتب المتقدمة الناطقة بذكره ومدحه وانه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فكان نزوله كما اخبرت به مما زادها صدقا عند حامليها من ذوي البصائر الذين انقادوا لامر الله واتبعوا شرائعه وصدقوا رسله وقوله ومهيمنا عليه قال ابن عباس اي مؤتمنا وشهيدا عليه والمهيمن الامين والقرآن امين وشهيد على كل كتاب قبله فما وافقه منها فهو حق وما خالفه منها فهو باطل قاله الاكثر وعنه ايضا اي حاكما على ما قبله من الكتب والمعنى ان اسم المهيمن يتضمن هذا كله فهو امين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله لان الله جعل هذا الكتاب العظيم الذي انزله آخر الكتب خاتمها واشملها واكملها حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس في غيره وتكفل حفظه كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وما قال مجاهد وغيره في قوله ومهيمنا عليه يعني ان محمدا عليه الصلوة والسلام امين على القرآن فهو صحيح في نفس الامر ولكن في تفسير هذا بهذا وتنزيله عليه من حيث العربية نظر والصحيح الاول كما قال ابن جرير وقوله فاحكم بينهم بما انزل الله اي فاحكم يا محمد بين الناس عربهم وعجمهم اميهم وكتابيهم بما انزل الله اليك من هذا الكتاب العظيم وبما قرره لك من حكم كتاب من كان قبلكم من الانبياء ولم ينسخه في شرعك قال ابن عباس كان النبي عليه الصلوة والسلام

[illegible]

روي ان عيسى عليه السلام كان متعبدا باحكام التورية لان الانجيل مواعظ والاحكام فيه قليلة والمعنى اتبعنا الانبياء بعضهم بعضا وانزلنا الكتب بعضها مصدق لبعض ومتوالية لبيان الدين والهداية الى الصراط المستقيم من تفسير الامام الرازي

[illegible]

مخيرا إن شاء حكم بينهم وإن شاء أعرض عنهم فردهم إلى أحكامهم فنزلت فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم فأمر أن يحكم بينهم بما
في كتابنا ولا تتبع آراءهم التي اصطلحوا عليها كما سبق وقوله عما جاءك من الحق أي لا تنصرف عن الحق الذي أمرك الله به إلى أهواء هؤلاء الجهلة
الأشقياء وقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا قال ابن عباس سبيلا وسنة وعليه الجمهور وهذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان باعتبار
ما بعث الله به رسله من الشرائع المختلفة في الأحكام المتفقة في التوحيد كما في البخاري عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن معاشر الأنبياء
إخوة لعلات وديننا واحد يعني بذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله وضمنه كل كتاب أنزله كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك
من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حراما ثم يحل
في الشريعة الأخرى وبالعكس وخفيفا فيزاد في الشدة في هذه دون هذه وذلك لما لله تعالى من الحكمة البالغة والحجة الدامغة والسنن أنها مختلفة
هي في التوراة شريعة وفي الإنجيل شريعة وفي القرآن شريعة يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه والدين الذي لا
يقبل غيره هو التوحيد والإخلاص وقوله ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم أي أنه تعالى شرع هذه الشرائع مختلفة ليختبر
عباده فيما شرع لهم ويثيبهم أو يعاقبهم على طاعته ومعصيته بما فعلوه أو عزموا عليه من ذلك كله وقوله فيما آتاكم يعني من الكتاب ثم إنه تعالى
ندبهم إلى المسارعة إلى الخيرات والمبادرة إليها فقال فاستبقوا الخيرات وهي طاعة الله واتباع شرعه الذي جعله ناسخا لما قبله والتصديق
بكتابه القرآن الذي هو آخر كتاب أنزله ثم قال إلى الله مرجعكم جميعا أي معادكم أيها الناس ومصيركم إليه يوم القيامة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
أي فيخبركم بما اختلفتم فيه من الحق فيجزي الصادقين بصدقهم ويعذب الجاحدين المكذبين بالحق العادين له بكذبهم وأن احكم بينهم بما أنزل الله
إليك تأكيدا لما تقدم من الأمر والنهي عن خلافه ثم قال واحذرهم أن يفتنوك أي احذر أعداءك اليهود أن يدلسوا عليك الحق فيما ينهونه إليك من الأمور
فلا تغتر بهم فإنهم كذبة كفرة خونة فإن تولوا أي عما تحكم به بينهم من الحق وخالفوا شرع الله فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم
أي فاعلم أن ذلك كائن عن قدرة الله وحكمته فيهم أن يصرفهم عن الهدى لما لهم من الذنوب السالفة التي اقتضت إضلالهم ونكالهم وإن
كثيرا من الناس لفاسقون أي أكثر الناس خارجون عن طاعة ربهم مخالفون للحق ناكبون عنه وقال ابن عباس إن كعب بن أسد وجماعة
من اليهود قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا يا محمد إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم و
سادتهم وأنا إن اتبعناك اتبعنا يهود ولم يخالفونا وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن بك و
نصدقك فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله فيهم وأن احكم بينهم بما أنزل الله الآية رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقوله
أفحكم الجاهلية يبغون ينكر الله على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء
كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات وكما يحكم به الأتراك المرذكية وهم التتار من السياسات الملكية المأخوذة
عن ملكهم جنكزخان الذي وضع لهم الياسق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية
والملة الإسلامية وفيها كثير من الأحكام أخذها عن مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعا متبعا يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة
رسوله ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير قال تعالى أفحكم الجاهلية يبغون
أي يبتغون ويريدون وعن حكم الله يعدلون ومن أحسن من الله حكما أي ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن
وعلم أنه تعالى أحكم الحاكمين قال الحسن من حكم بغير حكم الله فحكم الجاهلية وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغض الناس
إلى الله مبتغ في الإسلام سنة الجاهلية وطالب دم امرئ بغير حق ليريق دمه روى البخاري نحوه بزيادة يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين

قيل لولا جواز المعصية على الأنبياء لم يرد نهي النبي والجواب أن ذلك مقدور له ولكن لا يفعله لمكان عصمة الله وحفظه

ولا تتبع أهواءهم بالإعراض عن الحق والميل إلى الباطل

الذين

في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا
على ما أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت
أعمالهم فأصبحوا خاسرين نهى الله عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى فإنهم أعداء الإسلام وأهله ثم أخبر أن بعضهم
أولياء بعض في العون والنصرة ثم تهدد وتوعد من تعاطى ذلك فقال ومن يتولهم منكم فإنه منهم قال عبد الله بن عتبة ليتق أحدكم أن يكون
يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر تمثلا بهذه الآية من التهديد وقوله فترى الذين في قلوبهم مرض أي ريب وشك ونفاق يسارعون فيهم
أي يبادرون إلى موالاتهم ومودتهم في الباطن والظاهر يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة أي إنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكفار
بالمسلمين فيكون لهم أياد عند اليهود والنصارى فتنفعهم ذلك حينئذ قال تعالى فعسى الله أن يأتي بالفتح قال السدي يعني فتح مكة وقال
غيره يعني القضاء والفصل أو أمر من عنده يعني ضرب الجزية عليهم فيصبحوا يعني الذين والوهم من المنافقين على ما أسروا في أنفسهم من الموالاة
نادمين أي على ما كان منهم مما لم يغن عنهم شيئا ولا دفع عنهم محذورا بل كان عين المفسدة فإنهم فضحوا وهتك الله سترهم فبقي أمرهم
لعباده المؤمنين فتعجبوا منهم كيف كانوا يظهرون الإسلام ويحلفون على ذلك فبان كذبهم ونفاقهم ولهذا قال ويقول الذين آمنوا
أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم قرأ أهل الكوفة ويقول بالواو والرفع على الاستئناف وأهل البصرة بالواو ونصب اللام عطفا على أن
يأتي أي عسى أن يقول الذين آمنوا وقرأ الآخرون بحذف الواو ورفع اللام هكذا في مصاحف أهل المدينة وقال مجاهد أي فعسى الله أن يأتي
بالفتح أو أمر من عنده وحينئذ يقول الذين آمنوا الآية واختلفوا في سبب نزولها وإن كان حكمها عاما لجميع المؤمنين قال السدي نزلت في
رجلين قال أحدهما لصاحبه بعد وقعة أحد أما أنا فإني ذاهب إلى ذلك اليهودي فآوي إليه وأتهود معه لعله ينفعني إذا وقع أمر
أو حدث حادث وقال الآخر أما أنا فأذهب إلى فلان النصراني بالشام فآوي إليه وأتنصر معه فأنزل الله هذه الآيات وقيل نزلت في عبد الله
ابن أبي بن سلول حين جاء عبادة بن الصامت الخزرجي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن لي موالي من يهود كثير عددهم
شديدة شوكتهم فإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود وأتولى الله ورسوله وقال عبد الله بن أبي إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أبي يا أبا الحباب ما بخلت به على ولاية يهود من عبادة بن الصامت فهو لك دونه قال قد قبلت فأنزل
الله هذه الآيات رواه ابن جرير وقوله إنهم لمعكم أي حلفوا بأغلظ الأيمان أنهم مؤمنون يعني أنهم يتعجبون حينئذ من كذبهم وحلفهم بالباطل
حبطت أعمالهم أي بطل كل خير عملوه فأصبحوا خاسرين خسروا الدنيا بافتضاحهم والآخرة بالعقاب وفوات الثواب يا أيها الذين آمنوا
من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في
سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا
الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم
الغالبون أخبر تعالى عن قدرته العظيمة أنه من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته فإن الله يستبدل به من هو خير لها منهم وأشد منعة
وأقوم سبيلا كما قال تعالى وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم فقوله من يرتد منكم عن دينه أي يرجع عن الحق إلى الباطل قال
محمد بن كعب نزلت في الولاة من قريش وقال الحسن نزلت في أهل الردة أيام أبي بكر فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال الحسن هو
والله أبو بكر وأصحابه وقيل هم أهل القادسية وقال مجاهد هم قوم من سبأ وعن ابن عباس هم ناس من أهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون
ثم من تجيب ورواه ابن جرير مرفوعا وقوله أذلة على المؤمنين هذه صفات المؤمنين الكمل أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه متعززا
على خصمه وعدوه كما جاء في صفة النبي صلى الله عليه وسلم أنه الضحوك القتال أي ضحوك لأوليائه قتال لأعدائه وقوله يجاهدون في

سبيل الله ولا يخافون لومة لائم اي لا يردهم عما هم فيه من طاعة الله وقتال اعدائه واقامة الحدود والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
راد ولا يصدهم عنه صاد ولا يؤثر فيهم لومة لائم ولا عذل عاذل وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم على السمع والطاعة وعلى ان نقول بالحق اينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
لا يمنعن احدكم رهبة للناس ان يقول بحق اذا رآه او شهده فانه لا يقرب من اجل ولا يباعد من رزق ان يقول بحق او ان يذكر بعظيم
رواه احمد ذلك فضل الله اي من اتصف بهذه الصفات فانما هو من فضل الله عليه وتوفيقه له والله واسع عليم بمن يستحق ذلك ممن يحرمه
اياه وقوله انما وليكم الله اي ليس اليهود باوليائكم بل ولايتكم راجعة الى الله ورسوله والمؤمنين وقوله الذين يقيمون الصلوة اي المؤمنون المتصفون
بهذه الصفات من اقامة الصلوة التي هي اكبر اركان الاسلام وايتاء الزكوة التي هي حق المخلوقين ومساعدة المحتاجين واما قوله وهم راكعون
فقد توهم بعضهم ان هذه الجملة في موضع الحال من قوله ويؤتون الزكوة اي في حال ركوعهم ولو كان كذلك لكان دفع الزكوة في حال الركوع
افضل من غيره لانه ممدوح وليس كذلك عند احد من العلماء وائمة الفتوى حتى انهم ذكروا اثرا عن علي بن ابي طالب ان هذه الآية نزلت فيه
وذلك انه مر به سائل في حال ركوعه فاعطاه خاتمه ولا يصح شيء من ذلك بحال وان روي بطرق وروايات فان كلها متروكة مطعونة لا
يصح بذلك وقد تقدم ان هذه الآيات كلها نزلت في عبادة بن الصامت حين تبرأ من حلف اليهود ورضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين
ولهذا قال ومن يتول الله ورسوله الى آخره اي يتولى القيام بطاعة الله ونصرة رسوله والمؤمنين فكل من رضي بولاية الله ورسوله
والمؤمنين فهو منصور في الدنيا والآخرة يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا
ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون وهذا تنفير من موالاة اعداء الاسلام واهله من الكتابيين والمشركين الذين يتخذون
شرائع الاسلام المطهرة هزؤا يستهزؤن بها ولعبا يعتقدون انها نوع من اللعب في نظرهم الفاسد وكم من عائب قولا صحيحا وآفته
من الفهم السقيم وقوله من الذين اوتوا الكتاب من ههنا لبيان الجنس كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقرأ بعضهم الكفار بالخفض عطفا
وقرأ آخرون بالنصب على انه معمول لا تتخذوا تقديره ولا الكفار اولياء اي لا تتخذوا هؤلاء ولا هؤلاء اولياء والمراد بالكفار ههنا
المشركون وقوله واتقوا الله اي اتقوا الله ولا تتخذوا هؤلاء الاعداء اولياء ان كنتم مؤمنين بشرع الله الذي اتخذه هؤلاء هزوا ولعبا
وقوله واذا ناديتم الى الصلوة اي وكذلك اذا اذنتم داعين الى الصلوة التي هي افضل الاعمال اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم
لا يعقلون معاني عبادة الله وشرائعه وهذه صفات اتباع الشيطان كما في الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
نودي للصلوة ادبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع التأذين فاذا قضي النداء اقبل حتى اذا ثوب بالصلوة ادبر حتى اذا قضي التثويب
اقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه فيقول اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى وعن السدي قال كان رجل
من النصارى بالمدينة اذا سمع المنادي اشهد ان محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخلت خادمه ليلة من الليالي بنار وهو نائم
واهله نيام فسقطت شرارة فاحترقت البيت واحترق هو واهله رواه ابن جرير وابن ابي حاتم قل يا اهل الكتاب هل تنقمون
منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون قل هل انبئكم بشر من ذلك
مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا و
اضل عن سواء السبيل واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون وترى
كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والاحبار
عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون اي قل يا محمد للذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من اهل الكتاب هل تنقمون منا

وعن ابي ذر رضي الله عنه قال اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع بحب المساكين والدنو منهم وان اصل رحمي وان جفوني وان انظر الى من هو دوني ولا انظر الى من هو فوقي وان اقول الحق وان كان مرا وان لا اخاف في الله لومة لائم وان لا اسأل الناس شيئا وان استكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله

قالوا ان الكفار لما سمعوا الاذان حسدوا المسلمين فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد لقد ابدعت شيئا لم نسمع به فيما مضى من الامم فان كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما احدثت الانبياء قبلك ولو كان خيرا لكان اولى الناس به الانبياء فمن اين لك صياح كصياح العير فما اقبح من صوت وما اسمج من امر فانزل الله تعالى هذه الآية ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا

اي هل تكرهون منا او تعيبون هل لكم علينا مطعن او عيب الا ان آمنا بالله وهذا ليس بعيب ولا مذمة فيكون الاستثناء منقطعا كما في قوله
وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد وقوله وان اكثركم فاسقون معطوف على ان آمنا بالله وما عطف عليه اي وآمنا
بان اكثركم فاسقون اي خارجون عن الطريق المستقيم ثم قال هل انبئكم اي هل اخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيمة مما تظنونه بنا
وهم انتم الذين متصفون بهذه الصفات المفسرة بقوله من لعنه الله اي ابعده من رحمته وغضب عليه اي غضبا لا يرضى
بعده ابدا وجعل منهم القردة والخنازير كما تقدم بيانه في سورة البقرة وتجيء ايضا في سورة الاعراف وعن ابن مسعود قال سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن القردة والخنازير أهي مما مسخ الله فقال ان الله لم يهلك قوما او قال لم يمسخ قوما فيجعل لهم نسلا ولا عاقبة وان
القردة والخنازير كانت قبل ذلك رواه مسلم وقوله وعبد الطاغوت قرئ بصيغة الماضي والطاغوت منصوب به اي وجعل منهم
من عبد الطاغوت وقرئ وعبد الطاغوت بالاضافة على ان المعنى وجعل منهم خدم الطاغوت اي خدامه وعبيده وقرئ وعبد الطاغوت
على انه جمع الجمع عبد وعبيد وعبد مثل ثمار وثمر وقرأ بريدة وعابد الطاغوت وقرأ ابي وابن مسعود وعبدوا والمعنى هذه القراءة
يرجع الى انكم يا اهل الكتاب الطاعنين في ديننا الذي هو توحيد الله وافراده بالعبادة كيف يصدر منكم هذا وقد وجد منكم جميع ما ذكر
ولهذا قال اولئك شر مكانا اي مما تظنون بنا واضل عن سواء السبيل وهذا من باب استعمال افعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر مشاركة
كما سبق وقوله واذا جاؤكم قالوا آمنا وهذه صفة المنافقين منهم انهم يصانعون المؤمنين في الظاهر وقلوبهم منطوية على الكفر ولهذا
قال وقد دخلوا اي الى مجلسكم يا محمد بالكفر اي مستصحبين الكفر في قلوبهم ثم خرجوا وهو كامن فيها لم ينتفعوا بما سمعوا منك ولا اثرت
فيهم المواعظ ولا الزواجر ولهذا قال وهم قد خرجوا به فخصهم به دون غيرهم وقوله والله اعلم بما كانوا يكتمون اي والله عالم بسرائرهم
وما تنطوي عليه ضمائرهم وان اظهروا لخلقه خلاف ذلك وتزينوا بما ليس فيهم فان عالم الغيب والشهادة اعلم بهم منهم وسيجزيهم
على ذلك اتم الجزاء وقوله وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم اي يبادرون الى ذلك من تعاطي المآثم والمحارم والاعتداء على الناس
واكل اموالهم بالباطل لبئس ما كانوا يعملون اي لبئس العمل كان عملهم وبئس الاعتداء اعتداؤهم والسحت هو الرشى وقوله لولا ينهاهم
الربانيون يعني هلا كان ينهاهم عن تعاطي ذلك علماؤهم وهم العمال ارباب الولايات عليهم والاحبار وهم العلماء فقط لبئس ما كانوا يصنعون
قال ابن عباس يعني الربانيين بانهم بئس ما كانوا يصنعون اي في تركهم ذلك وقال عبد الرحمن بن زيد قال لهؤلاء حين لم ينهوا وقال
لهؤلاء حين عملوا قال وذلك الاركان ويعملون ويصنعون واحد وقال ابن عباس ما في القرآن آية اشد توبيخا من هذه الآية لولا
ينهاهم الربانيون الآية وعن يحيى بن يعمر قال خطب علي بن ابي طالب رضي الله عنه فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا ايها الناس انما هلك من
هلك قبلكم بركوبهم المعاصي ولم ينههم الربانيون والاحبار فلما تمادوا فيها اخذتهم العقوبات فمروا بالمعروف وانهوا عن
المنكر قبل ان ينزل بكم مثل الذي نزل بهم واعلموا ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقا ولا يقرب اجلا وعن جرير قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم يكون فيهم من يعمل بالمعاصي هم اعز منه وامنع لم يغيروا الا اصابهم الله منه بعقاب
رواه احمد وابو داود وفي روايته قبل ان يموتوا وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه
مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة
والبغضاء الى يوم القيمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين
ولو ان اهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو انهم اقاموا التورية و
الانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون

[illegible]

اخبر الله عن اليهود عليهم اللعنة بانهم وصفوا الله تعالى عن قولهم بانه بخيل كما وصفوه بانه فقير وهم اغنياء وعبروا عن البخل بقولهم يد الله مغلولة اي بخيلة لا ان يده موثقة قاله ابن عباس وقال عكرمة انها نزلت في فنحاص اليهودي لعنه الله وقد تقدم انه الذي قال ان الله فقير ونحن اغنياء فضربه ابو بكر الصديق رضي الله عنه وقال ابن عباس قال رجل من اليهود يقال له النباش بن قيس ان ربك بخيل لا ينفق فانزل الله هذه الآية ورد ما قالوه وقابلهم فيما افتروه وائتفكوه فقال غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا وهكذا وقع لهم فان عندهم من البخل والحسد والجبن والذلة ما لا يوصف ثم قال بل يداه مبسوطتان اي بل هو الواسع الفضل الجزيل العطاء الذي ما من شيء الا وعنده خزائنه وهو الذي خلق لنا كل شيء مما نحتاج اليه في ليلنا ونهارنا في جميع احوالنا كما قال وآتاكم من كل ما سألتموه الآية و في الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ارأيتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض ما في يمينه قال وعرشه على الماء وفي يده الاخرى الفيض يرفع ويخفض وقوله وليزيدن كثيرا منهم اي تكذيب يا محمد ما آتاك الله من النعمة نقمة في حق اعدائك من اليهود واشباههم فكما يزداد به المؤمنون تصديقا وعملا صالحا يزداد الكفرة الجاحدون لك طغيانا وهو المبالغة والمجاوزة للحد في الاشياء وكفرا اي تكذيبا وقوله والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة يعني انه لا يجتمع قلوبهم بل العداوة واقعة في فرقهم بعضهم في بعض دائما لانهم لا يجتمعون على حق وقد خالفوك وكذبوك وقال ابرهيم النخعي يعني الخصومات والجدال في الدين وقوله كلما اوقدوا نارا اي كلما عقدوا اسبابا يكيدونك بها وكلما ابرموا امرا يحاربونك بها يبطلها الله ويرد كيدهم عليهم ويسعون في الارض فسادا اي من سجيتهم انهم دائما يسعون في الافساد في الارض والله لا يحب من هذه صفته ثم قال ولو ان اهل الكتاب آمنوا اي لو انهم آمنوا بالله ورسوله واتقوا ما كانوا يتعاطونه من المحارم والمآثم لكفرنا عنهم سيئاتهم اي لازلنا عنهم المحذور ولحصلنا لهم المقصود وقوله ولو انهم اقاموا التورية قال ابن عباس وغيره يعني القرآن اي لو انهم عملوا بما في كتبهم كما هو حقه من غير تحريف ولا تبديل لقادهم ذلك الى اتباع الحق والعمل بمقتضى ما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم فان كتبهم ناطقة بتصديقه والامر باتباعه حتما لا محالة وقوله لاكلوا من فوقهم يعني بذلك كثرة الرزق النازل عليهم من السماء والنابت لهم من الارض وهذا معنى ما قال ابن عباس يعني لارسل السماء عليهم مدرارا ومن تحت ارجلهم يعني تخرج الارض بركاتها كما قال تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا الآية وقيل معناه لاكلوا ارزاقهم من غير كد ولا تعب ولا شقاء ولا عناء وعن زياد بن لبيد قال ذكر النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فقال وذاك عند ذهاب العلم قال يا رسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه ابناءنا ويقرئه ابناؤنا ابناءهم الى يوم القيمة قال ثكلتك امك ابن ام لبيد ان كنت لاراك من افقه رجل بالمدينة او ليس هذه اليهود والنصارى يقرؤن التورية والانجيل لا ينتفعون مما فيه بشيء رواه احمد وابن ماجه وقوله منهم امة مقتصدة هنا كقوله ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فجعل اعلى مقاماتهم الاقتصاد وهي اوسط مقامات هذه الامة والمراد مؤمنوا اهل الكتاب عبد الله بن سلام وامثاله مقتصدة اي عادلة غير غالية ولا مقصرة جافية وكثير منهم يعني كعب بن الاشرف واصحابه ساء ما يعملون اي بئس شيئا عملوه من العناد والكذب **يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين** خاطب الله رسوله عليه الصلوة والسلام باسم الرسالة وامره بابلاغ جميع ما ارسله به وقد امتثل ذلك وقام به اتم القيام كما قالت عائشة لمسروق من حدثك ان محمدا كتم شيئا مما انزل الله عليه فقد كذب وهو يقول يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك هكذا في الصحيحين وفيهما ايضا عنها انها قالت لو كان محمد صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا من القرآن لكتم هذه الآية وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وعن ابي جحيفة قال قلت لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن قال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا فهما

[illegible]

يعطيه الله رجلا في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت وما في هذه الصحيفة قال العقل وفكاك الاسير وان لا يقتل مسلم بكافر رواه البخاري قال الزهري من الله تعالى الرسالة وعلى رسوله البلاغ وعلينا التسليم وقد شهدت له الامة بابلاغ الرسالة واداء الامانة كما هو مبين في خطبته يوم حجة الوداع وان لم تفعل فما بلغت رسالته يعني وان لم تؤد الى الناس ما ارسلتك به فما بلغت رسالته اي وقد علم ما يترتب على ذلك لو وقع وقال ابن عباس يعني ان كتمت آية مما انزل اليك من ربك لم تبلغ رسالته وقوله والله يعصمك من الناس اي بلغ انت رسالتي وانا حافظك وناصرك ومؤيدك على اعدائك فلا تخف ولا تحزن فلن يصل احد اليك منهم بسوء يؤذيك وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول هذه الآية يحرس نفسه كما في الصحيحين عن عائشة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سهر ذات ليلة وهي الى جنبه قالت قلت ما شأنك يا رسول الله قال ليت رجلا صالحا من اصحابي يحرسني الليلة قالت فبينا انا على ذلك اذ سمعت صوت السلاح فقال من هذا قال انا سعد بن مالك فقال ما جاء بك قال جئت لاحرسك يا رسول الله قالت فسمعت غطيط رسول الله صلى الله عليه وسلم في نومه وكان ذلك في سنة اثنتين من الهجرة بعد دخوله بعائشة وعنها ايضا قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس قالت فاخرج النبي صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني الله رواه الترمذي ومن عصمة الله تعالى له عليه الصلوة والسلام حفظه من كفار مكة وصناديدها وحسادها ومعانديها مع شدة العداوة وقصدهم اهلاكه بنصرته في ابتداء الاسلام بعمه ابي طالب اذ كان رئيسا مطاعا كبيرا في قريش وخلق الله في قلبه محبة طبيعية له لا شرعية ولو كان اسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر هابوه واحترموه فلما مات ابو طالب نال منه المشركون اذى يسيرا ثم قيض الله له الانصار فبايعوه على الاسلام وعلى ان يتحول الى دارهم وهي المدينة فلما صار اليها حموه من الاحمر والاسود فكلما هم احد من المشركين واهل الكتاب كاده الله ورد كيده عليه وقوله ان الله لا يهدي القوم الكافرين اي بلغ انت والله هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء كما قال فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب **قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** اي قل يا محمد يا اهل الكتاب لستم على شيء من الدين حتى تقيموا التورية اي حتى تؤمنوا بجميع ما بايديكم من الكتب المنزلة على الانبياء وتعملوا بما فيها ومنه الامر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم والايمان ببعثته والاقتداء بشريعته ولهذا قال مجاهد وما انزل اليكم من ربكم يعني القرآن العظيم وقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا سبق تفسيره فلا تأس على القوم الكافرين اي فلا تحزن عليهم ولا يهمنك ذلك منهم ثم قال ان الذين آمنوا وهم المسلمون والذين هادوا وهم حملة التورية والصابئون وهم طائفة من النصارى والمجوس ليس لهم دين او بين اليهود والمجوس قاله مجاهد وقال قتادة هم قوم يعبدون الملئكة ويصلون الى غير القبلة ويقرؤن الزبور وقال وهب هم قوم يعرفون الله وحده وليس لهم شريعة يعملون بها ولم يحدثوا كفرا وقال ابو الزناد هم قوم مما يلي العراق وهم بكوثا وهم يؤمنون بالنبيين كلهم ويصومون كل سنة ثلثين يوما ويصلون الى اليمن كل يوم خمس صلوات وقيل غير ذلك واما النصارى فهم حملة الانجيل والمقصود ان كل فرقة آمنت بالله واليوم الآخر المعاد ويوم الجزاء وعملت عملا صالحا ولا يكون ذلك كذلك حتى يكون موافقا للشريعة المحمدية بعد ارساله الى جميع الثقلين فمن اتصف بذلك فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه ولا على ما تركوا وراء ظهورهم يحزنون وسبق الكلام على نظيرها في سورة البقرة **لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا الا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب**

اي تهودوا وتابوا من عبادة العجل

قال صاحب الكشاف والصابئون رفع على الابتداء و
خبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز ان من
اسمها وخبرها كانه قيل ان الذين آمنوا والذين
هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك
فان قلت قوله والصابئون معطوف لا بد له
من معطوف عليه فما هو قلت هو مع خبره
جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين آمنوا الى آخره
ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها فان قلت
ما التقديم والتأخير الا لفائدة فما فائدة هذا
التقديم قلت فائدته التنبيه على ان
الصابئين يتاب عليهم ان صح منهم الايمان و
العمل الصالح فما الظن بغيرهم وذلك ان الصابئين
ابين هؤلاء المعدودين ضلالا واشدهم غيا وما
سموا صابئين الا انهم صبأوا عن الاديان كلها
اي خرجوا انتهى كلامه

[illegible]

الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون ذكر الله تعالى انه اخذ العهود والمواثيق على بني اسرائيل على السمع
والطاعة لله ولرسوله فنقضوا تلك العهود والمواثيق واتبعوا آراءهم واهواءهم وقدموها على الشرائع فما وافقهم منها قبلوه وما خالفهم
ردوه ولهذا قال كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا اي ظنوا ان لا يترتب لهم شر على ما صنعوا
فترتب وهو انهم عموا عن الحق وصموا يعني بعد موسى عليه السلام فلا يسمعون خيرا ولا يهتدون اليه ثم تاب الله عليهم اي مما كانوا فيه ثم عموا اي
بعد ذلك وصموا كثير منهم اي بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والله بصير اي مطلع عليم وعليم بمن يستحق الهداية وبمن يستحق الغواية لقد كفر الذين قالوا
ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة و
ماواه النار وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان
لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم
ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام انظر كيف نبين
لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون قال تعالى حاكما بتكفير فرق النصارى من الملكية واليعقوبية والنسطورية ممن قال
منهم بان المسيح هو الله تعالى عن قولهم وتنزه وتقدس علوا كبيرا هذا وقد تقدم لديهم ان المسيح انه عبد الله ورسوله وكان اول كلمة نطق
وهو صغير في المهد ان قال اني عبد الله ولم يقل انا الله ولا ابن الله بل قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا الى ان قال وان
الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم وكذلك قال في حال كهولته ونبوته امرا لهم بعبادة الله ربه وربهم وحده لا شريك له ولهذا قال
تعالى وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله اي يعبد معه غيره فقد حرم الله عليه الجنة اي فقد اوجب
له النار وحرم عليه الجنة كما في غيره من الآيات وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مناديا ينادي في الناس ان الجنة لا
يدخلها الا نفس مسلمة وفي لفظ مؤمنة وقد سبق في اول سورة النساء تفسير نظيره وقوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة
الصحيح ان هذا قول النصارى خاصة قاله الاكثر ثم اختلفوا في ذلك فقيل المراد بذلك كفارهم في قولهم بالاقانيم الثلثه وهو اقنوم الاب
واقنوم الابن واقنوم الكلمة المنبثقة من الاب الى الابن تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وقال السدي وغيره نزلت في جعلهم المسيح وامه
الهين مع الله فجعلوا الله ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار كما في آخر السورة واذ قال الله يا عيسى بن مريم الآية وهذا القول هو الاظهر قال الله وما
من اله الا اله واحد اي ليس متعددا بل هو وحده لا شريك له اله جميع الكائنات وسائر الموجودات ثم قال تعالى متوعدا لهم ومتهددا
وان لم ينتهوا عما يقولون اي من هذا الافتراء والبهتان ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم اي في الآخرة من الاغلال والنكال ثم
قال افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم وهذا من كرمه وجوده ولطفه ورحمته بخلقه مع هذا الذنب العظيم حيث يدعوهم الى التوبة فمن تاب اليه
تاب عليه ثم قال ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل اي لا مزية له على سائر المرسلين المتقدمين فانه عبد من عباد الله و
رسول من رسله الكرام كما قال ان هو الا عبد انعمنا عليه وقوله وامه صديقة اي مؤمنة مصدقة له وهذا اعلى مقاماتها فدلت
على انها ليست بنبية كما زعمه ابن حزم وغيره ممن ذهب الى نبوة سارة ام اسحق ونبوة ام موسى ونبوة مريم ام عيسى استدلالا منهم بخطاب
الملائكة لسارة ومريم وبقوله واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه قالوا وهذا معنى النبوة والذي عليه الجمهور ان الله لم يبعث نبيا الا من
الرجال قال الله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم من اهل القرى وقد حكى الشيخ ابو الحسن الاشعري الاجماع على ذلك وقوله كانا
ياكلان الطعام اي يحتاجان الى التغذية به والى خروجه منهما فهما عبدان كسائر الناس وليسا بالهين كما زعمت فرق النصارى الجهلة
عليهم اللعنة قال تعالى انظر كيف نبين لهم الآيات اي نظهرها ثم انظر انى يؤفكون اي ثم انظر بعد هذا البيان والوضوح والجلاء اين

وباي قول يتمسكون وكيف يصرفون عن الحق قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع
العليم قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا
عن سواء السبيل لقد انكر الله على من عبد غيره من الاصنام والانداد والاوثان وبين انها لا تستحق شيئا من الالهية فقال قل اي
يا محمد لهؤلاء العابدين غير الله اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا اي لا يقدر على ايصال ضر اليكم ولا ايجاد نفع والله هو السميع
العليم اي فلم عدلتم عن ارادة السميع لاقوال عباده العليم بكل شيء الى عبادة جماد لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئا ولا يملك ضرا ولا نفعا لغيره و
لا لنفسه ثم قال قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم اي لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ولا تطروا من امرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى
تخرجوه عن حيز النبوة الى مقام الالهية كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الانبياء فجعلتموه الها من دون الله وما ذاك الا لاقتدائكم بشيوخ
الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديما واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل اي وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال الى طريق
الغواية والضلال والاهواء جمع هوى وهو ما يدعو اليه شهوة النفس لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود و
عيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى
كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون
ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون اخبر الله انه لعن الكافرين
من بني اسرائيل من دهر طويل فيما انزله على نبيه داود عليه السلام وعلى لسان عيسى بن مريم بسبب عصيانهم لله وعلى اعتدائهم على خلقه
قال ابن عباس لعنوا في الكتب الثلثه وفي القرآن ثم بين حالهم فيما كانوا يعتمدونه في زمانهم فقال كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اي كان
لا ينهى احد منهم احدا عن ارتكاب الماثم والمحارم ثم ذمهم على ذلك ليحذر ان يركب مثل ما ارتكبوا فقال لبئس ما كانوا يفعلون وفي مسند
احمد عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم
في مجالسهم واسواقهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما
عصوا وكانوا يعتدون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا فجلس فقال لا والذي نفسي بيده حتى تاطروهم على الحق اطرا رواه الترمذي
وابن ماجه وابو داود نحوه وزاد ثم قال كلا والله لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتاخذن على يدي الظالم ولتاطرنه
على الحق اطرا او تقصرنه على الحق قصرا وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لتامرن بالمعروف ولتنهون
عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم رواه الترمذي وعن عدي بن عميرة قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروه
فلا ينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة رواه احمد وقوله ترى كثيرا منهم اي المنافقين وقوله لبئس ما قدمت لهم انفسهم
يعني بذلك موالاتهم للكافرين وتركهم موالاة المؤمنين التي اعقبتهم نفاقا في قلوبهم واسخطت الله عليهم سخطا مستمرا الى يوم معادهم
ولهذا قال ان سخط الله عليهم ثم اخبر عنهم انهم في العذاب خالدون الى يوم القيامة ثم قال تعالى ولو كانوا يؤمنون بالله اي لو آمنوا حق الايمان
بالله والرسول والقرآن لما ارتكبوا ما ارتكبوه من موالاة الكافرين في الباطن ومعاداة المؤمنين بالله والنبي وما انزل اليه يعني القرآن
ولكن كثيرا منهم فاسقون اي خارجون عن طاعة الله ورسوله مخالفون لآيات وحيه وتنزيله لتجدن اشد الناس عداوة
للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك
بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع

تما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم قال ابن عباس نزلت هذه الآيات في النجاشي واصحابه الذين حين تلا عليهم جعفر بن ابي طالب بالحبشة القرآن بكوا حتى اخضلوا لحاهم وقيل نزلت هذه الآية مرتبة وقصته جعفر مع النجاشي قبل الهجرة وقال سعيد بن جبير وغيره نزلت في وفد بعثهم النجاشي الى النبي صلى الله عليه وسلم ليسمعوا كلامه ويروا صفاته فلما قرأ عليهم النبي صلى الله عليه وسلم القرآن اسلموا وبكوا وخشعوا ورجعوا الى النجاشي فاخبروه قيل كانوا اثني عشر رجلا سبعة قساقسة وخمسة رهابين وقيل ثمانون وقيل اكثر من ذلك والله اعلم بقوله لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا انما ذاك لان كفر اليهود عناد وجحود ومباهتة للحق وغمط للناس وتنقص بحملة العلم ولهذا قتلوا كثيرا من الانبياء حتى هموا بقتل نبينا صلى الله عليه وسلم غير مرة وسحروه والبوا عليه اشباههم من المشركين لعنهم الله وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلا يهودي بمسلم قط الا هم بقتله رواه ابن مردويه وقوله ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى اي الذين زعموا انهم نصارى من اتباع عيسى المسيح وعلى منهاج انجيله فيهم مودة للاسلام واهله في الجملة وذلك لما في قلوبهم من الرقة والرأفة كما قال تعالى وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة وفي كتابهم من ضربك على خدك الايمن فادر له خدك الايسر وليس القتال مشروعة في ملتهم ولهذا قال تعالى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا اي يوجد فيهم القسيسون وهم خطباؤهم وعلماؤهم واحدهم قسيس وقس ايضا وقد يجمع على قسوس والرهبان جمع راهب وهو العابد مشتق من الرهبة وهي الخوف كراكب وركبان قال ابن جرير وقد يكون الرهبان واحدا وجمعه رهابين مثل قربان وقرابين وقد يجمع على رهابنة ومن الدليل على انه واحد قول الشاعر لو عاينت رهبان دير في القلل لانحدر الرهبان يمشي ونزل قال سلمان وسئل عن قوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا قال قرأت على النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بان منهم قسيسين فاقرأني ذلك بان منهم صديقين ورهبانا وانهم لا يستكبرون تضمن وصفهم بان فيهم العلم والعبادة والتواضع ثم وصفهم بالانقياد للحق واتباعه والانصاف فقال واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق اي مما عندهم من البشارة ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وقوله مع الشاهدين اي مع من يشهد بصحة هذا ويؤمن به وعن ابن الزبير انه قال نزلت هذه الآية في النجاشي واصحابه كما سبق وقال ابن عباس في قوله فاكتبنا مع الشاهدين اي مع محمد وامته وهم الشاهدون يشهدون لنبيهم انه قد بلغ وللرسل انهم قد بلغوا قال الحاكم صحيح وعن ابن عباس ايضا انهم كانوا ملاحين اي ملاحين قدموا مع جعفر بن ابي طالب من الحبشة فلما قرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن آمنوا وفاضت اعينهم فقال لهم لعلكم اذا رجعتم الى ارضكم انتقلتم الى دينكم فقالوا لن ننتقل عن ديننا فانزل الله من قولهم وما لنا لا نؤمن بالله الآية رواه الطبراني والمراد بالصالحين امة محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا قال فاثابهم الله بما قالوا اي جازاهم على ايمانهم وتصديقهم واعترافهم بالحق جنات تجري من تحتها الانهار خالدين اي ماكثين فيها ابدا لا يحولون ولا يزولون وذلك جزاء المحسنين اي في اتباعهم الحق وانقيادهم له حيث كان واين كان ثم اخبر عن حال الاشقياء فقال والذين كفروا وكذبوا اي جحدوا باياتنا وخالفوها اولئك اصحاب الجحيم اي هم اهلها والداخلون اليها يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون قال ابن عباس نزلت هذه الآية في رهط من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا نقطع مذاكيرنا ونترك شهوات الدنيا ونسيح في الارض كما تفعل الرهبان فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليهم فذكر لهم ذلك فقالوا نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكني اصوم وافطر واصلي وانام وانكح النساء فمن اخذ بسنتي فهو مني ومن لم يأخذ بسنتي فليس مني رواه ابن ابي حاتم وفي الصحيحين عن عائشة ان ناسا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا ازواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر فقال بعضهم لا آكل اللحم وقال بعضهم لا اتزوج النساء وقال بعضهم لا انام على فراش فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما بال اقوام يقول احدهم كذا وكذا لكني اصوم وافطر وانام واقوم واكل اللحم واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني والمراد بالطيبات اللذات التي تشتهيها النفوس مما احل الله لنا من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة ولا تعتدوا اي لا تجاوزوا الحد ولا تبالغوا في التضييق على انفسكم في تحريم المباحات عليكم وقيل اي كما لا تحرموا الحلال فلا تعتدوا في تناول الحلال ولا تسرفوا فيه بل خذوا منه بقدر كفايتكم وحاجتكم ولا تجاوزوا الحد فيه كما قال كلوا واشربوا ولا تسرفوا فشرع الله عدل بين الغالي فيه والجافي عنه لا افراط ولا تفريط ولهذا قال ان الله لا يحب المعتدين وقال كلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي في حال كونه حلالا طيبا للغذاء واتقوا الله اي في جميع اموركم واتبعوا طاعته ورضوانه واتركوا مخالفته وعصيانه حتى تكمل ايمانكم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون قد سبق في سورة البقرة الكلام على لغو اليمين وانه قول الانسان من غير قصد اليمين لا والله وبلى والله وهذا مذهب الشافعي وقيل هو في الهزل وقيل في المعصية وقيل على غلبة الظن وهو قول ابي حنيفة واحمد وغير ذلك والصحيح الاول بدليل قوله ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان اي بما صممتم عليه من الايمان وقصدتموها فكفارته اطعام عشرة مساكين اي محاويج من الفقراء ومن لا يجد ما يكفيه وقوله من اوسط ما تطعمون اهليكم اي من اعدل ما تطعمون اهليكم وقيل من امثله وقيل من عسرهم ويسرهم وقيل في القلة والكثرة مقدار ما يغديهم ويعشيهم وقيل لكل واحد من العشرة نصف صاع من البر او التمر ونحوه وقال ابن عمر الخبز والسمن والخبز والزيت والخبز والتمر ومن افضل ما تطعمون الخبز واللحم وعن ابن عباس قال مدا من بر يعني لكل مسكين ومعه ادامه وبه قال اكثر السلف وقال الشافعي الواجب في كفارة اليمين مد بمد النبي صلى الله عليه وسلم لكل مسكين ولم يتعرض للادام واحتج بامر النبي صلى الله عليه وسلم الذي جامع في رمضان بان يطعم ستين مسكينا من مكتل وسع خمسة عشر صاعا لكل واحد منهم مد وقوله او كسوتهم قال الشافعي لو دفع الى كل واحد من العشرة ما يصدق عليه اسم الكسوة من قميص او سراويل او ازار او عمامة او مقنعة اجزأه ذلك واختلف في القلنسوة هل تجزئ ام لا فيه وجهان الاجزاء لانه يطلق عليه الكسوة وعدمه وهكذا حكى ابو حامد الاسفرايني في الخف وجهين والصحيح عدم الاجزاء وقوله او تحرير رقبة اخذ ابو حنيفة باطلاقها فقال تجزئ الكافرة كما تجزئ المؤمنة وقال الشافعي وآخرون لا بد ان تكون مؤمنة حملا هنا المطلق على المقيد في كفارة القتل لاتحاد الموجب وان اختلف السبب ولما في الموطأ ان معاوية بن الحكم ذكر انه كان عليه رقبة وجاء معه بجارية سوداء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها اين الله قالت في السماء قال من انا قالت انت رسول الله قال اعتقها فانها مؤمنة رواه مسلم فهذه خصال ثلاث في كفارة اليمين ايا فعل الحانث اجزأه عنه بالاجماع فبدأ بالاسهل فالاسهل فالاطعام فالاطعام اسهل وايسر من الكسوة كما ان الكسوة ايسر من العتق وترقى فيها من الادنى الى الاعلى فان لم يقدر المكلف على واحدة من هذه الخصال الثلاث كفر بصيام ثلاثة ايام كما قال فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام وهو الذي لا يفضل عن قوته وقوت عياله في يومه ذلك ما يخرج به كفارة اليمين والمنصوص عن الشافعي انه لا يجب التتابع وعليه مالك لاطلاق الامر وهي صادقة على المجموعة والمفرقة كما في قضاء رمضان وقالت الحنفية بوجوبها وعليه احمد وهو قول قديم للشافعي وقد روي عن ابي بن كعب وابن مسعود

واصحابه انهم كانوا يقرؤونها فصيام ثلثة ايام متتابعات فهذه وان لم تثبت كونها قرآنا متواترا فلا اقل ان يكون خبرا واحدا و
تفسيرا من الصحابي فهو في حكم المرفوع وقوله ذلك كفارة ايمانكم اي هذه هي كفارة اليمين الشرعية فاحفظوا ايمانكم اي لا تتركوها
بغير تكفير كذلك يبين الله لكم آياته اي يوضحها ويفسرها لعلكم تشكرون يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب
والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة و
البغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون واطيعوا الله واطيعوا الرسول
واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح
فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين
يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن تعاطي الخمر والميسر وهو القمار وقال علي بن ابي طالب الشطرنج من الميسر وعن السلف كل
شيء من القمار فهو من الميسر حتى الكعاب والجوز والبيض التي تلعب بها الصبيان وعن ابن المسيب قال من ميسر اهل الجاهلية
بيع اللحم بالشاة وعن ابي موسى مرفوعا اجتنبوا هذه الكعاب الموسومة التي يزجر بها زجرا فانها من الميسر والمراد به النرد كما
ورد في صحيح مسلم عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعب بالنردشير فكانما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه واما
الشطرنج فنص على تحريمه مالك وابو حنيفة واحمد وكرهه الشافعي رحمهم الله واما الانصاب فقال ابن عباس واتباعه هي حجارة
كانوا يذبحون قرابينهم عندها واما الازلام فقالوا انها هي قداح كانوا يستقسمون بها وقوله رجس من عمل الشيطان اي شر واثم
وسخط من تزيينه فاجتنبوه الضمير عائد الى الرجس اي اتركوه لعلكم تفلحون ثم قال تعالى انما يريد الشيطان الآية هذا تهديد
وترهيب والعداوة في الخمر ان الشاربين اذا سكروا تداعوا او تشاجروا كما فعل الانصاري الذي شج سعد بن ابي وقاص
بلحي الجمل واما العداوة في الميسر فمادته كان الرجل يقامر على الاهل والمال ثم يبقى حزينا مسلوب المال والاهل مغتاظا على
حريفه والصد المنع وقوله منتهون اي انتهوا وقوله واحذروا اي المحارم والمناهي والتولي الاعراض عن الانقياد و
قد ورد في شان الخمر احاديث كثيرة منها عن ابي هريرة قال حرمت الخمر ثلاث مرات قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فانزل الله يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم
كبير ومنافع للناس الى آخر الآية فقال لم تحرم علينا انما قال فيهما اثم كبير وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوما من الايام صلى رجل
من المهاجرين ام اصحابه في المغرب خلط في قراءته فانزل الله آية اغلظ منها يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى
حتى تعلموا ما تقولون وكان الناس يشربون حتى ياتي احدهم الصلوة وهو مغبوق ثم نزلت آية اغلظ من ذلك يا ايها الذين آمنوا
انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون قالوا انتهينا ربنا وقال الناس يا رسول الله
ناس قتلوا في سبيل الله وماتوا على فرشهم كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر وقد جعله الله رجسا من عمل الشيطان فانزل الله تعالى
ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الى آخر الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو حرم عليهم لتركوه كما تركتم رواه
احمد وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب انه قال في خطبته على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نزل تحريم الخمر وهي من الخمسة من
العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر ما خامر العقل وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنت الخمر على
عشرة وجوه لعنت الخمر بعينها وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه و
آكل ثمنها رواه احمد وابو داود وابن ماجه وعن انس ان ابا طلحة سال النبي صلى الله عليه وسلم عن ايتام في حجره ورثوا خمرا قال

اذا حلفتم

اي اذا حلفتم وحنثتم ترك ذكر الحنث لوقوع العلم بان الكفارة انما تجب بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف

اي لكي تخلصوا باجتنابه عن خباثة الرجس ونجاسته والفتنة وعقابه

خمر يعني حرام بالاتفاق حرام است اندک وبسيار آن ونجس است وخورنده آن حد واجب كند [illegible]

اهرقها

اهرقها قال افلا اجعلها خلا قال لا رواه مسلم وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر لم يقبل الله له صلوة اربعين
صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله له صلوة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله له صلوة اربعين
صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد في الرابعة لم يقبل الله له صلوة اربعين صباحا فان تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال
رواه الترمذي ورواه النسائي والدارمي وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو وفي الصحيحين عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة عاق ولا منان
ولا مدمن خمر رواه احمد والنسائي نحوه وقوله اذا ما اتقوا اي الشرك وآمنوا اي وصدقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات ثم اتقوا
اي الخمر والميسر بعد تحريمها وداوموا على ذلك التقوى وآمنوا اي ازدادوا تصديقا ثم اتقوا اي ما حرم الله عليهم كله وبلغوا الاحسان
تاكيدا فان كل محسن متقي يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم ليعلم الله من
يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله
منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك
صياما ليذوق وبال امره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام احل لكم صيد البحر
وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون قال ابن عباس
هو الضعيف من الصيد وصغيره يبتلي الله به عباده في احرامهم حتى لو شاؤوا تناولوه بايديهم فنهاهم الله ان يقربوه وقال مجاهد يعني
صغار الصيد وفراخه ورماحكم يعني كباره وقال مقاتل بن حيان نزلت هذه الآية في الحديبية فكانت الوحش والطير والصيد
يغشاهم في رحالهم لم يروا مثله قط فيما خلا فنهاهم الله عن قتله وهم محرمون ليعلم الله من يخافه بالغيب يعني انه تعالى يبتليهم بالصيد
يغشاهم في رحالهم يتمكنون من اخذه بالايدي وبالرماح سرا وجهرا لتظهر طاعة من يطيع في سره وجهره وقوله فمن اعتدى بعد ذلك
قال السدي وغيره يعني بعد هذا الاعلام والانذار والتقدم فله عذاب اليم اي لمخالفته امر الله وشرعه ثم قال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا
الصيد وانتم حرم هذا تحريم من الله لقتل الصيد في حال الاحرام ونهي عن تعاطيه فيه وهذا انما يتناول من حيث المعنى الماكول ولو ما تولد
منه ومن غيره واما غير الماكول من حيوانات البر فعند الشافعي يجوز للمحرم قتلها والجمهور على تحريم قتلها ايضا ولا يستثنى من ذلك الا ما ثبت
في الصحيحين عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الغراب والحداة والعقرب والفارة و
الكلب العقور وقيل لنافع فما رواه ابن عمر نحو ذلك فالحية قال الحية لا شك فيها ولا خلاف في قتلها وعند مالك واحمد ومن وافقهما
يلحق بالكلب العقور الذئب والسبع والنمر والفهد لانها اشد ضررا منه وقال سفيان بن عيينة وغيره الكلب العقور يشمل هذه السباع
العادية كلها والمراد بالغراب الابقع وغيره عموما قاله الجمهور وقوله ومن قتله منكم متعمدا قال مجاهد المراد بالمتعمد ههنا القاصد
الى قتل الصيد الناسي لاحرامه واما غير الناسي له فامره اعظم ان يكفر وعند الجمهور العامد والناسي سواء في وجوب الجزاء عليه لكن
كان العامد آثما لقوله ليذوق وبال امره فالمخطئ ملوم والمتعمد ماثوم وقوله فجزاء مثل ما قتل من النعم قرا بعضهم بالاضافة والآخرون
بقطعها وعلى كل من القرائتين دليل لما ذهب اليه مالك والشافعي واحمد والجمهور من وجوب الجزاء بمثل ما قتله المحرم اذا كان
له مثل من الحيوان الانسي خلافا لابي حنيفة حيث اوجب القيمة سواء كان المقتول مثليا او غيره قال وهو مخير ان شاء تصدق بثمنه و
ان شاء اشترى هديا والذي حكم به الصحابة في المثل اولى بالاتباع فانهم حكموا في النعامة ببدنة وفي بقرة الوحش ببقرة وفي الغزال
بعنز كما هو مبين في كتب الفقه وقوله يحكم به ذوا عدل منكم يعني انه يحكم بالجزاء في المثل او بالقيمة في غير المثل عدلان من المسلمين ولو كان

واحسنوا والله يحب المحسنين

غرق اهل النار وقيل عصارتهم

القايل احدهما على الصحيح لعموم الآية وقوله هديا بالغ الكعبة اي واصلا الى الكعبة والمراد وصوله الى الحرم ليذبح هناك ويفرق لحمه على مساكينه وقوله او كفارة اي اذا لم يجد المحرم مثل ما قتل من النعم او لم يكن الصيد المقتول من ذوات الامثال وقلنا بالتخيير كما سبق فيعدل ذلك الى القيمة فيقوم الصيد المقتول او مثله من النعم ثم يشتري به طعام ويتصدق به فيصرف الى كل مسكين مدا منه عند الشافعي ومالك وموافقيه وعند ابي حنيفة واصحابه كل مسكين مدين وقال احمد مد من الحنطة او مدان من غيره وان لم يجد او قلنا بالتخيير صام عن طعام كل مسكين يوما ومحل الاطعام الحرم قاله الشافعي وعند مالك المكان الذي اصاب فيه الصيد او اقرب الاماكن اليه وعند ابي حنيفة ان شاء اطعم في الحرم وان شاء اطعم في غيره قال ابن عباس اذا اصاب المحرم الصيد حكم بجزائه من النعم فان لم يجد نظر كم ثمنه ثم قوم ثمنه طعاما فصام مكان كل نصف صاع يوما قيل او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك قال انما اريد بالطعام الصيام انه اذا وجد الطعام وجد جزاءه وقوله ليذوق وبال امره اي اوجبنا عليه الكفارة ليذوق عقوبة فعله الذي ارتكب فيه المخالفة عفا الله عما سلف اي في زمان الجاهلية لمن احسن في الاسلام واتبع شرع الله ثم قال ومن عاد فينتقم الله منه اي من فعل ذلك بعد تحريمه في الاسلام وبلوغ الحكم الشرعي اليه فينتقم الله منه بالكفارة قاله ابن جبير وغيره والجمهور على انه متى قتل المحرم الصيد وجب الجزاء ولا فرق بين الاولة والثانية والثالثة وان تكررها تكرر سواء الخطا في ذلك والعمد والله عزيز ذو انتقام اي والله منيع في سلطانه لا يقهره قاهر ولا يمنعه من الانتقام والعقوبة مانع لان الخلق خلقه والامر امره له العزة والمنعة واما قوله ذو انتقام اي ذو معاقبة لمن عصاه وقوله احل لكم صيد البحر قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه وكثير من الصحابة والتابعين صيده ما اخذ منه حيا وطعامه ما لفظه ميتا وقيل طعامه ما تزود منه مليحا يابسا وعليه ابن عباس وقيل طعامه كل ما فيه ما لفظه من ميتة وقوله متاعا لكم وللسيارة اي منفعة وقوتا لكم والسيارة جمع سيار وهو المسافر في البحر وقيل الطري منه ما اصطيد وطعام ما مات فيه او ملح وقدد زادا للمسافرين والنائين عن البحر قاله ابن عباس وجماعة وقد استدلوا على حل ميتة البحر بهذه الآية وبما في الصحيحين والموطا عن جابر قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا قبل الساحل فامر عليهم ابا عبيدة بن الجراح وهم ثلثمائة قال وانا فيهم قال فخرجنا حتى اذا كنا ببعض الطريق فني الزاد فامر ابو عبيدة بازواد ذلك الجيش فجمع ذلك كله فكان مزودي تمر قال فكان يقوتنا كل يوم قليلا قليلا حتى فني فلم يكن يصيبنا الا تمرة تمرة فقيل ما يغني عنكم تمرة فقال لقد وجدنا فقدها حين فنيت قال ثم انتهينا الى البحر فاذا حوت مثل الظرب فاكل منه ذلك الجيش ثماني عشرة ليلة ثم امر ابو عبيدة بضلعين من اضلاعه فنصبا ثم امر براحلة فرحلت ومرت تحتهما فلم يصبهما وفي رواية لمسلم عن جابر فاذا على ساحل البحر مثل الكثيب الضخم فاتيناه فاذا دابة يقال لها العنبر قال قال ابو عبيدة ميتة ثم قال لا نحن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اضطررتم فكلوا قال فاقمنا عليه شهرا ونحن ثلثمائة حتى سمنا ولقد رايتنا نغترف من وقب عينه بالقلال الدهن ونقتطع منه الفدر كالثور قال ولقد اخذ منا ابو عبيدة ثلثة عشر رجلا فاقعدهم في وقب عينه واخذ ضلعا من اضلاعه فاقامها ثم رحل اعظم بعير معنا فمر تحته وتزودنا من لحمه وشائق فلما قدمنا المدينة اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له فقال هو رزق اخرجه الله لكم هل معكم من لحمه شيء تطعمونا فارسلنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فاكله وعن ابي هريرة قال سال رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فان توضانا به عطشنا افنتوضا بماء البحر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الطهور ماؤه الحل ميتته رواه مالك والشافعي واصحاب السنن وصححه البخاري وعن ابي هريرة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حج او عمرة فاستقبلنا رجل جراد فجعلنا نضربهن بعصينا وسياطنا فنقتلهن فاسقط في ايدينا فقلنا

او كفارة ما لنبوي تقديره او عليه بدل الجزاء كفارة وهي الطعام

ومن فتح العين وكسرها والفرق بينهما ان عدل الشي بالفتح ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدل الشي بالكسر ما عدل به في المقدار ومنه عدلا الحمل لان كل واحد منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا وذلك اشارة الى الطعام والصيام المميز للعدل والمراد ان العادل في جزاء الصيد مخير بين ان يذبح المثل من النعم فيتصدق بلحمه على مساكين الحرم وبين ان يقوم المثل دراهم والدراهم طعاما فيتصدق الطعام على مساكين الحرم او يصوم عن كل مد يوما وله ان يصوم حيث شاء لانه لا نفع فيه للمساكين

الغرب بالتحريك الغسل الابيض الغليظ

ما نصنع ونحن

١٣٦

ما نصنع ونحن محرمون فسالنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا باس صيد البحر رواه احمد وابو داود والجمهور على انه يوكل كل دواب البحر بلا استثناء وقيل لا يوكل الضفدع ويوكل ما سوى ذلك وقيل ما يوكل شبهه في البر اكل مثله في البحر وما لا فلا وهذا وجوه مذهب الشافعي وقال ابو حنيفة لا يوكل ما مات في البحر كما لا يوكل ما مات في البر لعموم قوله تعالى حرمت عليكم الميتة وما تقدم من حديث العنبر يخصصه وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احلت لنا ميتتان ودمان فاما الميتتان فالحوت والجراد واما الدمان فالكبد والطحال رواه احمد والشافعي وقوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما اي في حال احرامكم يحرم عليكم الاصطياد ففيه دلالة على تحريم ذلك فاذا اصطاد المحرم الصيد عمدا اثم وغرم او خطا غرم وحرم اكله لانه في حقه ميتة وكذا في حق غيره مطلقا على الاصح واما اذا اصطاد الحلال فان لم يقصد المحرم بالاصطياد ولا اعانه ولم يكن بدلالته فيجوز له الاكل منه والا فلا هذا نص مذهب الشافعي والاحاديث فيه مشهورة **جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** لما فرغ تعالى عن بيان احكام الصيد في الاحرام برا وبحرا شرع في بيان شان الكعبة وما يتعلق بها وانه عالم بالسرائر والضمائر مجاز للمطيعين والمعاندين بحسب استحقاقهم فقال جعل الله الكعبة قال مجاهد سمي البيت كعبة لتربيعها والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة وقيل لانفرادها من البناء وارتفاعها من الارض واصلها من الخروج والارتفاع ولهذا سمي الكعب كعبا لنتوه وخروجه عن جانبي القدم وسمي البيت الحرام لان الله حرمه وعظم حرمته كما في الحديث الصحيح ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وهو حرام كما سبق في سورة البقرة وقوله قياما للناس قرا ابن عامر قيما بغير الف وقرا الباقون بالالف اي قواما لهم في امور دينهم ودنيا لان به يقوم المناسك والحج ويجبى اليه من الثمرات كانوا يامنون فيه من النهب ولا يتعرض لهم احد في الحرم كما قال تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا الآية وجعل الشهر الحرام يعني الاشهر الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب قياما للناس يامنون فيه القتال وجعل الهدي والقلائد التي يجعل في عنقه شعار الذلك وقواما فيه وذلك لانه يعلم صلاح العباد كما يعلم ما في السموات وما في الارض ولهذا قال ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وقد سبق في هذه السورة الاخبار عن الغيوب والكشف عن الاسرار مثل قوله سماعون للكذب واخباره بتحريفهم الكتب فقال ما كنتا وان الله بكل شيء عليم ثم قال تحذيرا وتهديدا اعلموا ان الله شديد العقاب اي لمن يستحقه وان الله غفور رحيم اي لمن تاب وعمل صالحا ثم قال وما على الرسول الا البلاغ اي الا مبلغ الرسالة اليكم واما الاهتداء الى صراط الصواب الينا والله يعلم ما تبدون من الاستسلام وما تكتمون من النيات في الطويات **قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا اولي الالباب لعلكم تفلحون يا ايها الذين آمنوا لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسالوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم قد سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين** اي قل يا محمد لا يستوي الخبيث وهو الحرام والطيب وهو الحلال ولو اعجبك اي سرك ايها الانسان كثرة الخبيث فان القليل النافع من الحلال خير من الكثير الحرام كما جاء في الحديث ما قل وكفى خير مما كثر والهى وروي ان ثعلبة بن حاطب الانصاري قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه الصلوة والسلام قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه رواه الطبراني فاتقوا الله يا اولي الالباب يا ذوي العقول الصحيحة المستقيمة وتجنبوا الحرام ودعوه واقنعوا بالحلال واكتفوا به لعلكم تفلحون اي في الدارين ثم قال تعالى

والشهر الحرام

[illegible]

يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم هذا ادب للمؤمنين ونهي لهم ان يسألوا عن اشياء مما لا فائدة لهم في السؤال والتنقيش عنها لانها ان ظهرت لهم تلك الامور لا ساءتهم وشق عليهم سماعها عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه حتى احفوه بالمسئلة فخرج عليهم ذات يوم فصعد المنبر فقال لا تسألوني اليوم عن شيء الا بينته لكم فاشفق اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تكون بين يدي امر قد حضر قال فجعلت لا التفت يمينا ولا شمالا الا وجدت كلا لافا راسه في ثوبه يبكي فانشاء رجل كان اذا لاحي فيدعى الى غير ابيه فقال يا نبي الله من ابي قال ابوك حذافة قال ثم قام عمر او قال فانشاء عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا او قال اعوذ بالله من شر الفتن قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ار في الخير والشر كاليوم قط صورت لي الجنة والنار حتى رايتهما دون الحائط روى البخاري ومسلم نحوه وفي رواية فقالت ام عبدالله بن حذافة ما رايت ولدا اعق منك قط اكنت تامن ان تكون امك قد قارفت ما قارف اهل الجاهلية فتفضحها على رءس الناس فقال والله لو الحقني بعبد اسود للحقته وعن ابن عباس قال كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل من ابي ويقول الرجل اضل ناقته اين ناقتي فانزل الله هذه الآية يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء حتى فرغ من الآية كلها تفرد به البخاري وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه لا يبلغني احد عن احد شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر رواه ابو داود والترمذي وقوله وان تسألوا عنها اي وان تسألوا عن هذه الاشياء التي نهيتم عن السؤال عنها حين ينزل الوحي على الرسول تبين لكم وذلك على الله يسير ثم قال عفا الله عنها اي عما كان منكم قبل ذلك والله غفور حليم وقيل المراد بقوله وان تسألوا عنها اي لا تسألوا عن اشياء تستانفون السؤال عنها فلعله قد ينزل بسبب سؤالكم تشديد او تضييق وقد ورد في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم على الناس فحرم من اجل مسئلته ولكن اذا نزل القرآن بها مجملة فسألتم عن بيانها حينئذ بينت لكم لاحتياجكم اليها عفا الله عنها اي ما لم يذكره في كتابه فهو مما عفا عنه فاسكتوا انتم عنها كما سكت عنها وفي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ذروني ما تركتكم فانما اهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم وعن ابي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحرم حرمات فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وسكت عن اشياء عن غير نسيان فلا تبحثوا عنها وفي رواية رحمة بكم عن غير نسيان فلا تسألوا عنها رواه الدارقطني ثم قال تعالى قد سألها قوم من قبلكم اي سأل هذه المسائل المنهي عنها قوم من قبلكم فاجيبوا عنها ثم لم يؤمنوا بها فاصبحوا بها كافرين اي بسببها ان بينت لهم ولم ينتفعوا بها لانهم سألوا على وجه التعنت والعناد وقال ابن عباس لما نزلت آية الحج نادى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان الله قد كتب عليكم الحج فحجوا فقالوا يا رسول الله اعاما واحدا ام كل عام فقال لا بل عاما واحدا ولو قلت كل عام لوجبت ولو وجبت لكفرتم ثم قال الله تعالى لا تسألوا عن اشياء الى قوله ثم اصبحوا بها كافرين رواه ابن جرير ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون في الصحيحين عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها احد من الناس والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء قال فقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار وكان اول من سيب السوائب والوصيلة الناقة البكر في اول نتاج الابل ثم تثني بعد بانثى فكانوا يسيبونها لطواغيتهم ان وصلت احديهما بالاخرى ليس بينهما ذكر والحام فحل الابل يضرب الضراب المعدود فاذا قضى ضرابه

الاحفاء المبالغة في السؤال ٢

حين ينزل القرآن تبد لكم

قال القاضي معناه لا تسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء [illegible] ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها زمان الوحي تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمكم والعاقل لا يفعل ما يغمه ٢

من زائدة وجعل بمعنى سمى والمفعول الاول محذوف والتقدير ما سمى الله حيوانا بحيرة والبحيرة فعيلة بمعنى مفعولة من البحر وهو الشق وذلك ان اهل الجاهلية كانوا اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ولا تمنعوا عن ماء ولا مرعى

وقيل الوصيلة ما اذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهي لآلهتهم وان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم ٢

السائبة البعير الذي يسيب وذلك ان الرجل من اهل الجاهلية اذا مرض او غاب له قريب نذر فقال ان شفاني الله او شفي مريضي او رد غائبي فناقتي هذه سائبة [illegible]

التسبيب [illegible]

١٣٧

ويدعوه للطواغيت ويعفوه عن الحمل فلم يحمل عليه شيء وسموا الحامي وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ورأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار وهو اول من سيب السوائب رواه البخاري وتكلم المفسرون في البحيرة وما عطف عليها بعبارات ووجوه اخر وحاصل ذلك راجع الى ما سبق والله اعلم وقوله ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب اي ما شرع الله هذه الاشياء ولا هي عنده قربة ولكن المشركين افتروا ذلك وجعلوه شرعا لهم وقربة يتقربون بها اليه وليس ذلك الا وبالا عليهم وقوله واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله اي اذا دعوا الى دين الله وشرعه وما اوجبه وترك ما حرمه قالوا يكفينا ما وجدنا عليه الآباء والاجداد من الطرائق والمسالك فقال تعالى اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا اي لا يفهمون حقا ولا يهتدون اليه فكيف يتبعونهم والحالة هذه لا يتبعهم الا من هو اجهل منهم واضل سبيلا يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون امر الله عباده المؤمنين ان يصلحوا انفسهم ويفعلوا الخير بجهدهم وطاقتهم مخبرا لهم انه من صلح امره لا يضره فساد من فسد من الناس سواء كان قريبا منه او بعيدا قال ابن عباس يقول الله تعالى اذا ما العبد اطاعني فيما امرته به من الحلال والحرام فلا يضره من ضل بعد ما عمل بما امرته به وقوله انفسكم نصب على الاغراء وليس في الآية دليل على ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا كان فعل ذلك ممكنا فان المعنى يجازي كل عامل بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر عن قيس بن ابي حازم قال قام ابو بكر الصديق رضي الله عنه فحمد الله واثنى عليه وقال يا ايها الناس انكم تقرءون هذه الآية يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم الآية وانكم تضعونها على غير موضعها واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الناس اذا راوا المنكر ولا يغيرونه اوشك الله ان يعمهم بعقابه رواه احمد واصحاب السنن الاربعة ورواه كثيرون هكذا مرفوعا ورجحه الدارقطني وغيره وعن ابي ثعلبة الخشني في قوله تعالى عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال اما والله لقد سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي راي برايه ورايت امرا لا بد لك منه فعليك نفسك ودع امر العوام فان وراءكم ايام الصبر فمن صبر فيهن قبض على الجمر للعامل فيهن اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله قالوا يا رسول الله اجر خمسين منهم قال اجر خمسين منكم رواه الترمذي وابن ماجه وقال ابن مسعود في هذه الآية مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فان رد عليكم فعليكم انفسكم ثم قال ان القرآن نزل منه آي قد مضى تاويلهن قبل ان ينزلن ومنه آي وقع تاويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه آي وقع تاويلهن بعد النبي صلى الله عليه وسلم بيسير ومنه آي يقع تاويلهن في آخر الزمان ومنه آي يقع تاويلهن يوم القيمة ما ذكر من الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم واهواءكم واحدة ولم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم باس بعض فامروا ٢ نفسه فعند ذلك جاء تاويل هذه الآية رواه ابن جرير وقال مجاهد وسعيد بن جبير الآية في اليهود والنصارى يعني عليكم انفسكم لا يضركم من ضل من اهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم وقوله جميعا اي الضال والمهتدي يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم او آخران من غيركم ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين فان عثر على انهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين عن ابن عباس وغيره ان هذه الآية على حكم عزيز وهي منسوخة وقال الاكثرون بل هي محكمة وعلى مدعي النسخ البيان فقوله شهادة

الواو للحال ودخلت عليها همزة الانكار [illegible]

قوله مؤثرة منقول من الايثار وهو الاختيار يعني يختار الناس الدنيا على الآخرة ويحرصون على جمع المال [illegible]

[illegible]

بينكم مبتدأ واثنان خبره وقيل اي شهادة اثنين فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل دل الكلام على تقدير ان يشهد اثنان ذوا عدل صفة الاثنين وقوله منكم اي من المسلمين قاله الجمهور وقيل منكم اي من حي الموصي وقوله او آخران من غيركم قال ابن عباس اي من اهل الكتاب وعليه الجمهور وقيل منكم اي من قبيلة الموصي ومن غيركم اي من غير قبيلة الموصي وقوله ان انتم ضربتم في الارض اي سافرتم فاصابتكم مصيبة الموت هذان شرطان لجواز استشهاد الذميين عند فقد المؤمنين ان يكون ذلك في سفر وان يكون في وصية كما صرح به شريح القاضي انه لا يجوز شهادة اليهودي والنصراني الا في سفر ولا تجوز في سفر الا في وصية وعليه احمد وقال الثلاثة لا تجوز شهادة اهل الذمة على المسلمين واجازها ابو حنيفة فيما بين بعضهم بعضا وقال الزهري مضت السنة ان لا تجوز شهادة كافر في حضر ولا سفر انما هي في المسلمين وقال ابن جرير اختلفوا هل المراد ان يوصي اليهما او يشهدهما على قولين احدهما ان يوصي اليهما كما قال ابن مسعود هذا رجل سافر ومعه مال فادركه قدره فان وجد رجلين من المسلمين دفع اليهما تركته واشهد عليهما عدلين من المسلمين والثاني انهما يكونان شاهدين وهو ظاهر سياق الآية فان لم يكن وصي ثالث معهما اجتمع فيهما الوصفان الوصاية والشهادة كما في قصة تميم الداري وعدي بن بداء كما سياتي وقد استشكل ابن جرير كونهما شاهدين قال لانا لا نعلم حكما يحلف فيه الشاهد وهذا لا يمنع الحكم الذي تضمنته هذه الآية وهو حكم مستقل بنفسه لا يلزم ان يكون جاريا على قياس جميع الاحكام بل هو حكم خاص بشهادة خاصة في محل خاص وقد اغتفر فيه ما لم يغتفر في غيره فاذا قامت قرائن الريب حلف الشاهد بمقتضى ما دلت عليه هذه الآية وقوله تعالى تحبسونهما من بعد الصلوة قال الاكثر يعني صلوة العصر وقيل صلوة المسلمين وقيل صلوة اهل دينهما والمراد ان يقام هذان الشاهدان بعد صلوة اجتمع الناس فيها بحضرتهم فيقسمان اي يحلفان بالله ان ارتبتم اي ان ظهرت لكم منهما ريبة انهما قد خانا او غلا فيحلفان حينئذ بالله لا نشتري اي بايماننا ثمنا قليلا اي لا نعتاض عنه بعوض قليل من الدنيا الفانية ولو كان ذا قربى اي ولو كان المشهود عليه او له قريبا منا لا نحابيه ولا نكتم شهادة الله اضافها الى الله تشريفا لها وقرأ بعضهم ولا نكتم شهادةٍ الله مجرور على القسم وقرأ بعضهم ولا نكتم شهادةً بالنصب والتنوين والله بالنصب ايضا والمشهور الاول انا اذا لمن الآثمين اي ان فعلنا شيئا من ذلك من تحريف الشهادة او تبديلها وتغييرها او كتمها بالكلية ثم قال تعالى فان عثر على انهما استحقا اثما اي فان اشتهر وظهر من الشاهدين الوصيين انهما خانا او غلا شيئا من المال الموصى به اليهما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم قراءة الجمهور بضم التاء يعني الذين استحق عليهم اي فيهم ولاجلهم الاثم وهم ورثة الميت استحق الحالفان بسببهم الاثم وفي حفص استحق بالفتح اي حق ووجب عليهم الاثم يقال حق واستحق بمعنى واحد والاوليان صفة آخران على انهما في المعنى معرفة والاوليان تثنية الاولى وهي الاقرب وقرئ بالجمع على انها بدل من الذين والمراد منهما اولياء الميت اي اذا ظهرت خيانة الخائنين يقوم اثنان آخران من اقارب الميت فيقسمان وقوله وما اعتدينا اي فيما قلنا فيهما من الخيانة انا اذا لمن الظالمين اي ان كنا قد كذبنا عليهما وهذا التحليف للورثة والرجوع الى قولهما والحالة هذه كما يحلف اولياء المقتول في القسامة وقد وردت السنة بمثل ما دلت عليه الآية عن ابن عباس عن تميم الداري في هذه الآية يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت قال برئ الناس منها غيري وغير عدي بن بداء وكانا نصرانيين يختلفان الى الشام قبل الاسلام فاتيا الشام لتجارتهما وقدم عليهما مولى لبني سهم يقال له بديل بن ابي مريم بتجارة معه جام من فضة يريد به الملك وهو عظم تجارته فمرض فاوصى اليهما وامرهما ان يبلغا ما ترك اهله قال تميم فلما مات اخذنا ذلك الجام فبعناه بالف درهم ثم اقتسمناه انا وعدي بن بداء فلما قدمنا الى اهله دفعنا اليهم ما كان معنا وفقدوا الجام فسالونا عنه فقلنا ما ترك غير هذا وما دفع الينا غيره قال تميم فلما اسلمت بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة تاثمت من ذلك فاتيت اهله فاخبرتهم الخبر وادبت اليهم خمسمائة درهم واخبرتهم ان عند صاحبي مثلها فوثبوا اليه فامرهم ان يستحلفوه بما يعظم به اهل دينه فحلف فانزل الله يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم الى قوله فيقسمان

بالله فقام عمرو بن العاص ورجل آخر فحلفا فنزعت الخمسمائة من عدي بن بداء هكذا رواه الترمذي وابن جرير وابن ابي حاتم وعن محمد بن اسحق وذكره وعنده فاتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالهم البينة فلم يجدوا فامرهم ان يستحلفوه بما يعظم به على اهل دينه فحلف فانزل الله يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم الى قوله بعد ايمانهم فقام عمرو بن العاص ورجل آخر فحلفا فنزعت الخمسمائة من عدي بن بداء قال الترمذي هذا حديث غريب وذكروا ان التحليف بعد صلوة العصر ومن هذه القصة في الصحيح ما رواه ابن جرير باسناده عن الشعبي ان رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا هذه قال ولم يجد احدا من المسلمين يشهد على وصيته فاشهد رجلين من اهل الكتاب قال فقدما الكوفة فاتيا ابا موسى الاشعري رضي الله عنه فاخبراه وقدما بتركته ووصيته فقال الاشعري هذا امر لم يكن بعد الذي كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم قال فاحلفهما بعد العصر ما خانا ولا كذبا ولا كتما ولا بدلا ولا غيرا وانها لوصية الرجل وتركته قال فامضى شهادتهما فقوله هذا امر لم يكن بعد الذي كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم اراد به قصة تميم الداري وعدي بن بداء وقد ذكروا ان اسلام تميم الداري كان سنة تسع من الهجرة فكان هذا الحكم متاخرا فعلى مدعي النسخ البيان والاثبات والله اعلم وقوله ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة اي شرعية هذا الحكم على هذا الوجه من تحليف الشاهدين اذا كانا ذميين واستريب بهما اقرب الى اقامتهما الشهادة على الوجه المرضي وقوله او يخافوا ان ترد ايمان اي يكون الحامل لهم على الاتيان بالشهادة على وجهها هو تعظيم الحلف بالله ومراعاة جانبه واجلاله او الخوف من الفضيحة بين الناس اذا ردت اليمين على الورثة فيحلفون ويستحقون ما يدعون ولهذا قال او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم ثم قال واتقوا الله اي في جميع اموركم واسمعوا اي واطيعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين اي الخارجين عن طاعته ومتابعة شريعته يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب هذا اخبار عما يخاطب الله به المرسلين يوم القيمة وعما اجيبوا عن اممهم الذين ارسلهم اليهم كما قال تعالى فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين وانما قول الرسل لا علم لنا من هول ذلك اليوم وفزعه قال السدي لانهم نزلوا منزلا ذهلت فيه العقول فلما سئلوا قالوا لا علم لنا ثم نزلوا منزلا آخر فشهدوا على قومهم وعن ابن جريج ماذا اجبتم اي ماذا عملوا بعدكم وماذا احدثوا قالوا لا علم لنا وقال ابن عباس يقولون للرب تعالى لا علم لنا الا علم انت اعلم به منا وهذا احسن ما قيل فيه فانه من باب التادب مع الرب اي لا علم لنا بالنسبة الى علمك المحيط بكل شيء فنحن وان كنا قد اجبنا وعرفنا من اجابنا ولكن منهم من كنا انما اطلعنا على ظاهره ولا علم لنا بباطنه وانت العليم بكل شيء المطلع على كل شيء فعلمنا بالنسبة الى علمك كلا علم فانك انت علام الغيوب اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون لقد ذكر الله تعالى ما امتن به على عبده ورسوله عيسى ابن مريم مما اجراه على يديه من المعجزات فقال اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك اي من خلقي اياك من ام بلا ذكر وجعلي اياك آية ودلالة قاطعة على كمال قدرتي على الاشياء وعلى والدتك حيث جعلتك لها برهانا على براءتها مما نسبها الجاهلون الظالمون اليه من الفاحشة اذ ايدتك بروح القدس وهو جبريل عليه السلام وجعلتك نبيا داعيا الى الله في صغرك وكبرك فانطقتك في المهد صغيرا فشهدت ببراءة امك من كل عيب واعترفت لي بالعبودية واخبرت عن رسالتي اياك ودعوت الى عبادتي ولهذا قال تكلم الناس اي تدعو الناس الى الله في صغرك وكبرك وتضمن تكلم تدعو لان كلامه الناس في كهولته ليس بامر عجيب وقوله واذ علمتك الكتاب اي الخط والفهم والتوراة وقد

اذا حضر احدكم الموت
حين الوصية اثنان
ذوا عدل
اي ذوو امانة
وعقل ودين
ط
قضت

عند عامة المفسرين لان اهل جميع الاديان
كانوا يعظمون ذلك الوقت ويجتنبون
فيه الحلف الكاذب ولانه وقت
اجتماع الناس وتقادم ملئكة الليل
وملئكة النهار ٥

فآخران اي فشاهدان آخران يقومان
مقامهما من الذين استحق عليهم الاثم وهم
من الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته
وفي القصة بدليل انه لما ظهرت خيانة الرجلين
حلف رجلان من ورثته انه اناء صاحبهما
بالله لشهادتنا احق من شهادتهما
اي يميننا احق
واصدق من يمينهما
واولى بان تقبل

على وجهها
حاملة لها
او يخافوا اي اقرب الى ان يخافوا ان ترد
ايمان على اولياء الميت بعد ايمان
الاوصياء فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم
فيفتضحوا

ماذا اجبتم منصوب باجبتم انتصاب مصدره
يعني اي اجابة اجبتم او باي شيء اجبتم
بحذف الجار والمعنى ما الذي رد عليكم قومكم
حين دعوتموهم الى توحيدي وطاعتي

القدس هو الله تعالى كانه اضافه الى نفسه
تعظيما له وتكريما او بالكلام الذي يحيى
به الدين واضافه الى القدس لانه سبب
الطهر من اوضار الاوثان واضداد
الآثام

كان طفلا
اي تكلم في المهد وكهلا
بمعنى تكلمهم في الحالين من غير ان
تفاوت كلامك في حين الطفولة
وحين الكهولة الذي هو وقت
كمال العقل وبلوغ الاشد

يرد لفظ التوريه في بعض الاحاديث ويراد بها ما هو اعم من ذلك وقوله واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني اي تصوره وتشكله على هيئة الطائر باذني لك في ذلك فتنفخ فيها فتكون طيرا ذا روح تطير باذن الله وقوله وتبرئ الاكمه والابرص سبق تفسيره في سورة آل عمران وقوله واذ تخرج الموتى اي تدعوهم فيقومون من قبورهم باذن الله وقدرته وعن ابي الهذيل قال كان عيسى اذا اراد ان يحيي الموتى صلى ركعتين يقرا في الاولى تبارك الذي بيده الملك وفي الثانية الم تنزيل السجدة فاذا فرغ منهما مدح الله واثنى عليه ثم دعا بسبعة اسماء يا قديم يا خفي يا دائم يا فرد يا وتر يا احد يا صمد وكان اذا اصابته شدة دعا بسبعة اسماء اخر يا حي يا قيوم يا الله يا رحمن يا رحيم يا ذا الجلال والاكرام يا نور السموات والارض وما بينهما ورب العرش العظيم يا رب رواه ابن ابي حاتم وهذا اثر عجيب جدا ولعل هذا على تقدير الصحة كان بلسان العبري ومعناه وكلامه وهو شبه بما قال آدم لموسى عليهما السلام في قصة احتجاجهما عند ربهما فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى ولا شك ان ذلك كان بعبارة التوريه لا بلغة العرب والله اعلم وقوله واذ كففت بني اسرائيل عنك اي اذكر نعمتي عليك في كفي اياهم عنك حين جئتهم بالبراهين والحجج القاطعة على نبوتك ورسالتك من الله اليهم فكذبوك واتهموك بانك ساحر وسعوا في قتلك وصلبك فنجيتك منهم ورفعتك الي وطهرتك من دنسهم وكفيتك شرهم وهذا يدل على ان هذا الامتنان من الله اليه كان بعد ان رفعه الى السماء الدنيا او يكون هذا واقعا يوم القيمة وعبر عنه بصيغة الماضي دلالة على وقوعه لا محالة وهذا من اسرار الغيوب التي اطلع الله عليها رسوله محمدا عليه الصلوة والسلام وقوله واذ اوحيت الى الحواريين هذا ايضا من الامتنان عليه بان جعل له اصحابا وانصارا والمراد به وحي الالهام كما قال واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه وقوله قالوا آمنا بالله واشهد اي يا الله او يا رسول الله بانا مسلمون اي الهموا ذلك وامتثلوا لما الهموا وقال السدي قذف الله ذلك في قلوبهم ويحتمل ان يكون المعنى اوحيت الى الحواريين بواسطتك فدعوتهم الى الايمان بالله ورسوله فاستجابوا لك وانقادوا فقالوا آمنا واشهد بانا مسلمون

اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وانت خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين

سميت هذه السورة مائدة لاجل هذه القصة وهي مما امتن الله به على عبده ورسوله عيسى عليه السلام فيما اجاب دعاءه بنزولها فانزلها آية ودلالة ومعجزة ظاهرة وحجة قاطعة وذكر بعض الائمة ان قصة المائدة ليست مذكورة في الانجيل وما عرفها النصارى الا من المسلمين والله اعلم قوله تعالى اذ قال الحواريون هم اتباع عيسى عليه السلم يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك هذه قراءة كثيرين وقرا آخرون هل تستطيع ربك بتاء الخطاب ونصب باء ربك هكذا قرا علي وعائشة وابن عباس ومجاهد اي هل تستطيع ان تسال ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء وهي الخوان عليه طعام وذكر بعضهم انهم انما سالوا ذلك لا لحاجتهم وفقرهم فسالوا ان ينزل عليهم مائدة كل يوم يقتاتون منها ويتقوون على العبادة فاجابهم المسيح بقوله اتقوا الله ولا تسالوا هذا فعساه ان يكون فتنة لكم وتوكلوا على الله في طلب الرزق ان كنتم مؤمنين قالوا نريد ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا اذا شاهدنا نزولها رزقا من السماء ونعلم ان قد صدقتنا اي ونزداد ايمانا بك وعلما برسالتك ونكون عليها من الشاهدين اي ونشهد انها آية من عند الله ودلالة وحجة على نبوتك وصدق ما جئت به قال عيسى اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك اي نتخذ ذلك اليوم الذي نزلت فيه عيدا نعظمه نحن ومن بعدنا وقال سفين الثوري يعني يوما نصلي فيه وقال قتادة ارادوا ان يكون لعقبهم من بعدهم وعن سلمان عظة لنا ولمن بعدنا وقيل كافية لاولنا وآخرنا وآية منك اي دليلا تنصبه على قدرتك على الاشياء

آي آمنوا بي وبرسولي ان مصدرة او المفسرة

اللهم اصله يا الله فحذف حرف النداء وعوض عنه الميم المشددة ربنا نداء ثان

قدرة سبحانه
روبارزوباد
نعمت بانفس
علم الشاهد
استدلال
العلم الالهي
كمال القدرة
كمال العلم بقدرة
كامل وكذلك
اورا بر دلائل
افزاد وقوة و
ارداد العلب
بسببها طمانينه
دعا اجابتك

قال الله مجيبا لعيسى عليه السلام [illegible]

وعلى اجابتك دعوتي فيصدقوني فيما ابلغه عنك وارزقنا اي من عندك رزقا هنيئا بلا كلفة ولا تعب وانت خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم اي فمن كذب بها من امتك يا عيسى وعاندها فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين اي من عالمي زمانكم قال عبد الله بن عمرو ان اشد الناس عذابا يوم القيمة ثلثة المنافقون ومن كفر من اصحاب المائدة وآل فرعون وقصة نزول المائدة عن ابن عباس انه كان يحدث عن عيسى بن مريم انه قال لبني اسرائيل هل لكم ان تصوموا لله ثلثين يوما ثم تسالوه فيعطيكم ما سالتم فان اجر العامل على من عمل له ففعلوا فقالوا يا معلم الخير قلت لنا ان اجر العامل على من عمل له وامرتنا ان نصوم ثلثين يوما ففعلنا ولم نكن نعمل لاحد ثلثين يوما الا اطعمنا حين نفرغ طعاما فهل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال عيسى اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد ان ناكل منها الى قوله من العالمين قال فاقبلت الملئكة تطير بمائدة من السماء عليها سبعة احوات وسبعة ارغفة حتى وضعتها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل منها اولهم كذا رواه ابن جرير وعن عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت المائدة من السماء خبز ولحم فامروا ان لا يخونوا ولا يرفعوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا فمسخوا قردة وخنازير رواه ابن ابي حاتم وابن جرير وعن عمار ايضا نزلت المائدة وعليها ثمر من ثمار الجنة وامروا الا آخره وعن ابن عباس نزلت المائدة خوان عليه خبز وسمك ياكلون منه اينما نزلوا اذا شاؤا وقال مجاهد هو طعام كان ينزل عليهم حيث نزلوا وقال وهب بن منبه ينزل عليهم في كل يوم في تلك المائدة من ثمار الجنة فاكلوا ما شاؤا من ضروب شتى فكان يقعد عليها اربعة آلاف فاذا اكلوا انزل الله مكان ذلك لمثلهم فلبثوا على ذلك ما شاء الله وقال عكرمة وخبز المائدة من الارز وقال سلمان الخير في قصتها الطويلة كانت سفرة عليها سمكة ضخمة مشوية ليس عليها فلوس وليس في جوفها شوك تسيل السمن منها سيلا قد نضد حولها بقول من كل صنف غير الكراث وعند راسها خل وعند ذنبها ملح وحول البقول خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الآخر تمرات وعلى الآخر خمس رمانات وعلى الآخر سمن وعلى الآخر قديد والاية دالة على ان المائدة نزلت على بني اسرائيل ايام عيسى عليه السلام اجابة من الله لدعوته وعن مجاهد وغيره ان المائدة لم تنزل بل هو مثل ضرب وقال الحسن لما قيل لهم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين قالوا لا حاجة لنا فيها فلم تنزل وتقوى قولهما ان خبر المائدة لا يعرفه النصارى وليس هو في كتابهم ولو كان قد نزلت لكان ذلك مما يتوفر الدواعي على نقله وكان موجودا في كتابهم والذي عليه الجمهور انها نزلت وهو اختيار ابن جرير قال لانه تعالى اخبر بنزولها بقوله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين ووعد الله ووعيده حق وصدق والله اعلم

واذ قال الله يا عيسى بن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك علام الغيوب ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم

اي واذ يقول تعالى يوم القيمة بحضرة من اتخذه وامه الهين من دون الله ءانت قلت للناس كذا وهذا تهديد للنصارى وتقريع على رؤس الاشهاد هكذا قال قتادة مستدلا بقوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقال السدي هذا الخطاب والجواب في الدنيا قال ابن جرير وهذا هو الصواب وكان ذلك حين رفعه الى السماء الدنيا والاظهر ما قاله قتادة من ان يكون ذلك يوم القيمة توبيخا للنصارى وتقريعا لهم ويؤيد ذلك ما رواه ابن عساكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيمة دعي الله بالانبياء واممهم ثم يدعى بعيسى فيذكره الله نعمته عليه فيقر بها كما سبق ثم يقول ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فينكر ان يكون قال ذلك فيؤتى

قال عطاء بن ابي رباح عن سلمان الفارسي لما سال الحواريون المائدة لبس عيسى عليه السلم صوفا وبكى وقال اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السما فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوي منقضة حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلم وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة واليهود ينظرون الى شي لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحا اطيب من ريحه فقال عيسى عليه السلم ليقم احسنكم عملا فليكشف عنها ويذكر اسم الله تعالى فقال شمعون الصفا راس الحواريين انت اولى بذلك يا نبي الله فقام عيسى عليه السلم فتوضا وصلى صلوة طويلة وبكى كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو سمكة مشوية ليس عليها فلوسها ولا شوك عليها تسيل من الدسم وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا هذا ام من طعام الآخرة فقال ليس شي مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكنه شي افتعله الله تعالى بالقدرة الغالبة كلوا مما سالتم واشكروا الله تعالى يمددكم ويزدكم من فضله قالوا يا روح الله كن اول من ياكل منها فقال عيسى عليه السلم معاذ الله ان آكل منها ولكن ياكل منها من سالها فدعا اهل الفاقة والمرض واهل البرص والجذام والمقعدين وقال كلوا من رزق الله ولكم الهناء ولغيركم البلاء فاكلوا وصدروا عنها الف وثلثمائة رجل وامراة من فقير ومريض وزمن ومبتلى كلهم شبعان واذا السمكة كهيئتها حين نزلت ثم طارت المائدة صعدا وهم ينظرون اليها حتى توارت فلم ياكل منها زمن ولا مريض ولا مبتلى الا عوفي ولا فقير الا استغنى وندم من لم ياكل منها فلبث اربعين صباحا تنزل ضحى فاذا نزلت اجتمع الاغنياء والفقراء والضعفاء والصغار والكبار والرجال والنساء ولا تزال منصوبة يؤكل منها حتى اذا فاء الفيء طارت [illegible]

الخطاب وان كان ظاهره عاما [illegible] لكن كان حديثهم [illegible] وقال ان لا تكلم الكفار ولا تنظر اليهم [illegible]

عن ابي هريرة رضي الله عنه قلنا يا رسول الله مما خلق الله الخلق قال من الماء قلنا اخبرنا عن بناء الجنة قال لبنة
من ذهب و لبنة من فضة و ملاطها المسك الاذفر ترابها الزعفران حصاها اللولو و اليواقيت من يدخلها ينعم
و لا يبوس و يخلد و لا يموت و لا تبلى ثيابه و لا يفنى شبابه   و عن صهيب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه و سلم
قال اذا دخل اهل الجنة الجنة و اهل النار النار نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه فيقولون
ما هو الم يثقل موازيننا الم يبيض وجوهنا و ادخلنا الجنة و انجانا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه والذي
نفسي بيده ما اعطاهم شيئا احب اليهم من النظر اليهم فينظرون اليه و الذي نفسي بيده ما اعطاهم شيئا احب اليهم من
النظر اليه   و روي انه صلى الله عليه و سلم قال ان الله تعالى يقول اطعموا اوليائي فيؤتى بالوان الاطعمة فيجدون
لكل لقمة عنها يجدون للاخرى فاذا فرغوا من الطعام يقول الله عز و جل اسقوا عبادي فيؤتى باشربة فيجدون لكل شربة
لذة بخلاف الاخرى فاذا فرغوا يقول لهم انا ربكم قد صدقتكم وعدي فسلوني اعطكم قالوا ربنا نسالك رضوانك مرتين
او ثلاثا فيقول قد رضيت عنكم و لدي المزيد و اليوم اكرمكم بكرامة اعظم من ذلك كله فيكشف الحجاب فينظرون اليه
كما شاء الله تعالى فيخرون له سجدا فيكونون في السجود ما شاء الله تعالى ثم يقول لهم ارفعوا رؤوسكم ليس هنا موضع عبادة
فينسون كل نعمة كانوا فيها و يكون النظر اليه احب اليهم من جميع النعم   روى الاحاديث ابو الليث السمرقندي في تنبيه الغافلين

يا النصارى فيسالون فيقولون نعم هو امرنا بذلك قال فيطول شعر عيسى حتى ياخذ كل ملك من الملائكة بشعرة من شعر راسه و جسده فيجاثيهم
بين يدي الله مقدار الف عام حتى يوقع عليهم الحجة و يرفع لهم الصليب و ينطلق بهم الى النار هذا حديث غريب عزيز قال سبحانك ما يكون
لي ان اقول ما ليس لي بحق هذا من كمال الادب كما روي عن ابي هريرة قال يلقى عيسى حجته و لقاه الله في قوله و اذ قال الله يا عيسى الى اخره
قال عن النبي صلى الله عليه و سلم فلقاه الله سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق و قوله ان كنت قلته اي ان كان صدر مني هذا فقد
علمته فانه لا يخفى عليك شيء مما قلته و لا اردته في نفسي و لا اضمرته و لهذا قال تعلم ما في نفسي اي مما دعوتهم الا الى الذي ارسلتني به و امرتني
بابلاغه ان اعبدوا الله ربي و ربكم اي هذا هو الذي قلت لهم قال الزجاج النفس عبارة عن جملة الشيء و حقيقته يقول تعلم جميع ما اعلم من
حقيقة امري و لا اعلم حقيقة امرك و كنت عليهم شهيدا اي كنت اشهد على اعمالهم حين كنت بين اظهرهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم
اي فلما قبضتني و رفعتني الى السماء كنت انت الحفيظ عليهم تحفظ اعمالهم و في الصحيحين عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه و
سلم فقال يا ايها الناس انكم محشورون حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين و اول من يكسى يوم القيامة ابراهيم الا و
و ان ناسا من اصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فاقول اصحابي اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك انهم لن يزالوا مرتدين على
اعقابهم منذ فارقتهم فاقول كما قال العبد الصالح و كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم الى قوله العزيز الحكيم و قوله ان تعذبهم فانهم عبادك
هذا الكلام تضمن رد المشية الى الله تعالى فانه الفعال لما يشاء و التبري من النصارى الذين كذبوا على الله و على رسوله و جعلوا لله ندا و صاحبة
و ولدا تعالى الله عن ذلك و قد ورد في الحديث انه عليه الصلوة و السلام قام بهذه الاية ليلة حتى الصباح يرددها عن ابي ذر قال صلى رسول الله
صلى الله عليه و سلم ليلة يقرا باية حتى اصبح يركع بها و يسجد بها ان تعذبهم فانهم عبادك و ان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فلما اصبح قلت
يا رسول الله ما زلت تقرا بهذه الاية حتى اصبحت تركع بها و تسجد بها قال اني سالت ربي عز و جل الشفاعة لامتي فاعطانيها و هي نائلة ان شاء الله
لمن لا يشرك بالله شيئا رواه احمد و عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه و سلم تلا قول عيسى بن مريم ان تعذبهم فانهم عبادك
و ان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فرفع يديه فقال اللهم امتي امتي و بكى فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد و ربك اعلم فسله
ما يبكيك فاتاه جبريل فساله فاخبره رسول الله صلى الله عليه و سلم بما قال فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل انا سنرضيك في امتك
و لا نسوءك رواه مسلم **قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين**
فيها ابدا رضي الله عنهم و رضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك السموات و الارض و ما فيهن و هو على
كل شيء قدير هذا جواب لعيسى بن مريم فيما انهى اليه من التبري من النصارى و من رد المشية فيهم الى ربه تعالى فقال هذا يوم ينفع
الصادقين صدقهم قال ابن عباس اي ينفع الموحدين توحيدهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا اي ماكثين
فيها لا يحولون و لا يزولون رضي الله عنهم كما قال تعالى و رضوان من الله اكبر عن نبي قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم يتجلى
لهم الرب فيقول سلوني اعطكم قال فيسالونه الرضا فيقول رضاي احلكم داري و انالكم كرامتي فسلوني اعطكم فيسالونه
الرضا قال فيشهدهم انه قد رضي عنهم رواه ابن ابي حاتم و قوله ذلك الفوز العظيم اي هذا هو الفوز العظيم الكبير الذي لا اعظم منه
كما قال لمثل هذا فليعمل العاملون و قوله و لله ملك السموات و الارض اي هو الخالق للاشياء المالك لها المتصرف فيها القادر عليها فالجميع
ملكه و تحت قهره و قدرته و في مشيته فلا نظير له و لا وزير و لا عديل و لا رب سواه و لا اله غيره ∴ اخر الربع الاول من كتاب البدر المنير
المختصر من تفسير ابن كثير و يتلوه الثاني ان شاء الله سورة الانعام و لله الحمد اولا و اخرا و باطنا و ظاهرا و صلى الله على خير خلقه محمد المصطفى
و على اله و صحبه الاكرمين ∴ و الحمد لله على تمام هذا الربع في يوم الثلثا اول ايام العشرين من ذي حجة حجة تسع عشر و ثمانمائة على يدي كاتبه صاحبه
محمد بن شيخ ابراهيم بن محمود الحافظ احسن الله عواقبه امين
و غفر له و لوالديه

تعلم ما اخفيته في نفسي كما تعلم ما
اعلنته و لا اعلم ما تخفيه من
معلوماتك قال علي بن موسى
الرضا عن ابيه جعفر قال تعلم
كيفيتي و لا اعلم كيفيتك و لا
كيف لك

التوفي في القرآن على ثلثة
معان بمعنى قبض الروح كما
قال عز و علا الله يتوفى الانفس
حين موتها تتوفاهم الملائكة قل يتوفاكم ملك
الموت و بمعنى قبض الذهن في النوم كقوله
تعالى و هو الذي يتوفيكم بالليل
و هو ان تقبض من الانفس الذهن الذي
تعقل به الاشياء و يترك فيه الروح و الحيوة
فهو يتقلب بالروح الذي فيه و يرى الرؤيا
بالذهن الذي قبض منه و بمعنى الرفع كما
قال تعالى اني متوفيك و كما حكى عن عيسى
فلما توفيتني

بسم الله الرحمن الرحيم عونك يا كريم

تفسير سورة الانعام وهي مكية

قال ابن عباس نزلت سورة الانعام بمكة جملة حولها سبعون الف ملك يجأرون حولها بالتسبيح وعن ابن مسعود نحوه وعن جابر قال لما نزلت سورة الانعام سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الافق قال الحاكم صحيح على شرط مسلم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سبحان الله العظيم سبحان الله العظيم رواه ابن مردويه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموت والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون وهو الله في السموت وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون لقد مدح الله نفسه الكريمة وحمدها على خلقه السموات والارض قرارا للعباد وجعل الظلمات والنور منفعة لهم في ليلهم ونهارهم وجمع لفظ الظلمات ووحد لفظ النور لشرفه لكونه اشرف كما قال عن اليمين والشمائل سبحانه وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون اي ومع هذا كله كفر به بعض عباده وجعلوا معه شركا وعدلا واتخذوا له صاحبة وولدا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقوله هو الذي خلقكم من طين يعني اباهم ادم الذي هو اصلهم ومنه خرجوا فانتشروا في المشارق والمغارب وقوله ثم قضى اجلا يعني الموت واجل مسمى يعني الاخرة هكذا عن الاكثر وقال الحسن ثم قضى اجلا ما بين ان يخلق الى ان يموت واجل مسمى عنده ما بين ان يموت الى ان يبعث وهو يرجع الى ما تقدم وهو تقدير الاجل الخاص وهو عمر كل انسان انسان وتقدير الاجل العام وهو عمر الدنيا بكمالها ثم انتهائها وانقضائها وزوالها والمصير الى الدار البقاء وعن مجاهد قضى اجلا يعني عمر الدنيا واجل مسمى عنده يعني عمر الانسان الى حين موته وهذا تلميح الى قوله تعالى وهو الذي يتوفيكم بالليل الآية وعنده اي لا يعلمه الا هو وقوله ثم انتم تمترون قال السدي وغيره يعني تشكون في امر الساعة وقوله وهو الله في السموات وفي الارض اختلفوا في تفسيره على اقوال بعد الاتفاق على تخطئة قول الجهمية الاول القائلين بانه تعالى عن قولهم علوا كبيرا في كل مكان حيث حملوا هذه الآية على ذلك واصح الاقوال انه المدعو الله في السموات وفي الارض اي يعبده ويوحده ويقر له بالالهية كل من في السموات ومن في الارض ويسمونه الله ويدعونه رغبا ورهبا الا من كفر من الجن والانس وهذه الآية على هذا القول كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله اي هو اله من في السماء واله من في الارض وعلى هذا فيكون قوله يعلم سركم وجهركم خبرا او حالا والقول الثاني ان المراد انه الله الذي يعلم ما في السموات وما في الارض من سر وجهر فيكون قوله يعلم متعلقا بقوله في السموات وفي الارض تقديره وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الارض ويعلم ما تكسبون والقول الثالث ان قوله وهو الله في السموات وقف تام ثم استانف الخبر فقال وفي الارض يعلم سركم وجهركم وهذا اختيار ابن جرير وقوله ويعلم ما تكسبون اي جميع اعمالكم خيرها وشرها وما تاتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا من بعدهم قرنا اخرين اخبر تعالى عن المشركين المعاندين انهم مهما اتتهم من آية اي دلالة ومعجزة وحجة على وحدانيته تعالى وصدق رسله فانهم يعرضون عنها ولا ينظرون فيها ولا يبالون بها قال تعالى فقد كذبوا بالحق لما جاءهم

فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون

فهذا تهديد لهم ووعيد شديد على تكذيبهم بالحق بانه لا بد ان ياتيهم خبر ما هم فيه من التكذيب وليجدن نكاله وليذوقن وباله ثم قال محذرا لهم ان يصيبهم من العذاب الدنيوي ما حل باشباههم ونظرائهم من القرون السالفة الذين كانوا اشد قوة واكثر جمعا واكثر اموالا واولادا واستغلالا للارض وعمارة لها فقال الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي من الاموال والاولاد والاعمار والجاه العريض والسعة والجنود والقرن الجماعة من الناس والمراد الامم الماضية وقيل المدة من الزمان وارسلنا السماء اي المطر مدرارا اي متتابعا في اوقات الحاجات وجعلنا الانهار تجري من تحتهم اي اكثرنا عليهم امطار السماء وينابيع الارض اي استدراجا واملاء لهم فاهلكناهم بذنوبهم اي بخطاياهم وسيئاتهم التي اجترموها وانشانا من بعدهم قرنا آخرين اي فذهب الاولون كامس الذاهب وخلقنا جيلا اخر لنختبرهم فعملوا مثل عملهم فهلكوا كهلاكهم فاحذروا ايها المخاطبون ان يصيبكم ما اصابهم فما انتم باعز على الله منهم والرسول الذي كذبتموه اعز على الله منهم ومن رسلهم فانتم اولى بالعذاب ومعاجلة العقاب منهم لولا لطفه واحسانه ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا اخبار عن كفر المشركين ومكابرتهم للحق ومباهتتهم فيه بقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم اي وعاينوه وراوا نزوله وباشروا ذلك لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وهذا كما قال تعالى مخبرا عن مكابرتهم في المحسوسات ولو فتحنا عليهم بابا من السماء الآية وقال وقالوا لولا انزل عليه ملك اي يكون معه نذيرا قال الله تعالى ولو انزلنا ملكا اي لو نزلت الملائكة على ما هم عليه لجاءهم من الله العذاب كما قال تعالى ما ننزل الملائكة الا بالحق وقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي لو انزلنا مع الرسول البشري ملكا او لو بعثنا الى البشر رسولا ملكيا على هيئة الرجل ليمكنهم مخاطبته والانتفاع بالاخذ عنه ولو كان كذلك لالتبس عليهم الامر كما يلبسون على انفسهم في قبول الرسالة البشرية من رحمته تعالى بخلقه انه ارسل الى كل صنف من الخلائق رسلا منهم ليدعو بعضهم بعضا وليمكن بعضهم ان ينتفع ببعض في المخاطبة والسؤال كما قال تعالى لقد من الله على المؤمنين الآية قال ابن عباس لو اتاهم ملك ما اتاهم الا في صورة رجل لانهم لا يستطيعون النظر الى الملائكة وللبسنا اي ولخلطنا عليهم ما يخلطون او لشبهنا عليهم وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك هذا تسلية لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه ووعد له وللمؤمنين بالنصرة والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة ثم قال قل سيروا في الارض ثم انظروا اي تفكروا في انفسكم وانظروا ما احل الله بالقرون الماضية الذين كذبوا رسلهم وعاندوهم بالعذاب والعقوبة في الدنيا مع ما ادخر لهم في الآخرة من العذاب الاليم وكيف نجى رسله وعباده المؤمنين قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموت والارض وهو يطعم ولا يطعم قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين اخبر تعالى انه مالك السموات والارض ومن فيهن وانه كتب على ذاته المقدسة الرحمة كما ثبت في الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لما خلق الخلق كتب كتابا عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي وقوله ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه هذه لام الموطئة للقسم فاقسم بنفسه

قوله وهو القاهر فوق عباده منتهى القهر منع الغير عن بلوغ المراد
معناه وهو القاهر فوق عباده هو موصوف بالقهر والغلبة والقدرة التامة
البالغة والعباد هم الملائكة والجن والانس جميعا فكلهم مقهورون مغلوبون
تحت قهره وقدرته مسخرون تحت مشيئته وارادته معزولون
عن استقلالهم لشيء دون مشيئته وارادته ؟

قوله قل اي شيء اكبر شهادة الشيء اعم العام لوقوعه على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والحادث
والاجسام والاعراض والمحال والمستقيم ولذلك صح ان يقال في الله عز وجل شيء لا كالاشياء كانك
قلت معلوم لا كالمعلومات ولم يجوز ان يقال جسم كالاجسام واراد قل اي شهيد اكبر شهادة فوضع
شيئا مقام شهيد ليبالغ بالتعميم قال الكلبي اتى اهل مكة رسول الله صلعم فقالوا ارنا من يشهد انك
رسول الله فانا لا نرى احدا يصدقك ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك ذكر
في كتابهم فانزل قل اي شيء اكبر شهادة قل الله اي الله اكبر شهادة وتم الكلام عند قوله قل الله
ثم ابتدأ شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد بيني وبينكم يشهد لي بالحق والصدق وعليكم بالباطل والكذب

ليجمعن عباده لميقات يوم معلوم وهو يوم القيمة الذي لا شك فيه وعن ابن عباس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقوف
بين يدي رب العالمين هل فيه ماء قال والذي نفسي بيده ان فيه لماء ان اولياء الله ليردون حياض الانبياء ويبعث الله سبعين
الف ملك في ايديهم عصي من نار يذودون الكفار عن حياض الانبياء هذا حديث غريب رواه ابن مردويه وفي الترمذي انه عليه الصلوة
والسلام قال ان لكل نبي حوضا وانهم يتباهون ايهم اكثر واردة ثم قال تعالى وله ما سكن في الليل والنهار اي كل دابة في السموات
والارض الجميع عباده وخلقه وتحت تصرفه وتدبيره وهو السميع لاقوال العباد العليم بحركاتهم وضمائرهم وسرائرهم ثم قال لرسوله
محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعثه بالتوحيد قل اغير الله اتخذ وليا اي ربا ومعبودا وناصرا كما قال قل اغير الله تأمروني اعبد ايها
الجاهلون اي لا اتخذ وليا الا الله وحده لا شريك له خالق السموات والارض ومبدعهما على غير مثال سبق وهو يطعم ولا يطعم يعني هو الرازق
لخلقه من غير احتياج اليهم كما قال تعالى وقرأ بعضهم ولا يطعم معروفا اي لا ياكل وفي الحديث ان رجلا من الانصار دعا النبي صلى الله
عليه وسلم لطعام فلما طعم النبي صلى الله عليه وسلم وغسل يديه قال الحمد لله الذي يطعم ولا يطعم ومن علينا فاطعمنا وسقانا قل اني
امرت ان اكون اول من اسلم اي من هذه الامة والمراد الاستسلام لامر الله وقيل اي اخلص ولا تكونن من المشركين ويوم العظيم هو يوم
القيمة من يصرف عنه يعني العذاب يومئذ فقد رحمه اي الله وذلك الفوز المبين اي النجاة البينة والفوز حصول الربح ونفي الخسار

قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم

الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون

وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وهو القاهر فوق
عباده وهو الحكيم الخبير قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الي هذا القران لانذركم
به ومن بلغ ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون
الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح الظالمون اخبر تعالى انه مالك الضر والنفع وانه المتصرف في خلقه
بما يشاء فقال وان يمسسك الله بضر اي بشدة وبلية فلا كاشف اي لا دافع له الا هو والمراد بالخير العافية والنعمة فهو على كل شيء قدير
اي من الخير والضر قدير كما قال ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك الاية وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يقول اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ولهذا قال وهو القاهر فوق عباده اي هو الذي
خضعت له الرقاب وذلت له الجبابرة وعنت له الوجوه ثم قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد اي هو العالم بما جئتكم به وما
انتم قائلون الي واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ اي هو نذير لكل من بلغه قال محمد بن كعب من بلغه القران فكانما راى
النبي صلى الله عليه وسلم زاد ابو خالد وكلمه رواه ابن ابي حاتم وقال قتادة من بلغته اية من كتاب الله فقد بلغه امر الله وقوله ائنكم لتشهدون
اي ايها المشركون بان مع الله الهة اخرى قل يا محمد ان شهدتم انتم فلا اشهد انا كما قال فان شهدوا فلا تشهد معهم قل انما هو
اله واحد وانني بريء مما تشركون ثم قال مخبرا عن اهل الكتاب يعني التورية والانجيل انهم يعرفونه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
بنعته وصفته كما يعرفون ابناءهم من بين الصبيان بما عندهم من الاخبار عن الرسل المتقدمين فانهم بشروا بوجوده صلى الله عليه وسلم
وبعثه وصفته وكرمه وبلده ومهاجره وصفة امته ولهذا رتب عليه خسروا انفسهم اي خسروا كل خسارة وغبنوا انفسهم فهم لا يؤمنون
بهذا الامر الجلي الظاهر الذي بشرت به الانبياء ثم قال ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا اظلم ممن يقول على الله فادعى ان الله ارسله ولم يكن
ارسله ثم لا اظلم ممن كذب بايات الله وحججه وبراهينه ودلالاته انه لا يفلح الظالمون اي لا يفلح هذا ولا هذا المفتري ولا المكذب ويوم
نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله

غير الله وليا او يلتجأ بغيره في
امر من اموره عن ابن عباس قال اهدي للنبي
صلى الله عليه وسلم بغلة اهداها كسرى فركبها بحبل
من شعر ثم اردفني خلفه ثم سار بي مليا ثم التفت الي فقال يا غلام قلت لبيك يا رسول الله قال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك
تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة فاذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله قد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق
ان ينفعوك بما لم يقضه الله تبارك وتعالى لم يقدروا عليه ولو جهدوا ان يضروك بما لم يكتبه الله سبحانه وتعالى عليك ما قدروا عليه فان
استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل وان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان مع الكرب
الفرج وان مع العسر يسرا ؟

ربنا ما كنا

ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ومنهم من يستمع اليك وجعلنا
على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك
يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا انفسهم
وما يشعرون اخبر الله تعالى عن المشركين بقوله يوم نحشرهم جميعا يوم القيمة فنسالهم عن الاصنام والانداد التي كانوا يعبدونها من دونه قائلا
اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون انها تشفع لكم عند ربكم وقوله ثم لم تكن فتنتهم قال ابن عباس اي حجتهم وقيل بليتهم حين ابتلوا قال ابن جريج وقيل ايضا
ثم لم يكن قيلهم عند فتنتنا اياهم اعتذارا عما سلف منهم من الشرك بالله الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
انه اتاه رجل فقال يا ابن عباس سمعت الله يقول والله ربنا ما كنا مشركين قال اما قوله والله ربنا ما كنا مشركين فانهم راوا انه لا يدخل
الجنة الا اهل الصلوة فقالوا تعالوا فلنجحد فيجحدون فيختم على افواههم وتشهد ايديهم وارجلهم ولا يكتمون الله حديثا اي فتشهد عليهم
جوارحهم بالشرك انظر كيف كذبوا على انفسهم اي باعتذارهم بالباطل وتبروهم عن الشرك وضل عنهم ما كانوا يفترون اي وذهبت
عنهم الاصنام التي يرجون نصرتها وقوله ومنهم من يستمع اليك اي يجيئون ليستمعوا قولك ولا يغني عنهم شيئا لان الله جعل على قلوبهم
اكنة اي اغطية جمع كنان لئلا يفقهوا وفي اذانهم وقرا اي صمما من السماع النافع وقوله وان يروا كل اية اي مهما راوا من الايات
والدلالات فلا فهم عندهم ولا انصاف كما قال تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم الاية وقوله حتى اذا جاؤك يجادلونك اي يحاجونك
ويناظرونك في الحق بالباطل ويقول الذين كفروا ان هذا اي ما هذا الذي جئت به الا ماخوذ من كتب الاوائل ومنقول عنهم وقوله
وهم ينهون عنه وينأون عنه في معنى ينهون عنه قولان احدهما ان المراد انهم ينهون الناس عن اتباع الحق وتصديق الرسول
والانقياد للقران وينأون عنه اي يبعدونهم ويتباعدون عنه فيجمعون بين الفعلين القبيحين لا ينتفعون ولا يدعون احدا ينتفع قال
ابن عباس اي ينهون الناس ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن الحنفية كان كفار قريش لا ياتون النبي صلى الله عليه وسلم
وينهون عنه وهكذا عن غير واحد وهذا هو الاظهر وهو اختيار ابن جرير والقول الثاني عن ابن عباس نزلت في ابي طالب كان ينهى عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان يؤذى وكذا قال عطاء وقيل نزلت في عمومة النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا عشرة وكانوا اشد الناس معه في العلانية
واشد الناس عليه في السر وقال القرظي ينهون الناس عن قتله ويتباعدون منه وان يهلكون اي ما يهلكون الا انفسهم اي لا يرجع وباله
عليهم الا اليهم واوزار الذين يصدونهم عليهم وما يشعرون ذلك ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد
ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
وانهم لكاذبون وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا
بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون يذكر الله تعالى حال الكفار اذا وقفوا يوم القيمة على النار وشاهدوا ما
فيها من السلاسل والاغلال وراوا باعينهم تلك الامور العظام فحينئذ قالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا فتمنوا ان يردوا الى
الدنيا ليعملوا عملا صالحا ولا يكذبوا بايات ربهم ويكونوا من المؤمنين قال تعالى بل بدا لهم اي بل ظهر لهم حينئذ ما كانوا يخفون في انفسهم
من الكفر والتكذيب وان انكروها في الدنيا والاخرة كما سبق من قبل ثم لم تكن فتنتهم الاية ويحتمل انهم ظهر لهم ما كانوا يعلمونه من انفسهم
من صدق ما جاءت به الرسل في الدنيا وان كانوا يظهرون لاتباعهم خلافه كما قال تعالى مخبرا عن موسى انه قال لفرعون لقد علمت ما
انزل هؤلاء الا رب السموات والارض وقال تعالى مخبرا عن فرعون وقومه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ويحتمل ان يكون المراد بهؤلاء المنافقين
الذين كانوا يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر ولا ينافي هذا كون هذه السورة مكية والنفاق كان في بعض اهل المدينة فان الله قد ذكر

نهم بشركهم الذين زعموه
وافتخروا به
عدوا عبادتهم وقاتلوا عليه
من ابائهم
الغني اذا سئلوا عن الهتهم ندموا على
ما فعلوا فلم يكن جوابهم الا قولهم
جحدا وتبرأ من الشرك

انهم لم يسلكوا فهما
ولم يسمعوا القاطعة ولكنهم
لما لم يجدوا الانتفاع به فكانهم
بمنزلة من لم يعقل ولم يسمع ؟

والجملة اذا جاؤك
والغني انه بلغ تكذيبهم
الايات الى انهم جاؤك ؟

وذلك ان ابا طالب كان يدفع عن النبي صلى الله عليه وسلم
مضرة قريش ويمنعهم عن ايذائه وينأى عن
الايمان به اي يبعد حتى روي انه اجتمع اليه رؤوس
المشركين وقالوا خذ شابا من اصبحنا وجها
وادفع الينا محمدا فقال ابو طالب ما انصفتموني
ادفع اليكم ولدي لتقتلوه واربي ولدكم ؟

اي ولو ترى الكفار اذ حبسوا على الصراط فوق النار
والنار تحتهم

انهم لو ردوا لا امنوا ولكن ظهر لهم ثم في صحفهم
او لشهادة جوارحهم عليهم ما كانوا يكتمونه من
الناس من كفرهم وضلالهم وقبائح اعمالهم

دفع النفاق في سورة العنكبوت وهي مكية فقال وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين اي والآخرة حين يعاينون العذاب والمعنى انهم ما طلبوا العود الى الدنيا رغبة في الايمان بل خوفا من العذاب الذي عاينوه فسألوا الرجعة الى الدنيا ليتخلصوا مما شاهدوه من النار ولهذا قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه من الكفر وانهم لكاذبون في تمنيهم الرجعة الى الدنيا محبة ورغبة في الايمان وقولهم يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين هذا اخبار عن انكار البعث يعني لعادوا لما نهوا عنه ولقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا اي ما هي الا هذه الحيوة ثم لا معاد بعدها ولهذا قال وما نحن بمبعوثين ثم قال ولو ترى اذ وقفوا على ربهم اي اوقفوا بين يديه قال أليس هذا المعاد بالحق وليس بباطل كما تظنون قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اي بما كنتم تكذبون فذوقوا اليوم مسه **قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون** قال تعالى مخبرا عن خسارة من كذب بلقاء الله وعن خيبته اذا جاءته الساعة بغتة وعن ندامته على ما فرط من العمل القبيح ولهذا قال حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا اي يا ندامتنا والكناية للمبالغة على ما فرطنا اي قصرنا فيها اي في الحيوة او في الاعمال او في الدار الآخرة اي امرها وقوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون اي يحملون ويحملون عن ابي مرزوق قال ويستقبل الكافر او الفاجر عند خروجه من قبره كاقبح صورة رأيتها وانتنه ريحا فيقول من انت فيقول او ما تعرفني فيقول لا الا ان الله قد قبح وجهك وانتن ريحك فيقول انا عملك الخبيث هكذا كنت في الدنيا خبيث العمل منتنه فطالما ركبتني في الدنيا هلم اركبك فهو قوله يحملون اوزارهم الآية رواه ابن ابي حاتم وعن السدي نحوه وانه يكون معه في قبره وهو معذب به حتى يبعثه الله وكان يحمله حتى يدخل النار وقوله وما الحيوة الدنيا الا لعب اي انما غالبها كذلك اي باطل وغرور لا بقاء لها وللدار الآخرة قرأ ابن عامر بلام واحدة بالاضافة نحو مسجد الجامع خير للذين اتقوا الشرك افلا تعقلون ان الآخرة افضل **قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون** قال تعالى تسلية لنبيه بتكذيب قومه له صلى الله عليه وسلم ومخالفتهم اياه قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون اي قد احطنا علما بتكذيب قومك لك وحزنك وتأسفك عليهم فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان لا يكونوا مؤمنين وقوله فانهم لا يكذبونك اي لا يتهمونك بالكذب في نفس الامر ولكنهم يعاندون الحق ويدفعونه بصدورهم كما قال علي رضي الله عنه قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين وقال السدي التقى الاخنس بن شريق وابو جهل بن هشام فقال الاخنس له يا ابا الحكم اخبرني عن محمد بن عبد الله اصادق هو ام كاذب فانه ليس هاهنا احد يسمع كلامك غيري فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فانزل الله هذه الآية رواه ابن جرير وقوله ولقد كذبت رسل من قبلك هذه تسلية له صلى الله عليه وسلم وتعزية فيمن كذبه من قومه وامر له بالصبر كما صبر اولو العزم من الرسل ووعد له بالنصر والظفر كما كانت لهم العاقبة بعد ما نالهم التكذيب والاذى

قال ابن عباس هذا في موقف وقوله والله
ربنا ما كنا مشركين في موقف آخر وللقيامة
مواقف ففي موقف يقرون وفي موقف
ينكرون

ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله
احسن شيء صورة واطيبه ريحا فيقول
هل تعرفني فيقول لا فيقول انا عملك
الصالح فاركبني فقد طال ما ركبتك في
الدنيا وذلك قوله عز وجل يوم نحشر المتقين
الى الرحمن وفدا اي ركبانا

المعنى ان تكذيبك امر راجع الى ربك
لانك رسوله المصدق بالمعجزات
لا يكذبونك في الحقيقة وانما يكذبون الله
بجحود آياته والاستهانة بكتابه

فصبروا على ما كذبوا واوذوا
حتى اتاهم نصرنا

من قومهم ثم جاءهم النصر في الدارين وقوله ولا مبدل لكلمات الله اي لا ناقض لما حكم الله به وقد حكم وكتب بنصر انبيائه كما قال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله ولقد جاءك من نبإ المرسلين اي من خبرهم كيف نصروا وايدوا على من كذبهم من قومهم قبلك فلهم اسوة وبهم قدوة ثم قال تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم اي ان كان شق عليك اعراضهم عنك فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتصعد فيه فتأتيهم بآية افضل مما آتيتهم به فافعل وقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص ان يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فاخبر الله انه لا يؤمن الا من سبق له السعادة في الازل فلا تكونن يا محمد من الجاهلين وقوله انما يستجيب الذين يسمعون اي انما يستجيب لدعائك يا محمد من يسمع الكلام ويفهمه وقوله والموتى يبعثهم الله يعني بذلك الكفار فانهم موتى القلوب فشبههم الله باموات الاجساد ثم اليه يرجعون وهذا من باب التهكم بهم والازراء عليهم **وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشإ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم** قال تعالى مخبرا عن المشركين انهم كانوا يقولون لولا نزل عليه آية من ربه اي خارق على مقتضى ما يريدون وما يتعنتون كما قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآيات قل ان الله قادر على ان ينزل آية اي هو تعالى قادر على ذلك ولكن حكمته تقتضي تأخير ذلك لانه لو انزلها وفق ما طلبوا ثم لم يؤمنوا لعاجلهم بالعقوبة كما فعل بالامم السالفة وقوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم قال مجاهد اي اصناف مصنفة تعرف باسمائها وقال قتادة الطير امة والانس امة والجن امة وقال السدي الا امم اي خلق امثالكم وقوله ما فرطنا في الكتاب من شيء اي جميع علمها عند الله ولا ينسى احدا من جميعها من رزقه وتدبيره سواء كان بريا او بحريا كما قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها الآية والكتاب هو اللوح المحفوظ وقوله ثم الى ربهم يحشرون قال ابن عباس حشرها الموت يعني البهائم وقال مجاهد حشرها بعثها يوم القيمة كما قال واذا الوحوش حشرت وعن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين تنتطحان فقال يا ابا ذر هل تدري فيما تنتطحان قال لا قال لكن الله يدري وسيقضي بينهما رواه احمد وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتؤدن الحقوق الى اهلها يوم القيمة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء رواه مسلم وقال ابو هريرة يحشر الخلق كلهم يوم القيمة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله يومئذ الى ان ياخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فلذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقوله والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات اي مثلهم في جهلهم وقلة علمهم وعدم فهمهم كمثل الذي لا يسمع ولا يفهم ولا يتكلم وهو مع هذا في الظلام لا يبصر فكيف يهتدي مثل هذا الى الطريق او يخرج مما هو فيه ولهذا قال من يشإ الله يضلله اي هو المتصرف في خلقه بما يشاء **قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين** اخبر تعالى انه الفعال لما يريد المتصرف في خلقه بما يشاء ولهذا قال قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة بغتة اي اتتكم هذا او هذا اي لا تدعون غيره لعلمكم انه لا يقدر احد على دفع ذلك سواه ولهذا قال ان كنتم صادقين اي في اتخاذكم آلهة معه بل اياه تدعون اي في وقت الضرورة لا تدعون احدا سواه ويذهب عنكم اصنامكم واندادكم

فيكشف ما تدعون اليه ان شاء

وتنسون ما تشركون

اغير الله تدعون

وقوله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالباساء يعني الفقر والضيق في العيش والضراء اي الامراض والاسقام لعلهم يتضرعون اي يدعون الله بالتضرع والتذلل والخشوع فلولا اذ جاءهم باسنا اي فهلا اذا ابتليناهم بذلك تضرعوا الينا وتمسكنوا لدينا ولكن قست قلوبهم اي ما رقت وما خشعت وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون اي من الشرك والمعاصي فلما نسوا ما ذكروا به اي اعرضوا عنه وتناسوه فتحنا عليهم ابواب الرزق من كل ما يختارون وهذا استدراج منه تعالى واملاء لهم عياذا بالله من مكره ولهذا قال حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الاموال والارزاق والاولاد اخذناهم بغتة اي على غفلة فاذا هم مبلسون اي آيسون من كل خير والمبلس الآيس قال الحسن من وسع عليه فلم ير انه يمكر به فلا راي له ومن قتر عليه فلم ير انه ينظر له فلا راي له ثم قرا فلما نسوا ما ذكروا به الآية ثم قال مكر بالقوم ورب الكعبة اعطوا حاجتهم ثم اخذوا رواه ابن ابي حاتم وعن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رايت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فانما هو استدراج ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نسوا ما ذكروا به الآية رواه احمد و عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ان الله اذا اراد بقوم بقاء او نماء رزقهم القصد والعفاف واذا اراد بقوم اقتطاعا فتح لهم او فتح عليهم باب خيانة حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون رواه ابن ابي حاتم كما قال فقطع دابر القوم اي آخرهم الذي يدبرهم اي انهم استؤصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية والحمد لله رب العالمين حمد الله نفسه على ان قطع دابرهم لانه نعمة على رسله قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله ياتيكم به انظر كيف نصرف الايات ثم هم يصدفون قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون قال تعالى لرسوله عليه الصلوة والسلام قل لهؤلاء المكذبين المعاندين ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اي سلبكم اياها كما اعطاكموها ويحتمل ان يكون هذا عبارة عن منع الانتفاع الشرعي ولهذا قال وختم على قلوبكم اي حتى لا تفهموا شيئا وقوله من اله غير الله ياتيكم به اي هل احد غير الله يقدر على رد ذلك اليكم اذا سلبه الله منكم اي لا يقدر على ذلك احد سواه ولهذا قال انظر كيف نصرف الايات اي نبينها ونوضحها ونفسرها دالة على انه لا اله الا الله وان ما يعبدون من دونه باطل ثم هم يصدفون اي ثم هم مع هذا البيان يعرضون عن الحق ويعدلون ويصدون الناس عن اتباعه وقوله قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة اي فجاءة او جهرة اي ظاهرا عيانا هل يهلك الا القوم الظالمون اي انما كان يحيط بالظالمين انفسهم بالشرك بالله وينجو الموحدون وقوله وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين اي مبشرين عباد الله المؤمنين بالخيرات ومنذرين من كفر بالله النقمات والعقوبات ولهذا قال فمن آمن واصلح اي فمن آمن قلبه بما جاؤا به واصلح عمله باتباعه اياهم فلا خوف عليهم اي بالنسبة الى ما يستقبلونه ولا هم يحزنون اي بالنسبة الى ما فاتهم وتركوه من امور الدنيا ثم قال والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب اي ينالهم العذاب بما كفروا بما جاءت به الرسل وخرجوا عن اوامر الله وطاعته وارتكبوا من محارمه ومناهيه وانتهاك حرماته قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب

ربكم على نفسه

ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل لا اقول لكم عندي خزائن الله اي لست املكها ولا اتصرف فيها ولا اعلم الغيب ولا اقول اني اعلم بالغيب انما ذاك من علم الله لا اطلع منه الا على ما اطلعني عليه ولا ادعي اني ملك انما انا بشر من البشر يوحى الي من الله الكريم ولهذا قال ان اتبع الا ما يوحى الي اي لست اخرج عنه قل هل يستوي الاعمى والبصير اي هل يستوي من اتبع الحق وهدي اليه ومن ضل عنه ولم ينقد له افلا تتفكرون انهما لا يستويان وقوله وانذر به الذين يخافون اي انذر بهذا القرآن يا محمد الذين يخافون ان يحشروا اي يجمعوا ويبعثوا الى ربهم يوم القيمة ليس لهم من دونه اي من دون الله ولي ولا شفيع اي لا قريب لهم ولا شفيع فيهم من عذابه ان اراده بهم لعلهم يتقون فيتقون عما نهوا عنه ويعملون عملا ينجيهم الله من عذابه ويضاعف لهم الجزيل من ثوابه وقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم اي لا تبعد هؤلاء المتصفين بهذه الصفة عنك بل اجعلهم جلساءك واخصاءك كما قال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية وقوله يدعون ربهم اي يعبدونه ويسألونه والمراد بذلك الصلوات المكتوبات وقوله يريدون وجهه اي يبتغون بذلك العمل وجه الله الكريم وهم مخلصون فيما هم فيه من الطاعات وقوله ما عليك من حسابهم من شيء كما قال نوح ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون اي انما حسابهم على الله عز وجل وليس عليك من حسابهم من شيء كما انه ليس عليهم من حسابك من شيء وقوله فتطردهم فتكون من الظالمين اي ان فعلت هذا والحالة هذه عن ابن مسعود قال مر الملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده خباب وصهيب وبلال وعمار ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد ارضيت بهؤلاء من قومك اهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا انحن نكون تبعا لهؤلاء اطردهم فلعلك ان طردتهم ان نتبعك فنزلت هذه الآية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي وكذلك فتنا بعضهم ببعض الى اخر الآية رواه ابن جرير ولاحمد نحوه وقوله وكذلك فتنا بعضهم ببعض اي ابتلينا واختبرنا وامتحنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غالب من اتبعه في اول البعثة ضعفاء الناس من انواع الخلق ولم يتبعه من الاشراف الا قليل كما سال هرقل ابا سفيان فقال اتبعه ضعفاء الناس ام اشرافهم قال بل ضعفاؤهم فقال هم اتباع الرسل والغرض ان مشركي قريش كانوا يسخرون بمن آمن من ضعفائهم وكانوا يقولون اهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا اي ما كان الله ليهدي هؤلاء الى الخير لو كان ما صاروا اليه خيرا ويدعنا كما قالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه فاجابهم بقوله اليس الله باعلم بالشاكرين اي اليس هو اعلم بالشاكرين له باقوالهم وافعالهم وضمائرهم فيوفقهم ويهديهم سبل السلام وفي الحديث الصحيح ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى الوانكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم وفي رواية واعمالكم واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم اي اكرمهم برد السلام عليهم وبشرهم برحمة الله الواسعة الشاملة لهم ولهذا قال كتب ربكم على نفسه الرحمة اي اوجبها على نفسه الكريمة تفضلا منه واحسانا وامتنانا انه من عمل منكم سوءا بجهالة قال بعضهم كل من عصى الله فهو جاهل وقال عكرمة الدنيا كلها جهالة ثم تاب من بعده واصلح اي رجع عما كان عليه من المعاصي واقلع وعزم ان لا يعود واصلح العمل في المستقبل فانه غفور رحيم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ الله من القضاء بين الخلق اخرج كتابا من تحت العرش ان رحمتي سبقت غضبي وفي الصحيح معناه وسياتي عند قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء احاديث مناسبة لها وكذلك نفصل الايات ولتستبين سبيل المجرمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين قل اني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين وعنده مفاتح الغيب

لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين اي كما بيّنا سابقا من الحجج والبراهين على طريق الهداية والرشاد على طريق الهداية والرشاد وذم المجادلة والعناد كذلك نفصل الآيات التي يحتاج المخاطبون اليها بيانها ولتستبين اي وليظهر طريق المجرمين المخالفين للرسل وقرئ بتاء الخطاب اي لتستبين انت سبيلهم وقوله قل لا اتبع اهواءكم اي في عبادة الاوثان وترك الفقراء ان فعلت ذلك فقد تركت سبيل الهدى وسلكت طريق الضلال وقوله قل اني على بينة من ربي اي على بصيرة من شريعة الله التي اوحاها الي وكذبتم به اي بالحق الذي جاء من الله ما عندي ما تستعجلون به اي من العذاب ان الحكم الا لله اي انما يرجع امر ذلك الى الله ان شاء عجّل لكم ما سألتموه من ذلك وان شاء انظركم واجلكم بحسب مقتضى حكمته ولهذا قال ان الحكم الا لله يقص الحق اي يقول الحق وهو خير الفاصلين اي خير من فصل القضايا وقوله قل لو ان عندي ما تستعجلون به اي لو كان مرجع ما تستعجلون به الي لاوقعت بكم ما تستحقون من ذلك و الله اعلم بالظالمين وقوله وعنده مفاتح الغيب عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير رواه البخاري وقوله ويعلم ما في البر والبحر اي يحيط علمه بجميع الموجودات بريها وبحريها لا يخفى عليه منه شيء وما احسن ما قيل: فلا يخفى عليه الذر اما تراءى للنواظر او توارى وقوله وما تسقط من ورقة الا يعلمها اي ويعلم الحركات حتى من الجمادات فما ظنك بالحيوانات ولا سيما المكلفين منهم من جنهم وانسهم كما قال يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور قال ابن عباس ما من شجرة في بر ولا بحر الا ملك موكل بها يكتب ما يسقط منها وقوله ولا حبة في ظلمات الارض قال ابن الحارث ما في الارض من شجرة ولا مغرز ابرة الا عليها ملك موكل يأتي الله بعلمه رطوبتها اذا رطبت ويبسها اذا يبست وقال ابن عباس خلق الله النون وهي الدواة وخلق الالواح وكتب فيها امر الدنيا حتى ينقضي ما كان من خلق مخلوق او رزق حلال او حرام او بر او فجور وقرأ ولا تسقط من ورقة الا يعلمها الآية ولا رطب ولا يابس قال ابن عباس الرطب الماء واليابس البادية وقيل ما ينبت وما لا ينبت وقيل الحي والميت وقيل هو عبارة عن كل شيء الا في كتاب مبين اي الا مكتوب في اللوح المحفوظ وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين اخبر الله تعالى انه يتوفى عباده في منامهم بالليل وهذا هو التوفي الاصغر كما قال تعالى لعيسى اني متوفيك ورافعك الي وقال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الآية فذكر في هذه الآية الوفاتين الكبرى والصغرى فهكذا في هذا المقام حكم الوفاتين فقال ويعلم ما جرحتم اي ويعلم ما كسبتم من الاعمال بالنهار وهذا دل على احاطة علمه تعالى في ليلهم ونهارهم في حال سكونهم وحركتهم ثم يبعثكم فيه اي في النهار وهو الظاهر وقيل في النوم وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مع كل انسان ملك اذا نام يأخذ نفسه ويرد اليه فان اذن الله في قبض روحه قبضه والا رد اليه فذلك قوله وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله ليقضى اجل مسمى يعني اجل كل واحد من الناس ثم اليه مرجعكم اي يوم القيامة ثم ينبئكم اي فيخبركم بما كنتم تعملون ويجزيكم على ذلك وقوله وهو القاهر فوق عباده اي هو الذي قهر كل شيء وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيء ويرسل عليكم حفظة اي من الملائكة يحفظون بدن الانسان وحفظة يحفظون عمله ويحصونه عليه كما قال وان عليكم لحافظين الآية وقوله حتى اذا جاء احدكم الموت اي اذا احتضر وحان اجله توفته رسلنا اي ملائكة موكلون بذلك قال ابن عباس وغيره لملك الموت اعوان من الملائكة يخرجون الروح من

قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله

المعنى هو تعالى يقبض ارواحكم واجسامكم عن التصرف اجسامكم وعقلها في الليل اذا نمتم فيه لاستراحة نفوسكم وابدانكم وتقوية قواكم وسلامة حواسكم عن الكلالة وحبسكم عن الملالة

اي استوفت روح ملك الموت واعوانه وهم رقائق له

الجسد فيقبضها ملك الموت اذا انتهت الى الحلقوم وسيأتي عند قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ان شاء الله وقوله وهم لا يفرطون اي في حفظ روح المتوفى بل يحفظونه وينزلونها حيث شاء الله وقوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق اي ناصرهم ومعينهم ويحتمل ان يكون المراد الخلائق كلهم يردون الى الله يوم القيامة فيحكم فيهم بعدله كما قال قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم ولهذا قال مولاهم الحق اي متولي امورهم الا له الحكم اي القضاء دون خلقه وهو اسرع الحاسبين لانه لا يحتاج الى فكر وروية وعقد يد قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون قال الله ممتنا على عباده في انجائه المضطرين منهم من ظلمات البر والبحر اي الحائرين الواقعين في المهامه البرية وفي اللجج البحرية اذا هاجت الرياح العاصفة وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين الآية وقوله تضرعا وخفية اي جهرا وسرا لئن انجيتنا من هذه اي هذه المهلكة لنكونن من الشاكرين اي بعدها قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم اي بعد ذلك تشركون اي تدعون معه في حال الرفاهية آلهة اخرى وقوله قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم اي بعد انجائه اياكم من الظلمات والمهالك وقوله من فوقكم يعني الصيحة ونحوها كما فعل بعاد وثمود او من تحت ارجلكم يعني الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب وقارون وقيل المراد بهم المسلمين ضعفا عنهم وقوله او يلبسكم اي فرقا ويثبت فيكم الاهواء المختلفة ويذيق بعضكم بأس بعض يعني السيوف المختلفة يقتل بعضكم بعضا عن جابر بن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ بوجهك او من تحت ارجلكم قال اعوذ بوجهك او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا اهون او قال هذا ايسر رواه البخاري وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية قال اما انها كائنة ولم يأت تأويلها بعد رواه الترمذي وغيره وعن سعد بن ابي وقاص قال اقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مررنا على مسجد بني معاوية فدخل فصلى ركعتين فصلينا معه فناجى ربه طويلا قال سألت ربي ثلاثا سألت ان لا يهلك امتي بالغرق فاعطانيها وسألته ان لا يهلك امتي بالسنة فاعطانيها وسألت ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها رواه احمد ومسلم وعن خباب بن الارت قال وافيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة صلاها كلها حتى كان مع الفجر فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته قلت يا رسول الله لقد صليت الليلة صلاة ما رايتك صليت مثلها فقال اجل انها صلاة رغبة ورهبة سألت ربي عز وجل فيها ثلاث خصال فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت ربي ان لا يهلكنا بما اهلك به الامم قبلنا فاعطانيها وسألت ربي ان لا يظهر علينا عدوا من غيرنا فاعطانيها وسألت ربي ان لا يلبسنا شيعا فمنعنيها رواه احمد والنسائي وقال ابي بن كعب هي اربع خصال منها اثنتان بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة البسوا شيعا واذاق بعضهم بأس بعض وبقيت اثنتان لا بد منهما واقعتان الرجم والخسف رواه احمد وقوله او يلبسكم شيعا اي يجعلكم متلبسين فرقا متخالفين يعني الاهواء وقد ورد في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال ما انا عليه واصحابي رواه الترمذي وقوله انظر كيف نصرف الآيات اي نوضحها ونفسرها لعلهم يفقهون اي لكي يفهموا ويتدبروا آيات الله وحججه وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم

اي من يخلصكم ايها المشركون والمسلمون من شدائد البر والبحر واهوالها ومخاوفها كالخسف والغرق والعرب تعبر عن الشدائد بالظلمات ان كان نهارا اعا سبيل المجاز فيقول للقوم التشديد يوم مظلم او المراد بظلمات البر ظلمة الليل والسحاب والدخان والغبار وبظلمات البحر ظلمة الليل والسحاب والامواج

ايها المشركون او المسلمون

الحجارة التي مطرت على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل والطوفان الذي ارسل على قوم نوح والصيحة التي ارسلت على قوم صالح

وقيل بها حبس المطر ومنع النبات او نزول البلاء وغلبة الاعداء او بها الشياطين المردة و الامراء والسلاطين الظلمة والعلماء والاود العبيد والخدم الخونة والنساء والاولاد السفهاء والجيران الغاصب والسفلة

وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون اي وكذب بالقرآن الذي جئتهم به و
الهدى وقومك يعني قريشا وهو الحق اي الذي ليس وراءه حق قل لست عليكم بوكيل اي بحفيظ ولست بوكيل بكم كقوله وقل الحق
من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر اي انما علي البلاغ وعليكم السمع والطاعة فمن تبعني سعد في الدارين ومن خالفني
شقي في المنزلين ولهذا قال لكل نبإ مستقر قال ابن عباس وغيره اي لكل نبإ حقيقة يعني لكل خبر وقوع ولو بعد حين وهذا تهديد و
وعيد ولهذا قال بعده وسوف تعلمون اي ما كان في الدارين ثم قال واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا اي بالتكذيب والاستهزاء
فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره اي حتى يأخذوا في كلام آخر غير ما كانوا فيه من التكذيب واما ينسينك الشيطان المراد بهذا
كل فرد فرد من آحاد هذه الامة ان لا يجلسوا مع المكذبين الذين يحرفون آيات الله ويضعونها على غير مواضعها فان جلس احد معهم
ناسيا فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين هكذا ورد الحديث رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وقال ان نسيت
وذكرت فلا تجلس معهم وهذه الآية هي المشار اليها في قوله وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها الآية اي انكم
اذا جلستم معهم واقررتموهم على ذلك فقد ساويتموهم في الذي هم فيه وقوله وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء اذا تجنبوهم
فلم يجلسوا معهم في ذلك فقد برئوا من عهدتهم وتخلصوا من اثمهم ولكن ذكرى اي ولكن امرناكم بالاعراض عنهم حينئذ تذكيرا
لهم عما هم فيه لعلهم يتقون ذلك ولا يعودون اليه وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحيوة الدنيا
وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها
اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون اي دعهم واعرض عنهم وامهلهم
قليلا فانهم صائرون الى عذاب عظيم ولهذا قال وذكر به اي وذكر الناس بالقرآن وحذرهم نقمة الله وعذابه الاليم يوم القيمة وقوله
ان تبسل نفس بما كسبت اي لئلا تبسل قال ابن عباس ومجاهد اي تسلم وتفتضح وقيل تحبس او تؤاخذ او تجزى وكلها متقاربة و
حاصلها التسليم للهلكة والحبس عن الخير والارتهان عن درك المطلوب كما قال كل نفس بما كسبت رهينة وقوله ليس لها من دون الله
ولي ولا شفيع اي قريب ولا احد يشفع فيها وقوله وان تعدل كل عدل اي ولو بذلت كل مبذول ما قبل منها كما قال فلن يقبل من احدهم
ملء الارض ذهبا الآية قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدينا الله
كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى
وامرنا لنسلم لرب العالمين وان اقيموا الصلوة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون وهو الذي خلق السموات
والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير
قال السدي قال المشركون للمؤمنين اتبعوا سبيلنا واتركوا دين محمد فانزل الله قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ان عبدناه ولا يضرنا
ان تركناه يعني الاصنام ونرد على اعقابنا اي في الكفر بعد اذ هدينا الله فيكون مثلنا كمثل الذي استهوته اي اضلته الشياطين في
الارض يقول مثلكم ان كفرتم بعد الايمان كمثل رجل كان مع قوم على طريق فضل الطريق فحيرته الشياطين في الارض واصحابه على الطريق
فجعلوا يدعونه اليهم يقولون ائتنا فانا على الطريق فابى ان يأتيهم فذلك مثل من يتبعه بعد المعرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم ومحمد هو الذي
يدعو الى الطريق وهو الاسلام رواه ابن جرير وقيل معنى استهوته سترته يعني مثل من يعبد هذه الآلهة من دون الله فانه يرى انه في
شيء حتى يأتيه الموت فيستقبل الهلكة والندامة وقوله استهوته الشياطين هم الغيلان في المهامه يدعونه باسمه وباسم ابيه وجده
فيتبعها ويرى انه في شيء فيصبح وقد القته في مهلكة وربما اكلته او بلغته في مضلة من الارض يهلك فيها عطشا فهذا مثل من اجاب

الآلهة التي تعبد من دون الله وهذا عن ابن عباس وقوله قل ان هدى الله هو الهدى لا هدى غيره قاله تنجيا عن عبادة الاوثان وقوله
وامرنا لنسلم لرب العالمين اي لنخلص له العبادة وحده لا شريك له وان اقيموا الصلوة واتقوه اي وامرنا باقامة الصلوة وبتقواه في
جميع الاحوال وهو الذي اليه تحشرون اي يجمعون في الموقف للحساب وهو الذي خلق السموات والارض بالحق اي بالعدل فهو خالقهما
ومالكهما والمدبر لهما ولمن فيهما ويوم يقول كن فيكون يعني يوم القيمة الذي يقول الله كن فيكون عن امره كلمح البصر ونصب يوم
اما على العطف على قوله واتقوه اي واتقوا يوم يقول كن فيكون واما على خلق السموات والارض اي وخلق يوم يقول كن فيكون فذكر بداءة
الخلق واعادته واما على اضمار فعل تقديره واذكر يوم يقول كن فيكون وقوله الحق وله الملك جملتان محلهما الجر على انهما صفتان لرب العالمين
وقوله يوم ينفخ في الصور يحتمل ان يكون بدلا من قوله ويوم يقول كن فيكون ويحتمل ان يكون ظرفا لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار واختلفوا في تفسير الصور قال بعضهم هو ههنا جمع صورة اي يوم ينفخ فيها فتحيا قال ابن جرير كما يقال سور البلد
جمع سورة والصحيح ان المراد به القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل على ما نطقت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصور
قرن ينفخ فيه رواه ابو داود والترمذي والدارمي وعنه عليه الصلوة والسلام انه قال كيف انعم وصاحب الصور قد التقمه
واصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ فقالوا يا رسول الله وما تأمرنا قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل رواه الترمذي
وفي كيفية نفخ الصور حديث مطول مروي من طريق الطبراني في غاية الغرابة ولبعضه شواهد في الصحاح والسنن وبعضه منكر جدا
فمن مال اليه فعليه بمطالعة الاصل وقوله عالم الغيب والشهادة اي هو عالم بما غاب عن العباد وبما شاهدوه لا يغيب عن علمه شيء
وهو الحكيم في افعاله الخبير باسرارهم واذ قال ابرهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة اني اريك وقومك في ضلال
مبين وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل راى كوكبا
قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين فلما راى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي
لاكونن من القوم الضالين فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون
اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين قال ابن عباس وآخرون ان ابا ابرهيم
لم يكن اسمه آزر وان اسمه تارخ واسم امه مثاني واسم امراته سارة وام اسمعيل اسمها هاجر وهي سرية ابرهيم وآزر اسم صنم قيل كانه غلب
عليه آزر لخدمته ذلك الصنم والله اعلم وقال آخرون هو سب وعيب بكلامهم ومعناه معوج ولانه اشد كلمة قالها ابرهيم قال ابن جرير و
يبعد ان يكون له اسمان كما لكثير من الناس او يكون احدهما لقبا ثم انه قرئ آزر بالضم اي يا آزر وهذا عن الحسن البصري وموافقته
قرأ الجمهور بالفتح على انه علم عجمي لا ينصرف وهو بدل من قوله لابيه او عطف بيان وهو اشبه وعلى وجه النعت غير منصرف كاحمر واسود واما
من زعم ان نصبه بكونه معمولا لقوله اتتخذ فانه بعيد في العربية لان ما بعد حرف الاستفهام لا يعمل فيما قبله والمراد ان ابرهيم وعظ اباه في عبادة
الاصنام وزجره عنها فلم ينته كما قال اتتخذ اصناما آلهة اي اتتأله لصنم تعبده من دون الله اني اريك وقومك اي السالكين مسلكك في ضلال مبين
اي تائهين لا يهتدون اين يسلكون بل في حيرة وجهل وامركم في ذلك بين لكل ذي عقل صحيح وقوله وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات
والارض اي نبين له وجه الدلالة في نظره الى خلقهما على وحدانية الله عز وجل في ملكه وخلقه وانه لا اله غيره كما قال تعالى قل انظروا
ماذا في السموات والارض وقال مجاهد وغير واحد فرجت له السموات فنظر الى ما فيهن حتى انتهى بصره الى العرش وفرجت
له الارضون السبع فنظر الى ما فيهن فجعل ينظر الى العباد على المعاصي فيدعو عليهم فقال الله اني ارحم بعبادي منك لعلهم ان يتوبوا او
يرجعوا وقال ابن عباس جلى الله له الامر سره وعلانيته فلم يخف عليه شيء من اعمال الخلائق فلما جعل يلعن اصحاب الذنوب قال الله انك لا تستطيع هذا

[illegible]

فرده الله كما كان قبل ذلك فيحتمل ان يكون هنا كشف له عين بصره حتى راى عيانا ويحتمل ان يكون على بصيرته حتى شاهده بفؤاده وتحققه وعرفه وعلم ما في ذلك من الحكم الباهرة والآيات الظاهرة كما في حديث المنام عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتاني ربي في احسن صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى فقلت لا ادري يا رب فوضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد انامله بين ثديي فتجلى لي كل شيء وعرفت وذكر الحديث رواه احمد والترمذي وحسنه وصححه وقوله وليكون من الموقنين قيل الواو صلة كقوله ولتستبين سبيل المجرمين وقيل بل هي على بابها اي نريه ذلك ليكون عالما وموقنا وقوله فلما جن اي اظلم عليه الليل راى كوكبا اي نجما قال هذا ربي فاتبعه بصره ينظر اليه فلما افل اي غاب قال قتادة علم ان ربه دائم لا يزول قال لا احب الآفلين فلما راى القمر بازغا اي طالعا قال هذا ربي ثم اتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب ثم طلعت الشمس هكذا الى آخره فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فلما راى الشمس بازغة اي طالعة قال هذا اي الشيء الطالع ربي هذا اكبر اي جرما من النجم ومن القمر واكثر اضاءة فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي اي اخلصت ديني وافردت عبادتي للذي فطر السموات والارض اي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق حنيفا اي حال كوني مائلا عن الشرك الى التوحيد ولهذا قال وما انا من المشركين وقد اختلفوا في هذا المقام هل هو مقام نظر او مناظرة فعن ابن عباس ما يقتضي انه مقام نظر واختاره ابن جرير مستدلا بقوله لئن لم يهدني ربي الى آخره قال ابن اسحق قال ذلك حين خرج من السرب الذي ولدته فيه امه حين تخوفت عليه من نمرود بن كنعان لما كان قد اخبر بوجود مولود يكون ذهاب ملكه على يديه فامر بقتل الغلمان عامئذ فلما حملت ام ابرهيم وحان وضعها ذهبت الى سرب ظاهر البلد فولدت فيه ابرهيم وتركته هناك وذكر اشياء من خوارق العادات كما ذكرها غيره من المفسرين سلفا وخلفا والحق ان ابرهيم كان في هذا المقام مناظرا لقومه مبينا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والاصنام فبين في هذا المقام الاول مع ابيه خطأهم في عبادة الاصنام الارضية التي هي على صورة الملائكة السماوية ليشفعوا لهم الى الخالق العظيم الذي هم عند انفسهم احقر من ان يعبدوه وانما يتوسلون اليه بعبادة ملائكته ليشفعوا لهم عنده في الرزق والنصر وغير ذلك مما يحتاجون اليه وبين في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل وهي الكواكب السيارة السبعة المتحيرة وهي القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشتري وزحل واشدهن اضاءة واشرفهن عندهم الشمس ثم القمر ثم الزهرة فبين اولا ان هذه الزهرة لا تصلح للالهية لانها مقدرة مسخرة بسير معين لا تزيغ عنه يمينا ولا شمالا ولا تملك لنفسها تصرفا بل هي جرم من الاجرام خلقها الله تعالى منيرة لما له في ذلك من الحكمة العظيمة وهي تطلع من المشرق ثم تسير فيما بينه وبين المغرب حتى تغيب عن الابصار فيه ثم تبدو في الليلة القابلة على هذا المنوال ومثل هذه لا تصلح للالهية ثم انتقل الى القمر فبين فيه مثل ما تقدم في النجم ثم انتقل الى الشمس كذلك فلما انتفت الالهية عن هذه الاجرام الثلاثة التي هي انور ما تقع عليه الابصار وتحقق ذلك بالدليل القاطع قال يا قوم اني بريء مما تشركون اي انا بريء من عبادتهن وموالاتهن فان كانت آلهة فكيدوني بها جميعا ثم لا تنظرون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض اي انما اعبد خالق الاشياء كلها ومخترعها ومسخرها ومدبرها الذي بيده ملكوت كل شيء كما قال تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام الى قوله رب العالمين وكيف يجوز ان يكون ابرهيم ناظرا في هذا المقام وهو الذي قال تعالى في حقه ولقد آتينا ابرهيم رشده الآيات وقال تعالى ان ابرهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ونحوها من الآيات وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة وفي مسلم انه عليه الصلوة والسلام قال قال الله اني خلقت عبادي حنفاء وقال الله في كتابه فطرة الله التي فطر الناس عليها كما سياتي بيانه فاذا كان هذا في حق سائر الخليقة فكيف يكون ابرهيم الخليل عليه السلام الذي جعله امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ناظرا في هذا المقام بل هو اولى الناس بالفطرة السليمة والسجية المستقيمة

قال اهل التفسير ولد ابرهيم في زمن نمرود بن كنعان اول من وضع التاج ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغير دين اهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه فامر بذبح كل غلام تولد في ناحيته في تلك السنة وامر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة رجلا فاذا حاضت امراة خلى بينها وبين زوجها لانهم كانوا لا يجامعون في الحيض فاذا طهرت حال بينهما فمكث بذلك ما شاء الله ان يمكث ثم بدت له حاجة الى المدينة ولم يامن عليها احدا من قومه الا آزر فبعث اليه ودعاه وقال ان لي حاجة احب ان اوصيك بها ولا ابعثك الا لثقتي بك فاقسمت عليك ان لا تدنو من اهلك فقال آزر انا اشح على ديني من ذلك فاوصاه بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجته ثم قال لو دخلت على اهلي فنظرت اليهم فلما نظر الى ام ابرهيم لم يتمالك حتى واقعها فحملت بابرهيم فقال الكهان لنمرود ان الغلام الذي اخبرناك به قد حملت امه الليلة فامر نمرود بقتل الغلمان فلما دنت ولادة ام ابرهيم واخذها المخاض خرجت هاربة مخافة ان يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعته في حلفاء ورجعت واخبرت زوجها بانها ولدت وان الولد في موضع كذا فانطلق ابوه فاخذه من ذلك المكان وحفر له سربا عند نهر فواراه فيه وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت امه تختلف اليه فترضعه ثم كانت تطالعه لتنظر ما فعل فتجده يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع تمرا ومن اصبع سمنا فكان اليوم على ابرهيم في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث ابرهيم في السرب الا خمسة عشر شهرا حتى قال لامه من ربي قالت انا قال فمن ربك قالت ابوك قال فمن رب ابي قالت له اسكت فسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت ارايت الغلام الذي كنا نحدث انه يغير دين اهل الارض فانه ابنك ثم اخبرته بما قال فاتاه ابوه آزر فقال له ابرهيم يا ابتاه من ربي قال امك قال فمن رب امي قال انا قال فمن ربك قال نمرود قال فمن رب نمرود فلطمه لطمة وقال له اسكت فلما جن

[illegible]

بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا شك ولا ريب ومما كان يؤيد انه كان في هذا المقام مناظرا لقومه فيما كانوا فيه من الشرك لا ناظرا قوله تعالى **وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما افلا تتذكرون وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم** اي وجادله قومه فيما ذهب اليه من التوحيد وناظروه بشبه من القول قال اتحاجوني في الله اي اتجادلونني في امر الله وانه لا اله الا هو وقد هداني الى الحق وانا على بينة منه فكيف التفت الى اقوالكم الفاسدة وشبهكم الباطلة وقوله ولا اخاف ما تشركون به اي ومن الدليل على بطلان قولكم فيما ذهبتم اليه ان هذه الآلهة التي تعبدونها لا تؤثر شيئا واني لا اخافها ولا ابالي بها فان كان لها صنع فكيدوني بها ولا تنظرون بل عاجلوني بذلك وقوله الا ان يشاء ربي شيئا استثناء منقطع اي لا يضر ولا ينفع الا الله عز وجل وسع ربي كل شيء علما اي احاط علمه بجميع الاشياء فلا يخفى عليه خافية افلا تتذكرون اي فيما بينته لكم فتعتبرون ان هذه الآلهة باطلة فتنزجروا عن عبادتها وقوله وكيف اخاف ما اشركتم اي كيف اخاف من هذه الاصنام ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا اي حجة وقوله فاي الفريقين اي فاي الطائفتين اصوب الذي عبد من بيده الضر والنفع او الذي عبد ما لا يضر ولا ينفع بلا دليل ايهما احق بالامن من عذاب الله يوم القيمة فقال تعالى ناصا بينهما الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي هؤلاء الذين اخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له ولم يخلطوا ايمانهم بشرك هم الآمنون يوم القيمة المهتدون في الدنيا والآخرة عن ابن مسعود قال لما نزلت هذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على الناس وقالوا يا رسول الله فاينا لا يظلم نفسه قال انه ليس الذي تعنون الم تسمعوا قول العبد الصالح يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم انما هو الشرك رواه البخاري واحمد واللفظ له وقوله وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه حتى خاصمهم وغلبهم بالحجة وما هي هذه الآية الذين آمنوا الى آخره وقيل هي ما حاج به نمرود على ما سبق في سورة البقرة وقوله نرفع درجات بالاضافة وتركها وكلاهما قريب في المعنى ان ربك حكيم اي في افعاله واقواله عليم لمن يهديه ومن يضله وان قامت عليه الحجج والبراهين **ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا اسئلكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين** اخبر تعالى ان ابرهيم لما طعن في السن وهب له اسحق وبعده ولده يعقوب ليكون فرحه اشد لبقاء النسل والعقب وكلا هدينا اي وفقنا وارشدنا وقوله ونوحا هدينا من قبل اي من قبله هديناه كما هديناه ووهبنا له ذرية صالحة وكل منهما له خصوصية عظيمة اما نوح فان الله لما اغرق اهل الارض الا من آمن به وهم الذين صحبوه في السفينة جعل ذريته هم الباقين فالناس كلهم من ذرية نوح وكذلك الخليل ابرهيم لم يبعث الله بعده نبيا الا من ذريته كما قال وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وغيرها من الآيات المصرحة بذلك وقوله ومن ذريته اي وهدينا من ذريته داود وسليمن والضمير عائد الى نوح لانه اقرب وهو اختيار ابن جرير ويحسن ان يعود الى ابرهيم لانه الذي سبق الكلام من اجله مع انه يشكل عليه في لوط فانه ليس من ذرية ابرهيم فانه ابن اخيه هاران بن آزر اللهم الا ان يقال انه دخل في الذرية تغليبا كما هو في قوله تعالى ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت الى قوله مسلمون فان اسمعيل عم ليعقوب وقد دخل في ذريته تغليبا وفي ذكر عيسى

ازكيتم تعلمون الباطل والحق والصواب

وجاء في الخبر من ابتلي فصبر واعطي فشكر وظلم فاستغفر وظلم فغفر فاولئك لهم الامن وهم مهتدون

ويوسف

[illegible]

وذريتهما عليهم السلام دلالة على دخول ولد البنات في ذرية الرجل وقوله ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم ذكر اصولهم وفروعهم
وذوي طبقتهم وان الهداية والاجتباء شملهم كلهم ولهذا قال واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ثم قال ذلك هدى الله
اي انما حصل لهم ذلك بتوفيق الله لهم وهدايته اياهم ولو اشركوا هذا تشديد للشرك وتغليظ لشانه وتعظيم لملابسته اي لو اشركوا
الذين سميناهم لبطل وذهب عنهم ما كانوا يعملون وهذا شرط والشرط لا يقتضي جواز الوقوع كقوله قل ان كان للرحمن ولد فانا
اول العابدين وغيرها من الآيات وقوله اولئك الذين آتيناهم الكتاب اي انعمنا عليهم بالكتب المنزلة والعلم والفقه والرسالة رحمة
للعباد بهم ولطفا منا بالخليقة فان يكفر بها اي بالنبوة او بهذه الاشياء الثلثة وقوله هؤلاء يعني اهل مكة فقد وكلنا بها
اي ان يكفر بهذه النعم من كفر بها من قريش وغيرهم من سائر الناس فقد وكلنا بها قوما اي المهاجرين والانصار واتباعهم
الى يوم القيمة ليسوا بها بكافرين اي لا يجحدون شيئا منها ولا يردون منها حرفا واحدا بل يؤمنون بجميعها محكمها ومتشابهها
ثم قال تعالى مخاطبا عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم اولئك يعني الانبياء المذكورين مع من اضيف اليهم من الآباء والذرية
والاخوان وهم الاشباه الذين هدى الله اي هم اهل الهداية لا غيرهم فبهداهم اقتده اي فبسنتهم وسيرتهم اقتد واتبع والهاء
للوقف وقال مجاهد ابن عباس في ص سجدة قال نعم ثم تلا ووهبنا له الى قوله فبهداهم اقتده ثم قال نبيكم ممن امر ان يقتدى بهم
رواه البخاري وقوله قل لا اسئلكم عليه اجرا اي لا اطلب منكم على ابلاغي اياكم هذا القرآن اجرة ولا اريد منكم شيئا ان هو الا ذكرى للعالمين
اي يتذكرون به فيرشدوا من العمى الى الهدى ومن الكفر الى الايمان وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر
من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا
وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق
الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلوتهم
يحافظون اي وما عظموا الله حق تعظيمه اذ كذبوا رسله اليهم قال ابن عباس وكثيرون نزلت في قريش واختاره ابن جرير وقيل
نزلت في طائفة من اليهود وقيل في فنحاص بن عازوراء ومالك بن الصيف اليهوديين وشبههم اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء و
الاول اظهر لان الآية مكية واليهود لا ينكرون انزال الكتب من السماء جملة وقريش والعرب قاطبة كانوا يبعدون ارسال رسول من البشر
كما قال أكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم قال تعالى قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى اي قل يا محمد لهؤلاء المنكرين من
انزل الكتاب الذي جاء به موسى يعني التورية التي قد علمتم وكل احد ان الله انزلها على موسى بن عمران نورا وهدى للناس اي ليستضاء بها في
كشف المشكلات ويهتدى بها من ظلم الشبهات وقوله تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا اي تجعلون جملتها قراطيس اي قطعا
تكتبونها من الكتاب الاصلي الذي بايديهم ويحرفون فيها ما يحرفون ويبدلون ويتاولون ويقولون هذا من عند الله اي في كتابه
المنزل وما هو من عند الله ولهذا قال تجعلونه قراطيس تبدونها اي تظهرون ما تحبون وتخفون كثيرا اي من نعت النبي صلى الله عليه وسلم
وآية الرجم وقوله وعلمتم ما لم تعلموا اي ومن انزل القرآن الذي علمكم الله فيه خبر ما سبق ونبأ ما ياتي ما لم تكونوا تعلمون ذلك لا انتم
ولا آباؤكم وقال قتادة هؤلاء مشركوا العرب وقال مجاهد هذه للمسلمين وقوله قل الله اي قل الله انزله قاله ابن عباس متعينا هذه الكلمة
في تفسيره لا ما قاله بعض المتاخرين ان المعنى قل الله اي لا يكون خطابك لهم الا هذه الكلمة المفردة من غير تركيب فانه لا يفيد ذلك في لغة
العرب ولهذا يحسن السكوت عليها وقوله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون اي ثم دعهم في جهلهم وضلالهم يلعبون حتى ياتيهم اليقين
فسوف يعلمون الهم العاقبة ام لعباد الله المتقين وقوله وهذا كتاب يعني القرآن انزلناه مبارك يعني القرآن مبارك انزلناه مصدق الذي
بين يديه مما نزل من الكتب ولتنذر اي الكتاب ام القرى يعني مكة ومن حولها من احياء العرب ومن سائر طوائف بني آدم كما قال

الا يوافق لما تقدم من الكتب المنزلة

سمت مكة بام القرى لان الارض دحيت من تحتها فهي اصل الارض كلها

وآية اخرى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت خمسا لم يعطهن
احد من الانبياء قبلي وذكر منهن وكان النبي يبعث الى قومه وبعثت الى الناس عامة ولهذا قال والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به
اي كل من آمن بالله واليوم الآخر يؤمن بهذا الكتاب المبارك الذي انزلناه اليك يا محمد وهم على صلوتهم يحافظون اي يقيمون
ما افترض عليهم من اداء الصلوات في اوقاتها ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح
اليه شيء ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملئكة باسطوا
ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن
آياته تستكبرون ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم
وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون
اي لا احد اظلم ممن كذب على الله فجعل له شركاء او ولدا او ادعى ان الله ارسله الى الناس ولم يكن ارسله ولهذا قال او قال اوحي الي ولم يوح
اليه شيء قال عكرمة وقتادة نزلت في مسيلمة الكذاب ومن قال سانزل مثل ما انزل الله يعني ومن ادعى انه يعارض ما جاء
من عند الله من الوحي بما يفتريه من القول قال تعالى ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت اي في سكراته وكرباته والملئكة باسطوا
ايديهم اي بالضرب كما قال لئن بسطت الي يدك لتقتلني وقيل بالعذاب اي الملئكة باسطوا ايديهم اي بالضرب لهم حتى تخرج انفسهم
من اجسادهم ولهذا يقولون لهم اخرجوا انفسكم وذلك ان الكافر اذا احتضر بشرته الملئكة بالعذاب والنكال فتتفرق روحه
في جسده وتعصى وتابى الخروج فيضربهم الملئكة حتى تخرج ارواحهم من اجسادهم قائلين لهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب
الهون اي اليوم تهانون غاية الاهانة بما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسله وقد وردت الاحاديث
المتواترة في كيفية احتضار المؤمن والكافر عند الموت كما يجئ بعضها عند قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا الآية وقوله ولقد جئتمونا
فرادى جمع فردان كسكارى جمع سكران اي كما بدأناكم اعدناكم وقد كنتم تنكرون ذلك وتستبعدونه فهذا يوم البعث وقوله وتركتم
ما خولناكم اي من النعم والاموال التي اقتنيتموها في الدار الدنيا وراء ظهوركم وثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت وما سوى ذلك
فذاهب وتاركه للناس وقال الحسن البصري يؤتى بابن آدم يوم القيمة كانه بذخ فيقول الله له اين ما جمعت فيقول يا رب
جمعته وتركته اوفر ما كان فيقول فاين ما قدمت لنفسك فلا تراه قدم شيئا وتلا هذه الآية ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول
مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وقوله وما نرى معكم شفعاءكم تقريع وتوبيخ على ما كانوا اتخذوا في الدنيا من الانداد والاصنام
ظانين ان تلك تنفعهم في معاشهم ومعادهم ان كان ثم معاد فاذا كان يوم القيمة تقطعت الاسباب وانزاح الضلال و
ضل عنهم ما كانوا يفترون ويناديهم الرب جل وعلا على رؤس الخلائق اين شركائي الذين كنتم تزعمون ولهذا قال وما نرى معكم
شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي في العبادة لهم فيكم قسط في استحقاق العبادة لهم ثم قال لقد تقطع بينكم قرئ بينكم بالرفع
اي شملكم وبالنصب اي ما بينكم من الوصلات والاسباب والوسائل وضل عنكم ما كنتم تزعمون من رجاء الالهة والاصنام كما قال
تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا الآية وغيرها من الآيات الظاهرات ان الله فالق الحب والنوى يخرج
الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فانى تؤفكون فالق الاصباح وجعل الليل سكنا و
الشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات

كما خلقناكم اول مرة

البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون اخبر تعالى انه فالق الحب والنوى اى يشقه فى الثرى فينبت عنه
الزروع على اختلاف اصنافها من الحبوب والثمار على اشكالها والوانها وطعومها من النوى ولهذا فسر قوله فالق الحب
والنوى بقوله يخرج الحى من الميت اى يخرج النبات الحى من الحب والنوى الذى كالجماد الميت كما قال تعالى وآية لهم
الارض الميتة احييناها الآيات وقوله ومخرج الميت من الحى لعطف عن المعطوف والمعطوف عليه بعبارات كلها متقاربة
متحدة المعنى فمن قائل يخرج الدجاجة من البيضة وعكسه ومن قائل يخرج الصالح من الكافر وعكسه وغير ذلك مما تنتظمها
الآية وتشملها ثم قال ذلكم الله اى فاعل هذه الاشياء هو الله وحده لا شريك له فانى تؤفكون اى فكيف تصرفون عن الحق و
تعدلون عنه الى الباطل فتعبدون مع الله سواه وقوله فالق الاصباح اى خالق الضياء والظلام كما قال وجعل الظلمات و
النور والفلق الشق فهو سبحانه يفلق ظلام الليل من غرة الصباح فيضئ الوجود ويستنير الافق ويضمحل الظلام و
يذهب الليل وظلام ذوائبه ويجئ النهار بضيائه واشراقه فبين تعالى قدرته على خلق الاشياء المتضادة المختلفة الدالة على
كمال عظمته فذكر انه فالق الاصباح وقابل ذلك بقوله وجاعل الليل سكنا اى ساجيا مظلما تسكن فيه الاشياء كما قال
والضحى والليل اذا سجى ونحوها من الآيات وقوله والشمس والقمر حسبانا اى يجريان بحساب معين مقدر لا يتغير ولا يضطرب
بل كل منهما له منازل يسلكها فى الصيف والشتاء فيترتب على ذلك اختلاف الليل والنهار طولا وقصرا كما هو مبين فى غيرها
من الآيات الباهرات وقوله وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قال بعض السلف من اعتقد فى هذه النجوم
غير ثلاث فقد اخطأ وكذب على الله ان الله جعلها زينة للسماء ورجوما للشياطين ويهتدى بها فى ظلمات البر والبحر وقوله
قد فصلنا الآيات اى قد بيناها ووضحناها لقوم يعلمون يعقلون ويعرفون الحق ويجتنبون الباطل وهو الذى
انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون وهو الذى
انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شئ فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا
ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير
متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون انشأكم اى خلقكم وابتدأكم
من نفس واحدة يعنى آدم عليه السلام وقوله فمستقر ومستودع قال مجاهد وكثير من المفسرين مستقر اى فى الارحام ومستودع
اى فى الاصلاب وعن ابن مسعود عكسه وعنه ايضا وطائفة فمستقر فى الدنيا ومستودع حيث يموت وعن الحسن المستقر
الذى قد مات فاستقر به عمله والمستودع الدار الدنيا والاول هو الاظهر وقوله قد فصلنا الآيات اى بيناها لقوم
يفقهون اى يفهمون ويعون كلام الله ومعناه وقوله وهو الذى انزل من السماء ماء اى مباركا ورزقا للعباد وغياثا للخلائق
رحمة من الله بخلقه فاخرجنا به نبات كل شئ فاخرجنا منه خضرا اى زرعا وشجرا اخضر ثم بعد ذلك نخلق فيه الحب والثمر
ولهذا قال نخرج منه حبا متراكبا اى يركب بعضه بعضا كالسنابل ونحوها ومن النخل من طلعها قنوان دانية جمع قنو وهى
عذوق الرطب دانية اى قريبة من المتناول قال ابن عباس القنوان الدانية النخل اللاصقة عذوقها بالارض وقوله
وجنات من اعناب اى ونخرج منه جنات من اعناب وهذان النوعان هما اشرف الثمار وخيارها فى الدنيا كما امتن
بهما على عباده فى قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب الآية وقوله والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه قال قتادة
متشابها فى الورق وقريب الشكل بعضه من بعض متخالف فى الثمار شكلا وطعما وطبعا وقوله انظروا الى ثمره اذا اثمر و

هو عطف على فالق لا على يخرج لكونه مع ما بعده جملة معترضة واقعة موقع البيان لما قبله لان فلق الحب والنوى من جنس اخراج الحى من الميتة لان النامى فى حكم الحيوان الا ترى الى قوله يحيى الارض بعد موتها

ذلك تقدير العزيز العليم

مستقر اسم مكان او مصدر مبتدأ خبره محذوف اى فلكم مستقر او استقرار فى الارحام ومستودع اسم مكان او مصدر ايضا

اى السنبل الذى تراكب بعض حبه بعضا كالحنطة والشعير

وينعه اى نضجه وعليه الاكثر اى فكروا فى قدرة خالقه من العدم الى الوجود بعد ان كان حطبا صار عنبا ورطبا
وغير ذلك مما خلق من الالوان والاشكال والطعوم والروائح كما قال وفى الارض قطع متجاورات الى قوله يعقلون
ولهذا قال ههنا ان فى ذلكم لآيات اى لدلالات على كمال قدرة خالق هذه الاشياء وحكمته لقوم يؤمنون اى يصدقون
ويتبعون رسله وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى
عما يصفون هذا رد على المشركين عبدة الجن فجعلوهم شركاء الله بالعبادة تعالى الله عن شركهم ولما كانوا يعبدون الاصنام
بامر الجن وطاعتهم فكانهم عبدوا الجن حقيقة كما قال فى آية اخرى وان يدعون الا شيطانا مريدا الى قوله غرورا وكما قال
ابرهيم لابيه لا تعبد الشيطان وغيرها من الآيات وقوله وخلقهم اى وهو الخالق لهم وحده لا شريك له فكيف يعبد معه غيره
وقوله وخرقوا له بنين وبنات ينبه به تعالى على ضلال من ضل فى وصفه تعالى بان له ولدا كما نعمه اليهود فى عزير والنصارى فى المسيح
ومشركوا العرب فى الملائكة تعالى الله عن قولهم ومعنى خرقوا اختلقوا وكذبوا قال ابن عباس اى انهم تخرصوا قال ابن جرير و
تأويل الكلام وجعلوا لله شركاء الجن وخرقوا له بنين وبنات بغير علم بحقيقة ما يقولون ولكن جهلا بالله وبعظمته وانه لا ينبغى لمن كان الها ان يكون
له بنون وبنات ولا صاحبة ولا ان يشركه فى خلقه شريك ولهذا قال سبحانه وتعالى عما يصفون اى تقدس وتنزه وتعظم عما يصفه
هؤلاء الجهلة الضالون بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ
وهو بكل شئ عليم اى مبدع السموات والارض وخالقها ومنشئها ومحدثها على غير مثال سبق ومنه سميت البدعة بدعة
لانه لا نظير لها فيما سلف انى يكون له ولد اى كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة اى والولد انما يكون متولدا من شيئين
متناسبين والله لا يناسبه ولا يشابهه شئ من خلقه لانه خالق كل شئ بلا صاحبة ولا ولد كما قال تعالى وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا الى قوله فردا بين تعالى انه الذى خلق كل شئ وانه بكل شئ عليم فكيف له صاحبة من خلقه وانى يكون له ولد تعالى عن ذلك
علوا كبيرا ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل لا تدركه الابصار
وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير اى الذى خلق كل شئ ولا ولد له ولا صاحبة لا اله الا هو خالق كل شئ
فاعبدوه وحده لا شريك له واقروا له بالوحدانية وانه لا ولد له ولا والد ولا صاحبة ولا نظير ولا عديل وهو على كل شئ وكيل
اى حفيظ ورقيب يدبر كل ما سواه ويرزقهم ويكلأهم بالليل والنهار وقوله لا تدركه الابصار قيل اى لا تدركه فى الدنيا و
ان كانت تراه فى الآخرة كما تواترت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطرق ثابتة فى الصحاح والسنن كما قالت عائشة
من زعم ان محمدا ابصر ربه فقد كذب فان الله يقول لا تدركه الابصار هكذا فى الصحيح وخالفها ابن عباس فعنه اطلاق الرؤية
وانه رآه بفؤاده مرتين وذكرنا المسئلة فى اول سورة النجم ان شاء الله وقيل اى لا تدركه جميع الابصار وهذا مخصص بما ثبت من رؤية
المؤمنين له فى الدار الآخرة وقالت المعتزلة لا يرى فى الدنيا ولا فى الآخرة وخالفوا اهل السنة والجماعة فى ذلك مع ما ارتكبوه
من الجهل بما دل عليه الكتاب والسنة بقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون قال الشافعى فدل هذا على ان المؤمنين لا يحجبون عنه تعالى واما السنة فقد تواترت الاخبار عن كثير من الصحابة عن النبى صلى
الله عليه وسلم ان المؤمنين يرون الله فى الدار الآخرة فى عرصات القيامة وفى روضات الجنات وقيل المراد بالابصار العقول وهذا ضعيف
جدا وخلاف ظاهر الآية وكانه اعتقد ان الادراك بمعنى الرؤية ولا منافاة بينهما فان الادراك اخص من الرؤية ولا يلزم من
نفى الاخص نفى الاعم وعن ابن عباس ايضا اى لا يحيط به احد بالملك وقال قتادة اى هو اعظم من ان تدركه الابصار وقيل

غنى عن عمل جباله من غير فكر وروية

او المعنى هو بديع فى السموات والارض

هو الله ربكم

لا معبود سواه ولا المستحق للعبادة غيره من العباد

اى لا تحيط ابصارهم به فى الآخرة من عظمته وبصره يحيط بهم وفى الحديث الغريب المرفوع لو ان الجن والانس والملائكة والشياطين منذ خلقوا الى الآن فنوا صفوا صفا واحدا ما احاطوا بالله ابدا رواه ابن ابى حاتم وعن عكرمة قال سمعت ابن عباس يقول راى محمد ربه تبارك وتعالى فقلت اليس الله يقول لا تدركه الابصار فقال لى لا ام لك ذاك نوره الذى هو نوره اذا تجلى بنوره لا تدركه شئ وفى رواية لا يقوم له شئ قال الحاكم صحيح على شرطهما وهذا كما جاء فى الصحيح حجابه النور او النار لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه وهذا اشارة الى ان جلاله وعظمته على ما هو عليه فلا تدركه الابصار ولهذا كانت عائشة تثبتها فى الآخرة وتنفيها فى الدنيا محتجة بقوله لا تدركه الابصار من رؤية بهاء العظمة والجلال على ما هو عليه فان ذلك غير ممكن لاحد من المخلوقين وقوله وهو يدرك الابصار عن المبصرين كما قيل لا يراه شئ وهو يرى الخلائق وهو اللطيف اى باوليائه الخبير بهم يعنى الرفيق بعباده الخبير بحالهم **قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما انا عليكم بحفيظ وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون** البصائر هى البينات والحجج التى اشتمل عليها القرآن وجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فمن ابصر اى فمن عرفها وآمن بها فلنفسه عمل وتنفعه له ومن عمى عنها لم يعرفها ولم يصدقها فعليها وبالها وضلالها فان ذلك يعود الى نفسه وما انا عليكم بحفيظ اى بحافظ ولا رقيب بل انا مبلغ والله يهدى من يشاء ويضل من يشاء وقوله وكذلك نصرف الآيات اى وكما فصلنا هذه الآيات فى هذه السورة من بيان التوحيد هكذا نوضحها ونفسرها ونبينها فى كل موطن بجهله الجاهلون وقوله وليقولوا اى ليقول الكفرة دارست يا محمد من قبلك من اهل الكتاب وقارأتهم وتعلمت منهم هكذا عن ابن عباس وكثير منهم وعنه ايضا دارست اى تلوت وخاصمت وجادلت كما فى آيات اخر مما نسب اليه من الكذب والسحر والافك ولنبينه اى ولنوضحه لقوم يعلمون الحق فيتبعونه والباطل فيجتنبونه فلله تعالى الحكمة فى اضلال اولئك وبيان الحق لهؤلاء كما قال يضل به كثيرا وغير ذلك من الآيات الدالة عليها وفى قراءة ابن مسعود درست بغير الالف بفتح السين وسكون التاء وعليه ابن الزبير والحسن اى تقادمت وانمحت يعنى ان الذى تتلوه علينا قد مر بنا وتطاولت مدته وفى قراءة بعض درست مجهولا وعن ابى بن كعب قال اقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليقولوا درست بسكون السين وفتح التاء وصححه الحاكم فى مستدركه **اتبع ما اوحى اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل** اى اتبع واقتف اثر ما انزل اليك من ربك واعمل به والمراد النبى صلى الله عليه وسلم وامته فانه هو الحق الذى لا مرية فيه لانه لا اله الا هو واعرض عن المشركين اى اعف عنهم واصفح واحتمل اذاهم حتى يفتح الله لك وينصرك واعلم ان لله حكمة فى ضلالهم فانه لو شاء لهدى الناس كلهم جميعا ولجمعهم على الصراط المستقيم بل له المشية والحكمة فيما يشاء وقوله وما جعلناك عليهم حفيظا اى حافظا تحفظ اعمالهم واقوالهم وما انت عليهم بوكيل اى بموكل على ارزاقهم وامورهم ان عليك الا البلاغ **ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون** هذا نهى عن سب آلهة المشركين لما كان فيه من مصلحة لئلا يترتب عليها مفسدة اعظم منها وهى مقابلة المشركين بسب اله المؤمنين وهو الله لا اله الا هو قال ابن عباس قالوا يا محمد لتنتهين عن سبك آلهتنا او لنهجون ربك فنهاهم الله ان تسبوا اوثانهم فيسبوا الله عدوا اعتداء وظلما بغير علم وكان المسلمون يسبون اصنام الكفار فنزلت اه ونحو ذلك قال السدى وغيره لما حضرت ابا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنامرنه

البصائر جمع البصيرة وهى نور القلب يستبصر به معنى كل شئ وصوابه وخطاؤه كما ان البصر نور العين يبصر به صورته والمعنى قد جاءكم من عند ربكم الدلالات الواضحة والحجج الظاهرة التى يبصر بها الهدى من الضلال والحق من الباطل وما يجوز على الله وما لا يجوز فانه كالبصائر للقلوب وهى آيات القرآن والمعجزات التى جاءت من عند الرحمن

ولو شاء الله ما اشركوا مفعول شاء محذوف اى عدم اشراكهم

ان نهى عنا

ان ينهى عنا ابن اخيه فانا نستحيى ان نقتله بعد موته فتقول العرب كان يمنعه عمه فلما مات قتلوه فانطلق ابو سفيان وابو جهل والنضر بن الحارث وامية وابى ابنا خلف وعقبة بن ابى معيط وعمرو بن العاص والاسود بن ابى البخترى الى ابى طالب فقالوا يا ابا طالب انت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد آذانا وآذى آلهتنا فنحب ان تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه والهه فدعاه فقال هؤلاء قومك يقولون نريد ان تدعنا وآلهتنا وندعك والهك وقد انصفك قومك فاقبل منهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارايتم ان اعطيتكم هذا هل انتم معطى كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم فقال ابو جهل وابيك لنعطينكها وعشرة امثالها فما هى قال قولوا لا اله الا الله فابوا ونفروا فقال ابو طالب قل غيرها يا ابن اخى فقال يا عم ما انا بالذى اقول غيرها ولو اتونى بالشمس فوضعوها فى يدى فقالوا لتكفن عن سبك آلهتنا او لنشتمنك ولنشتمن من يامرك فانزل الله هذه الآية رواه ابن جرير وابن ابى حاتم وقوله وكذلك زينا اى وكما زينا لهؤلاء القوم حب اصنامهم والمحاماة لها والانتصار كذلك زينا لكل امة من الامم الخالية على الضلال عملهم الذى كانوا فيه ولله الحجة البالغة والحكمة التامة فيما شاء واختار ثم الى ربهم مرجعهم اى معادهم ومصيرهم فينبئهم بما كانوا يعملون اى يجازيهم باعمالهم ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا **واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون** اى ان المشركين حلفوا ايمانا مؤكدة لئن جاءتهم آية اى معجزة وخارق ليصدقنها قل انما الآيات اى قل يا محمد لهؤلاء المعاندين فى هذا السؤال انما مرجع هذه الآيات الى الله ان شاء الله اجابكم وان شاء تركهم قال محمد بن كعب القرظى وغيره قالت قريش يا محمد انك تخبرنا ان موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا ان عيسى كان يحيى الموتى فاتنا من الآيات حتى نصدقك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اى شئ تحبون قالوا ان تجعل لنا الصفا ذهبا فقال لهم فان فعلت تصدقونى قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك اجمعين فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فجاء جبريل فقال ما شئت ان شئت اصبح ذهبا ولئن ارسل آية فلم يصدقوا عند ذلك لنعذبنهم وان شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب تائبهم فانزل الله واقسموا بالله جهد ايمانهم الى قوله يجهلون رواه ابن جرير مرسلا وقوله وما يشعركم قيل المخاطب به المشركون قاله مجاهد كانه يقول لهم وما يدريكم بصدقكم فى هذه الايمان الذين يقسمون بها وعلى هذا فالقراءة انها اذا جاءت لا يؤمنون بكسر همزة انها باستيناف المخبر عنهم بنفى الايمان عند مجئ الآيات التى طلبوها وقرئ يؤمنون بالتاء المثناة من فوق وقيل المخاطب فى قوله وما يشعركم المؤمنون اى وما يدريكم ايها المؤمنون وعلى هذا يجوز فى قوله انها الكسر على الاستيناف والفتح على انها معمول يشعركم وحينئذ يكون لا فى لا يؤمنون صلة كما فى قوله ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك وقيل انها بمعنى لعلها كما هو فى قراءة ابى بن كعب كما سمع من العرب اذهب الى السوق انك تشترى شيئا اى لعلك تشترى واختاره ابن جرير وذكر عليه شواهد من الاشعار والله اعلم وقوله ونقلب افئدتهم وابصارهم قال ابن عباس يعنى ونحول بينهم وبين الايمان فلو جئناهم بالآيات التى سالوا ما آمنوا بها كما لم يؤمنوا به اول مرة اى بما قبلها من انشقاق القمر وغيره وكمثل نفى معجزات موسى وغيره من الانبياء وعن ابن عباس المرة الاولى الدنيا يعنى لو ردوا من الآخرة الى الدنيا نقلب افئدتهم وابصارهم اى نحولها عن الايمان كما لم يؤمنوا فى الدنيا قبل مماتهم كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقوله ونذرهم قال ابن عباس ونتركهم اى

اى نتركهم فى ضلالهم يلعبون ويترددون ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا
ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون اى ولو اننا اجبنا سؤال هؤلاء الذين اقسموا بالله
جهد ايمانهم فنزلنا عليهم الملائكة تخبرهم بالرسالة من الله بتصديق الرسل كما سالوا فقالوا او تاتى بالله والملائكة قبيلا وكلمهم الموتى فاخبروهم
بصدق ما جاءتهم الرسل وحشرنا عليهم كل شىء قبلا قرا بعضهم بكسر القاف وفتح الباء اى المعاينة وقرا آخرون بضمها وقيل معناه
من المقابلة والمعاينة ايضا وقال مجاهد قبلا افواجا قبيلا قبيلا اى فوجا فوجا حتى يعرض عليهم كل امة من الامم فيخبروهم بصدق
الرسل فيما جاؤهم به ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله لان الهداية اليه لا اليهم كما قال تعالى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك
لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى
بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه
افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون اى كما جعلنا لك يا محمد اعداء يخالفونك
ويعادونك جعلنا لكل نبى من قبلك ايضا اعداء فلا يحزنك ذلك كما قال تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وغيره من الايات
وقال ورقة بن نوفل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يات احد بمثل ما جئت به الا عودى وقوله شياطين الانس بدل من عدوا
اى لهم اعداء من شياطين الانس والجن والشيطان العادى المتمرد من كل شىء فالانسى الذى مع الانس والجنى الذى مع الجن وذلك
ان ابليس قسم جنوده فريقين فبعث فريقا منهم الى الانس وفريقا منهم الى الجن وكلاهما اعداء للانبياء عليهم السلام عن ابى ذر قال
اتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى المجلس فجلست فقال يا ابا ذر صليت فقلت لا قال قم فصل قال فقمت فصليت ثم جلست فقال
يا ابا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الانس والجن قال قلت يا رسول الله هل للانس شياطين قال نعم رواه احمد وابن حبان قال
عكرمة شياطين الجن يوحون الى شياطين الانس وشياطين الانس يوحون الى شياطين الجن وذلك قوله يوحى بعضهم الى بعض
زخرف القول غرورا اى يزينون لهم القول الباطل والقبائح من الاعمال من الوسوسة فى القلوب فيغترون بذلك ولو شاء ربك
ما فعلوه اى وذلك كله بقدر الله وقضائه وارادته ان يكون لكل نبى عدوا من هؤلاء فذرهم اى ودعهم وما يفترون من
الكذب فسوف ترى ما اذاهم وتوكل على الله فى عداوتهم فان الله كافيك وناصرك عليهم وقوله ولتصغى اليه اى ولتميل اليه افئدة الذين
لا يؤمنون بالاخرة اى قلوب الكفار وعقولهم واسماعهم وليرضوه اى يحبوه ويريدوه وانما يستجيب لذلك من لا يؤمن بالاخرة
كما قال تعالى فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين وقوله وليقترفوا ما هم مقترفون اى وليعملوا ما هم عاملون يقال اقترف
فلان مالا اذا اكتسبه افغير الله ابتغى حكما وهو الذى انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب
يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته
وهو السميع العليم اى قل لهؤلاء المشركين افغير الله ابتغى حكما بينى وبينكم وهو الذى انزل اليكم الكتاب يعنى القران مفصلا اى مبينا
فيه امره ونهيه والذين اتيناهم الكتاب يعنى اليهود والنصارى يعلمون انه بما عندهم من البشارات بك من الانبياء المتقدمين انه
منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين اى الشاكين وهذا شرط والشرط لا يقتضى وقوعه ولهذا جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لا اشك ولا اسال وقوله وتمت كلمة ربك قراها بعضهم على التوحيد والاخرون على الجمع والمراد اوامره ونواهيه صدقا
فيما وعد وعدلا فيما حكم وقيل صدقا فى الاخبار وعدلا بكل ما اخبر به فحق لا مرية فيه ولا شك وكل ما امر به فهو العدل الذى لا عدل
سواه وكل ما نهى عنه فباطل لا شك فيه لا مبدل لكلماته اى ليس احد يعقب حكمه ولا يغير قضاءه لا فى الدنيا ولا فى الاخرة وهو السميع لاقوال العباد

العليم بحركاتهم وسكناتهم الذى يجازى كل عامل بعمله وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله ان
يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
هذا اخبار عن اكثر اهل الارض انهم على الضلال كما قال ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين يضلوك عن سبيل الله اى عن دين الله وذلك انهم جادلوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فى اكل الميتة فقالوا اتاكلون ما تقتلون ولا تاكلون ما قتل الله ان يتبعون الا الظن اى انهم فى
ظنون كاذبة وان هم الا يخرصون اى يتبعون الهوى من غير بصيرة فان الخرص هو الحزر وهو امر ظنى وذلك بتقدير الله
ومشيئته ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله موضع من نصب بنزع الخافض وقيل رفع بالابتداء ولفظها الاستفهام اى هو اعلم
اى الناس يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اخبر انه اعلم بالفريقين بالضالين والمهتدين فيجازى كلا بما يستحقون فكلوا مما ذكر
اسم الله عليه ان كنتم باياته مؤمنين وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم
عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين هذا اباحة
من الله لعباده المؤمنين ان ياكلوا من الذبائح ما ذكر عليه اسمه لا ما ذكر عليه اسم غير الله ثم قال وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه
وقد فصل لكم اى بين لكم حكم ما حرمه عليكم ووضحه وقرا بعضهم فصل بالتشديد والمعنى واحد الا ما اضطررتم اليه اى الا فى حال
الاضطرار فانه يباح لكم ما وجدتم ثم بين جهالة المشركين فى ارائهم الفاسدة من استحلالهم الميتات وما ذكر عليه غير اسم الله فقال
وان كثيرا ليضلون باهوائهم من اتخاذهم البحائر والسوائب واكل الميتة بغير علم وهو اعلم بالمعتدين اى بعدوانهم وافترائهم وذروا ظاهر
الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون قال مجاهد اى معصيته فى السر والعلانية قليلها
وكثيرها وقال السدى ظاهره الزنا مع البغايا ذوات الرايات وباطنه الزنا مع الخليلة والصدائق والاخدان والصحيح ان الاية عامة فى
كل ذلك ولهذا قال ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون اى يباشرون ويكسبون اى سواء كان ظاهرا او خفيا فان الله سيجزيهم
عليه وعن النواس بن سمعان قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاثم فقال الاثم ما حاك فى نفسك وكرهت ان يطلع الناس عليه رواه
احمد والدارمى عن وابصة بن معبد ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى
اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون هذا دليل لمن ذهب الى انه لا يحل ذبيحة لم يذكر اسم الله عليها ولو ذبحها
مسلم واختلفوا فيها على اقوال احدها انه لا يحل مطلقا سواء ترك التسمية عمدا او سهوا وهو رواية عن مالك واحمد وموافقيه محتجين بالاحاديث
الواردة فى الامر بالتسمية عند الذبيحة والصيد والثانى ان لا يشترط التسمية بل هى مستحبة فان تركها عمدا او ناسيا لم تضر وبه قال الشافعى وجميع
اصحابه ورواية عن احمد ما قالوا ان الاية على ما ذبح لغير الله لقوله تعالى او فسقا اهل لغير الله قال عطاء هذا نهى عن ذبائح كانت قريش تذبحها
عن الاوثان وعن ذبائح المجوس والذى قاله الشافعى قوى ويقويه ما قال بعضهم ان الواو فى قوله وانه لفسق حالية اى لا تاكلوه مالم يذكر اسم الله
عليه فى حال كونه فسقا ولا يكون فسقا حتى يكون قد اهل به لغير الله وهذا متعين لا يجوز ان تكون عاطفة للزوم عطف الجملة الاسمية على الفعلية
وروى عن ابن عباس ان المراد به الميتة ويؤيد القول الثانى ما روته عائشة ان ناسا قالوا يا رسول الله ان قوما ياتوننا باللحم لا ندرى اذكر
اسم الله عليه ام لا فقال سموا انتم عليه اسم الله وكلوا رواه البخارى وله شواهد اخرى فى السنن والثالث ان ترك التسمية على الذبيحة
نسيانا لم يضر وعمدا لم يحل وهذا مذهب الائمة الثلاثة وموافقيهم من الخلف والسلف ولكل ادلة مذكورة فى كتبهم والفتوى لا تخفى وقوله
وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم قال ابن عباس الوحى وحيان وحى الله الى محمد صلى الله عليه وسلم ووحى الشياطين الى اوليائهم وقيل
لابن عمر ان المختار يزعم انه يوحى اليه قال ان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وقوله ليجادلوكم اى ليخاصموكم وذلك ان المشركين قالوا يا محمد

بزعمكم تاكلون مما قتلتم او قتلته الجوارح
والكلب ولا تاكلون ما قتل الله

لا يجوز نصب من باعلم لان افعل التفضيل لا يعمل
فى الاسم الظاهر ولا هو باضافة اعلم اليه
لان افعل لا يضاف الا الى بعض المضاف اليه
وتعالى الله ان يكون بعض الضالين

اى واى غرض لكم ان لا تاكلوا اى فى ترك
الاكل

اى وان الاكل مما لم يذكر اسم الله عليه
لخروج عن الحق والدين لمن يحكم
مع استحلاله والا فمعصية

اخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا افتزعم ان ما قتلت انت واصحابك حلال وما قتله الكلب والصقر حلال
وما قتله الله حرام فانزل الله هذه الآية وقوله وان اطعتموهم انكم لمشركون اي حيث عدلتم عن امر الله لكم وشرعه الى قول غيره فقدمتم ذلك
عليه فهذا هو الشرك وعن عدي بن حاتم انه قال يا رسول الله ما عبدوهم قال بلى فقال انهم احلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم
فذلك عبادتهم اياهم رواه الترمذي وبتفسير هذه الآية **اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس
كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون** هذا مثل ضربه الله للمؤمن الذي
كان ميتا اي بالضلالة هالكا حائرا فاحياه الله قلبه بالايمان وهداه ووفقه لاتباع رسله وجعلنا له نورا يمشي به في الناس اي كيف
يسلك وكيف يتصرف والنور هو القرآن والاسلام كمن مثله في الظلمات اي الجهالات والاهواء والضلالات ليس بخارج منها اي
لا يهتدي الى منفذ ولا يتخلص مما هو فيه عن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق خلقه في ظلمة فالقى
عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل فلذلك اقول جف القلم على علم الله رواه احمد والترمذي كما قال تعالى الله
ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور الآية وغيرها من الآيات بهذا المعنى وقيل المراد بهذا رجلان معينان حمزة بن عبد المطلب
رضي الله عنه وابو جهل لعنه الله وذلك ان ابا جهل رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرث فاخبر حمزة بما فعل ابو جهل وهو راجع
من قنصه وبيده قوس وحمزة لم يؤمن بعد فاقبل غضبان حتى اتى ابا جهل فضربه بالقوس وهو يتضرع اليه وهو يقول يا ابا يعلى
اما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة ومن اسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله
الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت في عمر بن الخطاب وابي جهل وقيل في عمار بن ياسر وابي جهل
والصحيح ان الآية عامة يدخل فيها كل مؤمن وكافر وقوله كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون اي حسنا لهم ما هم فيه من الجهالة والضلالة
قدرا من الله وحكمة بالغة لا اله الا هو **وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون
الا بانفسهم وما يشعرون واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله الله
اعلم حيث يجعل رسالاته سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون**
اي وكما جعلنا في قريتك يا محمد اكابر من المجرمين ودعاة الى الكفر والصد عن سبيل الله والى مخالفتك كذلك كانت الرسل يبتلون بذلك
والعاقبة للمتقين كما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين الآية قال ابن عباس اكابر مجرميها اي سلطنا شرارها فعصوا
فيها فاذا فعلوا ذلك اهلكناهم بالعذاب والمراد بالاكابر العظماء والمكر هنا دعاؤهم الى الضلال بزخرف من المقال والفعال
كما قال تعالى ومكروا مكرا كبارا وقوله وما يمكرون الا بانفسهم اي يعود وبال مكرهم ذلك واضلالهم الخلق الا على انفسهم كما قال تعالى
وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قال سفيان كل مكر في القرآن فهو عمل وقوله واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما
اوتي رسل الله اي حتى تأتينا الملائكة من الله بالرسالة كما تأتي الى الرسل وقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته اي هو اعلم حيث يضع رسالاته
ومن يصلح لها من خلقه كما قال تعالى وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اهم يقسمون رحمة ربك الآية اي هلا نزل
هذا القرآن على رجل عظيم كبير مبجل في اعينهم من اهل مكة والطائف وذلك انهم قبحهم الله كانوا يزدرون بالرسول صلوات الله وسلامه
عليه بغيا وحسدا وعنادا كما قال تعالى واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث الله رسولا هذا مع انهم كانوا
معترفون بفضله وشرف نسبه وطهارة بيته ومرباه ومنشاه حتى انهم كانوا يسمونه قبل الوحي الامين كما اعترف به ابو سفيان رئيسهم
حين ساله هرقل ملك الروم كيف نسبه فيكم قال هو فينا ذو نسب قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا الحديث

التقدير اي المؤمن الذي في النور مثل من هو في الظلمات الكفر والبدعة والضلالة والجهالة

وفيه اكتساب الاحسان بعد العمى والطغيان مثل الميت الذي احياه الله بالفضل والانعام وجعله مستضيئا من الله بنور العلم والايمان فيميز بعضهم من بعض بعقيدتهم وطيبهم وان مثل من يقتر على الكفر والعناد ولم يرجع عنه الى سبيل الرشاد مثل من هو في ظلمات الجهالات والضلالات لا ينفك ولا يتخلص منها ابد الآباد

قدم المفعول الثاني وهو الاكابر اي صيرنا في كل قرية اكابرها ومجرميها بدل من الاكابر

ليمكروا فيها بالمعاصي والغواية الاناس اي ليمكروا ليصدوا الناس عن الايمان ويرموا النبي بالسحر والجنون

بطوله الذي استدل به هرقل على صدقه ونبوته وصحة ما جاء به وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت من خير
قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه رواه البخاري وعن واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه و
سلم قال ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من بني اسمعيل بني كنانة واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم
واصطفاني من بني هاشم رواه مسلم وقوله سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله هذا وعيد شديد وتهديد اكيد لمن تكبر عن اتباع رسل الله
والانقياد لهم فيما جاؤا به بانه سيصيبه يوم القيمة بين يدي الله صغار وهو الذلة الدائمة كما انهم استكبروا اعقبهم ذلك ذلا
كما قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي الآية وقوله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون لما كان المكر غالبا انما يكون خفيا وهو
التلطف بالتحيل والخديعة قوبلوا بالعذاب الشديد جزاء وفاقا وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ينصب لكل غادر
لواء عند استه يوم القيمة فيقال هذه غدرة فلان بن فلان والحكمة في هذا انه لما كان الغدر خفيا لا يطلع عليه الناس فيوم القيمة
يصير علما منشورا على صاحبه بما فعل **فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل
صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون** قوله تعالى يشرح صدره
للاسلام اي ييسره وينشطه ويسهله لذلك فهذا علامة الخير كما قال افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقال ولكن الله
حبب اليكم الايمان الآية قال ابن عباس يشرح صدره اي يوسع قلبه للتوحيد والايمان به وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
هذه الآية فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام قالوا كيف يشرح صدره يا رسول الله قال نور يقذف فيه فينشرح له وينفسح قالوا
فهل لذلك من امارة يعرف بها قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت رواه
البيهقي وابن جرير وابن ابي حاتم بطرق عن ابن مسعود وقوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا قرأه بعضهم بفتح الضاد
وسكون الياء واكثرهم بالكسر والتشديد وهما لغتان كهين وهين وقرأ بعضهم حرجا بكسر الراء اي آثما وعلى قراءة فتح الراء
معناه هو الذي لا يتسع لشيء من الهدى ولا يخلص اليه ما ينفعه من الايمان ولا ينفذ فيه وسئل عمر رضي الله عنه رجلا من اعراب
البادية ما الحرجة فقال هي الشجرة من بين الاشجار لا يصل اليها راعية ولا وحشية ولا شيء فقال عمر كذلك قلب المنافق لا يصل اليه شيء
من الخير قال ابن عباس يجعل الله عليه الاسلام ضيقا والاسلام واسع وذلك حين يقول وما جعل عليكم في الدين من حرج اي في الاسلام
من ضيق وقيل اي شاكا وقيل اي ضيقا حرجا بلا اله الا الله حتى لا يستطيع ان تدخلها كانما يصعد في السماء من شدة ذلك عليه
قال ابن عباس اي كما لا يستطيع ابن آدم ان يصعد الى السماء كذلك لا يقدر على ان يدخل التوحيد والايمان قلبه حتى يدخله الله
في قلبه ومن ذلك قال ابو جعفر بن جرير هذا مثل ضربه الله لقلب هذا الكافر في شدة تضييقه اياه من وصول الايمان اليه يقول
فمثله في امتناعه من قبول الايمان وضيقه عن وصوله اليه مثل امتناعه من الصعود الى السماء وعجزه عنه لانه ليس في وسعه وطاقته
وقال في قوله كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون اي كذلك يسلط الله الشيطان عليه وعلى امثاله ممن ابى الايمان بالله ورسوله فيغويه
ويصده عن سبيل الله والرجس الشيطان وكل ما لا خير فيه واللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة **وهذا صراط ربك مستقيما قد
فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون** لما ذكر الله طريقة
الضالين عن سبيله الصادين عنها نبه على شرف ما ارسل به رسوله من الهدى ودين الحق فقال وهذا صراط ربك مستقيما منصوب على الحال
اي هذا الدين الذي شرعناه لك يا محمد هو صراط الله المستقيم كما تقدم عن علي في نعت القرآن هو صراط الله المستقيم وحبل الله المتين وهو
الذكر الحكيم رواه احمد والترمذي قد فصلنا الآيات اي قد وضحناها وبيناها لقوم يذكرون اي لمن له فهم ووعي يعقل عن الله ورسوله

قوله رسل منكم زعم الفراء ان فى الآية حذف مضاف اى الم يأتكم رسل من احدكم يعنى من جنس الانس وانما احتاج الفراء الى ذلك لان الرسل عنده مختصة بالانس يعنى لم يعتقد ان الله ارسل للجن رسولا منهم بل انما ارسل اليهم الانس كما اشتهر وروى فى التفسير وعليه قام عامة الاجماع ان النبى صلى الله عليه وسلم مرسل للانس والجن وهذا هو الحق اعنى ان الجن لم يرسل منهم الا بواسطة رسالة الانس كما فى الحديث من الجن الذى

لهم دار السلام اى لهم يوم القيمة الجنة وانما وصفها بدار السلام لسلامتهم فيما سلكوه من الصراط المستقيم اقتفاء لآثار الانبياء و طرائقهم وهو وليهم اى الله وليهم وحافظهم وناصرهم بما كانوا يعملون اى جزاء على اعمالهم الصالحة تولاهم واثابهم الجنة بمنه و كرمه ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا قال النار مثويكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم اى واذكر يا محمد فيما نقصه عليهم وتنذرهم به يوم يحشرهم جميعا يعنى الجن واولياءهم الذين كانوا يعبدونهم فى الدنيا ويعوذون بهم ويطيعونهم ويوحى بعضهم الى بعض يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس اى من اضلالهم واغوائهم قال ابن عباس يعنى اضللتم منهم كثيرا وقال اولياؤهم من الانس اى اولياء الجن من الانس مجيبين لله تعالى ربنا استمتع بعضنا ببعض قال الحسن و ما كان ذلك الا ان الجن امر ومن الانس العمل وهو طاعة بعضهم بعضا وموافقة بعضهم بعضا وقيل استمتاع الانس بالجن ما كانوا يلقون اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم الذى يهوونها حتى تسهل فعلها عليهم واستمتاع الجن بالانس بطاعة الانس لهم فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصى وبلغنا اجلنا قال السدى اى الموت قال النار مثويكم اى مقامكم ومنزلكم انتم واولياؤكم خالدين فيها اى ماكثين مكثا مخلدا الا ما شاء الله قال بعضهم يرجع هذا الاستثناء الى البرزخ وقيل رد الى مدة حيوتهم الدنيا وقيل غير ذلك مما يجئ فى سورة هود عند قوله الا ما شاء ربك ان ربك حكيم عليم بمن استحق علم بما فى قلوبهم من البر والتقوى قال ابن عباس ان هذه آية لا ينبغى لاحد ان يحكم على الله فى خلقه لا ينزلهم جنة ولا نارا وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون قال قتادة انما يولى الله الناس باعمالهم فالمؤمن ولى المؤمن اين كان وحيث كان والكافر ولى الكافر اينما كان وحيثما كان ليس الايمان بالتمنى ولا بالتحلى وهذا اختيار ابن جرير وقيل اى ولينا بعضهم بعضا وقيل اى ظالمى الجن وظالمى الانس وقال مالك بن دينار قرأت فى الزبور انى انتقم من المنافق بالمنافق ثم انتقم من المنافقين جميعا وقيل نسلط ظلمة الجن على ظلمة الانس وعن ابن مسعود مرفوعا من اعان ظالما سلطه الله عليه حديث غريب وقال الشاعر

وما من يد الا يد الله فوقها ... وما ظالم الا سيبلى بظالم

ومعنى الآية كما ولينا هؤلاء الخاسرين من الانس تلك الطائفة التى اغوتهم من الجن كذلك نفعل بالظالمين نسلط بعضهم على بعض ونهلك بعضهم ببعض وننتقم من بعضهم ببعض جزاء على ظلمهم وبغيهم يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين هذا ايضا تقريع لكفرة الجن والانس يوم القيمة حيث يسألهم وهو اعلم هل بلغتهم الرسل رسالاته استفهام تقرير يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم اى من جملتكم والرسل من الانس فقط واختلفوا فى ان الجن هل ارسل اليهم منهم رسول وسئل الضحاك عنه فقال بلى الم تسمع الله يقول الم يأتكم رسل منكم اى من الفريقين وعن الكلبى نحوه وقال مجاهد قال ابن عباس من بنى آدم الرسل ومن الجن النذر لقوله ولوا الى قومهم منذرين الآيات واستدلال الضحاك ليس بقوى فانه كقوله مرج البحرين يلتقيان اى المالح والحلو بينهما برزخ لا يبغيان الى ان قال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ومعلوم ان اللؤلؤ والمرجان يستخرجان من المالح لا من الحلو وهذا واضح و قوله قالوا شهدنا اى اقررنا ان الرسل قد بلغونا رسالاتك وانذرونا لقاءك وان هذا اليوم كائن لا محالة قال تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا اى وقد فرطوا فى حيوتهم الدنيا وهلكوا فيها بتكذيبهم الرسل لما اغتروا به من زخرف الحيوة الدنيا وزينتها وشهواتها وشهدوا على انفسهم اى يوم القيمة انهم كانوا كافرين اى فى الدنيا بما جاءتهم به الرسل عليهم السلام ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم و اهلها غافلون ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون اى انما اعذرنا الى الثقلين بارسال الرسل

قوله تعالى يا معشر الجن والانس الم يأتكم هذه الآية بقية توبيخ الكفار يوم القيمة قال اهل اللغة المعشر كل جماعة امرهم واحد ويحصل بينهم معاشرة ومخالطة والجمع المعاشر

قوله منكم فى محل رفع صفة لرسل فيتعلق بمحذوف

وانزال الكتب لئلا يعاقب احدا بظلمه ولم يبلغه دعوة ولكن اعذرنا الى الامم وما عذبنا احدا الا بعد ارسال الرسل اليهم كما قال و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وغيره من الآيات المصرحة بذلك قال ابن جرير قوله بظلم يحتمل وجهين احدهما ذلك من اجل ان ربك لم يكن ليهلك القرى بظلم اهلها بالشرك ونحوه وهم غافلون يعنى لم نعاجلهم بالعقوبة حتى نبعث اليهم رسلا تنبئهم على حجج الله عليهم و تنذرهم عذاب الله يوم معادهم والثانى ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم اهلها دون التنبيه والتذكير بالرسل والآيات والعبر فيظلمهم بذلك والله غير ظلام لعبيده ورجح الاول وهو كذلك والله اعلم وقوله ولكل درجات اى ولكل عامل من طاعة الله او معصيته منازل ومراتب من عمله يبلغه الله اياها ويثيبه بها ان خيرا فخير وان شرا فشر قال الشيخ يحتمل ان يعود قوله ولكل اى من كافرى الجن والانس اى ولكل درجة فى النار بحسبه لقوله قال لكل ضعف وقوله وما ربك بغافل عما يعملون قال ابن جرير وكل ذلك من عملهم يعلم ربك يحصيها ويثبتها لهم عنده ليجازيهم عليها عند لقائهم اياه وربك الغنى ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما انشأكم من ذرية قوم آخرين ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون اى وربك يا محمد الغنى عن جميع خلقه من جميع الوجوه وهم الفقراء اليه فى جميع احوالهم ذو الرحمة اى وهو مع ذلك رحيم بهم رؤف كما قال ان الله بالناس لرؤف رحيم ان يشأ يذهبكم اى اذا خالفتم امره ويستخلف من بعدكم ما يشاء اى قوما آخرين يعملون بطاعته كما انشأكم من ذرية قوم آخرين اى هو قادر على ذلك سهل عليه يسير لديه كما اذهب القرن الاول واتى بالذى بعده كذلك هو قادر على اذهاب هؤلاء والاتيان بآخرين كما قال ان يشأ يذهبكم ايها الناس الآية وقال يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله الآية وقال والله الغنى وانتم الفقراء الآية والذرية الاهل والنسل وقوله ان ما توعدون لآت اى اخبرهم يا محمد ان الذى توعدون به من امر المعاد كائن لا محالة وما انتم بمعجزين اى لا يعجزون الله بل هو قادر على اعادتكم وان صرتم ترابا ورفاتا وعظاما فانه قادر لا يعجزه شئ وعن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يا بنى آدم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى والذى نفسى بيده انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين رواه ابن ابى حاتم وقوله قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اى استمروا على طريقتكم وناحيتكم ان كنتم تظنون انكم على هدى فانا مستمر على طريقتى ومنهجى وهذا تهديد كما قال تعالى وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم الآية فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار اى لمن تكون الجنة لى او لكم انه لا يفلح الظالمون اى لا يفوزون ولا يسعد من لم يتق واشرك وقد انجز الله موعوده له عليه الصلوة والسلام حيث مكن له فى البلاد وحكمه من نواصى مخالفيه من العباد وفتح مكة واظهره على من كذبه من قومه واستقر امره على سائر جزيرة العرب وكذلك اليمن والبحرين فى حيوته ثم فتحت الامصار والاقاليم بعده فى ايام خلفائه رضى الله عنهم كما قال تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلى الآية وغيره من الآيات الظاهرات وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون هذا ذم وتوبيخ للمشركين الذين ابتدعوا بدعا وشركا وجعلوا لله جزءا من خلقه وهو خالق كل شئ سبحانه وتعالى عما يشركون ولهذا قال وجعلوا لله مما ذرأ اى مما خلق وبرأ من الحرث والانعام نصيبا اى جزءا وقسما فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا قال ابن عباس ان اعداء الله كانوا اذا احرثوا حرثا وكانت لهم ثمرة جعلوا لله منه جزءا وللوثن جزءا فما كان من حرث او ثمرة او شئ من نصيب الاوثان حفظوه واحصوه وان سقط شئ مما سمى لله فى نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غنى عن هذا وان سقط شئ من نصيب الاصنام فيما جعلوه لله ردوه الى الاوثان وقالوا انها محتاجة وكانوا اذا هلك او انفق مما جعلوه لله لم يبالوا به و

اذا هلك وانتقص مما جعلوه للاوثان جبروه مما جعلوه لله فذلك قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث اى وجعلوا لله نصيبا
ولشركائهم نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهو القول من غير حقيقة وهذا لشركائنا يعني للاوثان فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله يعني انهم
كانوا يتمون مما جعلوا للاوثان مما جعلوا لله ولا يتمون ما جعلوه لله مما جعلوه للاوثان وما جعلوه لله يصرفون الى الصبيان والمساكين
وما جعلوه للاوثان ينفقون على خدمها ساء ما يحكمون اى بئس ما يقضون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم
شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون اى كما
زينت الشياطين لهؤلاء المشركين ان جعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا كذلك زينوا لهم قتل اولادهم خشية الاملاق
ووأد البنات خشية العار والمراد بالشركاء هنا الشياطين سميت بها لانهم اطاعوهم في معصية الله وقيل هم سدنة آلهتهم ليردوهم
اي ليهلكوهم وليلبسوا عليهم دينهم اى ليخلطوا عليهم وليدخلوا عليهم الشك في دينهم وكانوا اولا على دين اسمعيل فرجعوا الى الشرك
بتلبيس الشيطان ولو شاء الله ما فعلوه اى كل هذا واقع بمشيئة الله وارادته واختياره كذلك فذرهم اى فدعهم وما هم فيه من
الكذب والضلال فيحكم الله بينك وبينه وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام
حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون قال ابن عباس الحجر
الحرام فمن الانعام البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ومن الحرث ما جعلوه لله ولآلهتهم تحجيرا كان عليهم من الشياطين في اموالهم
وتشديد وتغليظ ولم يكن من الله وقوله لا يطعمها اى حرام ان يطعم الا من نشاء وانعام حرمت ظهورها هي البحيرة واخواتها كما تقدم
آنفا وكانوا لا يحجون على تلك الانعام وانعام لا يذكرون اسم الله عليها اى يذبحونها باسم الاصنام لا باسم الله تعالى وقال مجاهد كان
من ابلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شانها لا ان ركبوا ولا ان حلبوا ولا ان حملوا ولا ان عملوا شيئا افتراء على الله
وكذبا منهم في اسنادهم ذلك الى الله وشرعه فانه لم ياذن لهم في ذلك ولا رضيه منهم سيجزيهم بما كانوا يفترون عليه ويسندون
اليه وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء
سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم قال ابن عباس وغيره هو اللبن يحرمونه اناثهم ويشربه ذكرانهم وكانت الشاة اذا ولدت ولدا
ذكرا ذبحوه وكان للرجال دون النساء وان كانت انثى تركت فلم تذبح وان كانت ميتة فهم فيه شركاء فنهى الله عن ذلك وقال
الشعبي وجماعة البحيرة لا يشرب من لبنها الا الرجال وان مات منها شيء اكله الرجال والنساء وقوله سيجزيهم وصفهم اى قولهم
الكذب في ذلك كما في قوله ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب الآية انه حكيم اى في افعاله واقواله وشرعه عليم بافعال عباده من خير وشر
سيجزيهم على ذلك اتم الجزاء قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء
على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين اى قد خسر الذين فعلوا هذه الافاعيل في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فخسروا اولادهم
بقتلهم وضيقوا عليهم في اموالهم فحرموا اشياء ابتدعوها من تلقاء انفسهم واما في الآخرة فيصيرون الى شر منازلهم بافترائهم على الله كما قال
تعالى قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون الآية والسفه الجهل وكان اكثر العرب كانت تدفن البنات احياء مخافة السبي والفقر وحرموا
ما رزقهم الله يعني البحيرة وما عطف عليه كما سبق افتراء على الله حيث قالوا ان الله امرهم بها قال ابن عباس اذا سرك ان تعلم جهل العرب فاقرأ ما
فوق الثلثين والمائة من سورة الانعام قد خسر الذين قتلوا اولادهم الآية رواه البخاري في باب مناقب قريش وهو الذي انشأ جنات
معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه
كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ومن الانعام حمولة وفرشا

كلوا مما

والمعنى ان هذا التقسيم مركوز بهم واختراعهم من عند انفسهم او من ادعائهم الباطل واعتقادهم الفاسد لم يامرهم الله بها ولا شرع لهم اياها لانه اشراك بين الله الخالق المرزق للاشياء والمركي لها وبين الاصنام التي لا تقدر على شيء اصلا

كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين قد تقرر ان الله انه الخالق لكل شيء من الزروع والثمار و
الانعام التي تصرف فيها المشركون بآرائهم الفاسدة وقسموها وحرموها فجعلوا منها حراما ومنها حلالا فقال وهو الذي انشأ جنات
معروشات اى مسموكات مرفوعات عن ابن عباس في رواية المعروشات ما غرسها الناس وغير معروشات ما خرج في البر والجبال من الثمرات
وعنه ايضا معروشات ما عرش وبنع من الكرم وغيرها ما لم يعرش من الكرم وقوله مختلفا اكله اى ثمره وطعمه منها الحلو والحامض والجيد
والردي وقوله متشابها قال ابن جريج اى في النظر وغير متشابه اى في الطعم كلوا من ثمره اذا اثمر اى من رطبه ويابسه وقوله وآتوا حقه يوم
حصاده قيل هذا في الزكوة المفروضة يوم يكتال ويعلم كيله قاله ابن عباس وغيره وقيل المراد تعليق القنو في المسجد عند صرام النخل لياكل منه المساكين
كما في مسند احمد عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم امر من كل جاد عشرة اوسق من التمر بقنو يعلق في المسجد للمساكين وقال آخرون هو حق آخر سوى
الزكوة امر باتيانه لان الآية مكية وفرضت الزكوة بالمدينة ليعطى من حضره يومئذ ما تيسر وقيل هو ما سقط من السنبل والعذق يلقط وقيل
هذا شيء كان واجبا ثم نسخه الله بالعشر ونصف العشر حكاه ابن جرير عن ابن عباس وكثير من التابعين واختاره ابن جرير قال الشيخ رحمه الله وفي
تسمية هذا نسخا نظر لانه قد كان شيء واجبا في الاصل ثم فصل بيانه وبين مقدار المخرج وكيفيته قالوا وكان هذا في السنة الثانية من الهجرة والله اعلم
وقد ذم الله سبحانه الذين يصرمون ولا يتصدقون كما ذكر من اصحاب الجنة في سورة ن والقلم مبسوطا وقوله ولا تسرفوا قيل اى لا تسرفوا في الاعطا
فتعطوا فوق المعروف قال ابو العالية كانوا يعطون يوم الحصاد شيئا ثم تباذروا فيه واسرفوا فانزل الله ولا تسرفوا وقال السدي لا تعطوا
اموالكم فتقعدوا فقراء وكان ثابت بن قيس جد نخلا فقال لا ياتيني اليوم احد الا اطعمته فاطعم حتى امسى وليست له ثمرة فانزل الله
هذه الآية انه لا يحب المسرفين قال اياس بن معوية ما جاوزت به امر الله فهو سرف وقال عطاء هذا نهي عن السرف في كل شيء وهو اختيار ابن
جرير وقوله ومن الانعام اى وانشأ لكم من الانعام ما هو حمولة وما هو فرش قيل المراد ما يحمل عليه من الابل والفرش الصغار منها يعني الفصال
قاله ابن مسعود وعن ابن عباس وغير واحد قال الحمولة كل شيء تحمل عليه من الدواب واما الفرش فالغنم واختاره ابن جرير وقال سمي فرشا لدنوه
من الارض وقال آخر الحمولة ما تركبون والفرش ما تاكلون وتحلبون الشاة تاكلون لحمها وتتخذون من صوفها لحافا وفرشا وهذا تفسير حسن
تشهد له قوله تعالى اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون الآية وغيرها من الآيات الدالة عليه وقوله كلوا مما رزقكم
الله اى من الثمار والزروع والانعام وكلها خلقها الله وجعلها رزقا لكم ولا تتبعوا خطوات الشيطان اى طريقته واوامره كما اتبعها
المشركون الذين حرموا ما رزقهم الله افتراء عليه انه لكم اى ان الشيطان ايها الناس لكم عدو مبين اى ظاهر العداوة كما هو مبين في كثير من الآيات
ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام
الانثيين نبئوني بعلم ان كنتم صادقين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما
اشتملت عليه ارحام الانثيين ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس
بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين هذا بيان لجهل العرب قبل الاسلام فيما كانوا حرموا من الانعام وجعلوها اجزاء و
انواعا والزروع والثمار كما سبق في الآيات فبين تعالى انه انشأ من الانعام حمولة وفرشا ثم بين اصناف الانعام الى الغنم من الضان و
المعز ذكره وانثاه والى الابل ذكورها واناثها والى البقر كذلك وانه تعالى لم يحرم شيئا من ذلك ولا شيئا من اولادها بل كلها مخلوقة لبني
آدم اكلا وركوبا وحمولة وحلبا وغير ذلك من وجوه المنافع كما قال تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج الآية فقوله ثمانية ازواج
نصب على البدل من حمولة وفرشا اى وانشأ من الانعام ثمانية ازواج اصناف وقوله اما اشتملت عليه ارحام الانثيين رد عليهم في قولهم ما في بطون
هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وقوله نبئوني بعلم ان كنتم صادقين اى اخبروني عن يقين كيف حرم الله عليهم ما زعمتم تحريمه

من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك وعن ابن عباس قوله ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين فهذه اربعة ازواج ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين نبئوني بعلم ان كنتم صادقين اى كله حلال وقوله ام كنتم شهداء اى حضورا اذ وصاكم الله بهذا تهكم بهم فيما ابتدعوه وافتروا على الله من تحريم ما حرموه من ذلك فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اى لا احد اظلم ولا اضل منهم ليضل الناس بغير علم اراد به عمرو بن لحي بن قمعة فانه اول من سيب السوائب ووصل الوصيلة وحمى الحام كما ثبت في الصحيح ومن كان معه على طريقته ان الله لا يهدي القوم الظالمين اى الذين قدر عليهم كفرا من الازل الى الابد قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم اى قل لهؤلاء الذين حرموا ما رزقهم الله افتراء على الله لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه اى على آكل ياكله قيل اى لا اجد شيئا مما حرمتم حراما سوى هذه وقيل اى لا اجد من الحيوانات شيئا حراما سوى هذه فعلى هذا يكون ما ورد من المحرمات غيرها في سورة المائدة وفي الاحاديث الواردة رافعا لمفهوم هذه الآية ومن الناس من يسمي ذلك نسخا والاكثرون لا يسمونه نسخا لانه من باب رفع مباح الاصل قال ابن عباس مسفوحا يعني المهراق وقال قتادة وغيره حرم من الدماء ما كان مسفوحا فاما لحم خالطه دم فلا باس به وعن ابن عباس كان اهل الجاهلية ياكلون اشياء ويتركون اشياء تقذرا فبعث الله نبيه وانزل كتابه واحل حلاله وحرم حرامه فما احل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو وتلا هذه الآية قل لا اجد فيما اوحي الي الى آخره رواه ابو داود والرجس هو الحرام او فسقا اهل لغير الله به هو ما ذبح على غير اسم الله ولا يختص التحريم بهذه الاشياء بل المحرم بنص الكتاب ما ذكر ههنا وقد حرمت السنة اشياء يجب القول بها فانها ايضا بحكم الكتاب كما هو مبين في الفقه وقوله فمن اضطر غير باغ اي فمن اضطر والجئ الى اكل شي مما حرم في هذه الآية وهو غير ملتبس ببغي ولا عدوان فان ربك غفور رحيم وسبق بيانه في سورة البقرة والمقصود منها الرد على المشركين الذين ابتدعوا ما ابتدعوه من تحريم المباحات على انفسهم بآرائهم الفاسدة فامر الله رسوله ان يخبرهم انه لا يجد فيما اوحاه الله اليه ان ذلك محرم وان الحرام ما ذكر الله في كتابه ورسوله في بيانه وسنته وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون اى وحرمنا على اليهود كل ذي ظفر وهو البهائم والطير ما لم يكن مشقوق الاصابع كالابل والنعام والاوز والبط كذا قال ابن عباس واصحابه والمراد كل ما لم تفرج اصابعه من البهائم والطيور وقوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما قال السدي وغيره يعني الثرب وشحم الكليتين وكانت اليهود يقولون انما حرمه اسرائيل فنحن نحرمه وقال قتادة وكل شحم كان كذلك ليس في عظم الا ما حملت ظهورهما قال ابن عباس يعني ما علق بالظهر من الشحوم وقوله والحوايا قال ابو جعفر بن جرير الحوايا جمع واحدها حاوياء وحاوية وحوية وهي ما تحوى من البطن مما اجتمع واستدار وهي المباعر اى ما حملت الحوايا من الشحم وقال الاكثر الحوايا هي المرابض التي فيها الامعاء وهي بنات اللبن وقوله او ما اختلط بعظم اي والا ما اختلط من الشحوم بالعظام فقد احللناه لهم كشحم الالية وسائر الاعضاء المختلطة بالعظام وقوله ذلك جزيناهم اى هذا التضييق انما فعلناه بهم والزمناه به مجازاة لهم على بغيهم ومخالفتهم اوامرنا كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا الآية وقوله وانا لصادقون اى فيما جازيناهم به وقيل اى فيما اخبرناك يا محمد من تحريمنا ذلك عليهم لا كما زعموا ان اسرائيل هو الذي حرمه وفي الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الفتح ان الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام فقيل يا رسول الله ارايت شحوم الميتة فانه يدهن بها الجلود وتطلى بها السفن ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك قاتل الله اليهود ان الله لما حرم عليهم شحومهما

جملوه

والمعنى لا اجد فيما اوحي الي محرما الا هذه الاشياء فانا احرمها ولا احرم غيرها والمحرمات من المطعومات اكثر من هذا ولكن الذي حرم بالقرآن هو ما ذكر في هذه الآية لانها وردت جوابا عن السؤال عن هذه الاشياء والباقي حرام بالسنة كالحمار الاهلي وكل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور وهذه الآية مجملة والتي في المائدة مفصلة لان المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة من جملة الميتة

جملوه ثم باعوه واكلوا ثمنه فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد باسه عن القوم المجرمين اى فان كذبوك يا محمد مخالفوك من المشركين واليهود ومن شابههم فقل ربكم ذو رحمة واسعة ترغيبا لهم في ابتغاء رحمة الله الواسعة باتباع رسوله ولا يرد باسه عن القوم المجرمين ترهيبا لهم في مخالفتهم الرسول والباس العقاب وكثيرا ما يجمع الله بين الترغيب والترهيب في القرآن كما في آخر هذه السورة ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم وغيره من الآيات سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شي كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا قل هل عندكم من سلطان فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون هذه مناظرة ذكرها الله وشبهة تشبث بها المشركون في شركهم وتحريم ما حرموه فان الله مطلع على ما هم فيه وهو قادر على تغييره بان يلهمنا الايمان ويحول بيننا وبين الكفر فلم يغيره فدل على انه بمشيئته منا ذلك وبمشيئته وارادته ولهذا قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا من قبل ولا حرمنا من شي كما في قوله وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم كذلك كذب الذين من قبلهم اى بهذه الشبهة ضل من ضل من قبل هؤلاء وهي حجة داحضة باطلة لانها لو كانت صحيحة لما اذاقهم باسه من اليم الانتقام قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا اى من كتاب وحجة من الله فتبينوه وتظهروه لنا بان الله راض عنكم فيما انتم فيه ان تتبعون الا الظن اى الوهم والخيال والمراد الاعتقاد الفاسد وان انتم الا تخرصون اى وما انتم الا تكذبون على الله فيما ادعيتموه وقوله قل فلله الحجة البالغة اى له الحكمة التامة في هداية من هدى واضلال من اضل فلو شاء لهداكم اى كل ذلك بقدرته ومشيئته واختياره وهو مع ذلك رضي عن المؤمنين وسخط على الكافرين كما في غيره من الآيات وقوله قل هلم شهداءكم اى احضروا شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا اى هذا الذي حرمتموه وكذبتم وافتريتم على الله فيه فان شهدوا اى هم كاذبين فلا تشهد معهم اى لانهم انما يشهدون والحالة هذه كذبا وزورا ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون اى يشركون به ويجعلون له عديلا قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون عن ابن مسعود قال من اراد ان يقرا صحيفة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرا هؤلاء الآيات قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى قوله لعلكم تتقون رواه الحاكم في مستدركه قال تعالى لرسوله قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله وحرموا ما رزقهم الله وقتلوا اولادهم وكل ذلك فعلوه بآرائهم وتسويل الشياطين لهم تعالوا اى هلموا واقبلوا اتل ما حرم ربكم اي اقص عليكم واخبركم بما حرم ربكم عليكم حقا لا تخرصا ولا ظنا بل وحيا منه وامرا من عنده الا تشركوا به شيئا وكان في الكلام محذوفا تقديره وصاكم الا تشركوا به شيئا ولهذا قال في آخر الآية ذلكم وصاكم به وكما قال الشاعر حج واوصى بسليمى الاعبدا الا ترى ولا تكلم احدا ولم يزل شرابها مبردا وفي الصحيحين عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه اتاني جبريل فبشرني انه من مات لا يشرك بالله شيئا من امتك دخل الجنة قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق وان شرب الخمر والآيات والاحاديث في هذا كثيرة جدا وقوله وبالوالدين احسانا اى اوصاكم وامركم بالوالدين ان تحسنوا اليهم كما قال وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وقرا بعضهم ووصى ربك فامر بالاحسان اليهما وان كانا مشركين وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي العمل احب الى الله قال الصلاة

حتى ذاقوا باسنا اى حتى ادركوا نزول عذابنا والالم

اى له الحجة الواضحة التي بلغت النهاية في الصحة والمتانة على انه واحد وان امره واجب لكم وهي انزاله الكتب وارساله الرسل بالحجج التي تعجز عنه البشر كانه قال جميع حججكم باطلة عليها حجة الله فابطلتها لان حجة الله هي البالغة والحجة ما ثبت به دعوى المدعي

فان قيل ما معنى قوله ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا والمحرم هو الشرك لا ترك الشرك قيل موضع ان رفع معناه هو ان لا تشركوا وقيل محله نصب واختلفوا في وجه انتصابه قيل معناه حرم عليكم ان تشركوا ولا صلة كقوله ما منعك ان لا تسجد اى ما منعك ان تسجد وقيل تم الكلام عند قوله ربكم ثم قال عليكم ان لا تشركوا به

على وقتها قلت ثم اي قال بر الوالدين قلت ثم اي قال الجهاد في سبيل الله قال حدثني بهن ولو استزدته لزادني وقوله ولا تقتلوا اولادكم من املاق لما وصى الله تعالى ببر الآباء والاجداد عطف على ذلك الاحسان الى الابناء والاحفاد فقال ولا تقتلوا اولادكم وذلك انهم كانوا يقتلون اولادهم كما سولت لهم الشياطين ذلك فكانوا يئدون البنات خشية العار وربما قتلوا بعض الذكور خيفة الافتقار والاملاق الفقر قاله ابن عباس وغير واحد اي ولا تقتلوهم من فقركم الحاصل وقال في سورة سبحان ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق اي خيفة حصول فقر في الآجل ولهذا قال هناك نحن نرزقهم واياكم فبدأ برزقهم للاهتمام بهم اي لا تخافوا من فقركم بسببهم فرزقهم على الله واما في هذه الآية فلما كان الفقر حاصلا قال نحن نرزقكم واياهم لانه الاهم ههنا وقوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن كقوله تعالى انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن وقد سبق تفسيرها في قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وقوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وهذا مما نص الله تعالى على النهي عنه تأكيدا والا فهو داخل في النهي عن الفواحش وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة ويدخل في ذلك قتل المعاهد وهو المستأمن من اهل الحرب كما رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان ريحها لتوجد من مسيرة اربعين عاما وقوله ذلكم وصاكم اي هذا مما وصاكم به لعلكم تعقلون عنه امره ونهيه

ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون

الا بالتي هي احسن يعني بما فيه صلاحه وتثميره مع رعاية الغبطة وقوله حتى يبلغ اشده قال الاكثر يعني حتى يحتلم ويعقل ويجتمع قوته ويونس رشده وقيل الاشد ما بين الثمانية عشر الى ثلثين سنة وقيل اكثرهما وذلك بعيد وقوله واوفوا الكيل والميزان بالقسط امر الله باقامة العدل في الاخذ والاعطاء كما توعد عليه في قوله ويل للمطففين الى لرب العالمين وقد اهلك الله امة من الامم بخس المكيال والميزان كما في الترمذي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحاب الكيل والميزان انكم وليتم امرا هلكت فيه الامم السالفة قبلكم ورووه موقوفا عن ابن عباس اصح وفي تفسير ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم معشر الموالي قد بشركم الله بخصلتين بهما هلكت القرون المتقدمة المكيال والميزان وقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها اي من اجتهد في اداء الحق واخذه فان اخطأ بعد استفراغ وسعه وبذل جهده فلا حرج عليه وقوله واذا قلتم فاعدلوا هذا امر منه تعالى بالعدل في الفعال والمقال على القريب والبعيد فان الله تعالى امر بالعدل لكل احد في كل وقت وفي كل حال وبعهد الله اوفوا اي وبوصية الله التي وصاكم بها اوفوا وايفاء ذلك ان يطيعوه فيما امركم به ونهاكم عنه وتعملوا بكتابه وسنة رسوله وذلك هو الوفاء بعهد الله قاله ابن جرير ذلكم وصاكم به اي فيما امركم واكد عليكم فيه لعلكم تذكرون اي تتعظون وتنتهون عما كنتم فيه قبل هذا وقرئ بالتشديد والتخفيف **وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** اي هذا الذي وصاكم به في هاتين الآيتين صراطي اي طريقي وديني مستقيما اي مستويا قويما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل اي الطرق المختلفة من طرق الضلال والبدع والاهواء قال ابن عباس امر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة واخبرهم انه انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات وذكر الله عن ابن مسعود قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ثم قال هذا سبيل الله مستقيما ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل ليس منها سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه وقرأ وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه الآية رواه احمد والنسائي

والدارمي

ولو كان ذا قربى
اي ولو كان المقول له
او عليه في الحكم والشهادة
من ذوي قرابتكم فلا تردوا
في القول ولا تنقصوا منه

فتفرق بكم عن سبيله

ذلكم وصاكم به

لعلكم تتقون

والدارمي وعن النواس بن سمعان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعن جنبتي الصراط سوران فيهما ابواب مفتحة وعلى الابواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا ايها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تتعوجوا وفوق ذلك داع يدعو من جوف الصراط فاذا اراد الانسان ان يفتح شيئا من تلك الابواب قال ويحك لا تفتحه فانك ان تفتحه تلجه فالصراط الاسلام والسوران حدود الله والابواب المفتحة محارم الله والستور المرخاة حدود الله وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي من فوق واعظ الله في قلب كل مسلم رواه النسائي والترمذي وقال حسن غريب وقوله فاتبعوه اي وحده اتى به لان الحق واحد ولهذا جمع السبل لتفرقها وتشعبها **ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون** قال ابن جرير اي ثم قل يا محمد مخبرا عنا بانا آتينا موسى الكتاب بدلالة قوله قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم قال الشيخ رحمه الله وفيه نظر فان ثم ههنا لعطف الخبر بعد الخبر لا للترتيب كما قال الشاعر: قل لمن ساد ثم ساد ابوه : ثم قد ساد قبل ذلك جده * وههنا لما اخبر الله عن القرآن بقوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه عطف بمدح التورية ورسولها فقال ثم آتينا موسى الكتاب وكثيرا ما يقرن الله من ذكر القرآن والتورية كقوله ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا وغيرها من الآيات البينات وقوله تماما على الذي احسن اي آتيناه الكتاب الذي انزلناه اليه تماما كاملا جامعا لجميع ما يحتاج اليه في شريعته كما قال تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء الآية وقوله على الذي احسن اي جزاء على احسانه في العمل وقيامه باوامرنا وطاعتنا كقوله هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقيل اي من احسن في الدنيا تمم له ذلك في الآخرة فيكون الذي بمعنى من ويدل عليه قراءة ابن مسعود على الذين احسنوا وقال ابو عبيدة اي اتممنا فضله موسى بالكتاب على كل من احسن يعني اظهرنا فضله عليهم والمحسنون هم الانبياء والمؤمنون كما في قوله تعالى يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي ولا يلزم من هذا اصطفاؤه على محمد المصطفى وعلى الخليل عليهما الصلوة والسلام لادلة اخرى وقوله وتفصيلا لكل شيء يحتاج اليه من شرائع الدين وهدى ورحمة فيه مدح لكتابه المنزل عليه لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون اي لكي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب وهذا يعني القرآن كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واعملوا به واتقوا واطيعوا لعلكم ترحمون وفيه الدعوة الى اتباع القرآن ووصفه بالبركة لمن اتبعه وعمل به في الدنيا والآخرة **ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون** اي وهذا كتاب انزلناه لئلا تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا يعني لينقطع عذرهم كما في قوله تعالى فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا الآية وقوله على طائفتين من قبلنا قال ابن عباس وغير واحد يعني اليهود والنصارى وقوله وان كنا عن دراستهم لغافلين اي وما كنا نفهم ما يقولون لانهم ليسوا بلساننا ونحن مع ذلك في شغل وغفلة عما هم فيه وقوله او تقولوا اي وقطعنا لتعللكم ان تقولوا لو انا انزل علينا ما انزل عليهم لكنا اهدى منهم فيما اوتوه كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير الآية يعني فقد جاءكم من الله على لسان محمد صلى الله عليه وسلم قرآن عظيم فيه بيان الحلال والحرام وهدى لما في القلوب وقوله فمن اظلم ممن كذب بآيات الله اي لم ينتفع بما جاء به الرسول عليه الصلوة والسلام ولا اتبع ما ارسل به ولا ترك غيره بل صدف عن اتباع آيات الله اي صرف الناس وصدهم عن ذلك وقيل صدف يعني اعرض اي ما آمن بها ولا عمل والاول اقوى وسوء العذاب شدته **هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك او يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل**

عطف ثم ويعنا لا لسمي ولتعقب او عطف ثم وصاكم وانما عطف اسما عليه ثم التي للتراخي وايتاء الكتاب لموسى قبل وصية الرسول وبينهما زمان طويل لا انها للتراخي في الاخبار لا في النزول فان ثم اوجبت تأخر الخبر بعد الخبر الاول ثم اخبركم بانا ايتنا موسى التورية بعدما وصاكم واخبركم ما صول شرعكم

فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة

سيجزي الذين يصدفون عن

اياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون

اي رشدهم في الآخرة بالميزان والحرمان عن دار الرحمن

[illegible]

او كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون قوله تعالى متوعدا للكافرين به المخالفين لرسله والصادين عن سبيله هل ينظرون الا ان تاتيهم الملكة اي قبل يوم القيمه لتقبض ارواحهم او بالعذاب او ياتي ربك اى لفصل القضاء بين خلقه يوم القيمه او ياتي بعض آيات ربك و ذلك كاين من امارات الساعه و اشراطها كما في البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لا تقوم الساعه حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا راها الناس آمن من عليها فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل اى لا ينفعهم الايمان عند ظهور الآيات التي تضطرهم الى الايمان و في رواية فاذا طلعت و راها الناس آمنوا اجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها ثم قرا هذه الآيه و رواه مسلم ايضا وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ثلث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها و الدجال و دابة الارض رواه مسلم وعن حذيفة بن اسيد الغفاري قال اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه و سلم من غرفة و نحن نتذاكر الساعه فقال لا تقوم الساعه حتى تروا عشر آيات طلوع الشمس من مغربها و الدخان و الدابة و خروج ياجوج و ماجوج و نزول عيسى بن مريم و خروج الدجال و ثلثه خسوف خسف بالمغرب و خسف بالمشرق و خسف بجزيرة العرب و نار تخرج من قعر عدن تسوق او تحشر الناس الى المحشر تبيت معهم حيث باتوا و تقيل معهم حيث قالوا رواه مسلم و اصحاب السنن الاربعه و في اشراط الساعه احاديث كثيره مبينه في الصحاح و السنن و قوله لا ينفع نفسا ايمانها اى اذا انشا الكافر ايمانا يومئذ لا يقبل منه و اما من كان مومنا مخلصا مصلحا في عمله فطوبى له و ان كان مخلصا فتاب يومئذ لم تقبل منه توبته و عليه حمل قوله تعالى او كسبت في ايمانها خيرا اى لا يقبل منه كسب عمل صالح اذا لم يعمل به قبل ذلك و قوله قل انتظروا انا منتظرون تهديد شديد للكافرين و وعيد اكيد لمن سوف بايمانه و توبته الى وقت لا ينفعه ذلك كما قال تعالى فهل ينتظرون الا الساعه ان تاتيهم بغتة الآيه و قوله فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده الآيه نعني منتظرون يا اهل مكه فانا ننتظر بكم العذاب

ان الذين فرقوا دينهم و كانوا شيعا لست منهم في شي انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون

قال ابن عباس و آخرون نزلت في اليهود و النصارى و ذلك انهم اختلفوا قبل ان يبعث محمد صلى الله عليه و سلم فتفرقوا فلما بعث عليه الصلوة و السلام انزل ان الذين فرقوا دينهم الآيه وعن ابي هريرة موقوفا على الصحيح ان هذه الآيه نزلت في اهل البدع و الشبهات و اهل الضلالة من هذه الامه وعن ابي امامة في قوله و كانوا شيعا قال هم الخوارج و الظاهر ان الآيه عامه في كل من فارق دين الله و كان مخالفا له فان الله بعث رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و شرعه واحد لا اختلاف فيه و لا افتراق فمن اختلف فيه و كانوا شيعا اى فرقا كاهل الملل و النحل و هي الاهواء و الضلالات فالله تبرا رسوله مما هم فيه و هذه الآيه كقوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآيه و في الحديث نحن معاشر الانبياء اولاد علات ديننا واحد و هو الصراط المستقيم و قوله انما امرهم الى الله يعني في الجزاء و المكافات ثم ينبئهم اى اذا وردوا القيمه بما كانوا يفعلون ثم بين لنفسه فضله يوم القيمه في حكمه و عدله فقال من جاء بالحسنه فله عشر امثالها و من جاء بالسيئه فلا يجزى الا مثلها و هم لا يظلمون هذه الآيه مفصله لما اجمل في الاخرى و هي قوله من جاء بالحسنه فله خير منها و قد وردت الاحاديث مطابقه لهذه الآيه كما رواه ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما يروي عن ربه عز و علا قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ان ربكم رحيم من هم بحسنه فلم يعملها كتب له حسنه فان عملها كتبت له عشر الى سبعمائة الى اضعاف كثيره و من هم بسيئه فلم يعملها كتبت له حسنه فان عملها كتبت له واحدة او يمحوها الله تعالى و لا يهلك على الله الا هالك رواه البخاري و مسلم و احمد وعن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول الله عز و جل من عمل حسنه فله عشر امثالها و ازيد و من عمل سيئه فجزاوه مثلها او اغفر و من عمل قراب الارض خطيئه ثم لقيني لا يشرك بي شيا جعلت له مثلها مغفره و من

بل استفهام بمعنى النفي والانتظار اذا لم يؤمنوا بالنبي [illegible] الملائكة بعد ارسال النبي الذي هو بصورة الهدى والرحمة من الله وبعد انزال الكتاب المبارك الذي هو حبل الله للاعتصام به لاجل الوصول الى الجنة وقرب الله اذ هم لم يؤمنوا بالآيات ولم يتبعوا النبي

[illegible] سلطان [illegible] الليل [illegible] الليل حتى تطلع الشمس [illegible] بالمغرب [illegible] لم تطلع الشمس من [illegible] آيات ربك الآية

ثم ياتي بعض آيات ربك

لست منهم في شيء [illegible] ولست عليهم بوكيل [illegible]

[illegible]

[illegible]

اقترب الي شبرا اقتربت اليه ذراعا و من اقترب الي ذراعا اقتربت اليه باعا و من اتاني يمشي اتيته هروله رواه مسلم و احمد و النساى له و اعلم ان تارك السيئة على ثلثه اقسام تارة يتركها لله فهذا يكتب له حسنه على كفه عنها لله تعالى و هذا عمل و نيه و لهذا جاء انه يكتب له حسنه كما جاء في بعض الفاظ الصحيح فانما تركها من جراي يعني من اجلي و تارة يتركها نسيانا و ذهولا عنها فهذا لا له و لا عليه لانه لم ينو خيرا و لا فعل شرا و تارة يتركها عجزا و كسلا بعد السعي في اسبابها و التلبس بما يقرب منها فهذا ينزل منزلة فاعله كما جاء في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل و المقتول في النار قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه و في الاحاديث و الآثار فهذا كثير و فيما ذكر كفايه

قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما مله ابرهيم حنيفا و ما كان من المشركين قل ان صلوتي و نسكي و محياي و مماتي لله رب العالمين لا شريك له و بذلك امرت و انا اول المسلمين

امر تعالى نبيه صلى الله عليه و سلم ان يخبر بما انعم الله به عليه من الهدايه الى الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه دينا قيما اي قائما ثابتا مله ابرهيم حنيفا و ما كان من المشركين كقوله و من يرغب عن مله ابرهيم الآيه و قوله و جاهدوا في الله حق جهاده الآيه و قوله ان ابرهيم كان امة قانتا الى قوله و لم يك من المشركين و لا يلزم من كونه عليه الصلوة و السلام مامورا باتباع ابرهيم عليه السلام في الحنيفيه ان يكون ابرهيم اكمل منه فيها لانه عليه الصلوة و السلام قام بها قياما لم يسبقه احد في الكمال اليه و لهذا كان خاتم الانبياء و سيد ولد آدم و صاحب المقام المحمود الذي يرغب اليه الخلائق كلهم حتى ابرهيم عليه السلم و في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه و سلم كان اذا اصبح قال اصبحنا على مله الاسلام و كلمه الاخلاص و دين نبينا محمد و مله ابينا ابرهيم حنيفا و ما كان من المشركين رواه ابو داود و الطيالسي وعن ابن عباس قال سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم اي الاديان احب الى الله قال الحنيفيه السمحه رواه احمد و قوله قل ان صلوتي و نسكي امره الله ان يخبر المشركين الذين يعبدون الاوثان و يذبحون بغير اسم الله انه مخالف لهم في ذلك و ان صلوته لله و نسكه على اسمه وحده لا شريك له و هذا كقوله فصل لربك و انحر اي اخلص له صلوتك و ذبحك فان المشركين كانوا يعبدون الاصنام و يذبحون لها و قال مجاهد النسك الذبح في الحج و العمره و قال آخرون نسكي اى ذبحي وعن جابر قال ضحى رسول الله صلى الله عليه و سلم في يوم عيد بكبشين و قال حين ذبحهما وجهت وجهي للذي فطر السموات و الارض الى قوله و انا اول المسلمين رواه ابن ابي حاتم و قوله و محياي و مماتي اى حيوتي و مماتي و قال لله رب العالمين اى هو يحييني و يميتني و قيل اى طاعتي و حيوتي لله و جزائي بعد مماتي من الله رب العالمين و قوله و انا اول المسلمين اى من هذه الامه و هو كما قال فان جميع الانبياء قبله كلهم كانت دعوتهم الى الاسلام و اصله عبادة الله تعالى وحده لا شريك له كما قال و ما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون و غيره من الآيات البينات فاخبر تعالى فيها انه بعث رسله بالاسلام و لكن هم متفاوتون فيه بحسب شرائعهم الخاصه التي ينسخ بعضها بعضا الى ان نسخت بشريعة محمد صلى الله عليه و سلم التي لا تنسخ ابد الآبدين و لا تزال قائمة منصورة و اعلامها منشوره الى يوم الدين

قل اغير الله ابغي ربا و هو رب كل شي و لا تكسب كل نفس الا عليها و لا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون

اى قل يا محمد لهولاء المشركين بالله اغير الله ابغي ربا اي اطلب ربا سواه يربيني و يحفظني و يدبر امري حاشا لا اتوكل الا عليه و لا انيب الا اليه لانه رب كل شي و مليكه و له الخلق و الامر ففيها الامر باخلاص التوكل كما تضمنت الآيه السابقه الاخلاص للعبادة له وحده لا شريك له و هذه المقارنة تكون كثيرا في القرآن كقوله تعالى مرشدا لعباده ان يقولوا له اياك نعبد و اياك نستعين و قوله فاعبده و توكل عليه و غيره من الآيات

ووفاته

ربكم

الظاهرات وقوله ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى بل اخبار عن الواقع يوم القيمة في جزاء الله تعالى و حكمه وعدله ان النفوس انما تجازى باعمالها ان خيرا فخير وان شرا فشر وانه لا يحمل من خطيئة احد على احد وهذا من عدله تعالى كما قال فلا يخاف ظلما ولا هضما اى فلا يظلم احدا بان يحمل عليه سيئات غيره ولا يهضم بان ينقص من حسناته هكذا قالوا وكقوله كل نفس بما كسبت رهينة الاية وقوله ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون اى اعملوا على مكانتكم انا عاملون على ما نحن عليه فستعرضون ونعرض عليه وايكم باعمالنا واعمالكم وما كنا نختلف فيه في الدنيا كما قال قل لا تسئلون عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون الاية **وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما اتيكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم** اى وهو الله الذى جعلكم تعمرون الارض قرنا بعد قرن وخلفا بعد سلف لقوله وجعلكم خلفاء الارض وقوله ورفع بعضكم فوق بعض درجات اى خالف بين احوالكم وفاوت بينكم في الارزاق والاجال والمحاسن والمساوى والمناظر والاشكال والالوان وله الحكمة في ذلك كقوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا الاية وقوله انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض الاية وقوله ليبلوكم فيما اتيكم اى ليختبركم في الذى انعم به عليكم و يمتحنكم به ليختبر الغنى في غناه ويساله عن شكره والفقير في فقره ويساله عن صبره وعن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان اول فتنة بنى اسرائيل كانت في النساء رواه مسلم وقوله ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم ترهيب وترغيب ان حسابه وعقابه سريع ممن عصاه وخالف رسله وانه غفور رحيم لمن والاه واتبع رسله فيما جاوا به من خبر وطلب وقيل اى يرحم العباد على ما بهم وكثيرا ما يقرن الله تعالى في القران بين هاتين الصفتين كما قال نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم وغيرها من الايات المشتملة على الترغيب والترهيب فتارة يدعو عباده اليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه وتارة يدعوهم اليه بالرهبة وذكر النار وعذابها والقيمة واهوالها لينظر كيف تعملون جعلنا الله ممن اطاعه فيما امر وترك ما عنه نهى وزجر انه قريب مجيب وعن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته احد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته احد وخلق الله مائة رحمة فوضع واحدة بين خلقه يتراحمون بها وعند الله تسعة وتسعون رواه مسلم وفي البخارى نحوه والسياق لاحمد والله اعلم

تفسير سورة الاعراف وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم المص كتاب انزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون

قد سبق الكلام فى اول سورة البقرة على ما يتعلق بحروف اوائل السور وعن ابن عباس المص انا الله افصل كتاب انزل اليك اى هذا كتاب انزل اليك وهو القران اى من ربك فلا يكن فى صدرك حرج منه قال مجاهد وغيره اى شك منه وقيل فلا تتحرج به فى ابلاغه وانذارك به واصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولهذا قال لتنذر به اى انزل اليك لتنذر به الكافرين وذكرى للمؤمنين اى عظة لهم ثم قال مخاطبا للعامة اتبعوا اى اقتفوا اثار النبى الامى الذى جاءكم بكتاب انزل من رب كل شىء ومليكه ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون اى تتعظون كقوله وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين يعنى لا تتخذوا غير الله اولياء تطيعونهم فى معصية الله **وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون فما كان دعويهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين ولنقصن**

بكم

عليهم بعلم

عليهم بعلم وما كنا غائبين اى وكم من قرية اهلكناها بمخالفتهم رسلنا وتكذيبهم اياهم فاعقبهم ذلك خزى الدنيا موصولا بذل الاخرة كما قال ولقد استهزئ برسل من قبلك الاية وقال وكاين من قرية اهلكناها وهى ظالمة وقال وكم اهلكنا من قرية الاية وغيرها من الايات الواضحات وقوله فجاءها باسنا اى عذابنا بياتا اى ليلا او هم قائلون من القيلولة يعنى او نهارا او هم نائمون ظهيرة والقيلولة استراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم اى وكم من اهل القرى من اهلكناهم ليلا او من اهلكناهم نهارا وقوله فما كان دعويهم اى فما كان قولهم عند مجئ العذاب الا ان اعترفوا بذنوبهم وانهم حقيقون بهذا وقال ابن جرير وفى هذه الاية دلالة على صحة ما رواه ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هلك قوم حتى يعذروا من انفسهم وقرا هذه الاية فما كان دعويهم الاية وقوله فلنسئلن الذين ارسل اليهم يعنى الامم عن اجابتهم الرسل سوال توبيخ ولنسئلن المرسلين اى عما بلغوا وفى الصحيحين عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالامام الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع على اهل بيته وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده وهى مسئولة عنهم وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه الا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وقوله ولنقصن عليهم بعلم قال ابن عباس ولنخبرنهم عن علم يعنى ينطق عليهم كتاب اعمالهم يوم القيمة بما قالوا وبما عملوا من قليل وكثير لانه تعالى شهيد على كل شىء ولا يغفل عن شىء بل هو العالم بخائنة الاعين وما تخفى الصدور **والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا باياتنا يظلمون** اى والوزن للاعمال يوم القيمة هو الحق وقيل اى السوال والقضاء يومئذ الحق والعدل اى لا يظلم تعالى احدا كما قال ونضع الموازين القسط ليوم القيمة الاية وقال تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة الاية وغيرها من الايات وقيل الذى يوضع فى الميزان الاعمال وان كانت اعراضا الا ان الله تعالى يقلبها يوم القيمة اجساما كما جاء فى الصحيح قصة القران وانه ياتى صاحبه فى صورة شاب شاحب اللون فيقول من انت فيقول انا القران الذى اسهرت ليلك واظمات نهارك و حديث البراء فى قصة سوال القبر فياتى المؤمن شاب حسن اللون طيب الريح فيقول من انت فيقول انا عملك الصالح وذكر عكسه فى شان الكافر والمنافق وقيل يوزن كتاب الاعمال كما ورد فى حديث البطاقة فى الرجل الذى يؤتى به ويوضع له فى كفة تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم يؤتى بتلك البطاقة فيها لا اله الا الله فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول الله تعالى انك لا تظلم فتوضع تلك البطاقة فى كفة الميزان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاشت السجلات وثقلت البطاقة رواه الترمذى وصححه والحاصل انه يوزن الاعمال تارة ومحالها تارة وفاعلها اخرى كما فى مناقب عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتعجبون من دقة ساقيه فو الذى نفسى بيده لهما فى الميزان اثقل من جبل احد والحكمة فى ذلك امتحان الله عباده بالايمان به فى الدنيا واقامة الحجة عليه فى العقبى **ولقد مكناكم فى الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون** قال الله تعالى ممتنا على عباده فيما مكن لهم من جعل الارض لهم قرارا ومنازل واباح لهم منافعها وجعل لهم فيها معايش اى مكاسب واسبابا يتجرون فيها ويتسببون باسباب الارزاق واكثرهم مع هذا قليل الشكر على ذلك وقرئ معائش بالهمزة وغيره والاكثرون وهو الصواب على عدم الهمز لانها جمع معيشة فاستثقل الكسرة على الياء فنقلت الى العين فصارت معيشة فلما جمعت رجعت الحركة الى الياء لزوال الاستثقال فقيل معايش ووزنه مفاعل لان الياء اصلية فيها بخلاف مدائن وصحائف وبصائر لان الياء فيها زائدة ولهذا يجمع على فعائل ويهمز لذلك **ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لم يكن من**

قيل ما معنى قوله اهلكناها فجاءها باسنا
فكيف يكون مجئ الباس بعد الهلاك قيل معناه
قوله اهلكناها اى حكمنا باهلاكها فجاءها باسنا
وقيل فجاءها باسنا معناه فى قوله اهلكناها

قال ابو بكر حين حضره الموت فى وصيته لعمر انما
ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيمة باتباعهم
الحق فى الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق
غدا ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت
موازينه يوم القيمة باتباعهم الباطل فى الدنيا و
خفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل ان
يكون خفيفا

وقيل يوزن الاشخاص قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليأتى الرجل العظيم
السمين يوم القيمة لا يزن عند الله
جناح بعوضة

والمشارب
والمعايش جمع
المعيشة

نبه الله بني آدم ههنا على شرف ابيهم آدم وبين لهم عداوة عدوهم ابليس وحسده لهم ولابيهم آدم ليحذروه ولا يتبعوه وهذا كقوله تعالى
وإذ قال ربك للملئكة اني خالق بشرا الاية وذلك انه تعالى لما خلق آدم بيده وصوره بشرا سويا ونفخ فيه من روحه امر الملئكة بالسجود
له تعظيما لشان الرب تعالى فسمعوا كلهم واطاعوا الا ابليس لم يكن من الساجدين وقد سبق تفسيره في اول سورة البقرة وهذا
اختيار ابن جرير وعن ابن عباس قال خلقوا اي ذرية آدم في اصلاب الرجال وصوروا في ارحام النساء صححه الحاكم وحينئذ
يكون ثم بمعنى الواو او يكون تقديره ثم اخبركم انا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ويمكن ان يكون فيه تقديم وتأخير تقديره ولقد خلقناكم
يعني آدم لانه ابو البشر ثم قلنا للملئكة اسجدوا لآدم ثم صورناكم يعني الذرية **قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك قال انا
خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين** قيل لا ههنا صلة زيدت لتاكيد الجحد كقول الشاعر ما ان رايت ولا سمعت بمثله
فادخلت ان النافية في الكلام المنفي بما لتاكيد النفي هذا عن ابن جرير ثم رد ذلك واختار ان منعك يضمن معنى فعل آخر تقديره
ما احوجك واضطرك الا تسجد اذ امرتك ونحو ذلك وهذا قوي حسن والله اعلم وقول ابليس لعنه الله انا خير منه من العذر
الذي اكبر من الذنب كانه امتنع من الطاعة لانه لا يؤمر الفاضل بالسجود للمفضول يعني وانا خير منه فكيف تامرني بالسجود له ثم بين
ان خيريته بانه خلق من نار والنار اشرف مما خلقته منه وهو الطين فنظر اللعين الى اصل العنصر وغفل عن التشريف العظيم
وهو انه تعالى خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه فقاس قياسا فاسدا في مقابلة نص قوله فقعوا له ساجدين فشذ من بين الملئكة
بترك السجود فلهذا ابلس من الرحمة فاخطأ في قياسه ودعواه ان النار اشرف من الطين ايضا فان الطين من شانه الرزانة والحلم
والاناة والتثبت ومحل النبات والنمو والزيادة والاصلاح والنار من شانها الاحراق والطيش والسرعة ولهذا خان
ابليس عنصره ونفع آدم عنصره في الرجوع والانابة والاستكانة والانقياد لامر الله والاعتراف وطلب التوبة والمغفرة وعن عائشة قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت الملئكة من نور وخلق ابليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم رواه مسلم **قال
فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين قال انظرني الى يوم يبعثون
قال انك من المنظرين** اي قال تعالى مخاطبا لابليس بامر قدري كوني فاهبط منها اي بسبب عصيانك امري وخروجك
عن طاعتي فما يكون لك ان تتكبر فيها قال كثير منهم الضمير عائد الى الجنة ويحتمل ان يكون عائدا الى المنزلة التي هو فيها من الملكوت
الاعلى فاخرج انك من الصاغرين اي الذليلين الحقيرين معاملة له بنقيض قصده ومكافاة لمراده بضده فحينئذ سال اللعين النظرة
اي الامهال الى آخر يوم الدنيا فقال انظرني الى يوم يبعثون فاجابه تعالى الى ذلك وقال انك من المنظرين لما له في ذلك من الحكمة
والارادة التي لا تخالف ولا تمانع **قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين
ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين** اخبر تعالى انه لما انظر
ابليس الى يوم البعث واستوثق ابليس بذلك اخذ في العداوة والتمرد فقال فبما اغويتني اي كما اغويتني اي اضللتني واهلكتني
لاقعدن لعبادك الذين تخلقهم من ذرية هذا الذي ابعدتني بسببه على صراطك المستقيم اي طريق الحق وسبيل النجاة لاضلنهم
عنها لئلا يعبدوك ولا يوحدوك بسبب اضلالك اياي قيل والباء ههنا قسمية يقول فباغوائك اياي لاقعدن لهم صراطك
المستقيم وعن سبرة بن ابي فاكهة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه فقعد له بطريق
الاسلام فقال اتسلم وتذر دينك ودين ابائك قال فعصاه واسلم قال وقعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتذر ارضك
وسماءك وانما مثل المهاجر كالفرس في الطول فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد وهو جهد النفس والمال فقال

تقاتل فتقتل

ابن عباس خلقناكم اي اصولكم وآباءكم ثم صورناكم في ارحام امهاتكم عكرمة خلقناكم في اصلاب الرجال ثم صورناكم في ارحام النساء وقال يمان خلق الانسان في الرحم ثم صوره وشق سمعه وبصره واصابعه

الى يوم آخر الدنيا

من المنظرين النظرة والمهلة في موضع آخر قال الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى حين يموت الخلق كلهم

اختلفوا في ما قيل هو استفهام يعني فبأي شيء اغويتني ثم ابتدأ فقال لاقعدن لهم وقيل ما الجزاء اي لاجل انك اغويتني لاقعدن لهم وقيل ما المصدر في موضع القسم تقديره فباغوائك اياي لاقعدن لهم كقوله بما غفر لي ربي يعني بغفران ربي والمعنى بقدرتك علي ونفاذ سلطانك في

تقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال قال فعصاه وجاهد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك منهم فمات كان حقا
على الله ان يدخله الجنة وان قتل كان حقا على الله ان يدخله الجنة وان غرق كان حقا على الله ان يدخله الجنة او وقصته
دابته كان حقا على الله ان يدخله الجنة رواه احمد وقوله ثم لآتينهم من بين ايديهم قال ابن عباس نقول من بين ايديهم اشككهم
في آخرتهم ومن خلفهم ارغبهم في دنياهم وعن ايمانهم اشبه عليهم امر دينهم وعن شمائلهم اشهي لهم المعاصي وعنه ايضا اما
من بين ايديهم فمن قبل دنياهم واما من خلفهم فمن قبل آخرتهم واما عن ايمانهم فمن قبل حسناتهم واما عن شمائلهم فمن قبل سيئاتهم
والمراد جميع طرق الخير والشر فالخير يصدهم عنه والشر يحسنه لهم قاله ابن جرير وقال قتادة اتاك يا ابن آدم من كل وجه غير انه
لم ياتك من فوقك لانه لا يستطيع ان يحول بينك وبين رحمة الله وقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين قال ابن عباس اي موحدين وهذا ظن
من ابليس وتوهم وقد وافق وهذا الواقع كما قال تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه الآية ولهذا ورد في الحديث الاستعاذة
من تسلط الشيطان على الانسان من جهاته كلها كما روى ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يدع هؤلاء الدعوات
حين يصبح وحين يمسي اللهم اني اسالك العافية في الدنيا والآخرة اللهم اني اسالك العفو والعافية في ديني ودنياي واهلي ومالي
اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي واعوذ بعظمتك
ان اغتال من تحتي يعني الخسف رواه احمد وابو داود والنسائي وصححه الحاكم **قال اخرج منها مذءوما مدحورا
لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين** اكد تعالى اللعنة على ابليس والطرد والابعاد والنفي عن محل الملأ
الاعلى بقوله اخرج منها مذءوما مدحورا قال ابن جرير اما المذؤوم فهو المعيب والذام غير مشدد العيب يقال ذامه يذامه ذاما
فهو مذؤوم ويتركون الهمز فيقولون ذمته اذيمه ذيما وذاما والذام والذيم ابلغ في العيب من الذم والمدحور المقصي وهو
المبعد المطرود وقال ابن عباس وغيره صغيرا مقيتا مطرودا لعينا وقوله لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين كقوله
اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا **ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من
حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما
ما وري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا
من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين** هنا بيان ما اباح الله لآدم وحواء الجنة والاكل من جميع ثمارها
الا شجرة واحدة كما سبق تفسيره في سورة البقرة فحسدهما الشيطان وسعى في المكر والخديعة فوسوس لهما ليزيل عنهما ما هما فيه من
النعمة واللباس الحسن وكذب وافترى فيما قال لهما في شان اكل الشجرة وقرا ابن عباس ملكين بكسر اللام والجمهور بفتحها
وقاسمهما اي حلف لهما بالله اني لكما لمن الناصحين فاني اعلم بهذا المكان منكما وهذا من باب المفاعلة والمراد احد الطرفين كما قال الشاعر
وقاسمها بالله جهدا لانتم الذ من السلوى اذا ما نشورها اي حلف لهما بالله على ذلك وقال قتادة فحلف لهما بالله حتى
خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله فقال اني خلقت قبلكما وانا اعلم منكما فاتبعاني ارشدكما وقال بعض العلماء من خادعنا بالله خدعنا
**فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق
الجنة وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا
ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت الشجرة التي نهى الله

اي او خذ بغتة واهلك بالخسف والاغتيال الاخذ بغتة واصله الاغتيال والغائلة الحيلة قال ابن عرفة غاله واغتاله اي ذهب به

سوآتهما جلد بدنهما قال قتادة كانا لا يريان سوآتهما قبل المعصية وقيل لم يكن يرى كل واحد منهما عورة صاحبه قبل المعصية فلما عصيا بدت عوراتهما

فدلاهما بغرور اي خدعهما يقال ما زال فلان يدلي لفلان بغرور يعني ما زال يخدعه ويكلمه بزخرف القول وقيل حطهما من منزلة الطاعة الى حالة المعصية ولا يكون التدلي الا من علو الى سفل والتدلية ارسال الدلو في البئر والغرور اظهار النصح مع ابطان الغش

ادم وزوجته السنبلة فلما اكلا منها بدت اي ظهرت لهما سوآتهما اي عورتهما وكان الذي وارى عنهما سوآتهما اظفارهما وطفقا يخصفان اي ابتدا وجعلا يرقعان ويلصقان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين يلزقان بعضه الى بعض حتى صار كهيئة الثوب فانطلق آدم موليا في الجنة فعلق براسه شجرة في الجنة فناداه الرب يا آدم امني تفر قال لا ولكني استحييتك يا رب قال اما كان ذلك فيما منحتك من الجنة وابحتك منها مندوحة عما حرمت عليك قال بلى يا رب ولكن وعزتك ما حسبت ان احدا يحلف بك كاذبا قال وهو قوله وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا وكانا في الجنة ياكلان منها رغدا قال فاهبط الى غير رغد فعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وزرع ثم سقى حتى اذا بلغ حصده ثم داسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم اكله فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله ان يبلغ وقال وهب بن منبه كان لباس آدم وحواء نورا على فرجهما لا يرى هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا فلما اكلا من الشجرة بدت لهما سوآتهما رواه ابن جرير وقال فناداه قال آدم اي رب ارايت ان تبت فاستغفرت قال اذا ادخلك الجنة فاما ابليس فلم يسال التوبة وساله النظرة فاعطى كل واحد منهما ما سال وقال ابن عباس لما اكل آدم من الشجرة قيل له لم اكلت من الشجرة التي نهيتك عنها قال حواء امرتني قال فاني قد اعقبتها ان لا تحمل الا كرها قال فرنت حواء عند ذلك فقيل لها الرنة عليك وعلى ولدك وقوله من الخاسرين اي من الهالكين والخاسرين الهالكين وقال الضحاك في قوله ربنا ظلمنا الآية هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه **قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون** قال بعض المفسرين المراد بخطاب اهبطوا آدم وحواء وابليس والحية ومنهم من لم يذكر الحية والعمدة اصلا انما كانت بعد آدم وابليس كما قال تعالى في سورة طه اهبطا منها جميعا وحواء تبع لآدم والحية ان صح ذكرها فهي تبع لابليس وذكر المفسرون الاماكن التي هبط كل منهم فيها من نقل الاسرائيليات والله اعلم بصحتها وقوله ولكم في الارض مستقر اي قرار واعمار مضروبة الى آجال معلومة جرى بها القلم واحصاها القدر وعن ابن عباس مستقر وجه الارض وتحتها وقوله قال فيها تحيون الى آخره كقوله تعالى منها خلقناكم الآية اخبر تعالى انه جعل الارض دارا لبني آدم مدة الحياة الدنيا فيها محياهم وفيها مماتهم وقبورهم ومنها نشورهم يوم المعاد **يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون** يمتن الله على عباده بما جعل لهم من اللباس والرياش فاللباس المذكور هنا ستر العورات وهي السوآت والرياش والريش ما يتجمل به ظاهرا فالاول من الضروريات والثاني من التكميلات والزيادات وكماليات وما ظهر من الثياب والجمال ايضا هكذا قالوا وعن علي رضي الله عنه انه اشترى قميصا بثلاثة دراهم ولبسه ما بين الرسغين الى الكعبين يقول الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما اتجمل به في الناس واواري به عورتي فقيل فهذا شيء ترويه عن نفسك او عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال هذا شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند الكسوة الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما اتجمل به في الناس واواري به عورتي رواه احمد وقوله ولباس التقوى قرا بعضهم ولباس بالنصب عطفا على لباسا والآخرون بالرفع على الابتداء وذلك خير خبره قيل هو ما يلبسه المتقون يوم القيمة وقيل الايمان وقيل العمل الصالح وقيل خشية الله وقيل السمت الحسن وكل هذه متقاربة **يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين**

اولياء للذين

لا يرون اجسادهم ولا يعلمون مكانهم لان اجسامهم رقيقة وفي ابصارهم ضعف عن ادراك الرقيق اللطيف

جنوده ابن عباس قبيله ولده

يعني الشيطان ... يا بني آدم

ليرى كل واحد سوأة الآخر

اولياء للذين لا يؤمنون يحذر تعالى بني آدم من ابليس وقبيله مبينا لهم عداوته القديمة لابي البشر آدم بسعيه في اخراجه من الجنة الى دار التعب وجهده في هتك عورته بعدما كانت مستورة عنه وهذا كقوله افتتخذونه وذريته اولياء من دوني الآية لا يفتننكم لا يضلنكم ليريهما اي ليرى كل واحد منهما سوأة الآخر ولهذا قال بعض السلف لا يجوز لاحد الزوجين النظر الى عورة الآخر ولا شك في كراهته انه اي ان الشيطان يراكم وقبيله جنوده واولاده انا جعلنا الشياطين اولياء اي اعوانا وقرناء للذين لا يؤمنون وسلطنا عليهم فيزيدون في غيهم وضلالتهم **واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بداكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون** قال بعضهم كانت العرب ما عدا قريش لا يطوفون بالبيت في ثيابهم التي لبسوها يتاولون في ذلك انهم لا يطوفون في ثياب عصوا الله فيها وكانت قريش وهم الحمس تطوف في ثيابهم ومن اعاره احمسي ثوبا طاف فيه ومن معه ثوب جديد طاف فيه ثم يلقيه فلا يتملكه احد فمن لم يجد ثوبا جديدا ولا اعاره احمسي ثوبا طاف عريانا وربما كانت امراة فتطوف عريانة وتجعل على فرجها شيئا يستره بعض الشيء وتقول اليوم يبدو بعضه او كله وما بدا منه فلا احله واكثر ما كان النساء يطفن عراة بالليل وكان هذا شيئا قد ابتدعوه من تلقاء انفسهم واتبعوا فيه آباءهم ويعتقدون ان فعل آبائهم كان مستندا الى امر من الله وشرع فانكر الله عليهم ذلك وقال واذا فعلوا فاحشة هي اسم لكل فعل قبيح يبلغ النهاية في القبح والمراد طوافهم بالبيت عريانا اي واذا فعلوا شيئا قبيحا ونهوا عنه قالوا وجدنا عليه آباءنا يواطئون فان قيل ومن اين اخذ اباؤكم قالوا الله امرنا بذلك الفاحشة فقال تعالى ردا عليهم قل يا محمد لمن ادعى ذلك ان الله لا يامر بالفحشاء اي هذا الذي يصنعونه فاحشة منكرة والله لا يامر بمثله اتقولون اي تسندون الى الله من الاقوال ما لا تعلمون صحته وقوله قل امر ربي بالقسط اي بالعدل والاستقامة واقيموا وجوهكم اي وامركم بالاستقامة في عبادته في محالها وهي متابعة المرسلين المؤيدين بالمعجزات فيما اخبروا به عن الله وجاءوا به من الشرائع وبالاخلاص له في عبادته فانه تعالى لا يقبل عملا الا ان يكون موافقا للشريعة خالصا لوجهه والدين والطاعة والعبادة وقوله كما بداكم تعودون اي كما يحييكم بعد موتكم وقال الحسن كما بداكم في الدنيا كذلك تعودون يوم القيمة احياء وقال ابن زيد كما بداكم اولا كذلك يعيدكم آخرا واختاره ابن جرير ويؤيده ما في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس انكم محشورون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين وقال القرظي اي من ابتدا الله خلقه على الشقوة صار الى ما ابتدا عليه خلقه وان عمل باعمال اهل السعادة ومن ابتدا خلقه على السعادة صار الى ما ابتدا خلقه عليه وان عمل باعمال اهل الشقاء كما قال ابن عباس في هذه الآية ان الله تعالى بدا خلق ابن آدم مؤمنا وكافرا كما قال هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدهم يوم القيمة كما بدا خلقهم فريقا هدى وفريقا حق عليهم اي وجب عليهم الضلالة بالارادة السابقة ويؤيد ذلك ما في الصحيحين عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوالذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها وايضا فيهما انه عليه الصلوة والسلام قال فاما من كان من اهل السعادة فسييسر لعمل السعادة ومن كان من اهل الشقاوة فسييسر لعمل الشقاوة ولهذا قال فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة ثم علل ذلك بقوله انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون قال ابن جرير وهذا من ابين الدلالة

من حيث كانت رؤيتهم
قال مالك بن دينار
ان عدوا يراك ولا تراه
لشديد المؤنة الا من
عصمه الله

قال مجاهد والسدي يعني وجهوا
وجوهكم حيث ما كنتم في الصلوة الى
الكعبة

كان اشقيا ثم عمل بعمل اهل السعادة ثم صار الى الشقاوة

اي هداهم الله

على خطأ من زعم ان الله لا يعذب احدا على معصية ركبها او ضلالة اعتقدها الا ان ياتيها بعد ان علم بصواب وجهها فركبها عنادا
منه لربه فيها لانه لو كان كذلك لم يكن بين فريق الضلالة وفريق الهداية فرق وقد فرق الله بين اسمائهما وبين احكامهما في هذه الآية
يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين هذه الآية جمعت احكام
الشريعة كلها الامر والنهي والاباحة والخبر وهي رد على المشركين فيما كانوا يعتقدونه من الطواف بالبيت عريانا كما سبق وهنا امرهم الله
بالزينة وهي اللباس الضروري والتجمل عند كل مسجد لطواف او صلاة ولا سيما يوم الجمعة والعيد والطيب والسواك من تمامها
ومن افضل اللباس البياض كما روى ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البسوا من ثيابكم البياض فانها من خير ثيابكم رواه
احمد وقوله تعالى وكلوا واشربوا قال بعض السلف قد جمع الله الطب كله في نصف آية وكلوا واشربوا ولا تسرفوا قال ابن عباس
كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة رواه البخاري وعن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا غير مخيلة ولا اسراف فان الله يحب ان يرى نعمته على عبده رواه احمد ورواه النسائي
وابن ماجه مختصرا وعن المقدام بن معديكرب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن حسب ابن
آدم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه رواه احمد والترمذي والنسائي وقال بعضهم
كلوا واشربوا مما رزقكم الله من الحلال ولا تسرفوا اي لا تاكلوا حراما فانه الاسراف وقوله انه لا يحب المسرفين اي ان الله لا يحب
المعتدين حده في حلال او حرام وقيل الغالين في ذلك باحلال الحرام او بتحريم الحلال قل من حرم زينة الله التي اخرج
لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة كذلك نفصل
الآيات لقوم يعلمون رد الله على من حرم شيئا من المآكل والمشارب والملابس من عند نفسه بلا دليل شرعي بقوله قل يا محمد لهؤلاء
المشركين الذين هذه صفتهم من حرم زينة الله التي اخرج لعباده يعني لبس الثياب في الطواف والطيبات من الرزق يعني اللحم والدسم في
ايام الحج وقيل البحائر والسوائب قل هي للذين آمنوا اي هي مخلوقة لمن آمن بالله في الحيوة الدنيا وان شركهم فيها الكفار في الدنيا فهي
لهم خاصة في العقبى لا يشركهم فيها احد من الكفار فان الجنة محرمة على الكافرين قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها
وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله
ما لا تعلمون سبق الكلام في سورة الانعام في بيان الفواحش وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا احد
اغير من الله فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه المدح من الله قوله والاثم والبغي قال السدي
اما الاثم فالمعصية والبغي ان يبغي على الناس بغير الحق وقيل الاثم الخطايا المتعلقة بالفاعل نفسه والبغي هو التعدي على الناس
وقيل الاثم الخمر والبغي الكبر وقوله وان تشركوا بالله اي وان تجعلوا لله شركاء في عبادته ما لم ينزل به سلطانا اي حجة وبرهانا
وان تقولوا على الله من الافتراء والكذب من دعوى ان له ولدا وفي تحريم الحرث والانعام وغير ذلك مما لا علم لكم به ولكل امة اجل
فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون يا بني آدم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم
آياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون اي لكل قرن وجيل اجل فاذا جاء اجلهم اي ميقاتهم المقدر لهم لنزول العذاب بهم لا يستاخرون
ذلك ساعة ولا يستقدمون اي لا يتقدمون ثم قال تعالى منذرا لهم يا بني آدم اما ياتينكم رسل منكم اي من جنسكم من البشر قيل المراد
بني آدم مشركو العرب وبالرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وبالآيات الفرائض والاحكام فمن اتقى واصلح اي ترك المحرمات وفعل الطاعات

يقصون عليكم آياتي

فاعلاه

فلا خوف عليهم

فلا خوف عليهم اذا خاف الناس ولا هم يحزنون اذا حزنوا والذين كذبوا باياتنا اي كذبت بها قلوبهم واستكبروا عن العمل بها
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اي ماكثون فيها مكثا مخلدا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته
اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون
الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اي لا احد اظلم ممن افترى الكذب على الله او كذب بايات
الله المنزلة اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال العوفي اي ينالهم ما كتب عليهم وكتب لمن يفتري على الله ان وجهه مسودة
وعن ابن عباس نصيبهم من الاعمال من عمل خيرا جزي به ومن عمل شرا جزي به وقال مجاهد وغيره واحد ما وعدوا فيه من خير و
شر واختاره ابن جرير وقال القرظي هو عمله ورزقه وعمره ويدل عليه قوله حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم فانه تعالى اخبر ان الملائكة
اذا توفت المشركين يقرعونهم عند الموت وقبض ارواحهم الى النار يقولون لهم اين الذين كنتم تشركون بهم في العبادة وتدعونهم
من دون الله ادعوهم يخلصوكم مما انتم فيه قالوا ضلوا عنا اي ذهبوا عنا فلا نرجو نفعهم ولا خيرهم واقروا واعترفوا على انفسهم
انهم كانوا كافرين قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امة لعنت
اختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا
ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من
فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون هذا اخبار عما يقول الرب تعالى لهؤلاء المشركين المذكورين ادخلوا في امم اي في
جماعات من اشكالكم وعلى صفاتكم قد خلت من قبلكم اي مضت من الامم السالفة الكافرة من الجن والانس في النار اما بدل من في امم
او في بمعنى مع وقوله كلما دخلت امة لعنت اختها كما قال الخليل عليه السلام ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا والمراد
اختها في الدين لا في النسب اي امة اخرى فتلعن اليهود النصارى وبالعكس والاتباع القادة وقوله حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي
اجتمعوا فيها كلهم قالت اخراهم اي آخرهم دخولا وهم اتباع لاولاهم وهم المتبوعون لانهم اشد جرما من اتباعهم فدخلوا
قبلهم فيشكوهم الاتباع الى الله يوم القيمة لانهم هم الذين اضلوهم عن سواء السبيل فيقولون ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا
اي اضعف عليهم العقوبة وقوله لكل ضعف اي قد فعلنا ذلك وجازينا كلا بحسبه ولكن لا تعلمون ما لكل فريق منكم من العذاب
وقالت اولاهم اي المتبوعون للاتباع فما كان لكم علينا من فضل قال السدي اي فقد ضللتم كما ضللنا فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون
ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في
سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين
اخبر الله عن المكذبين بالقرآن المستكبرين عن الايمان بانه لا تفتح لهم ابواب السماء قيل اي لا يرفع لهم عمل صالح ولا دعاء قاله مجاهد عن
ابن عباس وقيل اي لا تفتح لارواحهم ويؤيده ما رواه البراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح الفاجر انه يصعد بها
الى السماء فيصعدون بها فلا يمرون بملأ من الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الخبيثة فيقولون فلان باقبح اسمائه التي كان يدعى بها في الدنيا حتى ينتهوا
بها الى السماء فيستفتحون له فلا يفتح له ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم
الخياط هكذا رواه ابن جرير وهو قطعة من حديث طويل رواه ابو داود والنسائي وابن ماجه وقوله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في
سم الخياط اي حتى يدخل البعير في خرق الابرة وثقبها والخياط الابرة اي لا يدخلونها ابدا وعن ابن عباس انه كان يقرا حتى يلج
الجمل بضم الجيم وتشديد الميم يعني الحبل الغليظ وقوله لهم من جهنم مهاد اي فراش ومن فوقهم غواش اي اللحف جمع غاشية اي اغطية

النار بهم من كل جانب والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم
فيها خالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما
كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها
بما كنتم تعملون لما ذكر الله تعالى حال الاشقياء عطف بذكر حال السعداء فقال والذين آمنوا اي آمنت قلوبهم وعملوا الصالحات
بجوارحهم ضد اولئك الذين كفروا بآياته واستكبروا عنها ونبه تعالى على ان الايمان والعمل سهل لانه لا نكلف نفسا الا وسعها
اي طاقتها بحيث لا يضيق عليها وقوله ونزعنا اي اخرجنا ما في صدورهم من غل اي من غش وعداوة وحسد كانت بينهم في
الدنيا كما روى ابو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلص المؤمنون من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار
فاقتص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفسي بيده ان احدهم بمنزله في الجنة
ادل منه بمسكنه كان في الدنيا رواه البخاري وقال السدي ان اهل الجنة اذا سيقوا الى الجنة وجدوا عند بابها شجرة في اصلها
ساقها عينان فشربوا من احدهما فينزع ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى فجرت عليهم نضرة النعيم
فلم يشعثوا ولم يتسخوا بعدها ابدا وعن علي رضي الله عنه نحوه وقال اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال تعالى
ونزعنا ما في صدورهم من غل رواه ابن جرير وقوله هدانا لهذا يعني طريق الجنة وقيل هدانا للعمل الذي هذا ثوابه وقوله لقد جاءت رسل ربنا
بالحق هذا قول اهل الجنة ونودوا قيل هذا النداء حين رأوا الجنة من بعيد وقيل بل في الجنة وروى النسائي عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كل اهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا ان الله هداني فيكون له شكر وكل اهل النار يرى مقعده من الجنة
فيقول لو ان الله هداني فيكون له حسرة ولهذا لما اورثوا مقاعد اهل النار من الجنة نودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون اي بسبب
اعمالكم نالتكم الرحمة فدخلتم الجنة وتبوأتم منها منازلكم بحسب اعمالكم وانما وجب الحمل على هذا لما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اعلموا ان احدكم لن يدخله عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل ونادى
اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا
نعم فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها
عوجا وهم بالآخرة هم كافرون هذا اخبار بما يخاطب اهل الجنة اهل النار اذا استقروا في منازلهم تقريعا وتوبيخا
ان قد وجدنا اي قالوا لهم قد وجدنا ما وعدنا ربنا اي من الثواب حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم من العذاب حقا وهذا كما قرع رسول الله
صلى الله عليه وسلم قتلى القليب يوم بدر فناداهم يا ابا جهل ابن هشام ويا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة وسمى رؤسهم هل وجدتم
ما وعد ربكم حقا فاني وجدت ما وعدني ربي حقا فقال عمر يا رسول الله تخاطب قوما قد جيفوا فقال والذي نفسي بيده ما انتم باسمع
لما اقول منهم ولكن لا يستطيعون ان يجيبوا هكذا في الصحيح وقوله فاذن مؤذن اي اعلم معلم ونادى مناد ان لعنة الله على الظالمين
اي مستقرة عليهم ثم وصفهم بقوله الذين يصدون اي يصدون ويمنعون الناس عن اتباع سبيل الله وشرعه ويبغونها ان يكون السبيل
معوجا غير مستقيمة حتى لا يتبعها احد وهم بالآخرة اي بلقاء الله في الدار الآخرة كافرون اي جاحدون مكذبون ولا يصدقون ولا
يؤمنون به وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام
عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا
مع القوم الظالمين لما ذكر تعالى مخاطبة اهل الجنة مع اهل النار نبه ان بين الجنة والنار حجابا وهو الحاجز المانع من وصول

اهل النار

وعلى الاعراف رجال
منهم

حجاب دیوار است بلند در میان ... [illegible]

اهل النار الى الجنة وقال ابن جرير هو السور الذي قال تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب
وهو الاعراف الذي قال تعالى وعلى الاعراف رجال وبه قال الاكثر والاعراف جمع عرف وكل مرتفع من الارض عند العرب يسمى عرفا
ومنه عرف الديك لارتفاعه قال ابن عباس الاعراف تل بين الجنة والنار يحبس عليه ناس من اهل الذنوب وفي اصحاب الاعراف
اقوال كلها قريبة ترجع الى معنى واحد وهو انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم نص عليه ابن عباس وابن مسعود وغير واحد
من السلف والخلف وقد جاء في حديث مرفوع رواه ابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن استوت
حسناته وسيئاته قال اولئك اصحاب الاعراف لم يدخلوها وهم يطمعون هذا حديث غريب وعن عبد الرحمن المزني قال سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن اصحاب الاعراف فقال هم ناس قتلوا في سبيل الله بمعصية يعني بغير اذن آبائهم فمنعهم من دخول الجنة معصية
آبائهم ومنعهم من دخول النار قتلهم في سبيل الله هكذا رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وكذا رواه ابن ماجه عن ابن عباس وابي سعيد
مرفوعا وعن ابن مسعود قال يحاسب الناس يوم القيمة فمن كانت حسناته اكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته
اكثر من حسناته بواحدة دخل النار ثم قرأ قول الله فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين
خسروا انفسهم في جهنم ثم قال ان الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح قال ومن استوت حسناته وسيئاته كان من اصحاب الاعراف
فوقفوا على الصراط ثم عرفوا اهل الجنة واهل النار فاذا نظروا الى اهل الجنة نادوا سلام عليكم واذا صرفوا ابصارهم الى يسارهم اصحاب
النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فتعوذوا بالله من منازلهم قال واما اصحاب الحسنات فانهم يعطون نورا فيمشون
به بين ايديهم وبايمانهم ويعطى كل عبد يومئذ نورا وكل امة نورا فاذا اتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة فلما رأى
اهل الجنة ما لقي المنافقون قالوا ربنا اتمم لنا نورنا واما اصحاب الاعراف فان النور كان بين ايديهم فلم ينزع فهنالك يقول الله
تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون فكان الطمع دخولا رواه ابن جرير وكانوا آخر اهل الجنة دخولا وقال الحسن والله ما جعل الله ذلك
الطمع في قلوبهم الا لكرامة يريدها بهم والسيماء العلامة اي يعرفون اهل الجنة ببياض وجوههم واهل النار بسواد وجوههم و
قوله واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار وقال السدي اي اذا مروا بهم يعني اصحاب الاعراف بزمرة يذهب بها الى النار قالوا ربنا
لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما
كنتم تستكبرون اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون
هذا اخبار عن تقريع اصحاب الاعراف لرجال من صناديد المشركين وقادتهم يعرفونهم في النار بسيماهم ما اغنى عنكم جمعكم اي كثرتكم
وما كنتم تستكبرون يعني لم ينفعكم استكباركم عن الايمان ولا جمعكم من عذاب الله بل صرتم الى ما انتم فيه من العذاب والنكال اهؤلاء
الذين اقسمتم اي واذا نظر اصحاب الاعراف الى الجنة فيرون فيها الفقراء والضعفاء ممن كانوا استهزؤوا بهم قالوا لاولئك
الكفار اهؤلاء الذين حلفتم ان لا يدخلوا الجنة ولا ينالهم الله برحمة ثم يقول الملائكة لاهل الاعراف ادخلوا الجنة لا خوف
عليكم ولا انتم تحزنون فيدخلون الجنة بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا
علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا و
لعبا وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننسيهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا باياتنا يجحدون
هذا اخبار عن ذلة اهل النار وسؤالهم اهل الجنة من شرابهم وطعامهم وانهم لا يجابون الى ذلك قال السدي وغيره مما رزقكم الله يعني الطعام
يستطعمونهم ويستسقونهم وقال ابن جبير ينادي الرجل اباه او اخاه فيقول له احترقت فافض علي من الماء فيقال لهم اجيبوهم

ومنعتهم السيئات ان يدخلوا الجنة وبقي في قلوبهم الطمع اذ لم ينزع النور من بين ايديهم

الرؤساء من المال والولد

الضعفاء

سال ابن عباس اي الصدقة افضل فقال قال النبي صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة الماء الم تر الى اهل النار لما استغاثوا باهل الجنة قالوا ان افيضوا علينا من الماء

يقولون ان الله حرمهما على الكافرين يعني طعام الجنه وشرابها كما روى ابن ابي حاتم انه سئل ابن عباس اي الصدقة افضل فقال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة الماء الم تسمع الى اهل النار لما استغاثوا باهل الجنه قالوا افيضوا علينا من الماء او
مما رزقكم الله ثم وصفهم الله بما كانوا عليه في الدنيا من اللهو واللعب واغترارهم بها وزخارفها عما امروا به من العمل للعقبى
وقوله فاليوم ننسيهم عاملهم الله معامله من نسيهم لانه لا يشذ من علمه شي ولا ينساه وهذا من باب المقابله كما قال نسوا الله فانساهم
وغير من الايات قال ابن عباس اي نترككم كما تركوا لقاء يومهم هذا يعني تركهم من الرحمة في النار كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيمه الم ازوجك الم اكرمك الم اسخر لك الخيل والابل
واذرك ترأس وتربع فيقول بلى فيقول اظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول الله فاليوم ننساك كما نسيتني وهذا بعض حديث مبسوط
رواه مسلم **ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يومنون هل ينظرون الا تاويله**
يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا
لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون اخبر تعالى عن اعذاره
الى المشركين بارسال الكتاب مع الرسول اليهم وانه كتاب مفصل بين على علم اي منا بما فصلناه به ولهذا قال هل ينظرون الا
تاويله اي فيما وعد من العذاب والنكال والجنه والنار ذلك ثوابه قاله الحكم قال الربيع ولا يزال يجي من تاويله امر حتى يتم
يوم الحساب يدخلهم الجنه والنار وقوله يوم ياتي تاويله اي يوم القيمه يقول الذين نسوه من قبل اي تركوا العمل به وتناسوا
عنه في الدنيا قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اي في خلاصنا مما صرنا اليه مما نحن فيه او نرد الى الدنيا
فنعمل من الطاعه غير الذي كنا نعمل من المعصيه قد خسروا انفسهم اي اهلكوها بدخول النار وخلودهم فيها وضل عنهم اي ذهب
عنهم ما كانوا يعبدونه من دون الله فلا ينصرونهم ولا يشفعون فيهم ولا ينقذونهم مما هم فيه **ان ربكم الله الذي خلق**
السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس
والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين اخبر تعالى انه خلق هذا العالم
سماواته وارضيه وما بين ذلك في ستة ايام كما اخبر في غير ما اية من ايات القرآن وهي يوم الاحد والاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس
والجمعه وفيه اجتمع الخلق كله وفيه خلق آدم واختلفوا في هذه الايام هل كل يوم كمدة هذه الايام كما هو المتبادر الى الذهن او كل يوم
كالف سنه كما نص عليه غير واحد عن ابن عباس فاما يوم السبت فلم يقع فيه خلق لانه اليوم السابع ومنه سمي السبت وهو القطع و
يشكل هنا ما رواه ابو هريرة قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال يوم
الاحد وخلق الشجر فيها يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلثا وخلق النور يوم الاربعا وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر
يوم الجمعه آخر الخلق في آخر ساعه من ساعات يوم الجمعه فيما بين العصر الى الليل رواه مسلم واحمد والنسائي له والنسائي من
غير وجه فانه لا مجال للطعن فيما رواه مسلم والاولى ان يحمل يوم الخميس انه لم يقع فيه خلق والله اعلم واما قوله تعالى ثم استوى
على العرش فللناس ههنا مقالات كثيره ليس هنا موضع بسطه وانا نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح كمالك والاوزاعي
والثوري والشافعي واحمد واسحق وغيرهم من ائمة المسلمين قديما وحديثا وهو امرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه و
لا تعطيل وما سبق الى ذهن المشبهين منفي عن الله فانه لا يشبهه شي من خلقه ليس كمثله شي وهو السميع البصير بل الامر كما قال الائمة
ان من اثبت لله تعالى ما وردت به الايات الصريحة والاخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ونفى عنه تعالى النقائص

فقد سلك

فقد سلك سبيل الهدى فقوله يغشي الليل النهار اي يذهب بظلام هذا وبضياء هذا وكل منهما يطلب الاخر طلبا حثيثا اي
سريعا لا يتاخر عنه والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره منهم من نصب ومنهم من رفع وكلاهما قريب المعنى اي الجميع تحت
قهره وتسخيره ومشيئته كما قال منبها الا له الخلق والامر اي الملك والتصرف تبارك الله رب العالمين اي تعالى الله وتعظم وتقدس
وباسمه نتبرك وثبت ودام بالبركة وفي الدعاء الماثور عن ابي الدرداء وروي مرفوعا اللهم لك الملك كله ولك الحمد كله واليك
يرجع الامر كله اسالك من الخير كله واعوذ بك من الشر كله **ادعوا ربكم تضرعا وخفيه انه لا يحب المعتدين ولا**
تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين ارشد الله
عباده الى دعائه الذي فيه صلاح دينهم ودنياهم فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفيه قيل اي تذللا واستكانه وسرا وفي الصحيحين
عن ابي موسى قال رفع الناس اصواتهم بالدعاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غائبا ان
الذي تدعونه سميعا قريبا الحديث وقال ابن جرير تضرعا تذللا واستكانه لطاعته وخفيه اي بخشوع قلوبكم وصحة اليقين بوحدانيته
وربوبيته فيما بينكم وبينه لا جهارا ومراياة ولقد ذكر الله عبدا صالحا ورضي فعله فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وقال ابن جريج
يكره رفع الصوت اي والنداء والصياح في الدعاء ويومر بالتضرع والاستكانه وقوله انه لا يحب المعتدين قال ابن عباس اي لا في
الدعاء ولا في غيره وقيل لا يسال منازل الانبياء عن عبد الله بن مغفل وسمع ابنه يقول اللهم اني اسالك القصر الابيض عن يمين الجنه
اذا دخلتها فقال يا بني سل الجنة وعذ به من النار فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون قوم يعتدون في الدعاء و
الطهور رواه احمد وابن ماجه وقوله ولا تفسدوا في الارض نهى الله عن الافساد في الارض واضره بعد الاصلاح فانه اذا كان الامور
ممشاة على السداد ثم وقع الافساد بعد ذلك كان اضر ما يكون على العباد فنهى تعالى عن ذلك وامر بعبادته ودعائه والتضرع
اليه والتذلل لديه فقال وادعوه خوفا وطمعا اي خوفا مما عنده من وبيل العقاب وطمعا فيما عنده من جزيل الثواب ثم قال ان
رحمة الله قريب من المحسنين اي ان رحمته مرصدة للمحسنين الذين يتبعون اوامره ويتركون زواجره كما قال تعالى ورحمتي وسعت كل
شي الاية وانما قال قريب بالتذكير لانه في معنى الثواب او لاضافته الى الله ولهذا قال قريب من المحسنين **وهو الذي يرسل الرياح**
بشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا
به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي
خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون لما ذكر تعالى انه الخالق والمتصرف الحاكم و
القادر على ما يشاء قال وهو الذي يرسل الرياح نشرا اي ناشرة بين يدي السحاب متفرقه وهي الرياح التي تهب في كل ناحية جمع
نشور وقرئ بالباء كقوله ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وقوله بين يدي رحمته اي قدام المطر كما قال وهو الذي ينزل الغيث
الاية وقوله حتى اذا اقلت سحابا ثقالا اي حملت الرياح سحابا ثقالا اي لكثرة ما فيها من الماء تكون ثقيلة قريبة من الارض مدلهمة
وقوله سقناه لبلد ميت اي الى ارض ميتة مجدبة لا نبات فيها كما قال تعالى وآية لهم الارض الميتة احييناها الاية ولهذا قال فاخرجنا
به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى اي كما احيينا هذه الارض بعد موتها كذلك نحيي الاجساد بعد صيرورتها رميما يوم القيمة ينزل
الله سبحانه ماء من السماء فيمطر الارض اربعين يوما فتنبت الاجساد في قبورها كما ينبت الحب في الارض وهذا المعنى كثير في القرآن يضرب الله
مثلا للقيمة باحياء الارض بعد موتها ولهذا قال لعلكم تذكرون وقوله والبلد الطيب اي والارض الطيبة يخرج نباتها سريعا حسنا
كما قال وانبتها نباتا حسنا والذي خبث لا يخرج الا نكدا اي عسرا قليلا بعناء ومشقة ومعنى نصرف نبين قال مجاهد كالسباخ و

نحوها وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر وفي الصحيحين عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا واصاب منها طائفة اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به. ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملأ من قومه انا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون لما ذكر الله قصة آدم وما يتعلق به وما يتفرع عليه شرع في قصص الانبياء عليهم السلام باديا بذكر نوح فانه اول رسول مبعوث الى اهل الارض بعد آدم وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس النبي عليه السلام فيما يزعمون وهو اول من خط بالقلم ابن برد بن مهليل ابن قنين بن يانش بن شيث بن آدم هكذا نسبه ابن اسحق وغيره قال ولم يلق نبي من قومه من الاذى مثل نوح الا نبي قتل وعن يزيد الرقاشي انما سمي نوح لكثرة ما ناح على نفسه وكان بين آدم وبين نوح عشرة قرون كلهم على الاسلام قاله ابن عباس وكان اول ما عبدت الاصنام ان قوما صالحين ماتوا فبني عليهم مساجد وصوروا صور اولئك ليتذكروا احوالهم وعبادتهم فيتشبهوا بهم فلما طال الزمان جعلوا تلك الصور اجسادا فلما تمادى الزمان عبدوها وسموها باسماء اولئك الصالحين يغوث ويعوق ونسرا فلما استمر الامر بعث الله سبحانه نوحا فامرهم بعبادة الله وحده لا شريك له فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم اي من عذاب يوم القيمة ان لقيتم الله وانتم مشركون به قال الملأ من قومه اي الجمهور والسادة والقادة والكبراء منهم انا لنراك في ضلال مبين اي في دعوتك ايانا الى ترك عبادة الاصنام التي وجدنا عليها آباءنا قال يا قوم ليس بي ضلالة اي لست انا بضال ولكني انا رسول من رب كل شيء ومليكه ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون وهو النصح وهو ان يريد لغيره من الخير ما يريد لنفسه وهذا من شان الرسول وهو ان يكون بليغا فصيحا ناصحا عالما بالله لا يدركهم احد من خلق الله في هذه الصفات كما في صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم عرفة وهم اوفر ما كانوا واكثره جمعا ايها الناس انكم مسئولون عني فما انتم قائلون قالوا نشهد انك قد بلغت وأديت ونصحت فجعل يرفع اصبعه الى السماء وينكتها عليهم ويقول اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عمين اي قال نوح لقومه اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم اي لا تعجبوا من هذا فانه ليس بعجب من الله ان يوحي الى رجل منكم رحمة بكم ولطفا واحسانا اليكم لينذركم ولتتقوا نقمة الله ولا تشركوا به لعلكم ترحمون قال الله فكذبوه اي فتمادوا على تكذيبه ومخالفته وما آمن معه منهم الا قليل كما نص عليه تعالى في موضع آخر فانجيناه والذين معه في الفلك وهي السفينة كما قال فانجيناه واصحاب السفينة واغرقنا الذين كذبوا باياتنا وقوله انهم كانوا قوما عمين اي عن الحق لا يبصرونه ولا يهتدون له فبين تعالى في هذه القصة انه انتقم لاوليائه من اعدائه وانجى رسوله والمؤمنين واهلك اعداءهم من الكافرين كما قال تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا الآية وهذه سنة الله في عباده في الدنيا والآخرة ان العاقبة فيهما للمتقين قال ابن عباس نجى الله مع نوح في السفينة ثمانين رجلا احدهم جرهم وكان لسانه عربيا والى عاد اخاهم هودا قال

يا قوم

مثل العلم كمثل المطر ومثل قلوب الناس كمثل الارض
في قبول الماء فشبه من تعلم وعمل به بالارض الطيبة
وشبه من تحمل العلم ولم ينتفع به بالارض الصلبة لا
تنبت وتحمل العلم كقبول الماء وامساكه وكما ان
الناس ينتفعون بالماء في تلك الصورة فكذا الناس
ينتفعون بعلمه وان لم ينتفع هو بعلمه ومن لم يتعلم
ولم يحمل بالقيعان التي لا تنبت ولا تمسك الماء
وهو علم لا خير فيه ٥

اختلفوا في سبب تسميته قيل لدعوته على قومه
بالهلاك وقيل لمراجعته ربه في شان ابنه كنعان
وقيل لانه مر بكلب فقال اخسا يا قبيح فاوحى
الله اليه اعبتني ام عبت الكلب
٥

يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون يقول تعالى وكما ارسلنا الى قوم نوح نوحا كذلك ارسلنا الى عاد اخاهم هودا قال ابن اسحق هم قوم من ولد عاد بن ارم ابن عوص بن سام بن نوح وهؤلاء هم عاد الاولى الذين ذكرهم الله وهم اولاد عاد بن ارم الذين كانوا يأوون الى العمد في البر كما قال الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد وذلك لشدة باسهم وقوتهم وكانت مساكنهم باليمن بالاحقاف وهي جبال الرمل وفيها كثيب احمر قريب من حضرموت ذي كثيب منها قبر هود عليه السلام وقد كان من اشراف قومه نسبا لان الرسل انما يبعثهم الله من افضل القبائل واشرفهم ولكن كان قومه كما شدد خلقهم شدد على قلوبهم فكانوا من اشد الامم تكذيبا للحق ولهذا لما دعاهم هود الى عبادة الله وحده والى طاعته وتقواه قالوا انا لنراك في سفاهة اي في ضلالة حيث تدعونا الى ترك عبادة الاصنام والاقبال الى عبادة الله وحده كما تعجب الملأ من قريش من الدعوة الى اله واحد فقالوا اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب قال يا قوم ليس بي سفاهة اي لست كما تزعمون بل جئتكم بالحق من الله الذي خلق كل شيء وهو رب كل شيء ومليكه ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين سبق معناه وتفسيره او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم اي لا تعجبوا ان بعث الله اليكم رسولا من انفسكم لينذركم ايام الله ولقاءه بل احمدوا الله على ذلكم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح الذي اهلك الله اهل الارض بدعوته لما خالفوه وكذبوه وزادكم في الخلق بسطة اي قوة وزاد طولكم على الناس بسطة اي جعلكم اطول من ابناء جنسكم فاذكروا آلاء الله هي جمع الى اي منته ونعمه عليكم لعلكم تفلحون قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا وما كانوا مؤمنين اخبر الله عن تمردهم وانكارهم على هود بقوله قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده هو كما قال كفار قريش واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية قال ابن اسحق انهم كانوا يعبدون اصناما فصنم يقال لها صدا وآخر صمود وآخر الهبا ولهذا قال هود قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اي وجب عليكم بمقالتكم هذه من ربكم رجس اي رجز يعني سخط وغضب اتجادلونني اي اتحاجونني في هذه الاصنام التي سميتموها انتم وآباؤكم آلهة وهي لا تضر ولا تنفع ولا جعل الله لكم على عبادتها حجة ولا دليلا ولهذا قال ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اي نزول العذاب اني معكم من المنتظرين وهذا تهديد ووعيد من الرسول لقومه ولهذا عقب بقوله فانجيناه والذين معه برحمة منا اي فانجينا هودا ومن آمن به عند نزول العذاب وقوله وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا اي استاصلناهم واهلكناهم الى آخرهم وقد ذكر الله سبحانه قصة اهلاكهم في اماكن اخر من القرآن بانه ارسل عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم لما تمردوا وعتوا اهلكهم الله بريح عاتية فكانت تحمل الرجل منهم فترفعه الى الهواء ثم تنكسه على ام راسه فتثلغ راسه حتى تبينه عن جثته كما قال كانهم اعجاز نخل خاوية قال ابن اسحق كانوا باليمن بين عمان وحضرموت وكانوا مع ذلك قد فشوا في الارض وقهروا اهلها بفضل قوتهم وكانوا اصحاب اوثان يعبدونها من دون الله فبعث الله اليهم هودا وهو من اوسطهم نسبا وافضلهم حسبا

وانا لنظنك من الكاذبين
انك رسول الله
الينا

الكلبي والسدي كانت قامة الطويل منهم
مائة ذراع وقامة القصير ستون وقيل سبعون
ذراعا وقيل ثمانون ذراعا وقيل اثنا عشر
ذراعا ووهب كان راس احدهم مثل
القبة العظيمة ٥

فامرهم ان يوحدوا الله ولا يشركوا به شيا وان يكفوا عن الظلم فابوا عليه وكذبوه وقالوا من اشد منا قوة واتبعه منهم ناس يسير يكتمون ايمانهم فلما عتوا وتجبروا وبنوا بكل ريع آية تعبثون قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين الى قوله مستقيم فلما ابوا الا الكفر به امسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكانوا اذا جهدهم امر في ذلك الزمان وطلبوا من الله الفرج عنه انما يطلبونه بحرمه ومكان بيته وكان معروفا عند اهل ذلك الزمان وبه العماليق مقيمون وهم من سلالة عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيدهم اذ ذاك رجلا يقال له معوية بن بكر وكانت امه من قوم عاد فبعثت عاد وفدا قريبا من سبعين رجلا الى الحرم ليستسقوا لهم فيه فمروا بمعوية بن بكر بظاهر مكة فنزلوا عليه فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان لمعوية وكانوا قد وصلوا اليه في شهر ولما طال مقامهم عنده واخذته شفقة على قومه واستحى منهم ان يامرهم بالانصراف عمل شعرا يعرض بالانصراف وامر القينتين ان تغنيهم به فقال

الا يا قيل ويحك قم فهينم ... لعل الله يصبحنا غماما
فيسقي ارض عاد ان عادا ... قد امسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو ... به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير ... فقد امست نساؤهم عيامى
وان الوحش ياتيهم جهارا ... ولا يخشى لعادي سهاما
وانتم هاهنا فيما اشتهيتم ... نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم ... ولا لقوا التحية والسلاما

قال فعند ذلك تنبه القوم لما جاؤا به فدعوا لقومهم فدعا داعيهم وهو قيل بن عنز فانشا الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء اختر لنفسك ولقومك من هذه السحاب فقال اخترت السحابة السوداء فانها اكثر السحاب ماء فناداه مناد اخترت رمادا رمددا ... لا يبقي من آل عاد احدا ... لا والدا يترك ولا ولدا ... الا جعلته همدا ... الا بني اللوذية المهدا ... قال وبنو اللوذية بطن من عاد مقيمين بمكة فلم يصبهم ما اصاب قوم عاد قال وهم ومن بقي من انسابهم وذراريهم عاد الآخرة قال وساق الله السحابة السوداء فيما يذكرون التي اختارها قيل بن عنز بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرج عليهم من واد يقال له المغيث فلما راوها استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شي امرت به فكان اول من ابصر ما فيها وعرف انها ريح فيما يذكرون امراة من عاد يقال لها مهدد فلما تبينت ما فيها صاحت ثم صعقت فلما افاقت قالوا ما رايت يا مهدد قالت ريحا فيها شهب النار امامها رجال يقودونها فسخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما والحسوم الدائمة فلم تدع من عاد احدا الا اهلكته واعتزل هود عليه السلام ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه الا ما تلين عليه الجلود وتلتذ الانفس وانها لتمر على عاد بالظعن ما بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وذكر تمام القصة بطولها وهو سياق غريب فيه فوائد كثيرة وقد قال تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ وفي مسند احمد وبعض السنن نحو مختصر من هذه القصة

والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملاء الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون

اى اذا نزل بهم بلاء

عيامى اى واقفات في الجرب من النوم وهو القحط

اخاهم صالحا اى ارسلنا الى ثمود اخاهم في النسب لا في الدين صالحا وهو صالح ابن عبيد بن اسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود

وكانوا يسكنون في الحجاز السهول في الصيف يسكنون بيوت الطين وفي الشتاء بيوت الجبل وقيل ينحتون البيوت في الجبل لان بيوت الطين ما كانت تبقى مدة اعمارهم لطول اعمارهم

العثي اشد الفساد

المستضعفون

جاحدون

فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين

قال المفسرون هو ثمود بن عاثر بن ارم بن سام بن نوح والمراد قبيلة وكانت قبل ابرهيم الخليل عليه السلام وكانت ثمود بعد عاد ومساكنهم مشهورة بين الحجاز والشام الى وادي القرى وما حوله وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قراهم ومساكنهم ذاهبا الى تبوك سنة تسع كما روى ابن عمر قال لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس على تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود فعجنوا منها ونصبوا القدور فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم فاهرقوا القدور وعلفوا العجين الابل ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة ونهاهم ان يدخلوا على القوم الذين عذبوا وقال اني اخشى ان يصيبكم مثل ما اصابهم فلا تدخلوا عليهم رواه احمد وفي الصحيحين عن ابن عمر ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم ما اصابهم ثم قنع راسه واسرع السير حتى اجتاز الوادي فقوله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا اى ولقد ارسلنا الى قبيلة ثمود اخاهم صالحا فقال يا قوم اعبدوا الله كان جميع الرسل يدعون الى عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقوله قد جاءتكم بينة من ربكم اى قد جاءتكم حجة من الله على صدق ما جئتكم به وكانوا هم الذين سالوا صالحا ان ياتيهم باية واقترحوا عليه ان يخرج لهم من صخرة صماء عينوها بانفسهم ويقال لها الكاتبة فطلبوا منه ان يخرج لهم منها ناقة عشراء تمخض فاخذ عليهم صالح العهود والمواثيق لئن اجابهم الله الى سؤالهم واجاب طلبتهم ليؤمنن به وليتبعنه فلما اعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم قام صالح الى صلاته ودعا الله تعالى فتحركت تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة جوفاء وبراء يتحرك جنينها بين جنبيها كما سالوا فعند ذلك آمن رئيس القوم وهو جندع بن عمرو ومن كان معه على امره واراد بقية اشراف ثمود ان يؤمنوا فصدهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب اوثانهم ورباب بن صمعر بن جلهس وكان لجندع بن عمرو ابن عم يقال له شهاب بن ابي خليفة من اشراف ثمود فاراد ان يسلم ايضا فنهاه اولئك الرهط واطاعهم فقال في ذلك رجل من مؤمني ثمود يقال له مهوش بن غنمة

وكانت عصبة من آل عمرو ... الى دين النبي دعوا شهابا
عزيز ثمود كلهم جميعا ... فهم بان يجيب فلو اجابا
لاصبح صالح فينا عزيزا ... وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغواة من آل حجر ... تولوا بعد رشدهم ذبابا

فاقامت الناقة وفصيلها بعدما وضعته بين اظهرهم مدة تشرب ماء بئرها يوما وتدعه لهم يوما وكانوا يشربون لبنها يوم شربها يحتلبونها فيملؤن ما شاؤا من اوعيتهم واوانيهم كما قال تعالى في آية اخرى ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر وقال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وكانت تسرح في بعض تلك الاودية ترد من فج وتصدر من غيره ليسعها لانها كانت تتضلع من الماء وكانت خلقا هائلا ومنظرا رائعا اذا مرت بانعامهم نفرت منها فلما طال عليهم ذلك واشتد تكذيبهم لصالح النبي عليه السلام عزموا على قتلها ليستاثروا بالماء كل يوم فاتفقوا على ذلك يعني مجموع القبيلة ذكورهم واناثهم وذراريهم راضين بذلك قال العلماء وكانت امراة منهم وكانت امراة يقال لها عنيزة ابنة غنم بن مجلز عجوزا كافرة من اشد الناس عداوة لصالح وكانت لها بنات حسان ومال جزيل وكان زوجها ذؤاب ابن عمرو من رؤساء ثمود وامراة اخرى يقال لها صدوف بنت المحيا بن زهير ذات حسب ومال وجمال وكانت

سميت ثمود لقلة مائها والثمد الماء القليل

تحت سلم من ثمود نفارقته وكانتا تحبان لمن التزم لهما بقتل الناقة نفسيهما فدعت صدوف ابن عم لها يقال له مصدع ابن مهرج بن المحيا فاجابها الى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف بن جندع وكان رجلا احمر ازرق قصيرا يزعمون انه كان ولد زنية وقالت له اعطيك اي بناتي شئت على ان تعقر الناقة فعند ذلك انطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج فاستغويا غواة من ثمود فاتبعهما سبعة نفر فصاروا تسعة رهط وهم الذين قال الله وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون وكانوا من رؤسائهم فاستمالوا القبيلة الكافرة بكمالها فطاوعتهم على ذلك فانطلقوا ورصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في اصل صخرة وكمن لها مصدع في اصل اخرى فمرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت ام غنم عنيزة وامرت ابنتها وكانت من احسن الناس وجها فسفرت عن وجهها لقدار وذمرته فشد على الناقة بالسيف فكشف عن عرقوبها فخرت على الارض ورغت رغاة واحدة تحذر سقبها ثم طعن في لبتها فنحرها وانطلق سقبها وهو فصيلها حتى اتى جبلا منيعا فصعد اعلا صخرة فيه ورغا يا رب اين امي وقيل انه رغا ثلاث مرات ثم دخل في صخرة فغاب فيها وقيل بل اتبعوه وعقروه مع امه والله اعلم فلما فعلوا ذلك بلغ الخبر صالحا فجاءهم وهم مجتمعون فلما راى الناقة بكى وقال تمتعوا في داركم ثلثة ايام ذلك وعد غير مكذوب وكان عقرهم الناقة يوم الاربعاء فلما امسى اولئك التسعة الرهط عزموا على قتل صالح وقالوا ان كان صادقا عجلناه قبلنا وان كان كاذبا الحقناه بناقته قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون الآيات فلما عزموا على ذلك وتواطؤوا عليه وجاؤوا من الليل ليقتلوه ارسل الله سبحانه حجارة فرضختهم فهلكوا قبل قومهم فاصبح ثمود يوم الخميس وهو اليوم الاول من ايام النظرة ووجوههم مصفرة كما وعدهم صالح واصبحوا في اليوم الثاني وهو يوم الجمعة ووجوههم محمرة واصبحوا في اليوم الثالث وهو يوم السبت ووجوههم مسودة فلما اصبحوا من يوم الاحد وقد تحنطوا وقعدوا ينتظرون نقمة الله وعذابه عياذا بالله من ذلك لا يدرون ماذا يفعل بهم و اشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من اسفل منهم ففاضت الارواح وزهقت النفوس في ساعة واحدة فاصبحوا في دارهم جاثمين اي صرعى لا ارواح فيهم ولم يفلت منهم احد لا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا انثى قالوا ولم يبق من ذرية ثمود سوى صالح ومن اتبعه الا ان رجلا كان يقال له ابو رغال وكان لما وقعت النقمة بقومه مقيما في الحرم فلم يصبه شيء فلما خرج في بعض الايام الى الحل جاءه حجر من السماء فقتله وذكروا ان ابا رغال هذا هو والد ثقيف الذين كانوا يسكنون الطائف وعن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين خرجنا معه الى الطائف فمررنا بقبر فقال قبر ابي رغال وهو ابو ثقيف وكان من ثمود وكان هذا الحرم يدفع عنه فلما خرج منه اصابته النقمة التي اصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه وآية ذلك انه دفن معه غصن من ذهب ان انتم اصبتموه معه فابتدره الناس فاستخرجوا منه الغصن رواه ابو داود قوله تعالى **فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين** هذا تقريع من صالح لقومه لما اهلكهم الله بمخالفتهم اياه وتمردهم على الله واعراضهم عن الهدى الى العمى قال لهم صالح بعد هلاكهم توبيخا وهم يسمعون وهذا كما سبق من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على قليب بدر يخاطب اهل القليب وقال هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا الحديث وقوله وكذلك

لا تحبون الناصحين

لا تحبون الناصحين اي فلم تنتفعوا بما ابلغتكم من رسالة ربي ونصيحتي لانكم لا تحبون الحق ولا تتبعون ناصحا وروي ان صالحا خرج بليلة الاحد من بين اظهرهم ومن تبعه من المسلمين الى الشام فنزل رملة فلسطين **ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون** اي ولقد ارسلنا لوطا او تقديره واذكر لوطا وهو ابن هاران بن آزر ابن اخي ابرهيم الخليل عليهما السلام وكان قد آمن مع ابرهيم وهاجر الى ارض الشام فبعث الى اهل سدوم وما حولها من القرى يدعوهم الى الله ويامرهم بالمعروف وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المعاصي والفواحش التي اخترعوها لم يسبقهم بها احد من بني آدم ولا غيرهم وهو اتيان الذكور وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا يخطر ببالهم حتى صنع ذلك اهل سدوم وقوله ما سبقكم بها من احد من العالمين قال عمرو بن دينار ما نزى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط وقال الوليد بن عبد الملك الاموي باني جامع دمشق لولا ان الله قص علينا خبر قوم لوط ما ظننا ان ذكرا يعلو ذكرا ولهذا قال لهم لوط انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء اي عدلتم عن النساء وما خلق لكم ربكم منهن الى الرجال وهذا جهل واسراف منكم لانه وضع الشيء في غير محله ولهذا قال لهم في الآية الاخرى قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين فارشدهم الى نسائهم فاعتذروا اليه بانهم لا يشتهونهن قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد اي قد علمت انه لا ارب في النساء ولا ارادة وانك لتعلم مرادنا من اضيافك وذكر المفسرون ان الرجال قد استغنى بعضهم ببعض وكذلك نساؤهم قد استغنى بعضهن ببعض ايضا **وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون** اي ما اجابوا لوطا الا بان هموا باخراجه ومن معه من بين اظهرهم فاخرجه تعالى سالما واهلكهم في ارضهم صاغرين مهانين وقوله انهم اناس يتطهرون اي يتنزهون من ادبار الرجال وادبار النساء قاله ابن عباس فعابوهم بغير عيب **فانجيناه واهله الا امراته كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين** اي فانجينا لوطا واهله فلم يؤمن به احد منهم سوى اهل بيته فقط الا امراته فانه لم تؤمن به بل كانت على دين قومها تمالئهم عليه وتعلمهم بمن يقدم عليه من ضيفانه باشارات بينها وبينهم ولهذا لما امر لوط ان يسري باهله امر ان لا يعلم امراته ولا يخرجها من البلد ومنهم من يقول بل اتبعتهم فلما جاء العذاب التفتت هي فاصابها ما اصابهم والاظهر انها لم تخرج من البلد ولا اعلمها لوط ولهذا قال الا امراته كانت من الغابرين اي من الباقين معهم في العذاب وقوله وامطرنا عليهم اي حجارة من سجيل وهو الكبريت والنار كما في آية اخرى من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد ولهذا قال فانظر كيف كان عاقبة المجرمين اي انظر يا محمد كيف كان عاقبة من يجترئ ويداوم على معاصي الله ويكذب رسوله وذهب ابو حنيفة الى ان اللائط يلقى من شاهق ويتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط وعند آخرين من العلماء انه يرجم مطلقا محصنا او غير محصن وهذا احد قولي الشافعي والقول الآخر له ان حكمه حكم الزنا بلا فرق وعليه كثيرون واما اتيان النساء في ادبارهن فهو حرام باجماع العلماء كما سبق الكلام عليه في سورة البقرة **والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين** قال ابن اسحاق هم من سلالة مدين بن مديان بن ابرهيم وشعيب هو ابن ميكيل بن يشجن واسمه بالسريانية يثرون ويطلق مدين على القبيلة وعلى المدينة

مُسْرِفُون

[illegible]

اخاهم شعيبا اي في النسب
لا في الدين وكان [illegible] وكان
قومه اهل كفر وبخس المكيال
والميزان

[illegible]

وهي التي بقرب معان من طريق الحجاز قال يا قوم اعبدوا الله هذه دعوة الرسل كلهم قد جاءتكم بينة من ربكم اي قد اقام الله الحجج والبينات على صدق ما جئتكم به ثم وعظهم في معاملتهم الناس بان يوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا اي لا تخونوا الناس في اموالهم وتاخذوها على وجه البخس وهو النقص في المكيال والميزان خفية وتدليسا ثم قال تعالى اخبارا عن شعيب الذي يقال له خطيب الانبياء عليهم السلام لفصاحة عبارته وجزالة موعظته ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ينهاهم شعيب عن قطع الطريق الحسي والمعنوي بقوله ولا تقعدوا بكل صراط توعدون اي تتوعدون الناس بالقتل ان لم يعطوكم اموالهم وكانوا عشارين قاله السدي وقيل اي تتوعدون المؤمنين بشعيب لتمنعوهم عنه والاول اظهر لانه قال بكل صراط وهي الطرق وقوله وتصدون عن سبيل الله هو القول الثاني وتبغونها عوجا اي وتودون ان تكون سبيل الله عوجا مائلة واذكروا اذ كنتم قليلا اي كنتم مستضعفين لقلتكم فصرتم اعزة لكثرة عددكم واذكروا نعمة الله عليكم في ذلك وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين اي من القرون الخالية والامم الماضية وما حل بهم من العذاب والنكال باجترائهم على معاصي الله وتكذيب رسله وقوله وان كان طائفة منكم آمنوا الى آخره اي ان اختلفتم في رسالتي وصرتم فرقتين مصدقين مكذبين فاصبروا حتى يحكم الله اي يفصل بيننا وهو خير الحاكمين فانه سيجعل العاقبة للمتقين والدمار على الكافرين قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا قال اولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين هذا اخبار عما واجهوا به شعيبا ومن معه من التهديد عليهم بالنفي عن القرية او الاكراه على الرجوع في ملة الكفر والدخول فيما هم فيه والخطاب مع الرسول والمراد اتباعه وقوله اولو كنا كارهين اي او انتم فاعلوا ذلك وان كنا كارهين فما تدعونا اليه فانا ان رجعنا الى ملتكم ودخلنا فيما انتم فيه فقد اعظمنا الفرية على الله في الشرك به وهذا تعبير منه عن اتباعه وما يكون لنا ان نعود فيها بعد اذ انقذنا الله منها الا ان يشاء الله ربنا وهذا على مشيئة الله فانه احاط بكل شيء علما على الله توكلنا اي في امورنا ما ناتي منها وما نذر ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق اي احكم وافصل بيننا وبين قومنا وانصرنا عليهم وانت خير الفاتحين اي خير الحاكمين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين هذا اخبار عن شدة كفرهم وتمردهم وما هم فيه من الضلال ولهذا اقسموا فقالوا لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فلا جرم عقب ذلك بقوله فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة الشديدة فاصبحوا في دارهم جاثمين اي صرعى هالكين وذلك انهم لما ارجفوا شعيبا واصحابه وتوعدوهم بالجلاء كما اخبر عنهم في سورة هود فقال ولما جاء امرنا نجينا شعيبا الى قوله جاثمين والمناسبة في ذلك انهم لما تهكموا بشعيب في قولهم اصلاتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا الآية جاءت الصيحة فاسكتتهم وقال تعالى في سورة الشعراء اخبارا عنهم فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة وما ذاك الا لانهم قالوا في سياق القصة فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين فاخبر انه اصابهم عذاب يوم الظلة وقد اجتمع عليهم ذلك كله اصابهم عذاب يوم الظلة وهي سحابة

اظلتهم فيها

قال رجل ما معنى قوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولم تكن لهم آية قيل هود كانت الا انها لم يذكر وليست كل الآيات مذكورة في القرآن سو معالم

ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها اي بعد اصلاحها ببعث الرسل و

ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين

قال ابن عباس وغيره فتح الله عليهم بابا من جهنم فارسل عليهم حرا شديدا فاخذ بانفاسهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فكانوا يدخلون الاسراب ليتبردوا فيها فاذا دخلوها وجدوها اشد حرا من الظاهر فخرجوا هرابا الى البرية فبعث الله سحابة فيها ريح طيبة فاظلتهم وهي الظلة فوجدوا لها بردا ونسيما فنادى بعضهم بعضا حتى اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم الهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الارض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلى وصاروا رمادا

اظلتهم فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من تحتهم فزهقت الارواح وخمدت الاجساد فاصبحوا في دارهم جاثمين ثم قال تعالى كان لم يغنوا فيها اي كانهم لما اصابتهم النقمة لم يقيموا بديارهم التي ارادوا اجلاء الرسول وصحبه منها ثم قال مقابلا لقيلهم الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين لا المؤمنون فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين اي فتولى عنهم شعيب بعدما اصابهم العذاب وقال تقريعا لهم يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم اي قد اديت اليكم ما ارسلت به فلا اسفه عليكم ولا احزن وقد كفرتم بما جئتكم به ولهذا قال فكيف آسى على قوم كافرين وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون هذا اخبار منه تعالى عما اختبر به الامم السالفة الذين ارسل اليهم الانبياء بالباساء يعني ما اصابهم في ابدانهم من امراض واسقام والضراء وهو ما اصابهم من فقر وحاجة ونحو ذلك لعلهم يضرعون اي يدعون ويخشعون ويبتهلون الى الله تعالى في كشف ما نزل بهم يعني انه تعالى ابتلاهم بالشدة ليتضرعوا فما فعلوا شيئا فقلب حالهم الى الرخاء ليختبرهم فيه كما قال تعالى ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي حولنا الحال من شدة الى رخاء ومن مرض الى صحة ليشكروا على ذلك فما فعلوا وقوله حتى عفوا اي كثروا وكثرت اموالهم واولادهم يقال عفا الشيء اذا كثر وقالوا اي فلم يتنبهوا بهذا ولا بذاك بل قالوا قد مسنا من الباساء والضراء ومن الرخاء مثل ما اصاب آباءنا في قديم الزمان وانما هو الدهر تارات وتارات ولم يتفطنوا لامر الله فيهم ولا استشعروا ابتلاء الله لهم في الحالين وهذا بخلاف حال المؤمنين فانهم يشكرون الله على السراء ويصبرون على الضراء كما ثبت في الصحيحين عجبا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء الا كان خيرا له ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له فالمؤمن يتفطن لما ابتلاه الله به من السراء والضراء ولهذا جاء في الحديث لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يخرج نقيا من الذنوب والمنافق مثله كمثل الحمار لا يدري فيما ربطه اهله ولا فيما ارسلوه او كما قال ولهذا عقب هذه الصفة بقوله فاخذناهم بغتة اي فجاءة وهم لا يشعرون اي اخذناهم بالعقوبة على بغتة منهم وعدم شعور منهم بها ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون اوامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون اخبر تعالى عن قلة ايمان اهل القرى الذين ارسل اليهم الرسل بقوله ولو ان اهل القرى آمنوا اي آمنت قلوبهم بما جاءهم به الرسل وصدقت به واتبعته واتقوا بفعل الطاعات وترك المحرمات لفتحنا عليهم بركات من السماء اي قطر السماء ونبات الارض قال تعالى ولكن كذبوا اي رسلهم فاخذناهم اي فعاقبناهم بالهلاك على ما كسبوا من المآثم والمحارم ثم قال تعالى مخوفا ومحذرا من مخالفة اوامره افامن اهل القرى اي الكافرة ان ياتيهم باسنا اي عذابنا ونكالنا بياتا اي ليلا وهم نائمون اوامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون اي في حال شغلهم وغفلتهم افامنوا مكر الله اي باسه ونقمته وقدرته عليهم واخذه اياهم في حال سهوهم وغفلتهم فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون ولهذا قال الحسن البصري المؤمن يعمل بالطاعة وهو مشفق وجل خائف والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن وقوله اولم يهد اي اولم يتبين قاله ابن عباس وغير واحد قال ابن جرير اي اولم يتبين للذين يستخلفون في الارض من بعد هلاك آخرين قبلهم كانوا اهلها فسادوا وعملوا اعمالهم وعتوا على ربهم ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اي ان نشاء فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم ونختم على قلوبهم فهم لا يسمعون موعظة ولا تذكيرا وهكذا

قال تعالى اولم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى وغيرها من الآيات الكثيرات الدالة على حلول نقمه باعدائه وحصول نعمه لاوليائه ولهذا عقب ذلك بقوله **تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين** لما قص الله نبيه صلى الله عليه وسلم خبر اقوام الانبياء وما كان من اهلاكه الكافرين وانجائه المؤمنين وانه تعالى بين لهم الحق بالحجج على السنة الرسل قال تلك القرى نقص عليك اي يا محمد من انبائها يعني اخبارها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات اي بالحجج على صدقهم فيما اخبروهم به فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل الباء سببية اي فما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل بسبب تكذيبهم بالحق اول ما ورد عليهم حكاه ابن عطية وهو حسن كقوله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون الى قوله يعمهون ولهذا قال هنا كذلك نطبع الله على قلوب الكافرين اي كما طبع على قلوب الامم الخالية وما وجدنا لاكثرهم من عهد اي لاكثر الامم الماضية من الوفاء بعهدهم بالميثاق وان وجدنا اكثرهم خارجين عن الطاعة والعهد الذي اخذ منهم حين خلقهم وفطرهم عليه في الاصلاب انه ربهم ومليكهم وانه لا اله الا هو فاقروا بذلك وشهدوا على انفسهم به فخالفوه وتركوه وراء ظهورهم وعبدوا مع الله غيره بلا دليل ولا حجة لا من عقل ولا شرع وفي الفطر السليمة خلاف ذلك وجاءت الرسل الكرام بالنهي عنه كما جاء في صحيح مسلم يقول الله اني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما احللت لهم وفي الصحيحين كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه الحديث وقال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وغيرها من الآيات النيرات وقد قيل في تفسير فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اي فما كانوا ليؤمنوا بعلم الله منهم ذلك وقاله السدي اي بما كذبوا من قبل وذلك يوم اخذ منهم الميثاق فآمنوا كرها **ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين** من بعدهم يعني من بعد الرسل المتقدم ذكرهم بعثنا موسى بآياتنا اي بحججنا ودلائلنا البينة الى فرعون وكان ملك مصر في زمان موسى وملائه اي قومه فظلموا بها اي جحدوا وكفروا بها ظلما منهم وعنادا كما قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين اي الذين صدوا عن سبيل الله وكذبوا رسله اي انظر يا محمد كيف فعلنا بهم واغرقناهم عن آخرهم بمرأى من موسى وقومه وهذا ابلغ في النكال بفرعون وقومه واشفى لقلوب موسى وقومه المؤمنين **وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل قال ان كنت جئت بآية فات بها ان كنت من الصادقين** هذا اخبار عن مناظرة موسى لفرعون والجامه اياه بالحجة واظهاره الآيات البينات بحضرة فرعون وقومه من قبط مصر فقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين اي ارسلني الذي هو خالق كل شيء وربه ومليكه حقيق اي جدير بان لا اقول على الله الا الحق وحري به والباء وعلى يتعاقبان كما قال رميت بالقوس وعلى القوس وقيل معناه حريص وقيل واجب وحق علي ذلك ان لا اخبر عنه الا بما هو حق وصدق لما اعلم من عظمته وسلطانه قد جئتكم ببينة اي بحجة قاطعة من الله اعطانيها دليلا على صدقي فيما جئتكم به فارسل معي بني اسرائيل اي اطلقهم من اسرك وقهرك ودعهم وعبادة ربك وربهم قال ان كنت جئت بآية اي قال فرعون لست بمصدقك فيما قلت فان كان معك حجة فاظهرها لنراها ان كنت صادقا فيما ادعيت **فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين** الثعبان الحية الذكر قال ابن عباس وقال القى موسى عصاه فتحولت حية عظيمة فاغرة فاها مسرعة الى فرعون فلما راى فرعون انها قاصدة اليه اقتحم عن سريره واستغاث بموسى ان يكفها عنه ففعل وقال وهب بن منبه لما دخل موسى على فرعون قال له فرعون اعرفك الم نربك فينا وليدا قال فرد اليه موسى ما رد فقال فرعون خذوه فبادر موسى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين فحملت على الناس فانهزموا منها فمات منهم خمسة وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا وقام فرعون منهزما حتى دخل البيت رواه احمد في كتاب الزهد وابن جرير وابن ابي حاتم وفيه ونزع يده اي اخرج يده من درعه بعد ما ادخلها فيها فخرجت بيضاء تتلالا من غير برص كما قال وادخل يدك في جيبك الآية قال ابن عباس ثم اعادها الى كمه فعادت الى لونها **وقال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون** اي قال الجمهور والسادة من قوم فرعون موافقين لقوله بعد ما رجع اليه روعه ان هذا لساحر عليم فاتفقوا وقالوا كمقالته وتشاوروا في امره وما يصنعون في شانه وكيف تكون حيلتهم في اطفاء نوره واظهار كذبه وتخوفوا من معرته ان يستميل الناس اليه بما يظهره فيكون ذلك سببا لظهوره عليهم ووقعوا فيما خافوا فاتفقوا على ما حكاه الله عنهم في قوله **قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين** اخبر الله عما تشارط عليه فرعون والسحرة الذين استدعاهم لمعارضة موسى ان غلبوا عليه ليثيبنهم وليعطينهم عطاء جزيلا فوعدهم ومناهم ان يعطيهم ما ارادوا ويجعلهم من مقربي مجلسه فلما توثقوا من فرعون **قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال بل القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم** هذه مبارزة من السحرة لموسى عليه السلام في قولهم اما ان تلقي اي عصاك واما ان نكون نحن الملقين لعصينا وحبالنا بدلك كما قالوا في الاخرى واما ان نكون اول من القى فقال لهم موسى بل القوا اي انتم اولا قيل والحكمة في هذا والله اعلم لترى الناس صنيعهم ويتاملوه فاذا فرغوا من ذلك جاءهم الحق الواضح الجلي بعد تطلب له وانتظار منهم لمجيئه فيكون اوقع في النفوس وكذا كان ولهذا قال تعالى فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم اي خيلوا الى الابصار ان ما فعلوه له حقيقة في الخارج ولم يكن الا مجرد صنعة وخيال كما قال فاذا حبالهم وعصيهم الى قوله حيث اتى قال ابن عباس القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاقبلت يخيل اليه من سحرهم انها تسعى قال ابن اسحق صف خمسة عشر الف ساحر مع كل ساحر حباله وعصيه وخرج موسى ومعه اخوه متكئا على عصا حتى اتى الجمع وفرعون في مجلسه مع اشراف مملكته ثم قالت السحرة يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم فكان اول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون ثم ابصار الناس بعد ثم القى كل رجل ما في يده من العصي والحبال فاذا حيات كامثال الجبال قد ملات الوادي تركب بعضها بعضا واسترهبوهم اي فرقوهم وافزعوهم وقال السدي وكانوا بضعة وثلثين الف رجل مع كل واحد منهم حبل وعصا كما مر آنفا ولهذا قال وجاءوا بسحر عظيم **واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يافكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين والقي السحرة ساجدين قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون** اخبر تعالى انه اوحى الى موسى في ذلك الموقف العظيم الذي فرق تعالى فيه بين الحق والباطل وامره بان يلقي ما في يمينه وهي عصاه فاذا هي تلقف اي تاكل وتبتلع ما يافكون اي ما يلقونه ويوهمون انه حق وهو باطل قال ابن عباس فجعلت لا تمر بشيء من حبالهم واخشابهم الا التقمته فعرفت السحرة ان هذا امر من السماء ليس هو بسحر فصاروا ذليلين مقهورين فخروا سجدا وقالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون قال ابن اسحق جعلت تتبع تلك الحبال والعصي واحدة واحدة حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما القوا ثم اخذها موسى فاذا هي عصا في يده كما كانت **قال فرعون آمنتم به قبل ان**

فما كان اولئك الكفار ليؤمنوا عند ارسال الرسل بما كذبوا يوم اخذ ميثاقهم فاقروا باللسان واضمروا التكذيب

طبع على قلوب الكفار الذين كتب عليهم ان لا يؤمنوا ابدا

آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لأقطعن أيديكم و
أرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين قالوا إنا إلى ربنا منقلبون وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات
ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه
ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون
قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم
في الأرض فينظر كيف تعملون أخبر تعالى عما توعد به فرعون لعنه الله للسحرة لما آمنوا بموسى عليه السلام وما أظهر للناس
من كيده ومكره في قوله إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة يعني مصر أي إنما كان هذا عن تواطؤ كان منكم ورضى لتستولوا عليها فالوا جهلا
وعنادا مع أنه كان يعلم أنه ليس كذلك قال ابن عباس وغيره التقى موسى وأمير السحرة فقال له موسى أرأيتك إن غلبتك أتؤمن بي و
تشهد أن ما جئت به حق قال الساحر لآتين غدا بسحر لا يغلبه سحر فوالله لئن غلبتني لأومنن بك ولأشهدن أنك حق وفرعون
ينظر إليهما ولهذا قال وقوله لتخرجوا منها أهلها أي تجتمعوا أنتم وهو وتكون لكم دولة وصولة وتخرجوا منها الأكابر والرؤساء فسوف
تعلمون أي ما أصنع بكم ثم فسره بقوله لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف يعني يقطع يد الرجل اليمنى ورجله اليسرى أو بالعكس قال
ابن عباس وكان أول من صلب وأول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون وقول السحرة إنا إلى ربنا منقلبون
أي تحققنا أنا إليه راجعون وعذابه أشد من عذابك فلنصبرن اليوم على عذابك لنخلص من عذاب الله ولهذا قالوا ربنا أفرغ علينا
صبرا أي عمنا بالصبر على دينك وتوفنا مسلمين أي متابعين لنبيك موسى وقالوا لفرعون فاقض ما أنت قاض فكانوا في أول النهار
سحرة وفي آخر النهار شهداء بررة وقوله وقال الملأ الآية إخبار عما تمالأ عليه فرعون وملؤه وما أرادوا بموسى وقومه من الأذى
أي قال الملأ لفرعون أتذر موسى وقومه أي أتدعهم ليفسدوا في الأرض أي يفسدون أهلك ورعيتك ويدعوهم إلى عبادة ربهم دونك وقوله ويذرك
الواو هنا حالية أي وقد تركوك وعبادة آلهتك وقيل هي عاطفة أي تدع موسى يصنع وقومه من الفساد ما قد أقررتهم
عليه وعلى تركه آلهتك وقرأ بعضهم وإلاهتك بكسر الألف أي عبادتك وهذا عن ابن عباس وأتباعه فعلى الأول كان لفرعون
آلهة يعبدها وهو أنهم إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم فرعون أن يعبدوها قاله ابن عباس فأجابهم فيما سألوا بقوله سنقتل أبناءهم و
نستحيي نساءهم وهذا أمر ثان بهذا الصنيع وقد كان يفعل هذا بهم قبل ولادة موسى حذرا من وجوده وكان خلاف ما رامه وقصده
فرعون فإنه أراد قهر بني إسرائيل وإذلالهم فنصرهم على فرعون وأغرقه وجنوده ولما صمم فرعون على ما ذكره من المساءة
لبني إسرائيل قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ووعدهم بالعاقبة وأن الدار ستصير لهم في قوله إن الأرض لله يورثها
أي يعطيها من يشاء من عباده والعاقبة أي النصر والظفر والسعادة للمتقين قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا أي من قبل مجيئك إلينا
مثل ما رأيت من الهوان والإذلال من قبل ما جئت يا موسى ومن بعد ذلك فقال منبها ومبشرا لهم عسى ربكم أن يهلك عدوكم يعني
فرعون ويستخلفكم في الأرض يعني مصر فينظر كيف تعملون في أداء شكره وهذا تحضيض لهم على العزم على الشكر عند حلول النعم وزوال
النقم ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فإذا جاءتهم الحسنة قالوا
لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون
أي اختبرناهم وابتليناهم بالسنين وهي سني الجوع بسبب قلة الزروع ونقص من الثمرات قيل كانت النخلة لا تحمل إلا ثمرة واحدة لعلهم

يذكرون

يذكرون أي لكي يتعظوا ويرجعوا إلى الله فإذا جاءتهم الحسنة أي من الخصب والرزق قالوا لنا هذه بما نستحقه وإن تصبهم سيئة
أي جدب وقحط يطيروا بموسى ومن معه أي يتشاءموا بموسى ومن معه أي هذا بسببهم وما جاءوا به ألا إنما طائرهم عند الله قال ابن عباس أي
مصائبهم من قبل الله وإنما جاءهم الشؤم بكفرهم بالله ولكن أكثرهم لا يعلمون أن الذي أصابهم من الله وقالوا مهما تأتنا به
من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك
بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز
إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون أخبر الله عن تمردهم وعنادهم للحق وإصرارهم على الباطل بقولهم مهما تأتنا به من آية
يعني أي آية جئتنا بها ودلالة وحجة أقمتها رددناها فلا نقبلها منك ولا نؤمن بك ولا بما جئت به قال تعالى فأرسلنا عليهم
الطوفان قال ابن عباس أي كثرة الأمطار المغرقة المتلفة للزروع والثمار وكثرة الموت في الطاعون وعن عائشة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الطوفان الموت حديث غريب رواه ابن جرير وعن ابن عباس في رواية هو أمر من الله طاف بهم ثم قرأ فطاف عليها طائف
من ربك وهم نائمون وأما الجراد فمعروف مشهور عن سلمان قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجراد فقال أكثر جنود الله
لا آكله ولا أحرمه رواه أبو داود وإنما تركه عليه الصلاة والسلام لأنه كان يعافه كما عاف أكل الضب وأذن فيه وقال مجاهد
كانت الجراد تأكل مسامير أبوابهم وتدع الخشب وبالعكس أيضا وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دعا على الجراد قال
اللهم أهلك كباره واقتل صغاره وأفسد بيضه واقطع دابره وخذ بأفواهه عن معايشنا وأرزاقنا إنك سميع الدعاء
رواه ابن ماجه وأما القمل فعن ابن عباس هو السوس يخرج من الحنطة وعنه وجماعة أنه صغار الجراد الذي لا أجنحة له وقيل
البراغيث قال ابن جرير القمل جمع واحدتها قملة وهي دابة تشبه القمل يأكلها الإبل فيما بلغني وهي كما قال الأعشى قوم يعالج قملا أبناؤهم
وسلاسلا أجدا وبابا مؤصدا وقيل هي الحمنان واحدتها حمنانة قال محمد بن إسحاق رجع عدو الله فرعون حين آمنت السحرة
مغلوبا مفلولا ثم أبى إلا الإقامة على الكفر والتمادي في الشر فتابع الله عليه بالآيات فأخذه بالسنين فأرسل عليه الطوفان وهو
الماء ففاض على وجه الأرض ثم ركد ولا يقدرون على أن يحرثوا ولا أن يعملوا شيئا حتى جهدوا جوعا فلما بلغهم ذلك قالوا يا موسى
ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء فأرسل الله
عليهم الجراد فأكل الشجر وغيره فيما بلغني حتى إن كان ليأكل مسامير الأبواب من الحديد حتى يقع دورهم ومساكنهم فقالوا مثل ما قالوا
فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا فأرسل الله عليهم القمل فذكر لي أن موسى أوحي إليه أن يمشي إلى كثيب حتى يضربه بعصاه
فمشى إلى كثيب أهيل عظيم فضربه بها فانثال عليهم قملا حتى غلب على البيوت والأطعمة ومنعهم النوم والقرار فلما جهدهم قالوا
له مثل ما قالوا له فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا فأرسل الله عليهم الضفادع فملأت البيوت والأطعمة والآنية فلا
يكشف أحد ثوبا ولا طعاما إلا وجد فيه الضفادع قد غلبت عليه فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا فدعا ربه فكشف عنهم فلم
يفوا له بشيء مما قالوا فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياه آل فرعون دما لا يستقون من بئر ولا نهر ولا يغترفون من إناء إلا عاد
دما عبيطا وقوله فلما وقع عليهم الرجز أي العذاب كما سبق وقيل هو الطاعون وهو عذاب سادس بعد الآيات الخمس حتى مات منهم
سبعون ألفا في يوم واحد وقوله بما عهد عندك أي بما أوصاك ووعدك من إجابة دعوتك والمراد بالأجل الذي هم بالغوه الغرق
في اليم والنكث نقض العهد فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين و

يعني في البحر

اورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة
ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون اخبر تعالى
انهم لما عتوا وتمردوا مع ابتلائه اياهم بالآيات المتواترة واحدة بعد واحدة انتقم منهم باغراقه اياهم في اليم وهو البحر الذي فرقه لموسى فجاوزه
مع بني اسرائيل ثم ورده فرعون وجنوده على اثرهم فغرقوا عن آخرهم وذلك بسبب تكذيبهم بآيات الله وتغافلهم عنها واخبر تعالى انه
اورث القوم الذين كانوا يستضعفون وهم بنو اسرائيل قال الحسن وقتادة مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها يعني مصر
والشام وقوله وتمت كلمة ربك الحسنى يعني وتمت كلمة الله وهي وعده اياهم بالنصرة والتمكين في الارض كما قال مجاهد وابن جرير
هي قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا الى قوله يحذرون وقوله ودمرنا ما كان يصنع فرعون اي وخربنا ما كان فرعون
وقومه يصنعونه من العمارات والمزارع وما كانوا يعرشون من القصور والثمار والاعناب وجاوزنا ببني اسرائيل البحر
فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون
ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون اخبر تعالى عما قاله جهلة بني اسرائيل لموسى حين جاوزوا البحر وقد
رأوا من آيات الله وعظيم قدرته ما رأوا فاتوا اي مروا على قوم يعكفون اي يقيمون على اصنام لهم وهم من الكنعانيين وقيل من
لخم وكانوا يعبدون اصناما على صور البقر فلهذا آل امرهم الى عبادة العجل بعد ذلك وقوله انكم قوم تجهلون عظمة الله وجلاله وما يجب
ان ينزه عنه من الشريك والشبيه ان هؤلاء متبر اي هالك وباطل ما كانوا يعملون عن ابي واقد الليثي انهم قد خرجوا من مكة مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى حنين قال وكان للكفار سدرة يعكفون عندها ويعلقون بها اسلحتهم يقال لها ذات انواط قال فمررنا
بسدرة خضراء عظيمة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط قال قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى لموسى
اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون رواه ابن جرير قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين واذ
انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء
من ربكم عظيم ذكرهم موسى نعم الله عليهم من انقاذهم من اسر فرعون وقهره وما كانوا فيه من الهوان والذلة وما صاروا
اليه من العزة والاشتفاء من عدوهم وهلاكه وغرقه وسبق تفسيرها في سورة البقرة وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها
بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل
المفسدين امتن الله على بني اسرائيل بما حصل لهم من الهداية بتكليمه موسى واعطائه التورية وفيها تفاصيل شرعهم وذكر
تعالى انه واعد موسى ثلثين ليلة قال المفسرون صامها موسى وطواها فلما تم الميقات استاك بلحاء شجرة فامره الله ان يكمل العدة اربعين
وقد اختلفوا في هذه العشر ما هي فالاكثرون انها عشر ذي الحجة المرتبة على ذي القعدة فعلى هذا تم الميقات يوم النحر وحصل فيه
التكليم للكليم وفيه اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم كما قال اليوم اكملت لكم دينكم فلما تم الميقات وعزم موسى على الذهاب الى الطور كما
قال تعالى وواعدناكم جانب الطور الايمن فحينئذ استخلف اخاه هرون ووصاه بالاصلاح وعدم متابعة اهل الافساد ونبهه
تذكيرا والا فهرون نبي اكرم على الله ان يتصور فيه خلل او زلل ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني
انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله
دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين اخبر تعالى عن موسى انه لما
جاء لميقات الله وحصل له التكليم من الله سأله ان ينظر اليه فقال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولما ان لن لنفي التابيد اشكل على

ولم يكن ذلك شكا من بني اسرائيل في وحدانية الله وانما معناه اجعل لنا شيئا نعظمه ونتقرب بتعظيمه الى الله و ظنوا ان ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم

اي كن خليفتي فيهم واصلح اي واحملهم على طاعة الله ولا تتبع سبيل المفسدين اي لا تسلك طرق العاصين وذلك ان الله وعد موسى ان يؤتيه كتابا فيه بيان ما ياتون ويذرون اذا اهلك عدوهم فلما اهلكهم سال موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلثين يوما وهي شهر ذا القعدة فلما صام انكر خلوف فيه فاستاك بعود خروب فقالت الملئكة له كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله بصوم عشرة ايام من ذي الحجة وقال اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك وكانت فتنة قومه في العشر التي زادها الله وقوله واذ واعدنا موسى اربعين ليلة عبارة عن الوعد الاول الذي اتم له ولا تناقض بينهما والحمد لله

قال محمد بن اسحق لما سال موسى ربه الرؤية ارسل الله الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق واحاطت الجبل الذي عليه موسى اربعة فراسخ من كل جانب وامر الله ملائكة السموات ان يعترضوا على موسى فمرت به ملائكة السماء
الدنيا كثيران البقر تنبع افواههم بالتسبيح والتقديس باصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد ثم امر الله ملائكة السماء الثانية ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه امثال الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس
ففزع العبد الضعيف ابن عمران مما راى وسمع واقشعرت كل شعرة في راسه وجسده ثم قال لقد ندمت على مسئلتي فهل ينجيني من مكاني الذي انا فيه شيء فقال له خير الملائكة وراسهم يا موسى اصبر لما سالت فقليل من كثير ما
رايت ثم امر الله ملائكة السماء الثالثة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا امثال النسور لهم رجف ولجب شديد وافواههم تنبع بالتسبيح والتقديس كلجب الجيش العظيم الوانهم كلهب النار ففزع
موسى واليس من الحيوة فقال له خير الملائكة يا ابن عمران اصبر ثم امر الله ملائكة السماء الرابعة ان اهبطوا فاعترضوا على موسى بن عمران فكان لا يشبههم شيء من الذين مروا به قبلهم الوانهم كلهب النار وسائر خلقهم
كالثلج الابيض اصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا تقاربهم شيء من اصوات الذين مروا به قبلهم فاصطكت ركبتاه وارعد قلبه واشتد بكاؤه فقال خير الملائكة وراسهم يا ابن عمران اصبر لما سالت فقليل من
كثير ما رايت ثم امر الله ملائكة السماء الخامسة ان اهبطوا فاعترضوا على موسى فهبطوا عليه لهم سبعة الوان فلم تستطع موسى ان يتبعهم بصره لم ير مثلهم ولم يسمع مثل اصواتهم فامتلأ جوفه خوفا واشتد حزنه وكثر بكاؤه
فقال له خير الملائكة وراسهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه ثم امر الله ملائكة السماء السادسة اهبطوا على عبدي الذي طلب ليراني فاعترضوا عليه فهبطوا عليه في يد كل ملك مثل النخلة [illegible]

كثير من العلماء فاستدل به المعتزلة على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة وهذا اضعف الاقوال لانه قد تواترت الاحاديث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بان المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة عيانا كما سيجيء عند قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقوله
تعالى اخبارا عن الكفار كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقيل انها لنفي التابيد في الدنيا توفيقا بين هذه الآية وبين الدليل
القاطع على صحة الرؤية في الآخرة وقيل ان هذا الكلام كما في قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وسبق ذلك في
سورة الانعام وفي الكتب المتقدمة ان الله قال لموسى لا يراني حي الا مات ولا يابس الا تدهده ولهذا قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا
وخر موسى صعقا عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال ووضع الابهام قريبا من طرف
خنصره قال فساخ الجبل رواه احمد والترمذي وابن جرير قال ابن عباس ما تجلى منه الا قدر الخنصر جعله دكا اي مدقوقا وخر موسى
صعقا اي مغشيا عليه كيب قال سفين الثوري ساخ الجبل في الارض حتى وقع في البحر فهو يذهب معه وقال الهذلي انقعر فدخل تحت
الارض فهو يهوي فيها فلا يظهر الى يوم القيمة وقال عكرمة دكاء بالمد وقرأ به بعض القراء اي صحراء ترابا واختاره ابن جرير وقوله سبحانك
تنزيها وتعظيما واجلالا ان يراه احد في الدنيا الا مات وقوله تبت اليك قال مجاهد ان اسألك الرؤية وانا اول المؤمنين انه لا يراك
احد في الدنيا وفي الصحيحين عن ابي سعيد الخدري قال جاء رجل من اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد لطم وجهه فقال يا محمد ان رجلا
من اصحابك من الانصار لطم وجهي فقال ادعوه فدعوه فقال لم لطمت وجهه فقال يا رسول الله اني مررت باليهودي فسمعته يقول
والذي اصطفى موسى على البشر قال وعلى محمد فاخذتني غضبة فلطمته قال لا تخيروني من الانبياء فان الناس يصعقون يوم القيمة فاكون
اول من يفيق فاذا انا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا ادري افاق قبلي ام جوزي بصعقة الطور رواه البخاري
في اماكن كثيرة بعبارات في طرق وروى ابو هريرة فيما نحوه وقال ابن ابي الدنيا ان الذي لطم اليهودي هو ابو بكر الصديق رضي الله
عنه ولكن في الحديث مصرح بانه رجل من الانصار وهو الاصح والكلام في قوله لا تخيروني من بين الانبياء او على موسى كالكلام في قوله
لا تفضلوني على الانبياء ولا على يونس بن متى قيل هو من باب التواضع وقيل نهى ان يفضل بينهم على وجه العصبية والغضب او
على وجه القول بمجرد الراي والتشهي وقوله فان الناس يصعقون يوم القيمة هذا يكون في عرصات اذا جاء الرب عز وجل لفصل
القضاء وتجلى للخلائق ويقال لها صعقة الفزع كما صعق موسى من تجلي الرب عز وجل وروى القاضي عياض في الشفاء عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله لموسى كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ثم قال ولا يبعد على هذا
ان يختص نبينا بما ذكرناه من هذا الباب بعد الاسراء والحظوة بما راى من آيات ربه الكبرى وكانه صحح هذا الحديث وهو ضعيف
مجهول والله اعلم قال يموسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين
وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وامر قومك ياخذوا باحسنها
ساريكم دار الفاسقين شرف الله موسى بتشريف اصطفائه على عالمي زمانه برسالاته وبكلامه ولا شك ان محمدا عليه الصلوة والسلم
سيد ولد آدم من الاولين والآخرين وبعده في الشرف والفضل ابرهيم الخليل عليه السلم ثم موسى كليم الملك العلام ولهذا قال له فخذ ما
آتيتك اي من الكلام والمناجاة وكن من الشاكرين اي على ذلك ولا تطلب ما لا طاقة لك به ثم اخبر تعالى انه كتب له في الالواح من
كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء قيل كانت الالواح من جوهر وان الله كتب له فيها مواعظ واحكاما مفصلة مبينة للحلال من
الحرام وكانت هذه الالواح مشتملة على التورية المنزل عليه وقيل هي التورية وكانت كالتعويض له عما سال من الرؤية الممنوعة منه
وقوله فخذها بقوة اي بعزم على الطاعة وامر قومك ياخذوا باحسنها قال ابن عباس امر موسى ان ياخذ باشد ما امر قومه وقوله

[illegible]

سأريكم دار الفاسقين اي سترون عاقبة من خالف امري وخرج عن طاعتي كيف يصير الى الهلاك والتباب وهذا على وجه التهديد والوعيد لمن عصاه وقيل كان معناه سأريكم دار الفسقة من اهل الشام واعطيكم اياها وقيل منازل آل فرعون والاول اولى والله اعلم لان هذا بعد انفصال موسى وقومه من بلاد مصر قبل دخولهم التيه **سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا باياتنا ولقاء الآخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون** اي سامنع فهم الحجج والادلة الدالة على عظمتي وشريعتي واحكامي قلوب المتكبرين عن طاعتي وعلى الناس بغير حق اي كما استكبروا بغير حق اذلهم الله بالجهل كما قال تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وقال بعض السلف لا ينال العلم حيي ولا مستكبر وقال ابن عيينة في قوله سأصرف عن آياتي اي انزع منهم فهم القرآن واصرفهم عن آياتي وقوله وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها كما قال تعالى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم وقوله وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا اي ان ظهر لهم طريق النجاة لا يسلكوها وان ظهر لهم طريق الهلاك والضلال يتخذوه سبيلا ثم علل مصيرهم الى هذه الحال بقوله ذلك بانهم كذبوا باياتنا اي كذبت قلوبهم وكانوا عنها غافلين ولا يعلمون شيئا مما فيها وقوله والذين كذبوا باياتنا ولقاء الآخرة حبطت اعمالهم اي من فعل منهم ذلك واستمر عليه الى الممات حبط عمله وقوله هل يجزون اي انما نجازيهم بحسب اعمالهم التي اسلفوها في الخير والشر **واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط في ايديهم وراوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين** هذا اخبار عن ضلال من ضل من بني اسرائيل في عبادتهم العجل الذي صنع لهم السامري من حلي القبط الذي كانوا استعاروه منهم فشكل لهم منه عجلا ثم القى فيه القبضة من التراب التي اخذها من اثر فرس جبريل عليه السلام فصار عجلا جسدا اي جسدا لحما ودما له خوار وهو صوت البقر وكان هذا بعد ذهاب موسى لميقات ربه فاعلمه الله بذلك وهو على الطور حيث قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري وقصروه هذا العجل لحما ودما ام لا ولان الا انه يدخل فيه الهواء فيصوت كالبقر ويقال انهم لما صوت لهم العجل رقصوا حوله وافتتنوا به وقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي وقوله الم يروا انه لا يكلمهم انكر تعالى عليهم في ضلالهم بالعجل وذهولهم عن خالق السموات والارض ان عبدوا معه عجلا جسدا له خوار لا يكلمهم ولا يرشدهم الى خير ولكن غطى على اعين بصائرهم عمى الجهل والضلال كما في الحديث المرفوع حبك الشيء يعمي ويصم رواه احمد وقوله ولما سقط في ايديهم اي ندموا على ما فعلوا وراوا انهم قد ضلوا قالوا اعترافا منهم بالذنب والتجاء الى الله لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا وقرا بعضهم ترحمنا بالتاء المثناة من فوق وربنا منادى وتغفر لنا لنكونن من الخاسرين اي الهالكين **ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي اعجلتم امر ربكم والقى الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين** اخبر تعالى ان موسى لما رجع الى قومه من مناجاة ربه وهو غضبان اسفا والاسف اشد الغضب قال بئسما خلفتموني اي بئسما صنعتم في عبادتكم العجل بعد ان ذهبت وتركتكم وقوله اعجلتم امر ربكم اي استعجلتم مجيئي اليكم وهو مقدر من الله وقوله والقى الالواح قيل كانت الالواح من زمرد وقيل من ياقوت وقيل من برد وفي هذا دلالة على ما جاء في الحديث ليس الخبر كالمعاينة ثم ظاهر السياق انه انما القى الالواح غضبا على قومه

قال الرواة كانت التورية سبعة اسباع فلما القى الالواح تكسرت ورفعت ستة اسباعها وبقي سبع ورفع ما كان من اخبار الغيب وبقي ما فيه الموعظة والاحكام والحلال والحرام

وهذا قول الجمهور وقوله واخذ براس اخيه يجره اليه خوفا ان يكون قد قصر في نهيهم وقوله لا تشمت بي الاعداء اي لا تسوقني مساقهم ولا تخلطني معهم وانما قال يا ابن ام ليكون ارق وانجع عنده والا فهو شقيقه لابيه وامه فلما تحقق موسى براءة ساحة هارون عليهما السلام قال رب اغفر لي ولاخي الآية وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله موسى ليس المعاين كالمخبر اخبره ربه عز وجل ان قومه فتنوا بعده فلم يلق الالواح فلما راهم وعاينهم القى الالواح رواه ابن ابي حاتم **ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا وكذلك نجزي المفترين والذين عملوا السيات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم** اما الغضب الذي نال بني اسرائيل في عبادة العجل فهو ان الله لم يقبل منهم توبة حتى قتل بعضهم بعضا كما سبق في سورة البقرة واما الذلة فاعقبهم ذلك ذلة وصغارا في الحيوة الدنيا وقوله وكذلك نجزي المفترين نائلة لكل من افترى فان ذل البدعة على اكتافهم وان هملجت بهم البغلات وطقطقت بهم البراذين قاله الحسن البصري ثم نبه تعالى عباده وارشدهم الى انه يقبل توبة عباده من اي ذنب كان حتى من الشرك ولهذا عقب هذه القصة بقوله والذين عملوا السيات الآية اي يا محمد يا رسول الرحمة ونبي التوبة ان ربك من بعدها اي الفعلة القبيحة لغفور رحيم وسئل عبد الله بن مسعود عن الرجل يزني بالمراة ثم يتزوجها فتلا هذه الآية والذين عملوا السيات الآية عشر مرات فلم يامرهم ولم ينههم عنها رواه ابن ابي حاتم **ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون** اي لما سكن عن موسى غضبه على قومه اخذ الالواح الملقاة من شدة الغضب على عبادتهم العجل غيرة لله وفي نسختها هدى ورحمة قالوا لما القاها تكسرت ثم جمعها بعد ذلك وزعموا ان رضاضها لم يزل موجودا في خزائن ملوكهم الى الدولة الاسلامية فنسخ منها نسخة اخرى وقد اخبر تعالى انه لما اخذ بعد ما القاها وجد فيها هدى من الضلال ورحمة من العذاب للذين هم لربهم يرهبون ضمن الرهبة معنى الخضوع ولهذا عداها باللام وقال قتادة في هذه الآية قال موسى رب اجد في الالواح امة خير امة اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر اجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال رب اجد في الالواح امة هم الآخرون السابقون اي آخرون في الخلق سابقون في دخول الجنة رب اجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال رب اني اجد في الالواح امة اناجيلهم في صدورهم يقرؤونها وكان من قبلهم يقرؤون كتابهم نظرا حتى اذا رفعوها لم يحفظوا شيئا ولم يعرفوه وان الله اعطاكم ايتها الامة من الحفظ شيئا لم يعطه احدا من الامم قال رب اجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال رب اني اجد في الالواح امة يؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الآخر ويقاتلون فضول الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الكذاب فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال رب اني اجد في الالواح امة صدقاتهم ياكلونها في بطونهم ويؤجرون عليها وكان من قبلهم اذا تصدق بصدقة فقبلت منه بعث الله عليها نارا فاكلتها وان ردت عليه تركت ياكلها السباع والطير وان الله اخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم قال رب فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال رب اني اجد في الالواح امة اذا هم احدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت له عشر امثالها الى سبعمائة ضعف رب اجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال رب اني اجد في الالواح امة هم المشفعون والمشفوع لهم فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد **واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك** قال ابن عباس كان الله امره ان يختار من قومه سبعين رجلا فاختارهم ليدعوا ربهم فكان فيما دعوا الله ان قالوا اللهم اعطنا ما لم تعط احدا من قبلنا ولا تعطيه احدا بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فاخذتهم الرجفة وهو صوت مهيب فاخذتهم الرعدة حتى خذوا وبلغوا حد الموت قال موسى رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وقال السدي

قال يا ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني

هموا وقاربوا ما وجب العتب عليه ان يقتلوني او بلغ من انكاره على عبدة العجل ما خاف على نفسه

الشرك ثم تابوا ورجعوا عنها وآمنوا صدقوا انه لا اله غيري

بنی اسرائیل گناه کردند و عذر موسی
هرون خواستند و استغفار السان کردند
ابیات طرفه بوطنان وراه خوان مردان
که نوشته گناه مردان نکرده می گیرند و
ناکرده گناه عذر می خواهند
ناکرده گناه عذرخواه امده ام
تا رخنه بروز زره براه امده ام
از لطف زید اکنه بود عذرم
[illegible]

ان الله امر موسى ان ياتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل ووعدهم موعدا واختار موسى قومه سبعين رجلا
على عينه ثم ذهب بهم ليعتذروا فلما اتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة فانك قد كلمته فارناه فاخذتهم
الصاعقة فماتوا فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول رب ماذا اقول لبني اسرائيل اذا اتيتهم قد هلكت خيارهم رب لو شئت اهلكتهم
من قبل واياي اتهلكنا استفهام استعطاف اي لا تهلكنا قال ابن عباس وغير واحد انما اخذتهم الرجفة لانهم لم يزايلوا قومهم في عبادة
العجل ولا نهوهم عنها ولهذا قال موسى بما فعل السفهاء منا وقوله ان هي الا فتنتك اي ابتلاؤك واختبارك وهذا قول الاكثرين
ان الامر الا امرك تضل من تشاء وتهدي من تشاء فلا هادي لمن اضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطي لما منعت ولا مانع لما اعطيت
فالملك كله لك ولك الخلق والامر وقوله انت ولينا اي ناصرنا وحافظنا فاغفر لنا الغفر هو الستر وترك المواخذة بالذنب واذا قرنت
بها الرحمة يصير مفهوما عن مثله في المستقبل وانت خير الغافرين اي لا يغفر الذنوب الا انت واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة ذاك في
دفع المحذور وهذا في تحصيل المقصود اي اوجب لنا واثبت لنا في الدارين حسنة وسبق تفسير ذلك في سورة البقرة انا هدنا اليك اي
تبنا ورجعنا اليك قال ابن عباس وغير واحد وعن علي سميت اليهود لانهم قالوا انا هدنا اليك اسناده ضعيف قال عذابي اصيب به
من اشاء من عبادي ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم باياتنا
يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يامرهم
بالمعروف وينهيهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم و
الاغلال التي كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك
هم المفلحون قال تعالى مجيبا لموسى في قوله ان هي الا فتنتك عذابي اصيب به من اشاء اي افعل ما اشاء واحكم ما اريد وقوله ورحمتي
وسعت كل شيء اي عظم الشمول والعموم عن جندب بن عبد الله البجلي قال جاء اعرابي فاناخ راحلته ثم عقلها ثم صلى خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم اتى راحلته فاطلق عقالها ثم ركبها ثم نادى اللهم ارحمني ومحمدا ولا تشرك في رحمتنا احدا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتقولون هذا اضل ام بعيره الم تسمعوا الى ما قال قالوا بلى قال لقد حظرت رحمة واسعة ان الله خلق مائة رحمة فانزل رحمة
يتعاطف بها الخلق جنها وانسها وبهائمها وعنده تسعة وتسعون رواه احمد وابو داود وعن سلمان الفارسي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الله عز وجل مائة رحمة فمنها رحمة يتراحم بها الخلق وبها تتعاطف الوحوش على اولادها واخر تسعة وتسعين الى يوم القيمة
رواه مسلم وقوله فساكتبها اي وساوجب حصول رحمتي منة مني واحسانا اليهم كما قال كتب ربكم على نفسه الرحمة وقوله للذين يتقون
اي ساجعلها للمتصفين بهذه الصفات وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يتقون الشرك والعظائم من الذنوب ويؤتون الزكوة للنفوس
والاموال والذين هم باياتنا يؤمنون اي يصدقون الذين يتبعون الرسول النبي الامي هذه صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتب الانبياء بشروا
اممهم ببعثته وامروهم بمتابعته ولم تزل صفاتهم موجودة في كتبهم يعرفها علماؤهم عن ابي صخر العقيلي عن رجل من الاعراب قال
جلبت جلوبة الى المدينة في حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغت من بيعتي قلت لالقين هذا الرجل فلاسمعن منه قال
فتلقاني بين ابي بكر وعمر يمشون فتبعتهم حتى اتوا على رجل من اليهود ناشر التورية يقراها يعزي بها نفسه عن ابن له في الموت كاحسن
الفتيان واجمله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك بالذي انزل التورية هل تجدني في كتابك ذا صفتي ومخرجي فقال براسه هكذا
اي لا فقال ابنه اي والذي انزل التورية انا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك واشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال اقيموا اليهودي
عن اخيكم ثم ولي كفنه والصلوة عليه رواه احمد وهو حديث جيد قوي وقد اورد الشيخ رحمه الله ههنا حديث صور الانبياء الطويل الذي
رواه البيهقي في دلائل النبوة وهو مشهور والله اعلم وعن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو فقلت اخبرني عن صفة رسول الله في

التورية قال

التورية فقال اجل والله انه لموصوف في التورية كصفته في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت
عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولن يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به قلوبا غلفا
واذانا صما واعينا عميا روى البخاري نحوه وزاد بعد قوله ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة
ولكن يعفو ويصفح وقوله تعالى يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر هذه صفة الرسول صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة وهكذا
كانت حاله عليه الصلوة والسلام لا يامر الا بخير ولا ينهى الا عن شر كما قال ابن مسعود اذا سمعت الله يقول يا ايها الذين امنوا فارعها سمعك
فانه خير يامر به او شر ينهى عنه واهم من ذلك واعظمه ما بعثه به من الامر بعبادة الله وحده لا شريك له والنهي عن عبادة من سواه عن
ابي حميد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له اشعاركم وابشاركم وترون انه منكم
بعيد فانا ابعدكم منه رواه احمد وهو حديث جيد وقوله ويحل لهم الطيبات اي يحل لهم ما كانوا حرموه على انفسهم من البحائر والسوائب
ونحوها ويحرم عليهم الخبائث قال ابن عباس كلحم الخنزير والربوا وما كانوا يستحلونه من المحرمات قال بعضهم كل ما احل الله فهو طيب
نافع في البدن والدين وكل ما حرم الله فهو خبيث ضار في البدن والدين وقوله ويضع عنهم اصرهم هو كل ما يثقل على الانسان من
قول او فعل والاغلال الاثقال التي كانت عليهم مثل قتل النفس بالتوبة وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض النجاسة عن الثوب بالمقراض
اي انه جاء بالتيسير والسماحة كما قال عليه الصلوة والسلام بعثت بالملة الحنيفية السمحة السهلة وقال لاميريه معاذ وابي موسى الاشعري
لما بعثهما الى اليمن بشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا وتطاوعا ولا تختلفا اتفقا عليه وقوله فالذين امنوا به وعزروه اي عظموه ووقروه
واتبعوا النور الذي انزل معه وهو الوحي الذي جاء به مبلغا الى الناس اولئك هم المفلحون اي في الدارين قل يا ايها الناس اني رسول الله
اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فامنوا بالله ورسوله النبي الامي
الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون هذا خطاب للاحمر والاسود والعربي والعجمي اني رسول الله اليكم جميعا
اي جميعكم وهذا من شرفه وعظمته انه خاتم النبيين وانه مبعوث الى الناس كافة والايات في هذا كثيرة كما ان الاحاديث فيه اكثر من ان تحصى
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي ولا اقوله فخرا بعثت الى الناس كافة الاحمر والاسود
ونصرت بالرعب مسيرة شهر واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا واعطيت الشفاعة فاخرتها
لامتي فهي لمن لا يشرك بالله شيئا رواه احمد باسناد جيد وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست اعطيت
جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون
رواه مسلم وعن ابي هريرة ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي ولا نصراني
ثم يموت ولم يؤمن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار رواه مسلم وقوله الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو صفة الله في قوله
رسول الله اي الذي ارسلني هو خالق كل شيء وربه ومليكه الذي بيده الملك وقوله فامنوا بالله ورسوله اخبرهم انه رسول الله اليهم
ثم امرهم باتباعه والايمان به النبي الامي اي الذي وعدتم به وبشرتم به في الكتب المتقدمة فانه منعوت بذلك في كتبهم ولهذا قال
الذي يؤمن بالله وكلماته اي يصدق قوله وعمله وهو يؤمن بما انزل اليه من ربه واتبعوه اي اسلكوا طريقته واقتفوا اثره لعلكم تهتدون
اي الى الصراط المستقيم ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون اي ان منهم طائفة يتبعون الحق ويعدلون به
والايات بنحوها كثيرة قال ابن جريج بلغني ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا تبرا سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسالوا الله تعالى
ان يفرق بينهم وبينهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هنالك حنفاء مسلمين يستقبلون قبلتنا

بالايمان ونهاهم عن المنكر يعني عن الشرك وقيل
المعروف الشريعة والسنة والمنكر ما لا يعرف في
شريعة ولا سنة وعن عطاء يامرهم بالمعروف
من مكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم
عن المنكر عن عبادة الاوثان وقطع الارحام

قال ابن عباس بذلك قوله و قلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض الآية و سادوا الى المغرب سنة و نصفا و قال السدي هم قوم
بين الصين وبينهم نهر من شهد وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان
اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام و
انزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون و
اذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم
خطيئاتكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء
بما كانوا يظلمون سبق تفسيرها في سورة البقرة ومعنى قطعناهم فرقناهم و انما قال اثنتي عشرة بالتانيث و السبط مذكر لان التانيث
يرجع الى الامم اي و قطعناهم اثنتي عشرة فرقة امما وقيل تقديره و قطعناهم اسباطا امما اثنتي عشرة و الاسباط القبائل واحدها سبط و قوله
فانبجست اي عرقت ثم انفجرت و قوله كل اناس مشربهم اي سبط وكل سبط بنو اب واحد وظللنا عليهم الغمام اي في التيه يقيهم حر الشمس
و الرجز العذاب واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم
شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون هذا بيان لقوله تعالى و لقد علمتم الذين اعتدوا منكم
في السبت الآية اي و سل هؤلاء اليهود الذين بحضرتك عن قصة اصحابهم الذين خالفوا امر الله ففاجاتهم نقمته على صنيعهم و اعتدائهم
و احتيالهم في المخالفة و حذرهم من كتمان صفتك التي يجدونها في كتبهم لئلا يحل بهم ما حل باخوانهم و سلفهم و هذه القرية هي ايلة وهي
على شاطئ بحر القلزم و قال ابن عباس وغير واحد هي بين مدين و الطور و قيل هي مدين و قوله اذ يعدون في السبت اي يعتدون
و يخالفون فيه امر الله لهم بالوصاة به اذ ذاك اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا اي من كل مكان ظاهرة على الماء و قوله ويوم لا
يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم اي نختبرهم باظهار السمك لهم على ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم صيده و اخفائها عنهم في اليوم المحلل
لهم صيده كذلك نبلوهم اي نختبرهم بما كانوا يفسقون اي بفسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بادنى الحيل اسناده جيد وذكره الخطيب ابو بكر في تاريخه واذ
قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم و لعلهم يتقون
فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون
فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين اخبر تعالى عن اهل هذه القرية انهم صاروا الى ثلاث فرق فرقة ارتكبت
المحذور و احتالوا في اصطياد السمك يوم السبت كما سبق في سورة البقرة وفرقة نهت عن ذلك و اعتزلتهم و فرقة سكتت لم
تفعل و لم تنه و لكنها قالت للمنكرة لم تعظون قوما الله مهلكهم اي لم تنهون هؤلاء و قد علمتم انهم قد هلكوا واستحقوا العقوبة
من الله فلا فائدة في نهيكم اياهم قالت لهم المنكرة معذرة الى ربكم قرأ بعضهم بالرفع اي هذا معذرة و الآخرون بالنصب اي نفعل
ذلك معذرة الى ربكم اي فيما اخذ علينا من الامر بالمعروف و النهي عن المنكر و لعلهم يتقون اي لكي يتقوا ما هم فيه و يتركوه راجعين
الى الله قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به اي فلما ابى الفاعلون النصيحة و اصروا على ارتكاب محارم الله انجينا الذين ينهون عن السوء و اخذنا الذين
ظلموا بارتكاب المعاصي بعذاب بئيس اي شديد وجيع من البأس و هو الشدة و هذا نص على نجاة الناهين و هلاك الظالمين و سكت عن
الساكتين لان الجزاء من جنس العمل فهم لا يستحقون مدحا فيمدحوا و لا ارتكبوا عظيما فيذموا ومع هذا اختلفوا فيهم هل كانوا من الناجين
او الهالكين على قولين الاظهر نجاتهم و قال ابن عباس كما سبق هي قرية على شاطئ البحر بين مصر و المدينة يقال لها ايلة فحرم الله عليهم الحيتان

[illegible]

يوم السبت

اعرب اسباطا عشرة من اخواتها لان عشرة
بدل من النون فاعرب كما يعرب التثنية
و بني عشرة على الفتح لانها بدل من النون
و انث حملا على الامة و قيل على القطعة
و جمع اسباطا لانها بدل من اثني عشرة
و ليس بتمييز و السبط من السبط و هو
شجرة يتلفها الابل و كذلك القبائل
شجرة جعل الاب كالشجرة و الاولاد
كالاغصان فاسمعيل صلوات الله عليه
شجرة و اسحق شجرة ٩ لباب

هو من الايام و اضاف اليوم اليهم لانهم المخصوصون
باحكام فيه و الوجه انه مصدر و المعنى
يوم يسبتون بدليل قوله و يوم لا يسبتون
و بدليل الاضافة و السبت قطع السبت
تقول سبت عظم السبت و قيل يوم
راحتهم بترك اعمالهم ٩ لباب

بما كانوا يفسقون
بخروجهم عن
طاعة الله

[illegible]

١٧٣

يوم السبت وكانت الحيتان تاتيهم يوم سبتهم شرعا في ساحل البحر فاذا مضى يوم السبت لم تقدروا عليها فمضى على ذلك ما شاء الله
ثم ان طائفة منهم اخذوا الحيتان يوم سبتهم فنهتهم طائفة و قالوا تاخذونها و قد حرمها الله عليكم يوم سبتكم فلم يزدادوا الا
غيا و عتوا وجعلت طائفة اخرى تنهاهم قالت لم تعلمون ان هؤلاء قوم قد حق عليهم العذاب لم تعظون قوما الله مهلكهم وكانوا
اشد غضبا لله من الطائفة الاخرى فقالوا معذرة الى ربكم و لعلهم يتقون وكل قد كانوا ينهون فلما وقع عليهم غضب الله نجت الطائفتان
اللتان قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم و الذين قالوا معذرة الى ربكم و اهلك الله اهل المعصية الذين اخذوا الحيتان في السبت
فجعلهم قردة و قوله و اخذنا الذين ظلموا دال بالمفهوم على ان الباقين نجوا و قوله خاسئين اي ذليلين حقيرين مهانين واذ تأذن
ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم تأذن
تفعل من الاذن اي اعلم و قيل امر و الكلام متضمن للقسم و لهذا اتى اللام في ليبعثن عليهم اي على اليهود الى يوم القيمة بسبب عصيانهم
ومخالفتهم اوامر الله و احتيالهم على المحارم و يقال ان موسى ضرب عليهم الخراج سبع سنين او اكثر وكان اول من ضرب الخراج ثم كانوا
في قهر الملوك [illegible] ثم صاروا الى قهر النصارى و اذلالهم اياهم و اخذهم الجزية و الخراج منهم ثم جاء الاسلام و محمد عليه الصلوة
و السلام فكانوا تحت صغاره و ذلته و ذمته يؤدون الخراج و الجزية ثم آخر امرهم انهم يخرجون انصارا للدجال فيقتلهم المسلمون
مع عيسى عليه السلام و ذلك آخر الزمان و قوله ان ربك لسريع العقاب اي لمن عصاه و خالف شرعه و انه لغفور رحيم اي لمن تاب اليه
و اناب و هذا من باب مقارنة الرحمة بالعقوبة لئلا يحصل الياس و تبقى النفوس بين الرجاء و الخوف ترغيبا و ترهيبا وقطعناهم في
الارض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون
فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله
ياخذوه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الاخرة
خير للذين يتقون افلا تعقلون والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين
بين الله انه فرقهم امما اي طوائف و فرقا منهم الصالحون و منهم دون ذلك اي منهم الصالح و بلوناهم اي اختبرناهم بالحسنات و السيئات
اي بالرخاء و الشدة و الرغبة و الرهبة و العافية و البلاء لعلهم يرجعون عما كانوا فيه ثم قال تعالى فخلف من بعدهم خلف اي
فخلف من بعد ذلك الجيل الذي فيهم الصالح و الطالح خلف آخر لا خير فيهم و قد ورثوا دراسة الكتاب و هو التورية و قيل هم النصارى
و قد يكون اعم من ذلك ياخذون اي يعتاضون عن بذل الحق و نشره بعرض الحيوة الدنيا و يسوفون انفسهم و يعدونها التوبة
وكلما لاح لهم مثل الاول و قعوا فيه و لهذا قال و ان ياتهم عرض مثله ياخذوه كما قال ابن جبير يعملون الذنب ثم يستغفرون الله منه فان
عرض ذلك الذنب اخذوه و قال مجاهد لا يشرف لهم شيء من الدنيا الا اخذوه حلالا كان او حراما و يتمنون المغفرة و يقولون سيغفر لنا
و ان وجدوا من الغد مثله ياخذوه و قال قتادة و الله لخلف سوء ورثوا الكتاب بعد انبيائهم و رسلهم ورثهم الله و عهد اليهم فتمنوا
على الله اماني لا يشغلهم شيء عن شيء و لا ينهاهم شيء عن ذلك كلما حصل لهم شيء من الدنيا اكلوه لا يبالون حلالا كان او حراما و كانوا يرتشون
في القضاء فيقال لا بعدهم لم ترتشي فيقول سيغفر لي فيطعن فيه البقية فما صنع فاذا مات او نزع و جعل مكانه رجل منهم فيرتشي يقول
و ان يات الآخرين عرض من الدنيا ياخذوه قال تعالى الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب هذا انكار عليهم في صنيعهم مع ما اخذ عليهم من
الميثاق ليبيننّ الحق للناس كما قال و اذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الآية ان لا يقولوا على الله الا الحق قال ابن عباس اي فيما يوجبون
على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها و لا يتوبون منها و قوله و الدار الآخرة خير رغبهم تعالى في جزيل ثوابه و يحذرهم

اي الجنة

اي ان لا تقولوا على الله الباطل
و يتمنى المغفرة مع الاصرار وليس
في التورية ميعاد المغفرة مع الاصرار

فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة

من يسومهم سوء العذاب

ودرسوا ما فيه

[illegible]

من قبيل عقابه اي وثوابي ما عندي خير لمن اتقى المحارم وترك هوى نفسه واقبل على طاعة ربه افلا تعقلون اي افليس لهؤلاء الذين اغتاضوا بعرض الدنيا عما عندي عقل يقودهم الى اتباع رسوله محمد صلى الله عليه وسلم مما هو مكتوب فيه فقال تعالى والذين يمسكون بالكتاب اي اعتصموا به واقتدوا باوامره واعرضوا عن زواجره واقاموا الصلوة وهم مؤمنوا اهل الكتاب عبدالله بن سلام واصحابه فانه مقول في شانهم انا لا نضيع اجر المصلحين **واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون** قال ابن عباس اي رفعناه وهو قوله ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم يعني رفعته الملئكة فوق رؤسهم قال ثم سار بهم موسى عليه السلام متوجها نحو الارض المقدسة واخذ الالواح بعد ما سكت عنه الغضب وامرهم بالذي امره الله ان يبلغهم من الوظائف فثقلت عليهم وابوا ان يقروا بها حتى نتق الله الجبل فوقهم كانه ظلة قال رفعته الملئكة فوق رؤسهم رواه النسائي فقال موسى هذا كتاب اتقبلونه بما فيه فان فيه بيان ما احل الله لكم وما حرم عليكم وما امركم وما نهاكم قالوا انشر علينا ما فيها فان كانت فرائضها يسيرة وحدودها خفيفة قبلناها قال اقبلوها بما فيها قالوا لا حتى نعلم ما فيها كيف حدودها وفرائضها وراجعوا موسى مرارا فاوحى الله الى الجبل فانقلع فارتفع في السماء حتى اذا كان بين رؤسهم وبين السماء قال موسى الا ترون ما يقول ربي لئن لم تقبلوا التورية بما فيها لارمينكم بهذا الجبل فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل ساجدا على حاجبه الايسر ونظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من ان يسقط عليه فلذلك ليس اليوم في الارض يهودي يسجد الا على حاجبه الايسر يقولون هذه السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة خذوا اي قلنا لهم خذوا ما اتيناكم بقوة اي بجد واجتهاد واذكروا ما فيه واعملوا به لكي تتقوا عن العذاب **واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون** اخبر الله تعالى انه استخرج ذرية بني آدم من اصلابهم شاهدين على انفسهم ان الله ربهم ومليكهم وانه لا اله الا هو كما انه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم كما قال فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله الاية وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء وقد وردت الاحاديث في اخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام وتقسيمهم الى اصحاب اليمين والى اصحاب الشمال وفي بعضها الاشهاد عليهم بان الله ربهم ففي الصحيحين عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقال للرجل من اهل النار يوم القيمة ارايت لو كان لك ما على الارض من شيء اكنت تفتدي به قال فيقول نعم فيقول قد اردت منك اهون من ذلك قد اخذت عليك في ظهر ابيك آدم ان لا تشرك بي شيئا فابيت الا ان تشرك بي رواه احمد وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله اخذ الميثاق من ظهر آدم بنعمان يوم عرفة فاخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلا قال الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا الى قوله المبطلون رواه احمد والنسائي وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسئل عن هذه الاية واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم الاية قال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال ان الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلق الله العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله به النار رواه احمد وابو داود والترمذي وعن هشام بن حكيم ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ابتداء الاعمال ام

النتق الجذب بقوة اي جذب وقلع وامراة ناتق تجذب ماء الرجل فتحفظه وقيل سميت ناتقا لانها كانت اولادا كما تجذب منها ومنه قوله عليه السلم عليكم بالابكار فانهن اعذب افواها وانتق ارحاما وارضى باليسير

قضى القضاء

قضي القضاء قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد اخذ ذرية آدم من ظهورهم واشهدهم على انفسهم ثم افاض بهم في كفيه ثم قال هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار فاهل الجنة ميسرون لعمل اهل الجنة واهل النار ميسرون لعمل اهل النار رواه ابن جرير وابن مردويه وهذه الاحاديث دالة على انه استخرج ذرية آدم من صلبه وميز بين اهل الجنة واهل النار واشهد عليهم هناك بانه ربهم وانه فطرهم على التوحيد كما سبق ولهذا قال واذ اخذ ربك من بني آدم ولم يقل من آدم من ظهورهم ولم يقل من ظهره ذرياتهم اي جعل نسلهم جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن كما قال تعالى وهو الذي جعلكم خلائف الارض وكما قال كما انشاكم من ذرية قوم آخرين قال واشهدهم على انفسهم اي اوجدهم شاهدين بذلك قائلين له حالا وقالا والشهادة تارة تكون بالقول كما قالوا شهدنا على انفسنا الاية وتارة تكون حالا كما قال ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اي حالهم شاهد عليهم بذلك لا انهم قائلون ذلك وقوله قالوا بلى اي اشهد بعضهم على بعض شهدنا ان تقولوا قال السدي هذا خبر من الله به عن نفسه وملائكته انهم شهدوا على اقرار بني آدم وقيل هو خبر عن قول بني آدم اي بلى شهدنا وقيل خبر عن قول الملئكة حين قال تعالى للملئكة اشهدوا قالوا شهدنا ان تقولوا اي كراهة ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا الميثاق والاقرار غافلين او تقولوا انما اخذت الميثاق لئلا تقولوا ايها المشركون انما اشرك اباؤنا من قبل ونقضوا العهد وكنا ذرية واتباعا لهم فاقتدينا بهم فتجعلوا هذا عذرا لانفسكم وتقولوا افتهلكنا اي تعذبنا بجناية اباءنا المبطلين فلا يمكنهم ان يحتجوا بمثل هذا الكلام بعد تذكير الله اياهم باخذ الميثاق على التوحيد وكذلك نفصل اي نبين الايات ليتدبرها العباد لعلهم يرجعون من الكفر الى التوحيد **واتل عليهم نبا الذي اتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هويه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا وانفسهم كانوا يظلمون** قال ابن مسعود في قوله تعالى واتل عليهم نبا الذي اتيناه آياتنا هو رجل من بني اسرائيل يقال له بلعم بن ابر وقيل رجل من اهل البلقاء وكان يعلم الاسم الاكبر وكان مقيما ببيت المقدس مع الجبارين وهذا عن ابن عباس وقال مالك بن دينار كان من علماء بني اسرائيل مجاب الدعوة في الشدائد فبعثه نبي الله موسى الى ملك مدين ليدعوه الى الله فاقطعه واعطاه فتبع دينه وترك دين موسى وقيل هو بلعم بن باعوراء وقيل هو امية بن ابي الصلت وقد اتصل اليه علم كثير من الشرائع المتقدمة ولكنه لم ينتفع بعلمه لانه ادرك زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغته آياته ومعجزاته ولم يتبعه وصار الى موالاة المشركين ومناصرتهم ورثى اهل بدر منهم بمرثاة بليغة وكان له فصاحة ولكن لم يسعده الاسلام وعن ابن عباس قال لما نزل موسى النبي بالجبارين مع بني اسرائيل اتى بلعم بنو عمه وقومه فقالوا ان موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وانه ان يظهر علينا يهلكنا فادع الله ان يرد عنا موسى ومن معه وكان مستجاب الدعوة كما سبق فقال اني ان دعوت الله ان يرد موسى ومن معه ذهبت دنياي وآخرتي فلم يزالوا به حتى دعا عليهم فسلخه منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين اي خرج منها كما تنسلخ الحية من جلدها نحوا استحوذ عليه الشيطان وغلبه على امره فمهما امره امتثل واطاعه وصار من الهالكين الضالين وقوله ولو شئنا لرفعناه بها اي لرفعناه من التدنس عن قاذورات الدنيا بالايات التي اتيناه اياها ولكنه اخلد الى الارض اي مال الى زينة الحيوة الدنيا وزهرتها واقبل على لذاتها ونعيمها وغرته كما غرت غيره قال ابن جرير ومن قصته ان موسى عليه السلام اقبل في بني اسرائيل يريد الارض التي فيها بلعام فرعب الناس منه رعبا شديدا فاتوا بلعام فقالوا ادع الله على هذا الرجل وجيشه قال حتى اوامر ربي قال فوامر في الدعاء عليهم فقيل له لا تدع عليهم فانهم عبادي وفيهم نبيهم فقال لقومه قد وامرت ربي في الدعاء عليهم فنهيت عنه فاهدوا له هدية فقبلها ثم راجعوه فقالوا ادع عليهم فاجابهم كما اجاب اولا فقالوا

اي واتل واقصص يا محمد على قومك نبأ خبر الذي اتيناه اياتنا علمناه حجج التوحيد فانسلخ فخرج منها

لولم ربك ان تدعو عليهم لنهاك كما نهاك المرة الاولى قال فطفق يدعو عليهم فاذا دعا عليهم جرى على لسانه الدعاء على قومه و
اذا اراد ان يفتح لقومه دعا ان يفتح لموسى وجيشه فقالوا ما نراك تدعو الا علينا قال ما يجري على لساني الا هكذا ولو دعوت عليه
ايضا ما استجيب لي ولكن سادلكم على امر عسى ان يكون فيه هلاكهم ان الله يبغض الزنا وانهم ان وقعوا بالزنا هلكوا فاخرجوا النساء
تستقبلهم فانهم قوم مسافرون فعسى ان يزنوا فيهلكوا فاخرجوا النساء تستقبلهم وكان للملك ابنة جميلة في العباد فقال ابوها او بلعام
لا تمكني نفسك الا من موسى قال فوقعوا في الزنا واتاها راس سبط من الاسباط فارادها على نفسه فقالت ما انا بممكنة نفسي الا من موسى
فقال ان من منزلتي كذا وكذا فارسلت الى ابيها تستامره فارسل اليها ان امكنيه فوقع عليها فسلط الله عليهم الطاعون قال وكانتهما
رجل من بني هرون ومعه الرمح فيطعنهما فايده الله بقوة فانتظمهما جميعا ودفعهما على رمحه فراهما الناس وجعل يقول اللهم هكذا
نفعل بمن يعصيك ودفع الطاعون فحسب من هلك في الطاعون في تلك الساعة التي دفع عليها الى ان قتلا فوجدوا قد هلك منهم
سبعون الفا قاله ابن اسحق قوله فمثله كمثل الكلب قيل معناه ان بلعام بعد ذلك اندلع لسانه على صدره فتشبهه بالكلب في الحالتين
ظاهر وقيل معناه فصار مثله في ضلاله واستمراره فيه وعدم انتفاعه بالدعاء الى الايمان وعدم الدعاء كالكلب في لهثه في حالتيه ان
حملت عليه يلهث وان تركته فهو يلهث في الحالين فكذلك هذا لا ينتفع بالموعظة والدعوة الى الايمان ولا عدمه كما قال تعالى سواء عليهم
ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون تعالى لهث الكلب اذا ادلع لسانه وقيل معناه ان قلب الكافر والمنافق واهل الضلال واهي فارغ
عن الهدى فهو كثير الوجيب قاله الحسن معبرا عن هذا بهذا وقوله فاقصص القصص اي فاقصص يا محمد القصص لعل بني اسرائيل العالمين
بحال بلعام وما جرى عليه من اضلال الله اياه وابعاده عن رحمته بسبب انه استعمل نعمة الله عليه في تعليمه اسم الله الاعظم في معصية ربه
ودعا به على حزب الرحمن وشعب الايمان ولهذا قال لعلهم يتفكرون اي فيحذروا ان يكونوا مثله فان الله اعطاهم علما وجعل بايديهم صفة
محمد صلى الله عليه وسلم فهم احق الناس باتباعه ومناصرته فمن خالف منهم في ذلك وكتمها اذله الله في الدنيا موصولا بذل الآخرة وقوله ساء
مثلا اي مثل القوم الذين كذبوا باياتنا ساء مثلهم ان شبهوا بالكلب الذي لا همة له الا في تحصيل اكلة او شهوة فمن خرج عن حيز العلم والهدى
واقبل على شهوة نفسه واتبع هواه صار شبيها بالكلب وبئس المثل مثله ولهذا ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس لنا
مثل السوء العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه وقوله وانفسهم كانوا يظلمون اي ما ظلمهم الله ولكن هم ظلموا انفسهم باعراضهم عن اتباع
الهدى وطاعة المولى الى الركون الى دار البلى وموافقة الهوى **من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون**
اي من هداه الله فانه لا مضل له ومن اضله فقد خاب وخسر وضل لا محالة فانه تعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولهذا جاء في حديث
ابن مسعود ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له
ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله الحديث بتمامه رواه احمد واهل السنن
**ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم
آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون** اي خلقنا وجعلنا لجهنم كثيرا من الجن
والانس وهيانا هم لها وبعمل اهلها يعملون فانه تعالى لما اراد ان يخلق الخلق علم ما هم عاملون قبل كونهم فكتب ذلك عنده في كتاب المقادير
كما في صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء
وفيه ايضا انه عليه الصلوة والسلام قال خلق الجنة وخلق لها اهلا وهم في اصلاب آبائهم وخلق النار وخلق لها اهلا وهم في اصلاب
آبائهم وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود ثم يبعث الله الملك فيؤمر باربع كلمات فيكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد وقوله لهم قلوب

اراد ان هذا الكافر ان وعظته لم ينزجر وان تركته لم يهتد فالحالتان عنده سواء كحالتي الكلب اللاهث فانه ان حمل عليه بالطرد كان لاهثا وان ترك وربض كان ايضا لاهثا كهذا الكافر في الحالين ضال وذلك انه زجر في المنام عن الدعاء على موسى فلم ينزجر وترك عن الزجر فلم يهتد فضرب الله له اخس شيء في اخس احواله وهو حال اللهث مثلا وهو ادلاع اللسان من الاعياء والعطش والكلب يلهث في حال الكلال او حال الراحة وفي حال الري وفي حال العطش فضربه الله مثلا لمن كذب باياته فقال ان وعظته فهو ضال وان تركته فهو ضال كالكلب ان طردته لهث وان تركته على حاله لهث ثم عم بهذا التمثيل جميع من يكذب بايات الله فقال ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا

عن عائشة قالت ادرك النبي صلى الله عليه وسلم جنازة صبي من الانصار فقالت عائشة طوبى له عصفور من عصافير الجنة فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك ان الله خلق الجنة الحديث

لا يفقهون بها

لا يفقهون بها يعني ليس ينتفعون بشيء من هذه الجوارح التي جعلها الله سببا للهداية كما قال تعالى وجعلنا لهم سمعا وابصارا و
افئدة الآية وغيرها من الآيات الظاهرات وقوله اولئك كالانعام اي هؤلاء الذين لا يسمعون الحق ولا يعونه ولا يبصرون الهدى
كالانعام السارحة التي لا تنتفع بهذه الحواس منها الا في الذي تعيشها من ظاهر الحيوة الدنيا وقوله بل هم اضل اي من الدواب لان
الدواب قد تستجيب مع ذلك لراعيها اذا انس بها وان لم تفقه كلامه ولانها تفعل ما خلقت له بالطبع واما بالتسخير بخلاف
الكافر فانه خلق للتوحيد والطاعة فكفر بالله واشرك ولهذا من اطاع الله من البشر كان اشرف من مثله من الملائكة في معاده
ومن كفر من البشر كانت الدواب اتم منه **ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه
سيجزون ما كانوا يعملون** في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من
احصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر ومفصلها مذكور معدود في الترمذي وغيره من السنن وعن جماعة من الحفاظ ان
ان سرد الاسماء في هذا الحديث مدرج فيه كما قال غير واحد من العلماء انها جمعت من القرآن وهي مفصلة مفرقة في كتاب منقول
عن مجاهد وغيره والله اعلم ثم ليعلم ان الاسماء الحسنى ليست محصورة في التسعة والتسعين كما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما اصاب احدا قط هم ولا حزن فقال اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك
اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او علمته احدا من خلقك او انزلته في كتابك او استاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل
القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي الا اذهب الله همه وحزنه وابدله مكانه فرحا فقيل يا رسول الله
الا نتعلمها فقال بلى ينبغي لمن سمعها ان يتعلمها رواه احمد وابن ابي حاتم في صحيحه وذكر ابو بكر بن العربي المالكي في شرح الترمذي
ان بعضهم جمع من الكتاب والسنة من اسماء الله الف اسم والله اعلم وقوله وذروا الذين يلحدون في اسمائه قال مجاهد اشتقوا
اللات من الله والعزى من العزيز والمناة من المنان واصل الالحاد في كلام العرب العدول عن القصد والميل والجور والانحراف
ومنه اللحد في القبر لانحرافه الى جهة القبلة **وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون** اي ومن الامم امة
قائمة بالحق قولا وعملا يهدون بالحق يقولونه ويدعون اليه وبه يعدلون اي يعملون ويقضون والمراد الامة المحمدية قال قتادة
بلغنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قرا هذه الآية هذه لكم وقد اعطى القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة يهدون
بالحق وبه يعدلون وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم و
لا من خالفهم حتى تقوم الساعة وفي رواية حتى ياتي امر الله وهم على ذلك **والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم من
حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين** اي انه يفتح لهم ابواب الرزق ووجوه المعاش في الدنيا حتى يغتروا بما هم فيه
ويعتقدون انهم على شيء كما قال فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء الآية ولهذا قال واملي لهم اي وامهلهم واطول لهم
ما هم فيه من المعاصي ان كيدي متين اي قوي شديد **اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين** اي
اولم يتفكروا هؤلاء المكذبون باياتنا ما بصاحبهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة اي ليس به جنون بل رسول الله حقا ان هو الا نذير
مبين اي ظاهر لمن كان له لب يعقل كما قال وما صاحبكم بمجنون وقال قتادة بن دعامة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان على الصفا
فدعا قريشا فجعل يفخذهم فخذا فخذا يا بني فلان يا بني فلان يحذرهم باس الله ووقائع الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يصوت
الى الصباح فانزل الله اولم يتفكروا الآية **اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وان
عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فباي حديث بعده يؤمنون** اولم ينظر هؤلاء المكذبون باياتنا في ملك الله وسلطانه في

اولئك هم الغافلون

تعالى في ذلك ان رجلا دعا الله في صلوته ودعا الرحمن فقال بعض مشركي مكة ان محمدا واصحابه يعبدون ربا واحدا فما بال هذا يدعو اثنين فانزل الله الآية

[illegible]

السموات والارض وفيما خلق من شيء فيهما فيتدبروا ذلك ويعتبروا به ويعلموا ان ذلك لمن لا شريك له ولا نظير له ولا شبيه فيؤمنوا
به ويصدقوا رسوله وينيبوا الى طاعته ويتركوا الانداد ويحذروا ان يكون آجالهم قد اقتربت فيهلكوا على كفرهم فيدخلوا النار وقوله
فباي حديث بعده يؤمنون اي فباي تخويف وتحذير بعد تحذير محمد وترهيبه الذي اتاهم به من عند الله في آي كتابه يصدقون ان لم
يصدقوا بهذا الذي جاء به من عند الله عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري بي فلما زلت الى السماء الدنيا
فنظرت الى اسفل مني فاذا انا برهج ودخان واصوات فقلت ما هذا يا جبريل قال هذه الشياطين يحومون على اعين بني آدم ان لا
يتفكروا في ملكوت السموات والارض ولولا ذلك لرأوا العجائب ضعيف رواه احمد من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في
طغيانهم يعمهون اي من كتب عليه الضلالة فانه لا يهديه احد ولو نظر لنفسه فيما نظر فانه لا يغني عنه شيئا ومن يرد الله فتنته
فلن تملك له من الله شيئا يسألونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت
في السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون
قيل نزلت في قريش وهو الراجح فانهم كانوا يسألون عن وقت الساعة استبعادا لوقوعها وتكذيبا بوجودها كما قال تعالى ويقولون متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين وقيل نزلت في اليهود وقوله ايان مرساها اي منتهاها اي ايان آخر مدة الدنيا الذي هو اول وقت الساعة قال
انما علمها عند ربي امر تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام اذا سئل عن وقت الساعة ان يرد علمها الى الله فانه هو الذي يجليها لوقتها اي يعلم
جلية امرها ومتى يكون على التحديد لا يعلم ذلك الا هو ولهذا قال ثقلت في السموات والارض اي كربت وثقلت الساعة وعلمها على اهل
السموات والارض فانه ليس شيء في الخلق الا يصيبه من ضرر يوم القيامة قال ابن جريج ثقلها انشقاق السماء وانتثار النجوم ونحو ذلك وقوله
لا تأتيكم الا بغتة اي فجأة على غفلة كما جاء في الحديث ان الساعة تقوم والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقيم سلعته
في السوق او يخفض ميزانه ويرفعه وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت
ورآها الناس آمنوا اجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا ولتقومن الساعة وقد انصرف
الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة والرجل قد رفع اكلته الى فيه فلا
يطعمها رواه البخاري وقوله يسألونك كأنك حفي عنها قيل اي حفي بها قال ابن عباس اي كأنك صديق لهم وبينك وبينهم مودة اي
يسألونك سؤال قوم كأنهم يرون ان محمدا حفي بهم فاوحى اليه ان علمها عند الله استأثر بعلمها فلم يطلع عليها ملكا ولا رسولا وعن مجاهد كأنك
استحفيت عنها السؤال اي بالغت فيه حتى علمت وقتها وقد اخفى الله علمها على خلقه كما قال قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ان علمها عند الله ولذلك سألوا عنه ولهذا لما سأله جبريل فحدثه عن الساعة حين جاء في صورة اعرابي ليعلم الناس امر دينهم فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما المسؤول عنها باعلم من السائل اي لست اعلم بها منك ولا احد اعلم بها من احد ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم ان
الله عنده علم الساعة الآية وعن حذيفة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ولكن اخبركم
بمشاريطها وما يكون بين يديها ان بين يديها فتنة وهرجا فقالوا يا رسول الله الفتنة قد عرفناها الهرج ما هو قال القتل ويلقى بين الناس
التناكر فلا يكاد احد يعرف احدا رواه احمد قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت
من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون امره الله ان يفوض الامور اليه وان يخبر عن نفسه انه لا يعلم الغيب
المستقبل ولا اطلاع له على شيء من ذلك الا ما اطلعه الله عليه كما قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الآية وقوله ولو كنت اعلم الغيب
وعن مجاهد وغيره لو كنت اعلم متى اموت لعملت عملا صالحا والمراد ارشاد الامة فان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ديمة على طول الدا

ليقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه

الحفي المستقصي في السؤال ٥

عنها كأنك حفي اي عالم من قولهم احفى في المسألة اي بالغت فيها بالغت في السؤال عنها حتى علمتها ٥

ابن عباس ان اهل مكة قالوا يا محمد الا يخبرك
ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فتشتريه
وتربح فيه عند الغلاء وبالارض التي تريد
ان تجدب فترتحل منها الى ما قد اخصب فانزل
الله قل لا املك لنفسي نفعا اي اجتلاب نفع بان
اربح ولا ضرا اي دفع ضر بان ارتحل من ارض
تريد ان تجدب الا ما شاء الله ان املكه

قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا
يعني الهدى والضلالة ولو كنت
اعلم الغيب اي متى اموت لاستكثرت
من الخير اي من العمل الصالح ٥

وقيل اي

وقيل اي لاستكثرت من المال وقيل لعلمت اذا اشتريت شيئا ما اربح فيه فلا ابيع شيئا الا ربحت فيه وقيل اي لو كنت اعلم الغيب لاعددت
للسنة المجدبة من المخصبة ولوقت الغلاء من الرخص وقوله وما مسني السوء اي لاجتنبت ما يكون من الشر قبل ان يكون واتقيته
ثم اخبر انه انما هو نذير اي من العذاب وبشير للمؤمنين بالجنات هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها
ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن
من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون نبه تعالى على انه خلق جميع الناس
من آدم وخلق حواء من جنبه ثم انتشر الناس منهما كما قال تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الآية اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس
واحدة الآية وقوله ليسكن اليها اي ليألفها ويسكن بها فلما تغشاها اي وطئها حملت حملا خفيفا وذلك اول الحمل لا تجد المرأة له
ألما وقوله فمرت به قال مجاهد اي استمرت بحمله وقيل استخفته وقيل استبان حملها وقال ابن عباس اي شكت أحملت ام لا فلما
اثقلت اي صارت ذات ثقل بحملها وكبر الولد في بطنها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا اي بشرا سويا وقال ابن عباس اشفقا
ان يكون بهيمة لا انسانا وقال الحسن اي لئن آتيتنا غلاما لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء عن الحسن البصري عن
سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فلما ولدت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فانه يعيش فسمته
عبد الحارث فعاش وكان من وحي الشيطان وامره رواه احمد والترمذي وقال حسن غريب قال الشيخ رحمه الله هذا حديث
معلول من وجوه وقد فسر الحسن قوله جعلا له شركاء بانه كان هذا في بعض اهل الملل ولم يكن بآدم نعني بها ذرية آدم ومن اشرك
منهم بعده وعنه ايضا هم اليهود والنصارى رزقهم الله اولادا فهودوا ونصروا وهذا من احسن ما حملت عليه الآية ولو كان
ذلك الحديث محفوظا عنده لما فسر الآية بغيره فالاولى ان يحمل الحديث على انه موقوف على سمرة والله اعلم وقال محمد بن اسحق باسنادٍ
عن ابن عباس قال كانت حواء تلد لآدم فتعبدهم لله وتسميه عبد الله ونحوه فيصيبهم الموت فاتاها ابليس وآدم فقال انكما لو تسميانه
بغير الذي تسميانه به لعاش فولدت له رجلا فسماه عبد الحارث ففيه انزل الله هو الذي خلقكم من نفس واحدة الى قوله عما يشركون
وقد روي عن ابن عباس عن ابي بن كعب قال لما حملت حواء اتاها الشيطان فقال اتطيعيني ويسلم لك ولدك سميه عبد الحارث فلم تفعل
فولدت فمات ثم حملت فقال لها مثل ذلك فلم تفعل فولدت فمات ثم حملت الثالث فجاءها فقال ان تطيعيني يسلم والا فانه يكون بهيمة
فهيبهما فاطاعا وهذه الآثار يظهر عليها انها ماخوذة من اهل الكتاب وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا حدثكم اهل
الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وهذا مما جاء نقله عنهم فلا نصدق ولا نكذب والمذهب ما قال الحسن ان المراد من ذلك المشركون
من ذرية آدم ولهذا قال فتعالى الله عما يشركون وذكر الله تعالى آدم وحواء اولا كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين وهو كالاستطراد من ذكر الشخص
الى الجنس كما قال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ومعلوم ان المصابيح وهي النجوم التي زينت بها السماء
ليست هي التي يرمى بها وانما هذا استطراد من شخص المصابيح الى جنسها ولهذا نظائر كثيرة في القرآن والله اعلم ايشركون ما لا يخلق شيئا
وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء
عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان
كنتم صادقين الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها
قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والذين تدعون
من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم
لا يبصرون هذا انكار من الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الانداد والاوثان وهي مخلوقة لله مصنوعة لا تملك شيئا من الامر و

جعلا له اي جعل احدهما شركاء يعني ابليس فاوقع
الواحد موقع الجمع اي جعلا له شركاء
اذ سمياه عبد الحرث ولم يكن هذا
اشراكا في العبادة ولا ان الحرث ربهما
فان آدم كان نبيا معصوما من الشرك
ولكن قصدا الى ان الحرث كان سبب
نجاة الولد وسلامة امه وقد يطلق
اسم العبد على من يراد به انه مملوك
كما يطلق اسم الرب على من لا يراد به انه
معبود هذا كان الرجل اذا نزل به ضيف
يسمي نفسه عبد الضيف على وجه الخضوع
لا على ان الضيف ربه ويقول للغير انا
عبدك وقال يوسف لعزيز مصر انه ربي
لم يرد معبوده كذلك هذا

في العالم قوله فتعالى الله عما يشركون فيه ابتداء
كلام وارادة اشراك اهل مكة ولعل ارادته ما سبق
فيستقيم من حيث انه كان الاولى بهما ان لا يفعلا ما
اتيا به من الاشراك في الاسم وفي الآية قول آخر و
هو انه راجع الى جميع المشركين من ذرية آدم و
هو قول الحسن وعكرمة ومعناه جعل اولادهما له
شركاء فحذف الاولاد واقامهما مقامهم كما اضاف
فعل الآباء الى الابناء في تعييرهم بفعل الآباء فقال
ثم اتخذتم العجل واذ قتلتم نفسا خاطب به اليهود
الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك
الفعل من آبائهم وقيل الضمير في جعلا يعود
الى الولد الذي دل عليه قوله آتاهما صالحا و
ثني الضمير لان حواء كانت تلد توأما حملت
خمسمائة بطن [illegible] في اللباب

لا ينفع ولا يضر ولا ينتصر لعابديها بل هي جماد لا تتحرك ولا تسمع ولا تبصر وعابدوها اكمل منها بسمعهم وبصرهم وبطشهم ولهذا قال ايشركون ما لا يخلق شيا اي ايشركون به من المعبودات ما لا يخلق شيا ولا تستطيع ذلك نحو هذه صفته وحاله كيف يعبد ليرزق ويستنصر ولهذا قال لا يخلقون شيا وهم يخلقون اي بل هم مخلوقون مصنوعون كما قال الخليل اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون ثم قال تعالى ولا يستطيعون لهم نصرا اي لعابديهم ولا انفسهم ينصرون ممن ارادهم بسوء كما روي ان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن جبل كانا شابين قد اسلما لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فكانا يعدوان بالليل على اصنام المشركين يكسرانها ويلقيانها ويتخذانها حطبا للارامل ليعتبر قومهما بذلك ويرتادوا لانفسهم وكان لعمرو بن الجموح وكان سيدا في قومه صنم يعبده ويطيبه فكانا يجيئان بالليل فينكسانه على راسه ويلطخانه بالعذرة فيجي عمرو بن الجموح فيرى ما صنع به فيغسله ويطيبه ويضع عنده سيفا ويقول له انتصر ثم يعودان لمثل ذلك ويعود الى صنيعه ايضا حتى اخذاه مرة فقرناه مع جرو كلب ميت ودلياه بحبل في بير هناك فلما جاء عمرو بن الجموح فراى ذلك علم ان ما كان عليه من الدين باطل فقال تالله لو كنت الها مستدن لم تك والكلب جميعا في قرن ثم اسلم وحسن اسلامه وقتل يوم احد شهيدا رضي الله عنه وقوله وان تدعوهم الى الهدى يعني ان هذه الاصنام لا تسمع دعاء من دعاها وسواء لديها من دعاها ومن دحاها وقوله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم اي ان الانداد والاصنام عبيد مثل عابديها مخلوقات مثلهم بل الاناسي اكمل منها لانه يسمع ويبصر ويبطش وتلك لا تفعل شيا من ذلك قيل اراد بها الملائكة او الجن والخطاب مع عابديهم وقوله ان كنتم صادقين اي انها الهة او ان لكم عندها منفعة ثم بين عجزهم فقال الهم ارجل يمشون بها الى آخره ارادات ان المخلوقين يكون بهذه الجوارح والالات وليست للاصنام هذه فكيف تعبدونها وانتم اكمل واقدر منهم قل يا محمد ادعوا شركاءكم ايها المشركون ثم كيدون انتم وهم فلا تنظرون اي لا تمهلون بل عجلوا وكيدي ان وليي ناصري ومعيني الله الذي نزل الكتاب اي القران وهو يتولى اي ينصر الصالحين على اعدائه وقوله والذين تدعون من دونه الى آخره موكد لما تقدم الا انه بصيغة الخطاب وذاك بصيغة الغيبة وقوله وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا يعني الاصنام وتريهم يا محمد ينظرون اليك يعني الاصنام وهم لا يبصرون وليس المراد من النظر حقيقة بل المراد المقابلة اي يقابلونك بعيون مصورة كانها ناظرة ولهذا عاملهم معاملة من يعقل لانها على صورة الانسان فقال وتريهم ينظرون اليك بعيون من يعقل تقول العرب داري تنظر الى دارك اي تقابلها وقيل اي كانهم ينظرون اليك وقيل المراد بهذا المشركون والاول هو الراجح خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم قال ابن عباس اي خذ ما عفا لك من اموالهم وما اتوك به من شي فخذه وكان هذا قبل ان نزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت اليه الصدقات وقيل اي انفق الفضل وقيل امره الله بالعفو والصفح عن المشركين عشر سنين ثم امره بالغلظة عليهم وهو اختيار ابن جرير وقال مجاهد خذ العفو من اخلاق الناس واعمالهم من غير تجسيس وبه قال جماعة وعن ابن عيينة قال لما نزل خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا يا جبريل قال ان الله امرك ان تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وعن عقبة بن عامر قال لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتداته بالسلام فاخذت بيده فقلت يا رسول الله اخبرني بفواضل الاعمال فقال يا عقبة صل من قطعك واعط من حرمك واعرض عمن ظلمك رواه احمد والترمذي وقال البخاري العرف المعروف نص عليه عروة وغيره وقال ابن جرير قد امر الله نبيه عليه الصلوة والسلام ان يامر عباده بالمعروف ويدخل في ذلك جميع الطاعات وبالاعراض عن الجاهلين تاديبا له وللخلق في احتمال من ظلمهم واذيتهم لا بالاعراض عمن جهل الحق الواجب من حق الله ولا بالصفح عمن كفر بالله وجهل وحدانيته وهو للمسلمين حرب وقال بعضهم هذه اخلاق امر الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم ودله عليها وقد جمع بعض العلماء ما في الآية فنظمه فقال خذ العفو وامر بعرف كما

مصنوعون

ملخصه الخطاب للمشركين اي ان تدعوهم ايها المشركون اصنامكم الى الهدى والرشد والصواب لا يتبعوكم لانها لا تعقل لانهم ... الخطاب للمسلمين ... المنقول ... من الكفار ... الله انهم لا يؤمنون

ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها

هو العفو عن المذنب اي ترك عقوبته ويدخل ... القتال ... باب

وقيل ان السفه علمك الحلم فلا تقابله بالسفه ... واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ... قال جعفر الصادق امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق وليس في القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق من هذه الاية عن عائشة قالت لم يكن رسول الله صلعم فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح

امرت واعرض عن الجاهلين ولن في الكلام لكل الانام فمستحسن من ذوي الجاه لين وقوله واما ينزغنك اي يغضبنك من الشيطان غضب يصدك عن الاعراض عن الجاهل ويحملك على مجازاته فاستعذ بالله اي فاستجر بالله من نزغه انه سميع لجهل الجاهل عليك والاستعاذة به من نزغه لا يخفى عليه شي عليم بما يذهب عنك نزغ الشيطان وغير ذلك من امور خلقه واصل النزغ الفساد اما بالغضب او غيره والعياذ بالله الالتجاء والاستناد والاستجارة من الشر واما الملاذ ففي طلب الخير كما قال المتنبي

يا من الوذ به فيما اؤمله ومن اعوذ به فيما احاذره
لا يجبر الناس عظما انت كاسره ولا يهيضون عظما انت جابره

ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون اخبر تعالى عن المتقين الذين اطاعوه فيما امر وتركوا ما عنه زجر انهم اذا مسهم اي اصابهم طيف وقرا بعضهم طائف وقد جاء فيه حديث وهما قراءتان مشهورتان فقيل بمعنى واحد وقيل بينهما فرق ومنهم من فسر ذلك بالغضب ومنهم بمس الشيطان ومنهم بالهم بالذنب ومنهم باصابته وقوله تذكروا اي عقاب الله وجزيل ثوابه ووعده ووعيده فتابوا وانابوا واستعاذوا بالله فاذا هم مبصرون اي قد استقاموا وصحوا مما كانوا فيه وفي بعض السنن عن ابي هريرة قال جاءت امراة الى النبي صلى الله عليه وسلم وبها طيف فقالت يا رسول الله ادع الله ان يشفيني فقال ان شئت دعوت الله فشفاك وان شئت فاصبري ولا حساب عليك فقالت بل اصبر ولا حساب علي وقوله واخوانهم يمدونهم في الغي اي تساعد اخوانهم الشياطين على المعاصي وتسهلها عليهم وتحسنها لهم والمد الزيادة اي يزيدون في الجهل والسفه ثم لا يقصرون قيل اي ان الشياطين يمدون الانس لا يقصرون في اعمالهم بذلك وهو معنى ما قال ابن عباس لا الانس يقصرون عما يعملون ولا الشياطين يمسك عنهم وقيل هم الجن يوحون الى اوليائهم من الانس ثم لا يقصرون اي لا يسامون يعني ان الشياطين يمد اولياءهم من الانس ولا يسام من امدادهم من الشر لان ذلك طبيعة لهم وسجية لا تفتر فيه ولا تبطل عنه واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون قال ابن عباس لولا تلقيتها وقال مرة لولا احدثتها فانشاتها وعن مجاهد وغيره واحد لولا اقتضبتها اي تخرجها من نفسك وهو اختيار ابن جرير والاية المعجزة والخارق كما قال تعالى ان نشا ننزل عليهم اية فظلت لم لا تجهد نفسك في طلب الايات من الله حتى نراها ونؤمن بها قال تعالى له قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي اي انا لا اتقدم اليه تعالى في شي وانما اتبع ما امرني به فامتثل ما يوحيه الي فان بعث اية قبلتها وان منعها لم اساله ابتداء اياها الا ان ياذن لي في ذلك فانه حكيم عليم ثم ارشدهم الى هذا القران وهو اعظم المعجزات واصدق الحجج والبينات فقال هذا بصائر اي حجج وبرهان وبيان من ربكم واحدها بصيرة واصلها ظهور الشي واستحكامه من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون هذا امر بالانصات عند تلاوة القران اعظاما له واحتراما وتاكد ذلك في الصلوة اذا جهر الامام فيها بالقراءة لما روى ابو موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما جعل الامام ليؤتم به فاذا كبر فكبروا واذا قرا فانصتوا رواه مسلم وعن ابي هريرة قال كانوا يتكلمون في الصلوة فلما نزلت هذه الاية واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا والاية الاخرى امروا بالانصات وقال الزهري نزلت هذه الاية في فتى من الانصار كان رسول الله كلما قرا شيا قراه فنزلت واذا قرئ القران الاية وعن ابن عباس يعني في الصلوة المفروضة ومذهب طائفة من العلماء ان الماموم لا يجب عليه في الصلوة الجهرية قراءة فيما جهر فيه الامام لا الفاتحة ولا غيرها وهو القول القديم للشافعي ومذهب مالك ورواية عن احمد والقول الذي عليه الجمهور والفتوى انه يجب القراءة خلف الامام في السرية والجهرية ايضا وقال ابو حنيفة واحمد لا يجب على الماموم قراءة اصلا في السرية والجهرية لما ورد في الحديث المرفوع من كان له امام فقراءته له قراءة رواه احمد وقال مجاهد فاستمعوا له وانصتوا في الصلوة وفي خطبة الجمعة

وقال سعيد بن جبير الانصات فيما يجهر به الامام في الصلوة والخطبة يوم الجمعة والاضحى والفطر وهذا اختار ابن جرير لما جاء في الاحاديث من الامر بالانصات خلف الامام وحال الخطبة **واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون** امر الله بذكره في الصلوة وغيرها اول النهار وآخره كما امر بعبادته في هذين الوقتين في قوله فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وكان هذا قبل ان تفرض الصلوات الخمس وقوله في نفسك قال ابن عباس اي القراءة في الصلوة يريد يقرأ سرا في نفسه واما قوله تضرعا وخيفة اي اذكر ربك في نفسك رغبة ورهبة وهذا في الصلوة السرية ودون الجهر اي لا تجهر في الجهرية جهرا شديدا بليغا وقيل امر ان يتضرع اليه في الدعاء والاستكانة دون رفع الصوت والصياح كما في الصحيحين عن ابي موسى الاشعري قال رفع الناس اصواتهم بالدعاء في بعض الاسفار فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ايها الناس اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غائبا ان الذي تدعونه سميع قريب وقوله بالغدو والآصال اي بالبكرات والعشيات والاصيل ما بين العصر والمغرب وقد سبق ان المراد بذلك الصلوة والخطبة ومعلوم ان الانصات اذ ذاك افضل من الذكر باللسان سرا وجهرا والمراد الحث على كثرة الذكر من العباد بالغدو والآصال لئلا يكونوا من الغافلين ولهذا مدح الملائكة المقربين الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون فقال ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه اي ينزهونه بالتسبيح وله يسجدون وانما ذكرهم بهذا لتتشبه بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم ولهذا شرع لنا السجود ههنا عند ذكرهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلي امر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فابيت فلي النار رواه مسلم وعن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بكثرة السجود لله فانك لا تسجد لله الا رفعك الله بها درجة وحط بها عنك خطيئة رواه مسلم وهذه اول سجدة في القرآن مما شرع لتاليها ومستمعها السجود بالاجماع وعن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه عدها في سجدات القرآن رواه ابن ماجه

تفسير سورة الانفال وهي مدنية الا سبع آيات وهي قوله واذ يمكر بك الذين كفروا الى آخر سبع آيات فانها نزلت بمكة والصحيح انها نزلت بالمدينة وان كانت الواقعة بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم

يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين قال ابن عباس سورة الانفال نزلت في بدر والانفال الغنائم كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة ليس لاحد منها شيء وكذا قال مجاهد واقرانه وقال انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخمس بعد الاربعة الاخماس فنزلت يسألونك عن الانفال اي حكمها وقال ابن مسعود لا نفل يوم الزحف انما النفل قبل التقاء الصفوف وقال عطاء هي ما شذ من الكفار الى المسلمين في غير قتال من الدواب وانواع الاموال وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع به ما يشاء وهذا الفيء قد فسره بالانفال وقال آخرون هي انفال السرايا اي ما ينفله الامام لبعض السرايا زيادة على قسمهم مع بقية الجيش وقد صرح بذلك الشعبي واختار ابن جرير انها الزيادات على القسم ويؤيد ذلك ما قال سعد بن ابي وقاص لما كان يوم بدر وقتل اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتيفة فاتيت به نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال اذهب فاطرحه في القبض قال فرجعت وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي قال فما جاوزت الا يسيرا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب فخذ سلبك رواه احمد وفي رواية عنه نحو هذا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت سألتني السيف وليس هو لي وانه قد وهبت لي فهو لك فانزل الله هذه الآية يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول رواه ابو داود والنسائي والترمذي وعن عبادة بن الصامت قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فشهدت معه بدرا فالتقى الناس فهزم الله العدو فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون واكبت طائفة على العسكر يحوونه ويجمعونه واحدقت طائفة

مع علو مرتبتهم ودرجتهم يعبدون الله كأنه [illegible] ايها الانسان لا يستكبر عن عبادة الله

من الملائكة

عن السوء

بما ذكر [illegible]

مع نفل وتنفيل

ابن عباس [illegible] الامر [illegible] الرسول عليه السلم

[illegible]

بالرسول

والمنهزم

[illegible]

رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب العدو منه غرة حتى اذا كان الليل وفاء الناس بعضهم الى بعض قال الذين جمعوا الغنائم نحن حويناها فليس لاحد فيها نصيب وقال الذين خرجوا في طلب العدو لستم باحق به منا نحن نفينا عنها العدو وهزمناهم وقال الذين احدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم خفنا ان يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به فنزلت يسألونك عن الانفال الآية فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اغار في ارض العدو نفل الربع فاذا اقبل راجعا نفل الثلث وكان يكره الانفال رواه احمد وقال ابو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الاموال وبيان مصادرها اما الانفال فهي المغانم وكل نيل ناله المسلمون من اموال الحرب وكانت الانفال الاولى الى النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فقسمها يوم بدر على ما اراه الله من غير ان يخمسها على ما سبق من حديث سعد ثم نزلت بعد ذلك آية الخمس فنسخت الاولى وهكذا روي عن ابن عباس سواء وبه قال اصحابه وقال ابن زيد ليست بمنسوخة بل هي محكمة وفي ذلك آثار والانفال اصلها اجماع الغنائم الا ان الخمس منها مخصوص لاهله على ما نزل به الكتاب وجرت به السنة ومعنى الانفال في كلام العرب كل احسان فعله فاعل تفضلا من غير ان يجب ذلك عليه فذلك النفل الذي احله الله للمؤمنين من اموال عدوهم انما هو شيء خصهم الله به تطولا منه عليهم بعد ان كانت المغانم محرمة على الامم قبلهم فنفلها الله هذه الامة وتشهد لهذا ما في الصحيحين عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي وذكر الحديث الى ان قال واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي قال ابو عبيد ولهذا سمي ما جعل الامام للمقاتلة نفلا وهو تفضيله بعض الجيش على بعض سوى سهامهم يفعل ذلك بهم على قدر الغناء عن الاسلام والنكاية في العدو وفي النفل الذي ينفله الامام سنن اربع لكل واحدة منهن موضع غير موضع الاخرى فاحدهن في النفل لا خمس فيه وذلك السلب والثانية الذي يكون مع الغنيمة بعد اخراج الخمس وهو ان يوجه الامام السرايا في ارض الحرب فتاتي بالغنائم فيكون للسرية مما جاءت به الربع او الثلث بعد الخمس والثالثة في النفل من الخمس نفسه وهو ان تحاز الغنيمة كلها ثم تخمس فاذا صار الخمس في يدي الامام نفل منه بقدر ما يرى والرابعة في النفل في جملة الغنيمة قبل ان يخمس منها شيء وهو ان يعطى الادلاء ورعاة الماشية والسواق لها وفي كل ذلك اختلاف قال الشافعي الانفال ان لا يخرج من رأس الغنيمة قبل الخمس شيء من غير السلب وفيما قال ابو عبيد من ان غنائم بدر لم تخمس نظر ويرد عليه حديث علي بن ابي طالب في شارفيه اللذين حصلا له من الخمس يوم بدر كما هو المشهور والله اعلم وقوله فاتقوا الله اي اتقوا الله في اموركم واصلحوا ذات بينكم ولا تظالموا ولا تخاصموا ولا تشاجروا فما آتاكم الله من الهدى والعلم خير مما تختصمون بسببه واطيعوا الله ورسوله اي في قسمه بينكم على ما اراه الله فانه انما يقسمه كما امره الله من العدل والانصاف وفي مسند ابي يعلى الموصلي عن انس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما اضحكك يا رسول الله بابي انت وامي فقال رجلان جثيا من امتي بين يدي رب العزة فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من اخي قال الله اعط اخاك مظلمته فقال يا رب لم يبق من حسناتي شيء قال يا رب فليحمل عني من اوزاري قال وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس الى ان يحمل عنهم من اوزارهم فقال الله تعالى للطالب ارفع بصرك فانظر في الجنان فرفع رأسه فقال يا رب ارى مدائن من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لاي نبي هذا لاي صديق هذا لاي شهيد هذا قال هذا لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ذلك قال انت تملكه قال بماذا يا رب قال بعفوك عن اخيك قال يا رب فاني قد عفوت عنه قال الله تعالى خذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين يوم القيمة **انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلوة**

وهي قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه

بطاعته

فيما امر [illegible] الحالة التي بينكم لتكون سببا لالفتكم واجتماع كلمتكم [illegible]

روى الترمذي وابن ماجه عن عبادة بن الصامت

والفرق بين الفيء والنفل والغنيمة ان الفيء
ما عاد الى المسلمين من اموال المشركين من غير
حرب ولا ايجاف خيل وذلك لبيت المال
والغنيمة ما اصيب بحرب عن ظفر وذلك يقسم
على حكم قوله واعلموا انما غنمتم والنفل
زيادة على ما يصيب من الغنيمة

ان كنتم مؤمنين
فان الايمان
يوجب ذلك

بتول السيد آخون
الامر بالتكاليف الله ورسوله
انما المؤمنون الصادقون
في ايمانهم الذين اذا ذكر الله

[illegible]

خافت فانقادت لاوامره
وارتدعت عن نواهيه
الى الدعوة واطمأنت
لباره وفزعت عن وعيده

وممارزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم

قال ابن عباس المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند اداء فرائضه ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ولا يتوكلون ولا يصلون
اذا غابوا ولا يؤدون الزكوة فاخبر الله سبحانه انهم ليسوا بمؤمنين بل المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية زادتهم ايمانا
اي تصديقا و يقينا وعلى ربهم يتوكلون اي لا يرجون غيره قال مجاهد وجلت اي خافت و فزعت قال السدي وغيره في هذه
صفة المؤمن الذي اذا ذكر الله وجل قلبه اي خاف منه ففعل اوامره و ترك زواجره قال السدي هو الرجل يريد ان يظلم او يهم
بمعصية فقال له اتق الله فيجل قلبه عن ذلك و سئلت ام الدرداء عن الوجل فقالت الوجل في القلب كاحتراق السعفة اما تجد لها
قشعريرة قال بلى قالت اذا وجدت ذلك فادع الله فان الدعاء يذهب ذلك و قوله و اذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا قد استدل
البخاري وغيره من الائمة بهذه الآية واشباهها على زيادة الايمان و تفاضله في القلوب كما هو مذهب الجمهور بل حكي الاجماع على ذلك
الشافعي وكثير من الائمة وعلى ربهم يتوكلون اي يفوضون اليه امورهم ولا يقصدون الا اياه ولا يرغبون الا اليه ويعلمون انه ما
شاء كان وما لم يشاء لم يكن ولهذا قال ابن جبير التوكل على الله جماع الايمان وقوله الذين يقيمون الصلوة ينبه بذلك على اعمالهم
بعد ما ذكر اعتقادهم و هذه الاعمال يشمل انواع الخير كلها وهي اقامة الصلوة المحافظة على مواقيتها و اسباغ الوضوء فيها و تمام
ركوعها و سجودها و تلاوة القرآن فيها و التشهد و الصلوة على النبي عليه الصلوة و السلام و الانفاق مما رزقناهم يشمل اخراج الزكوة
وسائر حقوق العباد من واجب و مستحب و الخلق كلهم عيال الله و احبهم الى الله انفعهم لخلقه وقوله اولئك هم المؤمنون حقا اي
المتصفون بهذه الصفات هم المؤمنون حق الايمان وعن الحارث بن مالك الانصاري انه مر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له كيف
اصبحت يا حارث قال اصبحت مؤمنا حقا قال انظر ما تقول فان لكل شيء حقيقة فما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا
فاسهرت ليلي و اظمأت نهاري وكاني انظر الى عرش ربي بارزا وكاني انظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها وكاني انظر الى اهل النار
يتضاغون فيها فقال يا حارث عرفت فالزم ثلثا رواه ابو القاسم الطبراني وقوله لهم درجات عند ربهم اي منازل و مقامات و
درجات في الجنات بعضهم فوق بعض يرى الذي هو فوق فضله على الذي هو اسفل منه ولا يرى الذي هو اسفل منه انه فضل عليه
احد و في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اهل عليين ليراهم من اسفل منهم كما يرون الغابر في افق السماء قالوا
يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا ينالها غيرهم فقال بلى و الذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وقوله ومغفرة اي
يغفر لهم السيات و يشكر لهم الحسنات ورزق كريم اي حسن مما اعد لهم في الجنة **كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا
من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون
واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم و تودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم و يريد الله ان
يحق الحق بكلماته و يقطع دابر الكافرين ليحق الحق و يبطل الباطل ولو كره المجرمون** يعني كما انكم لما اختلفتم
في المغانم و تشاححتم فيها فانتزعها الله منكم و جعلها الى قسمه و قسم رسوله عليه الصلوة و السلام فقسمها على العدل و التسوية فكان هذا
هو المصلحة التامة لكم وكذلك لما كرهتم الخروج الى الاعداء من قتال ذات الشوكة وهم النفير الذين خرجوا لنصر دينهم و احراز عيرهم
فكان عاقبة كراهتكم للقتال بان قدره لكم وجمع بينكم و بين عدوكم على غير ميعاد رشدا و غنما و قيل المعنى كما اخرجك ربك من بيتك
بالحق على كره من فريق من المؤمنين كذلك هم كارهون للقتال فهم يجادلونك فيه بعد ما تبين لهم و قيل يسألونك عن القتال مجادلة
كما جادلوك يوم بدر فقالوا اخرجتنا للعير و لم تعلمنا قتالا فنستعد له وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خرج من المدينة طالبا

لعير ابي سفين

وممارزقناهم ينفقون
يخرجون حق الله

و فيه دليل على انه ليس لكل احد ان يصف نفسه
بكونه مؤمنا حقا لان الله انما وصف بذلك قوما
مخصوصين على اوصاف مخصوصة وكل احد
لا يتحقق وجود تلك الاوصاف فيه قال
ابن ابي نجيح سال رجل الحسن فقال اموءمن انت
فقال ان كنت تسالني عن الايمان بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث
والحساب فانا بها مؤمن وان كنت تسالني عن
قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم فلا ادري امنهم انا ام لا
قال علقمة كنا في سفر فلقينا قوما فقلنا من القوم
فقالوا نحن المؤمنون حقا فلم ندر ما نجيبهم حتى لقينا
عبد الله بن مسعود فاخبرناه بما قالوا قال فما رددتم
عليهم شيئا قلنا لم نرد عليهم شيئا قال افلا قلتم
امن اهل الجنة انتم ان المؤمنين اهل الجنة
وقال سفين الثوري من زعم انه مؤمن حقا
او عند الله ثم لم يشهد انه في الجنة فقد
آمن بنصف الآية دون النصف

وقيل الكاف بمعنى اذ تقديره واذكر اذ اخرجك
ربك ...

لعير ابي سفين التي بلغه خبرها انها صادرة من الشام فيها اموال جزيلة لقريش فاستنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم من خف منهم
فخرج في ثلثمائه و بضعة عشر رجلا و طلب نحو الساحل من على طريق بدر وعلم ابو سفين بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه
فبعث ضمضم بن عمرو نذيرا الى اهل مكة فنهضوا في قريب من الف و تيامن ابو سفين بالعير الى سيف البحر فنجا وجاء النفير فوردوا
ماء بدر وجمع الله بين المسلمين و الكافرين على غير ميعاد لما اراد من اعلاء كلمته بالمسلمين و نصرهم على عدوهم و تمييز الحق عن الباطل
كما سيأتي بيانه و الغرض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه خروج النفير اوحى الله اليه يعده احدى الطائفتين اما العير و
اما النفير و رغب كثير من المسلمين الى العير لانه كسب بلا قتال كما قال تعالى و تودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم الآية وعن علقمة
ابن وقاص قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر حتى اذا كان بالروحاء خطب الناس فقال كيف ترون فقال سعد بن معاذ
يا رسول الله ايانا تريد فوالذي اكرمك و انزل عليك الكتاب ما سلكتها قط ولا لي بها علم و لئن سرت حتى تأتي برك الغماد من
ذي يمن لنسيرن معك ولا نكون كالذين قالوا لموسى اذهب انت و ربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت و ربك فقاتلا
انا معكم متبعون و لعلك ان تكون خرجت لامر و احدث الله اليك غيره فانظر الذي احدث الله اليك فامض له و صل من شئت و سالم
من شئت وخذ من اموالنا ما شئت فنزل القرآن على قول سعد كما اخرجك ربك من بيتك بالحق الآيات رواه ابن ابي حاتم وقال
مجاهد وغيره يجادلونك في الحق يعني القتال كانما يساقون الى الموت اي كراهية للقاء المشركين و انكارا لمسير قريش حين ذكروا لهم
بعد ما تبين لهم اي من انك لا تفعل الا ما امرك الله قال ابن عباس قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير فانه
ليس دونها شيء فناداه العباس و هو اسير في وثاقه انه لا يصلح لك قال ولم قال لان الله انما وعدك احدى الطائفتين و قد اعطاك
ما وعدك رواه احمد وقوله و تودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم اي تحبون ان الطائفة التي لا حد لها ولا منعة ولا قتال تكون لهم
وهي العير و يريد الله ان يحق الحق بكلماته اي هو يريد ان يجمع بينكم و بين الطائفة التي لها الشوكة و القتال ليظفركم بهم و ينصركم عليهم
و يظهر دينه و يرفع كلمة الاسلام و يجعله غالبا على الاديان وهو اعلم بعواقب الامور قال محمد بن اسحق حدثني الزهري وجماعة كل قد
حدثني بعض هذا الحديث عن ابن عباس فيما سقت من حديث بدر قالوا لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بابي سفين مقبلا من الشام
ندب المسلمين اليهم وقال هذه عير قريش فيها اموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم و ثقل
بعض وذلك انهم لم يظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا وكان ابو سفين قد استنفر حين دنا من الحجاز يتجسس الاخبار
و يسال من لقي من الركبان تخوفا على امر الناس حتى اصاب خبرا من بعض الركبان ان محمدا قد استنفر اصحابه لك و لعيرك فحذر
عند ذلك فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه الى مكة و امره ان يأتي قريشا يستنفرهم الى اموالهم و يخبرهم ان محمدا قد عرض لها
في اصحابه حتى بلغ واديا يقال له ذفران فخرج منه حتى اذا كان ببعضه نزل فاتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فاستشار النبي صلى
الله عليه وسلم الناس واخبرهم عن قريش فقام ابو بكر فقال فاحسن ثم قام عمر فقال فاحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول
الله امض لما امرك الله به فنحن معك و الله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت و ربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب
انت و ربك فقاتلا انا معكم مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه
حتى تبلغه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا و دعا له بخير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشيروا علي ايها الناس وانما
يريد الانصار و ذلك انهم كانوا عدد الناس و انهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله انا براء من ذمامك حتى تصل الى دارنا
فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا و نساءنا وكان رسول الله يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليها نصرته

بعد ما تبين
ان الجهاد واجب و
الخروج صواب وقيل
بعد ما تبينوا وعلموا ان
امرك امر الله والتبين ظهور
المعنى للنفس

و يقطع دابر الكافرين
يستأصلهم والدابر الآخر
والدابر الاصل وقيل الدابر
آخر من بقي

ليحق الحق و يبطل الباطل
الكفر

ولو كره المجرمون
المشركون

الا يمن دهمه بالمدينة من عدوه و ان ليس عليهم ان يسير بهم الى عدو من بلادهم فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قال له سعد ابن معاذ والله لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال فقد آمنا بك و صدقناك و شهدنا ان ما جئت به هو الحق و اعطيناك على ذلك عهودنا و مواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق ان استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد و ما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد و نشطه ذلك ثم قال سيروا على بركة الله و ابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكاني انظر الى مصرع القوم **اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملئكة مردفين وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم** عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى اصحابه وهم ثلثمائة ونيف و نظر الى المشركين فاذا هم الف و زيادة فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم القبلة و عليه رداءه و ازاره ثم قال اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة من اهل الاسلام فلا تعبد في الارض ابدا قال فما زال يستغيث ربه و يدعوه حتى سقط رداءه فاتاه ابو بكر فاخذ رداءه فرداه ثم التزمه من ورائه ثم قال يا رسول الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملئكة مردفين فلما كان يومئذ و التقوا فهزم الله المشركين فقتل منهم سبعون رجلا و استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر و عليا و عمر فقال ابو بكر يا رسول الله هؤلاء بنو العم و العشيرة و الاخوان و اني ارى ان تاخذ منهم الفدية فيكون ما اخذنا منهم قوة لنا على الكفار و عسى ان يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت يا رسول الله والله ما ارى ما راى ابو بكر و لكني ارى ان تمكنني من فلان قريب لعمر فاضرب عنقه و تمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه و تمكن حمزة من فلان اخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله انه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين هؤلاء صناديدهم و ائمتهم و قادتهم فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر و لم يهو ما قلت و اخذ منهم الفداء فلما كان من الغد قال عمر فغدوت الى النبي صلى الله عليه وسلم و ابي بكر و هما يبكيان فقلت يا رسول الله اخبرني ماذا يبكيك انت و صاحبك فان وجدت بكاء بكيت و ان لم اجد بكاء تباكيت لبكائكما قال النبي صلى الله عليه وسلم للذي عرض علي اصحابك من اخذهم الفداء عرض علي عذابكم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة و انزل الله عز وجل ما كان لنبي ان يكون له اسرى الاية فلما كان يوم احد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من اخذهم الفداء و قتل منهم سبعون و فر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم و كسرت رباعيته و هشمت البيضة على راسه و سال الدم على وجهه فانزل الله تعالى او لما اصابتكم مصيبة الاية رواه احمد بهذا السياق و مسلم و الترمذي و ابو داود و قوله اذ تستغيثون ربكم قال ابن عباس و غير واحد نزلت و دعاء النبي صلى الله عليه وسلم و مناشدته ربه اشد مناشدة و قوله مردفين اي يردف بعضهم بعضا متتابعين ممدين و عن علي رضي الله عنه قال نزل جبريل في الف من الملئكة عن ميمنة النبي صلى الله عليه وسلم و فيها ابو بكر و نزل ميكائيل في الف من الملئكة عن ميسرة النبي صلى الله عليه وسلم و انا في الميسرة و هذا يقتضي ان الالف مردفة بمثلها و لهذا قرا بعضهم مردفين بفتح الدال و عن رفاعة بن رافع و هو من اهل بدر قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما تعدون اهل بدر فيكم قال لمن افضل المسلمين او كلمة نحوها قال و كذلك من شهد بدرا من الملئكة رواه البخاري و قوله و ما جعله الله الا بشرى اي و ما جعل الله بعث الملئكة و اعلامه اياكم بهم الا بشرى و لتطمئن به قلوبكم و الا فهو تعالى قادر على نصركم على اعدائكم بدون ذلك و لهذا قال و ما النصر الا من عند الله

يطلبون منه المعونة في النصر على العدو لقلتكم

الارداف والترادف

والتسكين

اي بشارة وبما اذن الى النصرة

ابكيه

من النبي صلى الله عليه وسلم

الله عز

منه ٢

ان الله عزيز اي له العزة و لرسوله و للمؤمنين في الدنيا و الآخرة كما قال تعالى انا لننصر رسلنا و الذين آمنوا حكيم فيما شرعه من قتال الكفار مع القدرة على دمارهم و اهلاكهم بحوله و قوته **اذ يغشيكم النعاس امنة منه و ينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به و يذهب عنكم رجز الشيطان و ليربط على قلوبكم و يثبت به الاقدام اذ يوحي ربك الى الملئكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق و اضربوا منهم كل بنان ذلك بانهم شاقوا الله و رسوله و من يشاقق الله و رسوله فان الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه و ان للكافرين عذاب النار** يذكرهم الله بما انعم به عليهم من القائه النعاس عليهم امانا من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم و قلة عددهم و كذلك فعل بهم يوم احد كما قال تعالى ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا قال علي رضي الله عنه ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد و لقد رايتنا يعني ليلة بدر و ما فينا الا نائم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي تحت شجرة و يبكي حتى اصبح و قال ابن مسعود النعاس في القتال امنة من الله و في الصلوة من الشيطان و قال قتادة النعاس في الراس و النوم في القلب و كما اصابهم يوم بدر اصابهم في احد ايضا و كان ذلك سجية للمؤمنين عند شدة الباس تكون قلوبهم آمنة مطمئنة بنصر الله و هذا من فضله و رحمته عليهم و قوله و ينزل عليكم من السماء ماء قال ابن عباس و غير واحد ان المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير و يقاتلوا عنها نزلوا على الماء يوم بدر فغلبوا المؤمنين فاصاب المؤمنين الظماء فجعلوا يصلون مجنبين محدثين حتى تعاطوا ذلك و صدورهم فانزل الله من السماء ماء حتى سال الوادي فشرب المؤمنون و ملاوا الاسقية و سقوا الركاب و اغتسلوا من الجنابة فجعل الله في ذلك طهورا و ثبت الاقدام و ذلك انه كانت بينهم و بين القوم رملة فبعث الله المطر عليها فضربها حتى اشتدت و ثبت به الاقدام و المعروف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سار الى بدر نزل على ادنى ماء هناك يعني اول ماء وجده فتقدم اليه الحباب بن المنذر فقال يا رسول الله هذا المنزل الذي نزلته منزل انزله الله فليس لنا ان نجاوزه او منزل نزلته للحرب و المكيدة فقال بل منزل نزلته للحرب و المكيدة فقال يا رسول الله ان هذا ليس بمنزل و لكن سر بنا حتى ننزل على ادنى ماء يلي القوم و نغور ما وراءنا من القلب و نستقي الحياض فيكون لنا ماء و ليس لهم ماء فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل ذلك و في رواية فاوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم ان الراي ما اشار به الحباب و قال عروة بن الزبير بعث الله السماء و كان الوادي دهسا فاصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم و اصحابه ما لبد لهم الارض و لم يمنعهم من المسير و اصاب قريشا ما لم يقدروا على ان يرتحلوا معه و قوله ليطهركم به اي من حدث اصغر او اكبر و هو طهارة الظاهر و يذهب عنكم رجز الشيطان اي من وسوسة او خاطر سيء و هو تطهير الباطن و ليربط على قلوبكم اي بالصبر و الاقدام على مجالدة الاعداء و هو شجاعة الظاهر و قوله اذ يوحي ربك الى الملئكة اني معكم هذه نعمة خفية اظهرها تعالى لهم ليشكروه عليها و هي انه تعالى اوحى الى الملئكة الذين انزلهم لنصر نبيه و دينه و حزبه المؤمنين فيما بينه و بينهم ان ثبتوا الذين آمنوا اي قووا عزمهم و قاتلوا معهم و كثروا سوادهم ليقوى انفسهم و قوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب اي ثبتوا المؤمنين و قووا انفسهم على اعدائهم فاني سالقي الرعب و الذلة على من خالف امري و كذب رسولي فاضربوا فوق الاعناق اي اضربوا الهام ففلقوها و احتزوا الرقاب فقطعوها و اقطعوا الاطراف منهم و هي ايديهم و ارجلهم و معنى فوق الاعناق على الاعناق او على الرؤس و المراد ضرب الرقاب و فلق الهام و هو اختيار ابن جرير و قوله و اضربوا منهم كل بنان قال ابن جرير اي اضربوا ايها المؤمنون من عدوكم كل طرف و مفصل من اطراف ايديهم و ارجلهم و البنان جمع بنانة كما قال الشاعر الا ليتني قطعت مني بنانة

بالسكون والثقة

البشارة والنصرة والعون

الرعب امتلاء القلب من الخوف

لما وعد الله المسلمين بالنصر [illegible]

ودلك ان المسلمين نزلوا اول يوم على كثيب اعفر تسوخ فيه
الاقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون الى الماء ببدر
واصبح المسلمون بعضهم محدثين وبعضهم مجنبين واصابهم
الظماء ووسوس اليهم الشيطان وقال تزعمون انكم على
الحق وفيكم نبي الله وانكم اولياء الله وقد غلبكم المشركون
على الماء وانتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف
ترجون الظفر فارسل الله عليهم مطرا سال منه الوادي
فشرب المؤمنون واغتسلوا وتوضؤا وسقوا
الركاب وملاوا الاسقية واطفاء الغبار
ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت
عنهم وسوسة الشيطان وطابت انفسهم فذلك
قوله ويذهب عنكم رجز الشيطان ه معالم

ويثبت به الاقدام
اذ كانوا على كثيب
اعفر تغيب فيه الاقدام
فلبده المطر ه بيار

الملك يمشي امام الصف
ويقول ابشروا ابشروا
انكم كثير وعدوكم قليل
والله ناصركم ه لباب

فيه الخطاب مع المؤمنين وقيل خطاب مع الملئكة
وهو متصل بقوله فثبتوا الذين آمنوا قال
ابن الانباري ما كانت الملئكة تعلم كيف تقتل
الآدميون فعلمهم الله

ابن عباس بينما رجل من المسلمين [illegible]

ولاقيته في البيت يقظان حاذرا وقال الاوزاعي اي اضرب منه الوجه والعين وارمه بشهاب من نار وقوله ذلك
بانهم اي انا امرنا الملائكة بهذا لان الكفار شاقوا الله ورسوله اي خالفوهما فساروا في شق وتركوا الشرع والايمان به واتباعه في
شق وماخوذ ايضا من شق العصا وهو جعلها فرقتين ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب اي هو الطالب الغالب
لمن خالفه وناواه لا يفوته شي ولا يقوم لغضبه شي ذلكم فذوقوه اي هذا العذاب والضرب الذي عجلته لكم ايها الكفار فذوقوه
عاجلا وان للكافرين اي واعلموا ان للكافرين آجلا في المعاد عذاب النار يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين
كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة
فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هذا وعيد من الله لفرار من الزحف بالنار فقوله تعالى اذا لقيتم
اي تقاربتم منهم ودنوتم اليهم فلا تولوهم الادبار اي تفروا وتتركوا اصحابكم وقوله زحفا اي متحفين متراجعين بعضكم بعضا
والزحف مصدر ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال اي متعطفا يري من نفسه الانهزام وقصده طلب الغرة وهو من
الكر او متحيزا الى فئة اي فر من ههنا الى فئة اخرى من المسلمين يعاونهم ويعاونونه فيجوز له ذلك عن ابن عمر قال كنت في سرية
من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاص الناس حيصة وكنت فيمن حاص فقلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا
بالغضب فاتينا المدينة فاختفينا بها وقلنا هلكنا ثم اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون قال
بل انتم العكارون وانا فئتكم رواه احمد والترمذي ولابي داود نحوه وقال لا بل انتم العكارون قال فدنونا فقبلنا يده فقال انا
فئة المسلمين والعكار العطاف قال عمر بن الخطاب ايها الناس لا تغرنكم هذه الآية فانما كان يوم بدر وانا فئة لكل مسلم فقوله
متحيزا الى فئة يعني الفار الى النبي واصحابه وكذلك من فر اليوم الى اميره واصحابه فاما ان كان الفرار لا عن سبب من هذه الاسباب
والعدو لا يزيدون على الضعف فانه حرام وكبيرة من الكبائر وهو الفرار من الزحف المعدود من السبع الموبقات في الحديث الصحيح ولهذا
قال تعالى فقد باء بغضب اي رجع بغضب من الله ومأواه اي مصيره ومنقلبه يوم معاده جهنم وبئس المصير وعن زيد هو ابن حارثة
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال استغفر الله الذي لا اله الا هو واتوب اليه غفر له وان كان
فر من الزحف رواه ابو داود والترمذي وقال حديث غريب ولا يعرف لزيد حديث سواه وقد ذهب جماعة الى ان الفرار من الزحف
انما كان حراما على الصحابة لان الجهاد كان فرض عين عليهم وقيل بل المراد اهل بدر خاصة وعليه كثير من الصحابة والتابعين وحجتهم
وهذا انه لم يكن عصابة لها شوكة يفيئون اليها سوى عصابتهم تلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد
في الارض ابدا والصحيح انه كما سبق من الموبقات كما هو مذهب الجماهير والله اعلم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم ذلكم وان الله موهن كيد
الكافرين بين الله انه خالق افعال العباد وانه المحمود على جميع ما صدر عنهم من خير لانه هو الذي وفقهم لذلك واعانهم ولهذا قال
فلم تقتلوهم اي ليس بحولكم وقوتكم قتلتم اعداءكم مع كثرة عددهم وقلة عددكم بل هو الذي اظفركم بهم ونصركم عليهم كما قال ولقد نصركم
الله ببدر وانتم اذلة الآية وقال تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة الآية ثم قال لنبيه عليه الصلوة والسلام في شان القبضة من التراب
التي حصب بها وجوه المشركين يوم بدر حين خرج من العريش بعد دعائه وتضرعه فرماهم بها وقال شاهت الوجوه ثم امر اصحابه
ان يصدقوا الحملة اثرها ففعلوا فاوصل الله تلك الحصباء الى اعين المشركين فلم يبق احد منهم الا ناله منها ما شغله عن حاله و
ما رميت اذ رميت اي هو الذي بلغ ذلك اليهم وكبتهم بها لا انت وقال السدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي يوم بدر اعطني

حصبا من الارض

قيل لرسول الله صلعم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شي فناداه العباس وهو اسير في وثاقه لا يصلح فقال صلعم لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك

قال اهل السير والمغازي ... رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدرا ووردت عليهم روايا قريش وفيهم اسلم غلام اسود لبني الحجاج وابو يسار غلام لبني العاص بن سعيد فاتوا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما اين قريش قالا هم وراء الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى فقال صلى الله عليه وسلم كم القوم قالا كثير قال ما عدتهم قالا لا ندري قال كم تنحرون كل يوم قالا يوما عشرا ويوما تسعة قال صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة الى الالف ثم قال لهما فمن فيهم من اشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابو البختري بن هشام وحكيم بن حزام والحارث بن عامر والنضر بن الحارث وابو جهل بن هشام وامية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو فقال صلعم هذه مكة قد القت اليكم افلاذ كبدها فلما اقبلت قريش ورآها رسول الله صلعم تصوب من العقنقل وهو الكثيب الذي منه جاؤا الى الوادي قال اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك

حصباء من الارض فناوله حصى عليه تراب فرمى به في وجوه القوم فلم يبق مشرك الا دخل في عينيه من ذلك التراب شي ثم ردفهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين اظهرهم وقال شاهت
الوجوه فانهزموا واكثر ائمة السلف انها نزلت في رميه النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر وان كان قد فعل ذلك يوم حنين ايضا وعن
حكيم بن حزام قال لما كان يوم بدر سمعنا صوتا وقع من السماء كانه صوت حصاة وقعت في طست ورمى رسول الله صلى الله عليه
وسلم تلك الرمية فانهزمنا غريب رواه ابن جرير واغرب من ذلك قولان احدهما قال عبد الرحمن بن جبير ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم ابن ابي الحقيق بخيبر دعا بقوس فجيء بقوس كبداء فرمى النبي صلى الله عليه وسلم الحصن فاقبل السهم يهوي حتى قتل
ابن ابي الحقيق وهو في فراشه فانزل الله وما رميت اذ رميت والثاني عن سعيد بن المسيب والزهري انهما قالا انزلت في رمية رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم احد ابي بن خلف بالحربة وهو في لامته فاصابه بها في ترقوته فجعل يتدادا عن فرسه مرارا حتى كانت وفاته
بها بعد ايام فاسمى فيها العذاب الاليم موصولا بعذاب الآخرة رواهما ابن جرير ايضا ولعلهما ارادا ان الآية تتناوله بعمومها لا انها
نزلت فيه خاصة كما تقدم وقوله وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا اي ليعرف المؤمنين من نعمته عليهم من اظهارهم على عدوهم مع
كثرة عدوهم وقلة عددهم ليعرفوا بذلك حقه ويشكروا نعمته وقوله ان الله سميع للدعاء عليم اي بمن يستحق النصر والغلب وقوله
ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين هذه بشارة اخرى مع ما حصل من النصر انه اعلمهم تعالى بانه مضعف كيد الكافرين فيما يستقبل
مصغر امرهم وانهم كلما لهم في سفال وتدمار ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان
تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين اي ان تستنصروا ايها الكفار وتستقضوا الله
وتستحكموه ان يفصل بينكم وبين اعدائكم المؤمنين فقد جاءكم ما سألتم كما نقل ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم اقطعنا للرحم وآتانا بما
لا يعرف فاحنه الغداة وكان ذلك استفتاحا منه فنزلت ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح الآية رواه احمد والنسائي مثله وقال
السدي كان المشركون حين خرجوا من مكة الى بدر اخذوا باستار الكعبة فاستنصروا الله وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واكرم
الفئتين وخير القبيلتين فقال ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اي قد نصرت ما قلتم هو محمد صلى الله عليه وسلم وقوله ان تنتهوا اي عما
انتم فيه من الكفر بالله والتكذيب لرسوله فهو خير لكم اي في الدنيا والآخرة وان تعودوا نعد اي كقوله وان عدتم عدنا معناه و
ان عدتم الى ما انتم فيه من الكفر والضلالة نعد لكم بمثل هذه الوقعة وقال السدي اي وان تعودوا الى الاستفتاح نعد
الى الفتح لمحمد صلى الله عليه وسلم والنصر له والاول اقوى ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت اي ولو جمعتم من الجموع ما عسى
ان تجمعوا فان من كان الله معه فلا غالب له وان الله مع المؤمنين وهو حزب الاسلام يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله
ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر
الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا
وهم معرضون امر الله عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله وزجرهم عن مخالفته والتشبه بالكافرين به المعاندين له ولهذا
قال ولا تولوا عنه اي تتركوا طاعته وامتثال اوامره وترك زواجره وانتم تسمعون اي بعد ما علمتم ما دعاكم اليه ولا تكونوا
كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون قال ابن جرير هم المشركون وقيل هم المنافقون ثم اخبر تعالى ان هذا الضرب من بني آدم شر الخلق
والخليقة فقال ان شر الدواب عند الله الصم اي عن سماع الحق البكم عن فهمه ولهذا قال الذين لا يعقلون فهؤلاء شر البرية
لان كل دابة مما سواهم مطيعة لله فيما خلقها له وهؤلاء خلقوا للعبادة فكفروا ولهذا شبههم بالانعام في قوله اولئك كالانعام

تقول ابلاه اذا انعم عليه وبلاه امتحنه والبلاء يستعمل للخير والشر فقيده بقوله حسنا ... وليبلي المؤمنين فعل ما فعل لباب

فئتكم ص

عن معاذ بن عمرو بن الجموح انه لما فرغ صلعم من غزوة بدر امر بابي جهل ان يلتمس في القتلى وقال اللهم لا يعجزنك قال فلما سمعتها جعلته من شاني فقصدت نحوه فضربته ضربة اطننت قدمه بنصف ساقه قال فضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي واجهضني القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومي واني لاسحبها خلفي فلما آذتني جعلت عليها قدمي ثم تمطيت بها حتى طرحتها ثم مر بابي جهل معوذ بن عفراء فضربه حتى اثبته فتركه وبه رمق ثم مر عبد الله بن مسعود قال عبد الله وجدته باخر رمق فعرفته فوضعت رجلي على عنقه ثم قلت هل اخزاك الله يا عدو الله قال وبماذا اخزاني اعمد من رجل قتلتموه اخبرني لمن النصرة قلت لله ولرسوله

كل ما دب على الارض فهو دابة ولا تطلق على الانسان الا ذما وعلى الام حملت الآية لانهم كالانعام حيث لم يسمعوا الموعظة ولم ينطقوا بالحق ولم يتدبروا القرآن فيعرفوا الرشد من الغي

وقيل المراد بهؤلاء نفر من بني عبد الدار من قريش وعليه ابن عباس ولا منافاة بين المشركين والمنافقين فهؤلاء كلا
منهم مسلوب الفهم الصحيح وقوله ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم اي لافهمهم ولكن لا خير فيهم فلم يفهمهم لانه يعلم انه لو افهمهم
لتولوا عن ذلك قصدا وعنادا وهم معرضون عنه جاحدون للحق **يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول
اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون** قال البخاري اي اجيبوا
لما يصلحكم وقال مجاهد اي للحق وهو القرآن فيه النجاة والبقاء والحياة وقال السدي لما يحييكم ففي الاسلام احياؤهم بعد موتهم
بالكفر وقال عروة لما يحييكم اي للحرب التي اعزكم الله بها بعد الذل وقواكم بها بعد الضعف وقوله واعلموا ان الله يحول بين المرء
وقلبه قال ابن عباس اي بين المؤمن وبين الكفر وبين الكافر وبين الايمان وقال مجاهد اي حتى تركه حيران لا يعقل
وقال فلا يستطيع ان يؤمن ولا يكفر الا باذنه وعن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي
على دينك قال فقلنا يا رسول الله آمنا بك وبما جئت فهل تخاف علينا فقال نعم ان القلوب بين اصبعين من اصابع الله تعالى
يقلبها رواه احمد والترمذي وحسنه وعن النواس بن سمعان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قلب الا وهو
بين اصبعين من اصابع رب العالمين اذا شاء ان يقيمه اقامه واذا شاء ان يزيغه ازاغه وكان يقول يا مقلب القلوب
ثبت قلبي على دينك قال والميزان بيد الرحمن يخفضه ويرفعه رواه احمد والنسائي وابن ماجه وقوله وانه اليه تحشرون
اي يوم القيمة يجزيكم باعمالكم **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب**
حذر الله المؤمنين فتنة اي اختبارا او محنة يعم بها المسيء وغيره لا يخص بها اهل المعاصي بل يعمهم جميعا حيث لم تدفع ولم ترفع
قال الزبير بن العوام رضي الله عنه لقد قرأت هذه الآية واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة الآية زمانا وما ارانا
من اهلها فاذا نحن المعنيون بها يعني ما كان يوم الجمل من القتال بين الصحابة بعد ان تساهلوا في الدفع عن عثمن رضي الله عنه
حتى قتل ظلما وقال السدي نزلت في اهل بدر خاصة فاصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية امر الله المؤمنين
ان لا يقروا المنكر بين ظهرانيهم فيعمهم الله بالعذاب وهذا حسن جدا وقال ابن مسعود ما منكم من احد الا وهو مشتمل على فتنة ان الله
يقول انما اموالكم واولادكم فتنة فاستعيذوا بالله من مضلات الفتن والصحيح ان هذا التحذير يعم الصحابة وغيرهم وان كان الخطاب معهم
كما روى عدي بن عميرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر
بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الخاصة والعامة رواه احمد وعن النعمن بن بشير
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المدهن في حدود الله والواقع فيها مثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم في اسفلها و
صار بعضهم في اعلاها فكان الذي في اسفلها يمر بالماء على الذين في اعلاها فتأذوا به فاخذ فأسا فجعل ينقر اسفل السفينة فاتوه
فقالوا ما لك قال تأذيتم بي ولا بد لي من الماء فان اخذوا على يديه انجوه ونجوا انفسهم وان تركوه اهلكوه واهلكوا انفسهم رواه
البخاري وعن حذيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم
عذابا من عنده ثم لتدعنه ولا يستجاب لكم رواه احمد والترمذي وعن عائشة تبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم اذا ظهر السوء في الارض انزل
الله باهل الارض باسه قالت وفيهم اهل طاعة الله قال نعم ثم يصيرون الى رحمة الله رواه احمد **واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون
في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون** نبه تعالى المؤمنين
على نعمه عليهم واحسانه اليهم حيث كانوا قليلين فكثرهم ومستضعفين خائفين فقواهم ونصرهم وفقراء عالة فرزقهم من الطيبات

المداهنة المقاربة وتليين الكلام اراد ان من داهن الناس ولم يأمرهم بالمعروف تبع الى الاثم

واستشكرهم

واستشكرهم فاطاعوه وامتثلوا جميع ما امرهم وكان هذا حال المؤمنين فانهم كانوا يخافون ان يتخطفهم الناس من سائر بلاد الله
من اهل الملل فانهم كلهم كانوا اعداء لهم لقلتهم وضعفهم فلم يزل ذلك دابهم حتى اذن الله في الهجرة الى المدينة فاقاموا بها فقيض الله
لهم اهلها بان آووا ونصروا يوم بدر وغيره وآسوا باموالهم وبذلوا مهجهم في طاعة الله وطاعة رسوله وقال قتادة بن دعامة
في هذه الآية كان هذا الحي من العرب اذل الناس ذلا واشقاه عيشا واجوعه بطونا واعراه جلودا وابينه ضلالا من عاش منهم
عاش شقيا ومن مات منهم ردي في النار يؤكلون ولا ياكلون والله ما نعلم قبيلا من حاضر اهل الارض يومئذ كانوا اشر منزلا
منهم حتى جاء الله بالاسلام فمكن به في البلاد ووسع به في الرزق وجعلهم به ملوكا على رقاب الناس وبالاسلام اعطى الله ما رايتم فاشكروا
لله نعمه فان ربكم منعم يحب الشكر واهل الشكر في مزيد من الله **يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا
اماناتكم وانتم تعلمون واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم** نزلت في ابي لبابة بن
عبد المنذر حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة لينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشاروه في ذلك فاشار
عليهم بذلك واشار بيده الى حلقه اي انه الذبح ثم فطن ابو لبابة ورأى انه قد خان الله ورسوله فحلف لا يذوق ذواقا حتى يموت
او يتوب الله عليه وانطلق الى مسجد المدينة فربط نفسه على سارية منه فمكث كذلك تسعة ايام حتى كان يخر مغشيا عليه من الجهد
حتى انزل الله توبته على رسوله فجاء الناس يبشرونه بتوبة الله عليه وارادوا ان يحلوه من السارية فحلف لا يحله منها الا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيده فحله وقال يا رسول الله اني نذرت ان انخلع من مالي صدقة فقال يجزيك الثلث ان تصدق به وعن جابر ان ابا سفين
خرج من مكة فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بالوحي فقال ان ابا سفين في موضع كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا فكتب رجل
من المنافقين اليه ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فانزل الله هذه الآية رواه ابن جرير وهذا غريب جدا فانه شبيه بقصة حاطب بن
ابي بلتعة وهي مشهورة مسطورة في الصحيحين والصحيح ان الآية عامة وان صح انها وردت على سبب خاص والعبرة عند الجمهور
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والخيانة تعم الذنوب الصغار والكبار اللازمة والمتعدية قال ابن عباس لا تخونوا الله والرسول
اي في ترك سنته وارتكاب معصيته والامانة الاعمال التي ائتمن الله عليها العباد يعني الفريضة اي لا تخونوا الامانات ولا تنقصوها
وقال عروة اي لا تظهروا له من الحق ما يرضى به منكم ثم تخالفوه في السر الى غيره فان ذلك هلاك لاماناتكم وخيانة لانفسكم وهذا نهي
عما تصنعه المنافقون وقوله واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة اي اختبار وامتحان منه لكم اي اعطاكموها ليعلم اتشكرونه عليها و
تطيعونه فيها او تشتغلون بها عنه وتعتاضون بها منه كما قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقوله وان الله عنده اجر عظيم اي ثوابه و
عطاؤه وجنانه خير لكم من الاموال والاولاد فانه قد يوجد منهم عدو واكثرهم لا يغني عنك شيئا والله سبحانه هو المتصرف المالك
للدنيا والآخرة وفي الاثر يقول الله ابن آدم اطلبني تجدني فان وجدتني وجدت كل شيء وان فتك فاتك كل شيء وانا احب اليك
من كل شيء **يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل
العظيم** الفرقان المخرج قالوا اي مخرجا في الدنيا والآخرة ونصرا ونجاة وفصلا بين الحق والباطل قاله ابن اسحق وهذا اعم مما تقدم
وهو يستلزم ذلك كله فان من اتقى الله بفعل اوامره وترك زواجره وفق لمعرفة الحق من الباطل فكان سبب نصره ونجاته ومخرجه
من امور الدنيا وسعادته يوم القيمة وتكفير ذنوبه وهو محوها وغفرها سترها عن الناس وسببا لنيل ثواب الله الجزيل ولهذا قال
والله ذو الفضل العظيم **واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله
والله خير الماكرين** قال ابن عباس ليثبتوك ليقيدوك اي ليحبسوك ويسجنوك والاثبات هو الحبس والوثاق قال عبيد بن

وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة احدى
وعشرين ليلة فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على
ما صالح عليه اخوانهم من بني النضير ان يسيروا الى اخوانهم
الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى صلى الله عليه وسلم
ان يعطيهم ذلك الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ
فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة بن عبد المنذر
وكان مناصحا لهم لان ماله وعياله وولده كانت
عندهم فبعثه صلى الله عليه وسلم فاتاهم فقالوا يا ابا لبابة
ما ترى انتنزل على حكم سعد بن معاذ فاشار ابو لبابة
بيده الى حلقه انه الذبح
ع

عميه لما ائتمروا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليثبتوه او يقتلوه او يخرجوه قال له عمه ابو طالب هل تدري ما ائتمروا بك قال يريدون
ان يسجنوني او يقتلوني او يخرجوني قال من خبرك بهذا قال ربي قال نعم الرب ربك استوص به خيرا قال انا استوصي به بل هو
يستوصي بي و هذا قبل قضية مشاورتهم في دار الندوة مع الشيخ النجدي وغيرها ان صح فان الآية مدنية وان كان هذا المكر بمكة ولكن
الله ذكرهم بالمدينة و ان قضية دار الندوة مع النجدي بمكة بعد وفات ابو طالب بنحو ثلث سنين حين اجترؤا عليه بسبب وفاة موت
عمه ابو طالب وكان يحوطه و ينصره و قبل الهجرة وكانت تلك بسبب خروجه الى الغار للهجرة كما قال ابن عباس وغيره ان نفرا من قريش
من اشراف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة فاعترضهم ابليس في صورة شيخ جليل فلما راوا قالوا من انت قال شيخ من نجد سمعت
انكم اجتمعتم فاردت ان احضركم ولن يعدمكم رأيي و نصحي قالوا اجل ادخل فدخل معهم فقال انظروا في شان هذا الرجل و الله
ليوشكن ان يواتيكم في امركم بامره قال قائل احبسوه في وثاق ثم تربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء زهير و
النابغة انما هو كاحدهم قال فصرخ عدو الله الشيخ النجدي فقال و الله ما هذا لكم براي و الله ليخرجنه ربه من محبسه الى اصحابه فليوشكن
ان يثبوا عليه حتى ياخذوه من ايديكم فيمنعوه منكم فما آمن عليكم ان يخرجكم من بلادكم قال فانظروا في غير هذا فقال قائل فاخرجوه من
من اظهركم و تستريحوا منه فانه اذا خرج من بلادكم لن يضركم ما صنع و اين وقع اذا غاب عنكم اذاه وكان امره في غيركم
فقال النجدي و الله ما هذا لكم براي الم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه و اخذ القلوب ما تسمع من حديثه و الله لئن فعلتم
ذلك ثم استعرض ليجتمعن عليه ثم ليأتينكم حتى يخرجكم من بلادكم و يقتل اشرافكم قالوا صدق و الله فانظروا بابا غير هذا فقال
ابو جهل و الله لاشيرن عليكم برأي ما اراكم ابصرتموه بعد ما ارى غيره قالوا وما هو قال نأخذ من كل قبيلة غلاما وسيطا شابا ثم
نعطي كلا منهم سيفا صارما ثم يضربونه ضربة رجل واحد فاذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها فلا اظن هذا الحي من بني هاشم
يقوون على حرب قريش كلهم فانهم اذا راوا ذلك قبلوا العقل و استرحنا و قطعنا عنا اذاه فقال الشيخ النجدي هذا و الله
الراي القول ما قال الفتى لا راي غيره قال فتفرقوا على ذلك و هم مجمعون له فاتى جبرئيل النبي صلى الله عليه وسلم فامره ان لا يبيت
في مضجعه الذي كان يبيت فيه واخبره بمكر القوم فلم يبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته تلك الليلة و اذن الله له عند ذلك
الخروج و انزل عليه بعد قدوم المدينة الانفال يذكر نعمه عليه و بلاءه عنده في قوله و اذ يمكر بك الذين كفروا الآية فامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليا ان يبيت على فراشه و يتسجى ببرد له اخضر ففعل ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم وهم على بابه
وخرج معه بحفنة من تراب فجعل يذرها على رؤسهم و اخذ الله بابصارهم عن نبيه صلى الله عليه وسلم و هو يقرأ يس و القرآن
الحكيم الى قوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون و روى ابو حاتم بن حبان في صحيحه و الحاكم في مستدركه ان ابن عباس قال دخلت فاطمة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك يا بنية قالت يا ابت ما لي لا ابكي و هؤلاء الملأ من قريش في الحجر تعاقدوا
باللات و العزى و مناة الثالثة الاخرى لو قد راوك لقاموا اليك فيقتلوك و ليس منهم الا من عرف نصيبه من دمك فقال
يا بنية ايتيني بوضوء فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج الى المسجد فلما راوه قالوا ها هو ذا فطأطأوا رؤسهم و سقطت
اذقانهم بين ايديهم فلم يرفعوا ابصارهم فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبضة من تراب فحصبهم بها و قال شاهت الوجوه
فما اصاب رجلا منهم حصاة من حصاتها الا قتل يوم بدر كافرا قال الحاكم صحيح على شرط مسلم و قال ابن عباس وخرج النبي
صلى الله عليه وسلم حتى لحق الغار و بات المشركون يحرسون عليا يحسبونه النبي صلى الله عليه وسلم فلما اصبحوا ثاروا اليه فلما راوا
عليا رد الله مكرهم فقالوا اين صاحبك قال لا ادري فاقتصوا اثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا في الجبل فمروا بالغار

فراوا على بابه

فراوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلث ليال و قوله و يمكرون و يمكر الله اي
يصنعون و يصنع الله و المكر التدبير و هو من الله التدبير بالحق وقيل يجازيهم جزاء المكر و الله خير الماكرين فمكر بهم بكيد متين
**و اذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين و اذ
قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم
و ما كان الله ليعذبهم و انت فيهم و ما كان الله معذبهم و هم يستغفرون** اخبر تعالى عن كفر قريش
و تمردهم وعنادهم ودعواهم الى الباطل عند سماع آياته حين تتلى عليهم انهم يقولون قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا قولا بلا فعل والا
فقد تحدوا غير ما مرة ان ياتوا بسورة من مثله فلا يجدون الى ذلك سبيلا و هذا القول منهم اغراء لاتباعهم على باطلهم قيل قائله
النضر بن الحارث لعنه الله فانه كان قد سافر الى بلاد فارس و تعلم من اخبار ملوكهم الماضية و لما قدم و جد رسول الله صلى الله
عليه وسلم مبعوثا تاليا على الناس القرآن فكان عليه الصلوة و السلام اذا قام من مجلس جلس فيه النضر يحدثهم من اخبار رستم
و اسفنديار ثم يقول بالله ايما احسن قصصا انا او محمد و لهذا لما اسر يوم بدر امر عليه الصلوة و السلام ان يضرب رقبته صبرا
بين يديه ففعل ذلك و لم تقبل منه الفداء و قوله اساطير الاولين هو جمع اسطورة اي كتبهم اقتبسها فهو يتعلم منها و يتلوها على
الناس و هذا كذب و افتراء كما اخبر الله عنهم في آية اخرى و قالوا اساطير الاولين اكتتبها الى قوله رحيما و قوله و اذ قالوا اللهم
ان كان هذا هو الحق الآية هذا من كثرة جهلهم و عتوهم و شدة تكذيبهم وكان الاولى لهم ان يقولوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فاهدنا له و وفقنا لاتباعه ولكن استفتحوا على انفسهم و استعجلوا العذاب و تقديم العقوبة كما قال تعالى و يستعجلونك بالعذاب
الى قوله قبل يوم الحساب و غير ذلك من الآيات و عن انس قال هو ابو جهل بن هشام قال اللهم ان كان هذا هو الحق الى آخره فنزلت و ما كان
الله ليعذبهم و انت فيهم الآية رواه البخاري و قال ابن عباس و غيره هو النضر بن الحارث فنزل سال سائل بعذاب واقع قال عطا
و لقد انزل فيه بضع عشرة آية من كتاب الله و قوله تعالى و ما كان الله ليعذبهم قال ابن عباس ما كان الله ليعذب قوما و نبيهم بين
اظهرهم حتى يخرجه و لا معذبهم و فيهم من سبق له من الله الدخول في الايمان و هو الاستغفار يعني اهل مكة وكان المشركون يطوفون بالبيت
و يقولون لبيك اللهم لبيك كما كانوا يقولون و يقولون غفرانك غفرانك فنزلت و ما كان الله معذبهم الآية قال كان فيهم امانان النبي
صلى الله عليه وسلم و الاستغفار و قيل المراد بقوله و هم يستغفرون المؤمنون الذين كانوا بمكة و عن ابي موسى قال قال النبي صلى الله عليه
وسلم انزل علي امانان لامتي و ما كان الله ليعذبهم و انت فيهم و ما كان الله معذبهم و هم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار
رواه الترمذي و يؤيد هذا ما رواه ابو سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قال و عزتك يا رب لا ابرح اغوي عبادك
ما دامت ارواحهم في اجسادهم فقال الرب و عزتي و جلالي لا ازال اغفر لهم ما استغفروني رواه احمد و صححه الحاكم **و ما لهم
ألا يعذبهم الله و هم يصدون عن المسجد الحرام و ما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم
لا يعلمون و ما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء و تصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** اخبر تعالى
انهم اهل لان يعذبهم ولكن لم يوقع ذلك بهم لبركة مقام الرسول عليه الصلوة و السلام بين اظهرهم و لهذا لما خرج من بينهم اوقع الله
بهم باسه يوم بدر فقتل صناديدهم و اسرت سراتهم و ارشدهم تعالى الى الاستغفار من الذنوب التي هم متلبسون بها من الشرك و الفساد
قال قتادة و السدي لم يكن القوم يستغفرون و لو كانوا يستغفرون ما عذبوا و قوله و هم يصدون اي و كيف لا يعذبهم الله و هم يصدون
عن المسجد الحرام قالوا و هذه الآية ناسخة لما قبلها يعني انهم يصدون المؤمنين الذين هم بمكة عن الصلوة عنده و الطواف به و لهذا قال

للمجازي عن المكر ٥ لباب

بلا فعل ظ

هذه الآية متصلة بالاول وهي من كلام النضر وروي ان النضر لما قال ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي ويلك ان هذا كلام الله وتنزيله فرفع النضر رأسه الى السماء وقال ان كان هذا هو الحق من عندك ٥ لباب

وما كانوا أولياءه أي هم ليسوا أهل المسجد الحرام وإنما أهله النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما قال تعالى ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله إلى قوله من المهتدين وعن أنس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من آلك قال كل تقي وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أولياؤه إلا المتقون رواه ابن مردويه وقال ابن إسحاق هم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقال مجاهد هم المتقون من كانوا وحيث كانوا ثم ذكر تعالى ما كانوا يعاملونه به عند المسجد الحرام وقال وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية قالوا كانوا يدخلون أصابعهم في أفواههم وقال السدي المكاء الصفير على نحو طير أبيض يقال له المكاء يكون بأرض الحجاز والتصدية قال ابن عباس هو التصفيق وكانت قريش تطوف بالكعبة عراة يصفرون ويصفقون والمكاء الصفير وإنما شبهوا بصفير الطير وبه قال الأكثر وقال ابن عمر إنهم كانوا يضعون خدودهم على الأرض ويصفقون ويصفرون وقال عكرمة كانوا يطوفون بالبيت على الشمال قال مجاهد وإنما كانوا يصنعون ذلك ليخلطوا بذلك على النبي صلى الله عليه وسلم صلاته وقال الزهري يستهزؤون بالمؤمنين وقيل صدهم الناس عن سبيل الله وقوله فذوقوا العذاب قيل هو ما أصابهم يوم بدر من القتل والسبي قال مجاهد عذاب أهل الإقرار بالسيف وعذاب أهل التكذيب بالصيحة والزلزلة **إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون** قال المفسرون أصيبت قريش يوم بدر ورجع الباقون إلى مكة وبلغهم أبو سفيان بعيره فمشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش أصيب آباؤهم وإخوانهم ببدر فكلموا أبا سفيان ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش إن محمدا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأرا ممن أصيب منا ففعلوا قال ابن عباس ففيهم أنزل الله إن الذين كفروا ينفقون أموالهم الآية وعليه جماعة وقال الضحاك نزلت في أهل بدر يعني صناديد الكفر الذين كانوا ينفقون الأرزاق على عسكرهم ببدر وعلى كل تقدير فهي عامة وإن كان السبب خاصا فقد أخبر تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم ليصدوا عن اتباع طريق الحق فسينفقون ذلك فيذهب أموالهم ثم تكون عليهم حسرة أي ندامة حيث لم يجد شيئا لأنهم أرادوا إطفاء نور الله وظهور كلمتهم على كلمة الحق والله متم نوره وناصر دينه ومظهره على كل دين فهذا الخزي لهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ولهذا قال فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة وقوله ليميز الله الخبيث من الطيب قال ابن عباس فيميز أهل السعادة من أهل الشقاوة والمؤمن من الكافر ويمكن أن يكون هذا التمييز في الآخرة كما قال تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون وغيره من الآيات ويحتمل أن يكون هذا التمييز في الدنيا بما يظهر من أعمالهم للمؤمنين وتكون اللام معللة لما جعل الله للكافرين من مال ينفقون في الصد عن سبيل الله أي إنما أقدرناهم على ذلك ليميز الله الخبيث من الطيب أي من يطيعه بقتال أعدائه الكافرين أو يعصيه بالنكول عن ذلك كما قال تعالى وما أصابكم يوم التقى الجمعان الآية وقوله وما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه الآية فالمعنى على هذا إنما ابتليناكم بالكفار يقاتلونكم وأقدرناهم على إنفاق الأموال وبذلها في ذلك ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض أي يجمعه كله فيركمه وهو جمع الشيء بعضه على بعض كما قال في السحاب ثم يجعله ركاما أي متراكما فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون أي هؤلاء هم الخاسرون في الدارين **قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير** قال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام قل للذين كفروا إن ينتهوا عما هم فيه من الكفر والمشاقة والعناد ويدخلوا في الإسلام والطاعة والإنابة يغفر لهم ما قد سلف أي من كفرهم وذنوبهم

ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون وفيه تقديم وتأخير [illegible] ولا يظفرون البتة [illegible] الحسرة عليهما [illegible] وهذا دليل من دلائل النبوة إذ أخبر [illegible] قبل وقوعه فكان كما أخبر

[illegible]

وخطاياهم كما

١٨٤

وخطاياهم كما جاء في الصحيح عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر وفي الصحيح أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الإسلام يجب ما قبله والتوبة تجب ما قبلها وقوله وإن يعودوا أي يستمروا على ما هم فيه فقد مضت سنة الأولين أي فقد مضت سنتنا في الأولين أنهم إذا كذبوا واستمروا على عنادهم إنا نعاجلهم بالعذاب والعقوبة وقيل أي في قريش يوم بدر وغيرها من الأمم وقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال سعيد بن جبير خرج علينا ابن عمر رضي الله عنهما فقيل كيف ترى في قتال الفتنة فقال وهل تدري ما الفتنة كان محمد صلى الله عليه وسلم يقاتل المشركين وكان الدخول عليهم فتنة وليس بقتالكم على الملك رواه البخاري وعن ابن عمر أيضا وقد أتاه رجل فقال إن الله يقول وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله قال ابن عمر قاتلت أنا وأصحابي حتى كان الدين كله لله فذهب الشرك ولم تكن فتنة ولكنك وأصحابك تقاتلون حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله رواه ابن مردويه والمراد بالفتنة في الآية الشرك وافتتان المسلم عن دينه وقوله ويكون الدين كله لله أي لا يكون مع دينكم كفر كما ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله وقوله فإن انتهوا أي بقتالكم إياهم عما هم فيه من الكفر فكفوا عنهم وإن كنتم لا تعلمون بواطنهم فإن الله بما تعملون بصير وقوله وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم أي وإن استمروا على خلافكم ومحاربتكم فاعلموا أن الله مولاكم سيدكم وناصركم على أعدائكم نعم المولى أي المعين ونعم النصير أي الناصر **واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير** بين الله تفصيل ما شرعه مخصصا لهذه الأمة الهادية من بين سائر الأمم المتقدمة من إحلال المغانم والغنيمة هي المال المأخوذ من الكفار بإيجاف الخيل والركاب والفيء ما أخذ منهم بغير ذلك كالأموال التي يصالحون عليها أو يتوفون عنها ولا وارث لهم والجزية والخراج ونحو ذلك هذا مذهب الإمام الشافعي في طائفة من أئمة السلف والخلف ومن العلماء من يطلق الفيء على ما يطلق عليه الغنيمة على الفيء أيضا ولهذا ذهب قتادة إلى أن هذه الآية ناسخة لآية الحشر ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى الآية وأنها منسوخة بآية الأنفال وجعلت الغنائم أربعة أخماسها للمجاهدين وخمسا منها لهؤلاء المذكورين وهذا الذي قاله بعيد لأن هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر وتلك نزلت في بني النضير ولا خلاف بين علماء السير والمغازي أن بني النضير بعد بدر لا شك فيه فمن تفرق بين معنى الفيء والغنيمة يقول تلك نزلت في أموال الفيء وهذه في المغانم ومن يجعل أمرهما إلى رأي الإمام يقول لا منافاة بين آية الحشر وآية التخميس إذا رآه الإمام والله أعلم فقوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء توكيد لتخميس كل قليل وكثير حتى الخياط والمخيط كما قال تعالى ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة وقوله فأن لله خمسه وللرسول اختلفوا في ذلك قال أبو العالية وغيره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالغنيمة فيقسمها على خمسة يكون أربعة أخماس لمن شهدها ثم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه الذي قبض كفه فيجعله للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة أسهم فيكون سهم للرسول وسهم لذوي القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل وقال آخرون ذكر الله ههنا استفتاح كلام للتبرك وسهمه لرسوله عليه الصلاة والسلام وعن ابن عباس أن سهم الله وسهم الرسول واحد كما مر وبه قال الأكثر ثم اختلفوا في حكمه قال ابن عباس هذا الخمس يقسم على أربعة أخماس ربع لله وللرسول وهو لقرابة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس شيئا وقال ابن بريدة الذي لله فلنبيه والذي للرسول فلأزواجه وقال عطاء خمس الله والرسول واحد يحمل منه ويضع فيه ما شاء يعني النبي صلى الله عليه وسلم وهذا أعم وأشمل وهو أن النبي

إنما غنمتم أي ما أصبتم وأخذتم من الكفار قهرا من شيء قليل وكثير اختلف النحويون في قوله واعلموا أنما غنمتم فأن فذهب الفراء إلى أن ما للشرط والفاء للجزاء وهذا باطل عند البصريين لأن أن لا تدخل على الشرط وذهب الجمهور إلى أن أنما مفعول واعلموا والخبر محذوف والفاء للعطف وفي هذا كلام والوجه أن تكون ما بمعنى الموصول وغنمتم صلته والعائد محذوف والفاء داخل في خبره وأن لله خمسه مع ما بعده خبره والتقدير فالأمر أن لله خمسه ومثله ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له وكذلك كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله سو لباب

يتصرف في الخمس الذي جعله الله له بما شاء ويرده في امته كيف شاء ويشهد لهذا ما قال عبادة بن الصامت ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بهم في غزوة الى بعير من المغنم فلما سلم قام فتناول وبرة بين انملتيه فقال ان هذه من غنائمكم وانه ليس لي فيها الا نصيبي معكم الا الخمس والخمس مردود عليكم فادوا الخياط والمخيط واكبر من ذلك واصغر ولا تغلوا فان الغلول نار وعار على اصحابه في الدنيا والآخرة الحديث رواه احمد وابو داود والنسائي وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم من الغنيمة شيء يصطفيه لنفسه عبد او امة او فرس او سيف او نحو ذلك هكذا نص عليه اكثر الائمة وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفل سيفه ذا الفقار يوم بدر وهو الذي راى فيه الرؤيا يوم احد رواه احمد والترمذي وحسنه وقالت عائشة كانت صفية من الصفي رواه ابو داود والنسائي وهذا يدل على تقرره وثبوته ولهذا جعله كثيرون من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا في الذي يناله النبي صلى الله عليه وسلم ماذا تصنع به بعده فقال بعضهم لمن يلي الامر بعده وقال آخرون يتصرف فيه الامام بالمصلحة للمسلمين كما يتصرف في مال الفيء وعليه مالك واكثر السلف وقال آخرون بل هو مردود على بقية الاصناف ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل واختاره ابن جرير وقيل ان الخمس جميعه لذوي القربى كما سئل علي بن الحسين زين العابدين رضي الله عنه الخمس فقال هو لنا فقال لعلي ان الله يقول واليتامى والمساكين وابن السبيل قال يتامانا ومساكيننا ثم اختلفوا في سهم الله ورسوله بعد وفاته فقال بعضهم للخليفة من بعده وعن بعضهم لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لقرابة الخليفة فاجتمع رايهم ان يجعلوه في الخيل والعدة في سبيل الله وكان ذلك في خلافة ابي بكر وعمر وكان علي رضي الله عنهم اشدهم فيه واما سهم ذوي القربى فانه يصرف الى بني هاشم وبني المطلب لانهم وافقوا بني هاشم في الجاهلية وفي اول الاسلام ودخلوا معهم في الشعب غضبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحماية له مسلمهم طاعة لله ولرسوله وكافرهم حمية للعشيرة وانفة وموافقة لابي طالب واما بنو عبد شمس وبنو نوفل وان كانوا ابناء عمهم فلم يوافقوهم على ذلك بل حاربوهم ونابذوهم ومالؤوا الى بطون قريش على حرب الرسول صلى الله عليه وسلم قال جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل مشيت انا وعثمن يعني ابن ابي العاص بن امية بن عبد شمس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله اعطيت بني المطلب من خمس خيبر وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة فقال انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد رواه مسلم وفي بعض روايات هذا الحديث انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وهذا قول الجمهور انهم بنو هاشم وبنو المطلب وعن مجاهد علم الله ان في بني هاشم فقراء فجعل لهم الخمس مكان الصدقة وقيل هم قرابة النبي صلى الله عليه وسلم الذين لا تحل لهم الصدقة اي هم وبنو المطلب كما سبق وقوله واليتامى اي ايتام المسلمين المحتاجين وقيل بل اعم سواء كانوا اغنياء او فقراء والمساكين هم المحاويج الذين لا يجدون ما يسد خلتهم ومسكنتهم وابن السبيل وهو المسافر الى مسافة تقصر فيها الصلوة وليس له ما ينفقه في سفره ذلك وقوله ان كنتم آمنتم بالله اي امتثلوا ما شرعنا لكم من الخمس في الغنائم ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وما انزل على رسوله ولهذا جاء في الصحيحين في الحديث المتفق عليه من رواية ابن عباس في اوامر الايمان ونواهيه وان تؤدوا الخمس من المغنم فجعل اداء الخمس من جملة الايمان وقد جعل البخاري له بابا في صحيحه فقال باب اداء الخمس من الايمان واورد فيه هذا الحديث وقوله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان اي في القسمة وقوله يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير ينبه تعالى على نعمته واحسانه الى خلقه بما فرق به بين الحق والباطل ببدر وسمي الفرقان لان الله تعالى اعلى فيه كلمة الايمان على كلمة الباطل واظهر دينه ونصر نبيه وحزبه قال ابن عباس وغيره احد هو يوم بدر وهو اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان راس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة او سبع عشرة مضت من رمضان وقال ابن مسعود كان صبيحة ليلة القدر لتسع عشرة خلت والله اعلم **اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم**

حزب الله وحزب الشيطان

يوم بدر فرق فيه بين الحق والباطل

المسلمون والكفار

اذ نصركم الله ببدر وانتم اذلة ٢

ولو تواعدتم

ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع عليم اخبر تعالى عن يوم الفرقان فقال اذ انتم نزول بعدوة الوادي الدنيا القريبة الى المدينة وهم اي المشركون نزول بالعدوة القصوى اي البعيدة الى ناحية مكة والركب العير الذي فيه ابو سفيان بما معه من التجارة اسفل منكم اي مما يلي سيف البحر ولو تواعدتم اي انتم والمشركون الى مكان لاختلفتم في الميعاد قال ابن الزبير اي ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عددكم ما لقيتموهم ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا اي ليقضي الله ما اراد بقدرته من اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه عن غير ملاء منكم ففعل ما اراد من ذلك بلطفه وفي حديث كعب بن مالك قال انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد وعن عمير بن اسحق قال اقبل ابو سفيان والركب من الشام وخرج ابو جهل ليمنعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فالتقوا ببدر ولا يشعر هؤلاء بهؤلاء ولا هؤلاء بهؤلاء حتى التقى السقاة ونهد الناس بعضهم لبعض ولما التقى الناس يوم بدر قال سعد بن معاذ يا رسول الله الا نبني لك عريشا تكون فيه وننيخ اليك ركائبك ونلقى عدونا فان اظهرنا الله عليهم واعزنا فذاك ما تحب وان تكن الاخرى فتجلس على ركائبك وتلحق بمن وراءنا من قومنا فقد والله تخلف عنك اقوام ما نحن باشد لك حبا منهم لو علموا انك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ويوادونك وينصرونك فاثنى عليه رسول الله خيرا ودعا له به فبني له عريش فكان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر ما معهما غيرهما وارتحلت قريش حين اصبحت فلما اقبلت ورآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم نصرك الذي وعدتني وقوله ليهلك من هلك عن بينة قال ابن اسحق اي ليكفر من كفر بعد الحجة لما راى من الآية والعبرة ويؤمن من آمن على مثل ذلك هذا وبسطه انه تعالى قال انما جمعكم مع عدوكم في مكان واحد على غير ميعاد لينصركم عليهم ويرفع كلمة الحق على الباطل ليصير الامر ظاهرا والحجة قاطعة والبراهين ساطعة ولا يبقى لاحد حجة ولا شبهة فحينئذ يهلك من هلك اي يستمر في الكفر من استمر فيه على بصيرة من امره انه مبطل لقيام الحجة عليه ويحيى من حي اي يؤمن من آمن عن بينة اي حجة وبصيرة والايمان هو حيوة القلوب وقوله وان الله لسميع لدعائكم وتضرعكم واستغاثتكم به عليم اي بكم وانكم تستحقون النصر على الاعداء **اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اريكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور** قال مجاهد وغيره اراهم الله في منام نبيه صلى الله عليه وسلم قليلا فاخبر اصحابه بذلك فكان تثبيتا لهم وقال بعضهم رآهم بعينه التي ينام بها وهذا غريب والراجح الاول وقوله ولو اريكهم كثيرا لفشلتم اي لجبنتم عنهم واختلفتم فيما بينكم ولكن الله سلم اي من ذلك بان اراكهم قليلا انه عليم بذات الصدور اي بما تجنه الضمائر وتنطوي عليه الاحشاء وقوله واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا وهذا ايضا من لطفه بهم ان اراهم اياهم قليلا في راي العين ليجترئهم عليهم ويطمعهم بهم قال ابن مسعود لقد قللوا في اعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال لا بل مائة حتى اخذنا رجلا منهم فسالناه فقال كنا الفا وقوله ويقللكم في اعينهم قال عكرمة حضض بعضهم على بعض وقوله ليقضي الله امرا كان مفعولا اي ليلقي بينهم الحرب للنقمة ممن اراد الانتقام منه والانعام على من اراد اتمام النعمة عليه من اهل ولايته قاله ابن الزبير ومعنى هذا انه تعالى اغرى كلا من الفريقين بالآخر وقلله في عينه ليطمع فيه وذلك عند المواجهة فلما التحم القتال وايد الله المؤمنين بالف من الملئكة مردفين بقي حزب الكفر يرى حزب الايمان ضعفيه كما قال تعالى قد كان

الدنيا تانيث الادنى

بشفير

ولكن جمعكم بينكم من غير ميعاد

من التثبيت والتشجيع

بخفيات القلوب

عبد الله

المؤمنين

الكافرين

بانتصار المؤمنين

قال الحسن فيها منامك اي عينك لانه
مفعل وهو المصدر والزمان والمكان
وقال غيرهم في رؤياك لان النبي صلى الله
عليه وسلم رآهم في نومه قلة وذلك
فاولها انهم يغلبون وبشر المؤمنين
فسكنوا الله وعلموا ان رؤيا الانبياء
حق ٢

السدي كان ناس من المشركين تقول ان العير قد
انصرفت فارجعوا فقال ابو جهل الآن اذ برز
لكم محمد فلا ترجعوا حتى تستاصلوهم انما محمد
واصحابه اكلة جزور فلا تقتلوهم واربطوهم
بالحبال يقوله من القدرة على نفسه ليستقل
بعضهم بعضا ليجترئوا القتال فقلل المشركين
في اعين المؤمنين لكي لا يجبنوا وقلل المؤمنين
في اعين المشركين لكي لا يهربوا

لكم آية في فئتين التقتا الى قوله لاولي الابصار يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا
لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع
الصابرين هذا تعليم من الله عباده المؤمنين آداب اللقاء وطريق الشجاعة عند مواجهة الاعداء اذا لقيتم فئة اي جماعة كافرة
فاثبتوا لقتالكم و ادعوا الله بالنصر و الظفر وكونوا على رجاء الفلاح وثبت في الصحيحين عن عبد الله بن ابي اوفى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه انتظر في بعض ايامه التي لقي فيها العدو حتى اذا مالت الشمس قام فيهم فقال يا ايها الناس لا تتمنوا لقاء
العدو و سلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا و اعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم و قال
اللهم منزل الكتاب و مجري السحاب و هازم الاحزاب اهزمهم و انصرنا عليهم و روى عبد الله بن عمرو فاذا لقيتموهم فاثبتوا
و اذكروا الله فان جلبوا و صاحوا فعليكم بالصمت وفي الحديث المرفوع يقول الله تعالى ان عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو مناجز
قرنه اي لا يشغله ذلك الحال عن ذكري و دعائي واستعانتي قال قتادة فرض الله ذكره عند اشغل ما يكون عند الضراب بالسيوف
و قال عطاء وجب الذكر و الانصات عند الزحف ثم تلا هذه الآية قال الشاعر ذكرتك و الخطي يخطر بيننا
و قد نهلت منا المثقفة السمر و قال عنترة و لقد ذكرتك و الرماح شواجر فينا و بيض الهند تقطر من دمي
فامر الله بالثبات في قتال الاعداء و الصبر على مبارزتهم فلا يفروا و لا ينكلوا و لا يجبنوا و ان يذكروا الله في تلك الحال فلا ينسوه
بل يستغيثوا به و يتوكلوا عليه و ان يطيعوا الله و رسوله في تلك الحال فما امرتم به ائتمروا و ما نهيتم عنه انزجروا و لا تتنازعوا فيما بينكم
فتختلفوا فيكون سببا لتخاذلكم و فشلكم اي ضعفكم و جبنكم و تذهب ريحكم اي قوتكم و حدتكم و اصبروا اي في قتالهم و محاربتهم ان
الله مع الصابرين فينصركم ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل
الله والله بما يعملون محيط واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس
واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون
اني اخاف الله والله شديد العقاب اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم
ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم بعد ما امر الله عباده المؤمنين بالاخلاص في القتال في سبيله وكثرة ذكره نهاهم
عن التشبه بالمشركين في خروجهم من ديارهم بطرا اي دفعا للحق و رئاء الناس وهو المفاخرة و التكبر عليهم كما قال ابو جهل
لما قيل ان العير قد نجا فارجعوا فقال و الله لا نرجع حتى نرد ماء بدر و ننحر الجزر و نشرب الخمر و تعزف علينا القيان
و تتحدث العرب بمكاننا فيها يومنا ابدا فانعكس ذلك عليهم اجمع لانهم لما وردوا ماء بدر وردوا به الحمام و ركموا في اطواء
بدر مهانين اذلاء صغرة اشقياء في عذاب ابدي سرمدي و لهذا قال و الله بما يعملون محيط اي عالم بما جاؤوا به وله و لهذا
جازاهم على ذلك شر الجزاء و قوله و اذ زين لهم الشيطان اعمالهم الآية حسن لهم لعنه الله ما جاؤوا له و ما هموا به و اطمعهم انه
لا غالب لهم اليوم من الناس و نفى عنهم الخشية من ان يؤتوا في ديارهم من عدوهم بني بكر فقال انا جار لكم و ذلك انه تبدى
لهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم سيد بني مدلج و سار برايته و جنوده مع المشركين و القى في قلوبهم ان احدا لن يغلبكم
و اني جار لكم فلما التقوا و نظر الشيطان الى عدد الملائكة نكص على عقبيه راجعا مدبرا و قال اني ارى ما لا ترون الآية قال ابن
عباس قال قتادة ذكر لنا ان عدو الله راى جبريل نزل معه الملائكة فعلم انه لا يدان له بالملائكة فقال اني ارى ما لا ترون اني
اخاف الله و كذب عدو الله و الله ما به مخافة الله ولكن علم انه لا قوة له ولا منعة و تلك عادة عدو الله لمن اطاعه و استقاد له حتى

جمع قينة وهي الجارية المغنية

اذا التقى الحق

والله شديد العقاب

اذا التقى الحق و الباطل اسلمهم شر مسلم و تبرأ منهم عند ذلك كما في قوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر وقوله اذ يقول
المنافقون قال ابن عباس لما دنى القوم بعضهم من بعض قلل الله المسلمين في اعين المشركين و قلل المشركين في اعين المسلمين فقال
المشركون غر هؤلاء دينهم وانما قالوا ذلك من قلتهم في اعينهم و ظنوا انهم سيهزمونهم و لا يشكون في ذلك فقال تعالى ومن يتوكل
على الله اي ومن يسلم امره الى الله و يثق به فان الله عزيز حكيم و قال ابن جريج و غيره هم اناس كانوا من المنافقين بمكة من اهلها قد
تكلموا بالاسلام فخرجوا مع المشركين يوم بدر فلما راوا قلة الصحابة قالوا غر هؤلاء دينهم حتى قدموا على ما قدموا عليه مع قلة عددهم
و كثرة عدوهم و قوله و من يتوكل على الله اي يعتمد على جنابه فان الله عزيز لا يضام من التجا اليه فانه منيع الجناب عظيم السلطان
حكيم اي في افعاله لا يضعها الا في مواضعها فينصر من يستحقه و يخذل من يستوجبه ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا
الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس
بظلام للعبيد اي لو عاينت يا محمد حال توفي الملائكة ارواح الكفار لرايت امرا عظيما هائلا منكرا اذ يضربون وجوههم و
ادبارهم و يقولون لهم ذوقوا قال مجاهد و ادبارهم استاههم و قال ابن عباس اذا اقبل المشركون بوجوههم الى المسلمين
ضربوا وجوههم بالسيوف و اذا ولوا ادركتهم الملائكة يضربوا ادبارهم يعني يوم بدر و عن الحسن قال رجل يا رسول الله اني رايت
بظهر ابي جهل مثل الشوك قال ذاك ضرب الملائكة رواه ابن جرير و هذا السياق و ان كان سببه وقعة بدر و لكنه عام في حق كل كافر
و لهذا لم يخصصه تعالى باهل بدر بل قال على صيغة العموم كما في قوله تعالى و لو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت الآية وكما في حديث
البراء ان اعوان ملك الموت اذا جاؤوا الكافر عند احتضاره في تلك الصورة المنكرة يقولون اخرجي ايتها النفس الخبيثة الى
سموم و حميم وظل من يحموم فتتفرق في بدنه فيستخرجونها من جسده كما يخرج السفود من الصوف المبلول فيخرج معها العروق
و العصب و لهذا تقول الملائكة لهم و ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم اي هذا الجزاء بسبب ما عملتم من الاعمال السيئة في
حياتكم الدنيا جازاكم الله بها هذا الجزاء و ان الله ليس بظلام للعبيد اي لا يظلم احدا من خلقه بل هو الحكم العدل الذي لا يجور
تبارك و تعالى كما في صحيح مسلم عن ابي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي و
جعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا
نفسه و لهذا قال تعالى كداب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فاخذهم الله بذنوبهم ان الله
قوي شديد العقاب اي فعل هؤلاء المكذبين من المشركين بما ارسلت به يا محمد كما فعل الامم المكذبة قبلهم ففعلنا بهم ما
هو دابنا اي عادتنا في امثالهم من آل فرعون و من قبلهم من الامم المكذبة للرسل الكافرين بآيات الله اخذهم الله بسبب ذنوبهم
و اهلكهم ان الله قوي لا يغلبه غالب شديد العقاب لا يفوته هارب ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على
قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وان الله سميع عليم كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات
ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين اخبر تعالى عن تمام عدله في حكمه بانه
تعالى لا يغير نعمة انعمها على احد الا بسبب ذنب ارتكبه كما قال ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم كصنيعه آل فرعون و
امثالهم حين كذبوا باياته اهلكهم بسبب ذنوبهم و سلبهم تلك النعم التي اسداها اليهم من جنات و عيون و غير ذلك من انواع المستلذات
وما ظلمهم الله في ذلك بل هم كانوا ظالمين ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت
منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم

قال ابن عباس داب آل فرعون انهم ايقنوا ان موسى نبي الله فكذبوه كذلك هؤلاء جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق فكذبوه فانزل الله بهم عقوبة كما انزل بآل فرعون

لكونهم شر الدواب

يجوز ان يكون معنى في كل مرة في كل محاربة ويجوز ان يكون في كل مرة عند كل فتنة وخفوقة

لعلهم يذكرون اي ان شر ما دب على وجه الارض هم الذين كفروا فهم لا يومنون بالله كلما عاهدوا عهدا نقضوه وكلما اكدوه
بالايمان نكثوه وهم لا يتقون اي لا يخافون من الله في شي ارتكبوه من الاثام فاما تثقفنهم في الحرب اي تغلبهم وتظفر بهم
في حرب فشرد بهم من خلفهم اي نكل بهم قاله ابن عباس وغير واحد ومعناه غلظ عقوبتهم واثخنهم قتلا ليخاف من
سواهم من الاعداء ويصيروا لهم عبرة لعلهم يذكرون اي يحذرون ان ينكثوا فيصنع بهم مثل ذلك واما تخافن من قوم
خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين واما تخافن اي تعلمن يا محمد من قوم خيانة اي نقضا
لما بينك وبينهم من العهود والمواثيق فانبذ اليهم اي عهدهم على سواء اي اعلمهم بانك قد نقضت عهدهم حتى يكون انت
وهم بنقض العهد سواء اي يستوي انت وهم في ذلك قال الراجز فاضرب وجوه الغدر للاعداء حتى يجيبوك الى السواء
وقيل اي على مهل ان الله لا يحب الخائنين اي مطلقا ولو كان مع الكافرين عن سليم بن عامر قال كان بين معوية وبين الروم عهد
وكان يسير نحو بلادهم حتى اذا انقضى العهد اغار عليهم فجاء رجل على فرس او برذون وهو يقول الله اكبر الله اكبر وفاء لا غدر
فنظروا فاذا هو عمرو بن عبسة فسال معوية عن ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد
فلا يحلن عهدا ولا يشدنه حتى ينقضي امده او ينبذ اليهم على سواء قال فرجع معوية بالناس رواه ابو داود والترمذي والنسائي
**ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط
الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من
شي في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون** اي ولا تحسبن يا محمد ان الذين كفروا فاتونا فلا نقدر عليهم بل هم تحت قهر
قدرتنا وفي قبضة مشيتنا فلا يعجزوننا كما في قوله تعالى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الاية وغيرها من الايات وقوله واعدوا
لهم ما استطعتم اي مهما امكنكم من قوة ومن رباط الخيل عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر
واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي رواه مسلم وعنه ايضا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ارموا واركبوا وان ترموا خير من ان تركبوا رواه احمد واهل السنن وقوله ومن رباط الخيل يعني ربطها
واقتناؤها للغزو في الصحيحين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل لثلثة لرجل اجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر
فاما الذي له اجر فرجل ربطها في سبيل الله فاطال لها في مرج او روضة فما اصابت في طيلها ذلك في المرج او الروضة كانت له
حسنات ولو انها قطعت طيلها فاستنت شرفا او شرفين كانت اثارها وارواثها حسنات له ولو انها مرت بنهر فشربت
منه ولم يرد ان يسقيها كان ذلك حسنات له فهي لذلك الرجل اجر ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله في رقابها
ولا ظهورها فهي له ستر ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لاهل الاسلام فهي على ذلك وزر وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الحمر فقال ما انزل الله علي فيها شيا الا هذه الاية الفاذة الجامعة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا
يره وعن عروة بن ابي الجعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيمة الاجر والغنيمة
رواه البخاري وقوله ترهبون اي تخوفون به عدو الله وعدوكم اي من الكفار واخرين من دونهم قيل كانوا اجنة يهود وقريظة
وغيرهم وقيل فارس وقيل الشياطين التي في الدور كما في الحديث الغريب المجهول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قول الله واخرين
من دونهم الجن رواه الطبراني وقال ابن زيد هم المنافقون وهذا اشبه وقوله وما تنفقوا من شي اي مهما انفقتم في الجهاد فانه يوفى
اليكم على التمام والكمال كما جاء في حديث رواه ابو داود ان الدرهم يضاعف ثوابه في سبيل الله الى سبعمائة ضعف وقوله يوف اليكم اي يوفى لكم

اصل التشريد التفريق والتبديد معناه فرق بهم جمع كل ناقض اي افعل بهولاء الذين نقضوا عهدك وجاؤا الحرب فعلا من القتل والتنكيل تفرق بك ويخافك من سواهم

وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل بالسهم الواحد الجنة ثلثة صانعه والمحتسب به والرامي به في سبيل الله وقال صلى الله عليه وسلم كل شي يلهو به الرجل باطل الا رميه بقوسه وتاديبه فرسه وملاعبته امراته فانهن من الحق ومن ترك الرمي بعدما علمه رغبة عنه فانه نعمة تركها او قال كفرها محي السنة

لا تعلمونهم الله يعلمهم

اجره وانتم

اجره وانتم لا تظلمون اي لا ينقص اجوركم **وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم وان
يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو
انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم يا ايها النبي حسبك
الله ومن اتبعك من المؤمنين** اي ان مالوا الى المسالمة والمصالحة والمهادنة فاجنح لها اي مل اليها واقبل منهم ذلك
ولهذا لما طلب المشركون عام الحديبية الصلح ووضع الحرب بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين اجابهم الى ذلك مع ما اشترطوا
من الشروط الاخر وهذا من تتمة قضية بدر على الصحيح وقول جماعة انها منسوخة باية السيف فيه نظر لان فيها الامر بقتالهم اذا امكن
ذلك واما اذا كان العدو كثيفا فانه يجوز مهادنتهم كما سبق انفا فلا نسخ ولا تخصيص وقوله وتوكل على الله اي صالحهم وتوكل على الله
فانه كافيك وناصرك ولو كانوا يريدون بالصلح خديعة ليتقووا ويستعدوا فان الله حسبك وكافيك وحده ثم ذكر نعمته عليه بما ايده
به من المؤمنين فقال هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم اي جمعها على الايمان بك وعلى طاعتك ومناصرتك
ومؤازرتك لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اي لما كان بينهم من العداوة والبغضاء فان الانصار كانت بينهم حروب
كثيرة وامور متسلسلة في الشر والضغائن في الجاهلية حتى قطع الله ذلك بنور الايمان كما قال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم
اعداء فالف بين قلوبكم الاية وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطب الانصار في شان غنائم حنين قال لهم يا معشر الانصار
الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي وعالة فاغناكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي كلما قال شيا قالوا الله ورسوله امن ولهذا
قال ولكن الله الف بينهم انه عزيز اي عزيز الجناب لا يخيب رجاء من توكل عليه حكيم في افعاله واحكامه قيل ان اول ما يرفع من
الناس الالفة وقال ابن مسعود في قوله لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم نزلت في المتحابين في الله وقال ابن عباس
ان الرحم ليقطع وان النعمة لتكفر وان الله اذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شي ثم قرا هذه الاية وقال عبدة بن ابي لبابة عن مجاهد
اخذ بيدي فقال اذا تراءى المتحابان في الله فاخذ احدهما بيد صاحبه وضحك اليه تحاتت خطاياهما كما تحات ورق الشجر قال
عبدة فقلت له ان هذا ليسير فقال لا تقل ذلك فان الله تعالى يقول لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم فعرفت انه افقه
مني وعن سلمان الفارسي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المسلم اذا لقي اخاه المسلم فاخذ بيده تحاتت عنهما ذنوبهما كما يتحات
الورق من الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف رواه الطبراني وقوله حسبك الله اي كافيك الله وكافي من شهد معك من المؤمنين
قال ابن المسيب وابن جبير اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلث وثلثون رجلا وست نسوة فاسلم عمر بن الخطاب فتم به الاربعون
فنزلت هذه الاية اي حسبك الله ومتبعوك من المؤمنين **يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون
صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون
الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا
الفين باذن الله والله مع الصابرين** حرض تعالى نبيه عليه الصلوة والسلام والمؤمنين على القتال ومناجزة الاعداء
واخبرهم انه حسبهم اي كافيهم وناصرهم ومؤيدهم على عدوهم وان كثرت اعدادهم وقل عدد المؤمنين والحض الحث والاغراء
ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرض على القتال عند صفهم ومواجهة العدو كما قال لاصحابه يوم بدر حين دنوا قوموا
الى جنة عرضها السموات والارض فقال عمير بن الحمام بخ بخ فقال ما يحملك على قولك بخ بخ فقال رجاء ان اكون من اهلها قال
فانك من اهلها فتقدم الرجل فكسر جفن سيفه واخرج تمرات فجعل ياكل منهن ثم القى بقيتهن من يده وقال ان انا حييت حتى

وان يريدوا ان يخدعوك يمكروا بك ويغدروا

واتخذه وكيلا

احلفوا في محل من واكثر اهل التفسير محل حسبك عطفا على الكاف في قولك حسبك حسبك الله وحسب من اتبعك وقال بعضهم هو في محل رفع عطفا على اسم الله معناه حسبك الله ومتبعوك من المؤمنين

لان المشركين يقاتلون على غير احتساب ولا طلب ثواب ولا يثبتون اذا صدقتموهم القتال خشية ان يقتلوا

منكم

التحريض الحث على المبادرة الى القتال والصبر عليه

الكلهن انها حيوة طويلة ثم تقدم فقاتل حتى قتل ثم قال تعالى مبشرا للمؤمنين و آمرا ان يكن منكم عشرون الآية اي كل واحد في مقابل عشرة ثم نسخ هذا الامر و بقيت البشارة و ل ابن عباس لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين شق ذلك على المسلمين حين فرض ان لا يفر واحد من عشرة ثم جاء التخفيف فقال الآن خفف الله عنكم الى قوله يغلبوا مائتين قال فلما خفف الله عنهم من العدة و نقص من الصبر بقدر ما خفف عنكم و روى البخاري نحوه فان كان المسلمون على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم ان يفروا و ان كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم و ل ابن شبرمة و ارى الامر بالمعروف و النهي عن المنكر مثل هذا **ماكان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم** عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء الاسارى فقال ابو بكر يا رسول الله قومك و اهلك استبقهم و استأنهم لعل الله ان يتوب عليهم و قال عمر يا رسول الله كذبوك و اخرجوك فقدمهم و اضرب اعناقهم و ل ابن رواحة يا رسول الله انت في واد كثير الحطب فاضرم الوادي عليهم نارا ثم القهم فيها فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئا ثم قام فدخل فقال ناس ياخذ بقول ابي بكر و قال ناس ياخذ بقول عمر و قال ناس ياخذ بقول عبد الله بن رواحة ثم خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن و ان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة و ان مثلك يا ابا بكر كمثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك و ان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم و ان مثلك يا عمر مثل موسى قال ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم و ان مثلك يا ابن رواحة كمثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انتم عالة فلا ينفلتن احد الا بفداء او ضربة عنق فانزل الله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى الآية رواه احمد و الترمذي و صححه الحاكم و عن علي قال جاء جبرئيل الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاؤا القتل و ان شاؤا الفداء على ان يقتل عاما مقبلا منهم مثلهم قالوا الفداء و يقتل منا رواه الترمذي و النسائي و قوله حتى يثخن في الارض اي يبالغ في قتل المشركين و اسرهم تريدون ايها المؤمنون عرض الدنيا باخذكم الفداء و الله يريد الآخرة اي ثوابها بقهركم المشركين و نصركم دين الله و الله عزيز حكيم و كان الفداء لكل اسير اربعين اوقية و الاوقية اربعون درهما و قوله لولا كتاب من الله سبق اي لولا اني لا اعذب من عصاني حتى اتقدم اليه لمسكم فيما اخذتم من الفداء عذاب عظيم و قيل اي ما سبق لهم من المغفرة و قال ابن عباس اي سبق في ام الكتاب الاول ان المغانم و الاسارى حلال لكم لمسكم فيما اخذتم من الاسارى عذاب عظيم قال تعالى فكلوا مما غنمتم الآية و عليه كثير من الصحابة و من بعدهم و يؤيد هذا ما في الصحيحين عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر و جعلت لي الارض مسجدا و طهورا و احلت لي الغنائم و لم تحل لاحد قبلي و اعطيت الشفاعة و كان النبي يبعث الى قومه و بعثت الى الناس عامة و عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل فداء اهل الجاهلية يوم بدر اربعماية اي اربعماية دينارا من الذهب و قد استقر الحكم في الاسارى عند الجمهور ان الامام مخير فيهم ان شاء قتل كما فعل ببني قريظة و ان شاء فادى بمال كما فعل باسرى بدر و غيرهم و ان شاء استرق من اسر هذا مذهب الشافعي و موافقيه و في المسئلة خلاف منتشر لانه مقرر في كتب الفقه **يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم و يغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا خيانتك**

نزلت في العباس بن عبد المطلب وكان اسر يوم بدر وكان احد العشرة الذين ضمنوا الطعام اهل بدر وكان يوم بدر نوبته وكان خرج بعشرين اوقية من ذهب ليطعم بها الناس فاراد ان يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا وبقيت العشرون اوقية معه فاخذت منه في الحرب فكلم النبي صلى الله عليه وسلم ان يحسب العشرين اوقية من فدائه فابى وقال اما شيء خرجت تستعين به علينا فلا اتركه لك وكلف فداء بني اخيه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث فقال العباس يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال صلى الله عليه وسلم فاين الذهب

فقد خانوا الله

فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم و ل ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر اني قد عرفت ان ناسا من بني هاشم وغيرهم قد اخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم احدا منهم اي من بني هاشم فلا يقتله ومن لقي ابا البختري بن هشام فلا يقتله ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله فانه انما اخرج مستكرها فقال ابو حذيفة بن عتبة انقتل آباءنا و ابناءنا و اخواننا و عشائرنا و نترك العباس و الله لئن لقيته لالحمنه بالسيف فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعمر بن الخطاب يا ابا حفص قال عمر انه لاول يوم كناني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضرب وجه عم رسول الله بالسيف فقال عمر يا رسول الله ائذن لي فاضرب عنقه فوالله لقد نافق وكان ابو حذيفة يقول بعد ذلك و الله ما آمن من تلك الكلمة التي قلت ولا ازال منها خائفا الا ان يكفرها الله تعالى عني بشهادة فقتل يوم اليمامة شهيدا قال ولما امسى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر والاسارى محبوسون بالوثاق بات رسول الله صلى الله عليه وسلم ساهرا اول الليل فقيل له يا رسول الله ما لك لا تنام و قد اسر العباس رجل من الانصار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت انين العباس في وثاقه فاطلقوه فسكت فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم و ل ابن اسحق وكان اكثر الاسارى يوم بدر فداء العباس فذاك لانه كان رجلا موسرا فافتدى نفسه بمائة اوقية ذهب و امره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي نفسه و ابني اخويه نوفل بن الحرث بن عبد المطلب و عقيل ابن ابي طالب وحليفه عتبة بن عمرو فاخذ ذلك منه و ل ابن عباس قل لمن في ايديكم من الاسارى هم عباس و اصحابه قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم آمنا بما جئت به و نشهد انك رسول الله لننصحن لك على قومنا فانزل الله ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا و تصديقا يخلف لكم خيرا مما اخذ منكم و يغفر الشرك الذي كنتم عليه فكان العباس يقول ما احب ان هذه الآية لم تنزل فينا و ان لي الدنيا لقد قال يؤتكم خيرا مما اخذ منكم فقد اعطاني خيرا مما اخذ مني مائة ضعف و قال يغفر لكم و ارجو ان يكون قد غفر لي و ل قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه مال البحرين ثمانون الفا و قد توضأ لصلوة الظهر فما احرم يومئذ سائلا و ما صلى يومئذ حتى فرقه فامر العباس ان ياخذ منه و يحتثي فكان العباس يقول هذا خير مما اخذ منا و ارجو المغفرة و عن انس بن مالك قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين فقال انثروه في المسجد قال وكان اكثر مال اتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى الصلوة و لم يلتفت اليه فلما قضى الصلوة جاء فجلس اليه فما كان يرى احدا الا اعطاه اذ جاءه العباس فقال يا رسول الله اعطني فاني فاديت نفسي و فاديت عقيلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ فحثى في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال مر بعضهم يرفعه الي قال لا قال فارفعه انت علي قال لا فنثر منه ثم احتمله على كاهله ثم انطلق فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره حتى خفي عنه عجبا من حرصه فما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم و ثم منها درهم رواه البخاري و قوله و ان يريدوا خيانتك اي فيما اظهروا لك من القول فقد خانوا الله من قبل اي من قبل بدر بالكفر به فامكن منهم اي بالاسار يوم بدر و الله عليم بما يفعله حكيم فيه و ل قتادة نزلت في ابن ابي السرح الكاتب حين ارتد و لحق بالمشركين و فسرها السدي على العموم و هو اشمل و اظهر و الله اعلم **ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير** ذكر تعالى اصناف المؤمنين و قسمهم الى مهاجرين خرجوا من ديارهم و اموالهم و جاؤا لنصر الله و رسوله و اقامة دينه و بذلوا اموالهم و انفسهم في ذلك و الى انصار و هم المسلمون من اهل المدينة اذ ذاك آووا اخوانهم المهاجرين في منازلهم و واسوهم في اموالهم

اقول حمله ورفعه قال الله اذا اقلت سحابا ثقالا

وتصروا الله ورسوله بالقتال معهم فهؤلاء بعضهم اولياء بعض اى كل منهم احق بالآخر من كل احد ولهذا آخا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار كل اثنين اخوان وكانوا يتوارثون بذلك ارثا مقدما على القرابة حتى نسخ الله ذلك بالمواريث ثبت ذلك في صحيح البخاري ورواه جماعة من ائمة التابعين وغيرهم وعن جرير البجلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والانصار بعضهم اولياء بعض والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم اولياء بعض الى يوم القيمة رواه احمد وقد اثنى الله على المهاجرين والانصار في غير ما آية من كتابه كما يجئ في مواضعها وقوله والذين آمنوا ولم يهاجروا هذا هو الصنف الثالث من المهاجرين وهم الذين آمنوا ولم يهاجروا بل اقاموا في بلادهم فهؤلاء ليس لهم في المغانم نصيب ولا في خمسها الا ما حضروا فيه القتال كما رواه بريدة بن الحصيب الاسلمي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث اميرا على سرية او جيش اوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا وقال اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى احدى ثلث خصال او خلال فايتهن ما اجابوك اليها فاقبل منهم وكف عنهم ادعهم الى الاسلام فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين واعلمهم ان فعلوا ذلك ان لهم ما للمهاجرين وان عليهم ما على المهاجرين فان ابوا واختاروا دارهم فاعلمهم انهم يكونون كاعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الفيء والغنيمة نصيب الا ان يجاهدوا مع المسلمين فان هم ابوا فادعهم الى اعطاء الجزية فان اجابوا فاقبل منهم وكف عنهم فان هم ابوا فاستعن بالله ثم قاتلهم رواه مسلم مع زوائد وهذا السياق لاحمد وقوله وان استنصروكم اي وان استنصركم هؤلاء الاعراب الذين لم يهاجروا في قتال ديني على عدو لهم فانصروهم فانه واجب عليكم نصرهم لانهم اخوانكم في الدين الا ان استنصروكم على قوم من الكفار بينكم وبينهم ميثاق اي مهادنة الى مدة فلا تخفروا ذمتكم ولا تنقضوا ايمانكم مع الذين عاهدتم قاله ابن عباس **والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير** لما ذكر تعالى ان المؤمنين بعضهم اولياء بعض قطع الموالاة بينهم وبين الكفار فان بعضهم اولياء بعض في العون والنصرة والميراث كما روى اسامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يتوارث اهل ملتين شتى لا يرث مسلم كافرا ولا كافر مسلما ثم قرأ والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الآية رواه الحاكم وصححه وروى ابو داود والترمذي نحوه عن جابر وعنه انه عليه الصلوة والسلام قال انا بريء من كل مسلم مقيم بين اظهر المشركين قالوا يا رسول الله لم قال لا تتراءى ناراهما رواه ابو داود وقوله الا تفعلوه اي الا تأخذوا بما امرتكم به تكن فتنة في الارض وهي قوة الكفر والفجور وفساد كبير هو ضعف الاسلام يعني ان لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين والا وقعت الفتنة في الناس وهو التباس الامر واختلاط المؤمن بالكافر وانتشار فساد عريض **والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم** لما ذكر تعالى حكم المؤمنين في الدنيا عطف عليه بذكر ما لهم في العقبى فاخبر عنهم بحقيقة الايمان كما سبق في اول السورة وانه سيجازيهم بالعفو والغفر وبالرزق الكريم وهو الحسن الطيب الشريف الدائم الجسيم لا ينقطع ولا ينقضي ولا يسأم ولا يمل لحسنه وتنوعه ثم ذكر ان اتباعهم في الدنيا على ما كانوا عليه من الايمان والعمل الصالح فهم معهم في الآخرة كما قال تعالى والذين اتبعوهم باحسان الآية وفي الحديث الصحيح المتفق عليه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المرء مع من احب وقوله حقا اي لا مرية ولا ريب في ايمانهم واما قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله اي في حكم الله وليس المراد

والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم كقوله في المسلمين اولئك بعضهم اولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا اقارب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا كشاف

ان لا تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا

الا انهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ من الاهل والمال لاجل الدين كشاف

اولى بالميراث

مما تقرر في علم الفرائض من انهم لا فرض لهم ولا عصبة بل يدلون بوارث بل الحق ان الآية عامة تشمل جميع القرابات من ذوي الفروض والعصبات وذوي الارحام كما نص عليه ابن عباس وكثيرون انها ناسخة للارث بالحلف والاخاء الذي كانوا يتوارثون به اولا وعلى هذا تشمل ذوي الارحام بالاسم الخاص **تفسير سورة التوبة وهي مدنية** قال مقاتل الا آيتين من آخر السورة عن البراء قال آخر سورة نزلت براءة وانما لم يبسمل في اولها لان الصحابة لم يكتبوا البسملة في اولها في المصحف الامام رواه البخاري والاقتداء في ذلك بامير المؤمنين عثمن رضي الله عنه كما قال ابن عباس قلت لعثمن ما حملكم ان عمدتم الى الانفال وهي من المثاني والى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطول ما حملكم على ذلك فقال عثمن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد وكان اذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا واذا نزلت عليه الآية قال ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال من اول ما نزلت بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها وحسبت انها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها فمن اجل ذلك قرنت بينهما ولم اكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فوضعتها في السبع الطول رواه احمد وابو داود والترمذي والنسائي وصححه الحاكم واول هذه السورة الكريمة نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك وهم بالحج ثم ذكر ان المشركين يحضرون الموسم على عادتهم في ذلك وانهم يطوفون بالبيت عراة فكره مخالطتهم فبعث ابا بكر الصديق رضي الله عنه اميرا على الحج هذه السنة ليقيم للناس مناسكهم ويعلم المشركين ان لا يحجوا بعد عامهم هذا وان ينادي في الناس ببراءة ثم اتبعه بعلي بن ابي طالب رضي الله عنه ليكون مبلغا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونه عصبة له كما سيأتي بيانه **براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين** فقوله براءة من الله اي هذه براءة اي تبرؤ من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين قيل هم ذووا العهود المطلقة دون المؤقتة او له عهد دون اربعة اشهر فيكمل له اربعة اشهر فاما من كان له عهد مؤقت فاجله الى مدته مهما كان لقوله فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى مدته وهذا احسن واقوى وهو اختيار ابن جرير وقال ابن عباس حد الله للذين عاهدوا رسوله اربعة اشهر يسيحون فيها حيثما شاؤا واجل اجل من ليس له عهد انسلاخ الاشهر الحرم من يوم النحر الى آخر المحرم خمسين ليلة فاذا انسلخ الاشهر الحرم امره بان يضع السيف فيمن لم يكن بينه وبينه عهد يقتلهم حتى يدخلوا في الاسلام وامر من كان له عهد اذا انسلخ اربعة اشهر من يوم النحر الى عشر يخلون من ربيع الآخر ان يضع فيهم السيف حتى يدخلوا في الاسلام وقوله غير معجزي الله اي غير فائتين ولا سابقين والخزي الذل بالقتل في الدنيا والعذاب في الآخرة وقال الزهري كان ابتداء التاجيل من شوال وآخره سلخ المحرم وهذا غريب وكيف يحاسبون بمدة لم يبلغهم حكمها وانما ظهر لهم امرها يوم النحر حين نادى الصحابة بذلك ولهذا قال تعالى **واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين** اي واعلام من الله ورسوله وتقدم وانذار الى الناس يوم الحج الاكبر وهو يوم النحر الذي هو افضل ايام المناسك واظهرها واكبرها جمعا ان الله بريء من المشركين ورسوله اي بريء منهم ايضا ثم دعاهم الى التوبة فقال فان تبتم

سورة التوبة

براءة خبر مبتدأ محذوف اي هذه براءة ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان تكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار كشاف

وان الله مخزي الكافرين

يوم النحر

اى مما انتم فيه من الشرك و الضلال فهو خير لكم و ان توليتم اى استمررتم على ما انتم عليه فاعلموا انكم غير معجزى الله بل هو قادر عليكم
و انتم فى قبضته و تحت قهره و مشيئته و بشر الذين كفروا بعذاب اليم اى فى الدنيا بالخزى و النكال و فى الآخرة بالمقامع و الاغلال
و عن ابى هريرة قال بعثنى ابو بكر فيمن يؤذن يوم النحر بمنى ان لا يحج بعد العام مشرك و لا يطوف بالبيت عريان ثم اردف النبى صلى
الله عليه و سلم بعلى بن ابى طالب فامره ان يؤذن ببراءة قال فاذن معنا على فى اهل منى يوم النحر ببراءة و لا يحج بعد العام مشرك و لا
يطوف بالبيت عريان و يوم الحج الاكبر يوم النحر و انما قيل الاكبر من اجل قول الناس الحج الاصغر فنبذ ابو بكر الى الناس فى
ذلك العام فلم يحج عام حجة الوداع الذى فيه حج رسول الله صلى الله عليه و سلم مشرك رواه البخارى و هذا لفظه و عن انس ان
رسول الله صلى الله عليه و سلم بعث ببراءة مع ابى بكر فلما بلغ ذا الحليفة قال لا يبلغها الا انا او رجل من اهل بيتى فبعث بها
مع على رضى الله عنهما رواه احمد و الترمذى و عن بعض الصحابة و التابعين يوم الحج الاكبر هو يوم عرفة و عن آخرين منهم هو يوم
النحر و سئل على عن يوم الحج الاكبر قال هو يومك هذا و عن ابن عباس و عبد الله بن ابى اوفى مثله و قال المغيرة بن
شعبة يوم الاضحى هذا يوم الاضحى هذا و هذا يوم النحر و هذا يوم الحج الاكبر و عليه الجمهور و عن ابن عمر قال وقف رسول الله صلى الله
عليه و سلم يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر رواه ابن جرير و ابن ابى حاتم و عن عمرو بن الاحوص قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول فى حجة الوداع اى يوم هذا قالوا يوم الحج الاكبر الحديث رواه الترمذى و صححه و سئل ابن سيرين
عن يوم الحج الاكبر قال كان يوما وافق فيه حج رسول الله صلى الله عليه و سلم و قوله الا الذين عاهدتم استثناء من ضرب مدة
التاجيل باربعة اشهر لمن له عهد مطلق ليس بموقت فاجله اربعة اشهر يسيح فى الارض يذهب فيها لينجو بنفسه حيث شاء
الا من له عهد موقت فاجله الى مدته المضروبة التى عوهد عليها كما سبق و من كان له عهد مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فعهده
الى مدته و ذلك بشرط ان لا ينقض المعاهد عهده و لم يظاهر على المسلمين احدا اى تمالئ عليهم من سواهم فهذا الذى يوفى له بذمته
يعنى ان قضية التقوى ان لا يسوى بين [illegible]
و عهده الى مدته و لهذا حرض تعالى على الوفاء بذلك فقال ان الله يحب المتقين اى الموفين بعهدهم **فاذا انسلخ الاشهر الحرم**
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا
و اقاموا الصلوة و آتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم اختلفوا فى الاشهر الحرم ههنا ما هى
فالاوجه انها الاربعة المذكورة فى قوله تعالى منها اربعة حرم فلا تظلموا فيهن انفسكم الآية و به قال محمد الباقر قال ابن جرير
رجب و ذو القعدة و ذو الحجة و المحرم
آخر الاشهر الحرم فى حقهم المحرم و هو محكى عن ابن عباس و الظاهر من حيث السياق ما رواه العوفى عن ابن عباس ان المراد بها
اشهر التسيير الاربعة المنصوص عليها فى قوله فسيحوا فى الارض اربعة اشهر ثم قال فاذا انسلخ الاشهر الحرم اى اذا انقضت الاشهر التى
حرمنا فيها عليكم قتالهم و اجلناهم فيها فحيثما وجدتموهم فاقتلوهم لان عود العهد على مذكور اولى من مقدر ثم ان الاشهر
الاربعة المحرمة سياتى بيان حكمها فى آية اخرى بعد هذا فى هذه السورة و قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم اى من الارض و هذا
عام مخصص بتحريم القتال فى الحرم بقوله و لا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم و قوله و خذوهم
اى و اسروهم ان شئتم قتلا و ان شئتم اسرا و قوله و احصروهم اى لا تكتفوا بمجرد وجدانكم لهم بل اقصدوهم بالحصار فى معاقلهم
و حصونهم و الرصد فى طرقهم و مسالكهم حتى تضيقوا عليهم الواسع و تضطروهم الى القتل او الاسلام و لهذا قال فان تابوا و اقاموا
الصلوة الى آخره و لهذا اعتمد الصديق رضى الله عنه فى قتال مانعى الزكوة على هذه الآية و امثالها حيث حرمت قتالهم بشرط هذه
الافعال و هى الدخول فى الاسلام و الانقياد باداء واجباته و نبه باعلاها على ادناها فان اشرف الاركان بعد الشهادة الصلوة

اللام

فان قلت مم استثنى قوله الا الذين عاهدتم قلت
وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا فى الارض لان الكلام
خطاب للمسلمين و معناه براءة من الله و رسوله الى الذين
عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم
منهم ثم لم ينقضوا فاتموا اليهم عهدهم و الاستثناء بمعنى
الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا فى الناكثين و
لكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم و لا تجروهم
مجرى الذين نقضوا و لا تجعلوا
الوفى كالغادر

و اقعدوا لهم كل مرصد
كل ممر و مجتاز ترصدونهم به [illegible]

و آتوا الزكوة

فخلوا سبيلهم
[illegible] او فكفوا عنهم و لا تتعرضوا لهم

[illegible]

التى هى

التى هى حق الله تعالى و بعدها اداء الزكوة التى هى نفع الفقراء و المحاويج و هى اشرف الافعال المتعلقة بالمخلوقين و لهذا كثيرا ما
يقرن الله بين الصلوة و الزكوة و قد جاء فى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه و سلم انه قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله
الا الله و يقيموا الصلوة و يؤتوا الزكوة قال عبد الرحمن بن زيد ابى الله ان يقبل الصلوة الا بالزكوة و قال يرحم الله ابا بكر ما كان
افقهه و هذه الآية آية السيف التى قال فيها الضحاك انها نسخت كل عهد بين النبى صلى الله عليه و سلم و بين كل احد من المشركين و كل
عقد و قال ابن عباس لم يبق لاحد من المشركين عهد و لا ذمة منذ نزلت براءة امره الله ان يضع السيف فيمن عاهد ان لم يدخلوا فى الاسلام
و قال على كرم الله وجهه بعث النبى صلى الله عليه و سلم باربعة اسياف سيف فى المشركين من العرب قال تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
هكذا روى مختصرا و قيل السيف الثانى قتال اهل الكتاب فى قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر الى قوله و هم صاغرون
و السيف الثالث قتال المنافقين فى قوله يا ايها النبى جاهد الكفار و المنافقين و الرابع قتال الباغين فى قوله و ان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا الى قوله الى امر الله ثم اختلفوا فى آية السيف قال الضحاك و السدى هى منسوخة بقوله فاما منا بعد و اما فداء
و قال قتادة بالعكس **وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مامنه ذلك بانهم**
قوم لا يعلمون اى استامنك احد من الذين امرتك بقتالهم و احللت لك استباحة نفوسهم فاجبه الى مطلوبه حتى يسمع القرآن
تقراه عليه و تذكر له شيئا من امور الدين و تقيم عليه حجة الله ثم ابلغه مامنه اى و هو آمن مستمر الامان حتى يرجع الى بلاده و داره
بعد ذلك داره التى يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت
و مامنه و ذلك بانهم قوم لا يعلمون اى انما شرعنا امان مثل هؤلاء ليعلموا دين الله و تنتشر دعوة الله فى عباده و لهذا كان رسول الله
صلى الله عليه و سلم يعطى الامان لمن جاءه مسترشدا او فى رسالة كما جاءه يوم الحديبية جماعة من الرسل من قريش واحدا بعد واحد
يترددون فى القضية بينه و بين المشركين فراوا من اعظام المسلمين رسول الله صلى الله عليه و سلم ما بهرهم و ما لم يشاهدوه عند قيصر
و لا كسرى فرجعوا الى قومهم فاخبروهم بذلك و كان ذلك و امثاله من اكبر اسباب هداية اكثرهم و الغرض ان من قدم من
دار الحرب الى دار الاسلام فى اداء رسالة او طلب صلح او تجارة و نحوه فطلب من الامام الامان ما دام مترددا حتى يرجع الى مامنه
و وطنه و لا يمكن من الاقامة فيها اكثر من اربعة اشهر على القول المختار **كيف يكون للمشركين عهد عند الله و عند رسوله**
الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين بين الله حكمته فى
البراءة من المشركين و مهلته اياهم اربعة اشهر ثم بعد ذلك السيف القاطع حيث ثقفوا فقال كيف يكون للمشركين عهد و امان
و يتركون فيما هم فيه و هم مشركون بالله كافرون به و برسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام يعنى يوم الحديبية فما استقاموا لكم اى
و لم يظهر منهم نكث فتربصوا [illegible]
مهما عاقدتموهم عليه و عاهدتموهم من ترك الحرب بينكم و بينهم عشر سنين فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين و قد فعل رسول الله
يعنى ان التربص بهم من اعمال المتقين
صلى الله عليه و سلم ذلك و المسلمون استمر بينهم العقد و الهدنة مع اهل مكة من ذى القعدة سنة ست الى ان نقضت قريش العهد و
مالوا حلفاءهم و هم بنو بكر على خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه و سلم فقتلوهم معهم فى الحرم ايضا فعند ذلك غزاهم رسول الله
صلى الله عليه و سلم فى رمضان سنة ثمان ففتح الله عليه البلد الحرام و مكنه من نواصيهم و لله الحمد و المنة فاطلق من اسلم بعد القهر
و الغلبة عليهم فسموا الطلقاء و كانوا قريبا من الفين و من استمر على كفره و فر من رسول الله صلى الله عليه و سلم بعث اليه بالامان
و التسيير اربعة اشهر يذهب حيث شاء منهم صفوان بن امية و عكرمة بن ابى جهل و غيرهما ثم هداهم الله بعد ذلك الى الاسلام
التام و الله المحمود على كل حال **كيف و ان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا و لا ذمة يرضونكم بافواههم و تابى قلوبهم و اكثرهم**

احد مرتفع بفعل الشرط مضمر يفسره الظاهر تقديره
و ان استجارك احد استجارك و لا يرتفع بالابتداء
لان ان من عوامل الفعل لا تدخل على غيره و المعنى
و ان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر
لا عهد بينك و بينه و لا ميثاق فاستامنك
ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد و القرآن و يتبين
ما بعثت له فامنه
كشاف

كيف استفهام فى معنى الانكار و الاستبعاد
لان يكون للمشركين عهد عند الله و رسوله
و هم اضداد و غرة صدورهم يعنى
محال ان يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا
فى ذلك و لا تحدثوا به نفوسكم و لا تفكروا
فى قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله الا الذين
عاهدتم
كشاف

كلام مبتدأ فى وصف
حالهم من مخالفة الظاهر
الباطن مقررا لاستبعاد
الثبات منهم على العهد

لا يرقبوا لا يراعوا حلفا

كيف تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد اى كيف يكون
لهم عهد و حالهم انهم ان يظهروا عليكم
بعد ما سبق لهم من تاكيد الايمان و المواثيق لم ينظروا فى
حلف و لا عهد و لم يبقوا عليكم

هذا تحريض للمؤمنين على معادات المشركين والتبري منهم وتبين انهم لا يستحقون ان يكون لهم عهد لشركهم بالله تعالى وكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ولانهم لو ظهروا على المسلمين وادیلوا عليهم لم يبقوا ولا يذروا ولا راقبوا فيهم الا ولا ذمة قال ابن عباس وغير واحد الال القرابة والذمة العهد كما قال ابن مقبل: افسد الناس خلوف خلفوا: قطعوا الال واعراق الرحم وقال حسان بن ثابت: وجدناهم كاذبا الهم: وذو الال والعهد لا يكذب: وقال مجاهد الا اي الله اي لا يرقبون الله ولا غيره والاول اظهر واشهر وعليه الاكثر وقيل الال العهد وقال قتادة الال الحلف اشتروا بايات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين ونفصل الايات لقوم يعلمون ذم الله المشركين وحث المؤمنين على قتالهم بقوله اشتروا بايات الله اي اعتاضوا عن ايات الله بما التهوا به من امور الدنيا الخسيسة فصدوا عن سبيله اي منعوا المؤمنين من اتباع الحق انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون الاية سبق تفسيره قريبا واولئك هم المعتدون اي بنقض العهد وكذا تفسير قوله فان تابوا الاية يعني فان خلعوا الاوثان وعبادتها واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم فانهم اخوانكم في الدين وقال ابن مسعود فمن لم يزك فلا صلوة له وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الدنيا على الاخلاص لله وعبادته لا شريك له واقام الصلوة واتى الزكوة فارقها والله عنه راض رواه ابو بكر البزار ونفصل اي نبين الايات لقوم يعلمون حرمت هذه الاية دماء اهل القبلة قاله ابن عباس وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون اي وان نكث هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم على مدة معينة ايمانهم اي عهودهم ومواثيقهم وطعنوا في دينكم اي عابوه وانتقصوه ومن ههنا اخذ قتل من سب الرسول عليه الصلوة والسلام او طعن في دين الاسلام او ذكره بتنقص ولهذا قال فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم اي لا عهود لهم ولا وفاء لهم بها لعلهم ينتهون اي لكي يرجعوا عما هم فيه من الكفر والعناد وهذه الاية وان كان سببها في قطاع مشركي قريش فهي عامة لهم ولغيرهم وقال حذيفة ما قوتل اهل هذه الاية بعد الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم هذا ايضا تهييج واغراء على قتال المشركين الناكثين لايمانهم الذين هموا باخراج الرسول من مكة كما قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الاية وقوله يخرجون الرسول واياكم وقوله وهم بدؤكم اول مرة قيل المراد بذلك يوم بدر حين خرجوا لنصر عيرهم فلما نجت وعلموا بذلك استمروا على وجههم طلبا للقتال بغيا وتكبرا كما سبق وقيل المراد نقضهم العهد وقتالهم مع حلفائهم بني بكر لخزاعة احلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سار اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح وكان ما كان ولله الحمد وقوله اتخشونهم اي لا تخشوهم واخشوني فانا اهل ان تخشى العباد من سطوتي وعقوبتي فبيدي الامر ما شئت كان وما لم اشا لم يكن ثم قال عزيمة على المؤمنين وبيانا لحكمته فيما شرع لهم من الجهاد قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم هذا عام في المؤمنين كلهم ويشف صدور قوم مؤمنين قال مجاهد وعكرمة يعني خزاعة والغيظ في قلوبهم عائد الى القوم وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غضبت اخذ بانفها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات الفتن رواه ابن عساكر ويتوب الله على من يشاء

عدلوا عنه وصدوا غيرهم

القرآن والاسلام

عن الكفر

حين تشاوروا في امره بدار الندوة

[illegible]

فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين [illegible]

اي من عباده

اي من عباده والله عليم بما يصلح عباده حكيم في افعاله واقواله فيفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون اي احسبتم ايها المؤمنون ان نترككم مهملين لا نختبركم بامور يظهر فيها اهل العزم الصادق من الكاذب ولهذا قال ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة اي بطانة ودخيلة بل هم في الظاهر والباطن على النصح لله ولرسوله فاكتفى باحد القسمين على الاخر كما قال الشاعر: وما ادري اذا يممت ارضا: اريد الخير ايهما يليني: وقال في الاية الاخرى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة الاية والحاصل انه تعالى لما شرع الجهاد لعباده بين ان له فيه حكمة وهو اختبار عبيده من يطيعه ممن يعصيه وهو تعالى العالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون فيعلم الشيء قبل كونه ومع كونه على ما هو عليه لا اله الا هو ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة واتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين يعني ما ينبغي للمشركين بالله ان يعمروا مساجد الله التي بنيت باسمه وحده لا شريك له ومن قرا مسجد الله فاراد به المسجد الحرام اشرف المساجد في الارض بني من اول يوم على عبادة الله وحده واسسه خليل الرحمن عليه السلام هذا وهم شاهدون على انفسهم بالكفر اي بحالهم وقالهم كما قال السدي لو سالت النصراني ما دينك لقال نصراني واليهودي ما دينك لقال يهودي والصابي فقال صابي والمشرك لقال مشرك اولئك حبطت اعمالهم اي بشركهم وفي النار هم خالدون فشهد الله تعالى بالايمان لعمار المساجد كما روى ابو سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان قال الله تعالى انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر رواه احمد والترمذي وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمار المساجد هم اهل الله رواه عبد بن حميد في مسنده وعن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم ياخذ الشاة القاصية والناحية فاياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمساجد رواه احمد وقوله واقام الصلوة اي التي هي اكبر عبادات البدن واتى الزكوة اي التي هي افضل الاعمال المتعدية الى الخلائق ولم يخش الا الله اي ومن لم يخف الا من الله تعالى ولم يخش سواه فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين قال ابن عباس اي ان اولئك هم المفلحون وان عسى من الله يعني الجزم والتحقق والوجوب اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين قال ابن عباس ان المشركين قالوا عمارة بيت المقدس والقيام على السقاية خير ممن امن وجاهد وكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون به من اجل انهم اهله وعماره فذكر الله استكبارهم واعراضهم فقال لهم قد كانت اياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون يعني انهم كانوا يستكبرون في الحرم سامرين به ويهجرون القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم فخير الله الايمان والجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم على عمارة المشركين البيت وقيامهم على السقاية ولم يك ينفعهم عند الله مع الشرك به وان كانوا يعمرون بيته ويخدمونه قال الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين يعني الذين زعموا انهم اهل العمارة فسماهم الله ظالمين بشركهم فلم يغن عنهم العمارة شيئا وقال محمد بن كعب القرظي افتخر طلحة بن شيبة وعباس وعلي بن ابي طالب فقال طلحة انا صاحب البيت معي مفتاحه ولو اشاء بت فيه وقال العباس انا صاحب السقاية والقيام عليه ولو اشاء بت في المسجد فقال علي ما ادري ما تقولان لقد صليت الى القبلة ستة اشهر قبل الناس وانا صاحب الجهاد فانزل الله هذه الاية كلها رواه ابن جرير وعن السدي نحوه وعن النعمان بن بشير الانصاري قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من

ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقولك ما علم الله مني ما قيل اي ما وجد ذلك مني كشاف

شاهدين حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم بالكفر ظهور كفرهم وانهم نصبوا اصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد اصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا شوطا سجدوا لها كشاف

والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة [illegible]

[illegible]

اصحابه فقال رجل منهم ما ابالي ان لا اعمل لله عملا بعد الاسلام الا ان اسقي الحاج وقال آخر بل عمارة المسجد الحرام وقال آخر
بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم
الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيته فيما اختلفتم فيه قال ففعل فانزل الله اجعلتم
سقاية الحاج الآية رواه مسلم وابو داود والسياق له الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم
وانفسهم اعظم درجة واولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات
لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم الدرجة ههنا الفضيلة اي هم اعظم فضيلة وثوابا عند الله
من الذين افتخروا بعمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج واولئك هم الفائزون اي بجنة الخلد والنعيم المقيم الناجون عن نار الجحيم ولهذا
قال في ثنائهم يبشرهم ربهم برحمة منه الآية والاجر العظيم ههنا هو اعلى درجات الجنان يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم
واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون قل ان كان آباؤكم
وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها
احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين امر
تعالى بالاستبعاد عن الكفار ونهى عن موالاتهم وان كانوا آباء او ابناء ان استحبوا اي اختاروا الكفر على الايمان وتوعد على ذلك كما قال تعالى
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الآية ثم امر تعالى رسوله ان يتوعد من آثر اهله وقرابته وعشيرته على الله وعلى رسوله وجهاد
في سبيله فقال قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها اي اكتسبتموها وحصلتموها وتجارة
تخشون كسادها ومساكن ترضونها اي تحبونها لطيبها وحسنها اي ان كانت هذه الاشياء احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في
سبيله فتربصوا اي فانتظروا ماذا يحل بكم من عقابه ونكاله ولهذا قال حتى ياتي الله بامره اي بعقابه وهذا امر تهديد والله لا يهدي
اي لا يوفق ولا يرشد القوم الفاسقين اي الخارجين عن الطاعة وعن عبد الله بن هشام قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال والله لانت يا رسول الله احب الي من كل شيء الا من نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم
حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر فانت الآن والله احب الي من نفسي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر رواه
البخاري واحمد وقد ثبت في الصحيحين عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده
وولده والناس اجمعين لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت
عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله وانزل جنودا لم تروها وعذب
الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم قال مجاهد هذه اول آية
نزلت من سورة براءة يذكر الله للمؤمنين فضله عليهم واحسانه اليهم ونصره اياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وان ذلك من عنده تعالى وبتاييده وتقديره لا بعددهم وعددهم ونبههم على ان النصر من عنده سواء قل الجمع او كثر فان يوم حنين
اعجبتهم كثرتهم ومع هذا ما اغنى ذلك عنهم من الله شيئا فولوا مدبرين الا القليل منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انزل نصره
وتاييده على رسوله وعلى المؤمنين الذين معه كما سنبينه ان شاء الله ليعلموا ان النصر من عنده وحده وبامداده وان قل الجمع فكم من
فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الصحابة اربعة وخير
السرايا اربعمائة وخير الجيوش اربعة آلاف ولن يغلب اثنا عشر الفا من قلة رواه احمد وابو داود والترمذي وقد كانت وقعة حنين بعد

عند الله

[illegible]

وعلى المؤمنين

[illegible]

فتح مكة في شوال سنة ثمان من الهجرة وذلك لما فرغ عليه الصلوة والسلام من فتح مكة وتمهدت امورها واسلم عامة اهلها و
اطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان هوازن قد جمعوا له ليقاتلوه واميرهم مالك بن عوف النضري ومعهم الجموع
والنساء والولدان والشاء والنعم وجاؤا بجمعهم فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في جيشه الذين جاؤا معه
للفتح وهو عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وقبائل العرب ومعه الذين اسلموا من اهل مكة وهم الطلقاء في الفين ايضا
فسار بهم الى العدو فالتقوا بواد بين مكة والطائف يقال له حنين وكانت فيه الوقعة في اول النهار في غلس
الصبح انحدروا في الوادي وقد كمنت فيه هوازن فلما توجهوا لم يشعر المسلمون الا وهم قد بادروهم ورشقوا بالنبال واخترطوا
بالسيوف وحملوا حملة رجل واحد كما امرهم اميرهم فعند ذلك ولى المسلمون مدبرين وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
راكب يومئذ بغلته الشهباء يسوقها الى نحر العدو والعباس عمه آخذ بركابها الايمن وابو سفين بن الحرث بن عبد المطلب
آخذ بركابها الايسر يثقلانها لئلا تسرع السير وهو يقول اين يا عباد الله الي انا رسول الله ويقول في تلك انا النبي لا كذب
انا ابن عبد المطلب وثبت معه من اصحابه قريب من مائة ومنهم من قال ثمانون فمنهم ابو بكر وعمر وعلي والعباس وابنه فضل
وابو سفين بن الحرث بن عبد المطلب وايمن بن ام ايمن واسامة بن زيد رضي الله عنهم ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه
العباس وكان جهير الصوت بان ينادي باعلى صوته يا اصحاب الشجرة يعني شجرة بيعة الرضوان التي بايعه المسلمون تحتها
على ان لا يفروا عنه فجعل ينادي بهم يا اصحاب السمرة وتارة يا اصحاب سورة البقرة فجعلوا يقولون يا لبيك يا لبيك وانعطف
الناس فتراجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ان الرجل منهم اذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع لبس درعه ثم انحدر عنه و
ارسله ورجع بنفسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رجعت شرذمة منهم امرهم عليه الصلوة والسلام ان يصدقوا الحملة
واخذ قبضة من التراب بعد ما دعا ربه واستنصره فقال اللهم انجز لي ما وعدتني ثم رمى القوم بها فما بقي انسان منهم
الا اصابه منها في عينيه وفمه ما شغله عن القتال ثم انهزموا واتبع المسلمون اقفاءهم يقتلون ويأسرون وما تراجع بقية
الناس الا والاسارى مكتوفة مجندلة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيحين عن البراء بن عازب انه قال له رجل
يا ابا عمارة افررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ان هوازن كانوا
قوما رماة فلما لقيناهم وحملنا عليهم انهزموا فاقبل الناس على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فانهزم الناس فلقد رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو سفين بن الحرث آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء وهو يقول انا النبي لا كذب
انا ابن عبد المطلب وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة في مثل هذا اليوم في حومة الوغى وقد انكشف جيشه وهو مع
ذلك ايضا يركضها الى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه فهذا كله الا ثقة بالله وتوكلا عليه ولهذا قال تعالى
ثم انزل الله سكينته اي طمانينته وثباته على رسوله وعلى المؤمنين اي الذين معه وانزل جنودا لم تروها وهم الملائكة كما روى
ابو جعفر بن جرير باسناده ان رجلا كان في المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين
لم يقوموا لنا حلب شاة قال فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم في آثارهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا
وركبوا اكتافنا فكانت اياها وعن جبير بن مطعم قال لما كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين والناس يقتتلون
اذ نظرت الى مثل البجاد الاسود يهوي من السماء حتى وقع بيننا وبين القوم فاذا نمل منثور قد ملأ الوادي فلم يكن الا هزيمة

ما اصحاب البقرة
قيل اراد المذكورين في قوله آمن الرسول بما
انزل اليه من ربه والمؤمنون وقيل اراد الذين
نزل عليهم سورة البقرة ٢

[illegible]

القوم فما كانت الا انها الملائكة رواه ابو اسحق و سئل يزيد بن عامر وكان مع المشركين يوم حنين ثم اسلم عن الرعب الذي القى
الله في قلوب المشركين يوم حنين وكان ياخذ الحصا فيرمي بها في الطست فيطن فيقول كنا نجد في اجوافنا مثل هذا وعن
ابي هريرة انه عليه الصلوة والسلام قال نصرت بالرعب و اوتيت جوامع الكلم رواه مسلم و قال تعالى وعذب الذين كفروا اي
بالقتل والاسر وسبي الاهل والعيال وسلب الاموال وقوله ثم يتوب الله على من يشاء وقد تاب الله تعالى على بقية هوازن واسلموا
وقدموا عليه مسلمين ولحقوه وقد قارب مكة عند الجعرانة وذلك بعد الوقعة بقريب من عشرين يوما فعند ذلك خيرهم
بين سبيهم وبين اموالهم فاختاروا سبيهم وكانوا ستة الاف اسير من بين صبي وامراة فرده عليهم وقسم اموالهم بين الغانمين
ونفل اناسا من الطلقاء ليتالف قلوبهم على الاسلام فاعطاهم مائة مائة من الابل وكان من جملة من اعطي مائة مالك بن
عوف النضري واستعمله على قومه كما كان فامتدحه بقصيدته التي فيها: ما ان رايت ولا سمعت بمثله ∴ في الناس كلهم بمثل محمد
اوفى واعطى للجزيل اذا اجتدي ∴ ومتى تشا يخبرك عما في غد ∴ واذا الكتيبة عردت انيابها ∴ بالسمهري وضرب كل مهند
فكانه ليث على اشباله ∴ وسط الهباءة خادر في مرصد ∴ يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا
المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم امر تعالى
سنة العام الذي حج فيه ابو بكر بالناس ونادى علي ببراءة ونزلت سورة البراءة
عباده المؤمنين الطاهرين دينا وذاتا بنفي المشركين الذين هم نجس دينا عن المسجد الحرام وان لا يقربوه بعد نزول هذه الاية وكان
نزولها سنة تسع ولهذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا صحبة ابي بكر رضي الله عنهما عامئذ وامره ان ينادي في المشركين ان
لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان فاتم الله ذلك وحكم به شرعا وقدرا وقال جابر في هذه الاية فلا يقربوا المسجد الحرام
بعد عامهم هذا الا ان يكون عبدا او واحدا من اهل الذمة كما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل مسجدنا هذا بعد
عامنا هذا مشرك الا اهل العهد وخدمكم تفرد به احمد وقال عطاء حكم الحرم كله حكم المسجد لقوله فلا يقربوا المسجد الحرام
بعد عامهم هذا والاية دالة على ان المشرك نجس كما ورد في الصحيح ان المؤمن لا ينجس واما نجاسة بدنه فالجمهور على انه ليس
بنجس وكذا ذاته لانه تعالى احل طعام اهل الكتاب وذهب بعض الظاهرية الى نجاسة ابدانهم قال الحسن من صافحهم فليتوضا
وقوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله قال ابو اسحق وذلك ان الناس قالوا لتنقطعن عنا الاسواق ولتهلكن
التجارة وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق فنزل وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله اي من وجه غير ذلك ان شاء
الى قوله وهم صاغرون اي هذا عوض ما تخوفتم من قطع تلك الاسواق فعوضهم الله مما قطع امر الشرك ما اعطاهم من اعناق
اهل الكتاب من الجزية هكذا عن ابن عباس وآخرين ان الله عليم بما يصلحكم حكيم فيما يامر به وينهى عنه ولهذا عوضهم عن تلك المكاسب
باموال الجزية التي ياخذونها من اهل الذمة فقال قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون
ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون
بين الله تعالى انهم في نفس الامر لما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لم يبق لهم ايمان صحيح باحد من الرسل عليهم السلام ولا بما جاؤا به و
انما يتبعون اراءهم واهواءهم واباءهم فيما هم فيه لا لانه شرع الله ودينه لانهم لو كانوا مؤمنين بما بايديهم ايمانا صحيحا لقادهم
ذلك الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لان جميع الانبياء عليهم السلام بشروا به وامروا باتباعه فلما جاء كفروا به وهو اشرف الرسل
علم انهم ليسوا متمسكين بشرع الانبياء الاقدمين لانه من عند الله بل لحظوظهم واهوائهم فلهذا لا ينفعهم ايمانهم ببقية الانبياء
وقد كفروا بسيدهم واكملهم عليه الصلوة والسلام ولهذا قال قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الاية وهذه الاية اول الامر

بقتال اهل الكتاب

النجس مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه ذوو نجس لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم او جعلوا كانهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم وعن ابن عباس اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ واهل المذاهب على خلاف هذين القولين مدارك

وذلك ان اهل مكة كانت معايشهم من التجارات وكان المشركون ياتون مكة بالطعام فلما منعوا من دخول الحرم خافوا الفقر وضيق العيش وذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله وان خفتم عيلة معالم

من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين مع ما في حيزه نفي عنهم الايمان بالله لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة ونفي ايمانهم باليوم الاخر لانهم فيه على خلاف ما يجب ونفي عنهم تحريم ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة وعن ابي روق لا يعملون بما في التورية والانجيل

بقتال اهل الكتاب بعدما تمهدت امور المشركين ودخل الناس في دين الله افواجا واستقامت جزيرة العرب امر الله رسوله
بقتال اهل الكتابين اليهود والنصارى وكان ذلك سنة تسع ولهذا تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتال الروم ودعا
الناس الى ذلك واظهره لهم وبعث الى احياء العرب فندبهم فاجتمع من المقاتلة نحو من ثلثين الفا وتخلف بعض الناس من
اهل المدينة ومن حولها من المنافقين وغيرهم كما هو مبسوط في قصة غزوة تبوك وقد استدل بهذه الاية من يرى انه لا يؤخذ
الجزية الا من اهل الكتاب ومن اشبههم كالمجوس كما صح فيهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها من مجوس هجر وهذا مذهب
الشافعي واحمد وقال ابو حنيفة بل يؤخذ من جميع الاعاجم سواء كانوا من اهل الكتاب او المشركين ولا يؤخذ من العرب الا من اهل
الكتاب وقال مالك بل يجوز ان تضرب الجزية على جميع الكفار بلا استثناء وقوله حتى يعطوا الجزية اي ان لم يسلموا عن يد اي
عن قهر لهم وغلبة وهم صاغرون اي ذليلون حقيرون مهانون فلهذا لا يجوز اعزاز اهل الذمة بل هم اذلاء اشقياء ولهذا
اشترط عليهم في اذلالهم وتحقيرهم ما اشترط في الشرع مع تقريرهم على الجزية وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله
الا هو سبحانه عما يشركون هذا اغراء من الله تعالى للمؤمنين على قتال الكفار من اليهود والنصارى لهذه المقالة الشنيعة
والفرية على الله فاما اليهود فقالوا في العزير انه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ذكر السدي وغيره ان الشبهة التي حصلت لهم
في ذلك ان العمالقة لما غلبت على بني اسرائيل فقتلوا علماءهم وسبوا كبارهم بقي العزير يبكي على بني اسرائيل وذهاب العلم منهم حتى
سقطت جفون عينيه فبينما هو ذات يوم اذ مر على جبانة واذا امراة تبكي عند قبر وهي تقول وامطعماه واكاسياه فقال لها ويحك
من كان يطعمك قبل هذا قالت الله قال فان الله حي لا يموت قالت يا عزير فمن كان يعلم العلماء قبل بني اسرائيل قال الله قالت فلم تبكي
عليهم فعرف انه شيء قد وعظ به ثم قيل له اذهب الى نهر كذا فاغتسل منه وصل هناك ركعتين فانك ستلقى هناك شيخا فما اطعمك
فكله فذهب ففعل ما امر به فاذا شيخ فقال له افتح فمك ففتح فمه فالقى فيه شيئا كهيئة الجمرة العظيمة ثلث مرات فرجع عزير وهو اعلم
الناس بالتورية فقال يا بني اسرائيل قد جئتكم بالتورية فقالوا يا عزير ما كنت كذابا فعمد فربط على اصبع من اصابعه قلما وكتب التورية
باصابعه كلها فلما تراجع الناس من عدوهم ورجع العلماء اخبروا بشان عزير فاستخرجوا النسخ التي كانوا اودعوها في الجبال و
قابلوها بها فوجدوا ما جاء به صحيحا فقال بعض جهلتهم انما صنع هذا لانه ابن الله واما ضلال النصارى في المسيح فظاهر ولهذا كذب الله
الطائفتين فقال ذلك قولهم بافواههم اي لا مستند لهم فيما ادعوه سوى افترائهم واختلاقهم يضاهئون اي يشابهون قول الذين
كفروا من قبلهم من الامم ضلوا كما ضل هؤلاء قاتلهم الله قال ابن عباس لعنهم الله انى يؤفكون اي كيف يضلون عن الحق وهو ظاهر ويعدلون
الى الباطل وقوله اتخذوا احبارهم اي علماءهم وقراءهم واحدها حبر بكسر الحاء وفتحها وهو العالم ورهبانهم جمع راهب وهو
اصحاب الصوامع اربابا من دون الله فان قيل انهم لم يعبدوا الاحبار والرهبان اجيب بانهم اطاعوهم في معصية الله واستحلوا
ما احلوا وحرموا ما حرموا فاتخذوهم كالارباب كما روي عن عدي بن حاتم قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من
ذهب او فضة فقال يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك فطرحته وقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله حتى فرغ منها قلت له انهم لم نعبدهم فقال اليس يحرمون ما احل الله ويحلون ما حرم الله فيستحلونه قال قلت
بلى قال فتلك عبادتهم ثم دعاه الى الاسلام فاسلم وشهد شهادة الحق ثم قال ان اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون رواه احمد

عزير ابن الله مبتدا وخبر كقولك المسيح ابن الله وعزير اسم عجمي وللعجمة والتعريف امتنع صرفه ومن نون فقد جعله عربيا

يضاهئون لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى ان الذين كانوا في عهد رسول الله من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث

وعن فضيل ما ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة مدارك

وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا اي الذي اذا حرم شيئا فهو الحرام وما احله حل وما شرعه اتبع وما حكم به نفذ لا اله الا هو
سبحانه عما يشركون اي تعالى وتقدس عن الشركاء والنظراء والاعوان والاضداد والاولاد لا اله الا هو يريدون ان
يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون اي يريد هؤلاء الكفار من المشركين واهل الكتاب ليطفئوا نور الله
اي ما بعث به رسوله عليه الصلوة والسلام من الهدى ودين الحق بمجرد جدالهم وافترائهم فمثلهم في ذلك كمثل من يريد ان يطفئ شعاع
الشمس او نور القمر بنفخه وهذا لا سبيل اليه فكذلك ما ارسل الله به رسوله صلى الله عليه وسلم لا بد ان يتم ويظهر ولهذا قال مقابلا
لهم فيما راموه وارادوه ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون والكافر هو الذي يستر الشيء ويغطيه ومنه سمي الليل
كافرا لانه يستر الاشياء والزارع كافرا لانه يغطي الحب في الارض كما قال يعجب الكفار نباته ثم قال تعالى هو الذي ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق فالهدى هو ما جاء به من الاخبارات الصادقة والايمان الصحيح والعلم النافع ودين الحق هو الاعمال الصحيحة
النافعة في الدنيا والاخرة ليظهره على الدين كله اي على سائر الاديان كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله
زوى لي الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وعن المقداد بن الاسود قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لا يبقى على وجه الارض بيت مدر ولا وبر الا دخله كلمة الاسلام بعز عزيز او ذل ذليل اما يعزهم الله فيجعلهم من
اهلها او يذلهم فيدينون لها رواه احمد وروى تميم الداري نحوه وكان يقول قد عرفت ذلك في اهل بيتي لقد اصاب من اسلم
منهم الخير والشرف والعز ولقد اصاب من كان منهم كافرا الذل والصغار والجزية يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار
والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم
وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون هذا تحذير من علماء السوء وعباد الضلالة كما قال ابن عيينة
من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى وفي الحديث الصحيح لتركبن سنن من
كان قبلكم حذو القذة بالقذة قالوا اليهود والنصارى قال فمن والمراد التحذير بالتشبه بهم في احوالهم واقوالهم ولهذا قال
تعالى لياكلون اموال الناس بالباطل وذلك انهم ياكلون الدنيا بالدين ومناصبهم ورياستهم ياكلون اموالهم بذلك كما كان
لاحبار اليهود على اهل الجاهلية شرف ولهم عندهم هدايا وضرايب تجبى اليهم فلما بعث الله رسوله عليه الصلوة والسلام استمروا
على ضلالهم وكفرهم وعنادهم طمعا منهم ان يبقى لهم تلك الرياسات فاطفاها الله بنور النبوة وسلبهم اياها وعوضهم بالذلة
والمسكنة وباؤا بغضب من الله وقوله ويصدون عن سبيل الله اي وهم مع اكلهم الحرام يصدون الناس عن اتباع الحق ويلبسون
الحق بالباطل ويظهرون لمن اتبعهم من الجهلة انهم يدعون الى الخير وليسوا كما يزعمون بل هم دعاة الى النار ويوم القيمة لا ينصرون
وقوله والذين يكنزون الذهب والفضة هؤلاء هم القسم الثالث من رؤس الناس فان الناس عيال على العلماء وعلى العباد
وعلى ارباب الاموال فان فسدت احوال هؤلاء فسدت احوال الناس كما قال بعضهم ∴ وهل افسد الدين الا الملوك
واحبار سوء ورهبانها ∴ واما الكنز فقال ابن عمر رضي الله عنهما هو المال الذي لا يؤدى منه الزكوة وقال ما ادي زكوته فليس بكنز
وان كان تحت سبع ارضين وما كان ظاهرا لا يؤدى زكوته فهو كنز وبه قال ابن عباس وجابر وابو هريرة موقوفا ومرفوعا وقال
ابن عمر هذا قبل ان ينزل الزكوة فلما نزلت جعلها الله طهرا للاموال وكذا قال عمر بن عبد العزيز وغير واحد فنسخها قوله خذ من اموالهم

[illegible]

ليأكلون يملكون اموال الناس وقيل يتمتع باموال الناس بالباطل بالرشى في الحكم وقيل هو المأكل واللباب [illegible]

القذة ريش السهم الواحدة قذة ج قذذ صحاح

ومعنى اكلهم بالباطل انهم كانوا ياخذون الرشى في الاحكام والتخفيف والمسامحة في الشرائع

وقال علي رضي الله عنه اربعة آلاف فما دونها نفقة وما كان اكثر من ذلك فهو كنز وهذا غريب وقد جاء في تقليل من الذهب
والفضة عن علي رضي الله عنه في هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تبا للذهب تبا للفضة يقولها ثلاثا قال فشق ذلك على اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا فاي مال نتخذ فقال عمر انا اعلم لكم ذلك فقال يا رسول الله ان اصحابك قد شق عليهم وقالوا فاي
مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة تعين احدكم على دينه رواه احمد والترمذي نحوه وعن ابن عباس قال لما نزلت
هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة الآية كبر ذلك على المسلمين وقالوا ما يستطيع احد منا لولده ما لا يبقى بعده فقال عمر انا
افرج عنكم فانطلق عمر فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله انه قد كبر على اصحابك هذه الآية فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم ان الله
لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وانما فرض المواريث من اموال تبقى بعدكم قال فكبر عمر ثم قال له النبي صلى الله عليه
وسلم الا اخبرك بخير ما يكنز المرء المرأة الصالحة التي اذا نظر اليها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته رواه احمد
وابو داود وصححه الحاكم وعن شداد بن اوس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا
هؤلاء الكلمات اللهم اني اسألك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد واسألك شكر نعمتك واسألك حسن عبادتك واسألك
قلبا سليما واسألك لسانا صادقا واسألك من خير ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم انك انت علام الغيوب
رواه احمد والضمير في قوله ولا ينفقونها اما عائد الى الفضة لانها اعم كما في قوله واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة واما
ان يكون المراد الكنوز او الاعيان منهما وقوله فبشرهم اي انذرهم وفيه تهكم بهم وقوله تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم اي يوم
تدخل النار ويوقد على الكنوز فتكوى وتحرق بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم اي يقال لهم هذا الكلام
تبكيتا وتقريعا وتهكما اي هذا بذاك وهذا الذي كنتم تكنزون لانفسكم ولهذا يقال من احب شيئا وقدمه على طاعة الله عذب به
وهؤلاء لما كان جمع هذه الاموال آثر عندهم من رضى الله عذبوا بها عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل
لا يؤدي زكوة ماله الا جعل يوم القيمة صفايح من نار فتكوى بها جنبه وجبهته وظهره في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى
بين الناس ثم يرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار رواه مسلم وسئل ابو بكر الوراق لم خص الجباه والجنوب والظهور بالكي
فقال لان الغني صاحب الكنز اذا رأى الفقير قبض جبهته وزوى ما بين عينيه وولاه ظهره واعرض عنه كشحه والآية عامة
في المسلمين واهل الكتاب وبه قال ابو ذر رضي الله عنه ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق
السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما
يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين في الصحيحين عن ابي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجته فقال الا
ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلثة متواليات ذو القعدة و
ذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ثم قال الا اي يوم هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه
سيسميه بغير اسمه قال اليس يوم النحر قلنا بلى ثم قال اي شهر هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه
قال اليس ذا الحجة قلنا بلى ثم قال اي بلد هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس البلدة قلنا
بلى قال فان دماءكم واموالكم واحسبه قال واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا وستلقون ربكم
فيسألكم عن اعمالكم الا لا ترجعن بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض الا هل بلغت الا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل من
يبلغه يكون اوعى له من بعض من سمعه قوله عليه الصلوة والسلام ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض

[illegible]

قوله لانفسكم اي كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الاغراض التي كانت حولها وما علمتم انكم كنزتموه لتستضر به انفسكم وتتعذب وهو توبيخ لهم سه

كما ان الله فيما انشأه واوجده من حكمة وراءه حكمة وصوابا

المعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسئ الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر قبلها في ذي القعدة سه كشاف

[illegible]

ليقر منه وتثبت الامر على ما جعله الله في اول الامر من غير تقديم ولا تأخير ولا زيادة ولا نقصان ولا نسيء ولا تبديل وهذا نص على
ان حجة صلى الله عليه وسلم تلك السنة كان في ذي الحجة فان العرب قد كانت بسبب النسيء يحجون في كثير من السنين في ذي الحجة
وزعموا ان حجة الصديق في سنة تسع كانت في ذي القعدة وفي هذا نظر لان الله تعالى قال واذان من الله ورسوله الى الناس يوم
الحج الاكبر وانما نودي بذلك في حجة ابي بكر فلو لم تكن في ذي الحجة لما قال تعالى يوم الحج الاكبر قال بعض السلف اتفق حج المسلمين و
اليهود والنصارى عام حجة الوداع في يوم واحد وهو يوم النحر وهذا في غاية الغرابة وقوله منها اربعة حرم هذا مما كانت العرب
ايضا في جاهليتها تحرمه وهو الذي كان عليه جمهورهم واما قوله ثلثة متواليات الى قوله شعبان اضافة رجب الى مضر ليبين
قوله في رجب انه الشهر الذي بين جمادى وشعبان لا كما كانت تظنه ربيعة من ان رجبا المحرم هو الشهر الذي بين شعبان
وشوال وهو رمضان اليوم فبين عليه الصلوة والسلام انه رجب مضر لا رجب ربيعة وقوله ذلك الدين القيم اي هذا هو الشرع
المستقيم من امتثال امر الله فيما جعل من الاشهر الحرم والحذو بها على ما سبق في كتاب الله الاول وقال تعالى فلا تظلموا فيهن انفسكم
اي في هذه الاشهر المحرمة لانه آكد وابلغ في الاثم من غيرها كما ان المعاصي في البلد الحرام تضاعف بقوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم
نذقه من عذاب اليم وكذلك الشهر الحرام تغلظ فيه الآثام كما هو مبين من احكامه في كتب الفقه قال قتادة ان الظلم في اشهر الحرم اعظم
خطيئة ووزرا من الظلم فيما سواه وان كان الظلم على كل حال عظيما ولكن الله يعظم من امره ما يشاء قال ابن اسحق ان لا تجعلوا
حرامها حلالا وحلالها حراما كما فعل اهل الشرك فانما النسيء الذي كانوا يصنعون من ذلك زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا الآية
وهو اختيار ابن جرير وقوله وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة اي جميعهم واعلموا ان الله مع المتقين واختلفوا في تحريم ابتداء
القتال في الشهر الحرام هل هو منسوخ او محكم على قولين احدهما وهو الاشهر انه منسوخ لانه تعالى قال ههنا فلا تظلموا فيهن انفسكم وامر
بقتال المشركين وظاهره انه عام ولو كان محرما لقيدها بانسلاخها ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر اهل الطائف في شهر حرام وهو
ذو القعدة والثاني انه حرام ولم ينسخ حكمه لقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام الآية وغيرها من الآيات
وان الذي وقع كان ابتداؤه في شهر حلال فدخل الشهر الحرام واستمر فيه اياما ثم قفل عنهم لانه يغتفر في الدوام ما لا يغتفر في
الابتداء وهذا امر مقرر والله اعلم **انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه
عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم
الكافرين** هذا مما ذم الله به المشركين من تصرفهم في شرع الله بآرائهم الفاسدة وتغييرهم احكامه باهوائهم الباردة وتحليلهم
ما حرم الله وتحريمهم ما احل الله فانهم قد استطالوا في العصبية والحمية مدة الاشهر الثلثة في التحريم المانع لهم من قضاء اوطارهم
من قتال الاعداء وكانوا قد احدثوا في الجاهلية تحليل المحرم وتأخيره الى صفر فيحلون الشهر الحرام ويحرمون الشهر الحلال ليواطئوا
عدة الاشهر الاربعة فقوله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر قال ابن عباس ان جنادة بن عوف الكناني كان يوافي الموسم كل عام
وكان يكنى ابا ثمامة فينادي الا ان ابا ثمامة لا يحاب ولا يعاب الا وان صفر العام الاول العام حلال فيحله للناس فيحرم صفرا
عاما ويحرم المحرم عاما فذلك قوله انما النسيء زيادة في الكفر يقول يتركون المحرم عاما وعاما يحرمونه وقوله ليواطئوا عدة ما حرم
الله اي ليوافقوا اربعة الاشهر الحرم فيحلوا ما حرم الله لتأخير هذا الشهر الحرام يعني انهم لم يحلوا شهرا من الحرام الا حرموا مكانه
شهرا من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا احلوا مكانه شهرا من الحرام وعن ابن عمر انه قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة
فاجتمع اليه من شاء الله من المسلمين فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ثم قال وان النسيء من الشيطان زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا

يحلونه عاما

وذلك الدين القيم يعني ان تحريم الاشهر الاربعة هو الدين المستقيم دين ابرهيم واسمعيل وكانت العرب تمسكت به وراثة منهما فكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه

[illegible]

القمر يحلونه ويحرمونه للنسيء اي اذا احلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل

[illegible]

النسيء تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من بين شهور العام اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفونها في العدد وقد خالفوا التخصيص الذي هو احد الواجبين وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال عز وعلا ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني من غير زيادة زادوها

[illegible]

[illegible]

يحلونه عاما ويحرمونه عاما فكانوا يحرمون المحرم عاما ويستحلون صفر ويحرمون صفر عاما ويستحلون المحرم وهو النسيء رواه
ابن ابي حاتم وقوله زين لهم اي ان الشيطان زين لهم خبائث اعمالهم ويبيعها **يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم
انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة فما متاع الحيوة الدنيا
في الآخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على
كل شيء قدير** هذا شروع في عتاب من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اي
اخرجوا مسرعين اذا دعيتم الى الجهاد في سبيل الله اثاقلتم الى الارض اي تكاسلتم وملتم الى المقام في الدعة والخفض وطيب الثمار
والظلال ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة اي ما لكم صنعتم هكذا رضا منكم بالدنيا بدلا من الآخرة ثم زهدهم تعالى في الدنيا ورغبهم
في الآخرة فقال فما متاع الحيوة الدنيا في الآخرة الا قليل كما روى المستورد بن شداد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله ما
الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع رواه مسلم وعن ابي عثمن قال قلت يا ابا هريرة سمعت انك تقول
سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يجزي بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله
يجزي بالحسنة الفي الف حسنة ثم تلا هذه الآية فما متاع الحيوة الدنيا في الآخرة الا قليل رواه ابن ابي حاتم ثم توعد تعالى على ترك
الجهاد فقال الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما قال ابن عباس استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا من العرب فتثاقلوا عنه فامسك
الله عنهم القطر فكان عذابهم ويستبدل قوما غيركم اي لنصرة نبيه واقامة دينه ولا تضروه شيئا اي ولا تضروا الله بتوليكم
عن الجهاد ونكولكم وتثاقلكم عنه والله على كل شيء قدير اي قادر على الانتصار من الاعداء بدونكم وقد قيل ان هذه الآية وقوله
انفروا خفافا وثقالا وقوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله منسوخات بقوله تعالى وما
كان المؤمنون لينفروا كافة الآية روي هذا عن ابن عباس وجماعة ورده ابن جرير وقال انما هذا فيمن دعاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى الجهاد فتعين عليهم ذلك فلو تركوه لعوقبوا عليه وهذا له اتجاه والله اعلم **الا تنصروه فقد نصره الله اذ
اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله
سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز
حكيم** اي ان لا تنصروا رسول الله فان الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه كما تولى نصره اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين
اي عام الهجرة لما هم المشركون بقتله او حبسه او نفيه فخرج منهم بصحبة صديقه وصاحبه ابي بكر بن ابي قحافة فلجأ
الى الغار ثلثة ايام ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم ثم يسيروا نحو المدينة فجعل ابو بكر رضي الله عنه يجزع ان يطلع عليهما
احد فيخلص الى الرسول عليه الصلوة والسلام منهم اذى فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يسكنه ويثبته ويقول يا ابا بكر ما ظنك باثنين
الله ثالثهما كما في الصحيحين عن انس ان ابا بكر حدثه قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار لو ان احدا نظر الى قدميه لابصرنا
تحت قدميه قال فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ولهذا قال تعالى فانزل الله سكينته اي تاييده ونصره عليه اي على
الرسول في اشهر القولين وقيل على ابي بكر وقال ابن عباس وغيره لان الرسول لم يزل معه سكينة وهذا لا ينافي تجدد سكينة خاصة
بتلك الحال ولهذا قال وايده بجنود لم تروها اي الملائكة الحامية الحافظة له وجعل كلمة الذين كفروا السفلى قال ابن عباس هي الشرك
وكلمة الله هي لا اله الا الله وفي الصحيحين عن ابي موسى الاشعري قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة
ويقاتل رياء اي ذلك في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقوله والله عزيز اي في انتقامه وانتصاره

زين لهم سوء اعمالهم خذلهم الله فحسبوا اعمالهم القبيحة حسنة والله لا يهدي القوم الكافرين اي لا يلطف بهم بل يخذلهم

اثاقلتم تثاقلتم وبه قرأ الاعمش اي تباطأتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والاخلاد فعدي بالى والمعنى ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه وقيل ملتم الى اقامتكم بارضكم ودياركم

وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه لان الله وعده ان يعصمه من الناس وان ينصره ووعد الله كائن لا محالة

[illegible]

ان لا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد ولا اقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره الله على انه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت والثاني انه اوجب له النصرة وجعله منصورا في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده

ثاني اثنين اذ هما في الغار [illegible]

سكينته ما القي في قلب الرسول من الامنة التي سكن عندها وعلم انهم لا يصلون اليه

منيع الجناب لا يضام من لاذ بنابه حكيم في اقواله وافعاله انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم
في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون قال مسلم بن صبيح هذه اول آية نزلت من سورة براءة امر الله تعالى بالنفير العام
مع الرسول عليه الصلوة والسلام عام غزوة تبوك لقتال اعداء الله من الروم الكفرة من اهل الكتاب وحتم على المؤمنين في
الخروج معه على كل حال في المنشط والمكره والعسر واليسر فقال انفروا خفافا وثقالا عن ابي طلحة اي كهولا وشبانا ما
سمع الله عذر احد ثم خرج الى الشام فركب البحر للجهاد فتوفي فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها الا بعد تسعة ايام فلم يتغير فدفنوه
فيها وعن ابن عباس وجماعة هكذا كهولا او شبانا وقال مجاهد اغنياء ومساكين وقيل مشاغيل وغير مشاغيل وقيل نشاطا وغير
نشاط اقوياء وضعفاء وقال الحسن في العسر واليسر وقال الاوزاعي اذا كان في دروب الروم نفروا اليها خفافا وركبانا
واذا كان في السواحل نفروا اليها خفافا وثقالا ركبانا ومشاة وعن ابن عباس وجماعة ان هذه الآية منسوخة بقوله فلولا نفر من
كل فرقة منهم طائفة كما سيجي بيانه ان شاء الله وقوله وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون اي هذا خير لكم في
الدنيا والآخرة لانكم تغرمون في النفقة قليلا فيغنمكم الله اموال عدوكم في الدنيا مع ما يدخر لكم من الكرامة في الآخرة كما في الصحيحين
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا ايمان بي وتصديق برسلي ان ارجعه
بما نال من اجر وغنيمة او ادخله الجنة لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة
وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون يقول تعالى موبخا للذين
تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وقعدوا بعدما استاذنوه في ذلك مظهرين انهم ذوو اعذار ولم يكونوا كذلك فقال
لو كان عرضا قريبا قال ابن عباس اي غنيمة قريبة وسفرا قاصدا اي قريبا ايضا لاتبعوك اي لجاؤا معك لذلك ولكن بعدت عليهم
الشقة اي المسافة الى الشام وسيحلفون بالله اي لكم اذا رجعتم اليهم لو استطعنا لخرجنا معكم اي لو لم تكن لنا اعذار لخرجنا معكم
يعني المتخلفين عنه اذا رجعت من غزوة تبوك معتذرين يقولون لو استطعنا
يهلكون انفسهم اي باليمين الكاذبة والله يعلم انهم لكاذبون اي في ايمانهم واعذارهم لانهم كانوا مستطيعين عفا الله عنك
لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر
ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر
وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون قال عون هل سمعتم بمعاتبة احسن من هذا بدا بالعفو قبل المعاتبة
فقال عفا الله عنك وقال قتادة كما تسمعون ثم انزل التي في سورة النور فرخص له في ان ياذن لهم ان شاء فاذا استاذنوك لبعض شانهم
فاذن لمن شئت منهم وقال مجاهد نزلت هذه الآية في اناس قالوا استاذنوا رسول الله فان اذن لكم فاقعدوا وان لم ياذن لكم فاقعدوا
ولهذا قال حتى يتبين لك الذين صدقوا اي هلا تركتهم لما استاذنوك فلم تاذن لاحد منهم في القعود لتعلم الصادق منهم في اظهار
من صدقه في عذره ممن كذب فيه
طاعتك من الكاذب فانهم قد كانوا مصرين على القعود وان لم تاذن لهم فيه ولهذا اخبر تعالى انه لا يستاذنك في القعود عن الغزو احد
يؤمن بالله ورسوله فقال لا يستاذنك اي في القعود عن الغزو الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم
كراهة ان يجاهدوا
لان اولئك يرون الجهاد قربة ولما ندبهم اليه بادروا وامتثلوا والله عليم بالمتقين انما يستاذنك اي في القعود ممن لا عذر له الذين
لا يؤمنون بالله واليوم الآخر اي لا يرجون ثواب الله في الدار الآخرة على اعمالهم وارتابت قلوبهم اي شكت في صحة ما جئتهم به فهم في
ريبهم يترددون اي يتحيرون يقدمون رجلا ويؤخرون اخرى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ولو ارادوا الخروج
لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم ما زادوكم

عن ابن ام مكتوم انه قال للرسول صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الاعمى حرج وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد اعذر الله اليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتليه وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل انك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع

العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر اي لو كان ما دعوا اليه غنما قريبا سهل المنال وسفرا قاصدا وسطا مقاربا

عفا الله عنك كناية عن الجناية لان العفو رادف لها ومعناه اخطات وبئس ما فعلت ولم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه مالك اذنت لهم في القعود حين استاذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استانيت بالاذن

الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين اي لو ارادوا
الخروج معك في الغزو لاعدوا اي لكانوا تاهبوا له ولكن كره الله انبعاثهم اي ابغض ان يخرجوا معكم قدرا فثبطهم اي اخرهم وقيل
اقعدوا مع القاعدين اي قدرا ثم بين تعالى وجه كراهته لخروجهم مع المؤمنين فقال لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا اي فسادا وشرا
لانهم جبناء مخذولون ولاوضعوا خلالكم اي ولاسرعوا السير والمشي بينكم بالنميمة والبغضاء والفتنة وفيكم سماعون لهم اي
مطيعون لهم ويستحسنون لحديثهم وكلامهم يستنصحونهم وان كانوا لا يعلمون حالهم فيؤدي هذا الى وقوع شر بين المؤمنين وفساد كبير
وقال مجاهد وغيره اي وفيكم عيون يسمعون لهم الاخبار وينقلونها اليهم وهذا عام في جميع الاحوال والاول اظهر في المناسبة بالسباق
ثم اخبر تعالى عن تمام علمه فقال والله عليم بالظالمين اي بما كان وبما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ولهذا قال تعالى لو خرجوا
فيكم ما زادوكم الا خبالا مخبرا عن حالهم كيف يكون لو خرجوا ومع هذا ما خرجوا كما قال تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون
ونحوه من الآيات البينات لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون
حرض الله نبيه عليه الصلوة والسلام على المنافقين بقوله لقد ابتغوا الفتنة اي لقد اعملوا فكرهم وكيدك وكيد اصحابك وخذلان
دينك وذلك اول مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة رمته العرب عن قوس واحدة وحاربته يهود المدينة ومنافقوها فلما نصره الله
يوم بدر واعلا كلمته قال عبد الله بن ابي واصحابه هذا امر قد توجه فدخلوا في الاسلام ظاهرا ثم كلما اعز الله الاسلام واهله اغاظهم
ذلك وساءهم ولهذا قال تعالى حتى جاء الحق اي النصر والظفر وظهر امر الله وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لي و
لا تفتني الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين اي ومن المنافقين من يقول لك يا محمد ائذن لي في القعود
ولا تفتني بالخروج معك بسبب الجواري من نساء الروم قال تعالى الا في الفتنة سقطوا اي قد سقطوا في الفتنة بقولهم هذا كما روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للجد بن قيس وهو في جهازه هل لك يا جد العام في جلاد بني الاصفر فقال يا رسول الله او تاذن
لي ولا تفتني فوالله لقد عرف قومي ما رجل اشد عجبا بالنساء مني واني اخشى ان رايت نساء بني الاصفر ان لا اصبر عنهن فاعرض عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد اذنت لك فنزلت الآية اي ما سقط فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة
عن الجهاد اعظم مما ذكره وقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين اي مطبقة بهم وجامعة لهم فيها لا محيد لهم عنها ولا مهرب ان
تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون
قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون اعلم الله نبيه عليه الصلوة والسلام
بعداوة هؤلاء لانه مهما اصابه من حسنة اي فتح ونصر وظفر على الاعداء مما يسره ويسر اصحابه ساءهم ذلك وان تصبك مصيبة
اي قتل وهزيمة في اصحابك يقولوا قد اخذنا امرنا اي حذرنا من متابعته من قبل هذا ويتولوا اي يدبروا وهم فرحون اي مسرورون
بما نالك من المصيبة فارشده تعالى الى جوابهم فقال قل لهم لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا اي نحن تحت مشية الله وقدره هو مولنا اي
سيدنا وملجانا وناصرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي ونحن متوكلون عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل قل هل تربصون بنا الا
احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون
قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا
انهم كفروا بالله وبرسوله ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون اي قل يا محمد
هل تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين شهادة او ظفر بكم ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده يهلككم كما اهلك الامم الماضية

وثبطهم اي كسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث

يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا والمعنى ولاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي

وقلبوا لك الامور ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء في ابطال امرك حتى جاء الحق وهو تاييدك ونصرك وظهر امر الله وغلب دينه وعلا شرعه وهم كارهون

اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وان جهنم لمحيطة بالكافرين يعني انها تحيط بهم يوم القيمة او هي محيطة بهم الآن لان اسباب الاحاطة معهم فكانهم في وسطها

الا احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة

احدى السوءتين من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر

صلى الله عليه وسلم فبايعته فاتى رجل فقال اعطني من الصدقة فقال له ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها
هو فجزأها ثمانية اصناف فان كنت من تلك الاجزاء اعطيتك رواه ابو داود و اختلفوا في هذه الاصناف الثمانية هل يجب
استيعاب الدفع اليها او الى ما امكن منها على قولين احدهما انه يجب ذلك وهو قول الشافعي وجماعة و الثاني انه لا يجب استيعابها
بل يجوز الدفع الى واحد منها جميع الصدقة مع وجود الباقين و هو قول مالك وجماعة من السلف و الخلف من الصحابة و التابعين
قال ابن جرير و هو قول عامة اهل العلم و قالوا انما ذكرت الاصناف ههنا لبيان المصرف لا لوجوب استيعاب الاعطاء و انما
قدم الفقراء ههنا لانهم احوج من البقية على المشهور لشدة فاقتهم و حاجتهم و عند ابي حنيفة ان المسكين اسوء حالا من
الفقير و هو كما قال عمر رضي الله عنه الفقير ليس بالذي لا مال له ولكن الفقير الاخلق الكسب و الجمهور على خلافه و اختار
ابن جرير وغير واحد ان الفقير هو المتعفف الذي لا يسال الناس شيئا و المسكين هو الذي يسال و يطوف يتبع الناس و قال
قتادة الفقير من به زمانة و المسكين الصحيح الجسم و قد ورد في الاصناف الثمانية احاديث فاما الفقراء فعن ابن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي رواه احمد و ابو داود و الترمذي و اما المساكين فعن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس فترده اللقمة و اللقمتان و التمرة و
التمرتان قالوا فما المسكين قال الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يسال الناس شيئا رواه في الصحيحين و اما
العاملون عليها فهم الجباة و السعاة يستحقون منها قسطا على ذلك ولا يجوز ان يكونوا من اقرباء النبي صلى الله عليه وسلم الذين تحرم عليهم
الصدقة لما ثبت في صحيح مسلم عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحرث انه انطلق هو و الفضل بن عباس يسألان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليستعملهما على الصدقة فقال ان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد انما هي اوساخ الناس و اما المؤلفة قلوبهم فاقسام منهم من يعطى
ليسلم كما اعطى النبي صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية من غنائم حنين و قد كان شهدها مشركا قال فلم يزل يعطيني حتى صار احب الناس الي بعد
ان كان ابغض الناس رواه مسلم معناه و منهم من يعطى ليحسن اسلامه و يثبت في قلبه كما اعطى يوم حنين ايضا جماعة من صناديد الطلقاء
و اشرافهم مائة من الابل مائة من الابل و قال اني لاعطي الرجل و غيره احب الي منه مخافة ان يكبه الله على وجهه في نار جهنم و
منهم من يعطى لما يرجى من اسلام نظرائه و منهم من يعطى ليجبي الصدقات ممن يليه او ليدفع عن حوزة الاسلام الضرر من اطراف
البلاد و محل تفصيله كتب الفقه و اما الرقاب فعن كثير من السلف انهم المكاتبون و هو مذهب الشافعي و موافقيه و قال ابن عباس
لا باس ان تعتق الرقبة من الزكوة و به قال الحسن و هو مذهب احمد و مالك اي ان الرقاب اعم من ان يعطى المكاتب او يشترى
رقبة فيعتقها استقلالا و عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلثة حق على الله عونهم الغازي في سبيل الله و المكاتب
الذي يريد الاداء و الناكح الذي يريد العفاف رواه احمد و اهل السنن و اما الغارمون فهم اقسام منهم من تحمل حمالة اي ضمن
دينا فاجحف بماله او غرم في اداء دينه او في معصية ثم تاب فهؤلاء يدفع اليهم و الاصل في هذا حديث قبيصة بن مخارق قال تحملت حمالة
فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اساله فيها فقال اقم حتى تاتينا الصدقة فنامر لك بها الحديث رواه مسلم و اما في سبيل الله فهم الغزاة
الذين لا حق لهم في الديوان و عند احمد و الحج من سبيل الله للحديث و كذلك ابن السبيل وهو المسافر المجتاز في بلد ليس معه شيء يستعين
به على سفره فيعطى من الصدقات ما يكفيه الى بلده و ان كان له مال و كذا الحكم فيمن اراد انشاء سفر من بلده و ليس معه شيء فيعطى من مال
الزكوة كفايته في ذهابه و ايابه كما روى ابو سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني الا في سبيل الله و ابن السبيل او جار
فقير فيهدي لك او يدعوك رواه ابو داود و قوله فريضة من الله اي حكما مقدرا بتقدير الله و فرضه و قسمه و الله عليم بظواهر الامور و بواطنها

عن حذيفة و ابن عباس و غيرهما من الصحابة و التابعين انهم قالوا في اي صنف منها وضعتها اجزاك و عن سعيد بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان احب الي ٭

المؤلفة قلوبهم اشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستالفهم على ان يسلموا فيرضخ لهم شيئا منها حين كان في المسلمين قلة

فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم اي هلكت دابته و نفدت زاده فانقطع به السفر فهو منقطع به ٭

نصب على المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله لهم

[illegible]

او بايدينا بالقتل و السبي اي ننتظر بكم هذا او ذاك فتربصوا اي فانتظروا انا معكم متربصون منتظرون و قوله قل انفقوا اي
مهما انفقتم من نفقة طائعين او مكرهين لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين ثم اخبر تعالى عن سبب ذلك وهو انهم لا
يتقبل منهم لانهم كفروا بالله و برسوله اي قد كفروا والاعمال انما تصح بالايمان ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى اي متثاقلون اذ ليس
لهم قصد صحيح ولا همة في العمل ولا ينفقون نفقة الا وهم كارهون لانهم يعدونه مغرما و منعها مغنما و انما يتقبل الله من المتقين
فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون
هنا كما قال تعالى فلا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا الاية اي لا تحسن ما انعمنا به عليهم من الاموال و الاولاد فان ذلك
استدراج بهم انما يريد الله ليعذبهم بها قال الحسن اي باخذ الزكوة منها و النفقة في سبيل الله و قيل التعذيب بالمصائب الواقعة
في المال و الولد و المختار الاول و قوله وتزهق انفسهم اي و يريد ان يميتهم حين يميتهم على الكفر ليكون انكى لهم و اشد لعذابهم
عياذا بالله من ذلك **ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجا او**
مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون اخبر تعالى نبيه عليه الصلوة و السلام عن جزعهم و فزعهم و هلعهم
انهم يحلفون بالله يمينا موكدة انهم لمنكم اي على دينكم وما هم منكم اي في نفس الامر ولكنهم قوم يفرقون اي يحلفون ان نظهر ما هم
فيه اي فهو الذي حملهم على الحلف لو يجدون ملجا اي حصنا يتحصنون به او مغارات وهي التي في الجبال او مدخلا وهو السرب
في الارض و النفق قال ذلك ابن عباس و مجاهد و قتادة لولوا اليه اي لاذهبوا اليه هربا منكم وهم يجمحون اي يسرعون في ذهابهم
عنكم لانهم انما يخالطونكم كرها لا محبة و ودوا انهم لا يخالطونكم و لهذا لا يزالون في هم وحزن لان الاسلام و اهله لا يزال في
عز و نصر و رفعة **ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون**
ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون
اي ومن المنافقين من يعيب عليك يا محمد في قسم الصدقات اذا فرقتها و يتهمك في ذلك وهم المتهمون المأبونون وهم مع هذا
لا ينكرون للدين و انما ينكرون لحظ انفسهم و لهذا ان اعطوا من الزكوة رضوا و ان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون اي يغضبون
لانفسهم قال قتادة ذكر لنا ان رجلا من اهل البادية حديث عهد باعرابية اتى نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهبا و فضة فقال
يا محمد و الله لئن كان الله امرك ان تعدل ما عدلت فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم ويلك فمن يعدل اذا لم اعدل احذروا هذا و
اشباهه فان في امتي اشباه هذا يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم فاذا خرجوا فاقتلوهم ثلثا ثم ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم
كان يقول و الذي نفسي بيده ما اعطيكم شيئا ولا امنعكموه انما انا خازن و هذا شبيه بما في الصحيحين من قصة ذي الخويصرة و اسمه
حرقوص في قسمة غنائم حنين ثم قال تعالى منبها لهم على ما هو خير لهم من ذلك فقال و لو انهم رضوا ما اتاهم الله و رسوله اي قنعوا
بما قسم الله لهم و قالوا حسبنا الله فنعم الوكيل اي كافينا الله سيؤتينا الله من فضله و رسوله اي ما يحتاج اليه انا الى الله راغبون في ان يوسع
علينا من فضله فيغنينا عن الصدقة و جواب لو محذوف اي لكان خيرا لهم و الاية متضمنة لادب عظيم و سر شريف بجعل الرضا بما اتاه
الله و رسوله و التوكل على الله وحده خيرا لهم مما كانوا فيه **انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها و**
المؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم لما ذكر
تعالى اعتراض المنافقين الجهلة على النبي صلى الله عليه وسلم و لمزهم اياه في قسم الصدقات بين تعالى انه هو الذي قسمها و بين حكمها
و تولى امرها بنفسه و لم يكل قسمها الى احد غيره فجزاها لهؤلاء المذكورين كما روى زياد بن الحارث الصدائي قال اتيت النبي

من غير الزام من الله و رسوله او ملزمين وسمى الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه فان قلت الكراهية خلاف الطواعية و قد جعلهم الله طائعين في قوله طوعا ثم وصفهم بانهم لا ينفقون الا وهم كارهون قلت المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام من رسول الله و من الله و كرههم ذلك الا عن كراهية واضطرار لا عن رغبة واختيار ٭

انما الصدقات للفقراء قصر لجنس الصدقات على الاصناف المعدودة وانها مختصة بها لا تتجاوزها الى غيرها كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان يصرف الى الاصناف كلها وان يصرف الى بعضها وعليه مذهب ابي حنيفة ٭

صلى الله عليه و

وبمصالح العباد حكيم فيما يفعله ويقوله ويشرعه ويحكم به لا اله الا هو ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو
اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون
رسول الله لهم عذاب اليم اي ومن المنافقين قوم يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكلام فيه ويقولون هو اذن اي
من قال له شيء صدقه من حدثه فينا صدقه فاذا جئنا وحلفنا له صدقنا. وقوله قل هو اذن قل اذن خير لكم اي هو اذن خير يعرف
الصادق من الكاذب يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق المؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم اي وهو حجة على الكافرين
ولهذا قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه
ان كانوا مؤمنين الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم
قال قتادة ذكر لنا ان رجلا من المنافقين قال والله ان هؤلاء لخيارنا واشرافنا فان كان ما يقول محمد حقا لهم شر من الحمير قال
فسمعها رجل من المسلمين فقال والله ما يقول محمد لحق ولانت شر من الحمار قال فسعى بها الرجل الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فاخبره
فارسل الى الرجل فدعاه فقال ما حملك على الذي قلت فجعل يلتعن ويحلف بالله ما قال ذلك وجعل المسلم يقول اللهم صدق الصادق
وكذب الكاذب فانزل الله يحلفون بالله لكم ليرضوكم الآية. وقوله الم يعلموا اي الم يتحققوا ويعلموا انه من حاد الله ورسوله اي
شاقه وحاربه وخالفه وكان في حد والله ورسوله في حد فان له نار جهنم خالدا فيها اي مهانا معذبا وذلك الخزي العظيم
اي هذا هو الذل العظيم والشقاء الكبير يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا
ان الله مخرج ما تحذرون قال مجاهد يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى الله ان لا يفشي علينا سرنا هذا وهذه الآية شبيهة بقوله
تعالى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله الآية. وقوله قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون اي ان الله سينزل على رسوله ما يفضحكم
به ويبين له امركم ولهذا سميت هذه السورة سورة الفاضحة فاضحة المنافقين ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض و
نلعب قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم
نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين قال محمد بن كعب القرظي وغيره قال رجل من المنافقين ما ارى قراءنا هؤلاء الا ارغبنا
بطونا واكذبنا السنة واجبننا عند اللقاء فرفع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب اي نتحدث ونخوض في الكلام ونلعب بالحديث كما يفعل الراكب
لقطع الطريق فنزلت هذه الآية فقال له ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن قال ابن عمر ولقد رايته متعلقا بحقب ناقة رسول الله
صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة ولا يلتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقوله لا تعتذروا قد كفرتم اي بهذا الاستهزاء الذي صدر
عنكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة اي لا يعفى عن جميعكم ولا بد من عذاب بعضكم قيل هو الذي كان يسمع ويضحك فندم
وتاب. وقيل شهدنا بانهم كانوا مجرمين اي بهذه المقالة الفاجرة المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون
بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون
وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب
مقيم هذا انكار على المنافقين بانهم كانوا على خلاف المؤمنين لانهم كانوا يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وكان هؤلاء يامرون
بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم اي عن الانفاق في سبيل الله نسوا الله اي نسوا ذكر الله فنسيهم اي عاملهم معاملة
من نسيهم كقوله تعالى فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ان المنافقين هم الفاسقون اي الخارجون عن طريق الحق الداخلون في

الكاملون في الفسق الذي
هو التمرد في الكفر
والانسلاخ عن كل خير

[illegible]

بالخير عطفا على الخير اي هو اذن خير و
لا يسمع غيرها ولا يقبله ثم فسر كونه اذن
خير بانه يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويقبل
من المؤمنين الخلص من المهاجرين والانصار
وهو رحمة لمن آمن منكم اي اظهر الايمان ايها
المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهر
ولا يكشف اسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم
ما يفعل بالمشركين مراعاة لما راى الله من
المصلحة في الابقاء عليكم فهو اذن كما قلتم
الا انه اذن خير لكم لا اذن سوء فسلم لهم
قولهم فيه الا انه فسره بما هو مدح له وثناء
عليه وان كانوا قصدوا به المذمة والتنقيص
بقلة فطنة وشهامة

كانوا يستهزؤن بالاسلام واهله وكانوا
يحذرون ان يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى
قال بعضهم والله لا ارانا الا شر
[illegible] والله لوددت اني قدمت فجلدت
مائة جلدة وانه لا ينزل فينا شيء يفضحنا
[illegible] عليهم وعيبهم للمؤمنين وفي
قلوبهم [illegible] وصح ذلك لان المؤمن
[illegible] اليه ويجوز ان يكون الضمائر
للمنافقين لان السورة اذا نزلت في
معناهم فهي نازلة عليهم ومعنى تنبئهم
بما في قلوبهم كانها تقول لهم في قلوبكم كيت
وكيت يعني انها تذيع اسرارهم عليهم
حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكانها تخبرهم بها

بعضهم من بعض اريد به نفي ان يكونوا من
المؤمنين وتكذيبهم في قولهم ويحلفون بالله
انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم

طرق الضلالة

طريق الضلالة. وقوله وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم اي على هذا الصنيع الذي ذكر عنهم خالدين فيها اي
ماكثين فيها هم والكفار هي حسبهم اي كفايتهم في العذاب ولعنهم الله اي طردهم وابعدهم ولهم عذاب مقيم اي دائم ابدي
كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم
كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة
واولئك هم الخاسرون يقول اصاب هؤلاء من عذاب الله في الدنيا والآخرة كما اصاب من قبلهم وقد كانوا اشد منهم قوة
واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم قال ابو هريرة الخلاق الدين اي تمتعوا واشتغلوا بنصيبهم من الدنيا باتباع الشهوات
ورضوا به عوضا عن الآخرة وخضتم كالذي خاضوا اي في الكذب والباطل اولئك حبطت اعمالهم اي بطلت مساعيهم فلا ثواب
لهم عليها لانها فاسدة في الدنيا والآخرة واولئك هم الخاسرون لانهم لم يحصل لهم عليها ثواب قال ابن عباس ما اشبه الليلة
بالبارحة كالذين من قبلكم هؤلاء بنو اسرائيل شبهنا بهم والذي نفسي بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه
وله شاهد في الحديث الصحيح عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا
بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قيل يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن متفق عليه الم ياتهم نبأ الذين من
قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم واصحاب مدين والمؤتفكات اتتهم رسلهم بالبينات
فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون وعظ الله هؤلاء المنافقين المكذبين للرسل بقوله الم ياتهم اي الم يخبروا
خبر من كان قبلكم من الامم المكذبة للرسل قوم نوح وما اصابهم من الغرق العام لجميع اهل الارض الا من آمن بنوح عليه السلام وعاد
كيف اهلكوا بالريح العقيم لما كذبوا هودا وثمود كيف اخذتهم الصيحة لما كذبوا صالحا وعقروا الناقة وقوم ابرهيم كيف نصره الله
عليهم وايده بالمعجزة الظاهرة عليهم واهلك ملكهم النمرود بن كوش الكنعاني واصحاب مدين وهم قوم شعيب عليه السلام وكيف
اصابتهم الرجفة والصيحة وعذاب يوم الظلة والمؤتفكات قوم لوط وقد كانوا يسكنون في مدائن وقال في الآية الاخرى والمؤتفكة
اهوى اي الامة المؤتفكة وقيل انهم قراهم وهي سدوم والغرض ان الله اهلكهم عن آخرهم بتكذيبهم نبي الله لوطا واتيانهم الفاحشة
التي لم يسبقهم بها احد من العالمين اتتهم رسلهم بالبينات اي بالحجج والدلائل القاطعات فما كان الله ليظلمهم اي باهلاكه اياهم لانه
اقام عليهم الحجة بارسال الرسل وازاحة العلل ولكن كانوا انفسهم يظلمون اي بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم الحق فصاروا الى ما صاروا
اليه من العذاب والدمار والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن
المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم
لما ذكر تعالى صفات المنافقين الذميمة عطف بذكر صفات المؤمنين الحميدة فقال بعضهم اولياء بعض اي يتناصرون ويتعاضدون
كما جاء في الحديث الصحيح المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين اصابعه. وقوله يامرون بالمعروف الخ كما قال تعالى
ولتكن منكم امة يدعون الى الخير الآية. وقوله يقيمون الصلوة اي يطيعون الله ويحسنون الى خلقه ويطيعون الله ورسوله اي فيما امر وترك
ما عنه زجر اولئك سيرحمهم الله اي من اتصف بهذه الصفات سيرحمهم الله ويغفر لهم ان الله عزيز حكيم اي عزيز من اطاعه
اعزه حكيم في قسمته هذه الصفات الحميدة والذميمة بين الفريقين وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم
اخبر تعالى بما اعده الله للمؤمنين والمؤمنات من الخيرات والنعيم المقيم في الجنات ماكثين فيها ابدا ومساكن طيبة اي حسنة البناء طيبة

القرار

هي حسبهم دلالة على عظم عذابها وانه لا شيء
ابلغ منه وانه بحيث لا يزاد عليه نعوذ بالله
من سخطه وعذابه

عن ابن مسعود انتم اشبه الامم ببني اسرائيل سمتا
وهديا تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة
غير اني لا ادري اتعبدون العجل ام لا

[illegible]

كما جاء في الصحيحين عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وفيهما ايضا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما تراءون الكواكب في السماء ثم ليعلم ان اعلى منزلة في الجنة مكان يقال له الوسيلة لقربه من العرش وهو مسكن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجنة كما روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا صليتم علي فاسألوا الله لي الوسيلة قيل يا رسول الله وما الوسيلة قال اعلى درجة في الجنة لا ينالها الا رجل واحد وارجو ان اكون انا هو رواه احمد وفي الصحيحين معناه وقوله تعالى ورضوان من الله اكبر اي رضي الله عنهم اكبر واعظم واجل مما هم فيه من النعيم كما روى ابو سعيد الخدري في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى يا رب وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون يا رب واي شيء افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا **يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير** امر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم كما امره بان يخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين واخبره ان مصير الكفار والمنافقين الى النار في الدارين ومقتضى الامر بجهاد المنافقين انهم اذا اظهروا النفاق جوهدوا بالسيوف وهو اختيار ابن جرير وقال ابن عباس جهاد المنافقين باليد فان لم يستطع فليكفهر في وجوههم وقيل جهادهم بترك الرفق بهم والغلظة عليهم وقوله ومأواهم اي مقرهم في الآخرة جهنم قال عطاء نسخت هذه الآية كل شيء من العفو والصفح وقوله يحلفون بالله ما قالوا قال قتادة نزلت في عبد الله بن ابي بن سلول وذلك انه اقتتل رجلان جهني وانصاري فعلا الجهني على الانصاري فقال عبد الله للانصار الا تنصروا اخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى بها رجل من المسلمين الى النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فسأله فجعل يحلف بالله ما قاله فانزل الله فيه هذه الآية وقال عروة بن الزبير نزلت هذه الآية في الجلاس بن سويد بن الصامت اقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء فقال الجلاس ان كان ما جاء به محمد حقا لنحن شر من حمرنا هذه التي نحن عليها فقال مصعب يا عدو الله لاخبرن رسول الله بما قلت فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم وخفت ان ينزل في القرآن او يصيبني قارعة او ان اخلط بخطيئة قلت يا رسول الله اقبلت انا والجلاس من قباء فقال كذا وكذا ولولا مخافة ان اخلط بخطيئة او يصيبني قارعة ما اخبرتك قال فدعا الجلاس فقال يا جلاس اقلت الذي قاله مصعب فحلف فانزل الله وقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم الآية قال ابن اسحق وبلغني ان الجلاس لما نزل فيه القرآن تاب ونزع وحسنت توبته وقوله وهموا بما لم ينالوا قيل نزلت في الجلاس وذلك انه هم بقتل ابن امرأته حين قال له ما قال وقيل نزلت في ابن سلول واتباعه وهم اثنا عشر رجلا هموا بالفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو في غزوة تبوك في بعض تلك الليالي في حال السير كما رواه البيهقي في دلائل النبوة عن حذيفة بن اليمان قال كنت آخذا بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم اقود به وعمار يسوق الناقة او انا اسوقه وعمار يقوده حتى اذا كنا بالعقبة فاذا انا باثني عشر راكبا قد اعترضوه فيها قال فصرخ بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فولوا مدبرين فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفتم القوم قلنا لا

يا رسول الله

جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة و
اغلظ عليهم في الجهادين [illegible] ولا تحابهم
وكل من وقف منهم على فساد في العقيدة
فهذا الحكم ثابت له يجاهد بالحجة وتستعمل
معه الغلظة ما امكن منها عن ابن مسعود
ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع
فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه يريد
الكراهة والبغضاء والتبري
منه

[illegible] نسخة

يا رسول الله قد كانوا متلثمين ولكنا قد عرفنا الركاب قال هؤلاء المنافقون الى يوم القيمة هل تدرون ما ارادوا قلنا لا قال ارادوا ان يزحموا رسول الله في العقبة فيلقوه فيها قلنا يا رسول الله او لا تبعث الى عشائرهم حتى يبعث كل قوم برأس صاحبهم قال لا اكره ان تتحدث العرب بينها ان محمدا قاتل بقوم حتى اذا اظهره الله بهم اقبل عليهم يقتلهم ثم قال اللهم ارمهم بالدبيلة قلنا يا رسول الله وما الدبيلة قال شهاب من نار يقع على نياط قلب احدهم فيهلك وروى احمد نحوه وفي مسلم معناه عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في اصحابي اثنا عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة سراج من النار يظهر بين اكتافهم حتى ينجم من صدورهم ولهذا كان حذيفة يقال له صاحب السر الذي لا يعلمه غيره اي من تعيين جماعة من المنافقين وهم هؤلاء قد اطلعه عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيره والله اعلم وقوله وما نقموا الا ان اغناهم الله اي وما للرسول ذنب عندهم الا ان اغناهم الله ببركة رسوله ويمن سفارته ولو تمت عليهم السعادة لهداهم الله لما جاء به كما قال عليه الصلوة والسلام للانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وعالة فاغناكم الله بي كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله امن وهذه الصيغة تقال حيث لا ذنب كما قال تعالى وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله ثم دعاهم تبارك وتعالى الى التوبة فقال فان يتوبوا اي من نفاقهم وكفرهم يك خيرا لهم وان يتولوا اي يعرضوا عن الايمان ويستمروا على طريقتهم يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا بالقتل والهم والحزن وفي الآخرة بالعذاب والنكال والهوان وما لهم في الارض من ولي اي ليس لهم احد يسعدهم لا يحصل لهم خيرا ولا يدفع عنهم شرا **ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب** اي ومن المنافقين من اعطى الله عهده وميثاقه لئن اغناه من فضله ليصدقن من ماله وليكونن من الصالحين فما وفى بما قال ولا صدق فيما ادعى فاعقبهم هذا الصنيع نفاقا سكن في قلوبهم الى يوم القيمة وقد ذكر ابن عباس وكثيرون ان هذه الآية نزلت في ثعلبة بن حاطب الانصاري كما رواه ابن جرير وابن ابي حاتم عن ابي امامة الباهلي ان ثعلبة بن حاطب الانصاري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال ثم قال مرة اخرى فقال اما ترضى ان تكون مثل نبي الله فوالذي نفسي بيده لو شئت ان تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك الجمعة فطفق يلتقي الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الاخبار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة فاخبروه بامره فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة وانزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة الآية ونزلت فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة رجلا من جهينة ورجلا من سليم وكتب لهما كيف ياخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية ما ادري ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما راوها قالوا ما يجب عليك

ويح كلمة ترحم وتوجع يقال لمن وقع
في هلكة لا يستحقها وهي منصوبة على
المصدر [illegible]

هذا ان ناخذ منك قال بلى فخذوها فان نفسي بذلك طيبة و انما هي له فاخذوها منه فلما فرغا من صدقتهما رجعا حتى مرا بثعلبة
فقال اروني كتابكما فنظر فيه فقال ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى ارى رايي فانطلقا حتى اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما راهما
قال يا ويح ثعلبة قبل ان يكلمهما و دعا للسلمي بالبركة فاخبراه بالذي صنع ثعلبة و الذي صنع السلمي فانزل الله تعالى ومنهم من عاهد
الله الآية قال و عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى اتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد انزل الله فيك
كذا و كذا فخرج حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فساله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثو على راسه
التراب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عملك قد امرتك فلم تطعني فلما ابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبض صدقته رجع الى
منزله فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يقبل منه شيئا ثم اتى ابا بكر رضي الله عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وموضعي من الانصار فاقبل صدقتي فقال ابو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم و ابى ان يقبلها فقبض
ابو بكر ولم يقبلها فلما ولي عمر رضي الله عنه اتاه فقال يا امير المؤمنين اقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر
فانا اقبلها منك فقبض ولم يقبلها ثم ولي عثمن رضي الله عنه فساله ان يقبل صدقته فاجابه بما اجاب عمر فهلك في خلافته وقوله تعالى بما
اخلفوا الله ما وعدوه اي اعقبهم النفاق في قلوبهم بسبب اخلافهم الوعد وكذبهم كما جاء في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال آية المنافق ثلث اذا حدث كذب و اذا وعد اخلف و اذا ائتمن خان وله شواهد كثيرة والله اعلم وقوله الم يعلموا ان الله يعلم
سرهم ونجويهم اخبر تعالى انه يعلم السر و اخفى و انه اعلم بضمائرهم و ان اظهروا انهم ان حصل لهم اموال تصدقوا منها وشكروا
عليها فانه اعلم بهم من انفسهم لانه تعالى علام الغيوب اي يعلم كل غيب وشهادة وكل سر و نجوى ويعلم ما ظهر وما بطن الذين يلمزون
المطوعين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب
اليم هذه ايضا صفة اخرى للمنافقين لا يسلم احد من لمزهم و عيبهم في جميع الاحوال حتى المتصدقون فانه لم يسلم احد منهم ان جاء
احد منهم بالجزيل قالوا هذا مرائي و ان جاء بشيء يسير قالوا ان الله لغني عن صدقة هذا كما قال ابن مسعود لما نزلت آية الصدقة كنا نتحامل
على ظهورنا فنتصدق به فجاء رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا مرائي وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا ان الله لغني عن صدقة هذا فنزل الذين
يلمزون المطوعين الآية رواه البخاري وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى الناس يوما فنادى فيهم ان اجمعوا
صدقاتكم فجمع الناس صدقاتهم ثم جاء رجل من آخرهم بصاع من تمر فقال يا رسول الله هذا صاع من تمر بت ليلتي اجر بالجرير
الماء حتى نلت صاعين من تمر فامسكت احدهما واتيتك بالآخر فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره في الصدقات فسخر منه
رجال و قالوا ان الله ورسوله لغنيان عن هذا وما يصنعون بصاعك من شيء ثم ان عبد الرحمن بن عوف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بقي احد من اهل الصدقات فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق احد غيرك فقال له عبد الرحمن عندي مائة اوقية من ذهب
في الصدقات فقال له عمر بن الخطاب امجنون انت قال ليس بي جنون قال افعلت ما فعلت قال نعم مالي ثمانية آلاف اما اربعة آلاف
فاقرضها ربي و اما اربعة آلاف فلي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما امسكت وفيما اعطيت ولمزه المنافقون
فقالوا والله ما اعطى عبد الرحمن عطيته الا رياء وهم كاذبون انما كان متطوعا فانزل الله تعالى عذره وعذر صاحبه المسكين
الذي جاء بالصاع من التمر فقال تعالى في كتابه الذين يلمزون المطوعين الآية وكذا روي عن مجاهد وغير واحد قال ابن اسحق المطوعين
من المؤمنين في الصدقات عبد الرحمن بن عوف وصاحبه عاصم بن عدي العجلاني وقيل حباب ابو عقيل الاراشي الذي اتى بصاع من

تمر وقوله فيسخرون

هذا عملك اي منع الله اياي قبول صدقتك وهذا عملك

فاعقبهم نفاقا عن الحسن وقتاده ان الضمير للبخل يعني فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه وداعيا اليه والظاهر ان الضمير لله عز وجل والمعنى فخذلهم الله حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين

الا جهدهم وهو القليل الذي يتعيش به

في الكشاف فبارك له حتى صولحت تماضر امراته عن ربع الثمن على ثمانين الفا

تمر وقوله فيسخرون منهم اي يستهزؤن منهم سخر الله منهم اي جازاهم على السخرية وهذا من باب المقابلة على سوء صنيعهم واستهزائهم
بالمؤمنين لان الجزاء من جنس العمل و اعد للمنافقين في الآخرة عذابا اليما استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر
لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين
اخبر تعالى نبيه عليه الصلوة والسلام بان هؤلاء المنافقين ليسوا اهلا للاستغفار وانه لو استغفر لهم و لو سبعين مرة فان الله لا
يغفر لهم و قد قيل ان السبعين انما ذكرت حسما لمادة الاستغفار لهم لان العرب في اساليب كلامها تذكر السبعين في مبالغة كلامها
ولا يريد التحديد بها ولا ان يكون ما زاد عليها بخلافها وقيل بل لها مفهوم كما قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لما نزلت هذه الآية اسمع ربي قد رخص لي فيهم فوالله لاستغفرن اكثر من سبعين مرة لعل الله ان يغفر لهم فقال الله من شدة غضبه
عليهم سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وقال الشعبي لما ثقل عبد الله بن ابي انطلق ابنه الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ان ابي قد احتضر و احب ان تشهده و تصلي عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال الحباب بن عبد الله
قال بل انت عبد الله بن عبد الله ان الحباب اسم الشيطان فانطلق معه حتى شهده و البسه قميصه وصلى عليه فقيل له اتصلي عليه
قال ان الله قال ان تستغفر لهم سبعين مرة ولاستغفرن لهم سبعين وسبعين وسبعين وكذا روي عن عروة ومجاهد وقتادة و
رواها ابن جرير فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في
سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا
كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون قال تعالى ذاما المنافقين المتخلفين عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وفرحوا
بقعودهم بعد خروجه وكرهوا ان يجاهدوا معه باموالهم وانفسهم في سبيل الله وقالوا اي بعضهم لبعض لا تنفروا في الحر وذلك
ان الخروج الى غزوة تبوك كان في شدة الحر عند طيب الظلال والثمار و لهذا قالوا لا تنفروا في الحر قال الله تعالى لرسوله قل لهم نار جهنم
التي تصيرون اليها بسبب مخالفتكم اشد حرا مما فررتم منه من الحر بل اشد حرا من النار كما في الصحيحين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ناركم هذه التي توقد ابن آدم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قيل يا رسول الله ان كانت لكافية قال فضلت عليها بتسعة
وستين جزءا كلها مثل حرها وقوله لو كانوا يفقهون اي لو انهم يفقهون ويعلمون لنفروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله
في الحر ليتقوا به من حر جهنم الذي هو اضعاف اضعاف هذا ولكنهم كما قيل : كالمستجير من الرمضاء بالنار : وقول آخر :
عمرك بالحمية افنيته : مخافة البارد و الحار : وكان اولى بك ان تتقي : من المعاصي حذر النار : ثم قال تعالى متوعدا هؤلاء
على صنيعهم هذا فليضحكوا قليلا قال ابن عباس الدنيا قليل فليضحكوا فيها ما شاؤا فاذا انقطعت الدنيا وصاروا الى الله تعالى
استانفوا بكاء لا ينقطع ابدا وعن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا
فان اهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كانها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو ان سفنا ازجيت
فيها لجرت رواه ابن ماجه ومحيي السنة في شرحها فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن
تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين اي فان ردك
الله من غزوتك هذه الى طائفة منهم وهم اثنا عشر رجلا فاستاذنوك في الخروج معك الى غزوة اخرى فقل تعزيرا لهم وعقوبة لن تخرجوا
معي ابدا في سفر ولن تقاتلوا معي عدوا للاسلام انكم اي لانكم رضيتم بالقعود اول مرة في غزوة تبوك وهذا كقوله تعالى ونقلب افئدتهم
و ابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة فان من جزاء السيئة السيئة بعدها وقوله فاقعدوا مع الخالفين اي الرجال الذين تخلفوا عن الغزاة

هذا الامر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم او لم تستغفر لهم وذلك لانهم كفروا حتى قال النبي قد رخص لي ربي فسازيد على السبعين

فلما فهم النبي نزلت استغفر لهم او لا تستغفر لهم وعلما قال النبي سازيد على السبعين في الاستغفار قال الله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم

المخلفون الذين استاذنوا رسول الله من المنافقين فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك او الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان

في ذكر الجهاد بالاموال والانفس تعريض بالمؤمنين ومدح لهم وذم للمنافقين

استجهال لهم لان من حفظ نفسه من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التحفظ في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل

وقيل اي مع النساء والعجزة والاول الراجح ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله و
رسوله وماتوا وهم فاسقون امر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يتبرأ من المنافقين ونهاه ان يصلي على احد منهم اذا مات
وان يقوم على قبره يستغفر له لانهم كفروا بالله ورسوله وماتوا عليه وهذا عام في كل من عرف نفاقه وان كان سبب نزوله ابن
سلول راس المنافقين كما في الصحيحين ان ابن عمر قال لما توفي عبد الله بن ابي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسأله ان يعطيه قميصه يكفن فيه اباه فاعطاه ثم سأله ان يصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام
عمر فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خيرني الله فقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسازيده على السبعين قال
انه منافق قال فصلى عليه وفي البخاري وصلينا معه فانزل الله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا الاية وفيهما ايضا عن
جابر قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي بعد ما ادخل في قبره فامر به فاخرج ووضع على ركبتيه ونفث عليه من ريقه
والبسه قميصه وفي مسند احمد والترمذي انه ابطأ اكثر من هذا وقد ذكروا انه عليه الصلوة والسلام انما البسه قميصه لانه لما
اسر العباس طلب له قميص فلم يوجد على قامته الا ثوب ابن سلول لانه كان ضخما طويلا ففعل ذلك به رسول الله صلى الله عليه وسلم مكافاة
له وكان عليه الصلوة والسلام بعد نزول هذه الاية لا يصلي على احد من المنافقين ولا يقوم على قبره وكان عمر بن الخطاب لا يصلي على
جنازة من جهل حاله حتى يصلي عليها حذيفة بن اليمان لانه كان يعلم اعيان المنافقين لما اخبره بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولهذا كان يقال له صاحب السر الذي لا يعلمه غيره من الصحابة واما الصلوة على المؤمنين والقيام على قبرهم للاستغفار والدعاء
ففيهما الثواب والاجر الجزيل كما في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شهد الجنازة حتى تصلى عليها فله قيراط ومن شهدها
حتى تدفن فله قيراطان قيل وما القيراطان قال اصغرهما مثل احد وعن عثمن رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من
دفن الرجل وقف عليه وقال استغفروا لاخيكم واسئلوا الله بالتثبيت فانه الان يسأل انفرد به ابو داود ولا تعجبك اموالهم
واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون قد سبق تفسير نظير هذه الاية
قبيل واذا انزلت سورة ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم وقالوا ذرنا
نكن مع القاعدين رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون قال تعالى منكرا وذاما للمتخلفين
عن الجهاد الناكلين عنه مع القدرة عليه ووجود السعة والطول استاذنوا الرسول في القعود وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين ورضوا
لانفسهم بالعار والقعود في البلد مع النساء وهن الخوالف بعد خروج الجيش فاذا وقع الحرب كانوا اجبن الناس واذا كان امن
كانوا اكثر الناس كلاما كما قال تعالى عنهم في الاخرى فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم الاية كما قال الشاعر
افي السلم اعيادا اجفاء وغلظة ❊ وفي الحرب اشباه النساء العوارك ❊ وقوله وطبع على قلوبهم اي بسبب نكولهم عن الجهاد والخروج
مع الرسول في سبيل الله فهم لا يفقهون اي لا يفهمون ما فيه صلاح لهم فيفعلوه ولا ما فيه فساد لهم فيجتنبوه لكن الرسول والذين
آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون اعد الله لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم لما ذم المنافقين مدح المؤمنين وبين ما لهم في آخرتهم فقال
لكن الرسول والذين آمنوا معه الى آخر الايتين من بيان حالهم ومآلهم وقوله واولئك لهم الخيرات اي الحسنات في الاخرة في جنات
الفردوس والدرجات العلى وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب

كونه ان يراد السورة تمامها وان يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه ان آمنوا اي بان آمنوا اولوا الطول ذووا الفضل والسعة مع القاعدين مع الذين لهم علة وعذر في التخلف

المعذرون من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له

قيل هم اسد وغطفان

قيل هم رهط عامر بن الطفيل

منهم من الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان

الذين كفروا

الذين كفروا منهم عذاب اليم ثم بين تعالى حال ذوي الاعذار في ترك الجهاد الذين جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون
اليه ويبينون له ما هم فيه من الضعف وعدم القدرة على الخروج وهم من احياء العرب ممن حول المدينة وقراءة ابن عباس وجاء
المعذرون بالتخفيف اي هم اهل العذر وقيل هم نفر من بني غفار جاؤا فاعتذروا فلم يعذرهم الله قاله مجاهد وغير واحد
وقوله وقعد الذين كفروا اي آخرون من الاعراب عن المجيء للاعتذار ثم اوعدهم بالعذاب الاليم فقال سيصيب الذين كفروا منهم عذاب
اليم ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله
ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم
عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون انما السبيل على الذين يستاذنونك
وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ثم بين تعالى الاعذار التي
لا حرج من قعد معها عن القتال فذكر منها ما هو لازم للشخص لا ينفك عنه وهو الضعف في التركيب الذي لا يستطيع معه الجلاد
في الجهاد ومنه العمى والعرج ونحوهما ولهذا بدأ به وما هو عارض بسبب مرض عن له في بدنه شغله عن الخروج في سبيل الله او بسبب
فقر لا يقدر على التجهيز للحرب فليس على هؤلاء حرج اذا قعدوا ونصحوا في حال قعودهم ولم يرجفوا بالناس ولم يثبطوهم وهم محسنون
في حالهم هذا ولهذا قال ما على المحسنين من سبيل اي من طريق الى عقوبتهم قال ابو ثمامة قال الحواريون يا روح الله اخبرنا عن الناصح لله قال
الذي يؤثر حق الله على حق الناس واذا حدث له امران او بدا له امر الدنيا وامر الاخرة بدا بالذي للاخرة ثم تفرغ للذي للدنيا وقال قتادة
نزلت هذه الاية في عائذ بن عمرو المزني وقال زيد بن ثابت كنت اكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم براءة فاني لواضع القلم على اذني
اذ امرنا بالقتال فجعل رسول الله ينظر ما ينزل عليه اذ جاء اعمى فقال كيف بي يا رسول الله وانا اعمى فنزلت ليس على الضعفاء ولا على
المرضى الى آخر الاية وقال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الناس ان ينبعثوا غازين معه فجاءته عصابة من اصحابه فيهم
عبد الله بن مغفل المزني فقالوا يا رسول الله احملنا فقال لهم والله ما اجد ما احملكم عليه فتولوا ولهم بكاء وعز عليهم ان يجلسوا
عن الجهاد ولا يجدون نفقة ولا محملا فلما راى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله انزل عذرهم في كتابه فقال ليس على الضعفاء ولا على
المرضى الى قوله فهم لا يعلمون وقال ابن اسحق وهم البكاؤن وهم سبعة نفر من الانصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير
وعلية بن زيد اخو بني حارثة وابو ليلى عبد الرحمن بن كعب اخو بني مازن بن النجار وعمرو بن الحمام بن الجموح اخو بني سلمة و
عبد الله بن مغفل المزني وقيل بل هو عبد الله بن عمرو المزني وهرمي بن عبد الله اخو بني واقف وعرباض بن سارية الفزاري فاستحملوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اهل حاجة فقال لا اجد ما احملكم عليه فتولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفق
وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة قال ان بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا
الا كانوا معكم وفي رواية الا شركوكم في الاجر قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال وهم بالمدينة حبسهم العذر رواه البخاري ورواه
مسلم عن جابر ثم رد تعالى الملامة على الذين يستاذنون في القعود وهم اغنياء وانبهم في رضاهم بان يكونوا مع النساء الخوالف في
الرحال وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبانا
الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس وماويهم جهنم جزاء
بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اخبر تعالى

ليس على الضعفاء كالهرمى والزمنى والذين لا يجدون ما ينفقون الفقراء والنصح لله ورسوله الايمان بهما وطاعتهما في السر والعلن على المحسنين على المعذورين الناصحين ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعتاب عليهم قلت حال من الكاف في اتوك وقد قبله مضمرة كما قيل او جاؤكم حصرت صدورهم اي اذا ما اتوك قائلا لا اجد تولوا تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كأن كلها دمع فائض ومن للبيان ان لا يجدوا لئلا يجدوا

عن المنافقين بانهم اذا رجعوا الى المدينة انهم يعتذرون اليهم قريش قل لن نؤمن لكم اي لن نصدقكم قد نبانا الله من اخباركم اي قد اعلمنا احوالكم وسيرى الله عملكم ورسوله اي سيظهر اعمالكم للناس في الدنيا ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم فيجازيكم بما كنتم تعملون خيرها وشرها ويجزيكم عليها ثم اخبر عنهم انهم سيحلفون معتذرين لتعرضوا عنهم فلا تؤنبوهم فاعرضوا عنهم احتقارا لهم انهم رجس اي خبثاء نجس بواطنهم واعتقاداتهم ومأويهم في آخرتهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون اي من الآثام والخطايا واخبر انهم ان رضوا بحلفهم بهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي الخارجين عن طاعته وطاعة رسوله فان الفسق هو الخروج ومنه سميت الفارة فويسقة لخروجها من جحرها للفساد الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم اخبر تعالى انه في الاعراب كفار ومنافقون ومؤمنون وان كفرهم ونفاقهم اعظم من غيرهم واشد واجدر اي احرى ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن اتى السلطان افتتن رواه ابو داود والترمذي والنسائي ولما كانت الغلظة والجفاء في اهل البوادي لم يبعث الله منهم رسولا وانما كانت البعثة من اهل القرى كما قال تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى وقوله والله عليم اي بمن استحق ان يعلمه الايمان والعلم حكيم فيما قسم بين عباده من العلم والجهل والايمان والكفر واخبر تعالى ان منهم من يتخذ ما ينفق اي في سبيل الله مغرما اي غرامة وخسارة ويتربص بكم الدوائر اي ينتظر بكم الحوادث والآفات عليهم دائرة السوء اي هي منعكسة عليهم والسوء دائر عليهم والله سميع اي لدعاء عباده عليم اي بمن يستحق النصر ممن يستحق الخذلان وقوله ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق قربات عند الله حاصل هذا هو القسم الممدوح منهم وهم الذين يتخذون ما ينفقون في سبيل الله قربة يتقربون بها عند الله ويبتغون بذلك دعاء الرسول لهم الا انها قربة لهم اي الا ان ذلك حاصل لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم اخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان ورضاهم عنه بما اعد لهم من جنات النعيم وقال الشعبي السابقون الاولون من المهاجرين والانصار من ادرك بيعة الرضوان عام الحديبية وقال آخرون هم الذين صلوا القبلتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عن الحسن انه كان يقرأ والانصار مرفوعا عطفا على والسابقون فقد اخبر الله تعالى انه قد رضي عن السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان فيا ويل من ابغضهم او سبهم او ابغض او سب بعضهم ولا سيما سيد الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيرهم وافضلهم اعني الصديق الاكبر والخليفة الاعظم ابا بكر بن ابي قحافة رضي الله عنه فان الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون افاضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم عياذا بالله من ذلك وهذا يدل على ان عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة فاين هؤلاء من الايمان بالقرآن اذ يسبون من رضي الله عنهم وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم اخبر تعالى رسوله عليه الصلوة والسلام ان في احياء الاعراب ممن حول المدينة منافقين وفي اهل المدينة منافقين مردوا على النفاق اي تمرنوا واستمروا عليه ومنه يقال شيطان مريد ومارد ويقال تمرد

انهم رجس تعليل لترك معاتبتهم يعني ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تطهرهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار واما هؤلاء فارجاس لا سبيل الى تطهيرهم

فلان على الله

فلان على الله اي عتا وتجبر وقوله لا تعلمهم اي انت يا محمد بل نحن نعلمهم لا ينافي قوله ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول الآية لان هذا من باب التوسم فيهم بصفات يعرفون بها لا انه يعرف جميع من عنده من اهل النفاق والريب على التعيين وقد كان يعلم ان في بعض من يخالطه من اهل المدينة نفاقا وان كان يراه صباحا ومساء وشاهد هذا بالصحة ما رواه احمد في مسنده عن جبير بن مطعم قال قلت يا رسول الله انهم يزعمون انه ليس لنا اجر بمكة فقال لتأتينكم اجوركم ولو كنتم في جحر ثعلب واصغى الي رسول الله صلى الله عليه وسلم برأسه فقال ان في اصحابي منافقين ومعناه انه قد يبوح بعض المنافقين والمرجفين من الكلام ما لا صحة له ومن مثلهم صدر هذا الكلام الذي سمعه جبير بن مطعم وتقدم في تفسير قوله وهموا بما لم ينالوا انه عليه الصلوة والسلام اعلم حذيفة باعيان جماعة من المنافقين وهذا تخصيص لا يقتضي انه اطلع على اسمائهم واعيانهم كلهم والله اعلم وقال ابن عباس في هذه الآية قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق واخرج يا فلان فانك منافق فاخرج من المسجد ناسا منهم وفضحهم فجاء عمر وهم يخرجون من المسجد فاختبأ منهم حياء انه لم يشهد الجمعة وظن ان الناس انصرفوا واختبؤا هم من عمر ظنوا انه قد علم بحالهم فجاء عمر فدخل المسجد فاذا الناس لم يصلوا فقال له رجل من المسلمين ابشر يا عمر فان الله قد فضح المنافقين اليوم وقال ابن عباس فهذا هو العذاب الاول حين اخرجهم من المسجد والعذاب الثاني عذاب القبر وبه قال مجاهد وقيل هما القتل والسبي وقيل الجوع وعذاب القبر ثم يردون الى عذاب عظيم وقال الحسن عذاب في الدنيا وعذاب في القبر اما عذاب الدنيا فمصائب الاموال والاولاد كما في قوله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم الآية واما عذاب الآخرة فالخلود في النار وقيل غير ذلك قريب منه وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم لما بين تعالى حال المنافقين الذين رغبوا عن الغزاة تكذيبا وشكا شرع في بيان حال الذين تأخروا عنها كسلا وميلا الى الراحة مع ايمانهم وتصديقهم بالحق فقال وآخرون اعترفوا بذنوبهم اي اقروا بها واعترفوا فيما بينهم وبين ربهم خالطين هذه باعمال لهم صالحة فهؤلاء تحت عفو الله وغفرانه وهذه الآية وان نزلت في اناس معينين فهي عامة في كل من اتصف بهذه الصفة وقال ابن عباس وغير واحد انها نزلت في ابي لبابة وجماعة معه تخلفوا من غزوة تبوك فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوته ربطوا انفسهم بسواري المسجد وحلفوا لا يحلهم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انزل الله هذه الآية اطلقهم النبي صلى الله عليه وسلم وعفا عنهم وعن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا اتاني الليلة آتيان فابتعثاني فانتهيا الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال شطر من خلقهم كاحسن ما انت راء وشطر كاقبح ما انت راء قالا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في احسن صورة قالا لي هذه جنة عدن وهذا منزلك واما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فانهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فتجاوز الله عنهم هكذا رواه البخاري مختصرا في تفسير هذه الآية خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم والله سميع عليم الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم امر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يأخذ من اموال المسلمين صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وهذا عام وان اعاد بعضهم الضمير في اموالهم الى الذين اعترفوا بذنوبهم ولهذا اعتقد بعض مانعي الزكوة من العرب ان دفع الزكوة الى الامام كان خاصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم محتجا بهذه وقد رد عليهم هذا التأويل الفاسد الصديق وسائر الصحابة رضي الله عنهم وقاتلوهم حتى ادوا الزكوة الى الخليفة كما يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو مبسوط مبين في الصحاح وشروحها وقوله وصل عليهم اي ادع لهم واستغفر لهم كما قال عبد الله بن ابي اوفى

واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم

بامرهم

اعترفوا بذنوبهم اي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكنهم اعترفوا على انفسهم بانهم بئس ما فعلوا اشد ندم نادمين وكانوا عشرة ابو لبابة و اوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل غيره عملا صالحا خروجا الى الجهاد وآخر سيئا تخلفا عنه وعن الكلبي التوبة والاثم

تطهرهم صفة لصدقة والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه او بمعنى الانماء والبركة في المال

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى بصدقة قوم صلى عليهم فاتاه ابي بصدقته فقال اللهم صل على آل ابي اوفى رواه مسلم وقوله
ان صلوتك سكن لهم وقرأ بعضهم ان صلواتك على الجمع والاخرون على الافراد قال ابن عباس اي رحمة لهم وقوله والله سميع اي
لدعائك عليم بمن يستحق ذلك منك ومن هو اهل له وقوله الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة هذا تهييج الى التوبة والصدقة الماحيتين للذنوب
وما حقيتهما واخبار بانه تعالى يتوب الى من تاب اليه ويقبل الصدقات كما روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده ما من عبد يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا ولا يصعد الى السماء الا طيب الا كانما يضعها في
يد الرحمن فيربيها كما يربي احدكم فلوه حتى ان اللقمة لتاتي يوم القيامة وانها لمثل الجبل العظيم ثم قرأ ان الله هو يقبل التوبة عن
عباده ويأخذ الصدقات رواه الشافعي وفي الصحيحين نحوه مختصرا وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون
وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون هذا وعيد للمخالفين اوامر الله فان اعمالهم ستعرض
عليه تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين يوم القيامة لا محالة كما قال يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية وقد يظهر الله ذلك
للناس كما روى ابو سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان احدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لاخرج الله عمله للناس
كائنا ما كان رواه احمد وقد ورد ان اعمال الاحياء تعرض على الاموات من الاقارب والعشائر في البرزخ كما روى جابر وانس ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اعمالكم تعرض على اقاربكم وعشائركم من الاموات فان كان خيرا استبشروا به وان كان غير ذلك قالوا اللهم
لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا وفي رواية جابر اللهم الهمهم ان يعملوا بطاعتك رواه احمد والطيالسي وعن انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبد خيرا استعمله قبل موته قالوا يا رسول الله وكيف يستعمله قال يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه تفرد به
احمد وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم قال ابن عباس وغيره هم الثلاثة
الذين خلفوا اي عن التوبة مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن امية قعدوا عن غزوة تبوك في جملة من قعد كسلا وميلا الى
الدعة والخفض وطيب الظلال والثمار لا شكا ونفاقا وهؤلاء الثلاثة غير الطائفة الذين ربطوا انفسهم بالسواري كما سبق قريبا
نزلت توبتهم قبل هؤلاء وارجي هؤلاء الثلاثة عن التوبة حتى نزلت الآية الآتية وهي قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا كما سياتي بيانه
وحديث كعب بن مالك وقوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم اي هم تحت عفو الله فان شاء فعل بهم هذا وان شاء فعل ذاك
ولكن رحمته تغلب غضبه والله عليم بمن يستحق العقوبة ممن يستحق العفو حكيم في افعاله واقواله والذين اتخذوا مسجدا
ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا
الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى من اول يوم
احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين سبب نزول هذه الآيات انه كان
بالمدينة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها رجل من الخزرج يقال له ابو عامر الراهب وقد كان تنصر في الجاهلية وقرأ علم
اهل الكتاب وكان فيه عبادة في الجاهلية وكان كبيرا شريفا في الخزرج فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واجتمع المسلمون عليه
وصارت للاسلام كلمة عالية واظهرهم الله يوم بدر شرق اللعين ابو عامر واظهر العداوة وخرج فارا الى كفار مكة من مشركي قريش
فحرضهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا بمن وافقهم من العرب وقدموا عام احد وكان من امر المسلمين ما كان و
امتحنهم الله وكانت العاقبة للمتقين وكان هذا الخبيث قد حفر حفائر فيما بين الصفين فوقع في احداهن رسول الله صلى الله عليه وسلم

يسكن لهم يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم

فسيرى الله عملكم وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة

قرئ مرجون ومرجاؤن من ارجيته وارجاته اذا اخرته ومنه المرجئة يعني وآخرون من المتخلفين موقوفون الى ان يظهر امرهم

قال الزجاج اما لوقوع احد الشيئين والله تعالى عالم بما يصير اليه امرهم الا ان هذا للعباد اي كله ابدا للعباد اي خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة

[illegible]

واصيب ذلك

واصيب ذلك اليوم فجرح في وجهه وكسرت رباعيته اليمنى السفلى وشج راسه وتقدم ابو عامر في اول المبارزة الى قومه من
الانصار فخاطبهم واستمالهم الى نصره وموافقته فلما عرفوا كلامه قالوا لا انعم الله بك عينا يا فاسق يا عدو الله ونالوا منه وسبوه
فرجع وهو يقول والله لقد اصاب قومي بعدي شر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعاه الى الله قبل فراره وقرأ عليه من القرآن
فابى ان يسلم وتمرد فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يموت بعيدا طريدا فنالته هذه الدعوة وذلك انه لما فرغ الناس
من احد ورأى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم في ارتفاع وظهور ذهب الى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي صلى الله عليه وسلم فوعده
ومناه واقام عنده وكتب الى جماعة من قومه من اهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم انه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويغلبه ويرده عما هو فيه وامرهم ان يتخذوا له معقلا يقدم عليه فيه من يقدم من عنده لاداء كتبه ويكون مرصدا له اذا
قدم عليهم بعد ذلك فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء فبنوه واحكموه وفرغوا منه قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى تبوك و
جاؤا فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتي اليهم فيصلي في مسجدهم ليحتجوا بصلوته عليه الصلوة والسلام فيه على تقريره واثباته
وذكروا انما بنوه للضعفاء منهم واهل العلة في الليلة الشاتية فعصمه الله من الصلوة فيه وقال انا على سفر ولكن اذا رجعنا
ان شاء الله فلما قفل عليه الصلوة والسلام راجعا الى المدينة من تبوك ولم يبق بينه وبينها الا يوم او بعض يوم نزل عليه الوحي بخبر مسجد
الضرار وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء الذي اسس على التقوى من اول يوم فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه المدينة هكذا روي عن ابن عباس وكثير من الناس والذي هدم
ذلك المسجد مالك بن الدخشم اخو بني سالم بن عوف ومعن بن عدي او اخوه عاصم قال لهما النبي صلى الله عليه وسلم انطلقا الى هذا
المسجد الظالم اهله فاهدماه وحرقاه فخرجا سريعين حتى اتيا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك لمعن
انظرني حتى اخرج اليك بنار من اهلي فدخل اهله فاخذ سعفا من النخل فاشعل فيه نارا ثم خرجا يشتدان حتى دخلا المسجد و
فيه اهله فحرقاه وهدماه وتفرقوا عنه ونزل فيهم من القرآن ما نزل وقوله وليحلفن اي الذين بنوه ان اردنا الا الحسنى اي ما
اردنا ببنائه الا خيرا ورفقا بالناس قال تعالى والله يشهد انهم لكاذبون اي فيما قصدوا وفيما نووا وانما بنوه ضرارا لمسجد
قبا وكفرا بالله وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله وهو ابو عامر الفاسق الذي يقال له الراهب وقوله لا تقم فيه
ابدا فيه نهي الله رسوله عليه الصلوة والسلام والامة تبع له في ذلك عن ان يقوم فيه اي يصلي فيه ابدا ثم حثه على الصلوة في مسجد قباء الذي
اسس من اول يوم بناؤه على التقوى وهي طاعة الله وطاعة رسوله وجمعا لكلمة المؤمنين ومعقلا وموئلا للاسلام واهله ولهذا قال لمسجد
اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه ولهذا جاء في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلوة في مسجد قباء كعمرة وفيه ايضا
انه عليه الصلوة والسلام كان يزور مسجد قباء راكبا وماشيا وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الآية في اهل قباء فيه
رجال يحبون ان يتطهروا قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه وعن عويم بن ساعدة
الانصاري ان النبي صلى الله عليه وسلم اتاهم في مسجد قباء فقال ان الله قد احسن عليكم الثناء في الطهور في قصة مسجدكم فما هذا الطهور
الذي تطهرون به قالوا والله يا رسول الله ما نعلم شيئا الا انه كان لنا جيران من اليهود فكانوا يغسلون ادبارهم من الغائط فغسلنا كما
غسلوا رواه احمد وقد ورد في الحديث الصحيح ان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في جوف المدينة هو المسجد الذي اسس على التقوى
ولا منافاة بينهما فانه اذا كان مسجد قباء قد اسس على التقوى من اول يوم فمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الاولى والاحرى
ولهذا قال ابي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المسجد الذي اسس على التقوى مسجدي هذا تفرد به احمد وعن ابي سعيد قال امترى

صلوة وذكر الله

التوسعة على المصلين

[illegible]

رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه في بيت لبعض نسائه فقلت يا رسول الله اي مسجد اسس على التقوى قال فاخذ كفا من حصبا
فضرب به الارض فقال هو مسجدكم هذا رواه مسلم منفردا به وفي هذه الاية استحباب الصلوة في المساجد القديمة المؤسسة من اول
بنائها على عبادة الله وحده لا شريك له واستحباب الصلوة مع جماعة الصالحين والعباد العاملين المحافظين على اسباغ الوضوء والتنزه
من ملابسة القاذورات وقال ابو العالية في قوله والله يحب المطهرين ان الطهور بالماء لحسن ولكنهم المتطهرون من الذنوب
وقال الاعمش التوبة من الذنب والتطهر من الشرك وقال ابن عباس نزلت هذه الاية في اهل قباء فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله
يحب المطهرين فسالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نتبع الحجارة الماء رواه الحافظ ابو بكر البزار وهذا ما عليه جمهور الفقهاء
وان خفي على كثير من متاخري اهل الحديث **افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا
جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم
الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم** قال تعالى لا يستوي من اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان ومن بنى مسجدا ضرارا وكفرا
مخافة الله ورجاء ثوابه وطلب مرضاته
وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل فانما يبني هؤلاء بنيانهم على شفا جرف هار اي على طرف حفيرة واصل
الجرف السيل الذي لم تطوى وقال ابو عبيدة هو الهوة وما يجرفه السيل من الاودية فهار اي هاير وهو الساقط يقال هار يهور
فهو هاير ثم تقلب فيقال هار مثل عاق وعاق وقيل هو من هار يهار اذا انهدم فانهار به اي سقط بالباني في نار جهنم كما
ينهار الرمل والشيء الرخو بعضه اثر بعض والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يصلح عمل المفسدين وقال بعض الصحابة
التابعين رايت في مسجد الضرار حفرة يخرج منه الدخان وهو اليوم مزبلة وقوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم اي شكا
ونفاقا بسبب اقدامهم على هذا الصنع الشنيع اورثهم نفاقا في قلوبهم كما اشرب عابدوا العجل حبه وقوله الا ان تقطع قلوبهم
قال ابن عباس وغير واحد اي بموتهم والله عليم باعمال خلقه حكيم في مجازاتهم عليها من خير وشر **ان الله اشترى من
المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا
في التوريه والانجيل والقران ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك
هو الفوز العظيم** اخبر تعالى انه عاوض عباده المؤمنين عن انفسهم واموالهم اذا بذلوها في سبيله بالجنة وهذا من فضله وكرمه
واحسانه فانه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عبيده المطيعين له ولهذا قال الحسن وقتادة بايعهم الله فاغلى ثمنهم وقال
محمد بن كعب القرظي وغيره قال ابن رواحة ليلة العقبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال اشترط لربي
يعني الانصار
ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم واموالكم قالوا فما لنا ان فعلنا ذلك قال الجنة
قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الاية وقوله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون و
يقتلون اي سواء قتلوا او قتلوا او اجتمع لهم هذا وهذا فقد وجبت لهم الجنة ولهذا جاء في الصحيحين تكفل الله لمن خرج في سبيله لا
يخرجه الا الجهاد في سبيلي وتصديق رسلي ان توفاه ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه نايلا ما نال من اجر او
غنيمة وقوله وعدا عليه حقا تاكيد لهذا الوعد واخبار بانه قد كتبه على نفسه الكريمة وانزله على رسله في كتبه المنزلة على انبيائه على نبينا
وعليهم الصلوة والسلام وقوله ومن اوفى بعهده من الله اي ولا احد اعظم وفاء بما عاهد عليه من الله فانه لا يخلف الميعاد وهذا
كقوله ومن اصدق من الله حديثا الاية ولهذا قال تعالى فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به اي فليستبشر من قام بمقتضى هذا العقد ووفى
بهذا العهد بالفوز العظيم والنعيم المقيم **التايبون العابدون السايحون الراكعون الساجدون الامرون**

في نسخة المدح اي هم التايبون

يعني لا يزال هدمه سبب شك ونفاق
زايد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه
عن قلوبهم ولا يضمحل اثره الا ان تتقطع
قلوبهم قطعا وتفرق اجزاؤها حينئذ يسلون
عنه واما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة
باقية فيها متمكنة

وعدا مصدر مؤكد اخبر بان هذا
الوعد الذي وعده للمجاهدين في
سبيله وعد ثابت قد اثبته في
التوريه والانجيل كما اثبته في
القران

[illegible]

من جملة الكرام [illegible] عليهم
[illegible]
بالمعروف

بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين هذا نعت المؤمنين الذين
اشترى الله منهم انفسهم واموالهم بهذه الصفات الجميلة التايبون من الذنوب كلها التاركون للفواحش العابدون اي
القايمون بعبادة ربهم محافظين عليها وهي الاقوال والافعال فمن اخص الاقوال الحمد ولهذا قال الحامدون ومن افضل الاعمال
الصيام وهو ترك الملاذ من الطعام والشراب والجماع وهو المراد بالسياحة هاهنا قال ابن عباس وغير واحد كلما ذكر الله في القران
السياحة هم الصايمون وقالت عايشة سياحة هذه الامة الصيام وروي هذا المعنى مرفوعا ولهذا قال السايحون وكذا الركوع و
السجود وهما عبارة عن الصلوة ولهذا قال الراكعون الساجدون وهم مع ذلك ينفعون خلق الله ويرشدونهم الى طاعة الله بامرهم
بالمعروف ونهيهم عن المنكر مع العلم بما ينبغي فعله ويجب تركه وهو حفظ حدود الله في تحليله وتحريمه علما وعملا فقاموا بعبادة
الحق ونصح الخلق ولهذا قال وبشر المؤمنين لان الايمان يشمل هذا كله والسعادة كل السعادة لمن اتصف به وقد جاء
السياحة بمعنى الجهاد كما روى ابو امامة ان رجلا قال يا رسول الله ائذن لي في السياحة فقال النبي صلى الله عليه وسلم سياحة امتي الجهاد
في سبيل الله رواه ابو داود وقال عكرمة السايحون طلبة العلم وقيل هم المهاجرون وقوله والحافظون لحدود الله قال
ابن عباس هم القايمون بطاعة الله واوامره والحافظون بفرايض الله **ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين
ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن
موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه ان ابرهيم لاواه حليم** في الصحيحين انه لما حضرت
ابا طالب الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ابو جهل وعبد الله بن امية فقال اي عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك
بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله بن ابي امية يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب فقال انا على ملة عبد المطلب فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنك فنزلت ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية ونزلت فيه انك لا تهدي
من احببت وعن علي قال سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت ايستغفر الرجل لابويه وهما مشركان فقال اولم يستغفر
ابرهيم لابيه فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية رواه احمد وقوله الا
عن موعدة وعدها اياه قيل الهاء في اياه عايدة الى ابرهيم والوعد كان من ابيه وعده ان يسلم فقال له ابرهيم ساستغفر لك اي اذا
اسلمت وقيل راجعة الى الاب وذلك ان ابرهيم وعد اباه ان يستغفر له رجاء اسلامه وهو قوله ساستغفر لك ربي يدل عليه قراءة
الحسن وعدها اباه بالباء الموحدة والاول اصح فلما تبين اي ظهر لابرهيم انه عدو لله لموته على الكفر تبرا منه واعرض عنه وعن
ابن مسعود قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما الى المقابر فاتبعناه فجاء حتى جلس الى قبر منها فناجاه طويلا ثم بكى فبكينا لبكايه
ثم قام فقام اليه عمر بن الخطاب فدعاه ثم دعانا فقال ما ابكاكم قلنا بكينا لبكايك قال ان القبر الذي جلست عنده قبر امنة واني
استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي واني استاذنت في الدعاء لها فلم ياذن لي فانزل علي ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين
ولو كانوا اولي قربى فاخذني ما ياخذ الولد للوالد رواه ابن ابي حاتم وروى احمد معناه وقال ابن عباس وكانوا يستغفرون لامواتهم
حتى نزلت هذه الاية فلما نزلت هذه الاية امسكوا عن الاستغفار لامواتهم ولم ينهوا ان يستغفروا للاحياء حتى يموتوا وفي الطبراني عن
ابن عباس قال ثم جاني جبريل فقال وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه فتبرا
انت من امك كما تبرا ابرهيم من ابيه فرحمتها وهذا الذي رواه الطبراني غريب واغرب منه واشد نكارة ما رواه الخطيب ابو بكر
البغدادي في كتاب السابق واللاحق بسند مجهول عن عايشة وحدث فيه قصة ان الله احيا امنة فامنت ثم عادت وكذلك روي

فلما تبين له من جهة الوحي انه لن
يؤمن وانه يموت كافرا وانقطع
رجاؤه عنه

السهيلي بسند مجهول ان الله احيا اباه وامه فامنا به وقد قال الحافظ ابن دحية هذا الحديث موضوع يرده القرآن و
الاجماع قال الله ولا الذين يموتون وهم كفار وقال ابو عبد الله القرطبي ردا عليه ان هذه حوزة جديدة كما رجعت الشمس بعد
غيبوبتها فصلى العصر وحديث الشمس ثابت وقال القرطبي ليس احياؤهما ممتنع شرعا ولا عقلا قال الشيخ رحمه الله وهذا يتوقف
على صحة الحديث فاذا صح فلا مانع منه قلت فاذا لم يثبت الى الآن فلا نثبت ولا يصح ابدا فكيف يصح وقد قال الحافظ ابو الفرج
الجوزي ايضا هذا حديث موضوع بلا شك والذي وضعه كان قليل الفهم عديم العلم اذ لو كان له علم لعلم ان من مات كافرا لا ينفعه ان
يؤمن بعد الرجعة لا بل لو آمن بعد المعاينة لا ينفع وكفى في رد هذا الحديث قوله تعالى فيمت وهو كافر وما في الحديث الصحيح استاذنت
ربي ان استغفر لامي فلم ياذن لي وعن شيخه ابي الفضل بن الناصر مثله والله اعلم وقال ابن جرير اذ ابرهيم تبرأ من ابيه يوم القيمة كما روى
ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابرهيم اباه آزر يوم القيمة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له ابرهيم الم اقل لك لا تعصني
فيقول له ابوه اليوم لا اعصيك فيقول ابرهيم يا رب انك وعدتني ان لا تخزيني يوم يبعثون فاي خزي اخزى من ابي الابعد فيقول
الله اني حرمت الجنة على الكافرين ثم قال يا ابرهيم انظر تحت رجليك فينظر فاذا بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار وفي
رواية فتبرأ منه يومئذ رواه البخاري وقوله ان ابرهيم لاواه حليم قال ابن مسعود الاواه الدعاء وروي مرفوعا الاواه
المتضرع قاله ابن جرير وقيل هو الرحيم بعباد الله وقال ابن عباس هو المؤمن الموقن بلسان الحبشة وعن عقبة بن عامر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لرجل يقال له ذو البجادين انه اواه رواه احمد وذلك انه كان يقرأ القرآن كثيرا ويرفع صوته بالدعاء وقيل هو
الحافظ على سبحة الضحى قاله ابو الدرداء وقال ابو ايوب الاواه الذي اذا ذكر خطاياه استغفر منها وروى ابن جرير ان رجلا كان يكثر
ذكر الله ويسبح فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه اواه وقيل هو الفقيه قال ابن جرير واولى الاقوال قول من قال انه الدعاء
وهو مناسب للسياق وذلك لانه تعالى لما ذكر ان ابرهيم انما استغفر لابيه عن موعدة وعدها اياه وقد كان ابرهيم كثير الدعاء حليما عمن
ظلمه وناله مكروها ولهذا استغفر لابيه مع شدة اذاه له في قوله اراغب انت عن آلهتي يا ابرهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرني
مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا فحلم عنه مع اذاه ودعا له واستغفر ولهذا قال تعالى ان ابرهيم لاواه حليم

**وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك
السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير** اخبر تعالى عن نفسه الكريمة وحكمه العادل انه لا
يضل قوما بعد بلوغ الرسالة اليهم حتى يكونوا قد قامت عليهم الحجة كما قال تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم
صاعقة العذاب الهون الآية وقال مجاهد بيان الله في الاستغفار خاصة وفي بيانه طاعته ومعصيته عامة فافعلوا او ذروا قال
ابن جرير في نحو هذه الآية وما كان الله ليقضي عليكم في استغفاركم لموتاكم المشركين بالضلال بعد اذ رزقكم الهداية ووفقكم للايمان
به وبرسوله حتى يتقدم اليكم بالنهي عنه فتتركوا فاما قبل ان يبين لكم كراهية ذلك بالنهي عنه ثم تتعدوا نهيه الى ما نهاكم عنه فانه لا يحكم
عليكم بالضلال فان الطاعة والمعصية انما يكونان من المامور والمنهي فاما من لم يؤمر ولم ينه فغير كائن مطيعا او عاصيا فيما لم يؤمر
به ولم ينه عنه وقوله ان الله له ملك السموات والارض قال ابن جرير هذا تحريض من الله لعباده المؤمنين في قتال المشركين وملوك الكفر
وانهم يثقوا بنصر الله مالك السموات والارض ولا يرهبوا من اعدائه فانهم لا ولي لهم من دون الله ولا نصير لهم سواه وعن حكيم بن
حزام قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه اذ قال لهم هل تسمعون ما اسمع قالوا ما نسمع من شيء فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اني لاسمع اطيط السماء وما تلام ان تئط وما فيها من موضع شبر الا وعليه ملك ساجد او قائم رواه ابن ابي حاتم وفي

مسند احمد

[illegible]

مسند احمد والترمذي نحوه بروايته اوفى وابلغ منه **لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه
في ساعة العسرة من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم** قال مجاهد
وغير واحد نزلت هذه الآية في غزوة تبوك وذلك انهم خرجوا اليها في شدة من الامر في سنة مجدبة وحر شديد وعسر من الزاد والماء
حتى ان الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما وكان النفر يتداولون التمرة بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها ثم يمصها هذا فيشرب عليها
فتاب الله عليهم واقفلهم من غزوتهم وقيل لعمر بن الخطاب في شان العسرة فقال عمر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك
في قيظ شديد فنزلنا منزلا فاصابنا فيه عطش حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه و
يجعل ما بقي على كبده فقال ابو بكر الصديق يا رسول الله ان الله عز وجل قد عودك في الدعاء خيرا فادع لنا قال تحب ذلك قال نعم
فرفع يديه فلم يرجعهما حتى سالت السماء فاهطلت ثم سكبت فملأوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر قال
ابن جرير في ساعة العسرة من النفقة والظهر والزاد والماء من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم اي عن الحق ويشك في دين
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرتاب بالذي نالهم من المشقة والشدة في سفرهم وغزوهم ثم تاب عليهم اي ثم رزقهم الانابة الى
ربهم والرجوع الى الثبات على دينه انه بهم رؤوف رحيم قال ابن عباس من تاب الله عليه لم يعذبه ابدا **وعلى الثلثة الذين
خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجا من الله
الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**
عن كعب بن مالك رضي الله عنه انه حدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة تبوك فقال كعب بن مالك
لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة غزاها قط الا في غزوة تبوك غير اني كنت تخلفت في غزاة بدر ولم يعاتب احدا
تخلف عنها انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما احب ان لي بها مشهد بدر وان كانت بدر اذكر في
الناس واشهر وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك اني لم اكن قط اقوى ولا ايسر
مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزاة وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قلما يريد غزوة يغزوها الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل
سفرا بعيدا ومفازا واستقبل عدوا كثيرا فجلى للمسلمين امرهم ليتاهبوا اهبة غزوهم بوجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يريد الديوان فقال كعب فقل رجل يريد يتغيب الا ظن ان ذلك سيخفى له
ما لم ينزل فيه وحي من الله وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزاة حين طابت الثمار والظلال وانا اليها اصعر فتجهز اليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه فطفقت اغدو لكي اتجهز معهم فارجع ولم اقض شيئا فاقول لنفسي انا قادر على
ذلك اذا اردت فلم يزل ذلك يتمادى حتى استمر بالناس الجد فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم اقض
من جهازي شيئا وقلت اتجهز بعد يوم او يومين ثم الحقه فغدوت بعد ما فصلوا لاتجهز فرجعت ولم اقض شيئا من جهازي
ثم غدوت فرجعت ولم اقض شيئا فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى اسرعوا وتفارط الغزو فهممت ان ارتحل فادركهم وليتني
فعلت ثم لم يقدر ذلك لي فطفقت اذا خرجت في الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني اني لا ارى الا رجلا مغموصا عليه في النفاق
او رجلا ممن عذره الله تعالى ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك

اي وتاب على الثلثة الذين خلفوا اي ارجئوا والتخليف والارجاء واحد [illegible]
وقيل خلفوا تخلفوا عن الغزو [illegible]
بما رحبت اي برحبها [illegible]
ان لا ملجا من الله الا اليه [illegible]
ليتوبوا [illegible]

والمسلمون

في شرح مسلم جلى بتخفيف اللام اي كشفه وبينه واوضحه وعرفهم ذلك على وجهه من غير تورية

غاديا اي مسافرا الى الغزاة

التفارط الفوات

اني لا ارى لي اسوة اي شخصا يشبهني

مغموصا اي مطعونا عليه في دينه انه المنافق اي معيوب متهم

فقال رجل من بني سلمة حبسه يا رسول الله برداه والنظر في عطفيه فقال له معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا
عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كعب بن مالك فلما بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من
تبوك حضرني بثي فطفقت اتذكر الكذب واقول بماذا اخرج من سخطه غدا واستعين على ذلك بكل ذي راي من اهلي فلما قيل
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اظل قادما زاح عني الباطل وعرفت اني لم اخرج منه بشيء ابدا فاجمعت صدقه وصبح رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المتخلفون فطفقوا يعتذرون
اليه ويحلفون له وكانوا بضعا وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم ويستغفر لهم ويكل سرائرهم الى الله
حتى جئت فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال لي تعال فجئت امشي حتى جلست بين يديه فقال لي ما خلفك الم تكن قد ابتعت
ظهرك قال فقلت يا رسول الله اني لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرايت ان اخرج من سخطه بعذر لقد اعطيت جدلا ولكنه
والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى عني به ليوشكن الله يسخطك علي ولئن حدثتك بصدق تجد علي فيه
اني لارجو فيه عفو الله والله ما كان لي عذر والله ما كنت اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنك قال فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك فقمت وثار رجال من بني سلمة واتبعوني فقالوا لي والله ما علمناك
كنت اذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت ان لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به المخلفون فقد كان كافيك
من ذنبك استغفار رسول الله لك قال فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى اردت ان ارجع فاكذب نفسي قال ثم قلت لهم هل لقي هذا معي من
احد قالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك قلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العامري وهلال بن
امية الواقفي فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا لي فيهما اسوة قال فمضيت حين ذكروهما لي قال ونهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن كلامنا ايها الثلثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الارض فما هي
بالارض التي كنت اعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان واما انا فكنت اشب
القوم واجلدهم فكنت اشهد الصلوة مع المسلمين واطوف بالاسواق فلا يكلمني احد وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في
مجلسه بعد الصلوة فاسلم فاقول في نفسي حرك شفتيه برد السلام ام لا ثم اصلي قريبا منه واسارقه النظر فاذا اقبلت على صلاتي
نظر الي فاذا التفت نحوه اعرض عني حتى اذا طال علي ذلك من هجر المسلمين مشيت حتى تسورت حائط ابي قتادة وهو ابن عمي
واحب الناس الي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام فقلت له يا ابا قتادة انشدك الله هل تعلم اني احب الله ورسوله فسكت
قال فعدت فنشدته فسكت فعدت فنشدته فقال الله ورسوله اعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار وبينا
انا امشي بسوق المدينة اذا نبطي من انباط الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدلني على كعب بن مالك قال فطفق
الناس يشيرون له الي حتى جاء فدفع الي كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا فاذا فيه اما بعد فقد بلغنا ان صاحبك قد
جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قراتها وهذا ايضا من البلاء قال فتيممت بها
التنور فسجرتها بها حتى اذا مضت اربعون ليلة من الخمسين اذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتيني فقال ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يامرك ان تعتزل امراتك قال فقلت اطلقها ام ماذا افعل قال بل اعتزلها ولا تقربها قال فارسل الى صاحبي بمثل ذلك
قال فقلت لامراتي الحقي باهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الامر قال فجاءت امراة هلال بن امية رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال بن امية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه قال لا ولكن لا يقربك قالت انه والله

القفول الرجوع

اي اقبل ودنا قدومه من السفر

قادما من السفر

اي رجل ذو جدل وفصاحة

التانيب المبالغة في التوبيخ والتعنيف والملامة

النبط والانباط والنبيط وهم فلاح العجم

واستلبث الوحي ابطأ

لامراتي

اخدمه

مابه

ما به حركة الى شيء والله ما زال يبكي منذ كان من امره ما كان الى يومه هذا قال فقال لي بعض اهلي لو استاذنت رسول الله في
امراتك فقد اذن لامراة هلال بن امية ان تخدمه قال فقلت والله لا استاذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ادري ما يقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استاذنته وانا رجل شاب قال فلبثنا عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهي عن كلامنا
قال ثم صليت صلوة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا انا جالس على الحال التي ذكر الله منا قد ضاقت علي نفسي
وضاقت علي الارض بما رحبت سمعت صارخا اوفى على جبل سلع يقول باعلى صوته يا كعب بن مالك ابشر قال فخررت ساجدا و
عرفت ساجدا وعرفت ان قد جاء فرج فآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى الفجر فذهب الناس يبشروننا و
ذهب قبل صاحبي مبشرون وركض الي رجل فرسا وسعى ساع من اسلم واوفى على الجبل فكان الصوت اسرع من الفرس فلما
جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوتهما اياه ببشارته والله ما املك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما
وانطلقت اتأمم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقاني الناس فوجا فوجا يهنوني بالتوبة يقولون ليهنك توبة الله عليك حتى دخلت
المسجد فاذا رسول الله جالس في المسجد حوله الناس فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني والله ما قام الي رجل
من المهاجرين غيره قال الراوي فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه
من السرور ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك قال قلت امن عندك يا رسول الله ام من عند الله قال لا بل من عند الله قال
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه كانه قطعة قمر حتى يعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله
ان من توبتي ان انخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله قال امسك بعض مالك فهو خير لك قال فاني امسك سهمي الذي بخيبر
وقلت يا رسول الله انما نجاني الله بالصدق وان من توبتي ان لا احدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما اعلم احدا من المسلمين
ابلاه الله من الصدق في الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم احسن مما ابلاني الله والله ما تعمدت كذبة منذ
قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا واني لارجو ان يحفظني الله فيما بقي وانزل الله تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة الى قوله وكونوا مع الصادقين قال كعب فوالله ما انعم الله علي من نعمة قط بعد ان هداني
الاسلام اعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ان لا اكون كذبته فاهلك كما هلك الذين كذبوه قال الله تعالى
قال للذين كذبوه حين انزل الوحي شر ما قال لاحد فقال الله تعالى سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم الى قوله فان
الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال وكنا خلفنا ايها الثلثة عن امر اولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا
فبايعهم واستغفر لهم وارجأ رسول الله امرنا حتى قضى الله فيه فبذلك قال تعالى وعلى الثلثة الذين خلفوا وليس تخليفه ايانا و
ارجاؤه امرنا الذي ذكر مما خلفنا بتخليفنا عن الغزو وانما هو عمن حلف له واعتذر اليه فقبل منه هذا حديث ثابت في الصحيحين
والسياق لاحمد وقد تضمن هذا الحديث تفسير هذه الآية الكريمة باحسن الوجوه وابسطها لما ذكر تعالى ما فرج به عن هؤلاء الثلثة
من الضيق والكرب من هجر المسلمين اياهم نحوا من خمسين ليلة بايامها وضاقت عليهم انفسهم وضاقت عليهم الارض بما رحبت اي
مع سعتها فسددت عليهم المسالك والمذاهب فلا يهتدون ما يصنعون فصبروا لامر الله واستكانوا لامر الله وثبتوا حتى فرج الله عنهم بسبب
صدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تخلفهم وانه كان عن غير عذر فعوقبوا على ذلك هذه المدة ثم تاب الله عليهم فكان عاقبة صدقهم
خيرا لهم وتوبة عليهم ولهذا قال الله يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين اي اصدقوا والزموا الصدق تكونوا مع اهله
وتنجوا من المهالك ويجعل لكم فرجا من اموركم ومخرجا قال ابن عمر اي مع محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وفي الصحيحين عن ابن مسعود

سلع بفتح السين المهملة واسكان اللام هو جبل بالمدينة

تقول اوفيته حقه واوفى اي اشرف عليه

لتعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم
يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم

وكونوا مع الصادقين

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وما يزال الرجل يصدق و
يتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا واياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وما يزال الرجل
يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ۝ ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن
رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظماء ولا نصب ولا مخمصة
في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح
ان الله لا يضيع اجر المحسنين عاتب تعالى المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك من اهل المدينة ومن حولها
من احياء العرب ورغبتهم بانفسهم عن مواساته فيما حصل من المشقة فانهم نقصوا انفسهم من الاجر لانهم لا يصيبهم وهو العطش
ولا نصب وهو التعب ولا مخمصة وهي المجاعة ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار اي لا ينزلون منزلا يرهب عدوهم ولا ينالون منه
ظفرا وغلبة عليه الا كتب الله لهم بهذه الاعمال التي ليست داخلة تحت قدرتهم وانما هي ناشئة عن افعالهم اعمالا صالحة وثوابا جزيلا
ان الله لا يضيع اجر المحسنين كما قال تعالى انا لا نضيع اجر من احسن عملا ۝ ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا
الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون اي ولا ينفق هؤلاء الغزاة في سبيل الله نفقة قليلا ولا كثيرا ولا يقطعون
الى السير الى الاعداء واديا الا كتب لهم ولم يقل ههنا به لان هذه الافعال صادرة عنهم ولهذا قال ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون وقد حصل لعثمان
ابن عفان من هذه الآية الكريمة حظ وافر بما انفق في هذه الغزوة من الاموال الجزيلة كما في مسند احمد ان رسول الله صلى الله عليه و
سلم خطب يحث على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان علي مائة بعير باحلاسها واقتابها ثم حث فقال علي مائة اخرى باحلاسها
واقتابها ثم نزل مرقاة من المنبر ثم حث فقال عثمن علي مائة اخرى باحلاسها واقتابها قال الراوي ورايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول بيده هكذا يحركها ما على عثمان ما عمل بعد هذا وعنه ايضا ان عثمن جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بالف دينار في ثوبه
حين جهز النبي صلى الله عليه وسلم جيش العسرة فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فقلبها بيده ويقول ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم
يرددها مرارا وقوله ولا يقطعون واديا قال قتادة ما ازداد قوم من اهليهم في سبيل الله بعدا الا ازدادوا من الله قربا ۝ وما كان
المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا
اليهم لعلهم يحذرون بين الله تعالى ما اراد من نفير الاحياء مع الرسول في غزوة تبوك فانه قد ذهب طائفة من السلف الى انه كان
يجب النفير على كل مسلم اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى انفروا خفافا وثقالا وقال ما كان لاهل المدينة ومن
حولهم من الاعراب الآية قالوا فنسخ ذلك بهذه الآية وقيل انها بيان لمراده تعالى من نفير الاحياء كلها او شرذمة من كل قبيلة ان لم يخرجوا
كلهم ليتفقه الخارجون مع الرسول بما ينزل عليه من الوحي ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم بما كان من امر العدو فيجتمع لهم الامران
وهذا النفير المعين واما بعده عليه الصلوة والسلام فالمنتوب لذلك فرض كفاية قال قتادة في هذه الآية هذا اذا بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم الجيوش امرهم الله ان يغزوا بنبيه عليه الصلوة والسلام ويقيم طائفة مع الرسول تتفقه في الدين وتنطلق طائفة تدعو
قومها وتحذرهم وقائع الله فيمن خلا قبلهم وقال ابن عباس كان ينطلق من كل حي من العرب عصابة فياتون النبي صلى الله عليه وسلم
فيسالونه عما يريدون من امر دينهم ويتفقهون في دينهم ويقولون لنبي الله ما تامرنا ان نفعله واخبرنا بما نامر به عشائرنا اذا انطلقنا اليهم
فيامرهم نبي الله بطاعة الله وطاعة رسوله ويبعثهم الى قومهم بالصلوة والزكوة وكانوا اذا اتوا قومهم نادوا ان من اسلم فهو
منا وينذرونهم حتى ان الرجل ليفارق اباه وامه وكان رسول الله يخبرهم وينذرهم قومهم فاذا رجعوا اليهم يدعونهم الى الاسلام

اجروا بان يعجزوا على الباساء والضراء ويكابدوا
معه الاهوال برغبة ونشاط واغتباط وان
يلقوا انفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علما بانها
اعز نفس عند الله واكرمها عليه فاذا تعرضت
مع كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهول وجب
على سائر الانفس ان تتهافت فيما تعرضت له

الكلام لتاكيد النفي ومعناه ان نفير الكافة عن
اوطانهم غير صحيح ولا ممكن وفيه انه لو صح وامكن
ولم يؤد الى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على
الكافة ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة
فلولا نفر فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة
فهلا نفر من كل فرقة طائفة اي من كل جماعة كثيرة
جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير ليتفقهوا في الدين
ليتكلفوا الفقاهة ولينذروا قومهم وليجعلوا
غرضهم من التفقه انذار قومهم وارشادهم لا
ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة من الترؤس
والتقدم والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة
في ملابسهم ومراكبهم لعلهم يحذرون ارادة ان
يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ۝

عن عكرمة عن ابن عباس قال اسرت الروم عبد الله بن حذافة السهمي صاحب رسول الله صلعم فقال له الطاغية
تنصر والا القيتك في البقرة النحاس قال ما افعل فدعى ببقرة نحاس فملئت زيتا واغليت
ودعا رجلا من المسلمين فعرض عليه النصرانية فابى فالقاه في البقرة فاذا عظامه تلوح فقال
لعبد الله بن حذافة تنصر والا القيتك قال ما افعل فامر ان يلقى في البقرة فكتفوه فبكى
فقالوا قد جزع قد بكى قال ردوه فقال لا تظنن اني بكيت جزعا ولكن بكيت اذ ليس لي الا
نفس واحدة يفعل بها هذا في الله عز وجل كنت احب ان تكون لي انفس عدد كل شعرة
في ثم تسلط علي فتفعل بي هذا قال
فاعجب به واحب ان يطلقه فقال قبل
راسي واطلقك قال ما افعل قال تنصر و
ازوجك ابنتي واقاسمك ملكي قال ما افعل
قال قبل راسي واطلق معك ثمانين من
المسلمين قال اما هذا فنعم فقبل راسه
فاطلقه وثمانين معه فلما قدموا على
عمر قام اليه عمر فقبل راسه وكان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمازحون عبد الله ويقولون قبلت
راس علج ۝

وينذرونهم النار ويبشرونهم بالجنة ۝ يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة و
اعلموا ان الله مع المتقين امر تعالى المؤمنين ان يقاتلوا الكفار اولا فاولا الاقرب فالاقرب الى حوزة الاسلام ولهذا
بدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين في جزيرة العرب فلما فرغ منه وفتح الله عليه اقاليمها ودخل الناس في دين الله افواجا
شرع في قتال اهل الكتاب فتجهز لغزو الروم والذين هم اقرب الناس الى جزيرة العرب واولى الناس بالدعوة الى الاسلام
لكونهم اهل الكتاب فبلغ تبوك ثم رجع لاجل جهد الناس والجدب وضيق الحال وكان ذلك سنة تسع من الهجرة ثم اشتغل في
السنة العاشرة بحجة الوداع ثم عاجلته المنية صلوات الله وسلامه عليه بعد حجته باحد وثمانين يوما فاختاره الله لما عنده ثم قام
بالامر بعده الصديق خليفته وقد مال الدين ميلة كاد ان ينجفل فثبته الله به وثبت الدعائم ورد اهل الردة الى الاسلام واخذ
الزكوة من مانعيها ثم بعث الجيوش الى الشام والروم على ما هو المشهور في التواريخ من ماثره وماثر الخلفاء الراشدين حتى علت
كلمة الله وظهر دينه ولو كره الكافرون وقوله وليجدوا فيكم غلظة اي وليجد الكفار منكم غلظة عليهم في قتالكم لهم فان المؤمن
الكامل هو الذي يكون رفيقا لاخيه المؤمن غليظا على عدوه الكافر كما قال تعالى والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم وغيره
من الآيات وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا الضحوك القتال يعني انه ضحوك في وجه وليه قتال لهامة عدوه
وقوله واعلموا ان الله مع المتقين اي قاتلوا الكفار وتوكلوا على الله واعلموا ان الله معكم ان اتقيتموه واطعتموه وهكذا الامر لما كانت
القرون الثلثة الذين هم خير هذه الامة في غاية الاستقامة والقيام بطاعة الله لم يزالوا ظاهرين على عدوهم ولم يزل الفتوحات
كثيرة والاعداء مقهورين ثم لما وقعت الفتن والاختلافات بين الملوك طمع الاعداء في اطراف البلاد وغلبوا عليها ثم لم يزالوا
حتى استولوا على كثير من بلاد الاسلام ولله الحمد من قبل ومن بعد فكلما قام ملك من ملوك الاسلام واطاع اوامر الله وتوكل عليه
فتح من البلاد واسترجع من الاعداء بحسبه والله المسؤل ان يمكن المسلمين من نواصي اعداءه الكافرين ۝ واذا ما انزلت سورة ف
منهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في
قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون اي فمن المنافقين من يقول ايكم زادته هذه
ايمانا اي يقول بعضهم لبعض ايكم زادته هذه السورة ايمانا قال تعالى فاما الذين آمنوا هذه الآية من اكبر الدلائل على ان الايمان يزيد و
ينقص وهو مذهب اكثر السلف والخلف من ائمة العلماء بل قد حكى غير واحد الاجماع على ذلك واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم
رجسا الى رجسهم اي زادتهم شكا الى شكهم وريبا الى ريبهم كما قال تعالى ولا يزيد الظالمين الا خسارا وغيره من الآيات وهذا
من جملة شقائهم ان ما يهدي القلوب سببا لضلالهم كما ان سيء المزاج لو غذي بما غذي به لا يزيده الا خبالا ونقصا ۝ اولا
يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون واذا ما انزلت سورة نظر
بعضهم الى بعض هل يريكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون اي اولا يرى هؤلاء
المنافقون انهم يفتنون يختبرون في كل عام مرة او مرتين اما بالمرض واما بالسنة والجوع ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون اي لا يتوبون من
ذنوبهم السالفة ولا هم يذكرون فيما يستقبل من احوالهم وقوله واذا ما انزلت سورة هذا ايضا اخبار عن المنافقين انهم اذا انزلت سورة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر بعضهم الى بعض اي تلفتوا هل يريكم من احد ثم انصرفوا اي تولوا عن الحق وانصرفوا عنه وهذا حالهم
في الاسلام لا يثبتون عند الحق ولا يقبلونه ولا يفهمونه كما قال تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين الآية وقوله صرف الله قلوبهم
كقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون اي لا يفهمون عن الله خطابه ولا يقصدون لفهمه ولا يريدونه بل هم

ناقرون منه فلهذا صادق الي ما صادوا اليه لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم قال تعالى ممتنا على المؤمنين بما ارسل اليهم رسولا من انفسهم اي من جنسهم وعلى لغتهم كما قال ابرهيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فقوله من انفسكم اي منكم وبلغتكم لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية كما قال عليه الصلوة والسلام خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن آدم الى ان ولدني ابي وامي وقوله عزيز عليه ما عنتم اي يعز عليه الشيء الذي يعنت امته ويشق عليها كما جاء في الحديث المعتبر بعثت بالملة الحنيفية السهلة وفي الصحيح ان هذا الدين يسر وشريعته كلها سهلة سمحة كاملة يسيرة على من يسرها الله عليه حريص عليكم اي على هدايتكم و وصول النفع الدنيوي الاخروي اليكم عن ابي ذر قال تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في الهواء الا وهو يذكر لنا منه علما قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بقي من شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار الا وقد بين لكم رواهما الطبراني وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يحرم حرمة الا وقد علم انه سيطلعها منكم مطلع الا واني آخذ بحجزكم ان تهافتوا في النار كتهافت الفراش او الذباب رواه احمد وقوله بالمؤمنين رؤف رحيم هو كما قال تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين الآية وهكذا امره تعالى في هذه الآية وهي قوله فان تولوا اي عما جئتهم به من الشريعة المطهرة الكاملة واعرضوا عن الايمان فقل حسبي الله اي الله كافي لا اله الا هو عليه توكلت كما قال تعالى رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا وهو رب العرش العظيم اي هو مالك كل شيء وخالقه لانه رب العرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات من جميع الارضين والسموات وما فيهما وما بينهما وعلمه محيط بكل شيء وهو على كل شيء وكيل عن ابي بن كعب قال آخر ما نزل من القرآن هذه الآية لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السورة رواه عبد الله بن احمد في مسنده وعن ابي الدرداء قال ما من عبد يقول اذا اصبح واذا امسى حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات الا كفاه الله ما اهمه رواه ابو داود هكذا موقوفا

تفسير سورة يونس مكية الا ثلث آيات من قوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك الى آخرها بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب الحكيم اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لسحر مبين قد تقدم الكلام على حروف اوائل السور في اول سورة البقرة وقال ابن عباس في قوله الر اي انا الله ارى وتلك آيات الكتاب الحكيم اي هذه آيات القرآن المحكم المبين وقيل التورية والانجيل والزبور قاله مجاهد والحسن وقوله اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم هذا انكار من الله تعالى على من تعجب من الكفار من ارسال المرسلين من البشر كما انه تعالى اخبر عن القرون الماضية في قولهم ابشر يهدوننا وقال ابن عباس لما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا انكرت العرب ذلك فقالوا الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا مثل محمد فانزل الله اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم الآية وقوله ان لهم قدم صدق عند ربهم قال ابن عباس اي سبقت لهم السعادة في الذكر الاول وقيل عنه اي اجرا حسنا بما قدموا كقوله تعالى ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا ولهذا قال مجاهد اي الاعمال الصالحة صلوتهم وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم وعن قتادة والحسن اي محمد عليه الصلوة والسلام شفيع لهم عند ربهم واختار ابن جرير قول مجاهد قال كما يقال له قدم في الاسلام ومنه قول حسان

لنا القدم الاولى اليك وخلفنا ... لاولنا وطاعة الله تابع

وقوله قال الكافرون اي مع انا بعثنا اليهم رسولا منهم رجلا من جنسهم بشيرا ونذيرا قال الكافرون ان هذا لسحر مبين وقرا بعضهم لساحر مبين اي ظاهر وهم الكاذبون في ذلك ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة

شرفه عليه مشقتكم وكل مضرة تصيبكم لهواكم وعليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب

اي فاستعن بالله وفوض اليه فهو يكفيك معرتهم ولا يضرونك وينصرك عليهم

تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها او نطقه بها

ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا ان هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول

ايام وكان

ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون اخبر تعالى انه رب العالم جميعه وانه خلق السموات والارض في ستة ايام قيل كهذه الايام وقيل كل يوم كالف سنة مما تعدون ثم استوى على العرش اعظم المخلوقات وسقفها قيل هو ياقوتة حمراء يدبر امر الخلائق لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا يشغله شان عن شان وقوله ما من شفيع الا من بعد اذنه كقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ونحوه وقوله ذلكم الله ربكم فاعبدوه اي اوحدوه بالعبادة وحده لا شريك له افلا تذكرون اي ايها المشركون في امركم تعبدون مع الله غيره وانتم تعلمون انه المتفرد بالخلق اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدؤ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون اخبر تعالى انه مرجع الخلائق يوم القيمة لا يترك منهم احدا حتى يعيده كما بداه ثم ذكر انه كما بدا الخلق كذلك يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بالعدل والجزاء الاوفى والحميم الماء الحار في الغاية وقوله بما كانوا يكفرون اي بسبب كفرهم يعذبون يوم القيمة بانواع العقاب من سموم وحميم وظل من يحموم هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون اخبر تعالى عما خلق من الآيات الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه وانه جعل الشعاع الصادر عن جرم الشمس ضياء وشعاع القمر نورا هذا فن وهذا فن آخر تفاوت بينهما لئلا يشتبها وجعل سلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل وقدر القمر منازل فاول ما يبدو صغيرا ثم يتزايد نوره وجرمه حتى يستوي ويكمل ابداره ثم يشرع في النقص حتى يرجع الى حالته الاولى في تمام شهر كما قال تعالى والقمر قدرناه منازل الى قوله يسبحون وقدر القمر منازل لتعلموا عدد السنين والحساب فبالشمس تعرف الايام وبسير القمر تعرف الشهور والاعوام ما خلق الله ذلك الا بالحق اي لم يخلقه عبثا بل له حكمة عظيمة في ذلك وحجة بالغة يفصل الآيات اي نبين الحجج والادلة وقوله ان في اختلاف الليل والنهار اي تعاقبهما اذا جاء هذا ذهب هذا واذا ذهب هذا جاء هذا لا يتاخر عنه شيئا كما قال تعالى يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا وقوله وما خلق الله في السموات والارض اي من الآيات الدالة على عظمته تعالى كما قال قل انظروا ماذا في السموات والارض الآية ونحوها من الآيات الباهرات وقوله لقوم يتقون اي عقاب الله وسخطه وعذابه ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون اولئك ماويهم النار بما كانوا يكسبون اخبر تعالى عن حال الاشقياء الذين كفروا بلقاء الله يوم القيمة ولا يرجون في لقاء الله شيئا ورضوا بهذه الحيوة الدنيا واطمانت اليها انفسهم فلا يخافون عقابا ولا يرجون ثوابا وهم غافلون عن آيات الله الكونية فلا يتفكرون فيها وعن الشرعية فلا ياتمرون بها فان ماويهم النار يوم معادهم جزاء بما كسبوا من الكفر والتكذيب ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم دعويهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين هذا اخبار عن حال السعداء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وامتثلوا ما امروا به فعملوا الصالحات بانه سيهديهم بايمانهم يحتمل ان تكون الباء ههنا سببية تقديره بسبب ايمانهم في الدنيا يهديهم الله يوم القيمة على الصراط حتى يجوزوه ويخلصوا الى الجنة ويحتمل ان تكون باء الاستعانة اي تكون لهم نورا يمشون به وقال ابن جريج يمثل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة اذا قام من قبره

في الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار

يدبر تقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره آخرا

انه يبدؤ الخلق ثم يعيده استيناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه وهو ان الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم

الضياء اقوى من النور فان الضياء ما بالذات والنور ما بالعرض ولذلك قال تعالى جعل الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض الاكتساب

لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق او لا يامنون حسن لقائنا كما يامله السعداء او لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب ان يخاف

يهديهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب

يعارض صاحبه و يبشره بكل خير فيقول له من انت فيقول انا عملك فيجعل له نورا من بين يديه حتى يدخله الجنة فذلك قوله
يهديهم ربهم بايمانهم و الكافر يمثل له عمله في صورة سيئة وريح منتنة فيلازم صاحبه حتى يقذفه في النار وقوله دعويهم فيها
اى كلامهم و دعاؤهم في الجنة سبحانك اى هذا حال اهل الجنة قال ابن جريج اخبرت ان قوله دعويهم فيها سبحانك اللهم انه اذا
مر بهم الطير يشتهونه قالوا سبحانك اللهم فياتيهم الملك بما يشتهونه فيسلم عليهم فيردون عليه فذلك تحيتهم فيها سلام فاذا اكلوا
حمدوا الله ربهم فذلك قوله و اخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وفيه دلالة على انه تعالى هو المحمود ابدا المعبود على طول المدا
و انه المحمود في الاولى و الاخرة وفي الدنيا و الاخرة في جميع الاحوال و لهذا جاء في الصحيح ان اهل الجنة يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون
النفس و انما يكون ذلك كذلك لما يرون من تضاعف نعم الله عليهم فتكرر وتعاد وتزاد فليس لها انقضاء ولا امد **ولو يعجل الله
للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون**
اخبر تعالى عن حلمه و لطفه بعباده انه لا يستجيب منهم اذا دعوا على انفسهم و اموالهم و اولادهم في حال ضجرهم وغضبهم و انه يعلم
منهم عدم القصد الى ارادة ذلك كما يستجيب لهم اذا دعوا لانفسهم و اموالهم و اولادهم بالخير والبركة ولهذا قال ولو يعجل الله للناس
الشر اى لو استجاب منهم كلما دعوا به في ذلك لاهلكهم ولكن لا ينبغي الاكثار من ذلك قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدعوا على
انفسكم ولا تدعوا على اولادكم ولا تدعوا على اموالكم لا توافقوا من الله ساعة فيها اجابة فيستجيب لكم رواه ابو داود وقوله فنذر اى
فندع و نترك الذين لا يخافون البعث و الحساب في طغيانهم وكفرانهم يترددون و الطغيان المجاوزة في الشيء والعمه الضلال
**واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه كذلك
زين للمسرفين ما كانوا يعملون** اخبر تعالى عن الانسان وضجره اذا مسه الضر فذو دعاء عريض اى كثير في معنى واحد وذلك انه اذا اصابه
شدة و قلق لها وجزع منها واكثر الدعاء عند ذلك فدعا الله في كشفها ورفعها عنه في حال اضطجاعه وقعوده وقيامه في جميع احواله فاذا
فرج الله شدته و كشف كربته اعرض و نأى بجانبه و ذهب كانه ما كان من ذاك شيء مر كان لم يدعنا الى ضر مسه ثم ذم تعالى من هذه صفته
وطريقته فقال كذلك زين للمسرفين اى المجاوزين الحد في المعصية ما كانوا يعملون من المعاصي وقيل من الدعاء عند البلاء وترك الشكر عند
الرخاء **ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي
القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون** اخبر تعالى عما احل بالقرون الماضية في
تكذيبهم الرسل فيما جاؤهم به من البينات والحجج الواضحات ثم استخلف الله هؤلاء القوم من بعدهم و ارسل اليهم رسولا لينظر طاعتهم
له و اتباعهم رسوله وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدنيا حلوة خضرة و ان الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا
تعملون فاتقوا الدنيا و اتقوا النساء فان اول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء رواه مسلم **واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال
الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع
الا ما يوحى الي اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به
فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون** اخبر تعالى عن تعنت الكفار من مشركي قريش انهم اذا قرأ عليهم الرسول عليه الصلوة
و السلام كتاب الله قالوا ائت بقرآن غير هذا او رد هذا وجئنا بغيره من نمط آخر او بدله الى وضع آخر قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي اى ليس هذا الي انما انا عبد مأمور و رسول مبلغ من الله ان اتبع الا ما يوحى الي اني اخاف ان
عصيت ربي عذاب يوم عظيم ثم قال محتجا عليهم في صحة ما جاءهم به قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به اى هذا انما جئتكم به عن

يجوز ان يراد بالدعاء العبادة كقوله وادعوكم وما تدعون من دون الله على معنى انه لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم الا ان يسبحوا الله ويحمدونه وذلك ليس بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة

قال ابن عباس هو قول الرجل عند غضبه لاهله وولده لعنكم الله ولا بارك فيكم قال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه واهله وماله بما يكره ان يستجاب معناه ولو يعجل الله للناس اجابة دعائهم في الشر والمكروه استعجالهم بالخير اى كما يحبون استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم ه وسيط

فان قلت كيف اتصل به قوله فنذر الذين لا يرجون لقاءنا وما معناه قلت قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كانه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم في طغيانهم اى فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة ه

يعني وما كانوا يؤمنون حقا تاكيدا لنفي ايمانهم وان الله قد علم منهم انهم يصرون على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه لا فائدة في امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل

بالتبديل والنسخ من عند نفسي [illegible]

اذن الله في ذلك ومشيئته وارادته و الدليل على اني لست اتقوله من عندي ولا افتريه انكم عاجزون عن معارضته وانكم تعلمون
صدقي و امانتي منذ نشأت بينكم الى حين بعثني الله لا تنتقدون علي شيئا تغمضون به افلا تعقلون اى افليس لكم عقول تعرفون بها
الحق من الباطل و لهذا لما سأل هرقل ملك الروم ابا سفيان فيما سأله قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال
ابو سفيان فقلت لا وهو اذ ذاك رأس المشركين ومع هذا اعترف بالحق فقال له هرقل قد اعرف انه لم يكن ليدع الكذب على الناس
ثم يكذب على الله **فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون** اى لا احد اظلم ولا اعتى ممن
افترى على الله كذبا و تقول على الله و زعم ان الله ارسله و لم يكن كذلك فليس احد اكبر جرما ولا اعظم ظلما من هذا ومثل هذا لا يخفى على
الاغبياء فكيف يشتبه حال هذا بالانبياء فان من قال هذه المقالة صادقا او كاذبا فلابد ان الله ينصب عليه من الادلة على بره
و فجوره ما هو اظهر من الشمس فان الفرق بين محمد صلى الله عليه وسلم و بين مسيلمة الكذاب لمن شاهدهما اظهر من الفرق بين وقت
الضحى و وقت نصف الليل و حندس الظلماء او كذب باياته اى بمحمد و القرآن انه لا يفلح المجرمون اى لا ينجو المشركون من جهنم ابدا **و
يعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبؤن الله
بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا
ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون** انكر تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ظانين ان تلك
الالهة تنفعهم شفاعتها عند الله فاخبر تعالى انها لا تنفع ولا تضر ولا تملك شيئا ولا يقع شيء مما يزعمون فيها ولا يكون هذا ابدا ولهذا
قال تعالى قل اتنبؤن الله قال ابن جرير معناه اتخبرون الله بما لا يكون في السموات ولا في الارض ثم نزه نفسه عن شركهم وكفرهم فقال
سبحانه و تعالى عما يشركون ثم اخبر تعالى ان هذا الشرك حادث في الناس كائن بعد ان لم يكن و ان الناس كلهم كانوا على دين واحد وهو الاسلام
قال ابن عباس كان بين آدم و نوح عشرة قرون كلهم على الاسلام ثم وقع الاختلاف بين الناس و عبدت الاصنام و الانداد و الاوثان
فبعث الله الرسل باياته وبيناته وحججه البالغة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وقوله ولولا كلمة اى لولا ما تقدم من الله
انه لا يعذب احدا الا بعد قيام الحجة عليه وانه قد اجل الخلق الى اجل معدود لقضي بينهم فيما فيه اختلفوا فاسعد المؤمنين و اعنت الكافرين
ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين اى ويقول هؤلاء الكفرة المعاندون
لولا انزل على محمد آية من ربه يعنون كما اعطى الله ثمود الناقة او يحول لهم الصفا ذهبا او يزيح عنهم جبال مكة و يجعل مكانها بساتين
و انهارا او نحو ذلك مما الله عليه قادر و لكنه حكيم في افعاله و اقواله وقوله فقل انما الغيب لله هذا ارشاد منه تعالى الى الجواب عما سألوا
اى قل يا محمد ان الامر كله لله وهو يعلم العواقب في الامور فانتظروا اى ان كنتم لا تؤمنون حتى تشاهدوا ما سألتم فانتظروا حكم الله في وفيكم
هذا مع انهم قد شهدوا من المعجزات اعظم مما سألوا حين اشار الى القمر بحضورهم ليلة البدر فانشق فرقتين حتى رأوا حراء بينهما وهذا
اعظم من سائر آيات الارضية مما سألوا ولو لم يكن سؤالهم عن التعنت و العناد لاجابهم الى ذلك كما قال تعالى ان الذين حقت عليهم
كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم وغيرها من الايات الواضحات فمثل هؤلاء اقل من ان يجابوا الى ما سألوا لانه لا
فائدة في جوابهم لتعنتهم وعنادهم ولهذا قال فانتظروا اني معكم من المنتظرين **واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء
مستهم اذا لهم مكر في آياتنا قل الله اسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون هو الذي يسيركم في البر
والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج
من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من**

أتنبئون الله بما لا يعلم الخبر وهذا تكوينهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما لله وهو العالم بالذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لان الشيء يعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس لم يخبر عنه

اى هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لي ولا لاحد به يعني ان الصارف عن انزال الآيات المقترحة امر مغيب لا يعلمه الا هو

[illegible]

الشاكرين فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون اخبر تعالى انه اذا اذاق الناس رحمة من بعد ضراء مستهم كالرخاء بعد الشدة والخصب بعد الجدب و نحو ذلك اذا لهم مكر اي استهزاء و تكذيب في اياتنا و دلائل قدرتنا وقالوا مطرنا بنوء كذا كما في الصحيحين عن زيد بن خالد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الصبح بالحديبية في اثر سماء اي مطر اصابتهم من الليل ثم قال هل تدرون ماذا قال ربكم الليلة قلنا الله و رسوله اعلم قال قال اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله و رحمته فذاك مؤمن بي كافر بالكواكب و اما من قال مطرنا بنوء كذا و كذا فذاك كافر بي مؤمن بالكواكب و قوله قل الله اسرع مكرا اي اشد استدراجا و امهالا حتى يظن الظان انه ليس بمعذب و انما هو في مهلة ثم يؤخذ على غرة منه و الكاتبون الكرام يكتبون عليه جميع ما يفعله و يحصونه ثم يعرضونه على عالم الغيب و الشهادة فيجازيه على الحقير و القطمير ثم اخبر تعالى انه هو الذي يسيركم في البر والبحر اي يحفظكم و يكلؤكم بحراسته حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة و فرحوا بها اي بسرعة سيرهم فبيناهم كذلك اذ جاءتها اي تلك السفينة ريح عاصف اي شديدة وجاءهم الموج من كل مكان اي اغتلم البحر عليهم و ظنوا انهم احيط بهم اي هلكوا دعوا الله مخلصين له الدين اي لا يدعون معه صنما ولا وثنا بل يفردونه بالدعاء و الابتهال قائلين لئن انجيتنا من هذه الحال لنكونن من الشاكرين اي لا نشرك بك احدا و لنفردنك بالعبادة ابدا قال تعالى فلما انجاهم اي من تلك الورطة اذا هم يبغون في الارض بغير الحق اي كان لم يكن شيء من ذلك ثم قال يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم اي انما يعود وبال هذا البغي على انفسكم و لا تضرون به احدا غيركم كما جاء في الحديث عن ابي بكرة مرفوعا ما من ذنب اجدر ان يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه من البغي و قطيعة الرحم رواه ابو داود والترمذي و قوله متاع الحيوة الدنيا اي انما لكم متاع في الحيوة الدنيا الحقيرة ثم الينا مرجعكم اي مصيركم فننبئكم اي فنخبركم بجميع اعمالكم و نوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم ضرب الله مثلا لهذه الحيوة الدنيا و زينتها و سرعة زوالها و انقضائها بالنبات الذي اخرجه الله من الارض بما انزل من السماء من الماء مما ياكل الناس من زرع و ثمار على اختلاف انواعها و اصنافها و الوانها و مما ياكل الانعام من اب و قضب و غير ذلك حتى اذا اخذت الارض زخرفها اي زينتها الفانية و ازينت اي حسنت بما خرج في رباها من زهور و نضرة مختلفة الاشكال و الالوان و ظن اهلها الذين زرعوها و غرسوها انهم قادرون عليها اي على جذاذها و حصادها فبيناهم كذلك اذ جاءتها صاعقة او ريح باردة فايبست اوراقها و اتلفت ثمارها و لهذا قال تعالى اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا اي يبسا بعد تلك الخضرة و النضارة كان لم تغن بالامس اي كانها ما كانت حسناء قبل ذلك و لم تثمر و هكذا الامور بعد زوالها كانها لم تكن ثم قال تعالى كذلك نفصل الايات اي نبين الحجج و الادلة لقوم يتفكرون فيعتبرون بهذا المثل في زوال الدنيا عن اهلها سريعا مع اغترارهم بها و تمسكهم بمواعيدها و تفلتها منهم فان من طبعها الهرب ممن طلبها و الطلب لمن هرب منها و قد ضرب تعالى مثل الحيوة الدنيا بنبات الارض في غير اية من كتابه كما في سورة الكهف و الزمر و الحديد على ما يجي ان شاء الله و قوله و الله يدعو الى دار السلام لما ذكر الدنيا و سرعة عطبها و زوالها رغب في الجنة و دعا اليها و سماها دار السلام اي من الآفات و النقائص و النكبات عن ربيعة الجرشي قال اتي نبي الله صلى الله عليه وسلم

[illegible]

اذا الاولى للشرط والآخرة جوابها وهي للمفاجأه والمكر اخفاء الكيد وطيه ومعنى مستتهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم

ان رسلنا يكتبون ما تمكرون اعلام بان ما تظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم ه

الضمة في جرين للفلك لانه جمع فلك كالاسد

فان قلت ما معنى قوله يبغون في الارض بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى وهو استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع اشجارهم كما فعل رسول الله ببني قريظة

فصل التم

[illegible]

تقيل لتنم عينك و لتسمع اذنك و ليعقل قلبك قال فنامت عيني و سمعت اذناي و عقل قلبي قال فقيل لي سيد بنى دارا فصنع مادبة و ارسل داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار و اكل من المادبة و رضي عنه السيد و من لم يجب الداعي لم يدخل الدار و لم ياكل من المادبة و سخط عليه السيد قال فالله السيد و محمد الداعي و الدار الاسلام و المادبة الجنة رواه الدارمي و في البخاري نحوه عن جابر و قوله و يهدي من يشاء الى صراط مستقيم هو الاسلام و قد عمم بالدعوة اظهارا للحجة و خص بالهداية استغناء عن الخلق للذين احسنوا الحسنى و زيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون اخبر تعالى ان لمن احسن العمل في الدنيا بالايمان و العمل الصالح الحسنى في الآخرة كما قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان و قوله و زيادة يشمل تضعيف ثواب الاعمال بالحسنة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف و زيادة على ذلك ايضا و يشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القصور و الحور و الرضى عنهم و ما اخفاه لهم من قرة اعين و افضل ذلك و اعلاه النظر الى وجه الله الكريم فانه زيادة اعظم من جميع ما اعطوه لا يستحقونها بعملهم بل بفضله و رحمته و قد روى تفسير الزيادة بالنظر الى وجه الله الكريم عن ابي بكر الصديق و جماعة من الصحابة و التابعين رضي الله عنهم و عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية للذين احسنوا الحسنى و زيادة و قال اذا دخل اهل الجنة الجنة و اهل النار النار نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه فيقولون وما هو الم يثقل موازيننا و يبيض وجوهنا و يدخلنا الجنة و ينجنا من النار قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا احب اليهم من النظر اليه و لا اقر لاعينهم رواه مسلم و احمد و قوله و لا يرهق اي و لا يغشى وجوههم قتر اي غبار جمع قترة و سواد في عرصات المحشر كما يعتري وجوه الكفار و الفجرة من القترة و الغبرة و لا ذلة اي هوان و صغار و لا يحصل لهم اهانة في الباطن و لا في الظاهر بل هم كما قال تعالى فوقاهم الله شر ذلك اليوم و لقاهم نضرة و سرورا اي نضرة في وجوههم و سرورا في قلوبهم جعلنا الله منهم بفضله و كرمه والذين كسبوا السيات جزاء سيئة بمثلها و ترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اخبر تعالى عن حال السعداء الذين يضاعف لهم الحسنات عطف بذكر حال الاشقياء فذكر عدله تعالى فيهم و انه يجازيهم على السيئة بمثلها لا يزيدهم على ذلك و ترهقهم اي تعتريهم و تعلوهم ذلة من معاصيهم و خوفهم منها كما قال تعالى و تريهم يعرضون عليها خاشعين من الذل الآية و قوله ما لهم من الله من عاصم اي من مانع و لا واق يقيهم العذاب كما قال تعالى يقول الانسان يومئذ اين المفر الآية و قوله كانما اغشيت وجوههم هذا اخبار عن سواد وجوههم في الدار الآخرة كما قال تعالى يوم تبيض وجوه و تسود وجوه الآية اي كانما البست وجوههم قطعا جمع قطعة من الليل مظلما هو نصب على الحال دون النعت و لذلك لم يقل مظلمة اي قطعا من الليل المظلم و قرئ بسكون الطاء اي بعضا ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله موليهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون اي يوم نحشر اهل الارض كلهم من جن و انس و بر و فاجر ثم نقول للذين اشركوا مكانكم اي الزموا انتم و هم مكانا معينا امتازوا فيه عن مقام المؤمنين كما قال تعالى و امتازوا اليوم ايها المجرمون و هذا يكون اذا جاء الرب تعالى لفصل القضاء و قال تعالى هاهنا عما يامر به المشركين و اوثانهم يوم القيمة مكانكم انتم و شركاؤكم فزيلنا اي فرقنا بينهم اي بين المشركين و شركائهم و قطعنا ما كان بينهم من التواصل في الدنيا و قال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون انكروا عبادتهم و تبرؤوا منهم و قال تعالى اجابه عن قول الشركاء فيما حكى

انما كنتم تعبدون الشياطين
حيث امروكم ان تتخذوا لله
اندادا فاطعتموهم

الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وانتم اكد به الضمير في مكانكم وشركاؤكم عطف عليه

به عابديهم عند دعائهم عبادتهم فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين اي ما كنا نشعر بها ولا نعلم وانما انتم كنتم تعبدوننا من حيث لا ندري بكم والله شهيد بيننا وبينكم انا ما دعوناكم الى عبادتنا ولا امرناكم بها ولا رضينا منكم بذلك وهذا تبكيت عظيم بالمشركين الذين عبدوا مع الله غيره ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنهم شيئا وقد تركوا عبادة الحي القيوم السميع البصير القادر على كل شيء العليم بكل شيء وقد ارسل رسله وانزل كتبه امرا بعبادته وحده لا شريك له ناهيا عن عبادة ما سواه كما نطقت بذلك الآيات البينات وقوله هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت اي في موقف الحساب يوم القيمة يختبر كل نفس ويعلم ما اسلفت من عملها من خير وشر كما قال يوم تبلى السرائر وقرأ الكسائي ويعقوب تتلوا بتائين اي تقرأ كل نفس صحيفتها وقيل معناه تتبع كل نفس ما قدمت من خير او شر كما في الحديث الصحيح ليتبع كل امة ما كانت تعبد فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت الحديث وقوله وردوا الى الله موليهم الحق اي ورجعت الامور كلها الى الله الحكم العدل ففصلها وادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وضل عنهم اي ذهب عن المشركين ما كانوا يفترون اي ما كانوا يعبدون من دون الله افتراء عليه

الذي لا يظلم احدا

قل من يرزقكم من السماء والارض ام من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون احتج تعالى على المشركين باعترافهم بوحدانية ربوبيته على وحدانية الهيته فقال قل من يرزقكم من السماء اي من الذي ينزل من السماء ماء ويشق الارض شقا بقدرته ومشيئته فيخرج منها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا أاله مع الله فسيقولون الله وكذا قل من يملك السمع والابصار اي من الذي وهبكم هذه القوة السامعة والباصرة ولو شاء لذهب بها ولسلبكم اياها وكذا قل ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اي بقدرته العظيمة ومنته العميمة ومن يدبر الامر اي من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه وهو المتصرف الحاكم لا معقب لحكمه ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فسيقولون الله اي هم يعلمون ذلك ويعترفون به فقل افلا تتقون اي افلا تخافون منه ان تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم وقوله فذلكم الله ربكم اي فهذا الذي اعترفتم بانه فاعل ذلك كله هو ربكم والهكم الحق الذي يستحق ان يفرد بالعبادة فماذا بعد الحق الا الضلال اي فكل معبود سواه باطل لا اله الا هو واحد لا شريك له فانى تصرفون اي فكيف تصرفون عن عبادته الى عبادة ما سواه وانتم تعلمون انه الرب الذي خلق كل شيء وقوله كذلك حقت كلمة ربك اي كما كفر هؤلاء المشركون واستمروا على شركهم وعبادتهم مع الله غيره مع انهم يعترفون بانه الخالق الرازق الذي بعث رسله بتوحيده فلذا حقت اي وجبت عليهم كلمة ربك اي حكمه السابق انهم اشقياء من ساكني النار بكفرهم وعنادهم قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون هذا ابطال لدعويهم فيما اشركوا بالله غيره اي قل يا محمد هل من شركائكم من يبدؤ الخلق اي من بدأ خلق السموات والارض ثم يفني ما فيهما من الخلائق ويفرق اجزاءها ويبدل لها ثم يعيد الخلائق خلقا جديدا قل الله هو الذي يفعل هذا ويستقل به وحده لا شريك له فانى تؤفكون اي فكيف تصرفون عن طريق الرشد الى الباطل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق اي انتم تعلمون ان شركاءكم لا يقدرون على هداية ضال وانما يهدي الحيارى والضلال ويقلب القلوب من الغي الى الرشد الله الذي لا اله الا هو افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع اي افنتبع ونعبد الذي يهدي الى الحق ويبصر بعد العمى ام الذي لا يهدي الى شيء الا ان يهدى لعماه وبكمه كما قال تعالى اخبارا عن ابرهيم انه قال يا ابت لم تعبد

يعني ان الحق والضلال لا واسطة بينهما فمن تخطى الحق وقع في الضلال

ما لا يسمع ولا يبصر

ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وقوله فما لكم كيف تحكمون اي فما بالكم واين تذهب عقولكم وكيف سويتم بين الله وبين خلقه وهلا افردتم الرب تعالى بالعبادة وحده واخلصتم الدعوة والانابة ثم بين تعالى انهم لا يتبعون في دينهم هذا دليلا ولا برهانا وانما هو ظن منهم اي توهم وتخيل وذلك لا يغني عنهم شيئا ان الله عليم بما يفعلون تهديد لهم ووعيد شديد لانه تعالى اخبر انه سيجازيهم على ذلك اتم الجزاء وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتريه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين هذا بيان لاعجاز القرآن وانه لا يستطيع البشر ان ياتوا بمثله ولا بعشر سور ولا بسورة من مثله لانه لفصاحته وبلاغته ووجازته وحلاوته واشتماله على المعاني الغزيرة النافعة في الدنيا والآخرة لا يكون الا من عند الله الذي لا يشبهه شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله واقواله فكلامه لا يشبه كلام المخلوقين ولهذا قال تعالى وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله اي مثل هذا القرآن لا يكون الا من عند الله ولا يشبه كلام البشر ولكن تصديق الذي بين يديه اي من الكتب المتقدمة ومهيمنا عليه ومبينا لما وقع فيها من التحريف والتاويل وقوله وتفصيل الكتاب اي وبيان الاحكام والحلال والحرام بيانا شافيا كافيا حقا لا مرية فيه من رب العالمين وقوله ام يقولون افتريه اي ان ادعيتم وافتريتم وشككتم في ان هذا من عند الله وقلتم كذبا ومينا ان هذا من عند محمد فمحمد بشر مثلكم وقد جاء فيما زعمتم بهذا القرآن فاتوا انتم بسورة من مثله اي من جنس القرآن واستعينوا على ذلك بكل من قدرتم عليه من انس وجان وهذا هو المقام الثالث في التحدي فانه تعالى تحداهم ودعاهم ان كانوا صادقين في دعويهم انه من عند محمد فليعارضوه بنظير ما جاء به وحده وليستعينوا بمن شاؤا واخبر انهم لا يقدرون على ذلك ولا سبيل لهم اليه فقال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله الآية ثم تقاصر معهم الى عشر سور منه فقال في سورة هود قل فاتوا بعشر سور مثله الآية ثم تنازل الى سورة فقال في هذه السورة قل فاتوا بسورة مثله وكذا في سورة البقرة وهي مدنية تحداهم بسورة منه واخبر انهم لا يستطيعون ذلك ابدا فقال فان لم تفعلوا ولن تفعلوا الآية هذا وقد كانت الفصاحة والبلاغة من سجاياهم اليها المنتهى في هذا الباب ولكن جاءهم من الله ما لا قبل لاحد به ولهذا آمن من آمن منهم بما عرف من بلاغة هذا الكلام وحلاوته وبراعته وافادته وجزالته وكانوا اعلم الناس به وافهمهم له واشدهم له انقيادا كما عرف السحرة بعلمهم بفنون السحر ان هذا الذي فعله موسى لا يصدر الا عن مؤيد مسدد مرسل من الله وان هذا لا يستطاع لبشر الا باذن الله وكذلك عيسى بعث في زمان علماء الطب ومعالجة المرضى فكان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله ومثل هذا لا مدخل للعلاج والدواء فيه فعرف من عرف منهم انه عبد الله ورسوله ولهذا جاء في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من نبي من الانبياء الا وقد اوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي وارجو ان اكون اكثرهم تابعا وقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اي بل كذب هؤلاء بالقرآن ولم يفهموه ولا عرفوه ولما ياتهم تاويله اي ولم يحصلوا ما فيه من الهدى ودين الحق اي حين كذبوا به جهلا وسفها كذلك كذب الذين من قبلهم اي من الامم السالفة فانظر كيف كان عاقبة الظالمين بمن اهلكناهم بتكذيبهم رسلنا ظلما وعتوا وكفرا فاحذروا ايها المكذبون ان يصيبكم ما اصابهم وقوله ومنهم من يؤمن به اي ومن هؤلاء الذين بعثت اليهم يا محمد من سيؤمن بهذا القرآن ويتبعك ومنهم من لا يؤمن به بل يموت على الكفر ويبعث عليه وربك اعلم بالمفسدين اي هو اعلم بمن يستحق

الافتراء

في العربية والفصاحة

يعني وما صح وما استقام وكان محالا ان يكون مثل هذا القرآن في علو امره واعجازه مفترى

بل ايقولون اختلقه فام هي المنقطعة والهمزة اما للتقرير او للانكار

وادعوا من استطعتم من دون الله
يعني ان الله وحده هو القادر على ان يأتي بمثله لا يقدر على ذلك احد غيره فلا تستعينوا به وحده ثم استعينوا بكل من دونه

بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجؤه في بديهة السماع قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم

الهداية فيهديه ومن يستحق الضلالة فيضله وهو العادل الذي لا يجور بل يعطي كلًا ما يستحقه تبارك وتعالى وان كذبوك
فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع
الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون ان الله
لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون اي وان كذبك هؤلاء المشركون فتبرأ منهم ومن عملهم فقل لي عملي ولكم
عملكم كقوله لكم دينكم ولي دين وقال ابرهيم واتباعه لقومهم المشركين انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله الآية وقوله ومنهم من يستمعون
اليك اى يسمعون كلامك الحسن والقرآن العظيم وذلك كفاية عظيمة ولكن ليس ذلك عليك ولا اليهم فانك لا تقدر على اسماع
الاصم وهو الاطروش فكذلك لا تقدر على هداية هؤلاء الا ان يشاء الله اي ينظرون اليك والى ما اعطاك الله من التؤدة والسمت
الحسن والخلق العظيم والدلالة الظاهرة على نبوتك لاولي البصائر والنهى وهؤلاء ينظرون كما ينظر غيرهم ولا يحصل لهم من الهداية
شيء مما يحصل لغيرهم بل المؤمنون ينظرون اليك بعين الوقار والكافرون ينظرون اليك بعين الاحتقار ثم اخبر تعالى انه لا يظلم احدا
شيئا وان كان قد هدى به من هدى وبصر به من العمى واضل عن الايمان آخرين فهو الحاكم المتصرف في ملكه بما يشاء بعلمه وحكمته وعدله ولهذا
قال ان الله لا يظلم الناس شيئا لانه في جميع افعاله متفضل او عادل ولكن الناس انفسهم يظلمون بالكفر والمعصية وعن ابي ذر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تعالى يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا الى ان قال في آخره يا عبادي
انما هي اعمالكم احصيها لكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه رواه مسلم بطوله ويوم نحشرهم كان
لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين
يذكر الله للناس قيام الساعة وحشرهم من اجداثهم الى عرصات القيمة وكانهم يوم يوافونها لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة من النهار كما
قال تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحيها وغيرها من الآيات وقوله يتعارفون بينهم اي تعرف الآباء الابناء والقرابات
بعضهم لبعض كما كانوا في الدنيا ولكن كل واحد مشغول بنفسه وقوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين كقوله ويل يومئذ
للمكذبين لانهم خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة الا ذلك هو الخسران المبين واما نرينك بعض الذي نعدهم او
نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم
بالقسط وهم لا يظلمون اى ننتقم منهم في حياتك لتقر عينك منهم او نتوفينك فالينا مرجعهم اى مصيرهم ومنقلبهم
والله شهيد على افعالهم بعدك وقوله ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قال مجاهد يعني يوم القيمة قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون كما قال
تعالى واشرقت الارض بنور ربها الى قوله وهم لا يظلمون فكل امة تعرض على الله بحضرة رسولها وكتاب اعمالها من خير وشر موضوع شاهد
عليهم وحفظتهم من الملائكة شهود ايضا امة بعد امة وهذه الامة الشريفة وان كانت آخر الامم في الخلق الا انها اول الامم يوم القيمة يفصل
بينهم ويقضى لهم كما جاء في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نحن الآخرون السابقون يوم القيمة المقضي لهم قبل الخلائق
فامته انما حازت قصب السبق لشرف رسولها صلى الله عليه وسلم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا املك
لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون اثم اذا ما وقع آمنتم به الآن وقد
كنتم به تستعجلون ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون اخبر تعالى عن كفر هؤلاء
المشركين في استعجالهم العذاب وسؤالهم عن وقته قبل التعيين مما لا فائدة لهم فيه فارشد رسوله الى جوابهم فقال قل لا املك لنفسي ضرا

صفا ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرات
القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون
ولا يقبلون وناس ينظرون اليك و
يعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة
ولكنهم لا يصدقون ثم قال اتطمع انك
تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم
عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما
تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوي
الصوت فاذا اجتمع سلب العقل والسمع
جميعا فقد تم الامر وتحسب انك تقدر على
هداية العمي ولو انضم الى فقد البصر فقد
البصيرة لان الاعمى الذي له في قلبه بصيرة
قد يحدس ويتظنن واما العمي مع الحمق
فجهد البلاء يعني انهم في الياس من ان
يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا
عقول لهم ولا ابصار

واما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك
او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه في
الآخرة

الا ما شاء الله اي لا اقول الا ما علمني ولا اقدر على شيء مما استاثر به الا ان يطلعني عليه فانا عبده ورسوله اليكم وقد اخبرتكم بمجيء
الساعة وانها كائنة لا محالة ولم يطلعني على وقتها ولكن لكل امة اجل اى لكل قرن مدة من العمر فاذا انقضى اجلهم فلا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون ثم اخبرهم ان عذاب الله سياتيهم بغتة فقال قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا اى ليلا او نهارا ماذا يستعجل منه
المجرمون اثم اذا ما وقع آمنتم به الآن يعني انهم اذا جاءهم العذاب قالوا ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وقوله اثم ليس
بحرف عطف بل معناه اهنالك وحينئذ اذا ما وقع اى نزل العذاب آمنتم بالله وقت الياس وقيل اى صدقتم بالعذاب وقت نزوله
الآن اي يقال لكم الآن تؤمنون وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء وقوله ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد اى يوم القيمة
يقال لهم هذا تبكيتا وتقريعا ويستنبئونك احق هو قل اي وربي انه لحق وما انتم بمعجزين ولو ان لكل
نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به واسروا الندامة لما راوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم
لا يظلمون اي ويستخبرونك احق هو اي المعاد والقيام من الاجداث بعد صيرورة الاجساد ترابا قل اي وربي اى نعم وربي قسما انه
لحق لا شك فيه وما انتم بمعجزين اى ليس صيرورتكم ترابا بمعجز الله عن اعادتكم كما بداكم من العدم وانما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن
فيكون ثم اخبر تعالى انه اذا قامت القيمة يود الكافر لو افتدى من عذاب الله بملء الارض ذهبا واسروا الندامة لانه يبرز في ذلك اليوم يوم
نصره وتضيع وقضي بينهم بالقسط اى في عذابهم بالحق وهم لا يظلمون فيما استحقوه الا ان لله ما في السموات والارض
الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت واليه ترجعون اخبر تعالى انه مالك السموات والارض
وان وعده حق كائن لا محالة وانه يحيي ويميت واليه مرجعهم وان الله القادر على ذلك العليم بما تفرق من الاجسام وتمزق في
سائر الاقطار والبحار يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قال الله ممتنا على خلقه بما انزله من القرآن العظيم على
رسوله الكريم يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم اى زاجر عن الفواحش وشفاء لما في الصدور اى من الشبه والشكوك وهو
ازالة ما فيها من رجس ودنس وهدى ورحمة اى يحصل بها الهداية والرحمة من الله وانما ذلك للمؤمنين به والمصدقين الموقنين
بما فيه كما قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقوله قل بفضل الله وبرحمته اى بهذا
الذي جاءهم من الهدى ودين الحق فليفرحوا فانه اولى ما يفرحون به هو خير مما يجمعون اى من حطام الدنيا وما فيها من الزهرة الفانية
لا محالة قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون
وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون
قال ابن عباس واتباعه نزلت هذه الآية انكارا على المشركين فيما كانوا يحرمون ويحلون من البحائر والسوائب والوصائل لقوله تعالى
وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا الآيات قل آلله اذن لكم في هذا التحريم والتحليل ام على الله تفترون وهو قولهم والله
امرنا بها فانكر تعالى على من حرم ما احل وحلل ما حرم بمجرد الآراء والاهواء التي لا مستند لها ولا دليل عليها ثم توعدهم على ذلك يوم
القيمة فقال وما ظن الذين يفترون على الله الكذب اى ما ظنهم ان يصنع بهم يوم مرجعهم الينا يوم القيمة وقوله ان الله لذو فضل على الناس
اى في تركه معاجلتهم بالعقوبة في الدنيا ويحتمل ان يكون المراد فيما اباح لهم مما خلقه من المنافع في الدنيا ولم يحرم عليهم الا ما هو ضار
لهم في دنياهم او دينهم ولكن اكثرهم لا يشكرون بل يحرمون ما انعم الله به عليهم ويضيقون على انفسهم فيجعلون بعضا حلالا وبعضا
حراما وهذا قد وقع فيه المشركون فيما شرعوه لانفسهم واهل الكتاب فيما ابتدعوه في دينهم وما تكون في شان وما تتلوا منه من

بياتا نصب على الظرف يعني وقت بيات فبيتكم و
انتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت
العدو والباغت او نهارا في وقت
انتم مشتغلون بطلب المعاش والكسب ماذا
يستعجل منه المجرمون الضمير في منه للعذاب و
المعنى ان العذاب كله مكروه مر المذاق
فاي شيء تستعجلون منه وليس شيء منه يوجب
الاستعجال

قرآن وما تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة
في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين اخبر تعالى نبيه عليه الصلوة والسلام بانه يعلم جميع
احواله واحوال امته وجميع الخلائق في كل ساعة ولحظة وانه لا يعزب عن علمه وبصره مثقال ذرة في حقارتها وصغرها في السموات ولا في
الارض ولا اصغر منها ولا اكبر الا في كتاب مبين كقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو الى قوله الا في كتاب مبين وغيرها من الآيات
فاذا كان هذا علمه بحركات هذه الاشياء فكيف بعلمه بحركات المكلفين المامورين بالعبادة وقوله اذ تفيضون فيه اي تدخلون وتخوضون
في ذلك العمل فانا مشاهدون لكم وما يعزب اي وما يغيب والكتاب المبين هو اللوح المحفوظ وفي حديث جبرئيل لما سال عن الاحسان قال عليه الصلوة و
السلام ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا
يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم اخبر تعالى ان اولياءه
هم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما فسرهم بهم فكل من كان تقيا كان لله وليا انه لا خوف عليهم اي فيما يستقبلون من اهوال القيمة ولا هم
يحزنون على ما وراءهم في الدنيا وقال ابن مسعود وغيره اولياء الله الذين اذا رءوا ذكر الله وقد جاء هذا مرفوعا عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله عبادا يغبطهم الانبياء والشهداء قيل من هم يا رسول الله لعلنا نحبهم قال هم قوم
تحابوا في الله من غير اموال ولا انساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس
ثم قرأ الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون رواه ابن جرير وابو داود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقوله لهم البشرى عن ابي
الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة قال الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له رواه احمد و
ابن جرير عنه وعن عبادة بن الصامت وعن ابي ذر انه قال يا رسول الله الرجل يعمل العمل ويحمده الناس ويثنون عليه به فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تلك عاجل بشرى المؤمن رواه مسلم وقيل المراد من ذلك بشرى الملئكة المؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة كما في
قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملئكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا الى قوله رحيم وفي حديث البراء ان المؤمن اذا
حضره الموت جاءه ملئكة بيض الوجوه بيض الثياب فقالوا اخرجي ايتها الروح الطيبة الى روح وريحان ورب غير غضبان فتخرج من
فيه كما تسيل القطرة من في السقاء رواه احمد في حديث مبسوط واما بشريهم في الآخرة فكما قال تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملئكة
الآية وقال تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم الآية وقوله لا تبديل لكلمات الله اي هذا الوعد لا يبدل ولا يخلف
ولا يغير بل هو مقرر مثبت كائن لا محالة ذلك هو الفوز العظيم ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم الا ان
لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن
وان هم الا يخرصون هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون
اي ولا يحزنك يا محمد قول هؤلاء المشركين واستعن بالله عليهم وتوكل عليه فان العزة لله جميعا اي جميعها له ولرسوله وللمؤمنين هو السميع
لاقوال عباده العليم بهم ثم اخبر ان له ملك السموات والارض وان المشركين يعبدون الاصنام وهي لا تملك شيئا ولا ضرا ولا نفعا ولا
دليل لهم على عبادتها الا الظنون الكاذبة ثم اخبر انه الذي جعل الليل للعباد ليسكنوا فيه اي يستريحون فيه من تعبهم وكلالهم
وحركاتهم والنهار مبصرا اي مضيئا لمعاشهم وسعيهم واسفارهم ومصالحهم ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون اي هذه الحجج والادلة
لقوم يعتبرون بها ويستدلون على عظمة خالقها ومقدرها وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات و
ما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب

ان العزة استيناف بمعنى التعليل كانه قيل
مالي لا احزن فقيل ان العزة لله جميعا
اي ان الغلبة والقهر في مملكة الله جميعا
لا يملك احد شيئا منها لا هم ولا غيرهم
فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن
انا ورسلي

لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون يقول تعالى
منكرا على من ادعى له ولدا سبحانه هو الغني اي تقدس وتنزه عن ذلك هو الغني عن كل ما سواه وكل شيء فقير اليه له ما في السموات
وما في الارض اي فكيف يكون له ولد مما خلق وكل شيء فقير اليه له ما في السموات وما في الارض مملوك له ان عندكم اي ليس عندكم دليل
على ما تقولونه من الكذب والبهتان اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار ووعيد اكيد وتهديد شديد كما قال تعالى وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا الى قوله فردا ثم توعد الكاذبين عليه المفترين ممن زعم ان له ولدا بانهم لا يفلحون في الدنيا ولا في الآخرة
فاما في الدنيا فانهم اذا استدرجهم واملى لهم متعهم قليلا ثم يضطرهم الى عذاب غليظ كما قال هاهنا متاع في الدنيا اي مدة قريبة
ثم الينا مرجعهم اي يوم القيمة ثم نذيقهم العذاب الشديد اي الموجع المؤلم بما كانوا يكفرون اي بسبب كفرهم وافترائهم وكذبهم على الله
فيما ادعوه من الافك والزور واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري
بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون
فان توليتم فما سألتكم من اجر ان اجري الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن
معه في الفلك وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اي اخبرهم
يا محمد واقصص عليهم فيما يكذبونك ويخالفونك نبأ نوح اي خبره مع قومه الذين كذبوه كيف اهلكهم الله بالغرق اجمعين لتحذر
هؤلاء ان يصيبهم من الهلاك ما اصاب اولئك اذ قال نوح لقومه يا قوم ان كان كبر اي عظم عليكم مقامي اي فيكم بين اظهركم وتذكيري
اياكم اي بآيات الله اي بحججه وبراهينه فعلى الله توكلت اي فاني لا ابالي ولا اكف عنكم سواء عظم عليكم او لا فاجمعوا امركم اي فاجمعوا
انتم وشركاؤكم الذين تدعون من دون الله من صنم ووثن ثم لا يكن امركم اي لا تجعلوا امركم عليكم غمة ملتبسا بل افصلوا حالكم معي فان كنتم تزعمون
انكم محقون فاقضوا الي اي فامضوا ما في انفسكم وتوجهوا الي بالقتل والمكروه ولا تنظرون اي لا تؤخروني ساعة واحدة اي مهما قدرتم
فافعلوا اي فاني لا اخافكم وهذا على معنى التعجيز فان توليتم اي كذبتم وادبرتم عن الطاعة فما سألتكم من اجر اي لم اطلب منكم على نصحي اياكم
شيئا ان اجري الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين اي فانا ممتثل لما امرت به من الاسلام لله تعالى وهو دين جميع الانبياء وان تنوعت
شرائعهم وتعددت مناهجهم كما قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا قال ابن عباس اي سبيلا وسنة وكغيرها من الآيات في شان
الانبياء عليهم السلام ولهذا جاء في الصحيح انه عليه الصلوة والسلام قال نحن معاشر الانبياء اولاد علات ديننا واحد اي هو عبادة الله
وحده لا شريك له وان تنوعت شرائعنا وذلك معنى قوله اولاد علات وهم الاخوة من امهات شتى والاب واحد وقوله فكذبوه فنجيناه
ومن معه اي على دينه في الفلك وهي السفينة وجعلناهم خلائف اي في الارض واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
اي فانظر يا محمد كيف انجينا المؤمنين واهلكنا الكافرين ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما
كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين اي ثم بعثنا من بعد نوح رسلا الى قومهم فجاؤهم
بالبينات اي بالحجج والادلة والبراهين على صدق ما جاؤهم به فما كانوا اي فما كانت الامم ليؤمنوا بما جاءتهم به رسلهم بسبب تكذيبهم
اياهم اول ما ارسلوا اليهم وقوله كذلك نطبع اي كما طبع الله على قلوب هؤلاء فما آمنوا بسبب تكذيبهم المتقدم هكذا يطبع الله على قلوب من
اشبههم ممن بعدهم ويختم على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم والمراد ان الله تعالى اهلك الامم المكذبة للرسل وانجى من آمن منهم
من بعد نوح فان الناس كانوا قبله من لدن آدم الى ان احدث الناس عبادة الاصنام على الاسلام فبعث الله اليهم نوحا ولهذا يقول له المؤمنون
يوم القيمة انت اول رسول بعثه الله الى اهل الارض وقال ابن عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام ثم بعثنا من

يعني هودا وصالحا وابرهيم ولوطا وشعيبا

هو الغني علة لنفي الولد لان ما يطلب به
الولد من يلده وما يطلبه له السبب
في كله الحاجة وهي ان يكون ظهيرا له في
حيوته وخلفا بعد وفاته فمن الحاجة
مستغنية عنه كان الولد مستغنيا

مقامي مكاني يعني نفسه كما تقول فعلت كذا
لمكان فلان وفلان ثقيل الظل

الغمة السترة من غمه اذا ستره يعني
ولا يكن قصدكم الى هلاكي مستورا عليكم
ولكن مكشوفا مشهورا تجاهروني به

من المسلمين الذين لا ياخذون على تعليم الدين
شيئا ولا يطلبون به دنيا يريد ان ذلك
مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مامور به

يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل على جاهلية
مكذبين بالحق فما وقع فرق بين حالتهم
بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث
اليهم احد

بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملائه باياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه اباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الارض وما نحن لكما بمؤمنين اى ثم بعثنا من بعد تلك الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه اى قومه باياتنا اى حججنا وبراهيننا فاستكبروا اى عن اتباع الحق والانقياد له فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين كانهم اقسموا على ذلك وهم يعلمون ان ما قالوه كذب وبهتان قال لهم موسى منكرا عليهم اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا اى تثنينا عما وجدنا عليه اباءنا اى الدين الذى كانوا عليه وتكون لكما الكبرياء اى لك ولهرون العظمة والرياسة فى الارض وما نحن لكما بمؤمنين وكثيرا ما يذكر تعالى قصة موسى مع فرعون فى كتابه العزيز لانها من اعجب القصص وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون قد تقدم قصة موسى مع السحرة فى سورة الاعراف واعيد فى هذه السورة وسورة طه والشعراء وذلك ان فرعون اراد ان يبهرج على الناس ويعارض ما جاء به موسى عليه السلام من الحق المبين بزخارف السحرة فانعكس عليه النظام ولم يحصل له ذلك المرام وظهرت البراهين الالهية فى ذلك المحفل العام والقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون فظن فرعون انه يستنصر بالسحار على رسول عالم الاسرار فخاب وخسر واستوجب النار وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون وانما قال لهم ذلك لانهم لما اصطفوا وقد وعدوا من فرعون بالتقريب والعطاء الجزيل قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى قال بل القوا فاراد موسى ان تكون البداءة منهم ليرى الناس ما صنعوا ثم ياتى بالحق بعده فيدمغ باطلهم ولهذا لما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم كما بين الله تعالى الى قوله حيث اتى نفسه ذلك قال موسى لما القوا ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم وان فرعون لعال فى الارض وانه لمن المسرفين اخبر تعالى انه لم يؤمن بموسى مع ما جاء به من الآيات البينات الا قليل من آل فرعون من الذرية وهم الشباب على وجل وخوف منه ومن ملائه ان يردوهم على ما كانوا عليه من الكفر لان فرعون كان جبارا عنيدا يخاف رعيته منه خوفا شديدا قال ابن عباس الذرية التى آمنت بموسى من اناس غير بنى اسرائيل من قوم فرعون يسير منهم امراة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازن فرعون وامراة خازنه وقال ابن عباس الذرية القليل وقال مجاهد الذرية هم اولاد الذين ارسل اليهم موسى من طول الزمان ومات آباؤهم واختار ابن جرير انها من بنى اسرائيل لا من قوم فرعون لعود الضمير الى اقرب المذكورين وفيه نظر لان المراد بالذرية هنا الاحداث والشباب وانهم من غير بنى اسرائيل فان بنى اسرائيل كلهم آمنوا بموسى واستبشروا به وقوله على خوف من فرعون وملائهم اى واشراف قومه ان يفتنهم عن الايمان ولم يكن فى بنى اسرائيل من يخاف منه ذلك سوى قارون فانه من قوم موسى فبغى عليه لكنه كان مع فرعون متصلا به ومن قال الضمير فى ملائهم عائد الى فرعون باعتبار اتباعه او بحذف آل من فرعون واقامة المضاف اليه مقامه فقد ابعد وان كان ابن جرير حكاهما عن بعض النحاة ومما يدل على انه لم يكن فى بنى اسرائيل الا مؤمن قوله تعالى وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين اخبر تعالى عن موسى انه قال لبنى اسرائيل يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا اى فان الله كاف من توكل عليه اليس الله بكاف عبده وكثيرا ما يقرن تعالى

وكانوا قوما مجرمين معتادين الآثام عظام

ما جئتم به السحر ما موصولة و[illegible] مبتدأ والسحر خبره اى الذى جئتم به هو السحر لا الذى سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله ان الله سيبطله [illegible] او يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته [illegible] ولكن يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه

وان فرعون لعال فى الارض لغالب فيها قاهر وانه لمن المسرفين فى الظلم والفساد وفى الكبر والعتو بادعائه الربوبية

قال ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا صدقتم به وبآياته ان كنتم مسلمين ثم شرط فى التوكل الاسلام [illegible] لا تجعلنا فتنة لا تسلطهم علينا [illegible]

فى العبادة

بين العبادة والتوكل كقوله فاعبده وتوكل عليه وغيرها من الآيات وقد امتثل بنو اسرائيل ذلك فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين اى لا تظفرهم بنا وتسلطهم علينا فيظنوا بذلك انهم على الحق ونحن على الباطل فيفتتنوا بذلك قاله ابو مجلز وابو الضحى وقال مجاهد لا تعذبنا بايدى قوم فرعون ولا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق ما عذبوا ولا افتتنوا بنا ونجنا برحمتك اى خلصنا برحمة منك واحسان من عندك من الذين كفروا الحق وستروه ونحن قد آمنا بك وتوكلنا عليك واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة وبشر المؤمنين ذكر تعالى سبب انجائه بنى اسرائيل من فرعون وقومه وكيفية خلاصهم منهم وذلك ان الله امر موسى واخاه هرون ان تبوءا اى يتخذا لقومهما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة اختلفوا فى معناه قال ابن عباس اى اتخذوها مساجد وصلوا فيها قالوا وكانوا خائفين فامروا بكثرة الصلوة فيها كما قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر صلى رواه ابو داود ولهذا قال فى هذه الآية واقيموا الصلوة وبشر المؤمنين اى بالثواب والنصر القريب وقال مجاهد لما خاف بنو اسرائيل من فرعون ان يصلوا فى الكنائس الجامعة امروا ان يجعلوا بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة يصلون فيها سرا وكذا قال قتادة والضحاك وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة واموالا فى الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون هذا اخبار من الله عما دعا به موسى على فرعون وملائه لما ابوا قبول الحق واستمروا على ضلالهم وكفرهم معاندين جاحدين ظلما وعلوا فقال ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة اى من اثاث الدنيا ومتاعها واموالا اى جزيلة كثيرة فى الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا بفتح الياء عن سبيلك اى اعطيتهم ذلك وانت تعلم انهم لا يؤمنون بما ارسلتنى به اليهم استدراجا منك لهم كما قال تعالى لنفتنهم فيه وقرأ آخرون ليضلوا بضم الياء اى ليفتتن بما اعطيتهم من شئت من خلقك ليظن من اغويته انك انما اعطيت هؤلاء هذا لاعتنائك بهم وقوله ربنا اطمس على اموالهم قال ابن عباس اى اهلكها وقال قتادة بلغنا ان زروعهم تحولت حجارة وقال ابو العالية وغير واحد جعلها الله حجارة منقوشة كهيئة ما كانت كالحمص والباقلاء وقوله واشدد على قلوبهم قال ابن عباس اى اطبع عليها حتى يروا العذاب الاليم وهذه الدعوة من موسى كانت غضبا لله ولدينه على فرعون وملائه الذين تبين له انه لا خير فيهم ولهذا استجاب الله لموسى فقالوا قد دعا موسى وامن هرون ولهذا قال قد اجيبت دعوتكما اى قد اجبناكما فيما سألتما من تدمير آل فرعون وقد يحتج بهذه الآية من يقول ان تامين المأموم على قراءة فاتحة الامام ينزل منزلة قراءتها وقوله فاستقيما اى كما استجيبت دعوتكما فاستقيما على امرى وامضيا له وهى الاستقامة قال ابن جريج يقولون ان فرعون مكث بعد هذه الدعوة اربعين سنة وعن زين العابدين اربعين يوما وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ذكر الله تعالى كيفية اغراق فرعون وجنوده فان بنى اسرائيل لما خرجوا من مصر صحبة موسى عليه السلام وهم فيما قيل ستمائة الف مقاتل سوى الذرية وقد كانوا استعاروا من القبط حليا كثيرا فخرجوا به معهم فاشتد حنق فرعون عليهم فارسل فرعون فى المدائن حاشرين يجمعون له جنوده من اقاليمه فركب وراءهم فى ابهة عظيمة وجيوش هائلة لما يريده الله بهم ولم يتخلف عنه احد ممن له دولة وسلطان فى سائر مملكته فلحقوهم وقت شروق الشمس فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون وذلك انهم انتهوا الى ساحل البحر واتبعهم فرعون ولم يبق الا ان يتقابل الجمعان والح اصحاب موسى عليه فى السؤال كيف المخلص مما نحن فيه فيقول انى امرت ان اسلك ههنا كلا ان معى ربى سيهدين

تبوء المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلوة فيه

الزينة ما يتزين به من لباس او حلى او فرش او ادوات او غير ذلك وعن ابن عباس كانت لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت

فان قلت ما معنى قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك قلت هو دعاء بلفظ الامر ومعنى ربنا اضللهم كقوله ربنا اطمس واشدد وذلك انه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا وردد عليهم المواعظ والنصائح زمانا طويلا ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعلم بالتجربة انه لا يجيء منهم الا الغي والضلال وان ايمانهم كالمحال اشتد غضبه عليهم ودعا الله بما علم انه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس واخزى الله الكفرة مع علمك انه لا يكون غير ذلك

فلما ضاق الامر اتسع فامره الله ان يضرب البحر بعصاه فضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وصار اثني عشر طريقا لكل سبط واحد
وامر الله الريح فنشفت ارضه وتخرق الماء بين الطرق كهيئة الشبابيك ليرى كل قوم الآخرين لئلا يظنوا انهم هلكوا وجازت بنو اسرائيل
البحر فلما خرج آخرهم انتهى فرعون وجنوده الى حافته من الناحية الاخرى وهو في مائة الف ادهم سوى بقية الالوان فلما راى ذلك
هاله واحجم وهم بالرجوع وهيهات نفذ القدر واستجيبت الدعوة وجاء جبريل على فرس وديق حائل فمر الى جانب حصان
فرعون فحمحم اليها وتقدم جبريل فاقتحم البحر ودخله فاقتحم الحصان وراءه ولم يملك فرعون من نفسه شيئا فتجلد لامرائه وقال
لهم ليس بنو اسرائيل باحق بالبحر منا فاقتحموا كلهم عن آخرهم وميكائيل في ساقتهم لا يترك احدا منهم الا الحقه بهم فلما دخلوا كلهم
البحر وهم اولهم بالخروج منه امر الله القدير البحر ان يرتطم عليهم فارتطم عليهم فلم ينج منهم احد وجعلت الامواج ترفعهم و
تخفضهم وتراكمت الامواج فوق فرعون وغشيته سكرات الموت فقال وهو كذلك آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل
وانا من المسلمين فآمن حين لا ينفعه الايمان فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما
راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون وهكذا قال تعالى في جواب فرعون حين قال ما قال آلآن
وقد عصيت قبل اي اهذا الوقت تقول وقد عصيت الله قبل هذا فيما بينك وبينه وكنت من المفسدين اي من المضلين في الارض الذين
اضلوا الناس وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ويوم القيمة لا ينصرون وهذا الذي حكاه تعالى عن فرعون قد علم به رسوله عليه الصلوة
والسلام وروى ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال فرعون آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل قال
قال لي جبريل لو رايتني وقد اخذت من حال البحر فدسسته في فيه مخافة ان تناله الرحمة رواه احمد والترمذي وقال حديث حسن
وقوله فاليوم ننجيك ببدنك قال ابن عباس وغير واحد ان بعض بني اسرائيل شكوا في موت فرعون فامر الله البحر ان يلقيه بجسده سويا
بلا روح وعليه درعه المعروفة به على نجوة من الارض وهو المكان المرتفع ليتحققوا موته وهلاكه ولهذا قال فاليوم ننجيك ببدنك اي
نرفعك على نشز من الارض بجسدك بلا روح صحيحا لم يتمزق ليحققوه ويعرفوه وقوله لتكون لمن خلفك آية اي لتكون لبني اسرائيل دليلا
على موتك وهلاكك وان الله تعالى هو القادر عليه وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون اي لا يتعظون بها ولا يعتبرون وقد كان هلاك
فرعون وملائه يوم عاشوراء كما قال ابن عباس قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود يصوم عاشوراء فقالوا هذا يوم ظهر فيه
موسى على فرعون فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه انتم احق بموسى منهم فصوموا رواه البخاري **ولقد بوانا بني اسرائيل
مبوا صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون** اخبر تعالى عما انعم به على بني اسرائيل من النعم الدينية والدنيوية فمبوا صدق قيل هو بلاد مصر والشام
مما يلي بيت المقدس ونواحيه فان الله تعالى لما اهلك فرعون وجنوده استقرت يد الدولة الموسوية على بلاد مصر بكمالها كما قال تعالى
واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها الى قوله يعرشون ولكن استمروا مع موسى طالبين لبلاد بيت
المقدس كما سبق لدفع العمالقة وقتلهم فنكل بنو اسرائيل عن قتالهم فتاههم الله في التيه اربعين سنة ومات فيه هرون ثم موسى
وخرجوا بعدهما مع يوشع بن نون ففتح الله عليهم بيت المقدس واستقرت ايديهم عليها الى ان اخذها منهم بخت نصر حينا من الدهر
ثم عادت اليهم ثم اخذها ملوك اليونان وكانت في ايديهم مدة طويلة وبعث الله عيسى بن مريم في تلك المدة فاستعانت اليهود على معاداة
عيسى بملوك اليونان مفسدين بينهم وبينه فبعثوا من يقبض عليه فرفعه الله اليه وشبه لهم بعض الحواريين بمشية الله وقدره فاخذوه
وصلبوه واعتقدوا انه هو وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه ثم بعد المسيح بنحو ثلثمائة دخل قسطنطين احد ملوك اليونان في دين النصرانية
تقية وقيل حيلة ليفسده وكان فيلسوفا قبل ذلك فوضعت له الاساقفة قوانين وشريعة وبدعا احدثوها فبنى لهم الكنائس والبيع الكبار

[illegible]

او من الساعة

في وقت الاضطرار

حين ادركك الغرق وارى

من فوقك

اي نلقيك

مكانا مرتفعا

من الارض

مبوا صدق منزلا صالحا مرضيا

روي ان جبريل اتاه بفتيا ما قول الامير في عبد لرجل نشا في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماه ان يغرق في البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه

او لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان في انفسهم ان فرعون اعظم شانا من ان يغرق وروي انهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت ابدا وقيل اخبرهم موسى عليه السلام بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه الله على الساحل حتى عاينوه وقيل لمن خلفك لمن ياتي بعدك من القرون او يكون عبرة لسائر الامم بعدك فلا يجترئوا على ما اجترات عليه اذا سمعوا بحالك وهوانك على الله

والصغار

والصغار والصوامع والهياكل والمعابد وانتشرت النصرانية في ذلك الزمان بما فيه من التغيير والتبديل ومخالفة دين المسيح و
لم يبق على دين المسيح الا القليل من الرهبان فغلبت يد النصارى على مملكة الشام والجزيرة وبلاد الروم وبنى هذا الملك مدينة قسطنطينية
منسوبة اليه والقمامة وبيت لحم وكنائس بلاد بيت المقدس ومدن حوران كبصرى وغيرها من البلدان بناءات هائلة محكمة
وعبدوا الصليب من حينئذ وصلوا الى المشرق وصوروا الكنائس واحلوا لحم الخنزير وغير ذلك والغرض ان يدهم لم تزل على هذه
البلاد الى ان انتزعها منهم الصحابة رضي الله عنهم وكان فتح بيت المقدس على يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولله الحمد وقوله ورزقناهم
من الطيبات اي الحلال من الرزق والطيب النافع المستطاب طبعا وشرعا وقوله فما اختلفوا حتى جاءهم العلم اي ما اختلفوا في شيء من
المسائل الا من بعد ما جاءهم العلم اي ولم يكن لهم ان يختلفوا وقد بين الله لهم وازال عنهم اللبس وقد ورد في الحديث ان اليهود قد اختلفوا
على احدى وسبعين فرقة وان النصارى اختلفوا على ثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الامة على ثلث وسبعين فرقة منها واحدة في
الجنة وثنتان وسبعون في النار قيل من هم يا رسول الله قال ما انا عليه واصحابي رواه الحاكم في مستدركه بهذا اللفظ وهو في السنن
والمسانيد ولهذا قال تعالى ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون **فان كنت في شك مما انزلنا اليك
فاسئل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن
من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو
جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم** قال ابن عباس وغير واحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اشك ولا اسال وفي
هذا تثبيت للامة واعلام لهم ان صفة نبيهم صلى الله عليه وسلم موجودة في الكتب المتقدمة التي بايدي اهل الكتاب كما قال تعالى الذين
يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل الآية وهذا الخطاب كله وان كان مع النبي صلى الله عليه و
سلم فالمراد غيره كقوله يا ايها النبي اتق الله وفي القرآن كثير من هذا النوع على عادة العرب ثم هذا العلم الذي يعرفونه من كتبهم كما يعرفون
ابناءهم يلبسون ذلك ويحرفونه ويبدلونه ولا يؤمنون به مع قيام الحجة عليهم ولهذا قال تعالى ان الذين حقت عليهم لعنته وغضبه وثبتت
لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم اي لا يؤمنوا ايمانا ينفعهم بل حين لا ينفع نفسا ايمانها ثم قال تعالى **فلولا كا
نت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا
ومتعناهم الى حين** اي فهلا كانت قرية آمنت بكمالها من الامم السالفة الذين بعثنا اليهم الرسل بل ما ارسلنا من قبلك
يا محمد من رسول الا كذبته قومه او اكثرهم كما قال تعالى يا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن والمراد
انه لم توجد قرية آمنت بكمالها بنبيهم ممن سلف من القرى الا قوم يونس وهم اهل نينوى وما كان ايمانهم الا خوفا من نزول وصوله
العذاب الذي انذرهم به رسولهم بعد ما عاينوا اسبابه وخرج رسولهم من بين اظهرهم فعندها جاروا الى الله واستغاثوا به و
تضرعوا اليه واستكانوا واحضروا اطفالهم ودوابهم ومواشيهم وسالوا الله ان يرفع عنهم العذاب فعندها رحمهم وكشف
عنهم العذاب واخروا كما قال تعالى الا قوم يونس الآية وهذا معنى ما قاله قتادة واختلفوا هل كشف عنهم العذاب الاخروي مع الدنيوي
او انما كشف لهم في الدنيا فقط على قولين الظاهر انه انما كشف عنهم في الدارين لقوله فمتعناهم الى حين فاطلق عليهم الايمان وهو
منقذ من العذاب الاخروي وحكى ابن مسعود وغير واحد ان قوم يونس كانوا بنينوى من ارض الموصل ونقل ان قوم يونس لما راوا العذا
ب يدور على رؤسهم كقطع الليل المظلم مشوا الى رجل من علمائهم فقالوا علمنا دعاء ندعو به لعل الله ان يكشف عنا العذاب فقال قولوا
يا حي حين لا حي يا حي محيي الموتى يا حي لا اله الا انت قال فكشف عنهم العذاب وسياتي تمامه في سورة الصافات ان شاء الله تعالى

وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت
وانت اعظم منها واجل فافعل بنا ما انت اهله
ولا تفعل بنا ما نحن اهله

وما تشتتوا فيه شيعا الا من بعد ما قراوا التورية وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه وعلموا ان الاختلاف فيه تفرق عنه

فان قلت كيف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان كنت في شك مما انزلنا اليك مع قوله في الكفرة وانهم لفي شك منه مريب قلت فرق عظيم بين قوله وانهم لفي شك منه مريب باثبات الشك لهم على سبيل التاكيد والتحقيق وبين قوله فان كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا

حقت عليهم كلمة ربك ثبتت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح المحفوظ واخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره

اي فهلا وحقها فلم تكن قرية لان في الاستفهام ضربا من الجحد اي لم تكن اهل قرية آمنت عند معاينة العذاب فنفعها ايمانها في حال الياس الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم العذاب ٥ الواحدي

وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده

ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون اي ولو شاء ربك يا محمد لأذن لأهل الارض كلهم في الايمان بما جئتهم به فآمنوا كلهم ولكن له حكمة فيما يفعله تعالى كما قال ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولهذا قال افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي ليس ذلك عليك ولا اليك بل الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وشبهه من الآيات البينات على انه تعالى هو الفعال لما يريد ولهذا قال وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس اي الخبال والوبال والضلال على الذين لا يعقلون اي حجج الله وادلته وهو العادل في هداية من هدى واضلال من ضل قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين ارشد الله عباده الى التفكر في آلائه وآياته وما خلق في السموات والارض من الآيات الباهرة لذوي الالباب مما في السموات من كواكب نيرات ثوابت وسيارات والليل والنهار وايلاج احدهما في الآخر وارتفاع السماء واتساعها وحسنها وما انزل منها من مطر فاحيى به الارض بعد موتها واخرج فيها من افانين الثمار والزروع والازاهير وما ذرأ فيها من دواب مختلفة الاشكال والالوان والمنافع وما فيها من جبال وسهول وقفار وعمران وخراب وما في البحر من العجائب والامواج وهو مع هذا مسخر مذلل للسالكين يحمل سفنهم ويجري بها برفق بتسخير القدير مجريها الحاكم وقوله وما تغني الآيات اي واي شيء تجدي الآيات السماوية والارضية والرسل بآياتها وبراهينها الدالة على صدقها عن قوم لا يؤمنون وقوله فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم اي فهل ينتظر هؤلاء المكذبون لك يا محمد من النقمة والعذاب الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم من الامم المكذبة لرسلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا اي ونهلك المكذبين بالرسل كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين اي حقا اوجبه تعالى على نفسه الكريمة كقوله كتب ربكم على نفسه الرحمة وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وامرت ان اكون من المؤمنين وان اقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم اي قل يا محمد للناس ان كنتم في شك في صحة ما جئتكم به من الدين الحنيف الذي اوحاه الله تعالى الي فانا لا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله وحده لا شريك له وهو الذي يتوفاكم كما احياكم ثم اليه مرجعكم فان كانت آلهتكم التي تدعون من دون الله حقا فانا لا اعبدها فادعوها فلتضرني فانها لا تضر ولا تنفع وانما الذي بيده الضر والنفع هو الله وحده وقوله وان اقم وجهك حنيفا اي اخلص العبادة لله وحده حنيفا اي منحرفا عن الشرك ولا تكونن من المشركين وهو معطوف على قوله وامرت ان اكون من المؤمنين وقوله وان يمسسك الله بضر الآية فيها بيان لان الخير والشر والنفع والضر انما هو راجع الى الله تعالى وحده لا شريك له فهو الذي يستحق العبادة لا غيره وعن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اطلبوا الخير دهركم كله وتعرضوا لنفحات رحمة الله فان لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده وسلوه ان يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم وعن ابي هريرة مرفوعا بمثله سواء رواه ابو القاسم بن عساكر وقوله وهو الغفور الرحيم اي لمن تاب اليه وتوكل عليه من اي ذنب كان حتى من الشرك فانه يتوب عليه قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل

ثم ننجي رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية

ان كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك وهو اني لا اعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو الهكم وخالقكم ولكن اعبد الله

ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين

اذا جواب الشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سأل عن تبعة عبادة الاوثان

فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين امر الله تعالى رسوله ان يخبر الناس ان الذي جاءهم به من عند الله هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك فمن اهتدى به واتبعه فانما يعود نفع ذلك الى نفسه ومن ضل عنه فانما يرجع وبال ذلك عليه وما انا عليكم بوكيل اي وما انا موكل بكم حتى تكونوا مؤمنين به وانما انا نذير لكم والهداية على الله وقوله واتبع ما يوحى اليك واصبر اي تمسك بما انزل الله عليك واوحاه اليك واصبر على مخالفة من خالفك من الناس حتى يحكم الله اي يفتح بينك وبينهم وهو خير الحاكمين اي خير الفاتحين بعدله وحكمته

تفسير سورة هود وهي مكية

الا قوله واقم الصلوة طرفي النهار عن ابن مسعود وابن عباس ان ابا بكر رضي الله عنهم قال يا رسول الله ما شيبك قال شيبتني هود والواقعة وعم يتساءلون واذا الشمس كورت رواه الترمذي

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير سبق البحث عن حروف اوائل السور في اول سورة البقرة فلا نعيده واما قوله احكمت آياته اي هي محكمة في لفظها مفصلة في معناها فهو كامل صورة ومعنى قاله مجاهد وقتادة واختاره ابن جرير وقوله من لدن حكيم خبير اي من عند الله الحكيم في اقواله واحكامه خبير بعواقب الامور الا تعبدوا الا الله اي نزل هذا القرآن المحكم المفصل بعبادة الله وحده لا شريك له وقوله انني لكم منه نذير وبشير اي اني لكم نذير من العذاب ان خالفتموه وبشير بالثواب ان اطعتموه وقوله وان استغفروا ربكم اي وآمركم بالاستغفار من الذنوب السالفة والتوبة منها الى الله الكريم فيما تستقبلونه وان تستمروا على ذلك يمتعكم متاعا حسنا اي في الدنيا ويؤت كل ذي فضل فضله اي في الدار الآخرة قاله قتادة كقوله من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة الآية وقد جاء في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد وانك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا اجرت بها حتى ما تجعل في في امرأتك وقوله وان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير اي وهذا تهديد شديد لمن تولى عن اوامر الله وكذب رسله فان العذاب يناله يوم معاده لا محالة الى الله مرجعكم اي معادكم يوم القيمة وهو على كل شيء قدير اي وهو القادر على ما يشاء من احسانه الى اوليائه وانتقامه من اعدائه واعادة الخلائق يوم القيمة وهذا مقام الترهيب كما ان الاول مقام الترغيب الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور قال ابن عباس كانوا يكرهون ان يستقبلوا السماء بفروجهم وحال وقاعهم فانزل الله هذه الآية وقال يستغشون يغطون رؤوسهم وقال مجاهد والحسن اي انهم كانوا يثنون صدورهم اذا قالوا شيئا او عملوه فيظنون انهم يستخفون من الله بذلك فاعلمهم تعالى انهم حين يستغشون ثيابهم عند منامهم في ظلمة الليل يعلم ما يسرون من القول وما يعلنون انه عليم بذات الصدور اي يعلم ما تكن صدورهم من النيات والضمائر وما احسن ما قال زهير بن ابي سلمى فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب او يعجل فينتقم فقد اعترف هذا الشاعر الجاهلي بوجود الصانع وعلمه بالجزئيات وبالمعاد وبالجزاء وبكتابة الاعمال في الصحف ليوم القيمة وقرأ ابن عباس الا انهم تثنوني صدورهم برفع الصدور على الفاعلية وهو قريب المعنى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين اخبر تعالى انه متكفل بارزاق المخلوقات من سائر دواب الارض بحريها وبريها صغيرها وكبيرها وانه يعلم مستقرها ومستودعها اي يعلم اين

[illegible]

مستقرها في الارض و ان ياوي اليه من وكرها و هو مستودعها و قال ابن عباس مستقرها اي ماويها و مستودعها
حيث يموت و عن مجاهد مستقرها في الرحم و مستودعها في الصلب كالتي في الانعام و ان جميع ذلك مكتوب في كتاب عند الله
يبين عن جميع ذلك كما قال تعالى و ما من دابة في الارض و لا طائر يطير بجناحيه الآية و قوله و عنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو
الآية. **وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا
ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ولئن اخرنا
عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن ما يحبسه الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق
بهم ما كانوا به يستهزءون** اخبر تعالى عن قدرته على كل شيء و انه خلق السموات و الارض في ستة ايام و ان عرشه كان على
الماء قبل ذلك كما في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن اول هذا الامر يعني بدء الخلق كيف كان قال كان الله قبل كل شيء
وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات و الارض و كتب في الذكر كل شيء و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الله مقادير الخلائق
قبل ان يخلق السموات و الارض بخمسين الف سنة قال و عرشه على الماء رواه مسلم و قال الربيع بن انس وكان عرشه على الماء
فلما خلق السموات و الارض قسم ذلك الماء قسمين فجعل نصفا تحت العرش و هو البحر المسجور و قال ابن عباس سمي العرش عرشا
لارتفاعه و سئل عنه على اي شيء كان الماء قال على متن الريح و قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا اي خلق السموات و الارض لنفع
عباده الذين خلقهم ليعبدوه وحده لا شريك له و لم يخلق عبثا كما قال و ما خلقنا السماء و الارض و ما بينهما باطلا الآية
و قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا الآية فقوله ليبلوكم اي ليختبركم ايكم احسن اي اخلص عملا على وفق الشرع فمتى فقد العمل واحدا
من هذين الشرطين بطل و حبط و قوله و لئن قلت اي و لئن اخبرت يا محمد هؤلاء المشركين ان الله سيبعثهم بعد مماتهم كما بداهم
مع انهم يعلمون ان الله هو الذي خلق السموات و الارض كما قال و لئن سالتهم من خلق السموات و الارض ليقولن الله و هم مع هذا ينكرون
البعث و المعاد يوم القيمة و قوله ان هذا الا سحر مبين اي يقولون كفرا و عنادا ما نصدقك على وقوع البعث و ما ذكره من ذلك
الا من سحرته فهو يتبعك على ما تقول و قوله و لئن اخرنا عنهم العذاب اي و لئن اخرنا العذاب و المؤاخذة عن هؤلاء المشركين
الى اجل معدود و امد محصور و اوعدناهم به الى امة مضروبة ليقولن تكذيبا و استعجالا ما يحبسه اي ما يؤخر هذا العذاب عنا و الامة
تستعمل في الكتاب و السنة في معاني متعددة و يراد بها ههنا الامد و تستعمل في الامام المقتدى به كقوله ان ابرهيم كان امة و تستعمل في
الملة كما قال المشركون انا وجدنا اباءنا على امة و تستعمل في الجماعة كما قال وجد عليه امة من الناس يسقون وغيرها من الآيات الا يوم ياتيهم
ليس مصروفا عنهم اي لا يكون مصروفا عنهم و حاق بهم اي نزل بهم ما كانوا به يستهزءون اي من استهزائهم **ولئن اذقنا الانسان
منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب
السيئات عني انه لفرح فخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة واجر كبير**
اخبر تعالى عن الانسان و ما فيه من الصفات الذميمة الا من رحم الله من عباده المؤمنين فانه اذا اصابته شدة بعد نعمة حصل له اياس
و قنوط من الخير بالنسبة الى المستقبل و كفر و جحود لماضي الحال كانه لم ير خيرا و لا يرجو بعد ذلك فرجا و هكذا اذا اصابته نعمة بعد نقمة
ليقولن ذهب السيئات عني اي لا ينالني بعد هذا ضيم و لا سوء انه لفرح فخور اي فرح بما في يده بطر فخور على غيره قال تعالى الا الذين
صبروا اي على الشدائد و المكاره و عملوا الصالحات اي في الرخاء و العافية لهم مغفرة اي بما يصيبهم من الضراء و اجر كبير بما اسلفوه
في زمن الرخاء كما جاء في الحديث و الذي نفسي بيده لا يصيب المؤمن هم و لا غم و لا نصب و لا وصب و لا حزن الا كفر الله عنه بها من
الخ عن الشكر

كل في كتاب مبين
يعني كل واحد من الدواب
ورزقها ومستقرها ومستودعها
في اللوح يعني ذكرها مكتوبة
فيه مبين

ليبلوكم متعلق بخلق اي خلقهن لحكمة بالغة وهي ان
يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم بفنون النعم
ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي فمن
شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه
ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم
يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم كيف
تعملون

يوم ياتيهم منصوب بخبر ليس ويستدل به من
يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك انه اذا
جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا
على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل
فلا يقع الا حيث يقع العامل

الانسان للجنس رحمة نعمة من صحة وامن وجدة ثم
نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة انه ليؤس شديد
الياس من ان يعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع
رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم
لقضائه ولا استرجاع كفور عظيم الكفران لما
سلف له من التقلب في نعمة الله نسّاء له والنعماء
اي وسعنا عليه الصحة والمال والعافية
بعد ضراء مسته اي بعد الفقر الذي ناله ذهب السيئات
عني ظن انه زال عنه كل مكروه

[illegible]

خطايا. حتى الشوكة يشاكها في سبيل الله و في الصحيحين مثله عن ابي سعيد و فيهما ايضا و الذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاء الا
كان له خيرا ان اصابته سراء فشكر كان خيرا له و ان اصابته ضراء فصبر كان خيرا له و ليس ذلك لاحد غير المؤمن **فلعلك
تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك انما
انت نذير والله على كل شيء وكيل ام يقولون افتريه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من
استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا
هو فهل انتم مسلمون** هذا تسلية منه تعالى لرسوله عما كان يتعنت به المشركون فيما كانوا يقولون عن الرسول كما اخبر تعالى عنهم
بقوله و قالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام الآية فامر تعالى رسوله و ارشده الى ان لا يضيق بذلك منهم صدره و لا يثنيه عن دعائهم
الى الله تعالى آناء الليل و اطراف النهار كما قال تعالى و لقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون و قال ههنا فلعلك تارك بعض ما
يوحى اليك و ضائق به صدرك ان يقولوا اي لقولهم ذلك و انما انت نذير و لك اسوة باخوانك من الرسل قبلك فانهم كذبوا و اوذوا
فصبروا حتى اتاهم نصر الله ثم بين تعالى اعجاز القرآن فانه لا يستطيع البشر الاتيان بمثله و لا بعشر سور من مثله و لا بسورة من
مثله لان كلام الرب لا يشبهه كلام المخلوقين كما ان صفاته لا يشبه صفات المحدثات و ذاته لا يشبهها شيء تعالى و تقدس ثم
قال فان لم يستجيبوا لكم اي فان لم ياتوا بمعارضة ما دعوتهم اليه فاعلموا انهم عاجزون عن ذلك فان هذا الكلام منزل من عند الله
متضمنا علمه و امره و نهيه و انه لا اله الا هو فهل انتم مسلمون لفظه استفهام و معناه امر اي اسلموا **من كان يريد الحيوة
الدنيا و زينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا
النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون** قال ابن عباس ان اهل الرياء يعطون بحسناتهم في الدنيا
و ذلك انهم لا يظلمون نقيرا و نزلت في اهل الرياء و قيل في اهل الكتاب اي من عمل صالحا التماس الدنيا صوما او صلوة او تهجدا
بالليل لا يعمله الا التماس الدنيا يقول الله اوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة و حبط عمله الذي كان يعمله لاجل الدنيا و هو
في الآخرة من الخاسرين قاله مجاهد و غير واحد و قال قتادة من كانت الدنيا همه و سدمه و طلبته و نيته جازاه الله بحسناته في
الدنيا ثم يفضي الى الآخرة و ليس له حسنة يعطى بها جزاء و اما المؤمن المخلص فيجازى بحسناته في الدنيا و يثاب عليها في الآخرة
و قد ورد في الحديث المرفوع نحو من هذا كما قال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية و قوله نوف اي نوف لهم جزاء
اعمالهم بسعة الرزق و دفع المكاره و هم فيها لا يبخسون اي لا ينقص حظهم في الدنيا **افمن كان على بينة من ربه ويتلوه
شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار
موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون** اخبر تعالى عن المؤمنين الذين هم
على فطرة الله التي فطر الناس عليها من الاعتراف له بالتوحيد كما قال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا الآية و في الصحيحين عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه و ينصرانه و يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء
هل تحسون فيها من جدعاء فالمؤمن باق على هذه الفطرة و جاءه شاهد من الله تعالى و هو ما اوحاه الله الى الانبياء من الشرائع
المطهرة المختتمة بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم و عليهم و لهذا قال ابن عباس و كثير من الائمة في قوله و يتلوه شاهد منه انه جبريل
عليه السلام و عن علي و الحسن و قتادة هو محمد عليه الصلوة و السلام و كلاهما قريب في المعنى لان كلا منهما بلغ الرسالة كما امر جبريل
الى محمد و هو صلى الله عليه وسلم الى الامة ثم قال تعالى و من قبله كتاب موسى اي و من قبل القرآن التورية اماما و رحمة اي انزله الله تعالى

اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة
ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك بان
تتلوه عليهم ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا
انزل عليه كنز اي هلا انزل عليه ما اقترحنا
نحن من الكنز والملئكة ولم ينزل عليه ما لا
نريده ولا نقترحه انما انت نذير اي ليس
عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك و
تبلغهم ما امرت بتبليغه ولا باس عليك ردوا
او تهاونوا او اقترحوا والله على كل شئ
وكيل يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب
ان يفعل فتوكل عليه وكل امرك اليه وعليك
بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت
الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم

قيل في الآية حذف وهو افمن كان على بينة
من ربه اي برهان من الله كمن هو في الضلالة
والجهالة يريد ان بين الفريقين تفاوتا بعيدا
وتباينا بينا ويتلوه شاهد ويتبع ذلك البرهان
منه شاهد له بصدقه وصحته وهو القرآن ومن
قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التورية
اي ويتلو ذلك البرهان ايضا من قبل القرآن
كتاب موسى اماما كتابا موتما به في الدين قدوة فيه
ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل اليهم اولئك يؤمنون
يعني من كان على بينة يؤمنون بالقرآن

[illegible]

الى تلك الامة اماما لهم و قدوة يقتدون بها و رحمة من الله بهم فمن آمن بها حق الايمان قاده ذلك الى الايمان بالقرآن ولهذا قال تعالى اولئك يؤمنون به ثم قال تعالى متوعدا لمن كذب بالقرآن او بشئ منه ومن يكفر به من الاحزاب اى ومن كفر بالقرآن من سائر طوائف بنى آدم ممن بلغه القرآن كما قال تعالى يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا فالنار موعده كما فى صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال و الذى نفسى بيده لا يسمع بى احد من هذه الامة يهودى او نصرانى ثم لا يؤمن بى الا دخل النار و فى رواية ثم يموت ولم يؤمن بالذى ارسلت به الا كان من اصحاب النار و قوله فلا تك فى مرية منه انه الحق اى القرآن حق من الله لا مرية فيه و لا شك كما قال تعالى الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين و قوله ولكن اكثر الناس لا يؤمنون كما قال و ما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون اولئك لم يكونوا معجزين فى الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون بين الله حال المفترين عليه و فضيحتهم فى الآخرة على رؤس الخلائق من الملئكة و الرسل و سائر البشر كما فى الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يدنى المؤمن يوم القيمة فيضع عليه كنفه و يستره من الناس و يقرره بذنوبه و يقول اتعرف ذنب كذا اتعرف ذنب كذا حتى اذا قرره بذنوبه و راى فى نفسه انه قد هلك قال فانى قد سترتها عليك فى الدنيا و انى اغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته و اما الكفار و المنافقون فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين و قوله الذين يصدون عن سبيل الله اى يردون الناس عن اتباع الحق و سلوك طريق الهدى الموصلة الى الله و يبغونها عوجا اى و يريدون ان يكون طريقهم عوجا غير معتدلة و هم بالآخرة هم كافرون اى جاحدون بها مكذبون بوقوعها و كونها اولئك لم يكونوا معجزين اى هاربين ناجين فى الارض و ما كان لهم من دون الله من اولياء اى بل كانوا تحت قهره و غلبته و فى قبضته و سلطانه و هو القادر على الانتقام منهم فى الدنيا قبل الآخرة و لكن يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار و فى الصحيحين مرفوعا ان الله ليملى للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته و لهذا قال يضاعف لهم العذاب و ذلك لانه تعالى جعل لهم سمعا و ابصارا و افئدة فما اغنى عنهم سمعهم و لا ابصارهم و لا افئدتهم من شئ بل كانوا صما عن سماع الحق عميا عن اتباعه و لهذا معذبون على كل امر تركوه و على كل نهى ارتكبوه فان الاصح انهم مكلفون بفروع الشرائع امرها و نهيها بالنسبة الى الدار الآخرة و قوله اولئك الذين خسروا انفسهم اى لانهم ادخلوا نارا حامية فهم معذبون فيها لا يفتر عنهم من عذابها طرفة عين و ضل عنهم اى ذهب عنهم ما كانوا يفترون عبدوا من دون الله من الانداد و الاصنام فلم يغن عنهم شيئا بل ضرتهم كل الضرر و قوله لا جرم انهم فى الآخرة هم الاخسرون اخبر تعالى عن حالهم انهم اخسر الناس صفقة فى الدار الآخرة لانهم استبدلوا الدركات بالدرجات اى حقا و قيل لا محالة و اعتاضوا عن نعيم الجنان بحميم آن و معنى لا جرم حق و بلى و لا محالة ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات و اخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون لما ذكر تعالى حال الاشقياء ثنى بذكر السعداء و هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات فآمنت قلوبهم و عملت جوارحهم الاعمال الصالحة قولا و فعلا من الايمان بالطاعات و ترك المنكرات و لهذا ورثوا الجنات المشتملة على الغرف العاليات و النظر الى خالق الارض و السموات و هم فى ذلك خالدون لا يموتون و لا يهرمون و قوله

فزعم ان له شريكا وولدا اى لا احد اظلم منه
يعرضون على ربهم يحبسون فى الموقف
ويعرض عليهم اعمالهم ويشهد عليهم الاشهاد
من الملئكة والنبيين بانهم الكذابون على
الله بان له احدا وولدا او شريكا

اى ما كانوا يعجزون الله فى الدنيا ان
يعاقبهم لو اراد عقابهم وما كان لهم
من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من
عقابه

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات [illegible]
[illegible]

واخبتوا الى

و اخبتوا الى ربهم اى خشعوا لربهم و خافوا ثم ضرب الله تعالى مثل المؤمنين و الكافرين فقال مثل الفريقين اى الكفار و المؤمنين فاولئك كالاعمى و الاصم و هؤلاء كالبصير و السميع فالكافر اعمى عن وجه الحق فى الدنيا و فى الآخرة لا يهتدى الى خير و لا يعرفه اصم عن سماع الحجج فلا يسمع ما ينتفع به و اما المؤمن ففطن ذكى بصير بالحق يميز بينه و بين الباطل فيتبع الخير و يترك الشر سميع للحجة يفرق بينها و بين الشبهة فلا يروج عليه باطل فهل يستوى هذا و ذاك افلا تعتبرون و تفرقون بين هؤلاء و هؤلاء كما قال و ما يستوى الاعمى و البصير الآية ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى الراى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين اخبر تعالى عن نوح عليه السلام انه قال لقومه المشركين انى لكم نذير مبين اى ظاهر النذارة لكم من عذاب الله ان انتم عبدتم غير الله و لهذا قال ان لا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم اى ان استمررتم على ما انتم عليه عذبكم الله عذابا اليما موجعا فقال الملأ الذين كفروا من قومه اى الكبراء و السادة منهم ما نراك الا بشرا مثلنا اى لست بملك و لكنك بشر فكيف اوحى اليك من دوننا ثم ما نراك اتبعك الا اراذلنا اى السفلة فلم يتبعك الاشراف و لا الرؤساء منا ثم هؤلاء الذين اتبعوك لم يكن عن تروّ منهم و لا فكر و لا نظر بل بمجرد ما دعوتهم اجابوك و اتبعوك بادى الراى اى فى اول بادى الراى بلا تامل ثم ما نرى لكم علينا من فضل اى ما رايناكم علينا فضيلة فى خلق و لا خلق و لا رزق و لا حال لما دخلتم فى دينكم هذا بل نظنكم كاذبين اى فيما تدعونه لكم من البر و الصلاح و العبادة و السعادة فى الآخرة اذا صرتم اليها هذا اعتراض الكفرة الجهلة ثم اخبر تعالى عما ردهم به نوح بقوله قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون اى ارايتم ان كنت على يقين و امر جلى و نبوة صادقة و هى الرحمة العظيمة من الله به و بهم فعميت اى خفيت و التبست عليكم فلم تهتدوا اليها و لا عرفتم قدرها بل بادرتم الى تكذيبها و ردها انلزمكموها اى انلزمكم تلك الرحمة و البينة و انتم معرضون لا تريدونها قال قتادة لو قدر الانبياء ان يلزموا قومهم لالزموهم و لكن لم يقدروا و يا قوم لا اسئلكم عليه مالا ان اجرى الا على الله وما انا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكنى اريكم قوما تجهلون ويا قوم من ينصرنى من الله ان طردتهم افلا تذكرون اى لا اسالكم على نصحى لكم مالا اجرة آخذها منكم انما ابتغى الاجر على الله تعالى و ما انا بطارد الذين آمنوا كانهم طلبوا منه ان يطرد المؤمنين عنه احتشاما و نفاسة منهم ان يجلسوا معهم كما سال امثالهم خاتم الرسل ان يطرد عنه جماعة من الضعفاء و يجلس معهم مجلسا خاصا فانزل الله و لا تطرد الذين يدعون ربهم الآية انهم ملاقوا ربهم اى صائرون الى ربهم فى المعاد فيجزى من طردهم و قوله من ينصرنى اى من ينجينى من عذاب الله ان طردتهم افلا تعقلون ولا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول انى ملك ولا اقول للذين تزدرى اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما فى انفسهم انى اذا لمن الظالمين اخبرهم انه رسول من الله يدعوهم الى عبادته وحده لا شريك له و لا يسألهم على ذلك اجرا بل هو يدعو من لقيه من شريف و وضيع فمن استجاب له فقد نجا و اخبرهم انه لا قدرة له على التصرف فى خزائن الله و لا يعلم من الغيب الا ما اطلعه الله عليه و ليس هو بملك من الملئكة بل بشر مرسل مؤيد بالمعجزات و لا اقول عن هؤلاء الذين تحتقرونهم و تزدرونهم انه ليس لهم عند الله ثواب على ايمانهم الله اعلم بما فى انفسهم فان كانوا مؤمنين باطنا كما هو الظاهر من حالهم فلهم الحسنى و لو قطع لهم احد بشر بعد ما آمنوا لكان ظالما قائلا ما لا علم له به قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين

قيل من انى لكم نذير اى ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله
او تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير

[illegible]

الاراذل جمع الارذل

يعنى انكرهكم على قبولها ونقسركم على
الاهتداء بها وانتم تكرهونها و
لا تختارونها ولا اكراه فى الدين

الازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه
وازرى به قصر به ولا اقول انى ملك
حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا و
لا احكم على من استرذلتم من المؤمنين
ان الله لن يؤتيهم خيرا فى الدنيا والآخرة
لهوانهم عليه انى اذا لمن الظالمين ان
قلت شيئا من ذلك

قال انما ياتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون هذا اخبار عن استعجال قوم نوح عذاب الله ونقمته والبلاء موكل بالمنطق اي يا نوح حاججتنا فاكثرت من ذلك ونحن لا نتبعك فاتنا بما تعدنا اي من النقمة والعذاب ادع علينا بما شئت وليأتنا من ان كنت من الصادقين قال انما ياتيكم به الله ان شاء اي انما الذي يأتيكم ويعجلها لكم هو الله الذي لا يعجزه شيء ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم اي اي شيء يجدي عليكم ابلاغي وانذاري اياكم ونصحي ان كان الله يريد اغواءكم اي اضلالكم و اهلاككم هو ربكم اي هو مالك ازمة الامور الحاكم العادل الذي لا يجور وله الامر واليه ترجعون فيجازيكم باعمالكم ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون هذا كلام معترض في وسط هذه القصة موكد لها و مقرر لشأنها قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ام يقول هؤلاء الكفرة الجاحدون افترى هذا من عنده قل ان افتريته فعلي اجرامي اي فاثم ذلك علي وانا بريء مما تجرمون اي ليس ذلك مفتعلا ولا مفترى لاني اعلم ما عند الله من العقوبة لمن كذب عليه واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم اخبر تعالى انه اوحى الى نوح لما استعجل قومه عذاب الله بهم فدعا عليهم نوح بقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فعند ذلك اوحى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تحزن عليهم ولا يهمنك امرهم واصنع السفينة بمرأى منا ووحينا اي تعليمنا لك ماذا تصنعه ولا تخاطبني في الذين ظلموا اي في امهال الكفار وابنه كنعان وامرأته فانهما مهلكان مع القوم قال بعض السلف امره تعالى ان يغرز الخشب ويقطعه وييبسه وكان ذلك في مائة سنة ونجرها في مائة سنة اخرى وقيل في اربعين سنة والله اعلم وذكر ابن اسحق عن التوراة ان الله امره ان يصنعها من خشب الساج وان يجعل طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين ذراعا وان يطلي ظاهرها وباطنها بالقار وان يجعل لها جؤجؤا ازور يشق الماء وقال قتادة طولها ثلثمائة ذراع في عرض خمسين وعن الحسن طولها ستمائة ذراع في عرض ثلثمائة وعن ابن عباس طولها الف ومائتا ذراع في عرض ستمائة ذراع قالوا كلهم ارتفاعها في السماء ثلثين ذراعا ثلث طبقات متساوية فالسفلى للدواب والوحوش والوسطى للانس والعليا للطيور وكان بابها في عرضها ولها غطاء من فوقها مطبق عليها وروى ابن جرير عن ابن عباس لما كثرت الدواب اوحى الى نوح ان اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فاقبلا على الروث فلما وقع الفار يخرز السفينة بقرضها اوحى الى نوح ان اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج سنور وسنورة فاقبلا على الفار وقوله ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه اي يطنزون به ويكذبون بما توعدهم من الغرق قال ان تسخروا منا الآية وعيد شديد وتهديد اكيد من يأتيه عذاب يخزيه اي يهينه في الدنيا ويحل عليه عذاب مقيم اي دائم مستمر ابدا حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل هذه مواعدة من الله تعالى لنوح اذا جاء امر الله من الامطار المتتابعة التي لا تقلع ولا تفتر بل هي كما قال ففتحنا عليهم ابواب السماء بماء منهمر الى قوله لمن كان كفر وقوله وفار التنور قال ابن عباس هو وجه الارض اي صارت الارض عيونا تفور حتى فارت الماء من التنانير التي هي مكان النار صارت تفور ماء وهذا قول الجمهور وعن علي رضي الله عنه قال التنور فلق الصبح وتنوير الفجر

ولا تبتئس

فان قلت حتى وقت غاية لماذا قلت لقوله ويصنع الفلك اى وكان يصنعها الى ان جاء وقت الموعد

فانا نسخر منكم نسخر في المستقبل كما تسخرون منا [illegible] في الدنيا والحرق في الآخرة

وهو ضياؤه

وهو ضياؤه واشراقه والاول اظهر وعن مجاهد وعكرمة كان هذا التنور بالكوفة وعن ابن عباس عين بالهند وقيل عين بالجزيرة يقال لها عين الوردة فحينئذ امر الله نوحا ان يحمل معه في السفينة من كل زوجين من صنوف المخلوقات ذوات الارواح قيل وغيرها من النباتات اثنين ذكرا وانثى فقيل اول من ادخل من الطيور الدرة وآخر من ادخل من الحيوانات الحمار فدخل ابليس متعلقا بذنبه فجعل يقول له نوح ما لك ويحك ادخل فينهض ولا يقدر فقال ادخل وان كان ابليس معك فدخلا في السفينة وقال ابن مسعود انهم لم يستطيعوا ان يحملوا معهم الاسد حتى القيت عليه الحمى وقوله واهلك الا من سبق عليه القول اي واحمل فيها اهل بيتك وقرابتك الا من سبق عليه القول منهم اي ممن لم يؤمن بالله وكان منهم ابنه يام الذي انعزل وحده وامرأة نوح وكانت كافرة وقوله ومن آمن اي من قومك وما آمن معه الا قليل اي نزر يسير مع طول المدة والمقام بين اظهرهم الف سنة الا خمسين عاما فعن ابن عباس كانوا ثمانين نفسا معهم نساؤهم وعن كعب الاحبار كانوا اثنين وسبعين نفسا وقيل كانوا عشرة وقيل انما كان نوح وبنوه الثلثة سام وحام ويافث وكناته الاربع نساء هؤلاء الثلثة وامرأة يام وقيل امرأة نوح والصحيح خلافه لانها كانت كامرأة لوط فاصابها ما اصاب الكفار كما اصاب امرأة لوط ما اصاب قومها والله اعلم وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين اي قال نوح للذين آمنوا يحملهم معه في السفينة اركبوا فيها بسم الله مجريها اي بسم الله يكون جريها على وجه الماء وبسم الله يكون منتهى سيرها وهو رسوها وقرأ ابو رجاء العطاردي بسم الله مجريها ومرسيها ولهذا يستحب التسمية في ابتداء الامور وعند الركوب على السفينة وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال امان امتي من الغرق اذا ركبوا في السفن ان يقولوا بسم الله الملك وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون بسم الله مجريها و مرسيها ان ربي لغفور رحيم رواه الطبراني وغيرها من الآيات التي يقرن فيها بين نقمته ورحمته وقوله وهي تجري بهم في موج كالجبال اي السفينة سائرة بهم على وجه الماء الذي قد طبق جميع الارض حتى علا على رؤس الجبال وارتفع عليها بخمسة عشر ذراعا وقيل بثمانين ميلا وكانت السفينة سائرة على وجه الماء باذن الله وتحت كنفه وحراسته وامتنانه كما قال تعالى وحملناه على ذات الواح ودسر الآية وقوله ونادى نوح ابنه هذا هو الابن الرابع وكان اسمه يام وكان كافرا دعاه ابوه عند ركوب السفينة ان يؤمن ويركب معهم ولا يغرق مثل ما يغرق الكافرون قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء اعتقد بجهله ان الطوفان لا يبلغ الى رؤس الجبال وانه لو تعلق في رأس جبل لنجاه ذلك من الغرق فقال له ابوه نوح لا عاصم اليوم من امر الله اي ليس شيء يعصم من عذاب الله الا من رحمه الله والعاصم هنا بمعنى المعصوم وحال بينهما الموج فكان اي فصار من المغرقين وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين اخبر تعالى انه لما اغرق اهل الارض كلهم غير اصحاب السفينة امر الارض ان تبلع ماءها الذي نبع منها واجتمع عليها وامر السماء ان تقلع عن المطر وغيض الماء اي شرع في النقص وقضي الامر اي فرغ من اهل الارض قاطبة ممن كفر بالله لم يبق منهم ديار واستوت السفينة بمن فيها على الجودي قال مجاهد هو جبل بالجزيرة تشامخت الجبال يومئذ من الغرق وتطاولت وتواضع هو لله عز وجل فلم يغرق وارست عليه سفينة نوح قال قتادة استوت عليه شهرا يعني حتى نزلوا منها وقد ابقى الله سفينة نوح [illegible] من ارض الجزيرة

[illegible] الطير [illegible] فيها [illegible] الدواب اوحى الله الى نوح ان اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فاقبلا على الروث فلما وقع الفار في السفينة جعل يقرضها وحبالها وذلك ان الفار في السفينة فاوحى الله الى نوح ان اضرب بين عيني الاسد فضربه فخرج من منخره سنور وسنورة فاقبلا على الفارة فقال له عيسى كيف علم نوح ان البلاد قد غرقت قال بعث الغراب ياتيه بالخبر فوجد جيفة فوقع عليها فدعا عليه بالخوف فلذلك لا يألف البيوت ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها فعلم ان البلاد قد غرقت قال فطوقها الخضرة التي في عنقها ودعا لها ان تكون في انس وامان فمن ثم تألف البيوت قال فقالوا يا رسول الله الا ننطلق به الى اهلنا فيجلس معنا ويحدثنا قال كيف يتبعكم من لا رزق له قال فقال له عد باذن الله فعاد ترابا

واهلك عطف على اثنين وكذلك ومن آمن يعني واحمل اهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من اهله من سبق عليه القول انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا للعلم بانه يختار الكفر

ابلعي ماءك اي انشفي الماء [illegible] بسرعة شيئا فشيئا ويا سماء اقلعي يا سحاب امسكي عن انزال الماء و قد كانت السماء توقد نزل من السماء ونبع العيون من الارض السابعة

[illegible]

[illegible]

عبرة وآية حتى رآها اوائل هذه الامة وقال ابن عباس ان اهل السفينة كانوا فيها مائة وخمسين يوما وان الله وجه السفينة
الى مكة فدارت بالبيت اربعين يوما ثم وجهها الى الجودي فاستقرت عليه ثم بعث نوح الغراب لياتيه بخبر الارض وذهب
فوقع على الجيف فابطا عليه فبعث الحمامة فاتته بورق الزيتون ولطخت رجلها بالطين فعرف نوح ان الماء قد نضب فهبط
الى اسفل الجودي فابتنى قرية سماها ثمانين فاصبحوا ذات يوم وقد دارت السنتهم على ثمانين لغة احدها اللسان العربي فكان
بعضهم لا يفقه كلام بعض وكان نوح عليه السلام يعبر عنهم وكان خروجهم من السفينة يوم عاشوراء وعلى وفقه حديث
غريب وقوله وقيل بعدا للقوم الظالمين اي هلاكا وخسارا لهم وبعدا من رحمة الله فانهم قد هلكوا عن آخرهم وعن عائشة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فلو رحم الله من قوم نوح احدا لرحم ام صبي رواه ابن جرير وكانت امراة لها صبي تحبه حبا
شديدا فخرجت به الى الجبل فلما استوت على الجبل وبلغ الماء رقبتها رفعته بيدها فغرقا **ونادى نوح ربه فقال رب ان
ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح
فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين قال رب اني اعوذ بك ان اسألك
ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين** هذا سؤال استعلام وكشف من نوح عن حال ولده الذي غرق
وقال ان ابني من اهلي اي وقد وعدتني بنجاة اهلي ووعدك الحق الذي لا يخلف فكيف غرق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح
انه ليس من اهلك الذي وعدت بنجاتهم لانا انما وعدناك بنجاة من آمن من اهلك الا من سبق عليه القول وكان هذا الولد
ممن سبق عليه القول بالغرق لكفره ومخالفته اباه نبي الله نوحا وقد نص غير واحد من الائمة على تخطئة من ذهب في تفسير الى انه
ليس منك الماهو ولد زنية ويحكى عن مجاهد وغير واحد انه ليس ابنه بل هو ربيبه قال ابن عباس وغير واحد ما زنت امراة
نبي قط وهذا هو الحق لان الله تعالى اغير من ان يمكن امراة نبي من هذه الفاحشة ولهذا غضب الله على من رمى ام المؤمنين عائشة
بنت الصديق رضي الله عنهما بالفاحشة وانكر على من تكلم به واشاعه ولهذا انزل ان الذين جاؤا بالافك الآيات قال ابن عباس
هو ابنه غير انه خالفه في العمل والنية وعن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قراها انه عمل غير صالح رواه احمد اي بكسر الميم و
فتح اللام على الفعل ونصب غير بالمفعولية اي عمل الشرك والكفر واما القراءة العامة فرفع اللام وتنوينه ورفع غير اي ان سؤالك
اياي ان انجيه عمل غير صالح وقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين اي تدعو بهلاك الكفار ثم تسال نجاة كافر **قيل يا
نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم ثم يمسهم
منا عذاب اليم** اخبر تعالى عما قيل لنوح حين ارست السفينة على الجودي من السلام عليه وعلى من معه من المؤمنين وعلى كل مؤمن
من ذريته الى يوم القيمة قال محمد بن كعب دخل في هذا السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة وكذلك في العذاب والمتاع
كل كافر وكافرة الى يوم القيمة وقوله وبركات عليك البركة هي ثبوت الخير والمراد هنا بقاء ذريته وعلى امم ممن كان معك في
السفينة وهم المؤمنون الى يوم القيمة وامم سنمتعهم هذا ابتداء اي امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم وهم الكفرة
واهل الشقاوة وكان مكث نوح واصحابه في السفينة الى ان هبطوا منها ثلثة عشر شهرا واياما على ما فصله ابن اسحق والله اعلم
**تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة
للمتقين** قال تعالى لنبيه عليه الصلوة والسلام هذه القصة وما اشبهها من اخبار الغيوب السالفة على وجهها كانك شاهدها
نوحيها اليك اي نعلمك بها بوحي منا اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا اي لم يكن عندك ولا عند احد من قومك

انه عمل غير صالح فيه قولان احدهما
انه ذو عمل غير صالح فيكون الضمير
راجعا الى ابن نوح اي لكونه كافرا
ومخالفا اياك في الدين والثاني
ان سوالك اياي تخليصه بعد كونه
عمل غير صالح اي غير مرضي

انزل من السفينة بسلام وخلاص
من المكاره اي سالما

[illegible]

[illegible]

علم بها حتى يقول من يكذبك انك تعلمتها منه بل اخبرك الله تعالى مطابقة ما كان عليه الامر الصحيح كما تشهد به كتب الانبياء
قبلك فاصبر على تكذيب من كذبك من قومك واذاهم فانا سنؤيدك وننصرك ونحوطك بعنايتنا ونجعل العاقبة لك و
لاتباعك في الدارين كما فعلنا باخوانك من المرسلين حيث نصرناهم على اعدائهم كما قال انا لننصر رسلنا الآية **والى عاد
اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون يا قوم لا اسألكم
عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني افلا تعقلون ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه
يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين** هنا امرهم بعبادة الله وحده
ونهى عن عبادة الاوثان التي افتروها وسموها آلهة ثم اخبرهم انه لا يريد منهم اجرة على هذا النصح والبلاغ من الله انما يبتغي
ثوابه على ذلك واجره على الله تعالى الذي فطره وخلقه افلا تعقلون من يدعوكم الى ما يصلحكم في الدنيا والآخرة من غير جعل
ولا اجر ثم امرهم بالاستغفار الذي فيه تكفير الذنوب السالفة وبالتوبة عما يستقبلون من الاعمال السيئة ومن اتصف بهذه
الصفة يسر الله عليه رزقه وسهل عليه امره وحفظ شانه وقوته ولهذا قال يرسل السماء عليكم مدرارا اي متتابعا مرة بعد اخرى
ويزدكم قوة الى قوتكم اي شدة مع شدتكم قبل ان يزدادوا في الدين الى قوة البدن ولا تتولوا مجرمين اي لا تدبروا مشركين
وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم
فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب رواه احمد وابو داود **قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي
آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال اني اشهد
الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله
ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم** قال تعالى اخبارا عن قوم هود
انهم قالوا لنبيهم ما جئتنا ببينة اي بحجة ودلالة ولا برهان على ما تدعيه وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك اي بمجرد قولك
اتركوهم لا نتركهم وما نحن لك بمؤمنين اي بمصدقين ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء اي ما نظن الا ان بعض آلهتنا
اصابك بجنون وخبل في عقلك بسبب نهيك عن عبادتها وعيبك لها قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء من جميع الانداد
والاضداد فكيدوني جميعا اي انتم وآلهتكم ان كانت حقا ثم لا تمهلوني طرفة عين اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا
هو آخذ بناصيتها اي هي تحت قهره وسلطانه وهو الحاكم العادل الذي لا يجور في حكمه فانه على صراط مستقيم وهذه حجة بالغة
ودلالة قاطعة على صدق ما جاءهم به وبطلان ما هم عليه من عبادة الاصنام التي لا تنفع ولا تضر بل هي جماد لا تسمع ولا تبصر و
لا تعادي ولا توالي وانما يستحق اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له الذي بيده الملك وله التصرف وما من شيء الا تحت ملكه
وقهره وسلطانه فلا اله الا هو **فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه
شيئا ان ربي على كل شيء حفيظ ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم
من عذاب غليظ وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد واتبعوا
في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود** قال لهم رسولهم هود فان
تولوا عما جئتكم به من عبادة الله ربكم وحده فقد قامت عليكم الحجة بابلاغي اياكم رسالة الله التي بعثني بها ويستخلف الله قوما غيركم يعبدونه
وحده لا شريك له ولا يبالي بكم فانكم لا تضرونه بمعاصيكم وكفركم وانما يعود وبال ذلك عليكم ان ربي على كل شيء حفيظ اي شاهد وحافظ
لاقوال عباده وافعالهم ويجزيهم عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر ولما جاء امرنا وهو ما ارسله الله عليهم من الريح العقيم التي لا تذر شيء

اخاهم اي واحدا منهم سوى شداد
غيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور
الا مفترون تفترون على الله الكذب باتخاذكم
الاوثان له شركاء

وجه هذا القول لان
شانهم النصيحة والنصح لا يخلصها الا حسم
المطامع وما دام يتوهم شيء منها لم ينجع
ولم تنفع

عن الحسن بن علي انه وفد على معاوية فلما خرج تبعه
بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني
شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار
فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم
واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك
معاوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد
وفدة اخرى فسأله الرجل فقال الم تسمع قول
هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح و
يمددكم باموال وبنين

اعتراك مفعول نقول والا لغو

ويستخلف كلام مستانف يريد ويهلككم الله
ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم
واموالكم

[illegible]

الاجعلته كالرميم و اهلكهم عن آخرهم و نجا من بينهم رسولهم هود و اتباعه المؤمنين من عذاب غليظ برحمته و لطفه وتلك
عاد جحدوا بآيات ربهم اي كفروا بها و عصوا رسل الله و ذلك ان من كفر بنبي فقد كفر بجميع الانبياء لانه لا فرق بين احد منهم
بوجوب الايمان به فعاد كفروا بهود فنزل كفرهم به منزلة من كفر بجميع الرسل و اتبعوا امر كل جبار عنيد فلهذا اتبعوا في هذه
الدنيا لعنة من الله ومن عباده المؤمنين كلما ذكروا او ينادى عليهم على رؤس الخلائق يوم القيمة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد
قوم هود قال السدي ما بعث نبي بعد عاد الا لعنوا بلسانه والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من
اله غيره هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب هم الذين كانوا
يسكنون ما بين الحجر بين تبوك و المدينة و كانوا بعد عاد فبعث فيهم اخاهم صالحا فامرهم بعبادة الله وحده لا شريك له الخالق الرازق و لهذا
قال هو انشاكم من الارض اي ابتدأ خلقكم من الارض التي خلق منها اباكم آدم و استعمركم فيها اي جعلكم فيها عمارا تعمرونها و تستغلونها
فاستغفروه لسالف ذنوبكم ثم توبوا اليه فيما تستقبلونه ان ربي قريب مجيب لدعائهم قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا
أتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا وانا لفي شك مما تدعونا اليه مريب قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي
وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير اي كنا نرجوك يا صالح في عقلك قبل ان تقول
ما قلت أتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا و ما كان عليه اسلافنا و اننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب اي في شك كثير قال يا قوم ارأيتم
ان كنت على بينة من ربي اي فيما ارسلني به اليكم على يقين برهان من الله و آتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته و تركت
دعوتكم الى الحق و عبادة الله وحده لا شريك له فلو تركت ذلك لما نفعتموني و لا زدتموني غير خسارة ويا قوم هذه ناقة الله
لكم آية فذروها تأكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم
ثلثة ايام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ
ان ربك هو القوي العزيز واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا ان
ثمودا كفروا ربهم الا بعدا لثمود قد سبق هذه القصة في سورة الاعراف مبسوطة و قوله آية اي معجزة فذروها اي خلوها
و اتركوها تأكل من العشب و النبات و لا تمسوها بسوء اي لا تصيبوها بعقر فيأخذكم اي يدرككم و ينزل بكم عذاب و معنى تمتعوا
عيشوا و الخزي العذاب و قوله كان لم يغنوا فيها اي لم يكونوا قط في تلك الديار و قوله جاثمين اي صرعى على الركب ولقد جاءت
رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم
واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء
اسحق يعقوب قالت يا ويلتى ءألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من امر الله رحمة الله
وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد قال تعالى و لما جاءت رسلنا و هم الملئكة ابرهيم بالبشرى قيل بتبشيره باسحق و قيل
بهلاك قوم لوط و يشهد للاول و لما ذهب عن ابرهيم الروع الاية قالوا سلاما قال سلام عليكم قال علماء البيان و هذا احسن مما حيوه
به لان الرفع تدل على الثبوت و الاستقرار فما لبث ان جاء بعجل حنيذ اي ذهب ابرهيم سريعا بلا مكث فاتاهم بالضيافة وهي عجل فتي
البقر مشويا شيا ناضجا على الرضف وهي الحجارة المحماة قال ابن عباس وما نضج و قد تضمنت هذه الآية آداب الضيافة من وجوه
كثيرة و قوله فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم اي انكرهم و اوجس اي و اضمر منهم خوفا وقع في قلبه و ذلك ان الملائكة لا همة لهم
الى الطعام و لا يشتهونه فلهذا رأى حالهم معرضا عما جاءهم به فارغين عنه بالكلية فعند ذلك نكرهم قيل هم اربعة جبرئيل وميكائيل

واسرافيل و

من المؤمنين ۵

يا قوم ۵
كانت تلوح فيك مخايل الخير وامارات
الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك و
تكون مشاورا في الامور ومسترشدا
في التدابير فلما نطقت بهذا القول
انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان
لا خير فيك ۵

فان قلت علام عطف قوله ومن خزي يومئذ
قلت على نجينا لانه بتقدير ونجيناهم من
خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ
وكانت التنجية من خزي يومئذ اي
من ذلته ومهانته وفضيحته

اي سلموا سلاما فهو نصب على المصدر
ولكن سلمنا عليك سلاما

وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت
الفرس اذا ألقيت عليها الجل
حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل
سمين ۵

واسرافيل و رفائيل و لما دخلوا على ابرهيم فقرب اليهم العجل مسحه جبرئيل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه و ام العجل في
الدار و قوله اخبارا عن الملئكة قالوا لا تخف و ذلك انه خاف من اجل انهم لم يأكلوا الطعام انهم لم يأتوا بالخير اي لا تخف
منا انا ملئكة ارسلنا الى قوم لوط لندمر عليهم و نهلكهم كما ذكر في الآية الاخرى وضحكت سارة استبشارا منها بهلاكهم
لكثرة فسادهم و غلظ كفرهم و عنادهم فلهذا جوزيت بالبشارة بالولد بعد الاياس فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب
قال قتادة ضحكت سارة و عجبت من ان قوما اتاهم العذاب وهم في غفلة فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب اي بولد لها
لها ولدت يكون له ولد و عقب و نسل فان يعقوب ولد اسحق قالت يا ويلتى ءألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا حكى تعالى قولها
في هذه الآية كما حكى فعلها في آية اخرى في الذاريات بقوله فاقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم كما جرت به عادة
النساء في قولهن و افعالهن اي يا عجباه ءألد و انا عجوز و كانت ابنة تسعين وهذا بعلي شيخا وكان سن ابرهيم مائة و عشرين
سنة قالوا أتعجبين من امر الله اي قالت الملئكة لها أتعجبين من امر الله فانه اذا اراد شيئا انما يقول له كن فيكون فلا تعجبي من هذا مع
ما بلغت من السن و بلغه بعلك فانه على ما يشاء قدير رحمة الله وبركاته عليكم الرحمة النعمة و البركة نماء الخير و هذا دعاء
من الملئكة لاهل بيت ابرهيم انه حميد اي هو الحميد في جميع افعاله و اقواله محمود مجيد في صفاته و ذاته و لهذا ثبت في الصحيحين
انهم قالوا قد علمنا السلام عليك فكيف الصلوة عليك يا رسول الله قال قولوا اللهم صل على محمد و على آل محمد كما صليت على ابرهيم
و آل ابرهيم و بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم و آل ابرهيم انك حميد مجيد ولما ذهب عن ابرهيم الروع وجاءته
البشرى يجادلنا في قوم لوط ان ابرهيم لحليم اواه منيب يا ابرهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر
ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود اخبر تعالى عن خليله عليه السلام انه لما ذهب عنه الروع و هو ما اوجس من الملئكة
خيفة حين لم يأكلوا و بشروه بعد ذلك بالولد و اطمأنت نفسه و اخبروه بهلاك قوم لوط و قوله يجادلنا في قوم لوط قال ابن جبير
لما جاءه جبرئيل ومن معه قالوا لابرهيم انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين قال لهم أتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن
قالوا لا قال أتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن قالوا لا قال أتهلكون قرية فيها اربعون مؤمنا قالوا لا قال أتهلكون قرية فيها اربعة
عشر مؤمنا قالوا لا فسكت عنهم و اطمأنت نفسه و زاد ابن اسحق ارأيتم ان كان فيها مؤمن واحد قالوا لا قال فان فيها لوطا يدفع
به عنهم العذاب قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه و اهله الا امرأته كانت من الغابرين و قوله ان ابرهيم لحليم اواه منيب مدح له بهذه
الصفات الجميلة و سبق تفسيرها في سورة براءة و قوله يا ابرهيم اعرض عن هذا اي امسك عن هذا المقال ودع عنك الجدال انه قد
جاء امر ربك اي عذاب ربك و حكمه و انهم آتيهم عذاب غير مردود اي انهم قد نزل بهم القضاء و عقب عليهم الكلمة بالهلاك و
حلول البأس الذي لا يرد عن القوم المجرمين ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب
وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر
لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق
وانك لتعلم ما نريد اخبر تعالى عن قدوم رسله من الملئكة الذين فارقوا ابرهيم بعد ما اعلموه باهلاك قوم لوط فانطلقوا من
عنده فاتوا لوطا و هو في ارض له يعمرها او كان في منزله فوردوا عليه وهم في اجمل صورة على هيئة شباب حسان الوجوه امتحانا
من الله و ابتلاء و اختبارا و له الحكمة البالغة فنزلوا عليه فساءه شأنهم و ضاقت نفسه بسببهم و خشي ان لم يضيفهم ان
يضيفهم احد من قومه فينالهم بسوء و هو لا يعلم امرهم في اول الحال و المراد بالذرع القلب يقال ضاق ذرع فلان اذا وقع في مكروه

وامرأته قائمة فضحكت
قيل وراء الستر وقيل كانت
قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم و
في الباب قائمة لخدمة الاضياف وكان
لا تحتجب عنهم كعادة الاعراب
ونازلة البوادي والصحراء ولم تكن التزيد
تكرما وكانت عجوزا وخدمة الضيفان مما
يعد من المكارم ۵

ان هذا لشيء عجيب
ان يولد ولد من هرمين
وهو استبعاد من حيث العادة
التي اجراها الله لا انكار لقدرة الله

المعنى انه لما اطمأن قلبه بعد الخوف
وملئ سرورا بسبب البشرى بعد
الغم فرغ للمجادلة ۵

لحليم غير عجول على كل
من اساء اليه اواه كثير
التأوه من الذنوب منيب
تائب راجع الى الله بما يحب ويرضى
وهذه الصفات دالة على رقة القلب
والرأفة والرحمة فتبين ان ذلك مما حمله
على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع عنهم العذاب
ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والانابة ۵

وضاق بهم ۵

لا يطيق الخروج منه وقال هذا يوم عصيب اي شديد بلاؤه لما علم انه سيدافع قومه عنهم ويشق عليه ذلك فاستحيى منهم وانطلق
امامهم فقال لهم في اثناء الطريق كالمعرض لهم بان ينصرفوا عنه انه والله يا هؤلاء ما اعلم على وجه الارض اهل بلد اخبث من هؤلاء
ثم مشى قليلا ثم اعاد ذلك عليهم حتى كرره اربع مرات وقد كانوا امروا ان لا يهلكوهم حتى يشهد عليهم نبيهم بذلك قاله قتادة
ودخلوا معه بيته فلم يعلم احد الا اهل بيت لوط فخرجت امراته فاخبرت قومها فقالت ان في بيت لوط رجالا ما رايت مثل وجوههم
قط فجاءه قومه يهرعون اليه اي يسرعون ويهرولون فرحا بذلك وقوله ومن قبل كانوا يعملون السيات اي لم
يزل هذا سجيتهم الى ان اخذوا وهم على ذلك وقوله يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم تطلب الفاحشة منهم ارشدهم الى نسائهم فان النبي للامة بمنزلة
الوالد للرجال والنساء فارشدهم الى ما هو انفع لهم في الدنيا والاخرة كما قال لهم في اية اخرى اتاتون الذكران من العالمين و
تذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم الاية وقال مجاهد لم يكن بناته ولكن كن من امته وكل نبي ابو امته وقال ابن جريج امرهم ان
يتزوجوا النساء ولم يعرض عليهم سفاحا وقوله فاتقوا الله اي اقبلوا ما امركم به من اتيانكم نساءكم وترككم الفواحش ولا تفضحون
في اضيافي اليس منكم رجل رشيد فيهم خير يقبل ما امره به ويترك ما نهاه عنه قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق اي انك
رجل واحد يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء
لتعلم ان نساءنا لا ارب لنا فيهن ولا نشتهيهن وانك لتعلم ما نريد اي ليس لنا غرض الا في الذكور وانت تعلم ذلك فلا تكثر
علينا القول **قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك**
فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امراتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم
الصبح اليس الصبح بقريب اخبر تعالى عن نبيه لوط عليه السلام انه توعدهم بهذا الكلام وهو قوله لو ان لي بكم قوة او اوي
الى ركن شديد اي لكنت نكلت بكم وفعلت بكم الافاعيل من العذاب والنقمة بنفسي وعشيرتي ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرحم الله لوطا لقد كان ياوي الى ركن شديد فعند ذلك اخبرته الملائكة انهم
رسل الله وبشروه انه لا وصول لهم اليه ولا خلوص فقالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك وامروه ان يسري باهله من
اخر الليل وان يكون ساقة لاهله تابعا لهم ولا يلتفت منكم احد اي اذا سمعتم ما نزل بهم فلا يهيدنكم تلك الاصوات المزعجة
ولكن استمروا ذاهبين كما انتم الا امراتك وهذا استثناء من المثبت وهو قوله فاسر باهلك وقال بعض القراء والنحاة هو
استثناء من قوله ولا يلتفت منكم احد الا امراتك فجوزوا الرفع والنصب وذكروا في الاسرائيليات انها خرجت معهم وانها لما
سمعت الوجبة التفتت فقالت يا قوماه فجاءها حجر من السماء فقتلها ثم قربوا له هلاك قومه تبشيرا له لانه قال لهم اهلكوهم
الساعة فقالوا ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب هذا وكان قوم لوط وقوف على الباب وقد جاءوا يهرعون اليه من كل جانب
ولوط واقف على الباب يدافعهم ويردعهم وينهاهم عما هم فيه وهم لا يقبلون منه بل يتوعدونه ويتهددونه فعند ذلك خرج جبريل
عليهم فضرب وجوههم بجناحه فطمس اعينهم فرجعوا وهم لا يهتدون الطريق كما قال تعالى ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم
الاية **فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك**
وما هي من الظالمين ببعيد اي فلما جاء عذابنا عليهم عند طلوع الشمس جعلنا عاليها سافلها وهي قريتهم العظيمة وهي سدوم
ومعاملها سافلها كما قال تعالى والمؤتفكة اهوى فغشاها ما غشى اي امطرنا عليها حجارة من سجيل وهي بالفارسية حجارة من
طين اي من سنك وكل اي مستحجرة قوية شديدة وقوله منضود اي معدة لذلك في السماء يتبع بعضها بعضا في نزولها عليهم وقوله
مسومة اي مختومة عليها اسماء اصحابها كل حجر مكتوب عليه اسم الذي ينزل عليه وقيل اي مطوقة بها نضح من حمرة نزلت على اهل

البلد وعلى

البلد وعلى المتفرقين في القرى مما حولها فبينا احدهم يكون بين الناس يتحدث اذ جاءه حجر من السماء فسقط عليه من بين
الناس فاهلكه فتتبعتهم الحجارة من سائر البلاد حتى اهلكتهم عن اخرهم فلم يبق منهم احد وقال مجاهد اخذ جبريل قوم لوط من سرحهم
ودورهم حملهم بمواشيهم على خوافي جناحه الايمن حتى سمع اهل السماء نباح كلابهم وقال قتادة وغيره بلغنا ان جبريل لما اصبح
نشر جناحه فانتسف بها ارضهم بما فيها من قصورها ودوابها وحجارتها وشجرها وجميع ما فيها فضمها في جناحه فحواها وطواها
في جوف جناحه ثم صعد الى السماء الدنيا حتى سمع سكان السماء اصوات الناس والكلاب وكانوا اربعة الاف ثم قلبها فارسلها الى
الارض منكوسة ودمدم بعضها على بعض فجعل عاليها سافلها ثم اتبعها حجارة من سجيل وقال القرظي كانت قرياتهم خمس قريات سدوم
وهي العظمى وصبعة وصعود وعمرة ودوماء وقوله وما هي من الظالمين ببعيد اي وما هذه النقمة ممن تشبه بهم في ظلمهم ببعيد
منه وفي السنن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وذهب الشافعي
في قول عنه وجماعة من الائمة الى ان اللائط يقتل مطلقا سواء كان محصنا او لم يكن محصنا عملا بهذا الحديث وذهب ابو حنيفة
الى انه يلقى من شاهق ويتبع بالحجارة كما فعل الله بقوم لوط **والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله**
غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط اي ولقد ارسلنا الى
مدين وهم قبيلة من العرب كانوا يسكنون بين الحجاز والشام قريبا من بلاد معان في بلد تعرف بهم يقال لها مدين ارسل الله اليهم شعيبا
وكان من اشرافهم نسبا ولهذا قال اخاهم شعيبا يامرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن التطفيف في المكيال والميزان اني اراكم
بخير في معيشتكم ورزقكم فاخاف ان تسلبوا ما انتم فيه بانتهاككم محارم الله واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط في الاخرة **ويا قوم**
اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بقية الله خير لكم
ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ نهاهم اولا عن نقص المكيال والميزان اذا اعطوا الناس ثم امرهم بوفاء الكيل والوزن
بالقسط اخذين ومعطين ونهاهم عن العثي في الارض بالفساد وقد كانوا يقطعون الطريق وقوله بقية الله خير لكم اي رزق الله و
طاعته خير لكم من تحكم الناس اي ما يفضل لكم من الربح والبركة بعد وفاء الكيل والميزان خير لكم من اخذ اموال الناس وقوله وما انا
عليكم بحفيظ اي برقيب اي افعلوا ذلك لله تعالى ولا تفعلوه ليراكم الناس رياء وسمعة **قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما**
يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد هذا على سبيل التهكم قال الله اي قراءتك تامرك ان
نترك ما يعبد اباؤنا من الاوثان والاصنام او ان نفعل في اموالنا ما نشاء فنترك التطفيف عن قولك هي اموالنا نفعل فيها ما نريد
وقيل المراد به الزكوة وقولهم انك لانت الحليم الرشيد قالوه على سبيل الاستهزاء وانا ذو به السفيه الغاوي **يا قوم ارايتم ان كنت**
على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح
ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب اي ارايتم يا قوم ان كنت على بينة من ربي اي على بصيرة فيما
ادعوكم اليه ورزقني منه رزقا حسنا اي النبوة والرزق الحلال وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اي لا انهاكم عن الشيء واخالف
انا في السر فافعله خفية عنكم ان اريد الا الاصلاح اي فيما امركم وانهاكم انما مرادي اصلاحكم بحسب جهدي وطاقتي وما توفيقي
واصابة الحق فيما اريده الا بالله عليه توكلت في جميع اموري واليه انيب اي ارجع قاله مجاهد وعن مسروق قال جاءت امراة الى ابن مسعود
فقالت اتنهى عن الواصلة قال نعم فقالت فلعله في بعض نسائك فقال ما حفظت اذا وصية العبد الصالح وما اريد ان اخالفكم
الى ما انهاكم عنه وفي مسند احمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له اشعاركم وابشاركم

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل
فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا
وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة

مهلك من قوله واحيط بثمره واصله من
احاطة العدو

قال قلت النهي عن النقصان امر بالايفاء فما
فائدة قوله اوفوا قلت نهوا اولا عن
عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال و
الميزان ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن
في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه
وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط اي
ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من
غير زيادة ولا نقصان

كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه اذا راوه
يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا
بقولهم اصلواتك تامرك السخرية والهزء
والصلاة جائز ان يكون اريد بها الدين
المجاز كما كانت تابعة في قوله ان
الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة
ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة
ايصح لي ان لا امركم بترك عبادة الاوثان والكف
عن المعاصي والانبياء
لا يبعثون الا لذلك

وترون انه منكم قريب فانا اولاكم به واذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر منه اشعاركم وابشاركم وترون انه منكم بعيد
فانا ابعدكم منه اي مهما بلغكم عني من خير فانا اولاكم به ومهما تكن من مكروه فانا ابعدكم منه وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم
ولا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد
واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود اي لا يحملنكم عداوتي وبغضي على الاصرار على ما انتم عليه من
الكفر والفساد فيصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط من النقمة والعذاب وقوله وما قوم لوط منكم
ببعيد قيل المراد في الزمان او المكان وكلاهما محتمل وقوله واستغفروا ربكم اي من سالف الذنوب وتوبوا اليه فيما تستقبلونه من الاعمال
السيئة ان ربي رحيم اي لمن تاب وودود اي محب لمن آب وجاء في الخبر ان شعيبا كان خطيب الانبياء قالوا يا شعيب ما
نفقه كثيرا مما تقول ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله
واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي بما تعملون محيط اي ما نفهم وما نعقل كثيرا من قولك وفي آذاننا وقر وانا لنريك
فينا ضعيفا قال [illegible] وغيره كان ضرير البصر وقال السدي انت واحد وقيل لنريك ذليلا لان قومك ليسوا على دينك ولولا رهطك
اي قومك وعشيرتك وكان في منعة من قومه لرجمناك قيل بالحجارة وقيل بالسب وما انت علينا بعزيز اي لست عندنا معززا قال يا قوم
ارهطي اعز عليكم من الله اي تتركوني لاجل قومي ولا تتركوني اعظاما لجناب الله ان تنالوا نبيه بمساءة وقد اتخذتم جانب الله
وراءكم ظهريا اي نبذتموه وراءكم وتركتموه ان ربي بما تعملون محيط اي هو يعلم جميع اعمالكم وسيجزيكم بها ويا قوم اعملوا على
مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب ولما
جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم
جاثمين كأن لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود لما يئس شعيب من استجابة قومه له قال يا قوم اعملوا على مكانتكم
اي طريقتكم وهذا وعيد شديد اني عامل اي على طريقتي ومنهجي فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه اي في الدار الآخرة ومن هو كاذب
اي مني ومنكم وارتقبوا اي انتظروا اني معكم رقيب قال تعالى ولما جاء امرنا اي عذابنا عليهم نجينا شعيبا والذين آمنوا برحمة
منا واخذت الذين ظلموا وهم قومه الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين اي هالكين ميتين وذكر تعالى ههنا انه اتتهم الصيحة و
في الاعراف الرجفة وفي الشعراء عذاب يوم الظلة وهم امة واحدة اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقم كلها وانما ذكر في كل سياق ما
يناسبه ففي الاعراف لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا ناسب ان يذكر هناك الرجفة فرجفت بهم الارض التي
ظلموا بها وارادوا اخراج نبيهم منها وههنا لما اساؤوا الادب في مقالتهم على نبيهم ناسب ذكر الصيحة التي استلبتهم واخمدتهم وفي الشعراء
لما قالوا فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين قال فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم وهذا من دقائق الاسرار
وقوله كأن لم يغنوا فيها اي كأنهم لم يعيشوا في دارهم قبل ذلك الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وكانوا جيرانهم قريبا منهم في الدار وشبيها بهم
في الكفر وقطع الطريق وكانوا عربا مثلهم شبههم بهم ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون و
ملائه فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار وبئس
الورد المورود واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة بئس الرفد المرفود اخبر تعالى عن ارسال موسى عليه السلام
بآياته وبيناته ودلائله القاطعة الى فرعون ملك مصر وملائه وهم امة القبط فاتبعوا امر فرعون اي منهجه وطريقته في الغي والضلال
وما امر فرعون برشيد اي ليس فيه رشد ولا هدى وانما هو جهل وضلال وكفر وعناد وكما انهم اتبعوه في الدنيا وكان مقدمهم و

ويا قوم

عظيم الرحمة

وانا لنريك فينا ضعيفا

اي لست عندنا من اهل الكرامة والوقر

وآمره واصلاح عليه

رئيسهم كذلك هو مقدمهم يوم القيمة الى نار جهنم فاوردهم اياها وشربوا من حياض رداها وله في ذلك الحظ الاوفر من العذاب
الاكبر كما قال تعالى فعصى فرعون الرسول فاخذناه اخذا وبيلا وغيرهما من الآيات وقوله وبئس الورد المورود اي المدخل المدخول
فيه وكذلك شأن المتبوعين يكونون موفرين في العذاب يوم المعاد كما قال تعالى لكل ضعف ولكن لا تعلمون وعن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل لواء شعراء الجاهلية الى النار رواه احمد وقوله واتبعوا في هذه لعنة اي اتبعناهم زيادة
على ما جزيناهم من عذاب النار لعنة في هذه الحيوة الدنيا ويوم القيمة بئس الرفد المرفود قال مجاهد زيدوا لعنة يوم القيمة فتلك
لعنتان وقال ابن عباس بئس الرفد المرفود ترادفت عليه لعنتان لعنة الدنيا والآخرة والرفد العون والعطاء ذلك
من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم
آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب لما ذكر تعالى خبر هؤلاء
الانبياء وما جرى لهم مع اممهم وكيف اهلك الكافرين ونجا المؤمنين قال ذلك من انباء القرى اي من اخبارها نقصه عليك منها
قائم اي عامر وحصيد اي هالك دائر وما ظلمناهم اي اذ اهلكناهم ولكن ظلموا انفسهم بتكذيبهم رسلنا وكفرهم بهم وبآياتنا فما
اغنت عنهم آلهتهم اي اصنامهم واوثانهم التي تعبدونها ويدعونها من دون الله من شيء اي ما نفعوهم ولا انقذوهم لما جاء
امر الله باهلاكهم وما زادوهم غير تتبيب اي غير تخسير وذلك ان سبب هلاكهم ودمارهم انما كان بعبادتهم تلك الآلهة فبهذا اصابهم
ما اصابهم وخسروا بهم في الدارين وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد اي و
كما اهلكنا اولئك القرون الظالمة المكذبة لرسلنا كذلك نفعل بنظرائهم واشباههم ان اخذه اليم شديد وفي الصحيحين ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك اخذ ربك الآية ان في
ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل
معدود يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد اي ان في اهلاكنا الكافرين وانجائنا المؤمنين
نصرة الانبياء لعظة واعتبارا على صدق موعودنا في الآخرة ذلك يوم مجموع اي يوم عظيم تحضره الملائكة كلهم وتجتمع فيه الرسل
جميعهم ويحشر فيه الخلائق باسرهم من الجن والانس والطير والوحش والدواب ويحكم فيهم العادل الذي لا يظلم مثقال
ذرة وان تك حسنة يضاعفها وقوله وما نؤخره الا لاجل معدود اي ما نؤخر اقامة يوم القيمة الا انه قد سبقت كلمة الله وقضاؤه
وقدره في وجود اناس معدودين من ذرية آدم وضرب مدة معينة اذا انقضت وتكامل وجود اولئك المقدر اقام الله الساعة
ولهذا قال وما نؤخره الا لاجل معدود اي لمدة مؤقتة لا يزاد عليها ولا ينقص منها يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه اي يوم يأتي يوم
القيمة وهو يوم لا يتكلم احد يومئذ الا باذن الله تعالى وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة ولا يتكلم يومئذ
الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وقوله فمنهم شقي وسعيد اي فمن اهل الجمع شقي ومنهم سعيد كما قال فريق في الجنة
وفريق في السعير فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض
الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد قال ابن عباس الزفير في الحلق والشهيق في الصدر اي تنفسهم زفير واخذهم
النفس شهيق لما هم فيه من العذاب خالدين فيها قال ابن جرير من عادة العرب اذا ارادت ان تصف الشيء بالدوام ابدا قالت
هذا دائم دوام السموات والارض فخاطبهم على ما يتعارفونه بينهم وقيل ويحتمل ان يراد بما الجنس لانه لا بد في عالم الآخرة من
سموات وارض كما قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقال الحسن تبدل سماء غير هذه السماء وارض غير هذه فما دامت تلك السماء

الورد المورود والمورود الذي وردوه
شبه فرعون بالسائق الذي يتقدم الواردة
الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قيل
بئس الورد الذي يردونه النار لان
الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد
الاكباد والنار ضده

ان اللعنة في
الدنيا رفد للعذاب
ومدد له وقد رفدت
باللعنة في الآخرة

ذلك النبأ بعض انباء
القرى المهلكة مقصوص
عليك

وتلك الأربع وقال ابن عباس لكل جنة سماء وأرض وقيل اي ما دامت الأرض أرضا والسماء سماء وقوله الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد كقوله النار مثويكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم واختلفوا في المراد من هذا الاستثناء على اقوال كثيرة واختار ابن جرير منها ما نقله عن جماعة ان الاستثناء عائد الى العصاة من اهل التوحيد ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين من الملئكة والنبيين والمؤمنين حتى يشفعون في اصحاب الكبائر ثم تأتي رحمة ارحم الراحمين فيخرج من النار من لم يعمل خيرا قط وقال يوما من الدهر لا اله الا الله كما في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبقى بعد ذلك في النار الا من وجب عليه الخلود وهذا هو الذي عليه كثير من العلماء سلفا وخلفا وفي تفسير هذه الآية وغير ذلك اقوال غريبة لا نطول الكتاب بها **واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ** اي واما السعداء وهم اتباع الرسل فمأويهم الجنة خالدين فيها اي ماكثين مقيمين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك الاستثناء ههنا ان دوامهم فيما هم من النعيم ليس امرا واجبا بذاته بل هو موكول الى مشية الله فله المنة عليهم دائما وقال الضحاك والحسن هو في حق الموحدين كانوا في النار اخرجوا منها وعقب ذلك بقوله عطاء غير مجذوذ اي غير مقطوع قاله ابن عباس وغير واحد لئلا يتوهم متوهم بعد ذكره المشية ان ثم انقطاعا او لبسا بل حتم له بالدوام وعدم الانقطاع كما بين هناك ان عذاب اهل النار في النار دائما مردود الى مشية الله وانه عذبهم بعدله وحكمته كما قال ان ربك فعال لما يريد وفي الصحيحين يؤتى بالموت في صورة كبش املح فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت وفي الصحيح ايضا فيقال يا اهل الجنة ان لكم ان تعيشوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا وان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تبأسوا ابدا **فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما يعملون خبير** اي فلا تك في شك مما يعبد هؤلاء المشركون انه باطل وجهل وضلال فانهم انما يعبدون ما يعبد اباؤهم من قبل اي ليس لهم مستند فيما هم فيه الا اتباع الآباء في الجهالة وسيجزيهم الله على ذلك اتم الجزاء فيعذب كافرهم عذابا لا يعذبه احدا وان كان لهم حسنات فقد وفاهم الله اياها في الدنيا قبل الآخرة وقوله وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص اي ما وعدوا فيه من خير او شر وقيل اي من العذاب غير منقوص ثم ذكر تعالى انه آتى موسى الكتاب اي التورية فاختلف الناس فيه فمن مؤمن به ومن كافر به فلك بمن سلف من الانبياء قبلك يا محمد اسوة وهذه تسلية له عليه الصلوة والسلام وقوله ولولا كلمة سبقت اي لولا ما تقدم من تاجيله العباد الى اجل معلوم لقضى الله بينهم وقيل المراد بالكلمة انه لا يعذب احدا الا بعد قيام الحجة عليه وارسال الرسول اليه كما قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ثم اخبر ان الكافرين في شك مما جاءهم به الرسول فقال وانهم لفي شك منه مريب اي موقع في الريب والتهمة ثم اخبر تعالى انه سيجمع الاولين والآخرين من الامم ويجزيهم باعمالهم فقال وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما يعملون خبير اي عليم باعمالهم جليلها وخفيها وحقيرها **فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون** امر تعالى رسوله والمؤمنين بالثبات والدوام على الاستقامة وذلك من اكبر العون على النصر على الاعداء ومخالفة الاضداد ونهى عن الطغيان وهو البغي فانه مصرعة حتى لو كان على مشرك واعلم تعالى انه بصير باعمال العباد لا يغفل عن شيء ولا يخفى عليه شيء وقوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا اي لا تدهنوا وقال ابن عباس هو الركون الى الشرك اي ولا تميلوا الى الذين ظلموا ولا تستعينوا بالظلمة فتكونوا كانكم رضيتم بصنيعهم فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء اي ليس لكم من دونه من ولي ينقذكم من النار ولا ناصر يخلصكم من عذابه **واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين** قال ابن عباس وغير واحد طرفي النهار يعني الصبح والمغرب وقيل الصبح والعصر وقال مجاهد وغير واحد الصبح في اول النهار والظهر والعصر من آخره وقوله وزلفا من الليل قالوا يعني صلوة العشاء وقيل المغرب والعشاء كما في الحديث المرفوع هما زلفا الليل المغرب والعشاء ولعل ان تكون هذه الآية نزلت قبل فرض الصلوات الخمس ليلة الاسراء فانه انما كان يجب من الصلوة صلوتان صلوة قبل طلوع الشمس وصلوة قبل غروبها وفي اثناء الليل قيام عليه صلوات الله وسلامه عليه وعلى الامة ثم نسخ في حق الامة وثبت وجوبه عليه ثم نسخ عنه ايضا في قول والله اعلم وقوله ان الحسنات يذهبن السيئات اي ان فعل الخيرات مكفر الذنوب السالفة كما قال علي حدثني ابو بكر وصدق ابو بكر رضي الله عنهما انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يذنب ذنبا فيتوضأ ويصلي ركعتين الا غفر له رواه احمد واهل السنن وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ارأيتم لو ان نهرا بباب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا هل يبقى من درنه شيء قالوا لا يا رسول الله قال فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا وفيهما ايضا عن ابن مسعود ان رجلا اصاب من امرأة قبلة فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فانزل الله اقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات فقال الرجل يا رسول الله الي هذا قال لجميع امتي كلهم وفي رواية لمن عمل بها من امتي واسم الرجل عامر بن قيس وقيل كعب بن عمرو ابو اليسر وفي رواية احمد وابي داود والنسائي عن ابن مسعود قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني وجدت امرأة في بستان ففعلت بها كل شيء غير اني لم اجامعها قبلتها ولزمتها ولم افعل غير ذلك فافعل بي ما شئت فلم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فذهب الرجل فقال عمر لقد ستر الله عليه لو ستر على نفسه فاتبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره فقال ردوه علي فردوه فقرا عليه اقم الصلوة طرفي النهار الآية وعن ابي ذر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وفي رواية قال قلت يا رسول الله امن الحسنات لا اله الا الله قال هي افضل الحسنات رواه احمد وقوله ذلك اي القرآن او الذي ذكرناه ذكرى اي عظة للذاكرين اي المتعظين واصبر يا محمد على ما تلقى من الاذى وقيل على الصلوة كما في قوله وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي المصلين في اعمالهم **فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون** اي فهلا وجد من القرون الماضية بقايا من اهل الخير ينهون عما كان يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الارض وقوله الا قليلا اي لكن قليلا ممن انجاهم الله عند حلول غضبه وفجاءة نقمته ولم يكونوا كثيرا وهم اتباع الانبياء كانوا ينهون عن الفساد وفي الحديث المرفوع ان الناس اذا رأوا المنكر فلم يغيروه اوشك ان يعمهم الله بعقاب رواه الترمذي وابن ماجه وقوله واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اي استمروا على ما هم فيه من المعاصي والمنكرات والتنعم وايثار اللذات على الآخرة والترف والتنعم ولم يلتفتوا الى انكار اولئك حتى فجأهم العذاب وكانوا مجرمين اي كافرين ثم اخبر تعالى انه لم يهلك قرية الا وهي ظالمة لنفسها ولم يأت قرية مصلحة بأسه وعذابه قط حتى يكونوا هم الظالمين **ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة**

فان قلت فما معنى الاستثناء في قوله الا ما شاء ربك وقد ثبت خلود اهل الجنة والنار في الابد من غير استثناء قلت هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك ان اهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع من العذاب سوى عذاب النار وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم واهانته اياهم وكذلك اهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها واجل موقعا منهم وهو رضوان الله كما قال وعد الله المؤمنين جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة ما لا يعرف كنهه الا هو فهو المراد

عن ابن مسعود ليأتين على جهنم زمان ليس فيها احد وذلك بعدما كانوا يلبثون فيها احقابا وعن ابي هريرة مثله ومعناه عند اهل السنة ان ثبت ان لا يبقى فيها احد من اهل الايمان اما مواضع الكفار فممتلئة ابدا ۶

فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي امرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ۶

ارادوا الذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات اي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من اركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهي عن [illegible] واتبعوا [illegible] الشهوات [illegible] ما عرفوا فيه التنعم والترف من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش الهني ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم ۶

ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس
اجمعين اخبر تعالى انه قادر على جعل الناس امة واحدة من ايمان وكفران كما قال تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا
الآية ولا يزالون مختلفين اي لا يزال الخلف بين الناس في اديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم وقيل مختلفين
في الهدى وقوله الا من رحم ربك اي الا المرحومين من اتباع الرسل الذين تمسكوا بما امروا به ولم يزل ذلك دابهم حتى كان النبي
الامي خاتم الرسل والانبياء فاتبعوه وصدقوه ونصروه ففازوا بسعادة الدارين لانهم الفرقة الناجية وقال عطاء ولا يزالون
مختلفين يعني اليهود والنصارى والمجوس الا من رحم ربك يعني الحنيفية وقال قتادة اهل رحمة الله اهل الجماعة وان تفرقت ديارهم
وابدانهم واهل المعصية اهل فرقة وان اجتمعت ديارهم وابدانهم وقوله ولذلك خلقهم اي وللاختلاف خلقهم وقيل للرحمة
خلقهم لا للعذاب كما في قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال الحسن في هذه الآية الناس مختلفون في اديان شتى الا
من رحم ربك غير مختلف فقيل له فلذلك خلقهم قال خلق هؤلاء لجنته وهؤلاء لناره وخلق هؤلاء لرحمته وهؤلاء لعذابه
كما في قوله فريق في الجنة وفريق في السعير وقوله وتمت كلمة ربك اخبر تعالى انه قد سبق في قضائه وقدره لعلمه التام وحكمته النافذة
ان من خلقه من يستحق الجنة ومنهم من يستحق النار وانه لابد ان يملأ جهنم من هذين الثقلين الجن والانس وله الحجة البالغة و
الحكمة التامة وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختصمت الجنة والنار فقالت الجنة ما لي لا يدخلني
الا ضعفة الناس وسقطهم وقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين فقال الله تعالى انت رحمتي ارحم بك من اشاء وقال
للنار انت عذابي انتقم بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملؤها فاما الجنة فلا يزال فيها فضل حتى ينشئ الله لها خلقا يسكن فضل
الجنة واما النار فلا تزال تقول هل من مزيد حتى يضع عليها رب العزة قدمه فتقول قط قط وعزتك وكلا نقص عليك
من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين اي وكل اخبار نقصها
عليك من انباء الرسل المتقدمين قبلك مع اممهم كيف جرى لهم من المحاجات والخصومات وما احتمله الانبياء من التكذيب
والاذى وكيف نصر الله حزبه المؤمنين وخذل اعداءه الكافرين كل هذا مما نثبت به فؤادك يا محمد اي قلبك ليكون لك بمن
مضى من اخوانك المرسلين اسوة وقوله وجاءك في هذه الحق اي هذه السورة قاله ابن عباس وجماعة وقال قتادة هذه الدنيا و
الصحيح هذه السورة المشتملة على قصص الانبياء وكيف انجاهم الله والمؤمنين بهم واهلك الكافرين جاءك فيها قصص حق و
نبأ صدق وموعظة يرتدع بها الكافرون وذكرى يتذكر بها المؤمنون وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا
عاملون وانتظروا انا منتظرون اي قل للذين لا يؤمنون بما جئت به على وجه التهديد اعملوا على مكانتكم اي على طريقتكم
ومنهجكم انا عاملون اي على طريقتنا ومنهجنا وانتظروا انا منتظرون اي فستعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون
بنا الدوائر ان ينزل بكم كما ينزل الله من النقم النازلة باشباهكم
وقد انجز الله لرسوله وعده ونصره وايده وجعل كلمته هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى والله عزيز حكيم ولله غيب السموات
والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون اخبر تعالى انه عالم غيب السموات
والارض وانه اليه المرجع والمآب وسيوفي كل عامل عمله يوم الحساب فله الخلق والامر فامر تعالى بعبادته والتوكل عليه فانه
كاف من توكل عليه واناب اليه وقوله وما ربك بغافل عما تعملون اي ليس يخفى عليه ما عليه مكذبوك يا محمد بل هو عليم باحوالهم و
اقوالهم وسيجزيهم على ذلك اتم الجزاء في الدنيا والآخرة وسينصرك وحزبك عليهم في الدارين قال كعب الاحبار خاتمة التورية خاتمة هود

تفسير سورة يوسف عليه السلام وهي مكية

روى ان طائفة من اليهود حين سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو

سوى كلا عوض من المضاف اليه
كانه قيل وكل نبأ نقص عليك
ومن انباء الرسل بيان لكل و
مثبت
ما نثبت به
فؤاده زيادة يقينه
وما نثبت طمانينة قلبه

هذه السورة اسلموا لموافقتها ما عندهم قاله ابن عباس ورواه البيهقي في دلائل النبوة بسم الله الرحمن الرحيم
الر تلك ايات الكتاب المبين انا انزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا
اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين سبق الكلام على حروف اوائل السور في اول سورة البقرة وقوله
تلك ايات الكتاب وهو القرآن الواضح الجلي الذي يفصح عن الاشياء المبهمة ويفسرها ويبينها انا انزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون
وذلك لان لغة العرب افصح اللغات وابينها واوسعها واكثرها تادية للمعاني التي تقوم بالنفس فلهذا نزل على اشرف الرسل
بسفارة اشرف الملائكة وكان ذلك في اشرف البقاع الارض وابتدئ انزاله في اشرف شهور السنة وهو رمضان فكمل من
كل الوجوه ولهذا قال تعالى نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا ما مصدرية اي بايحائنا اليك هذا القرآن قال ابن عباس
قالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فنزلت نحن نقص عليك احسن القصص رواه ابن جرير والقاص الذي يتبع الآثار ويأتي
بالخبر على وجهه اي نبين لك اخبار الامم السالفة احسن البيان وقيل المراد قصة يوسف خاصة لما فيها من الحكم والعبر
والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا من سير الملوك والمماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على اذى الاعداء وحسن
التجاوز عنهم بعد الالتقاء وغير ذلك قال سعد بن ابي وقاص انزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا عليهم
زمانا فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله نحن نقص عليك احسن القصص فقالوا لو ذكرتنا فانزل الله الم يأن
للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله فارادوا القصص فدلهم على احسن القصص وقوله وان كنت من قبله اي من قبل الوحي
والانزال لمن الغافلين اي الساهين عن هذه القصة لم تكن تعلم ومما يناسب ذكره عند ذكر هذه الآية المشتملة على مدح القرآن
وانه كاف عن كل ما سواه من الكتب ما روى جابر ان عمر بن الخطاب اتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب اصابه من بعض اهل الكتاب
فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم فغضب وقال امتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء
نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به او بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو ان موسى كان حيا ما وسعه الا اتباعي
رواه احمد اذ قال يوسف لابيه يا ابت اني رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين
اي اذكر لقومك يا محمد في قصصك عليهم من قصة يوسف اذ قال لابيه هو يعقوب عليه السلام كما في البخاري ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم قال ابن عباس رؤيا الانبياء
وحي قال المفسرون ان احد عشر كوكبا عبارة عن اخوته وكانوا احد عشر رجلا سواه والشمس والقمر عبارة عن ابيه
وامه والمراد خالته لان امه راحيل كانت قد ماتت قاله السدي قالوا وقد ظهر تعبيرها بعد اربعين سنة وقيل ثمانين
سنة وذلك حين رفع ابويه على العرش وهو سريره واخوته بين يديه وخروا له سجدا قال ابو جعفر بن جرير عن جابر
قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من يهود يقال له بستانة اليهودي فقال له يا محمد اخبرني عن الكواكب التي راها يوسف انها
ساجدة له ما اسماؤها قال فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فلم يجبه بشيء ونزل عليه جبرئيل فاخبره باسمائها قال فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فقال هل انت مؤمن ان اخبرتك باسمائها فقال نعم قال جربان والطارق والذيال
وذو الكتفات وقابس ووثاب وعمودان والفليق والمصبح والضروح وذو الفرغ والضياء والنور فقال اليهودي
اي والله انها لاسماؤها ورواه البيهقي في الدلائل واما اسامي اخوة يوسف الصديق عليهم السلام على ما ذكره الثعلبي وغيره
فهي روبيل وشمعون ويهوذا ولاوي وزبالون وزاذان ونفتال واشجر وجاذ وداسر وابن يامين عليهم السلام

والكتاب المبين السورة اي تلك الآيات التي
انزلت اليك في هذه السورة آيات السورة
الظاهر امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي
تبين لمن يتدبرها انها من عند الله لا من عند
البشر او الواضحة التي لا تشتبه على العرب
معانيها لنزولها بلسانهم

ان مخففة من الثقيلة واللام هي التي
تفرق بينها وبين النافية والضمير
في قبله راجع الى اوحينا

التهوك التحير قال ابن عون قلت للحسن ما متهوكون
قال متحيرون والتهوك الفعل مثل التهور وهو
الوقوع في الشئ بقلة مبالاة

رات من الرؤيا لا من الرؤية لان ما ذكره
معلوم انه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا
مع الكواكب ساجدة ليوسف في حال
اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب
عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس

[illegible]

والله اعلم يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين

اخبر تعالى عن قول يعقوب لابنه يوسف حين قص عليه ما رأى من هذه الرؤيا التي تعبيرها خضوع اخوته له وتعظيمهم اياه تعظيما
زائدا بحيث يخرون له ساجدين اجلالا واكراما فخشي يعقوب ان يحدث بهذا المنام احدا من اخوانه فيحسدونه على ذلك فيبغون
له الغوائل حسدا منهم له ولهذا قال له لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا اي يحتالوا لك حيلة يردونك فيها ولهذا
جاء في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت واخذ منه قال لا تقصها
الا على واد او ذي رأي رواه ابو داود والترمذي نحوه ومن هذا يؤخذ الامر بكتمان النعمة حتى توجد وتظهر كما ورد في الحديث
استعينوا على قضاء الحوائج بكتمانها فان كل ذي نعمة محسود وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث
ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابرهيم واسحق ان ربك عليم حكيم اخبر تعالى
عن قول يعقوب لولده يوسف انه كما اختارك ربك وأراك هذه الكواكب ساجدة لك كذلك يجتبيك اي يختارك ربك ويصطفيك
لنبوته ويعلمك من تأويل الاحاديث قال مجاهد وغير واحد يعني تعبير الرؤيا ويتم نعمته عليك اي بارسالك والايحاء اليك ولهذا قال
كما اتمها على ابويك من قبل ابرهيم واسحق ان ربك عليم حكيم اي هو اعلم حيث يجعل رسالاته حكيم في ذلك لقد كان في يوسف
واخوته آيات للسائلين اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال
مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال قائل منهم
لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين اي لقد كان فيهم عبرة ومواعظ
للسائلين عن ذلك المستخبرين عنه فانه خبر عجيب يستحق ان يخبر عنه اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا اي حلفوا فيما يظنون
والله ليوسف واخوه يعنون بنيامين وكان شقيقه لامه احب الى ابينا منا ونحن عصبة اي جماعة فكيف احب ذينك الاثنين
من الجماعة ان ابانا لفي ضلال مبين يعنون في تقديمهما علينا ومحبته اياهما اكثر منا واختلفوا في ان اخوة يوسف هل كانوا
انبياء ام لا فزعم بعضهم انه اوحي اليهم بعد ذلك والصحيح انه لم يقم دليل على اعيان هؤلاء انهم اوحي اليهم والله اعلم وقوله
اقتلوا يوسف اي هذا الذي يزاحمكم في محبة ابيكم لكم اعدموه من وجه ابيكم ليخلو لكم وحده اما بان تقتلوه او تلقوه
في ارض من الاراضي تستريحوا منه وتخلوا انتم بابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين فاضمروا التوبة قبل الذنب قال
قائل منهم قال قتادة وكان اكبرهم واسمه روبيل وقيل يهوذا لا تقتلوا يوسف اي لا تصلوا في عداوته وبغضه الى قتله
ولم يكن لهم سبيل الى قتله لان الله كان يريد منه امرا لابد من امضائه واتمامه من الايحاء اليه بالنبوة فصرفهم الله عنه بمقالة
روبيل فيه واشارته عليهم بان يلقوه في غيابة الجب اي في اسفل البئر غير المطوية والغيابة كل موضع ستر عنك الشيء وغيبه
يلتقطه بعض السيارة اي المارة من المسافرين فتستريحوا منه بهذا ولا حاجة الى قتله ان كنتم فاعلين اي عازمين على ما تقولون
قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون
لما اتفقوا على اخذه وطرحه في البئر جاءوا اباهم يعقوب فقالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون وهذه توطئة
ودعوى وهم يريدون خلاف ذلك لما له في قلوبهم من الحسد لحب ابيه له ارسله اي ابعثه معنا غدا يرتع قرأ بعضهم بالياء
العابه قال ابن عباس اي يسعى وينشط وانا له لحافظون اي ونحن نحفظه ونحوطه لاجلك قال اني ليحزنني ان تذهبوا
به واخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون

فيكيدوا لك منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك

الاحاديث الرؤيا لان الرؤيا اما حديث نفس او ملك او شيطان وتأويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها

لقد كان في يوسف اي في قصتهم وحديثهم آيات علامات ودلائل على قدرة الله وحكمته في كل شيء للسائلين لمن سأل عن قصتهم وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب

قوله يخل لكم وجه ابيكم يقبل عليكم اقبالة واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم اياها

غيابة الجب هي غوره وما غاب عنه عن عين الناظر واظلم من اسفله

اصل الرتعة الخصب والسعة

اخبر تعالى

[illegible]

اخبر تعالى عن يعقوب انه قال لبنيه في جواب ما سألوه وتوقعوا عنه اني ليحزنني اي يشق علي مفارقته مدة ذهابكم به
الى ان يرجع وذلك لفرط محبته له لما يتوسم له من الخير العظيم وقوله واخاف ان يأكله الذئب اي واخشى ان تشتغلوا عنه
برميكم ورعيكم فيأتيه ذئب فيأكله وانتم لا تشعرون فاخذوا من فيه هذه الكلمة وجعلوها عذرهم فيما فعلوه وقالوا
مجيبين له عنها في الساعة لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون اي لئن عدا عليه الذئب فاكله من بيننا ونحن جماعة
فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم
انا اذا لهالكون عاجزون
هذا وهم لا يشعرون اي فلما ذهب به اخوته من عند ابيه بعد مراجعتهم له في ذلك واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب
وفيه عظم ما فعلوه من اتفاقهم كلهم على القائه في اسفل الجب وقد اخذوه من عند ابيهم فيما اظهروه له اكراما له وشرحا
لصدره وقيل ان يعقوب لما بعث يوسف معهم ضمه اليه وقبله ودعا له ولم يكن بين اكرامهم له وبين اظهار الاذى له
الا ان غابوا عن عين ابيه ثم شرعوا في ايذائه بالشتم والضرب ونحوه ثم جاؤوا به الى الجب فربطوه بحبل ودلوه فيه
فاذا لجأ الى واحد لطمه وشتمه واذا تشبث بحافات البئر ضربوا على يديه ثم قطعوا به الحبل من نصف البئر فسقط في الماء
فغمره فصعد الى صخرة تكون في وسطه يقال لها الراعوفة فقام فوقها قال تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم اخبر تعالى
عن لطفه وكرمه وانزاله اليسر في حال العسر انه اوحى الى يوسف في تلك الحال تسكينا وتطييبا لقلبه وتثبيتا له
لا تحزن فيما انت فيه فان لك منها فرجا ومخرجا وسينصرك الله عليهم ويخزيهم لما فعلوا معك وقوله وهم لا يشعرون
اي بايحاء الله اليه قال ابن عباس ستنبئنهم بصنيعهم هذا في حقك وهم لا يعرفونك قال وذلك انه لما دخل اخوة يوسف عليه
فعرفهم وهم له منكرون قال جيء بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم
يقال له يوسف يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب قال ثم نقره فطن فاتيتم اباكم فقلتم ان الذئب
اكله وجئتم على قميصه بدم كذب فقال بعضهم لبعض ان هذا الجام ليخبركم بخبركم وهو المراد بقوله لتنبئنهم بامرهم هذا الآية
وجاؤا اباهم عشاء يبكون قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب
وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر
جميل والله المستعان على ما تصفون اخبر تعالى عن اعتماد اخوة يوسف بعد ما القوه في غيابة الجب عند ابيهم راجعين
اليه في ظلمة الليل يبكون ويظهرون الاسف والجزع على يوسف قالوا انا ذهبنا نترامى وتركنا يوسف عند متاعنا اي
ثيابنا واثاثنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا اي وانت تعلم انك لا تصدقنا والحالة هذه لو كنا عندك صادقين فكيف و
انت تتهمنا في ذلك لانك خشيت ان ياكله الذئب فاكله اتفاقا فلك العذر في تكذيبك لنا لغرابة ما وقع فلنا ههنا وقوله وجاؤا
على قميصه بدم كذب اي مكذوب مفترى وهذا من الافعال التي يؤكدون بها ما تمالؤوا عليه من المكيدة وهو انهم عمدوا الى
سخلة فيما ذكر غير واحد فذبحوها ولطخوا ثوب يوسف بدمها موهمين ان هذا قميصه الذي اكله فيه الذئب وقد اصابه من دمه
ولكنهم نسوا ان يخرقوه فلهذا لم يرج ذلك على نبي الله وقال لو اكله السبع لخرق القميص قاله ابن عباس وغير واحد بل قال لهم
معرضا عن كلامهم بل سولت اي زينت لكم انفسكم امرا فصبر جميل اي فساصبر صبرا جميلا على هذا الامر الذي قد اتفقتم عليه
حتى يفرجه الله بعونه ولطفه والصبر الجميل الذي لا شكوى فيه ولا جزع والله المستعان على ما تصفون اي على ما تذكرون من
الكذب والمحال وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام واسروه

اي استعينه على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزية

اعتذر اليهم بشيئين احدهما ان ذهابهم به مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من عدوة الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم او قل به اهتمامهم ولم [illegible] فيخاف ان الذئب [illegible] فكان [illegible] لقنهم العلة

ان يجعلوه مفعول اجمعوا وجواب لما محذوف معناه فعلوا به ما فعلوا من الاذى

وفي الكشاف ونزعوا قميصه فقال يا اخواه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا يؤنسك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم آوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا ياتيه بالطعام ويروى ان ابراهيم صلوات الله عليه حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبرئيل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحاق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاء جبرئيل فاخرجه والبسه اياه

روي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه

[illegible]

بضاعة والله عليم بما يعملون وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين قيل لما القوه
في البير مكث فيها ثلثة ايام فساق الله له سيارة اي قوما مسافرين فنزلوا قريبا من ذلك البير فارسلوا واردهم هو الذي يطلب
لهم الماء فادلى دلوه فيها فتشبث بها يوسف فاخرجه واستبشر به وقال يا بشرى هذا غلام فاضاف البشرى الى نفسه
وحذف ياء الاضافة على الراجح وهو يريدها كما تقول العرب يا نفسي اصبري ويا غلام اقبل بحذف حرف الاضافة وبكون الكسرة
والرفع جيد وقوله واسروه بضاعة اي واسره الواردون من بقية السيارة وقالوا اشتريناه من اصحاب الماء مخافة ان يشاركوهم
فيه اذا علموا ذلك قاله مجاهد وغيره وقال ابن عباس يعني اخوة يوسف اسروا شانه وكتموا ان يكون اخاهم وذلك انهم لما القوه
في البير جلسوا حوله يرقبونه ينظرون ما يصنع فلما جاءت السيارة واخرجوه قالوا هذا عبد لنا قد ابق وكتم يوسف شانه مخافة
ان يقتله اخوته وقوله والله عليم بما يعملون اي يعلم ما يفعله اخوة يوسف ومشتريه وهو قادر على تغيير ذلك ولكن لحكمته ترك
ذلك ليقضي الله امرا كان مفعولا وهكذا كان امر الانبياء كانوا يبتلون والعاقبة للمتقين وقوله وشروه بثمن بخس اي وباعه اخوته
بثمن قليل والبخس هو النقص اي باعه اخوته بثمن دون قليل وكانوا مع ذلك فيه من الزاهدين اي ليس لهم رغبة فيه بل لو سألوه
بلا شيء لاجابوا قال ابن عباس وغيره الضمير في شروه عائد الى الاخوة وقال قتادة بل هو عائد على السيارة والاول اقوى
قوله وكانوا فيه من الزاهدين انما اراد اخوته لا اولئك السيارة لانهم استبشروا به واسروه بضاعة فلو كانوا فيه زاهدين لما
اشتروه فظهر من هذا ان الضمير لاخوته وقيل المراد بقوله بخس حرام وقيل ظلم وهذا لا يخفى لكن المراد هنا بالبخس الناقص الزيوف
اي انهم اخوته وباعوه بانقص الاثمان كما قال ابن مسعود باعوه بعشرين درهما وكذا قال عكرمة وزاد واقتسموها درهمين درهمين
قال مجاهد لما باعوه جعلوا يتبعونهم ويقولون استوثقوا منه لا يأبق حتى وقفوه بمصر فقال من يبتاعني فاشتراه ملك
مصر وكان مسلما وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا و
كذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا
يعلمون ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين اخبر تعالى بالطافه بيوسف ان قيض الذي
اشتراه من مصر حتى اعتنى به واكرمه واوصى اهله به وتوسم فيه الخير والفلاح فقال لامرأته اكرمي مثواه وكان عزيز مصر و
وزيرها قال ابن عباس اسمه قطفير وكان على خزائن مصر وقال ابن اسحق اسمه اطفير واسم امرأته راعيل وقيل زليخا
اي اكرمي منزلته ومقامه عسى ان ينفعنا اي نبيعه بربح او يكفينا اذا بلغ بعض امورنا او نتخذه ولدا اي نتبناه قال
ابن مسعود افرس الناس ثلثة العزيز في يوسف حيث قال لامرأته اكرمي مثواه وابنة شعيب حيث قالت لابيها في موسى يا ابت
استأجره وابو بكر الصديق في عمر حيث استخلفه وقوله وكذلك اي وكما انقذنا يوسف من اخوته كذلك مكنا ليوسف في الارض
يعني بلاد مصر ولنعلمه من تأويل الاحاديث هو تعبير الرؤيا والله غالب على امره اي اذا اراد شيئا فلا يرد ولا يمانع ولا يخالف
بل هو الغالب لما سواه وفعال لما يشاء وقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي لا يدرون حكمته في خلقه ولطفه لما يريد وقوله و
لكن اكثر الناس لا يعلمون اي لا يدرون حكمته في خلقه ولطفه لما يريد وقوله ولما بلغ اي يوسف اشده اي استكمل خلقه و
آتيناه حكما وعلما اي النبوة بين او لكمال الاقوام وكذلك نجزي المحسنين اي انه كان محسنا في عمله عاملا بطاعة ربه واختلف
في المدة التي بلغ اشده قال ابن عباس ثلث وثلثون سنة وقيل عشرون سنة وقيل اربعون سنة وقيل خمسة وعشرون سنة
وقيل ثلثون سنة وقيل ثماني عشرة سنة وقيل حد البلوغ والحلم وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب

قيل هو مالك بن ذعر الخزاعي

اي اجعلي نزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا

جعلنا ملكا يتصرف

سيارة رفقة يسيرون من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطأوا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم تكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف

قيل الفرق بين العالم والحكيم ان العالم هو الذي يعلم الاشياء والحكيم الذي يعمل بما يوجبه العلم

وقالت

وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون اخبر تعالى عن امرأة
العزيز التي كان يوسف في بيتها بمصر وقد اوصاها زوجها به وباكرامه فراودته عن نفسه اي حاولته عن نفسه ودعته اليها
وذلك انها احبته حبا شديدا لجماله وحسنه وبهائه فحملها ذلك على ان تجملت له وغلقت عليه الابواب ودعته الى
نفسها وقالت هيت لك فامتنع من ذلك اشد الامتناع وقال معاذ الله انه ربي وكانوا يطلقون الرب على السيد و
الكبير اي ان بعلك ربي اكرم مثواي اي منزلتي واحسن الي فلا اقابله بالفاحشة في اهله انه لا يفلح الظالمون يعني ان
فعلت هذا فانا ظالم خائن ولا افلح ابدا واختلف القراء في هيت لك فقرأ كثيرون بفتح الهاء واسكان الياء وفتح التاء
قال ابن عباس وغير واحد معناه انها تدعوه الى نفسها اي هلم لك وقيل هي سريانية اي عليك وقيل هلم لك وهي بالحورانية
تعال واقبل وقرأ آخرون هئت لك بكسر الهاء والهمز وضم التاء بمعنى تهيأت لك من قول القائل هئت للامر اهيء
هيئة روي ذلك عن ابن عباس ايضا قال ابن جرير وكان ابو عمرو والكسائي ينكران هذه القراءة وقرئ بفتح الهاء وكسر
التاء وهي غريبة وعامة اهل المدينة بفتح الهاء وضم التاء واختار ابن مسعود وكثير من الاوائل قال ابو عبيد لا يثنى ولا يجمع
ولا يؤنث بل يخاطب الجميع بلفظ واحد ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف
عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين اختلفوا في هذا المقام قال بعضهم المراد بهمه بها هم خطرات
وحديث النفس وهذا داخل في حديث اذا هم عبدي بحسنة فاكتبوها له حسنة فان عملها فاكتبوها بعشر امثالها وان
هم بسيئة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فانما تركها من جرائي فان عملها فاكتبوها بمثلها الحديث وهو مخرج في الصحيح وقيل
هم بضربها وقيل بتمنيها زوجة وقوله لولا ان رأى برهان ربه قال ابن عباس وكثيرون رأى صورة يعقوب عاضا على
يده يعظه او ضرب على صدر يوسف وعنه ايضا فيما رأى تمثال الملك يعني سيده وقيل رأى خيال اطفير سيده حين
دنا من الباب قال القرطبي رفع يوسف رأسه الى سقف البيت فاذا كتاب في حائط البيت لا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء
سبيلا قال ابن جرير والصواب انه رأى من آيات الله ما زجره عما كان هم به وجائز ان يكون صورة يعقوب وان يكون صورة
الملك وان يكون ما رآه مكتوبا من الزجر عن ذلك ولا حجة قاطعة على تعيين شيء من ذلك والصواب ان يطلق كما قال الله تعالى
وقوله كذلك لنصرف عنه السوء اي كما اريناه برهانا صرفه عما كان فيه كذلك نقيه السوء والفحشاء في جميع اموره انه من عبادنا
المخلصين اي المجتبين المطهرين المختارين المصطفين عليهم السلام واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر و
الفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم قال هي
راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين
وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من
كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين اخبر تعالى
عن حالهما حين خرجا يستبقان الى الباب يوسف هارب والمرأة تطلبه ليرجع الى البيت فلحقته في اثناء ذلك فامسكت بقميصه
من ورائه فقدته قدا فظيعا يقال انه سقط عنه واستمر يوسف ذاهبا وهي في اثره فالفيا اي وجدا سيدها وهو زوجها
عند الباب فعند ذلك بادرته وقالت لزوجها على الفور وقذفته ليوسف بسببها ما جزاء من اراد باهلك سوءا يعني
فاحشة الا ان يسجن او عذاب اليم اي يضرب ضربا شديدا موجعا فعند ذلك انتصر يوسف بالحق وتبرأ مما رمته به من الخيانة

المراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه ويأخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها

[illegible]

وقال بل انا صادقة هي راودتني عن نفسي اي طلبت مني الفاحشة وشهد شاهد من اهلها فقال ان كان قميصه قد من قبل اي من قدامه فصدقت اي في قولها انه ارادها على نفسها لانه لما دعاها وابت عليه دفعته في صدره فقدت قميصه فيصح ما قالت وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين وذلك يكون كما وقع لما هرب منها وطلبته امسكت بقميصه من ورائه لتردّه اليها فقدت قميصه من ورائه وقد اختلفوا في هذا الشاهد هل هو صغير او كبير على قولين لعلماء السلف عن ابن عباس قال ذو لحية من خاصة الملك وقال السدي ابن عمها وعن جماعة انه كان صبيا صغيرا في المهد واختاره ابن جرير وعن ابن عباس مرفوعا قال تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم وقوله فلما راى قميصه اي فلما تحقق زوجها صدق يوسف وكذبها فيما رمته به قال انه من كيدكن اي ان هذا البهت واللطخ من كيدكن اي مكركن ان كيدكن عظيم ثم قال امرا ليوسف بكتمان ما وقع يا يوسف اعرض عن هذا اي اصفح فلا تذكره لاحد وقال لامراته استغفري لذنبك وقد عذرها لانها رات ما لا صبر لها عنه اي استغفري للذي وقع منك من ارادة السوء بهذا الشاب ثم قذفته بما هو بري منه انك كنت من الخاطئين اي من القوم المذنبين حين راودته عن نفسه فلما استعصم كذبت عليه وقال نسوة في المدينة امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما راينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم لما شاع خبر يوسف وامراة العزيز في مدينة مصر حتى تحدث الناس به تعجبوا وقال نسوة في المدينة مثل نساء الامراء والكبراء ينكرن على المراة ويعبن ذلك عليها امراة العزيز تراود فتاها اي تحاول غلامها عن نفسه وتدعوه الى نفسها قد شغفها حبا اي قد وصل حبه الى شغاف قلبها وهو غلافه وحجابه قال ابن عباس الشغف الحب القاتل والشعف بالعين المهملة دون ذلك انا لنراها في ضلال مبين اي في صنيعها هذا من حبها فتاها ومراودتها اياه عن نفسه فلما سمعت بمكرهن اي بقولهن قال ابن اسحق بل بلغهن حسن يوسف فاحببن ان يرينه فقلن ذلك ليتوصلن الى رؤيته ومشاهدته فعند ذلك ارسلت اليهن اي دعتهن الى منزلها لتضيفهن واعتدت لهن متكأ قال ابن عباس وغيره هو المجلس المعد فيه مفارش ومخاد وطعام فيه ما يقطع بالسكاكين كالاترج ونحوه ولهذا قال تعالى وآتت كل واحدة منهن سكينا وكان هذا مكيدة منها ومقابلة لهن في احتيالهن على رؤيته وقالت اخرج عليهن وذلك انها كانت قد خبأته في مكان آخر فلما خرج ورأينه اكبرنه وقطعن ايديهن دهشا من رؤيته وهن يظنن انهن يقطعن الاترج بالسكاكين يعني انهن جرحن ايديهن بها ويحسبن انهن يقطعن الاترج حتى سال الدم منهن فلما احسسن الالم جعلن يولولن فقالت انتن من نظرة واحدة فعلتن هكذا فكيف الام انا فقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ولا نلومك من بعد لانهن لم يرين في البشر شبهه ولا قريبا منه فانه عليه السلام كان قد اعطي شطر الحسن كما ثبت في الصحيح في حديث الاسراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بيوسف في السماء الثالثة قال فاذا هو قد اعطي شطر الحسن اي حسن اهل الدنيا وقال ابن مسعود وكان وجه يوسف مثل البرق وكانت المراة اذا اتته لحاجة غطى وجهه مخافة ان يفتتن به ولهذا قال هولاء النسوة عند رؤيته حاش لله اي معاذ الله

[illegible]

[illegible]

وقال بعضهم ما هذا بشري اي بشتري ان هذا الا ملك كريم قالت فذلكن الذي لمتنني فيه معذرة لهن بان هذا حقيق بان يحب لجماله وكماله ولقد راودته عن نفسه فاستعصم اي فامتنع قال بعضهم لما راين جماله الظاهر اخبرتهن بصفاته الحسنة التي تخفى عنهن وهو العفة مع هذا الجمال ثم قالت تتوعده ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين اي ولئن لم يطاوعني فيما ادعوه اليه ليعاقبن بالسجن والاذلال فعند ذلك استعاذ يوسف من شرهن وكيدهن فقال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه اي من الفاحشة والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن اي ان وكلتني الى نفسي فليس لي من نفسي قدرة ولا املك لها ضرا ولا نفعا الا بحولك وقوتك انت المستعان وعليك التكلان فلا تكلني الى نفسي اصب اي اميل اليهن واتابعهن واصير حينئذ من اهل الجهل والضلال فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم لمكرهن ودفعهن فعصمه الله عصمة عظيمة وحماه فامتنع منها اشد الامتناع واختار السجن على ذلك وهذا من اعلى مقامات الكمال انه مع شبابه وجماله تدعوه سيدته وهي في غاية الجمال والمال والرياسة فامتنع من ذلك واختار السجن خوفا من الله ورجاء ثوابه ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات ليسجننه حتى حين اي ثم ظهر لهم المصلحة فيما راوه انهم يسجنونه الى مدة وذلك بعدما عرفوا براءته وظهرت الامارات والايات وهي الادلة على صدقه في عفته ونزاهته فكانهم انما سجنوه ايهاما ان هذا راودها عن نفسها وانهم سجنوه على ذلك ولهذا لما طلبه الملك الكبير في آخر المدة امتنع عن الخروج حتى تبين براءته مما نسب اليه من الخيانة فلما تقرر ذلك خرج وهو نقي العرض ودخل معه السجن فتيان قال احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الآخر اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين قال قتادة كان احدهما ساقي الملك والآخر خبازه قال ابن اسحق واسم الاول نبو واسم الآخر مجلث وسبب حبسهما ان الملك توهم انهما تمالآ على سمه في طعامه وشرابه ثم ان يوسف قد اشتهر في السجن بالجود والامانة وصدق الحديث وحسن السمت وكثرة العبادة ومعرفة التعبير والاحسان الى اهل السجن ولما دخلها ابن السجن الفابه واحباه حبا شديدا فاخبراه بذلك فقال بارك الله فيكما ما احبني احد الا دخل علي من محبته ضرر ثم انهما رايا مناما فراى الساقي انه يعصر خمرا يعني عنبا كما في قراءة ابن مسعود اني اراني اعصر عنبا وقال له رايت فيما يرى النائم اني غرست حبلة من عنب فنبتت فخرج فيه عناقيد فعصرتهن ثم سقيتهن الملك فقال تمكث في السجن ثلاثة ايام ثم تخرج فتسقيه خمرا وقال الآخر وهو الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله اي اخبرنا بتعبيره انا نراك من المحسنين اي العالمين بعبارة الرؤيا والمشهور انهما رايا مناما وطلبا تعبيره وعن ابن مسعود قال ما راى صاحبا يوسف شيئا انما كانا تحالما ليجربا عليه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله قبل ان ياتيكما ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي ابرهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون اخبرهما يوسف انه مهما رايا في نومهما شيئا فانه عارف بتفسيره يخبرهما بتاويله قبل وقوعه قال مجاهد اي لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله قبل ان ياتيكما وهذا من تعليم الله اياي لاني اجتنبت ملة الكافرين الذين لا يرجون ثوابا ولا عقابا في المعاد واتبعت ملة آبائي ابرهيم واسحق ويعقوب وهكذا يكون حال من سلك طريق الهدى واتبع المرسلين معرضا عن طريق الضالين فانه يهدي الله قلبه ويعلمه ما لم يكن يعلم ويجعله اماما يقتدى ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء هذا التوحيد وهو الاقرار بانه لا اله الا الله وحده لا شريك له ذلك من فضل الله علينا اي وحيا

[illegible]

الينا وامرنا به وعلى الناس اذ جعلنا دعاة لهم الى ذلك ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يعرفون نعمة الله عليهم بارسال
الرسل اليهم بل بدلوا نعمة الله كفرا و في هذه الاية ان الجد يسمى ابا وهو بمنزلته قاله ابن عباس يا صاحبي السجن ءارباب
متفرقون خير ام الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم
ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر
الناس لا يعلمون ثم ان يوسف اقبل على الفتيين بالمخاطبة والدعاء الى عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الاوثان
التي يعبدها قومهما فقال ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار اي الذي ذل كل شيء لعز جلاله وعظم سلطانه ثم بين لهما
ان التي يعبدونها ويسمونها آلهة انما هو جهل منهم وتسمية من تلقاء انفسهم تلقاها خلفهم عن سلفهم وليس
لذلك مستند من عند الله ولهذا قال ما انزل الله بها من سلطان اي حجة ولا برهان ثم اخبرهم ان الحكم والتصرف والمشية
كله لله وقد امر عباده جملة ان لا تعبدوا الا اياه ثم قال ذلك الدين القيم اي هذا الذي ادعوكم من توحيد الله واخلاص العمل
له هو الدين المستقيم الذي امر الله به وانزل به الحجة والبرهان الذي يحبه ويرضاه ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي فلهذا كان
اكثرهم مشركين ثم ان يوسف جعل سؤالهما له على وجه التعظيم وصلة وسببا الى دعائهما الى التوحيد والاسلام لما راى من سجيتهما
من قبول الخير والاقبال عليه ولهذا لما فرغ من ذلك شرع في تعبير رؤياهما فقال يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي
ربه خمرا واما الاخر فيصلب فتاكل الطير من راسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان اما قال
احدكما ولم يبق الشخص لئلا يحزن ذلك ولهذا ابهمه في قوله واما الاخر فيصلب وهو في نفس الامر الذي راى انه يحمل فوق راسه
خبزا ثم اعلمهما ان هذا قد فرغ منه وهو واقع لا محالة لان الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت وهو حديث
مرفوع رواه احمد وابو داود والترمذي وقال ابن مسعود لما قالا ما قالا واخبرهما قالا ما راينا شيئا فقال قضي الامر الذي فيه
تستفتيان عنه وجب حكم الله بما اخبرتكما به رايتما ام لم تريا وحاصله ان من تحكم بباطل وفسره فانه يلزم تاويله وقال
للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك فانسه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين
اي قال يوسف للذي ظن نجاته وهو الساقي خفية عن الاخر لئلا يشعره انه المصلوب اذكرني عند ربك اي اذكر حالي عند الملك
فنسي الموصى ان يذكره عند مولاه وكان من جملة مكايد الشيطان لئلا يخلص نبي الله من السجن هذا هو الصواب ان الضمير عائد في
قوله فانسه الشيطان عائد الى الناجي كما قاله كثيرون وروى ابن جرير عن ابن عباس وغيره ان الضمير عائد الى يوسف كما روي
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو لم يقل يعني يوسف الكلمة التي قال ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغي
الفرج من عند غير الله والحديث ضعيف جدا وقد روي مرسلا وهو لا يقبل ههنا والله اعلم واما البضع فهو ما بين الثلث الى التسع
والمشهور انه مكث في السجن سبع سنين وقال ابن عباس ثنتي عشرة سنة وعن الضحاك اربع عشرة سنة وقال الملك اني ارى
سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها الملا افتوني
في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا اضغاث احلام وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين وقال
الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتاويله فارسلون يوسف ايها الصديق افتنا في سبع
بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون
قال تزرعون سبع سنين دابا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تاكلون ثم ياتي من بعد ذلك

يريد يا صاحبي في السجن فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليل فكما ان الليل مسروق فيه غير مسروق فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف

لما دنا فرج يوسف راى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته راى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس و سبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان وراى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها

سمان جمع سمين وسمينة والعجف الهزال واو يابسات

الملا اشراف القوم من العلماء والحكماء

سبع شداد

سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث
الناس وفيه يعصرون هذه الرؤيا هالت ملك مصر وتعجب من امرها وما يكون من تفسيرها فجمع الكهنة والحزاة
ولاكان وقص عليهم ما راى وسالهم عن تاويلها فلم يعرفوا ذلك واعتذروا اليه بان هذه اضغاث احلام اي اخلاط اقتضت
رؤياك هذه جمع ضغث واصله الحزمة من انواع الحشيش والاحلام جمع الحلم وهي الرؤيا وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين
اي ولو كانت رؤيا صحيحة من غير اخلاط لما كان لنا معرفة بتاويلها فعند ذلك تذكر الذي نجا من ذينك الفتيين ما كان يوسف
وصى به من ذكر امره عند الملك فذكر بعد امة اي مدة وقرا بعضهم بعد امه اي نسيان فقال للملك والجماعة انا انبئكم بتاويله
اي بتعبير هذا المنام وكان ذلك سببا لخروج يوسف من السجن معززا مكرما بقضاء الله وقدره فارسلون اي فابعثوني
الى يوسف الصديق الى السجن يعني فبعثوه اليه فجاءه فقال يوسف ايها الصديق افتنا وذكر المنام الذي راه الملك فعبرها
يوسف من غير تعنيف له في نسيانه ذلك ولا اشتراط الخروج قبل ذلك بل قال تزرعون سبع سنين دابا اي ياتيكم الخصب والمطر
سبع سنين متواليات ففسر البقر بالسنين لانه يثير الارض التي تستغل منها الثمرات والزروع وهن السنبلات الخضر ثم
ارشدهم الى ما يعتمدونه في تلك السنين فقال فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تاكلون اي مهما استغللتم في هذه السبع
الخصب فادخروه في سنبله ليكون ابقى له وابعد من اسراع الفساد اليه الا المقدار الذي تاكلونه وليكن قليلا قليلا لا تسرفوا فيه
لتنتفعوا في السبع الشداد وهن السبع السنين المحل التي تعقب هذه السبع متواليات وهي البقرات العجاف اللاتي تاكل السمان
لان سني الجدب يوكل فيها ما جمعوه في سني الخصب وهن السنبلات اليابسات واخبرهم انهن لا ينبتن شيئا وما بذروه
فلا يرجعون منه الى شيء ولهذا قال ياكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون اي تدخرون وتحرزون للبذر ثم بشرهم بعد
الجدب العام المتوالي بانهم يعقبهم بعد ذلك عام فيه يغاث الناس اي ياتيهم الغيث وهو المطر فتحيى البلاد ويعصر الناس ما كانوا
يعصرون على عادتهم من زيت ونحوه وسكر ويدخل فيه حلب اللبن كما قاله ابن عباس وقال الملك ائتوني به فلما جاءه
الرسول قال ارجع الى ربك فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم قال
ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرات العزيز الان
حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله
لا يهدي كيد الخائنين وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور
رحيم اخبر تعالى عن الملك لما رجعوا اليه بتعبير رؤياه التي اعجبته تعرف فضل يوسف وعلمه وحسن اخلاقه على اهل بلده فقال
ائتوني به اي اخرجوه من السجن واحضروه فلما جاءه الرسول بذلك امتنع من الخروج حتى يتحقق الملك ورعيته براءة ساحته
ونزاهة عرضه مما نسب اليه من جهة امراة العزيز وان هذا السجن لم يكن على امر يقتضيه بل كان ظلما وعدوانا فقال ارجع
الى ربك فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن وهو ممدوح بذلك في حكمه وفضله كما روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم في هذه الاية انه قال لو كنت انا لاسرعت الاجابة وما ابتغيت العذر رواه احمد ونحوه في الصحيح وقوله تعالى ما
خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه اخبار عن الملك حين جمع النسوة اللاتي قطعن ايديهن عند امراة العزيز فقال مخاطبا
لهن كلهن وهو يريد امراة وزيره العزيز ما خطبكن اي ما شانكن وخبركن اذ راودتن يوسف عن نفسه يعني يوم الضيافة
حين امرته بطاعتها قلن حاش لله اي قالت النسوة جوابا للملك حاش لله ان يكون يوسف متهما والله ما علمنا عليه من سوء

اضغاث الاحلام اخلاطها واباطيلها وما يكون منها من حديث نفس او وسوسة شيطان

نعند ذلک قالت امراة العزیز الآن حصحص الحق و ظهر انا راودته عن نفسه و انه لمن الصادقین ای فی قوله هی راودتنی
عن نفسی ذلک لیعلم ای انما اعترفت بهذا علی نفسی لیعلم زوجی العزیز انی لم اخنه فی نفس الامر و لا وقع المحذور الاکبر و لیعلم
انی بریئة و ان الله لا یهدی کید الخائنین و قوله و ما ابرئ نفسی تقول المراة و لست ابرئ نفسی ان النفس تتحدث و تتمنی
و لهذا راودته لانها امارة بالسوء الا ما رحم ربی ای الا من عصمه الله ان ربی غفور رحیم و هذا القول الیق و اشهر
بسیاق القصة و معانی الکلام مما قیل ان ذلک من کلام یوسف من قوله ذلک لیعلم ای انما رددت الرسول لیعلم الملک
براءتی و لیعلم العزیز انی لم اخنه بالغیب فی زوجته و عن ابن عباس انه لما قال یوسف هذا القول قال له جبرئیل و لا یوم
هممت بما هممت به فقال و ما ابرئ نفسی الآیة و وافقه مجاهد و غیر واحد و القول الاول اقوی و اظهر لان السیاق کله
من کلام امراة العزیز بحضرة الملک و لم یکن یوسف عندهم بل بعد ذلک احضره الملک **وقال الملک ائتونی به استخلصه**
لنفسی فلما کلمه قال انک الیوم لدینا مکین امین قال اجعلنی علی خزائن الارض انی حفیظ علیم قال
تعالی اخبارا عن الملک حین تحقق براءة یوسف و نزاهة عرضه مما نسب الیه قال ائتونی به استخلصه لنفسی ای اجعله من خاصتی
و اهل مشورتی فلما کلمه ای خاطب الملک و عرفه و رای فضله و براعته و کماله قال له انک الیوم لدینا ای عندنا قد بقیت
ذا مکانة و امانة فقال یوسف ما دعا نفسه اجعلنی علی خزائن الارض انی حفیظ علیم و هذا جائز للحاجة اذا جهل امر الشخص
و ذکر انه حفیظ ای خازن امین علیم ای ذو علم و بصر بما یتولاه و قیل حفیظ لما استودعتنی علیم بما ولیتنی و انما سال العمل لعلمه
و قدرته علیه و لما فی ذلک من مصالح الناس و سال ان یجعله علی خزائن الارض من النقود و الاطعمة و سائر الاموال المجموعة فیها
لما یستقبلونه من السنین الواخرهم بتأنیها لیتصرف لهم علی الوجه الاصلح فالارشد فاجیب الی ذلک رغبة فیه و تکرمة له
و لهذا قال تعالی **وکذلک مکنا لیوسف فی الارض یتبوأ منها حیث یشاء نصیب برحمتنا من نشاء و لا**
نضیع اجر المحسنین و لاجر الآخرة خیر للذین آمنوا و کانوا یتقون ای و کذلک مکنا لیوسف ارض مصر
و ملکناه یتبوأ منها ای یتصرف فیها کیف یشاء قال ابن جریر ای یتخذ منها منزلا حیث یشاء من الضیق و الحبس و الاسار
نصیب برحمتنا من نشاء و لا نضیع اجر المحسنین ای و ما اضعنا صبر یوسف علی اذی اخوته و صبره علی الحبس بسبب امراة العزیز
فلهذا اعقبه الله السلامة و النصر و التایید و لاجر الآخرة خیر للذین آمنوا ای انما ادخره لیوسف فی الدار العقبی اعظم
و اکثر مما خوله من التصرف فی الدنیا کما قال تعالی فی حق سلیمان علیه السلام و ان له عندنا لزلفی و حسن مآب و العزیز
ولاه ملک مصر الوزارة فی بلاده مکان العزیز و اسلم الملک علی یدیه قال ابن اسحق و ذکر لی ان العزیز و هو اطفیر هلک فی
تلک اللیالی و ان الملک الریان بن الولید زوج یوسف امراة اطفیر راعیل و انها حین دخلت علیه قال لها الیس هذا خیرا
مما کنت تریدین فقالت ایها الصدیق لا تلمنی فانی کنت امراة کما تری حسناء ناعمة جمیلة فی ملک و دنیا و صاحبی لا یاتی النساء
و کنت کما جعلک الله فی حسنک و هیئتک علی ما رایت فزعموا انه وجدها عذراء فاصابها فولدت له رجلین افرایم و میشا
و ولد لافرایم نون والد یوشع و رحمة امراة ایوب علیهم السلام و قال الفضیل بن عیاض وقفت امراة العزیز علی
ظهر الطریق حتی مر یوسف فقالت الحمد لله الذی جعل العبید ملوکا بطاعته و الملوک عبیدا بمعصیته **وجاء اخوة**
یوسف فدخلوا علیه فعرفهم وهم له منکرون ولما جهزهم بجهازهم قال ائتونی باخ لکم من ابیکم
الا ترون انی اوفی الکیل و انا خیر المنزلین فان لم تاتونی به فلا کیل لکم عندی و لا تقربون قالوا

سنراود

جایی که برق عصیان بر آدم صفی زد
ما را چگونه زیبد دعوی بیگناهی

قال سفیان بن عیینة المؤمن
یثاب علی حسناته فی الدنیا و
الآخرة و الفاجر یعجل له الخیر فی
الدنیا و ما له فی الآخرة من خلاق
و تلا هذه الآیة و لاجر الآخرة

سنراود عنه اباه و انا لفاعلون ذکروا ان سبب دخول اخوة یوسف بلاد مصر ان یوسف لما باشر الوزارة
بمصر و مضت السبع سنین المخصبة ثم تلتها السنون المجدبة و عم القحط و سری الی بلاد کنعان و هی التی فیها یعقوب علیه
السلام و اولاده و حینئذ احتاط یوسف للناس فی غلاتهم و جمعها اتم جمع فبلغ مبلغا عظیما و ذخائر هائلة و ورد
علیه الناس من سائر الاقالیم یمتارون لانفسهم و عیالهم و کان لا یعطی الرجل اکثر من حمل بعیر فی السنة و کان علیه السلام لا یشبع
نفسه و لا یاکل هو و الملک و جنوده الا اکلة واحدة فی وسط النهار حتی یکفی الناس ما فی ایدیهم مدة السبع سنین و کان
رحمة من الله تعالی علی اهل مصر و ما ذکره بعض المفسرین من انه باعهم الغلات فی تلک السنین کل سنة بعوض من المال او
المتاع حتی وصل الی ان باعوا منه الاولاد ثم اعتقهم و رد علیهم الاموال کلها هو من الاسرائیلیات و الغرض ان من جملة
من ورد للمیرة اخوة یوسف بامر ابیهم لهم فی ذلک لما بلغهم ان عزیز مصر یعطی الناس الطعام بثمنه فاخذوا معهم
بضاعة یتعاوضون بها الطعام و کانوا الاخوة العشرة و احتبس یعقوب عنده بنیامین شقیق یوسف و کان احب ولده
الیه بعد یوسف فلما دخلوا علی یوسف و هو جالس علی ابهته و ریاسته و سیادته عرفهم حین نظر الیهم و هم له منکرون
ای لا یعرفونه لانهم فارقوه و هو صغیر و باعوه للسیارة و لم یدروا این ذهبوا به و لم یستشعروا فی انفسهم انه یصیر الی ما صار
الیه فلهذا لم یعرفوه و اما هو فعرفهم قال السدی و غیره انه شرع یخاطبهم و قال لهم کالمنکر علیهم ما اقدمکم بلادی
قالوا ایها العزیز انا قدمنا للمیرة قال فلعلکم عیون قالوا معاذ الله قال فمن این انتم قالوا من بلاد کنعان و ابونا یعقوب نبی الله
قال و له اولاد غیرکم قالوا نعم کنا اثنی عشر فذهب اصغرنا هلک فی البریة و کان احبنا الی ابیه و بقی شقیقه فاحتبسه
ابوه لیتسلی به عنه فامر بانزالهم و اکرامهم و لما جهزهم بجهازهم ای وفاهم کیلهم و حمل لهم احمالهم قال ائتونی باخ لکم
الذی ذکرتم لاعلم صدقکم فیما ذکرتم الا ترون انی اوفی الکیل و انا خیر المنزلین یرغبهم فی الرجوع الیه ثم رهبهم فقال
فان لم تاتونی به فلا کیل لکم عندی و لا تقربون ای ان لم تقدموا به معکم فی المرة الثانیة فلیس لکم عندی میرة و لا تقربون
قالوا سنراود عنه اباه و انا لفاعلون ای سنحرص علی مجیئه الیک بکل ممکن و لا نبقی مجهودا لتعلم صدقنا فیما قلناه قیل و
اخذ منهم رهائن حتی یقدموا به معهم و فیه نظر لانه احسن الیهم و رغبهم کثیرا فی الرجوع الیه **وقال لفتیانه اجعلوا**
بضاعتهم فی رحالهم لعلهم یعرفونها اذا انقلبوا الی اهلهم لعلهم یرجعون ای و قال لغلمانه اجعلوا
بضاعتهم و هی التی قدموا بها لیمتاروا عوضا عنها فی رحالهم ای فی امتعتهم من حیث لا یشعرون لکی یرجعوا بها قیل تذمم
ان یاخذ من ابیه و اخوته عوضا عن الطعام و قیل خشی یوسف ان لا یکون عندهم بضاعة اخری یرجعون للمیرة بها و قیل اراد
ان یردهم اذا وجدوها فی متاعهم تحرجا و تورعا لانه کان یعلم منهم ذلک **فلما رجعوا الی ابیهم قالوا یا ابانا**
منع منا الکیل فارسل معنا اخانا نکتل و انا له لحافظون قال هل آمنکم علیه الا کما امنتکم
علی اخیه من قبل فالله خیر حافظا و هو ارحم الراحمین اخبر تعالی انهم لما رجعوا الی ابیهم قالوا یا ابانا منع
منا الکیل یعنون بعد هذه المرة ان لم ترسل معنا اخانا بنیامین فارسله معنا نکتل قرأ بعضهم بالیاء ای یکتل هو و انا
له لحافظون ای لا تخف علیه فانه سیرجع الیک و هذا کما قالوا له فی یوسف ارسله معنا غدا یرتع و یلعب و انا له لحافظون
و لهذا قال هل آمنکم علیه الا کما امنتکم علی اخیه من قبل ای هل انتم صانعون به الا کما صنعتم باخیه من قبل تغیبونه عنی و
تحولون بینی و بینه فالله خیر حفظا و فی بعضهم حافظا و هو ارحم الراحمین بی و سیرحم کبری و ضعفی و وجدی علی

[illegible]

وَيجمع شمله به انه ارحم من كل رحيم ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا
ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك
كيل يسير قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم فلما اتوه
موثقهم قال الله على ما نقول وكيل اى ولما فتح اخوة يوسف متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم وهي التي
كان امر يوسف فتيانه بوضعها في رحالهم فلما وجدوها في متاعهم قالوا يا ابانا ما نبغي اى ما نريد هذه بضاعتنا ردت الينا
اى ما نطلب وراء هذا ان بضاعتنا ردت الينا وقد اوفى لنا الكيل ونمير اهلنا اي اذا ارسلت اخانا معنا نأتي بالميرة
الى اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير وذلك ان يوسف كان يعطي الرجل حمل بعير فجاد ذلك كيل يسير اى هذا قليل
لا يكفينا واهلنا وقيل اي سهل بلا مؤنة ولا مشقة قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله اي تحلفوا بالعهود و
المواثيق لتأتنني به الا ان يحاط بكم اي الا ان يهلكوا كلكم ولا تقدرون على تخليصه فلما اتوه موثقهم اكده عليهم فقال الله على ما
نقول وكيل قال ابن اسحق وانما فعل ذلك لانه لم يجد بدا من بعثهم لاجل الميرة التي لا غنى بهم عنها فبعثه معهم وقال
يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم من الله من شيء ان الحكم
الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان
يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس
لا يعلمون اخبر تعالى عن يعقوب انه امر بنيه لما جهزهم مع اخيهم بنيامين الى مصر ان لا يدخلوا كلهم من باب واحد و
ليدخلوا من ابواب متفرقة قال ابن عباس وغير واحد انه خشي عليهم العين وذلك انهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة
فان العين حق تستنزل الفارس عن فرسه وقوله وما اغني عنكم من الله من شيء اى هذا الاحتراز لا يرد القضاء والقدر
فان الله اذا اراد شيئا كان ولا مانع له ان الحكم الا لله اى ما الحكم الا لله فاله مفوضا اموره الى الله عليه توكلت اى اعتمدت ولما
دخلوا من حيث امرهم ابوهم اى من الابواب المتفرقة الى المدينة قدماء ما كان يغني اى يدفع عنهم من الله من شيء صدق الله يعقوب
فيما قال الا حاجة اى مرادا في نفس يعقوب قضاها اشفق عليهم اشفاق الآباء على الابناء وجرى الامر عليهم وانه اى يعقوب
لذو علم اى كان يعمل ما يعمل بالعلم لا عن الجهل لما علمناه اي لتعليمنا اياه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ما يعلم يعقوب لانهم لم
يسلكوا طريق اصابة الحق والعلم ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه قال اني انا اخوك فلا تبتئس بما
كانوا يعملون اخبر تعالى عن اخوة يوسف ومعهم اخوه بنيامين فادخلهم دار كرامته وافاض عليهم الصلة و
الالطاف والاحسان واختلى باخيه فاطلعه على شانه وما جرى له وعرفه انه اخوه وقال له وتواطأ معه انه سيحتال
على انه يبقيه عنده معززا مكرما فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه ثم اذن مؤذن ايتها
العير انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل
بعير وانا به زعيم اى لما حمل لهم ابعرتهم طعاما امر بعض فتيانه ان يضع السقاية وهي اناء من فضة او ذهب كان يشرب
فيه ويكيل للناس به من غرة الطعام اذ ذاك قاله ابن عباس وغير واحد وكان مثل المكوك فوضعها في متاع بنيامين من حيث لا
يشعر احد منهم فنادى مناد منهم ايتها العير انكم لسارقون فالتفتوا الى المنادي وقالوا ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك
اي صاعه الذي يكيل به ولمن جاء به حمل بعير اى من الطعام وانا به زعيم اى كفيل يقوله المؤذن قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا

ما للنفي اي ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا ليعقوب انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته او على الاستفهام ويعني اي شيء نطلب وراء هذا

وقد اشتهروا اهل مصر بالقرب والعزة عند الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح الابصار اليهم من بين الوفود وان يشار اليهم بالاصابع ويقال هؤلاء اضياف الملك انظروا اليهم ما احسنهم فتيان وما احقهم بالاكرام فخاف لذلك ان يدخلوا كوكبة واحدة فيصيبهم بالعين فان العين حق ولذلك لم يوصهم بالتفرق في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس ٢

آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين روى انهم قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه معه على مائدته وجعل يواكله وقال انتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك ٢

[illegible]

[illegible]

لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله
فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه
كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق
كل ذي علم عليم اي لقد تحققتم وعلمتم منذ عرفتمونا اي بالسيرة الحسنة انا ما جئنا للفساد في الارض وما كنا سارقين اي ليست
سجايانا تقتضي السرقة فقال لهم الفتيان المنادون فما جزاؤه يعني اى شيء عقوبة السارق ان كان فيكم ان كنتم كاذبين قالوا
جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اى جزاء السارق ان يسلم هو برقبته الى المسروق منه فيسترقه وهكذا كانت شريعة
ابرهيم ان السارق يدفع الى المسروق منه وهذا هو الذي اراد يوسف ولهذا بدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه اى فتشها قبل
توريةً فاخذه منهم باعترافهم والزامهم كذلك نجزي الظالمين اى الفاعلين ما ليس لهم فعله من السرقة ونحوها وقوله
كذلك كدنا ليوسف الكيد هنا التدبير اى كما فعلوا في الابتداء بيوسف فعلنا بهم وهذا من الكيد المحبوب المراد الذي
يحبه ويرضاه لما فيه من الحكمة والمصلحة المطلوبة وقوله ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك اى لم يكن له اخذه في حكم ملك مصر
وانما قدر الله له ان التزم له اخوته بما التزموه وهو كان يعلم ذلك من شريعتهم ولهذا مدحه تعالى فقال نرفع درجات من نشاء
اى بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على اخوته وفوق كل ذي علم عليم قال الحسن ليس عالم الا وفوقه عالم حتى ينتهي الى الله عز وجل و
في قراءة ابن مسعود وفوق كل عالم عليم قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها يوسف في نفسه ولم
يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون لما رأت اخوة يوسف قد اخرج الصواع من متاع بنيامين قالوا
ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل متنصلين من التشبه به ذاكرين ان هذا فعل كما فعل اخ له من قبل يعنون به يوسف قال
ابن جبير وقتادة كان يوسف قد سرق صنما لجده ابي امه فكسره وعن مجاهد قال كان اول ما دخل على يوسف من البلاء
ان عمته ابنة اسحق وكانت اكبر ولد اسحق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكان يعقوب حين ولد له يوسف قد حضنته
عمته وكان معها واليها فلم يحب احد شيئا حبها اياها حتى اذا ترعرع وقعت نفس يعقوب عليه فاتاها فقال يا
اخية سلمي الي يوسف فوالله ما اقدر على ان يغيب عني ساعة قالت فوالله ما انا بتاركته قالت فدعه عندي اياما
انظر اليه لعل ذلك يسليني عنه فلما خرج من عندها عمدت الى منطقة اسحق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه ثم قالت
فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها ومن اصابها فالتمست ثم قالت اكشفوا اهل البيت فكشفوهم فوجدوها مع
يوسف فقالت والله انه لسلم الي اصنع فيه ما شئت فاخبر يعقوب بذلك فقال ان كان فعل ذلك فهو سلم لك فامسكته عندها
حتى ماتت قال فهو الذي يقول له اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل وقوله فاسرها يوسف اى الكلمة التي بعدها
وهي قوله انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون اي تذكرون قالها في نفسه ولم يبدها لهم وهذا من الاضمار قبل الذكر وهو كثير
كقول الشاعر: جزى بنوه ابا الغيلان عن كبر ⁂ وحسن فعل كما يجزى سنمار ⁂ وله شواهد كثيرة من القرآن والحديث قالوا
يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان نأخذ الا
من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون لما ظهر ذلك على بنيامين وتقرر تركه عند يوسف بمقتضى عرفهم
شرعوا في الشفاعة له ويعطفوه اليهم فقالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا يحبونه ويحبه حبا شديدا وكان يتسلى به
عن ولده الذي فقده فخذ احدنا مكانه اي بدله يكون عندك عوضا عنه انا نراك من المحسنين اى من العادلين المنصفين

على وجه الارتهان
او الاستعباد

استشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وامانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا وافواه رواحلهم مسدودة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد من اهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم ٢

بدأ بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فاستخرجوه منه ٢

روي انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكسوا رؤوسهم حياء واقبلوا عليه وقالوا له ما الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء حتى اخذت هذا الصاع

حزمت الشيء احزمه حزما اذا شددته

استعطفوه باذكارهم اياه حق ابيهم يعقوب وانه شيخ كبير السن او كبير القدر وان بنيامين احب اليه منهم وكانوا قد اخبروه بان ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه مستأنس باخيه ٢

[illegible]

قال معاذ الله الى آخره اى كما قلتم و اعترفتم نفعل و لا نأخذ بريئا بسقيم فانا اذا لظالمين فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن ابرح الارض حتى ياذن لي ابي او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون اي لما يئس اخوة يوسف من تخليص اخيهم بنيامين خلصوا اي انفردوا واعتزلوا الناس يتناجون فيما بينهم قال كبيرهم و هو روبيل و قيل يهوذا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله لتردنه اليه فقد رايتم كيف يتعذر عليكم ذلك مع ما تقدم لكم من اضاعة يوسف عنه فلن ابرح الارض اى لن افارق هذه البلدة حتى ياذن لي ابي في الرجوع اليه راضيا عني او يحكم الله لي بان يمكنني من اخذ اخي سلما او حربا و هو خير الحاكمين اى اعدل من فصل بين الناس ثم امرهم ان يخبروا اباهم بصورة ما وقع حتى يكون عذرا لهم عنده فقال ارجعوا الى ابيكم فاخبروه ان بنيامين سرق اى نسب اليه السرقة و لهذا قرا بعضهم بضم السين و كسر الراء و ما شهدنا الا بما علمنا اى ما قلنا هذا الا بما علمنا فانا راينا اخراج الصواع من متاعه و ما كنا للغيب حافظين اى ما علمنا في الغيب انه سرق شيئا و اسئل القرية اى اهل مصر و قيل غيرها و العير التي اقبلنا فيها اى التي رافقناها عن صدقنا و امانتنا و انا لصادقون فيما اخبرناك به من انه سرق و اخذوه بسرقته قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين قال انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون قال ابن اسحق لما جاؤا يعقوب و اخبروه بما جرى اتهمهم و ظن انها كفعلهم بيوسف فقال بل سولت لكم انفسكم امرا قيل و لهذا صح هذا القول منه ثم ترجى من الله ان يرد عليه اولاده الثلثة يوسف و بنيامين و روبيل الذي اقام بمصر ينتظر من الله فيه اما ان يرضى عنه ابوه فيامره بالرجوع اليه و اما ان ياخذ اخاه خفية و لهذا قال عسى الله ان ياتيني بهم جميعا انه هو العليم بحالي الحكيم في افعاله و قضائه و تولى عنهم اي اعرض عن بنيه و قال متذكرا حزن يوسف القديم يا اسفى على يوسف جدد له حزن الاثنين الحزن الاول و ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم اى ساكت لا يشكو امره الى مخلوق و هو كميد حزين فحينئذ رق له بنوه و قالوا له على سبيل الرفق به و الشفقة عليه تالله تفتؤ تذكر يوسف اي لا تفارق تذكر يوسف حتى تكون حرضا اي ضعيف الجسم ضعيف القوة او تكون من الهالكين يقولون و ان استمر بك هذا الحال خشينا عليك الهلاك و التلف قال انما اشكو بثي و حزني الى الله اي اجابهم بقوله انما اشكو بثي اى همي و حزني و ما انا فيه الى الله وحده و اعلم من الله ما لا تعلمون اي ارجو منه كل خير و قال ابن عباس يعني رؤيا يوسف انها صدق و ان الله لا بد ان يظهرها يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين اخبر تعالى عن يعقوب انه ندب بنيه بالذهاب مستعلمين اخبار يوسف و اخيه بنيامين و التحسس و هو التفحص يكون في الخير و التجسس بالجيم يكون في الشر و الضمير و بشرهم ان لا ييأسوا من فرج الله اي لا تقنطوا من رحمة الله و فرجه و لا تقطعوا رجاءكم و املهم من الله فيما يرجونه و يقصدون له فانه لا يقطع الرجاء من الله الا

بل سولت لكم امرا اردتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم

روي ان يعقوب كتب كتابا الى يوسف حين حبس بنيامين من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابريهم خليل الله اما بعد فانا اهل بيت وكل بنا البلاء اما جدي ابريهم فشدت يداه و رجلاه والقي في النار فجعلها الله عليه بردا و سلاما واما ابي فشدت يداه ورجلاه و وضع السكين على قفاه ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به وانك حبسته وزعمت انه سرق وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته الي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرا يوسف [illegible]

[illegible]

القوم الكافرون و قوله فلما دخلوا عليه تقديره فذهبوا فدخلوا مصر و دخلوا على يوسف قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر اي من الجدب و القحط و جئنا ببضاعة مزجاة اى و معنا ثمن الطعام الذي نمتاره و هو ثمن قليل ردي لا ينفق لنقصان عيانه و قيل اجناس مثل الغرارة و الحبال و قيل الصنوبر و حبة الخضراء و اصل الازجاء الدفع بضعف الشيء كما قال حاتم الطائي

ليبك على ملحان ضيف مدفع و ارملة تزجي مع الليل ارملا

و قوله اخبارا عنهم فاوف لنا الكيل اي اعطنا بهذا الثمن القليل ما كنت تعطينا قبل ذلك و قرا ابن مسعود فاوقر ركابنا و تصدق علينا اى برد اخينا الينا و قيل اى تتفضل هذه البضاعة المزجاة قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون قالوا ءانك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين قالوا تالله لقد اثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين لما ذكر اخوته ما اصابهم من الجهد و الضيق و قلة الطعام و عموم الجدب و تذكر يوسف اباه و ما هو فيه من الحزن لفقد ولديه مع ما فيه من الملك و السعة اخذته رأفة و رحمة و شفقة على ابيه و اخوته و بدره البكاء فتعرف اليهم فيقال انه رفع التاج من جبهته و كان فيها شامة و قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف و اخيه يعني كيف فرقتما اذ انتم جاهلون اي انما حملكم على هذا الجهل بما يؤول اليه امر يوسف و انتم عاصون فان كل من عصى الله فهو جاهل و الظاهر ان يوسف انما تعرف اليهم بنفسه باذن الله له في ذلك كما انه انما اخفى منهم نفسه في المرتين الاولتين بامر الله في ذلك و الله اعلم فعند ذلك قالوا ءانك لانت يوسف و قرا ابي بن كعب و انك يوسف و قرا ابن محيصن انت يوسف و المشهورة الاولى لان الاستفهام يدل على الاستعظام اى انهم تعجبوا من ذلك لانهم يترددون اليه من سنتين و اكثر و هم لا يعرفونه و هو يعرفهم و يكتم نفسه فلهذا قالوا على سبيل الاستفهام ءانك لانت يوسف قال انا يوسف و هذا اخي قد من الله علينا اي بجمعه بيننا بعد التفرقة و بعد المدة انه من يتق و يصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين قالوا تالله لقد اثرك الله اى اختارك و فضلك علينا و ان كنا لخاطئين اى في صنيعنا بك قالوا ذلك معترفين له بالفضل و الاثرة عليهم في الخلق و الخلق و الملك و النبوة ايضا على قول من لم يجعلهم انبياء و اقروا بانهم اساؤا و اخطأوا في حقه قال لا تثريب عليكم اليوم اي لا تعيير عليكم و لا اذكر لكم ذنبكم بعد اليوم ثم زاد الدعاء لهم بالمغفرة فقال يغفر الله لكم و هو ارحم الراحمين اي يستر الله لكم ما فعلتم و هو ارحم من كل رحيم اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا واتوني باهلكم اجمعين ولما فصلت العير قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم كان يعقوب قد عمي من كثرة البكاء على حزنه فلهذا يات بصيرا و اتوني باهلكم اجمعين اى بجميع بني يعقوب و اهل بيته و لما فصلت العير اى خرجت من مصر قال ابوهم يعني يعقوب لمن كان عنده من بنيه اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون اي لولا ان تنسبوني الى الفند و هو فساد العقل في الكبر و قيل اي تسفهون قال ابن عباس لما خرجت العير هاجت ريح فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف فوجد ريحه من مسيرة ثمانية ايام فقال اني لاجد ريح يوسف قال الحسن و ابن جريج كان بينهما ثمانون فرسخا و كان بينه و بينه منذ افترقا ثمانون سنة و قولهم انك لفي ضلالك القديم الضلال هو الذهاب عن طريق الصواب اى في خطائك القديم يعني من حب يوسف لا تنساه و لا تترك ذكره و لعل هذا القول لم يكن في بنيه مع الاب اثنا فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون

[illegible]

قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم
قال ابن عباس وغيره البشير البريد وقال مجاهد والسدي هو يهوذا ابن يعقوب وانما جاء به لانه هو الذي جاء بالقميص وهو
ملطخ بدم كذب فاحب ان يغسل ذلك فجاء بالقميص فالقاه على وجه ابيه فرجع بصيرا فقال لبنيه الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا
تعلمون اي اعلم ان الله سيرده الي وقلت لكم اني لاجد ريح يوسف فعند ذلك قالوا لابيهم خاشعين خاضعين له يا ابانا استغفر
لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي قال ابن مسعود وغير واحد ارجاهم الى وقت السحر وقيل وكان ليلة الجمعة
كما جاء في الحديث المسند يعني حتى تاتي ليلة الجمعة وهو قول اخي يعقوب لبنيه وهو غريب وموقوف اصح فلما دخلوا على
يوسف آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع ابويه على العرش وخروا
له سجدا وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني
من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما
يشاء انه هو العليم الحكيم لما امر يوسف اخوته ان ياتوا باهلهم اجمعين فتحملوا عن آخرهم وترحلوا من بلاد كنعان قاصدين
ديار مصر فلما اخبر يوسف باقترابهم خرج لتلقيهم وامر الملك امراءه واكابر الناس بالخروج مع يوسف لتلقي نبي الله يعقوب
عليه السلام ويقال ان الملك خرج ايضا لتلقيه وهو الاشبه وقد اشكل قوله آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر على كثير من
المفسرين فقال بعضهم في هذا تقديم وتاخير والمعنى وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وآوى اليه ابويه ورفعهما على
العرش وقد رد ابن جرير هذا واجاد في ذلك ثم اختار ما حكاه السدي ان يوسف آوى اليه ابويه لما تلقاهما ثم لما وصلوا
باب البلد قال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وفي هذا نظر ايضا لان الايواء انما يكون في المنزل كقوله آوى اليه اخاه وفي
الحديث من آوى محدثا وما المانع ان يكون قال لهم بعدما دخلوا عليه وآواهم اليه ادخلوا مصر اي اسكنوا مصر ان شاء الله
آمنين مما كنتم فيه من الجهد والقحط ويقال ان الله تعالى رفع عن اهل مصر بقية السنين المجدبة ببركة قدوم يعقوب عليهم
وقوله آوى اليه ابويه اي ضم اليه ابويه قال بعضهم انما كان ابوه وخالته وكانت امه قد ماتت قديما قال ابن جرير كان ابوه
وامه يعيشان ولم يقم دليل على موت امه وظاهر القرآن يدل على حياتها وهذا هو المنصور الذي عليه السياق وقوله
ورفع ابويه على العرش قال ابن عباس وغير واحد يعني السرير اي اجلسهما معه على سريره وخروا له سجدا اي سجد له ابواه
واخوته الباقون وكانوا احد عشر رجلا وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل اي التي كان قصها على ابيه اني رايت
احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين وقد كان هذا سائغا في شرائعهم اذا سلموا على الكبير يسجدون له ولم يزل هذا
جائزا من لدن آدم الى شريعة عيسى عليهم السلام فحرم في هذه الملة وجعل مختصا بجناب الرب تعالى هذا مضمون قول قتادة وغيره وفي الحديث ان
معاذا قدم الشام فوجدهم يسجدون لاساقفتهم فلما رجع سجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا معاذ فقال اني رايتهم يسجدون
لاساقفتهم وانت احق ان يسجد لك يا رسول الله فقال لو كنت آمرا احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها لعظم حقه
عليها وهذا صريح في ان ذلك كان جائزا في شريعتهم ولهذا خروا له سجدا وقوله قد جعلها ربي حقا اي صحيحة صدقا يذكر نعم الله عليه
وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو اي من البادية وكانوا اهل بادية وماشية يسكنون ارض فلسطين من غور
الشام وقوله من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد بيننا ان ربي لطيف لما يشاء اي اذا اراد امرا قيض له اسبابا و
يسره وقدره انه هو العليم بمصالح عباده الحكيم في افعاله واقواله وقضائه قال سلمان الخير كان بين رؤيا يوسف وتاويلها اربعون سنة

وقال الحسن

روى ان يعقوب سال البشير كيف يوسف قال انه ملك مصر فقال يعقوب ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة

[illegible]

وقال الحسن كان منذ فارق يوسف يعقوب الى ان التقيا ثمانون سنة لم يفارق الحزن قلبه ودموعه تجري على خديه
وما على وجه الارض عبد احب الى الله من يعقوب قال ابن اسحق ذكروا والله اعلم ان غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثماني عشرة
سنة قال واهل الكتاب يزعمون انها كانت اربعين سنة او نحوها وان يعقوب بقي مع يوسف بعد ان قدم عليه مصر سبع عشرة
سنة ثم قبضه الله اليه قال ابن مسعود دخل بنو اسرائيل مصر وهم ثلثة وستون وقيل ستة وثمانون انسانا وخرجوا منها
وهم ستمائة وسبعون الفا رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليي
في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين هذا دعاء من يوسف الصديق دعا به ربه تعالى لما تمت النعمة عليه
باجتماعه بابويه واخوته وما من الله به عليه من النبوة والملك سال ربه تعالى كما اتم نعمته عليه في الدنيا ان يستمر بها عليه في الآخرة
وان يتوفاه مسلما حين يتوفاه وان يلحقه بالصالحين وهم اخوانه من النبيين والمرسلين ويحتمل ان يوسف دعا بهذا الدعاء عند احتضاره
ويحتمل انه سال الوفاة على الاسلام واللحاق بالصالحين اذا حان اجله وانقضى عمره لا انه سال ذلك منجزا ويحتمل انه سال ذلك
منجزا وكان ذلك سائغا في ملتهم وهو اول من سال الوفاة على الاسلام كما قال ابن عباس انه اول نبي دعا بذلك ولكن
لا يجوز في شريعتنا ان تسال الموت منجزا لما في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يتمنين احدكم الموت من ضر اصابه
اما محسنا فلعله ان يزداد خيرا واما مسيئا فلعله ان يستعتب ولكن ليقل اللهم احيني ما كانت الحيوة خيرا لي وتوفني
اذا كانت الوفاة خيرا لي الا اذا خاف فتنة في الدين فحينئذ يجوز سؤال الموت كما دعا السحرة لما هددهم فرعون واراد هم
عن دينهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتان يكرههما ابن آدم الموت
والموت خير للمؤمن من الفتنة ويكره قلة المال وقلة المال اقل للحساب رواه احمد وذكر ان يعقوب لما استغفر لبنيه بالغ
في [illegible] سنين حتى تاب الله عليهم وعفا عنهم وغفر لهم وذكر السدي ان يعقوب لما حضره الموت اوصى الى يوسف بان يدفن
عند ابرهيم واسحق فلما مات صبره وارسله الى الشام ودفن عندهما عليهم السلام ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك
وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما
تسالهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين لما قص الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم نبا اخوة يوسف وكيفية
رفعه عليهم وجعل العاقبة والنصرة مع ما اراده من النبوة له قال له من اخبار الغيوب السابقة نوحيه اليك ونعلمك به
لما فيه من العبرة لك والاتعاظ لمن خالفك وما كنت حاضرا عندهم ولا مشاهدا لهم اذ اجمعوا امرهم اي على القائه في الجب
وهم يمكرون به ولكنا اعلمناك به وحيا اليك وانزلناه عليك كما قال تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم الآية وغيرها
من الآيات تقرر تعالى انه رسوله وانه قد اطلعه على انباء ما قد سبق مما فيه عبرة للناس ونجاة لهم في دينهم ودنياهم ومع ذلك
ما آمن اكثر الناس ولهذا قال وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وقال في آية اخرى وما كان اكثرهم مؤمنين وقوله وما
تسالهم عليه من اجر اي وما تسالهم يا محمد على هذا النصح والدعاء الى الخير والرشد من اجر اي جعالة ولا اجرة على ذلك بل تفعله
ابتغاء وجه الله ونصحا لخلقه ان هو الا ذكر للعالمين اي يتذكرون به ويهتدون وينجون به في الدنيا والعقبى وكاين
من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون ا
فامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون اخبر تعالى عن غفلة الناس عن التفكر
في آيات الله ودلائل توحيده بما خلقه في السموات والارض من كواكب زاهرات ثوابت وسيارات وافلاك دائرات وكم في الارض

حكى اهل التاريخ اقام يوسف بمصر اربعا وعشرين سنة في اغبط حال وابنا عش ثم مات بمصر فلما حضرته الوفاة اوصى الى ابنه يوسف ان يحمل جسده ويدفنه عند ابيه اسحق ففعل يوسف ومضى به حتى دفنه بالشام ثم انصرف الى مصر

انت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي

اي آنكه زمين است در خواب مرو
زنهار كه ناساخته اسباب مرو
در منزل خاك عمر دادي بر باد
در ره گذر آتش است بي آب مرو

[illegible]

[illegible]

من قطع متجاورات وحدائق وجنات وجبال راسيات وبحار زاخرات وامواج متلاطمات وقفار شاسعات وكم احياء
واموات وجمادات ونبات متشابهه ومختلفات في الطعوم والروائح والالوان والصفات فسبحان خالق الارض و
السموات ذي الاسماء والصفات وقوله وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون قال ابن عباس من ايمانهم اذا قيل لهم
من خلق السموات من خلق الارض من خلق الجبال قالوا الله وهم مشركون وكذا قاله كثيرون في قوله وهكذا في الصحيح ان المشركين
كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وفي مسلم انهم كانوا اذا قالوا لبيك لا شريك
لك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قد اي حسب حسب لا تزيدوا على هذا وقال الحسن ذاك المنافق يعمل اذا عمل رياء
الناس وهو مشرك بعمله ذاك ثم شرك آخر خفي لا يشعر به غالبا فاعله كما ان حذيفة دخل على مريض فراى في عضده سيرا فقطعه
وانتزعه ثم قرا وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرقى
والتمائم والتولة شرك رواه احمد وابو داود وفي لفظ لهما عنه مرفوعا الطيرة شرك وما منا الا ولكن الله يذهبه
بالتوكل وقوله وما منا الا من قول ابن مسعود وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله وانا اغنى
الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشركه رواه مسلم وعن ابي هريرة قال قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه
يا رسول الله علمني شيئا اقوله اذا اصبحت واذا امسيت واذا اخذت مضجعي قال قل اللهم فاطر السموات والارض عالم
الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه اشهد ان لا اله الا انت اعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه رواه احمد وابو داود
والترمذي وقوله افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله اي فامن هؤلاء المشركون بالله ان ياتيهم امر يغشاهم وعقوبة وقيل
يعني الصواعق والقوارع او تاتيهم الساعة بغتة اي فجاة وهم لا يشعرون بقيامها كما في قوله تعالى افامن الذين مكروا السيات
الاية وكقوله افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون **قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني
وسبحان الله وما انا من المشركين** امر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام ان يخبر الناس ان هذه سبيله اي طريقه
ومسلكه وسنته وهي الدعوة الى شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له يدعو الى الله على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان
هو وكل من اتبعه يدعو الى ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة ويقين وبرهان شرعي والبصيرة هي المعرفة
التي تميز بها بين الحق والباطل وقوله وسبحان الله اي انزه الله من جميع النقائص واجله واعظمه عن ان يكون له شريك و
نظير او عديل او ولد تعالى وتنزه عن ذلك **وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى افلم
يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الاخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون**
اخبر تعالى انما ارسل رسله من الرجال لا من النساء وهذا ما عليه الجمهور كما دل عليه الاية ان الله لم يوح الى امراة من بنات آدم
وحي تشريع وزعم بعضهم ان سارة امراة الخليل وام موسى ومريم ام عيسى نبيات واحتجوا بذلك بان الملائكة بشرت سارة
باسحق ومن وراء اسحق يعقوب وبقوله واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الاية وبان الملك جاء الى مريم فبشرها بعيسى
وبقوله تعالى واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي
مع الراكعين وهذا القدر حاصل لهن ولكن لا يلزم من هذا ان يكن نبيات بذلك فان اراد القائل بنبوتهن هذا القدر من التشريف
فهذا لا شك فيه ويبقى معه في ان هذا هل يكفي في الانتظام في سلك النبوة بمجرده ام لا والذي عليه ائمة اهل السنة والجماعة منهم
ابو الحسن الاشعري انه ليس في النساء نبية وانما فيهن صديقات كما قال تعالى مخبرا عن اشرفهن مريم حيث قال وامه صديقة

قال الاصمعي التولة ما تحبب به
المراة الى زوجها

قوله رب قد آتيتني من الملك [illegible]

فوصفها في

فوصفها في اشرف مقاماتها بالصديقية فلو كانت نبية لذكر ذلك في هذا المقام فهي صديقة بنص القرآن وقال ابن عباس
في قوله من اهل القرى اي ليسوا من اهل السماء كما قلتم وهذا يتعضد بقوله تعالى وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام الاية
والمراد بالقرى المدن لا انهم من اهل البوادي وهذا هو المعروف قال قتادة لان اهل القرى اعلم واحلم من اهل العمود
وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر
على اذاهم رواه احمد وقوله افلم يسيروا في الارض اي افلم يسير هؤلاء المكذبون لك يا محمد في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم اي من الامم المكذبة للرسل كيف دمر الله عليهم وللكافرين امثالها فاذا استقلوا خبر ذلك راوا ان الله قد اهلك الكافرين
ونجا المؤمنين وهذه كانت سنته تعالى في خلقه ولهذا قال ولدار الاخرة خير للذين اتقوا اي وكما انجينا المؤمنين في الدنيا
كذلك كتبنا لهم النجاة في الدار الاخرة ايضا وهي خير لهم من الدنيا واضافة الدار الى الاخرة من قبيل مسجد الجامع وعام الاول و
يوم الخميس افلا تعقلون اي افلا يتنبهون لذلك فيؤمنوا **حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم
نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين** اخبر تعالى ان نصره ينزل على رسله عليهم السلام عند ضيق الحال
وانتظار الفرج من الله في احوج الاوقات الى ذلك كما في قوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله
الا ان نصر الله قريب وفي قوله كذبوا قراءتان احدهما بالتشديد وهي قراءة عائشة والاكثرين عن عروة بن الزبير انه سال
عائشة عن قول الله حتى اذا استياس الرسل قال قلت اكذبوا ام كذبوا فقالت عائشة كذبوا فقلت فقد استيقنوا ان قومهم
كذبوهم فما هو بالظن قالت اجل لعمري لقد استيقنوا بذلك فقلت لها وظنوا انهم قد كذبوا فقالت معاذ الله لم تكن الرسل
تظن ذلك بربها قلت فما هذه الاية قالت هم اتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم فطال عليهم البلاء واستاخر عنهم
النصر حتى اذا استياس الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنت الرسل ان اتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك و
في رواية فقلت لعلها قد كذبوا المخففة قالت معاذ الله رواه البخاري وقال ابن ابي مليكة كانت عائشة تقرا قد كذبوا
مثقلة للتكذيب والقراءة الثانية بالتخفيف كما قرا ابن عباس مخففة وقال معناه ضعف قلوبهم يعني وظنت الرسل
انهم كذبوا فيما وعدوا من النصر وكانوا بشرا فضعفوا ويئسوا وظنوا انهم اخلفوا ثم تلا حتى يقول الرسول والذين
آمنوا معه وهي قراءة اهل الكوفة وابي جعفر وقد روي عن ابن عباس وعن ابن مسعود بالتشديد ايضا وقد انكرت عائشة
من فسرها على وجه التخفيف وانتصر لها ابن جرير ووجه المشهور عن الجمهور وزيف القول الاخر بالكلية ورده واباه
ولم يقبله ولا ارتضاه والله اعلم وقوله جاءهم اي جاء الرسل نصرنا فنجي من نشاء قراءة العامة بنونين اي نحن ننجي من نشاء
وقراءة عاصم ويعقوب بنون واحدة مضمومة وتشديد الجيم ولا يرد باسنا اي عذابنا عن القوم المجرمين يعني المشركين
**لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل
كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** اي لقد كان في خبر المرسلين مع قومهم وكيف انجينا المؤمنين واهلكنا الكافرين
عبرة لاولي الالباب اي لذوي العقول ما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله اي يكذب ويختلق ولكن تصديق الذي
بين يديه اي من الكتب المنزلة من السماء هو يصدق ما فيها من الصحيح وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير ويحكم عليها
بالنسخ او التقرير وتفصيل كل شيء من تحليل وتحريم ومحبوب ومكروه وغير ذلك من الامر بالطاعات الواجبات والمستحبات
والنهي عن المحرمات وما شاكلها من المكروهات والاخبار عن الرب بالاسماء والصفات وتنزيهه عن مماثلة المخلوقات ولهذا

[illegible]

كان هدى ورحمة لقوم يؤمنون يهتدي به قلوبهم من العمى الى الرشاد ومن الضلالة الى السداد ويبتغون به الرحمة من ٣
رب العباد في هذه الحيوة الدنيا ويوم المعاد فيسال الله ان يجعلنا منهم في الدنيا والآخرة

تفسير سورة الرعد وهي مكية

قيل الا قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة وقوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا

بسم الله الرحمن الرحيم

المر تلك آيات الكتاب والذي انزل اليك من ربك هو الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون سبق الكلام
في الحروف المقطعة في اوائل السور في اول سورة البقرة وان كل سورة تبتدأ بهذه الحروف ففيها الانتصار للقرآن وتبيان انه نزل
من عند الله حق لا شك فيه ولا مرية ولا ريب ولهذا قال تلك آيات الكتاب اي هذه آيات الكتاب وهو القرآن وقال مجاهد وقتادة
التورية والانجيل وهو بعيد ثم عطف عليه عطف صفات بقوله والذي انزل اليك من ربك اي يا محمد من ربك الحق
خبر المبتدأ وهو قوله والذي انزل اليك هذا هو الصحيح المطابق لتفسير مجاهد وقتادة وعند ابن جرير ان الواو زائدة او
عاطفة صفة على صفة كما تقدم واستشهد بقول الشاعر: الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة في المزدحم
وقوله ولكن اكثر الناس لا يؤمنون اي مع هذا البيان والجلاء والوضوح لا يؤمن اكثرهم لما فيهم من الشقاق والنفاق **الله
الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل
مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون** اخبر تعالى عن كمال قدرته وعظيم سلطانه الذي باذنه وامره
رفع السموات بغير عمد بل باذنه وامره وتسخيره رفعها عن الارض بعدا لا يدرك مداها فالسماء الدنيا محيطة بجميع الارض
وما حولها من الماء والهواء من جميع جهاتها ونواحيها وارجائها مرتفعة عليها من كل جانب على السواء وبعد ما بينها
وبين الارض من كل جانب مسيرة خمسمائة عام وسمكها في نفسها كذلك ثم السماء الثانية محيطة بالسماء الدنيا وما حوت و
بينهما من البعد مسيرة خمسمائة عام وسمكها ايضا كذلك ثم الثالثة المحيطة بالثانية بما فيها وبينهما خمسمائة عام
وسمكها ايضا كذلك وهكذا الى السابعة كما قال تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن الآية وفي الحديث ما السموات السبع
وما فيهن وما بينهن في الكرسي الا كحلقة ملقاة بارض فلاة والكرسي في العرش كتلك الحلقة في تلك الفلاة وفي رواية والعرش
لا يقدر قدره الا الله وهو من ياقوتة حمراء وقوله بغير عمد ترونها اي هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها وهذا هو اللائق بسياق
الآية والاظهر في القدرة لا ما نسب الى ابن عباس وجماعة انهم قالوا لها عمد ولكن لا نرى لظاهر قوله تعالى ويمسك السماء ان
تقع على الارض الا باذنه وقوله ثم استوى على العرش سبق تفسيره في سورة الاعراف وانه يمر كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه
ولا تعطيل ولا تمثيل تعالى الله علوا كبيرا وقوله وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى قيل المراد انهما يجريان الى انقطاعهما
بقيام الساعة وقيل الى مستقرهما تحت العرش مما يلي الارض من الجانب الاخر فانهما وسائر الكواكب اذا وصلوا هنالك
يكونون ابعد ما يكونون عن العرش لانه على الصحيح الذي قام عليه الدليل قبة مما يلي العالم من هذا الوجه وليس بمحيط كسائر الافلاك
لان له قوائم وحملة يحملونه ولا يتصور هذا في الفلك المستدير وهذا واضح لمن تدبر على ما وردت به الآيات والاحاديث
الصحيحة ولله الحمد والمنة وذكر الشمس والقمر لانهما اظهر الكواكب السيارة السبعة التي هي اشرف واعظم من الثوابت فاذا كان
قد سخر هذه فلان يدخل في التسخير سائر الكواكب بطريق الاولى يدبر الامر اي يقضيه واحده وقوله يفصل الآيات اي يوضح
الآيات والدلالات الدالة على انه لا اله الا هو وانه يعيد الخلق اذا شاء كما ابتدأ خلقه لكي يوقنوا بوعده ويصدقوا
فيما انزل على عبده من عنده **وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها**

زوجين

**زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفي الارض قطع متجاورات
وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض
في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون** لما ذكر تعالى العالم العلوي شرع في بيان قدرته وحكمته في العالم السفلي
فقال وهو الذي مد الارض اي جعلها متسعة ممتدة في الطول والعرض وارساها بجبال راسيات واجرى فيها الانهار
والعيون ليسقي ما فيها من الثمرات المختلفة الالوان والاشكال والطعوم والروائح من كل زوجين اثنين اي من كل
شكل صنفين يغشي الليل النهار اي جعل كلا منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا فاذا ذهب هذا غشيه هذا واذا انقضى هذا
جاء الآخر فيتصرف ايضا في الزمان كما يتصرف ايضا في المكان ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون اي في آلاء الله وحكمه ودلائله
وقوله وفي الارض قطع متجاورات اي متجاور بعضها بعضا مع ان هذه طيبة تنبت ما ينفع الناس وهذه سبخة مالحة لا تنبت
شيئا هكذا عن ابن عباس وموافقيه وكذا يدخل في الآية اختلاف الوان البقاع فهذه تربة حمراء وهذه بيضاء وهذه صفراء
وهذه سوداء وهذه سهلة وهذه محجرة ونحو ذلك وكلها يدل على الفاعل المختار وقوله وجنات من اعناب وزرع ونخيل
يحتمل ان تكون معطوفة على جنات فيكون مرفوعا وان تكون معطوفة على اعناب فيكون مجرورا وقوله صنوان هو الاصول
المجتمعة في منبت واحد كالرمان والتين وغير صنوان ما كان على اصل واحد كسائر النخلات وسائر الاشجار ومنه سمي عم
الرجل صنو ابيه وبه ورد الحديث الصحيح وقوله يسقى بماء واحد اي يسقى ذلك كله بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل
في الثمر والطعم وجاء في الحديث الغريب اي الدقل والفارسي والحلو والحامض اي هذا الاختلاف في اجناس الثمرات و
الزروع في اشكالها وطعومها وروائحها فهذا في غاية الحلاوة وهذا في غاية الحموضة وهذا عفص وهذا عذب وهذا مر
ثم يستحيل الى طعم آخر باذن الله مع ان كلها يستمد من طبيعة واحدة وهو الماء ومع هذا لا ينحصر ولا ينضبط كثرته ففي ذلك
آيات لمن كان واعيا وهذا من اعظم الدلالات على الفاعل المختار الذي بقدرته فاوت بين الاشياء ولهذا قال تعالى ان
في ذلك لآيات لقوم يعقلون **وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد اولئك الذين
كفروا بربهم واولئك الاغلال في اعناقهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** وان تعجب من
تكذيب هؤلاء المشركين بالمعاد مع ما يشاهدونه من آيات الله ودلالته في خلقه على انه القادر على ما يشاء ومع ما يعرفون
به من انه ابتدأ خلق الاشياء فكونها بعد ان لم تكن شيئا مذكورا ثم هم بعد هذا يكذبون خبره في انه سيعيد العالمين خلقا
جديدا ويعجبون من ذلك وقد علم كل عالم وعاقل ان خلق السموات والارض اعظم من خلق الناس وان من بدا الخلق
فالاعادة عليه سهلة ثم نعتهم فقال اولئك الذين كفروا بربهم واولئك الاغلال في اعناقهم اي يوم القيمة يسحبون بها
في النار اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اي ماكثون فيها ابدا لا يحولون عنها ولا يزالون **ويستعجلونك بالسيئة
قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد
العقاب** اي ويستعجلك هؤلاء المكذبون بالسيئة اي بالعقوبة قبل الحسنة كما قال في آية اخرى ويستعجلونك بالعذاب
الآية وغيرها من الآيات الظاهرات وكانوا يطلبون من الرسول ان يأتيهم بعذاب الله من شدة كفرهم وعنادهم وقد خلت
من قبلهم المثلات اي قد اوقعنا نقمتنا بالامم السالفة وجعلناهم مثلة وعبرة وعظة لمن اتعظ به والمثلات جمع
المثلة بفتح الميم وضم الثاء ثم اخبر تعالى انه لولا حلمه وعفوه لعاجلهم بالعقوبة كما قال تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس

العقوبة على
وزن الثمرة

على ظلمهم اى ذو صفح وعفو وستر للناس مع انهم يظلمون ويخطئون بالليل والنهار ثم قرن هذا الحكم بانه شديد العقاب ليعتدل الرجاء والخوف كما فى امثالها من الآيات التى تجمع بين الرغبة والرهبة قال ابن المسيب لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد رواه ابن ابى حاتم **ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه انما انت منذر ولكل قوم هاد** اى يقول المشركون كفرا وعنادا لولا يأتينا بآية اى حجة وعلامة على نبوته قال تعالى انما انت منذر اى انما عليك ان تبلغ رسالة الله التى امرك بها وتخويفهم وليس عليك هداهم وقوله ولكل قوم هاد قال مجاهد اى نبى وقيل قائد وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس انت يا محمد منذر وانا هادى كل قوم وعن بعضهم قال وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره فقال انا المنذر واومأ بيده على منكب على فقال انت الهادى يا على بك يهتدى المهتدون من بعدى قال الشيخ وفى هذا الحديث نكارة شديدة **الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شى عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال** اخبر تعالى عن تمام علمه الذى لا يخفى عليه شى وانه محيط بما تحمله الحوامل من كل اناث الحيوانات كما قال ويعلم ما فى الارحام ومعنى تغيض تنقص وتغيض الارحام الحيض على الحمل وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله ما يعلم ما فى غد الا الله وما يعلم ما تغيض الارحام الا الله ولا يعلم متى ياتى المطر احد الا الله ولا تدرى نفس باى ارض تموت الا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة الا الله رواه البخارى قال ابن عباس ما تغيض الارحام يعنى السقط وما تزداد ما زادت الرحم فى الحمل على ما غاضت حتى ولدته تماما وذلك ان من النساء من تنقص فذلك الغيض ومنهن من تزيد فى الحمل وكل ذلك يعلمه تعالى قال الضحاك حملتنى امى فى بطنها سنتين وولدتنى وقد نبتت ثنيتى قال مجاهد اذا رات المراة الدم دون التسعة زاد على التسعة مثل ايام الحيض قال قتادة شى عنده بمقدار اى باجل حفظ ارزاق خلقه وآجالهم وجعل لذلك اجلا معلوما وقوله عالم الغيب والشهادة اى يعلم كل شى مما يشاهده العباد ومما يغيب عنهم ولا يخفى عليه منه شى الكبير الذى هو اكبر من كل شى المتعال اى على كل شى قد احاط بكل شى علما وقهر كل شى فخضعت له الرقاب ودان له العباد طوعا وكرها **سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال** اخبر تعالى عن احاطة علمه بجميع خلقه وانه سواء منهم من اسر قوله او جهر به فانه يسمعه ولا يخفى عليه شى كما قال وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى وقال يعلم ما تخفون وما تعلنون وقوله ومن هو مستخف بالليل اى مختف فى قعر بيته فى ظلام الليل وسارب بالنهار اى ظاهر ماش فى بياض النهار وضيائه فان كليهما فى علم الله على السواء وقوله له معقبات من بين يديه اى للعبد ملائكة يتعاقبون عليه حرس بالليل وحرس بالنهار يحفظونه من الاسواء والحادثات كما يتعاقب ملائكة آخرون يحفظ الاعمال من خير او شر ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فاثنان عن اليمين وعن الشمال يكتبان الاعمال فصاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه واحد من ورائه وآخر من قدامه فهو بين اربعة املاك بالنهار واربعة بالليل بدلا حافظان وكاتبان كما جاء فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل

ما فى ما تحمل وما تغيض وما تزداد اما موصولة و
اما مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه
يعلم ما تحمله من الولد على اى حال هو من ذكورة
وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول و
قصر وغير ذلك من الاحوال وما تنقصه
الرحم وتزداده عدد الولد فانها
تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلثة و
اربعة ومنه جسد الولد فانه تكون تاما ومخدجا
ومنه مدة ولادته فانها تكون اقل من تسعة
اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابى حنيفة
والى اربع عند الشافعى والى خمس عند مالك و
ان كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى
ويعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شى من
ذلك ومن اوقاته واحواله [illegible]

له معقبات جماعات من الملئكة يتعقب فى
حفظه وكلائته والاصل متعقبات فادغمت
التاء فى القاف كقوله وجاء المعذرون
يعنى المعتذرون [illegible]

وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلوة الصبح وصلوة العصر فيصعد اليه الذين باتوا فيكم فيسالهم وهو اعلم بكم كيف تركتم عبادى فيقولون اتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون وقال مجاهد ما من عبد الا به ملك موكل يحفظه فى نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما منها شى ياتيه يريده الا قال وراءك الا شى ياذن الله فيه فيصيبه وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملئكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياى ولكن الله اعاننى عليه فلا يامرنى الا بخير رواه مسلم وقوله يحفظونه من امر الله قيل المراد حفظهم له من امر الله وبه قال ابن عباس وغير واحد وفى بعض القراءات يحفظونه بامر الله قال ابو امامة ما من آدمى الا معه ملك يذود عنه حتى يسلمه للذى قدر له وقيل يحفظونه من امر الله بامر الله كما جاء فى الترمذى انهم قالوا يا رسول الله ارايت رقى نسترقى بها ودواء نتداوى به هل ترد من قدر الله فقال هى من قدر الله وعن بعضهم ان الله اوحى الى نبى من الانبياء ان قل لقومك انه ليس من اهل قرية ولا اهل بيت يكونون على طاعة الله فيتحولون منها الى معصية الله الا تحول لهم مما يحبون الى ما يكرهون وتصديق ذلك فى كتاب الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم رواه ابن ابى حاتم واذا اراد الله بقوم سوءا اى عذابا ونقمة وهلاكا فلا مرد له اى لا راد ولا مانع له وما لهم من دونه من وال اى ملجأ يلجأون اليه او يلى امرهم ويدفع العذاب عنهم **هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملئكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال** اخبر تعالى انه يسخر البرق وهو ما يرى من النور اللامع ساطعا من خلل السحاب خوفا وطمعا قال قتادة خوفا للمسافر يخاف اذاه ومشقته وطمعا للمقيم يرجو بركته ومنفعته ويطمع فى رزق الله وينشئ السحاب اى يخلقها منشاة جديدة وهى لكثرة مائها ثقيلة قريبة الى الارض ويسبح الرعد بحمده كما قال تعالى وان من شى الا يسبح بحمده وعن شيخ من بنى غفار قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ينشئ السحاب فينطق احسن المنطق ويضحك احسن الضحك رواه احمد والمراد والله اعلم ان نطقها الرعد وضحكها البرق كما قال بعضهم بعث الله الغيث فلا احسن منه مضحكا ولا آنس منه منطقا فضحكه البرق ونطقه الرعد وعن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمع الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك رواه البخارى وكان عبد الله بن عمرو اذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان الذى يسبح الرعد بحمده والملئكة من خيفته ويقول ان هذا لوعيد شديد لاهل الارض رواه مالك فى الموطأ والبخارى فى الادب وقوله ويرسل الصواعق اى يرسلها نقمة ينتقم بها ممن يشاء ولهذا يكثر فى آخر الزمان كما روى ابو سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يكثر الصواعق عند اقتراب الساعة حتى ياتى الرجل القوم فيقول من صعق قبلكم الغداة فيقولون صعق فلان وفلان وفى سبب نزولها اقوال منها قصة عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة لما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فسالاه ان يجعل لهما نصف الامر فابى عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عامر ابن الطفيل اما والله لاملانها عليك خيلا جردا ورجالا مردا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يابى الله عليك وابناء قيلة يعنى الانصار ثم انهما هما بالفتك بالنبى صلى الله عليه وسلم وجعل احدهما يخاطبه والآخر يستل سيفه ليقتله من ورائه فحماه الله تعالى منهما وعصمه فخرجا من المدينة فانطلقا فى احياء العرب يجمعان الناس لحربه عليه الصلوة والسلام فارسل الله على اربد سحابة فيها صاعقة فاحرقته واما عامر بن الطفيل فارسل الله عليه الطاعون فخرجت فيه غدة عظيمة فجعل يقول

خوفا وطمعا لا يصح ان يكون مفعولا لهما لانهما ليسا
بفاعل الفعل المعلل الا على تقدير خوف العقاب
اى ارادة خوف او طمع ومعنى الخوف والطمع
ان وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق و
يطمع فى الغيث

ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان الذى
يسبح الرعد بحمده والملئكة من خيفته وهو
على كل شى قدير فان اصابته صاعقة
فعلى ديته

يا آل عامر غدة كغدة البكر وموت في بيت سلولية حتى مات وانزل الله في مثل ذلك ويرسل الصواعق فيصيب بها من
يشاء وفي ذلك يقول لبيد بن ربيعة اخو اربد بن ربيعة يرثيه . اخشى على اربد الحتوف ولا . ارهب نوء السماك والاسد
فجعني الرعد والصواعق بالفارس يوم الكريهة النجد . وروى هذه القصة ابو القاسم الطبراني باسط منها وقوله
وهم يجادلون في الله اي يشكون في عظمته وانه لا اله الا هو وهو شديد المحال قال ابن جرير شديد مماحلته اي مماكرته
ومغالبته وعقوبته من طغى عليه وعتى وتمادى في كفره والمحال تطلق على القوة والحقد والعقوبة والمكر وهذه الآية
شبيهه بقوله ومكروا مكرا ومكرنا مكرا الآية له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم
بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال قال علي
ابن عباس دعوة الحق التوحيد وهو لا اله الا الله والذين يدعون من دونه اي ومثل الذين يعبدون آلهة غير الله كباسط
كفيه الى الماء اي كمثل الذي يتناول الماء من طرف البئر بيده وهو لا يناله ابدا بيده فكيف يبلغ فاه وقال مجاهد يدعو الماء
بلسانه ويشير اليه فلا ياتيه ابدا وقيل اي كقابض يده على الماء فانه لا يحكم منه على شيء كما قال الشاعر
فاني واياكم وشوقا اليكم . كقابض ماء لم يسقه انامله . والمعنى ان هذا الذي يبسط يده الى الماء اما قابضا واما متناولا
من بعد كما انه لا ينتفع بذلك فكذلك هؤلاء المشركون لا ينتفعون بآلهتهم ابدا لا في الدنيا ولا في العقبى ولهذا قال وما دعاء
الكافرين الا في ضلال اي وما دعاؤهم اصنامهم الا في ضلال وخسار ولله يسجد من في السموات والارض
طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال اخبر تعالى عن عظمته وسلطانه الذي قهر كل شيء ولهذا يسجد له
كل شيء طوعا وكرها من الكافرين وظلالهم بالغدو اي بالبكرات والآصال جمع اصيل وهو آخر النهار كما قال تعالى اولم
يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله الآية قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء
لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور ام
جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار
قرر تعالى انه لا اله الا هو لانهم معترفون انه هو الذي خلق السموات والارض وهو ربها ومدبرها وهم مع هذا قد اتخذوا
من دونه اولياء يعبدونهم واولئك الآلهة لا تملك لانفسها ولا لعابديها بطريق الاولى نفعا ولا ضرا اي هل يستوي من عبد
هذه الآلهة مع الله ومن عبد الله وحده لا شريك له فهو على نور من ربه ولهذا قال قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل
تستوي الظلمات والنور ام جعلوا لله شركاء اي اجعل هؤلاء المشركون مع الله آلهة تناظر الرب وتماثله في الخلق
خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم فلا يدرون انها مخلوقة من مخلوق غيره اي ليس الامر كذلك فانه لا يشابهه شيء ولا مماثل له
ولا ند له ولا عدل تعالى عن ذلك علوا كبيرا وانما عبد هؤلاء المشركون معه آلهة هم يعترفون انها مخلوقة له كما كانوا يقولون
في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وكما اخبر تعالى عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فانكر
تعالى عليهم حيث اعتقدوا ذلك وهو تعالى لا يشفع عنده احد الا باذنه ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له وكم من ملك
في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى فاذا كان الجميع عبيدا فلم يعبد بعضهم بعضا بلا دليل
ولا برهان بل بمجرد الاختراع والابتداع ثم قد ارسل رسله من اولهم الى آخرهم يزجرهم عن ذلك وينهاهم عن عبادة من سوى الله

يكذبوهم ويخالفوهم فحقت عليهم كلمة العذاب وهو الواحد القهار انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها
فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب
الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال
هذه الآية مشتملة على مثلين مضروبين للحق والباطل في ثباته وبقائه فقال تعالى انزل من السماء ماء اي مطرا فسالت اودية
بقدرها اي اخذ وادٍ بحسبه فهذا كبير وسع كثيرا من الماء وهذا صغير اخذ بقدره وهو اشارة الى القلوب وتفاوتها
فمنها ما يسع علما كثيرا ومنها ما لا يتسع لكثير من العلوم بل يضيق عنها فاحتمل السيل زبدا رابيا اي فجاء على وجه الماء
الذي سال في هذه الاودية زبد وهو الخبث الذي يظهر على وجه الماء رابيا اي عاليا مرتفعا فوق الماء هذا مثل وقوله
ومما يوقدون عليه في النار مثل آخر وهو ما يسبك في النار من ذهب او فضة ابتغاء حلية اي ليجعل حلية او من نحاس
او حديد ليجعل متاعا فانه يعلوه زبد كما تعلو ذلك زبد منه كذلك يضرب الله الحق والباطل اي اذا اجتمعا لا ثبات للباطل
ولا دوام كما ان الزبد لا يثبت مع الماء ولا مع الذهب ونحوه مما يسبك في النار بل يذهب ويضمحل ولهذا قال فاما الزبد فيذهب
جفاء اي لا ينتفع به بل يتفرق ويتمزق ويذهب في جانبي الوادي ويعلق بالشجر وتنسفه الرياح وكذلك خبث الذهب
والفضة والنحاس والحديد يذهب لا يرجع منه الى شيء ويبقى الماء وذلك الذهب ونحوه ينتفع به ولهذا قال واما
ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال قال ابن عباس هذا مثل ضربه الله احتملت منه القلوب على قدر يقينها
وشكها فاما الشك فلا ينفع معه العمل واما اليقين فينفع الله به اهله وهو قوله فاما الزبد فيذهب جفاء وهو الشك
واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض وهو اليقين وكما يجعل الحلي في النار فيوخذ خالصه ويترك خبثه في النار فكذلك يقبل
الله اليقين ويترك الشك وفي رواية اخرى قال وكذلك يضمحل الباطل يوم القيمة واقيم الناس وعرضت الاعمال فيرفع
الباطل ويهلك وينتفع اهل الحق بالحق قيل وهذا تسليه للمؤمنين يعني ان امر المشركين كالزبد يرى في الصورة شيئا وليس له
حقيقه وامر المؤمنين كالماء المستقر في مكانه له البقاء والثبات للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم
يستجيبوا له لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اولئك لهم سوء الحساب وماويهم
جهنم وبئس المهاد اخبر تعالى عن مآل السعداء والاشقياء فقال للذين استجابوا لربهم اي اطاعوا الله ورسوله و
انقادوا لاوامره وصدقوه فلهم الحسنى وهو الجزاء الحسن يعني الجنة وقوله والذين لم يستجيبوا له اي لم يطيعوا الله لو ان
لهم ما في الارض جميعا اي في الآخرة لو ان يمكنهم ان يفتدوا من عذاب الله بملء الارض ذهبا ومثله معه لافتدوا به ولكن لا
يتقبل منهم لانه تعالى لا يتقبل منهم يوم القيمة صرفا ولا عدلا اولئك لهم سوء الحساب اي في الآخرة يناقشون على النقير و
القطمير ومن نوقش الحساب عذب ولهذا قال وماويهم جهنم وبئس المهاد اي ومرجعهم ومصيرهم جهنم في الآخرة
وبئس القرار ما مهد لهم افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب اي لا يستوي
من يعلم من الناس ان الذي انزل اليك من ربك هو الحق اي لا شك فيه ولا لبس بل هو كله حق يصدق بعضه بعضا لا يضاد
شيء منه شيئا آخر فاخباره كلها حق واوامره ونواهيه عدل كما قال تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا اي صدقا في
الاخبار وعدلا في الطلب فلا يستوي من تحقق صحة ما جئت به يا محمد ومن هو اعمى لا يهتدي الى خير ولو فهمه ما انقاد
له ولا فهمه ولا صدقه ولا اتبعه يعني انهما لا يستويان انما يتذكر اي يتعظ ويعتبر اولوا العقول السليمة الصحيحة الذين يوفون

بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون
سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية
ويدرءون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم و
ازواجهم وذرياتهم والملئكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار

اخبر تعالى عمن اتصف بهذه الصفات الحميدة بان لهم عقبى الدار وهي العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ليسوا كالمنافقين الذين اذا عاهد احدهم غدر واذا خاصم فجر واذا حدث كذب واذا اؤتمن خان والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من صلة الارحام والاحسان اليهم والى الفقراء والمحاويج ويخشون ربهم اي فيما يأتون وفيما يذرون من الاعمال يراقبون الله في ذلك ويخافون سوء الحساب في الآخرة فلهذا امرهم على السداد والاستقامة في جميع حركاتهم وسكناتهم وجميع احوالهم القاصرة والمتعدية والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم اي عن المحارم والمآثم ففطموا نفوسهم عن ذلك لله ابتغاء مرضاته واقاموا الصلوة بحدودها ومواقيتها وركوعها وسجودها وخشوعها على الوجه الشرعي المرضي وانفقوا مما رزقناهم اي على الذين يجب عليهم الانفاق لهم من زوجات وقرابات واجانب من فقراء ومحاويج ومساكين سرا وعلانية اي في السر والجهر لم يمنعهم من ذلك حال من الاحوال آناء الليل واطراف النهار ويدرءون بالحسنة السيئة اي يدفعون القبيح بالحسن فاذا آذاهم احد قابلوه بالجميل صبرا واحتمالا وصفحا وعفوا ولهذا اخبر عن هؤلاء بان لهم عقبى الدار ثم فسر ذلك بقوله جنات عدن اي جنات اقامة يخلدون فيها وقال الضحاك عدن مدينة الجنة فيها الرسل والانبياء والشهداء والصلحاء وائمة الهدى والناس حولهم بعد والجنات حولها ومن صلح من آبائهم وازواجهم اي يجمع بينهم وبين احبابهم فيها من الآباء والاهلين والابناء ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين لتقر اعينهم بهم حتى انه ترفع درجة الادنى الى درجة الاعلى من غير تنقيص لذلك الاعلى عن درجته بل امتنانا من الله واحسانا كما قال تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شيء وقوله والملئكة يدخلون عليهم من كل باب اي وتدخل عليهم الملئكة من ههنا ومن ههنا للتهنئة بدخول الجنة عند دخولهم اياها تدخل عليهم الملئكة مسلمين مهنئين لهم بما حصل لهم من الله من التقريب والانعام والاقامة في دار السلام عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون اول من يدخل الجنة من خلق الله قالوا الله ورسوله اعلم قال اول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء المهاجرون الذين تسد بهم الثغور وتتقى بهم المكاره ويموت احدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء فيقول الله لمن يشاء من ملئكته ائتوهم فحيوهم فتأتيهم الملئكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار اي من ابواب قصور الجنة قائلين سلام عليكم بما صبرتم اي بسبب صبركم في الدنيا من المكاره والمشاق فنعم المقام والمنزل جنة الخلد

والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان
يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار

هذا حال الاشقياء وصفاتهم وذكر مآلهم في الآخرة ومصيرهم الى خلاف ما صار اليه المؤمنون كما اتصفوا بخلاف صفاتهم في الدنيا فاولئك كانوا يوفون بعهد الله ويصلون ما امر الله ان يوصل وهؤلاء ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض ولهذا قال اولئك لهم اللعنة وهي الابعاد عن الرحمة ولهم سوء الدار وهي سوء العاقبة والمآل وما واهم جهنم

وبئس القرار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة
الا متاع

ذكر تعالى انه هو الذي يوسع الرزق على من يشاء ويقتره على من يشاء لما له في ذلك من الحكمة والعدل وفرح هؤلاء الكفار بما اوتوا في الحيوة الدنيا استدراجا لهم وامهالا ثم حقر الحيوة الدنيا بالنسبة الى ما ادخره الله لعباده المؤمنين في العقبى فقال وما الحيوة الدنيا في الآخرة الا متاع اي قليل ذاهب كما قال قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال والله ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه فلينظر بم يرجع

ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب
الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات
طوبى لهم وحسن مآب

اخبر تعالى عن قيل المشركين لولا اي هلا انزل عليه آية من ربه كما قالوا فليأتنا بآية كما ارسل الاولون وسبق الكلام عليه غير مرة وفي الحديث ان الله اوحى الى رسوله لما سألوه ان يحول لهم الصفا ذهبا وان يجري لهم ينبوعا وان يزيح الجبال من حول مكة فتصير مكانها مروج وبساتين ان شئت يا محمد اعطيتهم ذلك فان كفروا فاني اعذبهم عذابا لا اعذبه احدا من العالمين وان شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة فقال بل تفتح لهم باب التوبة والرحمة ولهذا قال لرسوله قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب اي هو المضل والهادي سواء بعث الرسول بآية على وفق ما اقترحوا او لم يجبهم الى سؤالهم فان الهداية والاضلال ليس منوطا بذلك ولا عدمه ويهدي اليه من اناب اي ويهدي من اناب الى الله ورجع اليه واستعان وتضرع لديه الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله اي تطيب وتركن الى الله وتسكن عند ذكره وترضى به مولى ونصيرا ولهذا قال الا بذكر الله تطمئن القلوب اي هو حقيق بذلك فان بالقرآن تسكن قلوب المؤمنين وتستقر فيها اليقين الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم اي نعم ما لهم من الخير والغبطة وحسن مآب اي مرجع وقال ابن عباس طوبى بالحبشية ارض الجنة وقيل اسمها بالهندية وقيل طوبى شجرة بالجنة كل شجر الجنة منها اغصانها من وراء سور الجنة وهكذا عن ابي هريرة وابن عباس وغير واحد ان طوبى شجرة في الجنة في كل دار منها غصن منها وعن ابي سعيد الخدري قال ان رجلا قال يا رسول الله طوبى لمن رآك وآمن بك قال طوبى لمن رآني وآمن بي ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني قال له رجل وما طوبى قال شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ثياب اهل الجنة تخرج من اكمامها وفي الصحيحين عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها

كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذي
اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب

اي وكما ارسلناك يا محمد في هذه الامة لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك اي لتبلغهم رسالات الله اليهم كذلك ارسلنا في الامم الماضية الكافرة بالله وقد كذب الرسل من قبلك فلك فيهم اسوة حسنة وكما اوقعنا بأسنا ونقمتنا باولئك فليحذر هؤلاء من حلول النقم بهم فان تكذيبهم لك اشد من تكذيب غيرك من المرسلين وقوله وهم يكفرون اي هذه الامة التي بعثناك فيهم يكفرون بالرحمن لا يقرون به لانهم كانوا يأبون من وصف الله بالرحمن الرحيم ولهذا انفوا يوم الحديبية ان يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم وقالوا لا ندري ما الرحمن الرحيم كما هو مبسوط في البخاري وقوله قل هو ربي اي هذا الذي تكفرون به انا معترف مقر له بالربوبية والالهية هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت اي في جميع اموري واليه متاب اي اليه ارجع وانيب فانه لا يستحق احد ذلك سواه ولو ان

قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى بل لله الامر جميعا افلم ييئس الذين آمنوا
ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم
حتى ياتي وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد يقول تعالى مادحا للقرآن الذي انزله على محمد صلى الله عليه وسلم ومفضلا له
على ما سواه من الكتب المنزلة قبله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال اي ولو كان في الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال عن اماكنها او
تقطع به الارض وتنشق او تكلم به الموتى في قبورها لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره وبطريق الاولى ان
يكون كذلك لما فيه من الاعجاز الذي لا يستطيع الانس والجن عن آخرهم اذا اجتمعوا ان ياتوا بمثله ولا بسورة من مثله ومع هذا
فهؤلاء المشركون كافرون به جاحدون له بل لله الامر جميعا اي مرجع الامور كلها الى الله عز وجل ما شاء كان وما لم يشا لم يكن
وقد يطلق القرآن على كل من الكتب المتقدمة لانه مشتق من الجمع عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خفف على داود القرآن
فكان يامر بدوابه فتسرج فيقرا القرآن قبل ان تسرج دوابه ولا ياكل الا من عمل يديه رواه البخاري والمراد بالقرآن هنا الزبور
وقوله افلم ييئس الذين آمنوا اي من ايمان جميع الخلق ويعلموا او يتبينوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فانه ليس ثم حجة
ولا معجزة ابلغ ولا انجع في النفوس والعقول من هذا القرآن الذي لو انزله الله على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله و
في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من نبي الا وقد اوتي ما آمن على مثله البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا
اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمه معناه ان معجزة كل نبي انقرضت بموته وهذا القرآن حجة باقية الى الابد
لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تشبع منه العلماء هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى
في غيره اضله الله عن عطية العوفي قال قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم لو سيرت لنا جبال مكة حتى تتسع فنحرث فيها او قطعت بنا
الارض كما كان سليمن يقطع لقومه بالريح او احييت لنا الموتى كما كان عيسى يحيي الموتى لقومه فانزل الله هذه الآية وكذا روي
عن ابن عباس وجماعة في سبب نزول هذه الآية وقيل معنى افلم ييئس افلم يعلم وقرا بعضهم افلم يتبين الذين آمنوا قال
ابو العالية قد ايس الذين آمنوا ان يهدوا ولو يشاء الله لهدى الناس جميعا وقوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا
قارعة اي بسبب تكذيبهم لا تزال القوارع تصيبهم في الدنيا او تصيب من حولهم ليتعظوا ويعتبروا وقوله او تحل قريبا من
دارهم اي القارعة هذا هو الظاهر من السياق وقال ابن عباس تصيبهم بما صنعوا قارعة اي عذاب من السماء تنزل عليهم او
تحل قريبا من دارهم يعني نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وقتاله اياهم وكذا قال مجاهد وغير واحد وقوله حتى ياتي
وعد الله قالوا يعني فتح مكة وقال الحسن يعني يوم القيمه وقوله ان الله لا يخلف الميعاد اي لا ينقض وعده لرسله بالنصرة لهم
ولاتباعهم في الدنيا والعقبى كما قال فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت
للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب قال تعالى مسليا لرسوله في تكذيب من كذبه من قومه ولقد استهزئ برسل
من قبلك اي فلك فيهم اسوة حسنة فامليت للذين كفروا اي انظرتهم واجلتهم ثم اخذتهم اخذة رابية فكيف بلغك ما
صنعت بهم وعاقبتهم كما قال وكاين من قرية امليت لها الآية وفي الصحيحين ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد افمن هو قائم على كل نفس بما
كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض ام بظاهر من القول بل زين للذين
كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد اي فمن هو حفيظ عليم رقيب على كل نفس منفوسة
صالحة او طالحة

يعلم ما يعمل

بل لله الامر جميعا على معنيين احدهما بل لله القدرة على كل شي وهو القادر على الآيات التي اقترحوها الا ان علمه بان اظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله ان يلجئهم الى الايمان وهو قادر على الالجاء لولا انه بنى امر التكليف على الاختيار

يعلم ما يعمل العاملون من خير وشر ولا يخفى عليه خافية كما قال يعلم السر واخفى وغير ذلك من الآيات كالاصنام التي عبدوها
لا يسمع ولا يبصر ولا يعقل فحذف هذا الجواب بدلالة قوله وجعلوا لله شركاء اي عبدوا معه من اصنام وانداد قل سموهم
اي اعلمونا بهم واكشفوا عنهم حتى يعرفوا فانه لا حقيقة لهم ولهذا قال ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض اي لا وجود له لانه لو
كان لها وجود في الارض لعلمها ام بظاهر من القول اي بظن وباطل من القول اي انما عبدتم هذه الاصنام بظن منكم انها
تنفع وتضر وسميتموها انتم وآباؤكم آلهة ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس بل زين
للذين كفروا مكرهم اي ما هم عليه من الضلال والدعوة اليه وصدوا عن سبيل الله وقرئ بفتح الصاد اي وصدوا الناس عن
اتباع طرق الرسل وبالضم ايضا اي بما زين لهم من صحة ما هم عليه صدوا به عن سبيل الله ولهذا قال ومن يضلل الله فما
له من هاد كما قال ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا لهم عذاب في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة
اشق وما لهم من الله من واق مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار اكلها
دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ذكر تعالى عقاب الكفار وثواب الابرار فقال
بعد اخباره عن حال المشركين وما هم عليه من الشرك والكفر لهم عذاب في الحيوة الدنيا اي بايدي المؤمنين قتلا واسرا
ولعذاب الآخرة الموعد لهم مع هذا الخزي في الدنيا اشق من هذا بكثير فان عذاب الدنيا له انقضاء وذلك دائم ابدا في نار
هي بالنسبة الى هذه سبعون ضعفا هكذا في الحديث وما لهم من الله اي من عذابه من واق اي مانع يمنعهم منه وقوله مثل الجنة
التي وعد المتقون اي صفتها ونعتها انها تجري من تحتها الانهار اي سارحة في ارجائها وجوانبها وحيث شاء اهلها
يفجرونها تفجيرا اي يصرفونها كيف شاءوا واين شاءوا وقوله اكلها دائم وظلها اي فيها الطعام والفواكه والمشارب
لا انقطاع لها ولا فناء وفي الصحيحين في حديث صلوة الكسوف قالوا يا رسول الله رايناك تناولت شيئا في مقامك هذا ثم
رايناك تكعكعت فقال اني رايت الجنة او اريت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو اخذته لاكلتم منه ما بقيت الدنيا وفي
مسند احمد والنسائي قال زيد بن ارقم جاء رجل من اهل الكتاب فقال يا ابا القسم تزعم ان اهل الجنة ياكلون و
يشربون قال نعم والذي نفس محمد بيده ليعطى قوة مائة رجل في الاكل والشرب والجماع والشهوة قال فان الذي ياكل ويشرب
تكون له الحاجة وليس في الجنة اذى قال تكون حاجة احدهم رشحا يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمر بطنه وكذلك
ظلها لا يزول ولا ينقص ولا يتقلص كما قال تعالى وندخلهم ظلا ظليلا وكثيرا ما يقرن الله بين صفة الجنة وصفة النار لترغب
في الجنة وتحذر من النار ولهذا قال تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب يفرحون
بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعو و
اليه مآب وكذلك انزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من
الله من ولي ولا واق اي القائمون بمقتضى كتاب الله يفرحون بما انزل اليك من القرآن لما في كتبهم من الشواهد على صدقه
والبشارة به كما في آية اخرى يتلونه حق تلاوته الآية وقوله ومن الاحزاب من ينكر بعضه اي ومن الطوائف من يكذب
ببعض ما انزل اليك وهم اليهود والنصارى قل انما امرت اي انما بعثت بعبادة الله وحده لا شريك له كما ارسل الانبياء من
قبلي اليه ادعو اي الى سبيله ادعو الناس واليه مآب اي مرجعي ومصيري وقوله وكذلك انزلناه حكما عربيا اي وكما ارسلنا
قبلك المرسلين وانزلنا عليهم الكتب من السماء كذلك انزلنا عليك القرآن محكما معربا شرفناك به يا محمد وهو الذي لا ياتيه الباطل

لما كان امر الجنة اجل من ان يحيط ادراك البشر بكنهه كما قال سبحانه فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين عبر عن صفتها بالمثل

[illegible]

من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد و لئن اتبعت اهواءهم اي آراءهم من بعد ما جاءك من العلم اي من عند الله
ما لك من الله من ولي ولا واق اي من ناصر ولا حافظ و هذا وعيد لاهل العلم ان يتبعوا سبيل الضلالة بعد ما صاروا
اليه من سبيل الهدى **ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما كان لرسول
ان ياتي باية الا باذن الله لكل اجل كتاب يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب** اي كما ارسلناك
يا محمد رسولا بشريا كذلك قد بعثنا المرسلين قبلك بشرا ياكلون الطعام و يمشون في الاسواق و ياتون الزوجات و يولد لهم
و جعلنا لهم ازواجا و ذرية كما في قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي و في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما
انا فاصوم و افطر و اقوم و انام و آكل اللحم و اتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني و قوله وما كان لرسول ان ياتي
باية اي بمعجزة و خارق عادة الا اذا اذن الله له في ذلك ليس ذلك اليه بل الى الله تعالى يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد و قوله لكل اجل
كتاب اي لكل مدة مضروبة كتاب مكتوب بها وكل شيء عنده بمقدار و قال الضحاك اي لكل كتاب انزله من السماء مدة مضروبة
من الله و مقدار معين فلهذا يمحو ما يشاء منها و يثبت يعني حتى نسخت كلها بالقرآن الذي انزله على محمد عليه الصلوة والسلام
قال ابن عباس في قوله يمحو الله ما يشاء اي يدبر امر السنة فيمحو ما يشاء الا الشقاوة و السعادة و الحيوة و الموت فانه
تدفع منها فلا يتغير ابدا اي في القضاء المبرم و اما في المعلق فهو كما كان شقيق بن سلمة كثيرا يدعو بهذا الدعاء اللهم ان
كنت كتبتنا اشقياء فامحه و اكتبنا سعداء و ان كنت كتبتنا سعداء فاثبتنا فانك تمحو ما تشاء و تثبت و عندك ام الكتاب
و هذا الدعاء منقول عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه و عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليحرم
الرزق بالذنب يصيبه و لا يرد القدر الا الدعاء و لا يزيد في العمر الا البر رواه النسائي و ابن ماجه و ثبت في الصحيح
ان صلة الرحم تزيد في العمر و عن ابن عباس ايضا قال يبدل ما يشاء فينسخه و يثبت ما يشاء فلا يبدله و عنده ام الكتاب
و جملة ذلك عنده في ام الكتاب الناسخ و ما يبدل و ما يثبت كل ذلك في كتاب و هو اللوح المحفوظ **واما نرينك بعض
الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها
من اطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب** اي و اما نرينك يا محمد بعض الذي نعد اعداءك
من الخزي و النكال في الدنيا او نتوفينك قبل ذلك فانما عليك البلاغ اي انما ارسلناك لتبلغهم رسالتي و قد فعلت ما
امرت به و علينا الحساب اي حسابهم و جزاؤهم و قوله اولم يروا قال ابن عباس اولم يروا انا نفتح لمحمد الارض و في
رواية اولم يروا الى القرية تخرب حين تكون العمارة من ناحية تنقصها اي نخربها بنقصان اهلها بالموت و ثمراتها و قال
الحسن و الضحاك هو ظهور المسلمين على المشركين و قال ابن عباس في رواية خرابها بموت الفقهاء و العلماء و اهل الخير منها
كما قال الشاعر: الارض تحيى اذا ما عاش عالمها : متى يمت عالم منها يمت طرف : كالارض تحيى اذا ما الغيث حل بها
وان ابى عاد في اكنافها التلف : و الاولى القول الذي هو ظهور الاسلام على الشرك قرية بعد قرية و كفرا بعد كفر كما قال
تعالى و لقد اهلكنا ما حولكم من القرى الآية و هو اختيار ابن جرير **وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم
ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار** اي مكر اهل الضلال من الامم السالفة برسلهم و ارادوا
اخراجهم من بلادهم فمكر الله بهم و جعل العاقبة للمتقين كما قال تعالى و اذ يمكر بك الذين كفروا الآية و قوله يعلم ما تكسب
كل نفس اي الله عالم بجميع السرائر و الضمائر و سيجزي كل عامل بعمله و سيعلم الكافر و في قراءة الكفار لمن عقبى الدار اي لمن تكون

الدار و

[illegible]

الدار و العاقبة لهم او لاتباع الرسل كلا بل هي لاتباع الرسل في الدارين **ويقول الذين كفروا لست مرسلا
قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب** اي و يكذبك هؤلاء الكفار و يقولون لست مرسلا
من عند الله قل كفى بالله شهيدا اي حسبي الله هو الشاهد علي و عليكم شاهد علي فيما بلغت عنه من الرسالة و شاهد عليكم
ايها المكذبون فيما تفترونه من البهتان و قوله ومن عنده علم الكتاب قيل نزلت في عبد الله بن سلام و امثاله و هذا غريب
منكر لان الآية مكية و هو و امثاله اسلم بالمدينة بعد الهجرة و الاظهر ان المراد به اليهود و النصارى و قال مجاهد هو الله
تعالى و الصحيح ان من عنده اسم جنس احتمل علماء اهل الكتاب الذين يجدون صفة محمد صلى الله عليه وسلم و نعته في كتبهم المتقدمة
من بشارات الانبياء به كما قال تعالى اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل الآية و غيرها من الآيات الناطقة بذلك و ما روى
الحافظ ابو نعيم الاصفهاني في دلائل النبوة ان ابن سلام اسلم بمكة قبل الهجرة و كتم اسلامه و هو ضعيف جدا غريب مخالف لما
في الصحيحين و الله اعلم

سورة ابرهيم عليه السلام مكية بسم الله الرحمن الرحيم

**الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله
الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحيوة
الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد** سبق الكلام على
حروف اوائل السور في اول سورة البقرة كتاب انزلناه اليك اي هذا كتاب انزلناه اليك يا محمد و هو القرآن العظيم الذي هو اشرف
كتاب انزله الله من السماء على اشرف رسول بعثه الله في الارض الى جميع اهلها عربهم و عجمهم لتخرج الناس من الظلمات الى النور
~~اي انما بعثناك يا محمد بهذا الكتاب لتخرج الناس من الظلمات الى النور~~ اي انما بعثناك يا محمد بهذا الكتاب لتخرج الناس مما هم فيه
من الضلال و الغي الى الهدى و الرشد كما قال ليخرجكم من الظلمات الى النور و قوله باذن ربهم اي هو الهادي لمن قدر له الهداية
على يدي رسوله المبعوث عن امره يهديهم الى صراط العزيز الحميد اي العزيز الذي لا يمانع و لا يغالب بل هو القاهر لكل ما سواه
الحميد اي المحمود في جميع افعاله و اقواله و شرعه و امره و نهيه الصادق في خبره و قوله الله الذي له ما في السموات قرا بعضهم
مستانفا مرفوعا و قرا آخرون على الاتباع صفة للجلالة و قوله و ويل للكافرين اي و ويل لهم يوم القيمة اذ خالفوك يا محمد و
كذبوك ثم وصفهم بانهم يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة اي يقدمونها و يؤثرونها عليها و يعملون للدنيا و نسوا الآخرة و تركوها
وراء ظهورهم و يصدون عن سبيل الله و هي اتباع الرسل و يبغونها عوجا اي و يحبون ان تكون سبيل الله عوجا مائلة و
هي مستقيمة في نفسها لا يضرها من خالفها و لا من خذلها فهم في ابتغائهم ذلك في جهل و ضلال بعيد من الحق لا يرجى لهم
و الحالة هذه صلاح **وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي
من يشاء وهو العزيز الحكيم** هذا من لطفه تعالى بخلقه حيث ارسل اليهم رسلا منهم و بلغاتهم ليفهموا عنهم ما يريدون
و ما ارسلوا به اليهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعث الله نبيا الا بلغة قومه رواه احمد و قوله فيضل الله من يشاء
اي بعد البيان و اقامة الحجة عليهم يضل الله من يشاء عن وجه الهدى و يهدي من يشاء الى الحق و هو العزيز الذي ما شاء كان
و ما لم يشأ لم يكن الحكيم في افعاله فيضل من يستحق الاضلال و يهدي من هو اهل لذلك هذا و قد اختص محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعموم الرسالة الى سائر الناس كما في حديث جابر في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت خمسا
لم يعطهن احد من الانبياء منها و كان النبي يبعث الى قومه و بعثت الى الناس عامة كما قال تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله

الاستحباب الايثار والاختيار وهو
استفعال من المحبة لان المؤثر للشيء على
غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون
احب اليها وافضل عندها من الآخر

[illegible]

[illegible]

اليكم جميعا ولقد ارسلنا موسى بآياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور اى وكما ارسلناك يا محمد وانزلنا عليك الكتاب لتخرج الناس كلهم تدعوهم الى الخروج من الظلمات الى النور كذلك ارسلنا موسى فى بنى اسرائيل بآياتنا وهى التسع الآيات ان اخرج قومك اى امرناه قائلا له اخرج قومك اى ادعهم الى الخير ليخرجوا من ظلمات ما كانوا فيه من الجهل والضلال الى نور الهدى وبصيرة الايمان وذكرهم بايام الله اى باياديه ونعمه عليهم فى اخراجه اياهم من اسر فرعون وقهره وظلمه وانجائه من عدوهم وفلقه لهم البحر وتظليله اياهم بالغمام وانزاله عليهم المن والسلوى الى غير ذلك من النعم قاله مجاهد وغير واحد وقوله ان فى ذلك لآيات اى فيما صنعنا باوليائنا بنى اسرائيل حين انقذناهم من يد فرعون وانجيناهم مما كانوا فيه من العذاب المهين لعبرة لكل صبار اى فى الضراء شكور اى فى السراء كما جاء فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان امر المؤمن كله عجب لا يقضى الله له قضاء الا كان خيرا له ان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له وان اصابته سراء شكر فكان خيرا له واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد وقال موسى ان تكفروا انتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى حميد اخبر تعالى عن موسى حيث ذكر قومه بايام الله عندهم ونعمه عليهم اذ انجاهم من آل فرعون وما كانوا يسومونهم به من العذاب والاذلال حيث كانوا يذبحون من وجد من ابنائهم ويتركون اناثهم فانقذ الله بنى اسرائيل من ذلك وهذه نعمة عظيمة ولهذا قال وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم اى نعمة عظيمة منه عليكم فى ذلك انتم عاجزون عن القيام بشكرها وقيل وفيما يصنعه بكم قوم فرعون من هذه الافاعيل بلاء اى اختبار عظيم ويحتمل ان يكون المراد كليهما والله اعلم كما قال تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وقوله واذ تأذن ربكم اى آذنكم واعلمكم بوعده لكم ويحتمل ان يكون المعنى واذ اقسم ربكم وآلى بعزته كما قال واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب وقال ههنا واذ تأذن ربكم لئن شكرتم اى نعمة الله لازيدنكم منها ولئن كفرتم اى النعم وسترتموها وجحدتموها ان عذابى لشديد وذلك بسلبها عنهم وعقابه اياهم على كفرها وقد جاء فى الحديث ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى اى هو غنى عن شكر عباده حميد اى محمود فى افعاله واحواله وان كفره من كفره كما قال ان تكفروا انتم فان الله غنى عنكم الآية وعن ابى ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل انه قال يا عبادى لو ان اولكم وآخركم وجنكم وانسكم كانوا على اتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا يا عبادى لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا يا عبادى لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فاعطيت كل انسان مسألته ما نقص ذلك من ملكى شيئا الا كما ينقص المخيط اذا ادخل فى البحر رواه مسلم الم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم فى افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفى شك مما تدعوننا اليه مريب قال ابن جرير هذا من تمام قول موسى لقومه من تذكاره اياهم بايام الله بانتقامه من الامم المكذبة للرسل وفيه نظر والظاهر انه خبر مستأنف من الله تعالى لهذه الامة فانه قد قيل ان قصة عاد وثمود ليست فى التوراة فلو كان من تمام كلامه لكانت فيها وبالجملة فالله تعالى قد قص علينا خبر

قوم نوح

[illegible]

قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الامم المكذبة للرسل ممن لا يحصى عددهم الا الله اتتهم رسلهم بالبينات اى بالحجج والدلائل الواضحات الباهرات وقال ابن مسعود اى لا يعلم احد ما بعد معد بن عدنان الا الله وقال كذب النسابون وقال ابن عباس ما بين ابراهيم ومن عدنان ثلثون قرنا لا يعلمهم الا الله وكان مالك بن انس يكره ان ينسب الانسان نفسه ابا ابا الى آدم حتى فوق الى النبى صلى الله عليه وسلم لانه لا يعلم اولئك الآباء احد الا الله وقوله فردوا ايديهم فى افواههم قيل انهم اشاروا الى افواه الرسل يأمرونهم بالسكوت عنهم لما دعوهم الى الله وقيل بل وضعوا ايديهم على افواههم تكذيبا لهم وقيل بل هو عبارة عن سكوتهم عن جواب الرسل وقال مجاهد وغير واحد معناه انهم كذبوهم وردوا عليهم قولهم بافواههم وهذا اظهر وتبينه تمام الكلام وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به الى آخره فان هذا تفسير لذلك وقال ابن مسعود عضوا عليها غيظا كما فى قوله تعالى عن المنافقين واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وقال ابن عباس لما سمعوا كلام الله عجبوا ورجعوا بايديهم الى افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفى شك مما تدعوننا اليه مريب يقولون لا نصدقكم فيما جئتم به فان عندنا شكا قويا قالت رسلهم افى الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون اخبر تعالى عما دار بين الكفار وبين رسلهم من المجادلة وذلك ان اممهم لما واجهوهم بالشك فيما جاؤوهم به من عبادة الله وحده لا شريك له قالت الرسل افى الله شك اى فى وجوده شك او فى الهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك لا سبيل الى الاول لان الفطر شاهدة بوجوده مجبولة على الاقرار به فان الاعتراف به ضرورى فى الفطر السليمة ولكن تعرض لبعضها شك واضطراب فتحتاج الى النظر فى الدليل الموصل الى وجوده ولهذا قالت لهم الرسل مرشدين لهم الى طريق معرفته بانه فاطر السموات والارض اى خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق ولا بد لهما من صانع وهو الله خالق كل شئ و لا سبيل الى الثانى ايضا لانه الخالق لجميع الموجودات فلا يستحق العبادة الا هو وحده لا شريك له فان غالب الامم كانت مقرة بالصانع ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التى تظنها تنفعهم او تقربهم الى الله زلفى وقالت لهم الرسل يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم اى فى الدار الآخرة ويؤخركم الى اجل مسمى اى فى الدنيا فقالت لهم الامم محاججين فى مقام الرسالة بعد تقدير تسليمهم المقام الاول ان انتم الا بشر مثلنا اى كيف نتبعكم بمجرد قولكم ولما نر منكم معجزة فأتونا بسلطان مبين اى حجة بينة واضحة على صحة دعويكم قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم اى صحيح انا بشر مثلكم فى البشرية ولكن الله يمن على من يشاء من عباده اى بالرسالة والنبوة وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله اى بعد سؤالنا اياه واذنه لنا فى ذلك وعلى الله فليتوكل المؤمنون اى فى جميع امورهم ثم قالت الرسل وما لنا الا نتوكل على الله وما يمنعنا من التوكل عليه وقد هدانا لاقوم الطرق واوضحها وابينها ولنصبرن على ما آذيتمونا اى من الكلام السيئ والافعال السخيفة وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن فى ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه

كل

اى لما احلف الكفار بهلاك الرسل من ارضهم الا ان يعودوا الى دينهم لذلك اقسم الله عز وجل واوحى الى الرسل انه مهلك الكافرين ومورثهم ارضهم وديارهم واموالهم انجز وعده وقال لنسكننكم الارض من بعدهم

[illegible]

عذاب غليظ اخبر تعالى عما توعدت به الامم الكافرة رسلهم من الاخراج من ارضهم والنفي من بين اظهرهم كما قال قوم شعيب لنخرجنك يا شعيب الاية وقال قوم لوط اخرجوا آل لوط من قريتكم الاية وقال تعالى اخبارا عن مشركي قريش و ان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها وقال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الى آخره وكان من صنيعه تعالى انه اظهر رسوله ونصره وجعل له بسبب خروجه من مكة انصارا واعوانا يقاتلون في سبيل الله الى ان فتح له مكة التي اخرجوه منها ومكن له فيها ونصره حتى دخل الناس في دين الله افواجا وظهرت كلمة الله ودينه على سائر الملل في مشارق الارض ومغاربها في ايسر زمان ولهذا قال تعالى فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم كما قال تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الاية وغيرها من الايات الباهرات وقوله ذلك لمن خاف مقامي اي وعيدي يعني لمن خاف مقامه بين يدي يوم القيمة وخاف وعيد اي وخشي من وعيدي اي تخويفي وعذابي كما قال ولمن خاف مقام ربه جنتان وقوله و استفتحوا اي استنصرت الرسل بها على قومها قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل استفتحت الامم على انفسها كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة الآية ويحتمل ان يكون المراد كليهما وخاب كل جبار عنيد اي متجبر في نفسه معاند للحق كما قال تعالى القيا في جهنم كل كفار عنيد وقوله من ورائه جهنم اي من امامه كما قال تعالى وكان وراءهم ملك وكان ابن عباس يقرأها وكان امامهم ملك اي من وراء الجبار العنيد جهنم اي هي له بالمرصاد يسكنها مخلدا يوم المعاد ويسقى من ماء صديد اي في النار ليس له شراب الا من حميم او غساق فهذا حار في غاية الحرارة وهذا في غاية البرد والنتن قال مجاهد الصديد من القيح والدم وقال قتادة هو ما يسيل من لحمه وجلده وهو عصارة اهل النار وقوله يتجرعه اي يتغصصه ويتكرهه اي يشربه قهرا وقسرا لا يضعه في فمه حتى يضربه الملك بمطراق من حديد ولا يكاد يسيغه اي يجيزه ولا يزدرده لسوء لونه وطعمه وريحه وحرارته او برده الذي لا يستطاع ويأتيه الموت من كل مكان اي يجد الم الموت في جميع بدنه وجوارحه واعضائه وكل عظم وعرق وعصب حتى من اطراف شعره وقال ابن جرير اي من امامه وورائه وعن يمينه وشماله ومن فوقه ومن تحته ومن سائر اعضاء جسده وقال ابن عباس انواع العذاب ليس منها نوع الا الموت يأتيه منه لو كان يموت ولكن لا يموت لانه تعالى قال لا يقضى عليهم فيموتوا الآية بل يخلد في دوام العذاب ولهذا قال وما هو بميت وقوله ومن ورائه عذاب غليظ اي وله من بعد هذا الحال عذاب آخر مؤلم صعب اغلظ من الذي قبله وهنا كما قال تعالى فاطلعوا الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم الاية وغيرها من الايات البينات لانواع العذاب عليهم وتكراره واشكاله مما لا يحصيه الا الله جزاء وفاقا مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد هذا مثل ضربه الله لاعمال الكفار الذين عبدوا مع الله غيره وكذبوا رسله وبنوا اعمالهم على غير اساس صحيح اي مثل اعمالهم يوم القيمة اذا طلبوا ثوابها من الله لانهم كانوا يحسبون انهم على شيء فلم يجدوا شيئا ولا الفوا حاصلا الا كما يحصل من الرماد اذا اشتدت به الريح العاصفة في يوم ذي ريح عاصف قوية فلا يقدرون على شيء من اعمالهم التي كسبوها في الدنيا الا كما يقدرون على جمع هذا الرماد في هذا اليوم كما قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وغيرها من الايات وقوله ذلك هو الضلال البعيد اي سعيهم وعملهم على غير اساس ولا استقامة حتى فقدوا ثوابهم احوج ما هم اليه هذا هو الضلال البعيد الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز اخبر تعالى عن قدرته

على اعادة الابدان يوم القيمة بانه خلق السموات والارض التي هي اكبر من خلق الناس اليس الذي يقدر على خلق هذه السموات في ارتفاعها واتساعها وعظمتها وما فيها من عجائب قدرته وهذه الارض وما فيها من انواع المخلوقات المكونة باذنه بقادر على ان يعيد الابدان ويحيي الموتى كما قال اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير وقوله ان يشأ يذهبكم ويات بخلق جديد اي بسواكم اطوع لله منكم وما ذلك على الله بعزيز اي بعظيم ولا ممتنع بل هو سهل عليه اذا خالفتم امره ان يذهبكم ويات باخرين على غير صفتكم كما قال وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم وغيره من الايات وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص اي وبرزت الخلائق كلها برها وفاجرها لله الواحد القهار يعني اجتمعوا له في براز من الارض وهو المكان الذي ليس فيه شيء فقال الضعفاء وهم الاتباع لقادتهم وكبرائهم الذين استكبروا عن عبادة الله وحده وعن موافقة الرسل انا كنا لكم تبعا اي مهما امرتمونا ائتمرنا وفعلنا فهل انتم مغنون عنا اي فهل تدفعون عنا شيئا من عذاب الله كما كنتم تعدوننا فقالت القادة لهم لو هدانا الله لهديناكم اي لو هدانا الله لدعوناكم الى الهدى فلما اضلنا دعوناكم الى الضلالة سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص اي ليس لنا خلاص مما نحن فيه ان صبرنا عليه او جزعنا منه قال ابن زيد ان اهل النار قال بعضهم لبعض تعالوا فانما ادرك اهل الجنة الجنة ببكائهم وتضرعهم الى الله تعالى تعالوا نبكي ونتضرع الى الله فبكوا وتضرعوا فلما راوا ذلك لم ينفعهم قالوا تعالوا فانما ادرك اهل الجنة الجنة بالصبر تعالوا حتى نصبر فصبروا صبرا لم ير مثله فما نفعهم ذلك فعند ذلك قالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص والظاهر ان هذه المراجعة بعد دخولهم النار كما قال واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا الاية وغيرها من الايات الظاهرات فاما تخاصمهم في المحشر فقال تعالى ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول الايات وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام اخبر تعالى عما خطب به ابليس اتباعه بعد ما قضى الله بين عباده فادخل المؤمنين الجنات واسكن الكافرين الدركات فقام فيهم ابليس خطيبا ليزيدهم حزنا الى حزنهم وغبنا الى غبنهم فقال ان الله وعدكم وعد الحق اي على السنة رسله ووعدكم في اتباعهم النجاة و السلامة وكان وعدا حقا وخبرا صدقا واما انا فوعدتكم فاخلفتكم كما قال تعالى يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا ثم قال وما كان لي عليكم اي فيما دعوتكم اليه من سلطان اي من سبيل ولا حجة على صدق ما وعدتكم به الا ان دعوتكم فاستجبتم لي بمجرد ذلك وخالفتم الرسل وصرتم الى ما انتم فيه فلا تلوموني اليوم ولوموا انفسكم فان الذنب لكم لكونكم خالفتم الحجج الحق ووافقتم امر الباطل ما انا بمصرخكم اي بنافعكم ومنقذكم مما انتم فيه وما انتم بمصرخي اي بنافعي ومخلصي مما انا فيه من العذاب اني كفرت بما اشركتمون من قبل اي كفرت بجعلكم اياي شريكا لله تعالى في عبادته وتبرأت من ذلك حالا لما تشركوني من قبل وقوله ان الظالمين اي في اعراضهم عن الحق واتباعهم لهم عذاب اليم ويكون هذه الخطبة من ابليس بعد

وبرزوا لله جميعا اي خرجوا من قبورهم لامر الله و محاسبته والضعفاء جمع ضعيف اي ضعيف الراي والتدبير وهم السفلة والتابعون استكبروا قال ابن عيسى طلبوا الكبر والكبر رفع النفس فوق القدر فهل انتم مغنون عنا فهل تقدرون ان تدفعوا عنا ما نحن فيه بصرفه عنا او بحمله وان قل وكنا جئنا اذا رشدوا رشدوا وكل ضللنا فاضللناكم

محمد بن كعب ان اهل النار استغاثوا بالخزنة فقال تعالى وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فردت الخزنة عليهم اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا يا مالك ليقض علينا ربك سالوا الموت ولا يجيبهم ثمانين سنة والسنة ستون وثلثمائة يوما واليوم كالف سنة مما تعدون ثم لحظ اليهم بعد الثمانين انكم ماكثون فلما يئسوا منه قال بعضهم لبعض انه قد نزل بكم من البلاء ما ترون

دخولهم النار كما هو الظاهر من سياق الآية وعن عقبة بن عامر مرفوعاً ان الكفار يقولون يوم القيمة هذا قد وجد المؤمنون
من يشفع لهم فمن يشفع لنا ما هو الا ابليس الذي اضلنا فيأتون ابليس فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم
انت فاشفع لنا فانك انت اضللتنا فيقوم ثم تعظم نحو جهنم و يقول الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم الى آخره رواه
ابن ابي حاتم ثم لما ذكر حال الاشقياء و ما صاروا اليه عطف عليه حال السعداء و انهم يدخلون يوم القيمة جنات تجري
من تحتها الانهار سارحة فيها حيث شاؤا و اين شاؤا خالدين فيها ماكثين ابدا لا يحولون و لا يزولون تحيتهم فيها
سلام كما قال تعالى حتى اذا جاؤها و فتحت ابوابها و قال لهم خزنتها سلام عليكم وقال و الملئكة يدخلون عليهم من كل باب
سلام عليكم **الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت و فرعها في السماء تؤتي
اكلها كل حين باذن ربها و يضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون و مثل كلمة خبيثة كشجرة
خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار** قال ابن عباس هي شهادة ان لا اله الا الله كشجرة طيبة وهو
المؤمن اصلها يقول لا اله الا الله في قلب المؤمن و فرعها في السماء اي يرفع بها عمل المؤمن الى السماء و هكذا عن اكثر التابعين
ان ذلك عبارة من المؤمن و قوله الطيب و عمله الصالح و ان المؤمن كشجرة النخل لا يزال يرفع له عمل صالح في كل حين و صباح
و مساء و هكذا عن ابن مسعود و قال هي النخلة و في الصحيحين بروايات عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم
يوما لاصحابه ان شجرة من الشجر لا يطرح ورقها مثل المؤمن قال فوقع الناس في شجر البوادي و وقع في قلبي انها النخلة
فاستحييت حتى قال رسول الله صلى الله عليه و سلم هي النخلة و قوله تؤتي اكلها كل حين قيل اي غدوة و عشية و قيل كل شهر و قيل
كل ستة اشهر او شهرين او اشهر و الظاهر ان المؤمن مثله كمثل شجرة لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت من صيف او شتاء او ليل
او نهار كذلك المؤمن لا يزال يرفع له عمل صالح آناء الليل و اطراف النهار في كل وقت و حين باذن ربها اي كاملا حسنا
كثيرا طيبا و يضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون و قوله و مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة هذا مثل كفر الكافر لا اصل له
و لا فرع و لا ثبات و شبه بشجرة الحنظل هكذا في الحديث المرفوع و قوله اجتثت اي استؤصلت من فوق الارض ما لها من قرار
اي لا اصل لها و لا ثبات كذلك الكفر لا اصل له و لا فرع و لا يصعد له عمل و لا يتقبل منه شيء **يثبت الله الذين آمنوا
بالقول الثابت في الحيوة الدنيا و في الآخرة و يضل الله الظالمين و يفعل الله ما يشاء** في الصحيحين عن البراء
ابن عازب ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال المسلم اذا سئل في القبر يشهد ان لا اله الا الله و ان محمدا رسول الله فذلك قوله
يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا و في الآخرة و في رواية فيهما ايضا عن النبي صلى الله عليه و سلم قال يثبت الله
الذين آمنوا نزلت في عذاب القبر يقال له من ربك فيقول ربي الله و نبيي محمد و عن البراء قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه و سلم في
جنازة فانتهينا الى القبر و لما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه و سلم و جلسنا حوله كان على رؤسنا الطير و في يده عود ينكت
في الارض فرفع راسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين او ثلاثا ثم قال ان العبد المؤمن اذا كان في انقطاع من
الدنيا و اقبال الى الآخرة نزل اليه ملئكة من السماء بيض الوجوه كان وجوههم الشمس معهم كفن من اكفان الجنة و حنوط
من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند راسه فيقول ايتها النفس الطيبة اخرجي الى
مغفرة من الله و رضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فياخذها فاذا اخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى
ياخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن و في ذلك الحنوط و يخرج منها كاطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون

يعني بها

يعني بها على ملاء من الملئكة الا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقولون فلان بن فلان باحسن اسمائه التي كانوا يسمونه في الدنيا حتى
ينتهوا به الى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التي تليها حتى ينتهي به الى السماء السابعة
فيقول الله اكتبوا كتاب عبدي في عليين و اعيدوه الى الارض فاني منها خلقتهم و فيها اعيدهم و منها اخرجهم تارة اخرى
قال فتعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الاسلام
فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان له و ما علمك فيقول قرات كتاب الله فآمنت به و صدقت
فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فافرشوه من الجنة و البسوه من الجنة و افتحوا له بابا الى الجنة قال فياتيه من روحها
و طيبها و يفسح له في قبره مد بصره و ياتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول ابشر بالذي يسرك هذا يومك
الذي كنت توعد فيقول له من انت فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير فيقول انا عملك الصالح فيقول رب اقم الساعة رب اقم
الساعة حتى ارجع الى اهلي و مالي قال و ان العبد الكافر اذا كان في انقطاع من الدنيا و اقبال من الآخرة نزل اليه
من السماء ملئكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند راسه فيقول ايتها النفس
الخبيثة اخرجي الى سخط من الله و غضب قال فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فياخذها
فاذا اخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح و يخرج منها كانتن ريح جيفة وجدت على وجه الارض
فيصعدون بها و لا يمرون بها على ملاء من الملئكة الا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بن فلان باقبح اسمائه التي كان
يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي به الى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرا رسول الله صلى الله عليه و سلم لا تفتح لهم ابواب السماء
و لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط فيقول الله اكتبوا كتابه في سجين من الارض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرا
و من يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق فتعاد روحه في جسده و ياتيه ملكان
فيجلسانه و يقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان له ما دينك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان له من
هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا ادري فينادي مناد من السماء ان كذب فافرشوه من النار و افتحوا له بابا
الى النار فياتيه من حرها و سمومها و يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه و ياتيه رجل قبيح الثياب منتن الريح فيقول
ابشر بالذي يسوءك هذا اليوم الذي كنت توعد فيقول من انت فوجهك الوجه يجيء بالشر فيقول انا عملك الخبيث فيقول
رب لا تقم الساعة رواه احمد و ابو داود و النسائي و ابن ماجه و في رواية لاحمد اذا خرج روحه صلى عليه كل ملك بين السماء
و الارض و فتحت له ابواب السماء ليس من اهل باب الا و هم يدعون الله ان يعرج بروحه من قبلهم و تنزع نفسه يعني الكافر
مع العروق فيلعنه كل ملك بين السماء و الارض و كل ملك في السماء و تغلق له ابواب السماء ليس من كل باب الا و هم يدعون الله
ان لا يعرج روحه من قبلهم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم اذا قبر الميت او قال احدكم اتاه ملكان
اسودان ازرقان يقال لاحدهما المنكر و للآخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله و رسوله اشهد
ان لا اله الا الله و ان محمدا عبده و رسوله فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا
ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذي لا يوقظه الا احب اهله اليه حتى
يبعثه الله من مضجعه ذلك و ان كان منافقا قال سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله لا ادري فيقولان قد كنا نعلم انك تقول
ذلك فيقال للارض التئمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف اضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك رواه الترمذي

وكل ملك في السماء

[illegible]

وحسنه وغيره قال طاوس القول الثابت في الحيوة الدنيا لا اله الا الله وفي الآخرة المسئلة في القبر وفي هذا روي
عن عثمان رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال استغفروا لاخيكم ثم
سلوا له بالتثبيت فانه الآن يسأل رواه ابو داود وقوله ويضل الله الظالمين اي لا يهدي المشركين الى الجواب الصواب في
القبر ويفعل الله ما يشاء من التوفيق والتثبيت والاضلال والتخذيل الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا
واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قل
تمتعوا فان مصيركم الى النار قال البخاري قوله الم تر اي الم تعلم كقوله الم تر كيف الم تر الى الذين خرجوا البوار
الهلاك بار يبور بورا هالكين قال ابن عباس الذين بدلوا نعمة الله كفرا هم اهل مكة وعنه ايضا هم جبلة بن الايهم و
الذين اتبعوه من العرب فلحقوا بالروم والمشهور عنه الاول وان كان المعنى يعم جميع الكفار فان الله بعث محمدا صلى الله عليه
وسلم رحمة للعالمين ونعمة للناس فمن قبلها وقام بشكرها دخل الجنة ومن ردها وكفرها دخل النار وقال علي هم
منافقو قريش ومشركوهم وذكر السدي عن علي انه قال هما الافجران من قريش بنو امية وبنو المغيرة فاحلوا قومهم
دار البوار يوم بدر واما بنو امية فاحلوا قومهم دار البوار يوم احد وكان ابو جهل يوم بدر وابو سفيان يوم احد
واما دار البوار فهي جهنم ونحوه عن عمر بن الخطاب وقوله وجعلوا لله اندادا اي جعلوا لله شركاء عبدوهم معه ودعوا
الناس الى ذلك ثم قال تعالى متهددا لهم ومتوعدا على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم قل تمتعوا فان مصيركم الى النار اي
مهما قدرتم عليه في الدنيا فافعلوا فيها فان مصيركم اي مرجعكم ومردكم الى النار كما قال تعالى نمتعهم قليلا ثم نضطرهم
الى عذاب غليظ قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان
ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال امر تعالى عباده بالطاعة والاحسان الى خلقه بان يقيموا الصلوة وهي عبادة الله وحده
لا شريك له وان ينفقوا مما رزقهم باداء الزكوات والانفاق على القرابات والاحسان الى الاجانب والمراد باقامتها هو
المحافظة عليها بالنهج المشروع وامر تعالى بالانفاق في الخفية والجهرة ليبادروا الى ذلك لخلاص انفسهم من قبل ان ياتي
يوم وهو يوم القيمة لا يقبل فيه من احد فدية بان يبتاع نفسه ولا خلال اي ليس هناك مخالة خليل فيصفح عمن استوجب
العقوبة عن العقاب بل هناك العدل والقسط والخلال مصدر خاللت فلانا فانا اخاله مخالة وخلالا وقال قتادة
ان الله قد علم ان في الدنيا بيوعا وخلالا يتخالون بها في الدنيا فينظر رجل من يخالل وعلى ما يصاحب فان كان لله فليداوم
وان كان لغير الله فسينقطع عنه والمراد انه اخبر تعالى انه لا ينفع احدا بيع ولا فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا لو وجده
ولا ينفعه صداقة احد ولا شفاعة احد اذا لقي الله كافرا قال تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا الآية الله الذي
خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في
البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما
سالتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار عدد تعالى نعمه على خلقه بان خلق لهم
السموات سقفا محفوظا والارض فراشا وانزل من السماء ماء فاخرج به ازواجا من نبات شتى ما بين ثمار وزروع مختلفة
الالوان والاشكال والطعوم والروائح والمنافع وسخر الفلك بان جعلها طافية على تيار البحار تجري عليه بامر الله وسخر البحر
يحملها لقطع المسافرين بها من بلد الى بلد واقليم الى اقليم آخر للمصالح وسخر الانهار تشق الارض من قطر الى قطر رزقا للعباد

[illegible]

وسخر لكم

[illegible]

وسخر لكم الشمس والقمر دائبين اي يسيران لا يفتران ليلا ولا نهارا فالشمس والقمر يتعاقبان والليل والنهار يتعارضان
فتارة ياخذ هذا من هذا فيطول ثم ياخذ الآخر من هذا فيقصر يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر
كل يجري لاجل مسمى الا هو العزيز الغفار وقوله وآتاكم من كل ما سألتموه اي وهيأ لكم كل ما تحتاجون اليه في جميع احوالكم مما
تسألونه بحالكم وقالكم وما لم تسألوه ايضا وقرأ بعضهم من كل بالتنوين وقوله وان تعدوا نعمة الله هذا اخبار عن عجز العباد عن
تعداد النعم فضلا عن القيام بشكرها كما قال طلق بن حبيب ان حق الله اثقل من ان يقوم به العباد وان نعم الله اكثر من ان
يحصيها العباد ولكن اصبحوا توابين وامسوا توابين وفي البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم لك الحمد
غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا وفي الاثر ان داود عليه السلام قال يا رب كيف اشكرك وشكري لك نعمة منك
علي فقال الله الآن شكرتني يا داود اي حين اعترفت بالتقصير عن اداء شكر النعم وقال الامام الشافعي الحمد لله الذي لا يؤدى
شكر نعمة من نعمه الا بنعمة حادثة توجب على مؤديها ماضي نعمه باداها نعمة حادثة توجب عليه شكره بها وقال الشاعر
في ذلك: لو كل جارحة مني لها لغة : تثني عليك بما اوليت من حسن : لكان ما زاد شكري اذ شكرت به : اليك ابلغ في الاحسان والمنن
والظلوم الذي يشكر غير من انعم اليه والكافر من يجحد منعمه واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد آمنا
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن
عصاني فانك غفور رحيم احتج تعالى على مشركي العرب بان البلد الحرام مكة انما وضعت اول ما وضعت على عبادة
الله وحده لا شريك له وان ابرهيم الذي كانت بسببه آهلة عامرة تبرأ ممن عبد غير الله وانه دعا لمكة بالامن فقال
رب اجعل هذا البلد آمنا فاستجاب الله له فقال اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا الآية وكان ابرهيم دعا بالامن لها بعد
بناء البيت ولهذا قال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ومعلوم ان اسمعيل كان اكبر من اسحق بثلث عشرة
سنة لكن حين ذهب باسمعيل وامه وهو رضيع الى مكان مكة قد دعا ايضا فقال رب اجعل هذا بلدا آمنا كما سبق
في سورة البقرة وقال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ينبغي لكل داع ان يدعو هكذا لنفسه ولوالديه ولذريته ثم ذكر انه
افتتن بالاصنام خلائق من الناس وانه بريء ممن عبدها ورد امرهم الى الله ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم كما قال عيسى ان
تعذبهم فانهم عبادك الآية فقوله فانه مني اي من اهل ديني ومن عصاني اي فيما دون الشرك والكفر ربنا اني اسكنت
من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوي
اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون هذا دعاء ثان بعد الدعاء الاول الذي دعا به بعد ما ولى عنها
وعن ولدها وذلك قبل بناء البيت وهذا بعد بنائه تاكيدا ورغبة الى الله ولهذا قال عند بيتك المحرم وقوله ربنا ليقيموا الصلوة
هو متعلق بقوله المحرم اي انما جعلته محرما ليتمكن اهله من اقامة الصلوة عنده فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم قال ابن عباس
لو قال افئدة الناس لازدحم عليه فارس والروم واليهود والنصارى والناس كلهم ولكن قال من الناس فاختص به
المسلمون وقوله وارزقهم من الثمرات اي ليكون ذلك عونا لهم على طاعتك وكما انه واد غير ذي زرع فاجعل لهم ثمارا ياكلونها
وقد استجاب الله ذلك كما قال اولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا وهكذا كان ويكون لطفا من
الله وكرامة لاهل مكة ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء
الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي

[illegible]

ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب اى انت تعلم قصدى فى دعائى وما اردت بدعائى لاهل هذا البلد وانما هو القصد الى رضاك والاخلاص لك تعلم الاشياء كلها ظاهرها وباطنها لا يخفى عليك منها شئ ثم حمد ربه على ما رزقه من الولد بعد الكبر فقال الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق ان ربى لسميع الدعاء اى انه لمستجيب لمن دعاه وقد استجاب لى فيما سالته من الولد ثم قال رب اجعلنى مقيم الصلوة اى محافظا عليها مقيما لحدودها ومن ذريتى اى اجعلهم كذلك مقيمين للصلوة ربنا وتقبل دعائى اى فيما سالتك فيه كله ربنا اغفر لى ولوالدى وقرا بعضهم ولوالدى على الافراد وهذا كان قبل ان تبرا من ابيه وقوله وللمؤمنين اى كلهم يوم يقوم الحساب اى يوم يحاسب عبادك فتجزيهم باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعى رءوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب اى لا تحسبن الله يا محمد اذا انظرهم واجلهم انه غافل عنهم مهمل لهم لا يعاقبهم على صنيعهم بل هو يحصى ذلك عليهم ويعده عدا انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار اى من شدة اهوال يوم القيمة ثم ذكر تعالى كيفية قيامهم من قبورهم ومجيئهم الى مقام المحشر فقال مهطعين اى مسرعين وقوله مقنعى رءوسهم قال ابن عباس وغير واحد اى رافعى رءوسهم لا يرتد اليهم طرفهم اى لا يرجع اليهم ابصارهم بل طائرة شاخصة يديمون النظر لا يطرفون لحظة لكثرة ما هم فيه من الهول والفكرة والمخافة لما يحل بهم ولهذا قال وافئدتهم هواء اى وقلوبهم خاوية خالية ليس فيها شئ لكثرة الفزع والخوف وقيل هواء اى خراب لا يعى شيئا ولشدة ما كانوا اخبر تعالى عنهم قال لرسوله وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب وهو يوم القيمة فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال اخبر تعالى عن قيل الذين اشركوا عند معاينة العذاب ربنا اخرنا اى امهلنا الى اجل قريب اى ارجعنا الى الدنيا كما قال تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون الآية وغيرها من الآيات فقال تعالى رادا عليهم فى قولهم هذا اولم تكونوا اقسمتم من قبل اى اولم تكونوا تحلفون من قبل هذه الحال انه لا زوال لكم عما انتم فيه وانه لا معاد ولا جزاء فذوقوا بهذا ذلك قال مجاهد ما لكم من انتقال من الدنيا الى الآخرة وقوله وسكنتم اى قد رايتم وبلغكم ما احللنا بالامم المكذبة قبلكم ومع هذا لم يكن لكم فيهم معتبر ولم يكن فيما اوقعنا بهم لكم مزدجر وحكمة بالغة وقوله وان كان مكرهم قرا على وابن مسعود وان كاد بالدال وقراءة العامة بالنون لتزول منه الجبال وقراءة العامة لتزول بكسر اللام الاولى ونصب الثانية اى وما كان مكرهم قال الحسن اى كان مكرهم لاضعف ان تزول منه الجبال وقراءة ابن جريج والكسائى بفتح اللام الاولى ورفع الثانية اى ان كان مكرهم وان عظم حتى بلغ محلا يزيل الجبال لم يقدروا على ازالة امر محمد صلى الله عليه وسلم وقال على فى هذه الآية اخذ الذى حاج ابراهيم فى ربه نسرين صغيرين فرباهما حتى استغلظا فشبا قال فاوثق رجل كل واحد منهما بوتد الى تابوت وجوعهما وقعد هو ورجل آخر فى التابوت قال ورفع فى التابوت عصا على راسه اللحم فطارا قال وجعل يقول لصاحبه انظر ما ترى قال ارى كذا وكذا حتى قال ارى الدنيا كلها كانها ذباب فقال صوب العصا فصوبها فهبطا قال فهو قول الله وان كاد مكرهم لتزول منه الجبال هكذا بالدال كما سبق آنفا وكان ذلك الرجل هو نمرود ملك كنعان وذكر مجاهد هذه القصة عن بخت نصر وانه لما انقطع عن

هذه الآية لتسلية المظلوم وتهديد الظالم

وحتى لا اسراع اليهم الا يلتفتون يمينا ولا شمالا ولا يوفون مواطن اقدامهم

الارض واهلها نودى ايها الطاغية اين تريد ففرق ثم سمع الصوت فوقه فصوب الرماح التى عليها اللحم فصوبت النسور ففزعت الجبال من هدتها وكادت الجبال ان تزول من حس ذلك فذلك قوله وان كان مكرهم لتزول منه الجبال فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الارض غير الارض والسموت وبرزوا لله الواحد القهار قال تعالى مقررا لوعده ومؤكدا فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله اى من نصرتهم فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة ثم اخبر انه ذو عزة لا يمتنع عليه شئ اراده ولا يغالب وذو انتقام ممن كفر به وجحده ولهذا قال يوم تبدل الارض غير الارض اى وعده هذا حاصل يوم تبدل الارض وهى هذه على غير الصفة المالوفة المعروفة كما فى الصحيحين عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ارض بيضاء عفراء كقرصة النقى ليس فيها علم لاحد وعن عائشة انها قالت انا اول الناس سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار قالت قلت اين الناس يومئذ يا رسول الله قال على الصراط رواه مسلم وروى عن على وابن عباس وغير واحد انها تبدل يوم القيمة بارض من فضة وعن على انه قال تصير الارض فضة والسماء ذهبا وقال ابن جبير تبدل خبزة بيضاء ياكل المؤمن من تحت قدميه وقال كعب تصير السموات جنانا وتصير مكان البحر النار وتبدل الارض غيرها وقد جاء فى الحديث المرفوع لا يركب البحر الا غاز او حاج او معتمر فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا رواه ابو داود وقوله وبرزوا لله اى خرجت الخلائق جميعها من قبورهم لله الواحد القهار اى الذى قهر كل شئ وغلبه ودانت له الرقاب وخضعت له الالباب وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب اى يوم تبرز الخلائق لديانها ترى يا محمد يومئذ المجرمين اى الذين اجرموا بكفرهم وفسادهم مقرنين بعضهم الى بعض قد جمع بين النظراء والاشكال منهم كل صنف الى صنف كما قال تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وقوله فى الاصفاد اى فى القيود والاغلال واحدها صفد وهو مشهور فى اللغة قال عمرو بن كلثوم فابوا بالثياب وبالسبايا وابنا بالملوك مصفدينا وقوله سرابيلهم من قطران اى ثيابهم التى يلبسونها عليهم من قطران وهو الذى تهنا به الابل اى تطلى قال ابن عباس القطران هو النحاس المذاب فى غاية الحرارة اى بكسر القاف وسكون الطاء وقوله وتغشى وجوههم النار كقوله تلفح وجوههم النار وعن ابى مالك الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيمة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب رواه مسلم وقوله ليجزى الله اى يوم القيمة ليجزى الذين اساؤا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى ان الله سريع الحساب يحتمل ان يكون المراد به كقوله اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ويحتمل انه فى حال محاسبته لعبده سريع الفصل والاحصاء لانه سبحانه يعلم كل شئ ولا يخفى عليه خافية وان جميع الخلائق بالنسبة الى قدرته كالواحد منهم كقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ويحتمل ان يكون المعنيان مرادين والله اعلم هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب اى هذا القرآن بلاغ للناس كقوله لانذركم به ومن بلغ اى هو بلاغ لجميع الخلائق من الانس والجن ولينذروا به اى يتعظوا به وليعلموا انما هو اله واحد اى يستدلوا بما فيه من الحجج والدلالات على انه لا اله الا الله وليذكر اولوا الالباب اى ذوو العقول

تفسير سورة الحجر وهى مكية

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون

سبق الكلام في حروف أوائل السور في أول سورة البقرة تلك أي هذه آيات الكتاب وهي القرآن مبين أي بين الحلال من الحرام والحق من الباطل والكتاب ما يكتب والقرآن ما يجمع بعضه إلى بعض وقوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين إخبار عنهم أنهم سيندمون على ما كانوا فيه من الكفر ويتمنون لو كانوا في الدنيا مع المسلمين وعن ابن مسعود وغير واحد من الصحابة أن كفار بدر لما عرضوا على النار تمنوا أن لو كانوا مسلمين وقيل هذا عام فإن كل كافر يود عند احتضاره أن لو كان مؤمنا وقيل إخبار عن يوم القيمة كما في قوله تعالى ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد الآية وعن ابن مسعود قال هذا في الجهنميين إذا رأوهم يخرجون من النار وقال مجاهد يقول أهل النار للموحدين ما أغنى عنكم إيمانكم قال فإذا قالوا ذلك قال تعالى أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان قال فعند ذلك ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ناسا من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم فيقول لهم أهل اللات والعزى ما أغنى عنكم قولكم لا إله إلا الله وأنتم معنا في النار فيغضب الله لهم فيخرجهم فيلقيهم في نهر الحيوة [illegible] فيبرؤن من حرقهم كما يبرأ القمر من كسوفه فيدخلون الجنة ويسمون فيها الجهنميين فقال رجل يا أنس أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار نعم أنا سمعته يقول هذا رواه الطبراني وقوله ذرهم يأكلوا تهديد لهم شديد كقوله قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار وقوله ويلههم الأمل أي تشغلهم الأمل عن التوبة والإنابة فسوف يعلمون أي عاقبة أمرهم يوم القيمة وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون أي ما أهلك قرية إلا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها وأنه لا يؤخر أمة حان هلاكهم عن ميقاتها ولا يستقدمون عن مدتهم وهذا تنبيه لأهل مكة وإرشاد لهم إلى الإقلاع عما هم فيه من الشرك والعناد وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون أخبر تعالى عن كفرهم وعتوهم وعنادهم في قوله يا أيها الذي نزل عليه الذكر أي الذي يدعي ذلك إنك لمجنون أي في دعائك إيانا إلى اتباعك وترك ما وجدنا عليه آباءنا لو ما أي هلا تأتينا بالملائكة أي يشهدون لك بصحة ما جئت به إن كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة إلا بالحق أي بالرسالة والعذاب ولو نزلت ما كانوا إذا منظرين أي مؤخرين عن الكفار النكال بل عذبوا في الحال ثم قرر تعالى أنه هو الذي أنزل الذكر وهو القرآن وهو الحافظ له من التغيير والتبديل وقيل الضمير في له للنبي صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك من الناس والأول أولى وهو ظاهر السياق ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين قال تعالى مسليا لرسوله في تكذيب من كذبه من كفار قريش أنه أرسل من قبله من الأمم الماضية وأنه ما أتى أمة رسول إلا كذبوه واستهزؤا به ثم أخبر أنه سلك التكذيب والشرك في قلوب المجرمين الذين استكبروا عن اتباع الهدى وقوله وقد خلت سنة الأولين أي قد علم ما فعل تعالى بمن كذب رسله من الدمار والهلاك وكيف أنجى الأنبياء وأتباعهم في الدارين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون أخبر تعالى عن

غلطة كفرهم

[illegible]

غلطة كفرهم وعنادهم ومكابرتهم للحق أنه لو فتح لهم بابا من السماء فجعلوا يصعدون فيه لما صدقوا بذلك بل قالوا إنما سكرت أي سدت أبصارنا وأخذت وشبه علينا وإنا سحرنا ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ذكر تعالى خلقه السماء في ارتفاعها وما زينها به من الكواكب الثوابت لمن تأملها يرى فيها من العجائب والآيات ما يحار طرفه فيه ولهذا قالوا البروج ههنا الكواكب كما في قوله تعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجا وقيل البروج هي منازل الشمس والقمر وقال عطية البروج هنا هي قصور فيها الحرس وجعل الشهب حرسا لها من مردة الشياطين فمن تمرد منهم وتقدم لاستراق السمع جاءه شهاب مبين فأحرقه وربما يكون قد ألقى الكلمة التي سمعها قبل أن يدركه الشهاب إلى من دونه فيأخذها الآخر ويأتي بها إلى وليه كما جاء مصرحا به عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم رواه البخاري ثم ذكر تعالى خلقه الأرض ومده إياها وتوسيعها وبسطها وما جعل فيها من الجبال الرواسي والأودية والأراضي وما أنبت فيها من الزروع والثمار المتناسبة قال ابن عباس من كل شيء موزون أي معلوم وقيل مقدر بقدر ويوزن والمعايش جمع معيشة وهي صنوف ما يعيش به الشخص ومن لستم له برازقين قال مجاهد هي الدواب والأنعام وزاد بعضهم العبيد والإماء أيضا من الله عليهم بما يسر لهم من أسباب المكاسب ووجوه الأسباب وبما سخر لهم من الدواب التي يركبونها والأنعام التي يأكلونها والعبيد والإماء اللاتي يستخدمونها ورزقهم على خالقهم لا عليهم وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم أخبر تعالى أنه مالك كل شيء وأن كل شيء سهل عليه يسير لديه وأنه عنده خزائن الأشياء من جميع الصنوف وما ننزله إلا بقدر معلوم كما يشاء وكما يريد ولما له في ذلك من الحكمة البالغة وقال ابن مسعود ما من عام بأمطر من عام ولكن الله يقسمه حيث شاء عاما ههنا وعاما ههنا ثم قرأ هذه الآية رواه ابن جرير وفي الحديث المرفوع خزائن الله الكلام فإذا أراد شيئا قال له كن فيكون وقوله وأرسلنا الرياح لواقح أي تلقح السحاب فيدر ماء وتلقح الشجر فتتفتح عن أوراقها وأكمامها وهذه الرياح ذكرها بصيغة الجمع ليكون منها الإنتاج بخلاف الريح العقيم فإنه أفردها ووصفها بالعقيم وهو عدم الإنتاج وقال ابن مسعود يرسل الله الريح فتحمل الماء من السماء ثم تجري في السحاب حتى يدر كما يدر اللقحة وقد قال ابن عباس وغيره أحد وقال عبيد بن عمير يبعث الله المبشرة فتقم الأرض قما ثم يبعث الله المثيرة فتثير السحاب ثم يبعث الله المؤلفة فيؤلف السحاب ثم يبعث الله اللواقح فتلقح الشجر ثم تلا وأرسلنا الرياح لواقح واللواقح الحوامل لأنها تحمل الماء على السحاب جمع لاقح إذا حملت الولد وقوله فأسقيناكموه أي أنزلنا لكم عذبا يمكنكم أن تشربوا منه ولو نشاء لجعلناه أجاجا كما نبه تعالى على ذلك في سورة الواقعة وقوله وما أنتم له بخازنين أي بحافظين بل نحن ننزله ونحفظه عليكم ونجعله معينا وينابيع في الأرض ولو شاء لأغاره وذهب به ولكن من رحمته أنزله وجعله عذبا وأوعاه في العيون والآبار لمصالح العباد و

[illegible]

قوله و انا لنحن نحيي و نميت اخبار عن قدرته تعالى على بدء الخلق و اعادته و انه هو الذي احيا الخلق من العدم ثم يميتهم ثم يبعث كلهم ليوم الجمع و اخبر الله تعالى انه يرث الارض و من عليها و اليه يرجعون ثم قال مخبرا عن تمام علمه بهم اولهم و آخرهم و لقد علمنا المستقدمين منكم قال ابن عباس المستقدمون كل من هلك من لدن آدم و المستاخرون من هو حي و من ياتي الى يوم القيمة و به قال الاكثر و قال بعض التابعين كان اناس يتاخرون في صف الصلوة من اجل النظر الى صف النساء و ينيتهن فانزل الله هذه الآية و فيه غرابة جدا و قيل المراد في صف القتال و الجهاد و ان ربك هو يحشرهم اي يميت الكل ثم يحشر الاولين و الآخرين انه حكيم عليم في افعاله و اقواله **ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم** قال ابن عباس و غيره احد المراد بالصلصال التراب اليابس و الظاهر انه كما في قوله تعالى خلق الانسان من صلصال كالفخار و خلق الجان من مارج من نار و قيل الصلصال المنتن و تفسير الآية بالآية اولى و قوله من حمإ مسنون اي من الطين الاملس كما قال الشاعر ثم خاصرتها الى القبة الخضراء تمشي في مرمر مسنون اي املس صقيل و لهذا روي عن ابن عباس انه التراب الرطب و قيل هو المنتن و قيل المصبوب و قوله و الجان خلقناه من قبل اي من قبل الانسان من نار السموم اي التي تقتل و قيل السموم بالليل و النهار و قال ابن مسعود هذه السموم التي في الدنيا جزء من سبعين جزءا من السموم التي خلق منها الجان و قال ابن عباس اي من لهب النار و قيل من نار الشمس و قد ورد في الصحيح خلقت الملئكة من نور و خلقت الجان من مارج من نار و خلق آدم مما وصف لكم و فيه التنبيه على شرف آدم و طيب عنصره و طهارة محتده **واذ قال ربك للملئكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملئكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون** ذكر تعالى للملئكة آدم قبل خلقه تشريفا له و تعريضا بالامر لهم بالسجود و ذكر تخلف ابليس عن السجود له من بين سائر الملئكة حسدا و كفرا و عنادا و استكبارا و لهذا قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته اي عدلت صورته و تمت خلقته و الروح جسم لطيف يحيى به الانسان و اضاف الى نفسه تشريفا فقعوا له ساجدين سجود تحية لا سجود عبادة **قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم** امر تعالى ابليس امرا كونيا لا يخالف و لا يمانع بالخروج من المنزلة التي كان فيها من الملأ الاعلى و انه رجيم اي مرجوم و انه قد اتبعه لعنة لا تزال متصلة به لاحقة له متواترة عليه الى يوم القيمة قال سعيد بن جبير لما لعن الله ابليس تغيرت صورته عن صورة الملئكة و رن رنة فكل رنة في الدنيا الى يوم القيمة منها رواه ابن ابي حاتم و انه لما تحقق الغضب الذي لا مرد له سال من تمام حسده لآدم و ذريته النظرة و الامهال الى يوم القيمة و انه اجيب الى ذلك استدراجا و امهالا فلما تحقق النظرة **قال رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط علي مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وان جهنم لموعدهم اجمعين لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم** قال تعالى مخبرا عن ابليس و تمرده و عتوه و انه قال للرب بما اغويتني اي اضللتني قيل هذا قسم باغواء الله اياه و يحتمل انه بسبب ما اغويتني لازينن لهم اي لذرية آدم

و نحن الوارثون اي الباقون بعد هلاك الخلق كله و قيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت و منه قوله صلى الله عليه و سلم و اجعله الوارث منا

و لقد علمنا من استقدم ولادة و موتا و من تاخر من الاولين و الآخرين او من خرج من اصلاب الرجال و من لم يخرج بعد او من سبق الى الاسلام و سبق الى الطاعة و من تاخر

اي هو وحده القادر على حشرهم و العالم بحصرهم مع افراط كثرتهم

الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل و هو غير مطبوخ فاذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل و ان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة و قيل هو تضعيف صل اذا انتن

الجان للجن كآدم للناس و قيل هو ابليس من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام

سويته عدلت خلقته و اكملتها و هياتها لنفخ الروح

في الارض اي في الدنيا التي هي دار الغرور او اراد جعل الارض مكانا عندهم الا زينها في اعينهم و لاحدثنهم بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الآخرة

[illegible]

في الارض اي احبب اليهم المعاصي و ارغبهم فيها و ازعجهم اليها ولاغوينهم اي كما اغويتني و قدرت علي ذلك اجمعين الا عبادك منهم المخلصين كما قال ارايتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتني الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته الا قليلا قال الله تعالى متوعدا و مهددا هذا صراط علي مستقيم اي مرجعكم كلكم الي فاجازيكم باعمالكم و قيل طريق الحق مرجعها كلها الى الله و اليه ينتهي و قرا بعضهم عليٌّ بالتنوين كقوله لدينا لعلي حكيم اي رفيع و المشهور القراءة الاولى و قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان اي الذين قدرت لهم الهداية فلا سبيل لك عليهم و لا وصول لك اليهم الا من اتبعك من الغاوين اي الضالين استثناء منقطع و معظم اسباب تغلب ابليس على ابن ادم الغضب و الهوى فلهذا نقل عنه اخزاه الله و قوله و ان جهنم لموعدهم اجمعين اي موعد جميع من اتبع ابليس ثم اخبر ان لجهنم سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم اي قد كتب لكل باب منها جزء من اتباع ابليس يدخلونه لا محالة اجارنا الله منها و كل يدخل من باب بحسب عمله و يستقر في درك بقدر عمله قال علي بن ابي طالب ان ابواب جهنم هكذا اطباقا بعضها فوق بعض فيملأ الاول ثم الثاني ثم الثالث حتى تملأ كلها و عن ابن عباس و اتباعه سبعة ابواب اولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم سعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية و قال قتادة منهم جزء مقسوم هي و الله منازل اعمالهم و عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه و سلم قال لجهنم سبعة ابواب باب منها لمن سل السيف على امتي او على امة محمد رواه الترمذي و عنه عليه الصلوة و السلام في قوله لكل باب منهم جزء مقسوم قال ان اهل النار من ياخذه النار الى كعبيه و ان منهم من ياخذه النار الى حجزته و منهم من ياخذه النار الى ترقوته منازل باعمالهم رواه ابن ابي حاتم **ان المتقين في جنات و عيون ادخلوها بسلام آمنين و نزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب و ما هم منها بمخرجين نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم** لما ذكر تعالى حال اهل النار شرع في ذكر اهل الجنة و انهم في جنات و عيون و قوله ادخلوها بسلام اي سالمين من الآفات مسلم عليكم آمنين من كل خوف و فزع لا يخشوا من اخراج و لا انقطاع و لا فناء و قوله و نزعنا ما في صدورهم من غل قال ابو امامة يدخل اهل الجنة الجنة على ما في صدورهم في الدنيا من الشحناء و الضغائن حتى اذا توافوا و تقابلوا نزع الله ما في صدورهم في الدنيا من غل و في رواية عنه لا يدخل المؤمن الجنة حتى ينزع الله ما في صدورهم من غل كما ورد في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة و النار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا و نقوا اذن لهم في دخول الجنة و عن علي انه قال اني لارجو ان اكون انا و عثمان ممن قال الله و نزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين و هكذا قال في شان طلحة لابنه في قضية الجمل و كذا قال في شان الزبير لقاتله ابن جرموز اني لارجو ان اكون انا و طلحة و الزبير ممن قال الله و نزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين قال مجاهد في قوله متقابلين اي لا ينظر بعضهم في قفاء بعض و في الحديث المرفوع متحابين في الله ينظر بعضهم الى بعض و قوله لا يمسهم فيها نصب يعني المشقة و الاذى كما جاء في الصحيحين ان الله امرني ان ابشر خديجة ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه و لا نصب و قوله و ما هم منها بمخرجين كما جاء في الحديث الصحيح يقال يا اهل الجنة ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا و ان لكم ان تعيشوا فلا تموتوا ابدا و ان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا و ان لكم ان تقيموا فلا تظعنوا ابدا و قوله نبئ عبادي اي اخبر يا محمد عبادي اني ذو رحمة و ذو عقاب اليم و فيه بيان مقامي الرجاء و الخوف و ذكر في سبب نزولها ان رسول الله صلى الله عليه و سلم

لموعدهم الضمير للغاوين و قيل ابواب النار اطباقها و ادراكها فاعلاها للموحدين و الثاني لليهود و الثالث للنصارى و الرابع للصابئين و الخامس للمجوس و السادس للمشركين و السابع للمنافقين و عن ابن عباس ان جهنم لمن ادعى الربوبية و لظى لعبدة النار و الحطمة لعبدة الاصنام و سقر لليهود و السعير للنصارى و الجحيم للصابئين و الهاوية للموحدين

المتقي على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه و عن ابن عباس اتقوا الكفر و الفواحش و لهم ذنوب تكفرها الصلوات و غيرها

[illegible]

مر على ناس من اصحابه يضحكون فقال اذكروا الجنة اذكروا النار فنزلت نبئ عبادي الآية وقال قتادة وهذه الآية بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع من حرام ولو يعلم قدر عقابه لبخع نفسه ونبئهم عن ضيف ابرهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم قال ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اي اخبرهم يا محمد عن قصة ضيف ابرهيم والضيف يطلق على الواحد والجمع كالزور والسفر وكيف دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون اي خائفون وقد ذكر سبب خوفه منهم لما رأى ايديهم لا تصل الى ما قربه لهم من ضيافة وهو العجل السمين الحنيذ قالوا لا توجل اي لا تخف وبشروه بغلام عليم هو اسحق عليه السلام كما سبق في سورة هود ثم قال متعجبا من كبره وكبر زوجته ومتحققا للوعد ابشرتموني على ان مسني الكبر اي في حال الكبر فبم تبشرون اي باي شيء تبشرون فاجابوه مؤكدين لما بشروه به تحقيقا قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين اي الآيسين فاجابهم بانه ليس يقنط ولكن يرجو من الله الولد وان كان قد كبر واسنت امرأته فانه يعلم من قدرة الله ورحمته ما هو ابلغ من ذلك قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين اخبر تعالى عن ابرهيم لما ذهب عنه الروع وجاءته البشرى انه شرع يسئلهم عما جاؤا له فقالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط واخبروه انه سينجون آل لوط من بينهم الا امرأته فانها من المهلكين ولهذا قالوا الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين اي الباقين المهلكين فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون واتيناك بالحق وانا لصادقون اخبر تعالى عن لوط لما جاءته الملئكة في صورة شباب حسان الوجوه فدخلوا عليه داره قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون يعنون بعذابهم وهلاكهم الذي كانوا يشكون في وقوعه بهم وحلوله بساحتهم واتيناك بالحق كما قال تنزل الملئكة بالحق وانا لصادقون فيما اخبرناك به من نجاتك واهلاك قومه فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ذكر تعالى عن الملئكة انهم امروه ان يسري باهله بعد مضي جانب من الليل وان يكون لوط يمشي وراءهم ليكون احفظ لهم وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغزو انما يكون ساقة يزجي الضعيف ويحمل المنقطع وقوله ولا يلتفت منكم احد اي اذا سمعتم الصيحة بالقوم فلا تلتفتوا اليهم وذروهم فيما حل بهم من العذاب والنكال وامضوا حيث تؤمرون كانه كان معهم من يهديهم السبيل وقضينا اليه ذلك الامر اي تقدمنا اليه فيه ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين اي وقت الصباح كما قال في الآية الاخرى ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب وجاء اهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا اولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اخبر تعالى عن مجيء قوم لوط لما علموا باضيافه وصباحة وجوههم وانهم جاؤا مستبشرين بهم قال ان هؤلاء ضيفي اي وحق على الرجل اكرام ضيفه فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون اي ولا تخجلوني فيهم قال لهم قبل ان يعلم انهم رسل الله كما في سورة هود واما ههنا ففيه تقدم وتاخير مع ان الواو لا تقتضي الترتيب ولا سيما اذا دل دليل على خلافه فقالوا له اولم ننهك عن العالمين

اي اوما نهيناك ان تضيف احدا فارشدهم الى نسائهم وما خلق لهم ربهم منهن من الفروج المباحة هذا وهم غافلون عما يراد بهم من الهلاك وما يصبحهم من العذاب المستقر ولهذا قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اقسم تعالى بحيوته عليه الصلوة والسلام تشريفا وتعظيما له ولهذا قال ابن عباس ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا اكرم اليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله اقسم بحيوة احد غيره اي وحيوتك وعمرك وبقائك في الدنيا انهم لفي ضلالتهم يلعبون ويترددون فاخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لآيات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لآية للمؤمنين الصيحة هي ما جاءتهم من الصوت القاصف عند شروق الشمس وهو طلوعها وذلك مع رفع بلادهم الى عنان السماء ثم قلبها وجعلها عاليها سافلها وارسال حجارة السجيل عليهم وقوله ان في ذلك لآيات للمتوسمين اي ان هذه آثار النقم الظاهرة على تلك البلاد لمن تأملها وتوسمها بعين بصره وبصيرته قال مجاهد اي للمتفرسين وقال غيره للناظرين المعتبرين وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله رواه الترمذي وهو ضعيف جدا وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم رواه ابن جرير وهو ايضا ضعيف جدا وقوله وانها لبسبيل مقيم اي وان قرية سدوم التي اصابها ما اصابها من القلب الصوري والمعنوي والقذف بالحجارة لبطريق مهيع سالكة مستمرة الى اليوم كما قال وانكم لتمرون عليهم مصبحين وقيل اي بسبيل معلم وطريق واضح يتضح من الارض وقوله ان في ذلك لآية للمؤمنين اي ان الذي صنعنا بقوم لوط من الهلاك وانجائنا اياه واهله لدلالة واضحة للمؤمنين بالله ورسله وان كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين هم قوم شعيب والايكة الشجر الملتف وكان ظلمهم بشركهم بالله وقطعهم الطريق ونقصهم المكيال والميزان فانتقم الله منهم بالصيحة والرجفة وعذاب يوم الظلة وكانوا قريبا من قوم لوط بعدهم في الزمان ومسامتين لهم في المكان ولهذا قال وانهما لبامام مبين اي طريق ظاهر مبين ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون هم قوم ثمود الذين كذبوا صالحا نبيهم ومن كذب نبيا فقد كذب جميع الرسل ولهذا اطلق عليهم تكذيب المرسلين وذكر تعالى انه آتاهم من الآيات ما يدلهم على صدق ما جاءهم به صالح كالناقة التي اخرجها لهم بدعاء صالح من الصخرة الصماء وكانت تسرح في بلادهم لها شرب ولهم شرب يوم معلوم فلما عتوا وعقروها قال لهم تمتعوا في داركم ثلثة ايام ذلك وعد غير مكذوب وقال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وذكر انهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين اي من غير خوف ولا احتياج اليها بل اشرا وبطرا وعبثا كما هو المشاهد من صنيعهم بوادي الحجر الذي مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب الى تبوك فقنع رأسه واسرع دابته وقال لاصحابه لا تدخلوا بيوت القوم المعذبين الا ان تكونوا باكين فان لم تبكوا فتباكوا خشية ان يصيبكم ما اصابهم وقوله فاخذتهم الصيحة مصبحين اي وقت الصباح من اليوم الرابع فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون اي ما كانوا يستغلونه من زروعهم وثمارهم التي ضنوا بمائها عن الناقة حتى عقروها لئلا تضيق عليهم في المياه فما دفعت عنهم تلك الاموال العذاب وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك

هو الخلاق العليم الا بالحق اى الا بالعدل ليجزى الذين اساؤا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى وقد اخبر تعالى نبيه بقيام الساعة وانها كائنة لا محالة ثم امره بالصفح الجميل اى بالاعراض والعفو الحسن عن المشركين فى اذاهم له وتكذيبهم بما جاءهم به كما قال فاصفح عنهم وقل سلام وكان هذا قبل القتال فانها مكية والقتال انما شرع بعد الهجرة وان ربك هو الخلاق العليم تقرير للمعاد وانه قادر على اقامة الساعة فانه الخلاق الذى لا يعجزه خلق ما شاء وهو العليم بما تمزق من الاجساد وتفرق فى الاقطار كما قال تعالى اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم الآيتين

ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين اى كما آتيناك القرآن العظيم فلا تنظرن الى الدنيا وزينتها وما متعنا به اهلها من الزهرة الفانية لنفتنهم فيه فلا تغبطهم بما هم فيه ولا تذهب نفسك عليهم حسرات حزنا عليهم فى تكذيبهم لك ومخالفتهم دينك واخفض جناحك اى لين جانبك لمن اتبعك من المؤمنين كما قال تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم واختلفوا فى السبع المثانى قال ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وكثير من التابعين هى السبع الطول البقرة وآل عمران الى تمام السبع وقالوا فيهن الفرائض والحدود والقصص والاحكام والامثال والخبر والعبر وقيل اى اعطيناك سبعة اجزاء مر وانه وابشر وانذر واضرب الامثال واعدد النعم وانبئك بنبا القرآن وقيل هى الفاتحة فانها سبع آيات وبه قال كثير من الصحابة والتابعين كما سبق فى فضل سورة الفاتحة وعليه ابن جرير وقد فضلت الفاتحة السبع المثانى ولكن لا ينافى وصف غيرها من السبع الطول بذلك لما فيها من هذه الصفة كما لا ينافى وصف القرآن بجملته بذلك ايضا كما قال تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى فهو مثانى من وجه ومتشابه من وجه وهو القرآن العظيم ايضا كما انه عليه الصلوة والسلام لما سئل عن المسجد الذى اسس على التقوى فاشار الى مسجده والآية نزلت فى مسجد قبا فلا تنافى لان ذكر الشىء لا ينافى ما عداه اذا اشتركا فى تلك الصفة وقوله لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم اى استغن بما آتاك الله من القرآن العظيم عما هم فيه من المتاع والزهرة الفانية وقيل هم الاغنياء وبالازواج هنا الاصناف الكفار وفيه نهى الشخص عن تمنى ما لصاحبه

وقل انى انا النذير المبين كما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون امر تعالى نبيه عليه الصلوة والسلام ان يقول للناس انه النذير المبين النذارة نذير لهم من عذاب اليم ان يحل بهم على تكذيبه كما حل بمن تقدمهم من الامم المكذبة لرسلها من العذاب وقوله المقتسمين اى المتحالفين اى تحالفوا على مخالفة الانبياء وتكذيبهم واذاهم كما قال تعالى اخبارا عن قوم صالح انهم قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله اى لنقتلنهم ليلا وكانهم كانوا لا يكذبون بشىء الا اقسموا عليه فسموا مقتسمين وقوله الذين جعلوا القرآن عضين اى جزؤا كتبهم المنزلة عليهم اجزاء فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اهل الكتاب قاله ابن عباس وغير واحد وقيل اى سحر وكهانة قال بعضهم هو ساحر وآخر مجنون وآخر كاهن فذلك العضين والعضة بلسان قريش السحر قال ابن عباس ان الوليد بن المغيرة اجتمع عليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم يا معشر قريش انه قد حضر هذا الموسم وان وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بامر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رايا واحدا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ويرد قولكم بعضه بعضا فقالوا وانت يا ابا عبد شمس فقل واقم لنا رايا نقول به قال بل انتم فقولوا اسمع قالوا نقول كاهن قال ما هو بكاهن قالوا فنقول مجنون قال ما هو بمجنون قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر قالوا فماذا تقول قال والله ان لقوله حلاوة فما انتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف انه باطل وان اقرب القول ان تقولوا هو ساحر فتفرقوا عنه بذلك فانزل الله الذين جعلوا القرآن عضين اصنافا وقوله فوربك لنسئلنهم اجمعين اى يوم القيمة عما كانوا يعملون اى فى الدنيا يعنى عن قول لا اله الا الله قال ابن مسعود والذى لا اله غيره ما منكم من احد الا سيخلو الله به يوم القيمة كما يخلو احدكم بالقمر ليلة البدر فيقول ابن آدم ماذا غرك بى ماذا عملت فيما علمت ابن آدم ماذا اجبت المرسلين وعن معاذ قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ ان المؤمن يوم القيمة يسأل عن جميع سعيه حتى كحل عينيه وحتى فتات الطينة باصبعه فلا الفينك تاتى يوم القيمة واحد اسعد بما آتاك الله منك رواه ابن ابى حاتم

فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين امر تعالى رسوله بابلاغ ما بعثه به وانفاذه والصدع به وهو مواجهة المشركين به كما قال ابن عباس فاصدع بما تؤمر اى امضه وافعل ما تؤمر وقال مجاهد هو الجهر بالقرآن فى الصلوة كما قال ابن مسعود ما زال النبى صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت فاصدع بما تؤمر فخرج هو واصحابه وقوله واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين اى بلغ ما انزل اليك من ربك ولا تلتفت الى المشركين الذين يريدون ان يصدوك عن آيات الله ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تخفهم فان الله كافيك اياهم وحافظك منهم كما قال تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك الآية قال ابن اسحق كان عظماء المستهزئين خمسة نفر كانوا ذوى اسنان وشرف فى قومهم من بنى اسد بن عبد العزى الاسود بن المطلب ابو زمعة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه لما كان يبلغه من اذاه واستهزائه فقال اللهم اعم بصره واثكله بولده ومن بنى زهرة الاسود بن عبد يغوث ومن بنى مخزوم الوليد بن المغيرة ومن بنى سهم العاص ابن وائل ومن خزاعة الحارث بن الطلاطلة فلما تمادوا فى الشر والاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين ثم اتى جبرئيل الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الاسود بن عبد يغوث فاشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه حبنا ومر به الوليد بن المغيرة فاشار الى اثر جرح باسفل كعب رجله كان اصابه قبل ذلك بسنتين وهو يجر ازاره فتعلق به نشابة نبل فخدش رجله فانتقض به فمات ومر به العاص بن وائل فاشار الى اخمص قدمه فخرج على حمار له يريد الطائف فربض على شبرقة فدخلت فى اخمص رجله منها شوكة فقتله ومر به الحارث بن الطلاطلة فاشار الى راسه فامتخط قيحا فقتله قال ابن عباس كان راسهم الوليد بن المغيرة وقوله الذين يجعلون مع الله الها آخر تهديد شديد ووعيد اكيد للمشركين وقوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون اى وانا لنعلم انك يحصل لك من اذاهم حزن وانقباض وضيق صدر فلا يهيجنك ذلك عن ابلاغ رسالتى ولا تفتر عنه وتوكل على الله فانه كافيك وناصرك عليهم فاشتغل بذكر الله وتحميده وتسبيحه وعبادته التى هى الصلوة ولهذا قال وكن من الساجدين كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله يا ابن آدم لا تعجز عن اربع ركعات فى اول النهار اكفك آخره رواه ابو داود والنسائى ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر صلى وقوله واعبد ربك حتى ياتيك اليقين قالوا هو الموت كما فى قوله تعالى اخبارا عن اهل النار انهم قالوا لم نك من المصلين الى قوله حتى اتانا اليقين والآية تدل ان الصلوة واجبة على كل مسلم ما دام عقله ثابتا فيصلى بحسب حاله كما فى الصحيح

عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب ويستدل بها على تخطئة من قال من الملاحدة ان اليقين المعرفة فمتى وصل احدهم الى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم وهذا كفر وضلال وجهل فان الانبياء عليهم السلام كانوا هم واصحابهم اعلم الناس بالله واعرفهم بحقوقه وصفاته وكانوا مع هذا اعبد الناس واكثرهم مواظبة على فعل الخيرات الى حين الوفاة وانما المراد باليقين ههنا الموت كما ذكر ولله الحمد على الهداية

تفسير سورة النحل وهي مكية

قيل الا قوله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم الى آخر السورة بسم الله الرحمن الرحيم

اتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ١ اخبر تعالى عن اقتراب الساعة ودنوها معبرا بصيغة الماضي الدال على التحقيق والوقوع لا محالة كما قال تعالى اقترب للناس حسابهم وقوله فلا تستعجلوه اي قرب ما تباعد فلا تستعجلوه يحتمل ان يعود الضمير على الله وان يعود على العذاب وكلاهما متلازم كما قال تعالى ويستعجلونك بالعذاب الآية وما قال الضحاك من ان المراد من امر الله فرائضه وحدوده فقد رده ابن جرير فانه لم نعلم احدا استعجل الفرائض والشرائع قبل وجودها بخلاف العذاب فانهم استعجلوه قبل كونه استبعادا او تكذيبا ثم انه تعالى نزه نفسه عن شركهم به غيره وعبادتهم معه ما سواه من الاوثان والانداد تعالى وتقدس علوا كبيرا فقال سبحانه وتعالى عما يشركون **ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون** بالروح اي بالوحي كما قال تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا الآية وقوله على من يشاء من عباده وهم الانبياء كما قال الله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته وقوله ان انذروا اي لينذروا وتعلموا انه لا اله الا انا فاتقون اي فاتقوا عقوبتي ولا تخالفوا امري ولا تعبدوا غيري **خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين** اخبر تعالى عن خلقه العالم العلوي وهو السموات والعالم السفلي وهو الارض بما حوت وان ذلك مخلوق بالحق لا للعبث بل ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى ثم نزه نفسه عن شرك من عبد معه غيره من الاصنام التي لا تخلق شيئا وهم يخلقون فقال تعالى الله عما يشركون ثم نبه على خلق جنس الانسان من نطفة اي ضعيفة مهينة فلما استقل ودرج اذا هو يخاصم ربه تعالى ويكذبه ويحارب رسله وهو انما خلق ليكون عبدا لا ضدا كما قال اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وعن بسر بن جحاش قال بصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في كفه ثم قال يقول الله ابن آدم انى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين برديك وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت الحلقوم قلت اتصدق وانى اوان الصدقة رواه احمد وابن ماجه **والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم** يمتن الله على عباده بما خلق لهم من الانعام وهي الابل والبقر والغنم كما فصلها في سورة الانعام الى ثمانية ازواج وبما جعل لهم فيها من المصالح والمنافع من اصوافها واوبارها واشعارها يلبسون ويفترشون ومن البانها يشربون ويأكلون من اولادها وما لهم فيها من الجمال وهو الزينة ولهذا قال حين تريحون وهو وقت رجوعها عشيا من المرعى فانها تكون امده خواصر واعظمه ضروعا واعلاه اسنمة وحين تسرحون اي غدوة حين تبعثونها الى المرعى وتحمل اثقالكم وهي الاحمال الثقيلة التي تعجزون عن نقلها وحملها الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس وذلك في الحج والعمرة والغزو والتجارة ونحو ذلك تستعملونها انواع الاستعمال من ركوب وتحميل كما قال تعالى وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها الآية ان ربكم اي الذي خلق لكم هذه الانعام وسخرها لكم لرؤف رحيم بخلقه حيث جعل لهم هذه المنافع قال ابن عباس دفء اي ثياب ولباس ونسج والمنافع ما ينتفعون به من الاطعمة والاشربة ونسل كل دابة **والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون** هذا صنف آخر مما خلق الله تعالى لعباده يمتن به عليهم وهو الخيل والبغال والحمير التي جعلها للركوب والزينة بها وذلك اكبر المقاصد منها ولما فصلها من الانعام وافردها بالذكر استدل من استدل من العلماء على تحريم لحوم الخيل بذلك كابي حنيفة رحمه الله ومن وافقه لانه تعالى قرنها بالبغال والحمير وهي حرام كما ثبتت به السنة وذهب اليه اكثر الائمة وكان ابن عباس يكره لحوم الخيل كما يكره لحوم البغال والحمير قال والانعام خلقها لكم الى آخره هذه للاكل والخيل الى آخره وهذه للركوب كما قال خالد بن الوليد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكل لحوم الخيل والبغال والحمير رواه احمد وابو داود والنسائي واسناده ضعيف ولو ثبت هذا لكان نصا في تحريم لحوم الخيل ولكن يدفعه ما ثبت في الصحيحين عن جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لحوم الحمر الاهلية واذن في لحوم الخيل وعن اسماء بنت ابي بكر قالت نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا فاكلناه ونحن بالمدينة رواه مسلم فهذه اقوى واثبت واليه ذهب جمهور العلماء مالك والشافعي واحمد واصحابهم واتباعهم سلفا وخلفا قال ابن عباس كانت الخيل وحشية فذللها الله لاسمعيل عليه السلام **وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين** لما ذكر تعالى من الحيوانات ما يسار عليه في السبل الحسية نبه على الطرق المعنوية وكثيرا ما يقع في القرآن العبور من الامور الحسية الى المعنوية الدينية كما قال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى ولما ذكر تعالى من شان منافع الحيوانات على ما سبق شرع في بيان الطرق التي يسلكها الناس اليه فقال وعلى الله قصد السبيل قال مجاهد طريق الحق على الله وقال السدي هو الاسلام يعني على الله ان يبين الهدى والضلالة لانه تعالى اخبر ان ثم طرقا يسلك اليه فليس يصل اليه منها الا طريق الحق وهي طريق الشريعة وما عداها مسدود والاعمال فيها مردودة ولهذا قال ومنها جائر اي مائل زائغ عن الحق قال ابن عباس هي الطرق المختلفة والآراء والاهواء المتفرقة كاليهودية والنصرانية والمجوسية ثم اخبر تعالى ان ذلك كله كائن عن قدرته ومشيته فقال ولو شاء لهداكم اجمعين كما قال ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا **هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون** لما ذكر تعالى ما انعم به عليهم من الانعام والدواب شرع في ذكر نعمته عليهم في انزاله المطر من السماء وهو العلو مما لهم فيه بلغة ومتاع لهم ولانعامهم فقال لكم منه شراب اي جعله عذبا زلالا يسوغ لكم شرابه ولم يجعله ملحا اجاجا ومنه شجر فيه تسيمون اي واخرج لكم به شجرا ترعون فيه انعامكم كما قال ابن عباس وغير واحد تسيمون اي ترعون ومنه الابل السائمة والسوم الرعي وقوله ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب اي يخرجها من الارض بهذا الماء الواحد على اختلاف صنوفها وطعومها والوانها وروائحها واشكالها ولهذا قال ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون اي دلالة وحجة على انه لا اله الا الله ثم قال تعالى **وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم في الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون** ينبه تعالى عباده على آياته العظام ومننه الجسام في تسخيره الليل والنهار يتعاقبان والشمس والقمر يدوران والنجوم الثوابت والسيارات في ارجاء السموات نورا وضياء ليهتدى بها في الظلمات وكل منها يسير في فلكه الذي جعله تعالى فيه

جمع آية وذكر العقل لأن الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة ٢

يجري له مقدرة لا يزيد عليها ولا ينقص منها والجميع تحت قهره وسلطانه وتسخيره وتقديره وتيسيره كما قال تعالى إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض إلى قوله رب العالمين ولهذا قال إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون أي لدلالات على قدرته تعالى وسلطانه لقوم يعقلون عن الله ويفهمون حججه وقوله وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه لما نبه على معالم السموات نبه على ما خلق في الأرض من الأمور العجيبة والأشياء المختلفة من الحيوانات والمعادن والنبات والجمادات على اختلاف ألوانها وأشكالها وما فيها من الخواص والمنافع إن في ذلك لآية لقوم يذكرون أي آلاء الله ونعمه فيشكرونها **وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم** أخبر تعالى عن تسخيره البحر المتلاطم الأمواج ويمتن على عباده بتذليله له وتيسيره للركوب فيه وجعله السمك والحيتان فيه وإحلاله لعباده لحمها حيا وميتا في الحل والإحرام وما يخلقه فيه من اللآلي والجواهر وتسهيله للعباد استخراجها من قعرها حلية تلبسونها وتسخيره البحر لحمل السفن التي تمخره أي تشقه وقيل تمخر الرياح وكلاهما صحيح وأصل المخر الرفع والشق وقوله مواخر فيه أي جواري مملوءة مقبلة ومدبرة وهو أنك ترى سفينتين أحدهما تقبل والأخرى تدبر تجريان بريح واحدة بأمر الله قاله قتادة وقوله ولتبتغوا من فضله أي التجارة ونحوها ولعلكم تشكرون أي نعمه وإحسانه ثم ذكر تعالى الأرض وما جعل فيها من الرواسي الشامخات والجبال الراسيات لتقر الأرض ولا تميد أي لا تضطرب بما عليها من الحيوانات فلا يهنأ لهم عيش بسبب ذلك قال الحسن لما خلقت الأرض كانت تميد فقالت الملائكة إن هذه غير مقرة أحدا على ظهرها فأصبحوا وقد خلقت الجبال ولم تدر الملائكة مم خلقت الجبال وقوله وأنهارا وسبلا أي وجعل فيها أنهارا تجري من مكان إلى مكان آخر رزقا للعباد ينبع من موضع وهو رزق لأهل موضع آخر فيقطع البراري والقفار ويخرق الجبال والآكام ليصل إلى البلد الذي سخر لأهله وكذلك جعل في الأرض سبلا أي طرقا يسلك فيها من بلاد إلى بلاد وقوله وعلامات أي دلائل من جبال كبار وآكام صغار ونحو ذلك يستدل بها المسافرون برا وبحرا إذا ضلوا الطرق بالنهار وقوله وبالنجم هم يهتدون أي في ظلام الليل ثم قال تعالى منبها على عظمته وأنه لا ينبغي العبادة إلا له دون ما سواه من الأوثان التي لا تخلق شيئا بل هم يخلقون ولهذا قال أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ثم نبههم على كثرة نعمه عليهم وإحسانه إليهم فقال وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها أي لا تحفظوها ولا تعدوها أي يتجاوز عنكم ولو طالبكم بشكر جميع نعمه عليكم لعجزتم عن القيام بذلك ولو أمركم به لضعفتم وتركتم ولو عذبكم لعذبكم وهو غير ظالم لكم ولكنه غفور رحيم يغفر الكثير ويجازي على اليسير إن الله لغفور لما كان منكم من تقصير في شكر بعض نعمه إذا تبتم رحيم بكم أن يعذبكم بعد الإنابة **والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون** أخبر تعالى أنه يعلم الضمائر والسرائر كما يعلم الظواهر وسيجزي كل عامل بعمله يوم القيمة ثم أخبر أن الأصنام التي يدعونها من دون الله لا يخلقون شيئا كما قال الخليل أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون وقوله أموات أي هي جمادات لا أرواح لها فلا تسمع ولا تبصر ولا تعقل وما يشعرون أيان يبعثون أي لا تدرون متى تكون الساعة فكيف يرتجى عند هذه نفع أو ثواب أو جزاء إنما يرجى ذلك من الذي يعلم كل شيء وهو خالق كل شيء **إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون**

لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لأن الفساد يسرع إليه لو لم يسرع إلى أكله فإن قلت لو حلف لا يأكل لحما فأكل السمك لم يحنث والله تعالى سماه لحما قلت لأن مبنى الأيمان على العادة وإذا ذكر اللحم لم ينصرف إلى السمك في العادة وهذا كما لو حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث مع أنه تعالى قال إن شر الدواب عند الله الذين كفروا ٢١

بالآخرة

بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين أخبر تعالى أنه لا إله إلا هو الواحد الأحد وأخبر أن الكافرين تنكر قلوبهم ذلك كما أخبر عنهم متعجبين من ذلك أنهم قالوا أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب وقوله وهم مستكبرون أي عن عبادة الله مع إنكار قلوبهم لتوحيده وقوله لا جرم أي حقا أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون أي سيجزيهم على ذلك أتم الجزاء إنه لا يحب المستكبرين أي المتعظمين والمتجبرين **وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيمة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون** أي وإذا قيل لهؤلاء المكذبين ماذا أنزل ربكم قالوا معرضين عن الجواب أساطير الأولين أي لم ينزل شيئا إنما هذا الذي تلي علينا أساطير الأولين أي مأخوذ من كتب المتقدمين أي يفترون على الرسول عليه الصلوة والسلام ويقولون فيه أقوالا متضادة كلها باطل لأن من أعرض عن الحق فمهما قال أخطأ فقالوا يقولون ساحر شاعر كما سبق قريبا في قصة الوليد بن المغيرة وقال تعالى ليحملوا أوزارهم أي إنما قدرنا عليهم أن يقولوا ذلك ليحملوا أوزارهم أي يصير عليهم خطيئة ضلالهم في أنفسهم وخطيئة إغوائهم لغيرهم والذين اقتدوا في ذلك بهم كما جاء في الحديث من دعا إلى الضلالة كان عليه من الآثام مثل آثام من اتبعه لا ينقص من آثامهم شيئا ألا ساء ما يزرون أي يحملون من الآثام وهذا كقوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم أي ذنوبهم وذنوب من أطاعهم **قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيمة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين** قال ابن عباس الذي مكر هو نمرود حين بنى الصرح وأول جبار كان في الأرض نمرود فبعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره أربعمائة سنة يضرب بالمطارق وأرحم الناس به من جمع يديه فضرب بها رأسه وكان معذبا بملك المدة حتى أماته الله وقال آخرون بل هو بختنصر وقال آخرون هذا من باب التمثيل لإبطال ما صنعه هؤلاء الذين كفروا بالله وأشركوا في عبادته غيره كما قال نوح ومكروا مكرا كبارا أي احتالوا في إضلال الناس بكل حيلة وأمالوهم إلى شركهم بكل وسيلة وقوله فأتى الله بنيانهم من القواعد أي اجتثه من أصله وأبطل عملهم وأمثالها كما قال تعالى كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله وقوله فأتيهم من حيث لم يحتسبوا وقال ههنا فأتى الله بنيانهم من القواعد أي فهدمه تخريب بنيانهم من أصولها فخر عليهم السقف يعني على البيوت ثم يوم القيمة يخزيهم أي يفضحهم بالعذاب ويظهر فضائحهم ويجعل سرائرهم علانية كما قال تعالى يوم تبلى السرائر أي يظهر ويشتهر كما في الصحيحين عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصب لكل غادر لواء يوم القيمة عند استه بقدر غدرته فيقال هذه غدرة فلان بن فلان وهكذا هؤلاء يظهر للناس ما كانوا يسرونه من المكر ويخزيهم الله على رؤس الخلائق ويقول الرب تعالى مقرعا لهم وموبخا أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم أي تحاربون المؤمنين في شأنهم وتعادونهم وتسلبهم يعني أين هم عن نصركم وخلاصكم ههنا هل ينصرونكم أو يدفعون العذاب عنكم فإذا توجهت عليهم الحجة وحقت عليهم الكلمة قال الذين أوتوا العلم وهم السادة في الدنيا والآخرة المخبرون عن الحق إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين أي الفضيحة اليوم والعذاب في الآخرة لمن كفر بالله وأشرك به ما لا يضره ولا ينفعه **الذين تتوفيهم الملئكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا أبواب جهنم**

ماذا انتصب بأنزل أي أي شيء أنزل ربكم أو رفع بالابتداء أي أي شيء أنزله ربكم فمن النصب معنى أساطير الأولين ما تدعون نزوله أساطير الأولين فإن قيل هو كلام متناقض لأنه لا يكون منزل ربهم أساطير قلت هو على السخرية كقوله إن رسولكم

أي يحملوا أوزار ضلالهم كاملة وبعض أوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الإضلال ولذا قدر ومن أوزار إضلال الذين يضلونهم ومعنى اللام التعليل من غير أن يكون غرضا كقولك خرجت من البلد مخافة الشر ٥ الزمخشري أي قالوا ذلك إضلالا للناس وصدا عن رسول الله ليحملوا الأوزار وذلك لأن المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على إضلاله فيتحاملان الوزر ٥

خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين اخبر تعالى عن حال المشركين عند احتضارهم ومجيء الملئكة اليهم لقبض
ارواحهم فالقوا السلم اي اظهروا السمع و الطاعة و الانقياد قائلين ما كنا نعمل من سوء كما يقولون يوم المعاد والله ربنا ما
كنا مشركين قال الله مكذبا لهم في قيلهم ذلك بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين
اي بئس المقيل و المقام و المكان من دار هوان لمن كان متكبرا عن آيات الله و اتباع رسله وهم يدخلون جهنم من يوم موتهم
بارواحهم و ياتي اجسادهم في قبورها من حرها و سمومها فاذا كان يوم القيمة سلكت ارواحهم في اجسادهم و خلدت في
نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كما قال تعالى النار يعرضون عليها غدوا و عشيا الآية وقيل للذين
اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار
المتقين جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين
الذين تتوفيهم الملئكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون اخبر تعالى عن السعداء بخلاف
ما اخبر به عن الاشقياء فان اولئك قيل لهم ماذا انزل ربكم فقالوا معرضين عن الجواب اي لم ينزل شيئا انما هذا اساطير الاولين
و هؤلاء قالوا خيرا اي انزل خيرا و رحمة و بركة لمن اتبعه و آمن ثم اخبروا عما وعد الله به عباده فيما انزله على رسله فقالوا
للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة اي من احسن عمله في الدنيا احسن الله عمله في الدنيا و الآخرة ثم اخبروا بان دار الآخرة
اي من الحيوة الدنيا و الجزاء فيها اتم من الجزاء في الدنيا كما قال تعالى و للدار الآخرة خير و ابقى ثم وصفوا الدار الآخرة
فقالوا و لنعم دار المتقين و قوله جنات عدن بدل من قوله دار المتقين اي لهم في الآخرة جنات عدن اي اقامة يدخلونها
تجري من تحتها الانهار اي بين اشجارها و قصورها لهم فيها ما يشاؤن كما قال تعالى فيها ما تشتهي الانفس و في الحديث
ان السحابة لتمر بالملا من اهل الجنة و هم جلوس على شرابهم فلا تشتهي احد منهم شيئا الا امطرته عليهم حتى ان منهم لمن
يقول امطرينا كواعب اترابا فيكون كذلك و قوله كذلك يجزي الله المتقين اي هكذا يجزي الله كل من آمن به و اتقاه و احسن عمله
ثم اخبر عن حالهم عند الاحتضار و هم طيبون اي مخلصون من الشرك و كل سوء بان الملئكة تسلم عليهم و يبشرونهم بالجنة كما قال
تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الى قوله رحيم و سبق الحديث المبسوط في قبض روح المؤمن و روح الكافر في قوله
يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الآية هل ينظرون الا ان تاتيهم الملئكة او ياتي امر ربك كذلك فعل الذين
من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا
به يستهزؤن هدد الله المشركين على تماديهم في الباطل و اغترارهم بالدنيا فقال هل ينتظر هؤلاء الا الملئكة ان تاتيهم
لقبض ارواحهم او ياتي امر ربك يعني يوم القيمة و ما يعاينونه من الاهوال و قوله كذلك فعل الذين من قبلهم اي هكذا تمادى
في شركهم اسلافهم و اشباههم من المشركين حتى ذاقوا باس الله و حلوا فيما هم فيه من العذاب و النكال و ما ظلمهم الله لانه
اعذر اليهم و اقام حججه عليهم بارسال رسله و انزال كتبه و لكن كانوا انفسهم يظلمون اي بمخالفة الرسل و تكذيبهم فلهذا اصابهم
عقوبة الله و حاق بهم اي احاط بهم من العذاب الاليم ما كانوا به يستهزؤن اي يسخرون من الرسل اذا توعدوهم بعذاب الله
وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من
شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين ولقد بعثنا في كل امة رسولا
ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا

في الارض

في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل
وما لهم من ناصرين اخبر تعالى عن اغترار المشركين بما هم فيه من الشرك محتجين بالقدر في قولهم لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء اي من البحائر و السوائب و الوصائل وغير ذلك مما كانوا ابتدعوه
واخترعوه يعنون لو كان تعالى كارها لما فعلناه لانكره علينا بالعقوبة و لما مكننا منه قال تعالى كذلك فعل الذين
من قبلهم اي من اسلافهم و اشباههم و نظرائهم من اهل الشرك بل قد انكره عليكم اشد الانكار و نهاكم عنه آكد النهي
و بعث في كل امة اي قرن من الناس رسولا و كلهم يدعو الى عبادة الله و ينهى عن عبادة ما سواه ان اعبدوا الله و اجتنبوا
الطاغوت و لم يزل هذا الارسال منذ حدث الشرك في بني آدم في قوم نوح الى ان ختم بهم محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون فكيف يسوغ للمشركين بعد هذا ان يقولوا لو شاء
الله ما عبدنا من دونه من شيء فمشيئة الله الشرعية منتفية لانه نهاهم عن ذلك على السنة رسله و اما مشيئته الكونية
وهي تمكينهم من ذلك قدرا فلا حجة لهم فيه لانه تعالى خلق النار و اهلها من الشياطين و الكفرة و هو لا يرضى لعباده الكفر
وله في ذلك حكمة بالغة ثم انه تعالى قد اخبر انه قد عيرهم و انكر عليهم بالعقوبة في الدنيا بعد انذار الرسل فلهذا قال فمنهم من
هدى الله و منهم من حقت اي وجبت عليه الضلالة بالقضاء السابق حتى مات على الكفر فسيروا في الارض فانظروا كيف
كان عاقبة المكذبين اي اسألوا عما كان من امر من خالف الرسل و كذب الحق كيف اهلكهم الله ثم اخبر تعالى رسوله ان
حرصه على هدايتهم لا ينفعهم اذا اراد الله اضلالهم كما قال من يضلل الله فلا هادي له الآية و قوله فان الله اي شانه و امره انه
ما شاء كان و ما لم يشا لم يكن فلهذا قال لا يهدي من يضل اي من اضله فمن ذا الذي يهديه من بعد الله اي لا احد وما لهم
من ناصرين اي في انقاذهم من عذابه و وثاقه واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه
حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين
انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون اخبر تعالى عن المشركين انهم حلفوا بالله و اجتهدوا في الحلف و
غلظوا الايمان على انه لا يبعث الله من يموت اي استبعدوا ذلك و كذبوا الرسل في اخبارهم لهم بذلك و حلفوا على نقيضه
فقال تعالى رادا عليهم و مكذبا لهم بلى اي بلى سيكون ذلك وعدا عليه حقا اي لا بد منه و لكن اكثر الناس لا يعلمون اي
فلجهلهم يخالفون الرسل و يقعون في الكفر ثم ذكر تعالى حكمته في المعاد و قيام الاجساد يوم التناد فقال ليبين لهم اي
للناس الذي يختلفون فيه اي من كل شيء و ليجزي الذين اساؤا بما عملوا اي في ايمانهم و اقسامهم لا يبعث الله من يموت ثم
اخبر تعالى عن قدرته على ما يشاء و انه لا يعجزه شيء في الارض ولا في السماء و انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون و
المعاد من ذلك اذا اراد كونه فانما يامر به مرة واحدة فيكون كما يشاء كما قال و ما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر و قال في هذه
الآية يامر به واحدة فاذا هو كائن كما قال الشاعر اذا ما اراد الله امرا فانما يقول له كن قوله فيكون يعني انه تعالى لا يحتاج
الى تاكيد فيما يامر به فانه لا يمانع و لا يخالف لانه الواحد القهار يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد والذين هاجروا في الله
من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولاجر الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم
يتوكلون اخبر تعالى عن جزائه للمهاجرين في سبيله ابتغاء مرضاته الذين فارقوا الدار و الاخوان و الخلان رجاء ثواب الله
و جزائه و يحتمل ان يكون سبب نزول هذه الآية هجرة الحبشة و ذلك انه اشتد اذى الكفار على المؤمنين بمكة حتى خرجوا من

سيبت الدابة تركتها تسيب حيث شاءت و السائبة
الناقة التي كانت تسيب في الجاهلية لنذر ونحوه وقيل
هي ام البحيرة كانت الناقة اذا ولدت عشرة ابطن
كلهن اناث سيبت فلم تركب ولم يشرب لبنها الا ولدها
او الضيف حتى تموت فاذا ماتت اكلها الرجال و
النساء جميعا وبحرت اي شقت اذن بنتها الاخيرة
فتسمى البحيرة وهي بمنزلة امها في انها سائبة
والوصيلة التي كانت في الجاهلية هي الشاة تلد
سبعة ابطن عناقين عناقين فان ولدت
في الثامنة جديا ذبحوه لالهتهم وان ولدت
جديا وعناقا قالوا وصلت اخاها فلا يذبحون
اخاها من اجلها ولا تشرب لبنها النساء وكان
للرجال وجرى مجرى السائبة

[illegible]

من اظهرهم الى بلاد الحبشة ليتمكنوا من عبادة ربهم ومن اشرافهم عثمان بن عفان مع زوجته رقية بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجعفر بن ابي طالب وابو سلمة بن عبد الاسد في جماعة قريبة من ثمانين ما بين رجل وامراة رضي الله عنهم
وارضاهم وقد تكفل فوعدهم بالمجازاة الحسنة في الدنيا والآخرة فقال لنبوئنهم في الدنيا حسنة قال ابن عباس وغير
واحد هي المدينة وقيل الرزق الطيب فان من ترك لله شيئا عوضه الله بما هو خير له منه وكذلك وقع فان الله مكنهم في البلاد
وحكمهم على رقاب العباد فصاروا امراء حكاما وكل منهم للمتقين اماما واخبر تعالى ان ثوابهم في الآخرة اعظم مما اعطاهم
في الدنيا فقال ولاجر الآخرة اكبر اي مما اعطيناهم في الدنيا لو كانوا يعلمون ما ادخر الله لمن اطاعه واتبع رسوله ثم وصفهم تعالى
فقال الذين صبروا على اذى من آذاهم من قومهم متوكلين على الله الذي احسن لهم العاقبة في الدارين وما ارسلنا من
قبلك الا رجالا نوحي اليهم فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وانزلنا اليك الذكر
لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون ۝ قال ابن عباس لما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا
انكرت العرب وقالوا الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فانزل الله هذه الآية فاسئلوا اهل الذكر يعني اهل الكتب المتقدمة
ابشرا كانت الرسل التي اتتكم ام ملكة فان كانوا ملكة انكرتم وان كانوا بشرا فلا تنكروا ان يكون محمد رسولا وبه
قال مجاهد وقال ابن زيد المراد بالذكر القرآن مستشهدا بقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون هذا مسلم ولكن ليس
المراد هنا ان المخالف يرجع في اثباته بعد انكاره وكذلك قول محمد الباقر نحن اهل الذكر ومراده ان هذه الامة اهل
القرآن فانهم اعلم من جميع الامم السالفة والغرض ان هذه الآية الكريمة اخبرت بان الرسل الماضين قبل محمد صلى الله عليه وسلم
كانوا بشرا كما هو بشر كما تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا وغيرها من الآيات البينات
ثم ذكر تعالى انه ارسلهم بالبينات والزبر اي بالدلائل والحجج والزبر هي الكتب جمع الزبور تقول العرب زبرت الكتاب
اذا كتبته وقال تعالى وكل شيء فعلوه في الزبر ثم قال تعالى وانزلنا اليك الذكر يعني القرآن لتبين للناس ما نزل
اليهم من ربهم اي لعلمك بمعنى ما انزل الله عليك وحرصك عليه واتباعك له لعلمنا بانك افضل الخلائق فتفصل
ما اجمل وتبين لهم ما اشكل ولعلهم يتفكرون اي ينظرون لانفسهم فيهتدون افامن الذين مكروا السيئات
ان يخسف الله بهم الارض او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون او يأخذهم في تقلبهم فما هم
بمعجزين او يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم اخبر تعالى عن حلمه وانظاره العصاة الذين يعملون السيئات
ويمكرون بالناس في دعائهم اليها وحملهم عليها مع قدرته ان يخسف الله بهم الارض او يأتيهم العذاب من حيث لا يعلمون
مجيئه اليهم وقوله او يأخذهم في تقلبهم في المعاش بها من اسفار ونحوها من الاشغال الملهية وقيل اي اسفارهم وقيل
اي في الليل والنهار كما قال افامن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون الآية وقوله فما هم بمعجزين اي لا يعجزون الله
على اي حال كانوا عليه وقوله او يأخذهم على تخوف اي او يأخذهم الله في حال خوفهم من العذاب فانه يكون ابلغ فان حصول
ما يتوقع مع الخوف شديد ثم قال تعالى فان ربكم لرؤف رحيم اي حيث لم يعاجلكم بالعقوبة كما ثبت في الصحيحين لا احد اصبر
على اذى يسمعه من الله انهم يجعلون له الولد وهو يرزقهم ويعافيهم اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ
ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملئكة
وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون اخبر تعالى عن عظمته وجلاله وكبريائه الذي خضع

[illegible]

[illegible]

له كل شيء ودانت الاشياء والمخلوقات باسرها فاخبر ان كل ما له ظل يتفيأ ذات اليمين وذات الشمال اي بكرة وعشيا
فانه ساجد بظله لله تعالى وقال مجاهد وغيره اذا زالت الشمس سجد كل شيء لله عز وجل قوله وهم داخرون اي صاغرون وقوله
ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة اي من كل حيوان يدب ويقال السجود الطاعة والاشياء كلها مطيعة لله
من حيوان وجماد وقيل سجود الاشياء تذللها وتسخيرها لما اريد وسخر له وسجود الجمادات وما لا يعقل ظهور اثر
الصنع فيه على معنى انه يدعو الغافلين الى السجود لله عند التأمل والتدبر فيه وقوله والملئكة اي وتسجد لله الملئكة غير مستكبرين
عن عبادته يخافون ربهم اي يسجدون خائفين وجلين منه تعالى ويفعلون ما يؤمرون اي ملتزمين لطاعته في امتثال
الاوامر وترك الزواجر وتخصيص الملئكة بالذكر مع دخولهم في عموم ما في السموات والارض تشريفا ورفعا لشانهم وقال الله
لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون وله ما في السموات والارض وله الدين
واصبا افغير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم اذا كشف الضر
عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون اخبر تعالى انه لا اله الا
هو وانه لا ينبغي العبادة الا له وحده لا شريك له وله الدين واصبا قال ابن عباس وغير واحد اي دائما واجبا خالصا
اي له العبادة وحده ممن في السموات والارض وقال مجاهد اي رهبون ان تشركوا به شيئا واخلصوا له الطاعة كما في قوله
الا لله الدين الخالص افغير الله تتقون اي اتخافون غير الله وهو المستحق ان يخاف منه استفهام انكار ثم اخبر انه مالك
النفع والضر وان ما بالعباد من نعمة ورزق وعافية ونصر فمن فضله عليهم واحسانه اليهم ثم اذا مسكم الضر فاليه
تجأرون اي تضجون وتصيحون بالدعاء والاستغاثة اي لعلمكم انه لا يقدر على ازالته الا هو فانكم عند الضرورات تلجأون
اليه وتسألونه وتلحون في الرغبة اليه مستغيثين به كما قال تعالى واذا مسكم الضر في البحر الى قوله كفورا وقوله ليكفروا
اي ليجحدوا بما آتيناهم اي اعطيناهم من النعم الكاشفة عنهم النقم وهذا اللام قيل للعاقبة وقيل للتعليل ثم توعدهم
فقال فتمتعوا اي اعملوا ما شئتم وتمتعوا وعيشوا بما انتم فيه قليلا فسوف تعلمون اي عاقبة ذلك ويجعلون لما لا يعلمون
نصيبا مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون
واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به
ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء
ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم اخبر تعالى عن قبائح المشركين الذين عبدوا مع الله غيره بغير علم من الاصنام
والاوثان وجعلوا لله نصيبا مما رزقهم الله فقالوا هذا لله بزعمهم الآية اي جعلوا لآلهتهم نصيبا مع الله وفضلوها
ايضا على جانبه فاقسم تعالى بنفسه الكريمة ليسألنهم عن ذلك الذي افتروه وليجازينهم اوفر الجزاء في نار جهنم فقال
تالله لتسئلن عما كنتم تفترون ثم اخبر تعالى عنهم انهم جعلوا الملئكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وجعلوها بنات الله
وعبدوها معه فاخطأوا خطأ كبيرا في كل مقام من هذه المقامات الثلث فنسبوا اليه تعالى ان له ولدا ولا ولد له ثم اعطوه
اخس القسمين من الاولاد وهو البنات وهم لا يرضونها لانفسهم كما قال الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى سبحانه
اي عن قولهم وافكهم وقوله ولهم ما يشتهون اي يختارون لانفسهم الذكور وينسبون الى الله الاناث فانه اذا بشر احدهم
بالانثى ظل وجهه مسودا اي كئيبا من الهم وهو كظيم ساكت من شدة ما هو فيه من الحزن يتوارى من القوم اي يكره ان يراه

[illegible]

الناس من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب أي إن أبقاها أبقاها مهانة لا يورثها ولا يعتني بها و
يفضل أولاده الذكور عليها أو يدسه أي يدفنها حية في التراب كما كانوا يفعلون في الجاهلية ألا ساء ما يحكمون أي بئس ما
قالوا وبئس ما قسموا وبئسما نسبوا إليه وقوله للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء أي النقص إنما ينسب إليهم ولله المثل الأعلى
أي الكمال المطلق من كل جهة هو منسوب إليه وهو العزيز الحكيم **ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من
دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون
لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون**
أخبر تعالى عن حلمه بخلقه مع ظلمهم وأنه لو يؤاخذهم بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة أي لأهلك جميع دواب الأرض
تبعا لإهلاك بني آدم ولكن الرب جل جلاله يحلم ويستر وينظر إلى أجل مسمى أي لا يعاجلهم بالعقوبة إذ لو فعل ذلك بهم
لما أبقى أحدا وقال أبو الأحوص كاد الجعل أن يعذب بذنب بني آدم وعن ابن مسعود نحوه وسمع أبو هريرة رجلا يقول إن
الظالم لا يضر إلا نفسه فالتفت إليه فقال بلى والله حتى إن الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وقوله ولكن يؤخرهم
إلى أجل مسمى أي يمهلهم بحلمه إلى منتهى آجالهم وانقضاء أعمارهم وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم إن الله لا يؤخر شيئا إذا جاء أجله وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها الله العبد فيدعون له من بعده فيلحقه
دعاؤهم في قبره فذلك زيادة العمر رواه ابن أبي حاتم وقوله ويجعلون لله ما يكرهون أي من البنات والشركاء الذين هم
عبيده وهم يأنفون أن يكون عبد أحدهم شريكا له في ماله وقوله وتصف ألسنتهم الكذب إنكار عليهم في دعواهم مع ذلك
أن لهم الحسنى في الدنيا وإن كان ثم معاد ففيه أيضا لهم الحسنى كما في قوله أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا
وولدا وقال ابن جرير إن لهم الحسنى أي يوم القيمة وهو الصواب ولهذا قال تعالى رادا عليهم في تمنيهم ذلك لا جرم أي
حقا لا بد منه أن لهم النار أي يوم القيمة وأنهم مفرطون قالوا أي منسيون مضيعون كما قال تعالى فاليوم ننسكم الآية
وقيل أي معجلون إلى النار من الفرط وهو السابق إلى الورد **تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم
الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم
الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد
موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون** ذكر تعالى أنه أرسل إلى الأمم الخالية رسلا فكذبت الرسل فلك يا محمد فيهم
أسوة حسنة فلا يهمنك تكذيبهم لك وإنما حملهم على تكذيب الرسل تزيين الشيطان لهم ما فعلوه فهو وليهم
أي هم اليوم تحت العقوبة والنكال والشيطان وليهم لا يملك لهم خلاصا ولا صريخ لهم ولهم عذاب أليم ثم قال تعالى
لرسوله إنه إنما أنزل عليه الكتاب ليبين للناس الذي يختلفون فيه فالقرآن فاصل بين الناس في كل ما يتنازعون فيه
وهدى للقلوب ورحمة لمن تمسك به لقوم يؤمنون وكما جعل تعالى القرآن حياة للقلوب الميتة بكفرها كذلك يحيي
الأرض بعد موتها بما أنزله عليها من السماء من ماء إن في ذلك لآية لقوم يسمعون أي يفهمون الكلام ومعناه **وإن
لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ومن
ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون** أي وإن
لكم أيها الناس في الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم لعبرة أي لآية ودلالة على قدرة خالقها وحكمته ولطفه نسقيكم مما في بطونه

الضمير المفرد ههنا يعود على معنى النعم أو عائد على الحيوان أي نسقيكم مما في بطن هذا الحيوان وفي الآية الأخرى مما في بطونها
وكلاهما جائز وقوله من بين فرث ودم لبنا خالصا أي يتخلص الدم بياضه وطعمه وحلاوته من بين فرث ودم في
باطن الحيوان فيسري كل إلى موطنه إذا نضج الغذاء في معدته يصرف منه دم إلى العروق ولبن إلى الضرع وبول إلى المثانة
وروث إلى المخرج وكل منها لا يشوب الآخر ولا يمازجه بعد انفصاله عنه ولا يتغير به لبنا خالصا سائغا للشاربين أي لا
أحد به ثم ذكر تعالى ما يتخذه الناس من الأشربة من ثمرات النخيل والأعناب وما كانوا يصنعونه من النبيذ المسكر قبل تحريمه
ودل على التسوية بين مسكر العنب والنخل كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد والجمهور وكذا حكم سائر الأشربة المتخذة
من الحنطة والشعير والذرة والعسل كما جاءت السنة بتفصيل ذلك قال ابن عباس السكر ما حرم من ثمرتيهما و
الرزق الحسن ما أحل من ثمرتيهما والسكر حرامه والرزق الحسن حلاله رطبا ويابسا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون
ناسب ذكر العقل ههنا فإنه أشرف ما في الإنسان ولهذا حرم الله على هذه الأمة الأشربة المسكرة صيانة لعقولها **وأوحى
ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي
سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم
يتفكرون** الوحي هنا الإلهام والهداية والإرشاد أي ألهم الله النحل وقذف في نفسها أن تتخذ من الجبال بيوتا
تأوي إليها ومن الشجر ومما يعرشون ثم هي محكمة في غاية الإتقان في تسديسها ورصها بحيث لا يكون بينها خلل ثم أذن
لها تعالى إذنا قدريا تسخيريا أن تأكل من كل الثمرات وأن تسلك الطرق التي جعلها الله مذللة لها أي سهلة عليها
حيث شاءت وهذا الجو العظيم والبراري الشاسعة والأودية والجبال الشاهقة ثم تعود كل واحدة إلى موضعها
وبيتها لا تحيد عنه يمنة ولا يسرة بل إلى بيتها وما لها فيه من فراخ وعسل فتبني بالشمع من أجنحتها وتقيء العسل
من فيها وتبيض الفراخ من دبرها ثم تصبح إلى مراعيها وفي الحديث المرفوع الغريب عمر الذباب أربعون يوما والذباب كله في
النار إلا النحل وقوله يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه أي ما بين أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من الألوان الحسنة
على اختلاف مراعيها ومأكلها منها وقوله فيه شفاء للناس أي في العسل شفاء للناس من أدواء تعرض لهم قال بعض من
تكلم على الطب النبوي لو قال فيه الشفاء للناس لكان دواء لكل داء ولكن قال فيه شفاء أي يصلح لكل أحد من أدواء باردة فإنه حار
والشيء يداوى بضده وقال مجاهد يعني في القرآن وهذا صحيح ولكن الظاهر أن الضمير عائد إلى العسل فإن الآية
لبيانه وإن الذي قاله مجاهد ذكروه في قوله وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ويؤيد القول ما في
الصحيحين عن أبي سعيد أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن أخي استطلق بطنه فقال اسقه عسلا
فذهب فسقاه عسلا ثم جاء فقال يا رسول الله سقيته عسلا فما زاده إلا استطلاقا قال اذهب اسقه عسلا فذهب
فسقاه ثم جاء فقال يا رسول الله ما زاده إلا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك
اذهب فاسقه عسلا فذهب فسقاه فبرأ قال بعض علماء الطب كان هذا الرجل عنده فضلات فلما سقاه عسلا و
هو حار تحللت فأسرعت في الاندفاع فزاد إسهاله فاعتقد الأعرابي أن هذا مضره وهو مصلحة لأخيه ثم سقاه
فازداد التحلل والدفع ثم سقاه فكذلك فلما اندفعت الفضلات الفاسدة المضرة بالبدن استمسك بطنه وصلح
مزاجه واندفعت الأسقام ببركة إشارته عليه الصلوة والسلام وفي الصحيحين أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

بعينه الحلواء والعسل وفي البخاري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشفاء في ثلاثة في شرطة محجم او شربة عسل او
كية بنار وانا انهى امتي عن الكي وقوله ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون اي ان في الهام الله لهذه الدواب الضعيفة الخلقة
الى السلوك في هذه المهامه والاجتناء من سائر الثمار ثم جمعها للشمع والعسل وهو من اطيب الاشياء لاية لقوم يتفكرون
في عظم خالقها ومقدرها ومسخرها وميسرها يستدلون بذلك على انه القادر الحكيم **والله خلقكم ثم يتوفيكم ومنكم
من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا ان الله عليم قدير** اخبر تعالى عن تصرفه في عباده وانه هو الذي
انشاهم من العدم ثم بعد ذلك يتوفاهم ومنهم من يتركهم حتى يدركهم الهرم وهو الضعف في القوى والخلقة قال علي رضي الله
عنه ارذل العمر خمس وسبعين سنة غالبا وقيل من ثمانين وقيل تسعين وحينئذ يظهر سوء الحفظ والخرافة وقلة العلم
ولهذا قال لكيلا يعلم بعد علم شيئا اي بعد ما كان عالما اصبح لا يدري شيئا من الفند والخرف وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يدعو اعوذ بك من البخل والكسل وارذل العمر وعذاب القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات وقال
زهير بن ابي سلمى: سئمت تكاليف الحيوة ومن يعش ... ثمانين عاما لا ابا لك يسأم ... رايت المنايا خبط عشواء
من يصب ... تمته ومن تخطي تعمر ثم تهرم **والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا
برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء افبنعمة الله يجحدون** يبين تعالى للمشركين جهلهم و
كفرهم فيما يزعمون لله من الشركاء وهم يعترفون انها عبيد له كما كانوا يقولون في تلبياتهم في حجهم لبيك لا شريك لك الا شريكا
هو لك تملكه وما ملك فانكر الله عليهم قال لا انتم لا ترضون ان تساووا عبيدكم فيما رزقناكم فكيف يرضى هو تعالى بمساواة
عبيد له في الالهية والتعظيم قال ابن عباس في هذه الاية لم يكونوا ليشركوا عبيدهم في اموالهم ونسائهم فكيف يشركون
عبيدي معي في سلطاني فذلك قوله افبنعمة الله يجحدون وفي رواية عنه ايضا فكيف ترضون لي ما لا ترضون لانفسكم وقال
قتادة هذا مثل ضربه الله فهل منكم من احد شاركه مملوكه في زوجته وفي فراشه فتعدلون بالله خلقه وعباده فان لم ترض
لنفسك هذا فان الله احق ان تنزهه من ذلك وقوله افبنعمة الله يجحدون اي انهم جعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام
نصيبا فجحدوا نعمته واشركوا معه غيره **والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين
وحفدة ورزقكم من الطيبات افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون** ذكر تعالى نعمه على عبيده
بان جعل لهم من انفسهم ازواجا من جنسهم وشكلهم وزيهم ولو جعل الازواج من نوع آخر لما حصل ائتلاف ومودة
ورحمة ولكن من رحمته خلق من بني آدم ذكورا واناثا وجعل الاناث ازواجا للذكور ثم ذكر تعالى انه جعل من الازواج
البنين والحفدة وهم اولاد البنين قال ابن عباس بنوك حين يحفدونك ويرفدونك ويعينونك ويخدمونك
قال جميل: حفد الولائد حولهن واسلمت ... باكفهن ازمة الاجمال. وقال مجاهد وغير واحد الحفدة الانصار
والاعوان والخدام وقيل هم الاصهار وهذه الاقوال داخلة في معنى الحفد وهو الخدمة ولما كانت الخدمة قد تكون
من الاولاد والاصهار والخدام والنعمة حاصلة بهذا كله قال الله انجز وقوله ورزقكم من الطيبات اي الرزق من المطاعم
والمشارب ثم قال تعالى منكرا على من اشرك في عبادة المنعم غيره افبالباطل يؤمنون وهو الاصنام والانداد وبنعمة الله هم
يكفرون اي يسترون نعمة الله عليهم ويضيفونها الى غيره وفي الصحيح ان الله يقول للعبد يوم القيمة الم ازوجك الم اكرمك الم
اسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع **ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات**

والارض شيئا ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون اخبر تعالى عن
المشركين الذين عبدوا معه غيره مع انه هو المنعم المتفضل الخالق الرازق وحده لا شريك له ومع هذا يعبدون من دونه من الاصنام
والاوثان ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا اي لا يقدر على انزال مطر ولا انبات زرع ولا شجر ولا يستطيعون
اي لا يملكون ذلك يعني ليس لهم ذلك ولا يقدرون عليه لو ارادوه ولهذا قال تعالى فلا تضربوا لله الامثال اي الاشباه والانداد
فانه واحد لا مثل له ان الله يعلم وانتم لا تعلمون اي انه يعلم ويشهد انه لا اله الا هو وانتم بجهلكم تشركون به غيره **ضرب الله
مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون
الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون** قال ابن عباس هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر واختاره ابن جرير فالعبد المملوك
الذي لا يقدر على شئ مثل الكافر والمرزوق الرزق الحسن فهو ينفق منه سرا وجهرا هو المؤمن وقال مجاهد هو مثل
مضروب للوثن وللحق تعالى فهل يستوي هذا وهذا ولما كان الفرق بينهما بينا ظاهرا لا يجهله الا كل غبي قال تعالى الحمد لله بل
اكثرهم لا يعلمون اي ليس الامر كما يقول هؤلاء الضلال بل الحمد الكامل لله المنعم الخالق الرازق ولكن اكثر الكفار لا يعلمون ثم قال
تعالى **وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يات بخير
هل يستوي هو ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم** قيل ايضا المراد به الوثن والحق تعالى يعني ان الوثن
ابكم لا يتكلم بشئ ولا يقدر على شئ لا بكلام ولا بمقال ولا بفعال وهو مع هذا كل اي عيال وكلفة على مولاه اينما يوجهه اي يبعثه
لا يات بخير ولا ينجح مسعاه هل يستوي من هذه صفاته ومن يامر بالعدل اي بالقسط فمقاله حق وفعاله مستقيمة وهو على صراط
مستقيم وقاله مجاهد وغير واحد واختار ابن جرير وقال ابن عباس هو مثل الكافر والمؤمن كما تقدم وقال نزل المثل السابق
في رجل من قريش وعبده كذلك نزل هذا في عثمان بن عفان ومولى له كان عثمان ينفق عليه ويكفيه مؤنته وكان الاخر يكره
الاسلام ويأباه وينهاه عن الصدقة والمعروف فنزلت فيهما **ولله غيب السموات والارض وما امر الساعة
الا كلمح البصر او هو اقرب ان الله على كل شئ قدير والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا و
جعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن
الا الله ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون** اخبر تعالى عن كماله وقدرته على الاشياء في علمه غيب السموات والارض و
اختصاصه بذلك ولا اطلاع لاحد على ذلك الا باطلاعه تعالى على ما يشاء وفي قدرته التامة التي لا تخالف ولا تمانع وانه قادر
على الممكنات واذا اراد شيئا يكون بارادته كطرف العين كما قال وما امرنا الا واحدة كلمح البصر او هو اقرب اي بل هو اقرب ان
الله على كل شئ قدير نزلت في الكفار المستعجلين للقيامة استهزاء ثم ذكر تعالى منته على عباده في اخراجه اياهم من بطون
امهاتهم لا يعلمون شيئا ثم بعد هذا يرزقهم السمع الذي يدركون الاصوات والابصار اللاتي بها يحسون المرئيات والافئدة
وهي العقول التي مركزها القلب على الصحيح وقيل الدماغ وبالعقل يميز بين الاشياء ضارها ونافعها وهذه القوى والحواس
تحصل للانسان على التدريج كلما كبر زيد في سمعه وبصره وقوي عقله حتى يبلغ اشده وانما جعل تعالى هذه في الانسان ليتمكن بها من
عبادة ربه تعالى فيستعين بكل جارحة وعضو وقوة على طاعة مولاه كما في البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول
الله من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب وما تقرب الي عبدي بافضل من اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي
بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سالني

لأعطينه ولئن دعاني لأجيبنه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه معنى الحديث أن العبد إذا أخلص الطاعة صارت أفعاله كلها لله فلا يسمع إلا لله ولا يبصر إلا لله أي ما شرعه الله له ولا يبطش ولا يمشي إلا في طاعة الله مستعينا بالله في ذلك كله ثم نبه تعالى عباده على النظر إلى الطير المسخر بين السماء والأرض كيف جعله يطير بجناحيه بين السماء والأرض في جو السماء ما يمسكه هناك إلا الله بقدرته تعالى الذي جعل فيها قوى تفعل ذلك وسخر الهواء يحملها ويسر الطير لذلك كما قال أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات الآية إن في ذلك لآيات أي لدلالات واضحات على كمال القدرة لقوم يؤمنون **والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون** ذكر تعالى تمام نعمه على عبيده بما جعل لهم من البيوت التي هي سكن لهم يأوون إليها ويستترون بها وينتفعون بها سائر وجوه الانتفاع وجعل لهم أيضا من جلود الأنعام بيوتا أي من الأدم يستخفون حملها في أسفارهم ليضربوها لهم في إقامتهم في السفر والحضر ولهذا قال تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها أي الغنم وأوبارها أي الإبل وأشعارها أي المعز والضمير عائد على الأنعام أثاثا أي تتخذون منه أثاثا أي المال والمتاع واللباس ونحوها من الفرش وغيره وقوله إلى حين أي إلى أجل مسمى ووقت معلوم وقوله والله جعل لكم مما خلق ظلالا قال قتادة يعني الشجر وجعل لكم من الجبال أكنانا أي حصونا ومعاقل كما جعل لكم سرابيل تقيكم الحر وهي الثياب من القطن والكتان والصوف وسرابيل تقيكم بأسكم كالدروع من الحديد المصفح والزرد وغير ذلك كذلك يتم نعمته عليكم أي هكذا يجعل لكم ما تستعينون به على أمركم وما تحتاجون إليه ليكون عونا لكم على طاعته وعبادته لعلكم تسلمون هكذا فسره وقرأه بكسر اللام من الإسلام وروي أن ابن عباس كان يقرأ تسلمون بفتح اللام يعني من الجراح ورد ابن جرير هذه القراءة وقوله فإن تولوا أي بعد هذا البيان وهذا الامتنان فلا عليك منهم فإنما عليك البلاغ المبين وقد أديته إليهم يعرفون نعمة الله أي يعرفون أن الله تعالى هو المسدي إليهم ذلك والمتفضل به عليهم ومع هذا ينكرون ذلك ويعبدون معه غيره ويسندون السمع والنصر والرزق إلى غيره وأكثرهم الكافرون أي الجاحدون ذلك **ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون وألقوا إلى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون** أخبر تعالى عن شأن المشركين يوم معادهم في الدار الآخرة وأنه يبعث من كل أمة شهيدا وهو نبيها تشهد عليها بما أجابته فيما بلغها عن الله تعالى ثم لا يؤذن للذين كفروا أي في الاعتذار لأنهم يعلمون بطلانه وكذبه كما قال هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولهذا قال ولا هم يستعتبون أي لا يسترضون يعني لا يكلفون أن يرضوا ربهم بالتوبة ونحوها لأن الآخرة ليست بدار التكليف ولا استعتاب التعرض لطلب الرضا وقوله وإذا رأى الذين ظلموا أي أشركوا العذاب فلا يخفف عنهم أي لا يفتر عنهم ساعة واحدة ولا هم ينظرون أي ولا يؤخر عنهم بل يأخذهم من الموقف سريعا

بالاجابة

بالإجابة كما قال تعالى لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار إلى قوله ولا هم ينظرون ثم أخبر تعالى عن تبري آلهتهم منهم أحوج ما يكونون إليها فقال وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم أي الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون أي قالت لهم الأوثان كذبتم نحن ما أمرناكم بعبادتنا كما قال تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وألقوا إلى الله يومئذ السلم أي ذلوا واستسلموا لله جميعهم فلا أحد إلا سامع مطيع كما قال تعالى أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا وضل عنهم أي ذهب واضمحل عنهم ما كانوا يعبدونه افتراء على الله فلا ناصر لهم ولا معين ولا مجير ثم قال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أي منعوا الناس عن طريق الحق زدناهم عذابا فوق العذاب أي عذابا على كفرهم وعذابا على صدهم الناس عن اتباع الحق وهذا دليل على أن الكفار يتفاوتون في العذاب كما يتفاوت المؤمنون في منازلهم ودرجاتهم في الجنة قال ابن مسعود زيدوا عقارب أنيابها كالنخل الطويل وقال ابن عباس هي خمسة أنهار تحت العرش يعذبون بعضها في الليل وبعضها بالنهار **ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** يقول تعالى مخاطبا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء يعني أمته أي اذكر ذلك اليوم وهوله وما منحك الله فيه من الشرف العظيم والمقام الرفيع وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى في صدر سورة النساء فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وقوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء قال ابن مسعود قد بين لنا في هذا القرآن كل علم وكل شيء يعني من الأحكام وغيرها مما الناس إليه محتاجون في أمور دينهم ودنياهم ومعاشهم ومعادهم وهدى أي للقلوب ورحمة وبشرى للمسلمين **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** أخبر تعالى أنه يأمر عباده بالعدل وهو القسط والموازنة ويندب إلى الإحسان كما قال تعالى والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له وغيرها من الآيات الدالة على شرعية العدل والندب إلى الفضل قال ابن عباس إن الله يأمر بالعدل أي شهادة أن لا إله إلا الله وقال ابن عيينة العدل ههنا استواء السريرة والعلانية من كل عامل لله عملا والإحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته والفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته وقوله وإيتاء ذي القربى أي يأمر بصلة الأرحام كما قال وآت ذا القربى حقه الآية وقوله وينهى عن الفحشاء والفواحش المحرمات والمنكرات ما ظهر منها على فاعلها وأما البغي فهو العدوان على الناس وفي الحديث ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم وقوله يعظكم أي يأمركم بما يأمركم به من الخير وينهاكم عن الذي نهاكم عنه من الشر لعلكم تذكرون أي تتعظون قال ابن مسعود إن أجمع آية في القرآن في سورة النحل إن الله يأمر بالعدل والإحسان رواه ابن جرير وقال قتادة إن الله يأمر بالعدل والإحسان ليس من خلق حسن كانوا يعملون به في الجاهلية ويستحسنونه إلا أمر الله به وليس من خلق سيئ كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقد جاء في الحديث إن الله يحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها وقال عكرمة إن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الوليد إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية فقال يا ابن أخي أعد فأعاد عليه فقال إن له والله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما هو بقول البشر **وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون**

ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هي اربى من امة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيمة ما
كنتم فيه تختلفون امر الله عباده بالوفاء بالعهود والمواثيق والمحافظة على الايمان المؤكدة ولهذا قال ولا تنقضوا
الايمان بعد والمراد بها الايمان الداخلة في العهود والمواثيق لا الايمان التي هي واردة على حث او منع حتى لا يقع
التعارض بين هذه وبين قوله ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم الاية ونحوها من الايات وحديث انى لا احلف على يمين فارى
غيرها خيرا منها الحديث وقال مجاهد المراد بذلك حلف الجاهلية ويؤيده ما رواه جبير بن مطعم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا حلف في الاسلام وايما حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة رواه مسلم يعني ان الاسلام
لا يحتاج معه الى الحلف الذي كان اهل الجاهلية يفعلونه فان في التمسك بالاسلام كفاية عما كانوا فيه وقيل نزلت هذه
في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم مع من اسلم على الاسلام فقال واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم هذه البيعة التي بايعتم على الاسلام و
لا تنقضوا الايمان بعد توكيدها البيعة اى لا يحملنكم قلة محمد واتباعه وكثرة المشركين ان تنقضوا البيعة التي بايعتم على الاسلام
وقوله ان الله يعلم ما تفعلون تهديد ووعيد لمن نقض الايمان بعد توكيدها وقوله ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها قال
السدي وغيره هذه امرأة كانت بمكة خرقاء كلما غزلت شيئا نقضته بعد ابرامه وقال مجاهد وغير واحد هذا مثل
لمن نقض عهده بعد توكيده وهذا ارجح واظهر وقوله انكاثا يحتمل ان يكون اسم مصدر نقضت غزلها انكاثا اي
انتقاضا وان يكون بدلا عن خبر كان اي لا تكونوا انكاثا جمع نكث من ناكث ولهذا قال بعده تتخذون ايمانكم دخلا
بينكم اى خديعة ومكرا ان تكون امة هي اربى من امة اي تحلفون للناس اذا كانوا اكثر منكم ليطمئنوا اليكم فاذا امكنكم
الغدر بهم غدرتم فنهى الله عن ذلك لينبه بالادنى على الاعلى فانه اذا نهى عن الغدر والحالة هذه فلان ينهى عنه مع
التمكن والقدرة بطريق الاولى وقال ابن عباس اربى اى اكثر وقال مجاهد كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون اكثر
منهم واعز فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون اولئك الذين هم اكثر واعز فنهوا عن ذلك وقوله انما يبلوكم الله به
قال ابن جبير اي بالكثرة وقال ابن جرير اي يختبركم الله بامره اياكم بالوفاء بالعهد وليبينن الله لكم يوم القيمة ما
كنتم فيه تختلفون في الدنيا فيجازي كل عامل بعمله ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي
من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء
بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا ان ما عند الله هو خير
لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا
يعملون اى ولو شاء الله لجعلكم ايها الناس امة واحدة اى على ملة واحدة ولوفق بينكم ولدفع الاختلاف والتباغض و
الشحناء ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ثم يسالكم يوم القيمة عن جميع اعمالكم فيجازيكم عليها على النقير والفتيل و
القطمير ثم حذر تعالى عباده عن اتخاذ الايمان دخلا اى خديعة ومكرا لئلا تزل قدم بعد ثبوتها فهذا مثل لمن كان
على استقامة فحاد عنها وزل عن طريق الهدى بسبب الايمان الحانثة المشتملة على الصد عن سبيل الله لان الكافر اذا
راى المؤمن قد عاهده ثم غدر به لم يبق له وثوق بالدين فانصد بسببه عن الدخول في الاسلام ولهذا قال وتذوقوا السوء
بما صددتم عن سبيل الله قيل اى سهلتم طريق نقض العهد على الناس بنقضكم العهد ولكم عذاب عظيم بسبب ذلك ثم قال ولا
تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا اي تعتاضوا عن الايمان بالله عرض الحيوة الدنيا وزينتها فانها قليلة ولو حيزت لابن ادم الدنيا

بحذافيرها

بحذافيرها لكان ما عند الله من الثواب والجزاء خيرا له ان آمن به وطلبه وحفظ عهده رجاء موعوده ولهذا قال ان كنتم
تعلمون ما عندكم ينفد اى ينقضى ويفرغ فانه الى اجل معدود محصور مقدر متناهي وما عند الله باق اى ثوابه لكم في الجنة
باق لا انقطاع له ولا نفاد فانه دائم لا يحول ولا يزول ولنجزين الذين صبروا اى على الوفاء في السراء والضراء باحسن ما
كانوا يعملون قسم مؤكد من الرب تعالى انه يجازي الصابرين باحسن اعمالهم اى ويتجاوز عن سيئها من عمل صالحا من
ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون هذا وعد
من الله للصلحاء ذكرا او انثا اى من عمل على وفق الكتاب والسنة وقلبه مؤمن بالله ورسوله بان يحييه الله حيوة طيبة في الدنيا
وان يجزى باحسن عمله في الاخرة والحيوة الطيبة تشمل وجوه الراحة من اى جهة كانت وقد فسرها بعضهم بالرزق الحلال
الطيب وبعضهم بالقناعة واخر بالسعادة والعبادة في الدنيا والانشراح بها وقال مجاهد وغيره لا يطيب لاحد الحيوة الا
في الجنة والصحيح انها تشمل جميع ذلك كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما اتاه رواه
مسلم وقال عليه الصلوة والسلام ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يعطى بها في الدنيا ويثاب عليها في الاخرة واما الكافر فيطعم
بحسناته في الدنيا حتى اذا افضى الى الاخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا رواه مسلم ايضا فاذا قرات القران فاستعذ
بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه
والذين هم به مشركون امر الله على لسان نبيه عليه الصلوة والسلام انه اذا اراد قراءة القران ان يستعيذ بالله من الشيطان
الرجيم ندبا غير واجب بالاجماع والمعنى في الاستعاذة عند ابتداء القراءة لئلا يلبس الشيطان على القارئ قراءته ويخلط عليه
ويمنعه التدبر والتفكر ولهذا ذهبوا الى ان الاستعاذة انما تكون قبل التلاوة وهو الصحيح الراجح وقوله انه ليس له سلطان على
الذين امنوا قال الثوري اى ليس له عليهم ان يوقعهم في ذنب لا يتوبون منه وقيل لا حجة له عليهم انما سلطانه على الذين يتولونه
قال مجاهد اي يطيعونه وقيل اتخذوه وليا من دون الله والذين هم به مشركون اى اشركوه في عبادة الله وقيل اى صاروا بسبب طاعتهم
له مشركين بالله واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون قل نزله
روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين امنوا وهدى وبشرى للمسلمين اخبر تعالى عن ضعف عقول المشركين
وقلة ثباتهم وانه لا يتصور منهم الايمان وقد كتب عليهم الشقاوة وذلك انهم اذا رأوا تغيير الاحكام بالنسخ قالوا للرسول عليه
الصلوة والسلام انما انت مفتر اى كذاب وانما هو تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وقال مجاهد بدلنا اية مكان اية
اى رفعناها واثبتنا غيرها فقال تعالى مجيبا لهم قل نزله روح القدس اى جبرئيل من ربك بالحق اى بالصدق والعدل ليثبت
الذين امنوا فيصدقوا ما انزل اولا وثانيا وتخبت له قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين اى جعله هاديا وبشارة للمسلمين الذين
امنوا بالله ورسوله ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي
مبين اخبر تعالى عن افتراء المشركين وبهتانهم من ان محمدا انما يعلمه احد من البشر اشاروا الى رجل اعجمي غلام لبعض بطون قريش وكان
بياعا يبيع عند الصفا وربما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس اليه ويكلمه بعض الشيء وذاك كان اعجمي اللسان لا يعرف العربية
فقال تعالى رادا عليهم في افترائهم ذلك لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين يعني القران اى فكيف يتعلم من جاء
بهذا القران في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة الكاملة من رجل اعجمي لا يقول هذا من له ادنى مسكة من العقل
وقوله يلحدون اي يميلون ويشيرون اليه قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بمكة وكان اسمه بلعام

وكان أعجمي اللسان وكان المشركون يرون النبي صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده فقالوا انما يعلمه بلعام فانزل الله هذه الآية اي المذكورة سابقا ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون اخبر تعالى انه لا يهدي من اعرض عن ذكره وتغافل عما انزله على رسوله ولم يقصد الايمان به فهذا الجنس من الناس لا يهديهم الله الى الايمان بآياته وما ارسل به رسله في الدنيا ولهم عذاب أليم موجع في الآخرة ثم اخبر ان رسوله ليس بمفتر ولا كذاب لانه انما يفتري الكذب على الله شرار الخلق وهم الذين لا يؤمنون بآيات الله من الكفرة والملحدين والرسول عليه الصلوة والسلام كان اصدق الناس وابرهم واكملهم علما وعملا وايمانا وايقانا معروفا في قومه بالصدق بلا شك بحيث لا يدعى فيهم الا بمحمد الامين ولهذا لما سأل هرقل ملك الروم ابا سفيان عن صفته عليه الصلوة والسلام قال له أفكنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا فقال هرقل ما كان ليدع الكذب على الناس ويذهب فيكذب على الله من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وأولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون اخبر تعالى عمن كفر به بعد الايمان والتبصر وشرح صدره بالكفر واطمأن به انه قد غضب عليه لعلمهم بالايمان ثم عدولهم عنه وان لهم عذابا عظيما في الآخرة لانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة فاقدموا على ما اقدموا عليه من الردة لاجل الدنيا ولم يهد الله قلوبهم ولم يثبتهم على الدين وطبع على قلوبهم فلا يعقلون بها شيئا ينفعهم وختم على سمعهم وابصارهم فلا ينتفعون بها ولا اغنت عنهم شيئا فهم غافلون عما يراد بهم لا جرم اي لا بد ولا عجب ان من هذه صفته انهم في الآخرة هم الخاسرون اي الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة فقوله الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان بالله ورسوله قال ابن عباس ان هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد فوافقهم على ذلك مكرها وجاء معتذرا الى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية فقال له كيف تجد قلبك قال مطمئنا بالايمان قال النبي صلى الله عليه وسلم ان عادوا فعد رواه البيهقي ولهذا قال الجمهور يجوز ذلك من المكره المطمئن قلبه بالايمان ويجوز ان يتثبت كما كان بلال يأبى عليهم ذلك وهم يفعلون به اشد العذاب ويأمرونه بالشرك وهو يأبى ويقول احد احد ويقول والله لو اعلم كلمة اغيظ لكم منها لقلتها رضي الله عنه والاولى والافضل ان يتثبت المسلم على دينه ولو افضى الى قتله وقصته تعذيب ملك الروم عبد الله بن حذافة السهمي الصحابي رضي الله عنه بانواع العذاب ثم تخليصه مع جميع اسراء المسلمين مشهورة وقوله ولكن من شرح بالكفر صدرا اي فتح صدره بالكفر واختاره وقبله فعليهم غضب الله فانهم مرتدون وفي البخاري ان عليا رضي الله عنه حرق ناسا ارتدوا عن الاسلام فبلغ ذلك ابن عباس فقال لو كنت انا لم احرقهم لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعذبوا بعذاب الله ولقتلتهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه فبلغ ذلك عليا فقال ويح ام ابن عباس ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون هؤلاء صنف آخر كانوا مستضعفين بمكة مهانين في قومهم مفتونين بينهم فخلصهم الله بالهجرة فتركوا بلادهم واهاليهم واموالهم ابتغاء رضوان الله وغفرانه واجتمعوا مع المؤمنين وجاهدوا الكفار وصبروا فاخبر تعالى انه من بعدها اي من بعد تلك الفعلة وهي الاجابة الى الفتنة لغفور لهم رحيم بهم يوم معادهم يوم تأتي كل نفس تجادل اي تخاصم وتحاج لهم

عن نفسها بما اسلفت من خير وشر لا تشفع الى غيرها وتوفى كل نفس ما عملت اي من خير وشر وهم لا يظلمون اي لا ينقص من ثواب خيرهم ولا يزاد على عقاب شرهم شيئا وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون هذا مثل لاهل مكة فانها كانت آمنة مطمئنة يتخطف الناس من حولهم ومن دخلها آمن لا يخاف يأتيها رزقها رغدا اي هنيئا سهلا من كل مكان فكفرت بانعم الله اي جحدت آلاء الله عليها واعظم ذلك بعثة محمد صلى الله عليه وسلم كما قال الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الآية ولهذا بدلهم بحاليهم الاولين خلافهما فقال فاذاقها الله لباس الجوع اي البسها واذاقها الجوع بعد ان كان يجبى اليهم ثمرات كل شيء وذلك لما استعصوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوا الا خلافه فدعا عليهم بسبع كسبع يوسف فاصابتهم سنة اذهبت كل شيء فاكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتة وغيرها وقوله والخوف وذلك بانهم خافوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حين هاجروا الى المدينة من سطوة سراياه وجيوشه حتى فتح الله مكة وذلك بسبب صنيعهم وبغيهم وتكذيبهم الرسول عليه الصلوة والسلام الذي بعثه الله فيهم منهم وامتن به عليهم في قوله لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم وغيرها من الآيات البينات فانعكس حالهم فخافوا بعد الامن وجاعوا بعد الرغد وبدل الله للمؤمنين به بعد خوفهم امنا ورزقهم بعد العيلة وجعلهم امراء الناس وساداتهم وائمتهم وهذا هو المثل المضروب لمكة قاله ابن عباس وموافقوه وقيل المراد المدينة وتخربت بسبب قتل عثمان رضي الله عنه والظاهر هو الاول والله اعلم فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم اخبر تعالى عباده ان يأكلوا الحلال الطيب ويشكروه على ذلك فانه المنعم المتفضل به ابتداء وهو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له ثم ذكر ما حرمه عليهم مما فيه مضرة لهم في دينهم ودنياهم من الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله اي ذبح على غير اسم الله ومع هذا فمن اضطر اي احتاج اليه من غير بغي ولا عدوان فان الله غفور رحيم وسبق الكلام على مثل هذه الآية بما فيه كفاية من اعادته في سورة البقرة ثم نهى تعالى عن سلوك سبيل المشركين الذين حللوا وحرموا بمجرد ما وضعوه واصطلحوا عليه من الاسماء بآرائهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وغير ذلك مما ابتدعوه في جاهليتهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام الآية ويدخل في هذا كل من ابتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعي او حلل شيئا مما حرم الله او حرم شيئا مما اباح الله بمجرد رأيه وتشهيه وما في قوله لما مصدرية اي ولا تقولوا الكذب لوصف السنتكم ثم توعد على ذلك فقال ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون اي لا ينجون من عذاب الله لا في الدنيا ولا في الآخرة اما في الدنيا فمتاع قليل واما في الآخرة فلهم عذاب أليم كما قال نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم لما ذكر تعالى انه حرم علينا الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به وانه رخص عند الضرورة توسعة لهذه الامة ذكر ما كان حرم على اليهود في شريعتهم قبل ان ينسخها وما كانوا

[illegible]

فيه من الاحسان والاعلال والحجج والتقسيم فقال وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل نعني في سورة الانعام
في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية ولهذا قال وما ظلمناهم اي فيما ضيقنا ولكن كانوا انفسهم يظلمون اي فاستحقوا
ذلك ثم اخبر تعالى تكرما وامتنانا في حق عصاة المؤمنين ان من تاب اليه تاب عليه فقال ثم ان ربك للذين عملوا السوء
بجهالة قال بعضهم كل من عصى الله فهو جاهل ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا اي اقلعوا عما كانوا فيه من المعاصي واقبلوا
على فعل الطاعات ان ربك من بعدها اي من بعد تلك الفعلة والزلة لغفور رحيم ان ابرهيم كان امة قانتا لله حنيفا
ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتبيه وهديه الى صراط مستقيم واتيناه في الدنيا حسنة وانه في
الآخرة لمن الصالحين ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين يمدح تعالى خليله
ابرهيم امام الحنفاء عليه السلام وبراءة من المشركين ومن اليهودية والنصرانية فقال ان ابرهيم كان امة قانتا لله حنيفا
اما الامة ههنا فهو امام يقتدى به والقانت هو الخاشع المطيع والحنيف المنحرف قصدا من الشرك الى التوحيد ولهذا
قال ولم يك من المشركين قال ابن مسعود الامة معلم الخير والقانت المطيع لله ولرسوله ومن هنا يجوز ان يوصف
عالم عامل بالامة القانت وقال مجاهد ان ابرهيم كان امة اي مؤمنا وحده والناس كلهم اذ ذاك كفار وقوله شاكرا
لانعمه اي قائما بشكر نعم الله عليه كما قال وابرهيم الذي وفى اي قام بجميع ما امره الله تعالى به وقوله اجتبيه اي اختاره واصطفاه
ثم قال وهداه الى صراط مستقيم هو عبادة الله وحده لا شريك له على شرع مرضي وقوله واتيناه في الدنيا حسنة اي جمعنا له خير الدنيا
من جميع ما يحتاج المؤمن اليه في كمال حيوته الطيبة وانه في الآخرة لمن الصالحين وقال مجاهد حسنة اي لسان صدق وقوله
ثم اوحينا اليك اي ومن كماله وصحة توحيده انا اوحينا اليك يا خاتم الرسل ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وفيه انه عليه الصلوة والسلام
كان على شريعته عليه السلام الا ما نسخ وما لم ينسخ فهو شرع له كما في الانعام قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم الآية انما جعل
السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ان الله قد شرع
لكل ملة يوما من الاسبوع يجتمع الناس فيه للعبادة بلا شك فشرع لهذه الامة يوم الجمعة لانه اليوم الذي اكمل الله فيه الخليقة
واجتمعت فيه وتمت النعمة على عباده ويقال انه شرع ذلك لبني اسرائيل على لسان موسى فعدلوا عنه فاختاروا السبت لانه
اليوم الذي لم يخلق فيه الرب شيئا من المخلوقات التي كملت خلقها يوم الجمعة والزمهم تعالى به في شريعة التورية ووصاهم
ان يتمسكوا به وان يحافظوا عليه مع امره اياهم بمتابعة محمد صلى الله عليه وسلم اذا بعثه واخذ مواثيقهم وعهودهم على ذلك
ولهذا قال انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه قال مجاهد اي اتبعوه وتركوا الجمعة ثم انهم لم يزالوا متمسكين به حتى بعث الله
عيسى بن مريم فيقال انه حولهم الى يوم الاحد ويقال انه لم يترك شريعة التورية الا ما نسخ وانه لم يزل محافظا على السبت حتى
رفع وان النصارى بعده في زمان قسطنطين هم الذين تحولوا الى يوم الاحد مخالفة لليهود وتحولوا الى الصلوة شرقا عن الصخرة
والله اعلم وفي الصحيحين عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن الآخرون السابقون يوم القيمة بيد انهم
اوتوا الكتاب من قبلنا واوتينا من بعدهم ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه
تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد وفي رواية لمسلم وكذلك هم تبع لنا يوم القيمة نحن الآخرون من اهل الدنيا والاولون
يوم القيمة المقضي لهم قبل الخلائق ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين امر تعالى رسوله محمدا عليه الصلوة والسلام ان يدعو

[illegible]

[illegible]

الخلق الى الله بالحكمة وهو ما انزله عليه من الكتاب والسنة والموعظة الحسنة اي بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس يذكرهم
بها ليحذروا بأس الله وجادلهم بالتي هي احسن اي من احتاج منهم الى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين
وحسن خطاب كما قال ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن فامره تعالى بلين الجانب كما امر موسى وهرون به بقوله
فقولا له قولا لينا وقوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله اي وقد علم الشقي منهم والسعيد وكتب ذلك عنده وفرغ منه
فادعهم الى الله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا
بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون امر تعالى
بالعدل والاقتصاص والمماثلة في استيفاء الحق كما قال ابن سيرين وغير واحد في هذه الآية ان اخذ منك رجل شيئا فخذ مثله وقال
اخباره ابن جرير وقال نزلت سورة النحل كلها بمكة الا ثلث آيات من آخرها فانها نزلت بالمدينة بعد احد حيث قتل حمزة رضي
الله عنه ومثل به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بثلثين رجلا منهم فلما سمع المسلمون ذلك قالوا
مثله وبالعوانه فانزل الله وان عاقبتم الى آخر السورة وهذا مرسل ضعيف وهذه الآية الكريمة لها امثال في القرآن فانها
مشتملة على مشروعية العدل والندب الى الفضل كما في قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم قال فمن عفى واصلح فاجره على الله
وقال والجروح قصاص ثم قال فمن تصدق به فهو كفارة له وقوله واصبر وما صبرك الا بالله تاكيد للامر بالصبر واخبار
بان ذلك انما ينال بمشية الله واعانته وحوله وقوته ثم قال ولا تحزن عليهم اي على من خالفك فان الله قدر ذلك ولا تك
في ضيق اي غم مما يمكرون اي مما يجهدون انفسهم في عداوتك وايصال الشر اليك فان الله كافيك وناصرك ومظهرك
عليهم وقوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون اي معهم بتاييده ونصره ومعونته وهذه معية خاصة كقوله لموسى
وهرون لا تخافا انني معكما اسمع وارى وقول النبي صلى الله عليه وسلم للصديق وهما في الغار لا تحزن ان الله معنا واما
المعية العامة فبالسمع والبصر والعلم كقوله وهو معكم اينما كنتم وغيرها من الآيات ومعنى الذين اتقوا اي تركوا المحرمات
والذين هم محسنون اي فعلوا الطاعات فهؤلاء يحفظهم الله ويكلاهم وينصرهم ويؤيدهم على اعداء الدين وسائر المخالفين

تفسير سورة سبحان وهي مكية

في البخاري قال ابن مسعود في بني اسرائيل والكهف ومريم انهن من العتاق
الاول وهن من تلادي اي من اول ما انزل والعتيق القديم او من قديم ما تعلمت من القرآن وقوله من تلادي اي من
قديم ما اخذت وادخرت من القرآن وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر
رواه احمد بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد
الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير يمجد الله نفسه و
يعظم شانه لكمال قدرته فلا اله الا هو اسرى بعبده يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ليلا اي في جنح ليل من المسجد الحرام وهو مسجد مكة
الى المسجد الاقصى وهو بيت المقدس الذي بايلياء معدن الانبياء من لدن ابرهيم الخليل ولهذا جمعوا هنالك كلهم فامهم في
محلتهم وداراهم فدل على انه هو الامام الاعظم وسيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين وقوله الذي باركنا
حوله اي في الزروع والثمار لنريه اي محمدا من آياتنا اي العظام كما قال تعالى لقد راى من آيات ربه الكبرى وقوله انه هو السميع
البصير اي السميع لاقوال عباده مؤمنهم وكافرهم مصدقهم ومكذبهم البصير بهم فيعطي كلا ما يستحقه في الدنيا والآخرة
وقد وردت في الاسراء احاديث بطرق وروايات يكتفى منها بما يفيد المقصود بلا اكثار ولا تطويل منها في الصحيحين عن انس بن مالك

[illegible]

عن مالك بن صعصعة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسري به قال بينما انا في الحطيم وربما قال في
الحجر مضطجعا اذ اتاني آت فجعل يقول لصاحبه الاوسط بين الثلثة قال فاتاني فقد وفي رواية فشق ما بين هذه الى هذه
يعني من ثغرة نحره الى شعرته فاستخرج قلبي قال فاتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا وحكمة فغسل قلبي ثم حشي ثم اعيد
ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض هو البراق يقع خطوه عند اقصى طرفه قال فحملت عليه فانطلق بي جبرئيل
عليه السلام حتى اتى الى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قيل جبرئيل قيل ومن معك قال محمد قيل او قد ارسل اليه قال نعم
قيل مرحبا به ونعم المجيء جاء قال ففتح لنا فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال هذا ابوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلم ثم قال
مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى اتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبرئيل قيل ومن معك قال محمد
قيل او قد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجيء جاء قال ففتح فلما خلصت فاذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى و
عيسى فسلم عليهما فسلمت فردا السلم ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السماء الثالثة فاستفتح فقيل من هذا
قال جبرئيل قيل ومن معك قال محمد قيل او قد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجيء جاء قال ففتح لنا فلما خلصت اذا يوسف
فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام فقال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السماء الرابعة فاستفتح فقيل من
هذا قال جبرئيل قيل ومن معك قال محمد قيل او قد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجيء جاء قال ففتح فلما خلصت فاذا ادريس
قال هذا ادريس فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح قال ثم صعد بي حتى اتى السماء
الخامسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبرئيل قيل ومن معك قال محمد قيل او قد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء
فلما خلصت فاذا هرون قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلم ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد
بي حتى اتى السماء السادسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبرئيل قيل ومن معك قال محمد قيل او قد ارسل اليه قال نعم
قيل مرحبا به ونعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا انا بموسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا
بالاخ الصالح والنبي الصالح قال فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال ابكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من امته
اكثر ممن يدخلها من امتي قال ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبرئيل قيل ومن معك قال محمد
قيل او قد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجيء جاء قال ففتح فلما خلصت فاذا ابرهيم فقال هذا ابوك ابرهيم فسلم عليه قال فسلمت
عليه فرد السلام فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح قال ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا
اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبرئيل قال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران
فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور ثم اتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل قال فاخذت اللبن قال هي
الفطرة انت عليها وامتك قال ثم فرضت علي الصلوة خمسين صلوة كل يوم قال فرجعت حتى اتيت موسى فقال ما فرض ربك على امتك
قال قلت خمسين صلوة كل يوم قال ان امتك لا تستطيع لخمسين صلوة واني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة
فارجع الى ربك فسله التخفيف لامتك قال فرجعت فوضع عني عشرا قال فرجعت الى موسى فقال بما امرت قلت باربعين صلوة
كل يوم قال ان امتك لا تستطيع اربعين صلوة كل يوم واني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع
الى ربك فسله التخفيف لامتك قال فرجعت فوضع عني عشرا آخر فرجعت الى موسى فقال بما امرت قلت بثلثين صلوة
كل يوم قال ان امتك لا تستطيع ثلثين صلوة كل يوم واني قد جربت الناس وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك

لا لكونه بكاء على الحسد له الا انه بعث [illegible] الانبياء والاولياء بل بكاؤه على نقصه [illegible] وامته
اذ نقص عددهم من عدد امته وذلك للشفقة و
الرحمة على امته وتمني الخير لهم وقوله الان غلاما
ليس على سبيل الازراء والاستصغار لشانه
بل على تعظيم المنة لله فيما اتاه وما له من النبوة
واحوله من الكرامة من غير طول عمر في عبادته
وانما سماه غلاما لانه وان كان قد جاوز
الاربعين فهو بالنسبة الى من كان قبله من
الانبياء ذوي طول اعمارهم كانه غلام ٤

قوله نهران باطنان
انما ذكر باطنان لخفاء
امرهما وفقدان المسلك اليها
في الشاهد ولانهما يجيئان ٥
عن اعين الناظرين وورد في
الحديث احدهما يقال له الكوثر
والثاني يقال له نهر الرحمة ٤

فسله التخفيف لامتك قال فرجعت فوضع عني عشرا آخر فرجعت الى موسى فقال بما امرت قلت بعشرين صلوة كل يوم
فقال ان امتك لا تستطيع لعشرين صلوة كل يوم واني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى
ربك فسله التخفيف قال فرجعت فوضع عني عشرا اخر فرجعت الى موسى فقال بما امرت فقلت امرت بعشر صلوات كل يوم
فقال ان امتك لا تستطيع لعشر صلوات كل يوم واني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى
ربك فسله التخفيف لامتك قال فرجعت فامرت بخمس صلوات كل يوم قال ان امتك لا تستطيع بخمس صلوات كل يوم واني قد جربت
الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فسله التخفيف لامتك قال قلت سالت ربي حتى استحييت
ولكني ارضى واسلم نفذت فناداني مناد قد امضيت فريضتي وخففت عن عبادي رواه احمد بهذا السياق وفي رواية
اخرى فيهما عن شريك بن عبد الله عن انس بن مالك حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان قاب قوسين او
ادنى فاوحى الله اليه فيما يوحي خمسين صلوة على امتك كل يوم وليلة فذهب جماعة من الصحابة والتابعين بهذا انه عليه
الصلوة والسلام راى ربه وقال البيهقي وقول من حمل هذا على رؤيته جبرئيل اصح فان ابا ذر قال يا رسول الله رايت ربك
قال نور اني اراه وفي رواية رايت نورا رواه مسلم والله اعلم وفي رواية اخرى عن انس حتى بلغ بيت المقدس قال
عليه الصلوة فلم البث الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير ثم اذن مؤذن واقيمت الصلوة قال فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا
فاخذ بيدي جبرئيل فقدمني فصليت بهم فلما انصرفت قال جبرئيل يا محمد اتدري من صلى خلفك قال قلت لا قال صلى خلفك
كل نبي بعثه الله تعالى قال ثم اخذ بيدي جبرئيل فصعد بي الى السماء رواه ابن ابي حاتم وفي رواية عن بريدة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما كان ليلة اسري به قال فاتى جبرئيل الصخرة التي ببيت المقدس فوضع اصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق
رواه الترمذي وفي الصحيحين عن جابر سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كذبني قريش حين اسري بي الى بيت المقدس قمت
في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت اخبرهم عن آياته وانا انظر اليه وفيهما ايضا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال رايت ليلة اسري بي رجلا آدم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة ورايت عيسى رجلا مربوع الخلق الى الحمرة والبياض
سبط الراس ورايت مالكا خازن النار والدجال في آيات اراهن الله اياه فلا تكن في مرية من لقائه وفي مسلم عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رايتني في الحجر وقريش تسالني عن اشياء من بيت المقدس لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله
قط فرفعه الله لي انظر اليه ما سالوني عن شيء الا انباتهم به وقد رايتني في جماعة من الانبياء واذا موسى قائم يصلي واذا رجل ضرب
جعد كانه من رجال شنوءة واذا عيسى بن مريم قائم يصلي اقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي واذا ابرهيم قائم يصلي
اشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه فحانت الصلوة فاممتهم فلما فرغت قال قائل يا محمد هذا مالك صاحب النار فالتفت
اليه فبداني بالسلام وللبيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى اصبح
يحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه وسعوا بذلك الى ابي بكر فقالوا هل لك في صاحبك يزعم انه اسري
به الليلة الى بيت المقدس فقال او قال ذلك قالوا نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا افتصدقه انه ذهب الليلة الى بيت المقدس
وجاء قبل ان يصبح قال نعم اني لاصدقه فيما هو ابعد من ذلك اصدقه بخبر السماء في غدوة او روحة فلذلك سمي ابو بكر الصديق
ثم اعلم ان الاسراء كان مرة واحدة اسري به يقظة لا مناما راكبا البراق من مكة الى بيت المقدس فلما انتهى الى باب المسجد ربط
الدابة عند الباب ودخله فصلى في قبلته تحية المسجد ركعتين ثم اتى المعراج وهو كالسلم ذو درج يرقى فيها فصعد فيه الى

السماء الدنيا على ما سبق في الحديث الصحيح وكان الاسراء قبل الهجرة بسنة قاله الزهري وعروة وقيل بستة عشر شهرا و
الاكثرون على انه عليه الصلوة والسلام اسرى ببدنه وروحه يقظة لا مناما ولا ينكر ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم
راى قبل ذلك مناما ثم راه بعده يقظة لانه عليه الصلوة والسلام كان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح والدليل
على هذا قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام فالتسبيح انما يكون عند الامور العظام ولو كان مناما لم يكن فيه كبير
شيء ولم يكن مستعظما ولما بادرت كفار قريش الى تكذيبه ولما ارتد جماعة ممن كان قد اسلم وايضا فان العبد عبارة عن مجموع الروح
والجسد وقد قال اسرى بعبده ليلا وقد قال تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس قال ابن عباس هي
رؤيا عين اريها رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه البخاري وقال ما زاغ البصر وما طغى والبصر من آلات الذات لا الروح و
قيل بل اسرى بروح رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بجسده كما قالت عائشة ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اسرى
بروحه وهذا على تقدير الصحة مأول بما سبق آنفا من انه لا ينكر ان يكون عليه الصلوة والسلام راى قبل ذلك مناما ثم راه بعده
يقظة وقد تواترت الروايات في حديث الاسراء عن اكابر الصحابة والتابعين على اكثر من ثلثين نوعا وطريقا من مختصر ومبسوط
على ما في الصحاح والسنن والمسانيد والاخبار فهو مجمع على صحته ووقوعه واعرض عنه الزنادقة والملحدون يريدون ليطفئوا
نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون وقوله تعالى وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل
الا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا لما ذكر تعالى انه اسرى بعبده
محمد صلى الله عليه وسلم عطف بذكر موسى عبده وكليمه ايضا فانه تعالى كثيرا ما يقرن بين محمد وموسى عليهما الصلوة والسلام و
بين التورية والقرآن ولهذا قال بعد ذكر الاسراء وآتينا موسى الكتاب يعني التورية وجعلناه اي الكتاب هدى اي هاديا
لبني اسرائيل الا تتخذوا اي لئلا تتخذوا من دوني وكيلا اي وليا ولا نصيرا ولا معبودا دوني لان الله تعالى انزل على كل نبي
ارسله ان يعبدوه وحده لا شريك له ثم قال ذرية من حملنا مع نوح تقديره يا ذرية من حملنا مع نوح فيه تهييج وتنبيه على المنة
اي يا سلالة من نجينا فحملنا مع نوح في السفينة تشبهوا بابيكم انه كان عبدا شكورا فاذكروا انعمتي عليكم بارسالي اليكم محمدا و
انما سمي عبدا شكورا لانه كان عليه السلام يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله وعن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله ليرضى عن العبد ان يأكل الاكلة او يشرب الشربة فيحمد الله عليها رواه مسلم وقضينا الى بني اسرائيل في
الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد اوليهما بعثنا عليكم عبادا
لنا اولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم
باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها فاذا جاء وعد
الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى
ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي وتقدم اليهم واخبرهم في الكتاب الذي
انزله عليهم انهم سيفسدون في الارض مرتين ويعلون علوا كبيرا اي يتجبرون ويطغون ويفجرون على الناس كما قال تعالى وقضينا
اليه ذلك الامر الاية وقوله فاذا جاء وعد اوليهما اي اولى الافسادين بعثنا عليكم عبادا لنا اولي بأس شديد اي سلطنا
عليكم جندا من خلقنا اولي بأس شديد اي قوة وعدة وعدد وسلطنة شديدة فجاسوا خلال الديار اي تملكوا دياركم وسلكوا
خلال بيوتكم اي بينها ووسطها وتصرفوا ذاهبين وجائين لا يخافون احدا وكان وعدا مفعولا واختلفوا في هذا المسلطين

قال ابن عباس وغيره انه جالوت الجزري وجنوده سلط عليهم اولا ثم اديلوا عليه بعد ذلك وقتل داود جالوت ولهذا
قال ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا وقال سعيد بن جبير انه ملك الموصل سنحاريب
وجنوده وعنه ايضا وغيره انه بخت نصر ملك بابل وقد ذكر ابن ابي حاتم له قصة عجيبة في كيفية ترقيه من حال الى حال الى ان ملك
البلاد وانه كان فقيرا مقعدا ضعيفا يستعطي الناس ويستطعم ثم آل به الحال الى ما آل وانه سار الى بيت المقدس فقتل بها
خلقا كثيرا من بني اسرائيل وقد روى ابن جرير في هذا المكان حديثا مطولا لا مرفوعا وهو موضوع لا محالة والعجب منه كيف
راج عليه مع امامته وجلالة قدره وقد ورد في هذا آثار كثيرة اسرائيلية لا نطول الكتاب بها فان منها موضوعات ومنها
ما يحتمل الصدق ونحن في غنية عنها ولله الحمد وفيما قص الله علينا في القرآن غنية عما سواه وقد اخبر تعالى انهم لما بغوا وطغوا
سلط عليهم عدوهم فاستباح بيضتهم وسلك خلال بيوتهم واذلهم وقهرهم جزاء وفاقا وعن ابن المسيب قال ظهر بخت
نصر على الشام فخرب بيت المقدس وقتلهم ثم اتى دمشق فوجد بها دما يغلي على كبا فسألهم ما هذا الدم قالوا ادركنا آباءنا
على هذا وكلما ظهر عليه الكبا ظهر قال فقتل على ذلك الدم سبعين الفا من المسلمين وغيرهم فسكن وهذا هو المشهور عنه انه قتل اشرافهم
وعلماءهم حتى لم يبق من يحفظ التورية واخذ خلقا اسراء من ابناء الانبياء وغيرهم وجرت امور وكوائن يطول ذكرها ثم قال
تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها اي فعليها كما قال تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها فاذا جاء
وعد الآخرة اي الكرة الآخرة يعني اذا افسدتم الكرة الثانية وجاء اعداؤكم ليسوؤا وجوهكم اي يهينوكم ويقهروكم وليدخلوا
المسجد اي بيت المقدس كما دخلوه اول مرة اي في التي جاسوا اي طافوا او داروا فيها خلال الديار وليتبروا اي يدمروا
ويخربوا ما علوا اي ما ظهروا عليه تتبيرا عسى ربكم ان يرحمكم اي فيصرفهم عنكم وان عدتم عدنا اي متى عدتم الى الافساد عدنا
الى الادالة عليكم في الدنيا مع ما يدخر لكم في الآخرة من العذاب والنكال ولهذا قال وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي مستقرا
ومحصرا وسجنا لا محيد لهم عنها قال ابن عباس حصيرا اي سجنا يحصرون فيها قال قتادة وقد عاد بنو اسرائيل فسلط الله عليهم هذا النبي
محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه يأخذون منهم الجزية عن يد وهم صاغرون ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم و
يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا
لهم عذابا اليما يمدح الله تعالى كتابه العزيز الذي انزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بانه يهدي لاقوم الطرق واوضح السبيل
ويبشر المؤمنين به الذين يعملون الصالحات على مقتضاه ان لهم اجرا كبيرا اي يوم القيمة وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اي
ويبشر الذين لا يؤمنون بالآخرة بانا اعتدنا لهم عذابا اليما اي يوم القيمة كما قال فبشرهم بعذاب اليم ويدع الانسان بالشر
دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا يخبر تعالى عن عجلة الانسان ودعائه في بعض الاحيان على نفسه بالشر اي بالموت
او الهلاك والدمار واللعنة ونحو ذلك فلو استجاب له ربه لهلك بدعائه وقد سبق في الحديث لا تدعوا على انفسكم ولا تدعوا على اولادكم
ولا تدعوا على اموالكم لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم رواه مسلم وانما يحمل ابن آدم على ذلك عجلته وقلقه
ولهذا قال وكان الانسان عجولا اي يعجل الاصابة في السراء والضراء وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل
وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء
فصلناه تفصيلا يمتن الله على خلقه باياته العظام فمنها مخالفته بين الليل والنهار ليسكنوا في الليل وينتشروا في النهار
للمعاش والصنائع والاعمال والاسفار وليعلموا عدد الايام والجمع والشهور والاعوام ويعرفوا مضي الآجال المضروبة

قوله وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدين والدنيا
فصلناه بيانا بيانا غير ملتبس

[illegible]

للديون والعبادات والمعاملات والاجارات وغير ذلك ولهذا قال لتبتغوا فضلا من ربكم اي في معاشكم واسفاركم
ونحو ذلك ولتعلموا عدد السنين والحساب فانه لو كان الزمان كله نسقا واحدا واسلوبا متساويا لما عرف شيء من ذلك كما
قال تعالى قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة الى قوله تشكرون وغيرها من الآيات ثم انه تعالى جعل لليل
آية اي علامة يعرف بها وهي الظلام وظهور القمر فيه وللنهار علامة وهي النور وطلوع الشمس النيرة فيه وفاوت بين
ضياء القمر وبرهان الشمس ليعرف هذا من هذا كما قال هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا الآية وقوله فمحونا آية الليل
اي ظلمته وسواده الذي في القمر وقال قتادة كنا نتحدث ان محو آية الليل سواد القمر الذي فيه وجعلنا آية النهار
مبصرة اي منيرة وخلق الشمس انور من القمر واعظم وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم
القيمة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا طائره هو ما طار من عمله من خير
او شر يلزم به ويجازى عليه فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال وان عليكم لحافظين الآية
يعني ان عمل بني آدم محفوظ عليه قليله وكثيره ويكتب عليه ليلا ونهارا صباحا ومساء وقوله الزمناه طائره في عنقه اي
عمله لا يفارقه حتى يحاسب وانما ذكر العنق لانه عضو لا نظير له في الجسد ومن الزم شيء فيه فهو ملازمه اي ما كان و
قوله ونخرج له يوم القيمة اي نجمع له عمله كله في كتاب يعطاه يوم القيمة اما بيمينه ان كان سعيدا او بشماله ان كان شقيا منشورا
اي مفتوحا يقرؤه هو وغيره فيه جميع عمله من اول عمره الى آخره ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم واخر الآية وقوله اقرأ كتابك
اي انت تعلم انك لم تظلم ولم يكتب عليك الا ما عملت لانك ذكرت جميع ما كان منك ولا ينسى احد شيئا مما كان منه و
كل احد يقرأ كتابه من كاتب وامي وقوله حسيبا اي محاسبا قال الحسن لقد عدل عليك من جعلك حسيب نفسك
من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا اخبر تعالى ان من اهتدى واتبع الحق واقتفى آثار النبوة فان عاقبته تكون حميدة لنفسه
ومن ضل اي عن الحق وزاغ عن سبيل الرشاد فانما يجني على نفسه ويعود وبال ذلك عليه ثم قال ولا تزر وازرة وزر اخرى
اي لا يحمل ذنب احد على احد ولا يجني جان الا على نفسه كما قال وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولا منافاة بين هذا
وبين قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ونحوه فان الدعاة عليهم اثم ضلالهم في انفسهم واثم من اضلوا من غير
ان ينقص من اوزارهم اولئك ولا يحملوا عنهم شيئا وهذا من عدله ورحمته بعباده وكذا قوله وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا اخبارا عن عدله وانه لا يعذب احدا الا بعد قيام الحجة عليه بارسال الرسل اليه كما قال تعالى كلما القي فيها فوج سالهم
خزنتها الم ياتكم نذير الآية وغيرها من الآيات البينات الدالة على انه تعالى لا يدخل احدا النار الا بعد ارسال الرسول اليه
وقد اختلفوا في مسئلة الولدان الذين ماتوا وهم صغار وآباؤهم كفار ماذا حكمهم وكذا المجنون والاصم والشيخ الخرف
ومن مات في الفترة ولم تبلغه دعوة وقد وردت في شانهم احاديث نذكر بعضها ثم نبين حكم مسئلتهم ففي مسند احمد عن ابي هريرة
ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اربعة يحتجون يوم القيمة رجل اصم لا يسمع شيئا ورجل احمق ورجل هرم ورجل مات في الفترة
اما الاصم فيقول رب لقد جاء الاسلام وما اسمع شيئا واما الاحمق فيقول رب جاء الاسلام والصبيان يحذفوني بالبعر
واما الهرم فيقول رب لقد جاء الاسلام وما اعقل شيئا واما الذي مات في الفترة فيقول رب ما اتاني لك رسول فياخذ
مواثيقهم ليطيعنه فيرسل اليهم ان ادخلوا النار والذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما وفي رواية

[illegible]

فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها يسحب اليها ثم قال ابو هريرة اقرؤا ان شئتم وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا وعن يزيد بن ابان وقد سئل عن اطفال المشركين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن لهم سيئات
فيعذبوا بها فيكونوا من اهل النار ولم يكن لهم حسنات فيجازوا بها فيكونوا من ملوك اهل الجنة هم خدم اهل الجنة رواه
ابو داود الطيالسي وعن عائشة قالت قلت يا رسول الله ذراري المؤمنين قال من آبائهم فقلت يا رسول الله بلا عمل قال الله
اعلم بما كانوا عاملين قلت فذراري المشركين قال من آبائهم قلت بلا عمل قال الله اعلم بما كانوا عاملين رواه ابو داود السجستاني
وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه
كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول ابو هريرة فطرة الله التي فطر الناس عليها الآية وفي مسلم انه عليه
الصلوة والسلام قال قال الله اني خلقت عبادي حنفاء وفي غيره مسلمين وفي مسند احمد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
النبي في الجنة والشهيد في الجنة والمولود والوئيد وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
ذراري المشركين قال الله اعلم بما كانوا عاملين فمن العلماء من ذهب الى التوقف فيهم لهذين الحديثين ومنهم من جزم لهم بالجنة
لما في البخاري من حديث سمرة بن جندب انه عليه الصلوة والسلام قال في جملة ذلك المنام حين مر على ذلك الشيخ تحت الشجرة و
حوله ولدان فقال جبرئيل هذا ابرهيم عليه السلام وهؤلاء اولاد المسلمين واولاد المشركين قالوا يا رسول الله واولاد المشركين
قال نعم واولاد المشركين ولحديث كل مولود يولد على الفطرة الذي مر آنفا ومنهم من جزم بالنار لحديث عائشة الذي سبق و
منهم من ذهب الى انهم يمتحنون يوم القيمة في العرصات فمن اطاع دخل الجنة وانكشف علم الله فيه بسابق السعادة و
من عصى دخل النار داخرا وانكشف علم الله فيه بتقدم الشقاوة وهذا القول يجمع بين الادلة كلها وهو الذي حكاه ابو الحسن
الاشعري عن اهل السنة والجماعة ونصره البيهقي في كتاب الاعتقاد وكذلك غيره من محققي الحفاظ والنقاد ثم اختلفوا
في ولدان المشركين على اقوال احدها انهم في الجنة مستقلين فيها او خدما لاهل الجنة وهو الصحيح الراجح واحتجوا بما سبق
من الحديث والقول الثاني انهم مع آبائهم في النار متمسكا بحديث عائشة كما تقدم ولما في سنن ابي داود الوائدة والموؤدة في
النار رواه ابن مسعود مرفوعا والقول الثالث التوقف فيهم واعتمدوا على قوله عليه الصلوة والسلام في حديث ابي هريرة
الله اعلم بما كانوا عاملين وقد سبق ايضا ومنهم من جعلهم من اهل الاعراف ومآلهم الى الجنة ايضا كما سبق في سورة الاعراف
وهذا الخلاف مخصوص باطفال المشركين واما ولدان المؤمنين فلا خلاف لاحد انهم من اهل الجنة وان كان الكل تحت مشية
الله تعالى واما الحديث الصحيح الذي روته عائشة قالت دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي من الانصار فقلت
يا رسول الله طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل سوءا ولم يدركه فقال او غير ذلك يا عائشة ان الله خلق الجنة و
خلق لها اهلا وهم في اصلاب آبائهم وخلق النار وخلق لها اهلا وهم في اصلاب آبائهم فهو معارض بحديث كل مولود
يولد على الفطرة الذي رواه ابو هريرة وقد تاخر اسلامه وروايته والعمل بالمتاخر ولعله عليه الصلوة والسلام نهاها
عن الجزم بما قالت لانه لا يعلم الغيب الا هو وقد تورع جماعة من العلماء عن مثل هذا كما قال ابن عباس مرفوعا لا يزال امر هذه الامة
موائما او مقاربا ما لم يتكلموا في الولدان والقدر رواه ابن حبان في صحيحه واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها
ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا اختلفوا في قراءة قوله امرنا فالمشهور التخفيف بل معناه امرنا
مترفيها متنعميها ففسقوا فيها امرا قدريا كقوله تعالى اتاها امرنا ليلا او نهارا الآية فان الله لا يامر بالفحشاء يعني سخرناهم الى فعل الفواحش

[illegible]

فاستحقوا العقوبة قاله ابن عباس وغيره وقال ابن جرير ويحتمل أن يكون معناه جعلناهم أمراء فحينئذ يكون مشددا أي
سلطنا شرارها ففسقوا فيها فإذا فعلوا ذلك أهلكهم بالعذاب وهو قوله وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا
فيها وقال ابن عباس أمرنا مترفيها أي أكثرنا عددهم كما في مسند أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير مال امرئ له
مهرة مأمورة أو سكة مأبورة قال أبو عبيد المأمورة كثيرة النسل والسكة الطريقة المصطفة من النخل والمأبورة من
التأبير وقال بعضهم إنما جاء هذا متناسبا لقوله مأزورات غير مأجورات وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح
وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا أنذر تعالى كفار قريش في تكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بأنه قد أهلك
أمما من المكذبين للرسل من بعد نوح ودل هذا على أن القرون التي كانت بين آدم ونوح على الإسلام كما قاله ابن عباس كان
بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ومعناه أنكم أيها المكذبون لستم أكرم على الله منهم وقد كذبتم أشرف الرسل وأكرم
الخلائق فعقوبتكم أولى وأحرى وقوله وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا أي هو عالم بجميع أعمالهم خيرها وشرها لا يخفى
عليه منها خافية من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصليها
مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا
أخبر تعالى أنه ما كل من طلب الدنيا وما فيها من النعيم يحصل له بل إنما يحصل لمن أراد الله ما يشاء وهذه مقيدة لإطلاق ما سواها
من الآيات فإنه قال عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم أي في الدار الآخرة يصليها أي يدخلها حتى تغمره من جميع
جوانبه مذموما أي في حال كونه مذموما على سوء تصرفه وصنيعه إذ اختار الفاني على الباقي مدحورا مبعدا حقيرا ذليلا عن
عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له رواه أحمد
وقوله ومن أراد الآخرة أي الدار الآخرة وما فيها من النعيم والسرور وسعى أي طلب ذلك من طريقه وهو متابعة الرسول
وهو مؤمن أي قلبه مصدق موقن بالثواب والجزاء فأولئك كان سعيهم مشكورا أي مقبولا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء
من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر
درجات وأكبر تفضيلا أي كل واحد من الفريقين الذين أرادوا الدنيا والذين أرادوا الآخرة نمدهم فيما هم فيه من
عطاء ربك أي هو المتصرف الحاكم الذي لا يجور فيعطي كلا ما يستحقه من الشقاوة والسعادة ولا راد لحكمه ولا مانع لما أعطى
ولا مغير لما أراد ولهذا قال وما كان عطاء ربك محظورا أي ممنوعا أي لا يمنعه أحد ولا يرده راد وقال عطاء أي منقوصا
وقيل ممنوعا ثم قال انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض أي في الدنيا فمنهم الغني والفقير وبين ذلك والحسن والقبيح وبين ذلك
ومن يموت صغيرا ومن يعيش كثيرا وبين ذلك وللآخرة أكبر درجات أي ولتفاوتهم في الآخرة أكبر من الدنيا فإن منهم
من يكون في الدركات في جهنم وسلاسلها وأغلالها ومنهم من يكون في الدرجات العلى والنعيم المقيم ثم إن أهل الدركات
متفاوتون فيما هم فيه كما أن أهل الدرجات متفاوتون فإن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض
وفي الصحيحين أن أهل الدرجات العلى ليرون أهل عليين كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء ولهذا قال وللآخرة أكبر
درجات وأكبر تفضيلا لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا يقول تعالى أيها المكلف من الأمة لا تجعل في
عبادتك ربك له شريكا فتقعد مذموما أي على إشراكك به مخذولا لأن الرب تعالى لا ينصرك بل يكلك إلى الذي عبدت معه
وهو لا يملك لك ضرا ولا نفعا لأن مالك الضر والنفع هو الله وحده وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

مطرودا من رحمة الله

قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والإرادة لأنه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم أن الأمر بالمشيئة والهم نفضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض ٥ ع

لها سعيها

لها سعيها

حقها من السعي وهو الإتيان بما أمر والانتهاء عما نهى لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والإخلاص ٥ ق

[illegible]

ومعبوده

يكون محمودا منصورا ٢ ق

من اصابته

عن وهب بن منبه قال إن في الألواح التي كتب لموسى وقر والديك فإن من وقر والديه مددت له في عمره ووهبت له ولدا يبره ومن عق والديه بترت عمره ووهبت له ولدا يعقه
عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من ولد بار ينظر إلى والديه نظرة رحمة إلا كانت له بكل نظرة حجة مقبولة قالوا يا رسول الله وإن نظر إليهما في اليوم خمسين مرة
قال الله أكبر وأطيب وحكي أن امرأة كانت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم نزل بها الموت وهي تقول من لي من النار [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] فقال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي
أعتق بي نسمة من النار

من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ومن أنزلها بالله أوشك الله بالغنى إما أجل أو غنى عاجل رواه أحمد
وأبو داود والترمذي وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك
الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح
الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا أمر تعالى عباده أن يعبدوه وحده والقضاء هنا بمعنى
الأمر وقال مجاهد أي وصى كما في قراءة أبي بن كعب وابن مسعود ولهذا قرن بعبادته بر الوالدين فقال وبالوالدين
إحسانا كما قال في آية أخرى أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير وقوله فلا تقل لهما أف أي لا تسمعهما قولا سيئا حتى ولا
التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ ولا تنهرهما أي ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح كما قال عطاء أي ولا تنفض
يديك على والديك ثم أمره بالقول الحسن والفعل الحسن فقال وقل لهما قولا كريما أي هينا طيبا حسنا بتأدب
وتوقير وتعظيم واخفض لهما جناح الذل من الرحمة أي تواضع لهما بفعلك وقل رب ارحمهما أي في كبرهما وعند
وفاتهما كما ربياني صغيرا وقال ابن عباس ثم أنزل الله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا
أولي قربى وقد جاء في بر الوالدين أحاديث كثيرة منها عن أنس وأبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صعد المنبر
ثم قال آمين آمين آمين فقالوا يا رسول الله علام أمنت فقال أتاني جبرئيل فقال يا محمد رغم أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصل
عليك قل آمين فقلت آمين ثم قال رغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم خرج ولم يغفر له قل آمين فقلت آمين
ثم قال رغم أنف امرئ أدرك أبويه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة قل آمين قلت آمين وعن مالك القشيري قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من أدرك والديه أو أحدهما ثم لم يغفر له فأبعده الله ومن ضم يتيما من أبوين مسلمين إلى طعامه و
شرابه حتى يغنيه الله وجبت له الجنة رواه أحمد وعن أبي أسيد قال بينما جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه
رجل من الأنصار فقال يا رسول الله هل بقي علي من بر أبوي شيء بعد موتهما أبرهما به قال نعم خصال أربع الصلاة عليهما
والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما فهو الذي بقي عليك من
برهما بعد موتهما رواه أبو داود وابن ماجه ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين
غفورا قال ابن جبير هو الرجل يكون منه البادرة أي من التقصير والعقوق إلى أبويه وإنه لا يريد بذلك إلا الخير وفي نفسه
وقلبه أنه لا يؤاخذ به فإنه كان للأوابين غفورا أي المطيعين أهل الصلاة المحسنين وقيل أي المصلين سبحة الضحى وقيل
هو الذي يصيب الذنب ثم يتوب وقيل هو الذي يذكر ذنوبه فيستغفر الله منها وقال عبيد بن عمير كنا نعد الأواب الحفيظ
أن يقول اللهم اغفر لي ما أصبت في مجلسي هذا وقال ابن جرير الأولى أن يقال هو التائب من الذنب الراجع عن المعصية
إلى الطاعة مما يكره الله إلى ما يحبه ويرضاه وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا إن
المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من
ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا لما ذكر تعالى بر الوالدين عطف بذكر الإحسان إلى القرابة وصلة الأرحام
كما جاء في الحديث من أحب أن يبسط في رزقه وينسأ له في أجله فليصل رحمه وسبق الحديث عن المساكين وأبناء السبيل
في سورة براءة بما أغنى عن إعادته هنا ثم قال منفرا عن التبذير والسرف إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين أي أشباههم في
أتباعهم في ذلك قال قتادة التبذير النفقة في معصية الله وفي الفساد وفي غير الحق عن أنس قال رجل من بني تميم لرسول الله

وقضى ربك وأمر أمرا مقطوعا به أن لا تعبدوا بأن لا تعبدوا إلا إياه لأن غاية التعظيم لا يحق إلا لمن له غاية العظمة ونهاية الإنعام وهو كالتفصيل لسعي الآخرة ويجوز أن تكون أن مفسرة ولا ناهية ٥ ق

وبأن تحسنوا أو وأحسنوا بالوالدين إحسانا لأنهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز أن تعلق الباء بالإحسان لأن صلته لا تتقدم عليه ٥ ق

صوت يدل على تضجر ٥ ق

واخفض لهما تذلل لهما وتواضع فيهما والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما إلى من كان أفقر خلق الله إليهما ٥ ق

ولو كانا كافرين لأن من الرحمة أن يهديهما ٥ ق

خمظ

ربكم أعلم بما في نفوسكم من قصد البر إليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير كأنه تهديد على أن يضمر لهما كراهية واستثقالا إن تكونوا صالحين قاصدين للصلاح فإنه كان للأوابين للتوابين غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من أذية أو تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز أن يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على أبويه جناية أوليا لوروده على أثره ٥ ق

والمساكين وابن السبيل حقهما [illegible]

المال فيما لا ينبغي والعادة على وجه الإسراف [illegible]

[illegible]

إخوانهم في الشرارة [illegible] الإتلاف ٥ ق

صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني ذو مال كثير وذو اهل وولد وحاضرة فاخبرني كيف انفق وكيف اصنع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج الزكوة من مالك فانها طهرة تطهرك وتصل اقرباءك وتعرف حق السائل والجار والمسكين فقال يا رسول الله اقلل لي قال فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا فقال حسبي الله يا رسول الله اذا اديت الزكوة الى رسولك فقد برئت منها الى الله ورسوله فقال نعم اذا اديتها الى رسولي فقد برئت منها ولك اجرها واثمها على من بدلها وقوله اخوان الشياطين اي في التبذير والسفه وترك الطاعة وارتكاب المعصية ولهذا قال وكان الشيطان لربه كفورا اي جحودا لانه انكر نعمة الله عليه ولم يعمل بطاعته وقوله واما تعرضن عنهم اي واذا سألك اقاربك ومن امرناك باعطائهم وليس عندك شي واعرضت عنهم لفقد النفقة فقل لهم قولا ميسورا اي عدهم وعدا بسهولة ولين اذا جاء رزق الله فسنصلكم ان شاء الله هكذا فسره بالوعد ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا هنا امر بالاقتصاد في العيش وذم البخل ونهي عن السرف اي لا تكن بخيلا منوعا لا تعطي احدا شيئا ولا تبسطها اي لا تسرف في الانفاق فتعطي فوق طاقتك وتخرج اكثر من دخلك فتقعد ملوما محسورا فهذا لف ونشر اي فتقعد ان بخلت ملوما يلومك الناس ويذمونك ويستغنون عنك كما قال زهير بن ابي سلمى ۰ ومن كان ذا مال ويبخل بماله ۰ على قومه يستغن عنه ويذمم ۰ ومتى بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شي تنفقه فتكون كالحسير وهو الدابة التي قد عجزت عن السير فوقفت عجزا وضعفا فانها تسمى الحسير وهو مأخوذ من الكلال هكذا فسرها ابن عباس واتباعه وقد جاء في الصحيحين عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق الا سبغت او وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وتعفو اثره واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيئا الا لزقت كل حلقة بمكانها فهو يوسعها ولا تتسع وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد رواه احمد وقوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اخبار بانه تعالى هو الرازق القابض الباسط المتصرف في خلقه بما يشاء فيغني من يشاء ويفقر من يشاء لما له في ذلك من الحكمة ولهذا قال انه كان بعباده خبيرا بصيرا اي بمن يستحق الفقر ومن يستحق الغنى كما جاء في الحديث ان من عبادي لمن لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لافسدت عليه دينه وقد يكون الغنى في حق بعض الناس استدراجا والفقر عقوبة ونعوذ بالله من ذلك ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا هذه الآية دالة على ان الله تعالى ارحم بعباده من الوالد بولده لانه ينهى عن قتل الاولاد كما اوصى بالاولاد في الميراث وكان اهل الجاهلية لا يورثون البنات بل كان احدهم ربما قتل ابنته لئلا تكثر عيلته فنهى الله عن ذلك فقال ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق اي خوف ان تفتقروا في ثاني الحال ولهذا قدم الاهتمام برزقهم فقال نحن نرزقهم واياكم وفي سورة الانعام نحن نرزقكم واياهم وقوله ان قتلهم كان خطأ كبيرا اي ذنبا عظيما وقرأ بعضهم خطأ بالفتح وهو بمعناه وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا قال تعالى ناهيا عباده عن الزنا وعن مقاربته وعن

ابتغاء رحمة من ربك ترجوها

عن جابر قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا
فقال من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب
الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك
الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع
قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن
بلال وانتظروا الصلوة فلم يخرج فانزل
الله تسلاه بقوله ان ربك يبسط

مخالطة اسبابه ودواعيه ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة اي ذنبا عظيما وساء سبيلا اي وبئس طريقا ومسلكا وعن الهيثم الطائي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من ذنب بعد الشرك اعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له رواه ابن ابي الدنيا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا هذا نهي عن قتل النفس بغير حق شرعي كما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله الا باحدى ثلث النفس بالنفس والزاني المحصن والتارك لدينه المفارق للجماعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان اهل السماء والارض اشتركوا في دم مؤمن لاكبهم الله في النار رواه الترمذي وفي الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل رجل مسلم رواه الترمذي والنسائي ووقفه بعضهم وقوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا اي سلطنة وقوة على القاتل فانه بالخيار فيه ان شاء قتله وان شاء عفى عنه مجانا وقوله فلا يسرف في القتل قالوا معناه فلا يسرف الولي في قتل القاتل بان يمثل به او يقتص من غير القاتل انه كان منصورا اي ان الولي منصور على القاتل شرعا وغلبة وقدرا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن تاويلا اي لا تتصرفوا في مال اليتيم الا بالغبطة ولا تاكلوا اموالهم اسرافا وبدارا ان يكبروا وفي مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر لا تولين مال اليتيم واوفوا بالعهد اي الذي تعاهدون عليه الناس والعقود التي تعاملونهم بها فان العهد والعقد كل منهما يسال صاحبه عنه ان العهد كان مسئولا اي عنه وقوله واوفوا الكيل اذا كلتم اي من غير تطفيف ولا تبخسوا الناس اشياءهم وزنوا بالقسطاس قرئ بضم القاف وكسرها كالقرطاس وهو الميزان وقال مجاهد هو العدل بالرومية والمستقيم هو الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا اضطراب ذلك خير اي لكم في معاشكم ومعادكم ولهذا قال واحسن تاويلا اي مآلا ومنقلبا في آخرتكم وقال قتادة اي خير ثوابا واحسن عاقبة وكان ابن عباس يقول يا معشر الموالي انكم وليتم امرين بهما هلك الناس قبلكم هذا المكيال وهذا الميزان ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا قال ابن عباس اي لا تتهم احدا بما ليس لك به علم وفيه النهي عن القول بلا علم بالظن الذي هو التوهم والخيال وفي الحديث اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث وفي البخاري مرفوعا ان من افرى الفرى ان يري الرجل عينيه ما لم تريا وقوله كل اولئك اي هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد كان عنه مسئولا اي سيسال العبد عنها يوم القيمة ويسال عنه وعما عمل فيها ويصح استعمال اولئك مكان تلك كما قال الشاعر ۰ ذم المنازل بعد منزلة اللوى ۰ والعيش بعد اولئك الايام ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها اي لا تمش في الارض متبخترا متمايلا مشي الجبارين انك لن تخرق اي لن تقطع الارض بمشيك قاله ابن جرير مستشهدا بقول رؤبة ۰ وقاتم الاعماق خاوي المخترق ۰ وقوله ولن تبلغ الجبال طولا اي بتمايلك وفخرك واعجابك بنفسك بل قد يجازى فاعل ذلك بنقيض قصده كما ثبت في الصحيح بينا رجل يمشي فيمن كان قبلكم وعليه بردان يتبختر فيهما اذ خسف به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة وفي الحديث من تواضع لله رفعه الله فهو في نفسه حقير وعند الناس كبير ومن استكبر فهو في نفسه كبير وعند الناس صغير حتى لهو ابغض من الكلب او الخنزير وقوله كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها من قرأ

سيئةً بالنصب والتنوين اي فاحشةً فمعناه عنده كل هذا الذي نهينا عنه من قوله ولا تقتلوا اولادكم الى هنا مواخذ عليها
مكروهًا عند الله لا يحبه ولا يرضاه ومن قرأ سيئهُ بالاضافة فمعناه عنده كل هذا الذي ذكرناه من قوله وقضى ربك
الى هنا فسيئه اي قبيحه مكروهًا عند الله هكذا وجّهه ابن جرير **ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل**
مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملومًا مدحورًا اي هذا الذي امرناك به من الاخلاق الحميدة ونهيناك عنه
من الصفات الرذيلة مما اوحينا اليك يا محمد لتامر به الناس ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملومًا اي تلومك
نفسك ويلومك الله والخلق مدحورًا اي مطرودًا والخطاب للامة بواسطة الرسول عليه الصلوة والسلام فانه كان
معصومًا من ذلك **افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملئكة اناثًا انكم لتقولون قولا عظيمًا** قال تعالى منكرًا
على المشركين الزاعمين ان الملئكة بنات الله افاصفاكم ربكم بالبنين اي خصكم بالذكور واتخذ من الملئكة اناثًا اي واختار
لنفسه على زعمكم البنات ثم شدد عليهم الانكار فقال انكم لتقولون قولا عظيمًا اي في زعمكم ان لله ولدًا ثم جعلكم ولده الاناث
التي تانفون ان تكون لكم وربما قتلتموهن بالوأد فتلك اذًا قسمة ضيزى **ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا و**
ما يزيدهم الا نفورًا اي ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يذكرون ما فيه
من الحجج والبينات والمواعظ فينزجرون عما هم فيه من الشرك والظلم والافك وما يزيدهم اي الظالمين منهم الا نفورًا
اي عن الحق وبعدًا منه **قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذًا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا سبحانه وتعالى**
عما يقولون علوًا كبيرًا اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الزاعمين ان لله شريكا من خلقه العابدين معه غيره ليقربهم اليه
زلفى لو كان الامر كما تقولون لكان اولئك المعبودون ايضا يعبدونه ويتقربون اليه ويبتغون اليه الوسيلة والقربة
فاعبدوه انتم وحده كما يعبده من تدعونه من دونه ولا حاجة لكم الى معبود يكون واسطة بينكم وبينه فانه لا يحب ذلك
ولا يرضاه بل يكرهه ويأباه وقد نهى عن ذلك على السنة جميع رسله وانبيائه ثم نزّه نفسه الكريمة فقال سبحانه اي
اقدسه تقديسًا وتعالى عما يقولون اي هؤلاء المشركون المعتدون الظالمون في زعمهم ان معه آلهة اخرى علوًا
كبيرًا اي تعاليًا كبيرًا **تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون**
تسبيحهم انه كان حليمًا غفورًا اي تقدسه السموات والارض ومن فيهن من المخلوقات وتنزهه وتعظمه عما
يقول هؤلاء المشركون وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته والهيته ❊ ففي كل شيء له آية ❊ تدل على انه واحد ❊ وعن عبد
الرحمن بن قرط ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به الى المسجد الاقصى فلما رجع كان بين المقام وزمزم جبريل
عن يمينه وميكائيل عن يساره فطار به حتى بلغ السموات السبع فلما رجع قال سمعت تسبيحا في السموات العلى مع تسبيح كثير
سبحت السموات العلى ذي المهابة مشفقات لذي العلو بما علا سبحان العلي الاعلى سبحانه وتعالى رواه الطبراني وقوله
وان من شيء الا يسبح بحمده اي وما من شيء من المخلوقات الا يسبح بحمد الله ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها الناس لانها بخلاف
لغتكم وهذا عام في الحيوان والنبات والجماد وهذا اشهر القولين كما ثبت في البخاري عن ابن مسعود انه قال كنا نسمع
تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي حديث ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ في يده حصيات فسمع لهن تسبيح كحنين
النحل وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على قوم وهم وقوف على دواب ورواحل فقال لهم اركبوها سالمة
ودعوها سالمة ولا تتخذوها كراسي لاحاديثكم في الطرق والاسواق فرب مركوبة خير من راكبها واكثر ذكرا لله منه

[illegible]

رواه احمد وقال عكرمة الاسطوانة تسبح والشجرة تسبح وقال غيره ان صرير الباب تسبيحه وقال ابرهيم الطعام يسبح
كما نطق به آيه السجدة في الحج وقال قتادة كل شيء فيه الروح يسبح من شجرة ونحوها وقال بعضهم يسبح هذا الخوان وهو
المائدة من الخشب وكان الحسن ذهب الى انه لما كان حيًا فيه خضرة كان يسبح فلما قطع وصار خشبة يابسة انقطع تسبيحه
وقد استانس لهذا الحديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير اما
احدهما فكان لا يستبرئ من البول واما الآخر فكان يمشي بالنميمة ثم اخذ جريدة رطبة فشقها نصفين ثم غرز في كل
قبر واحدة ثم قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا هكذا في الصحيحين وانما قال ما لم ييبسا لانهما يسبحان ما دام فيهما خضرة
فاذا يبسا انقطع تسبيحهما وقوله انه كان حليمًا غفورًا اي انه لا يعاجل من عصاه بالعقوبة بل يؤجله وينظره فان
استمر على كفره وعناده اخذه اخذ عزيز مقتدر ومن اقلع عما هو فيه من كفر او عصيان ورجع الى الله وتاب اليه تاب عليه
واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابًا مستورًا وجعلنا
على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرًا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا
على ادبارهم نفورًا اي واذا قرأت القرآن على هؤلاء المشركين جعلنا بينك وبينهم حجابًا قال قتادة وغيره هو الاكنة
على قلوبهم كما قال تعالى وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه اي مانعًا حاجبًا من ان يصل اليهم مما تقول شيء ومستورًا بمعنى ساتر كميمون
ومشئوم بمعنى يامن وشائم لانه من يمنهم وشأمهم وقيل مستورًا عن الابصار فلا تراه وهو مع ذلك حجاب بينهم
وبين الهدى عن اسماء بنت الصديق لما نزلت تبت يدا ابي لهب جاءت امرأة ابي لهب ومعها حجر والنبي صلى الله عليه وسلم
جالس مع ابي بكر فلم تره فقالت لابي بكر ان صاحبك لقد بلغني انه هجاني فقال والله ما ينطق عن الهوى ولا ينطق بالشعر
ولا يقوله فرجعت وهي تقول قد علمت قريش اني بنت سيدها وقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة جمع كنان الذي يغشى القلب
ان يفقهوه اي لئلا يفقهوا القرآن وفي آذانهم وقرًا وهو الثقل الذي يمنعهم عن سماع القرآن سماعًا ينفعهم ويهتدون
به وقوله واذا ذكرت ربك في القرآن وحده اي اذا وحدت الله في تلاوتك وقلت لا اله الا الله ولوا اي ادبروا
راجعين على ادبارهم نفورًا جمع نافر ويجوز ان يكون مصدرًا من معنى الفعل وقال قتادة ان المسلمين اذا قالوا
لا اله الا الله انكر ذلك المشركون وكبرت عليهم وضاق بها ابليس وجنوده فابى الله الا ان يمضيها وينصرها ويفلجها
ويظهرها على من ناواها انها كلمة من خاصم بها فلج ومن قاتل بها نصر وقال ابن عباس هم الشياطين ولعله اراد به
شياطين الانس اي شرار المشركين **نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ**
يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورًا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا
يستطيعون سبيلا اخبر تعالى نبيه عليه الصلوة والسلام بما تناجى به رؤساء كفار قريش حين جاؤا يستمعون
قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم سرًا من قومهم بما قالوا من انه رجل مسحور من السحر على المشهور او من السحر وهو الرئة
اي ان تتبعون ان اتبعتم محمدًا الا رجلا بشرًا ياكل ويشرب كما قال الراجز ❊ ونُسحر بالطعام وبالشراب ❊ اي نغذى ومنهم
من قال كاهن مجنون ساحر ولهذا قال انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا اي فلا يهتدون الى الحق
ولا يجدون اليه مخلصًا **وقالوا ائذا كنا عظامًا ورفاتًا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة او**
حديدًا او خلقًا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة فسينغضون

[illegible]

مشكوك بالشاعر والساحر والكاهن
والمجنون فضلوا عن الحق في جميع
ذلك

[illegible]

اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون
ان لبثتم الا قليلا اخبر تعالى من الكفار المنكرين للحشر القائلين استفهام انكار ائذا كنا عظاما ورفاتا اي ترابا
وغبارا ائنا لمبعوثون اي يوم القيمة خلقا جديدا اي بعد ما بلينا وصرنا عدما لا نذكر كما قال تعالى يقولون ائنا لمردودون
في الحافرة الآية وقال من يحيي العظام وهي رميم فقال قل كونوا حجارة او حديدا وهما اشد امتناعا من العظام والرفات
او خلقا مما يكبر في صدوركم يعني موتا فانه ليس في نفس ابن آدم شيء اكبر من الموت اي انكم اذا فرضتم انكم صرتم موتى الذي
هو ضد الحيوة لاحياكم الله اذا شاء فانه لا يمتنع عليه شيء اذا اراده وفي الصحيحين ان ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا صار اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي مناد يا
اهل الجنة لا موت يا اهل النار لا موت فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد اهل النار حزنا الى حزنهم وقيل يعني السماء
السماء والارض والجبال وقوله فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة اي من يعيدنا اذا كنا حجارة او حديدا او
خلقا آخر شديدا قل الذي فطركم اي الذي خلقكم ولم تكونوا شيئا مذكورا ثم صرتم بشرا تنتشرون فانه قادر على اعادتكم ولو
صرتم الى اي حال وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وقوله فسينغضون اليك رؤسهم اي يحركونها استهزاء
قاله ابن عباس وهو الذي تفهمه العرب من لغاتها فان الانغاض هو التحرك من اسفل الى اعلى ومن اعلى الى اسفل
وقوله ويقولون متى هو اخبار عنهم بالاستبعاد منهم لوقوع ذلك كما قال ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وقوله يوم
يدعوكم اي الرب تعالى اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون اي اذا امركم بالخروج منها فانه لا يخالف ولا يمانع بل كما قال
وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر فتستجيبون بحمده اي تقولون كلهم اجابة لامره وطاعة لارادته وله الحمد على كل حال وفي
الحديث ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم وكاني باهل لا اله الا الله يقومون من قبورهم ينفضون التراب عن رؤسهم
يقولون لا اله الا الله وفي رواية يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن كما في سورة فاطر ان شاء الله وقوله وتظنون اي يوم
تقومون من قبوركم تقولون بعضكم لبعض ان لبثتم اي في الدنيا الا قليلا كما قال كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها
وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا
مبينا امر تعالى رسوله ان يامر عباده المؤمنين ان يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الحسن فانه اذا لم يفعلوا ذلك
نزغ الشيطان بينهم واخرج الكلام الى الفعال ووقع الشر والمخاصمة فان الشيطان عدو لآدم وذريته ولهذا نهي ان يشير
الرجل الى اخيه المسلم بحديدة فان الشيطان ينزع في يده اي فربما اصابه بها كما في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يشيرن
احدكم الى اخيه بالسلاح فانه لا يدري احدكم لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من نار **ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم**
او ان يشا يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا وربك اعلم بمن في السموات والارض ولقد فضلنا بعض
النبيين على بعض وآتينا داود زبورا اي ربكم اعلم بكم ايها الناس من يستحق منكم الهداية ومن لا يستحق ان يشا يرحمكم بان
يوفقكم لطاعته والانابة اليه او ان يشا يعذبكم وما ارسلناك يا محمد عليهم وكيلا اي حفيظا كفيلا انما ارسلناك نذيرا فمن اطاعك
دخل الجنة ومن عصاك دخل النار وقوله وربك اعلم بمن في السموات والارض اي بمراتبهم في الطاعة والمعصية ولقد
فضلنا بعضهم على بعض الآية وهذا لا ينافي ما ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلوا بين الانبياء فان
المراد من ذلك هو التفضيل بمجرد التشهي والعصبية لا بمقتضى الدليل فانه اذا دل الدليل على شيء وجب اتباعه ولا خلاف ان الرسل

افضل من بقية الانبياء وان اولي العزم منهم افضلهم وهم الخمسة المذكورون في سورة الاحزاب واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم الآية وفي الشورى شرع لكم من الدين الآية ولا خلاف ان محمدا عليه الصلوة والسلام افضلهم ثم ابرهيم ثم موسى على المشهور
وقوله وآتينا داود زبورا تنبيه على فضله وشرفه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خفف على داود القرآن و
كان يامر بدوابه لتسرج فيقرأ القرآن قبل ان تسرج دوابه ولا ياكل الا من عمل يده رواه البخاري **قل ادعوا الذين زعمتم**
من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين
الذين عبدوا غير الله ادعوا الذين زعمتم من دونه من الاصنام والانداد فارغبوا اليهم فانهم لا يملكون كشف الضر عنكم اي
بالكلية ولا تحويلا اي بان يحولوه الى غيركم والمعنى ان الذي يقدر على ذلك هو الله لا سواه وقال ابن عباس كان اهل الشرك يقولون
نعبد الملئكة والمسيح وعزيرا وهم الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب وقال ابن مسعود كان ناس من الانس
يعبدون ناسا من الجن فاسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم وفي رواية كانوا يعبدون صنفا من الملئكة يقال لهم الجن فذكر
نحوه واختار ابن جرير قول ابن مسعود لقوله يبتغون الى ربهم الوسيلة والوسيلة هي القربة ولهذا قال ايهم اقرب وقوله و
يرجون رحمته ويخافون عذابه لان العبادة لا تتم الا بالخوف والرجاء فبالخوف ينكف عن المناهي وبالرجاء ينبعث على
الطاعات وقوله ان عذاب ربك كان محذورا اي ينبغي ان يحذر منه ويخاف من وقوعه وحصوله عياذا بالله منه **وان**
من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا
اخبر تعالى بانه قد حتم وقضى بما كتبه عنده في اللوح المحفوظ انه ما من قرية الا سيهلكها بان يبيد اهلها جميعهم او يعذبهم
عذابا شديدا اما بقتل وابتلاء بما يشاء وذلك بسبب ذنوبهم كما قال عن الامم السالفة وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم
ذلك في الكتاب اي اللوح المحفوظ مسطورا اي مكتوبا مثبتا **وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها**
الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا قال ابن عباس سال المشركون
يا محمد انك تزعم انه كان قبلك انبياء فمنهم من سخرت له الريح ومنهم من كان يحيي الموتى فان سرك ان نؤمن بك ونصدقك
فادع ربك ان يكون لنا الصفا ذهبا فاوحى الله اليه اني قد سمعت الذي قالوا فان شئت ان نفعل الذي قالوا فان لم
يؤمنوا نزل العذاب فانه ليس بعد نزول الآية مناظرة وان شئت ان تستاني بقومك استانيت قال يا رب استانيهم
وكذا قاله قتادة وابن جريج يعني وما منعنا ان نبعث الآيات ونانى بها على ما سال قومك منك فانه سهل علينا الا انه قد
كذب بها الاولون بعد ما سالوها وجرت سنتنا فيهم وفي امثالهم انهم لا يؤخرون اذا كذبوا بها بعد نزولها كما قال تعالى
في المائدة قال الله اني منزلها عليكم الآية وقال تعالى عن ثمود حين سالوا آية ناقة تخرج من صخرة عينوها فدعا صالح ربه فخرج
له منها ناقة على ما سالوا فلما ظلموا بها اي كفروا بمن خلقها وكذبوا رسوله وعقروا الناقة انزل الله عليهم العذاب ولهذا قال
وآتينا ثمود الناقة مبصرة اي دالة على وحدانية من خلقها وصدق الرسول الذي اجيب دعاؤه فيها فظلموا بها اي منعوها شربها
وعقروها فاباذهم عن آخرهم وقوله وما نرسل بالآيات الا تخويفا قال قتادة ان الله يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم
يعتبرون ويرجعون كما في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله وانهما لا ينكسفان
لموت احد ولا لحيوته ولكن الله عز وجل يرسلهما يخوف بهما عباده فاذا رايتم ذلك فافزعوا الى ذكره ودعائه واستغفاره **واذ قلنا**
لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا

للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا قال ارايتك هذا الذي
كرمت علي لئن اخرتن الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته الا قليلا ذكر تعالى عداوة ابليس لعنه الله
لآدم عليه السلام وذريته وانها عداوة قديمة منذ خلق آدم فانه تعالى امر الملائكة بالسجود فسجدوا كلهم الا ابليس استكبر
وابى ان يسجد له افتخارا عليه واحتقارا له قال ءاسجد لمن خلقت طينا كما قال في آية اخرى انا خير منه خلقتني من نار و
خلقته من طين وقال ايضا ارايتك يقول للرب جراءة وكفرا والرب تعالى يحلم وينظر قال ارايتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتن
الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته اي لاستولين ولاحتوين على ذريته ولاضلنهم الا قليلا يعني يقول ابليس ارايتك يا رب
هذا الذي شرفته وعظمته علي لئن انظرتني لاضلن ذريته الا قليلا منهم قال اذهب فمن تبعك منهم فان
جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك
وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا ان عبادي ليس
لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا لما سأل ابليس النظرة قال الله له اذهب اي فقد انظرتك وامهلتك كما
قال في آية اخرى قال انك من المنظرين ثم اوعده ومن تبعه من ذرية آدم بجهنم فقال فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء
موفورا اي وافيا موفرا عليكم لا ينقص لكم منه وقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك قيل هو الغناء واللهو اي استخفهم
بذلك وقيل كل داع دعى الى معصية الله وهو المختار وقوله واجلب عليهم بخيلك ورجلك يقول واحمل عليهم بجنودك ركبانهم
ومشاتهم فان الرجل جمع راجل كما ان الركب جمع راكب اي فسلط عليهم بكل ما تقدر عليه قال ابن عباس اي كل راكب
وماش في معصية الله قال قتادة ان له خيلا ورجالا من الجن والانس وهو الذين يطيعونه وتقول العرب اجلب فلان
على فلان اذا صاح عليه وقوله وشاركهم في الاموال والاولاد قال ابن عباس وغير واحد هو ما امرهم به من انفاق
الاموال في معاصي الله وقال الحسن هو جمعها من خبث وانفاقها في حرام وعن ابن عباس ايضا اما مشاركته اياهم
في اموالهم هو ما حرموه من انعامهم يعني من البحائر ونحوها قال ابن جرير والآية تعم ذلك كله والمراد بالاولاد اولاد
الزنا وقيل ما كانوا يقتلونه من اولادهم سفها بغير علم وقيل يعني مجسوا وهودوا ونصروا اولادهم وصبغوا غير صبغة
الاسلام وكل ما عصى الله فيه او به واطيع فيه الشيطان او فيه فهو مشاركة وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه و
سلم قال يقول الله اني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما احللت لهم
وقوله وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا كما قال يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا الغرور تزيين
الباطل بما يظن انه حق وقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان اخبار بتأييده تعالى عباده المؤمنين وحفظه وحراسته
لهم من الشيطان الرجيم ولهذا قال وكفى بربك وكيلا اي حافظا وناصرا ومؤيدا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان المؤمن لينضي شياطينه كما ينضي احدكم بعيره في السفر ومعنى ينضي يأخذ بناصيته ويقهره ربكم الذي يزجي لكم
الفلك لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما اخبر تعالى عن لطفه بخلقه في تسخيره لعباده الفلك في البحر وتسهيلها
لمصالح عباده لابتغائهم من فضله في التجارة من اقليم الى اقليم ولهذا قال انه كان بكم رحيما اي انما فعل هذا بكم من فضله عليكم
ورحمته بكم واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان
الانسان كفورا اخبر تعالى انه اذا مس الناس ضر دعوه منيبين اليه مخلصين له الدين ولهذا قال واذا مسكم الضر

في البحر صح

في البحر ضل من تدعون الا اياه اي ذهب عن قلوبكم كل ما تعبدون غير الله كما اتفق لعكرمة بن ابي جهل لما ذهب من الفتح فركب
البحر ليدخل الحبشة فجاءتهم ريح عاصف فقال القوم انه لا يغني عنكم الا ان تدعوا الله وحده فقال عكرمة في نفسه والله
لئن كان لا ينفع في البحر غيره فانه لا ينفع في البر غيره اللهم لك علي عهد لئن اخرجتني منه لاذهبن ولاضعن يدي في يدي محمد فلاجدنه
رءوفا رحيما فخرجوا من البحر فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وحسن اسلامه رضي الله عنه وقوله فلما نجاكم الى البر اعرضتم
اي نسيتم ما عرفتم من توحيده في البحر واعرضتم عن دعائه وحده وكان الانسان كفورا اي سجيته هذا ينسى النعم ويجحدها
الا من عصم الله افامنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا اي افحسبتم
ان يخرجكم الى البر امنتم من انتقامه وعذابه ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا وهو المطر الذي فيه حجارة
قاله مجاهد وغير واحد كما قال تعالى انا ارسلنا عليهم حاصبا الا آل لوط وقال ءامنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض وقوله ثم
لا تجدوا لكم وكيلا اي ناصرا يرد ذلك عنكم وينقذكم منه ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيغرقكم بما كفرتم
ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا قال تعالى ام امنتم ايها المعرضون عنا بعد ما اعترفوا بتوحيدنا في البحر وخرجوا الى البر ان
يعيدكم في البحر مرة ثانية فيرسل عليكم قاصفا من الريح اي يقصف الصواري ويغرق المراكب قال ابن عباس العاصف ريح البحار
التي تكسر المراكب وتغرقها وقوله فيغرقكم بما كفرتم اي بسبب كفركم واعراضكم عن الله وقوله ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا
قال ابن عباس اي نصيرا ثائرا اي ياخذ بثأركم بعدكم ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم
من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا اخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم وتكريمه اياهم في خلقه
لهم على احسن الهيئات واكملها كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم اي يمشي قائما منتصبا على رجليه وياكل بيديه
بخلاف غيره من الحيوانات وجعل له سمعا وبصرا وفؤادا يفقه بذلك كله وينتفع به ويفرق بين الاشياء ويعرف منافعها
ومضارها وخواصها في الامور الدنيوية والدينية وحملناهم في البر اي على الدواب وفي البحر على السفن ورزقناهم
من الطيبات اي من زروع وثمار ولحوم والبان من سائر انواع المطعوم والوان المشتهاة اللذيذة والمناظر الحسنة
والملابس المرتفعة من سائر الانواع وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا اي من سائر الحيوانات واصناف المخلوقات
وقد استدل بهذه الآية على افضلية جنس البشر على جنس الملائكة عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة
قالت يا ربنا اعطيت بني آدم الدنيا ياكلون فيها ويشربون ويلبسون ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ولا ناكل ولا نشرب
ولا نلهو فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة قال لا اجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان رواه
الطبراني يوم ندعو كل اناس بامامهم فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا
ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا اخبر تعالى عن يوم القيمة انه يحاسب كل امة بامامهم
وقد اختلفوا في ذلك فقال مجاهد وقتادة اي نبيهم وهذا كقوله ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط
وهم لا يظلمون وهذا اكبر شرف لاصحاب الحديث لان امامهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد اي بكتابهم الذي انزل
على نبيهم من التشريع واختاره ابن جرير وعن ابن عباس بكتاب اعمالهم وقال الحسن وغير واحد وهذا هو الارجح
لقوله تعالى وكل شيء احصيناه في امام مبين وقال ووضع الكتاب ترى المجرمين الآية وهذا لا ينافي ان يجاء بالنبي
اذا حكم الله بين امته فانه لا بد ان يكون شاهدا عليها باعمالها كما قال ووضع الكتاب وجيء بالنبيين ولكن المراد هاهنا كتاب

فيرسل عليكم قاصفا من الريح صح

[illegible]

الاعمال و لهذا قال يوم ندعو كل اناس بامامهم و قوله فاولئك يقرءون كتابهم اي من فرحته و سروره بما فيه من العمل الصالح يقرأه و يحب قراءته و قوله ولا يظلمون فتيلا و قد سبق ان الفتيل هو الخيط المستطيل في شق النواة و قوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى قال ابن عباس و اتباعه ومن كان في هذه اي الحيوة الدنيا اعمى عن حجج الله و آياته و بيناته فهو في الآخرة اعمى اي كذلك يكون و اضل سبيلا اي و اضل مما كان في الدنيا وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا اخبر تعالى عن تاييده رسوله عليه الصلوة و السلام و تثبيته و عصمته و سلامته من شر الاشرار و كيد الفجار و انه تعالى هو المتولى امره و نصره و انه لا يكله الى احد من خلقه بل هو وليه و حافظه و ناصره و مظهر دينه على من عاداه و ناواه في مشارق الارض و مغاربها اي و ان كادوا ليعرضونك للفتن مما كانوا يبتغون منك مما امرناك بالوحي لتفتري اي لتختلق علينا غير ما اوحينا اليك و لو انت فعلت ما دعوك اليه لاتخذوك خليلا اي لوادوك و صافوك و لولا ان ثبتناك على الحق بعصمتنا اياك لقد كدت اي قربت ان تميل اليهم بعض ميلهم شيئا قليلا و هو خاطر القلب من غير عزم و هو حديث النفس المعفو عنه و لكن ثبتك الله فلم يكن اذا لاذقناك اي لو فعلت ذلك لاذقناك ضعف عذاب الحيوة و ضعف عذاب الممات يعني اضعفنا لك العذاب في الدارين ثم لا تجد لك علينا نصيرا اي ناصرا يمنعك من عذابنا وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا قيل نزلت في كفار قريش حين هموا باخراج الرسول من بين اظهرهم فتوعدهم بهذه الآية و انهم لو اخرجوه لما لبثوا بعده بمكة الا يسيرا و كذلك وقع فانه لم يكن بعد هجرته من بين اظهرهم بعد ما اشتد اذاهم له الا سنة و نصف حتى جمعهم الله و اياه ببدر على غير ميعاد فامكنه منهم و سلطه عليهم و اظفره بهم فقتل اشرافهم و سبى سراتهم و لهذا قال سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا اي هكذا عادتنا في الذين كفروا برسلنا و آذوهم بخروج الرسول من بين اظهرهم و ياتيهم العذاب و لولا انه عليه الصلوة و السلام رسول الرحمة لجاءهم من النقم في الدنيا ما لا قبل لاحد به و لهذا قال تعالى وما كان الله ليعذبهم و انت فيهم وما كان الله معذبهم و هم يستغفرون و هذا اصح ما قيل في سبب نزولها و الاستفزاز هو الازعاج بسرعة و التحويل التبديل اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا امر تعالى رسوله عليه الصلوة و السلام باقامة الصلوات المكتوبات في اوقاتها بقوله اقم الصلوة لدلوك الشمس قال ابن عباس و غير واحد دلوكها زوالها كما قال جابر دعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم و من شاء من اصحابه فطعموا عندي ثم خرجوا حين زالت الشمس فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخرج يا ابا بكر فهذا حين دلكت الشمس فعلى هذا يكون هذه الآية شاملة لاوقات الصلوات الخمس من قوله لدلوك الشمس الى غسق الليل و هو ظلامه و قيل غروب الشمس و قوله و قرآن الفجر يعني صلوة الفجر و قد ثبتت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تواترا في افعاله و اقواله بتفاصيل هذه الاوقات على ما عليه عمل اهل الاسلام اليوم مما تلقوه خلفا عن سلف و قرنا بعد قرن كما هو مقرر في الصحاح و السنن و عن ابي هريرة عن النبي صلى الله

[illegible]

[illegible]

عليه وسلم و قرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا قال يشهده ملائكة الليل و ملائكة النهار رواه الترمذي و النسائي و في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل و ملائكة بالنهار و يجتمعون في صلوة الصبح و صلوة العصر فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم و هو اعلم بكم كيف تركتم عبادي فيقولون اتيناهم يصلون و تركناهم يصلون و قوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك امر له بقيام الليل بعد المكتوبة كما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم و قيل اي الصلوة افضل بعد المكتوبة قال صلوة الليل رواه مسلم و لهذا امر تعالى رسوله بعد المكتوبات بقيام الليل فان التهجد ما كان بعد نوم قاله كثير من التابعين و هو المعروف في لغة العرب و كذلك ثبتت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يتهجد بعد نومه عن كثير من الصحابة و اختلفوا في معنى قوله نافلة لك فقيل معناه انك مخصوص بوجوب ذلك وحدك فهو واجب في حقه دون الامة و هو احد قولي الشافعي و هو اختيار ابن جرير و قيل انما جعل قيامها في حقه نافلة على الخصوص لانه قد غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تاخر و غيره من امته انما يكفر عنه صلوة النوافل الذنوب التي عليه و قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اي افعل هذا الذي امرتك به ليقيمك يوم القيمة مقاما يحمدك فيه الخلائق كلهم و خالقهم تبارك و تعالى و ذلك هو المقام الذي يقومه صلى الله عليه وسلم يوم القيمة للشفاعة في شان الناس ليريحهم ربهم من شدة ذلك اليوم كما قال ابن عباس و غير واحد هو مقام الشفاعة و قال قتادة هو اول من تنشق عنه الارض و اول شافع و اول مشفع كما رواه مسلم مرفوعا و كان اهل العلم يرون انه المقام المحمود ثم اعلم ان لرسول الله صلى الله عليه وسلم تشريفات يوم القيمة لا يشركه فيها احد و تشريفات لا يساويه فيها احد فهو اول من ينشق عنه القبر و يبعث راكبا الى المحشر و له اللواء الذي آدم فمن دونه تحته و له الحوض الذي ليس في الموقف اكثر واردا منه و له الشفاعة العظمى عند الله ليأتي لفصل القضاء بين الخلائق و ذلك بعد ما يسأل الناس آدم ثم نوحا ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى فكل يقول لست لها حتى يأتوا الى محمد صلى الله عليه وسلم فيقول انا لها كما سيجيء مفصلا في هذا الموضع ان شاء الله و من ذلك انه يشفع في اقوام امر بهم الى النار فيردون عنها و هو اول الانبياء يقضي بين امته و اولهم اجازة على الصراط بامته و هو اول شفيع في الجنة كما ثبت في صحيح مسلم و في حديث الصور ان المؤمنين كلهم لا يدخلون الجنة الا بشفاعته و هو اول داخل اليها و امته قبل الامم كلهم و يشفع في رفع درجات اقوام لا تبلغها اعمالهم و هو صاحب الوسيلة التي هي اعلى منزلة في الجنة لا تليق الا له و اذا اذن الله تعالى في الشفاعة في العصاة يشفع الملائكة و النبيون و المؤمنون فيشفع هو في خلائق لا يعلم عدتهم الا الله و لا يشفع احد مثله و لا يساويه في ذلك و لنذكر ههنا بعض ما ورد في المقام المحمود قال ابن عمر ان الناس يصيرون يوم القيمة جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله مقاما محمودا رواه البخاري و رواه حمزة بن عبد الله بن عمر عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم و عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة و الصلوة القائمة آت محمدا الوسيلة و الفضيلة و ابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيمة رواه البخاري و عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة كنت امام الانبياء و خطيبهم و صاحب شفاعتهم و لا فخر رواه الترمذي و قال حسن صحيح و في الصحيحين عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجتمع المؤمنون يوم القيمة فيلهمون فيقولون لو استشفعنا على ربنا فاراحنا من مكاننا هذا فياتون آدم فيقولون يا آدم انت

[illegible]

ابو البشر خلقك الله بيده واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء فاشفع لنا الى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لهم آدم لست هناكم ويذكر ذنبه الذي اصاب فيستحيي ربه منه ذلك ولكن ائتوا نوحا فانه اول رسول الله بعثه الله الى اهل الارض فياتون نوحا فيقول لست هناكم ويذكر لهم خطيئته سواله ربه تعالى ما ليس له به علم فيستحيي ربه من ذلك ولكن ائتوا ابرهيم خليل الرحمن فياتونه فيقول لست هناكم ولكن ائتوا موسى عبدا كلمه الله واعطاه التورية فياتون موسى فيقول لست هناكم ~~ولكن ائتوا موسى عبدا كلمه الله~~ ويذكر لهم النفس التي قتل بغير نفس فيستحيي ربه من ذلك ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمته وروحه فياتون عيسى فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمدا عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فياتوني قال الحسن هذا الحرف فاقوم فامشي بين سماطين من المؤمنين قال انس حتى استاذن على ربي فاذا رايت ربي وقعت له او خررت ساجدا لربي فيدعني ما شاء الله ان يدعني قال ثم يقال له ارفع محمد قل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه فارفع راسي فاحمده بتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فادخلهم الجنة ثم اعود اليه الثانية فاذا رايت ربي وقعت او خررت ساجدا لربي فيدعني ما شاء الله ان يدعني ثم يقول ارفع محمد قل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاحمده بتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فادخلهم الجنة قال ثم اعود الثالثة واذا رايت ربي وقعت او خررت ساجدا لربي فيدعني ما شاء الله ان يدعني ثم يقال ارفع محمد قل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاحمده بتحميد الذي يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فادخلهم الجنة ثم اعود الرابعة فاقول يا رب ما بقي الا من حبسه القرآن قال انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة رواه احمد بطوله وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبعث الناس يوم القيمة فاكون انا وامتي على تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك المقام المحمود رواه احمد وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول من يؤذن له بالسجود يوم القيمة وانا اول من يؤذن له ان يرفع راسه فانظر الى بين يدي فاعرف امتي من بين الامم ومن خلفي مثل ذلك وعن يميني مثل ذلك فقال رجل يا رسول الله كيف تعرف امتك من بين الامم فيما بين نوح الى امتك قال هم غر محجلون من اثر الوضوء ليس احد كذلك غيرهم واعرفهم انهم يؤتون كتبهم بايمانهم واعرفهم يسعى بين ايديهم ذريتهم **وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا** قال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم امر بالهجرة فانزل الله هذه الآية وقل رب ادخلني مدخل صدق الآية رواه احمد والترمذي وقال قتادة مدخل صدق يعني المدينة ومخرج صدق يعني مكة وهذا هو اشهر الاقوال وقيل مدخل صدق يعني الموت ومخرج صدق يعني الحيوة بعد الموت وقيل غير ذلك والاول اصح وقوله واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا قال الحسن البصري وعده ربه لينزعن ملك فارس وعزهم وليجعلنه له وعز الروم وملكهم وليجعلنه له وقال قتادة فيها ان نبي الله صلى الله عليه وسلم علم ان لا طاقة له بهذا الامر الا بسلطان فسال سلطانا نصيرا لكتاب الله ولحدود الله ولفرائض الله ولاقامة دين الله فان السلطان رحمة من الله جعله بين اظهر عباده

ويذكر خطيئته التي اصاب فيستحيي ربه منها م

اي وجب عليه الخلود

واخرجني مخرج صدق

لولا ذلك لاغار بعضهم على بعض فاكل شديدهم ضعيفهم وقال مجاهد سلطانا نصيرا اي حجة بينة واختار ابن جرير قول الحسن وقتادة وهو الارجح لانه لا بد مع الحق من قهر لمن عاداه وناواه وفي الحديث ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن اي ليمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام ما لا يمتنع كثير من الناس بالقرآن مع ما فيه من الوعيد والتهديد وقوله وقل جاء الحق وزهق الباطل وعيد لكفار قريش وتهديد بانه قد جاءهم من الله الحق الذي لا مرية فيه ولا قبل لهم به وهو ما بعثه الله به من القرآن والايمان والعلم النافع وزهق باطلهم اي اضمحل وهلك فان الباطل لا ثبات له مع الحق ولا بقاء بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم وحول البيت ستون وثلثمائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا** اخبر تعالى عن كتابه الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه انه شفاء ورحمة للمؤمنين اي يذهب ما في القلوب من الامراض من شك ونفاق وشرك وزيغ وميل فان القرآن يشفي من ذلك كله وهو ايضا رحمة يحصل فيها الايمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه وليس هذا الا لمن آمن به وصدقه واتبعه فانه يكون شفاء في حقه ورحمة واما الكافر الظالم نفسه بذلك فلا يزيده سماعه القرآن الا بعدا وتكذيبا وكفرا والآفة من الكافر لا من القرآن كما قال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء الى قوله بعيد وقال قتادة في قوله وننزل من القرآن ما هو شفاء اذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه ولا يزيد الظالمين الا خسارا فانه لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه فان الله جعل هذا القرآن رحمة للمؤمنين **واذا انعمنا على الانسان اعرض ونا بجانبه واذا مسه الشر كان يؤسا قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا** اخبر تعالى عن نقص الانسان من حيث هو الا من عصم الله في حالتي السراء والضراء فانه اذا انعم الله عليه بمال او عافية وفتح ورزق ونصر ونال ما يريد اعرض عن طاعة الله وعبادته ونا بجانبه اي بعد عنا واذا مسه الشر وهو المصائب والحوادث والنوائب كان يؤسا اي قنط ان يعود ويحصل له بعد ذلك خير وقوله قل كل يعمل على شاكلته قال ابن عباس ناحيته وقال مجاهد حدته وطبيعته وقال قتادة نيته وقال ابن زيد دينه وكل ذلك متقاربة في المعنى وهذه الآية تهديد للمشركين ووعيد لهم كقوله تعالى وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم الآية وقوله ربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي منا ومنكم وسيجزي كل عامل بعمله فانه لا يخفى عليه خافية **ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا** في الصحيحين عن ابن مسعود قال كنت امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث المدينة وهو متوكئ على عسيب فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقال بعضهم لا تسئلوه قال فسالوه عن الروح فقالوا يا محمد ما الروح فما زال متكئا على العسيب قال فظننت انه يوحى اليه فقال ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا قال فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسئلوه وهذا السياق يقتضي ظاهره ان هذه الآية مدنية وانها نزلت حين ساله اليهود بالمدينة مع ان السورة كلها مكية وقد يجاب بانه قد نزلت عليه بمكة اولا ثم نزلت بالمدينة آخرا وانه نزل الوحي حينئذ بان يجيبهم عما سالوا بهذه الآية ومما يدل على انها نزلت بمكة ما قال ابن عباس قالت قريش لليهود اعطونا شيئا نسال عنه هذا الرجل فقالوا

سلوه عن الروح فسألوه فنزلت و يسئلونك عن الروح الاية رواه احمد و قال ابن اسحق عن عطاء بن يسار قال نزلت بمكة
وما اوتيتم من العلم الا قليلا فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه احبار يهود فقالوا يا محمد الم يبلغنا انك
تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا افعنيتنا ام قومك قال كلا قد عنيت قالوا انك تتلو انا قد اوتينا التورية فيها تبيان
كل شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قليل و قد اتاكم الله ما ان عملتم به انتفعتم و انزل الله ولو ان ما في
الارض من شجرة اقلام و البحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم و اختلف المفسرون في المراد بالروح
هنا على اقوال احدها ان المراد ارواح بني آدم و قيل المراد بالروح هنا جبريل و قيل ملك عظيم بقدر المخلوقات كلها كما نقل
عن ابن عباس انه قال ان لله ملكا لو قيل له التقم السموات السبع و الارضين السبع بلقمة واحدة لفعل تسبيحه سبحانك
حيث كنت و هذا غريب بل منكر رواه الطبراني وعن علي رضي الله عنه انه قال هو ملك له مائة الف رأس لكل رأس مائة الف
وجه و في كل وجه مائة الف لسان يسبح الله بلغات مختلفة و قال السهيلي قيل المراد بذلك طائفة من الملائكة على صور بني آدم
وقيل طائفة يرون الملائكة ولا تراهم الملائكة فهم للملائكة كالملائكة لبني آدم و قوله قل الروح من امر ربي اي من شأنه و مما
استأثر الله بعلمه دونكم و لهذا قال وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي وما اطلعكم من علمه الا على القليل بشيء من علمه الا بما شاء
الله تعالى و المعنى ان علمكم في علم الله قليل و هذا الذي تسئلون عنه من امر الروح مما استأثر به تعالى و لم يطلعكم عليه كما انه
لم يطلعكم الا القليل من علمه تعالى و هذا كما قال الخضر لموسى عليهما السلام في قصتهما يا موسى ما علمي و علمك و علم الخلائق
في علم الله الا كما اخذ هذا العصفور من هذا البحر و قيل المراد من امر ربي اي من شرعه اي فادخلوا فيه و قد لانه لا سبيل
الى معرفة هذا من طبع ولا فلسفة و انما ينال من جهة الشرع و هذا ضعيف ثم ذكر السهيلي انهم اختلفوا في ان الروح
هي النفس او غيرها و قرر انها ذات لطيفة كالهواء سارية في الجسد كسريان الماء في عروق الشجر و قرر ان الروح
التي ينفخها الملك في الجنين هي النفس بشرط اتصالها بالبدن و اكتسابها بسببه صفات مدح او ذم فهي اما نفس
مطمئنة او امارة بالسوء و قال كما ان الماء هو سبب حياة الشجر ثم تكتسب بسبب اختلاطه معها اسما خاصا فاذا
اتصل بالعنبة و عصر منها صار اما مصطارا او خمرا و لا يقال له ماء حينئذ الا على سبيل المجاز و هكذا لا يقال للنفس
روح الا على هذا النحو و كذلك و كذلك لا يقال للروح نفسا باعتبار ما تؤول اليه فحاصل ما يقول ان الروح هي اصل
النفس و مادتها و النفس مركبة منها و من اتصالها بالبدن فهي هي من وجه لا من كل وجه و هذا معنى حسن و الله اعلم
و قد تكلموا في ماهية الروح و احكامها و صنفوا فيها كتبا و احسنها كتاب ابن منده في الروح ولئن شئنا لنذهبن
بالذي اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولقد صرفنا
للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى اكثر الناس الا كفورا ذكر الله تعالى نعمته و فضله العظيم على رسوله محمد صلى
الله عليه وسلم فيما اوحاه اليه من القرآن المجيد و قال ابن مسعود تطرق الناس ريح حمراء من قبل الشام فلا يبقى في مصحف
رجل ولا قلبه آية ثم قرأ ابن مسعود و لئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك يعني القرآن ثم لا تجد لك به علينا وكيلا
اي من يتوكل برد القرآن اليك الا رحمة من ربك هذا استثناء منقطع اي لكن رحمته تبقيك و تحوطه بك ثم نبه الله
تعالى على شرف هذا القرآن العظيم و اخبر انه لو اجتمعت الانس و الجن كلهم و اتفقوا على ان يأتوا بمثل ما انزله على رسوله

لما اطاقوا

فانه لا يحيط احد به

النفس بفتح النون والفاء الروح و بسكون الفاء الدم والجسد

قال عبد الله بن مسعود اقرؤا القرآن قبل ان يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يسرى عليه ليلا فيرفع ما في صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيئا ولا يجدون في المصاحف شيئا ثم يفيضون في الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل له دوي كدوي

لما اطاقوا ذلك ولا استطاعوه و لو تعاونوا و تساعدوا و تظافروا فان هذا امر لا يستطاع و قال ابن عباس
ان هذه الآية نزلت في نفر من الكفار جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له انا نأتيك بمثل ما جئتنا به فانزل الله
هذه الآية و لقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل اي بينا لهم الحجج و البراهين القاطعة و اوضحنا لهم الحق
و مع هذا فأبى اكثر الناس الا كفورا اي جحودا و ردا للصواب وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا
او تأتي بالله و الملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى
تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا قال ابن عباس ان عتبة و شيبة
ابني ربيعة و ناسا اشراف قريش و اكابرهم اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا
الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا و هو يظن انه قد بدا لهم في امره
بدا وكان حريصا على رشدهم حتى جلس اليهم فقالوا يا محمد انا بعثنا اليك لنعذر فيك و انا و الله لا نعلم رجلا من العرب
ادخل على قومه ما ادخلت على قومك لقد شتمت الآباء و عبت الدين و سفهت الاحلام و شتمت الآلهة و فرقت
الجماعة فما بقي من قبيح الا و قد جئته فيما بيننا و بينك فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من اموالنا
حتى تكون اكثرنا مالا و ان كنت انما تطلب الشرف فينا سودناك علينا و ان كنت تريد ملكا ملكناك علينا و ان كان
هذا الذي يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك بذلنا اموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه او نعذر فيك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به اطلب اموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن
الله بعثني اليكم رسولا و انزل علي كتابا و امرني ان اكون لكم بشيرا و نذيرا فبلغتكم رسالة ربي و نصحت لكم فان تقبلوا
مني ما جئت به فهو حظكم في الدنيا و الآخرة و ان تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني و بينكم او كما قال رسول الله
فقالوا يا محمد فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس احد من الناس اضيق بلادا ولا اقل ماء
ولا اشد عيشا منا فسل ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا و ليبسط لنا بلادنا
و ليجر فيها انهارا كانهار الشام و العراق و ليبعث لنا من مضى من آبائنا و ليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب
فانه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول حق هو ام باطل فان صنعت ما سألناك و صدقوك صدقناك و عرفنا به
منزلتك عند الله و انه بعثك رسولا كما تقول فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت انما جئتكم من عند الله
بما بعثني به فقد بلغتكم ما ارسلت به اليكم فان تقبلوه فهو حظكم في الدنيا و الآخرة و ان تردوه علي اصبر لامر الله حتى
يحكم الله بيني و بينكم قالوا فان لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك فسل ربك ان يبعث ملكا يصدقك بما تقول و يراجعنا
عنك و تسأله فيجعل لك جنانا و كنوزا و قصورا من ذهب و فضة و يغنيك بها عما نراك تبتغي فانك تقوم بالاسواق
تلتمس المعاش كما نلتمسه حتى نعرف فضل منزلتك من ربك ان كنت رسولا كما تزعم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه و
سلم ما انا بفاعل ما انا بالذي يسأل ربه هذا و ما بعثت اليكم بهذا و لكن الله بعثني بشيرا و نذيرا فان تقبلوا ما جئتكم به
فهو حظكم في الدنيا و الآخرة و ان تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني و بينكم قالوا فاسقط السماء كما زعمت ان ربك
ان شاء فعل فانا لن نؤمن لك الا ان تفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الى الله ان شاء فعل بكم ذلك فقالوا

كسفا قيلا بما توعدنا او شاهدا على صحته ضامنا لما تركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله فاني وقيار بها لغريب او جماعة فيكون حالا من الملائكة

بل كنت الا بشرا كسائر الناس رسولا كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى يتخيروها عليه هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في آيات اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء

يا محمد فاعلم ربك انا سنخلي معك وبما سالناك عما سالناك عنه ونطلب منك فيقدم اليك ويعلمك ما تراجعنا به ويخبرك
ما هو صانع في ذلك بنا اذا لم يقبل منك ما جئتنا به فقد بلغنا انه انما يعلمك رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا والله لا
نؤمن بالرحمن ابدا فقد اعذرنا اليك يا محمد اما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى نهلكك او تهلكنا وقال قائلهم نحن نعبد
الملكة وهي بنات الله وقال لن نؤمن لك حتى تاتينا بالله والملكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وقام
معه عبد الله بن ابي امية المخزومي وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم
تقبله ثم سالوك لانفسهم امورا ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ذلك ثم سالوك ان تعجل ما تخوفهم به من العذاب فوالله لا
اومن لك ابدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها وتاتي معك بنسخة منشورة معك اربعة من الملكة
يشهدون لك انك كما تقول وايم الله لو فعلت ذلك لظننت اني لا اصدقك ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اهله
حزينا اسفا لما فاته مما كان طمع فيه من قومه حين دعوه ولما راى من مباعدتهم اياه رواه ابن جرير وابن اسحق وهذا
المجلس الذي اجتمع هولاء له لو علم الله منهم انهم سالوا ذلك استرشادا لاجيبوا ولكن علم انهم انما طلبوا ذلك كفرا وعنادا
فقيل للرسول ان شئت اعطيناهم ما سالوا فان كفروا عذبتهم عذابا لا اعذبه احدا من العالمين وان شئت فتحت
عليهم باب التوبة والرحمة فقال بل تفتح عليهم باب التوبة والرحمة كما سبق قريبا عند قوله وما منعنا ان نرسل بالآيات
وقوله حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا هو العين الجارية سالوه ان يجري لهم عيونا معينا في ارض الحجاز وهذا سهل يسير على الله
لو شاء لفعله ولاجابهم الى جميع ما سالوا وطلبوا ولكن علم انهم لا يهتدون كما قال ان الذين حقت عليهم كلمة ربك
لا يؤمنون الآية وقوله او تسقط السماء كما زعمت اي انك وعدتنا ان يوم القيمة تنشق السماء وتهي وتدلى اطرافها فعجل
لنا ذلك في الدنيا واسقطها كسفا اي قطعا كما اخبر تعالى عنهم في قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر الآية
ولكن نبي الرحمة والتوبة سال انظارهم وتاجيلهم لعل الله ان يخرج من اصلابهم من يعبده وحده وكذلك وقع فان من
اولئك من اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه حتى عبد الله بن ابي امية الذي تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له ما قال
فانه اسلم اسلاما تاما واناب الى الله تعالى وقوله او يكون لك بيت من زخرف قال ابن عباس وغير واحد هو الذهب
كما هو في قراءة ابن مسعود او ترقى في السماء اي تصعد في سلم ونحن ننظر اليك ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه
اي مكتوب فيه الى كل واحد صحيفة هذا كتاب من الله لفلان بن فلان يصبح موضوعة عند راسه وقوله قل سبحان ربي اي سبحانه
وتعالى وتقدس ان يتقدم احد بين يديه في امر من امور سلطانه وملكوته بل هو الفعال لما يريد ان شاء اجابكم الى ما سالتم
وان شاء لم يجبكم وما انا الا رسول اليكم ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم وقد فعلت ذلك وامركم فيما سالتم الى الله تعالى
وعن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي عز وجل ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن اشبع يوما
واجوع يوما ونحو ذلك فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك رواه الترمذي وحسنه
وما منع الناس ان يؤمنوا الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض ملكة يمشون مطمئنين
لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اي وما منع اكثر الناس ان يؤمنوا ويتابعوا الرسل الا استعجابهم من بعثه البشر
رسلا كما قال تعالى اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس الآية وكما قال فقالوا ابشر يهدوننا الآية
وقال فرعون وملاؤه انؤمن لبشرين مثلنا الآية وغيرها من الآيات ثم قال تعالى منبها على لطفه ورحمته بعباده انه بعث

اذ جاءهم الهدى

اليهم الرسول

اليهم الرسول من جنسهم ليفقهوا عنه ليمكنهم من مخاطبته ومكالمته ولو بعث الى البشر رسولا من الملكة لما استطاعوا
مواجهته ولا الاخذ عنه كما قال تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم ولهذا قال ههنا قل لو
كان في الارض ملكة يمشون مطمئنين اي كما انتم فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اي من جنسهم ولما كنتم انتم بشرا بعثنا
فيكم رسلنا منكم لطفا ورحمة قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا ارشد الله نبيه عليه
الصلوة والسلام الى الحجة على قومه في صدق ما جاءهم به انه شاهد علي وعليكم عالم بما جئتكم به فلو كنت كاذبا لانتقم
مني اشد الانتقام وقوله انه كان بعباده خبيرا بصيرا اي عليم بهم بمن يستحق الانعام والاحسان والهداية ممن يستحق الشقاء
والاضلال والازاغة ولهذا قال **ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء**
من دونه ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما ماويهم جهنم كلما خبت
زدناهم سعيرا اخبر تعالى عن تصرفه في خلقه ونفوذ حكمه وانه لا معقب له بانه من يهده فلا مضل له ومن يضلل
فلن تجد لهم اولياء من دونه اي يهدونهم كما قال من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا و
قوله نحشرهم يوم القيمة على وجوههم في الصحيحين عن انس قال قيل يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم قال الذي
امشاهم على ارجلهم قادر ان يمشيهم على وجوههم وعن ابي ذر قال ان الصادق المصدوق حدثني ان الناس
يحشرون ثلثة افواج فوجا راكبين طاعمين كاسين وفوجا يسحبهم الملكة على وجوههم ويحشرهم الى النار وفوجا
يمشون ويسعون ويلقي الله الآفة على الظهر فلا يبقى حتى ان الرجل لتكون له الحديقة يعطيها بذات القتب لا يقدر
عليها رواه احمد والنسائي وقوله عميا اي لا يبصرون وبكما لا ينطقون وصما اي لا يسمعون وهذا يكون في حال دون
حال جزاء لهم كما كانوا في الدنيا بكما وعميا وصما عن الحق فجوزوا في محشرهم بذلك ماويهم اي منقلبهم ومصيرهم
جهنم كلما خبت قال ابن عباس سكنت وطفئت زدناهم سعيرا اي لهبا ووهجا وجمرا ذلك جزاؤهم بانهم
كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا اولم يروا ان الله
الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فابى الظالمون
الا كفورا اي هذا الذي جازيناهم به من البعث على العمى والبكم والصمم جزاؤهم الذي يستحقونه لانهم كذبوا باياتنا
اي بادلتنا وحججنا واستبعدوا وقوع البعث وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا اي بالية نخرة ائنا لمبعوثون خلقا جديدا
اي بعدما صرنا الى ما صرنا اليه من البلى والهلاك والتفرق والذهاب في الارض نعاد مرة ثانية فاحتج تعالى عليهم ونبههم على قدرته
على ذلك بانه خلق السموات والارض فقدرته على اعادتهم اسهل من ذلك كما قال لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس
وغيره من الآيات وقال ههنا اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم اي يوم القيمة يعيد
ابدانهم وينشئهم نشاة اخرى وقوله وجعل لهم اجلا اي وجعل لاعادتهم واقامتهم من قبورهم اجلا مضروبا ومدة
لا بد من انقضائها كما قال وما نؤخره الا لاجل معدود وقوله فابى الظالمون اي بعد قيام الحجة عليهم الا كفورا اي تماديا
في باطلهم وضلالهم **قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان**
قتورا اي قل يا محمد لو انكم ايها الناس تملكون التصرف في خزائن الله لامسكتم خشية الانفاق اي خشية ان تذهبوها وتصرفوا
فقراء مع انها لا تفرغ ولا تنفد ابدا لان هذا من طباعكم وسجاياكم ولهذا قال وكان الانسان قتورا اي بخيلا

لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق

منوعا وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ارأيتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض ما في يمينه ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسئل بني اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر واني لاظنك يا فرعون مثبورا فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا اخبر تعالى انه بعث موسى بتسع آيات وهي الدلائل القاطعة على صحة نبوته وصدقه فيما اخبر به عمن ارسله الى فرعون وهي العصا واليد ولسانه والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات قاله ابن عباس وقال محمد بن كعب هي اليد والعصا والخمس في الاعراف والطمسة والحجر وعن ابن عباس ومجاهد وغير واحد هي يده وعصاه والسنين ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وهذا القول ظاهر جلي حسن قوي فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين اي ومع هذه الآيات ومشاهدتهم لها كفروا بها وما نجعت فيهم فكذلك لو اجبنا هؤلاء الذين سألوا منك ما سألوا وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى آخرها لما استجابوا ولا آمنوا الا ان يشاء الله كما قال فرعون لموسى وقد شاهد منه ما شاهد من هذه الآيات اني لاظنك يا موسى مسحورا قيل اي ساحر فهذه الآيات التسع التي ذكرها الائمة هي المراد ههنا وهي المعنية في قوله تعالى والق عصاك الآية وفي قوله وادخل يدك في جيبك الآية فذكر فيها من الآيتين العصا واليد وبين الباقيات في سورة الاعراف وقد اوتي موسى آيات اخر كثيرة منها ضربه الحجر بالعصا وخروج الانهار منه ومنها تظليلهم بالغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك مما اوتيه بنو اسرائيل بعد مفارقتهم بلاد مصر ولكن ذكر ههنا التسع الآيات التي شاهدها فرعون وقومه فكانت حجة عليهم فخالفوها وعاندوها كفرا وجحودا واما حديث صفوان بن عسال انه قال قال يهودي لصاحبه اذهب بنا الى هذا النبي فقال له صاحبه لا تقل له نبي انه لو سمعك لكان له اربع اعين فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن تسع آيات بينات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا محصنة ولا تولوا الفرار يوم الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعتدوا في السبت قال فقبلا يده ورجليه وقالا نشهد انك نبي قال فما يمنعكم ان تتبعوني قالا ان داود عليه السلام دعا ربه ان لا يزال من ذريته نبي وانا نخاف ان تبعناك ان تقتلنا اليهود رواه احمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي حسن صحيح وقد تكلموا فيه ولعله اشتبه على بعض رواته وهو عبد الله بن مسلم الراوي عن صفوان التسع الآيات بالعشر الكلمات فانها وصايا في التوراة لا تعلق لها بقيام الحجة على فرعون والله اعلم ولهذا قال موسى لفرعون لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر اي حججا وادلة على صدق ما جئتك به واني لاظنك يا فرعون مثبورا اي هالكا قاله مجاهد وغيره وقيل ملعونا مغلوبا وقرأ بعضهم علمت بضم التاء لكن قراءة الجمهور بالفتح على الخطاب لفرعون وهذا دال على ان المراد بالتسع الآيات ما تقدم ذكرها مفصلا التي هي حجج وبراهين على فرعون وقومه وخوارق ودلائل على صدق موسى ووجود الفاعل المختار الذي ارسله وليس المراد منها ما ورد في الحديث فان هذه الوصايا ليس فيها حجج على فرعون وقومه واي مناسبة بين هذا وبين اقامة البراهين على فرعون فلهذا انما جاء هذا الوهم من الراوي كما سبق وقوله فاراد ان يستفزهم اي يجليهم من الارض و

جمع آيه وهي العلامة الظاهرة والمراد بها الاحكام التي عهد بها قوم موسى

ومن يليهم عنها فاغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض وفي هذا بشارة لمحمد صلى الله عليه وسلم بفتح مكة مع ان هذه السورة نزلت قبل الهجرة وكذلك وقع فان اهل مكة هموا باخراج الرسول منها كما قال وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا ولهذا اورث الله رسوله مكة فدخلها عنوة على اشهر القولين وقهر اهلها ثم اطلقهم حلما وكرما كما اورث الله القوم الذين كانوا يستضعفون من بني اسرائيل مشارق الارض ومغاربها واورثهم بلاد فرعون واموالهم وزروعهم وثمارهم وكنوزهم كما قال كذلك واورثناها بني اسرائيل وقال ههنا ثم قلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا اي جميعا انتم وعدوكم وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا اخبر تعالى عن القرآن المجيد انه بالحق نزل اي متضمنا للحق كما قال في آية اخرى انزله بعلمه اي متضمنا علم الله الذي اراد ان يطلعكم عليه من احكامه وامره ونهيه وقوله وبالحق نزل اي ووصل اليك يا محمد محفوظا محروسا لم يشب بغيره ولا زيد فيه ولا نقص منه بل وصل اليك بالحق وقوله وما ارسلناك اي يا محمد الا مبشرا اي لمن اطاعك من المؤمنين ونذيرا لمن عصاك من الكافرين وقوله وقرآنا فرقناه اما قراءة من قرأ بالتخفيف فمعناه فصلناه من اللوح المحفوظ الى بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل مفرقا منجما على الوقائع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلث وعشرين سنة وقراءة ابن عباس فرقناه بالتشديد اي انزلناه آية آية مبينا مفسرا ولهذا قال لتقرأه على الناس اي لتبلغه الناس وتتلوه عليهم على مكث اي مهل ونزلناه تنزيلا اي شيئا بعد شيء قل آمنوا به او لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا اي قل يا محمد لهؤلاء الكافرين بما جئتهم به من هذا القرآن العظيم آمنوا به او لا تؤمنوا اي سواء آمنتم به ام لا فهو حق في نفسه انزله الله ونوه بذكره في سالف الازمان في كتبه المنزلة على رسله ولهذا قال ان الذين اوتوا العلم من قبله اي من صالحي اهل الكتاب الذين يتمسكون بكتابهم ويقيمونه ولم يبدلوه ولا حرفوه اذا يتلى عليهم هذا القرآن يخرون للاذقان جمع ذقن وهو اسفل الوجه سجدا اي لله عز وجل شكرا على ما انعم به عليهم من جعله اياهم اهلا ان ادركوا هذا الرسول الذي انزل عليه هذا الكتاب ولهذا يقولون سبحان ربنا اي تعظيما وتوقيرا على قدرته التامة وانه لا يخلف الميعاد الذي وعدهم على السنة الانبياء المتقدمين من بعثه محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا قالوا سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا وقوله ويخرون للاذقان يبكون اي خضوعا لله عز وجل وايمانا وتصديقا بكتابه ورسوله ويزيدهم خشوعا اي ايمانا وتسليما وقوله ويخرون عطف صفة على صفة لا عطف سجود على سجود كما قال الشاعر

الى الملك القرم وابن الهمام   وليث الكتيبة في المزدحم

قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين المنكرين صفة الرحمة لله تعالى المانعين من تسميته بالرحمن فانه ذو الاسماء الحسنى روي عن ابن عباس ان رجلا من المشركين سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول في سجوده يا رحمن يا رحيم فقال انه يزعم انه يدعو واحدا وهو يدعو اثنين فانزل الله هذه الآية وقوله ولا تجهر بصلاتك قال ابن عباس نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوار بمكة كان اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقرآن فلما سمع المشركون سبوا القرآن وسبوا من انزله

قيل وما انزلناه من السماء الا ملتبسا بالحق محفوظا بالرصد من الملئكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفي الاعتراء البطلان له اوله الى اخره

من يتوجه منكم وهم العلماء الذين قرءوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل

نزل حين سمع المشركون رسول الله صلعم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التورية والمعنى الاول هو التسوية بين اللفظين فانهما مطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو جواب لقوله ايا ما تدعو

ومن جاء به فقال تعالى لنبيه ولا تجهر بصلوتك اى بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ولا تخافت بها عن اصحابك
فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك وابتغ بين ذلك سبيلا وعن ابن عباس ايضا قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا جهر بالقرآن وهو يصلي تفرقوا عنه وابوا ان يستمعوا منه فكان الرجل اذا اراد ان يسمع من رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعض ما يتلوه وهو يصلي استرق السمع دونهم فرقا منهم فان راى انهم قد عرفوا انه يستمع ذهب خشية اذاهم
فلم يستمع فان خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئا فانزل الله ولا تجهر بصلاتك
فيتفرقوا عنك ولا تخافت بها فلا يسمع من اراد ان يسمعها ممن يسترق ذلك منهم فلعله يرعوى الى بعض ما يسمع فينتفع
وابتغ بين ذلك سبيلا وهكذا قال الآخرون وقال قتادة نزلت في القراءة في الصلوة وعن ابن عباس ايضا لا تصل
مراياة للناس ولا تدعها مخافة الناس وعنه ايضا نزلت في الدعاء وقالت عائشة نزلت في التشهد ولا تجهر بصلوتك ولا
تخافت بها وقال الحسن لا تحسن علانيتها وتسيء سريرتها وقال ابن زيد في قوله وابتغ بين ذلك سبيلا كان
اهل الكتاب يخافتون ثم يجهر احدهم بالحرف فيصيح به ويصيحون به وراءه فنهاه ان يصيح كما يصيح هؤلاء وان يخافت كما
يخافت القوم ثم كان السبيل الذي بين ذلك الذي سن له جبرئيل عليه السلام من الصلوة وقوله وقل الحمد لله الذي لم يتخذ
ولدا لما اثبت الله تعالى لنفسه الكريمة الاسماء الحسنى نزه نفسه عن النقائص فقال وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا امر الله
ان يحمد على وحدانيته وعلى ان عرفه انه لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك بل هو الله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفوا احد ولم يكن له ولي من الذل اى ليس بذليل الى ان يكون له ولي او وزير او مشير بل هو
تعالى خالق الاشياء وحده لا شريك له ومدبرها ومقدرها بمشيته وكبره تكبيرا اى عظمه واجله عما يقول الظالمون
المعتدون علوا كبيرا قال ابن نصر القرطبي ان اليهود والنصارى قالوا اتخذ الله ولدا وقالت العرب لبيك لا شريك لك
الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقال الصابئون والمجوس لولا اولياء الله لذل فانزل الله هذه الآية وقل الحمد لله
الذي لم يتخذ ولدا الى آخره رواه ابن جرير وقد جاء في الحديث انه عليه الصلوة والسلام سماها آية العز وفي بعض الآثار
انها ما قرئت في بيت في ليلة فيصيبه سرق او آفة وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله
راس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده رواه البيهقي وقد جاء في الحديث ان كلمات من كان يقرأها يذهب عنه السقم
والضنى فقال ابو هريرة   يا رسول الله تعالى قل توكلت على الحي الذي لا يموت الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له
شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا قال فاتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حسنت حالي
فقال لي مهيم قلت يا رسول الله لم ازل اقول الكلمات التي علمتني ضعيف والله اعلم تم آخر الربع الثاني من كتاب
البدر المنير الملخص من تفسير الامام ابن الكثير ويتلوه الثالث ان شاء الله بعون سورة الكهف ولله الحمد اولا واخرا وباطنا
وظاهرا وقد تم على يد ملخصه ومؤلفه اول عباد الله المجيد عفيف بن سعد بن مسعود بن محمد بن مسعود الكازروني
البلياني احله الله حرم الكرم وتوالت عليه ترادف النعم حضرة الشيخ الكبير قطب الاقطاب ابي عبد الله محمد بن الخفيف الشيرازي
قدس الله سره في الثاني عشر مضت من رجب المرجب سنة احدى وتسعين وسبعمائه والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام
على رسوله محمد سيد العالمين وعلى آله الطيبين وصحبه الاكرمين وعترته الاطهرين والحمد لله الذي وفقنا على اتمام هذا
المصحف من هذا النسخه في يوم الاحد الثالث من شهر ربيع الثاني من شهور سنه عشرين وتسعمائه وكتبه العبد المتوكل
بالصمد الولي محمد بن شيخ ابرهيم بن محمد الحافظ الحويي
غفر الله لهم ولجميع امة محمد صلى الله عليه
وسلم
تم تم تم

عن ابي موسى الاشعري انه قال صعدنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنية
فرفعنا اصواتنا بالتكبير فقال الكريم
لا تدعون اصم ولا غائبا انما تدعون
سميعا قريبا

ولي من الذل من طلب نصرته ليدفع بها عن الذل اى
نفى عنه ان يكون له وليا ركن من جنسه ومن
غير جنسه اختيارا او اضطرارا

بسم الله الرحمن الرحيم عونك يا كريم

في الصحيحين عن البراء قال كان رجل يقرا سورة الكهف والى جانبه حصان مربوط بشطنين فتغشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر فلما اصبح اتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له فقال تلك السكينة تنزلت بالقرآن وعن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات من اول سورة الكهف عصم من الدجال رواه مسلم واصحاب السنن وفي رواية من قرا العشر الاواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال رواه مسلم ايضا والنسائي وعن معاذ بن انس الجهني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا اول سورة الكهف وآخرها كانت له نورا من قدميه الى راسه ومن قراها كلها كانت له نورا ما بين السماء الى الارض رواه احمد وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الكهف في يوم الجمعة اضاء له النور ما بينه وبين الجمعتين رواه الحاكم في مستدركه والبيهقي عنه

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر باسا شديدا من لدنه ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا قد سبق في اول التفسير انه تعالى يحمد نفسه الكريمة عند فواتح الامور وخواتمها فانه المحمود على كل حال وله الحمد في الاولى والآخرة ولهذا حمد نفسه على انزاله كتابه العزيز على [illegible] الرسل فانه اعظم نعمة انعمها الله على اهل الارض اذ اخرجهم به من الظلمات الى النور حيث جعله كتابا مستقيما لا اعوجاج فيه ولا زيغ بل يهدي الى صراط مستقيم بينا واضحا نذيرا للكافرين وبشيرا للمومنين ولهذا قال ولم يجعل له عوجا اي لم يجعل فيه اعوجاجا ولا زيغا ولا ميلا بل جعله معتدلا مستقيما ولهذا قال قيما اي مستقيما لينذر باسا شديدا من لدنه اي لمن خالفه وكذبه ولم يومن به ينذره باسا شديدا عقوبة عاجلة في الدنيا وآجلة في الاخرى من لدنه اي من عنده ويبشر المومنين اي بهذا القرآن الذين صدقوا ايمانهم بالعمل الصالح ان لهم اجرا حسنا اي مثوبة عند الله جميلة ماكثين فيه اي في ثوابهم عند الله وهو الجنة خالدين فيها ابدا دائما لا زوال ولا انقضاء وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا هم مشركوا العرب في قولهم نحن نعبد الملائكة وهم بنات الله ما لهم به اي بهذا القول الذي افتروه من علم ولا لآبائهم اي اسلافهم كبرت كلمة نصب على التمييز تقديره كبرت كلمتهم هذه كلمة وقيل على التعجب اي اعظم بكلمتهم كلمة كما تقول اكرم بزيد رجلا وقرا بعضهم كلمة بالرفع كما يقال عظم قولك وكبر شانك وقراءة الجمهور اظهر والمعنى فان هذا تشنيع لمقالتهم واستعظام لافكهم ولهذا قال تخرج من افواههم اي ليس لها مستند سوى قولهم ولا دليل عليه الا كذبهم وافتراوهم ولهذا قال ان يقولون الا كذبا وقال ابن عباس سبب نزول هذه السورة ان قريشا بعثت النضر بن الحرث وعقبة بن ابي معيط الى احبار يهود بالمدينة فقالوا لهما سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته واخبروهم بقوله فانهم اهل الكتاب الاول وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الانبياء فخرجا حتى قدما المدينة فسالا احبار اليهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفا لهم امره وبعض قوله وقالا انكم اهل التوراة وقد جيناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا قال فقالت لهم سلوه عن ثلاث نامركم بهن فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رايكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان من امرهم فانه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نباوه وسلوه عن الروح ما هو فان اخبركم بذلك فهو نبي مرسل فاتبعوه وان لم يخبركم فانه رجل متقول فاصنعوا في امره ما بدا لكم فاقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش فقالا يا معشر قريش قد جيناكم بفصل ما بينكم وبين محمد قد امرنا احبار يهود ان نساله عن امور فاخبروهم بها فجاوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد اخبرنا فسالوه عما امروهم به فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبركم غدا بما سالتم عنه ولم يستثن وانصرفوا عنه ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا يحدث الله اليه في ذلك وحيا ولا ياتيه جبريل حتى ارجف اهل مكة وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة قد اصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سالناه عنه وحتى احزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به اهل مكة ثم جاءه جبريل من الله تعالى بسورة اصحاب الكهف فيها معاتبته اياه على حزنه عليهم وخبر ما سالوه عنه من امر الفتية والرجل الطواف وقوله ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا

فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث اسفا انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حزنه على المشركين لتركهم الايمان به وبعدهم عنه فقال لعلك باخع نفسك اي مهلك لها بحزنك عليهم على آثارهم اي بعدهم واعراضهم ان لم يومنوا بهذا الحديث يعني القرآن اسفا والاسف الحزن وقال مجاهد اي لا تاسف عليهم بل ابلغ رسالة الله فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ثم اخبر تعالى انه جعل الدنيا فانية مزينة بزينة زائلة وانما جعلها دار اختبار لا دار قرار فقال انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا عن ابي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان اول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء رواه مسلم ثم اخبر تعالى بزوالها وفنائها وفراغها وخرابها فقال وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا اي بلقعا لا ينبت ولا ينتفع به والصعيد الارض التي ليس فيها شجر ولا نبات يعني ان ما في الارض لفان وان المرجع الى الله فلا تاس ولا يحزنك ما تسمع وترى

ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا هذا اخبار من الله عن قصة اصحاب الكهف على سبيل الاجمال والاختصار ثم بسطها بعد ذلك فقال ام حسبت يعني يا محمد ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اي ليس امرهم عجيبا في قدرتنا وسلطاننا فان خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك من الآيات العظيمة الدالة على قدرة الله تعالى وانه على ما يشاء قدير [illegible] عجب من خبر اصحاب الكهف كما قال مجاهد اي قد كان من آياتنا ما هو اعجب من ذلك وقال ابن عباس اي الذي آتيتك به من العلم والسنة والكتاب افضل من اصحاب الكهف والرقيم والكهف هو الغار في الجبل وهو الذي لجا اليه الفتية المذكورون والرقيم واد قريب من ايلة قاله ابن عباس وغير واحد وقال الضحاك الكهف هو غار الوادي والرقيم اسم الوادي وقال مجاهد الرقيم كتاب بنيانهم وقال كعب الرقيم اسم القرية وقال ابن عباس اسم ذلك الجبل بنجلوس وقيل اسم الجبل بناجلوس واسم الكهف حيزم والكلب حمران وقال ابن جبير الرقيم لوح من حجارة كتبوا فيه قصص اصحاب الكهف ثم وضعوه على باب الكهف والظاهر ان الرقيم الكتاب المرقوم كما هو اختيار ابن جرير وقوله اذ اوى الفتية الى الكهف اخبر تعالى عن اولئك الفتية الذين فروا بدينهم من قومهم لئلا يفتنوهم عنه فهربوا منهم فلجاوا الى غار في جبل

ليختفوا عن قومهم فقالوا حين دخلوا سائلين من الله رحمته ولطفه بهم بقولهم ربنا آتنا من لدنك رحمة اي هب
لنا من عندك رحمة ترحمنا وتسترنا من قومنا وهيئ لنا من امرنا رشدا اي وقدر لنا من امرنا هذا رشدا اي اجعل عاقبتنا
رشدا كما جاء في الحديث وما قضيت لنا من قضاء فاجعل عاقبته رشدا وفي المسند ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يدعو اللهم احسن عاقبتنا في الامور كلها واجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة وقوله فضربنا على آذانهم اي القينا عليهم
النوم حين دخلوا الكهف فناموا سنين كثيرة ثم بعثناهم اي من رقدتهم تلك وخرج احدهم بدراهم معه ليشتري لهم شيئا
ياكلونه كما سياتي تفصيله ولهذا قال ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين اي المختلفين فيهم احصى لما لبثوا امدا قيل عددا
وقيل غاية فان الامد الغاية كما في قول الشاعر سبق الجواد اذا استولى على الامد نحن نقص عليك نباهم بالحق انهم
فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن
ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا هولاء قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا ياتون عليهم بسلطان
بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم
من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا من هاهنا شرع في بسط القصة وشرحها فذكر تعالى انهم فتية وهم الشباب
وهم اقبل للحق واهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وداموا في دين الباطل ولهذا كان اكثر المستجيبين لله ولرسوله
شبابا واما المشايخ من قريش فعامتهم بقوا على دينهم ولم يسلم منهم الا القليل وقوله آمنوا بربهم اي اعترفوا له بالوحدانية
وشهدوا انه لا اله الا هو وزدناهم هدى وهذا دليل على ان الايمان يزيد كما هو مذهب جمهور اهل السنة وانه ينقص و
قد ذكروا انهم كانوا على دين المسيح ابن مريم والظاهر انهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية فانه لو كانوا على دين النصرانية
لما اعتنى احبار اليهود بحفظ خبرهم وامرهم لمباينتهم لهم وقد سبق قريبا انهم امروا قريشا ان يمتحنوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالسؤال عن خبر هولاء وعن خبر ذي القرنين وعن الروح فدل هذا على ان هذا كان محفوظا في
كتبهم وانه مقدم على دين النصارى والله اعلم وقوله وربطنا على قلوبهم اي وصبرناهم على مخالفة قومهم ومدينتهم
ومفارقة ما كانوا فيه من العيش والنعمة فانه قد ذكروا انهم كانوا من ابناء ملوك الروم وسادتهم وانهم خرجوا
يوما في اعياد قومهم وكان لهم مجتمع في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد وكانوا يعبدون الاصنام والطواغيت
ويذبحون لها وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له دقيانوس وكان يامر الناس بذلك ويحثهم عليه فلما خرج الناس
لمجتمعهم ذلك وخرج هولاء الفتية مع آبائهم وقومهم ونظروا الى ما يصنعون بعين بصيرتهم فعرفوا ان هذا
الذي يصنعه قومهم من السجود لاصنامهم والذبح لها لا ينبغي الا لله الذي خلق السموات والارض فجعل كل واحد
منهم يتخلص من قومه وينحاز منهم فيتبرز عنهم ناحية فكان اول من جلس منهم وحده جلس تحت ظل شجرة فجاء
الآخر فجلس عنده وجاء الآخر فجلس اليهما وجاء الآخر فجلس اليهم وجاء الآخر وجاء الآخر ولا يعرف
واحد منهم الآخر وانما جمعهم هناك الذي جمع قلوبهم على الايمان كما في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وجعل كل واحد منهم يكتم ما هو فيه
من اصحابه خوفا منهم ولا يدري انهم مثله حتى قال احدهم تعلمون يا قوم انه ما اخرجكم من قومكم وافردكم عنهم الا شي
فليظهر كل واحد منكم بامره فقال آخر اما انا فاني والله يا قوم رايت ما قومي عليه فعرفت انه باطل وانما الذي يستحق

ان يعبد

ان يعبد وحده ولا يشرك به شيا هو الله الذي خلق كل شي وقال الآخر انا والله وقع لي كذلك وقال الآخر كذلك حتى
توافقوا كلهم على كلمة واحدة فصاروا يدا واحدة واخوان صدق فاتخذوا لهم معبدا يعبدون الله فيه فعرف بهم قومهم
فوشوا بامرهم الى ملكهم فاستحضرهم بين يديه فسالهم عن امرهم وما هم عليه فاجابوه بالحق ودعوه الى الله وحده و
لهذا اخبر تعالى عنهم بقوله وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها و
لن لنفي التابيد اي لا يقع منا هذا ابدا لانا لو فعلنا ذلك لكان باطلا ولهذا قال عنهم لقد قلنا اذا شططا اي
باطلا وكذبا وبهتانا هولاء قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا ياتون عليهم بسلطان بين اي هلا اقاموا على صحة ما
ذهبوا اليه دليلا واضحا صحيحا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا يقولون بل هم ظالمون كاذبون في قولهم ذلك فيقال ان
ملكهم لما دعوه الى الايمان بالله ابى عليهم وتهددهم وتوعدهم وامر بنزع لباسهم عنهم الذي كان من زينة قومهم عليهم واجلهم
لينظروا في امرهم لعلهم يراجعون دينهم الذي كانوا عليه وكان هذا من لطف الله بهم فانهم في تلك النظرة توصلوا الى
الهرب منه والفرار بدينهم من الفتنة وهذا هو المشروع عند وقوع الفتن في الناس ان يفر العبد منهم خوفا على دينه فلما
وقع عزمهم على الذهاب والهرب من قومهم واختار الله لهم ذلك واخبر عنهم به في قولهم واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا
الله اي واذ فارقتموهم وخالفتموهم باديانكم في عبادتهم غير الله ففارقوهم ايضا بابدانكم فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم
من رحمته اي يبسط عليكم رحمة يستركم بها من قومكم ويهيئ لكم من امركم اي الذي انتم فيه مرفقا اي امرا ترتفقون به
فعند ذلك خرجوا هرابا الى الكهف فاووا اليه ففقدهم قومهم من بين اظهرهم وطلبهم الملك فيقال انه لم يظفر
بهم وعمى الله عليه خبرهم كما فعل بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديق حين لجآ الى غار ثور وجاء المشركون
من قريش في الطلب فلم يهتدوا اليه مع انهم يمرون عليه حتى جزع الصديق في قوله يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى موضع
قدميه لابصرنا فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما فقصة هذا الغار اشرف واجل واعجب من قصة اصحاب الكهف
وقد قيل ان قومهم ظفروا بهم ووقفوا على باب الغار الذي دخلوه فقالوا ما كنا نريد منهم من العقوبة اكثر مما فعلوا بانفسهم
فامر الملك بردم بابه عليهم ليهلكوا مكانهم ففعلوا ذلك وفي هذا نظر فان الله تعالى قد اخبر عنهم ان الشمس تدخل عليهم بكرة و
عشية كما قال تعالى وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال
وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا
وهذا دليل على ان باب هذا الكهف من نحو الشمال لانه تعالى اخبر ان الشمس اذا دخلته عند طلوعها تزاور عنه ذات اليمين
اي تتقلص الفيء يمنته كما قال ابن عباس وغير واحد تزاور اي تميل وذلك انها كلما ارتفعت في الافق تقلص شعاعها
بارتفاعها حتى لا يبقى منه شي عند الزوال في مثل ذلك المكان ولهذا قال واذا غربت تقرضهم ذات الشمال اي تدخل على
غارهم من شمال بابه وهو من ناحية المشرق فدل على صحة ذلك وهذا بين لمن تامله وكان له حظ من معرفة الهيئة وسير
الكواكب وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة تتركهم وقد اخبر تعالى عن ذلك واراد منا فهمه وتدبره ولم يخبرنا بمكان
هذا الكهف في اي البلاد من الارض اذ لا فائدة لنا فيه ولا قصد شرعي وقد تكلف بعضهم فقال انه قريب من ايلة و
قيل هو عند نينوى وقيل ببلاد الروم وقيل ببلاد البلقاء والله اعلم باي موضع هو وقوله وهم في فجوة منه اي في متسع
من الكهف داخلا بحيث لا يمسهم الشمس اذ لو اصابتهم لاحرقت ابدانهم وثيابهم قاله ابن عباس ذلك من آيات الله

قلنا قولا ذا شطط ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم

انبساط الرزق عليكم وتوسيع عليكم

تنتفعون به

[illegible]

تقرضهم اي

النفس لا يقع فيه الشمس لا عند الطلوع ولا عند الغروب ولا فيما بين ذلك [illegible]

ذلك من آيات الله حيث ارشدهم تعالى الى هذا الغار الذي جعلهم فيه احياء والشمس والريح تدخل عليهم لتبقى ابدانهم
ولهذا قال من آيات الله ثم قال من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا اي هو الذي ارشد هؤلاء
الفتية الى الهداية من بين قومهم فانه من هداه الله اهتدى ومن اضله فلا هادي له وتحسبهم ايقاظا
وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت
عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا ذكر بعض العلماء انهم لما ضرب الله على آذانهم بالنوم لم تنطبق اعينهم
لئلا يسرع اليها البلى فاذا بقيت ظاهرة للهواء كان ابقى لها ولهذا قال وتحسبهم ايقاظا وهم رقود وقوله ونقلبهم
ذات اليمين وذات الشمال قيل يقلبون في العام مرتين قال ابن عباس لو لم يقلبوا لاكلتهم الارض وكلبهم باسط
ذراعيه بالوصيد قال ابن عباس وطائفة الوصيد الفناء بالباب وقيل بالصعيد وهو التراب والصحيح الاول
ومنه قوله تعالى انها عليهم مؤصدة اي مطبقة مغلقة ويقال وصيد واصيد ربض كلبهم على الباب كما جرت
عادة الكلاب في الحراسة وهذا من سجيته حيث ربض ببابهم كأنه يحرسهم وكان جلوسه خارج الباب لان الملائكة
لا تدخل بيتا فيه كلب كما ورد في الحديث الصحيح وشملت كلبهم بركتهم فاصابه ما اصابهم من النوم على تلك الحال وهذا
فائدة صحبة الاخيار فانه صار لهذا الكلب ذكر وشان وخبر وكان كلب صيد لاحدهم وهو الاشبه وقيل كلب
طباخ الملك وكان احدهم فصحبه كلبه قال الحسن اسم هذا الكلب قطمير واختلفوا في لونه على اقوال لا حاصل لها
ولا حاجة اليها بل هي مما ينهى عنه فان مستندها رجم بالغيب وقوله لو اطلعت عليهم اي انه تعالى القى عليهم المهابة
بحيث لا يقع نظر احد عليهم الا هابهم لما البسوا من المهابة والذعر لئلا يدنو منهم احد ولا تمسهم يد لامس
حتى تنقضي مدتهم الى ما شاء الله فيهم لما له في ذلك من الحكمة البالغة والحجة الواسعة وكذلك بعثناهم ليتساءلوا
بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا
احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن
بكم احدا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا اي وكما ارقدناهم
بعثناهم صحيحة ابدانهم واشعارهم وابشارهم لم يفقدوا من احوالهم وهيأتهم شيئا وذلك بعد ثلثمائة سنة وتسع سنين
ولهذا تساءلوا بينهم كم لبثتم اي كم رقدتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم كأنه كان دخولهم الى الكهف في اول نهار
واستيقاظهم كان في آخر نهار ولهذا استدركوا او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم اي الله اعلم بامركم وكأنه
حصل لهم نوع تردد في كثرة نومهم ثم عدلوا الى الاهم في امرهم اذ ذاك وهو احتياجهم الى الطعام والشراب فقالوا
فابعثوا احدكم بورقكم اي فضتكم هذه وذلك انهم كانوا قد استصحبوا معهم دراهم من منازلهم لحاجتهم اليها
وقوله الى المدينة اي مدينتكم التي خرجتم منها فلينظر ايها ازكى طعاما وقيل اكثر طعاما ومنه زكى الزرع اذا كثر
قال الشاعر قبائلنا سبع وانتم ثلاثة ... وللسبع ازكى من ثلاث واطيب والصحيح الاول لان مقصودهم انما
هو الطيب الحلال كثيرا كان او قليلا وقوله وليتلطف اي في خروجه وذهابه وشرائه وايابه اي وليتخف كل
ما يقدر عليه ولا يشعرن بكم احدا اي ولا يعلمن بكم احدا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم اي ان علموا بمكانكم يرجموكم او
يعيدوكم في ملتهم يعنون اصحاب دقيانوس يخافون منهم ان يطلعوا على مكانهم فلا يزالون يعذبونهم بانواع العذاب

الى ان

الى ان يعيدوهم في ملتهم التي هم عليها او يموتوا وان وافقوهم على الكفر فلا فلاح لهم في الدنيا ولا في العقبى ولهذا قالوا ولن
تفلحوا اذا ابدا وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون
بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا
اي وكذلك اطلعنا عليهم الناس ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها ذكر كثير من السلف انه كان قد
حصل لاهل ذلك الزمان شك في البعث وفي امر القيامة وكان منهم من قال تبعث الارواح ولا تبعث الاجساد فبعث الله
اهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك وذكروا انه لما اراد احدهم الخروج ليذهب الى المدينة تنكر وخرج يمشي في غير
الجادة حتى انتهى الى المدينة وذكروا ان اسمها دفسوس وهو يظن انه قريب العهد بها وكان الناس قد تبدلوا قرنا
بعد قرن وامة بعد امة وتغيرت البلاد ومن عليها كما قال الشاعر اما الديار فانها كديارهم ... وارى رجال الحي
غير رجاله ... فجعل لا يرى شيئا من معالم البلد التي يعرفها ولا يعرف احدا من اهلها لا خواصها ولا عوامها فجعل يتحير في
نفسه ويقول لعل بي جنونا او مسا او انا حالم ويقول والله ما بي شيء من ذلك وان عهدي بهذه البلدة عشية
امس على غير هذه الصفة ثم قال التعجل في الخروج من ههنا اولى ثم عمد الى رجل ممن يبيع الطعام فدفع اليه ما معه
من النفقة وساله ان يبيعه بها طعاما فلما رآها ذلك الرجل انكرها وانكر ضربها فدفعها الى جاره وجعلوا يتداولونها
بينهم ويقولون لعل هذا قد وجد كنزا فسألوه عن حاله وامره ومن اين له هذه النفقة لعله وجدها من كنز وممن انت
فجعل يقول انا من اهل هذه المدينة وعهدي بها عشية امس وفيها دقيانوس فنسبوه الى الجنون وحملوه الى ولي
امرهم فسألوه عن شانه وعن امره حتى اخبرهم بامره وهو متحير في حاله وما هو فيه فلما اعلمهم بذلك قاموا معه
الى الكهف متولي البلد واهلها حتى انتهى بهم الى الكهف فقال دعوني حتى اتقدمكم في الدخول لاعلم اصحابي فدخل
فيقال انهم لا يدرون كيف ذهب فيه واخفى الله عليهم خبرهم ويقال بل دخلوا عليهم وسلم عليهم وعادوا الى مضاجعهم
وتوفاهم الله تعالى وقوله وكذلك اعثرنا عليهم اي كما ارقدناهم وايقظناهم بهيئاتهم اطلعنا عليهم اهل ذلك الزمان ليعلموا
ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم اي في امر القيامة فمن مثبت لها ومن منكر فجعل الله
ظهورهم على اصحاب الكهف حجة لهم عليهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا اي سدوا باب كهفهم وذروهم على حالهم قال الذين
غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا قيل ان القائلين كانوا مسلمين منهم وقيل غير مسلمين والظاهر ان القائلين هم اهل
التوحيد لكن هل هم محمودون ام لا فيه نظر لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور
انبيائهم وصالحيهم مساجد يحذر ما فعلوا سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم
رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم
الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا اخبر تعالى عن اختلاف في عدة اصحاب الكهف فحكى ثلاثة اقوال
يدل على انه لا قائل برابع ولما ضعف القولين الاولين بقوله رجما بالغيب اي قولا بلا علم كمن يرمي الى مكان لا يعرفه
فانه لا يكاد يصيب وان اصاب فبلا قصد ثم حكى الثالث وسكت عليه او قرره بقوله وثامنهم كلبهم دل على صحته و
انه هو الواقع في نفس الامر وقوله قل ربي اعلم بعدتهم ارشاد الى الاحسن في هذا المقام رد العلم الى الله اذ لا احتياج الى
الخوض في مثل ذلك بلا علم لكن اذا اطلعنا على امر قلنا به والا وقفنا حيث وقفنا وقوله ما يعلمهم الا قليل اي من الناس

ان وعد الله بالبعث او الموعود الذي
هو البعث حق لان نومهم وانتباههم
كحال من يموت ثم يبعث كم ع

امسكها الله ثلثمائة سنين
حافظا ابدانها عن التحلل
والتفتت ثم ارسلها
اليهم قدر ان يتوفى
نفوس جميع الناس
ممسكا اياها الى الحشر
ابدانها فيردها عليها

سيقولون اي الخائضون في قصتهم في عهد الرسول
من اهل الكتاب والمؤمنين ثلثة رابعهم كلبهم اي
هم ثلثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو
قول اليهود وقيل هو قول السيد من نصارى نجران
وكان يعقوبيا ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله
النصارى او العاقب وكان نسطوريا رجما بالغيب
يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه واتيانا به
قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله
رجما بالغيب ثم رد الاوليين بان اتبعهما قوله رجما
بالغيب لتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة
الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة
لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف الا الادلة ان اتصافه
بها امر ثابت

قال ابن عباس انا من القليل الذين استثنى الله كانوا سبعة وهو موافق لما سبق وقال مجاهد لقد حدثت انه كان
على بعضهم من حداثة سنه وضح الورق قال ابن عباس وكانوا ليلهم ونهارهم في عبادة الله يبكون ويستغيثون
بالله وقيل كانوا ثمانية نفر كذا مكسلمينا وكان اكبرهم وهو الذي كلم الملك عنهم ومحسملينا ويمليخا ومرطوش
وكشوطونش وبيرونش وديموش وبطونس وقابوس هكذا وقع في هذه الرواية والصحيح عن ابن عباس كانوا
سبعة كما سبق وفي صحة تسميتهم هذه الاسماء واسم كلبهم نظر فان غالب ذلك متلقى من اهل الكتاب وقد قال
تعالى فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا اي سهلا هينا فان الامر في معرفة ذلك لا يترتب على كثير فائدة ولا تستفت فيهم منهم
احدا اي فانهم لا علم لهم بذلك الا ما يقولونه من تلقاء انفسهم من غير سند صحيح وقد بعث الله محمدا بالحق الذي
لا شك فيه فهو المقدم الحاكم على كل ما تقدمه من الكتب والاقوال ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان
يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا هذا ارشاد من الله
لرسوله صلى الله عليه وسلم الى الادب فيما اذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل ان يرد ذلك الى مشيئة الله علام الغيوب
كما ثبت في الصحيحين عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال قال سليمن عليه السلم لاطوفن الليلة على
سبعين وفي رواية تسعين امراة وفي رواية مائة امراة تلد كل امراة منهن غلاما يقاتل في سبيل الله فقال له الملك
قل ان شاء الله فلم يقل فطاف فلم تلد منهن الا امراة واحدة نصف انسان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده لو قال ان شاء الله لم يحنث وكان دركا لحاجته وفي رواية ولقاتلوا في سبيل الله فرسانا اجمعين واذكر
ربك اذا نسيت اي الاستثناء فاستثن عند ذكرك له وقال عكرمة اي اذا غضبت وهذا تفسير باللازم قال
مشيئة ربك وقل ان شاء الله
ابن عباس هو ان تقول ان شاء الله ليكون آتيا بسنة الاستثناء اذا كان فاصله طويلة وعنه ايضا انه خاص
برسول الله صلى الله عليه وسلم وليس لاحد منها ان يستثني الا وصله من يمينه وفيه وجه آخر وهو انه تعالى ارشد
من نسي الشيء في كلامه الى ذكر الله لان النسيان منشاه من الشيطان وذكر الله تعالى يطرد الشيطان من الانسان
فذكر الله سبب للذكر وقوله وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا اي اذا سئلت عن الشيء لا تعلمه فاسال الله
فيه وتوجه اليه في ان يوفقك للصواب والرشد في ذلك ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا
قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في
حكمه احدا هذا خبر من الله لرسوله بمقدار لبثهم في الكهف منذ ارقدهم الى ان بعثهم وانه كان مقدار ثلثمائة
سنة وتسع سنين بالهلالية وهي ثلثمائة سنة بالشمسية فان تفاوت ما بين كل مائة سنة بالقمرية الى الشمسية
ثلث سنين فلهذا قال وازدادوا تسعا وقوله قل الله اعلم اي اذا سئلت عن لبثهم وليس عندك في ذلك توقيف من الله
فلا تتقدم فيه بشيء بل قل في مثل هذا الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض اي لا يعلم ذلك الا هو ومن اطلعه
عليه من خلقه قاله اكثر السلف وقال قتادة في قوله ولبثوا الى آخره هذا قول اهل الكتاب وقد رده الله بقوله
قل الله اعلم بما لبثوا وفي قراءة عبد الله وقالوا ولبثوا يعني انه قاله الناس وفي قول قتادة نظر فان الذي بايدي اهل
الكتاب انهم لبثوا ثلثمائة سنة من غير تسع يعنون بالشمسية ولو كان الله قد حكى قولهم لما قال وازدادوا وظاهر الآية
انما هو اخبار الله لا حكاية عنهم ونسبة هذه القراءة الى ابن مسعود غير معتبر ويخالف للجمهور فلا يحتج بها وقوله ابصر به

واسمع

ولا تجادل في شان اصحاب الكهف الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم والرد عليهم

[illegible]

عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب اشعث مدفوع بالابواب لو اقسم على الله لابره رواه مسلم
وعن مصعب بن سعد قال راى سعد ان له فضلا على من دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم رواه البخاري وعن سهل بن سعد قال مر رجل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لرجل عنده جالس ما رايك في هذا فقال رجل من اشراف الناس هذا والله حري ان خطب ان ينكح
وان شفع ان يشفع قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مر رجل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما رايك في هذا فقال يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حري ان خطب ان لا ينكح وان شفع ان لا يشفع
وان قال ان لا يسمع لقوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير من ملء الارض مثل هذا متفق عليه

[illegible]

واسمع اي انه لبصير بهم سميع لهم قال ابن جرير وذلك في معنى المبالغة في المدح كانه قيل ما ابصره واسمعه
يعني ما ابصر الله لكل موجود واسمعه لكل مسموع لا يخفى عليه من ذلك شيء قال قتادة اي فلا احد ابصر من الله ولا
اسمع منه وقوله ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه احدا اي انه تعالى هو الذي له الخلق والامر الذي لا
معقب لحكمه وليس له وزير ولا نصير ولا شريك ولا مشير تعالى وتقدس واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل
لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون
وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه
وكان امره فرطا امر تعالى رسوله بتلاوة كتابه العزيز وابلاغه الى الناس لا مبدل لكلماته اي لا مغير لها ولا محرف
وقوله ولن تجد من دونه ملتحدا اي وان انت يا محمد لم تتل ما اوحي اليك من كتاب ربك فانه لا ملجا لك من الله و
قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم اي اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه
ويسالونه بكرة وعشيا من عباد الله سواء كانوا فقراء او اغنياء او اقوياء او ضعفاء يقال انها نزلت في اشراف
قريش حين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان يجلس معهم وحدهم ولا يجالسهم ضعفاء اصحابه كبلال وعمار
وصهيب وليفرد اولئك بمجلس على حدة فنهاه الله عن ذلك فقال ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية وامره
ان يصبر نفسه في الجلوس مع هولاء فقال واصبر نفسك الاية عن سعد بن ابي وقاص قال كنا مع النبي صلى الله
عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هولاء لا يجترئون علينا قال كنت انا وابن
مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست اسميهما فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله
ان يقع فحدث نفسه فانزل الله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه رواه مسلم وعن
انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون الا وجهه الا ناداهم
مناد من السماء ان قوموا مغفورا لكم قد بدلت سياتكم حسنات رواه احمد وعن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف
قال نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الاية فخرج يلتمسهم
فوجد قوما يذكرون الله منهم ثائر الراس وجاف الجلد وذو الثوب الواحد فلما راهم جلس معهم وقال
الحمد لله الذي جعل في امتي من امرني ان اصبر نفسي معهم رواه الطبراني وقوله ولا تعد عيناك عنهم قال ابن عباس
اي لا تجاوزهم الى غيرهم ولا تبدل اصحاب الشرف والثروة بهم ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا اي من شغل عن الدين
وعبادة ربه بالدنيا وكان امره فرطا اي اعماله وافعاله سفه وتفريط وضياع ولا تكن مطيعا له ولا محبا لطريقته
ولا تغبطه بما هو فيه كما قال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم الاية وقل الحق من ربكم فمن شاء
فليومن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء
كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا اي قل يا محمد للناس هذا الذي جئتكم به من ربكم هو الحق
الذي لا شك فيه فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر وهذا تهديد ووعيد شديد ولهذا قال انا اعتدنا اي ارصدنا
للظالمين اي الكافرين نارا احاط بهم سرادقها اي سورها عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لسرادق النار اربعة جدر كثافة كل جدار مثل مسافة اربعين سنة رواه احمد والترمذي وان يستغيثوا
من العطش

[illegible]

يغاثوا بماء كالمهل قال ابن عباس المهل ماء غليظ مثل دردي الزيت وقيل هو كالدم والقيح وقيل هو الشي الذي
انتهى حره وقال الضحاك ماء جهنم اسود وهي سوداء وشجرها سود واهلها سود فالمهل يجمع هذه الاوصاف
الرذيلة كلها فهو اسود منتن غليظ حار ولهذا قال يشوي الوجوه اي من حره اذا اراد الكافر ان يشربه وقربه
من وجهه شواه حتى تسقط جلدة وجهه فيه كما روى ابو سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ماء كالمهل
قال كعكر الزيت فاذا قربه اليه سقطت فروة وجهه فيه رواه احمد والترمذي ولهذا قال تعالى بعد وصفه هذا
الشراب بهذه الصفة القبيحة بئس الشراب اي بئس هذا شرابا وساءت مرتفقا اي وساءت النار منزلا ومقيلا
ومجتمعا وموضعا للارتفاق كما قال في آية اخرى انها ساءت مستقرا ومقاما ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
انا لا نضيع اجر من احسن عملا اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور
من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت
مرتفقا لما ذكر تعالى حال الاشقياء ثنى بذكر السعداء الذين امنوا بالله وصدقوا المرسلين فيما جاؤا به وعملوا الصالحات
عما امروا به من الاعمال الصالحة فلهم جنات عدن اي اقامة تجري من تحت غرفهم ومنازلهم الانهار يحلون اي من الحلية
فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق فالسندس من ثياب رفاع رقاق كالقمصان
وما جرى مجراها واما الاستبرق فغليظ الديباج وفيه بريق متكئين فيها على الارائك الاتكاء قيل الاضطجاع
وقيل التربع في الجلوس وهو الاشبه بالمراد ههنا والارائك جمع اريكة وهي السرير تحت الحجلة وقال قتاده
الارائك هي الحجال وهي معروفة وقوله نعم الثواب اي نعمت الجنة ثوابا على اعمالهم وحسنت مرتفقا اي
وحسنت منزلا ومقيلا وموضعا للارتفاق واضرب لهم مثلا رجلين لاحدهما جنتين من اعناب
وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا
خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا ودخل جنته
وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي
لاجدن خيرا منها منقلبا هذا مثل مضروب للمشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء والمساكين من
المسلمين فضرب الله للفريقين مثلا برجلين جعل الله لاحدهما جنتين اي بستانين من اعناب محفوفتين بالنخل
المحدقة في جنباتهما وفي خلالهما الزروع وكل من الاشجار والزروع مثمر مقبل في غاية الجودة ولهذا قال كلتا
الجنتين آتت اكلها اي اخرجت ثمرها ولم تظلم منه اي ولم تنقص منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا اي والانهار
تجري فيهما ههنا وههنا وكان له ثمر قيل المراد المال وقيل الثمار وهو الاظهر ههنا ويؤيده القراءة الاخرى
وكان له ثمر بضم الثاء وتسكين الميم على جمع ثمرة وقرا اخرون بفتح الثاء والميم فقال يعني صاحب هاتين الجنتين
لصاحبه وهو يحاوره اي يجادله ويخاصمه يفتخر عليه ويترأس انا اكثر منك مالا واعز نفرا اي اكثر خدما وحشما
قال قتاده تلك والله امنية الفاجر كثرة المال وعزة النفر وقوله ودخل جنته وهو ظالم لنفسه اي بكفره
وتمرده وانكاره المعاد قال ما اظن ان تبيد اي تهلك هذه ابدا اغترارا منه لما راى من الزروع والثمار والاشجار
والانهار المطردة في جوانبها وارجائها فظن انها لا تفنى ولا تهلك وذلك لقلة عقله وضعف يقينه بالله و

اعجابه

جعلنا

واعجابه بالحيوة الدنيا وزينتها وكفره بالآخرة ولهذا قال وما اظن الساعة قائمة اي كائنة ولئن رددت الى
ربي لاجدن اي ولئن كان معاد ورجعة الى الله ليكونن لي هناك احسن من هذا لاني اولى بذلك ولولا كرامتي عليه
ما اعطاني هذا والمنقلب المرجع كما قال في آية اخرى ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى قال له صاحبه وهو
يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي
احدا ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى
ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا
فلن تستطيع له طلبا اخبر تعالى عما اجابه به صاحبه المؤمن واعظا له زاجرا عما هو فيه من الكفر والاغترار اكفرت
بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا هذا انكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه الذي خلقه و
ابتدا خلق الانسان من طين وهو آدم ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين كما قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا
فاحياكم اي كيف تجحدون ربكم ودلالته عليكم ظاهرة جلية لا يخفى على احد فانه ما من احد الا ويعلم انه كان معدوما
ثم وجد وليس ذلك الا بايجاد خالقه وهو الله وهو الله لا اله الا هو خالق كل شي ولهذا قال المؤمن لكنا هو الله ربي اي
لكن انا لا اقول بمقالتك بل اعترف لله بالوحدانية والربوبية ولا اشرك بربي احدا اي بل هو الله المعبود وحده
لا شريك له ثم قال ولولا اذ دخلت جنتك اي وهلا تحضيض وحث على ذلك اي هلا اذا اعجبتك جنتك حين
دخلتها ونظرت اليها حمدت الله على ما انعم به عليك واعطاك من المال والولد ما لم يعط غيرك وقلت ما شاء الله
لا قوة الا بالله ولهذا قال بعض السلف من اعجبه شي من حاله او ولده او ماله فليقل ما شاء الله لا قوة الا بالله و
ذلك ماخوذ من هذه الاية الكريمة وقد روي فيه حديث ضعيف مرفوع في مسند الموصلي عن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انعم الله على عبد نعمة من اهل او مال او ولد فيقول ما شاء الله لا قوة الا بالله فيرى
فيه آفة دون الموت والآية متاولة بهذا الحديث وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الا ادلك على كنز
من كنوز الجنة لا قوة الا بالله رواه احمد منفردا به وقوله فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك اي في الدار الآخرة
ويرسل عليها اي على جنتك في الدنيا التي ظننت انها لا تفنى ولا تبيد حسبانا من السماء قال ابن عباس وغير واحد اي عذابا
والظاهر انه مطر عظيم مزعج يقلع زرعها واشجارها ولهذا قال فتصبح صعيدا زلقا اي بلقعا ترابا املس لا يثبت
فيه قدم وقال ابن عباس كالجرز الذي لا ينبت شيئا وقوله او يصبح ماؤها غورا اي غائرا في الارض منقطعا ذاهبا لا تناله
الايدي وهو ضد النابع الذي يطلب وجه الارض فلن تستطيع له طلبا اي ان طلبته لا تجده لذهابه وانقطاعه
والغور مصدر بمعنى غائر وهو ابلغ منه واحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على
عروشها ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هنالك
الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا اي وقع بهذا الكافر ما يحذر منه مما خوفه به المؤمن من ارسال الحسبان
على جنته التي اغتر بها والهته عن الله عز وجل فاحاط العذاب بثمر جنته فاصبح يقلب كفيه قال قتادة اي يصفق كفيه
متاسفا متلهفا على الاموال التي اذهبها عليها وهي خاوية على عروشها اي ساقطة على عروشها اي سقوفها ويقول يا ليتني لم
اشرك بربي احدا ولم يكن له فئة اي عشيرة او ولد كما افتخر بهم واستعز ينصرونه من دون الله اي يمنعونه من عذاب الله

وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى
انما اولاه ما اولاه لاستيهاله
واستحقاقه اياه لذاته وهو معه
انما يلقاه

وما كان منتصرا اي ممتنعا منتقما اي لا يقدر على الانتصار لنفسه هنالك الولاية لله الحق اختلف القراء ههنا فمنهم
من يقف على قوله وما كان منتصرا هنالك اي في ذلك الموطن الذي حل به العذاب فلا منقذ منه ويبتدئ بقوله الولاية
لله الحق ومنهم من يقف على قوله وما كان منتصرا ويبتدئ بقوله هنالك الولاية لله الحق ثم اختلفوا في قراءة الولاية
فمنهم من فتح الواو فيكون المعنى هنالك الموالاة لله فيرجع كل احد من مؤمن وكافر الى موالاة الله والخضوع له اذا وقع
العذاب ومنهم من كسر الواو من الولاية اي هنالك الحكم لله الحق ثم منهم من رفع الحق على انه نعت للولاية ومنهم من
خفض القاف على انه نعت لله ولهذا قال تعالى هو خير ثوابا اي جزاء وخير عقبا اي الاعمال التي تكون لله ثوابها خير
وعاقبتها حميدة رشيدة كلها خير واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات
الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات
الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا اي واضرب للناس يا محمد مثل الحيوة الدنيا في زوالها وانقضائها كماء
انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض اي فيها من الحب فشب وحسن وعلاه الزهر والنور والنضرة ثم بعد هذا
كله اصبح هشيما يابسا تذروه الرياح اي تطرحه وتفرقه ذات اليمين وذات الشمال وكان الله على كل شيء مقتدرا اي هو قادر
على هذه الحال وتلك الحال وكثيرا ما يضرب الله مثل الحيوة الدنيا بهذا المثل كما في سورة يونس والزمر والحديد على ما سيجي بيانه
ان شاء الله وقوله المال والبنون زينة الحيوة الدنيا كقوله زين للناس حب الشهوات من النساء الاية يعني الاقبال على الله
والتفرغ لعبادته خير لكم من اشتغالكم بهم والجمع لهم والشفقة المفرطة عليهم ولهذا قال والباقيات الصالحات خير
قال ابن عباس وغير واحد هي الصلوات الخمس وعنه ايضا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وبه
قال عثمان بن عفان رضي الله عنه وعن بعض السلف زيادة الصلوة والزكوة والصيام والحج ولا حول ولا قوة الا بالله على
ذلك وعن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استكثروا من الباقيات الصالحات قيل وما هي يا رسول الله
قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد ولا حول ولا قوة الا بالله رواه احمد وعن ابن عباس ايضا ان جميع اعمال الحسنات
هي الباقيات الصالحات التي تبقى لاهلها في الجنة ما دامت السموات والارض ولهذا قال خير عند ربك ثوابا اي جزاء
وافيا وخير املا اي مما يامله ويرجوه الانسان ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر
منهم احدا وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا ووضع
الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا
احصيها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا اخبر تعالى عن اهوال يوم القيمة وما يكون فيه من الامور العظام
كما قال تعالى يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا اي تذهب من اماكنها وتزول كما قال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي
تمر مر السحاب يعني يوم تذهب الجبال وتتساوى المهاد وتبقى الارض سطحا مستويا لا عوج فيها ظاهرة ليس فيها معلم لاحد ولهذا
قال وترى الارض بارزة اي بادية لا مكان يواري احدا بل الخلق كلهم ضاحون لربهم لا يخفى عليه منهم خافية وقيل بارزة
اي لا حجر فيه ولا غيابة ولا بناء ولا شجر وقوله وحشرناهم اي وجمعناهم الاولين منهم والآخرين فلم نغادر اي فلم نترك منهم
احدا لا صغيرا ولا كبيرا وقوله وعرضوا على ربك صفا يحتمل ان يكون المراد ان جميع الخلائق يقومون بين يدي الله صفا واحدا
وان يقومون صفوفا متعددة كما قال وجاء ربك والملك صفا صفا وقوله لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة اي احياء فرادى

قال عطاء ... وترى الارض بارزة ... ظاهر الارض ... تشبيه ... على السلطان [illegible]

عن عبد الله بن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال انكم محشورون
حفاة عراة غرلا ثم قرأ كما بدأنا اول خلق
نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين وان اول من
يكسى يوم القيمة ابراهيم وان ناسا من اصحابي
يؤخذ بهم ذات الشمال فاقول اصحابي
اصحابي فيقال انهم لم يزالوا مرتدين
منذ فارقتهم فاقول كما قال
العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت
فيهم الى قوله العزيز الحكيم
وعن عائشة قالت قلت يا رسول الله كيف
يحشر الناس يوم القيمة قال حفاة عراة
قالت قلت والنساء قال والنساء
قالت عائشة يا رسول الله الا يستحي
ان ينظر بعضهم الى بعض

هذا تقريع للمنكرين للمعاد وتوبيخ لهم على رؤس الاشهاد مخاطبا لهم بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا اي ما كان ظنكم ان هذا
واقع بكم ولا ان هذا كائن وقوله ووضع الكتاب اي كتاب الاعمال الذي فيه الجليل والحقير والفتيل والقطمير فترى المجرمين
مشفقين اي خائفين مما فيه اي من اعمالهم السيئة وافعالهم القبيحة ويقولون يا ويلتنا اي يا حسرتنا وويلنا على ما
فرطنا من اعمارنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة اي لا يترك ذنبا صغيرا ولا كبيرا ولا عملا وان صغر الا احصيها
اي ضبطها وحفظها عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل
محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا ببطن واد فجاء هذا بعود وهذا بعود فانضجوا خبزتهم وان محقرات
الذنوب لموبقات اهلها في بعض المسانيد وقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا اي من خير او شر كقوله يوم تبلى السرائر اي تظهر
المخبيات والضمائر وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا عائشة اياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا
رواه الدارمي وابن ماجه وفي الصحيحين انه عليه الصلوة والسلام قال لكل غادر لواء يوم القيمة يعرف به وقوله ولا يظلم
ربك احدا اي يحكم بين عباده في اعمالهم جميعها ولا يظلم احدا من خلقه بل يعفو ويصفح ويغفر لمن يشاء برحمته ويعذب من يشاء
بقدرته وحكمته وهو الحاكم الذي لا يجور ولا يظلم كما قال تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة الاية وعن جابر بن عبد الله فيما يروي
عن عبد الله بن انيس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله تعالى الناس يوم القيمة او قال العباد
عراة غرلا بهما قلت وما بهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك الديان
لا ينبغي لاحد من اهل النار ان يدخل النار وله عند احد من اهل الجنة حق حتى اقصه منه ولا ينبغي لاحد من اهل الجنة
ان يدخل الجنة وله عند احد من اهل النار حق حتى اقصه منه حتى اللطمة رواه احمد واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لادم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم
لكم عدو بئس للظالمين بدلا ينبه الله بني آدم على عداوة ابليس لهم ولابيهم من قبلهم ويوبخ لمن اتبعه منهم وخالف
ربه الذي انشاه وابتداه فقال واذ قلنا للملائكة اي لجميع الملئكة كما سبق تقريره في اول سورة البقرة اسجدوا لادم اي
سجود تشريف وتكريم وتعظيم وقوله فسجدوا الا ابليس كان من الجن اي خانه اصله فانه خلق من مارج من نار واصل
خلق الملئكة من نور كما ثبت عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خلقت الملئكة من نور وخلق ابليس
من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم رواه مسلم فعند الحاجة يترشح كل اناء بما فيه وخانه الطبع عند الحاجة
وذلك انه قد توسم بافعال الملئكة وتشبه بهم في العبادة فلهذا ادخل في عبادتهم وعصى بالمخالفة ونبه تعالى ههنا انه
من الجن اي خلق من نار قال الحسن كان ابليس اصل الجن كما ان آدم اصل البشر وقال ابن عباس كان ابليس
من حي من احياء الملئكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملئكة وكان اسمه الحرث وخلقت الملئكة من نور
حتى هذا الحي وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذي يكون في طرفها اذا التهب
قال وكان ابليس من اشراف الملئكة واكرمهم قبيلة وكان خازنا على الجنان وكان له سلطان السماء الدنيا وسلطان الارض
وكان مما سولت له نفسه من قضاء الله انه رأى ان له شرفا بذلك على اهل السماء فوقع من ذلك في قلبه كبر لا يعلمه الا الله
فاستخرج الله ذلك الكبر منه حين امره بالسجود لادم فاستكبر وكان من الكافرين قال وقوله وكان من الجن اي من خزان
الجنان وعن ابن المسيب وابن جبير وطاوس ونحوه وقوله ففسق عن امر ربه اي فخرج عن طاعة الله فان الفسق هو

فخرج عن امره بترك السجود والفاء للتسبيب
وورد دليل على ان الملك لا يعصي البتة وانما
عصى ابليس لانه كان جنيا

كرر في مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بها في تلك المحال
وههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك
بانه من سنن ابليس ولما بين حال المغرور بالدنيا
والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات
وتسويل الشيطان زينتهم اولا في زخارف الدنيا
بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من
انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم
من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير في
القرآن

الخروج تقول فسقت الرطبة اذا خرجت من كمامها ثم قال تعالى مقرعا وموبخا لمن اتبعه واطاعه افتتخذونه وذريته اولياء
من دوني اي بدلا عني ولهذا قال بئس للظالمين بدلا وهذا المقام كقوله بعد ذكر القيمة واهوالها ومصير كل من السعداء والاشقياء
في سورة يس وامتازوا اليوم ايها المجرمون الى قوله تعقلون ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم
وما كنت متخذ المضلين عضدا ويوم يقول نادوا شركاءي اي هولاء الذين اتخذتموهم اولياء بدلا عني عبيد امثالكم لا يملكون
شيا ولا اشهدتهم خلق السموات والارض ولا كانوا اذ ذاك موجودين يعني انا المستقل بخلق الاشياء كلها ومدبرها ومقدرها
وحدي ليس معي في ذلك شريك ولا وزير ولا مشير وما له منهم من ظهير ولهذا قال ما كنت متخذ المضلين عضدا اي اعوانا
ويوم يقول نادوا شركاءي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا وراى المجرمون النار
فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا اخبر تعالى عما يخاطب به المشركين يوم القيمة على رءوس الاشهاد تقريعا لهم
وتوبيخا بقوله نادوا شركاءي الذين زعمتم اي في الدار الدنيا ادعوهم اليوم ينقذونكم مما انتم فيه وقوله فدعوهم فلم يستجيبوا لهم كما
قال وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم الاية اي فاستغاثوا بهم فلم يجيبوهم ولم ينصروهم وجعلنا بينهم موبقا اي مهلكا
وقيل هو واد عميق في جهنم فرق به يوم القيمة بين اهل الهدى والضلالة والظاهر انه المهلك ويجوز ان يكون واديا في جهنم
او غيره الا انه تعالى اخبر انه لا سبيل لهولاء المشركين ولا وصول لهم الى الهتهم التي كانوا يدعون في الدنيا وانه يفرق بينهم
بينها في الاخرة فلا خلوص لواحد من الفريقين الى الاخر بل بينهما مهلك وامر عظيم واما ان جعل الضمير في قوله بينهم عائدا الى المومنين
والكافرين فهو كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ونحوه من الايات وقوله وراى المجرمون النار اي انهم لما عاينوا
جهنم حين جيء بها تقاد بسبعين الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك فحينئذ تحققوا لا محالة انهم مواقعوها ليكون ذلك
من باب تعجيل الهم والحزن لهم فان توقع العذاب والخوف منه قبل وقوعه عذاب ناجز ولم يجدوا عنها مصرفا اي وليس لهم
طريق يعدل بهم عنها ولا بد لهم منها عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصب الكافر مقدار خمسين
الف سنة عام لم يعمل في الدنيا وان الكافر ليرى جهنم ويظن انها مواقعته من مسيرة اربعين سنة رواه احمد ولقد صرفنا في هذا
القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا اي ولقد بينا للناس في هذا القرآن ووضحنا لهم الامور من كل نوع
لئلا يضلوا عن الحق ويخرجوا عن طريق الهدى ومع هذا البيان الانسان كثير المجادلة والمخاصمة والمعارضة للحق بالباطل الا من
هدى الله وبصره لطريق النجاة وفي الصحيحين عن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليلة فقال الا تصليان فقلت يا رسول الله انما انفسنا بيد الله فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف حين قلت ذلك ولم
يرجع الي شيئا ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه ويقول وكان الانسان اكثر شيء جدلا وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم
الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تاتيهم سنة الاولين او ياتيهم العذاب قبلا وما نرسل المرسلين الا مبشرين
ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا اياتي وما انذروا هزوا اخبر تعالى عن تمرد الكفرة
في قديم الزمان وحديثه وتكذيبهم بالحق البين مع ما يشاهدون من الايات الواضحات وانه ما منعهم من اتباع ذلك الا طلبهم
ان يشاهدوا العذاب الذي وعدوا به عيانا كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة الاية وغيرها من الايات
البينات وقوله الا ان تاتيهم سنة الاولين اي من غشيانهم العذاب واخذهم عن اخرهم او ياتيهم العذاب قبلا اي يرونه عيانا
مواجهة مقابلة ثم قال وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين اي قبل العذاب مبشرين من صدقهم وامن بهم ومنذرون

للمومنين والكافرين

من كذبهم

عن جابر رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلعم ان ابليس يضع عرشه
على الماء ثم يبعث سراياه يفتنون
الناس فادناهم منه اعظمهم فتنة
يجيء احدهم فيقول فعلت كذا وكذا
فيقول ما صنعت شيئا قال ثم يجيء احدهم
فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين
امراته قال فيدنيه منه ويقول نعم انت
قال الاعمش اراه قال فيلتزمه
معالم [illegible]

... والسوال عن قصة اصحاب الكهف ونحو ذلك

من كذبهم وخالفهم ثم اخبر عن الكفار بانهم يجادلون بالباطل ليدحضوا اي ليضعفوا به الحق الذي جاءتهم به الرسل و
ليس ذلك بحاصل لهم واتخذوا اياتي وما انذروا به هزوا اي اتخذوا الحجج والبراهين وخوارق العادات التي بعث بها الرسل وما
انذروهم وخوفوهم به من العذاب هزوا اي سخروا منهم في ذلك وهو اشد التكذيب ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض
عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا
اذا ابدا وربك الغفور ذو الرحمة لو يواخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه
موئلا وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا يعني واي عباد الله اظلم ممن ذكر اي وعظ بايات الله
فاعرض عنها اي تناساها واعرض ولم يصغ لها ولا القى لها بالا ونسي ما قدمت يداه اي من الاعمال السيئة والافعال القبيحة انا جعلنا
على قلوبهم اكنة اي اغطية وغشاوة ان يفقهوه اي لئلا يفقهوا هذا القرآن والبيان وفي اذانهم وقرا اي صمم معنوي عن الرشاد
وان تدعهم الى الهدى اي الدين فلن يهتدوا اذا ابدا لما قدر لهم من الشقاوة الازلية وقوله وربك الغفور ذو الرحمة اي وربك
غفور ذو رحمة واسعة لو يواخذهم بما كسبوا اي من الذنوب لعجل لهم العذاب في الدنيا ثم اخبر انه يحلم ويستر ويغفر وربما هدى
بعضهم من الغي الى الرشاد ومن استمر منهم فله يوم يشيب فيه الوليد من هوله وعقابه ولهذا قال بل لهم موعد يعني البعث و
الحساب لن يجدوا من دونه موئلا اي ليس لهم عنه محيد ولا معدل ولا ملجا وقوله وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا اي الامم
السالفة والقرون الخالية اهلكناهم بسبب كفرهم وعنادهم وجعلنا لمهلكهم موعدا اي جعلناه الى مدة معلومة ووقت معين
لا يزيد ولا ينقص وكذلك انتم ايها المشركون احذروا ان يصيبكم ما اصابهم فقد كذبتم اشرف رسول واعظم نبي فخافوا عذابي
ونذري واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله
في البحر سربا فلما جاوزا قال لفتاه اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني
نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على اثارهما قصصا
فوجدا عبدا من عبادنا اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما لا ابرح اي لا ازال امشي واسير حتى ابلغ هذا المكان الذي فيه
مجمع البحرين قال قتادة وغير واحد هما بحر فارس مما يلي المشرق وبحر الروم مما يلي المغرب وقيل مجمع البحرين عند طنجة في اقصى بلاد
المغرب وقوله او امضي حقبا اي ولو اسير حقبا من الزمان اي دهرا طويلا قيل سبعون سنة وقيل ثمانون وقوله فلما بلغا مجمع بينهما
نسيا حوتهما وذلك انه قد امر بحمل حوت مملوح معه وقيل له متى فقدت الحوت فهو ثمة فسارا حتى بلغا مجمع البحرين وهناك عين
يقال لها عين الحيوة فناما هنالك واصاب الحوت من رشاش ذلك الماء فاضطرب وكان في مكتل وسقط في البحر وجعل يسير
فيه والماء له مثل الطاق لا يلتئم بعده ولهذا قال تعالى واتخذ سبيله في البحر سربا اي صار اثره كانه حجر فانجاب كالكوة حتى
رجع اليه موسى فراى مسلكه فقال ذلك ما كنا نبغي وقوله فلما جاوزا اي المكان الذي نسيا الحوت فيه ونسب النسيان اليهما
وان كان يوشع هو الذي نسيه كقوله يخرج منهما اللولو والمرجان وانما يخرج من المالح على احد القولين فلما ذهبا عن المكان الذي
نسياه فيه مرحلة قال موسى لفتاه اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا اي الذي جاوزا فيه المكان نصبا اي تعبا قال
ارايت اذ اوينا الى الصخرة وهي صخرة كانت بالموضع الموعود دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت اي تركته وفقدته و
نسيت ان اخبرك وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اي ذلك واتخذ سبيله في البحر عجبا قيل هذا من قول يوشع وقيل من قول
موسى اي اتخذ الحوت في البحر طريقا فعجبت من ذلك عجبا قال موسى ذلك ما كنا نبغ اي نطلب فارتدا اي رجعا على اثارهما اي طريقهما

الى ان قال او كلام او موسى
جواب عجبا بعجبا والكلام
موافق

تعليل الاعراض ... بانهم مطبوع

... والعذاب عنهم

سبيلا عجبا ويكون كالسرب

قصصا اي نقصان اثرهما ويقفوان اثرهما فوجدا عبدا من عبادنا هو الخضر عليه السلم آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه
من لدنا علما اي علم الباطن الهاما فانه لم يكن نبيا عند الجمهور وفي صحيح البخاري عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوفا
البكالي يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بني اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا ابي بن كعب انه
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى قام خطيبا في بني اسرائيل وفي رواية ان موسى رسول الله ذكر الناس يوما
فسئل اي الناس اعلم قال انا فعاتب الله عليه انه لم يرد العلم اليه فاوحى الله اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك فقال
موسى يا رب وكيف لي به قال تاخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت [illegible]م فاخذ حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق
وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اتيا الصخرة وضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه وسقط في
البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه
ان يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من
سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوزا المكان الذي امره الله به فقال له فتاه ارايت اذ
اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال فكان للحوت
سربا ولموسى ولفتاه عجبا فقال موسى ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا قال رجعا يقصان آثارهما حتى
انتهيا الى الصخرة فاذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى فقال له الخضر من انت قال انا موسى قال موسى بني اسرائيل
قال نعم اتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا يا موسى اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه وانت على
علم من علم الله علمك الله لا اعلمه فقال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا فقال له الخضر فان اتبعتني
فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا
الخضر فحملوه بغير نول فلما ركبا السفينة لم يفجأ الا والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة بالقدوم فقال له موسى
قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع
معي صبرا قال لا تواخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الاولى
من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما علمي وعلمك من
علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر
غلاما يلعب مع الغلمان فاخذ الخضر راسه فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت
شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه اشد من الاولى قال ان سالتك عن شيء بعدها
فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا
فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه قال مائل فقال الخضر بيده فاقامه فقال موسى قوم اتيناهم فلم يطعمونا ولم
يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك الى قوله ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وددنا ان موسى كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما قال له موسى هل اتبعك على ان
تعلمن مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني ان
شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا اخبر تعالى

ورجعا في الطريق الذي جاءا فيه
فقصصا اي يتبعان آثارهما
اتباعا او مقتصين حتى اتيا
الصخرة منه

غير قبل موسى الخضر الذي كان خصه الله بعلم ما لم يطلع عليه موسى كما انه اعطى موسى من العلم ما لم يعطه الخضر عليهما
السلم قال له موسى هل اتبعك سؤال تلطف لا على وجه الالزام والاجبار وهكذا ينبغي ان يسأل المتعلم العالم وقوله
اتبعك اصحبك وارافقك على ان تعلمن مما علمت رشدا اي مما علمك الله شيئا استرشد به في امري علما وعملا فقال الخضر
لموسى انك لن تستطيع معي صبرا اي لا تقدر مصاحبتي لما ترى مني من الافعال التي تخالف شريعتك لاني على علم من علم
الله ما علمكه الله وانت على علم من علم الله ما علمنيه الله فكل منهما مكلف باموره من الله دون صاحبه وانت لا تقدر على
صحبتي وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي علما قال اي موسى ستجدني ان شاء الله صابرا اي على ما ارى من امورك
ولا اعصي لك امرا اي ولا اخالفك في شيء فعند ذلك شارطه الخضر وقال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء اي ابتداء
حتى احدث لك منه ذكرا اي ابدأك انا به قبل ان تسألني فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها
لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تواخذني بما نسيت
ولا ترهقني من امري عسرا اخبر تعالى عن موسى وصاحبه الخضر انهما لما توافقا واصطحبا انطلقا واشترط عليه
ان لا يسأله عن شيء انكره حتى يكون هو الذي يبتدئه به من تلقاء نفسه في شرحه وبيانه ركبا في السفينة كما سبق في الحديث
فلما استقلت بهم السفينة في البحر ودخلت اللجة قام الخضر فخرقها واستخرج لوحا من الواحها ثم رقعها فلم يملك موسى نفسه
بان قال منكرا عليه اخرقتها لتغرق اهلها وهذه اللام لام العاقبة كما في قول الشاعر لدوا للموت وابنوا للخراب
لقد جئت شيئا امرا اي منكرا عجبا فعندها ذكره الخضر ما تقدم من الشرط وقال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا
يعني وهذا الصنيع فعلته قصدا وهو مما شرطت عليك ان لا تنكر علي فيها قال اي موسى لا تواخذني بما نسيت اي
لا تضيق علي ولا تشدد ولا تكلفني مشقة ارهقه عسرا فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت
نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سالتك
عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا اي فانطلقا بعد ذلك حتى اذا لقيا غلاما وكان يلعب
مع الغلمان في قرية من القرى فعمدا اليه من بينهم وكان احسنهم واجملهم فقتله وروي انه احتز راسه وقيل رضخه
بحجر وقيل اقتلعه بيده فلما شاهد موسى ذلك انكره اشد من الاول وبادر فقال اقتلت نفسا زاكية اي صغيرة لم يعمل
الحنث فقتلته بغير ان قتل نفسا توجب القصاص لقد جئت شيئا نكرا ظاهر النكارة فذكره الخضر ثانيا الشرط الذي
كان بينهما مؤكدا بقوله لك قال له موسى ان سالتك عن شيء بعدها اي ان اعترضت عليك بشيء بعد هذه المرة فلا
تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا اي قد اعذرت الي مرة بعد مرة فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما
اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه قال لو شئت لاتخذت
عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا اخبر تعالى عنهما
انهما انطلقا بعد المرتين الاولتين حتى اذا اتيا اهل قرية قال ابن سيرين هي الايلة وفي الحديث اذا اتيا قرية لئام اي بخلاء
فطلبا منهم الضيافة فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض اسناده للارادة الى الجدار مجازي فان
الارادة في المحدثات بمعنى الميل والانقضاض هو السقوط وقوله فاقامه اي فرده الى حالة الاستقامة بيديه دعمه
حتى رد ميله وهذا خارق فعند ذلك قال موسى لو شئت لاتخذت عليه اجرا اي لاجل انهم لم يضيفونا ونحن جياع

اي وكيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من
امور ظواهرها مناكير وبواطنها
لم يحط به خبرك وخبرا تمييز
قاضي

قال الخضر هذا فراق بيني وبينك وفاء بالشرط الذي شرطت علي انك ان سالتني عن شيء بعدها فلا تصاحبني
فهو فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا فقال الخضر اما السفينة فكانت لمساكين
يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا هذا تفسير ما خفي امره
على موسى وانكر ظاهره وقد اطلع الله الخضر على حكمة باطنة فقال السفينة انما خرقتها لاعيبها لانهم كانوا
يمرون بها على ملك من الظلمة ياخذ كل سفينة صالحة كما هو قراءة بعض الصحابة [illegible] غصبا فاردت عيبها لارده
عنها لعيبها فينتفع بها اصحابها المساكين الذين لم يكن لهم شيء ينتفعون به [illegible] وقد قيل انهم ايتام قيل ان
اسم ذلك الملك هدد بن بدد وهو من الملوك المنصوص عليه في التورية واما الغلام فكان ابواه مؤمنين
فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة واقرب رحما
هذا الغلام اسمه جيسور وفي حديث ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا
ولهذا قال وكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما اي يحملهما حبه على موافقته في الطغيان والكفر قال قتادة
قد فرح به ابواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي لكان فيه هلاكهما فرضي امرؤ بقضاء الله فان قضاء الله للمؤمن
فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب وصح في الحديث لا يقضي الله للمؤمن قضاء الا كان خيرا له وقوله فاردنا ان يبدلهما
ربهما خيرا منه اي ولدا ازكى من هذا وهما ارحم به منه وهو ابر بوالديه وقد بدل الله لهما جارية وقال ابن جريج
لما قتله الخضر كانت امه حاملا بغلام مسلم واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته
كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما
فعلته عن امري ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا يعني ان هذا الجدار انما اصلحته لانه كان لغلامين يتيمين
في المدينة وكان تحته كنز لهما وقال [illegible] كان تحته مال مدفون وهذا هو الظاهر واختاره ابن جرير ق
قال ابن عباس وجماعة كان تحته كنز علم وصنف فيها علم كما روى ابو ذر مرفوعا وقال ان الكنز الذي ذكره الله في
كتابه لوح من ذهب مصمت مكتوب فيه عجبت لمن ايقن بالقدر لم نصب وعجبت لمن ذكر النار لم ضحك وعجبت
لمن ذكر الموت لم غفل لا اله الا الله محمد رسول الله وعن الحسن وابن عباس نحوه موقوفا بطرق مختلفة وهذا لا يخالف
قول من قال كان مالا لانهم ذكروا انه كان لوحا من ذهب وفيه مال جزيل وكان مودعا فيه علم وهو حكم ومواعظ
وقوله وكان ابوهما صالحا فيه دليل على ان الرجل الصالح يحفظ في ذريته وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والاخرة بشفاعته
فيهم ورفع درجتهم الى درجته في الجنة لتقر عينه بهم وقوله فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ههنا اسند الارادة
الى الله لان بلوغهما الحلم لا يقدر عليه الا الله اي يبلغا ويعقلا ويدركا قوتهما بارادة الله تعالى ويستخرجا كنزهما
حينئذ وقوله رحمة من ربك اي هذا الذي فعلته وهذه الاحوال الثلثة انما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من اصحاب
السفينة ووالدي الغلام وولدي الرجل الصالح وما فعلته عن امري اي لكني امرت به ووقفت عليه وفيه دلالة
لمن قال بنبوة الخضر مع ما تقدم من قوله فوجدا عبدا من عبادنا اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما وقال
آخرون كان رسولا وقيل بل كان ملكا نقله الماوردي في تفسيره وذكره [illegible] لم يكن نبيا بل كان وليا والله اعلم
وذكر ابن قتيبة ان اسم الخضر بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن [illegible] شد بن سام بن نوح عليه السلم قالوا

وكان يكنى ابا العباس ويلقب بالخضر لما روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما سمي الخضر لانه جلس على
فروة بيضاء فاذا هي تهتز من خلفه خضراء رواه البخاري والمراد بالفروة ههنا الحشيش اليابس وهو الهشيم من
النبات وكان من ابناء الملوك ذكره النووي في تهذيب الاسماء وحكى هو وغيره في كونه باقيا الى الان ثم الى يوم القيمة قولين
ومال هو وابن الصلاح الى بقائه وذكروا في ذلك حكايات واثارا عن السلف وغيرهم وجاء ذكره في بعض الاحاديث ولا
يصح شيء من ذلك ورجح اخرون من المحدثين وغيرهم خلاف ذلك واحتجوا بقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وبقول
النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض وبانه لم ينقل انه جاء الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا حضر عنده ولا قاتل معه ولو كان حيا لكان من اتباع النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لانه عليه الصلوة والسلام
كان مبعوثا الى جميع الثقلين الجن والانس واخبر قبل موته بشهر يقول انه لا يبقى ممن هو على وجه الارض الى مائة سنة من
ليلته تلك عين تطرف او نفس منفوسة آخر كلام الشيخ رحمه الله والجواب انه لا يلزم من طول عمره وبقائه الى
آخر الزمان ان تكون له الخلد فانه داخل في قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه ويمكن ان الخضر كان حاضرا ببدر كما
نقل انه يكون بالرصد لحراسة بيضة الاسلام من غير ان يكون ظاهرا يعرف وينقل وانه وصل الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان على ما كان عليه من الامور الخارقة للعادة كما ينقل عنه وانه عليه الصلوة والسلم رخصه لذلك وانه
لم يكن ممن هو على وجه الارض على العادة حينئذ بل كان على الهواء او على البحر لمصالح نقيضها حكمة الله فان الصحيح بقاؤه
ودوامه الى اخر الزمان والله اعلم وقوله ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اي هذا تفسير ما ضقت به ذرعا ولم تصبر حتى
اخبرك به ابتداء ولما ان فسره له وبينه ووضحه وازال المشكل قال تسطع وقبل ذلك كان الاشكال قويا ثقيلا فقال
سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا فقابل الاثقل بالاثقل والاخف بالاخف كما قال فما اسطاعوا ان يظهروه وهو الصعود
الى اعلاه وما استطاعوا له نقبا وهو اشق من ذلك فقابل كلا بما يناسبه لفظا ومعنى والله اعلم ويسألونك عن ذي القرنين
قل ساتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض واتيناه من كل شيء سببا يعني ويسألونك يا محمد عن خبر ذي القرنين
وقد سبق ان كفار مكة بعثوا الى اهل الكتاب يسالون منهم ما يمتحنون به النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا سلوه عن رجل طواف في
الارض وعن فتية لا يدرى ما صنعوا وعن الروح فنزلت سورة الكهف والحديث الذي رواه ابن جرير وغيره في شانه منكر لا يصح
ومن [illegible] انه من الروم وليس كذلك وانما الرومي هو الاسكندر الثاني وهو ابن فيلقس اليوناني المقدوني الذي يؤرخ به
الروم من مملكته وقد كان قبل المسيح بنحو ثلثمائة سنة وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف المشهور واما الاول المذكور في
القرآن فكان في زمن الخليل وقد ذكر الازرقي وغيره انه طاف بالبيت مع ابرهيم الخليل اول ما بناه وآمن به واتبعه
وقربت الى الله قربانا وكان وزيره الخضر وقال وهب بن منبه كان ملكا وانما سمي ذا القرنين ان صفحتي راسه كانتا
من نحاس وقيل لانه ملك الروم والفارس وقيل لانه كان في راسه شبه القرنين وسئل علي رضي الله عنه عن ذي القرنين
فقال كان عبدا ناصح الله فناصحه دعا قومه الى الله فضرب على قرنه فمات فاحياه الله ودعا قومه الى الله فضربوه على قرنه
فمات فسمي ذا القرنين وقيل لانه بلغ المشارق والمغارب من حيث تطلع قرنا الشمس وتغرب وقوله انا مكنا له في الارض
اي اعطيناه ملكا عظيما متمكنا فيه له من جميع ما يؤتى الملوك من التمكين والجنود والات الحرب والحصارات ولهذا ملك
مشارق الارض ومغاربها ودانت له البلاد وخضعت له ملوك العباد وخدمته الامم من العرب والعجم وقوله واتيناه

من كل شي سببا قال ابن عباس وغير واحد يعني علما وقيل منازل الارض واعلامها وقيل تعلم الالسنة كان لا تغزو قوما الا كلمهم بلسانهم والمراد ان الله يسر له الاسباب اي الطرق والوسائل الى فتح الاقاليم والبلاد والاراضي وكسر الاعداء وتسخير ملوك الارض وانه اوتي من كل شي مما يحتاج اليه مثله سببا فاتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا ياذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسرا [illegible] سببا اي منزلا وطريقا ما بين المشرق والمغرب وقال قتادة منازل الارض ومعالمها وقوله حتى اذا بلغ مغرب الشمس اي فسلك طريقا حتى وصل الى اقصى ما يسلك فيه من الارض من ناحية المغرب من الارض لا غير وما قيل من وصوله الى مغرب الشمس من السماء فمن خرافات اهل الكتاب واختلاق زنادقتهم وكذبهم وقوله وجدها تغرب في عين حمئة اي راى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط وهذا شان كل من انتهى الى ساحله يراها كانها تغرب فيه وهي لا تفارق الفلك الرابع التي هي مثبتة فيه لا تفارقه والحمئة في احدى القراءتين مشتقة من الحماة وهي الطين وسال كعب عن ذلك فقال انتم اعلم بالقران مني ولكني اجدها في الكتاب تغيب في طينة سوداء واما حامية بالالف فهي حارة والقراءتان مشهورتان فايتهما قرا القارى فهو مصيب ولا منافاة بين معنييهما اذ قد يكون حارة لمجاورتها وهج الشمس عند غروبها وحمئة فيها طين اسود وروى ابن ابي حاتم ان ابن عباس ذكر ان معوية ابن ابي سفيان قرا في عين حامية قال ابن عباس فقلت لمعوية ما نقراها الا حمئة فسال معوية عبد الله بن عمرو كيف تقراها فقال عبد الله كما قراتها قال ابن عباس فقلت لمعوية في بيتي نزل القرآن فارسل الى كعب فقال له اين تجد الشمس تغرب في التورية فقال كعب سل اهل العربية فانهم اعلم بها واما انا فاني اجد الشمس تغرب في التورية في ماء وطين واشار بيده الى المغرب قال ابن حاضر لو اني عندكما قد افدتك بكلام تزداد فيه بصيرة في حمئة قول تبع فيما ذكره به ذا القرنين في تخلقه بالعلم واتباعه اياه وهو هنا: بلغ المشارق والمغارب يبتغي : اسباب امر من حليم مرشد : فراى مغار الشمس عند غروبها : في عين ذي خلب وثاط حرمد : فقال ابن عباس ما الخلب قال الطين بكلام حمير قال فما الثاط قال الحماة قال فما الحرمد قال الاسود فامر ابن عباس وكتب ذلك عن قوله وقوله ووجد عندها قوما اي امة من الامم عظيمة من بني آدم وقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا يعني ان الله تعالى مكنه منهم وحكمه فيهم واظفره عليهم وخيره ان شاء قتل وسبى وان شاء من او فدى فعرف عدله وايمانه فيما ابداه عدله وبيانه في قوله اما من ظلم اي استمر على كفره وشركه بربه فسوف نعذبه قال قتادة بالقتل وقال السدي كان يحمي لهم بقر النحاس ويضعهم فيها حتى يذوبوا وقوله ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا اي شديدا بليغا وجيعا اليما وفي هذا اثبات المعاد والجزاء وقوله واما من آمن اي تابعنا على ما ندعوه اليه من عبادة الله وحده لا شريك له فله جزاء الحسنى اي في الاخرة عند الله وسنقول له من امرنا يسرا اي معروفا ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا اي ثم سلك طريقا فسار من مغرب الشمس الى مطلعها وكان كلما مر بامة قهرهم وغلبهم ودعاهم الى الله عز وجل فان اطاعوه والا اذلهم وارغم آنافهم واستباح اموالهم واستخدم من كل امة ما يستعين به مع جيوشه على قتال الاقاليم المتاخمة لهم وقد اخبر بنو اسرائيل انه عاش الفا وستمائة سنة يجوب الارض طولها

فاتبع سببا اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه سو فاع

ولعله بلغ ساحل المحيط فراها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب سو فاع

له م

ابوا الدعوة وما اراد منه او ظلم نفسه بالاصرار على كفره او اصر على ظلمه الذي هو الشرك نعذبه انا ومن معي في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله في الاخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله سو فاع

يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض سو فاع

وعرضها

وعرضها حتى بلغ المشارق والمغارب ولما انتهى الى مطلع الشمس من الارض كما قال تعالى وجدها تطلع على قوم اي امة لم نجعل لهم من دونها سترا اي ليس لهم بناء يكنهم ولا اشجار تظلهم وتسترهم من حر الشمس وقال سعيد بن جبير كانوا حمرا قصارا مساكنهم الغيران اكثر معيشتهم من السمك وقال الحسن ان ارضهم لا تحمل البناء فاذا طلعت الشمس تغوروا في المياه واذا غابت خرجوا يتراعون كما ترعى البهائم قيل ولاحدهم اذنان تفترش واحدة وتلبس اخرى وقيل هم الزنج وقوله كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا اي علما يعني نحن مطلعون على جميع احواله واحوال جيشه لا يخفى علينا منها شي وان تفرقت اممهم وتقطعت بهم الارض فانه تعالى لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السماء ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتوني افرغ عليه قطرا اي ثم سلك طريقا ومنازل من مشارق الارض حتى اذا بلغ بين السدين وهما جبلان متقابلان بينهما ثغرة يخرج منها ياجوج وماجوج على بلاد الترك فيعيثون فيهم فسادا ويهلكون الحرث والنسل وياجوج وماجوج من سلالة آدم كما ثبت في الصحيح ان الله تعالى يقول يا آدم فيقول لبيك وسعديك فيقول ابعث بعث النار فيقول وما بعث النار فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة فحينئذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها فقال ان فيكم امتين ما كانتا في شي الا كثرتاه ياجوج وماجوج وقد حكى النواوي في شرح مسلم عن بعض الناس انه ذهب الى ان ياجوج وماجوج خلقوا من مني خرج من آدم فاختلط بالتراب فخلقوا من ذلك فعلى هذا هم مخلوقون من ماء آدم وليسوا من حواء وهذا غريب جدا ثم لا دليل عليه لا عقلا ولا نقلا ولعل هذا من اكاذيب اهل الكتاب وعن سمرة بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولد نوح ثلثة سام ابو العرب وحام ابو السودان ويافث ابو الترك فقال بعض العلماء هؤلاء من نسل يافث اي الترك وقال انما سموا تركا لانهم تركوا وراء السد من هذه الجهة والا فهم اقرباء اولئك ولكن كان في اولئك بغي وفساد وجراءة وقد ذكر ابن جرير هاهنا عن وهب بن منبه اثرا طويلا عجيبا في سير ذي القرنين وبناء السد وكيفية ما جرى له وفيه طول وغرابة ونكارة في اشكالهم وصفاتهم وطولهم وقصر بعضهم وآذانهم فلا نطول الكتاب به وقوله وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا اي لاستعجام كلامهم وبعدهم عن الناس قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا قال ابن عباس اي اجرا عظيما يعني انهم ارادوا ان يجمعوا له من بينهم مالا يعطونه اياه حتى يجعل بينهم وبينهم سدا فقال ذو القرنين بعفة وديانة وقصد للخير ما مكني فيه ربي خير اي الذي اعطاني الله من الملك والتمكين خير من الذي تجمعونه ولكن ساعدوني بقوة اي بعملكم وآلات البناء اجعل بينكم وبينهم ردما اي سدا حاجزا فلا يصلون اليكم آتوني زبر الحديد هي جمع زبرة وهي القطعة منه وهي كاللبنة يقال كل لبنة زنة قنطار او يزيد عليه حتى اذا ساوى بين الصدفين اي وضع بعضه على بعض من الاساس حتى حاذى به رؤس الجبلين طولا وعرضا واختلفوا في مساحته على اقوال وقال انفخوا اي اججوا عليه النار حتى صار كله نارا قال آتوني افرغ عليه قطرا قال ابن عباس وغير واحد هو النحاس المذاب مستشهدا بقوله واسلنا له عين القطر ولهذا يشبه بالبرد المحبر قال قتادة ذكر لنا ان رجلا قال يا رسول الله

قوله كذلك اي امر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك وامره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار وقد احطنا بما لديه من الجنود والالات والعدد والاسباب خبرا علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا تحيط به الا علم اللطيف الخبير قاضي

الردم اكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاع فوق رقاع سو فاع

لا حاجة لي اليه

لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر ردما ائتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئوني والباء محذوفة [illegible] لان اعطاء الالة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل

قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قال انعته لي قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته
وفي البخاري نحوه مختصرا وقد بعث الخليفة الواثق بالله في دولته بعض أمرائه وجهز معه جيشا سرية لينظروا إلى السد
ويعاينوه وينعتوه له إذا رجعوا فتوصلوا من بلاد إلى بلاد ومن ملك إلى ملك حتى وصلوا إليه ورأوا بناءه من
الحديد والنحاس وذكروا أنهم رأوا بابا عظيما وعليه أقفال عظيمة ورأوا بقية اللبن والعمل في برج هناك وأن عنده
حرسا من الملوك والرجال وأنه عال منيف شاهق لا يستطاع ولا ما حوله من الجبال ثم رجعوا إلى بلادهم وكانت غيبتهم
أكثر من سنتين وشاهدوا أهوالا وعجائب فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال
هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا وتركنا بعضهم يومئذ
يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا أخبر تعالى عن يأجوج ومأجوج أنهم ما قدروا أن يصعدوا من فوق
هذا السد ولا ينقبوا من سفله ولما كان الظهور عليه أسهل من نقبه قابل كلا بما يناسبه وهذا دليل على أنهم لم يقدروا على
نقبه ولا شيء منه وأما الحديث الذي في مسند أحمد عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن يأجوج ومأجوج
ليحفرون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعودون إليه كأشد ما كان
حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا
فستحفرونه غدا إن شاء الله ويستثني فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون
المياه ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع وعليها كهيئة الدم فيقولون قهرنا أهل الأرض
وعلونا أهل السماء فيبعث الله نغفا في أقفائهم فيقتلهم بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد
بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرا من لحومهم ودمائهم رواه ابن ماجه والترمذي وقال غريب ولكن في
رفعه نكارة لأن ظاهر الآية تدل على أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من نقبه لإحكام بنائه وصلابته وشدته لكن قد روي
نحو معناه عن كعب الأحبار وذلك يقبل التأويل ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب فإنه كثيرا ما كان يجالسه ويحادثه
فحدث به أبو هريرة فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع فرفعه والله أعلم وفي الصحيحين عن زينب بنت جحش قالت
استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم من نوم وهو محمر وجهه وهو يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح
اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وحلق وفي رواية أبي هريرة وعقد تسعين قلت يا رسول الله أنهلك وفينا
الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث وقوله قال هذا رحمة من ربي أي لما بناه ذو القرنين قال هذا رحمة من ربي بالناس
حيث جعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج حائلا يمنعهم من الفساد في الأرض فإذا جاء وعد ربي أي إذا اقترب الوعد الحق
جعله دكا أي ساواه بالأرض تقول العرب ناقة دكاء إذا كان ظهرها مستويا لا سنام لها وقيل أي طريقا مفتوحا
كما كان وكان وعد ربي حقا كائنا لا محالة وقوله وتركنا بعضهم أي بعض الناس يومئذ أي يوم يدك هذا السد و
يخرج هؤلاء فيموجون في الناس ويفسدون عليهم أموالهم ويتلفون أشياءهم وهذا قبل يوم القيمة وبعد الدجال كما سيأتي
بيانه إن شاء الله عند قوله إذا فتحت يأجوج ومأجوج الآية وعن ابن عباس الجن والإنس يموج بعضهم في بعض و
هذا عند قيام الساعة يختلط بعضهم في بعض لكثرتهم كموج الماء وقوله ونفخ في الصور هو كما جاء في الحديث الصور قرن ينفخ
فيه أي الذي ينفخ فيه إسرافيل وفيه أحاديث كثيرة وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم

وصاحب

أن يظهروه أي يعلوه لصعوده
لارتفاعه وإملاسه وما
استطاعوا له نقبا لثخنه
وصلابته

قيل حفر للأساس حتى بلغ الماء وجعل من الصخرة
والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد
بينها الحطب والفحم حتى ساوى أعلى الجبلين ثم
وضع المنافخ حتى صارت كالنار فصب النحاس
المذاب عليها فاختلط والتصق بعضه ببعض
فصار جبلا صلدا

[illegible]

وصاحب الصور قد التقمه وأصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ فقالوا يا رسول الله وما تأمرنا قال قولوا
حسبنا الله ونعم الوكيل رواه الترمذي وقوله فجمعناهم جمعا أي أحضرنا الجميع للحساب في صعيد واحد وعرضنا
جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا
أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا أخبر تعالى
عما يفعله بالكفار يوم القيمة عليهم جهنم أي يبرزها لهم ويظهرها ليروا ما فيها من العذاب والنكال قبل
دخولها ليكون ذلك أبلغ في تعجيل الهم والحزن لهم وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم
يقاد يوم القيمة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك رواه مسلم ثم أخبر عنهم وقال الذين كانت أعينهم
في غطاء عن ذكري أي تعاموا وتغافلوا عن قبول الهدى واتباع الحق وكانوا لا يستطيعون سمعا أي لا يعقلون عن
الله أمره ونهيه ثم قال أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء أي ظنوا واعتقدوا أنهم
يصلح لهم ذلك وينتفعون بذلك كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقوله إنا أعتدنا أي هيأنا للكافرين
جهنم نزلا كما يهيأ النزل للضيف قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم
يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم
القيمة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا في البخاري عن مصعب بن سعد قال
سألت أبي يعني سعد بن أبي وقاص قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا هم الحرورية قال لا هم اليهود والنصارى أما
اليهود فكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم وأما النصارى كفروا بالجنة وقالوا لا طعام فيها ولا شراب والحرورية الذين
ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه وكان سعد يسميهم الفاسقين وقال علي بن أبي طالب وغيره إن هذه الآية تشمل
الحرورية كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم لا أنها نزلت في هؤلاء على الخصوص ولا هؤلاء بل أعم من هذا فإن هذه
الآية مكية قبل خطاب اليهود والنصارى وقبل وجود الخوارج بالكلية وإنما هي عامة في كل من عبد الله تعالى على غير
طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها وأن عمله مقبول وهو مخطئ وعمله مردود أي قل يا محمد هل نخبركم بالأخسرين
أعمالا ثم فسرهم فقال الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا أي عملوا أعمالا باطلة على غير شريعة مشروعة وهم يحسبون أنهم
يحسنون صنعا أي يظنون ويعتقدون أنهم على شيء وأنهم مقبولون محبوبون وقوله أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه
أي جحدوا آيات الله في الدنيا وبراهينه التي أقام على وحدانيته وصدق رسله وكذبوا بالدار الآخرة فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا
أي لا نثقل موازينهم لأنها خالية عن الخير وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ليأتي الرجل
العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤوا إن شئتم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا وقوله ذلك جزاؤهم
جهنم بما كفروا أي إنما جازيناهم بهذا الجزاء بسبب كفرهم واتخاذهم آيات الله ورسله هزوا استهزؤوا بهم وكذبوهم أشد تكذيب
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا
أخبر تعالى عن عباده السعداء وهم الذين آمنوا بالله ورسله وصدقوهم فيما جاؤوا به أن لهم جنات الفردوس قال مجاهد
وغير واحد هو البستان بالرومية الذي فيه الأعناب وهو ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها كما جاء عن سمرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم الفردوس ربوة الجنة هي أوسطها وأحسنها رواه ابن جرير وفي الصحيحين إذا سألتم الله الجنة

أبرزناها وأظهرناها لهم

سمعا أي [illegible] عن الذكرى وكلا [illegible] الإفراط
صممهم عن الحق فإن الأصم قد يستطيع السمع
إذا صيح به وهؤلاء كأنهم [illegible]

عابدين الملائكة والمسيح من دوني أولياء
معبودين نافعيهم [illegible] لا أعذبهم

[illegible]

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال الجنة مائة درجة
ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض
الفردوس أعلاها درجة منها الأنهار
الأربعة فإذا سألتم الله فاسألوه
الفردوس
عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال جنات الفردوس أربع
ثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما و
ما فيهما وثنتان من فضة حليتهما و
آنيتهما وما فيهما وليس بين أن ينظروا
إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على
وجهه في جنة عدن
رواه البخاري ومسلم

فسئلوه الفردوس فانه اعلى الجنة واوسط الجنة ومنه تفجر انهار الجنة وقوله نزلا اي ضيافة خالدين اي مقيمين
ساكنين فيها لا يظعنون عنها ابدا لا يبغون عنها حولا اي لا يختارون غيرها ولا يحبون سواها كما قال الشاعر
فحلت سويدا القلب لا انا باغيا سواها ولا عن حبها اتحول ۔ وقوله لا يبغون عنها حولا تنبيه على رغبتهم فيها
وحبهم لها بلا سامة ولا ملالة وانهم لا يتوقعون متحولا ولا انتقالا ولا رحلة ولا بديلا قل لو كان البحر مدادا
لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا اي قل يا محمد لو كان ماء البحر مدادا
للاقلام الذي يكتب به كلمات الله وحكمه وآياته والدلالات عليه لنفد البحر قبل ان يفرغ كتابة ذلك ولو جئنا بمثله اي بمثل
البحر بحرا آخر ثم آخر وهلم جرا بحورا ايمده ويكتب بها لما نفدت كلمات الله كما قال ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام و
البحر يمده الاية يعني لو كان البحر مدادا لكلمات الله والشجر كلها اقلاما لانكسرت الاقلام وفني ماء البحر وبقيت كلمات الله
قائمة لا يفنيها شيء قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا
ولا يشرك بعبادة ربه احدا اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين برسالتك اليهم انما انا بشر مثلكم فمن زعم اني كاذب
فليات بمثل ما جئت به فاني لا اعلم الغيب فيما اخبرتكم به من الماضي عما سالتم من قصة اصحاب الكهف وخبر ذي القرنين
مما هو المطابق في نفس الامر لولا ما اطلعني الله عليه وانا اخبركم انما الهكم الذي ادعوكم الى عبادته اله واحد لا شريك له
فمن كان يرجو لقاء ربه اي في الدار الآخرة ثوابه وجزاءه الصالح فليعمل عملا صالحا وهو ما كان موافقا لما
لشرع الله ولا يشرك بعبادة ربه احدا بل يوحد الله وحده لا شريك له وهذان ركنا العمل المتقبل لا بد ان يكون
صالحا خالصا لله موافقا لشريعة رسوله صلى الله عليه وسلم عن طاوس ان رجلا قال يا رسول الله اني اقف
المواقف اريد وجه الله واحب ان يرى موطني فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية
فمن كان يرجو لقاء ربه الى آخره رواه ابن ابي حاتم وعن شداد بن اوس قال سمعت رسول الله صلى الله يقول
من صلى يرائي فقد اشرك ومن صام يرائي فقد اشرك ومن تصدق يرائي فقد اشرك ان الله يقول انا خير
قسيم لمن اشرك بي من اشرك بي شيئا فان عمله قليله وكثيره لشريكه الذي اشرك به انا عنه غني رواه احمد
وعن شداد ايضا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتخوف على امتي الشرك والشهوة الخفية
قلت يا رسول الله اتشرك امتك من بعدك قال نعم اما انهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولا وثنا ولكن
يراؤن باعمالهم والشهوة الخفية ان يصبح احدهم صائما فيعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه رواه احمد
وابن ماجة وعن محمود بن لبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر
قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله يوم القيمة اذا جزى الناس باعمالهم اذهبوا الى
الذين تراؤن لهم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء رواه احمد وعن ابي بكرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سمع سمع الله به ومن رايا رايا الله به وفي رواية ابي سعيد من يرائي يرائي الله به ومن
يسمع يسمع الله به رواه احمد وعن ابي سعد بن ابي فضالة الانصاري الصحابي قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا جمع الله الاولين والآخرين ليوم القيمة ليوم لا ريب فيه نادى مناد من اشرك في عمل عمله
لله احدا فليطلب ثوابه من عند غير الله فان الله اغنى الشركاء عن الشرك رواه احمد والترمذي وابن ماجه والله اعلم

قيل المراد بكلمات ربي فانها غير
متناهية كعلمه لا تنفد ولو جئنا
بمثله بمثل البحر الموجود مددا
اي زيادة ومعونة لان مجموع
المتناهيين متناه بل مجموع ما
يدخل في الوجود من الاجسام لا
يكون الا متناهيا للادلة القاطعة
على تناهي الابعاد والمتناهي
ينفد قبل ان ينفد غير المتناهي
لا محالة سو ق ا

تفسير سورة مريم وهي مكية بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص ذكر رحمت ربك
عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الراس شيبا ولم اكن
بدعائك رب شقيا واني خفت الموالي من ورائي وكانت امراتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا يرثني
ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا سبق الكلام في حروف اوائل السور في اول سورة البقرة قال ابن عباس
الكاف من كريم وكبير والهاء من هاد والياء من رحيم والعين من عليم وعظيم والصاد من صادق وقوله ذكر
رحمت ربك اي هذا ذكر رحمة [illegible] زكرياء في المد والقصر فيه قراءتان مشهورتان وكان نبيا عظيما من
احبار بني اسرائيل وفي البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان زكريا نجارا اي انه كان ياكل من عمل يديه
في النجارة وقوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال بعضهم انما اخفى نداءه لئلا ينسب في طلب الولد الى الرعونة لكبره
حكاه الماوردي وقيل لان النداء الخفي احب الى الله قال قتادة في هذه الآية ان الله يعلم القلب التقي ويسمع الصوت
الخفي قال رب اني وهن العظم مني اي ضعف ورق واشتعل الراس شيبا اي اضطرم المشيب في السواد وصار اشمط
والمراد الاخبار عن الضعف والكبر ودلائله الظاهرة والباطنة وقوله ولم اكن بدعائك رب شقيا اي ولم اعهد منك
الا الاجابة في الدعاء ولم تردني قط فيما سالتك قوله واني خفت الموالي من ورائي قال الاكثرون بنصب الياء من
الموالي على انه مفعول وسكنها الكسائي قال مجاهد المراد بالموالي العصبة وقيل الكلالة وقرا عثمان بن عفان رضي الله
عنه واني خفت الموالي بتشديد الفاء اي قلت عصباتي من بعدي ووجه خوفه على القراءة الاولى انه خشي ان يتصرفوا
من بعده في الناس تصرفا سيئا فسال الله ولدا نبيا من بعده ليسوسهم بنبوته وما يوحى اليه فاجيب في ذلك لا انه خشي
من وراثتهم له ماله فان النبي اعظم منزلة واجل قدرا من ان يشفق على ماله الى ما هذا حده ان يانف من وراثه
عصباته له ويسال ان يكون له ولد ليحوز ماله دونهم بل خاف تبديل الدين في تضييعه وتغيير احكامه من بني عمه كما
هذه من بني اسرائيل ولانه لم يذكر انه كان ذا مال بل كان نجارا ياكل من كسب يده ومثل هذا لا يجمع مالا ولا سيما الانبياء
فانهم كانوا ازهد الناس في الدنيا وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن معاشر الانبياء لا نورث ما
تركنا فهو صدقة فتعين حمل قوله فهب لي من لدنك وليا يرثني على النبوة ولهذا قال ويرث من آل يعقوب كما قال وورث
سليمن داود اي في النبوة اذ لو كان في المال لما خصه من بين اخوته بذلك وقال مجاهد كان وراثته من آل يعقوب علما
وكان زكرياء من ذرية يعقوب وقال الحسن يرث نبوته وعلمه ونبوة آل يعقوب وقيل يرث مالي ويرث من آل يعقوب النبوة
وهذا اختيار ابو جرير وقوله واجعله رب رضيا اي مرضيا عندك وعند خلقك تحبه وتحببه الى الخلق في دينه
يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا يعني ان زكريا اجيب الى ما سال في دعائه فقال له يا
زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى كما في قوله هنالك دعا زكريا ربه الى قوله من الصالحين وقوله لم نجعل له من قبل سميا قالوا اي
لم يسم احد قبله بهذا الاسم وهو المختار وقال مجاهد اي شبيها كما في قوله هل تعلم له سميا اي شبيها وقال ابن عباس اي لم تلد
العواقر قبله مثله وهذا دليل على ان زكريا كان لا يولد له وكذلك امراته كانت عاقرا من اول عمرها بخلاف ابرهيم وسارة
فانهما تعجبا من البشارة باسحق لكبرهما لا لعقرهما قال رب انى يكون لي غلام وكانت امراتي عاقرا وقد بلغت من
الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا هذا تعجب من زكريا حين اجيب

ذكر خبر مبتدا محذوف اي هذا
المتلو ذكر رحمة ربك عبده
مفعول ذكر رحمة او الذكر على
ان الرحمة فاعله على الاتساع
اذ نادى ربه بدل منه او ظرف
بان [illegible]
قيل الكاف اشارة الى الكفاية
الرحمة على نفسه والهاء اشارة الى
هداية المؤمنين الى عرفانه والياء
بيوتيته باستحقاق جلال سلطانه والعين
اشارة الى تيسيره بعد عسر محنته والعين
بيده المبسوطة بالرحمة للمؤمنين والعين
على كلمة سرا وجهرا والصاد الى صدق وعده

الوهن الضعف وتخصيص العظم لانه دعامة
البدن واصل بنائه ولانه اصلب ما فيه فاذا
وهن كان ما وراءه اوهن وتوحيده لان
المراد به الجنس
عن بني عمه وكانوا اشرار
بني اسرائيل فخاف
ان لا يحسنوا خلافته

قوله من لدنك فان مثله لا يرجى الا من
فضلك وكمال قدرتك فاني وامراتي
لا نصلح للولادة

قالوا لم يكن له شبيه في انه لم يعص ولم يهم
بمعصية قط وانه ولد من شيخ فان
وعجوز عاقر وانه كان حصورا

اليسر والتحول الى المحل
والعظام كالعود الناحل

الى ما سال وبشر بالولد ففرح به فرحا شديدا وسال عن كيفية ما يولد له والوجه الذى ياتيه منه الولد مع ان امراته
كانت عاقرا لا تلد مع كبرها وعتيها اي يبسها ونحول عظمها فقال عتا الشيخ يعتو عتيا اذا انتهى سنه وكبره بحيث لم يبق
فيه لقاح ولا جماع تقول العرب للعود اذا يبس عتا والمراد نحول العظم واليبس قال ابن عباس لا ادرى اكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرا هذه الحروف وقد بلغت من الكبر عتيا او عسيا اى بالتاء او بالسين وكلاهما بمعنى قال اى الملك مجيبا
لزكريا عما استعجب منه كذلك قال ربك هو على هين اي اتخاذ الولد منك من ذوجتك هذه لا من غيرها هين اى سهل يسير
على الله ثم ذكر انه ما هو اعجب مما سال عنه وقد خلقتك من قبل اى من قبل يحيى ولم تك شيئا موجودا قال رب اجعل لي اية
قال ايتك ان لا تكلم الناس ثلث ليال سويا فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا
اخبر تعالى عن زكريا انه قال رب اجعل لي اية اي علامة ودليلا على وجود ما وعدتنى لتستقر نفسى وتطمئن قلبي بما وعدتنى
كما قال ابرهيم رب ارنى كيف تحيي الموتى الاية قال ايتك اى علامتك ان لا تكلم الناس ثلث ليال سويا اي تحتبس لسانك
عن الكلام ثلث وانت صحيح سوي من غير مرض ولا علة قال اعتقل لسانه من غير مرض وكان يقرا ويسبح ولا يستطيع ان
يكلم قومه الا بالاشاره وعن ابن عباس سويا اي متتابعات والاول عنه وعن الجمهور اصح وقوله فخرج على قومه من المحراب
اى الذى بشر فيه بالولد فاوحى اليهم اي اشار اشارة خفية سريعة ان سبحوا بكرة وعشيا اى موافقة له فيما امر فى هذه
الايام الثلثه زيادة على اعماله شكرا لله تعالى على ما اولاه وقيل اى كتب لهم فى الارض ان سبحوا يا يحيى خذ الكتاب بقوة و
اتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام
عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا يعنى لما وجد هذا الغلام المبشر به وهو يحيى عليه السلم وان الله
علمه الكتاب وهو التورية التى كانوا يتدارسونه بينهم ويحكم بها النبيون وكان سنه اذ ذاك صغيرا ولهذا عرض بذكره وبما
انعم به عليه وعلى والديه فقال يا يحيى خذ الكتاب اى تعلم الكتاب بقوة اى بجد وحرص واجتهاد واتيناه الحكم اى الفهم
والعلم او الجد والعزم والاجتهاد فيه وهو صغير حدث قال معمر قال الصبيان ليحيى اذهب بنا نلعب فقال
ما للعب خلقنا قال فلهذا انزل الله واتيناه الحكم صبيا وقوله وحنانا من لدنا قال ابن عباس وغير واحد اى ورحمة
من عندنا على زكريا لا يقدر عليها غيرنا وتعطفا منا عليه وقيل اى محبة وتعظيما والظاهر ان حنانا معطوف على مفعول
واتيناه اي واتيناه الحكم وحنانا وزكوة اى وجعلناه ذا حنان وزكوة فالحنان هو المحبة فى شفقة وميل كما تقول
العرب حنت الناقة على ولدها والمراة على زوجها ومنه سميت المراة حنة من الحنة وحن الرجل الى وطنه ومنه
التعطف والرحمة وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبقى رجل فى النار ينادي الف سنة يا حنان يا
منان رواه احمد وقوله وزكوة معطوف على وحنانا فالزكوة الطهارة من الدنس والاثام وقال قتادة الزكوة العمل
الصالح وكان تقيا طاهرا لم يعمل بذنب قاله ابن عباس وقوله وبرا بوالديه لما ذكر تعالى طاعته لربه وانه خلقه
ذا رحمة وزكوة وتقى عطف بذكر طاعته لوالديه وبره بهما ومجانبته عقوقهما قولا وفعلا امرا ونهيا ولهذا قال
ولم يكن جبارا عصيا اى لم يكن متكبرا ولا عاصيا ثم قال بعد هذه الاوصاف الثلثة الاحوال قال ابن عيينة اوحش
ما يكون الخلق فى ثلثة مواطن يوم يولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم ويوم
يبعث حيا فيرى نفسه فى محشر عظيم قال فاكرم الله فيها يحيى بن زكريا فخصه بالسلام عليه فيها رواه ابن جرير وقال

ان

الكاف رفع اى الامر كذلك
مصدر قوله ثم ابتدا قال
ربك

ليال اه
اى [illegible]
[illegible]

ومنه الاية واتيناه رحمة
عندنا وتحننا على العباد لندعوهم
الى عبادة ربهم ونعمل عملا صالحا
كولا اخلاص

الجملة جزاء له على ذلك وسلام
عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم
يبعث حيا اى له الامان فى هذه

ابن المسيب قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من احد يلقى الله يوم يلقى الا ذا ذنب الا يحيى بن زكريا قال قتادة ما اذنب ولا هم
بذنب قال الحسن ان يحيى وعيسى التقيا فقال له عيسى استغفر لى انت خير منى فقال له الاخر استغفر لى انت خير منى
فقال عيسى انت خير منى سلمت على نفسى وسلم الله عليك فعرف والله فضلهما واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت
من اهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت انى اعوذ
بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت انى يكون لى غلام ولم
يمسسنى بشر ولم اك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله اية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا
لما ذكر تعالى قصة زكريا وانه اوجد منه فى حال كبره وعقم زوجته ولدا زكيا طاهرا مباركا عطف بذكر قصة مريم فى ايجاده
ولدها عيسى عليه السلم منها من غير اب فان بين القصتين مناسبة ومشابهة ولهذا ذكرهما فى ال عمران وههنا وسورة الانبياء
قارنا بين القصتين لتقارب ما بينهما فى المعنى ليدل عباده على قدرته وعظمة سلطانه فقال واذكر فى الكتاب مريم هى بنت عمران
من سلالة داود عليه السلم وكانت من بيت طاهر طيب فى بنى اسرائل وقد ذكر الله تعالى قصة ولادة امها لها فى ال عمران
وانها نذرتها محررة اي يخدم مسجد بيت المقدس وكانوا يتقربون بذلك فتقبلها ربها بقبول حسن كما سبق فى ال عمران
فلما اراد الله تعالى وله الحكمة ان يوجد منها عبده عيسى احد الرسل اولى العزم الخمسة انتبذت من اهلها مكانا شرقيا
اى اعتزلتهم وتنحت عنهم وذهبت الى شرقى المسجد المقدس قال السدى لحيض اصابها قاله ابن عباس ولا اعلم خلق
الله لاى شئ اتخذت النصارى المشرق قبلة لقول الله فانتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذوا ميلاد عيسى قبلة قال
قتادة اي مكانا شاسعا متنحيا وقيل اتخذت لها منزلا تتعبد فيه وقوله فاتخذت من دونهم حجابا اي استترت منهم وتوارت
فارسل الله اليها جبريل فتمثل لها بشرا سويا اى على صورة انسان تام كامل قوله فارسلنا اليها روحنا يعنى جبريل وهذا هو الظاهر
فانه تعالى قال فى اية اخرى نزل به الروح الامين على قلبك الاية وقال ابى بن كعب ان روح عيسى من جملة الارواح التى
اخذ عليها العهد فى زمان ادم وهو الذى تمثل لها بشرا سويا اي روح عيسى فحملت الذى خاطبها دخل فى فيها وهذا فى غاية
الغرابة والنكارة قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا اي لما تبدى لها الملك فى صورة بشر وهى فى مكان منفرد وبينها
وبين قومها حجاب خافته وظنت انه يريدها على نفسها فقالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا اى كنت تخاف الله
تذكيرا له بالله وهذا هو المشروع فى الدفع ان يكون بالاسهل فالاسهل فخوفته بالله عز وجل وقد علمت ان التقى ذو نهية
حين قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك اى فقال لها الملك مجيبا ومزيلا لما حصل عندها
من الخوف على نفسها لست مما تظنين ولكنى رسول ربك اى بعثنى اليك فيقال انها لما ذكرت الرحمن انتفض جبريل فرقا و
عاد الى هيئته وقال انما انا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا قرا ابو عمرو وهكذا بالياء وقرا اخرون لاهب بالالف وكلا القرائتين
حسن صحيح قالت انى يكون لى غلام اي فتعجبت مريم من هذا وقالت كيف يكون لي غلام اى على اي صفة يوجد هذا الغلام منى و
لست بذات زوج ولا يتصور منى الفجور ولهذا قالت ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا والبغى هى الزانيه ولهذا جاء فى الحديث
نهى عن مهر البغي قال كذلك قال ربك هو على هين اي فقال الملك مجيبا لها عما سالت ان الله قد قال انه سيوجد منك ولدا
غلاما وان لم يكن لك بعل ولا يوجد منك فاحشة فانه على ما يشاء قادر ولهذا قال ولنجعله اية للناس اي دلالة وعلامة
للناس على قدرة باريهم وخالقهم الذى نوع فى خلقهم فخلق اباهم ادم من غير ذكر ولا انثى وخلق حواء من ذكر بلا انثى وخلق

اذ بدل من مريم بدل الاشتمال لان
الاحيان مشتملة على ما فيها

[illegible]
من المشرق وكان [illegible]
[illegible]
فى [illegible]

وانما تمثل لها فى صورة الانسان
لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه ولو
بدا فى الصورة الملكية لنفرت ولم
تقدر على استماع كلامه

كانت تكون فى المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت
عادت الى المسجد فبينما هى تغتسل من الحيض قد تجردت اذ عرض لها

جواب الشرط محذوف دل عليه
ما قبله اى فانى عائذ منك
او فاتعظ بتعوذى فلا تتعرض
لي ويجوز ان يكون للمبالغة اى ان
كنت تقيا متورعا فانى اعوذ
منك فكيف اذا لم تكن كذلك

جبريل فى صورة شاب [illegible]
[illegible]

لاكون سببا فى هبته
بالنفخ فى الدرع

[illegible] على كمال
قدرتنا

بقيه الذرية من ذكر وانثى الا عيسى فانه اوجده من انثى بلا ذكر فتمت القسمة الرباعية والدالة على كمال قدرته وعظم
سلطانه وقوله ورحمة منا اي ونجعل هذا الغلام رحمة من الله نبيا من الانبياء يدعو الى عبادة الله وتوحيده قال مجاهد
قالت مريم كنت اذا خلوت حدثني عيسى وكلمني وهو في بطني واذا كنت مع الناس سبح في بطني وكبر وقوله وكان امرا
مقضيا يحتمل ان هذا من تمام كلام جبريل لمريم يخبرها ان هذا امر مقدر في علم الله وقدرته ومشيته ويحتمل ان يكون من خبر
الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وانه كنى بهذا عن النفخ في فرجها كما قال ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا
فيها من روحنا قال ابن اسحق ان الله قد عزم على هذا فليس منه بد وهو اختيار ابن جرير فحملته فانتبذت به مكانا
اية قصيا فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا اخبر تعالى عن مريم انها
لما قال لها جبريل عن الله ما قال انها استسلمت لقضاء الله فذكر ان الملك وهو جبريل عند ذلك نفخ في جيب درعها فنزلت
النفخة حتى ولجت الفرج فحملت بالولد باذن الله فلما حملت به ضاقت ذرعا به ولم تدر ماذا تقول للناس فانها علمت ان
الناس لا يصدقونها فيما يخبرهم به غير انها افشت سرها وذكرت امرها لاختها امراة زكريا وذلك ان زكريا كان
قد سال الله الولد فاجيب الى ذلك فحملت امراته فدخلت عليها مريم فاعتنقتها فقالت اشعرت يا مريم اني حبلى فقالت
لها مريم وهل علمت ايضا اني حبلى وذكرت لها شانها وما كان من خبرها وكانوا بيت ايمان وتصديق ثم كانت امراة زكريا
بعد ذلك اذا واجهت مريم تجد الذي في جوفها يسجد للذي في بطن مريم اي يعظمه ويخضع له قال السدي كان في ملتهم
عند السلام مشروعا كما سجد ليوسف ابواه واخوته وكما امر الله الملائكة ان تسجد لادم ولكن حرم في ملتنا هذه تكميلا
لتعظيم جلال الرب تعالى ثم اختلفوا في مدة حمله فالمشهور عن الجمهور ان مريم حملت بعيسى تسعة اشهر وقال عكرمة
ثمانية اشهر ولهذا لا يعيش ولد الثمانية اشهر وسئل ابن عباس عن حمل مريم قال لم يكن الا ان حملت فوضعت وهذا
غريب وكانه ماخوذ من ظاهر قوله فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فالفاء وان كانت للتعقيب لكن تعقيب كل شيء بحسبه
كما في قوله ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فهذه الفاء للتعقيب بحسبها وفي
الصحيحين ان بين كل صفتين اربعين يوما فالمشهور الظاهر انها حملت به كما تحمل النساء باولادهن ولما استشعرت مريم
من قومها اتهامها بالريبة انتبذت منهم اي تنحت واعتزلت مكانا قصيا اي قاصيا منهم بعيدا عنهم لئلا يروها
قال ابن اسحق فلما حملت استمسك عنها الحيض وظهر عليها ما يظهر على الحوامل فما دخل على بيت ما دخل على بني اسرائيل
فقالوا انما صاحبها يوسف الذي يخدم المسجد معها ولم تكن معها في الكنيسة غيره وتوارت من الناس واتخذت من دونهم
حجابا فلا يراها احد ولا تراه وقوله فاجاءها المخاض الى جذع النخلة اي فاضطرها والجاها الطلق الى جذع نخلة في
المكان الذي تنحت اليه وقد اختلفوا فيه فقال السدي كان شرقي محرابها الذي تصلي فيه من بيت المقدس وعن
وهب قال كان ذلك على ثمانية اميال من بيت المقدس في قرية هناك يقال لها بيت لحم ولا يشك فيه النصارى وقوله
تعالى اخبارا عنها قالت يا ليتني مت قبل هذا فيه جواز تمني الموت عند الفتنة فانها عرفت انها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود
الذي لا يصدقونها في خبرها وبعد ما كانت عندهم عابدة ناسكة تصبح عندهم فيما يظنون عاهرة زانية فقالت يا ليتني مت
قبل هذا اي قبل هذا الحال وكنت نسيا منسيا اي لم اخلق ولم اك شيئا قاله ابن عباس وقال قتادة اي كنت شيئا متروكا
لا يعرف ولا يذكر وهو السقط الذي ينسى ولا يطلب كخرق الحيض التي اذا القيت وطرحت لم تطلب ولم تذكر وكذلك

بكونه مرفوعا عنه لا يرد ولا يبدل [illegible]

كل شي

كل شيء نبي وترك فهي تبني قاله السدي وغيره فناداها من تحتها ان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي
اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر احدا فقولي
اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا [illegible] تحتها بفتح الميم اي الذي تحتها وقرئ بالكسر على انه حرف
جر فعل [illegible] ناداها من اسفل الوادي
و [illegible] ن جرير وقوله الا تحزني
[illegible] اله ابن جبير وغير واحد
[illegible] قد جعل ربك تحتك
[illegible] يه السلم والاول اظهر
[illegible] ابن عباس وقيل بثمره وانها
[illegible] عندها طعاما وشرابا فقال
[illegible] من التمر والرطب وقرا
بعضهم نسيا قص [illegible] قرا البراء نسيا قطا اي
الجذع والكل متعلق به [illegible] حمن صوما المراد
بهذا القول الاشارة اليه بذلك [illegible] اي صمتا وذلك
انهم كانوا اذا [illegible] يحرم عليهم في شربهم [illegible] لما قال عيسى
لمريم لا تحزني قالت وكيف لا احزن وانت م [illegible] ت قبل هذا
قال لها عيسى انا اكفيك الكلام فاما ترين من ا [illegible] قال هذا كله
كلام عيسى ووافقه وهب فاتت به قو [illegible] ن ما كان
ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا [illegible] ل اني عبد الله اتاني
الكتاب وجعلني مباركا اينما كنت واوص [illegible] ولم يجعلني
شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت [illegible] ني امرت ان اصوم
ذلك ان لا كلم احدا من البشر فانها ستكفى امرها ويقام بحج [illegible] حملت لقضائه واخذت ولد
ها اتت به قومها تحمله فلما راوها كذلك اعظموا امرها واستنكروه جدا وقالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا اي امرا
عظيما قاله مجاهد وغير واحد وقال نوف البكالي خرج قومها في طلبها وكانت من اهل بيت نبوة وشرف فلم يحسوا
منها شيئا فلقوا راعي بقر فقالوا رايت فتاة كذا وكذا نعتها قال لا ولكن رايت الليلة من بقري ما لم اره قط قالوا وما رايت
رايتها الليلة تسجد نحو هذا الوادي وفي رواية قال رايت نورا ساطعا فتوجهوا حيث قال لهم فاستقبلتهم مريم فلما راتهم
قعدت وحملت ابنها في حجرها فجاؤوا حتى قاموا عليها وقالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا عظيما يا اخت هرون يا شبيهة هرون
في العبادة ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا اي انت من بيت طيب طاهر معروف بالصلاح والعبادة والزهادة
فكيف صدر هذا منك وقال السدي وغيره قيل لها يا اخت هرون اي اخي موسى وكانت من نسله كما يقال للتميمي يا اخا تميم

روي انها كانت نخلة يابسة لا راس لها
ولا ثمر وكان الوقت شتاء فثمرتها
نخل الله لها راسا وخوصا ورطبا و
تسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة
على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور
لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن راها
عليه على ان من قدر ان يثمر النخلة
اليابسة في الشتاء قدر ان يحبلها من
غير فحل وانه ليس ببدع [illegible]
من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه
الامرين فكلي واشربي سو قاضي

وكلمته ولهذا قرأ الاكثرون قول الحق مرفوعا وقرأ عاصم وابن عامر منصوبا وعن ابن مسعود انه قرأ ذلك عيسى بن مريم
قال الحق والرفع اظهر ويشهد له قوله تعالى الحق من ربك فلا تكن من الممترين ولما ذكر تعالى انه خلقه عبدا نبيا نزه
نفسه المقدسة فقال ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اي عما يقول هؤلاء الجاهلون المعتدون علوا كبيرا اذا قضى
امرا فانما يقول له كن فيكون اي اذا اراد شيئا فانما يأمر به فيصير كما يشاء كما قال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم
خلقه من ت[...] وقوله وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي ومما امر به عيسى قومه
في[...] ربهم وامرهم بعبادته فقال فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي هذا الذي جئتكم
[...] وهدى ومن خالفه ضل وغوى وقوله فاختلف الاحزاب من بينهم اي
[...] ووضح حاله وانه عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح
[...]د زنية وقالوا كلامه هذا سحر وقالت طائفة اخرى انما يكلم الله وقال
آخرون [...] قال آخرون هو عبد الله ورسوله وهذا هو قول الحق الذي ارشد الله
اليه المؤمنين [...]ة اجتمع بنو اسرائيل فاخرجوا منهم اربعة نفر اخرج كل قوم عالمهم فامتروا
في عيسى حين رفع فقا[...] الى الارض فاحيا من احيا وامات من امات ثم صعد الى السماء وهم
اليعقوبية وقال الثلثة لـ[...] منهم للثالث قل انت فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقال الاثنان
كذبت ثم قال احد الاثنين للآخر قل فيه قال هو ثالث ثلاثة الله اله وهو اله وامه اله وهم الاسرائيلية ملوك النصارى
قال الرابع كذبت هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته وهم المسلمون فكان لكل رجل اتباع على ما قالوا فاقتتلوا فظهروا
على المسلمين وذلك قوله تعالى ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من ا[...] وهم الذين قال الله فاختلف الاحزاب من بينهم
قال قتادة اختلفوا فيه فصاروا احزابا كما تراهم فقوله فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم تهديد اكيد ووعيد
شديد لمن كذب على الله وافترى وزعم ان له ولدا ولكن انظرهم الى يوم القيمة واجلهم حلما وثقة بقدرته عليهم فانه
الذي لا يعجل على من عصاه وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال صلى الله عليه وسلم لا احد اصبر على اذى
سمعه من الله انهم يجعلون له الولد وهو يرزقهم ويعافيهم ولهذا قال فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اي يوم
القيمة وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وان الجنة حق والنار حق
ادخله الله الجنة على ما كان من العمل اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وانذرهم
يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون
اخبر تعالى عن الكفار يوم القيمة انهم يكونون اسمع شيء وابصره كما قال تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند
ربهم الاية فقال اسمع بهم اي ما اسمعهم وابصرهم يوم يأتوننا يعني يوم القيمة لكن الظالمون اليوم اي في الدنيا في ضلال
مبين اي لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون بحيث يطلب منهم الهدى فلا يهتدون ويكونون مطيعين حيث لا ينفعهم ذلك
ثم قال تعالى وانذرهم يوم الحسرة اي انذر الخلائق يوم الحسرة اذ قضي الامر اي فصل بين اهل الجنة واهل النار ودخل
كل الى ما صار اليه مخلدا فيه وهم اي اليوم في غفلة عما انذروا به وهم لا يؤمنون اي لا يصدقون به وفي الصحيحين عن ابي سعيد

تنكيت لهم بان مراده اذا اراد شيئا اوجده بكن كان منزها عن [illegible] اتخاذ الولد باحبال الاناث [illegible]

من شهود يوم عظيم بهوله وحسابه وجزائه يوم القيمة او من [illegible] او من مكان [illegible] ان تشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم [illegible] بالكفر والفسوق

وقيل نسبت الى رجل صالح كان فيهم اسمه هرون فكانت تقاس به في العبادة والزهادة وقيل شبهوها برجل فاجر كان فيهم
يقال له هرون وهذا غريب واغ[...] ذلك ما نقل عن محمد بن كعب القرظي انها اخت هرون وموسى كليم الله
صاحب التورية وهذا خطأ ظاهر وس[...]ان بين عيسى وبينهما قرون كثيرة وانبياء لا يحصون وان عيسى آخر الانبياء
وليس بعده الا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الصـ[...]هريرة [...] عليه وسلم انه قال
انا اولى الناس بعيسى بن مريم و[...] آخر [...] ليس بيننا نبي
وعن المغيرة بن شعبة قال [...]ن وموسى
مثل عيسى بكذا وكذا وقوله [...]م
كانوا يسمون بالانبياء والصالحين [...]ن
كان في المهد صبيا اي انهم لما استرابوا في [...]
وقد كانت يومها صائمة فاحالت الـ[...]خن
انها تزدري وتلعب بهم كيف نكلـ[...] كلموه عيسى قال
لتحيرتها بنا حتى تأمرنا ان نكلمـ[...] اي من هو موجود في مهده
في حال صباه وصغره كيف [...] من الولد واثبت لنفسه
العبودية لربه وقوله اني [...]ن الفاحشة قال نوف لما قالوا لامه
ما قالوا كان يتـ[...] وقال اني عبد الله اتاني [...]اب قال عكرمة
الى قوله ما دمت [...]كبيه وهو يقول اني عبد الله اتاني الكتاب قال
عكرمة اي قضى ان [...]رس الانجيل واحكمها في بطن امه فذلك قوله
اني عبد الله اتاني الكتاب [...] للخير نفاعا وقيل بركته الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر اينما كان وقوله و[...] لمحمد صلى الله عليه وسلم واعبد ربك حتى يأتيك
اليقين والمراد بالزكوة الا[...]برا بوالدتي ذكره بعد طاعة ربه
لان الله تعالى كثيرا ما يقرن بين الامر بـ[...]طاعة الوالدين وقوله ولم يجعلني جبارا شقيا اي ولم يجعلني
جبارا مستكبرا عن طاعته وعبادته وبر والدتي فاشقى بذلك قال بعضهم لا تجد احدا عاقا لوالديه الا وجدته
[...]ا شقيا قال قتادة رات امرأة عيسى بن مريم يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص في آيات سلطه الله عليهن واذن
له فيهن فقالت طوبى للبطن الذي حملك والثدي الذي ارضعت به فقال عيسى يجيبها طوبى لمن تلا كتاب الله
واتبع ما فيه ولم يكن جبارا شقيا وقوله والسلام علي الى آخره اثبات منه لعبوديته لله عز وجل وانه مخلوق من خلق
الله يحيى ويموت ويبعث كسائر الخلائق ولكن له السلامة في هذه الاحوال التي هي اشق ما يكون على العباد ذلك عيسى بن
مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد
يوم عظيم اي ذلك الذي قصصناه عليك يا محمد خبر عيسى قول الحق فيه يمترون اي يختلف المبطلون والمحقون ممن آمن به

اجتمع بنو اسرائيل [illegible] فاخرجوا منهم [illegible] كل قوم عالمهم فامتروا [illegible]

الصدق ان لا تكون في احوالك شوب ولا في اعمالك عيب ولا في اعتقادك ريب ومن اماراته وجود الاخلاص من غير ملاحظة المخلوق وتصفية الاحوال من غير ملاحظة الاعجاب وسلامة القول من المعاريض والتباعد عن التلبيس فيما بين الناس وادامة التبري من الحول والقوة بل الخروج من الوجود المجازي الى الوجود الحقيقي [illegible]

قال قال رسول الله اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار يجاء بالموت كانه كبش املح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا اهل الجنة هل تعرفون هذا قال فيشرئبون ويقولون نعم هذا الموت قال فيقال يا اهل النار هل تعرفون هذا فيشرئبون فينظرون ويقولون نعم هذا الموت قال فيؤمر به فيذبح قال ويقال يا اهل الجنة خلود ولا موت ويا اهل النار خلود فلا موت قال ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة و اشار بيده وقال اهل الدنيا في غفلة الدنيا رواه احمد والسياق له قال ابن عبا[illegible] يوم القيمة عظمه الله وحذره عباده وهو اشارة الى قوله ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت [illegible] الارض ومن عليها الخبر تعالى انه الخالق المالك المتصرف وان الخلق كلهم يهلكون ويبقى [illegible] خلقه والباقي بعدهم الحاكم فيهم واليه مصيرهم ومرجعهم فيجزيهم باعمالهم واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا اي اذكر [illegible] وتله على قومك هؤلاء الذين يعبدون الاصنام واذكر لهم ما كان من خبر ابرهيم خليل الرحمن الذي [illegible] يعون انهم على ملته وقد كان صديقا نبيا مع ابيه كيف نهاه عن عبادة الاصنام فقال يا ابت لم تعبد ما [illegible] يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا اي لا ينفعك ولا يدفع عنك ضررا يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك وان كنت من صلبك وتراني اصغر سنك لاني ولدك فاعلم اني قد اطلعت من العلم من الله على ما لم تعلمه انت ولا اطلعت عليه ولا جاءك فاتبعني اهدك صراطا سويا اي طريقا مستقيما موصلا الى نيل المطلوب والنجاة من المرهوب يا ابت لا تعبد الشيطان اي لا تطعه في عبادتك هذه الاصنام فانه هو الداعي الى ذلك والراضي به كما قال تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان وقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا اي مخالفا مستكبرا عن طاعة ربه فطرده وابعده فلا تتبعه تصر مثله يا ابت اني اخاف ان يمسك اي يصيبك عذاب من الرحمن اي على شركك وعصيانك لما امرك به فتكون للشيطان وليا يعني فلا يكون لك مولى ولا ناصرا ولا مغيثا الا ابليس فتكون مرجحا لاحاطة العذاب بك قال اراغب انت عن آلهتي يا ابرهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا اخبر تعالى عن جواب آزر لولده ابرهيم فيما دعاه اليه انه قال اراغب انت عن آلهتي يا ابرهيم يعني اما اذ لا تريد عبادتها ولا ترضها فانته عن شتمها وسبها [illegible] اقتصصت منك وشتمتك وهو قوله لارجمنك قاله ابن عباس وغير واحد وقوله واهجرني مليا قالوا اي دهرا وزمانا طويلا قبل ان يصيبك مني عقوبة فعندها قال ابرهيم لابيه سلام عليك كما قال تعالى في صفة المؤمنين واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما يعني اما انا فلا ينالك مني مكروه ولا اذى وذلك لحرمة الابوة سأستغفر لك ربي اي سأسأل الله فيك ان يهديك ويغفر ذنبك انه كان بي حفيا قال ابن عباس وغير واحد اي لطيفا اي في ان هداني لعبادته والاخلاص له وقال السدي الحفي الذي يهتم بامره وقد استغفر ابرهيم لابيه مدة طويلة مديدة بقوله رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب وكذا المسلمون يستغفرون لقراباتهم من المشركين في ابتداء الاسلام حتى انزل الله قد كانت لكم

[illegible]

أسوة حسنة في ابرهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم الآية ثم بين تعالى ان ابرهيم اقلع عن ذلك ورجع عنه فقال تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الى قوله ان ابرهيم لاواه حليم وقوله واعتزلكم وما تدعون من دون الله اي اجتنبكم واتبرأ منكم ومن آلهتكم التي تعبدونها من دون الله وادعو ربي اي واعبد ربي وحده لا شريك له عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا وعسى هذه موجبة لا محالة فانه عليه السلم سيد الانبياء بعد محمد صلى الله عليه وسلم اي عسى ان لا اشقى بعبادته ودعائه كما تشقون بعبادة الاصنام وان يجيبني اذا دعوته فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا اي فلما اجتنب الخليل اباه وقومه في الله واعرض عنهم ابدله الله من هو خير منهم ووهب له اسحق ويعقوب يعني ابنه وابن ابنه كما قال ومن وراء اسحق يعقوب ولا شك ان اسحق والد يعقوب بنص القرآن ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت الآية وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وقوله ووهبنا لهم من رحمتنا قالوا انما هو ما بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق وكثرة الاولاد وجعلنا لهم لسا[ن صدق عليا] اي الثناء الحسن فان جميع الملل والاديان يثنون عليهم ويمدحونهم واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا اي واذكر ايضا يا محمد في الكتاب وهو القرآن موسى انه كان مخلصا قرأ بعضهم بكسر اللام من الاخلاص في العبادة قال الحواريون يا روح الله اخبرنا عن المخلص لله قال الذي يعمل لله ولا يحب ان يحمده الناس وقرأ الاخرون بفتحها بمعنى انه كان مصطفى كما قال اني اصطفيتك على الناس وكان رسولا نبيا جمع له بين الوصفين فانه كان من اولي العزم الخمسة وهم نوح وابرهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء وسلم وقوله وناديناه من جانب الطور اي الجبل من جانبه الايمن من موسى حين ذهب يبتغي من تلك النار جذوة رآها تلوح فقصدها فوجدها من جانب الطور الايمن منه عند شاطئ الوادي فكلمه تعالى ناداه وقربه فناجاه قال ابن عباس وغير واحد ادني حتى سمع صريف الاقلام يعني صريف القلم بكتابة التورية وقال السدي ادخل في السماء فكلم وقال بعض الصحابة لما قرب الله موسى نجيا بطور سينا قال يا موسى اني خلقت لك قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة تعين على الخير فلم اخزن عنك من الخير ومن اخزن عنه هذا فلم افتح له من الخير شيئا وقوله ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا اي واجبنا له سؤاله وشفاعته في اخيه فجعلناه نبيا كما قال في آية اخرى واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا الآية قال بعض السلف ما شفع احد في احد شفاعة في الدنيا اعظم من شفاعة موسى في هرون ان يكون نبيا قال ابن عباس كان هرون اكبر من موسى ولكن اراد ان يهب له نبوته واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يامر اهله بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيا اثنى الله على اسمعيل بن ابرهيم الخليل عليهما السلم وهو والد عرب الحجاز كلهم بانه كان صادق الوعد قال ابن جريج لم يعد ربه عدة الا انجزها يعني ما التزم عبادة قط بنذر الا قام بها ووفاها حقها وقال ابن عيينة انه وعد رجلا مكانا ان يأتيه وجاء الرجل فاقام بهذا المكان ينتظره حولا واتخذ له الموضع مسكنا حتى جاءه وعن عبد الله بن ابي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان آتيه بها في مكانه فنسيت فذكرت بعد ثلث فاذا هو في مكانه فقال قد شققت علي انا ههنا منذ ثلث انتظرك رواه ابو داود وقال بعضهم انما قيل له صادق الوعد

[illegible]

لانه قال لابيه ستجدني ان شاء الله من الصابرين فصدق في ذلك فصدق الوعد من الصفات الحميدة كما ان خلفه من ال
الذميمة كما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون وفي الحديث الصحيح في صفة المنافقين واذا وعد اخلف
وقوله وكان رسولا نبيا فيه دلالة على شرف اسمعيل على اخيه اسحق انه انما وصف بالنبوة فقط واسمعيل وصف بالرسالة و
النبوة وقد ثبت في صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل وذكر تمام الحديث
فدل على شرفه وفضله على اسحق وقوله وكان يامر اهله بالصلوة هذا ايضا [illegible] حميدة حيث كان
مداوما على طاعة ربه آمرا بها اهله كما قال تعالى لرسوله وأمر اهلك بالصلوة وقوله اهله اي قومه وقيل جميع امته
كما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا الاية اي مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر وعن ابي سعيد
وابي هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استيقظ الرجل من الليل وايقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا
من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات رواه ابو داود والنسائي وابن ماجة وكان عند ربه مرضيا اي قائما بطاعته
وفعل مرضية لرسالته ونبوته واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا هذا
ثناء من الله على ادريس بانه كان صديقا نبيا وان الله رفعه مكانا عليا وقد [illegible] راج انه عليه الصلوة
والسلم مر به وهو في السماء الرابعة وعن ابن عباس انه رفع الى السماء السادسة فما [illegible] ت ابن جرير ههنا
اثرا غريبا عجيبا ان ابن عباس سال كعبا عن قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا قال كعب ان الله اوحى الى ادريس
اني ارفع لك كل يوم مثل عمل جميع اهل زمانه من بني ادم فاحب ان يزداد عملا فاتاه خليل من الملائكة فقال له ان الله اوحى
لي كذا وكذا فكلم لي ملك الموت فليؤخرني حتى ازداد عملا فحمله بين جناحيه ثم صعد الى السماء فلما كان في السماء الرابعة
تلقاهم ملك الموت منحدرا فكلم ملك الموت في الذي كلمه ادريس فقال واين ادريس فقال هو ذا على ظهري قال فالعجب
قيل لي اقبض روح ادريس في السماء الرابعة فجعلت اقول كيف اقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الارض فقبض
روحه هناك وفي رواية ان ادريس قال لذلك الملك هل لك ان تسال ملك الموت كم بقي من اجلي لكي ازداد من العمل
ولما ساله قال لا ادري حتى انظر فنظر ثم قال انك تسالني عن رجل ما بقي من عمره الا طرفة عين فنظر الملك الى ادريس
تحت جناحه فاذا هو قد قبض روحه ولا يشعر به هذا من اخبار كعب من الاسرائيليات وفي بعضه نكارة قال ابن عباس
وكان ادريس خياطا وكان لا يغرز ابرة الا قال سبحان الله وكان يمشي حين يمشي وليس في الارض احد افضل عملا منه
وقال مجاهد ادريس رفع ولم يمت كما رفع عيسى وهو جد ابي نوح واسمه اخنوخ سمي ادريس لكثرة درسه الكتب
اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابرهيم واسرائيل
وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا اي هؤلاء النبيون والمراد جنسهم
لا المذكورون في هذه السورة فقط فاستطرد من ذكر الاشخاص الى الجنس الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم
الاية قال السدي وابن جرير فالذي عني به ممن حملنا مع نوح ابرهيم والذي عني به من ذرية ابرهيم اسحق ويعقوب واسمعيل
والذي عني به من ذرية اسرائيل موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى ابن مريم ولذلك فرق انسابهم وان كان يجمع جميعهم
آدم لان فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة وهو ادريس وهو جد نوح عليهم السلم على الاظهر وقد قيل
انه من انبياء بني اسرائيل اخذا من حديث الاسراء حيث قال في سلامه على النبي صلى الله عليه وسلم مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح

ولم يقل والابن الصالح كما قال آدم وابرهيم ومما يؤيد ان المراد بهذه الاية جنس الانبياء انها كقوله في سورة الانعام وتلك
حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه نرفع درجات من نشاء الى قوله ان هو الا ذكرى للعالمين وقال تعالى منهم من قصصنا عليك و
منهم من لم نقصص عليك وكلم الله موسى تكليما وفي البخاري عن مجاهد انه سال ابن عباس افي ص سجدة قال نعم ثم تلا هذه الاية
اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فنبيكم ممن امر ان يقتدي بهم قال وهو منهم يعني داود وقال تعالى في هذه الاية اذا تتلى
عليهم آيات الرحمن اي [illegible] سمعوا كلام الله المتضمن حججه ودلائله وبراهينه خروا سجدا اي سجدوا لربهم خضوعا واستكانة
وحمدا وشكرا على ما فيه من النعم العظيمة وبكيا اي باكين والبكي جمع باك فلهذا اجمعوا على شرعية السجود ههنا اقتداء بهم واتباعا لهم
فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب وآمن وعمل
صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا لما ذكر تعالى حزب السعداء وهم الانبياء عليهم السلام ومن اتبعهم
من القائمين باوامر الله وحدوده ذكر انه خلف من بعدهم خلف اي قرون اخر اضاعوا الصلوة واذا اضاعوها فهم لما سواها
من الواجبات اضيع لانها عماد الدين وقوامه وخير اعمال العباد واقبلوا على شهوات الدنيا وملاذها ورضوا بالحيوة الدنيا و
اطمأنوا بها فهؤلاء سيلقون غيا اي خسارا يوم القيمة وقد اختلفوا في اضاعة الصلوة ههنا فقال المراد تركها بالكلية ولهذا
ذهب من ذهب من الائمة كما هو المشهور عن احمد وقول عن الشافعي الى تكفير تارك الصلوة للحديث بين العبد والكفر ترك
الصلوة وفي حديث آخر العهد الذي بيننا وبينهم الصلوة فمن تركها فقد كفر وليس هنا محل بسط هذه المسئلة وقال بعضهم
المراد اضاعة المواقيت ولو كان تركا كان كفرا وعن ابن مسعود انه قيل له ان الله يكثر ذكر الصلوة في القرآن الذين هم عن
صلوتهم ساهون وعلى صلوتهم دائمون وعلى صلوتهم يحافظون فقال ابن مسعود على مواقيتها قالوا ما كنا نرى ذلك الا على الترك
قال ذاك الكفر وعن مجاهد في قوله واتبعوا الشهوات قال عند قيام الساعة وذهاب صالحي هذه الامة ينزو بعضهم على بعض
في الازقة والطرق لا يخافون الله ولا يستحيون الناس وعن ابي سعيد الخدري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكون
خلف بعد ستين سنة اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ثم يكون خلف يقرؤون القرآن لا يعدو تراقيهم
ويقرأ القرآن ثلثة مؤمن ومنافق وفاجر قال بعض الرواة المؤمن مؤمن به والمنافق كافر به والفاجر يتأكل به رواه احمد و
ابن ابي حاتم وقال الحسن اي عطلوا المساجد ولزموا الضيعات وقوله فسوف يلقون غيا قال ابن عباس اي خسرانا
وقال قتادة وغيره هو واد في جهنم بعيد القعر خبيث الطعم من قيح ودم وفي الحديث لو ان صخرة زنة عشر عشراوات
تقذف بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها خمسين خريفا ثم تنتهي الى غي واثام قال قلت وما غي واثام قال بيران في اسفل
جهنم فيهما صديد اهل النار وهما اللتان ذكرهما الله في كتابه اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا و
قوله في الفرقان ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما وقوله الا من تاب وآمن وعمل صالحا اي الا من يرجع عن ترك الصلوة
واتباع الشهوات فان الله يقبل توبته ويحسن عاقبته ويجعله من ورثة جنة النعيم ولهذا قال فاولئك يدخلون الجنة
ولا يظلمون شيئا وذلك لان التوبة تجب ما قبلها وفي الحديث الاخر التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولهذا لا ينقص هؤلاء
التائبون من اعمالهم التي عملوها شيئا ولا قوبلوا بما عملوه قبلها فينقص لهم ما عملوه بعدها لان ذلك ذهب هدرا وترك مجانا
من كرم الكريم وحلم الحليم جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتيا لا يسمعون فيها لغوا
الا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا اي الجنات التي يدخلها التائبون

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا
فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المري قرأت القرآن
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة
فاين البكاء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القرآن
نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا [illegible]

كل شر عند العرب غي وكل
خير عندهم رشاد [illegible]
فمن يلق خيرا يحمد الناس امره
ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

آنجه وعده است
تعالى [illegible]
خلف نباشد

بهشتهاى هميشى

بالغيب

هي جنات عدن اي اقامة التي وعد الرحمن عباده بظهر الغيب وهي من الغيب الذي يؤمنون به وما ذاك الا لشدة
ايقانهم وقوة ايمانهم وقوله انه كان وعده ماتيا تاكيد لحصول ذلك وثبوته واستقراره فان الله لا يخلف الميعاد كقوله
كان وعده مفعولا وقوله ههنا ماتيا اي العباد صائرون اليه وسياتونه ومنهم من قال ماتيا بمعنى آتيا لان كل ما اتاك
فقد اتيته كما تقول العرب اتت علي خمسون سنة واتيت على خمسين سنة كلاهما بمعنى واحد وقوله لا يسمعون فيها
لغوا اي ليس في هذه الجنات كلام ساقط تافه لا معنى له كما يوجد في الدنيا وقوله ا [illegible]
سلاما سلاما وقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اي في مثل وقت البكرات ووقت العشيات [illegible] ان هنا ليل او نهار
ولكنهم في اوقات تتعاقب يعرفون مضيها باضواء وانوار كما في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اول
زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون فيها ولا يتغوطون آنيتهم وامشاطهم
الذهب والفضة ومجامرهم الالوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم
من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشية رواه احمد والسياق له
وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج
عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا تفرد به احمد قال ابن عباس المراد مقادير الليل والنهار فانهم في نور ابدا
يعرفون مقدار الليل بارخاء الحجب واغلاق الابواب ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الابواب قاله ابن
جرير وقال مجاهد ليس هناك بكرة ولا عشي لكن يؤتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا وقال الحسن البكور يرد
على العشي والعشي يرد على البكور ليس فيها ليل وقوله تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا اي هذه الجنة التي وصفنا
بهذه الصفات العظيمة هي التي نورثها عبادنا المتقين وهم المطيعون لله في السراء والضراء كما قال تعالى قد افلح المؤمنون
الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله خالدون وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك
وما كان ربك نسيا رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا في البخاري
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما يمنعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا قال فنزلت وما نتنزل
الا بامر ربك الى آخر الآية وقال مجاهد لبث جبريل عن محمد صلى الله عليه وسلم اثني عشرة ليلة ويقولون قلي فلما جاءه
قال يا جبريل لقد رثت علي حتى ظن المشركون كل ظن فنزلت وما نتنزل الا بامر ربك الآية وهذه الآية كالتي في
الضحى وفي رواية ابن ابي حاتم قال مجاهد ابطأت الرسل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اتاه جبريل فقال له ما حبسك يا جبريل
فقال جبريل وكيف ناتيكم وانتم لا تقصون اظفاركم ولا تنقون براجمكم ولا تاخذون شواربكم ولا تستاكون ثم
قرا وما نتنزل الا بامر ربك الآية وروى احمد نحوه وقوله له ما بين ايدينا وما خلفنا قيل المراد بالاول الدنيا وبالثاني
الآخرة وما بين ذلك ما بين النفختين قاله مجاهد وغير واحد وقيل ما بين ايدينا ما نستقبل من امر الآخرة وما خلفنا
ما مضى من الدنيا وما بين ذلك ما بين الدنيا والآخرة واختاره ابن جرير وقوله وما كان ربك نسيا قال مجاهد والسدي
اي ما نسيك ربك كما في سورة والضحى وعن ابي الدرداء رفعه قال ما احل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام و
ما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا من الله عافيته فان الله لم يكن لينسى شيئا ثم تلا هذه الآية وما كان ربك نسيا رواه
ابن ابي حاتم وقوله رب السموات والارض وما بينهما اي خالق ذلك ومدبره والحاكم فيه والمتصرف الذي لا معقب لحكمه

رب السموات الارض
بل ع اكل ه

وعده الله آنچه آمدنی است
وبنده بدان رسیدنی

بنيتها عليهم [illegible] تعوايهم كما سمى
عتا الوارث [illegible] والوراثة
اقوى لفظ مستعمل في التمليك والاستحقاق
وقيل يورث المنقول من الجنة المساكن
التي كانت لاهل النار لو اطاعوا
زيادة في كرامتهم

المراد ان نزولنا في الاحايين وقتا دون وقت
وليس الا بامر الله وعلى ما يراه صوابا وحكمة و
له ما قدامنا وما خلفنا من الجهات والاماكن
وما نحن فيها فلا نتمالك ان ننتقل من جهة الى
جهة ومن مكان الى مكان الا بامر المليك
ومشيئته وهو الحافظ العالم بكل حركة و
سكون وما يحدث ويتجدد من الاحوال لا يجوز
عليه الغفلة والنسيان فانى لنا ان نتقلب
في ملكوته الا اذا راى ذلك مصلحة وحكمة و
اطلق لنا الاذن فيه

[illegible]

[illegible]

اعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا قال ابن عباس اي هل تعلم للرب مثلا او شبيها وبه قال آخرون وعنه ايضا
ليس احد يسمى الرحمن غيره تبارك وتعالى ويقول الانسان ءاذا ما مت لسوف اخرج حيا اولا يذكر الانسان
انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن
من كل شيعة [illegible] اشد على الرحمن عتيا ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اخبر تعالى عن الانسان انه يتعجب
ويبعد اعادته بعد [illegible] وان تعجب فعجب قولهم ءاذا كنا ترابا ءانا لفي خلق جديد وقال اولم ير الانسان انا خلقناه
من نطفة الى قوله عليم وقال ههنا ويقول الانسان ءاذا ما مت لسوف اخرج حيا اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك
شيئا استدل تعالى بالبداءة على الاعادة يعني انه تعالى قد خلق الانسان ولم يك شيئا افلا يعيده وقد صار شيئا وفي الصحيح ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يقول الله كذبني ابن آدم ولم يكن له ان يكذبني وآذاني ابن آدم ولم يكن له ان يؤذيني اما تكذيبه اياي فقوله
لن يعيدني كما بداني وليس اول الخلق باهون علي من آخره واما اذاه اياي فقوله ان لي ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم يلد
ولم يولد ولم يكن لي كفوا احد وقوله فوربك لنحشرنهم والشياطين اقسم تبارك وتعالى بنفسه الكريمة انه لا بد ان يحشرهم
جميعا وشياطينهم الذين كانوا يعبدون من دون الله ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا يعني قعودا كقوله وترى كل امة جاثية وعن
ابن مسعود جثيا يعني قياما وبه قال السدي وقوله ثم لننزعن من كل شيعة اي من كل امة قاله مجاهد ايهم اشد على الرحمن عتيا
قال ابن مسعود يحبس الاول على الآخر حتى اذا تكاملت العدة اتاهم جميعا ثم بدا بالاكابر فالاكابر جرما اي ثم لننزعن من
كل اهل دين قادتهم ورؤسهم في الشر قاله ابن جريج وغير واحد وقوله ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا ثم ههنا
لعطف الخبر على الخبر والمراد انه تعالى اعلم بمن يستحق من العباد ان يصلى بنار جهنم ويخلد فيها وبمن يستحق تضعيف العذاب
كما قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا
ونذر الظالمين فيها جثيا عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى بر ولا فاجر الا
دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على ابرهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر
الظالمين فيها جثيا تفرد به احمد وكان ابو ميسرة اذا اوى الى فراشه قال يا ليت امي لم تلدني ثم يبكي فقيل وما يبكيك فقال
اخبرنا انا واردوها ولم يخبرنا انا صادرون عنها وقد جاء نافع بن الازرق الى ابن عباس فقال له ارايت قول الله
وان منكم الا واردها قال اما انا وانت يا ابا راشد فسنردها فانظر هل نصدر عنها وعن ابن مسعود قال يرد الناس جميعا
الصراط وورودهم قيامهم حول النار ثم يصدرون عن الصراط باعمالهم فمنهم من يمر مثل البرق ومنهم من يمر مثل الريح
ومنهم من يمر مثل الطير ومنهم من يمر كاجود الخيل ومنهم من يمر كاجود الابل ومنهم من يمر كعدو الرجل حتى ان آخرهم
مرا رجل نوره على موضع ابهامي قدميه يمر يتكفا به الصراط والصراط دحض مزلة عليه حسك كحسك القتاد
حافتاه ملائكة معهم كلاليب من نار يختطفون بها الناس رواه ابن ابي حاتم وفي رواية عنه قال الصراط على جهنم مثل حد
السيف فتمر الطبقة الاولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة كاجود الخيل والرابعة كاجود البهائم ثم يمرون والملائكة يقولون
اللهم سلم سلم رواه ابن جرير ولهذا شواهد في الصحاح والسنن من رواية جماعة من الصحابة وعن حفصة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان لا يدخل النار ان شاء الله احد شهد بدرا والحديبية قالت فقلت اليس الله يقول وان منكم
الا واردها قالت فسمعته يقول ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا رواه احمد وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال

در این آیه انسان مراد ابی بن خلف الجمحی است که بعث را منکر بود
وان سخن بر سبیل استهزا و تکذیب گفت استخوان پوسیده
پاره بر دست نهاد و ریزه ریزه میکرد و میگفت زعم کرد
محمد انا نبعث بعد الموت محمد میگوید که ما را پس از انکه
بمیریم باز زنده خواهند کرد حق تعالی که جای دیگر گفت
من یحیی العظام وهی رمیم در سوره یس او را جواب داد
و بروی حجت آورد که اولا یذکر الانسان

[illegible]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم يعني الورود وقال قتادة في قوله وان منكم الا واردها هو الممر عليها وقال ابن زيد ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهريها وورود المشركين ان يدخلوها وفي الحديث الزالون والزالات يومئذ كثير وقد احاط بالجسر يومئذ سماطان من الملئكة دعاؤهم يا الله سلم سلم وقوله كان على ربك حتما مقضيا قال ابن مسعود قسما واجبا وقوله ثم ننجي الذين اتقوا اي اذا امر الخلائق كلهم على النار وسقط فيها من سقط من الكفار واهل الكبائر بحسبهم نجا الله المومنين المتقين منها بحسب اعمالهم فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر اعمالهم التي كانت في الدنيا ثم يشفعون في اهل الكبائر من المومنين فيشفع الملئكة والنبيون والمومنون فيخرجون خلقا كثيرا قد اكلتهم النار الا دارات وجوههم وهي مواضع السجود واخراجهم من النار بحسب ما في قلوبهم من الايمان فيخرجون اولا من كان في قلبه مثقال دينار من ايمان ثم الذي يليه حتى يخرجون من كان في قلبه ادنى ادنى مثقال ذرة من ايمان ثم يخرج الله من النار من قال يوما من الدهر لا اله الا الله وان لم يعمل خيرا قط ولا يبقى في النار الا من وجب عليه الخلود كما ورد بذلك الاحاديث الصحيحة واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا اخبر تعالى عن الكفار حين يتلى عليهم اياته ظاهرة الدلالة بينة الحجة واضحة البرهان انهم يصدون عن ذلك ويعرضون ويقولون للمومنين مفتخرين ومحتجين على صحة ما هم عليه من الدين الباطل بانهم خير مقاما واحسن نديا اي احسن منازل وارفع دورا والندي مجتمع القوم للحديث اي نادينا اعمر واكثر واردا وطارقا يعنون وكيف نكون نحن بهذه المثابة على باطل واولئك الذين هم مختفون مستترون في دار الارقم ونحوها من الدور الحقيرة على الحق كما قال تعالى مخبرا عنهم وقال الذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وغيرها من الايات ولهذا قال تعالى رادا عليهم شبهتهم وكم اهلكنا قبلهم من قرن اي وكم من امة وقرن من المكذبين قد اهلكناهم بكفرهم هم احسن اثاثا ورئيا اي كانوا احسن من هولاء امتعة واموالا ومناظر واشكالا قال ابن عباس المقام المنزل والندي المجلس والاثاث المتاع والرئي المنظر وقال قتادة لما راوا في عيش المومنين خشونة وقشافة تعرض اهل الشرك بما تسمعون اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا قيل الاثاث هو المال والمتاع والثياب والرئي المنظر كما قال ابن عباس وقال الحسن الرئي الصورة قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا اي قل يا محمد لهولاء المشركين المدعين انهم على الحق وانكم على الباطل من كان في الضلالة اي منا ومنكم فليمدد له الرحمن مدا اي فامهله الله فيما هو فيه حتى يلقى ربه وينقضي اجله وهذا امر بمعنى الخبر اي يدعه في طغيانه ويمهله في كفره حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب وهو الاسر والقتل في الدنيا واما الساعة بغتة تاتيه وهي القيمة فيدخلون النار فسيعلمون حينئذ من هو شر مكانا واضعف جندا في مقابلة ما احتجوا به من خير المقام وحسن الندي وقال مجاهد اي فليدعه الله في طغيانه ووافقه ابن جرير وهذه مباهلة للمشركين الذين زعموا انهم على هدى كما ذكر تعالى مباهلة اليهود في قوله قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله الاية وقوله قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة الاية كما سبق في سورة البقرة وكما ذكر مباهلة النصارى في سورة آل عمران حين صمموا على الكفر والغلو في دعواهم ان عيسى ولد الله وقد ذكر الله حجته على انه عبد مخلوق كادم كما قال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ويزيد الله الذين

المعنى انهم كما سمعوا الايات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها اخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحيوة الدنيا فرد عليهم ذلك مع التهديد بقوله وكم اهلكنا

اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا لما ذكر تعالى امداد من هو في الضلالة اخبر بزيادة المهتدين هدى اي ايمانا ويقينا على يقينهم كما قال واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا الى قوله كافرون وقوله والباقيات الصالحات خير سبق تفسيره وبعض الاحاديث المتعلقة به في سورة الكهف خير عند ربك ثوابا ا[illegible]ذا اي عاقبة ومردا على صاحبها عن ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس ذات يوم فاخذ عودا يابسا [illegible] قال ان قول لا اله الا الله والله اكبر والحمد لله وسبحان الله يحط الخطايا كما يحط ورق هذه الشجرة الريح خذهن يا ابا الدرداء قبل ان يحال بينك وبينهن هن الباقيات الصالحات وهن من كنوز الجنة رواه ابن ماجه افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول وياتينا فردا في الصحيحين عن خباب ابن الارت قال كنت قينا بمكة فعملت للعاص بن وائل سيفا فجئت اتقاضاه فقال لا والله لا اقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت والله لا اكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث قال فاني اذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال وولد فاعطيتك فانزل الله افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا الى قوله وياتينا فردا وعن ابن عباس قال ان رجالا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون العاص بن وائل السهمي بدين فاتوه يتقاضونه فقال الستم تزعمون ان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا ومن كل الثمرات قالوا بلى قال فان موعدكم في الاخرة فوالله لاوتين مالا وولدا ولاوتين مثل كتابكم الذي جئتم به فضرب الله مثله في القران فقال افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا الى قوله وياتينا فردا هكذا قالوا انها نزلت في العاص بن وائل وقوله لاوتين مالا وولدا قرا بعضهم بفتح الواو من ولدا واخرون بضمها وهو بمعناه قال رؤبة الحمد لله العزيز فردا لم يتخذ من ولد شي ولدا وقال اخر فليت فلانا كان في بطن امه وليت فلانا كان ولد حمار وقيل الولد بالضم جمع وبالفتح مفرد وهي لغة قيس وقوله اطلع الغيب انكار على هذا القائل لاوتين مالا وولدا يعني يوم القيمة اي اعلم ما له في الاخرة حتى تالى وحلف على ذلك ام اتخذ عند الرحمن عهدا ام له عند الله عهد ان سيوتيه ذلك قال ابن عباس يعني لا اله الا الله فيرجو بها وقوله كلا هي حرف ردع لما قبلها وتاكيد لما بعدها سنكتب ما يقول اي من طلبه ذلك وحكمه لنفسه بما تمناه وكفره بالله العظيم ونمد له من العذاب مدا اي في الاخرة على قوله ذلك وكفره بالله في الدنيا ونرثه ما يقول اي من مال وولد نسلبه منه عكس ما قال انه يوتى في الدار الاخرة مالا وولدا زيادة على الذي في الدنيا ولهذا قال وياتينا فردا اي مجردا من المال والولد وقال ابن عباس ونرثه ما يقول نرثه اي ما عنده وهو قوله لاوتين مالا وقال ابن زيد اي ما جمع في الدنيا وما عمل فيها وياتينا فردا من ذلك لا يتبعه قليل ولا كثير واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين توزهم ازا فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا اخبر تعالى عن الكفار بربهم انهم اتخذوا من دونه الهة ليكون لهم تلك الالهة عزا يعتزون بهم ويستنصرونهم ثم اخبر انه ليس الامر كما زعموا فقال كلا سيكفرون بعبادتهم اي يوم القيمة ويكونون عليهم ضدا اي بخلاف ما ظنوا فيهم وقرا ابو نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم اي يوم القيمة ويكونون عليهم ضدا اي بخلاف ما ظنوا فيهم نعم الكاف قال السدي بعبادة الاوثان وقوله ويكونون عليهم ضدا اي بخلاف ما رجوا منهم بل يكونوا اعوانا عليهم يخاصمونهم ويكذبونهم وقال قتادة قرناء في النار يلعن بعضهم بعضا ويكفر بعضهم ببعض وقيل الضد الحسرة

[illegible]

والبلاء وقوله الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا قال ابن عباس اي تغويهم اغواء وتحرضهم
على المعاصي والطغيان والاز والهز التحريك يعني تحثهم ازعاجا من الطاعة الى المعصية وقوله فلا تعجل عليهم
انما نعد لهم عدا اي لا تعجل يا محمد على هؤلاء في وقوع العذاب بهم انما نعد لهم عدا اي انما نؤخرهم لاجل معدود مضبوط وهم
صائرون لا محالة الى عذاب الله ونكاله وقال السدي اي السنين والشهور والاعوام والايام والساعات وقال ابن عباس
اي نعد انفاسهم في الدنيا ويوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا لا
يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا اخبر تعالى عن اوليائه المتقين الذين خافوه في الدنيا واتبعوا رسله
وصدقوهم فيما اخبروهم انه يحشرهم يوم القيمة وفدا اليه والوفد هم القادمون ركبانا وركوبهم على نجائب من نور من مراكب
الاخرة وهم قادمون على خير موفود اليه الى دار كرامته ورضوانه واما المجرمون المكذبون للرسل فانهم يساقون عنفا الى النار
وردا عطاشا قاله ابن عباس وكثيرون وههنا يقال اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا قيل يستقبل المومن عند خروجه
من القبر احسن صورة رآها واطيبه ريحا فيقول من انت فيقول انا عملك وهكذا كنت في الدنيا حسن العمل طيب الريح
فطالما ركبتك في الدنيا فهلم اركبني فركبه فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وقال علي رضي الله عنه لا والله
ما على ارجلهم يحشرون ولكن بنوق لم تر الخلائق مثلها عليها رحائل من ذهب فيركبون عليها حتى يضربوا ابواب الجنة
هكذا رواه ابن ابي حاتم وابن جرير وزاد اعلها وازمتها من الزبرجد وقد روى ابن ابي حاتم حديثا مبسوطا في غاية الغرابة
مرفوعا عن علي والوقف اشبه ولهذا لم نذكره ههنا وقوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا اي عطاشا لا يملكون الشفاعة
اي ليس لهم من يشفع لهم كما يشفع المومنون بعضهم لبعض كما قال تعالى مخبرا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقوله الا من
اتخذ عند الرحمن عهدا هذا استثناء منقطع بمعنى لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا وهو شهادة ان لا اله الا الله والقيام
بحقها وروي ان عبد الله بن مسعود قرأ هذه الآية ثم قال اتخذوا عند الله عهدا فان الله يقول يوم القيمة من كان له عهد
فليقم قالوا يا ابا عبد الرحمن فعلمنا قال قولوا اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة فاني اعهد اليك في هذه
الحيوة الدنيا باني اشهد انك انت الله لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلني الى عملي تقربني
الى الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعله لي عندك عهدا تؤديه الي يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد
رواه ابن ابي حاتم وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي ~~للرحمن ولدا وما ينبغي~~ للرحمن ان يتخذ ولدا
ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد احصيهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيمة فردا
لما قرر تعالى في هذه السورة عبودية عيسى وذكر خلقه من مريم بلا اب شرع في الانكار على من زعم ان له ولدا تعالى وتنزه
عن ذلك فقال وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم يعني ايها الجاهلون في قولكم هذا شيئا ادا اي عظيما ويقال ادا بكسر الهمزة
وفتحها ومع مدها ايضا ثلث لغات اشهرها الاولى وقوله تكاد السموات يتفطرن منه اي يتشققن منه وتنشق الارض وتخر
الجبال هدا اي انطباقا ان دعوا للرحمن ولدا اي تكاد يكون ذلك عند سماعهن هذه المقالة من فجرة بني آدم اعظاما للرب
واجلالا لانهن مخلوقات ومؤسسات على توحيده وانه لا اله الا هو وانه لا شريك له ولا ولد له ولا كفو له بل هو الاحد الصمد
بلا نظير ولا شبيه وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد قال ابن عباس ان الشرك فزعت منه السموات والارض والجبال و

وافدين عليه كما تفد الوفاد
على الملوك منتظرين لكرامتهم
وانعامهم

قال علي بن ابي طالب ما يحشرون والله
على ارجلهم ولكن على نوق رحالها
الذهب ونجائب سروجها ياقوت
ان هموا بها سارت وان هموا بها
طارت

وعن كعب بن عجرة عن النبي صلعم قال قال الله تعالى
من صلى الصلوة لوقتها ولم يتركها استخفافا بها
لقيني يوم القيمة وله عندي عهد ان ادخله الجنة
ومن لم يصلها لوقتها وتركها استخفافا
بها لقيني يوم القيمة وليس له عندي
عهد ان شئت عذبته وان شئت
غفرت له

[illegible]

جميع الخلائق الا الثقلين وكادت ان تزول منه لعظمة الله وكما لا ينفع مع الشرك احسان المشرك كذلك نرجو ان يغفر الله
الموحدين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم شهادة ان لا اله الا الله فمن قالها عند موته وجبت له الجنة
قالوا يا رسول الله فمن قالها في صحته قال تلك اوجب واوجب ثم قال والذي نفسي بيده لو جيء بالسموات والارض و
ما فيهن وما [illegible] تحتهن فوضع في كفة الميزان ووضعت شهادة ان لا اله الا الله في الكفة الاخرى لرجحت
بهن هكذا [illegible] ث البطاقة والله اعلم وقال ابن عباس تنشق الارض غضبا لله عز وجل وتخر
الجبال هدا اي هدما يكسر بعضها على بعض متتابعات قاله ابن جبير وفي الصحيحين عن ابي موسى قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا احد اصبر على اذى سمعه من الله انه يشرك به ويجعل له ولد وهو يعافيهم ويدفع عنهم ويرزقهم و
قوله وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا اي لا يصلح له ولا يليق به لجلاله وعظمته لانه لا كفو له لان جميع الخلائق عبيد له
ولهذا قال ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا اي الا آتيه يوم القيمة عبدا ذليلا خاضعا لقد احصيهم
وعدهم عدا اي قد علم عددهم منذ خلقهم الى يوم القيمة ذكرهم وانثاهم صغيرهم وكبيرهم وكلهم آتيه يوم القيمة فردا اي لا ناصر له
ولا مجير الا الله وحده لا شريك له فيحكم في خلقه بما يشاء ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا
فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد
او تسمع لهم ركزا اخبر تعالى انه يغرس لعباده المومنين في قلوب عباده المخلصين محبة ومودة لمتابعتهم الشريعة
والاعمال الصالحة الموجبة لرضا الرحمن وهذا امر لا بد منه وقد وردت بذلك الاحاديث الصحيحة كما في الصحيحين
عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله اذا احب عبدا دعا جبريل فقال يا جبريل اني احب فلانا فاحبه
فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله يحب فلانا فاحبوه قال فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض
وان الله اذا ابغض عبدا دعا جبريل فقال يا جبريل اني ابغض فلانا فابغضه فقال فيبغضه جبريل ثم ينادي في اهل السماء
ان الله يبغض فلانا فابغضوه قال فيبغضه اهل السماء ثم يوضع له البغضاء في الارض وعنه ايضا ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا نادى جبريل اني قد احببت فلانا فاحبه فينادي في السماء ثم تنزل المحبة في اهل الارض
فذلك قول الله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا رواه مسلم قال ابن عباس ودا اي محبة في الناس
في الدنيا وقال سعيد بن جبير اي يحبهم ويحببهم الى خلقه المومنين وعن ابن عباس ايضا الود من المسلمين والرزق
الحسن واللسان الصادق وذكر ان هرم بن حيان كان يقول ما اقبل عبد بقلبه الى الله الا اقبل الله بقلوب
المومنين اليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه ما من عبد يعمل خيرا او شرا الا
كساه الله رداء عمله وقوله فانما يسرناه يعني القرآن بلسانك اي يا محمد وهو اللسان العربي المبين الفصيح لتبشر به المتقين
اي المستجيبين المصدقين لرسوله وتنذر به قوما لدا اي عوجا عن الحق مائلين الى الباطل قال مجاهد اي لا يستقيمون
وقال القرطبي الالد الكذاب وقال الحسن قوما لدا اي صما يعني اذان قلوبهم وقيل اي فجارا ظلوما وقوله وكم اهلكنا
قبلهم من قرن اي امة كفروا بآيات الله وكذبوا رسله هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا اي هل ترى منهم احدا او تسمع لهم
صوتا هكذا قاله وقال الحسن وقتادة هل ترى عينا او تسمع صوتا والركز واصل اللغة الصوت الخفي قال الشاعر
فتوجست ركز الانيس فراعها عن ظهر غيب والانيس سقامها

سوره طه وهي مكية

حصرهم واحاط بهم
بحيث لا يخرجون عن حوزة
علمه وقبضة قدرته تام

المعنى ما من معبود لهم في السموات والارض
من الملئكة ومن الناس الا وهو يأتي الرحمن اي
يأوي اليه ويلتجي الى ربوبيته عبدا منقادا
خاشعا راجيا كما يفعل العبيد لا يدعي لنفسه
ما يدعيه له هؤلاء الضلال اولئك الذين
يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون
رحمته ويخافون عذابه فكل واحد منهم
يأتيه يوم القيمة منفردا عن المشركين
المشركين احد وهو بريء منهم

[illegible]

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قرأ طه ويس قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام فلما سمعت
الملئكة القران قالت طوبى لامة ينزل هذا عليها وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسنة تتكلم بهذا رواه الدارمي

بسم الله الرحمن الرحيم طه ما انزلنا عليك القران لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق
الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى
وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى قد ذكر حروف اوائل السور
في اول سورة البقرة وقال ابن عباس والاكثر طه يعني يا رجل بالنبطية وفي الشفاء للقاضي عياض عن الربيع بن انس قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله طه يعني طأ الارض يا محمد ما انزلنا عليك القران لتشقى ثم
قال ولا يخفى بما في هذا من الاكرام وحسن المعاملة اي لتتعب وتشقى واصل الشقاء في اللغة العناء وروى ان المشركين
[illegible] قريش قالوا ما انزل هذا القران على محمد الا ليشقى فانزل الله هذه الآية اي ليس الامر كما زعمه المبطلون بل من آتاه الله العلم
فقد اراد به خيرا كثيرا الا تذكرة لمن يخشى اي لكن انزلناه عظة لمن يخشى وقد ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وعن ثعلبة بن الحكم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى للعلماء يوم
القيمة اذا قعد على كرسيه لقضاء عباده اني لم اجعل علمي وحكمتي فيكم الا وانا اريد ان اغفر لكم على ما كان منكم ولا ابالي رواه
ابو القاسم الطبراني قال مجاهد لا والله ما جعله شقاء ولكن جعله نورا ورحمة ودليلا الى الجنة الا تذكرة لمن يخشى ان الله
انزل كتابه وبعث رسوله رحمة يرحم بها العباد ليتذكر ذاكر وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله وهو ذكر انزل الله فيه حلاله وحرامه
وقوله تنزيلا ممن خلق الارض اي هذا القرآن الذي جاءك يا محمد انزلناه تنزيلا وهو منزل من ربك الذي خلق الارض بانخفاضها
وكثافتها وخلق السموات العلى في ارتفاعها ولطافتها وقد جاء في الترمذي وغيره ان سمك كل سماء مسيرة خمسمائة عام وبعد
ما بينها والتي تليها مسيرة خمسمائة عام وقوله الرحمن على العرش استوى سبق الكلام عليه في سورة الاعراف وان المسلك الاسلم
في ذلك طريقة السلف وهو امرار ما جاء في ذلك على ما اراد الله في علمه من غير تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل وقوله له ما في السموات اي الجميع
ملكه وفي قبضته وتحت قدرته وتصرفه وارادته وهو خالق السموات والارض وما بينهما ومالكهما والههما لا اله الا هو و
قوله وما تحت الثرى اي ما تحت الارض السابعة من عجائب مخلوقاته وفي مسند ابي يعلى الموصلي عن جابر بن عبد الله قال كنت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فاقبلنا راجعين اذ جاء رجل فاخذ بخطام راحلته فقال يا محمد انبئني فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه قال صدقت ثم قال يا محمد من اين يشبه الولد اباه وامه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ماء الرجل غليظ ابيض وماء المراة رقيق اصفر فاي الماءين غلب على الآخر فلبه على الولد قال صدقت
فقال ما للرجل من الولد وما للمراة منه فقال للرجل العظام والعروق والعصب وللمراة اللحم والدم والشعر قال صدقت
ثم قال يا محمد ما تحت هذه يعني الارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق قال فما تحتهم قال ارض قال فما تحت
الارض قال الماء قال فما تحت الماء قال ظلمة قال فما تحت الظلمة قال الهواء قال فما تحت الهواء قال الثرى قال فما تحت الثرى
ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء وقال انقطع علم المخلوقين عند علم الخالق ايها السائل ما المسؤول عنها باعلم
من السائل قال فقال صدقت اشهد انك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس هل تدرون من هذا قالوا الله و
رسوله اعلم قال هذا جبريل هذا حديث غريب جدا وفيه خلط ودخل وقد روي عن كعب نحوه مختصرا وقوله وان تجهر بالقول

لمن في قلبه خشية ورقة يتأثر بالانذار او لمن علم الله منه الخشية بالتخويف منه فانه المنتفع

بالقول فانه يعلم السر واخفى اي انزل هذا القرآن الذي خلق الارض والسموات العلى الذي يعلم السر واخفى قال ابن عباس
السر ما اسره ابن آدم في نفسه واخفى ما اخفى على ابن آدم مما هو فاعله قبل ان يعلمه فالله يعلم ذلك كله فان علمه فيما مضى من ذلك وما
بقي علم واحد وجميع الخلائق في ذلك عنده كنفس واحدة كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وقال الضحاك السر ما تحدث
به نفسك واخفى ما [illegible] ث به نفسك بعد وقال ابن جبير انت تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غدا والله يعلم كل ذلك وقوله الله لا اله
الا هو له الا [illegible] ليك القران هو الله الذي لا اله الا هو له الاسماء الحسنى والصفات العلى وسبق بعض
الاحاديث الواردة في الاسماء الحسنى في اواخر سورة الاعراف وهل اتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا
اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى شرع تبارك وتعالى في كيفية ابتداء الوحي الى موسى وتكليمه
اياه وذلك بعد ما قضى موسى الاجل الذي كان بينه وبين صهره في رعاية الغنم وسار باهله قاصدا بلاد مصر بعد ما طالت
الغيبة منها اكثر من عشر سنين ومعه زوجته فاضل الطريق وكانت ليلة شاتية ونزل منزلا بين شعاب وجبال وبرد وسحاب
وظلام وضباب وتقدح بزند معه ليوري نارا كما جرت له العادة فجعل لا تقدح شيئا ولا تخرج منه شررا فبينا هو كذلك
اذ آنس من جانب الطور نارا اي ظهرت له نار من جانب الجبل الذي هناك عن يمينه فقال لاهله يبشرهم اني آنست نارا
اي ابصرتها لعلي آتيكم منها بقبس اي بشهاب من نار وفي رواية اخرى او جذوة من النار وهي الجمرة التي معها لهب لعلكم
تصطلون دال على وجود البرد وقوله بقبس دال على وجود الظلام وقوله او اجد على النار هدى اي من يهديني الطريق
دال على انه قد تاه عن الطريق كما قال ابن عباس نحوه فلما راى النار قال ان لم اجد احدا يهديني اتيتكم بنار توقدون فلما اتاها
نودي يا موسى اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى انني
انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلوة لذكري ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى
فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى اي فلما اتى الى النار واقترب منها نودي يا موسى اني انا ربك
وفي الآية الاخرى نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وقال
ههنا اني انا ربك اي الذي يكلمك ويخاطبك فاخلع نعليك قال علي وابو ذر وابو ايوب وغير واحد من السلف رضي الله عنهم
كانتا من جلد حمار غير ذكي وقيل انما امره بخلع نعليه تعظيما للبقعة كما يؤمر الرجل ان يخلع نعليه عند دخول الكعبة وقيل
ليطأ الارض المقدسة بقدميه حافيا غير منتعل وقوله طوى قال ابن عباس هو اسم للوادي وقيل هو على هذا يكون عطف
بيان وقيل عبارة عن الامر بالوطء بقدميه وقيل لانه قدس مرتين وطوي له البركة وكررت والاول اصح وقوله وانا اخترتك
كقوله اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي اي على جميع الناس من الموجودين في زمانه وقوله فاستمع لما يوحى اي استمع
الآن ما اقول لك واوحيه اليك انني انا الله لا اله الا انا هذا اول واجب على المكلفين ان يعلموا انه لا اله الا الله
وحده لا شريك له وقوله فاعبدني اي وحدني وقم بعبادتي من غير شريك واقم الصلوة لذكري قيل اي لتذكرني وقيل
اي عند ذكرك لي ويشهد لهذا ما رواه انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رقد احدكم عن الصلوة او غفل عنها فليصلها
اذا ذكرها فان الله تعالى قال اقم الصلوة لذكري رواه احمد وفي الصحيحين عن انس ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من نام عن صلوة او نسيها فكفارتها ان يصليها اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك وقوله ان الساعة آتية اي قائمة
لا محالة كائنة لا بد منها وقوله اكاد اخفيها قال ابن عباس وغير واحد اي من نفسي لا اطلع عليها احدا غيري قال

هر چه بخاطرت رسيده
زان پيش كه گوييش شنيده

فقاه بقصة موسى ليأتسي به في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود

امكثوا
اقيموا مكانكم

تكرير الضمير في اني انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي انه لما نودي يا موسى قال من المتكلم قال عز وجل اني انا ربك وان ابليس وسوس اليه لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع الجهات الست واسمعه بجميع اعضائي

اي حافظ عليها وحرك على الصلوة مقيما لها ودل على انه لا فريضة بعد التوحيد اعظم من الصلوة

السري لنبي احدا من اهل السموات والارض الا قد اخفى الله عنه علم الساعة وقراءة ابن عباس وابن مسعود اكاد اخفيها من نفسي
يعني لتمنها عن الخلائق حتى لو استطعت ان اكتمها من نفسي لفعلت وقراءة سعيد بن جبير اَخفيها اي اظهرها كما قال كعب
ابن زهير ۞ داب شهرين ثم شهرا دميكا ۞ باريكين يخفيان غميرا ۞ قال الاسدي الغمير نبت رطب ينبت في خلال يبس
والاريكين موضع والدميك الشهر التام وقوله سبحانه لتجزى كل نفس بما تسعى اي اخفيها لا محالة لاجزي كل عامل بعمله وقوله
فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها المراد بهذا الخطاب آحاد المكلفين اي لا تتبعوا سبيل من كذب بالساعة واقبل على ملاذه
في الدنيا وعصى مولاه واتبع هواه فمن وافقهم على ذلك فقد خاب وخسر فتردى اي هلك وعطب من ابانهم وما تلك
بيمينك يا موسى قال هي عصاي اتوكأ عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى قال القها يا موسى
فالقاها فاذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى هذا برهان من الله لموسى ومعجزة
عظيمة على انه لا يقدر على مثل هذا الا الله وانه لا ياتي به الا نبي مرسل فقوله وما تلك بيمينك يا موسى قال بعضهم انما قال ذلك
على سبيل الايناس له وقيل على وجه التقرير استفهام تقرير اي اما هذه التي في يمينك عصاك التي نعرفها فسترى ما نصنع بها الآن
قال هي عصاي اتوكأ عليها اي اعتمد عليها في حال المشي واهش بها على غنمي اي اهز بها الشجر ليسقط ورقها وترعاه غنمي
وقال مالك الهش ان يضع الرجل المحجن على الغصن ثم يحركه حتى يسقط ورقه وثمره ولا يكسر العود وقوله ولي فيها مآرب اخرى
اي مصالح ومنافع وحاجات اخر غير ذلك وقد تكلف بعضهم لذكر شيء من تلك المآرب التي ابهمت فقيل كانت تضيء بالليل وتحرس
له الغنم اذا نام وتصير شجرة تظله وغير ذلك من الامور الخارقة للعادة والظاهر انها لم تكن كذلك والا لما استنكر موسى صيرورتها
ثعبانا ولم يفر منها هاربا ولكن كل ذلك من الاسرائيليات وكذا قول بعضهم انها كانت لآدم وقول الآخر انها هي الدابة التي
تخرج قبل يوم القيامة وعن ابن عباس انه كان اسمها ماشا والله اعلم وقوله قال القها يا موسى اي هذه العصا التي في يدك
يا موسى القها فالقاها فاذا هي حية تسعى اي صارت في الحال حية عظيمة ثعبانا طويلا يتحرك حركة سريعة فاذا هي تهتز كانها
جان وهو اسرع الحيات حركة ولكنه صغير فهذه في غاية الكبر وفي غاية سرعة الحركة تسعى اي تمشي وتضطرب قال ابن عباس فلم
تكن قبل ذلك حية فمرت بشجرة فاكلتها ومرت بصخرة فابتلعتها فجعل موسى يسمع وقع الصخرة في جوفها فولى مدبرا فنودي ان يا موسى
ان خذها ولا تخف فقيل له في الثالثة انك من الآمنين فاخذها قال وهب فقال خذها بيمينك ولا تخف سنعيدها سيرتها
الاولى وعلى موسى حينئذ مدرعة من صوف قد خلها بخلال من عيدان فلما امره باخذها ادلى طرف المدرعة على يده فقال
له ملك ارايت يا موسى لو اذن الله بما تحاذر اكانت المدرعة تغني عنك شيئا قال لا ولكني ضعيف فكشف عن يده ثم وضعها
على فم الحية حتى سمع حس الاضراس والانياب ثم قبض فاذا هي عصاه التي عهدها واذا يده في موضعه الذي كان يضعها
اذا توكأ بين الشعبتين ولهذا قال سنعيدها سيرتها الاولى اي حالتها التي تعرف قبل ذلك واضمم يدك الى جناحك
تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى لنريك من آياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح
لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد
به ازري واشركه في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا هذا برهان ثان لموسى وهو ان الله
امره ان يدخل يده في جيبه كما صرح به في الآية الاخرى واراد ههنا ذلك بقوله واضمم يدك الى جناحك قال مجاهد اي كفه تحت
عضده وذلك ان موسى كان اذا ادخل يده في جيبه ثم اخرجها تتلألأ كانها فلقة قمر وقوله تخرج بيضاء من غير سوء اي من غير برص

ولا اذى

ان موسى عليه الصلوة والسلام استولت عليه الهيبة فسكنها بقوله وما تلك بيمينك ولو كان عالما كما زعله لعله لا تسئل بل تلاقي ثم قال هي عصاي وحل يعتمدنا فيها قيل له القها كانك بعثت الوحد واقف على بساط التوحيد فكيف يصح لك الاتكاء والاعتماد على الغير فاول قدم في الطريق ترك كل سبب والتبري عن كل طلب اذ التوحيد على صحيحه بترط الاضافات بنشرها ولا جرم لما قال عصاي امر بالقائها

جناح الانسان عضده الى اصل ابطه

ولا اذى ولا شين قاله ابن عباس وكثيرون وقال الحسن اخرجها والله كانها مصباح فعلم موسى انه قد لقي ربه ولهذا
قال لنريك من آياتنا الكبرى قال ابن عباس كانت يد موسى اكبر آياته وقوله اذهب الى فرعون ملك مصر الذي خرجت
فارا منه وهاربا فادعه الى عبادة الله وحده لا شريك له ومره فليحسن الى بني اسرائيل ولا يعذبهم فانه قد طغى وبغى
وآثر الحيوة الدنيا ونسي الرب الاعلى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري هذا سؤال من موسى لربه عز وجل ان يشرح له
صدره فيما بعثه فانه قد امره بامر عظيم وخطب جسيم بعثه الى اعظم ملك على وجه الارض اذ ذاك واجبرهم
واشدهم كفرا واكثرهم جنودا واطغاهم تمردا بلغ من امره ان ادعى انه لا يعرف ولا يعلم لرعاياه الها غيره هذا وقد مكث
موسى في داره وليدا مدة عندهم في حجر فرعون على فراشه ثم قتل منهم نفسا فخافهم ان يقتلوه فهرب منهم هذه المدة بكمالها ثم
بعد هذا بعثه ربه تعالى اليهم نذيرا يدعوهم الى الله ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ولهذا قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري
ان لم تكن انت عوني ونصيري وعضدي وظهيري لا يكون لي طاقة بذلك واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي اي لما كان
اصابه من اللثغ حين عرض عليه التمرة والجمرة فوضعها على لسانه كما سياتي بيانه وما سال ان يزول ذلك بالكلية
بل بحيث يزول العي ويحصل لهم فهم ما يريد منه وهو قدر الحاجة ولو سال الجميع لزال قال الحسن اي حل عقدة واحدة
وقال ابن عباس شكا موسى الى ربه ما يتخوف من آل فرعون في القتيل وعقدة لسانه فانه كان يمنعه كثيرا من الكلام وسال
ربه ان يعينه باخيه هرون يكون له ردءا ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه فآتاه سؤله فحل عقدة من لسانه وقوله
واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي وهذا ايضا سؤال من موسى في امر خارج عنه وهو مساعدة اخيه هرون له وقوله اشدد
به ازري قال مجاهد اي ظهري واشركه في امري اي في مشاورتي كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا قال مجاهد لا يكون العبد
من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا وقوله انك كنت بنا بصيرا اي في اصطفائك لنا واعطائك ايانا النبوة
وبعثتك بنا الى عدوك فرعون فلك الحمد على ذلك قال قد اوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا
الى امك ما يوحى ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل ياخذه عدو لي وعدو له والقيت
عليك محبة مني ولتصنع على عيني اذ تمشي اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله فرجعناك الى امك كي تقر عينها
ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا هذه اجابة من الله لرسوله موسى عليه السلام فيما سال ربه وتذكير له
بنعمه السالفة عليه فيما كان الهم امه حين كانت ترضعه وتحذر عليه من فرعون وملائه ان يقتلوه لانه كان قد ولد في السنة
التي يقتلون فيها الغلمان فاتخذت له تابوتا فكانت ترضعه ثم تضعه فيه وترسله في البحر وهو النيل وتمسكه الى منزلها بحبل فذهبت
مرة لتربط الحبل فانفلت منها وذهب به البحر فحصل لها من الغم والهم ما ذكر الله عنها في قوله واصبح فؤاد ام موسى فارغا ان
كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين فذهب به البحر الى دار فرعون فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا
وحزنا وكان من قضاء الله وقدره وحكمته البالغة ان يربى موسى على فراش فرعون ويتغذى بطعامه وشرابه مع محبته و
زوجته له ولهذا قال ياخذه عدو لي وعدو له وقوله والقيت عليك محبة مني اي في قلب عدوك فاحبك وحببتك الى عبادي
قال ابن عباس ما رآه احد الا احبه ولتصنع على عيني اي لتربى بمرأى مني وتتغذى بغذاء الملك وتنعم محفوظا بعيني
وقوله اذ تمشي اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله فرددناك الى امك كي تقر عينها وذلك انه لما استقر عند آل فرعون عرضوا
عليه المراضع فاباها كما قال تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون

فجاءت فاخذه

وسعه للحق قال ابن عباس يريد لا اخاف غيرك وذلك ان موسى كان يخاف من فرعون خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة جنوده وكان يضيق صدرا بما كلف من مقاومة فرعون وحده فسأل الله ان يوسع قلبه للحق حتى يعلم ان احدا لا يقدر على مضرته الا باذن الله واذا علم ذلك لم يخف فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده ويسر لي امري اي سهل علي ما امرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون معالم

قوته ظهري

على من ترضعه بالاجرة فذهبت به وهم معها الى امه فعرضت عليه ثديها فقبله ففرحوا بذلك فرحا شديدا واستاجروها على ارضاعه فنالها بسببه سعادة ورفعة في الدنيا والآخرة اعظم واجزل ولهذا جاء في الحديث مثل الصانع الذي يحتسب في صنعته الخير كمثل ام موسى ترضع ولدها وتاخذ اجرها قال تعالى فرجعناك الى امك كي تقر عينها ولا تحزن اي عليك وقتلت نفسا يعني القبطي فنجيناك من الغم وهو ما حصل له بسبب عزم آل فرعون على قتله ففر منهم هاربا حتى ورد ماء مدين وقال له ذلك الرجل الصالح لا تخف نجوت من القوم الظالمين وقوله وفتناك فتونا قال ابن اي اختبرناك اختبارا وقيل ابتليناك ابتلاء وقال مجاهد وقال اخلصناك اخلاصا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير ان الفتون وقوعه في محن خلصه الله منها اولها ان امه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح الاطفال ثم القاؤه في البحر في التابوت ثم منعه الرضاع الا من ثدي امه ثم اخذه بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمرة بدل الدرة ثم قتله القبطي وخروجه الى مدين خائفا وعدد له من الوقائع والمشاق التي كانت في بني اسرائيل كما بين كل بعض منها في موضعه من هذا الكتاب فعلى هذا معناه اخلصناك من تلك المحن كما يفتن الذهب بالنار فيخلص من كل خبث فيه والفتون مصدر وفي النسائي وتفسير ابن جرير وابن ابي حاتم قصة طويلة في حديث الفتون برواية سعيد ابن جبير عن ابن عباس وهي مذكورة كما هي في الاصل فمن ارادها فعليه بمطالعته فلبثت سنين في اهل مدين ثم

جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسي اذهب انت واخوك باياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى

اي لبثت مقيما في اهل مدين حين فررت من فرعون وملائه ثم جئت بحسب قدري وارادتي من غير ميعاد كما قال ثم جئت على قدر اي موعد وقال بعضهم على قدر للرسالة والنبوة وقوله واصطنعتك لنفسي اي اصطفيتك واجتبيتك رسولا لنفسي اي كما اريد و اشاء وفي الصحيحين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال التقى آدم وموسى فقال موسى انت الذي اشقيت الناس واخرجتهم من الجنة فقال آدم انت الذي اصطفاك الله برسالته واصطفاك لنفسه وانزل عليك التورية قال نعم فوجدته قد كتب علي قبل ان يخلقني قال نعم فحج آدم موسى وقوله اذهب انت واخوك باياتي اي بحججي وبراهيني ومعجزاتي ولا تنيا في ذكري قال ابن عباس اي لا تبطئا ولا تضعفا والمراد انهما لا يفترا في ذكر الله بل يذكرا الله في حال مواجهة فرعون ليكون ذكر الله عونا لهما وقوة وسلطانا كاسرا له كما جاء في الحديث ان عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو مناجز قرنه اذهبا الى فرعون انه طغى اي تمرد وعتا وتجبر وتجهرم على الله وعصى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى في هذه الآية عبرة عظيمة وهو ان فرعون في غاية العتو والاستكبار وموسى صفوة الله من خلقه اذ ذاك ومع هذا امر ان لا يخاطب فرعون الا بالملاطفة واللين كما قال يزيد الرقاشي عند هذه الآية يا من يتحبب الى من يعاديه فكيف بمن يتولاه ويناديه وقال وهب قولا له اني الى العفو والمغفرة اقرب مني الى الغضب والعقوبة وقال الحسن البصري اي اعذرا اليه وقولا له ان لك ربا ولك معادا وان بين يديك جنة ونارا وقال علي رضي الله عنه اي كنه وقال سفيان الثوري كنه بابي مرة والحاصل ان دعوتهما له تكون بكلام رقيق لين قريب سهل ليكون اوقع في النفوس وابلغ وانجع كما قال ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة الآية وقوله لعله يتذكر او يخشى اي لعله يرجع عما هو فيه من الضلال والهلكة او يخشى اي يوجد طاعة من خشية ربه فالتذكر الرجوع من المحذور والخشية تحصيل الطاعة ونقل عن زيد بن عمرو بن نفيل هاهنا شعرا وقيل هو لامية بن ابي الصلت

وانت الذي من فضل من ورحمة ∴ بعثت الى موسى رسولا مناديا
فقلت له يا اذهب وهرون فادعوا ∴ الى الله فرعون الذي كان باغيا
وقولا له آانت سويت هذه ∴ بلا وتد حتى استقلت كما هيا
وقولا له آانت رفعت هذه ∴ بلا عمد ارفق اذا بك بانيا
وقولا له آانت سويت وسطها ∴ منيرا اذا ما جنه الليل هاديا
وقولا له من يخرج الشمس بكرة ∴ فيصبح ما مست من الارض ضاحيا
وقولا له من ينبت الحب في الثرى ∴ فيصبح منه البقل يهتز رابيا
ويخرج منه حبة في رؤيبة ∴ ففي ذا الآيات لمن كان واعيا

قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك باية من ربك والسلام على من اتبع الهدى انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى قال فمن

اخبر تعالى عن موسى وهرون انهما قالا مستجيرين بالله شاكيين اليه انا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى يعنيان ان يبدر اليهما بعقوبة او يعتدي عليهما فيعاقبهما وهما لا يستحقان منه ذلك قيل معنى يفرط يعجل وقيل اي يبسط علينا او ان يطغى قال ابن عباس اي يعتدي قال لا تخافا اي قال لا تخافا منه انني اسمع كلامكما وكلامه واري مكانكما ومكانه لا يخفى علي من امركم شيء فانا معكما بحفظي ونصري وتاييدي قيل لما بعث الله موسى الى فرعون قال رب اي شيء اقول قال قل هيا شراهيا قال الاعمش فسر ذلك الحي قبل كل شيء والحي بعد كل شيء قال ابن عباس مكثا على بابه حينا لا يؤذن لهما ثم اذن لهما بعد حجاب شديد وذكر محمد بن اسحق ان موسى وهارون خرجا فوقفا بباب فرعون يلتمسان الاذن وهما يقولان انا رسول رب العالمين فآذنوا بنا هذا الرجل فمكثا سنتين يغدوان ويروحان لا يعلم بهما ولا يجترئ احد على ان يخبره بشانهما حتى دخل عليه بطال له يلاعبه ويضحكه فقال له ايها الملك ان على بابك رجلا يقول قولا عجيبا يزعم ان له الها غيرك ارسله اليك قال ببابي قال نعم قال ادخلوه فدخل ومعه اخوه هرون وفي يده عصاه فلما وقف على فرعون قال اني رسول الله رب العالمين فعرفه فرعون وذكر السدي انه لما قدم بلاد مصر ضاف امه واخاه وهما لا يعرفانه وكان طعامهم ليلتئذ الطفيل وهو اللفت ثم عرفاه وسلما عليه فقال له موسى يا هرون ان ربي قد امرني ان آتي فرعون فادعوه الى الله وامرك ان تعاونني قال افعل ما امرك ربك فذهبا وكان ذلك ليلا فضرب موسى باب القصر بعصاه فسمع فرعون فغضب فقال من يجترئ على هذا الصنيع فاخبره السدنة والبوابون ان هاهنا رجلا مجنونا يقول انه رسول الله فقال علي به فلما وقفا بين يديه قالا وقال لهما ما ذكر الله في كتابه وقوله قد جئناك باية اي بدلالة ومعجزة من ربك والسلام على من اتبع الهدى اي والسلام عليك ان اتبعت الهدى ولهذا لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل عظيم الروم كتابه كتب في مطلعه سلام على من اتبع الهدى وقوله انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى اي كذب بآيات الله وتولى عن طاعته كما قال تعالى فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى اي كذب بقلبه وتولى بفعله قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا

الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى

اخبر تعالى عن فرعون انه قال لموسى منكرا وجود الصانع الخالق اله كل شيء ومليكه من ربكما يا موسى اي ان لم اكن انا ربكما فمن ربكما الذي بعثك وارسلك فاني لا اعرفه وما علمت لكم من اله غيري قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى قال ابن عباس اي خلق لكل شيء زوجه وجعل الانسان انسانا والحمار حمارا والشاة شاة

خداوند ما آنست كه بر چيزى را آفرينش آن تمام بداد چنانكه در بايست بود
و سزاوار دست را گيرايى و پاى را روايى و زبان را گويايى و چشم را بينايى
و دل را دانايى يا آنكه بر چيزى را جفت و مانند هم بنظر وى هم جنس
وى هم صورت
ثم هدى يعني دله على معرفة وجوده

اي عمد اخبرنا الله فيما اوحاه
الينا من الوحي الصادق صح

خلقه اول مفعول لاعطى اي اعطى خليقته كل شيء
يحتاجون اليه ويرتفقون به او ثانيها اي
اعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة
المنوطة به كما اعطى العين الهيئة التي تطابق
الابصار والاذن الشكل الذي
يوافق الاستماع وكذلك الانف
والرجل واللسان كل واحد منها
مطابق لما علق به من المنفعة
غير ناب عنه

قيل ان يتامل حجته
انني معكما بالعون والنصرة
والدفع عنكما

موسى چون از فرعون بگريخت و وارد مدين بود [illegible]
شعيب كرد [illegible]
شعيب [illegible]
رسيد وحى [illegible]

اي سبق في قضائي وقدري ان اكلمك
واستنبئك في وقت بعينه قد وقته
حتى جئت على ذلك القدر غير
مستقدم ولا مستاخر

قوله منها خلقناكم [illegible]

وقال مجاهد اعطى كل شيء صورته وقال ابن مسعود اعطى كل ذي خلق ما يصلحه من خلقه وقال بعضهم هو كقوله تعالى الذي قدر فهدى اي قدر قدرا وهدى الخلائق اليه اي كتب الاعمال والاجال والارزاق ثم الخلائق ماشون على ذلك لا يعدلون عنه ولا يقدر احد على الخروج منه يقول ربنا الذي خلق الخلق وقدر القدر وجبل الخليقة على ما اراد قال فما بال القرون الاولى اصح الاقوال في معناه ان فرعون لما اخبره موسى ان ربنا الذي اعطى [illegible] خلق ورزق وقدر فهدى شرع يحتج بالقرون الاولى من الذين لم يعبدوا الله اي فما بالهم اذا [illegible] يعبدوه بل عبدوا غيره فقال له موسى مجيبا عنه وان لم يعبدوه فان علمهم عند الله مضبوط عليهم وسيجزيهم بعملهم وكتابه وهو اللوح المحفوظ وكتاب الاعمال لا يضل ربي ولا ينسى اي لا يشذ عنه شيء ولا يفوته صغير ولا كبير ولا ينسى شيئا يصف علمه تعالى بانه بكل شيء محيط وانه لا ينسى شيئا تبارك وتقدس فان علم المخلوقين يعتريه نقصان احدهما عدم الاحاطة بالشيء والاخر نسيانه بعد علمه فنزه تعالى نفسه عن ذلك الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لايات لاولي النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب وابى هذا من تمام كلام موسى حين ساله فرعون عنه اي الذي جعل لكم الارض قرارا تستقرون عليها وتقومون وتنامون بها تسافرون على ظهرها وسلك لكم فيها سبلا اي جعل لكم طرقا تمشون في مناكبها وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى اي من الوان النبات من زروع وثمار من حامض وحلو ومر وسائر الانواع كلوا وارعوا انعامكم اي شيء لطعامكم وفاكهتكم وشيء لانعامكم لاقواتها خضرا ويابسا ان في ذلك لايات اي لدلالات وحجج وبراهين لاولي النهى اي لذوي العقول السليمة المستقيمة على انه لا اله الا الله ولا رب سواه منها خلقناكم اي من الارض مبدؤكم فان اباكم ادم مخلوق من تراب من اديم الارض وفيها نعيدكم اي واليها تصيرون اذا متم وبليتم ومنها نخرجكم تارة اخرى يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا وهذه الاية كقوله قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون وفي السنن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حضر جنازة فلما دفن الميت اخذ قبضة من التراب فالقاها في القبر وقال منها خلقناكم ثم اخرى وقال فيها نعيدكم ثم اخرى وقال منها تارة اخرى وقوله ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب وابى يعني فرعون انه قامت عليه الحجج والبراهين وعاين ذلك وابصره فكذب بها واباها عنادا وكفرا وبغيا قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى اخبر تعالى عن فرعون انه قال لموسى حين اراه الاية الكبرى وهي القاء عصاه فصارت ثعبانا عظيما ونزع يده من تحت جناحه فخرجت بيضاء من غير سوء فقال هذا سحر جئت به لتسحرنا وتستولي به على الناس فيتبعونك وتكاثرنا بهم ولا يتم هذا معك فان عندنا سحرا مثل سحرك فلا يغرنك ما انت فيه فاجعل بيننا وبينك موعدا اي يوما نجتمع نحن وانت فيه فنعارض ما جئت به بما عندنا من السحر في زمان ومكان معين فعند ذلك قال لهم موسى موعدكم يوم الزينة وهو يوم عيدهم وتنزههم وتفرغهم من اعمالهم واجتماع جميعهم ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء ومعجزات الانبياء وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية ولهذا قال وان يحشر الناس ضحى يعني ضحوة من النهار ليكون اظهر واجلى وابين وهذا شان الانبياء كل امرهم بين واضح ليس فيه خفاء

[illegible]

ولهذا لم يقل ليلا ولكن نهارا ضحاء قال ابن عباس وكان يوم عاشوراء قال مجاهد وغير واحد مكانا سوى اي منصفا عدلا مستويا بين الناس وما فيه قال وهب بن منبه قال فرعون يا موسى اجعل بيننا وبينك موعدا اجلا ننظر فيه قال موسى لم اومر بهذا انما امرت بمناجزتك ان انت لم تخرج دخلت اليك فاوحى الله الى موسى اجعل بينك وبينه اجلا [illegible] فقال فرعون الى اربعين يوما ففعل فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى قالوا ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد افلح اليوم من استعلى اخبر تعالى عن فرعون انه لما تواعد هو وموسى الى وقت ومكان معلومين تولى اي شرع في جمع السحرة من مدائن مملكته وكان السحر فيهم كثيرا نافقا جدا ثم اجتمع الناس لميقات يوم معلوم وهو يوم الزينة وجلس فرعون على سرير مملكته واصطف له اكابر دولته ووقفت الرعايا يمنة ويسرة واقبل موسى عليه السلام متوكئا على عصاه ومعه اخوه هرون ووقف السحرة بين يدي فرعون صفوفا وهو يحرضهم ويحثهم ويرغبهم في اجادة عملهم في ذلك اليوم ويتمنون وهو يعدهم ويمنيهم فقال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا اي لا تخيلوا للناس باعمالكم ايجاد اشياء لا حقائق لها فتكونون قد كذبتم على الله فيسحتكم بعذاب اي يهلككم بعقوبة هلاكا لا بقية له وقد خاب من افترى فتنازعوا امرهم بينهم قيل معناه انهم تشاجروا فيما بينهم فقائل يقول ليس هذا بكلام ساحر انما هذا كلام نبي وقائل يقول بل هو ساحر وقيل غير ذلك والله اعلم وقوله واسروا النجوى اي تناجوا فيما بينهم قالوا ان هذان لساحران هذه لغة لبعض العرب جاءت هذه القراءة على اعرابها ومنهم من قرا ان هذين لساحران وهذه اللغة المشهورة والغرض ان السحرة قالوا فيما بينهم تعلمون ان هذا واخاه ساحران عالمان خبيران بصناعة السحر يريدان في هذا اليوم ان يغلباكم وقومكم ويستوليان على الناس ويتبعهما العامة ويقاتلا فرعون وجنوده فينصرا عليه ويخرجاكم من ارضكم وقوله ويذهبا بطريقتكم المثلى اي ويستبدا بهذه الطريقة وهي السحر فانهم كانوا معظمين بسببها لهم اموال وارزاق عليها وقيل اي يصرفا وجوه الناس اليهما قال [illegible] سادة وطريقتهم المثلى يومئذ بنو اسرائيل كانوا اكثر القوم عددا واموالا فقال عدو الله يريدان ان يذهبا بها لانفسهما وقوله فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا اي اجمعوا كلكم صفا واحدا والقوا ما في ايديكم مرة واحدة لتبهروا الابصار وتغلبوا هذا واخاه وقد افلح اليوم من استعلى اي منا ومنه اما نحن فقد وعدنا هذا الملك العطاء الجزيل واما هو فينال الرياسة العظيمة قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى فالقي السحرة سجدا قالوا امنا برب هرون وموسى اخبر تعالى عن السحرة حين تعارضوا مع موسى انهم قالوا لموسى اما ان تلقي اي انت اولا واما ان نكون اول من القى قال بل القوا اي انتم اولا لنرى ماذا تصنعون من السحر وليظهر للناس جلية امرهم فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وذلك انهم اودعوها من الزيبق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب وتميد بحيث يخيل للناظر انها تسعى باختيارها وانما كانت حيلة وكانوا جما غفيرا فالقى كل واحد منهم عصا وحبلا حتى صار الوادي ملآن حيات يركب بعضها بعضا وقوله فاوجس في نفسه خيفة موسى اي خاف

[illegible]

على الناس ان تثبتوا بسحرهم ويغتروا بهم قبل ان يلقي ما في يمينه فاوحى الله اليه تلك الساعة ان الق ما في يمينك يعني عصاه فالقاه فاذا هي تلقف ما صنعوا وذلك انها صارت تنينا عظيما ذا قوائم وعنق وراس واضراس فجعلت تتبلع تلك الحبال والعصي حتى لم تبق منها شيئا الا ابتلعته والسحرة والناس ينظرون الى ذلك عيانا جهرة نهارا ضحوة فقامت المعجزة واتضح البرهان ووقع الحق وبطل السحر ولهذا قال تعالى انما صنعوا كيد ساحر اي الذي صنعوا احتيال ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى من الارض قال ابن عباس لا يسعد حيث كان وعن جندب [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اخذتم يعني الساحر فاقتلوه ثم قرا ولا يفلح الساحر حيث اتى قال لا يؤمن حيث وجد رواه ابن ابي حاتم وقد روى الترمذي اصله موقوفا ومرفوعا فلما عاين السحرة وشاهدوه علموا علم يقين ان هذا الذي فعله موسى ليس من قبيل السحر والحيل وانه حق لا مرية فيه ولا يقدر على ذلك الا الله فعند ذلك وقعوا سجدا لله وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ولهذا قال ابن عباس وغيره كانوا اول النهار سحرة وفي آخر النهار شهداء بررة قيل كانوا ثمانين الفا وقيل سبعين الفا وقال السدي ستة وثلثين الفا وقيل ثمانية عشر الفا وقيل خمسة عشر الفا وقيل اثني عشر الفا وعن ابن عباس سبعين رجلا اصبحوا سحرة وامسوا شهداء قال الاوزاعي لما خر السحرة سجدا رفعت لهم الجنة حتى نظروا اليها قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحيوة الدنيا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى اخبر تعالى عن كفر فرعون وبغيه ومكابرته الحق بالباطل حين راى ما راى من المعجزة الباهرة وراى الذين استنصر بهم قد آمنوا بحضرة الناس وغلب كل الغلب شرع في المكابرة والبهت وعدل الى استعمال سلطانه في السحرة وهددهم وتوعدهم وقال آمنتم له اي صدقتموه قبل ان آذن لكم في ذلك وافتتم انه لكبيركم الذي علمكم السحر اي انتم انما اخذتم السحر من موسى واتفقتم واياه على لتغلبوا وتسلبوا ملكي ثم اخذ يتهددهم فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي لاجعلنكم مثلة ولاشهرنكم قال ابن عباس فكان اول من فعل ذلك وقوله ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى اي انتم تقولون اني وقومي على ضلالة وانتم مع موسى وقومه على الهدى فسوف تعلمون من يكون له العذاب ويبقى فيه فلما طال عليهم بذلك وتوعدهم هانت عليهم انفسهم في الله وقالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات اي لن نختارك على ما حصل لنا من الهدى واليقين والذي فطرنا يحتمل ان يكون قسما وان يكون معطوفا على البينات اي لا نختارك على خالقنا الذي انشانا من العدم المبتدي خلقنا من الطين فهو المستحق للعبادة لا انت فاقض ما انت قاض فافعل ما شئت انما تقضي اي انما لك تسلط في هذه الدار الفاني وانما نحن رغبنا في الدار الباقي انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا اي ما كان منا من الآثام خصوصا ما اكرهتنا عليه من السحر لتعارض به آية الله ومعجزة نبيه قال ابن عباس اخذ فرعون اربعين غلاما من بني اسرائيل فامرهم ان يتعلموا السحر اكراها كيلا يذهب اصله ولا يعلمهم احد من الناس فهم الذين قالوا وما اكرهتنا عليه من السحر وقوله والله خير وابقى اي خير لنا منك واجزل ثوابا مما كنت وعدتنا ومنيتنا وقال ابن عباس خير منك ثوابا ان اطيع وابقى عقابا منك ان عصي وهذا جواب لقوله ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى انه من يات ربه مجرما فان له جهنم لا يموت

انا آمنا بربنا

فيها ولا يحيى ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الانهار ~~فاولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الانهار~~ وذلك جزاء من تزكى الظاهر ان هذا من تمام كلام السحرة لفرعون يحذرونه من عذاب الله الدائم راغبين في ثوابه الابدي فقالوا انه من يات ربه مجرما اي يلقى الله يوم القيمة وهو مجرم فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى كقوله تعالى ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اهل النار الذين هم اهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن اناس تصيبهم النار بذنوبهم فتميتهم اماتة حتى اذا صاروا فحما اذن في الشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على انهار الجنة فيقال يا اهل الجنة افيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل فقال رجل من القوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالبادية رواه مسلم وقوله ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات اي ومن لقي ربه يوم المعاد مؤمن القلب قد صدق ضميره بقوله وعمله فاولئك لهم الدرجات العلى اي الجنة ذات الدرجات العاليات والغرف الآمنات عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض والفردوس اعلاها درجة ومنها تخرج الانهار الاربعة والعرش فوقها فاذا سالتم الله فاسئلوه الفردوس رواه احمد والترمذي وقوله جنات عدن اي اقامة وهي بدل من الدرجات العلى خالدين فيها اي ماكثين ابدا وذلك جزاء من تزكى اي طهر نفسه من الدنس والخبث والشرك وعبد الله وحده واتبع الحق ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم واضل فرعون قومه وما هدى اخبر تعالى انه امر موسى حين ابى فرعون ان يرسل معه بني اسرائيل ان يسري بهم بالليل ويذهب بهم من قبضة فرعون وقد بسط الله هذا المقام في غير هذه السورة وذلك ان موسى لما خرج ببني اسرائيل اصبحوا وليس منهم بمصر لاداع ولا مجيب فغضب فرعون غضبا شديدا وارسل في المدائن حاشرين اي من يجمعون له الجند من بلدانه يقول ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون ثم لما جمع جنده ساق في طلبهم واتبعوهم مشرقين اي عند طلوع الشمس فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين ووقف موسى ببني اسرائيل البحر امامهم وفرعون وراءهم فعند ذلك اوحى الله اليه ان اضرب لهم طريقا في البحر يبسا وضرب البحر بعصاه وقال انفلق علي باذن الله فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وارسل الله الريح على ارض البحر فلفحته حتى صار يابسا كوجه الارض ولهذا قال يبسا لا تخاف دركا اي لا تخف ان يدركك فرعون ولا تخشى يعني من البحر ان يغرق قومك ثم قال فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم اي فاصابهم من البحر ما غشيهم اي الذي هو معروف ومشهور كما قال فغشاها ما غشى وقال الشاعر انا ابو النجم وشعري شعري اي الذي عرفت وهو مشهور وكما تقدمهم فرعون فسلك بهم في اليم فاضلهم وما هداهم الى سبيل الرشاد كذلك يقدمهم يوم القيمة فاوردهم النار يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى يذكر الله نعمه العظام ومننه الجسام على بني اسرائيل حيث نجاهم من عدوهم فرعون واغرق فرعون وجنوده بنظرهم في ساعة واحدة بحيث لم ينج منهم احد وفي الصحيحين عن ابن عباس قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة

خالدين فيها

لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة ينتفع بها ٥

اي عبده وحده لا شريك له

اي الجراد

والمهود يصوم عاشوراء فسالهم فقالوا هذا اليوم الذي اظهر الله فيه موسى على فرعون فقال نحن اولى بموسى فصوموه
ثم انه تعالى واعد موسى وبني اسرائيل بعد هلاك فرعون الجانب الطور الايمن وهو الذي كلمه تعالى عليه وسال فيه الرؤية
واعطاه التورية هناك وفي غيبوبته عبد بنو اسرائيل العجل كما يجي قريبا وقد سبق الكلام على المن والسلوى في سورة
البقرة وغيرها فالمن حلوا كانت تنزل عليهم من السماء والسلوى طائر يسقط عليهم فياخذون منه [illegible] قدر الى الغد
لطفا من الله ورحمة بهم ولهذا قال كلوا من طيبات ما رزقناكم اي كلوا من هذا الر [illegible] م وه تطغوا اي رزقي
فتاخذوه من غير حله وتخالفوا ما امرتكم به فيحل عليكم غضبي اي غضب عليكم ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى قال
ابن عباس اي فقد شقي قال ان ما نع في جهنم قصرا يرمى الكافر من اعلاه فيهوى في جهنم اربعين خريفا قبل ان
يبلغ قعرها وذلك قوله فقد هوى وقوله واني لغفار لمن تاب وآمن اي كل من تاب الي تبت عليه من كل ذنب كان حتى
الشرك ومعنى تاب رجع عما كان فيه من كفر او شرك او نفاق او معصية وقوله وآمن اي قلبه وعمل صالحا اي بجوارحه
وقوله ثم اهتدى اي استقام على السنة والجماعة ولزم الاسلام حتى يموت من غير شك هكذا قالوه وما اعجلك عن قومك
يا موسى قال هم اولاء على اثري وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري
فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهد ام
اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدي قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا
اوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك القى السامري فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا
هذا الهكم واله موسى فنسي افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا لما اهلك الله
فرعون بالغرق وسار موسى ببني اسرائيل وواعده ربه ثلثين ليلة ثم اتمها له بعشر فتمت له اربعين ليلة اي يصومها ليلا
ونهارا اسارع موسى مبادرا الى الطور واستخلف على بني اسرائيل اخاه هرون ولهذا قال تعالى وما اعجلك عن قومك
يا موسى قال هم اولاء على اثري اي قادمون ينزلون قريبا من الطور وعجلت اليك رب لترضى اي لتزداد عني رضا
قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري اخبر تعالى نبيه موسى بما كان بعده من الحدث في بني اسرائيل و
عبادتهم العجل الذي عمله السامري وكان اسمه هرون ايضا وكتب تعالى له في هذه المدة الالواح المتضمنة للتورية كما قال و
كتبنا له في الالواح من كل شيء الاية وقوله فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا اي بعدما اخبره تعالى بذلك في غاية
الغضب والحزن عليهم مع ما كان فيه من الاعتناء بامرهم وقوله اسفا اي حزينا على ما صنع قومه من بعده من عبادة
العجل والاسف شدة الغضب قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا اي اما وعدكم على لساني كل خير في الدنيا والآخرة
وحسن العاقبة كما شاهدتم من نصرته اياكم على عدوكم واهلاكه اياه وغير ذلك من اياديه عندكم افطال عليكم العهد
اي في انتظار ما وعدكم الله ونسيان ما سلف من نعمه ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم ام ههنا بمعنى بل وهي للاضراب
عن الكلام الاول والعدول الى الثاني كانه يقول بل اردتم بصنيعكم هذا ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدي
قالوا اي بنو اسرائيل وجواب ما نبههم به موسى وقرعهم ما اخلفنا موعدك بملكنا اي بقدرتنا واختيارنا ثم شرعوا
يعتذرون اليه ~~العذر الباطل~~ بالعذر الواهي يخبرون عن تورعهم عما كان بايديهم من حلي القبط الذي كانوا قد استعاروه
منهم حين خرجوا من مصر فقذفناها اي القيناها عنا وذلك ان هرون عليه السلم هو الذي امرهم بالقاء الحلي في حفرة

بارسی آنست که ما خلاف نکردیم وعده
ترا بدست خویش و پادشاهی خویش
و این چنانست که گویند فلان کس کار
خویش بر ما و تباه است یعنی کار او نه
بدست اوست

فيها نار ثم جاء السامري اليها فالقى عليها تلك القبضة التي اخذها من اثر الرسول وسال هرون ان يدعو الله ان يستجيب
له في دعوة فدعا له هرون وهو لا يعلم ما يريد فاجيب له فقال السامري عند ذلك اسال الله ان يكون عجلا له خوار اي صوت
استدراجا ومحنة واختبارا لهم ولهذا قال فكذلك القى السامري قال ابن عباس ثم ان هرون مر بالسامري وهو ينحت
العجل فقا [illegible] الصنم ما يضر ولا ينفع فقال هرون اللهم اعطه ما سال على ما في نفسه ومضى هرون وقال السامري
اللهم اني اسالك ان [illegible] فكان اذا خار سجدوا له واذا خار رفعوا رؤسهم رواه ابن ابي حاتم فقالوا اي الضلال
الذين افتتنوا بالعجل وعبدوه هذا الهكم واله موسى فنسي اي ونسيه ههنا وذهب يطلبه وقيل اي فنسي ان يذكر لكم
ان هذا الهكم فعكفوا عليه واحبوه حبا لم يحبوا شيئا قط مثله قال الله فنسي اي ترك ما كان عليه من الاسلام يعني السامري
قال تعالى ردا عليهم وتقريعا لهم وبيانا لفضيحتهم وضلالهم فيما ذهبوا اليه افلا يرون الا يرجع اليهم قولا اي افلا يرون
العجل انه لا يجيبهم اذا سالوه ولا اذا خاطبوه ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا اي لا في دنياهم ولا في اخراهم قال ابن عباس لا
والله ما كان خواره الا ان يدخل الريح في دبره فيخرج من فمه فيسمع له صوت والمراد بالاوزار حلي آل فرعون سموا اوزارا
لانهم اخذوها على وجه العارية فلم يردوها وحاصل ما اعتذر به هؤلاء الجهلة انهم تورعوا عن زينة القبط فالقوها عنهم
وعبدوا العجل فتورعوا عن الحقير وفعلوا الامر الكبير ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم
الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى اخبر تعالى عن نهي هرون لهم
عن عبادة العجل واخباره اياهم انما هذا فتنة لكم وان ربكم الرحمن الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا فاتبعوني فيما امرتكم به
واطيعوا امري واتركوا ما انهيكم قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى اي لا نترك عبادته حتى نسمع كلام موسى فيه
وخالفوا هرون في ذلك وحاربوه حتى كادوا ان يقتلوه قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعن
افعصيت امري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اني
خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي اخبر تعالى عن موسى حين رجع الى قومه فراى ما قد حدث
فيهم من الامر العظيم فامتلا عند ذلك غيظا والقى ما كان في يده من الالواح الالهية واخذ براس اخيه يجره اليه وقد
سبق بسط ذلك في سورة الاعراف وطفق يلوم اخاه هرون فقال ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعن اي فتخبرني بهذا
الامر اول ما وقع افعصيت امري اي فيما كنت تقدمت اليك وهو قوله اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين
قال يا ابن ام ترفق له بذكر الام مع انه شقيقه لابويه لان ذكر الام ههنا ارق وابلغ في الحنو والعطف ثم اعتذر بقوله
اني خشيت الى آخره في سبب تاخره عنه حيث لم يلحقه فيخبره بما كان من هذا الخطب العظيم اني خشيت ان اتبعك فاخبرك
بهذا فتقول لم تركتهم وحدهم وفرقت بينهم ولم ترقب قولي اي وما راعيت ما امرتك به حيث استخلفتك فيهم قال ابن
عباس وكان هرون هائبا له مطيعا قال فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر
الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس وان لك
موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم
الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما اي قال موسى للسامري ما حملك على ما صنعت وما الذي عرض لك حتى فعلت
ما فعلت قال ابن عباس كان السامري رجلا من اهل باجرما وكان من قوم يعبدون البقر وكان قد اظهر الاسلام

مع بني اسرائيل وكان في نفسه من عبادة العجل وقيل انه من كرمان وقال قتادة كان من قرية اسمها سامرة قال بصرت بما لم يبصروا به اي رايت جبريل حين جاء لهلاك فرعون فقبضت قبضة من اثر فرسه من تحت حافره هذا هو المشهور عند الاكثرين والقبضة ملا الكف وقوله فنبذتها اي القيت ما كان في يدي من تلك القبضة على حلية بني اسرائيل فانسبك عجلا جسدا له خوار وقوله وكذلك سولت لي نفسي اي حسنته واعجبته اذ ذاك قال فاذهب اي كما اخذت ومسست ما لم يكن لك اخذه ومسه من اثر الرسول فعقوبتك في الدنيا ان تقول لا مساس اي لا تماس الناس ولا يمسونك وان لك موعدا اي يوم القيمة لن تخلفه اي لا تجاوزه ولن تغيب عنه وقوله وانظر الى الهك اي معبودك الذي ظلت عليه عاكفا اي اقمت على عبادته يعني العجل لنحرقنه قال قتاده استحال العجل من الذهب لحما فحرقه بالنار ثم القى رماده في البحر ولهذا قال ثم لننسفنه في اليم اي لنذرينه في البحر وقال علي رضي الله عنه ان موسى عمد الى العجل فوضع عليه المبارد فبرده بها وهو على شط نهر فلم يشرب احد من ذلك الماء ممن كان يعبد العجل الا اصفر وجهه مثل الذهب فقالوا لموسى ما توبتنا قال يقتل بعضكم بعضا كما سبق في سورة البقرة وقوله انما الهكم الله الذي لا اله الا هو اي قال لهم موسى ليس هذا الهكم انما الهكم الذي لا اله الا هو اي لا يستحق ذلك على العباد الا هو ولا ينبغي العبادة الا له فان كل شي فقير اليه وعبد له وقوله وسع كل شي علما نصب على التمييز اي هو عالم بكل شي ويحيط بكل شي علما واحصى كل شي عددا كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق وقد اتيناك من لدنا ذكرا من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيمة حملا قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم كما قصصنا عليك خبر موسى وما جرى له مع فرعون وجنوده على الجلية والامر الواقع كذلك نقص عليك الاخبار الماضية كما وقعت من غير زيادة ولا نقصان هذا وقد اتيناك من لدنا اي عندنا ذكرا وهو القران العظيم الذي لم يعط نبي من الانبياء كتابا مثله ولا اكمل منه ولهذا قال تعالى من اعرض عنه اي كذب به واعرض عن اتباعه امرا وطلبا وابتغى الهدى في غيره فان الله يضله ويهديه الى سواء الجحيم ولهذا قال فانه يحمل يوم القيمة وزرا اي اثما وهذا عام في كل من بلغه القران من الاسود والاحمر كما قال لانذركم به ومن بلغ وكل من بلغه القران فهو نذير له وداع فمن اتبعه هدى ومن خالفه واعرض عنه ضل وشقي في الدنيا والنار موعده يوم القيمة وساء لهم يوم القيمة اي وبئس الحمل حملهم خلودهم ودوامهم في ذلك يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الصور فقال قرن ينفخ فيه وقد جاء في حديث ابي هريرة انه قرن عظيم الدارة منه بقدر السموات والارض ينفخ فيه اسرافيل وفي الحديث كيف انعم وصاحب الصور قد التقمه واصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ قالوا يا رسول الله وما نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل رواه الترمذي وقوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا قيل معناه زرق العيون من شدة ما هم فيه من الاهوال يتخافتون بينهم قال ابن عباس يتسارون بينهم اي يقول بعضهم لبعض ان لبثتم الا عشرا اي في الدار الدنيا لقد كان لبثكم فيها قليلا عشرة ايام او نحوها قال تعالى نحن اعلم بما يقولون اي في حال تناجيهم بينهم اذ يقول امثلهم طريقة اي العاقل الكامل فيهم ان لبثتم الا يوما اي لقصر مدة الدنيا في انفسهم يوم المعاد لان الدنيا كلها وان تكررت اوقاتها وتعاقبت لياليها وايامها وساعاتها كانها يوم واحد ولهذا يستقصر الكافرون مدة الحيوة الدنيا يوم القيمة وغرضهم في ذلك دفع قيام الحجة

عليهم لقصر المدة ولهذا قال تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة الاية ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا اي ويسئلونك عن حال الجبال هل تبقى يوم ال[illegible] فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا اي بسطا واحدا والقاع هو المستوي من الارض والصفصف [illegible] لا نبات فيه ولهذا قال لا ترى فيها عوجا اي لا ترى في الارض يومئذ واديا ولا رابية ولا مكانا منخفضا ولا مرتفعا والامت ما ارتفع من الروابي يومئذ يتبعون الداعي اي يوم يرون هذه الاهوال يستجيبون مسرعين الى الداعي حيث ما امروا بادروا اليه ولو كان هذا في الدنيا لكان انفع ولكن حيث لا ينفعهم قال ابن كعب القرظي يحشر الله الناس يوم القيمة في ظلمة ويطوي السماء وتتناثر النجوم ويذهب الشمس والقمر وينادي مناد فيتبع الناس الصوت يؤمونه فذلك قوله يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له اي لا يميلون عنه وقوله وخشعت الاصوات للرحمن اي سكنت فلا تسمع الا وطء الاقدام وقيل الصوت الخفي والمراد مشي الناس الى المحشر وهو مشيهم في سكون وخضوع يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما اي يوم القيمة لا تنفع الشفاعة لاحد الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا كقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وغيره من الايات البينات وفي الصحيحين من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد ولد ادم واكرم الخلائق على الله انه قال اتي تحت العرش فاخر ساجدا ويفتح علي بمحامد لا احصيها الان فيدعني ما شاء الله ان يدعني ثم يقول يا محمد ارفع راسك وقل تسمع واشفع تشفع قال فيحد لي حدا فادخلهم الجنة ثم اعود فذكر اربع مرات وفي الحديث ايضا يقول الله اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول اخرجوا من النار من كان في قلبه نصف مثقال ذرة من ايمان اخرجوا من النار من كان في قلبه ما يزن ذرة من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى مثقال ذرة من ايمان الحديث وقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي يحيط علما بالخلائق كلهم ولا يحيطون به علما كقوله ولا يحيطون بشي من علمه الا بما شاء وقوله وعنت الوجوه للحي القيوم قال ابن عباس وغير واحد خضعت وذلت واستسلمت الخلائق للحي الذي لا يموت القيوم الذي لا ينام وهو قيم على كل شي يدبره ويحفظه وهو الكامل في نفسه الذي كل شي فقير اليه لا قوام له الا به وقوله وقد خاب من حمل ظلما اي يوم القيمة فان الله سيؤدي كل حق الى صاحبه حتى يقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء وقوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما لما ذكر الظالمين ووعيدهم ثنى بالمتقين وحكمهم وهو انهم لا يظلمون ولا يهضمون اي لا يزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم قاله ابن عباس وغير واحد والظلم الزيادة بان يحمل عليه ذنب غيره والهضم النقص وكذلك انزلناه قرانا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما اي ولما كان يوم المعاد والجزاء واقعا لا محالة انزلنا القران بشيرا ونذيرا بلسان عربي مبين فصيح لا لبس فيه ولا عي وصرفنا فيه من الوعيد اي وصرفنا القول فيه بذكر الوعيد لعلهم يتقون اي لكي يتركوا الماثم والمحارم والفواحش ويشتغلوا بالطاعة والعبادة او يحدث لهم ذكرا اي يحدث لهم القران عبرة وعظة يعتبروا ويتعظوا

اى انك لا تمس احدا ولا يمسك احد فحرمك
ولا يكون بينك وبين الناس مماسة فامر موسى بني اسرائيل
ان لا يواكلوه ولا يؤوه ولا ياتيه [illegible]
وقيل لا مساس يعني انك تعيش في البرية مع
السباع والوحوش فلا تمس الا [illegible] وقيل
ما مس احدا او لا مسه احد الا حم جميعا
واراد ان يمسه [illegible]
لا مساس خوفا من الحمى وتجنبها للغير وكان
ذلك باقيا في عقبه الى اليوم وقيل اراد موسى
ان يقتله فمنعه الله من قتله وقال لا تقتله
فانه سخي

الكاف في كذلك منصوب المحل اي مثل ذلك
الاقتصاص وذكرنا قصصنا عليك قصة موسى
وفرعون نقص عليك من سائر اخبار الامم و
قصصهم واحوالهم تكثيرا لبيناتك وزيادة
في معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر
في دينه بصيرة وتتاكد الحجة على من عاند وكابر
وان هذا الذكر الذي اتيناك يعني القران مشتملا
على هذه الاخبار والاقاصيص الحقيقة
بالتفكر والاعتبار لذكر عظيم وقران كريم
فيه النجاة والسعادة لمن اقبل عليه ومن
اعرض عنه فقد هلك وشقي

خلاف است ميان علما بعضي گفته اند كه صور [illegible]
است كه صور جمع صورة است ومعنى نفخ صور آنست كه
[illegible]
[illegible]
[illegible] اسرافيل عليه السلام
[illegible]
[illegible] نفخه اول نفخه فزع [illegible]
[illegible] من في السموات ومن في الارض
[illegible] فصعق من في السموات ومن
في الارض [illegible] ثم نفخ فيه اخرى
فاذا هم قيام ينظرون

[illegible]

فتعالى الله الملك الحق اي تنزه وتقدس الملك الحق الذي هو حق ووعده حق ووعيده حق وكل شي منه حق وعدل تعالى
ان يعذب احدا قبل الانذار وبعثه الرسل والاعذار الى خلقه لئلا يبقى لاحد حجة ولا شبهة وقوله ولا تعجل بالقرآن من
قبل ان يقضى اليك وحيه هو كقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه الاية وثبت في الصحيح عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك لسانه فانزل الله هذه الاية يعني انه عليه الصلوة
والسلم كان اذا جاء جبريل بالقرآن يبادر لبقراءته قبل ان يفرغ جبريل منه مخافة النسيان فنهاه الله عن ذلك وارشده
الى ما هو الاسهل والاخف في حقه لئلا يشق عليه فقال لا تحرك به لسانك لتعجل به وقال ههنا ولا تعجل بالقرآن من قبل
ان يقضى اليك وحيه اي انصت فاذا فرغ الملك من قراءته عليك فاقرأه بعده وقل رب زدني علما اي زدني منك علما
بالقرآن ومعانيه عن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني
علما والحمد لله على كل حال رواه الترمذي ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما واذ قلنا للملئكة اسجدوا
لادم فسجدوا الا ابليس ابى فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى
ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا ادم هل
ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من
ورق الجنة فعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال ابن عباس انما سمي الانسان انسانا
لانه عهد اليه فنسي وترك وقوله ولم نجد له عزما قال العوفي اي حفظا لما امره والعزم توطين النفس على الفعل وقوله
واذ قلنا للملئكة اسجدوا لادم يذكر الله تعالى تشريف ادم وتكريمه وما فضله به على كثير ممن خلق تفضيلا وقد سبق هذه القصه
في سورة البقرة والاعراف والحجر والكهف وسيأتي في اخر ص ذكر تعالى خلق ادم وامره الملئكة بالسجود له تشريفا وتكريما
وبين عداوة ابليس لادم ولاولاده قديما ولهذا قال فسجدوا الا ابليس ابى اي امتنع واستكبر فقلنا يا ادم ان هذا عدو
لك ولزوجك يعني حواء فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى اي اياك ان تسعى في اخراجك منها فتتعب وتعنى وتشقى
في طلب رزقك فانك ههنا في عيش هني بلا كلفة ولا مشقة ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى انما قرن بين الجوع
والعري لان الجوع ذل الباطن والعري ذل الظاهر وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى وهذان ايضا متقابلان فالظمأ حر
الباطن وهو العطش والضحى حر الظاهر وقوله فوسوس اليه الشيطان قد تقدم انه دلاهما بغرور وقاسمهما اني لكما
لمن الناصحين وان الله تعالى عهد الى ادم وزوجته ان ياكلا من كل الثمار ولا يقربا هذه الشجرة المعينة في الجنة فلم يزل
بهما ابليس حتى اكلا منها وكانت شجرة الخلد يعني من اكل منها خلد ودام مكثه وقوله فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما
اي تسقط عنهما لباسهما فظهر عورتهما وقوله وطفقا يخصفان اي يرقعان عليهما كهيئة الثوب وقيل يجعلان ورق
التين على سوآتهما وقوله وعصى ادم ربه فغوى اي باكل الشجرة فغوى اي اخطا طريق الحق وضل حيث طلب الخلد بالمعصية
قال وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احتج ادم موسى عند ربهما فحج ادم موسى قال موسى
انت ادم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته واسكنك في جنته ثم اهبطت الناس بخطيئتك
الى الارض قال ادم انت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه واعطاك الالواح فيها تبيان كل شي وقربك نجيا
بكم وجدت الله كتب التورية قبل ان اخلق قال موسى باربعين عاما قال ادم فهل وجدت فيها وعصى ادم ربه فغوى قال نعم

[illegible]

قال

قال افتلومني على ان عملت عملا كتب الله علي ان اعمله قبل ان يخلقني باربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فحج ادم موسى وقوله ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى اي ثم اختاره واصطفاه وعفى عنه وهداه الى التوبة فتاب عليه
قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا
[illegible] اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم
حشرتني [illegible] بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى قال تعالى
لادم وحواء اهبطا منها اي من الجنة جميعا اي مع ابليس وقد سبق بسط ذلك في سورة البقرة بعضكم لبعض عدو اي ادم
وذريته وابليس وذريته وقوله فاما ياتينكم مني هدى وهم الانبياء واتباعهم والهدى الكتاب والسنة فمن اتبع هداي
اي الكتاب والرسول فلا يضل اي في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ومن اعرض عن ذكري اي خالف امري وما انزلته على رسولي
وتناساه واخذ هداه من غيره فان له معيشة ضنكا اي ضيقا في الدنيا فلا طمانينة له ولا انشراح لصدره بل صدره
ضيق حرج لضلاله وان تنعم ظاهره فان قلبه ما لم يخلص الى اليقين والهدى فهو في حيرة وشك فلا يزال في ريبه
يتردد فهذا من ضنك المعيشة وقال ابن عباس يعني كلما اعطيته عبدا من عبادي قل او كثر لا يتقيني فيه فلا خير
فيه وهو الضنك في المعيشة وقال ايضا ان قوما ضلالا اعرضوا عن الحق وكانوا في سعة من الدنيا متكبرين فكانت
معيشتهم ضنكا وذلك انهم يرون ان الله ليس مخلفا عليهم فاشتدت عليهم معايشهم من سوء ظنهم بالله وقال
الضحاك هو العمل السيء والرزق الخبيث وقيل يضيق عليه قبره حتى تختلف عليه اضلاعه فيه قاله ابو سعيد الخدري
وفي الحديث المرفوع انه عذاب القبر وقوله ونحشره يوم القيمة اعمى قال مجاهد وغيره اي لا حجة له وقال عكرمة عمي عليه
كل شي الا جهنم يعني يحشر الى النار اعمى البصر والبصيرة ولهذا يقول رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا اي في الدنيا
قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها اي لما اعرضت عن ايات الله وعاملتها معاملة من لم يذكرها بعد بلاغها اليك تناسيتها
واعرضت عنها كذلك نعاملك اليوم معاملة من ينساك فان الجزاء من جنس العمل واما نسيان لفظ القرآن مع فهم معناه
والعمل بمقتضاه فليس داخلا في هذا الوعيد الخاص وان كان متوعدا عليه من جهة اخرى فانه قد وردت السنة بالنهي
والوعيد في ذلك عن سعد بن عبادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يقرأ القرآن فنسيه الا لقي الله
يوم القيمة وهو اجذم رواه احمد وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بايات ربه ولعذاب الاخرة اشد وابقى
اي هكذا نجازي المسرفين المكذبين بايات الله في الدنيا والاخرة لهم عذاب في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اشق وما لهم
من الله من واق ولهذا قال ولعذاب الاخرة اشد وابقى اي اشد الما من عذاب الدنيا وادوم فهم مخلدون فيه ولهذا
قال عليه الصلوة والسلم للمتلاعنين ان عذاب الدنيا اهون من عذاب الاخرة افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من
القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات لاولي النهى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما
واجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن اناء الليل فسبح واطراف
النهار لعلك ترضى اي افلم يهد لهؤلاء المكذبين بما جئتهم به يا محمد كم اهلكنا من الامم المكذبين بالرسل قبلهم فبادوا
فليس لهم باقية ولا عين ولا اثر كما تشاهدون ذلك من ديارهم الخالية التي هم فيها يمشون ويترددون في مساكنهم ان في ذلك
لايات لاولي النهى اي ذوي العقول الصحيحة كما قال تعالى افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها الاية

[illegible]

[illegible]

قال تعالى ولولا كلمة سبقت اي لولا الكلمة السابقة من الله وهو انه لا يعذب احدا الا بعد قيام الحجة عليه والاجل المسمى الذي ضربه تعالى لهؤلاء المشركين المكذبين الى مدة معينة لجاءهم العذاب بغتة وكان لازما لهم في الدنيا كالزم القرون الماضيه ولهذا قال لنبيه مسليا له فاصبر على ما يقولون اي من تكذيبهم لك وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس يعني صلوة الفجر وقبل غروبها يعني صلوة العصر كما في الصحيحين عن جرير بن عبد الله قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلوة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا هذه الايه وقال عليه الصلوة والسلم لن يلج النار احد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها رواه مسلم وقوله ومن اناء الليل اي ومن ساعاتها فسبحه اي فتهجد به وحمله بعضهم على المغرب والعشاء واطراف النهار في مقابلة اناء الليل لعلك ترضى اي تعطى ثوابه او بالشفاعة وقرئ بالضم اي ترضى ثوابه في المعاد كما قال تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وفي الصحيحين عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقول لاهل الجنه يا اهل الجنه فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى يا رب وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون يا رب واي شي افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدا ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى اي لا تنظر يا محمد الى هؤلاء المترفون واشباههم فيه من النعيم فانما هو زهرة زائلة ونعمة حائلة لنختبرهم بذلك وقال مجاهد ازواجا منهم يعني الاغنياء فقد اتاك خيرا مما اتاهم كما قال في ايه اخرى ولقد اتيناك سبعا من المثاني الايه والزهرة الزينة والبهجة ورزق ربك اي الجنة خير وابقى كان عليه الصلوة والسلم ازهد الناس في الدنيا مع القدرة عليها اذا حصلت ينفقها وعباد الله من غير ان يدخر لنفسه شيا لغد وقوله وامر اهلك بالصلوة اي انقذهم من عذاب الله باقامة الصلوة واصطبر انت على فعلها كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا الايه وقوله لا نسئلك رزقا اي لا نكلفك ان ترزق احدا من خلقنا نحن نرزقك اي اذا اقمت الصلوة اتاك الرزق من حيث لا تحتسب وكان النبي اذا اصابه خصاصة نادى اهله يا اهلاه صلوا صلوا رواه ابن ابي حاتم وعن ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله يا ابن ادم تفرغ لعبادتي املا صدرك غنى واسد فقرك وان لم تفعل ملات صدرك شغلا ولم اسد فقرك رواه الترمذي وابن ماجه وقوله والعاقبة للتقوى اي حسن العاقبه في الدنيا والاخره وهي الجنه لمن اتقى وقالوا لولا يأتينا باية من ربه اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى ولو انا اهلكناهم من قبله لقالوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى اخبر تعالى عن الكفار في قولهم لولا اي هلا ياتينا محمد باية من ربه اي بعلامة دالة على صدق دعواه قال تعالى اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى يعني القران العظيم الذي انزله الله عليه وهو امي لا يحسن الكتابة ولم يدارس اهل الكتاب وقد جاء فيه اخبار الاولين بما كان منهم في سالف الدهور بما يوافقه عليه الكتب المتقدمة الصحيحة منها فان القران مهيمن عليها يصدق الصحيح ويبين خطا المكذوب فيها وعليها وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه

ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك ومد النظر تطويله وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا ان يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم حتى واجههم اولوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ولقد شدد العلماء من اهل التقوى في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم [illegible] كشاف

[illegible]

قال ما من نبي الا وقد اوتي من الايات ما امن على مثله البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي وارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة ثم قال تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله اي لو انا اهلكنا هؤلاء المكذبين قبل ان نرسل اليهم هذا الرسول الكريم وننزل عليهم هذا الكتاب العظيم لكانوا قالوا لولا ارسلت الينا رسولا قبل ان تهلكنا فنتبعه كما قال فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى بين تعالى ان هؤلاء المكذبين متعنتون معاندون لا يؤمنون ولو جا[illegible] يروا العذاب الاليم كما قال واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير الايه وغيرها من الايات ثم قال تعالى قل اي يا محمد لمن كذبك وخالفك واستمر على كفره وعناده كل متربص اي منا ومنكم فتربصوا اي فانتظروا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي اي الطريق المستقيم ومن اهتدى الى الحق وسبيل الرشاد

تفسير سورة الانبياء عليهم السلام وهي مكية عن ابن مسعود قال بنو اسرائيل والكهف ومريم وطه والانبياء هن من العتاق الاول وهن من تلادي رواه البخاري اي من السور التي نزلت اولا بمكة وهن اول ما اخذته وتعلمته بها

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون قال ربي يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم بل قالوا اضغاث احلام بل افتريه بل هو شاعر فلياتنا باية كما ارسل الاولون ما امنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يؤمنون هذا تنبيه من الله تعالى الناس على اقتراب الساعة ودنوها وانهم في غفلة منها اي لا يتنبهون لها ولا يستعدون لاجلها وهم في غفلة معرضون اي في الدنيا وقد انشد ابو العتاهية حيث قال الناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحن وقد اخذ هذا من هذه الايه ثم اخبر تعالى انهم لا يصغون الى الوحي المنزل والخطاب مع قريش ومن شابههم من الكفار فقال ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث اي جديد انزاله الا استمعوه يعني ما يحدث الله من تنزيل شي من القران يذكرهم ويعظهم به الا استمعوه لا عين لا يعتبرون ولا يتعظون لاهية اي ساهية وغافلة قلوبهم معرضة عن ذكر الله وهذا في الاعراب كقوله خشعا ابصارهم وقوله واسروا النجوى الذين ظلموا اي قائلين فيما بينهم خفية هل هذا الا بشر مثلكم يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم يستبعدون كونه نبيا لانه بشر مثلهم فكيف اختص بالوحي دونهم ولهذا قال افتاتون السحر اي افتتبعونه فتكونون كمن اتى السحر وهو يعلم انه سحر فقال تعالى مجيبا لهم قال ربي يعلم القول في السماء والارض اي الذي يعلم ذلك لا يخفى عليه خافية وهو الذي انزل القران الذي لا يستطيع احد ان ياتي بمثله الا الذي يعلم السر في السموات والارض وقوله بل قالوا اضغاث احلام بل افتريه هذا اخبار عن تعنت الكفار والحادهم واختلافهم فيما يصفون به القران وحيرتهم فيه وضلالهم عنه فتارة يجعلونه سحرا وتارة يجعلونه شعرا وتارة يجعلونه اضغاث احلام وتارة يجعلونه مفترى وقوله فلياتنا باية كما ارسل الاولون يعنون كناقة صالح وايات موسى وعيسى وقد قال تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون الايه ولهذا قال تعالى ما امنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يؤمنون اي ما اتينا قرية من القرى التي بعث فيهم الرسل اية على يدي نبيها فامنوا بها بل كذبوا فاهلكناهم بذلك افهؤلاء يؤمنون بالايات لو راوها دون اولئك كلا بل ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون هذا كله وقد شاهدوا من الايات الباهرات والدلائل البينات على يدي رسول الله

[illegible]

صلى الله عليه وسلم مما هو اظهر واجلى واقطع مما شوهد مع غيره من الانبياء عليهم السلم وما ارسلنا قبلك الا
رجالا نوحي اليهم فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام و
ما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين هذا رد على من انكر بعثة
الرسل من البشر اي جميع الرسل الذين تقدموا كانوا رجالا من البشر لم يكن فيهم احد من الملئكة كما قال في اية اخرى وما ارسلنا من
قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى ولهذا قال فاسئلوا اهل الذكر اي اهل العلم من الامم كاليهود والنصارى وسائر الطوائف
هل كان الرسل الذين اتوهم بشرا او ملئكة انما كانوا بشرا وذلك من تمام نعمة الله على خلقه اذ بعث فيهم رسلا منهم يتمكنون
من تناول البلاغ منهم والاخذ عنهم وقوله وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام اي بل قد كانوا بشرا من البشر ياكلون ويشربون
مثل الناس وليس بضائر لهم ولا نافي منهم كما توهمه المشركون في قولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وقوله و
ما كانوا خالدين اي في الدنيا بل كانوا يعيشون ثم يموتون وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وخاصتهم انهم يوحى اليهم تنزل
الملئكة من عند الله عليهم بما يحكم به في خلقه وقوله ثم صدقناهم الوعد اي الذي وعدهم ربهم ليهلكن الظالمين صدقهم الله وعده
ففعل ذلك ولهذا قال فانجيناهم ومن نشاء اي اتباعهم المؤمنين واهلكنا المسرفين اي المكذبين بما جاءت به الرسل ولقد
انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشانا بعدها قوما اخرين
فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون
قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعويهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين قال تعالى منبها
على شرف القرآن ومحرضا لهم على معرفة قدره لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم اي دينكم وشرفكم افلا تعقلون اي هذه النعمة
وتتلقونها بالقبول كما قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك الاية وقوله وكم قصمنا من قرية اي اهلكنا اهلها والقصم الكسر
وهذه صيغة تكثير كما قال وكم اهلكنا من القرون وغيره من الايات وقوله وانشانا بعدها قوما اخرين اي وانشانا امة بعد امة
اخرى بعدهم فلما احسوا باسنا اي تيقنوا ان العذاب واقع بهم كما وعدهم نبيهم اذا هم منها يركضون اي يفرون هاربين
لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم هذا تهكم بهم قدرا اي قيل لهم قدرا لا تركضوا هاربين من نزول العذاب و
ارجعوا الى ما كنتم فيه من النعمة والسرور والعيشة والمساكن الطيبة قال قتادة استهزاء بهم لعلكم تسئلون اي عما كنتم
فيه من اداء شكر النعم قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين اعترفوا بذنوبهم حين لا ينفعهم ذلك فما زالت تلك دعويهم حتى جعلناهم
حصيدا خامدين اي فما زالت تلك المقالة وهي الاعتراف بالظلم هجيراهم حتى حصدناهم كما يحصد الزرع وخمدت حركاتهم
واصواتهم خمودا وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من
لدنا ان كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون و
له من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل
والنهار لا يفترون اخبر تعالى انه خلق السموات والارض بالحق اي بالعدل والقسط ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي
الذين احسنوا بالحسنى وانه لم يخلق ذلك عبثا ولا لعبا وقوله لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا اي من عندنا قال مجاهد
اي وما خلقنا جنة ولا نارا ولا موتا ولا بعثا ولا حسابا واللهو المراة بلسان اهل اليمن قاله الحسن وغيره وقال
النخعي اي لاتخذناه من الحور العين وقال السدي وغيره المراد باللهو هنا الولد وهو كقوله تعالى لو اراد الله ان يتخذ

ولدا

اي وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من اصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب كما يسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب وانما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح افتكار واعتبار وتسببا لما تنتظم به امور العباد في المعاش والمعاد [illegible] لا يحصل الكمال ولا [illegible] الزوال

من لدنا من جهة قدرتنا او مما عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزيينها وتسوية الفرش وتزيينها

ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء الاية وقوله ان كنا فاعلين قالوا اي ما كنا فاعلين قال مجاهد كل شيء في القران ان فهو انكار
وقوله بل نقذف بالحق على الباطل اي نبين الحق فيدحض الباطل قيل اي نسلط الايمان على الكفر ولهذا قال فيدمغه اي
فيهلكه واصل الدمغ شج الراس حتى يبلغ الدماغ فاذا هو زاهق اي ذاهب مضمحل ولكم الويل اي ايها القائلون لله ولد مما
تصفون اي تقولون وتفترون ثم اخبر تعالى عن عبودية الملئكة له ودوامهم على طاعته ليلا ونهارا فقال وله من في
السموات والارض ومن عنده يعني الملئكة لا يستكبرون عن عبادته اي لا يستنكفون عنها وقوله ولا يستحسرون اي لا
يتعبون ولا يملون يسبحون الليل والنهار لا يفترون فهم دائبون على العمل ليلا ونهارا اسرا وجهارا كما قال لا يعصون الله
ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وعن حكيم بن حزام قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه اذ قال لهم هل تسمعون ما
اسمع قالوا ما نسمع من شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاسمع اطيط السماء وما تلام ان تئط وما فيها موضع شبر
الا وعليه ملك ساجد او قائم رواه ابن ابي حاتم قال كعب الاحبار التسبيح لهم كالنفس لبني ادم ام اتخذوا الهة من
الارض هم ينشرون لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسئل
عما يفعل وهم يسئلون انكر تعالى على من اتخذ من دونه الهة فقال بل اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون اي هم يحيون
الموتى وينشرونهم من الارض اي لا يقدرون على شيء من ذلك فكيف جعلوها لله ندا وعبدوها معه ثم اخبر انه لو كان
في الوجود الهة غيره لفسدت الارض والسموات فقال لو كان فيهما اي في السماء والارض الهة غير الله لفسدتا كقوله ما
اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله الاية وقوله عما يصفون اي عما يقولون ان له ولدا او شريكا تعالى وتقدس عن
الذي يفترون ويافكون علوا كبيرا وقوله لا يسئل عما يفعل اي هو الحاكم الذي لا معقب لحكمه ولا يعترض احد عليه لعظمته
وجلاله وهم يسئلون اي وهو سائل خلقه عما يعملون كقوله وهو يجير ولا يجار عليه ام اتخذوا من دونه الهة قل
هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وما
ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون اي بل اتخذوا من دون الله الهة
قل يا محمد هاتوا برهانكم اي حجتكم ودليلكم على ما تقولون وتزعمون فكل كتاب انزل على كل نبي ارسل بالحق بانه لا اله الا الله
ولكن انتم ايها المشركون لا تعلمون فانتم معرضون عنه ولهذا قال وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله
الا انا فاعبدون وكل نبي بعثه الله دعا الى عبادة الله وحده لا شريك له والفطرة شاهدة بذلك ايضا والمشركون لا برهان
لهم وحجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب من الله ولهم عذاب شديد وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه
بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا
يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه
جهنم كذلك نجزي الظالمين رد الله تعالى على من زعم ان له ولدا من الملئكة بقوله سبحانه بل عباد مكرمون اي الملئكة
عباد الله مكرمون عنده في منازل عالية وهم له في غاية الطاعة قولا وفعلا لا يسبقونه بالقول اي لا يتقدمون بين يديه بامر
ولا يخالفونه فيما امرهم به بل يبادرون الى فعله وعلمه تعالى محيط بهم فلا يخفى عليه منهم خافية يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
اي ما عملوا وما هم عاملون وقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى اي لمن وحد الله ورضي الله عنه وهم من خشيته اي من خوفه
ورهبته مشفقون اي خائفون لا يامنون ومن يقل منهم اني اله من دونه اي ومن ادعى منهم انه اله من دون الله اي مع الله

والمعنى انا نبطل كذبهم بما نبين من الحق حتى يضمحل ويذهب ثم اوعدهم على كذبهم فقال ولكم الويل مما [illegible] معالم

الاطيط صوت الرحل والابل من ثقل احمالها

هذا توبيخ على عبادتهم جمادا من الارض لا تقدر على شيء ثم ذكر الدلالة على توحيده وانه لا يجوز ان يكون معه اله سواه فقال لو كان الاية

[illegible] لان كل امر صدر عن اثنين فاكثر لم يجر على النظام

والمعنى انه لا يسأل عما يحكم في عباده من اعزاز واذلال وهدى واضلال واسعاد واشقاء لانه الرب المالك للاعيان والخلق يسألون سؤال توبيخ يقال لهم يوم القيامة لم فعلتم كذا لانهم عبيد يجب عليهم امتثال اوامر مولاهم والله تعالى ليس فوقه احد يقول له لشيء فعله لم فعلته

ذلك نجزيه جهنم اي كل من قال ذلك وهذا شرط والشرط لا يلزم وقوعه فانه لم يقل احد من الملائكة اني اله من دون الله بل المراد ابليس حين دعا الى عبادة نفسه فالعبادة كذلك نجزي الظالمين اي الذين وضعوا الالهية في غير موضعها اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون [illegible] سقفا محفوظا وهم عن اياتها معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار [illegible] كل في فلك يسبحون ينبه الله تعالى على قدرته التامة في خلقه الاشياء وقهره لجميع مخلوقاته بقوله اولم ير الذين كفروا اي الجاحدين لالوهيته العابدين معه غيره الم يعلموا ان الله هو المستقل بالخلق المستبد بالتدبير فكيف يليق ان يعبد غيره او يشرك به ما سواه الم يروا ان السموات والارض كانتا رتقا اي كان الجميع متصلا بعضه ببعض متراكما بعضه فوق بعض في ابتداء الامر ففتق هذه من هذه فجعل السموات سبعا والارض سبعا وفصل بين سماء الدنيا والارض بالهواء فامطرت السماء وانبتت الارض ولهذا قال وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون اي وهم يشاهدون المخلوقات تحدث شيئا فشيئا عيانا وذلك كله دليل على وجود الصانع الفاعل المختار وسئل ابن عباس الليل كان قبل او النهار فقال ارايتم ان السموات والارض حين كانتا رتقا هل كان بينهما الا ظلمة ذلك لتعلموا ان الليل قبل النهار وقال وكانت السموات رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت فلما خلق الارض فتق السماء بالمطر وفتق الارض بالنبات وقال سعيد بن جبير كانت السماء والارض ملتزقتين فلما رفع السماء وابرز الارض كان ذلك فتقهما الذي ذكر الله في كتابه وقوله وجعلنا من الماء كل شيء حي اي اصل كل الاحياء منه وعن ابي هريرة قال قلت يا رسول الله اني اذا رايتك طابت نفسي وقرت عيني فانبئني عن كل شيء قال كل شيء خلق من ماء رواه احمد وقوله وجعلنا في الارض رواسي اي جبالا ارسى الارض بها وقررها وثقلها لئلا يضطرب بالناس وتتحرك فلا يحصل لهم قرار عليها لانها غامرة في الماء الا مقدار الربع فانه باد للهواء والشمس ليشاهد اهلها السماء وما فيها من الايات والحكم ولهذا قال ان تميد بهم اي لئلا تميد بهم وقوله وجعلنا فيها فجاجا سبلا اي ثغرا في الجبال يسلكون فيها طرقا من قطر الى قطر واقليم الى اقليم كما هو المشاهد في الارض يكون الجبل حائلا بين هذه البلاد وهذه البلاد فيجعل الله فيه فجوة ثغرة ليسلك الناس فيها من ههنا الى ههنا ولهذا قال لعلهم يهتدون والفج الطريق الواسع بين الجبلين اي جعلنا بين الجبال طرقا لكي يهتدوا الى مقاصدهم وقوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا اي على الارض وهي كالقبة عليها كما قال والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والبناء هو نصب القبة كما في الحديث الصحيح بني الاسلام على خمس اي خمسة دعائم وقوله محفوظا اي عاليا محروسا ان ينال وقوله وهم عن آياتها معرضون اي لا يتفكرون فيما خلق الله فيها من الاتساع العظيم وما زينت به من الكواكب السيارات والثوابت في ليلها وفي نهارها من هذه الشمس التي تقطع الفلك بكماله في يوم وليلة فتسير غاية لا يعلم قدرها الا الذي قدرها وسخرها وسيرها ثم قال منبها على بعض اياته وهو الذي خلق الليل والنهار اي هذا في ظلامه وسكونه وهذا بضيائه وانسه يطول هذا تارة ثم يقصر اخرى وعكسه الاخر والشمس والقمر هذه لها نور يخصها وفلك بذاته وزمان على حدة وحركة وسير خاص وهذا بنور اخر وفلك اخر وسير اخر وتقدير اخر وكل في فلك يسبحون اي يدورون كما يدور المغزل في الفلكة قاله ابن عباس وغير واحد وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون اي ما جعلنا لادمي من قبلك الخلود في الدنيا بل كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وقوله افان مت اي يا محمد فهم الخالدون اي يأملون ان يعيشوا بعدك لا يكون هذا بل كل الى الفناء ولهذا قال كل نفس ذائقة الموت وقوله ونبلوكم اي نختبركم بالمصائب تارة وبالنعم اخرى لننظر من يشكر ومن يكفر ومن يصبر ومن يقنط قال ابن عباس نختبركم بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر والحلال والحرام والطاعة والمعصية والهدى والضلال وقوله والينا ترجعون اي فنجازيكم باعمالكم واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون خلق الانسان من عجل ساريكم آياتي فلا تستعجلون اي واذا راك يا محمد يعني كفار قريش كابي جهل واشباهه ان يتخذونك الا هزوا اي يستهزئون بك وينتقصونك فيقولون اهذا الذي يذكر آلهتكم اي يسبها ويسفه احلامكم قال تعالى وهم بذكر الرحمن هم كافرون اي وهم كافرون بالله ومع هذا يستهزئون برسول الله كما قال في الاية الاخرى واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث الله رسولا الاية وقوله خلق الانسان من عجل كما قال في الاية الاخرى وكان الانسان عجولا اي في الامور قال مجاهد خلق الله ادم بعد كل شيء من اخر النهار من يوم خلق الخلائق فلما احيا الروح عينيه ولسانه وراسه ولم يبلغ اسفله قال يا رب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس والحكمة في ذكر عجلة الانسان ههنا انه لما ذكر المستهزئين بالرسول وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم واستعجلت ذلك فقال الله خلق الانسان من عجل لانه تعالى يملي للظالم فاذا اخذه لم يفلته يؤجل ثم يعجل ينظر ثم لا يؤخر ولهذا قال ساريكم آياتي اي نقمي وحكمي واقتداري على من عصاني فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون اخبر تعالى عن المشركين المستعجلين ايضا بوقوع العذاب بهم تكذيبا وجحودا وعنادا واستبعادا بقوله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قال تعالى لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم اي لو تيقنوا انها واقعة بهم لا محالة لما استعجلوا به لو يعلمون حين يغشيهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم فالعذاب محيط بهم من جميع جهاتهم وهم لا ينصرون اي لا ناصر لهم كما قال وما لهم من الله من واق وقوله بل تاتيهم بغتة فتبهتهم اي تاتيهم النار بغتة اي فجاة فتبهتهم اي تذعرهم وتستلبهم حائرين لا يدرون ما يصنعون فلا يستطيعون ردها اي ليس لهم حيلة في ذلك ولا هم ينظرون اي ولا يؤخر عنهم ذلك ساعة واحدة ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن اذى المشركين له من الاستهزاء والتكذيب بقوله فحاق بالذين سخروا منهم اي نزل بهولاء العذاب جزاء استهزائهم الذي كانوا يستبعدون وقوعه ثم ذكر تعالى نعمته على عبيده في حفظه لهم بالليل والنهار وكلاءته وحراسته لهم بعينه التي لا تنام وكنفه الذي لا يرام فقال قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بدلا عنه وقوله بل هم عن ذكر ربهم معرضون اي لا يعترفون بنعمة الله عليهم واحسانه اليهم بل يعرضون عن آياته وآلائه ثم قال ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا استفهام انكار وتقريع وتوبيخ اي الهم آلهة تمنعهم وتكلؤهم غيرنا ليس الامر كما توهموا ولا ما زعموا ولهذا قال لا يستطيعون نصر انفسهم اي هذه الالهة التي استندوا اليها غير الله لا يستطيعون نصر انفسهم وقوله ولا هم منا يصحبون قال ابن عباس اي يجارون ويمنعون وقال قتادة لا يصحبون من الله بخير بل متعنا هولاء وآباءهم

حتى طال عليهم العمر افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون قل انما انذركم
بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا
انا كنا ظالمين ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من
خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين اخبر تعالى عن المشركين انما غرهم وحملهم على ما هم فيه من الضلال انهم متعوا
في الحيوة الدنيا ونعموا وطال عليهم العمر فيها فاعتقدوا انهم على شيء ثم وعظهم بقوله ننقصها
من اطرافها وقد سبق بيانه في سورة الرعد واحسن ما فسر به قوله تعالى ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الايات
لعلهم يرجعون قال الحسن البصري يعني بذلك ظهور الاسلام على الكفر يعني افلا يعتبرون بنصرة الله لاوليائه على اعدائه
واهلاكه الامم المكذبة والقرى الظالمة وانجائه لعباده المؤمنين ولهذا قال افهم الغالبون يعني بل هم المغلوبون الاذلون
الاخسرون وقوله قل انما انذركم بالوحي اي انما انا مبلغ عن الله ما انذركم به من العذاب والنكال ليس ذلك الا مما اوحاه
الله الي ولكن لا يجدي هذا عمن اعمى الله بصيرته وختم على سمعه وبصره وقلبه ولهذا قال ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما
ينذرون وقوله ولئن مستهم نفحة اي ولئن مس هؤلاء المكذبين ادنى شيء من عذاب الله ليعترفن بذنوبهم وانهم كانوا
ظالمين لانفسهم في الدنيا وقوله ونضع الموازين القسط اي ونضع الموازين العدل ليوم القيمة الاكثر على انه انما هو ميزان
واحد وانما جمع باعتبار تعدد الاعمال الموزونة فيه فلا تظلم نفس شيئا الاية كما قال تعالى ولا يظلم ربك احدا وغيرها
من الايات وكفى بنا حاسبين اي عالمين حافظين لان من حسب شيئا فقد علمه وحفظه ومعنى الحسب العد وعن
عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يستخلص رجلا من امتي على رؤس الخلائق يوم القيمة
فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم تقول اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب
فيقول افلك عذر فيقول لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول انك لا تظلم
قال فوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء رواه احمد
والترمذي وابن ماجة ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين الذين يخشون ربهم
بالغيب وهم من الساعة مشفقون وهذا ذكر مبارك انزلناه افانتم له منكرون المراد بالفرقان التورية المفرق
بين الحق والباطل والحلال والحرام وقيل يعني النصر وجامع القول في ذلك ان الكتب السماوية تشتمل على التفرقة بين الحق و
الباطل والهدى والضلال والغي والرشاد وعلى ما يحصل نورا في القلوب وهداية وخوفا وانابة وخشية ولهذا قال
الفرقان وضياء وذكرا للمتقين اي تذكيرا وعظة ثم وصفهم فقال الذين يخشون ربهم بالغيب كقوله من خشي الرحمن
بالغيب وجاء بقلب منيب وقوله وهم من الساعة مشفقون اي خائفون وجلون ثم قال وهذا ذكر مبارك انزلناه يعني القرآن
العظيم الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد افانتم له منكرون افتنكرونه وهو في غاية الجلاء و
الظهور ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون
قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم واباؤكم في ضلال مبين قالوا اجئتنا بالحق ام انت من
اللاعبين قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين اخبر تعالى عن خليله

وفي المتن والنفخات ثلاث ... لاول الاصابة وادناها والنفخ ... والنزار ... ونفخة ... والمرة

عليه السلام انه اتاه رشده من قبل اي من صغره الهمه الحق والحجة على قومه كما قال وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه
وقوله وكنا به عالمين اي انه اهل للهداية والنبوة ثم قال اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل اي صور الاصنام التي انتم لها
عاكفون هذا هو الرشد الذي اوتيه من صغره الانكار على قومه في عبادة الاصنام من دون الله اي معتكفون مقيمون على
عبادتها قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين لم يكن لهم حجة سوى صنيع ابائهم الضلال ولهذا قال لقد كنتم انتم واباؤكم في
ضلال مبين اي الكلام مع ابائكم الذين احتججتم بصنيعهم كالكلام معكم فانتم وهم على الضلال فلما سفه احلامهم
وضلل اباءهم وحقر الهتهم قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين اي هذا الكلام الذي تقوله لاعبا او محقا فيه فانا
لم نسمع به قبلك قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اي ربكم الذي لا اله غيره هو الذي خلق السموات والارض
وما حوت من المخلوقات الذي ابتدا خلقهن وهو الخالق لجميع الاشياء وانا على ذلكم من الشاهدين اي وانا اشهد انه
لا اله غيره ولا رب سواه وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم
اليه يرجعون قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم قالوا
فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون قالوا ءانت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم قال بل فعله كبيرهم هذا
فاسئلوهم ان كانوا ينطقون ثم اقسم الخليل قسما اسمعه بعض قومه ليكيدن اصنامهم اي ليحرصن على اذاهم وكسرهم بعد ان
تولوا مدبرين اي بعد ان تدبروا منطلقين الى عيدهم وكان لهم عيد يخرجون اليه قال السدي لما اقترب وقت عيدهم
قال ابوه يا بني لو خرجت معنا الى عيدنا لاعجبك ديننا فخرج معهم فلما كان ببعض الطريق القى نفسه الى الارض وقال اني
سقيم فجعلوا يمرون عليه وهو صريع فيقولون مه فيقول اني سقيم فلما جاز عامتهم وبقي ضعفاؤهم قال تالله لاكيدن اصنامكم
فسمعه اولئك وقوله فجعلهم جذاذا اي كسرا وقطعا جمع جذيذ وهو الهشيم الا كبيرا لهم يعني الا الصنم الكبير عندهم وقوله
لعلهم اليه يرجعون ذكروا انه وضع القدوم في يد كبيرهم لعلهم يعتقدون انه هو الذي غار لنفسه وانف ان يعبد معه
هذه الاصنام الصغار فكسرها قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين اي لما رجعوا وشاهدوا ما فعل باصنامهم
من الاهانة والاذلال قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين في صنيعه هذا قالوا سمعنا فتى يذكرهم اي قال الذي
سمعه يحلف انه ليكيدنهم سمعنا شابا يذكرهم يقال له ابرهيم قال ابن عباس ما بعث الله نبيا الا شابا ولا اوتي العلم
عالم الا وهو شاب وتلا هذه الاية وقوله فاتوا به على اعين الناس اي على رؤس الاشهاد بحضرة الناس كلهم وكان هذا هو
المقصود الاكبر لابرهيم ان يبين في هذا المجمع العظيم كثرة جهلهم وقلة عقلهم في عبادة هذه الاصنام التي لا تدفع عن
نفسها ضرا ولا تستطيع لها نصرا فكيف يطلب منها شيء من ذلك قالوا ءانت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم قال بل فعله كبيرهم
هذا يعني الذي تركه ولم يكسره فاسئلوهم ان كانوا ينطقون وانما اراد بهذا ان يبادروا من تلقاء انفسهم فيعترفوا انهم
لا ينطقون وان هذا لا يصدر عن هذا الصنم لانه جماد وفي الصحيحين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان ابرهيم لم يكذب الا ثلث كذبات ثنتين منهن في ذات الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقال بينا هو ذات يوم و
سارة اذ اتى على جبار من الجبابرة فقيل له ان ههنا رجلا معه امراة من احسن الناس فارسل اليه فساله عنها من هذه
قال اختي فاتى سارة فقال ان هذا الجبار ان يعلم انك امراتي يغلبني عليك فان سالك فاخبريه انك اختي في الاسلام ليس على
وجه الارض مؤمن غيري وغيرك فارسل اليها فاتي بها فقام ابرهيم يصلي فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فاخذ ويروى فغط

قوله لعلهم اليه يرجعون لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون
الا اليه ... ابرهيم ... عداوة الهتهم
فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم او لانهم يرجعون الى
الكبير فيسألون عن كاسرها ... المعبود ...
اليه ... الكلمات ...
او الى الله او يرجعون الى توحيده ... غير الهتهم

لعلهم يتهدون

حتى ركض برجله فقال ادعي الله لي ولا اضرك فدعت الله فاطلق ثم تناولها الثانية فاخذ مثلها او اشد فقال ادعي الله لي ولا اضرك فدعت الله فاطلق فدعا بعض حجبته فقال انك لم تاتني بانسان انما اتيتني بشيطان فاخدمها هاجر فاتته وهو قائم يصلي فاومأ بيده مهيم قالت رد الله كيد الكافر في نحره واخدم هاجر قال ابو هريرة فتلك امكم يا بني ماء السماء فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون اخبر تعالى عن قوم ابـ[illegible] قال لهم ما قال فرجعوا الى انفسهم بالملامة في عدم حراستهم لآلهتهم فقالوا انكم انتم الظالمون اي في ترككم لها مهملة لا حافظ عندها ثم نكسوا على رؤسهم اي اطرقوا في الارض حيرة وعجزا فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون اي فكيف تسألهم وانت تعلم انها لا تنطق فعند ذلك قال لهم ابرهيم افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اي اذا كانت لا تنطق ولا تضر ولا تنفع فلم تعبدونها من دون الله اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون اي افلا تدبرون ما انتم فيه من الضلال والكفر الغليظ الذي لا يروج الا على جاهل ظالم فاجر فاقام عليهم الحجة والزمهم بها قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين لما ظهر الحق وعجزوا عدلوا الى استعمال تغلب ملكهم فقالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين فجمعوا حطبا كثيرا قال السدي حتى ان كانت المراة لتمرض فتنذر ان عوفيت ان تحمل حطبا لحريق ابرهيم ثم جعلوه في جوبة من الارض واضرموها نارا وكان لها شرر عظيم ولهيب مرتفع لم توقد نار قط مثلها وجعلوا ابرهيم عليه السلم في كفة المنجنيق باشارة رجل من اكراد فارس اسمه هيزن فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة فلما القوه قال حسبي الله ونعم الوكيل وروي انه لما جعلوا يوثقونه قال لا اله الا انت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك وذكر انه عرض له جبريل وهو في الهواء فقال الك حاجة قال اما اليك فلا قال الله يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم قيل لم يبق نار في الارض الا طفئت قال كعب لم ينتفع احد يومئذ بنار ولم تحرق النار من ابرهيم سوى وثاقه قال ابو العالية لولا ان الله قال وسلاما لاذى ابرهيم بردها و روي ان جبريل كان معه يمسح وجهه عن العرق فلم يصبه منها شيء غير ذلك وكان ابرهيم فيها اما خمسين واما اربعين يوما قال ما كنت اياما ولياليَ قط اطيب عيشا اذ كنت فيها وددت ان عيشي وحياتي كلها مثل عيشي اذ كنت فيها قال قتادة لم يات يومئذ دابة الا اطفأ عنه النار الا الوزغ ولهذا امر النبي عليه الصلوة والسلم بقتله وسماه فويسقا وقوله فارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين اي المغلوبين الاخسرين لانهم ارادوا بخليل الرحمن كيدا فكادهم الله و نجاه من النار فغلبوا هنالك وقال العوفي لما القي ابرهيم في النار جاء ملكهم لينظر اليه فطارت شررة فوقعت على ابهامه فاحرقته مثل الصوفة ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين ولوطا اتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين اخبر تعالى عن ابرهيم انه سلمه من نار قومه واخرجه من بين اظهرهم مهاجرا الى بلاد الشام الى الارض المقدسة منها قالوا ما من ماء عذب الا يخرج من تحت الصخرة بها وهي ارض المحشر والمنشر وبها ينزل عيسى وبها يهلك الدجال قال السدي انطلق ابرهيم ولوط قبل الشام

روي انهم لم يعلموا كيف يلقونه فيها فجاء ابليس فعلمهم عمل المنجنيق فعملوا ثم عمدوا الى ابرهيم عليه السلم فرفعوه على راس البنيان وقيدوه ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملئكة وجميع الخلق صيحة واحدة الا الثقلين اي ربنا ابرهيم خليلك يلقى في النار وليس في ارضك احد يعبدك غيره فائذن لنا في نصرته فقال الله عز وجل انه خليلي ليس لي غيره خليل وانا الهه ليس له اله غيري فان استغاث بشيء منكم او دعاه فلينصره فقد اذنت له في ذلك وان لم يدع غيري فانا اعلم به وانا وليه فخلوا بيني وبينه فلما ارادوا القاءه اتاه خازن المياه فقال ان اردت اخمدت النار واتاه خازن الرياح فقال ان شئت طيرت النار في الهواء فقال ابرهيم لا حاجة لي اليكم حسبي الله ونعم الوكيل ثم رموا به في المنجنيق الى النار واستقبله جبريل عليه السلم فقال يا ابرهيم الك حاجة قال اما اليك فلا قال جبريل فسل ربك فقال ابرهيم حسبي من سؤالي علمه بحالي ومن [illegible] لم يبق يومئذ نار في الارض [illegible] فاخذت الملئكة بضبعي ابرهيم فاقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس قال ابن يسار وبعث الله عز وجل جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فالبسه القميص واقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال جبريل يا ابرهيم ان ربك عز وجل يقول اما علمت ان النار لا تضر احبائي ثم نظر نمرود واشرف على ابرهيم من صرح له فرآه جالسا في روضة والملك قاعد الى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فناداه يا ابرهيم كبير الهك الذي بلغت قدرته ان حال بينك وبين ما ارى يا ابرهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال هل تخشى ان اقمت فيها ان تضرك قال لا قال فقم [illegible]

فلقي سارة وهي ابنة ملك حران وقد طعنت على قومها في دينهم فتزوجها على ان لا يغيرها رواه ابن جرير وهو غريب والمشهور انها ابنة عمه وانه خرج بها مهاجرا من بلاده وقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة اي عطية والنافلة ولد الولد قال ابن زيد سال واحدا فقال رب هب لي من الصالحين فاعطاه الله اسحق وزاده يعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين اي الجميع اهل خير وصلاح وجعلناهم ائمة اي يقتدى بهم يهدون بامرنا اي يدعون الى الله باذنه ولهذا قال واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكوة وهو من باب عطف الخاص على العام وكانوا لنا عابدين اي فاعلين لما يامرون الناس به ثم عطف بذكر لوط بن هاران بن آزر كان آمن بابرهيم واتبعه وهاجر معه كما قال تعالى فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي فآتاه الله حكما وعلما واوحي اليه وجعله نبيا وبعثه الى سدوم واعمالها فكذبوه وخالفوه فاهلكهم الله كما سبق في موضعه ولهذا قال ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث اي من اتيان الذكران في ادبارهم انهم كانوا قوم سوء فاسقين اي خارجين عن الهدى وادخلناه اي لوطا في رحمتنا انه من الصالحين الفائزين ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين اخبر تعالى عن استجابته لنوح عليه السلم حين دعا على قومه لما كذبوه فدعا ربه اني مغلوب فانتصر وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولهذا قال ههنا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه واهله اي الذين آمنوا به من الكرب العظيم اي من الشدة والتكذيب والاذى فانه لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله فلم يؤمن به منهم الا القليل وقوله ونصرناه من القوم اي ونجيناه وخلصناه منتصرا من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين اي اهلكهم الله تعالى بعامة ولم يبق على وجه الارض منهم احدا وداود وسليمن اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمن وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من باسكم فهل انتم شاكرون ولسليمن الريح عاصفة تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين قال ابن مسعود وغيره كان ذلك الحرث كرما قد تدلت عناقيده وقال ابن عباس النفش الرعي بالليل والهمل بالنهار وكلاهما بلا راع فمعنى نفشت رعته ليلا قال فلم يدع الغنم فيه ورقة ولا عنقودا من عنب الا اكلت فترافعوا الى داود قال ابن مسعود فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم فقال اوغيرها يا نبي الله قال وما ذاك قال تدفع الكرم الى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان وتدفع الغنم الى صاحب الكرم فيصيب منها حتى اذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم الى صاحبه ودفعت الغنم الى صاحبها فذلك قوله ففهمناها سليمن رواه ابن جرير وهكذا عن ابن عباس وقريب من ذلك ما رواه ابن محيصة ان ناقة للبراء بن عازب دخلت حائطا فافسدت فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهل الحوائط حفظها بالنهار وما افسدت المواشي بالليل ضامن على اهلها رواه احمد وابو داود وقوله وكنا لحكمهم شاهدين اي كان ذلك بعلمنا ومرأى منا لا يخفى علينا علمه وفيه دليل على ان اقل الجمع اثنان لان المراد حكم داود وسليمن وقوله ففهمناها سليمن وكلا آتينا حكما وعلما في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو وعن ابي هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حكم الحاكم فاجتهد فاصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد فاخطا فله اجر واحد ولهذا اثنى الله

[illegible]

على سليمن ولم يذم داود قاله الحسن مع ان الانبياء عليهم السلم كلهم معصومون مؤيدون من عند الله بالاتفاق واما غيرهم فقد ورد في السنن القضاة ثلثة قاض في الجنه وقاضيان في النار رجل عرف الحق وقضى به فهو في الجنة ورجل حكم بين الناس على جهل فهو في النار ورجل عرف الحق وقضى بخلافه فهو في النار وقريب مما سبق ما في الصحيحين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما امراتان معهما ابنان لهما جاء الذئب فاخذ [illegible] صاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكمتا الى داود فقضى [illegible] فخرجتا على سليمن فاخبرتاه فقال ايتوني بالسكين اشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى وقوله وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وذلك لطيب صوته بتلاوة كتابه الزبور وكان اذا ترنم به تقف الطير في الهواء فتجاوبه وترد عليه الجبال قيل كان داود اذا فتر تسمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشطه فيه ولهذا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة القرآن من ابي موسى ليلا وكان له صوت جيد قال لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير ال داود وقوله وعلمناه صنعة لبوس لكم يعني صنعة الدروع قال قتادة انما كانت الدروع قبله صفائح وهو اول من سردها حلقا كما قال تعالى والنا له الحديد الاية لا توسع الحلقة فيقلق المسمار ولا تغلظ فيقد الحلقة ولهذا قال لتحصنكم اي لتحرسكم وتمنعكم من حرب عدوكم من وقع السلاح فيكم فهل انتم شاكرون اي نعم الله عليكم لما الهم به عبده داود فعلمه ذلك من اجلكم وقوله ولسليمن الريح عاصفة اي وسخرنا لسليمن الريح العاصفة تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها يعني ارض الشام وكنا بكل شيء عالمين وذلك انه كان له بساط من خشب يوضع عليه كل ما يحتاج اليه من امور المملكة والخيل والجمال والخيام والجند ثم يامر الريح ان تحمله فتدخل تحته ثم تحمله وترفعه وتسير به وتظله الطير من الحر الى حيث يشاء من الارض فتنزل الالة وحشمه قال تعالى فسخرنا له الريح تجري بامره الاية قال ابن جبير كان يوضع لسليمن ستمائة الف كرسي فيجلس مما يليه مؤمنوا الانس ثم يجلس من ورائهم مؤمنوا الجن ثم يامر الطير فتظلهم ثم يامر الريح فتحمله وقوله ومن الشياطين من يغوصون له اي في البحر يستخرجون الجواهر واللالي وغير ذلك ويعملون عملا دون ذلك اي غيره كما قال والشياطين كل بناء وغواص الاية وقوله وكنا لهم حافظين اي يحرسهم لهم يعني يحرسه الله ان يناله احد من الشياطين بسوء بل كل في قبضته وتحت قهره لا يتجاسر احد منهم على الدنو اليه والقرب منه يحكم فيهم بما يشاء وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر واتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين ذكر الله تعالى ما اصاب ايوب عليه السلم من البلاء في ماله وولده وجسده وذلك انه كان له من الدواب والانعام والحرث شيء كثير واولاد كثيرة ومنازل مرضية فابتلي في ذلك كله وذهب عن اخره ثم ابتلي في جسده بالجذام في سائر جسده ولم يبق منه سليم الا قلبه ولسانه يذكر الله بهما حتى عافه الجليس وافرد ناحية من البلد ولم يبق من الناس احد يحنو عليه الا زوجته كانت تقوم بمصالحه وتعاله انها احتاجت فصارت تخدم الناس من اجله وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل وفي حديث اخر يبتلى الرجل على قدر دينه فان كان في دينه صلابة زيد في بلائه وكان ايوب عليه السلم غاية في الصبر وبه يضرب المثل في ذلك قال يزيد بن ميسرة لما ابتلى الله ايوب وفات الاهل والمال والولد ولم يبق له شيء احسن الذكر ثم قال احمدك رب الارباب فانك احسنت الي اعطيتني المال والولد فلم يبق من قلبي شعبة الا دخله ذلك فاخذت ذلك كله مني وفرغت قلبي ليس يحول بيني وبينك شيء لو يعلم عدوي ابليس بالذي صنعت بي حسدني يا رب انك اعطيتني

المسمارة

[illegible]

وان كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة رواه في الصحيح الملك

المال والولد فلم تم على ابن احد يشكوني لظلم ظلمته وانت تعلم ذلك وانه كان يوطأ لي الفراش فاتركها واقول لنفسي انك لم تخلقي لوطء الفراش ما تركت ذلك الا ابتغاء وجهك رواه ابن ابي حاتم وروي انه مكث في البلاء مدة طويلة قال الحسن وغيره ابتلي سبع سنين واشهرا ملقى على كناسة بني اسرائيل تختلف الدواب في جسده ففرج الله عنه وعظم له الاجر واحسن عليه الثناء قال وهب مكث في البلاء ثلث سنين وقال السدي تساقط لحم ايوب حتى لم يبق الا العصب والعظام فكانت امراته تقوم عليه و[illegible] فقالت له امراته لما طال وجعه يا ايوب لو دعوت ربك يفرج عنك فقال قد عشت سبعين سنة صحيحا فهو قليل لله ان اصبر له سبعين سنة فجزعت لذلك فخرجت وكانت تعمل للناس بالاجر وتاتيه بما يصيب فتطعمه ثم ان ابليس اتاها في صورة طبيب فقال لها ان زوجك قد طال سقمه فان اراد ان يبرا فلياخذ سخلة فليذبحها باسم صنم بني فلان فانه يبرا ويتوب بعد ذلك فقالت ذلك لايوب فقال قد اتاك الخبيث لله علي ان برات ان اجلدك مائة جلدة فخرجت تسعى عليه فحظر عنها الرزق فجعلت لا تاتي اهل بيت الا ردوها فلما اشتد عليها ذلك وخافت على ايوب الجوع حلقت من شعرها قرنا فباعته من صبية من بني الاشراف فاعطوها طعاما طيبا كثيرا فاتت به ايوب فلما راه انكره وقال من اين لك هذا قالت عملت لاناس فاطعموني فاكل منه فلما كان الغد خرجت فطلبت ان تعمل فلم تجد فحلقت قرنا اخر فباعته من تلك الجارية فاعطوها ذلك الطعام فاتت به ايوب فقال والله لا اطعمه حتى اعلم من اين هو فوضعت خمارها فلما راى راسها محلوقا جزع جزعا شديدا فعند ذلك حين دعا الله اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين وروي انه كان لايوب اخوان فجاءاه يوما فلم يستطيعا ان يدنوا منه من نتنه فقاما من بعيد فقال احدهما للاخر لو كان الله علم من ايوب خيرا ما ابتلاه بهذا فجزع ايوب من قولهما جزعا لم يجزع من شيء قط فقال اللهم ان كنت تعلم اني لم ابت ليلة قط شبعانا وانا اعلم مكان جائع فصدقني فصدق من السماء وهما يسمعان ثم قال اللهم ان كنت تعلم اني لم يكن لي قميصان قط وانا اعلم مكان عار فصدقني فصدق من السماء وهما يسمعان ثم قال اللهم بعزتك ثم خر ساجدا فقال اللهم بعزتك لا ارفع راسي ابدا حتى تكشف عني فما رفع راسه حتى كشف عنه فاوحى الله اليه في مكانه ان اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فاغتسل من ذلك الماء وشرب قال ابن عباس والبسه الله حلة من الجنة فتنحى ايوب فجلس في ناحية وجاءت امراته فلم تعرفه فقالت يا عبد الله اين ذهب هذا المبتلى الذي كان ههنا لعل الكلاب ذهبت به او الذئاب فجعلت تكلمه ساعة فقال ويحك انا ايوب فقالت اتسخر مني يا عبد الله فقال ويحك انا ايوب قد رد الله علي جسدي قال ابن عباس ورد عليه ماله وولده عيانا ومثلهم معهم وقال وهب اوحى الله الى ايوب قد رددت عليك اهلك ومالك ومثلهم معهم فاغتسل بهذا الماء فان فيه شفاءك وقرب عن صحابتك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك كما قال تعالى واتيناه اهله ومثلهم معهم قال مجاهد قيل له يا ايوب ان اهلك في الجنة فان شئت اتيناك بهم وان شئت تركناهم لك في الجنة وعوضناك مثلهم قال بل اتركهم لي في الجنة قال فتركوا له في الجنة وعوض مثلهم في الدنيا وقوله رحمة من عندنا اي فعلنا ذلك به رحمة من عندنا به وذكرى للعابدين اي جعلناه في ذلك قدوة لئلا يظن اهل البلاء انما فعلنا ذلك بهم لهوانهم علينا وليتاسوا به في الصبر على البلاء وله الحكمة في ذلك واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين اما اسمعيل فهو ابن خليل الله عليهما السلم وقد سبق ذكره وذكر ادريس في سورة مريم واما ذو الكفل فالظاهر انه قرن مع الانبياء الا انه نبي بل كان رجلا صالحا او ملكا عادلا وحكما مقسطا وتوقف ابن جرير في ذلك وقال مجاهد هو رجل صالح يكفل لنبي قومه ان يكفيه امر قومه ويقيمهم له ويقضي

بوماه

منهم بالعدل فعل ذلك فسمي ذا الكفل قال ابن عباس كان قاض في بني اسرائيل فحضره الموت فقال من يقوم مقامي على ان لا يغضب فقال رجل انا فسمي ذا الكفل قال وكان ليله يصلي ثم يصبح صائما فيقضي بين الناس قال وله ساعة يقيل فيها فكان بذلك فاتاه الشيطان عند نومه فقال له اصحابه ما لك قال انسان مسكين له على رجل حق وقد غلبني عليه قالوا له كما انت حتى يستيقظ قال وهو فوق نائم قال فجعل يصيح عمدا حتى يوقظه قال فسمع فقال ما لك قال انسان مسكين له على رجل حق قال اذهب فقل له يعطيك قال وقد ابى قال اذهب انت اليه قال فذهب ثم جاء من بعد قال ما لك قال ذهبت اليه فلم يرفع بكلامك راسه قال اذهب اليه فقل له يعطيك حقك قال فذهب ثم جاء من الغد حين قال قال فقال له اصحابه اخرج فعل الله بك تجئ كل يوم حين ينام لا تدعه ينام قال فجعل يصيح من اجل اني انسان مسكين لو كنت غنيا قال فسمع ايضا فقال ما لك قال ذهبت اليه فضربني قال امش حتى اجئ معك قال فهو ممسك بيده فلما رآه ذهب معه نزع يده منه ففر وقوله وادخلناهم في رحمتنا اي ما انعم عليه من النبوة والولاية وما ادخرهم في الجنة من الثواب وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين هذه القصة كما هي مذكورة ههنا فهي مذكورة في سورة الصافات وفي سورة نون وذلك ان يونس بن متى بعثه الله الى اهل قرية نينوى من ارض الموصل فدعاهم الى الله فابوا عليه وتمادوا على امرهم فخرج من بين اظهرهم مغاضبا لهم ووعدهم بالعذاب بعد ثلث فلما تحققوا منه ذلك وعلموا ان النبي لا يكذب خرجوا الى الصحراء باطفالهم وانعامهم ومواشيهم وفرقوا بين الامهات والاولاد تضرعوا الى الله وجاروا ورغت الابل وفصلانها وخارت البقر واولادها وثغت الغنم وحملانها فرفع الله عنهم العذاب واما يونس فانه ذهب فركب مع قوم في سفينة فلججت بهم وخافوا ان يغرقوا فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتخففون منه فوقعت القرعة على يونس فابوا ان يلقوه ثم اعادوا فوقعت القرعة عليه ايضا فابوا ثم اعادوا فوقعت عليه قال الله فساهم فكان من المدحضين اي وقعت عليه القرعة فقام يونس وتجرد عن ثيابه ثم القى نفسه في البحر وقد ارسل الله سبحانه من البحر الاخضر حوتا حتى جاء فالتقم يونس حين القى في البحر فاوحى الله الى ذلك الحوت ان لا تاكل له لحما ولا تهشم له عظما فان يونس ليس لك رزقا وانما بطنك له سجنا فقوله وذا النون اي ذا الحوت وصحت الاضافة اليه بهذه النسبة اذ ذهب مغاضبا اي لقومه فظن ان لن نقدر عليه اي لن نقضي عليه بالعقوبة او لن نضيق عليه الحبس اي في بطن الحوت وهو اختيار كثير وعلى الاول قول الشاعر * فلا عائد ذاك الزمان الذي مضى * تباركت ما تقدر يكن فلك الامر فان عند العرب قدر وقدر بمعنى واحد وقوله فنادى في الظلمات الآخره قال ابن مسعود ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل وعن ابن عباس وغير واحد مثله وقيل عنهم ظلمة بطن حوت في بطن حوت آخر في ظلمة البحر ذلك انه ذهب به الحوت في البحار يشقها حتى انتهى به الى قرار البحر فسمع يونس تسبيح الحصى هناك فعند ذلك قال لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قال الحسن مكث في بطنه اربعين يوما قال ابو هريرة مرفوعا فلما سمعت الملكة تسبيحه قالوا يا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بارض غربة قال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر قالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم قال فشفعوا له عند ذلك فامر الحوت فقذفه

المغاضبة ههنا من
المفاعلة التي تكون من
واحد كالمسافرة
والمعاقبة يعني
ولم يكن مغاضبا
[illegible]
عام

[illegible]

في الساحل كما قال تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم رواه ابن جرير وروى هذا المعنى انس مرفوعا ايضا وقوله فاستجبنا له ونجيناه من الغم اي اخرجناه من بطن الحوت وتلك الظلمات وكذلك ننجي المؤمنين اي اذا كانوا في الشدائد ودعونا منيبين الينا ولا سيما اذا دعوا بهذا الدعاء وحال البلاء فقد جاء الترغيب في الدعاء بها عن سعد بن ابي [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوة ذي النون اذ دعاه وهو في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فانه لم يدع بها رجل مسلم ربه في شيء قط الا استجاب له رواه احمد والترمذي والنسائي في عمل اليوم والليلة وعن كثير بن معبد قال سالت الحسن قلت يا ابا سعيد اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى قال ابن اخي اما تقرا القرآن قول الله وذا النون اذ ذهب مغاضبا الى قوله المؤمنين ابن اخي هذا اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى رواه ابن ابي حاتم وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين اخبر تعالى عن عبده زكريا حين طلب ان يهبه ولدا يكون من بعده نبيا كما سبق في سورة مريم وآل عمران وههنا اخصر منها اذ نادى ربه اي خفية من قومه رب لا تذرني فردا اي لا ولد لي ولا وارث يقوم بعدي في الناس وانت خير الوارثين دعاء وثناء مناسبا للمسالة قال الله فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه اي امراته وكانت عاقرا لا تلد فولدت قاله ابن عباس وغير واحد وقيل كان في لسانها طول او في خلقها شيء فاصلحها الله والاول اظهر وقوله انهم كانوا يسارعون في الخيرات اي في عمل القربات وفعل الطاعات ويدعوننا رغبا ورهبا اي رغبا فيما عندنا من الجنة ورهبا مما عندنا من النار وكانوا لنا خاشعين اي مصدقين بما انزل الله وقيل مؤمنين حقا خائفين متواضعين والخشوع هو الخوف اللازم للقلب لا يفارقه ابدا والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين قرن تعالى قصة مريم وابنها بقصة زكريا عليهم السلام لمناسبة بينهما وذلك انها ايجاد ولد من شيخ كبير وعجوز عاقر لم تكن تلد في حال شبابها واعجب منها قصة مريم وقوله والتي احصنت فرجها يعني مريم وقوله وجعلناها وابنها آية للعالمين اي دلالة على ان الله على كل شيء قدير وانه يخلق ما يشاء وانما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون كما قال ولنجعله آية للناس قال ابن عباس اي للعالمين من الجن والانس ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون قالوا اي دينكم دين واحد وسنتكم سنة واحدة اي هذه شريعتكم التي وضعت وبينت لكم وقوله امة واحدة نصب على الحال ولهذا قال وانا ربكم فاعبدون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء اولاد علات وديننا واحد يعني ان المقصود عبادة الله وحده لا شريك له بشرائع متنوعة لرسله كما قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله وتقطعوا امرهم بينهم اي اختلفوا الامم على رسلها فمن بين مصدق لهم ومكذب ولهذا قال كل الينا راجعون اي يوم القيمة فيجازي كلا بحسب عمله ان خيرا فخير وان شرا فشر ولهذا قال فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن اي قلبه مصدق وعمل عملا صالحا فلا كفران لسعيه اي لا يكفر سعيه وهو عمله بل يشكر ولهذا قال وانا له كاتبون اي يكتب جميع عمله فلا يضيع عليه منه شيء وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون

[illegible]

سئل الاعمش فقال انا ابي سالت ابراهيم فقال
الا تدري قلت افتني قال بينه وبين الله
اذا ارخى ستره واغلق بابه فلير الله منه خيرا
لعلك ترى ان الخشوع ان تاكل خشنا وتلبس
خشنا وتطاطئ راسه

ونفخنا فيها من روحنا

[illegible]

واقترب الوعد الحق فاذا هى شاخصة ابصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين
قال ابن عباس اى حرام على اهل قرية اهلكناها ان يرجعوا بعد الهلاك وحينئذ تكون لا صلة وقال آخرون الحرام بمعنى
الواجب وحينئذ تكون لا ثابتا معناه واجب على اهل قرية حكمنا بهلاكهم ان تتقبل اعمالهم لانهم لا يرجعون اى لا يتوبون
بدليل ما سبق ان عمل المؤمن يتقبل لا كفران لسعيه وبين عقيبه ان عمل الكافر لا يتقبل وقوله حتى اذا فتحت ياجوج
وماجوج قد سبق انهم من سلالة آدم بل هم من نسل نوح ايضا من اولاد يافث ابى الترك والترك شرذمة منهم تركوا من
وراء السد الذى بناه ذو القرنين وقوله ينسلون اى يسرعون فى المشى الى الفساد والحدب هو المرتفع من الارض قال
ابن عباس وغير واحد هذه صفتهم فى حال خروجهم كان السامع مشاهد لذلك ولا ينبئك مثل خبير روى ابن جرير
ان ابن عباس راى صبيانا ينزو بعضهم على بعض يلعبون فقال هكذا يخرج ياجوج وماجوج وقد ورد ذكر خروجهم
فى احاديث متعددة منها ما رواه ابو سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يفتح ياجوج
وماجوج فيخرجون على الناس كما قال تعالى وهم من كل حدب ينسلون فيغشون وينحاز المسلمون عنهم الى مدائنهم و
حصونهم ويضمون اليهم مواشيهم ويشربون مياه الارض حتى ان بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه
يابسا حتى ان من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول قد كان هاهنا ماء مرة حتى اذا لم يبق من الناس احد الا احد فى حصن
او مدينة قال قائلهم هؤلاء اهل الارض قد فرغنا منهم بقى اهل السماء قال ثم يهز احدهم حربته ثم يرمى بها الى السماء
فترجع اليه مخضبة دما للبلاء والفتنة فبيناهم على ذلك حتى يبعث الله تعالى دودا فى اعناقهم كنغف الجراد الذى
يخرج من اعناقه فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس فيقول المسلمون الا رجل يشرى لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو
قال فيتجرد رجل منهم محتسبا لنفسه قد اوطنها على انه مقتول فينزل فيجدهم بعضهم على بعض فينادى يا معشر
المسلمين الا ابشروا ان الله قد كفاكم عدوكم فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لها رعى
الا لحومهم فتشكر عنهم كاحسن ما شكرت عن شئ من النبات اصابته قط رواه احمد وابن ماجة وعن النواس بن
سمعان الكلابى قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه فى ناحية النخل
غير الدجال اخوفنى عليكم فان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتى
على كل مسلم انه شاب جعد قطط عينه طافئة وانه يخرج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد
الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله ما لبثه فى الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كايامكم
قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذى هو كسنة ايكفينا فيه صلوة يوم وليلة قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله فما
اسراعه فى الارض قال كالغيث استدبرته الريح قال فيمر بالحى فيدعوهم فيستجيبون له فيامر السماء فتمطر والارض فتنبت
وتروح عليهم سارحتهم وهى اطول ما كانت ذرى وامده خواصر واسبغه ضروعا ويمر بالحى فيدعوهم فيردون عليه
قوله فتتبعه اموالهم فيصبحون ممحلين ليس لهم من اموالهم شئ ويمر بالخربة فيقول اخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها
كيعاسيب النحل قال ويامر برجل فيقتل فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل اليه فبيناهم
على ذلك اذ بعث الله عز وجل المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين واضعا يديه على اجنحة
ملكين فيتبعه فيدركه فيقتله عند باب لد الشرقى قال فبيناهم كذلك اذ اوحى الله الى عيسى بن مريم انى قد اخرجت عبادا

قوله يوم كسنة هذا مشكل ولا سبيل الى امتداد الايام على انها وصفت بالطول والامتداد فنقول فيقول الاخفا ان الدجال اهوال الناس ومعه سلطان يسخر له فيسخر ويأخذ باسماع الناس وابصارهم حتى يخيل اليهم ان الزمان على حالة واحدة اسعاد بالاظلام وصباح بلا مساء يحسبون ان الليل لا يمد عليهم رواقه وان الشمس لا تطوى عليهم ضياءه فيغتمون فى خبرة والتباس من امتداد الزمان ويدخل عليهم الزوال باختفاء الآيات الظاهرة فى اختلاف الليل والنهار فامرهم صلى الله عليه وسلم ان يجتهدوا اعند ذلك لوقت كل صلوة وزره الى ان يكشف الله عنهم تلك الغمة

قوله جزلتين قال الجوهرى جزله بالسيف جزلتين اى قطعتين وقيل وصف الغرض اى فتصيبه اصابة رمية الغرض الى المرمى والمعنى قطعه جزلتين والغرض الهدف

وسوابق النحل وشبهها بها الكنوز فى تتبعها بالرجل لانها تتبع عزها عدة اذا طارت وكورها يعسوبها الخيل

قوله بين مهرودتين اى شقتين او حلتين من الهرد وهو الشق وقيل ثوب مهرود اذا صبغ بالهرد وهو صبغ اصفر

من عبادى لا يدان لك بقتالهم فحرز عبادى الى الطور فيبعث الله ياجوج وماجوج وهم كما قال تعالى من كل حدب
ينسلون فيرغب عيسى واصحابه الى الله فيرسل عليهم نغفا فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة فيهبط عيسى
واصحابه فلا يجدون فى الارض بيتا الا قد ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب عيسى واصحابه الى الله فيرسل عليهم طيرا
كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله وفى رواية فتطرحهم بالنهبل قال ويرسل الله مطرا لا يكن منه بيت
مدر ولا وبر اربعين يوما فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ويقال للارض انبتى ثمرتك وردى بركتك
قال فيومئذ ياكل النفر من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك فى الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفى الفئام من الناس
واللقحة من البقر تكفى الفخذ والشاة من الغنم تكفى اهل البيت قال فبيناهم على ذلك اذ بعث الله ريحا طيبة تاخذ
تحت اباطهم فتقبض روح كل مسلم او قال مؤمن ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمير وعليهم تقوم الساعة
تفرد به مسلم دون البخارى مع بقية اهل السنن وقد ثبت فى الحديث ان عيسى بن مريم يحج البيت العتيق كما روى ابو سعيد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحجن هذا البيت وليعتمرن بعد خروج ياجوج وماجوج تفرد به البخارى وقوله
واقترب الوعد الحق يعنى يوم القيمة اذا وجدت هذه الاهوال والزلازل والبلابل ازفت الساعة واقتربت فاذا كانت
ووقعت قال الكافرون هذا يوم عسر ولهذا قال فاذا هى شاخصة ابصار الذين كفروا اى من شدة ما يشاهدونه من الامور
العظام يا ويلنا اى يقولون يا ويلنا قد كنا فى غفلة من هذا اى فى الدنيا بل كنا ظالمين يعترفون بظلمهم على انفسهم حيث لا ينفعهم
ذلك انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها و
كل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها
مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم
الملئكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون خاطب تعالى المشركين من قريش ومن دان دينهم من عبدة الاصنام بقوله انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم اى حطب جهنم ووقودها وما يرمى به فيها وقوله انتم لها واردون اى داخلون
لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها اى لو كانت هؤلاء الاصنام والانداد التى اتخذتموها من دون الله آلهة صحيحة لما وردوا
النار ولما دخلوها وكل فيها خالدون اى العابدون والمعبودات كلهم فيها خالدون لهم فيها زفير وهو خروج النفس
عن الحسرة وهم فيها لا يسمعون قال ابن مسعود اذا بقى من يخلد فى النار جعلوا فى توابيت من نار فيها مسامير من نار
فلا يرى احد منهم انه يعذب فى النار غيره ولا يسمعون شيئا وقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اى الرحمة والسعادة
اولئك عنها مبعدون لما ذكر تعالى الاشقياء وعذابهم ذكر السعداء من المؤمنين وثوابهم وهم الذين سبقت لهم من الله السعادة
واسلفوا الاعمال الصالحة فى الدنيا وكما احسنوا العمل فى الدنيا احسن الله ثوابهم وجزاءهم فى العقبى تعالى اولئك عنها
اى عن النار مبعدون لا يسمعون حسيسها اى حريقها فى الاجساد وصوتها والحسيس الصوت الخفى وقوله وهم فيما اشتهت
انفسهم خالدون فسلمهم من المحذور والمرهوب فازوا بالمطلوب والمحبوب قال ابن عباس اولئك اولياء الله يمرون
على الصراط مرا هو اسرع من البرق وعنه ايضا انهم الملئكة وعزير وعيسى ونحو ذلك مما يعبدون من دون الله كالشمس
والقمر وعنه ايضا قال جاء عبد الله بن الزبعرى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال تزعم ان الله انزل عليك هذه الآية انكم وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم وقد عبدت الشمس والقمر والملئكة وعزير وعيسى بن مريم كل هؤلاء فى النار مع آلهتنا

النغف دود يقع فى اغناقهم نغفة الدود جمع نغفة والنغف دود يقع فى انوف الانعام

قوله بيت مدر اى الدور المبنية بالطين والحجر

النغف جمع نغفة

الشوظ حتم بهن وفراح كشودن

فنزلت ولما ضرب ابن مريم مثلاً اذا قومك منه يصدون وقالوا ءالهتنا خير ام هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون
ثم نزلت ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون رواه ابن مردويه وهذا الذي قاله ابن الزبعرى
خطا عظيم لان الاية انما نزلت خطابا لاهل مكة في عبادتهم الاصنام التي هي جماد لا يعقل ليكون ذلك تقريعا وتوبيخا
لعابديها ولهذا قال انكم وما تعبدون فكيف يورد على هذا المسيح والعزير ونحوهما ممن له عمل صالح ولم يرض بعبادة من
عبده وعول ابن جرير في الجواب على ان ما لما لا يعقل عند العرب وقد اسلم ابن الزبعرى بعد ذلك وكان يعتذر وقوله
لا يحزنهم الفزع الاكبر قيل المراد به الموت وقيل النفخة في الصور قاله ابن عباس واختاره ابن جرير وقيل حين يؤمر بالعبد
الى النار وقيل حين يذبح الموت وقوله وتتلقيهم الملئكة يعني تقول لهم الملئكة تبشرهم يوم معادهم اذا خرجوا من قبورهم هذا
يومكم الذي كنتم توعدون اي فاقبلوا ما يسركم يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدانا اول خلق نعيده وعدا
علينا انا كنا فاعلين هذا كائن يوم القيمة عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يطوي يوم القيمة الارضين
وتكون السموات بيمينه تفرد به البخاري وقال ابن عباس يطوي الله السموات السبع بما فيها من الخليقة والارضين السبع
بما فيها من الخليقة يطوي ذلك كله بيمينه يكون ذلك في يده بمنزلة خردلة وقوله كطي السجل للكتاب قيل السجل ههنا ملك
يكتب اعمال العباد فاذا صعد بالاستغفار قال الله اكتبها نورا وقال السدي هو ملك موكل بالصحف فاذا مات الانسان
دفع كتابه الى السجل فطواه ورفعه الى يوم القيمة وقيل هو اسم صحابي كان يكتب للنبي الوحي وبه قال ابن عباس رواه ابو داود
والنسائي اي كما يطوي السجل الكتاب كذلك نطوي السماء وهذا غير محفوظ عن ابن عباس بل قيل بوضعه وان كان في بعض
السنن هكذا قال شيخنا ابو الحجاج المزي رحمه الله وقال لا نعرف في الصحابة احد اسمه السجل والصحيح عن ابن عباس ان
السجل هي الصحيفة نص على ذلك مجاهد وغير واحد واختاره ابن جرير لانه المعروف في اللغة فعلى هذا يكون معناه كطي الصحيفة
على مكتوبها كقوله فلما اسلما وتله للجبين اي على الجبين وقوله كما بدانا اول خلق نعيده يعني هذا كائن لا محالة يوم يعيد الله
الخلائق خلقا جديدا كما بداهم وهو القادر على اعادتهم وذلك واجب الوقوع لانه من جملة وعد الله الذي لا يخلف ولا يبدل
وهو القادر على ذلك ولهذا قال انا كنا فاعلين عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال انكم
محشورون الى الله حفاة عراة كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين وذكر تمام الحديث هكذا في الصحيحين ولقد
كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين اخبر تعالى عما حتمه وقضاه لعباده الصالحين من السعادة في الدارين ووراثة الارض
فيها كقوله ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وغيره من الايات واخبر ان هذا مسطور في الكتب
الشرعية والقدرية فهو كائن لا محالة ولهذا قال ولقد كتبنا في الزبور اي الكتب المنزلة على الانبياء وقال مجاهد الزبور
الكتاب وقيل الزبور كتاب عيسى والذكر التورية وقيل الذكر القران وقيل الذكر الكتاب عند الله وهو الكتاب الاول
وقيل هو اللوح المحفوظ قال ابن عباس اخبر تعالى في التورية والزبور وسابق علمه قبل ان تكون السموات والارض ان
يورث امة محمد عليه الصلوة والسلم الارض ويدخلهم الجنة وهم الصالحون قالوا هم المؤمنون والمراد ارض
الجنة وقوله ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين اي ان في هذا القران الذي انزلناه على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم لمنفعة
وكفاية لقوم عبدوا الله بما شرعه واحبه ورضيه وآثروا طاعة الله على طاعة الشيطان وقوله وما ارسلناك

وعدا علينا
مصدر مؤكد لان اول
نعيده عدة للاعادة

تمام الحديث
واول من يكسى يوم القيمة ابرهيم
وان ناسا من اصحابي يؤخذ بهم
ذات الشمال فاقول اصحابي اصحابي
فيقول انهم لن يزالوا مرتدين على اعقابهم
مذ فارقتهم فاقول كما قال العبد الصالح
وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني
كنت انت الرقيب عليهم الى قوله العزيز
الحكيم

لقوم عابدين اي الذين همهم
العبادة دون العادة

الا رحمة للعالمين اخبر تعالى ان الله جعل محمدا رحمة للعالمين اي ارسله رحمة لهم كلهم فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه
النعمة سعد في الدنيا والاخرة ومن ردها وجحدها خسر في الدنيا والاخرة كما قال تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمة
الله كفرا الاية وعن ابي هريرة قيل يا رسول الله ادع على المشركين قال اني لم ابعث لعانا وانما بعثت رحمة تفرد به مسلم
وايضا مرفوعا انما انا رحمة مهداة وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني رحمة مهداة
بعثت برفع قوم وخفض آخرين قيل فاي رحمة حصلت لمن كفر به فالجواب ما رواه ابن عباس في هذه الاية
قال من امن بالله واليوم الاخر كتبت له الرحمة في الدنيا والاخرة ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما اصاب الامم
من الخسف والقذف هكذا رواه ابن ابي حاتم والطبراني قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون
فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول
ويعلم ما تكتمون وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان
على ما تصفون امر تعالى رسوله عليه الصلوة والسلم ان يقول للمشركين انما يوحى الي انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون
اي متبعون على ذلك مستسلمون منقادون له فان تولوا اي فان اعرضوا وتركوا ما دعوتهم اليه فقل آذنتكم على سواء
اي اعلمتكم اني حرب لكم كما انكم حرب لي بري منكم كما انكم براء مني كقوله فان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم الاية يعني
اعلمتكم ببراءتي منكم وبراءتكم مني لعلمي بذلك وقوله وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون اي هو واقع لا محالة ولكن
لا علم لي بقربه ولا بعده انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون اي ان الله يعلم الغيب جميعه ويعلم ما يظهره العباد
وما يسرون ويعلم الظواهر والضمائر ويعلم السر واخفى ويعلم ما العباد عاملون في اسرارهم واجهارهم وسيجزيهم
على ذلك على القليل والجليل وقوله وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين اي وما ادري لعل هذا فتنة لكم ومتاع
الى حين قال ابن جرير عن ابن عباس لعل تاخير ذلك عنكم فتنة لكم ومتاع الى اجل مسمى وقوله قل رب احكم بالحق اي
افصل بيننا وبين قومنا المكذبين بالحق قال قتادة كانت الانبياء عليهم السلم يقولون ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول رب احكم بالحق وكان اذا شهد غزاة يقول ذلك وقوله وربنا الرحمن المستعان
على ما تصفون اي على ما تقولون وتفترون من الكذب وتتنوعون من الافك والتكذيب والله المستعان عليكم في ذلك

تفسير سورة الحج وهي مكية غير آيات من قوله هذان خصمان الى قوله الحميد . بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع
كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد امر تعالى عباده بتقويه
واخبرهم بما يستقبلون من اهوال يوم القيمة وزلازلها واختلفوا في زلزلة الساعة هل هي بعد قيام الناس من قبورهم
يوم نشورهم الى عرصات القيمة او ذلك عبارة عن زلزلة الارض قبل ذلك كما قال تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وغيره من
الايات فقال بعضهم هذه الزلزلة كائنة في آخر عمر الدنيا واول احوال القيمة كما روى ابو هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله لما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص
ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قال عليه الصلوة والسلم وهو قرن عظيم ينفخ فيه ثلث نفخات الاولى نفخة الفزع
والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع

اي وما ادري لعل ما خبر اكم استدراج لكم
وزيادة في افتتانكم او امتحان لكم لينظر
كيف تعملون

فيفزع اهل السموات واهل الارض الا من شاء الله ويامره فيمدها ويطولها ولا يفتر وهي التي يقول الله وما ينظر هؤلاء
الا صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الجبال فتكون سرابا وترج الارض باهلها رجا وهي التي يقول الله يوم ترجف الراجفة
تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة فتكون الارض كالسفينة الموبقة في البحر تضربها الامواج تكفيها باهلها و
كالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الارواح فيميد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان
وتطير الشياطين هاربة حتى تاتي الاقطار فتلقاها الملكة فتضرب وجوهها فترجع ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم
بعضا وهو الذي يقول الله يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد فبينا هم
على ذلك اذ تصدعت الارض من قطر الى قطر وراوا امرا عظيما فاخذهم لذلك من الكرب ما الله اعلم به ثم نظروا الى
السماء فاذا هي كالمهل ثم خسف شمسها وخسف قمرها وانتثرت نجومها ثم كشطت عنهم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والاموات لا يعلمون بشي من ذلك قال ابو هريرة فمن استثنى الله حين يقول ففزع من في السموات ومن في
الارض الا من شاء الله قال اولئك الشهداء وانما يصل الفزع الى الاحياء اولئك احياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله
شر ذلك اليوم وامنهم وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه وهو الذي يقول الله يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة
الساعة شي عظيم الى قوله شديد رواه ابن جرير وابن ابي حاتم والطبراني مطولا جدا والغرض انه دل على ان هذه الزلزلة
كائنة قبل يوم القيمة لقربها منها كما يقال اشراط الساعة ونحو ذلك والله اعلم وقال آخرون بل ذلك هول وفزع وزلزال و
بلبال كائن يوم القيمة في العرصات بعد القيام من القبور وهو اختيار ابن جرير محتجين باحاديث منها في الصحيحين عن
ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى يا آدم يقول لبيك وسعديك والخير في يديك قال اخرج بعث
النار قال وما بعث النار قال من كل الف تسعماية وتسعة وتسعين الى النار فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل
حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قالوا يا رسول الله واينا ذلك الواحد قال ابشروا فان
منكم رجلا ومن ياجوج وماجوج الف ثم قال والذي نفسي بيده اني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا فقال ارجو ان تكونوا
ثلث اهل الجنة فكبرنا فقال ارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة فكبرنا قال ما انتم في الناس الا كالشعرة السوداء في جلد ثور ابيض
او كشعرة بيضاء في جلد ثور اسود وفيهما ايضا عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انكم تحشرون يوم القيمة حفاة عراة
غرلا قالت عائشة يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم الى بعض قال يا عائشة ان الامر اشد من ان يهمهم ذلك
وعنها ايضا قالت قلت يا رسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيمة قال يا عائشة اما عند ثلث فلا وفي رواية ابي داود
اما في ثلثة مواطن فلا يذكر احد احدا عند الميزان حتى يعلم ايخف ميزانه ام يثقل وعند الكتاب حين يقال هاؤم اقرؤا
كتابيه حتى يعلم اين يقع كتابه ابيمينه ام في شماله من وراء ظهره وعند الصراط اذا وضع بين ظهراني جهنم و
الاحاديث في اهوال القيمة كثيرة ولهذا قال ان زلزلة الساعة شي عظيم اي امر عظيم وخطب جسيم والزلزال هو ما
يحصل للنفوس من الفزع والرعب ثم قال يوم ترونها هذا من باب ضمير الشان والقصة ولهذا قال مفسرا له تذهل
كل مرضعة عما ارضعت اي تشتغل لهول ما ترى عن احب الناس اليها والتي هي اشفق الناس عليه تدهش عنه في حال
ارضاعها له ولهذا قال كل مرضعة ولم يقل مرضع وقال عما ارضعت اي عن رضيعها قبل فطامه وقوله وتضع كل ذات حمل
حملها اي قبل تمامه لشدة الهول وترى الناس سكارى وقرئ سكرى اي من شدة الامر الذي قد صاروا فيه قد دهشت

اراد به تهويل القيمة ومعناه لو كان حينئذ مرضعة لذهلت [illegible]

عقولهم

عقولهم وغابت اذهانهم فمن راهم حسب انهم سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ومن الناس
من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى
عذاب السعير لقد ذم الله من كذب بالبعث وانكر قدرة الله على احياء الموتى معرضا عما انزل الله على انبيائه متبعا في
كفره كل شيطان مريد من الجن والانس وهم اهل الضلال والبدع المعرضون عن الحق المتبعون للباطل يتركون ما انزل
الله على رسوله من الحق المبين ويتبعون اخوان رؤس الضلالة الدعاة الى البدع بالاهواء والاراء ولهذا قال في
شانهم واشباههم ومن الناس من يجادل في الله بغير علم اي علم صحيح ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه اي كتب على الشيطان
كتابة قدرية انه من تولاه اي اتبعه وقلده فانه يضله اي في الدنيا ويقوده في الاخرة الى عذاب السعير وهو الحار المؤلم
المزعج المقلق قالوا نزلت هذه الاية في النضر بن الحرث كان كثير الجدل ينكر البعث واحياء من صار ترابا ويقول الملكة
بنات الله والقرآن اساطير الاولين يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة
ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم
نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد
علم شيا وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ذلك
بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شي قدير وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله
يبعث من في القبور لما ذكر تعالى المنكر للبعث والنشور ذكر الدليل على قدرته تعالى على المعاد بما يشاهد من بدئه
للخلق فقال يا ايها الناس ان كنتم في ريب اي في شك من البعث وهو المعاد واحياء الاجساد يوم القيمة فانا
خلقناكم من تراب اي اصل برئه لكم من تراب وهو الذي خلق منه آدم ثم من نطفة اي ثم جعل نسله من سلالة
من ماء مهين ثم من علقة ثم من مضغة وذلك انه اذا استقرت النطفة في رحم المراة مكثت اربعين يوما كذلك
يضاف اليه ما يجتمع اليها ثم تنقلب علقة حمراء باذن الله تعالى فتمكث كذلك اربعين يوما ثم تستحيل فتصير مضغة
قطعة من لحم لا شكل فيها ولا تخطيط ثم تشرع في التشكل والتخطيط فتصور منها راس ويدان وصدر وبطن وفخذان
ورجلان وسائر الاعضاء فتارة تسقطها المراة قبل التشكل والتخطيط وتارة تلقيها وقد صارت ذات شكل و
تخطيط ولهذا قال تعالى ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة اي كما تشاهدونها لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى
اجل مسمى اي وتارة تستقر في الرحم لا تلقيها المراة ولا تسقطها كما قال مجاهد في هذه الاية هو السقط مخلوق وغير مخلوق
فاذا مضى عليها اربعون يوما وهي مضغة ارسل الله اليها ملكا فنفخ فيها الروح وسواها كما يشاء الله من حسن وقبيح
وذكر وانثى وكتب رزقها واجلها وشقي او سعيد كما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين ليلة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون
مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه الملك فيؤمر باربع كلمات يكتب عمله واجله ورزقه وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح
وعن حذيفة بن اسيد يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم اربعين او خمسة و
اربعين يوما فيقول اي رب اشقي ام سعيد فيقول الله ويكتبان فيقول اذكر ام انثى فيقول الله ويكتبان ويكتب عمله و
اثره ورزقه واجله ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص رواه ابن ابي حاتم وروى مسلم نحوه وقوله ثم نخرجكم طفلا

ويتبع في جداله في الله بغير علم او في عامة احواله كل شيطان مريد متمرد على الله مستمر في الشر

والمعنى انه يخاصم في قدرة الله ويزعم انه غير قادر على البعث بغير علم في ذلك انما يقوله باغواء الشيطان وطاعته اياه

المضغة قطعة لحم قدر ما يمضغ

من قدر على خلق البشر من تراب اولا ثم من نطفة ثانيا [illegible]

وعن عبد الله بن مسعود قال ان النطفة اذا استقرت في الرحم اخذها الملك بكفه فقال رب مخلقة او غير مخلقة فان قال غير مخلقة قذفها الرحم دما ولم تكن نسمة وان قال مخلقة قال الملك اذكر ام انثى اشقي ام سعيد ما الاجل ما العمل ما الرزق وباي ارض تموت فيقال له اذهب الى ام الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجدها في ام الكتاب فينسخها فلا تزال معه حتى ياتي على آخر صفته حاكم

عطف على لنبين ومعناه خلقناكم [illegible]

في سمعه وبصره وحواسه وبطشه ثم يعطيه الله القوة شيئا فشيئا ويلطف به ويحنن عليه والديه في آناء الليل و
اطراف النهار ولهذا قال ثم لتبلغوا اشدكم اي يتكامل القوى ويتزايد ويصل الى عنفوان الشباب وحسن المنظر
ومنكم من يتوفى اي في حال شبابه وقواه ومنكم من يرد الى ارذل العمر وهو الشيخوخة والهرم وضعف القوة
والعقل والفهم والفكر ولهذا قال لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اي يبلغ من السن ما يتغير عقله فلا يعقل شيئا كما في
آية اخرى ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة وفي مسند احمد عن انس قال اذا بلغ الرجل اربعين [illegible]
انواع البلا من الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ الخمسين لين الله حسابه واذا بلغ الستين رزقه الله انابة
يحبه عليها واذا بلغ السبعين احبه الله واحبه اهل السماء واذا بلغ الثمانين تقبل الله حسناته ومحى عنه سياته
واذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وسمي اسير الله في الارض وشفع له في اهله وروى عمر بن
الخطاب مثله مرفوعا وقد رواه انس ايضا مرفوعا وقوله وترى الارض هامدة هذا دليل آخر على قدرته تعالى على
احياء الموتى كما يحيي الارض الميتة الهامدة وهي المقحلة التي لا ينبت فيها شي فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت اي فاذا
انزل الله عليها المطر اهتزت اي تحركت بالنبات وحييت بعد موتها وربت اي ارتفعت لما سكن فيها الثرى
ثم انبتت ما فيها من الالوان والفنون من ثمار وزروع واشتات النباتات باختلاف الوانها وطعومها وروائحها
واشكالها ومنافعها ولهذا قال وانبتت من كل زوج بهيج اي حسن المنظر طيب الريح وقوله ذلك بان الله هو
الحق اي الخالق المدبر الفعال لما يشاء وانه يحيي الموتى اي كما احيى الارض الميتة وانبت منها هذه الانواع ان
الذي احياها لمحيي الموتى وانه على كل شي قدير وان الساعة آتية لا ريب فيها اي كائنة لا شك فيها ولا مرية وان
الله يبعث من في القبور اي يعيدهم بعد ما صاروا في قبورهم رمما ويوجدهم بعد العدم كما قال تعالى وضرب لنا مثلا
ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم الآيات وعن ابي رزين العقيلي انه قال يا رسول الله اكلنا يرى ربه
عز وجل وما آية ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس كلكم ينظر الى القمر مخليا به قلنا بلى قال فالله اعظم
قال قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه قال اما مررت بوادي اهلك ممحلا قال بلى قال
ثم مررت به يهتز خضرا قال بلى قال وكذلك يحيي الله الموتى وذلك آيته في خلقه رواه احمد وابو داود ومن الناس
من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي
ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد ثم ذكر تعالى
حال الدعاة الى الضلال من رؤس الكفر والبدع فقال ومن الناس من يجادل في الله بغير علم اي بلا عقل صحيح ولا
نقل صحيح بل بمجرد الراي والهوى ثاني عطفه قال ابن عباس اي مستكبر عن الحق اذا دعي اليه وقال غيره لاوي عنقه
يعني يعرض عما يدعى اليه من الحق ويثني رقبته استكبارا كما قال تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله
لووا رؤسهم الآية وقوله ليضل عن سبيل الله قيل هذه لام العاقبة لانه قد لا يقصد ذلك ويحتمل ان يكون لام التعليل
ثم قال له في الدنيا خزي وهو الاهانة والذل كما انه استكبر عن آيات الله في الدنيا فعوقب فيها بالقتل [illegible] ونذيقه
يوم القيمة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك اي يقال لهم هذا تقريعا وتوبيخا وان الله ليس بظلام للعبيد وقال
الحسن بلغني ان احدهم يحرق في اليوم سبعين الف مرة ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير

اشدكم كمالكم في القوة والعقل والتمييز
جمع شدة كالانعم جمع نعمة كانها
شدة في الامور [illegible]
المسلم

والا لما احيى الارض الميتة والا النطفة
فان قدرته لذاته الذي نسبته الى
الكل سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته
على احياء بعض الاموات لزم اقتداره
على كلها

المراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى
الاستدلال والنظر لانه يهدي الى المعرفة
وبالكتاب المنير الوحي اي يجادل بظن
او تخمين لا باحد من الثلثة

ولا هدى ولا كتاب منير

اطان

اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين
يدعو من دون الله ما لا ينفعه وما لا يضره ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره اقرب من
نفعه لبئس المولى ولبئس العشير قال مجاهد وقتادة على حرف اي على شك وقال غيرهم على طرف اي دخل في الدين
على طرف واصله من حرف الشي وهو طرفه فيقال للشاك في الدين انه يعبد الله على حرف فان وجد ما يحب استقر والا
انشمر وقال ابن عباس كان الرجل يقدم المدينة فان ولدت امراته غلاما ونتجت خيله قال هذا دين صالح وان لم تلد امراته
ولدا ولم تنتج خيله قال هذا دين سوء رواه البخاري وقال ابن زيد ذلك المنافق ان صلحت دنياه اقام على العبادة وان فسدت
عليه دنياه وتغيرت انقلب فلا يقيم على العبادة الا لما صلح من دنياه فاذا اصابته فتنة او شدة او اختبار او ضيق ترك دينه و
رجع الى الكفر ولهذا قال انقلب على وجهه اي ارتد كافرا وقوله خسر الدنيا والآخرة اي فهذا الشاك خسر الدنيا بفوات ما كان
يؤمل والآخرة بالخلود في النار وهو في غاية الشقاء والاهانة ولهذا قال ذلك هو الخسران المبين اي هذه هي الخسارة العظيمة
والصفقة الخاسرة وقوله يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه اي من الاصنام والانداد يستغيث بها ويستنصرها ويسترزقها
وهي لا تنفعه ولا تضره ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره اقرب من نفعه اي ضرره في الدنيا قبل الآخرة اقرب من نفعه
فيها واما في الآخرة فضرره محقق متيقن وقوله لبئس المولى ولبئس العشير اي بئس الذي دعاه من دون الله يعني الوثن قاله
مجاهد مولى اي وليا وناصرا وبئس العشير وهو المخالط والمعاشر واختار ابن جرير ان المراد لبئس ابن العم والصاحب من يعبد
الله على حرف والاول اقرب والله اعلم ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار ان الله يفعل ما يريد لما ذكر اهل الضلالة الاشقياء عطف بذكر الابرار السعداء من الذين آمنوا بقلوبهم
وصدقوا ايمانهم بافعالهم فعملوا الصالحات من جميع انواع القربات وتركوا المنكرات فاورثهم ذلك سكنى الدرجات العاليات
في روضات الجنات ولما بين انه اضل اولئك وهدى هؤلاء قال ان الله يفعل ما يريد من كان يظن ان لن ينصره الله
في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ وكذلك انزلناه
آيات بينات وان الله يهدي من يريد قال ابن عباس من كان يظن ان لن ينصر الله محمدا عليه الصلوة
والسلم في الدنيا والآخرة فليمدد بحبل الى سماء بيته ثم ليختنق به وقال ابن زيد فليمدد بسبب الى السماء اي ليتوصل الى
بلوغ السماء فان النصر انما ياتي محمدا من السماء ثم ليقطع ذلك عنه ان قدر على ذلك والاول اظهر في المعنى وابلغ في التهكم فان
المعنى من ظن ان الله ليس بناصر محمدا وكتابه ودينه فليذهب فليقتل نفسه ان كان ذلك غائظه فان الله ناصره لا محالة
قال تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا الآية ولهذا قال فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ اي فلينظر هل يشفي ذلك
ما يجد في صدره من الغيظ وقوله وكذلك انزلناه اي القرآن آيات بينات اي واضحات في لفظها ومعناها حجة من الله على الناس
وان الله يهدي من يريد اي يضل من يشاء ويهدي من يشاء وله الحكمة التامة والحجة القاطعة في ذلك ان الذين آمنوا والذين
هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة ان الله
على كل شي شهيد اخبر تعالى عن اهل هذه الاديان المختلفة من المؤمنين ومن سواهم من اليهود والصابئين وقد سبق تفسير
في سورة البقرة وتعريفهم واختلاف الناس فيهم والنصارى والمجوس والذين اشركوا فعبدوا غير الله معه فانه تعالى يفصل بينهم يوم
القيمة بحكم بينهم بالعدل فيدخل من آمن به الجنة ومن كفر به النار فانه تعالى شهيد على افعالهم حفيظ لاقوالهم عليم بسرائرهم وما تكن

المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله و
الخروج الى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين
احدهما ذهاب ما اصيب به والثانية
ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران الدارين

[illegible]

[illegible]

الم تر ان الله يسجد له من في السموات والارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب
وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء اخبر تعالى
انه المستحق للعبادة فانه يسجد لعظمته كل شيء طوعا وكرها كما قال الم تر ان الله يسجد له من في السموات والارض اي من
الملائكة في اقطار السموات والحيوانات في جميع الجهات من الانس والجن والدواب والطير وان من شيء [illegible]
وقوله والشمس والقمر والنجوم انما ذكر هذه على التنصيص لانها قد عبدت من دون الله فبين انها تسجد لخالقها وانها
مربوبة مسخرة لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون وفي الصحيحين عن ابي ذر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدري اين تذهب هذه الشمس قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب فتسجد
تحت العرش ثم تستامر فيوشك ان يقال لها ارجعي من حيث جئت قال ابو العالية ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر الا يقع
لله ساجدا حين تغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فياخذ ذات اليمين حتى يرجع الى مطلعه واما الجبال والشجر فسجودهما
بفيء ظلالهما عن اليمين والشمائل وقال ابن عباس جاء رجل فقال يا رسول الله اني رايتني الليلة وانا نائم كاني اصلي
خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودي فسمعتها وهي تقول اللهم اكتب لي بها عندك اجرا وضع عني بها وزرا
واجعلها لي عندك ذخرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود قال ابن عباس فقرا النبي صلى الله عليه وسلم سجدة فسجد
فسمعته وهو يقول مثل ما اخبره الرجل عن قول الشجرة رواه الترمذي وابن ماجه وقوله والدواب اي الحيوانات كلها
وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ ظهور الدواب منابر فرب مركوبة خير من راكبها واكثر ذكرا
لله منه رواه احمد وقوله وكثير من الناس اي يسجد لله طوعا مختارا متعبدا بذلك وكثير حق عليه العذاب اي ممن
امتنع وابى واستكبر ومن يهن الله فما له من مكرم اي من يذله الله فلا يكرمه احد ان الله يفعل ما يشاء يكرم ويهين
فالسعادة والشقاوة بمشيته وارادته عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن آدم السجدة
اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله امر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فابيت فلي النار رواه
مسلم وعن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله فضلت سورة الحج بان فيها سجدتين قال نعم ومن لم يسجدهما فلا
يقراهما رواه ابو داود والترمذي وعن عمرو بن العاص قال اقراني رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سجدة في
القرآن منها ثلاث في المفصل وفي سورة الحج سجدتان رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه هذان خصمان اختصموا
في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم
والجلود ولهم مقامع من حديد كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب
الحريق ثبت في الصحيحين عن ابي ذر انه كان يقسم قسما ان هذه الآية هذان خصمان اختصموا في ربهم نزلت في حمزة و
صاحبيه وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في بدر وعن علي بن ابي طالب انه قال انا اول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة
يوم القيمة قال قيس بن عباد وفيهم نزلت هذان خصمان اختصموا في ربهم قال هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمزة
وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة انفرد به البخاري وقال قتادة اختصم المسلمون و
اهل الكتاب فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم وقال المسلمون كتابنا يقضي على الكتب كلها
ونبينا خاتم الانبياء فنحن اولى بالله منكم فافلج الله الاسلام على من ناواه وانزل هذان خصمان اختصموا في ربهم وقال

قال محمد بن اسحاق خرج يعني يوم بدر عتبة بن ربيعة
وابنه الوليد بن عتبة ودعا الى المبارزة فخرج اليه
فتية من الانصار ثلثة عوف ومعوذ ابنا الحرث
وامهما عفراء وعبد الله بن رواحة فقالوا من انتم
فقالوا رهط من الانصار فقالوا حين انتسبوا
اكفاء كرام ثم نادى مناديهم يا محمد اخرج الينا اكفاءنا
من قومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحارث
وقم يا حمزة بن عبد المطلب وقم يا علي بن ابي طالب فلما دنوا قالوا من انتم فذكروا قالوا نعم اكفاء كرام فبارز عبيدة وكان اسن القوم عتبة وبارز حمزة شيبة وعلي الوليد واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتان كلاهما اثبت صاحبه
وكر حمزة وعلي باسيافهما على عتبة فذففا عليه واحتملا عبيدة الى اصحابه وقد قطعت رجله فمخها يسيل فلما اتوا بعبيدة الى رسول الله صلعم قال الست شهيدا قال بلى يا رسول الله فقال عبيدة لو كان ابو طالب حيا
لعلم انا احق بما قال منه حيث يقول
ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن ابنائنا والحلائل
سو معالم

مجاهد

مجاهد المراد الكافر والمؤمن اختصموا في البعث وقيل هم المؤمنون والكافرون وهذا يشمل الاقوال كلها وينتظم
فيه قصة يوم بدر وغيرهم فان المؤمنين يريدون نصرة دين الله والكافرون يريدون اطفاء نور الايمان وهذا
اختيار ابن جرير وهو حسن ولهذا قال فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار اي فصلت لهم مقطعات من نار قال
ابن جبير من نحاس وهو اشد الاشياء حرارة اذا حمي يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود
اي اذا صب على رؤسهم الحميم وهو الماء الحار في غاية الحرارة يذاب ما في بطونهم من الشحم والامعاء قاله ابن عباس و
اتباعه وكذلك تذوب جلودهم قال ابن جبير هو النحاس المذاب اذاب ما في بطونهم وجلودهم وعن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق
من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان رواه الترمذي وصححه وقوله ولهم مقامع من حديد اي سياط واحدتها مقمعة
عن ابي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان مقمعا من حديد وضع في الارض فاجتمع الثقلان ما اقلوه
من الارض رواه احمد قال ابن عباس يضربون بها فيقع كل عضو على حياله فيدعون بالثبور وقوله كلما ارادوا ان يخرجوا
منها من غم اعيدوا فيها اي كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي ياخذهم بانفاسهم ردوا اليها بالمقامع
قال الفضيل بن عياض والله ما طمعوا في الخروج ان الارجل لمقيدة وان الايدي لموثقة ولكن يرفعهم لهبها وتردهم
مقامعها وقوله وذوقوا عذاب الحريق اي تقول لهم الملائكة ذوقوا عذاب الحريق اي المحرق يعني انهم يهانون بالعذاب قولا
وفعلا ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من
اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط
الحميد لما اخبر تعالى عن حال اهل النار ذكر حال اهل الجنة فقال ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري
من تحتها اي من اكنافها وارجائها وتحت قصورها واشجارها الانهار يصرفونها حيث شاؤوا واين شاؤوا يحلون فيها
من اساور من ذهب ولؤلؤا اي في ايديهم قال كعب الاحبار ان في الجنة ملكا يصوغ لاهل الجنة الحلي منذ خلقه
الله الى يوم القيمة لو ابرز قلب منها اي سوار لرد شعاع الشمس كما ترد الشمس نور القمر وقوله ولباسهم فيها حرير هذا في
مقابلة لباس اهل النار التي فصلت لهم فان لباس هؤلاء من الحرير الاستبرق والسندس كما قال عاليهم ثياب سندس
خضر واستبرق الآية وفي الصحيح لا تلبسوا الحرير ولا الديباج في الدنيا فانه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة قال ابن الزبير
ومن لم يلبسه في الآخرة لم يدخل الجنة قال تعالى ولباسهم فيها حرير وقوله وهدوا الى الطيب من القول اي فهدوا و
ارشدوا الى المكان الذي يسمعون فيه الكلام الطيب قال ابن عباس هو التهليل والتكبير والتحميد وقيل هو قول اهل
الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده ويلقون فيها تحية وسلاما كما يقال لاهل النار توبيخا ذوقوا عذاب الحريق وقوله و
هدوا الى صراط الحميد اي الى المكان الذي يحمدون فيه ربهم على ما احسن اليهم وانعم عليهم كما جاء في الصحيح يلهمون
التسبيح والتهليل كما يلهمون النفس وقيل الى الطريق المستقيم في الدنيا والكل قريب من الاخر ان الذين كفروا و
يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه
بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم قال تعالى منكرا على الكفار في صدهم المؤمنين عن اتيانهم المسجد الحرام ان الذين كفروا
ويصدون اي ومن صفتهم مع كفرهم انهم يصدون عن سبيل الله ويصدون عن المسجد الحرام من اراده من المؤمنين

[illegible]

لعله صهرت الالية والشحم بالنار اذا اذبتهما
اصهرها صهرا اذبتها تذاب بالحميم الذي يصب
من فوق رؤسهم ما في بطونهم من الشحوم والاحشاء
والجلود اي تشوى بحرها جلودهم فتتساقط

[illegible] المقمعة شبه الجرز من حديد

[illegible]

الحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك

حليت المراة اذا لبست الحلي

انهم يلبسون في الجنة ثياب الابرسيم وهو الذي حرم الله لبسه في الدنيا على الرجال

نزلت في ابي سفيان واصحابه حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

عطف المستقبل على الماضي لان المراد من لفظ المستقبل الماضي كما في موضع آخر الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله [illegible]

الذين هم احق الناس به في نفس الامر وفيه دليل على ان هذه الآية مدنية وقوله الذي جعلناه للناس اي يمنعون الناس
عن الوصول الى المسجد الحرام سواء العاكف فيه والباد اي قد جعله شرعا سواء لا فرق بينه وبين المقيم فيه والنائي
عنه البعيد الديار منه ومعنى التسوية هو التسوية في زيارة الكعبة وفضل الصلوة في المسجد الحرام وقيل المراد منه
جميع الحرم وان المقيم والبادي سواء في النزول به ليس احدهما احق بالنزول فيه من الآخر غير انه لا يزعج
وبه قال ابن عباس وجماعة ثم اختلف فيه اهل الفقه فذهب الشافعي الى ان رباع مكة تملك وتورث وتوجر محتجا
بما في الصحيحين عن اسامة بن زيد قال قلت يا رسول الله اتنزل غدا في دارك بمكة فقال وهل ترك لنا عقيل من رباع
رواية من رباع وبما ثبت ان عمر بن الخطاب اشترى من صفوان بن امية دارا بمكة باربعة آلاف درهم فجعلها
سجنا وذهب اسحق وطائفة من السلف الى انها لا تورث لانها لا توجر وتمسكوا بحديث رواه ابن ماجه انه توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وما يدعى رباع مكة الا السوائب من احتاج سكن ومن استغنى اسكن
ولما روي ان عمر بن الخطاب قال يا اهل مكة لا تتخذوا لبيوتكم ابوابا لينزل البادي حيث شاء وتوسط احمد وقال تملك
وتورث ولا توجر جمعا بين الادلة وقوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم قيل الباء في بالحاد زائدة كقوله
تنبت بالدهن وتقديره الحادا كما قال الاعشى ؞ ضمنت برزق عيالنا ارماحنا ؞ بين المراجل والصريح الاجردا ؞
وقال الآخر ؞ بواد يمان ينبت الشث صدره ؞ واسفله بالمرخ والشبهان ؞ والاجود انه ضمن الفعل ههنا معنى
يهم ولهذا عداه بالباء فقال ومن يرد فيه بالحاد اي يهم فيه بامر فظيع من المعاصي الكبار وقوله بظلم اي
عامدا قاصدا انه ظلم قال ابن عباس هو الشرك وعنه ايضا هو ان تستحل من الحرام ما حرم الله فيه وقيل هو ان يعمل
فيه عملا سيئا قال ابن مسعود لو ان رجلا اراد فيه بالحاد بظلم وهو بعدن ابين لاذاقه الله من العذاب الاليم
قال ابن جبير شتم الخادم فما فوقه فيه ظلم وعن يعلى بن امية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احتكار الطعام
بمكة وفي رواية في الحرم الحاد فيه رواه ابو داود والحق ان الالحاد اعم من ذلك بل في هذه الاشياء تنبيه على ما
هو اغلظ منها وقد ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يغزو هذا البيت جيش حتى اذا كانوا ببيداء
من الارض يخسف باولهم وآخرهم وفي مسند احمد ان عبد الله بن عمر قال لابن الزبير اياك والالحاد في حرم الله فاني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه سيلحد فيه رجل من قريش لو وزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لرجحت فانظر
لا تكون هو **واذ بوانا لابرهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين**
والركع السجود واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق هذا فيه تقريع
وتوبيخ لمشركي قريش حيث اشركوا في البقعة التي اسست من اول يوم على التوحيد والطاعة فذكر تعالى انه بوا ابرهيم مكان
البيت اي ارشده اليه واذن له في بنائه واستدل به كثيرون بان ابرهيم هو اول من بنى البيت العتيق وانه لم يبن قبله
كما في الصحيحين عن ابي ذر قال قلت يا رسول الله اي مسجد وضع اول قال المسجد الحرام قلت ثم اي قال بيت المقدس قلت
كم بينهما قال اربعون سنة وقد سبق ما ورد في بناء البيت من الاحاديث والآثار بما اغنى عن اعادته هنا وقوله ان لا تشرك
بي شيئا اي ابنه على اسمي وحدي وطهر بيتي اي من الشرك للطائفين والقائمين والركع السجود اي اجعله خالصا لهؤلاء
الذين يعبدون الله وحده لا شريك له فالطائف معروف وهو اخص العبادات عند البيت والقائم في الصلوة ولهذا قال

سواء قرئ بالنصب على تقدير
جعلناه مساويا العاكف
فيه والباد وبالرفع على
ان الجملة مفعول ثان ؞

وقد استشهد به اصحاب ابي حنيفة رحمه الله تعالى
ان المراد بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز
بيع دور مكة واجارتها وعند الشافعي رحمه الله
لا يمتنع ذلك وقد حاوره اسحق بن
راهويه فاحتج الشافعي بقوله الذين اخرجوا
من ديارهم فنسب الديار الى مالكيها
او غير مالكيها واشترى عمر بن الخطاب دار
السجن من مالكيه او غير مالكيه ؞

الالحاد العدول عن القصد وقوله بالحاد
بظلم حالان مترادفان ومفعول يرد
متروك ليتناول كل متناول كانه قال
ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد
ظالما ؞

والركع السجود فقرن الطواف بالصلوة لانهما لا يشرعان الا مختصين بالبيت فالطواف به والصلوة اليه في غالب
الاحوال الا ما استثني من الصلوة عند اشتباه القبلة وفي الحرب وفي النافلة بالسفر وقوله واذن في الناس بالحج اي
ناد في الناس داعيا لهم الى الحج الى هذا البيت الذي امرناك ببنائه فذكر انه قال يا رب وكيف ابلغ الناس وصوتي
لا ينفذهم فقال ناد وعلينا البلاغ فقام على مقامه وقيل على الحجر وقيل على الصفا وقيل على ابي قبيس وقال يا ايها الناس
ان ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه فيقال ان الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت ارجاء الارض واسمع من في الاصلاب
والارحام واجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر او شجر ومن كتب الله انه يحج الى يوم القيمة لبيك اللهم لبيك هذا
مضمون ما رواه ابن عباس واصحابه برواية ابن جرير وابن ابي حاتم مطولا وقوله ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من
كل فج عميق قد استدل به من قال بان الحج ماشيا للقادر افضل من الحج راكبا لانه قدمهم في الذكر قال ابن عباس
ما آسى على شيء الا اني وددت اني كنت حججت ماشيا والاكثرون على ان الحج راكبا افضل اقتداء برسول الله صلى الله
عليه وسلم فانه حج راكبا مع كمال قوته وقوله ياتين من كل فج عميق اي طريق بعيد والعميق البعيد والمراد يأتين
لمكان كل والمراد النوق **ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من**
بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا
بالبيت العتيق قال ابن عباس اي منافع الدنيا والآخرة اما منافع الآخرة فرضوان الله واما منافع الدنيا فما يصيبون
من منافع البدن والذبائح والتجارات كقوله ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم وقوله ويذكروا اسم الله على ما
رزقهم من بهيمة الانعام والايام المعلومات الايام العشر قاله ابن عباس وغير واحد وبه قال الشافعي واحمد وقال
النبي عليه الصلوة والسلام ما العمل في ايام افضل منها في هذه الايام العشر قالوا ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد
في سبيل الله الا رجل يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء رواه البخاري وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من ايام اعظم عند الله ولا احب اليه العمل فيهن من هذه الايام العشر فاكثروا فيهن من التهليل والتكبير
والتحميد رواه احمد وفي سنن ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصوم هذا العشر وقيل الايام المعلومات
يوم النحر وثلثة ايام بعده وهو مذهب مالك ورواية عن احمد ويؤيده قوله تعالى على ما رزقهم من بهيمة الانعام
يعني به ذكر الله عند ذبحها وقيل هي يوم عرفة ويوم النحر ويوم آخر بعده وهو مذهب ابي حنيفة وقوله على ما رزقهم من
بهيمة الانعام يعني الابل والبقر والغنم كما هو مفصل في سورة الانعام وقوله فكلوا منها استدل بهذه الآية من ذهب الى
وجوب الاكل من الاضاحي والاكثرون على انه من باب الرخصة او الاستحباب كما ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نحر
هديه امر من كل بدنة ببضعة فطبخت فاكل من لحمها وحسى من مرقها وعن بعضهم ان المشركين لم يكونوا ياكلون من ذبائحهم
فرخص للمسلمين فمن شاء اكل ومن شاء لم ياكل وهذا الامر مثل فاذا حللتم فاصطادوا وقوله واطعموا البائس الفقير
اي المضطر الذي عليه البؤس قال مجاهد هو الذي لا يبسط يده وقيل هو الزمن وقوله ثم ليقضوا تفثهم قال
ابن عباس هو وضع الاحرام من حلق الرأس ولبس الثياب وقلم الاظفار ونحو ذلك واصل التفث الوسخ والقذارة
اي ليزيلوا ادرانهم والمراد الخروج من الاحرام وقوله وليوفوا نذورهم يعني ما نذر الانسان في شأن الحج والهدي ونحوه
وقال سفين هي نذور الحج يعني واجباتها من الاعمال كالسعي والطواف ووقوف عرفة والمزدلفة ورمي الجمار على ما امروا به

قوله رجالا اي مشاة جمع راجل كقائم وقيام
وعلى كل ضامر حال معطوفة على حال كانه
قال رجالا وركبانا وياتين صفة لكل
ضامر لانه في معنى الجمع ؞

عن ابن عباس انه قال لبنيه يا بني حجوا من مكة
مشاة حتى ترجعوا اليها مشاة فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للحاج الراكب
بكل خطوة تخطوها راحلته سبعون حسنة
وللحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة
حسنة من حسنات الحرم قال قيل وما
حسنات الحرم قال الحسنة بمائة الف ؞

وهذا العشر يشتمل على يوم عرفة الذي ثبت في
صحيح مسلم عن ابي قتادة قال سئل رسول الله صلعم عن
صيام يوم عرفة فقال اني احتسب على الله
ان يكفر السنة الماضية والآتية ويشتمل على يوم
النحر الذي هو يوم الحج الاكبر الذي قد ورد في
حديث انه افضل الايام عند الله وبالجملة فهذا
العشر قد قيل انه افضل ايام السنة كما نطق به الحديث
ففضله كثير على عشر رمضان الاخير لان هذا يشرع
فيه ما يشرع في ذلك من صيام وصدقة وصلوة وغيره
ويمتاز هذا باختصاصه باداء فرض الحج فيه وقيل
ذلك افضل لاشتماله على ليلة القدر التي هي خير
من الف شهر وتوسط آخرون
فقالوا ايام هذا افضل و
ليالي ذلك افضل وبه يجمع
شمل الادلة ؞

وقوله وليطوفوا بالبيت العتيق قال مجاهد اي الطواف الواجب يوم النحر وقال ابن عباس آخر المناسك الطواف
بالبيت وهكذا صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما رجع الى منى يوم النحر بدأ برمي جمرة العقبة فرماها بسبع
حصيات ثم نحر هديه وحلق راسه ثم افاض وطاف بالبيت من وراء الحجر واخبر ان الحجر من البيت ولهذا لم يستلم
الركنين الشاميين لانهما لم يتمما على قواعد ابرهيم وقال عكرمة انما سمي البيت العتيق لانه اعتق يوم الغرق
وقيل لانه لم يظهر عليه جبار قط وقيل لانه لم يرده احد بسوء الا هلك وقيل لان الله اعتقه من الجبابرة ذلك ومن
يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان
واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او
تهوى به الريح في مكان سحيق اي هذا الذي امرنا به من اداء المناسك وما لفاعلها من الثواب الجزيل ومن يعظم
حرمات الله اي ومن يجتنب معاصيه ومحارمه فهو خير له عند ربه اي فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل فكما ان على فعل الطاعات
ثوابا جزيلا فكذلك على ترك المحرمات اجرا كبيرا وقوله واحلت لكم الانعام اي واحللنا لكم جميع الانعام وما جعل الله من بحيرة ولا
سائبة ولا وصيلة ولا حام وقوله الا ما يتلى عليكم اي من تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة الى آخر
الاية وقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور من هنا لبيان الجنس اي اجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان
وقرن الشرك بالله بقول الزور كقوله قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تقولوا
على الله ما لا تعلمون ومنه شهادة الزور وفي الصحيحين عن ابي بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم
باكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال الا وقول الزور الا وشهادة
الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت وفي مسند احمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال يا ايها الناس
عدلت شهادة الزور بالاشراك بالله ثلاثا ثم قرا فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور وقوله حنفاء لله اي مخلصين
له الدين منحرفين عن الباطل قصدا الى الحق ولهذا قال غير مشركين به ثم ضرب للمشرك مثلا في ضلاله وهلاكه فقال
ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء اي سقط منها فتخطفه الطير اي تقطعه الطيور في الهواء او تهوي به الريح في
مكان سحيق اي بعيد مهلك لمن هوى فيه كما في حديث البراء ان الكافر اذا توفته ملائكة الموت وصعدوا بروحه الى
السماء فلا تفتح له ابواب السماء بل تطرح روحه طرحا من هناك الحديث وقد سبق مبسوطا في سورة ابرهيم ذلك ومن يعظم
شعائر الله فانها من تقوى القلوب لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق اي الذي ذكرنا
من اجتناب الرجس وقول الزور ومن تعظيم اوامر الله فانها من تقوى القلوب ومنها تعظيم الهدايا والبدن كما قال
ابن عباس تعظيمها استسمانها واستحسانها وقال ابو امامة بن سهل كنا نسمن الاضحية بالمدينة وكان المسلمون يسمنون
رواه البخاري وفيه عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى بكبشين املحين اقرنين وعن ابي سعيد ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضحى بكبش اقرن فحيل ياكل في سواد وينظر في سواد ويمشي في سواد رواه اهل السنن وصححه الترمذي وعن علي
رضي الله عنه قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نستشرف العين والاذن وان لا نضحي بمقابلة ولا مدابرة ولا
شرقاء ولا خرقاء رواه اهل السنن وصححه الترمذي قال بعض اللغويين ان كسر قرنها الاعلى فهي قصماء فاما العضب
فهو كسر الاسفل وعضب الاذن قطع بعضها وعند الشافعي يجوز التضحية بذلك مع كراهة والمقابلة هي التي قطع مقدم

[illegible]

سمي الاوثان رجسا الذي
وكذلك الخمر والميسر
والازلام عملا من الشيطان
بمعنى انكم كما تنفرون بطباعكم
عن الرجس وتجتنبونه فعليكم
ان تنفروا عن هذه الاشياء
مثل تلك النفرة ونبه على هذا
المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان
فاجتنبوه

قوله الفحل المنعوظ العظيم [illegible]
[illegible]
سواد مجاز عن سواد الفم وينظر في
سواد مجاز عن سواد العين ويمشي في سواد
مجاز عن سواد القوائم

ونزان تستشرف
العين اي نتامل في سلامتها

ولهم عنه قال نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان نضحي باعضب
القرن والاذن قال
قلت للمسيب العضب
النصف فاكثر

اذنها والمدابرة من مؤخر اذنها والشرقاء التي قطعت اذنها طولا والخرقاء التي خرقت اذنها خرقا مدورا واما
احكامها فمبسوطة في كتب الفقه وقوله لكم فيها منافع اي لكم في البدن منافع من لبنها وصوفها واوبارها واشعارها
وركوبها الى اجل مسمى قال ابن عباس اي ما لم تسمها بدنا او هديا وقال آخرون بل له ان ينتفع بها وان كانت هديا اذا
احتاج الى ذلك كما روى جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا يسوق بدنة فقال له اركبها بالمعروف اذا
الجئت اليها رواه مسلم وقوله ثم محلها الى البيت العتيق اي محل الهدي وانتهاؤه الى البيت العتيق وهو الكعبة كما قال
تعالى هديا بالغ الكعبة ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم
اله واحد فله اسلموا وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما اصابهم
والمقيمي الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اخبر تعالى انه لم يزل ذبح المناسك واراقة الدماء على اسم الله مشروعا
في جميع الملل قال ابن عباس منسكا اي عيدا ومذبحا وهي مكة ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام كما
ثبت في الصحيحين عن انس قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين املحين اقرنين فسمى وكبر ووضع رجله على
صفاحهما وقوله فالهكم اله واحد فله اسلموا اي معبودكم واحد وان تنوعت شرائع الانبياء ونسخ بعضها بعضا
فالجميع يدعون الى عبادة الله وحده لا شريك له وقوله اسلموا اي اخلصوا واستسلموا لحكمه وطاعته وبشر المخبتين
اي المطمئنين المتواضعين الوجلين قال عمرو بن اوس المخبتون الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقال
الثوري هم الراضون بقضاء الله المستسلمون له والاحسن ان يفسر بما بعده وهو قوله الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم اي خافت منه قلوبهم والصابرين على ما اصابهم اي من المصائب والمقيمي الصلوة بالنصب واصله و
المقيمين وانما حذف النون ههنا تخفيفا ولو كان الحذف للاضافة لوجب خفض الصلوة ولكن على سبيل القرب
فنصبت اي المؤدين حق الله فيما اوجب عليهم من اداء فرائضه ومما رزقناهم ينفقون اي وينفقون مما اتاهم الله من
طيب الرزق على اهليهم وارقائهم وقراباتهم ومحاويجهم ويحسنون الى خلق الله مع محافظتهم على حدود الله تعالى
والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها
فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون يمتن الله على عبيده فيما خلق لهم
من البدن وجعلها من شعائره هديا الى بيته الحرام وهو الابل والبقر على الصحيح ويجوز كل واحد منهما عن سبعة رواه مسلم
وقوله لكم فيها خير اي ثواب في الدنيا والاخرة وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عمل ابن آدم يوم النحر عملا
احب الى الله من هراقة دم وانه ليأتي يوم القيمة بقرونها واظلافها واشعارها وان الدم ليقع من الله بمكان قبل
ان يقع على الارض فطيبوا بها نفسا رواه الترمذي وحسنه وقوله فاذكروا اسم الله عليها صواف اي قياما على ثلاث
قوائم معقولة يدها اليسرى وعن جابر قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الاضحى فلما انصرف اتي بكبش فذبحه
فقال بسم الله والله اكبر اللهم هذا عني وعمن لم يضح من امتي رواه احمد وابو داود والترمذي وفي الصحيحين عن ابن عمر
انه اتى على رجل قد اناخ بدنته وهو ينحرها فقال ابعثها قياما مقيدة سنة ابي القاسم صلى الله عليه وسلم وعن جابر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا ينحرون البدن معقولة اليسرى قائمة على ما بقي من قوائمها رواه ابو داود وفي
حرف عبد الله صوافن اي معقلة قياما وقال مجاهد ومن قراها صواف اي تصف بين يديها وعن الحسن عن

[illegible]

حرمه الذي يحرم
البيت لا يحرم
البيت

شرع الله لكل امة ان ينسكوا اليه
يذبحوا لوجهه على وجه التقرب و
قرئ منسكا بفتح السين وكسرها وهو مصدر
بمعنى النسك والكسر بمعنى الموضع

البدن هي الابل خاصة ولان رسول الله
الحق البقر بالابل حين قال البدنة عن سبعة و
البقرة عن سبعة صارت البدنة في الشريعة متناولة
للجنسين عند ابي حنيفة والا فالبدن هي
الابل وعليه تدل الاية

من صفون الفرس وهو ان يقوم على ثلث
ويقيم الرابعة على طرف سنبكه لان
البدنة تعقل احدى يديها
فتقوم على ثلث

صففت القوم فاصطفوا اذا
اقمتهم على خط مستو
الابل واحدها صافة وصافن
وصوافن

صواف يعني خالصة لله عز وجل وقوله فاذا وجبت جنوبها اي سقطت على الارض وماتت بعد النحر فانه لا يجوز الاكل من البدنة اذا نحرت حتى تموت وتسكن حركتها وقوله فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر هذا امر اباحة واستحباب عند الاكثر وعند بعضهم واجب قال ابن عباس القانع المستغني بما اعطيته وهو في بيته والمعتر الذي يتعرض لك ويلم بك ان تعطيه من اللحم ولا يسألك وعنه ايضا القانع المتعفف والمعتر السائل وبه قال قتادة في جماعة وقال الحسن وغير واحد القانع هو الذي يقنع اليك ويسألك والمعتر الذي يعتريك يتضرع ولا يسألك وقيل القانع المسكين الذي يطوف والمعتر الصديق والضعيف الذي تزور وقيل غير ذلك والله اعلم واختار ابن جرير ان القانع هو السائل لانه من اقنع يده اذا رفعها للسؤال والمعتر من الاعتراء وهو الذي يتعرض لاكل اللحم وقد احتج بهذه الاية من ذهب الى ان الاضحية تجزى ثلثة اجزاء فثلث لصاحبها ياكلها وثلث يهديه لاصحابه وثلث يتصدق به على الفقراء وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس اني كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الاضاحي فوق ثلث فكلوا وادخروا ما بدا لكم وفي رواية فكلوا وادخروا وتصدقوا وفي رواية فكلوا واطعموا وتصدقوا وقوله كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون اي من اجل هذا سخرناها لكم اي ذللناها لكم فجعلناها منقادة لكم خاضعة ان شئتم ركبتم وان شئتم حلبتم وان شئتم ذبحتم كما قال تعالى اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم الى قوله افلا يشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هديكم و بشر المحسنين اي انما شرع لكم نحر هذه الهدايا والضحايا لتذكروه عند ذبحها فانه الخالق الرازق لا انه يناله شي من لحومها ولا دمائها فانه تعالى هو الغني عما سواه وقد كانوا في جاهليتهم اذا ذبحوها لالهتهم وضعوا عليها من لحوم قرابينهم ونضحوا عليها من دمائها فقال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم اي يتقبل ذلك ويجزي عليه كما جاء في الصحيح ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى الوانكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم وقوله كذلك سخرها لكم اي من اجل ذلك سخر لكم البدن لتكبروا الله على ما هديكم اي لتعظموه على ما هديكم لدينه وشرعه ما يحبه ويرضاه ونهاكم عن فعل ما يكرهه ويأباه وقوله وبشر المحسنين اي بشر يا محمد المحسنين في عملهم القائمين بحدود الله المتبعين ما شرع لهم المصدقين الرسول فيما بلغهم وقد ذهب ابو حنيفة ومالك الى القول بوجوب الضحية على من ملك نصابا من المال وقال الشافعي واحمد لا تجب الاضحية بل هي مستحبة لما جاء في الحديث ليس في المال حق سوى الزكوة وقد تقدم انه عليه الصلوة والسلم ضحى عن امته فاسقط ذلك وجوبها عنهم وقال بعضهم الاضحية سنة كفاية اذا قام واحد من اهل دار او محلة او بيت سقطت عن الباقين لان المقصود اظهار الشعائر ان الله يدافع عن الذين امنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور اخبر تعالى انه يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه شر الاشرار ويحفظهم وينصرهم كما قال تعالى اليس الله بكاف عبده وقوله ان الله لا يحب كل خوان كفور اي لا يحب من عباده من اتصف بهذا وهو الخيانة في العهود والمواثيق والكفر الجحد للنعم فلا يعترف بها اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز قال ابن عباس نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حين اخرجوا من مكة وهذه اول اية في الجهاد واستدل بهذه الاية من قال ان السورة مدنية

المعتر هو الذي يتعرض للمسألة ولا يسأل

بانهم ظلموا اي بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بالايذاء وان الله على نصرهم لقدير اي هو قادر على نصر عباده المؤمنين من غير قتال ولكن هو يريد من عباده ان يبلوا جهدهم في طاعته كما قال فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب الاية وقوله الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق قال ابن عباس اخرجوا من مكة الى المدينة بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ا [illegible] الى قومهم اساءة ولا كان لهم ذنب الا انهم وحدوا الله وعبدوه لا شريك له وهذا استثناء منقطع بالنسبة الى ما في نفس الامر واما عند المشركين فهو اكبر الذنوب كما قال تعالى يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ولهذا لما كان المسلمون يرتجزون في بناء الخندق ويقولون اللهم لولا انت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا فانزلن سكينة علينا وثبت الاقدام ان لاقينا ان الاولى قد بغوا علينا اذا ارادوا فتنة ابينا يقول ابينا يمد بها صوته ثم قال ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض اي لولا انه يدفع عن قوم بقوم ويكف شرور اناس عن غيرهم بما يخلقه ويقدره من الاسباب لفسدت الارض واهلك القوي الضعيف لهدمت صوامع وهي المعابد الصغار للرهبان قاله ابن عباس وقال قتادة معابد الصابئين والمجوس وبيع وهي اوسع منها واكثر عابدين فيها جمع بيعة وهي للنصارى ايضا وقيل هي كنائس اليهود وقوله وصلوات قال ابن عباس واصحابه انها كنائس اليهود وهم يسمونها صلوتا وقيل معابد الصابئين واما المساجد فهي للمسلمين وقوله يذكر فيها اسم الله كثيرا فقد قيل الضمير في قوله يذكر فيها عائد الى المساجد لانه اقرب المذكورات وقال الضحاك الجميع يذكر فيها اسم الله كثيرا وقال ابن جرير الصواب لهدمت صوامع الرهبان وبيع النصارى وصلوات اليهود وهي كنائسهم ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيرا لان هذا هو المستعمل المعروف في كلام العرب قال بعض العلماء هذا العطف ترقي من الادنى الى الاكثر الى ان انتهى الى المساجد وهي اكثر عمارا واكثر عبادا وهم ذوو القصد الصحيح وقوله ولينصرن الله من ينصره كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم الاية وقوله ان الله لقوي عزيز وصف نفسه بالقوة والعزة فبقوته خلق كل شي فقدره تقديرا وبعزته لا يقهره قاهر ولا يغلبه غالب بل كل شي ذليل لديه فقير اليه ومن كان القوي العزيز ناصره فهو المنصور وعدوه هو المقهور قال تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله لقوي عزيز الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور قال عثمان بن عفان رضي الله عنه نزلت هذه الاية فينا فانا اخرجنا من ديارنا بغير حق ولم يكن لنا ذنب الا ان قلنا ربنا الله فهاجرنا واقمنا الصلوة واتينا الزكوة وامرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر ومعنى مكناهم نصرناهم على عدوهم حتى يتمكنوا من البلاد قاله قتادة في الصحابة وقوله ولله عاقبة الامور اي اخر امور الخلق ومصيرهم الى الله يعني يبطل كل ملك سوى ملكه فيصير الامور اليه بلا منازع وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير فكاين من قرية اهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور قال تعالى في تسلية نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في تكذيب من خالفه من قومه وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح الى ان قال وكذب موسى اي مع ما جاء به من الايات البينات فامليت للكافرين اي انظرتهم واخرتهم ثم اخذتهم فكيف كان نكيري اي فكيف كان انكاري عليهم ومعاقبتي لهم وذكر بعضهم انه كان بين قول فرعون لقومه انا ربكم الاعلى وبين اهلاك الله له اربعون سنة

وقد سبق الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قال تعالى فكاين
من قرية اهلكناها وهي ظالمة اى مكذبة لرسلها فهي خاوية على عروشها اي ساقطة على سقوفها قد خربت منازلها وتعطلت
حواضرها وبئر معطلة اى لا يستقى منها ولا يردها احد بعد كثرة وارديها والازدحام عليها وقصر مشيد يعني المبيض بالجص
المنيف المرتفع وقيل هو الشديد المنيع الحصين وقوله افلم يسيروا في الارض اي بابدانهم وتفكرهم ايضا وذلك كاف كما قال مالك
بن دينار اوحى الله الى موسى عليه السلم ان يا موسى اتخذ نعلين من حديد وعصا ثم سح في الارض فاطلب الاثار والعبر حتى تتخرق
النعلان وتكسر العصا وقال ابن ابي الدنيا عن بعض الحكماء انه قال احي قلبك بالمواعظ ونوره بالفكر وموته بالزهد وقوه باليقين
وذلله بالموت وقرره بالفناء وبصره فجائع الدنيا وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الايام واعرض عليه اخبار الماضين و
ذكره بما اصاب من كان قبله وسيره في ديارهم وآثارهم وانظر ما فعلوا واين حلوا وعم انقلبوا اي فانظروا ما حل بالامم المكذبة
من النقم والنكال فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها اي فيعتبرون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب
التي في الصدور اي ليس العمى عمى البصر وانما العمى عمى البصيرة وان كانت القوة الباصرة سليمة فانها لا تنفذ الى العبر ولا تدري
ما الخبر ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وكاين من
قرية امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها والي المصير اي هولاء المكذبين بالله ورسوله يستعجلونك بالعذاب كما قال
تعالى واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقوله ولن يخلف الله وعده
اي الذي قد وعد من اقامة الساعة والانتقام من اعدائه والاكرام لاوليائه وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون اي
هو تعالى لا يعجل فان مقدار الف سنة عند خلقه كيوم بالنسبة الى حلمه لعلمه بانه على الانتقام قادر وانه لا يفوته شيء وان اجل
وانظر وامهل ولهذا قال وكاين من قرية امليت لها الى آخره وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل فقراء
المسلمين الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم خمسمائة عام رواه الترمذي والنسائي وقال ابن عباس وان يوما عند ربك
كالف سنة مما تعدون اي من الايام التي خلق الله فيها السموات والارض وعن رجل من اهل الكتاب اسلم انه قال ان الله
خلق السموات والارض في ستة ايام وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وجعل ايام الدنيا ستة ايام وجعل الساعة
في اليوم السابع وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون فقد مضت الستة الايام وانتم في اليوم السابع فمثل ذلك كمثل
الحامل اذا دخلت شهرها ففي اية لحظة ولدت كان تماما قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين فالذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في اياتنا معاجزين اولئك اصحاب الجحيم قال تعالى لنبيه
عليه الصلوة والسلم حين طلب منه الكفار العذاب قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير اي انما ارسلني الله اليكم نذيرا لكم بين
يدي عذاب شديد وليس الي من حسابكم من شيء انما امركم الى الله ان شاء عجل لكم العذاب وان شاء اخره عنكم وان شاء
تاب على من يتوب اليه وان شاء اضل من كتب عليه الشقاوة وهو الفعال لما يشاء فالذين امنوا وعملوا الصالحات
اي امنت قلوبهم وصدقوا ايمانهم باعمالهم الصالحة لهم مغفرة ورزق كريم اي مغفرة لما سلف من سيئاتهم ومجازاة
حسنة على القليل من حسناتهم قال القرظي اذا سمعت الله يقول ورزق كريم فهو الجنة وقوله والذين سعوا في اياتنا
معاجزين قال مجاهد اي يثبطون الناس عن متابعة النبي صلى الله عليه وسلم ومراغمين لهم اولئك اصحاب الجحيم وهي النار الموجعة
الشديدة عذابها ونكالها اجارنا الله منها وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في

في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين
في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من
ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي الذين امنوا الى صراط مستقيم قد ذكر كثير من المفسرين
ههنا قصة الغرانيق وما كان من رجوع كثير من مهاجري الحبشة الى مكة ظنا منهم ان قريشا قد اسلموا ولكن رووا
من طرق لم تبلغ درجة الصحة لانها كانت مرسلة و منقطعة منها ما روي عن سعيد بن جبير قال قرا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمكة النجم فلما بلغ هذا الموضع افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال فالقى الشيطان على
لسانه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى قالوا ما ذكر الهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فانزل الله هذه الاية
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الى قوله حكيم رواه ابن جرير وابن ابي حاتم مرسلا قال وكان المشركون يقولون ان
اليهود والنصارى لا يذكرون الهتنا بمثل الذي نذكر من الشتم والشر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اشتد عليه ما
ناله واصحابه من اذاهم وتكذيبهم واحزنه ضلالهم فكان يتمنى هداهم فلما انزل الله سورة النجم وقرا منها ما قرا و
القى الشيطان في اسماع المشركين ما القى من تسجيعه وفتنته ووقعت تلك الكلمات في قلب كل مشرك بمكة وذلت بها
السنتهم وقالوا ان محمدا قد رجع الى دينه الاول ودين قومه ولما سجد في آخر النجم سجد معه كل من حضر من مسلم او
مشرك غير الوليد بن المغيرة فانه كان كبيرا فرفع ملء كفه ترابا فسجد عليه فتعجب الفريقان من اجتماعهم في السجود فاما
المسلمون تعجبوا من سجود المشركين معهم من غير ايمان ولم يكن المسلمون سمعوا الذي القى الشيطان في مسامع المشركين و
اطمانت نفوس المشركين لما اسمعهم الشيطان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قراها في السورة فسجدوا لتعظيم الهتهم
ففشت تلك الكلمة في الناس واظهرها الشيطان حتى بلغت ارض الحبشة وحدثوا ان المسلمين قد امنوا بمكة فاقبلوا سراعا
وقد نسخ الله ما القى الشيطان واحكم الله اياته وحفظه من الفرية وانزل الله وما ارسلنا من قبلك من رسول الاية
فلما بين الله قضاءه وبراه من سجع الشيطان انقلب المشركون بضلالهم وعداوتهم مع المسلمين واشتدوا عليهم قال
الشيخ رحمه الله ثم قال البغوي في تفسيره يعني المعالم وقال كيف وقع هذا مع العصمة المضمونة من الله لرسوله عليه الصلوة
والسلم ثم حكى اجوبة الطفها ان الشيطان اوقع في مسامع المشركين ذلك فتوهموا انه صدر عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وليس كذلك في نفس الامر وانما كان من صنيع الشيطان لا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا تنوعت اجوبة
المتكلمين عن هذا بتقدير صحته والله اعلم وقوله الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته هذا فيه تسلية له صلوات الله وسلامه
عليه فلا يهمنك ذلك فقد اصاب مثل هذا من قبلك من المرسلين قال ابن عباس اذا حدث القى الشيطان في حديثه
والمعنى قوله تمنى تلا وقرا كتاب الله وامنيته تلاوته وقراءته قال الشاعر في عثمان رضي الله عنه ∴
تمنى كتاب الله اول ليله ∴ وآخرها لاقى حمام المقادر ∴ وقوله فينسخ الله حقيقة النسخ لغة الازالة والرفع اي
يبطل الله ما القى الشيطان في تلاوته ويثبت اياته قاله ابن عباس وقوله عليم حكيم اي في تقديره وخلقه وامره له الحكمة
التامة والحجة البالغة ولهذا قال ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض اي شك وشرك وكفر ونفاق والقاسية
قلوبهم اي المشركين وان الظالمين لفي شقاق بعيد اي في ضلال ومخالفة وعناد بعيد عن الحق والصواب وقوله وليعلم
الذين اوتوا العلم اي الذين يفرقون به بين الحق والباطل المؤمنون بالله ورسوله ان ما اوحيناه اليك هو الحق من ربك الذي

قال ابن الحاجب في المختصر المرسل
قول غير الصحابي قال رسول الله ص
عن الهداية الجزري

[illegible]

المعنى ان الرسل والانبياء من قبلك كانت تجري امورهم
كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت تمكن الشيطان
ليلقي في امانيهم مثل ما القى في امنيتك ارادة
امتحان من حولهم والله سبحانه له ان يمتحن عباده
من شاء من صنوف المحن وانواع الفتن
وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة وبلاء
زاد المنافقين به شكا وظلمة والمؤمنين
نورا ويقينا ٥

انزله بعلمه وحفظه وحرسه ان يختلط به غيره بل هو كتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد وقوله فيؤمنوا به اي يصدقوه وينقادوا له وتخبت له قلوبهم اي تخضع وتذل وان الله لهادي الذين آمنوا
الى صراط مستقيم اي في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فيرشدهم الى الحق واتباعه ويوفقهم لمخالفة الباطل واجتنابه
وفي الآخرة يهديهم الصراط المستقيم الموصل الى درجات الجنات ويزحزحهم عن العذاب الاليم والدركات ولا
يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة بغتة او ياتيهم عذاب يوم عقيم الملك يومئذ لله
يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك
لهم عذاب مهين اخبر تعالى عن الكفار انهم لا يزالون في مرية اي في شك وريب من هذا القرآن وهو اختيار ابن جرير
وقال ابن جبير وابن زيد منه اي مما القى الشيطان حتى تاتيهم الساعة بغتة قال مجاهد فجاة فان الله ما اخذ قوما
قط الا عند سكوتهم وغرتهم فلا تغتروا بالله او ياتيهم عذاب يوم عقيم قالوا هو يوم بدر وقيل يوم القيمة لا ليلة له
وهذا هو الصحيح وان هذا هو المراد ولهذا قال الملك يومئذ لله يحكم بينهم كما قال الملك يومئذ الحق للرحمن الآية فالذين
آمنوا اي آمنت قلوبهم وصدقوا الله ورسوله وعملوا بمقتضى ما علموا وتوافق قلوبهم واقوالهم واعمالهم في جنات
النعيم اي لهم النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول والذين كفروا وكذبوا باياتنا اي كفرت قلوبهم بالحق وجحدوا و
كذبوا به وخالفوا الرسل واستكبروا عن اتباعهم فاولئك لهم عذاب مهين اي في مقابلة استكبارهم واباءهم عن الحق
والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين
ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه
الله ان الله لعفو غفور اخبر تعالى عمن خرج مهاجرا في سبيل الله ابتغاء مرضاته وترك الاوطان والاهلين و
فارق بلاده في الله ورسوله ثم قتلوا اي في الجهاد او ماتوا باي حتف كان على فراشهم فقد حصلوا على الاجر الجزيل
والثناء الجميل كما قال تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وقوله
ليرزقنهم الله رزقا حسنا اي ليجرين عليهم من فضله ورزقه من الجنة ما تقر به اعينهم وان الله لهو خير الرازقين
ليدخلنهم مدخلا يرضونه اي الجنة وان الله لعليم اي بمن يهاجر ويجاهد في سبيله وبمن يستحق ذلك حليم اي يصفح و
يغفر لهم الذنوب ويكفرها عنهم بهجرتهم اليه وتوكلهم عليه واما من قتل في سبيل الله من مهاجر وغير مهاجر فانه حي
عند الله يرزق كما قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا الآية واما من توفي في سبيل الله من مهاجر
او غير مهاجر فقد تضمنت هذه الآية الكريمة مع الاحاديث الصحيحة اجراء الرزق عليه وعظيم احسان الله اليه وقوله
ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ذكر ابن جرير انها نزلت في سرية من الصحابة لقوا جمعا من المشركين في شهر محرم
فناشدهم المسلمون لئلا يقاتلوهم في الشهر الحرام فابى المشركون الا قتالهم وبغوا عليهم فقاتلهم المسلمون فنصرهم الله
عليهم ان الله لعفو غفور ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
وان الله سميع بصير ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل وان الله هو العلي
الكبير ينبه تعالى انه الخالق المتصرف في خلقه بما يشاء كما قال تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء الآية
ومعنى ايلاجه الليل في النهار والنهار في الليل ادخاله من هذا الى هذا ومن هذا الى هذا تارة يطول الليل ويقصر النهار كما

عن ابي قبيل وربيعة بن سيف المعافري قالا
كنا برودس ومعنا فضالة بن عبيد الانصاري
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بجنازتين
احداهما قتيل والاخرى متوفى فمال الناس الى
القتيل فقال فضالة ما لي ارى الناس مالوا مع هذا
وتركوا هذا فقالوا هذا القتيل في سبيل الله فقال
والله ما ابالي من اي حفرتيهما بعثت اسمعوا
كتاب الله والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او
ماتوا حتى ختم الآية

في الشتاء وتارة يطول النهار ويقصر الليل كما في الصيف وقوله ان الله سميع بصير اي سميع لاقوال عباده بصير بهم
لا يخفى عليه منهم خافية في احوالهم وحركاتهم وسكناتهم ولما بين انه المتصرف في الوجود قال ذلك بان الله
هو الحق اي الاله الحق لا ينبغي العبادة الا له وان ما يدعون من دونه هو الباطل اي من الاصنام والانداد والاوثان
وكل ما عبد من دونه فهو باطل لانه لا يملك ضرا ولا نفعا وقوله ان الله هو العلي الكبير اي العالي على كل شيء العظيم الذي
ذل له كل شيء الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير له ما في السموات
وما في الارض وان الله لهو الغني الحميد الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر
بامره ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤوف رحيم وهو الذي احياكم ثم
يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور هذا ايضا من دلائل قدرته الباهرة وانه يرسل الرياح فتثير سحابا فيمطر على الارض
الجرز التي لا نبات فيها وهي هامدة يابسة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وقوله فتصبح الارض مخضرة اي خضراء
بعد يباسها وطولها وقد ذكر عن بعض ارض الحجاز انها تصبح عقب المطر خضراء وقوله ان الله لطيف خبير اي عليم
بما في ارجاء الارض واقطارها واجزائها من الحب وان صغر لا يخفى عليه خافية فيوصل الى كل منه قسطا من الماء
فينبته به كما قال تعالى الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض ولهذا قال امية بن ابي الصلت او زيد بن
عمرو بن نفيل وقولا له من ينبت الحب في الثرى فيصبح منه البقل يهتز رابيا ويخرج منه حبه في رؤوسه
ففي ذاك آيات لمن كان واعيا وقوله له ما في السموات وما في الارض ملكه جميع الاشياء وهو غني عما سواه وكل شيء
فقير اليه عبد لديه وقوله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض اي من حيوان وجماد وزروع وثمار كما قال وسخر لكم ما في
السموات وما في الارض جميعا منه اي من احسانه وفضله وامتنانه والفلك تجري في البحر بامره بتسخيره وتسييره اي في
البحر العجاج وتلاطم الامواج تجري الفلك باهلها بريح طيبة ورفق وتؤدة فيحملون فيها ما شاؤوا من التجارات والبضاعات
ومنافع من بلد الى بلد ومن قطر الى قطر ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه اي لو شاء لاذن للسماء فسقطت
على الارض فهلك من فيها ولكن بلطفه ورحمته وقدرته يمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ولهذا قال ان الله بالناس
لرؤوف رحيم اي مع ظلمهم وعنادهم وقوله وهو الذي احياكم ثم يميتكم اي انشاكم ولم تكونوا شيئا ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم
ثم يحييكم يوم البعث للثواب والعقاب يعني كيف تجعلون مع الله اندادا وتعبدون معه غيره وهو المستقل بالخلق و
الرزق والتصرف ان الانسان لكفور اي جحود لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الامر و
ادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما
كنتم فيه تختلفون اخبر تعالى انه جعل لكل امة منسكا اي شريعة هم عاملون بها وقيل موضع عبادة والمنسك في كلام
العرب هو الموضع الذي يعتاده الانسان ويتردد اليه اما بخير واما بشر ولهذا سميت مناسك الحج بذلك لتردد الناس
اليها وعكوفهم عليها وقوله فلا ينازعنك في الامر اي هؤلاء المشركين في الحق فلا تتاثر بمنازعتهم لك ولا يصرفك ذلك
عما انت عليه من التبليغ والاهتداء ولهذا قال وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم اي طريق واضح موصل الى المقصود
وقوله وان جادلوك فقل الله اعلم كقوله وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم الآية تهديد شديد ولهذا قال الله يحكم بينكم
يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون اي فتعرفون حينئذ الحق من الباطل والاختلاف ذهاب كل واحد من الخصمين الى خلاف

قوله فتصبح الارض الفاء ههنا للتعقيب
وتعقيب كل شيء بحسبه كما قال خلقنا النطفة
علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة
عظاما وقد ثبت في الصحيحين ان بين
كل شيئين اربعين يوما ومع هذا
معقب بالفاء وهكذا ههنا ٥ اصل

قوله الا باذنه الا بمشيئته وكذلك يوم القيمة
وقد ورد لا تستمسك كما شئت فانها حاوية
لسائر الاجسام في حجمه كالحجر بالنسبة الى
الحائط [illegible] ٩ نادم

بما تعملون

[illegible]

بما ذهب اليه الآخر الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير
اخبر تعالى عن كمال علمه بخلقه وانه محيط بما في السموات وما في الارض ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء
ولا اصغر من ذلك وانه علم الكائنات كلها قبل وجودها وكتب ذلك في كتابه اللوح المحفوظ كما ثبت في صحيح مسلم عن ابن عمرو
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قدر مقادير الخلائق قبل خلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان
عرشه على الماء قال ابن عباس خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام وقال للقلم قبل ان يخلق الخلق اكتب فقال
القلم وما اكتب قال علمي في خلقي الى ان تقوم الساعة فجرى القلم بما هو كائن في علم الله الى يوم القيمة فذلك قوله الم تعلم ان الله يعلم
ما في السماء والارض رواه ابن ابي حاتم وفي الترمذي معناه مرفوعا ان ذلك اي كله في كتاب يعني اللوح المحفوظ مضبوط
وعلمه بجميع ذلك محيط وهو على الله سهل يسير ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم
وما للظالمين من نصير واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون
بالذين يتلون عليهم آياتنا قل افانبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير اخبر تعالى
عن المشركين فيما عبدوا غير الله ما لم ينزل به سلطانا يعني حجة وبرهانا وما ليس لهم به علم اي ولا علم لهم فيما اختلقوه وائتفكوه
وانما هو امر تلقوه عن آبائهم واسلافهم بلا دليل وحجة واصله مما سول لهم الشيطان وزينه لهم ولهذا توعدهم تعالى بقوله
وما للظالمين من نصير اي من ناصر ينصرهم من الله حين يحل بهم العقاب ثم قال واذا تتلى عليهم آياتنا بينات اي فاذا ذكرت لهم
آيات القرآن والحجج والدلائل الواضحات على توحيد الله وانه لا اله الا هو وان رسله الكرام حق وصدق تعرف في وجوه
الذين كفروا المنكر اي تبين الانكار في وجوه الكفار يكادون يسطون اي يقعون بالذين يتلون عليهم آياتنا اي
يكادون ان يبادروا الذين يحتجون عليهم بالدلائل الصحيحة من القرآن ويبسطوا اليهم ايديهم والسنتهم بالسوء
قل اي يا محمد لهؤلاء افانبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير اي النار وعذابها ونكالها اشد واشق
مما تخوفون به اولياء الله المؤمنين في الدنيا فان عقاب الآخرة على صنيعكم هذا اعظم مما تنالون منهم وقوله وبئس المصير
اي وبئس النار منزلا ومقاما يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا
ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما
قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز نبه الله على حقارة الاصنام وسخافة عقول عابديها بقوله يا ايها الناس
ضرب مثل اي لما يعبده المشركون بالله فاستمعوا له اي انصتوا وتفهموا ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا
ولو اجتمعوا له اي لو اجتمع جميع ما يعبدون من الاصنام والانداد على ان يقدروا على خلق ذباب واحد ما قدروا على
ذلك كما في الصحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا
ذرة وليخلقوا شعيرة ثم قال ايضا وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه اي هم عاجزون عن خلق ذباب واحد
بل ابلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه لو سلبها شيئا من الذي عليها من الطيب ثم ارادت ان تستنقذه
منه لما قدرت على ذلك هذا والذباب من اضعف مخلوقات الله واحقرها ولهذا قال ضعف الطالب والمطلوب قال
ابن عباس الطالب الصنم والمطلوب الذباب واختاره ابن جرير وقال السدي وغيره الطالب العابد والمطلوب الصنم ثم قال
ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوا قدر الله وعظمته حين عبدوا معه غيره من هذه الاصنام التي لا تقاوم الذباب لضعفها

[illegible]

وهذا من تمام علمه تعالى انه علم الاشياء قبل كونها
وقدرها وكتبها ايضا فما العباد عاملون قد علمه
تعالى قبل ذلك على الوجه الذي سيفعلونه فيعلم قبل
الخلق ان هذا يطيع باختياره وهذا يعصي باختياره
وكتب ذلك عنده واحاط بكل شيء علما وهو سهل
عليه يسير لديه ولهذا قال ان ذلك في كتاب ان
ذلك على الله يسير ٥ اصل

من ذلكم اي من غيظكم على التالين وسطوكم
عليهم او مما اصابكم من الكراهة والضجر
بسبب ما تلي عليكم النار رفع على انه
خبر مبتدأ محذوف كانه قيل ما هو فقيل النار و
بالنصب على الاختصاص وبالجر على البدل
من شر ٥

جهلهم غاية التجهيل بان اشركوا الها قدر على
المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات
بأسرها ما هو اعجز الاشياء وبين ذلك بانها
لا تقدر على خلق اقل الاحياء واذلها ولو
اجتمعوا له بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل
الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ
ما يختطفه من عندها ٥ قاضي

وعددا ومقدارا
وكيفية و
المراد من القدر
هي الاله ما يقدره
العارف من وصفه
سبحانه في العزة و
علو الرتبة ٥

ولا عظموه حق تعظيمه مما يليق بعظمته
لانهم لو عرفوه وعظموه لما اشركوا به
[illegible]

[illegible]

ويعجزها ان الله لقوي عزيز اي هو القوي بقدرته وقوته خلق كل شيء وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده العزيز الذي
عز كل شيء فقهره وغلبه الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم والى الله ترجع الامور اخبر تعالى انه يختار من الملائكة رسلا فيما يشاء من شرعه وقدره ومن الناس
لابلاغ رسالاته ان الله سميع بصير اي سميع لاقوال العباد بصير بهم عليم بمن يستحق ذلك منهم كما قال الله اعلم حيث يجعل
رسالاته وقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي يعلم ما يفعل برسله فيما ارسلهم به فلا يخفى عليه
من امورهم شيء قال الحسن ما بين ايديهم ما عملوا وما خلفهم ما هم عاملون من بعد وقيل ما بين ايديهم ملائكته ورسله
قبل ان خلقهم وما خلفهم ما هو كائن من بعد فنائهم ولهذا قال والى الله ترجع الامور يا ايها الذين آمنوا
اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون اختلفوا في هذه السجدة الثانية من هذه السورة
هل هي مشروع السجود فيها على قولين وقد سبق عند الاولى الحديث الصحيح ان عقبة بن عامر قال يا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فضلت سورة الحج بان فيها سجدتين قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما وهو مذهب الشافعي واحمد وموافقيهم
وذهب قوم الى انه لا يسجد ههنا وهو قول الثوري وابي حنيفة وعدد سجود القرآن اربعة عشر عنده ليس منها ثلث في
المفصل وذهب جماعة الى انه ليس في المفصل سجود روي ذلك عن ابي بن كعب وابن عباس وبه قال مالك وقد صح عن
ابي هريرة قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرأ واذا السماء انشقت وابو هريرة من متأخري الاسلام
وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم
المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلوة و
آتوا الزكوة واعتصموا بالله هو موليكم فنعم المولى ونعم النصير اي جاهدوا في اعلاء كلمة الله حق جهاده
اي باموالكم والسنتكم وانفسكم وقوله هو اجتباكم اي ايتها الامة اصطفاكم الله واختاركم على سائر الامم وفضلكم وشرفكم
وخصكم باكرم رسول واكمل شرع وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ما كلفكم ما لا تطيقون وما الزمكم بشيء فيشق عليكم
الا جعل لكم فرجا ومخرجا كقصر الصلوة في السفر والتيمم واكل الميتة عند الضرورة والافطار في السفر وبالمرض والصلوة
قاعدا عند العجز وعلى هذا وقوله ملة ابيكم ابراهيم قال ابن جرير نصب على تقدير ما جعل عليكم في الدين من حرج اي من ضيق
بل وسعه عليكم كملة ابيكم ابراهيم ويحتمل ان يكون منصوبا على فعل مقدر اي الزموا ملة ابيكم ابراهيم كما قال تعالى دينا قيما
ملة ابراهيم حنيفا وقوله هو سماكم المسلمين من قبل قال ابن عباس اي الله سماكم المسلمين كما قال هو اجتباكم وقيل يعني ابراهيم
نظرا الى قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك والاول اوجه قال مجاهد سماكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة وفي الذكر
اي من قبل هذا القرآن وفي هذا اي وفي القرآن وقيل اي قبل هذا الوقت وفي هذا الوقت وقوله ليكون الرسول شهيدا
عليكم اي انما جعلناكم هكذا امة وسطا عدولا خيارا مشهودا بعدالتكم عند جميع الامم لتكونوا يوم القيمة شهداء على الناس
لان جميع الامم معترفون يومئذ بفضلهم وشرفهم على كل امة سواها فلهذا تقبل شهادتهم عليهم يوم القيمة ان الرسل بلغتهم
رسالة ربهم والرسول يشهد على هذه الامة بصدقهم كما سبق وتفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله فاقيموا
الصلوة وآتوا الزكوة اي قابلوا هذه النعمة العظيمة بالقيام بشكرها فادوا حق الله عليكم في اداء ما افترض وطاعة ما اوجب
وترك ما حرم ومن اهم ذلك اقام الصلوة وايتاء الزكوة وهو الاحسان الى الخلق بما اوجب للفقير على الغني وتان المستحقين

يدعون سائرهم الى الحق ويبلغون ما نزل اليهم كانه
لما قرر وحدانيته الله تعالى في الالوهية ونفى ان
يشاركه غيره في صفاتها بين ان له عبادا اصطفاهم
بالرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى
الى عبادة الله سبحانه وهو اعلى المراتب ومنتهى
الدرجات لمن علاه من الموجودات تقريرا
للنبوة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى والملئكة بنات الله ونحو ذلك ٥ قا

عالما بالذات لا يسأل عما يفعل
من الاصطفاء وغيره
وهم يسألون ٥

اي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف
الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم
واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه
مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله
ومن اجله ٥

مخرجا بعضها بالتوبة
وبعضها برد المظالم
وبعضها بانواع الكفارات
[illegible]

انما جعله ابا لهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته
من حيث انه سبب لحياتهم الابدية
ووجودهم على الوجه المعتد به في
الآخرة ٥ قا

ومن ذريتنا
امة مسلمة لك

بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته
لنفسه اعتمادا على عصمته

بان الرسل بلغتهم

على اهل الثروه وقوله واعتصموا بالله اي اعتضدوا بالله واستعينوا وتوكلوا عليه وتأيدوا به هو مولكم اي حافظكم
وناصركم ومعينكم فنعم المولى اي هو ونعم النصير في دفع الاعداء تفسير سورة المؤمنون وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون
والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على
ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم
لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلوتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس
هم فيها خالدون عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع عند وجهه
كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبله ورفع يديه فقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا ولا تحرمنا و
آثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وارضنا ثم قال لقد انزلت على عشر آيات من اقامهن دخل الجنه ثم قرا قد افلح المؤمنون
حتى ختم العشر رواه احمد والترمذي والنسائي وعن ابي سعيد قال خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضه
وغرسها فقال لها تكلمي فقالت قد افلح المؤمنون فدخلتها الملئكه فقالت طوبى لك منزل الملوك وفي رواية عن ابن عباس
مرفوعا خلق الله جنه عدن بيده ودلى فيها ثمارها وشق فيها انهارها ثم نظر اليها فقال تعالى قد افلح المؤمنون وموقوفا اصح
اي قد فازوا وسعدوا وحصلوا على الفلاح وهم المؤمنون المتصفون بهذه الاوصاف الذين هم في صلوتهم خاشعون قال
ابن عباس اي خائفون ساكنون وعن علي رضي الله عنه قال الخشوع خشوع القلب وقال الحسن كان خشوعهم في قلوبهم
فغضوا بذلك ابصارهم وخفضوا الجناح وقال ابن سيرين كانت الصحابه يرفعون ابصارهم الى السماء في الصلوه فلما
نزلت هذه الايه قد افلح المؤمنون خفضوا ابصارهم الى موضع سجودهم والخشوع في الصلوه انما يحصل لمن فرغ قلبه لها
واشتغل بها عما عداها وآثرها على غيرها وحينئذ تكون راحة له وقرة عين كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا بلال ارحنا بالصلوة وقال عليه الصلوه والسلم حبب الي الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلوه رواهما
احمد وبعض اصحاب السنن وقوله والذين هم عن اللغو معرضون اي عن الباطل وهو يشمل الشرك والمعاصي وما لا فائدة
فيه من الاقوال والافعال كما قال تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقوله والذين هم للزكوة فاعلون الاكثرون على انه
المراد زكوة الاموال مع ان هذه الايه مكيه وانما فرضت الزكوه بالمدينه سنة اثنتين من الهجره والظاهر ان الذي
فرضت بالمدينه انما هي ذات النصب والمقادير الخاصه والا فالظاهر ان اصل الزكوه كان واجبا بمكه ويحتمل ان يكون
المراد ههنا زكوة النفس من الشرك والدنس كما قال تعالى قد افلح من زكاها ويحتمل ان يكون كلا الامرين مرادا فان
المؤمن الكامل الذي تزكى نفسه وماله من الادناس وقوله والذين هم لفروجهم حافظون اي والذين قد حفظوا فروجهم
من الحرام فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه من المنهيات ولا يقربون سوى ازواجهم التي احلها الله لهم وما
ملكت ايمانهم من السراري ومن تعاطى ما احل الله له فلا لوم عليه ولا حرج ولهذا قال فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء
ذلك اي غير الازواج والاماء فاولئك هم العادون اي المعتدون وقد استدل الشافعي رحمه الله ومن وافقه على تحريم
الاستمناء باليد بهذه الايه الكريمة فان ذلك خارج عن القسمين وقوله والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون اي اذا ائتمنوا
لم يخونوا بل يردوا الامانات الى اهلها واذا عاهدوا او عاقدوا وفوا بذلك لا كصفات المنافقين فانهم اذا حدثوا كذبوا

واذا

قال وعزتي لا يجاورني
فيك بخيل

وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة لدل
على انهم بلغوا الغاية في القيام على الطاعات البدنية
والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجبه
المروة اجتنابه والزكوة تقع على المعنى وعلى
العين والمراد به الاول لان الفاعل فاعل
الحدث لا المحل الذي هو موقعه او الثاني
على تقدير مضاف سوى تا

وعدوا اخلفوا واذا ائتمن خانوا هكذا في الصحيحين وقوله والذين هم على صلوتهم يحافظون اي يواظبون عليها في مواقيتها
وحل في اول اوقاتها وقد افتتح الله ذكر هذه الصفات الحميده بالصلوه واختتمها ايضا بالصلوه فدل على افضليتها كما
في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استقيموا ولن تحصوا واعلموا ان خير اعمالكم الصلوه ولا يحافظ على الوضوء
الا مؤمن ولما وصفهم تعالى بالقيام بهذه الصفات الحميده والافعال الرشيده قال اولئك هم الوارثون الذين
يرثون الفردوس هم فيها خالدون ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سالتم الله الجنة
فاسئلوه الفردوس فانه اعلى الجنه واوسط الجنه ومنه تفجر انهار الجنه وفوقه عرش الرحمن قال مجاهد في قوله
اولئك هم الوارثون ما من عبد الا وله منزلان منزل في الجنه ومنزل في النار فاما المؤمن فيبنى بيته الذي في الجنة
ويهدم بيته الذي في النار واما الكافر فيهدم بيته الذي في الجنه ويبنى بيته الذي في النار ويؤكد هذا ما رواه
ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وله منزلان منزل في الجنه ومنزل في النار فان مات
فدخل النار ورث اهل الجنه منزله فذلك قوله اولئك هم الوارثون رواه ابن ابي حاتم فالمؤمنون يرثون منازل الكفار
لانهم كلهم خلقوا لعبادة الله فلما قام هؤلاء المؤمنون بما وجب عليهم من العبادة وترك اولئك ما امروا به مما خلقوا له
احرز هؤلاء نصيب اولئك لو كانوا اطاعوا ربهم بل ابلغ من هذا ايضا ما ثبت في صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
يجيء يوم القيمة ناس من المسلمين بذنوب امثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى وفي لفظ له قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة دفع الله لكل مسلم يهوديا او نصرانيا فيقول هذا فكاكك من النار قال ابن جرير الجنة
بالرومية هي الفردوس وقال بعضهم لا يسمى البستان فردوسا الا اذا كان فيه عنب ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة
عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك
لميتون ثم انكم يوم القيمة تبعثون اخبر تعالى عن ابتداء خلق الانسان من سلالة من طين وهو آدم خلقه الله من
صلصال من حما مسنون وقال ابن عباس السلالة صفوة الماء وقال مجاهد اي من مني آدم قال ابن جرير انما سمي آدم طينا
لانه مخلوق منه وقال قتادة استل آدم من طين وهذا اظهر في المعنى لانه خلق من طين لازب كما روى ابو موسى عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض جاء منهم الاحمر والابيض
والاسود وبين ذلك والخبيث والطيب وبين ذلك رواه احمد وابو داود والترمذي وصححه وقوله ثم جعلناه نطفة الضمير
عائد الى جنس الانسان في قرار مكين يعني الرحم معد لذلك مهيا له وقوله ثم خلقنا النطفة علقة اي ثم صيرنا النطفة و
هي الماء الدافق الذي يخرج من صلب الرجل وهو ظهره وترائب المراة وهي عظام صدرها ما بين الترقوة الى الثندوة فصارت
علقة حمراء على شكل العلقة مستطيلة وهي دم فخلقنا العلقة مضغة وهي قطعة كالبضعة من اللحم لا شكل فيها ولا
تخطيط فخلقنا المضغة عظاما يعني شكلناها ذات راس ويدين ورجلين بعظامها وعصبها وعروقها وقرا بعضهم
عظما قال ابن عباس وهو عظم الصلب وفي الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل جسد ابن آدم
يبلى الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب فكسونا العظام لحما اي وجعلنا على ذلك ما يستره ويشده ويقويه ثم
انشاناه خلقا آخر اي ثم نفخنا فيه الروح فتحرك وصار خلقا آخر ذا سمع وبصر وادراك وحركة واضطراب فتبارك الله احسن الخالقين

وكان جمادا
وبصيرا وكان ابكم وسميعا وكان اصم

[illegible]

هكذا قال الاكثرون قال ابن عباس اي ننقله من حال الى حال الى ان نخرج طفلا ثم نشا صغيرا ثم احتلم ثم صار شابا ثم كهلا ثم شيخا وعن بعضهم نحو ذلك ولا منافاة فان من ابتداء نفخ الروح شرع في هذه التنقلات والاحوال وعن عبد الله بن مسعود قال مر يهودي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث اصحابه فقالت قريش يا يهودي ان هذا يزعم انه نبي فقال لاسالنه عن شي لا يعلمه الا نبي قال فجاء فجلس فقال يا محمد مم يخلق الانسان فقال يا يهودي من كل يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المراة فاما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب واما نطفة المراة فنطفة رقيقة منها اللحم و الدم فقام اليهودي فقال هكذا كان يقول من كان قبلك رواه احمد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم باربعين ليلة فيقول يا رب ماذا اشقي ام سعيد ذكر ام انثى فيقول الله ويكتبان ويكتب عمله واثره ومصيبته ورزقه ثم يطوي الصحيفة فلا يزاد على ما فيها ولا ينقص رواه مسلم فتبارك الله احسن الخالقين يعني حين ذكر قدرته عليه ولطفه في خلق هذه النطفة من حال الى حال وشكل الى شكل حتى تصورت الى ما صارت اليه من الانسان السوي الكامل الخلق قال فتبارك الله اي استحق التعظيم والثناء بانه لم يزل ولا يزال احسن المصورين والمقدرين والخلق في اللغة التقدير وقال مجاهد يصنعون ويصنع والله خير الصانعين وقال عمر بن الخطاب وافقت ربي في اربع نزلت هذه الاية ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما نزلت قلت انا فتبارك الله احسن الخالقين فنزلت فتبارك الله احسن الخالقين رواه ابن ابي حاتم وقوله ثم انكم بعد ذلك لميتون اي بعد هذه النشاة الاولى من العدم تصيرون الى الموت ثم انكم يوم القيمة تبعثون يعني النشاة الاخرة ثم الله ينشئ النشاة الاخرة يعني يوم المعاد وقيام الارواح والاجساد فيحاسب الخلق ويوفي كل عامل عمله ان خيرا فخير وان شرا فشر ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين لما ذكر تعالى خلق الانسان عطف بذكر خلق السموات السبع كما قال لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فقوله سبع طرائق قال مجاهد يعني السموات السبع سميت طرائق لمطارقتها وهو ان بعضها فوق بعض وقيل لانها طرائق الملكة وما كنا عن الخلق غافلين اي لكالهم حافظين ولاعمالهم حاضرين اي ويعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير فانه سبحانه لا يحجب عنه سماء سماء ولا ارض ارضا ولا جبل الا يعلم ما في وعره ولا بحر الا يعلم ما في قعره وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون فانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن و صبغ للاكلين وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تاكلون وعليها وعلى الفلك تحملون لقد ذكر الله نعمه على عبيده في انزاله القطر من السماء بقدر اي بحسب الحاجة لا كثيرا فيفسد الارض والعمران ولا قليلا فلا يكفي الزروع والثمار بل بقدر الحاجة اليه من السقي والشرب والانتفاع به حتى ان الاراضي التي تحتاج ماء كثيرا لزرعها ولا تحتمل دمنتها انزال المطر عليها تسوق الماء اليها من بلاد اخرى كما في ارض مصر ويقال لها الارض الجرز تسوق الله اليها ماء النيل معه طين احمر يجترفه من بلاد الحبشة في زمان امطارها فاتي الماء يحمل طينا احمر فيسقي ارض مصر ويقر الطين على ارضهم ليزرعوا فيه لان ارضهم سباخ يغلب عليه الرمال فسبحان اللطيف الخبير وقوله فاسكناه في الارض اي جعلنا الماء اذا نزل من السحاب يخلد في الارض وجعلنا فيها قابلية له تشربه ويتغذى به ما فيها من الحب والنوى وقوله وانا على ذهاب به لقادرون اي لو شئنا ان لا تمطر لفعلنا ولو شئنا لصرفناه عنكم الى السباخ والبراري لفعلنا ولو شئنا لجعلناه

وقوله

الطرائق السموات لانها طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل شي فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملكة ومتقلباتهم وقيل الافلاك لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها

كما كنا قادرين

على ازالته قادرون ... عطشا وهلكوا هم ومواشيهم

بالافساد او التصعيد او التعميق تحت ... الاستنباط

اجاجا

[illegible]

اجاجا لا ينتفع به لفعلنا ولكن بلطفه ورحمته ينزل عليكم الماء من السحاب عذبا فراتا فيسكنه في الارض ويسلكه ينابيع فيها فتفتح العيون وتجري الانهار فيسقي بها الزروع والثمار تشربون منه ودوابكم وانعامكم وتتطهرون به و تتنظفون فله الحمد وقوله فانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب يعني فاخرجنا لكم بما انزلناه من السماء جنات اي بساتين وقوله من نخيل واعناب اي فيها نخيل واعناب وهذا ما كان يالف اهل الحجاز وكذلك في حق كل اقليم ما عندهم من الثمار من نعمة الله عليهم مما يعجزون عن القيام بشكره وقوله لكم فيها فواكه كثيرة اي من جميع الثمار كما قال تعالى ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل الاية وقوله وشجرة تخرج من طور سيناء يعني الزيتون والطور هو الجبل وانما يسمى طورا اذا كان فيه شجر فان عري عنها سمي جبلا لا طورا وهنا هو الذي كلم الله موسى عليه الصلوة والسلم وما حوله من الجبال التي فيها شجر الزيتون وقوله تنبت بالدهن قيل الباء زائدة اي تنبت الدهن وقيل تقديره تاتي بالدهن ولهذا قال وصبغ للاكلين اي ادام للاكلين اي فيها ما ينتفع به من الدهن والاصطباغ كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة رواه احمد وفي رواية ائتدموا بالزيت ورواه الترمذي وابن ماجه من غير وجه وقوله وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ذكر تعالى ما جعل لخلقه في الانعام من المنافع وذلك انهم يشربون من البانها الخارجة من بين فرث ودم وياكلون من لحمانها ويلبسون من اصوافها واوبارها واشعارها ويركبون ظهورها ويحملون الاحمال الثقال الى البلاد النائية عنهم كما قال وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم وقوله لعبرة اي اية تعتبرون بها وعليها اي وعلى الابل من الانعام في البر وعلى الفلك في البحر ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون فقال الملا الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين اخبر تعالى عن نوح حين بعثه الله الى قومه لينذرهم عذاب الله وباسه الشديد وانتقامه ممن اشرك به وخالف امره وكذب رسله فقال لهم يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون اي الا تخافون في اشراككم به فقال الملا وهم السادة والاكابر منهم لنوح ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم اي يترفع ويتعاظم بدعوى النبوة وهو بشر مثلكم فكيف اوحي اليه دونكم و لو شاء الله لانزل ملائكة اي لو اراد ان يبعث نبيا لبعثه ملكا من عنده ولم يكن بشرا ما سمعنا بهذا اي ببعثة البشر في ابائنا الاولين اي اسلافهم واجدادهم وقوله ان هو الا رجل به جنة اي مجنون فيما يزعمه من الله ارسله اليكم واختصه من بينكم بالوحي فتربصوا به حتى حين اي انتظروا به ريب المنون واصبروا عليه مدة حتى تستريحوا منه بموته قال رب انصرني بما كذبون فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا فاذا جاء امرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين ان في ذلك لايات وان كنا لمبتلين اخبر تعالى عن نوح عليه السلم انه دعا ربه استنصارا على قومه فامره الله تعالى بصنعة السفينة واحكامها واتقانها وان يحمل فيها من كل زوجين اثنين اي ذكرا وانثى من كل صنف من الحيوانات والنباتات والثمار وغير ذلك وان يحمل فيها اهله الا

ومنها تاكلون

اهل بيته او من امن معه

من كل اصنف الذكر والانثى واحدين فرد وصنف

من سبق عليه القول منهم اى سبق عليه القول من الله بالهلاك وهم الذين لم يومنوا به من اهله كابنه وزوجته
وقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون اى عند معاينة انزال المطر العظم لا ياخذ بقومك رافة بقومهم و
شفقة عليهم وطمع في تاخيرهم لعلهم يومنون فاني قد قضيت انهم مغرقون على ماهم عليه من الكفر والطغيان وقد
سبق القصة مبسوطة في سورة هود وقوله فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم
الظالمين اى الكافرين وقد امتثل نوح امر الله كما قال تعالى وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها فذكر الله عند ابتداء
سيره وعند انتهائه وقال تعالى وقل رب انزلني منزلا مباركا فالبركة في السفينة النجاة وفي النزول بعد الخروج بركة النسل
من اولاده الثلثة وانت خير المنزلين هو كقوله فالله خير حافظا وقوله ان في ذلك لايات اى ان في هذا الصنيع وهو انجاء
المؤمنين واهلاك الكافرين لايات اى لحجج ودلالات واضحات على صدق الانبياء فيما جاؤا به عن الله تعالى وانه فاعل لما
يشاء قادر على كل شيء عليم بكل شيء وقوله وان كنا لمبتلين اى لمختبرين للعباد بارسال المرسلين ثم انشانا من بعدهم
قرنا آخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون وقال الملأ
من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة واترفناهم في الحيوة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما
تاكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ايعدكم انكم اذا متم
وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون ان هي الا حيوتنا الدنيا نموت
ونحيا وما نحن بمبعوثين ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمومنين قال رب
انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا
للقوم الظالمين اخبر تعالى انه انشا بعد قوم نوح قرنا آخرين قيل المراد بهم عاد فانهم كانوا مستخلفين بعدهم وقيل
المراد بهولاء ثمود لقوله فاخذتهم الصيحة بالحق وانه تعالى ارسل فيهم رسولا منهم فدعاهم الى عبادة الله وحده
لا شريك له فكذبوه وخالفوه وابوا من اتباعه لكونه بشرا مثلهم واستنكفوا عن اتباع رسول بشري وكذبوا بلقاء الله في
القيمة وانكروا المعاد الجثماني وقالوا ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيهات هيهات اي بعيد
بعيد ذلك ان هو الا رجل افترى على الله كذبا اى فيما جاءكم من الرسالة والنذارة والاخبار بالمعاد وما نحن له بمومنين قال
رب انصرني بما كذبون اى استفتح عليهم الرسول واستنصر ربه عليهم فاجاب دعاءه قال عما قليل ليصبحن نادمين
اى من مخالفتك وعنادك فيما جئتهم به فاخذتهم الصيحة بالحق اى وكانوا يستحقون ذلك من الله لكفرهم وعنادهم
وطغيانهم والظاهر انه اجتمع عليهم صيحة مع الريح الصرصر العاصف القوي الباردة وقوله فجعلناهم غثاء اى
صرعى هلكى كغثاء السيل وهو الشيء الحقير الهالك لا ينتفع بشيء منه فبعدا للقوم الظالمين لقوله وما ظلمناهم ولكن كانوا
هم الظالمين اي بكفرهم وعنادهم ومخالفتهم الرسول ثم انشانا من بعدهم قرونا آخرين ما تسبق من امة اجلها
وما يستاخرون ثم ارسلنا رسلنا تترى كلما جاء امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم
احاديث فبعدا للقوم ~~الظالمين~~ لا يومنون اى ثم انشانا بعد انقراضهم امما وخلائق ما تسبق من امة اجلها
وما يستاخرون اى يوخذون حسب ما قدر الله لهم في الكتاب المحفوظ وعلمه قبل كونهم امة بعد امة وقرنا بعد قرن وخلفا
بعد سلف ثم ارسلنا رسلنا تترى يعني يتبع بعضهم بعضا وقوله كلما جاء امة رسولها كذبوه يعني جمهورهم واكثرهم كقوله تعالى

يا حسرة

ما ياتيهم

ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون وقوله فاتبعنا بعضهم بعضا اى اهلكناهم متعاقبا وجعلناهم احاديث اى اخبارا
واحاديث للناس يتحدث من بعدهم بامرهم وشانهم فبعدا للقوم الظالمين اى ابعدهم الله من رحمته ثم ارسلنا
موسى واخاه هرون باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين
فقالوا انومن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولقد اتينا موسى
الكتاب لعلهم يهتدون اخبر تعالى انه ارسل رسوله موسى واخاه هرون الى فرعون وملائه بالايات والحجج القاطعات
وان فرعون وقومه استكبروا عن اتباعهما والانقياد لامرهما لكونهما بشرين كما انكرت الامم الماضية بعثة الرسل من البشر
تشابهت قلوبهم فاهلك الله فرعون وملاءه وغرقهم في يوم واحد اجمعين وانزل على موسى الكتاب وهو التورية فيها اوامره
ونواهيه وذلك بعدما قصم الله فرعون واتباعه وبعد ان انزل التورية لم يهلك امة بعامة بل امر المومنين بقتال الكافرين
كما قال ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى الآية ثم قال تعالى وجعلنا ابن مريم وامه آية
وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين اخبر تعالى عن عيسى وامه عليهما السلام وانه جعلهما آية للناس اى حجة قاطعة
على قدرته على ما يشاء فانه خلق آدم من غير اب ولا ام وخلق حواء من ذكر بلا انثى وخلق عيسى من انثى بلا ذكر وخلق
بقية الناس من ذكر وانثى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قال ابن عباس الربوة المكان المرتفع من الارض و
هو احسن ما يكون فيه النبات وذات قرار اى ذات خصب والمعين الماء الظاهر الصافي الجاري واختلفوا ان
هذه الربوة واى ارض هو قال ابن زيد ليس الربا الا بمصر عليها القرى ولولا الربا لغرقت القرى وقال
ابن المسيب هي دمشق وما حولها وعليه الاكثر وقيل هي الرملة من فلسطين كما ورد في الحديث الغريب انه عليه الصلوة
والسلام قال لرجل انك تموت بالربوة فمات بالرملة واقرب الاقوال ما قال ابن عباس المعين الماء الجاري وهو النهر
الذي قال الله قد جعل ربك تحتك سريا وعن قتادة ان الربوة هي بيت المقدس وهذا هو الاظهر لما جاء في آية اخرى وتثبته
الاحاديث الصحيحة يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه امتكم امة
واحدة وانا ربكم فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى
حين ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون امر تعالى عباده المرسلين
باكل الحلال والقيام بالصالح من الاعمال فان الحلال عون على العمل الصالح فقاموا بهذا اتم القيام وجمعوا بين كل خير
قولا وعملا ونصحا وقال الحسن البصري اما والله ما امروا باصفركم ولا احمركم ولا حلوكم ولا حامضكم ولكن قال انتهوا
الى الحلال منه وكان عيسى بن مريم ياكل من غزل امه وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من نبي الا وقد رعى الغنم
قالوا وانت يا رسول الله قال نعم كنت ارعاها على قراريط لاهل مكة وفيه ان داود كان ياكل من كسب يده وعن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المومنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل
كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر
يمد يديه الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك رواه
مسلم وقوله وان هذه امتكم امة واحدة اى دينكم يا معشر الانبياء دين واحد وملة واحدة وهو الدعوة الى عبادة الله وحده
لا شريك له ولهذا قال وانا ربكم فاتقون وقد تقدم الكلام عليه في سورة الانبياء وان قوله امة واحدة منصوب على الحال

وقوله فتقطعوا امرهم بينهم زبرا اى الامم الذين بعث اليهم الانبياء كل حزب بما لديهم فرحون اى يفرحون بما هم
فيه من الضلال لانهم يحسبون انهم مهتدون ولهذا قال متهددا لهم ومتوعدا فذرهم فى غمرتهم اى فى غيهم وضلالهم
حتى حين اى الى حين هلاكهم وموتهم وقوله ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين اى ايظن هولاء المغرورون
ان ما نعطيهم من الاموال والاولاد لكرامتهم علينا ومعزتهم عندنا كلا ليس الامر كما يظنون ويزعمون فى قولهم نحن
اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين لقد اخطاوا فى ذلك وخاب رجاوهم بل انما نفعل ذلك بهم استدراجا
وانظارا وامهالا ولهذا قال بل لا يشعرون كما قال تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم الايه وغيرها من الايات
الداله على استدراج حالهم وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما
قسم بينكم ارزاقكم وان الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين الا لمن يحب فمن اعطاه الله الدين فقد
احبه والذى نفس محمد بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يومن حتى يامن جاره بوايقه قالوا وما بوايقه
يا رسول الله قال غشمه وظلمه ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق به فيقبل منه ولا يتركه
خلف ظهره الا كان زاده الى النار ان الله لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن ان الخبيث لا يمحو الخبيث
رواه احمد ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بايات ربهم يومنون والذين هم بربهم
لا يشركون والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون اولئك يسارعون فى
الخيرات وهم لها سابقون اى هم مع احسانهم وايمانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله خائفون منه وجلون
من مكره بهم كما قال الحسن ان المومن جمع احسانا وشفقة اى خوفا وان المنافق جمع اساءة وامنا والذين هم بايات
ربهم يومنون اى يومنون باياته الكونيه والشرعيه كما قال تعالى اخبارا عن مريم وصدقت بكلمات ربها وكتبه اى ايقنت
ان ما كان انما هو عن قدر الله وقضائه وما شرعه الله فهو ان كان امرا فمما يحبه ويرضاه وان كان نهيا فهو مما يكرهه
ويأباه وان كان خبرا فهو حق كما قال والذين هم بربهم لا يشركون اى لا يعبدون معه غيره بل يوحدونه ويعلمون انه
لا اله الا الله احدا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وانه لا نظير له ولا كفوء له وقوله والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة
اى يعطون العطاء وهم خائفون وجلون ان لا يتقبل منهم لخوفهم ان يكونوا قد قصروا فى القيام بشروط الاعطاء وهذا
من باب الاشفاق والاحتياط كما روت عائشة انها قالت يا رسول الله الذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة يا رسول الله
هو الذى يسرق ويزنى ويشرب الخمر وهو يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكنه الذى يصلى ويصوم ويتصدق وهو
يخاف الله وفى رواية ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون ان لا يتقبل منهم اولئك يسارعون فى
الخيرات رواه احمد والترمذى وقرا بعضهم والذين ياتون ما اتوا وقلوبهم وجلة اى يفعلون ما يفعلون وهم يخافون
وروى هذا مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم انه قرا كذلك والمعنى على القراءة الاولى وهى قراءة الجمهور السبعة وغيرهم اظهر
لانه قال اولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون فجعلهم من السابقين ولو كان المعنى على القراءة الاخرى لاوشك
ان لا يكونوا من السابقين بل من المقتصدين او المقصرين والله اعلم ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب
ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم فى غمرة من هذا ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا
اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجارون لا تجاروا اليوم انكم منا لا تنصرون قد كانت اياتى تتلى عليكم فكنتم

انهم الى ربهم راجعون

اى يسابقون الناس لاجلها او اياها
سابقون اى ينالونها قبل الاخرة
حيث عجلت لهم فى الدنيا

على اعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون اخبر تعالى عن عدله وشرعه على عباده فى الدنيا انه لا يكلف نفسا
الا وسعها اى الا ما يطيق حمله والقيام به وانه يوم القيمة يحاسبهم باعمالهم التى كتبها عليهم فى كتاب مسطور لا يضيع منه
شى ولهذا قال ولدينا كتاب ينطق بالحق يعنى كتاب الاعمال وهم لا يظلمون اى لا يبخسون من الخير شيا واما السيات فيعفو
ويصفح عن كثير منها لعباده المومنين ثم قال منكرا على مشركى قريش بل قلوبهم فى غمرة اى غفلة وضلالة من هذا اى القران
الذى انزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون اى سيئة غير ذلك يعنى الشرك
هم لها عاملون اى لا بد ان يعملوها قاله ابن عباس وموافقوه وقال غيرهم اى قد كتب عليهم اعمال سيئة لا بد ان
يعملوها قبل موتهم لا محالة ليحق عليهم كلمة العذاب وهذا قوى حسن كما فى الصحيح عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فوالذى لا اله غيره ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب
فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وقوله حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجارون يعنى حتى اذا جاء مترفيهم وهم
السعداء المتنعمون فى الدنيا عذاب الله وباسه ونقمته بهم اذا هم يجارون اى يصرخون ويستغيثون وقوله لا تجاروا
اليوم انكم منا لا تنصرون اى لا تضجوا ولا تجزعوا مما حل بكم واصل الجوار رفع الصوت بالتضرع سواء جارتم او سكتم
لا ينفعكم ذلك انكم منا لا تنصرون اى لا تمنعون منا ثم ذكر تعالى اكبر ذنوبهم فقال قد كانت اياتى تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم
تنكصون اى اذا دعيتم ابيتم وان طلبتم امتنعتم ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تومنوا وقوله مستكبرين
به سامرا تهجرون قيل فى تفسيره قولان احدهما ان مستكبرين حال منهم حين نكوصهم عن الحق واباءهم اياه استكبارا عليه
واحتقارا له ولاهله فعلى هذا فى الضمير فى به ثلاثة اقوال احدها انه الحرم بمكة ذموا لانهم كانوا يسمرون بالهجر من الكلام و
الثانى هو ضمير القران كانوا يسمرون القران بالهجر من الكلام انه سحر انه شعر انه كهانة الى غير ذلك من الاباطيل والثالث
انه محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يذكرونه فى سمرهم بالاقوال الفاسدة ويضربون له الامثال الباطلة كما سبق من انه ساحر مجنون
شاعر وكل ذلك باطل بل هو عبد الله ورسوله الذى اظهره الله عليهم واخرجهم من الحرم صاغرين اذلاء وقيل
مستكبرين بالبيت يفتخرون به ويعتقدون انهم اولياء الله واهل حرمه وجيران بيته فلا يظهر عليهم احد والمراد
انهم كانوا يسمرون بالليل فى مجالسهم حول البيت ويفحشون واصل الهجر الفحش والشروع فى الباطل افلم يدبروا
القول ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ام يقولون به جنة بل جاءهم
بالحق واكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم
فهم عن ذكرهم معرضون ام تسالهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط
مستقيم وان الذين لا يومنون بالاخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم
يعمهون انكر تعالى على المشركين فى ترك تفهمهم للقران وتدبرهم فيه واعراضهم عنه مع انهم قد خصوا بهذا الكتاب فلم
يبلغ اباءهم الذين ماتوا فى الجاهلية فكان اللائق بهولاء ان يقابلوا تلك النعمة بقبولها والقيام بشكرها كما فعله النجباء
منهم ممن اسلم واتبع الحق اى افلم يدبروا ما جاءهم من القول وهو القران فيعرفوا ما فيه من الدلالة على صدق محمد صلى
الله عليه وسلم قال قتادة لو تدبر القوم وعقلوه لوجدوه زاجرا عن المعاصى ولكن اخذوا بما تشابه فهلكوا ثم قال
تعالى منكرا على مشركى قريش ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون اى انهم لا يعرفون محمدا وصدقه وامانته وصيانته التى

افلم يدبروا ما جاءهم من القول وهو القرآن فيعرفوا ما فيه
من الدلالات على صدق محمد من اعجاز لفظه
ووضوح معانيه ام جاءهم ما لم يات اباءهم
الاولين فانكروا يريد انا قد بعثنا رسلا
من قبلهم الى قومهم كذلك بعثنا محمدا صلعم
اليهم وقيل ام بمعنى بل يعنى بل جاءهم ما لم
يات اباءهم الاولين فلذلك انكروه
معالم

نشابها فهم افتقدرون على انكار ذلك والمباهتة فيه ولهذا قال جعفر بن ابي طالب للنجاشي ملك الحبشة ايها الملك
ان الله قد بعث الينا رسولا نعرف نسبه وصدقه وامانته وكذا قال المغيرة بن شعبة لنائب كسرى حين بارزهم وقوله
ام يقولون به جنة هذا حكاية قول المشركين في شانه عليه الصلوة والسلم انه تقول القرآن اي افتراه من عنده او انه به جنون انه
لا يدري ما يقول واخبر تعالى عنهم ان قلوبهم لا يؤمن به وهم يعلمون بطلان ما يقولون به فانهم قد اتاهم من كلام الله ما لا
يدافع وان جميع اهل الارض عجزوا ان ياتوا بمثل سورة قصيرة منه ولهذا قال بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون يجوز ان
يكون الواو حاليه وان يكون للاستيناف روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي رجلا فقال اسلم فقال الرجل انك لتدعوني
الى امر انا له كاره فقال عليه الصلوة والسلم وان كنت كارها وقوله ولو اتبع الحق اهواءهم قال مجاهد وغيره الحق هو الله
اي لو اجابهم الله الى ما في انفسهم من الهوى وشرع الامور على وفق ذلك لفسدت السموات والارض ومن فيهن اي
لفساد اهوائهم واختلافها كما اخبر عنهم في قولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ثم قال اهم يقسمون
رحمة ربك وفيه بيان لعجز العباد واختلاف ارائهم واهوائهم وانه تعالى هو الكامل في جميع صفاته واقواله وافعاله
واحواله ثم قال بل اتيناهم بذكرهم يعني القرآن فهم عن ذكرهم معرضون وقوله ام تسألهم خرجا اي اجرا وجعلا فخراج
ربك خير اي انت لا تسألهم اجرة ولا جعلا ولا شيئا على دعوتك اياهم الى الهدى بل انت في ذلك تحتسب عند الله جزيل ثوابه
كما قال قل ما سألتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله ونحوه من الايات وقوله وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم عن
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه فيما يرى النائم ملكان فقال ان مثله ومثل امته كمثل قوم سفر انتهوا الى
راس مفازة فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون به فبينما هم كذلك اذ اتاهم رجل في حلة حبرة
فقال ارايتم ان وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواء تتبعوني فقالوا نعم قال فانطلق بهم فاوردهم رياضا
معشبة وحياضا رواء ان تتبعوني فقالوا بلى قال فاكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم الم القكم على تلك الحال فجعلتم
لي ان وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواء ان تتبعوني فقالوا بلى فقال ان بين ايديكم رياضا اعشب من هذه
وحياضا هي اروى من هذه فاتبعوني قال فقالت طائفة صدق والله لنتبعنه وقالت طائفة قد رضينا بهذا نقيم
عليه رواه احمد وقوله لناكبون اي لعادلون جائرون منحرفون تقول العرب نكب فلان عن الطريق اذا زاغ عنها و
قوله ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون اخبر تعالى عن غلظهم وكفرهم بانه لو ازاح عللهم و
افهمهم القرآن لما انقادوا له ولاستمروا على كفرهم وطغيانهم وضلالهم ولم ينزعوا عنه كما قال ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم
الاية ونحوها من الايات فهذا من باب علمه تعالى بما لا يكون لو كان كيف كان يكون ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا
لربهم وما يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون وهو الذي انشأ لكم السمع
والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وهو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون وهو الذي يحيي
ويميت وله اختلاف الليل والنهار افلا تعقلون بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا أئذا متنا وكنا
ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين اي لقد
ابتليناهم بالمصائب والشدائد فما استكانوا لربهم اي فما ردهم ذلك عما كانوا فيه من الكفر والمخالفة بل استمروا على ضلالهم
وغيهم فما استكانوا اي ما خشعوا وما تضرعوا الى ربهم بالدعاء بل مصروا على تمردهم قال ابن عباس جاء ابو سفيان

فقعد احدهما عند رجليه والآخر عند راسه فقال الذي عند رجليه للذي عند راسه اضرب مثل هذا ومثل امته

عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ممسك بحجزكم هلم عن النار وتغلبونني وتقاحمون فيها تقاحم الفراش والجنادب فاوشك ان ارسل حجزكم وانا فرطكم على الحوض فتردون علي معا واشتاتا فاعرفكم بسيماكم واسمائكم كما يعرف الرجل الغريب من الابل في ابله فيذهب بكم ذات الشمال وانا شهيد رب العالمين اي رب قومي اي رب امتي فيقال يا محمد انك لا تدري ما احدثوا بعدك انهم كانوا يمشون بعدك القهقرى على اعقابهم فلا اعرفن احدكم يوم القيمة يحمل شاة لها ثغاء ينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك شيئا قد بلغت ولا اعرفن احدكم ياتي يوم القيمة يحمل بعيرا له رغاء ينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك شيئا قد بلغت ولا اعرفن احدكم ياتي يوم القيمة يحمل فرسا لها حمحمة فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك شيئا قد بلغت ولا اعرفن احدكم ياتي يوم القيمة يحمل [illegible]

الى

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انشدك الله والرحم فقد اكلنا العلهز اي الوبر والدم فانزل الله و
لقد اخذناهم بالعذاب الاية هكذا رواه النسائي واصل هذا الحديث في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا
على قريش حين استعصوا فقال اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف وقوله حتى اذا فتحنا عليهم اي حتى اذا جاءهم
امر الله وجاءتهم الساعة بغتة واخذهم من عذاب الله ما لم يكونوا يحتسبون فعند ذلك ابلسوا من كل خير وايسوا من
كل راحة وانقطعت امالهم ورجاؤهم ثم ذكر تعالى نعمه على عباده بان جعل لهم السمع والابصار والافئدة وهي
العقول والفهوم التي يدركون بها الاشياء ويعتبرون بما يكون من الايات الدالة على وحدانيته تعالى وانه الفاعل المختار
لما يشاء وقوله قليلا ما تشكرون اي وما اقل شكركم لله على ما انعم به عليكم ثم اخبر عن قدرته العظيمة في ذرئه الخليقة و
خلقه لهم وبثه اياهم في سائر اقطار الارض على اختلاف اجناسهم وصفاتهم ولغاتهم ثم يوم القيمة يجمع الاولين منهم والاخرين فلا
يترك منهم صغيرا ولا كبيرا الا اعاده كما بداه ولهذا قال وهو الذي يحيي ويميت اي يحيي الرمم ويميت الامم وله اختلاف الليل
والنهار اي وعن امره تسخير الليل والنهار وكل منهما يطلب الاخر طلبا حثيثا يتعاقبان لا يفتران ولا يفترقان بزمان غيرهما
وقوله افلا تعقلون اي افليس لكم عقول تدلكم على العزيز العليم الذي قد قهر كل شيء ثم قال مخبرا عن منكري البعث الذين اشبهوا
من قبلهم من المكذبين بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون اي يستبعدون وقوع
ذلك بعد صيرورتهم الى البلى لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين يعنون الاعادة محال انما
اخبر بها من تلقاها عن كتب الاولين واختلافهم وهذا الانكار والتكذيب منهم كقوله تعالى اخبارا عنهم أئذا كنا
عظاما نخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة الاية قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون
قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو
يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون بل اتيناهم بالحق وانهم لكاذبون يقرر تعالى
الخلاق ليقرروا بوحدانيته واستقلاله بالخلق والتصرف والملك ليرشدهم الى انه لا اله الا هو ولهذا قال لرسوله عليه
الصلوة والسلم ان يقول للمشركين العابدين المعترفين له بالربوبية ومع هذا قد اشركوا معه الالهة فعبدوها مع
اعترافهم انهم لا يخلقون شيئا ولا يملكون شيئا بل اعتقدوا انهم يقربونهم اليه زلفى قل لمن الارض ومن فيها اي من مالكها
الذي خلقها ومن فيها من الحيوانات والنباتات والثمرات وسائر صنوف المخلوقات ان كنتم تعلمون سيقولون لله اي
فيعترفون لك بان ذلك لله وحده لا شريك له فاذا كان ذلك قل افلا تذكرون انه لا تليق العبادة الا للخالق الرازق
لا لغيره قل من رب السموات السبع اي من هو خالق العالم العلوي بما فيه من الكواكب النيرات والملائكة الخاضعين
وسائر اقطارها ومن هو رب العرش العظيم يعني الذي هو سقف المخلوقات كما جاء في سنن ابي داود عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال شان الله اعظم من ذلك ان عرشه على سمواته هكذا واشار بيده مثل القبة قال ابن عباس
انما سمي عرشا لارتفاعه وعن كعب الاحبار قال ان السموات في العرش كالقنديل المعلق بين السماء والارض ولهذا قال
ههنا ورب العرش العظيم يعني الكبير وقال في اخر السورة رب العرش الكريم اي الحسن البهي فقد جمع العرش بين العظمة
والاتساع والعلو والحسن ولهذا قال من قال انه من ياقوتة حمراء قال ابن مسعود ان ربكم ليس عنده ليل ولا نهار
نور العرش من نور وجهه وقوله سيقولون لله قل افلا تتقون اي فاذا كنتم تعترفون بانه رب السموات ورب العرش افلا

الاساطير جمع اسطار جمع سطر وهو ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له وجمع اسطورة اوفق [illegible]

[illegible] حقيقا بان لا يشرك بعض خلقه

تخافون عقابه وتحذرون عذابه في اشراككم به قل من بيده ملكوت كل شيء اي من بيده الملك كما ما من دابة الا هو آخذ
بناصيتها اي متصرف فيها فهو سبحانه الخالق المالك المتصرف وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون كانت العرب
اذا كان السيد فيهم فاجار احدا لا يخفر في جواره وليس لمن دونه ان يجير عليه لئلا يفتات عليه ولهذا قال وهو
يجير ولا يجار عليه اي وهو السيد العظيم الذي لا اعظم منه وقوله سيقولون لله اي سيعترفون ان السيد العظيم الذي
يجير ولا يجار عليه هو الله تعالى قل فانى تسحرون اي فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك
ومعنى تسحرون تخدعون وتصرفون ثم قال تعالى بل اتيناهم بالحق وهو الاعلام بانه لا اله الا الله واقمنا الادلة الصحيحة
الواضحة القاطعة على ذلك وانهم لكاذبون اي في اشراكهم به ولا دليل لهم على ذلك بل اتبعوا آباءهم واسلافهم الجهال
والضلال كما قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا
لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون
ينزه تعالى نفسه ان يكون له ولد او شريك في الملك فقال وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق اي لو قدر تعدد
الآلهة لانفرد كل منهم بما خلق فما كان ينتظم الوجود والمشاهد ان الوجود منتظم متسق كل من العالم العلوي والسفلي
مرتبط بعضه ببعض في غاية الكمال ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ثم لكان كل منهم يطلب قهر الآخر وخلافه فيعلو
بعضهم على بعض والمتكلمون ذكروا هذا المعنى وعبروا عنه بدليل التمانع وهو انه لو فرض صانعان فصاعدا فاراد واحد
تحريك جسم واراد الآخر تسكينه فان لم يحصل مراد كل منهما كانا عاجزين والواجب لا يكون عاجزا ويمتنع اجتماع مراديهما
للتضاد وما جاء هذا المحال الا من فرض التعدد فيكون محالا فاما ان حصل مراد احدهما دون الآخر كان
الغالب هو الواجب والآخر المغلوب ممكنا لانه لا يليق بصفة الواجب ان يكون مقهورا ولهذا قال ولعلا بعضهم
على بعض سبحان الله عما يصفون اي عما يقول الظالمون المعتدون في دعواهم الولد والشريك علوا كبيرا عالم الغيب
والشهادة اي يعلم ما يغيب عن المخلوقات وما يشاهدونه فتعالى عما يشركون اي تقدس وتنزه وتعالى يعني انه اعظم
من ان يوصف بهذا الوصف تعظم عن ذلك قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين
وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن اعلم بما يصفون وقل رب اعوذ
بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون يعني ان اريتني ما يوعدون اي من العذاب وان عاقبتهم
وانا شاهد ذلك فلا تجعلني فيهم وقد امر الله ان يدعى بهذا الدعاء عند حلول النقم وفي الحديث الذي رواه احمد و
صححه الترمذي واذا اردت بقوم فتنة فتوفني اليك غير مفتون وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون اي لو شئنا لاريناك
ما يحل بهم من النقم والبلاء ثم قال مرشدا له الى الترياق النافع في مخالطة الناس وهو الاحسان الى من يسيء اليه
ليستجلب خاطره فتعود عداوته صداقة وبغضه محبة فقال ادفع بالتي هي احسن السيئة كما قال في الآية الاخرى
ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم اي ادرأ بالخلة التي هي احسن وهي الصفح والاعراض
والصبر السيئة اي اذاهم ومقابلتهم بالجميل مع اساءتهم اليك نحن اعلم بما يصفون اي من الكذب والشرك وقوله وقل
رب اعوذ بك من همزات الشياطين امره تعالى ان يستعيذ من الشياطين لانه لا ينفع معهم الجميل ولا ينقادون بالمعروف
وقوله واعوذ بك رب ان يحضرون اي في شيء من امري ولهذا امر بذكر الله في ابتداء الامور وذلك مطردة للشيطان

عند

الجار الذي اجرته من ان يظلمه ظالم واستجاره من فلان فاجاره منه واجاره الله من العذاب انقذه ه اجرت فلانا على فلان اذا اغثته منه ومنعته يعني يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث احد منه احدا ه خفرت بالرجل اذا اجرته وكنت له خفيرا اي مجيرا تمنعه واخفرته اذا انقضت عهده وغدرت ه

اذا لذهب جواب شرط محذوف وهو كما فسره الشيخ اي لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد وراثم ملك كل واحد منهم متميزا عن ملك الآخرين ولغلب بعضهم بعضا كملوك الدنيا ه

قوله اما تريني ما والنون موكد بان اي ان كان لا بد ان تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا او في الآخرة فلا تجعلني ممن ينالهم ولا تعذبني بعذابهم ه

المعنى اصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما امكن من الاحسان وعن ابن عباس هي اي الحسنى شهادة ان لا اله الا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد السلام يسلم عليه اذا لقيه وعن الحسن الاغضاء والصفح

همزات الشياطين وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الرائض الدواب حثا لها على المشي [illegible] ه

من ان يحضروني اصلا ويحوموا حولي في حال من الاحوال فخص حال الصلاة وقراءة القرآن وحلول الاجل لانها احرى الاحوال بان يخاف عليه ه

عند الاكل وعند الجماع وعند الذبح وغير ذلك من الامور ولهذا روى ابو داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
كان يقول اللهم اني اعوذ بك من الهرم واعوذ بك من الهدم ومن الغرق واعوذ بك ان يتخبطني الشيطان عند
الموت وعن عبد الله بن عمرو قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا كلمات كان يقولهن عند النوم من الفزع
بسم الله اعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون رواه
ابو داود والترمذي والنسائي حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت
كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون اخبر تعالى عن حال المحتضر عند الموت
من الكافرين او المفرطين في امر الله تعالى وقيلهم وسؤالهم الرجعة الى الدنيا ليصلح ما كان افسده في مدة حياته
ولهذا قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت فانه تعالى ذكر انهم يسالون الرجعة فلا يجابون عند
الاحتضار وقوله كلا انها كلمة هو قائلها فكلا حرف ردع وزجر اي لا نجيبه الى ما طلب ولا نقبل منه وقوله
انها كلمة قال ابن زيد اي لا بد ان يقولها لا محالة كل محتضر ظالم ويحتمل ان يكون ذلك علة لقوله كلا اي لانها كلمة
اي سؤاله الرجوع ليعمل صالحا هو كلام منه وقول لا عمل معه ولو رد لما عمل صالحا ولكان كاذبا في مقالته هذه كما قال
تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقال ابو هريرة اذا وضع الكافر في قبره فيرى مقعده من النار
فيقول رب ارجعون اتوب واعمل صالحا فيقال له قد عمرت ما كنت معمرا فيضيق عليه قبره فهو كالمنهوش ينام
ويفزع تهوي اليه هوام الارض وحياتها وعقاربها قال ابو صالح وغيره في قوله ومن ورائهم برزخ اي امامهم قال
مجاهد وغيره البرزخ الحاجز بين الدنيا والآخرة ليس مع اهل الدنيا يأكلون ويشربون ولا مع اهل الآخرة يجازى باعمالهم
وقيل البرزخ المقابر لا هم في الدنيا ولا هم في الآخرة فهم مقيمون الى يوم يبعثون وفيه تهديد لهؤلاء الظلمة بعذاب البرزخ
كما قال ومن ورائهم جهنم وقوله الى يوم يبعثون اي يستمر به العذاب الى يوم البعث فاذا نفخ في الصور فلا انساب
بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين
خسروا انفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون اخبر تعالى انه اذا نفخ في الصور
نفخة النشور وقام الناس من القبور فلا انساب بينهم اي لا تنفع الانساب يومئذ يوم يفر المرء من اخيه وامه و
ابيه قال ابن مسعود اذا كان يوم القيمة جمع الله الاولين والآخرين ثم نادى مناد الا من كان له مظلمة فليجئ فلياخذ حقه
قال فيفرح والله المرء ان يكون له الحق على والده او ولده او زوجته وان كان صغيرا ومصداق ذلك في كتاب الله فاذا
نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون رواه ابن ابي حاتم وعن المسور بن مخرمة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها وان الانساب تنقطع يوم القيمة غير نسبي و
سببي وصهري رواه احمد ولهذا الحديث اصل في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاطمة بضعة مني يريبني
ما رابها ويؤذيني ما آذاها وروي انه لما تزوج عمر بن الخطاب ام كلثوم بنت علي بن ابي طالب قال اما والله ما بي الا اني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب منقطع يوم القيمة غير نسبي وسببي رواه البيهقي والطبراني
وذكر انه اصدقها اربعين الفا اعظاما لها وقوله فمن ثقلت موازينه اي فمن رجحت حسناته على سيئاته ولو بواحدة فاولئك
هم المفلحون اي الذين فازوا فنجوا من النار وادخلوا الجنة وقال ابن عباس اولئك الذين فازوا بما طلبوا ونجوا من شر

الاصل في التخبط ان يضرب البعير الشيء بخف يده فيسقط والمعنى اعوذ بك ان يمسني الشيطان عند الموت بنزغاته التي تزل الاقدام وتصارع العقول والاحلام ه

حتى يتعلق بيصفون اي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت والآية بينهما معترضة للتاكيد ه

كلا ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهي قوله لعلي اعمل صالحا فيما تركت يتكلم بها لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم او هو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا يسمع منه ه

نهشته الحية لسعته ورجل منهوش مجهود والنهش النهس وهو اخذ اللحم بمقدم الاسنان والهوام واحدها هامة ولا يقع الا على المخوف من الاحناش ه

ونفي الانساب يحتمل ان التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم والتالف الا بالاعمال وان لا يعتد بالانساب لزوال التعاطف والتراحم بين الاقارب والمعنى بين ولد ولا يتساءلون ولا يسال حميم حميما وبين قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقوله يتعارفون بينهم ان يوم القيمة مقداره خمسون الف سنة ففيه ازمنة واحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون في بعضها وفي بعضها لا يفطنون لذلك لشدة الهول والفزع او ان التناكر يكون عند النفخة الاولى فاذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا ه

اي الموازين جمع موزون وهي الموزونات من الاعمال اي الصالحات التي لها وزن وقدر عند الله ه

مانة هربوا ومن خفت موازينه اي ثقلت سيئاته على حسناته فاولئك الذين خسروا انفسهم اي خابوا وهلكوا
وفازوا بالصفقة الخاسرة ولهذا قال في جهنم خالدون اي ماكثون فيها دائمون مقيمون تلفح وجوههم النار كما
قال وتغشى وجوههم النار عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان جهنم لما سيق اليها اهلها تلقتهم فلفحتهم
ثم لفحتهم لفحة فلم تبق لحم الا سقط على العرقوب رواه ابن ابي حاتم وقوله وهم فيها كالحون قال ابن عباس يعني عابسون
قال ابن مسعود الم تر الى الراس المشيط الذي قد بدا اسنانه وقلصت شفتاه وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته
رواه الترمذي وحسنه وصححه الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا
قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون هذا توبيخ لاهل النار وتقريع لهم على ما ارتكبوا من الكفر
والماثم العظام التي اوبقتهم في ذلك فقال تعالى الم تكن اياتي تتلى عليكم اي قد ارسلنا اليكم الرسل وانزلنا عليكم الكتب
وازحنا شبهكم ولم يبق لكم حجة تدلون بها كما قال لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وغيرها من الايات البينات
ولهذا قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين اي قد قامت علينا الحجة ولكنا اشقى من ان ننقاد لها و
نتبعها فضللنا عنها ولم نرزقها ثم قالوا ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون اي ردنا الى الدنيا فان عدنا الى ما سلف منا
فنحن ظالمون مستحقون للعقوبة كما قالوا فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل اي لا سبيل الى الخروج لانكم كنتم تشركون
بالله اذا وحده المؤمنون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا امنا فاغفر
لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون اني
جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون هذا وعيد من الله للكفار اذا سالوا الخروج من النار والرجعة
الى الدنيا قال اخسئوا فيها اي امكثوا فيها صاغرين مهانين اذلاء ولا تكلمون اي لا تعودوا الى سؤالكم هذا فانه لا جواب
لكم عندي عن ابن عباس قال هذا قول الرحمن حين انقطع كلامهم منه قال عبد الله بن عمرو ان اهل جهنم يدعون مالكا
فلا يجيبهم اربعين عاما ثم يرد عليهم انكم ماكثون قال هانت والله دعوتهم على مالك ورب مالك ثم يدعون ربهم
فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيسكت عنهم
قدر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسئوا فيها ولا تكلمون قال فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة وما هو الا الزفير والشهيق
في نار جهنم قال فشبهت اصواتهم باصوات الحمير اولها زفير واخرها شهيق رواه ابن ابي حاتم ثم قال تعالى مذكرا لهم
ذنوبهم واستهزاءهم باوليائه المؤمنين انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين
فاتخذتموهم سخريا اي سخرتم منهم في دعائهم اياي وتضرعهم الي حتى انسوكم ذكري اي حملكم بغضهم على ان نسيتم معاملتي
وكنتم منهم تضحكون اي من صنيعهم وعبادتهم كما قال ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون ثم اخبر تعالى
عما جازى به اولياءه فقال اني جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم لهم واستهزائكم منهم انهم هم الفائزون اي جعلتهم هم
الفائزون بالسعادة والسلامة والجنة والناجون من النار قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما
او بعض يوم فاسال العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون افحسبتم انما خلقناكم عبثا و
انكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ينبه الله الكفار على ما اضاعوه

في عمرهم القصير من طاعة الله وعبادته لو صبروا عليها في الدنيا لفازوا كما فاز اولياؤه المتقون قال كم لبثتم في الارض
عدد سنين اي كم كانت اقامتكم في الدنيا قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسال العادين اي الحاسبين قال ان لبثتم الا
قليلا اي مدة يسيرة على كل تقدير لو انكم كنتم تعلمون اي لما اثرتم الفاني على الباقي ولما تصرفتم لانفسكم هذا التصرف السيئ
الذي استحققتم من الله سخطه في تلك المدة اليسيرة ولو انكم صبرتم على عبادته وطاعته كما فعل المؤمنون لفزتم كما فازوا
وقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون اي افظننتم انكم مخلوقون عبثا بلا قصد ولا ارادة منكم ولا حكمة
لنا وانكم الينا لا ترجعون اي لا تعودون في الدار الاخرة كما قال ايحسب الانسان ان يترك سدى اي هملا وقوله تعالى
الله الملك الحق اي تقدس ان يخلق شيئا عبثا فانه الحق المنزه عن ذلك لا اله الا هو رب العرش الكريم فذكر العرش
لانه سقف المخلوقات ووصفه بانه كريم اي حسن المنظر بهي الشكل وروي ان رجلا مصابا مر به على عبد الله بن
مسعود فقرا في اذنه هذه الاية افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق حتى ختم السورة فبرا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا قرات في اذنه فاخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو ان
رجلا موقنا قراها على جبل لزال رواه ابن ابي حاتم ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به فانما حسابه
عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين هذا وعيد لمن اشرك بالله وعبد
معه سواه فانه قال ومن يدع مع الله الها اخر اي من اشرك بالله لا برهان له به اي لا دليل له على قوله وفعله وهذه جملة
معترضة وجواب الشرط هو قوله فانما حسابه عند ربه اي الله يحاسبه على ذلك ثم اخبر انه لا يفلح الكافرون اي لديه يوم
القيامة لا فلاح لهم ولا نجاة وقوله وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين هذا ارشاد من الله الى هذا الدعاء فالغفر
اذا اطلق محو الذنوب وستره عن الناس والرحمة معناها ان يسدده ويوفقه في الاقوال والافعال والله اعلم

تفسير سورة النور مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم سورة انزلناها
وفرضناها وانزلنا فيها ايات بينات لعلكم تذكرون الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة
جلدة ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر وليشهد عذابهما طائفة
من المؤمنين اي هذه سورة انزلناها فيه تنبيه الى الاعتناء بها ولا ينفي ما عداها وفرضناها قال مجاهد وقتادة
اي بينا فيها الحرام والحلال والامر والنهي والحدود وفرضنا عليكم وعلى من بعدكم وانزلنا فيها ايات بينات اي مفسرات واضحات
لعلكم تذكرون اي لكي تتعظوا ثم قال تعالى الزانية والزاني فاجلدوا في هذه الاية حكم الزاني وفيه تفصيل لانه لا يخلو اما
ان يكون بكرا وهو الذي لم يتزوج او محصنا وهو الذي قد وطئ في نكاح صحيح وهو حر بالغ عاقل فاما اذا كان بكرا لم
يتزوج فان حده جلد مائة كما في الاية وزاد على ذلك ان يغرب عاما عن بلده عند جمهور العلماء خلافا لابي حنيفة فان
عنده ان التغريب على راي الامام ان شاء غرب وان شاء لم يغرب وحجة الجمهور ما ثبت في الصحيحين عن ابي هريرة وزيد
بن خالد في الاعرابيين الذين اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احدهما يا رسول الله ان ابني كان عسيفا يعني اجيرا على
هذا فزنا بامراته فافتديت منه بمائة شاة ووليدة فسالت اهل العلم فاخبروني انما على ابني جلد مائة وتغريب عام وان
على امراة هذا الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاقضين بينكما بكتاب الله الوليدة والغنم رد
عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام واغد يا انيس لرجل من اسلم الى امراة هذا فان اعترفت فارجمها فغدا عليها

بابه الزنى

الكلوح ان تتقلص الشفتان وتتشمرا عن الاسنان كما ترى الرؤس المشوية

فكنتم بها تكذبون

النبس هو الكلام ويستعمل في النفي حالا ما نبس بكلمة

استقصروا امد لبثهم في الدنيا بالاضافة الى خلودهم
وما هم فيه من العذاب لان الممتحن يستطيل ايام محنته
ويستقصر ما مر عليه من ايام الدعة او لانهم كانوا
في سرور وايام السرور قصار او لان المنقضي
في حكم ما لم يكن وصدقهم الله في مقالهم لسني لبثهم
في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها وقوله
فاسال العادين اي لا نعرف من عدد تلك السنين
الا انا نستقله ونحسبه يوما او بعض يوم لما نحن
فيه من العذاب وما فينا من يعده كم هي
فاسال من فيه ان يعد ومن يقدر ان يلقي
اليه فكره وقيل فاسال الملائكة الذين يعدون
اعمار العباد ويحصون اعمالهم

معنى فرضناها فرضنا احكامها التي فيها واصل
الفرض القطع اي جعلناها واجبة مقطوعا بها
وقيل [illegible] ومن قرا فرضناها فلقول فرضنا
عليكم وعلى من بعدكم

شرائط الاحصان عند ابي حنيفة ست الاسلام و
الحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح
والدخول واحتج للاسلام بقوله صلعم من اشرك
بالله فليس بمحصن ولم يشترط الشافعي لما روي انه
صلعم رجم يهوديين فان قلت لفظ الاية
يقتضي تعلق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله
الزانية والزاني يدلان على الجنسين المنافيين
لجنسي العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية
قائمة في الكل والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم
فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك

فاعرفت تزوجها وفي هذا دلالة على تغريب الزاني مع جلد مائة اذا كان بكرا لم يتزوج فاما اذا كان محصنا فانه يرجم كما في الصحيحين ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قام خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد ايها الناس فان الله بعث محمدا بالحق وانزل عليه الكتاب فكان فيما انزل عليه اية الرجم فقراناها ووعيناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخشى ان يطول بالناس زمان ان يقول قائل لا نجد اية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله فالرجم في كتاب الله حق على من زنى اذا احصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة او الحبل او الاعتراف وقوله ولا تاخذكم بهما رافة اي رحمة ورقة في دين الله اي في حكم الله وليس المنهي عنه الرافة الطبيعية فانها ليست باختياره وانما النهي ان يحمل الحاكم الرافة الطبيعية على ترك الحد فانه لا يجوز له ذلك ولهذا قال مجاهد وغير واحد المراد اقامة الحدود اذا رفعت الى السلطان فتقام ولا تعطل وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاقامة حد من حدود الله خير من مطر اربعين ليلة في بلاد الله رواه النسائي وابن ماجه عن ابن عمر وقيل المراد لا تاخذكم بهما رافة في اقامة الحد وشدة الضرب فلا تبقوا الحد كما ينبغي من شدة الضرب الزاجر عن المآثم وليس المراد الضرب المبرح وقال الشعبي هي رحمة في شدة الضرب وقوله ان كنتم تؤمنون بالله اي اقيموا الحدود على من زنا وشددوا عليه الضرب هكذا قال المؤمن لا تاخذه الرافة اذا اقام حد الله وقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين هذا تنكيل للزانيين اذا جلدا بحضرة الناس فان ذلك ابلغ في زجرهما وانجع في ردعهما فان في ذلك تقريعا وتوبيخا وفضيحة اذا كان الناس حضورا والطائفة الرجل فما فوقه قاله ابن عباس وقيل رجلان فصاعدا وقيل ثلثة فصاعدا وعن مالك الطائفة اربعة نفر فصاعدا فانه لا يكون شهادة في الزنا دون اربعة شهداء فصاعدا وبه قال الشافعي وقال قتادة امر الله ان يشهد عذابهما طائفة من المؤمنين اي نفر من المسلمين ليكون ذلك عظة وعبرة ونكالا وقيل ليس ذلك للفضيحة انما ذلك ليدعوا الله لهما بالتوبة والمغفرة الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين اخبر تعالى بان الزاني لا يطا الا زانية اي لا يطاوعه على مراده من الزنا الا زانية او مشركة لا ترى حرمة ذلك وكذلك الزانية لا ينكحها الا زان اي عاص بزناه او مشرك لا يعتقد تحريمه قال ابن عباس المراد بالنكاح ههنا الجماع لا النكاح المشروع وعليه كثيرون وقوله وحرم ذلك على المؤمنين قال ابن عباس اي حرم الله الزنا على المؤمنين وقال قتادة وغيره اي حرم على المؤمنين نكاح البغايا ومن ههنا ذهب احمد الى انه لا يصح العقد من الرجل العفيف على المراة البغي ما دامت كذلك حتى تستتاب فان تابت صح العقد عليها والا فلا وكذلك في جانب الزوج حتى يتوب توبة نصوحا وعن عبد الله بن عمرو ان رجلا من المسلمين استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في امراة يقال لها ام مهزول كانت تسافح ان يتزوجها وتشترط عليه ان تنفق عليه وذكر له امرها قال فقرا عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم الزانية لا ينكحها الا زان او مشرك رواه احمد والنسائي وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلثة حرم الله عليهم الجنة مدمن الخمر والعاق والديوث الذي يقر في اهله الخبث رواه احمد قال الجوهري في الصحاح الديوث القنذع وهو الذي لا غيرة له فاما اذا حصلت له توبة فانه يحل التزوج كما روى ان رجلا سال ابن عباس فقال اني كنت الم بامراة آتي منها ما حرم الله علي فرزقنا الله من ذلك توبة فاردت ان اتزوجها فقال اناس ان الزاني لا ينكح الا زانية فقال ابن عباس ليس هذا

اي الواجب على المؤمنين ان يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد ولا ياخذهم اللين في استيفاء حدوده وقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه وقيل لا تترحموا عليهما حتى تعطلوا الحدود او حتى لا توجعوهما ضربا ❊

الزاني الفاسق الخبيث الذي من شانه الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح وانما يرغب في نكاح فاسقة خبيثة من شكله او في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء وانما يرغب في نكاحها الفسقة والمشركون ونكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها محظور لما فيه من التشبه بالفساق والتسبب لسوء القالة وحضور مواقع التهم وقد نبه على ذلك بقوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم والقول بان المراد بالنكاح الوطي ليس بقول لان هذه الكلمة انما وردت في القران لم ترد الا في معنى العقد ولا داء الى هذا المعنى الفاسد الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا يزني بها الا زان وقيل كان بالمدينة موسرات من بغايا المشركين فرغب فقراء المهاجرين في نكاحهن فاستاذنوا رسول الله فنزلت وعن عائشة ان الرجل اذا زنى بامراة ليس له ان يتزوجها لهذه الاية واذا باشرها كان زانيا وقد اجازه ابن عباس وشبهه بمن سرق ثمرة شجرة ثم اشتراها ❊

فهذا انكحها فما كان منه اثم فعلي وقد ادعى طائفة ان هذه الاية منسوخة قال سعيد بن المسيب نسختها التي بعدها وانكحوا الايامى منكم وهكذا رواه ابو عبيد القسم بن سلام في كتاب الناسخ والمنسوخ ونص عليه الشافعي رضي الله عنه والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم في هذه الاية بيان حكم جلد القاذف للمحصنة وهي الحرة البالغة العفيفة فاذا كان المقذوف رجلا فكذلك يجلد قاذفه ايضا وليس في هذا نزاع بين العلماء فاما ان اقام القاذف بينة على صحة ما قاله درا عنه الحد ولهذا قال تعالى ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون فاوجب على القاذف اذا لم يقم بينة على صحة ما قاله ثلثة احكام احدها ان يجلد ثمانين جلدة والثاني ان ترد شهادته دائما والثالث ان يكون فاسقا ليس بعدل لا عند الله ولا عند الناس ثم قال تعالى الا الذين تابوا اختلفوا في هذا الاستثناء هل يعود الى الجملة الاخيرة فقط فترفع التوبة الفسق فقط ويبقى مردود الشهادة دائما وان تاب او الى الجملتين الثانية والثالثة فذهب الائمة الثلثة انه اذا تاب قبلت شهادته وارتفع عنه حكم الفسق ونص عليه ابن المسيب وكثير من السلف ايضا وقال ابو حنيفة انما يعود الاستثناء الى الجملة الاخيرة فيرتفع الفسق بالتوبة ويبقى مردود الشهادة ابدا وبه قال الشعبي والضحاك لا تقبل شهادته وان تاب الا ان يعترف على نفسه بانه قد قال البهتان فحينئذ تقبل شهادته والله اعلم والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرؤا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم في هذه الاية فرج للازواج وزيادة مخرج اذا قذف احدهم زوجته وتعسر عليه اقامة البينة ان يلاعنها كما امر الله وهو ان يحضرها عند الامام فيدعي عليها بما رماها به فيحلفه الحاكم اربع شهادات بالله في مقابلة اربعة شهداء انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فاذا قال ذلك بانت منه بنفس هذا اللعان عند الشافعي وكثيرين وحرمت عليه ابدا وعند ابي حنيفة فرقة اللعان كفرقة الطلاق فاذا اكذب الزوج نفسه جاز له ان ينكحها ويعطيها مهرها ويتوجه عليها حد الزنا ولا يدرؤه عنها الا ان تلاعن فتشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين اي فيما رماها به والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولهذا قال تعالى ويدرؤا عنها العذاب يعني الحد ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فخصها بالغضب لان الغالب ان الرجل لا يتجشم فضيحة اهله ورميها بالزنا الا وهو صادق معذور وهي تعلم صدقه فيما رماها به ولهذا كانت الخامسة في حقها ان غضب الله عليها والمغضوب عليه هو الذي يعلم الحق ويعرض عنه ثم ذكر تعالى لطفه بخلقه ورافته بهم فيما شرع لهم الفرج والمخرج من شدة ما يكونون فيه من الضيق فقال ولولا فضل الله عليكم ورحمته اي لحرجتم ولشق عليكم كثير من اموركم وان الله تواب على عباده وان كان بعد الحلف والايمان المغلظة حكيم فيما يشرعه ويامر به وينهى عنه وقد وردت الاحاديث بمقتضى العمل بهذه الاية وذكر سبب نزولها وفيمن نزلت من الصحابة عن ابن عباس ان هلال بن امية قذف امراته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة او حد في ظهرك فقال يا رسول الله اذا راى احدنا على امراته رجلا ينطلق يلتمس البينة

فان قلت لم خصت الملاعنة بان تخمس بغضب الله قلت تغليظا عليها لانها هي اصل الفجور ومنبعه بخلابتها واطماعها ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد ❊

فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة والا حد في ظهرك فقال هلال والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزلن الله ما يبرئ
ظهري من الحد فنزل جبريل وانزل عليه والذين يرمون ازواجهم فقرا حتى بلغ ان كان من الصادقين فجاء هلال فشهد
والنبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفوها
وقالوا انها موجبة قال ابن عباس فتلكات ونكصت حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا افضح قومي سائر اليوم فمضت فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ابصروها فان جاءت به اكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء فجاءت
به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شان رواه البخاري وفي الصحيحين عن سهل بن سعد
قال ان عويمرا العجلاني قال يا رسول الله ارايت رجلا وجد مع امراته رجلا ايقتله فتقتلونه ام كيف يفعل فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد انزل فيك وفي صاحبتك فاذهب فات بها قال سهل فتلاعنا في المسجد وانا مع الناس عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما فرغا قال عويمر كذبت عليها يا رسول الله ان امسكتها فطلقها ثلاثا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انظروا فان جاءت به اسحم ادعج العينين عظيم الاليتين خدلج الساقين فلا احسب عويمرا الا قد صدق عليها وان جاءت
به احيمر كانه وحرة فلا احسب عويمرا الا قد كذب عليها فجاءت به على النعت الذي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
من تصديق عويمر فكان بعد ينسب الى امه وعن المغيرة بن شعبة قال قال سعد بن عبادة لو رايت رجلا مع امراتي
لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه ومن اجل
غيرة الله حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك بعث الله المنذرين و
المبشرين ولا احد احب اليه المدحة من الله ومن اجل ذلك وعد الله الجنة هكذا في الصحيحين ان الذين جاؤا بالافك
عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم
له عذاب عظيم هذه الآيات كلها نزلت في شان عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها حين رماها اهل الافك والبهتان من
المنافقين بما قالوا من الكذب والفرية التي غار الله عز وجل لها ولنبيه صلى الله عليه وسلم فانزل براءتها صيانة لعرض رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الذين جاؤا بالافك عصبة اي جماعة منكم وكان مقدمهم راس المنافقين عبد الله بن ابي
ابن سلول فانه كان يجمعه ويستوشيه حتى دخل ذلك في اذهان بعض المسلمين فتكلموا به وجوزه آخرون منهم وبقي الامر
كذلك قريبا من شهر حتى نزل القرآن وسياق ذلك في الاحاديث الصحيحة منها في الصحيحين عن الزهري قال اخبرني سعيد بن
المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم حين قال لها اهل الافك ما قالوا فبراها الله وكلهم قد حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان اوعى لحديثها
من بعض واثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل واحد الحديث الذي حدثني وبعضهم يصدق بعضا ذكروا ان عائشة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يخرج سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرج
سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه قالت عائشة فاقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي فخرجت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ما انزل الحجاب وانا احمل في هودجي وانزل فيه مسيرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
من غزوه وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت
شاني اقبلت الى الرحل فلمست صدري فاذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه

ظفار مثل قطام مدينة
باليمن والجزع الخرز
اليماني وهو الخرز فيه بياض
وسواد يشبه العين

واقبل

الاكحل الذي يعلو جفون عينيه سواد
مثل الكحل من غير اكتحال

قوله كذبت عليها يعني ان امسكتها في
نكاحي ولم اطلقها فقد كذبت عليها
فيما قلت من قذفها

الغيرة ان يكره الرجل اشتراك غيره فيما هو
الاصل ثم يستعمل غيرة اذا تغضب الرجل على
من فعل بامراته او حرمته فاحشة او نظر اليها
والغيرة من الله تعالى غضبه على من فعل
ما حرم منها

الافك ابلغ ما يكون من الكذب والافتراء
وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجاك
واصل الافك هو القلب لانه قول
مافوك عن وجهه والمراد ما افك به
على عائشة

واقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فحملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت اركب وهم يحسبون اني فيه قالت وكانت
النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما ياكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين
رحلوه ورفعوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم
وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت ان القوم سيفقدوني فيرجعون الي فبينا انا
جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فادلج فاصبح
عند منزلي فراى سواد انسان نائم فاتاني فعرفني حين رآني وقد كان يراني قبل ان يضرب الحجاب فاستيقظت باسترجاعه
حين اناخ راحلته فوطئ على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة
فهلك من هلك في شاني وكان الذي تولى كبره عبد الله بن ابي بن سلول فقدمت المدينة فاشتكيت حين قدمنا شهرا والناس
يفيضون في قول اهل الافك ولا اشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي اني لا اعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللطف الذي كنت ارى منه حين اشتكي انما يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول كيف تيكم فذلك يريبني ولا اشعر
بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت وخرجت معي ام مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان
نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وامرنا امر العرب الاول في التبرز وكنا نتاذى بالكنف ان نتخذها في بيوتنا فانطلقت انا و
ام مسطح وهي ابنة ابي رهم بن المطلب بن عبد مناف وامها ابنة صخر بن عامر خالة ابي بكر الصديق وابنها مسطح بن اثاثة
ابن عباد بن عبد المطلب فاقبلت انا وابنة ابي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شاننا فعثرت ام مسطح في مرطها فقالت
تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت تسبين رجلا شهد بدرا قالت اي هنتاه الم تسمعي ما قال قلت وما ذا قال فاخبرتني
بقول اهل الافك فازددت مرضا الى مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال كيف تيكم قلت
اتاذن لي ان آتي ابوي قالت وانا حينئذ اريد ان استيقن الخبر من قبلهما فاذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجئت ابوي فقلت لامي يا امتاه ما يتحدث الناس فقالت اي بنية هوني عليك فوالله لقل ما كانت امراة قط وضيئة
عند رجل يحبها ولها ضرائر الا اكثرن عليها قالت قلت سبحان الله او قد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى
اصبحت لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب واسامة بن زيد
حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق اهله قالت فاما اسامة بن زيد فاشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم
من براءة اهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود فقال يا رسول الله هم اهلك ولا نعلم الا خيرا واما علي بن ابي طالب فقال
لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وان تسال الجارية تصدقك قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال
اي بريرة هل رايت من شيء يريبك من عائشة قالت له بريرة والذي بعثك بالحق ان رايت عليها امرا قط اغمصه عليها
اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها فياتي الداجن فياكل فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعذر
من عبد الله ابي ابن سلول قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني
اذاه في اهل بيتي والله ما علمت على اهلي الا خيرا وقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلي الا معي فقام
سعد بن معاذ الانصاري فقال انا اعذرك منه يا رسول الله ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا الخزرج
امرتنا ففعلنا امرك قالت فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن

ثم ذكر عبد الله بن
ابي بن سلول
بالسوء

يغشهن اللحم اذا كثر عليه
وركب بعضه بعضا

التعريس نزول القوم في السفر من آخر الليل [illegible]

في التبرز
البراز

قولهم عذيري من فلان اي من يعذرني [illegible]
ابو عبيد [illegible]

معاذ لعمر والله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت
لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه
وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت وبكيت يومي ذلك لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم وابواي يظنان ان البكاء
فالق كبدي قالت فبينما هما جالسان عندي وانا ابكي استاذنت علي امراة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكي معي
فبينا على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل وقد لبث شهرا
لا يوحى اليه في شاني شيء قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اما بعد يا عائشة قد بلغني عنك كذا وكذا فان
كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت الممت بذنب فاستغفري الله ثم توبي اليه فان العبد اذا اعترف بذنب ثم تاب
تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى لا احس منه قطرة قلت لابي اجب
عني رسول الله فقال والله ما ادري ما اقول لرسول الله فقلت لامي اجيبي رسول الله فقالت والله ما ادري ما اقول
لرسول الله قالت فقلت وانا جارية حديثة السن لا احفظ كثيرا من القرآن والله لقد عرفت انكم قد سمعتم بهذا حتى
استقر في انفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم اني بريئة والله يعلم اني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بذنب والله
يعلم اني بريئة منه لتصدقني واني والله لا اجد لي ولكم مثلا الا كما قال ابو يوسف فصبر جميل والله المستعان على
ما تصفون قالت ثم تحولت فاضطجعت على فراشي قالت وانا والله حينئذ اعلم اني بريئة وان الله مبرئي ببراءتي
ولكن والله ما كنت اظن ان ينزل في شاني وحي يتلى ولشاني كان احقر في نفسي من ان يتكلم الله في بامر يتلى و
لكن كنت ارجو ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها قالت فوالله ما رام رسول الله
صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج من اهل البيت احد حتى انزل الله على نبيه فاخذه ما كان ياخذه من البرحاء عند
الوحي حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي انزل عليه قالت فلما سري
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك كان اول كلمة تكلم بها ان قال ابشري يا عائشة اما والله
فقد برأك فقالت لي امي قومي اليه فقلت والله لا اقوم اليه ولا احمد الا الله هو الذي انزل براءتي وانزل الله
عز وجل ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم عشر آيات فانزل الله هذه الآيات براءتي قالت فقال ابو بكر رضي الله
عنه وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره اليه والله لا انفق عليه شيئا ابدا بعد الذي قال لعائشة فانزل الله و
لا ياتل اولوا الفضل منكم الى الا تحبون ان يغفر الله لكم فقال ابو بكر والله اني لاحب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح
النفقة التي كان ينفق عليه وقال لا انزعها ابدا قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال زينب بنت
جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن امري ما علمت او ما رايت فقالت يا رسول الله احمي سمعي وبصري والله ما
علمت الا خيرا قالت عائشة وهي التي تساميني من ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع و
طفقت اختها حمنة بنت جحش تحارب لها فهلكت فيمن هلك قال ابن شهاب فهذا ما انتهى الينا من امر هؤلاء
الرهط وفي بعض الروايات ان عائشة قالت لما نزل عذري قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك وتلا القرآن
فلما نزل حد اربعة نفر عبد الله بن ابي بن سلول وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش هكذا في
بعض السنن وفي رواية للبخاري انها قالت ولقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتي فسال عني خادمي فقالت لا والله

لنقتلنه م

ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم م

مبرأتي

برحاء الحمى وهو شدة الاذى م

الجمان بتخفيف الميم حب يعمل من الفضة كالدرة م

كان مسطح ابن خالة ابي بكر وكان في نفقته م

تساميني اي تكابرني وتنازعني وتضاهيني المنزلة السامية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من السمو م

اي خادم واحد اكثر غلاما كان او جارية م

ما علمت

ما علمت عليها عيبا الا انها كانت ترقد حتى تدخل الشاة فتاكل خميرها او عجينها وانتهرها بعض اصحابه فقال اصدقي
رسول الله حتى اسقطوا لها به فقالت سبحان الله والله ما علمت عليها الا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الاحمر وبلغ الامر
ذلك الرجل الذي قيل له فقال سبحان الله والله ما كشفت كنف انثى قط قالت عائشة فقتل شهيدا فقوله ان الذين جاؤا
بالافك عصبة منكم اي جماعة منكم لا تحسبوه شرا لكم اي يا آل ابي بكر بل هو خير لكم اي في الدارين لسان صدق في الدنيا
ورفعة منازل في الآخرة واظهار شرف لهم باعتناء الله تعالى بعائشة ام المؤمنين رضي الله عنها حيث انزل براءتها
في القرآن العظيم كما روى ابن جرير ان عائشة وزينب بنت جحش تفاخرتا فقالت زينب انا التي نزل تزويجي فقالت
عائشة انا التي نزل عذري في كتابه حين حملني ابن المعطل على الراحلة فقالت زينب يا عائشة ما قلت حين ركبتيها
قالت قلت حسبي الله ونعم الوكيل قالت قلت كلمة المؤمنين وقوله لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم اي لكل من تكلم
في هذه القضية ورمى عائشة بشيء من الفاحشة نصيب عظيم من العذاب والذي تولى كبره قيل ابتداءه وقيل الذي
كان يجمعه ويستوشيه ويشيعه له عذاب عظيم اي على ذلك ثم الاكثرون على انه هو عبد الله بن ابي بن سلول وهو
الذي تقدم النص عليه في الحديث وقيل بل هو حسان بن ثابت وهو قول غريب ولولا انه وقع في صحيح البخاري ما قد يدل
على ذلك لما كان لايراده كثير فائدة فانه من الصحابة الفضلاء وله محاسن كثيرة واحسنها انه كان يذب عن رسول الله
صلى الله عليه بشعره وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجهم وجبريل معك وعن مسروق قال كنت عند عائشة
فدخل حسان بن ثابت فامرت فالقي له وسادة فلما خرج قلت لعائشة ما تصنعين بهذا يعني يدخل عليك وفي رواية
قيل لها اتاذنين لهذا يدخل عليك وقد قال الله والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت واي عذاب اشد من العمى
وكان قد ذهب بصره لعل الله ان يجعل ذلك هو العذاب الاليم ثم قالت انه كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي رواية انه انشد عندما دخل عليها شعرا يمتدحها به فقال ∴ حصان رزان ما تزن بريبة ∴
وتصبح غرثى من لحوم الغوافل ∴ فقالت لكنك لست كذلك ∴ وقالت عائشة ما سمعت بشيء احسن من شعر حسان وما
تمثلت به الا رجوت له الجنة قوله لابي سفيان الحرث بن عبد المطلب ∴ هجوت محمدا واجبت عنه ∴ وعند الله في ذاك الجزاء ∴
فان ابي ووالده وعرضي ∴ لعرض محمد منكم وقاء ∴ اتشتمه ولست له بكفء ∴ فشركما لخيركما الفداء ∴ لساني صارم لا عيب فيه
وبحري لا تكدره الدلاء ∴ ولولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا
افك مبين لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون
هذا تاديب للمؤمنين في قضية الافك حين افاض بعضهم في ذلك الكلام السيء فقال تعالى لولا اي هلا اذ سمعتموه
اي ذلك البهتان ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا اي قاسوا ذلك الكلام على انفسهم فان كان لا يليق بهم
فام المؤمنين اولى بالبراءة منه وقد قيل انها نزلت في خالد بن زيد ابي ايوب الانصاري وامراته كما في مسند احمد ان ابا
ايوب خالد بن زيد قالت له امراته ام ايوب يا ابا ايوب اما تسمع ما يقول الناس في عائشة قال نعم وذلك الكذب اكنت
فاعلة ذلك يا ام ايوب قالت لا والله ما كنت لافعله قال فعائشة خير منك قال فلما نزل القرآن ذكر الله من قال بالفاحشة
ما قال من اهل الافك ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم وذلك حسان واصحابه الذين قالوا ما قالوا ثم قال لولا اذ
سمعتموه ظن المؤمنون الاية اي كما قال ابو ايوب وصاحبته اي هلا ظنوا الخير فان ام المؤمنين اهله واولى به هذا

فان قلت هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ولم عدل
عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر قلت ليبالغ في التوبيخ بطريقة
الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه مقتض ان لا يصدق
مومن على اخيه ولا مومنة على اختها قول عائب ولا طاعن وفيه تنبيه على ان حق
المومن اذا سمع قالة في اخيه ان يبني الامر فيه على ظنه بالمومن الخير هذا افك مبين م

اي الكذب والبهتان والافتراء م

نافحت عن فلان خاصمت عنه

رزن الرجل بالضم فهو رزين اي وقور وامراة رزان اذا كانت رزينة في مجلسها م ازننته بشر اتهمته به وهو يزن بكذا الغرث الجوع فهو غرثان وامراة غرثى والمراد ان المراد بها انها خفيفة غير جسيمة كما هو شان العقائل م

بالذين منهم من المومنين والمومنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وذلك نحو ما يروى ان ابا ايوب الانصاري قال لام ايوب الا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بحرمة رسول الله سوءا قال لا قالت ولو كنت بدل عائشة ما خنت رسول الله فعائشة خير مني وصفوان خير منك م

[illegible]

مما يتعلق بالباطن وقوله وقالوا اي بالسنتهم هذا افك مبين اي كذب ظاهر بين على ام المؤمنين فان الذي وقع لم يكن ريبة وذلك ان مجيء ام المؤمنين راكبة جهرة على راحلة صفوان بن المعطل في وقت الظهيرة والجيش بكماله يشاهدون ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم لو كان هذا الامر فيه ريبة لم يكن هكذا جهرة ولا كانا يقدمان على مثل ذلك على رؤس الاشهاد وقوله تعالى لولا جاؤا عليه باربعة شهداء يشهدون على صحة ما جاؤا به فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون اي هم في حكم الله كذبة فاجرون بهت ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم اي ولولا فضل الله عليكم ايها الخائضون في قصة الافك ورحمته في الدنيا بان قبل توبتكم وانابتكم اليه في الدنيا وعفا عنكم وغفر ذنوبكم في الآخرة لمسكم فيما افضتم فيه اي في قضية الافك عذاب عظيم في الآخرة لانه ذكر عذاب الدنيا من قبل في شان من تولى كبره وهذا فيمن عنده ايمان رزقه الله بسببه التوبة كحسان ومسطح وحمنة فاما من خاض فيه من المنافقين كعبد الله بن ابي واضرابه فليس لهم من فضل الله ورحمته نصيب لانه لم يكن لهم ايمان ولا عمل صالح حتى يعادل هذا وما يعارضه ثم قال تعالى اذ تلقونه بالسنتكم قال مجاهد وغيره اي يرويه بعضكم من بعض يقول هذا سمعته من فلان وقال فلان كذا وذكر بعضهم كذا وقرا بعضهم اذ تلقونه بالسنتكم وفي صحيح البخاري ان عائشة كانت تقراها كذلك اي بكسر اللام وتخفيف القاف من الولق وهو الكذب الذي يستمر صاحبه فيه والقراءة الاولى اشهر وعليه الجمهور لكن عائشة اعلم بالحال والله اعلم وقوله وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اي تقولون ما لا تعلمون ثم قال وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم اي تقولون ما تقولون في شانها وتحسبون ذلك سهلا يسيرا ولو لم تكن زوجة النبي صلى الله عليه وسلم لما كان هينا فكيف وهي زوجة سيد المرسلين فعظيم عند الله ان يقال في زوجة رسوله ما قيل فانه تعالى يغار لهذا وهو لم يقدره على زوجة نبي من الانبياء ذلك حاشا وكلا وكيف يكون هذا في سيدة نساء الانبياء وزوجة سيد العالمين ولهذا قال وهو عند الله عظيم وفي الصحيحين ان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يدري ما تبلغ يهوي بها في النار ابعد ما بين السماء والارض ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم هذا ادب آخر اي اذا ذكر ما لا يليق من القول في شان الصديقة فاولى ينبغي الظن بهم خيرا وان لا يشعر نفسه ذلك ثم ان علق بنفسه شيء من ذلك وسوسة او خيالا فلا ينبغي ان يتكلم به فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها ما لم تقل او تعمل اتفقا عليه فقوله ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا اي ما ينبغي لنا ان نتفوه بهذا الكلام ولا نذكره لاحد سبحانك هذا بهتان عظيم اي سبحان الله ان يقال هذا الكلام عن زوجة رسوله وحليلة حبيبه ثم قال يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا اي ينهاكم الله متوعدا ان يقع منكم ما يشبه هذا ابدا اي فيما يستقبل ولهذا قال ان كنتم مؤمنين اي ان كنتم تؤمنون بالله وشرعه وتعظمون رسوله ثم قال ويبين الله لكم الآيات اي يوضح لكم الاحكام الشرعية والحكم القدرية والله عليم اي بما يصلح عباده حكيم في شرعه وقدره ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون

اي على ما قالوه م

لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى لولا تفضل الله عليكم في الدنيا بانواع النعم التي من جملتها الامهال بالتوبة ورحمته في الآخرة بالعفو والمغفرة المقدرين لكم

سبحانك للتعجب من عظم الامر [illegible] مع التعجب وكلمة التسبيح الاصل في ذلك ان يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او لتنزيه الله من ان تكون حرمة نبيه فاجرة م

[illegible]

هذا تاديب ثالث لمن سمع شيئا من الكلام السيء فقام بذهنه منه شيء وتكلم به فلا يكثر منه ولا يشيعه فقد قال تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا اي يختارون ظهور الكلام عنهم بالقبيح لهم عذاب اليم في الدنيا اي بالحد وفي الآخرة بالعذاب والله يعلم وانتم لا تعلمون اي فردوا الامر الى الله ترشدوا وعن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم ولا تطلبوا عوراتهم فانه من طلب عورة اخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته رواه احمد والترمذي عن ابن عمر ابلغ منه ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم اي لولا هذا وهو فضل الله عليكم ورحمته لكان امرا آخر ولكنه تعالى رؤف رحيم بهم فتاب على من تاب اليه من هذه القضية وطهر من طهر منهم بالحد الذي اقيم عليه ثم قال يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان هذا تنفير وتحذير من ذلك بافصح العبارة واوجزها واحسنها قالوا خطوات الشيطان نزغاته ومعاصي الله وكل ما هو بخلاف السنة وقال رجل لابن مسعود اني حرمت ان آكل شيئا وسماه فقال هذا من نزغات الشيطان كفر عن يمينك وكل ثم قال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا اي لولاه هو يرزق لمن يشاء التوبة والرجوع اليه ويزكي النفوس من شركها وفجورها ودنسها وما فيها من اخلاق رديئة كل بحسبه لما حصل احد لنفسه زكاة ولكن الله يزكي من يشاء ويهلكه في مهامه الضلال وقوله والله سميع عليم اي لاقوال عباده عليم بمن يستحق منهم الهدى والضلال ولا ياتل اولو الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم اي لا يحلف اولو الفضل اي اولو الطول والصدقة والاحسان ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله اي لا يحلفوا ان لا يصلوا قراباتهم المساكين والمهاجرين وهذا غاية الترفق والتعطف على صلة الارحام ولهذا قال وليعفوا وليصفحوا اي عما تقدم منهم من الاساءة والاذى وهذا من حلمه تعالى وكرمه ولطفه بخلقه مع ظلمهم لانفسهم وهذه الآية نزلت في الصديق حين حلف ان لا ينفع مسطح بنافعة بعد ما قال في شان عائشة ما قال كما سبق في الحديث فلما انزل الله براءة ام المؤمنين وطابت النفوس المؤمنة وتاب الله على من تاب من المؤمنين واقيم الحد على من اقيم عليه شرع تعالى يعطف الصديق على قريبه وهو مسطح ابن اثاثة فانه كان ابن خالة الصديق وكان مسكينا لا مال له الا ما ينفق عليه ابو بكر وكان من المهاجرين وقد زلق زلقة تاب الله عليه منها وضرب الحد عليها وكان الصديق معروفا بالمعروف له الفضل والايادي على الاقارب والاجانب فلما نزلت هذه الآية الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم فان الجزاء من جنس العمل فكما تغفر عن المذنب اليك يغفر لك وكما تصفح يصفح عنك فعند ذلك قال الصديق بلى والله انا نحب يا ربنا ان تغفر لنا ثم رجع الى مسطح ما كان يصله من النفقة وقال والله لا انزعها منه ابدا في مقابلة ما كان قال والله لا انفعه بنافعة ابدا فلهذا كان الصديق هو الصديق ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين هذا وعيد لمن قذف المحصنات

الغافلات

فكما قصدوا [illegible] علما دل على [illegible] والله سبحانه وتعالى يعاقب على ما في القلوب من حب الاشاعة م قا

كرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب حاذفا جواب لولا وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة

اي من خلقه ويضل من يشاء م

يومن ائتلى اذا حلف وقيل يومن قولهم ما الوت جهدا اذا لم تدخر منه شيئا وتشهد للاول قراءة الحسن ولا يتال والمعنى لا تحلفوا على ان لا تحسنوا الى المستحقين للاحسان او لا تقصروا في ان تحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها م

اي مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه م قا

[illegible]

الغافلات المؤمنات وامهات المؤمنين اولى بالدخول في هذا من كل محصنة ولاسيما عائشة الصديقة التي كانت
سبب نزولها وقد اجمع العلماء قاطبة على ان من سبها و رماها بما رماها به الذين ذكروا في هذه الاية فانه كافر لانه
معاند للقرآن وفي بقية امهات المؤمنين قولان اصحهما انهن كهي والله اعلم وقوله لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم
عذاب عظيم كقوله ان الذين يؤذون الله ورسوله الاية وقد ذهب بعضهم الى انها خاصة بعائشة كما قال ابن عباس
وغيره انها نزلت في عائشة خاصة وهذا مسلم بلا شك وليس فيه ان الحكم خاص بها بل يعمها بغيرها ولعل مراد ابن عباس
ومتابعيه ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة بها دون غيرهن من النساء كما روي عنه انه قال نزلت هذه الاية في شأن
عائشة وازواج النبي صلى الله عليه وسلم واما اهل النفاق فاوجب الله لهم اللعنة والغضب وباؤا بسخط من الله فكان ذلك
في ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد ذلك والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء الى فان الله غفور
رحيم فانزل الله الجلد والتوبة فالتوبة تقبل والشهادة ترد وفي رواية ابن جرير ان ابن عباس فسر هذه الاية وقال هي في
شان عائشة وازواج النبي صلى الله عليه وسلم وهي مبهمة اي عامة في تحريم قذف كل محصنة قال وليست لهم توبة ثم قرا
والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء الى قوله الا الذين تابوا الى آخر الاية قال فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل
لمن قذف اولئك توبة وقد اختار ابن جرير عمومها وهو الصحيح ويعضد العموم ما في الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا
بالحق واكل الربا واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وقوله يوم تشهد عليهم
السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون قال ابن عباس انهم يعني المشركين اذا راوا يعني يوم القيمة انه لا يدخل
الجنة الا اهل الصلوة قالوا تعالوا حتى نجحد فيجحدون فيختم على افواههم وتشهد ايديهم وارجلهم ولا يكتمون الله
حديثا وعن انس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مما اضحك قال قلنا الله و
رسوله اعلم قال من مخاصمة العبد ربه يقول يا رب الم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول اني لا اجيز على نفسي الا
شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال لاركانه
انطقي قال فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام قال فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل رواه مسلم
وقال قتادة ابن آدم والله ان عليك لشهودا غير متهمة من بدنك فراقبهم واتق الله في سرك وعلانيتك فانه لا
يخفى عليه خافية الظلمة عنده ضوء والسر عنده علانية فمن استطاع ان يموت وهو حسن الظن بالله فليفعل ولا قوة
الا بالله وقوله يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق قال ابن عباس وغير واحد دينهم اي حسابهم وكل ما في القرآن
دينهم اي حسابهم ثم ان قراءة الجمهور بنصب الحق على انه صفة لدينهم وقرا مجاهد بالرفع على انه نعت الجلالة
وفي مصحف ابي بن كعب يومئذ يوفيهم الله الحق دينهم وقوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين اي وعده ووعيده
وحسابه هو العدل الذي لا جور فيه فيتبين لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا الخبيثات للخبيثين و
الخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اولئك مبرؤن مما يقولون
لهم مغفرة ورزق كريم قال ابن عباس الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال
للخبيثات من القول قال ونزلت في عائشة واهل الافك وهكذا روى عن اكثر التابعين واختاره ابن جرير ووجهه ان الكلام

فان قلت ان كانت عائشة هي المرادة
فلم قيل المحصنات قلت فيه وجهان
احدهما ان يراد بالمحصنات ازواج النبي
رسول الله وان يخصص بان من قذفهن
فهذا الوعيد لاحق به واذا اردن عائشة
كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله كانت
المرادة اولا والثاني انها ام المؤمنين
فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء
الموصوفات بالاحصان والغفلة و
الايمان

قوله يوم تشهد ظرف لما في لهم
من معنى الاستقرار لا للعذاب
لانه موصوف [illegible]
وقيل لا يعذبون يوم تشهد
عليهم [illegible]

دينهم اي جزاءهم الحق الواجب
الذي هم اهله حتى يعلموا عند
ذلك ان الله هو الحق المبين

الطيب

[illegible]

الطيب اولى بالطيبين من الناس فما نسبه اهل النفاق الى عائشة هم اولى به وهي اولى بالبراءة والنزاهة منهم
ولهذا قال اولئك مبرؤن مما يقولون وقال ابن زيد الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من
الرجال للخبيثات من النساء وهكذا الطيبات والطيبون وهذا يرجع الى ما قاله اولئك باللازم اي ما كان الله ليجعل
عائشة زوجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهي طيبة لانه اطيب من كل طيب من البشر ولو كانت خبيثة لما
صلحت له لا شرعا ولا قدرا ولهذا قال اولئك مبرؤن مما يقولون اي هم بعداء عما يقوله اهل الافك والعدوان لهم
مغفرة اي بسبب ما قيل فيهم من الكذب ورزق كريم اي عند الله في جنات النعيم وفيه وعد بان تكون زوجة النبي صلى الله
عليه وسلم في الجنة ولهذا كان مما تفتخر به عائشة انها خلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما يا ايها الذين
آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان
لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما
تعملون عليم ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون و
ما تكتمون هذه آداب في الاستئذان امر الله المؤمنين ان لا يدخلوا بيوتا غير بيوتهم حتى يستانسوا اي يستاذنوا قبل
الدخول ويسلموا بعده وينبغي ان يستاذن ثلثا فان اذن له والا انصرف لما ثبت في الصحيحين ان ابا موسى حين
استاذن على عمر ثلثا فلم يؤذن له انصرف ثم قال عمر الم اسمع صوت عبد الله بن قيس يستاذن ائذنوا له فطلبوه فوجدوه
قد ذهب فلما جاء بعد ذلك قال ما رجعك قال اني استاذنت ثلثا فلم يؤذن لي فرجعت واني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا استاذن احدكم ثلثا فلم يؤذن له فلينصرف فقال لتاتين على هذا ببينة والا اوجعتك ضربا
فذهب الى ملا من الانصار فذكر لهم ما قال له عمر فقالوا لا يشهد لك الا اصغرنا فقام معه ابو سعيد الخدري فاخبر
عمر بذلك فقال الهاني عنه الصفق بالاسواق وعن انس وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استاذن على
سعد بن عبادة فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال سعد وعليك السلام ورحمة الله ولم يسمع النبي صلى الله عليه
وسلم حتى سلم ثلثا ورد عليه سعد ثلثا ولم يسمعه فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه سعد فقال يا رسول الله بابي
انت وامي ما سلمت تسليمة الا وهي باذني ولقد رددت عليك ولم اسمعك احببت ان استكثر من سلامك ومن
البركة ثم ادخله البيت فقرب اليه زبيبا فاكل نبي الله فلما فرغ قال اكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة وافطر عندكم
الصائمون رواه احمد ورواه ابو داود والنسائي عن قيس بن سعد مبسوطا وقيل الاستيناس طلب الانس وهو ان ينظر
هل في البيت انسان فيؤذنهم اني داخل ولهذا قال الخليل هو الاستبصار وروي عن ابن عباس حتى تستاذنوا وتسلموا
وكان يقرا هكذا كما كان يقرا ابي بن كعب وهذا غريب جدا عن ابن عباس وقال ابراهيم في مصحف ابن مسعود حتى تسلموا
على اهلها وتستاذنوا وهذا ايضا رواية عن ابن عباس وهو اختيار ابن جرير وعن كلدة بن حنبل ان صفوان بن امية
بعثه في الفتح بلباء وجداية وضغابيس الى النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم باعلى الوادي قال فدخلت
عليه ولم اسلم ولم استاذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم ءادخل رواه احمد وابو داود والترمذي
والنسائي وقال ابن مسعود عليكم ان تستاذنوا على امهاتكم واخواتكم وعن عدي بن ثابت ان امراة من الانصار قالت
يا رسول الله اني اكون في منزلي على الحال التي لا احب ان يراني احد عليها لا والد ولا ولد وانه لا يزال يدخل علي الرجل

ولعمري ان [illegible] تبرئة يوسف عليه السلام
بشاهد من اهلها وموسى من قول اليهود
فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم بانطاق
ولدها على حداثة الكلام وعائشة رضي الله عنها
بهذه الآيات مع هذه المبالغات وما ذلك
الا لاظهار الرسول واعلاء منزلته صلى الله عليه وسلم

من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا ابصره
فان المستاذن مستعلم للحال مستكشف
انه هل يراد دخوله او يؤذن له من
الاستيناس الذي هو خلاف الاستيحاش
فان المستاذن مستوحش خائف ان
لا يؤذن له فاذا اذن استانس او
[illegible] ثم الانسان من الانس [illegible]

وقد تعلق بهذا من يقول لا يحتج بخبر الواحد وهو باطل
لانهم اجمعوا على الاحتجاج بخبر الواحد
ووجوب العمل به واما قول عمر اقم
عليه البينة فليس من رد خبر
الواحد لانه طلب اخبار رجل
لخبر الواحد حتى يبلغ حد التواتر
بل مقصوده [illegible]
الى القول على الرسول صلى الله
عليه وسلم الا اذا تحقق به

قوله بلباء بوزن عنب وهو
اول اللبن عند الولادة والجداية
اولاد الظبي والجدي ولد المعز
والضغابيس نبت يكون بالبر
وفي الصحاح صغار القثاء و
الجداية والجداية الغزال قال
الاصمعي هو بمنزلة العناق من
الغنم

من اهلي وانا على تلك الحال قال فنزلت يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا الآية وعن قتادة في قوله حتى تستانسوا قال هو
الاستيذان ثلثا من لم يؤذن له منهم فليرجع اما الاولى فليسمع الحي واما الثانية فيأخذوا حذرهم واما الثالثة
فان شاؤوا اذنوا وان شاؤوا ردوا ولا تقفن على باب قوم ردوك عن بابهم فان للناس حاجات ولهم اشغال و
الله اولى بالعذر وقوله ذلكم خير لكم اي الاستيذان خير للطرفين المستاذن واهل البيت لعلكم تذكرون اي لكي تتعظوا
وقوله فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وذلك لما فيه من التصرف في ملك الغير بغير اذنه فان شاء
اذن وان شاء لم ياذن وان قيل لكم ارجعوا اي اذا ردوكم من الباب قبل الاذن او بعده فارجعوا هو ازكى لكم اي
رجوعكم ازكى واطهر لكم والله بما تعملون عليم اي من الدخول بالاذن وغير الاذن وقوله ليس عليكم جناح ان تدخلوا
بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم هذه اخص من التي قبلها وذلك انها تقتضي جواز الدخول الى البيوت التي فيها ليس احد
بغير اذن اذا كان لهم فيها منفعة كالبيت المعد للضيف فانه اذا اذن له فيه اول مرة كفى قال ابن عباس
وغيره هذا الاستثناء من السابق وقال آخرون هي بيوت التجار والخانات ومنازل الاسفار وبيوت مكة وغير ذلك
واختاره ابن جرير وحكاه عن جماعة والاول اظهر وقيل هي بيوت الشعر قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم
ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون امر الله عباده المؤمنين ان يغضوا
ابصارهم عما حرم عليهم ولا ينظروا الا الى ما يباح لهم النظر اليه فان وقع البصر على محرم من غير قصد فليصرف عنه
بصره سريعا كما قال جرير بن عبد الله سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاة فامرني ان اصرف بصري رواه مسلم
وفي بعض السنن قال اطرق بصرك اي انظر الى الارض والصرف اعم فانه قد يكون الى الارض او الى جهة اخرى و
عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي يا علي لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليس لك الآخرة رواه
ابو داود والترمذي ولما كان النظر داعية الى فساد القلب كذلك امر الله بحفظ الفروج كما امر بحفظ الابصار فقال
قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وحفظ الفرج تارة يكون بمنعه من الزنا كما قال والذين هم لفروجهم
حافظون وتارة يكون بحفظه من النظر اليه كما جاء في السنن احفظ عورتك الا من زوجتك او ما ملكت يمينك ذلك
ازكى لهم اي اطهر لقلوبهم وانقى لدينهم كما قيل من حفظ بصره اورثه الله نورا في بصيرته ويروى في قلبه وقوله ان
الله خبير بما يصنعون كما قال يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل عين زانية الا عينا غضت عن محارم الله وعينا اسهرت في سبيل الله وعينا يخرج منها مثل راس الذباب من خشية
الله رواه ابن ابي الدنيا وقد قال كثير من السلف انهم كانوا ينهون ان يحد الرجل نظره الى الامرد وقد شدد كثير من ائمة
الصوفية في ذلك وحرمه طائفة من العلماء لما فيه من الافتتان وشدد آخرون في ذلك كثيرا جدا وقل للمؤمنات
يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن
بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن
او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن
او التابعين غير اولي الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن
بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون امر تعالى

نساء

والله يعلم ما تبدون وما تكتمون

فالسنة ان يجمع بين الاستيذان والسلام والعمل عدم السلام على الاستيذان فيقول السلام عليكم أأدخل وعن الماوردي ان وقعت عين المستاذن على صاحب المنزل قبل دخوله قدم السلام والا قدم الاستيذان ٥

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب على ابن آدم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر الى المحارم وزنا اللسان النطق وزنا الاذن الاستماع وزنا اليد البطش وزنا الرجلين الخطا والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك او يكذبه رواه البخاري ٥

بالكذب ونسبة التصديق والكذب الى الفرج اسناد مجازي وانما نسبهما الى الفرج لانه منشأ الزنا ومحله ٥

٣٣٢

نساء المؤمنات غيرة لازواجهن المؤمنين وتمييزا لهن عن صفة نساء الجاهلية ان يغضضن من ابصارهن وسبب
نزول هذه الآية ان جابر بن عبد الله حدث ان اسماء بنت مرثد كانت في نخل لها في بني حارثة فجعل النساء يدخلن
عليها غير متازرات فيبدو ما في ارجلهن من الخلاخيل وتبدو صدورهن وذوائبهن فقالت اسماء ما اقبح هذا فانزل
الله وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن اي عما حرم الله عليهن من النظر الى غير ازواجهن ولهذا ذهب كثير من العلماء
الى انه لا يجوز للمراة ان تنظر الى الرجال الاجانب بشهوة ولا بغير شهوة اصلا محتجين بما روته ام سلمة انها كانت عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم وميمونة قالت فبينما نحن عنده اذ اقبل ابن ام مكتوم فدخل عليه وذلك بعدما امرنا بالحجاب فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقلت يا رسول الله اليس هو اعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افعمياوان
انتما الستما تبصرانه رواه ابو داود والترمذي وصححه وجوز بعضهم نظرهن الى الاجانب بغير شهوة كما ثبت في الصحيح
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل ينظر الى الحبشة وهم يلعبون بحرابهم يوم العيد في المسجد وعائشة رضي الله عنها
تنظر اليهم من ورائه وهو يسترها منهم حتى ملت ورجعت وقوله ويحفظن فروجهن قال سعيد بن جبير وقتادة
اي عن الفواحش وعما لا يحل لهن وقال ابو العالية كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنا والحرام الا هذا الموضع
فانه اراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه وقوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها اي ولا يظهرن شيئا من الزينة
للاجانب الا ما لا يمكن اخفاؤه قال ابن مسعود كالرداء والثياب يعني على ما كان تتعاناه نساء العرب من المقنعة التي
تجلل ثيابها وما يبدو من اسافل الثياب فلا حرج عليها فيه لان هذا لا يمكنها اخفاؤه ونظيره في زي النساء ما يظهر من
ازارها وما لا يمكن اخفاؤه وقال ابن عباس وغير واحد المراد وجهها وكفاها والخاتم ويحتمل ان يكون هذا تفسيرا للزينة
التي نهين عن ابدائها كما قال ابن مسعود في قوله ولا يبدين زينتهن الزينة القرط والدملج والخلخال والقلادة وقال
الزينة زينتان فزينة لا يراها الا الزوج وهي الخاتم والسوار وظاهر الثياب واما عامة الناس فلا تبدو منها الا الخواتم
والمشهور عند الجمهور في تفسير ما ظهر منها الوجه والكفان وقوله وليضربن بخمرهن على جيوبهن يعني المقانع يعملها
ضاربات على صدور النساء لتواري ما تحتها من صدرها وترائبها ليخالفن شعار نساء اهل الجاهلية فانهن لم يكن يفعلن
ذلك بل كانت المراة تمر بين الرجال مسفحة بصدرها لا يواريه شيء وربما اظهرت عنقها وذوائب شعرها واقرطة
اذنيها فامر الله المؤمنات ان يستترن في هيآتهن واحوالهن والخمر جمع خمار وهو ما يخمر اي يغطى به الراس وهي التي
تسميها الناس المقانع قالت عائشة يرحم الله نساء المهاجرات الاول لما انزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن
مروطهن فاختمرن بها رواه البخاري وقوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن يعني ازواجهن او آبائهن او آباء بعولتهن
او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن كل هؤلاء محارم للمراة يجوز لها ان تظهر عليهم زينتها ولكن من غير
اقتصاد وتبهرج وقوله او نسائهن يعني تظهر زينتها ايضا للنساء المسلمات دون نساء اهل الذمة لئلا يصفن لرجالهن
وذلك وان كان محذورا في جميع النساء الا انه في نساء اهل الذمة اشد فانهن لا يمنعهن من ذلك مانع واما المسلمة فانها
تعلم ان ذلك حرام فتنزجر عنه وفي الصحيحين عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تباشر المراة المراة
فتنعتها لزوجها كانه ينظر اليها قال مجاهد او نسائهن اي المسلمات وليس المشركات من نسائهن فليس للمراة
المسلمة ان تكشف بين يدي المشركة وقوله او ما ملكت ايمانهن يعني من نساء المشركين فيجوز لها ان تظهر زينتها لها وان

اخفاؤه ٥

فان قلت لم سومح مطلقا في الزينة الظاهرة وجهها وكفاها والخاتم ٥ قلت لان سترها فيه حرج فان المراة لا تجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله الا ما ظهر منها اي الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والاصل فيه الظهور والاجنبية ينظر الى وجهها وكفيها وقدميها في احدى الروايتين عن ابي حنيفة ٥ كشاف

وانما سومح في الزينة الخفية اولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة الى مداخلتهم ومخالطتهم ولعلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب ٥

البشرة ظاهر جلد الانسان والملامسة اراد به النظر واللمس فتنعتها عطف على تباشر والنفي عليهما معا فتجوز المباشرة بغير الوصف ٥

اي ما ملكت ايمانهن

والظاهر انه اراد نساءهن وما ملكت ايمانهن من في صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والاماء والنساء كلهن سواء في حل نظر بعضهن الى بعض ٥

كانت مشركة لانها امتها واليه ذهب ابن المسيب وقال الاكثرون يجوز لها ان تظهر زينتها على رقيقها من الرجال
والنساء كما روى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة بعبد قد وهبه لها قال وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به
راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ راسها فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك
باس انما هو ابوك وغلامك رواه ابو داود وقوله او التابعين غير اولى الاربة من الرجال يعني كالاجراء والاتباع
الذين ليسوا بالاكفاء وهم مع ذلك في عقولهم وله ولا يشتهون النساء قال ابن عباس هو المغفل الذي لا شهوة له
وقال عكرمة وغيره هو المخنث الذي لا يقوم زبه وفي الصحيحين عن ام سلمة قالت دخل عليها رسول الله صلى الله عليه و
سلم وعندها مخنث وعندها عبد الله بن ابي امية يعني اخاها والمخنث يقول لعبد الله يا عبد الله بن ابي امية ان فتح
الله عليكم الطائف غدا فعليك بابنة غيلان فانها تقبل باربع وتدبر بثمان فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
لام سلمة لا يدخلن هذا عليك وفي رواية مسلم عن عائشة لا يدخلن عليكم هذا فحجبوه وقوله او الطفل الذين لم يظهروا
على عورات النساء يعني لصغرهم لا يفهمون احوال النساء وعوراتهن من كلامهن وتعطفهن في المشية ولم يعرفوا
العورة من غيرها فلا باس بدخولهم على النساء والطفل يكون واحدا وجمعا فاما اذا كان مراهقا او قريبا منه بحيث
يعرف ذلك ويفرق بين الشوهاء والحسناء فلا يمكن من الدخول على النساء وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم والدخول على النساء قالوا يا رسول الله افرايت الحمو قال الحمو الموت وقوله ولا يضربن
بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن كانت امراة في الجاهلية اذا كانت تمشي في الطرق وفي رجلها خلخال
صامت لا يسمع صوته ضربت برجلها الى الارض فتسمع الرجال طنينه فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك وكذلك
اذا كان شيء من زينتها مستورا فتحركت بحركة لتظهر ما هو خفي فانه داخل في هذا النهي ومنها التعطر والتطيب
عند خروجها من بيتها ليشم الرجال ريحها ولما روى ابو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل عين زانية والمراة
اذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية رواه ابو داود والنسائي والترمذي وصححه وعن
ابي هريرة قال سمعت ابا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبل الله صلوة امراة تطيبت لهذا المسجد حتى ترجع فتغتسل
غسلها من الجنابة رواه ابو داود وابن ماجه وقوله وتوبوا الى الله جميعا اي افعلوا ما امركم به من هذه الصفات
الجميلة والاخلاق الجليلة واتركوا ما كان عليه اهل الجاهلية من الرذائل فان الفلاح في متابعة الشريعة وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب اليه كل يوم مائة مرة رواه مسلم وانكحوا
الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع
عليم وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما
ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا واتوهم من مال الله الذي اتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء
ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم
ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين هذه الايات
مشتملة على جمل من الاحكام المحكمة والايات المبرمة فقوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم هذا
امر بالتزوج وقد ذهب طائفة من العلماء الى وجوبه على كل من قدر عليه واحتجوا بظاهر قوله عليه الصلوة والسلم

لا يقوم زبه

وذلك لانه كالرجل المخنث ومعنى قوله
تقبل باربع وتدبر بثمان ان لها اربع
عكن تقبل بهن من كل ناحية ثنتان و
لكل واحدة طرفان واذا ادبرت
صارت الاطراف ثمانية والعكنة الطي
الذي في البطن من السمن والجمع عكن
وانما كان هذا كناية عن سمن
البدن وهو من محاسن النساء

الحمو واحد الاحماء وهم اقارب الزوج [illegible]

يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه
بالصوم فانه له وجاء متفق عليه وعن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود
الولود فاني مكاثر بكم الامم رواه ابو داود والنسائي والايامى جمع ايم وهو من لا زوج له من رجل او امراة يعني
زوجوا ايها المؤمنون من لا زوج له من احرار رجالكم ونسائكم وقوله ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله قال
ابن عباس رغبهم الله في التزوج وامر به الاحرار والعبيد ووعدهم عليه الغنى فقال ان يكونوا فقراء الى آخره
وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه اطيعوا الله فيما امركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى وقال ابن مسعود
التمسوا الغنى في النكاح يقول الله ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلثة حق على الله عونهم الناكح يريد العفاف والمكاتب يريد الاداء والغازي في سبيل الله رواه احمد والترمذي
والنسائي وابن ماجه وقوله وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا هذا امر من الله لمن لا يجد تزوجا يعني اهبته
من المهر والنفقة بالتعفف عن الحرام كما سبق في حديث يا معشر الشباب وهذه الاية مطلقة والتي في سورة النساء
اخص منها وهي قوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات الى قوله وان تصبروا خير لكم اي صبركم عن
تزوج الاماء خير لكم لان الولد يجيء رقيقا والله غفور رحيم وقوله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم
هذا امر من الله للسادة اذا طلب منهم عبيدهم الكتابة ان يكاتبوهم بشرط ان يكون للعبد عقل وكسب يؤدي الى سيده
المال الذي شارطه على ادائه وذهب كثير من الائمة الى ان هذا امر ارشاد واستحباب لا امر تحتم وايجاب بل السيد
مخير في ذلك اذا طلب منه العبد الكتابة ان شاء كاتبه وان شاء لم يكاتبه وذهب آخرون الى وجوبه على السيد اذا
طلب العبد ذلك اخذا بظاهر الامر قال ابن جريج لعطاء اواجب علي اذا علمت له مالا ان اكاتبه قال ما اراه الا واجبا
رواه البخاري وبه قال عمر بن الخطاب وهو قول قديم للشافعي واما الجديد فانه لا يجب لقوله عليه الصلوة والسلم لا يحل
مال امرء مسلم الا من طيب نفسه وعليه مالك وابو حنيفة وقوله ان علمتم فيهم خيرا اي امانة وصدقا وقيل مالا وقيل
حيلة وكسبا وحرفة وقوله من مال الله الذي اتاكم اختلفوا في المراد منه قال بعضهم اطرحوا لهم بعض نجوم الكتابة
مقدار الربع او الثلث وقيل جزءا من غير حد معين وقيل هو النصيب الذي فرض الله لهم من اموال الزكوات وهذا قول الحسن
وكثيرين واختاره ابن جرير وقال ابن عباس امر الله المؤمنين ان يعينوا في الرقاب اي يضعوا عنهم من مكاتبتهم كما سبق
من حديث ثلثة حق على الله عونهم والقول الاول اشهر وكان ابن عمر اذا كاتب عبدا لم يضع عنه شيئا من اول نجومه
مخافة ان يعجزه فيرجع اليه صدقته ولكنه اذا كان في آخر مكاتبته وضع عنه ما احب وقوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء
ان اردن تحصنا كان اهل الجاهلية اذا كان لاحدهم امة ارسلها تزني وجعل عليها ضريبة ياخذها منها كل وقت فلما
جاء الاسلام نهى الله المؤمنين عن ذلك وكان سبب نزول هذه الاية فيما ذكره كثير من المفسرين عبد الله بن ابي بن سلول فانه
كان له اماء فكان يكرههن على البغاء طلبا لخراجهن ورغبة في اولادهن كما قال الزهري كانت جارية لعبد الله بن ابي
يقال لها معاذة يكرهها على الزنا فلما جاء الاسلام نزلت هذه الاية وقد كانت له اخرى يقال لها مسيكة وكان يكرهها على الفجور
فتابى فانزل الله هذه الاية وعن الزهري ايضا ان رجلا من قريش اسر يوم بدر وكان عند عبد الله بن ابي اسيرا وكان لعبد الله
ابن ابي جارية يقال لها معاذة وكان القرشي الاسير يريدها على نفسها وكانت مسلمة فكانت تمتنع منه لاسلامها وكان ابن ابي

فان قلت لم خص الصالحين قلت
ليحصن دينهم او اريد بالصلاح القيام
بحقوق النكاح

يعني ان الغنى مشروط بمشية الله غير منفية في هذا
الموعد ونظيره وان خفتم عيلة ونحوه ومن
يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
وقد جاءت الشريطة منصوصة في قوله وان
خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء
ان الله عليم حكيم ومن لم ينس هذه الشريطة
لم ينتصب معترضا لعزب كان غنيا فافقره
النكاح ولفاسق تاب واتقى اليه وكان
له شيء ففنى واصبح مسكينا كشاف

والكتابة ان يقول المالك لمملوكه كاتبتك على الف درهم مثلا
فان اديتها عتقت ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق
مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك ان
تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت
علي العتق

فان قلت هل يحل لمولاه اذا كان غنيا ان
ياخذ ما تصدق به عليه قلت نعم وكذلك اذا
لم تف الصدقة بجميع البدل وعجز عن اداء الباقي
طاب للمولى اخذه لانه لم ياخذه بسبب الصدقة
ولكن بسبب عقد الكتابة كمن اشترى الصدقة
من الفقير او ورثها او وهبت له

تكرير النهي والنهي على العبد والامة وفي الحديث
ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي
وامتي والبغاء مصدر كالبغي

يكرهها على ذلك وتضربها رجاء ان تحمل للقرشي فيطلب فداء ولده فقال الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الاية وقوله ان
اردن تحصنا هذا اخرج مخرج الغالب فلا مفهوم له وقوله لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا اي من خراجهن ومهورهن و
اولادهن وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كسب البغي وفي رواية مهر البغي خبيث وكسب الحجام خبيث وقوله
ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اي لهن والاثم على من اكرههن فان الله يغفر لهن ما اكرهن
عليه لما جاء في الحديث المرفوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال وضع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه
ولما فصل تبارك وتعالى هذه الاحكام وبينها قال ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات يعني القرآن فيه آيات واضحات
مفسرات ومثلا من الذين خلوا اي خبرا عن الامم الماضية ما حل بهم في مخالفتهم اوامر الله كما قال ومثلا للآخرين
وموعظة اي زاجرا عن ارتكاب المآثم والمحارم للمتقين اي لمن اتقى الله وخافه الله نور السموات والارض مثل
نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة
مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله
لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم قال ابن عباس اي هادي اهل السموات
والارض وعنه ايضا يدبر الامر فيهما نجومهما وشمسهما وقمرهما وقيل اي نوري هداي وهو اختيار ابن جرير وقال ابي بن كعب
مثل نوره هو المؤمن الذي قد جعل الايمان والقرآن في صدره ضرب الله مثله فقال الله نور السموات والارض بدا
بنور نفسه ثم ذكر نور المؤمن فقال مثل نور من آمن به وهكذا كان يقرؤها وهو قراءة ابن عباس ايضا وفي الحديث
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في دعائه يوم آذاه اهل الطائف اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات
وصلح عليه امر الدنيا والآخرة ان يحل بي غضبك او ينزل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بالله
وقوله مثل نوره يجوز ان يعود الضمير الى الله اي مثل هداه في قلب المؤمن كمشكوة قاله ابن عباس ويجوز ان يعود
الى المؤمن الذي دل عليه السياق اي مثل نور المؤمن الذي في قلبه كمشكوة فشبه قلب المؤمن وما هو مفطور عليه
من الهدى وما يتلقاه من القرآن المطابق لما هو مفطور عليه كما قال افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه
فشبه قلب المؤمن في صفائه في نفسه بالقنديل من الزجاج الشفاف وما يستمده من القرآن والشرع بالزيت الجيد
الصافي الذي يشرق لا كدر فيه وقوله كمشكوة قال ابن عباس واتباعه هو موضع الفتيلة من القنديل هذا هو المشهور
ولهذا قال بعده فيها مصباح وهو الذبالة التي تضيء وقال ان اليهود قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم كيف يخلص نور الله من
دون السماء فضرب الله مثل ذلك لنوره فقال الله نور السموات والارض الآية قال وهو مثل ضربه الله لطاعته فسمى طاعته
نورا ثم سماها انواعا شتى قال مجاهد وغيره المشكوة الكوة التي لا منفذ لها بلغة الحبشة وقيل هي الحديدة التي تعلق بها القنديل
والقول الاول اولى وهي انها موضع الفتيلة من القنديل وقال السدي هو السراج المصباح في زجاجة اي هذا الضوء مشرق
في زجاجة صافية ثم وصف الزجاجة فقال الزجاجة كانها كوكب دري قرا بعضهم بضم الدال بلا همز من الدر اي كانها كوكب
من در وقرا آخرون بكسر الدال وضمها مع الهمز من الدرء وهو الدفع وذلك ان النجم اذا رمي به يكون اشد استنارة
من سائر الاحوال قال قتادة كوكب مضيء مبين ضخم توقد من شجرة مباركة اي تستمد من زيت زيتون شجرة مباركة
زيتونة بدل او عطف بيان لا شرقية ولا غربية اي ليست في شرقي بقعتها فلا تصل اليها الشمس من اول النهار ولا في غربيها

قال ملك الحجم قوله ان اردن تحصنا
قلت لان الاكراه لا يتاتى الا مع
ارادة التحصن وآمر الطيعة المواتية
للبغاء لا يسمى مكرها وكلمة ان وايثارها
على اذا ايذان بان المساعيات كن
يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن و
ان ما وجد من معاذة ومسيكة من
حيز الشاذ

النور في الاصل كيفية يدركها الباصرة اولا
وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة
من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما
بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا
بتقدير مضاف كقولك زيد كرم اي ذو كرم
او على تجوز

قال ابو العالية مزين السموات والارض
زين السماء بالشمس والقمر والنجوم وزين
الارض بالانبياء والعلماء والمؤمنين
وقيل بالنبات والاشجار

من شجرة الزيتون
... زيتها
... البركة ثم ابدال

اي ليست شرقية وحدها حتى لا تصيبها
الشمس اذا غربت ولا غربية وحدها فلا تصيبها
الشمس بالغداة اذا طلعت بل هي
ضاحية للشمس طول النهار
تصيبها الشمس عند طلوعها
وعند غروبها فتكون اصفى
لزيتها واحسن ضوا من الاول

فتقلص

فتقلص عنها الفيء قبل الغروب بل هي في مكان وسط تقرعها الشمس من اول النهار الى آخرها فيجيء زيتها معتدلا
صافيا مشرقا قال ابن عباس هي شجرة بالصحراء لا يظلها جبل ولا شجر ولا كهف ولا يواريها شيء هو اجود لزيتها
كما قال عكرمة تلك زيتونة بارض فلاة اذا اشرقت الشمس اشرقت عليها واذا غربت غربت عليها فذلك اصفى ما يكون من
الزيت وقال ابي بن كعب فهي خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس على اي حال كانت لا اذا طلعت ولا اذا غربت قال
فكذلك هذا المؤمن قد اجير من ان يصله شيء من الفتن وقد ابتلي بها فيثبته الله فيها فهو بين اربع خلال ان قال
صدق وان حكم عدل وان ابتلي صبر وان اعطي شكر فهو في سائر الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الاموات وعن ابن
جبير والعوفي نحوه وعن ابن عباس ايضا ليست شرقية ليس فيها غرب ولا غربية ليس فيها شرق ولكنها شرقية غربية
وعنه شجرة مباركة رجل صالح لا شرقية ولا غربية لا يهودي ولا نصراني واولى الاقوال القول الاول فانها في مستو من الارض
في مكان فسيح بارز ظاهر للشمس تقرعه من اول النهار الى آخره ليكون ذلك اصفى لزيتها والطف وقوله نور على نور قال
ابن عباس يعني بذلك ايمان العبد وعمله وقيل نور النار ونور الزيت حين اجتمعا اضاءا كذلك نور القرآن ونور
الايمان حين اجتمعا فلا يكون واحد منهما الا بصاحبه وقال ابي بن كعب فهو يتقلب في خمسة امور كلامه نور و
عمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيمة الى الجنة وقوله يهدي الله لنوره من يشاء اي يرشد الله الى
هدايته من يختاره كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة فالقى عليهم من نوره فمن اصابه من
ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل فلذلك اقول جف القلم على علم الله رواه احمد والترمذي وقوله ويضرب الله الامثال
للناس اي يبين الله الاشياء للناس تقريبا للافهام وتسهيلا لسبيل الادراك والله بكل شيء عليم اي هو اعلم بمن يستحق الهداية
ممن يستحق الاضلال وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القلوب اربعة قلب اجرد فيه مثل السراج
يزهر وقلب اغلف مربوط على غلافه وقلب منكوس وقلب مصفح فاما القلب الاجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره و
اما القلب الاغلف فقلب الكافر واما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم انكر واما القلب المصفح فقلب فيه ايمان
ونفاق ومثل الايمان فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم فاي المدتين غلبت على الاخرى غلبت عليه رواه احمد باسناد
جيد في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار
ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب لما ضرب الله تعالى مثل
قلب المؤمن وما فيه من الهدى والعلم بالمصباح في الزجاجة الصافية المتوقد من زيت طيب وذلك كالقنديل مثلا ذكر محلها
وهي المساجد التي احب بقاع الارض الى الله وهي بيوته التي يعبد فيها فقال في بيوت اذن الله ان ترفع اي امر الله برفعها
اي بتطهيرها من الدنس واللغو والافعال والاقوال التي لا تليق فيها كما قال ابن عباس نهى الله سبحانه عن اللغو فيها وبه قال كثيرون
وقال قتادة هي هذه المساجد امر الله ببنائها ورفعها وامر بعمارتها وتطهيرها وفي الصحيحين عن عثمان رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى مسجدا يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتا في الجنة رواه بعض اصحاب السنن
وعن عائشة قالت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور وان تنظف وتطيب رواه احمد واهل
السنن الا النسائي وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امرت بتشييد هذه المساجد قال

تشييد المساجد رفع بنائها وتطويلها

اي نور متضاعف فان نور المصباح زاد في انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لاشعته

البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل

[illegible]

ابن عباس لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى رواه ابو داود وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد رواه احمد واكثر اهل السنن وعن عبد الله بن عمرو قال نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن البيع والابتياع وعن تناشد الاشعار في المساجد رواه احمد واكثر اهل السنن وعن ابي هريرة ١
قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد فليقل لا ردها الله عليك فان المساجد
لم تبن لهذا رواه مسلم وعن واثلة بن الاسقع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال جنبوا مساجدنا صبيانكم
ومجانينكم وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع اصواتكم واقامة حدودكم وسل سيوفكم واتخذوا على ابوابها المطاهر
وجمروها في الجمع رواه ابن ماجة فقوله جنبوا مساجدنا صبيانكم ذلك لانهم يلعبون في المسجد ولا يناسبهم وكان عمر بن
الخطاب اذا راى صبيانا يلعبون في المسجد ضربهم بالدرة ومجانينكم يعني لضعف عقولهم وسخرية الناس بهم فيؤدي الى اللعب
فيها ولما يخشى من تقذيرهم في المسجد ونحو ذلك وبيعكم وشراءكم فلما تقدم من النهي عن البيع والشراء فيه وخصوماتكم يعني
التحاكم والحكم فيه لما فيه من الخصومات والتشاجر الذي لا يناسبه ولهذا قال بعده ورفع اصواتكم وقوله واقامة حدودكم
لما يخشى من التلوث وسل سيوفكم لئلا اصاب بعض الناس كسر به وقوله واتخذوا على ابوابها المطاهر يعني المراحيض التي
تستعان بها في الوضوء وقضاء الحاجة وقد كان قريبا من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم آبار يستقون منها فيشربون
ويتطهرون وغير ذلك وقوله وجمروها في الجمع يعني بخروها ايام الجمع لكثرة اجتماع الناس يومئذ وكان عمر يجمر مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم كل جمعة وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلوة الرجل في جماعة تضعف على صلوته
في بيته وسوقه خمسا وعشرين ضعفا وفي الدارقطني مرفوعا لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد وفي السنن مرفوعا بشر
المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيمة والمستحب لمن دخل المسجد ان يقدم رجله اليمنى ويقول كما في سنن
ابي داود عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم
وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم قال فاذا قال ذلك قال الشيطان حفظ مني سائر اليوم وعن ابي حميد او
ابي اسيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل احدكم المسجد فليقل اللهم افتح لي ابواب رحمتك واذا
خرج فليقل اللهم اني اسألك من فضلك رواه مسلم والاحاديث في فضائل المسجد كثيرة وقوله ويذكر فيها اسمه قال
ابن عباس اي يتلى فيها كتابه وقوله يسبح له فيها بالغدو والآصال اي في البكرات والعشيات والآصال جمع اصيل وهو
آخر النهار قال ابن عباس كل تسبيح في القرآن هو الصلوة والمراد بالغدو صلوة الغداة وبالآصال صلوة العصر وهما
اول ما فرض الله من الصلوة فاحب ان تذكرهما وان يذكر بهما عباده كذا قال الحسن ومن قرا يسبح بفتح الباء على ما لم
يسم فاعله وقف على قوله والآصال وقفا تاما وابتدا بقوله رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وكانه مفسر
للفاعل المحذوف كما قال الشاعر ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح كانه قال من يبكيه
قال هذا يبكيه وكانه قيل من يسبح له فيها قال رجال واما على قراءة من قرا بالكسر فجعله فعلا وفاعله رجال فلا يحسن
الوقف الا على الفاعل لانه تمام الكلام فقوله رجال فيه اشعار بهممهم العالية ونياتهم وعزائمهم السامية التي بها
صاروا عمار المساجد التي هي بيوت الله في ارضه ومواطن عبادته فاما النساء فصلاتهن في بيوتهن افضل لهن لان
النبي صلى الله عليه وسلم قال صلوة المراة في بيتها افضل من صلوتها في حجرتها وصلوتها في مخدعها افضل من صلوتها في بيتها

جمع مرحاض [illegible] المغتسل

التجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع
ويشتري للربح اي لا يشغلهم نوع من هذه
الصناعة ثم خص البيع لانه في الاعطاء ادخل
من حيث انه متيقن الربح بخلاف الشرى
فان توقع الربح فيه في الوقت الثاني [illegible]
او اراد بالتجارة الشراء اطلاقا لاسم الجنس
على النوع

تتم المم وفيه ويولت
الصغرى الامر البيت
الكبير وعمل البيت الذي
يجني فيه المتاع النفيس

رواه

رواه ابو داود وعن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير مساجد النساء قعر بيوتهن ويجوز لها شهود
جماعة الرجال بشرط ان لا تؤذي احدا من الرجال بظهور زينة ولا ريح طيب كما في الصحيح عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا تمنعوا اماء الله مساجد الله وعن زينب امراة عبد الله قالت قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا شهدت احداكن
المسجد فلا تمس طيبا رواه مسلم وفيهما قالت عائشة كان نساء المؤمنات يشهدن الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم يرجعن متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس وفيهما ايضا انها قالت لو ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما احدث النساء لمنعهن من المساجد كما منعت نساء بني اسرائيل وقوله رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله كقوله
يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله الاية يعني لا تشغلهم الدنيا وزخرفها وزينتها وملاذ بيعها و
ربحها عن ذكر ربهم الذي هو خالقهم ورازقهم لانما عندهم ينفد وما عند الله باق فيقدمون طاعته ومراده و
محبته روي ان ابن مسعود راى قوما من اهل السوق حيث نودي للصلوة تركوا بياعاتهم ونهضوا الى الصلوة
فقال عبد الله هؤلاء من الذين ذكر الله في كتابه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وروي نحوه عن ابن عمر
قال ابن عباس عن ذكر الله اي عن الصلوة المكتوبة ووافقه كثير من التابعين وقال مقاتل بن حيان لا تلهيهم ذلك
عن حضور الصلوة وان يقيموها كما امرهم الله وان يحافظوا على مواقيتها وقوله يخافون يوما اي يوم القيمة الذي
تتقلب فيه القلوب والابصار اي من شدة الفزع وعظمة الاهوال كما قال تعالى انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار
وقوله ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله اي هؤلاء من الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم
ويتفضل عليهم بما لم يستحقوه باعمالهم ويضاعفه لهم كما قال تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا
عظيما وقوله والله يرزق من يشاء بغير حساب كقوله والله يضاعف لمن يشاء وعن اسماء بنت يزيد مرفوعا اذا جمع
الله الاولين والآخرين يوم القيمة جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلائق سيعلم اهل الجمع من اولى بالكرم ليقم الذين لا
تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل ثم يحاسب سائر الخلائق والذين كفروا اعمالهم كسراب
بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفيه حسابه والله سريع
الحساب او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض
اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور هذان مثلان ضربهما الله لنوعي الكفار كما
ضرب للمنافقين في اول البقرة مثلين ناريا ومائيا وكما ضرب لما يقر في القلوب من الهدى والعلم في سورة الرعد
مثلين مائيا وناريا وقد سبق الكلام على كل منهما في موضعهما فاما الاول من هذين فهو للكفار
الدعاة الى كفرهم الذين يحسبون انهم على شيء من الاعمال والاعتقادات وليسوا في نفس الامر على شيء فمثلهم في ذلك
كالسراب الذي يرى في القيعان من الارض على بعد كانه بحر طام والقيعة جمع قاع والقاع ايضا واحد القيعان وهي الارض
المستوية المتسعة المنبسطة وفيه يكون السراب وانما يكون ذلك بعد نصف النهار فاذا راه من هو محتاج الى الماء حسبه ماء
فقصده ليشرب منه فلما انتهى اليه لم يجده شيئا فكذلك حال الكافر يحسب انه قد عمل عملا وانه قد حصل شيئا فاذا وافى الله يوم القيمة
وحاسبه عليها ونوقش على افعاله لم يجد له شيئا بالكلية قد قبل لعدم ايمانه كما قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا وقال ههنا ووجد الله عنده فوفيه حسابه والله سريع الحساب وفي الصحيح انه يقال يوم القيمة لليهود

على مرادهم ومحبتهم صح

لهم

قوله في بحر صفة ظلمات ومن فوقه موج
صفة للموج الاول ومن فوقه سحاب
صفة للثاني وظلمات خبر مبتدا محذوف اي هذه ظلمات

ظلمة السحاب وظلمة
الموج وظلمة البحر
بعضها فوق بعض
[illegible]

[illegible]

ماكنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد عزيرًا ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من ولد ماذا تبغون فيقولون اي ربنا عطشنا فاسقنا فيقال الا ترون فيمثل لهم النار كانها سراب يحطم بعضها بعضًا فينطلقون فيتهافتون فيها وهذا المثال لذوي الجهل المركب فاما اصحاب الجهل البسيط وهم الاغشام والارذال المقلدون لائمة الكفر الصم البكم الذين لا يعقلون فمثلهم كما قال تعالى او كظلمات في بحر لجي قال قتادة وهو العميق يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب الى قوله لم يكد يراها اي لم يقارب رؤيتها من شدة الظلام فهذا مثل قلب الكافر الجاهل المقلد الذي لا يدري اين مذهبه ولا يعرف حال من يقوده و قال العوفي عن ابن عباس يغشاه موج يعني بذلك الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر وهي كقوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة وقال ابي بن كعب في قوله ظلمات بعضها فوق بعض فهو يتقلب في خمسة من الظلم فكلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة و ومخرجه ظلمة ومصيره يوم القيمة الى الظلمات الى النار وقوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور اي من لم يهده الله فهو هالك جاهل حائر بائر كافر كما قال تعالى من يضلل الله فلا هادي له وهذا في مقابلة ما قال في مثل المؤمنين يهدي الله لنوره من يشاء فالله المسؤول ان يجعل في قلوبنا نورًا وعن ايماننا نورًا وعن شمائلنا نورا وان يعظم لنا نورًا الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلوته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض والى الله المصير يخبر تعالى انه يسبحه من في السموات والارض اي من الملئكة والاناسيين والجان والحيوان حتى الجماد كما قال وان من شيء الا يسبح بحمده وقوله والطير صافات اي في حال طيرانها تسبح ربها وتعبده بتسبيح الهمها وارشدها اليه وهو يعلم ما هي فاعلة ولهذا قال كل قد علم صلوته وتسبيحه اي كل قد ارشده الى طريقته ومسلكه في عبادته ثم اخبر تعالى ان له ملك السموات والارض فهو الحاكم المتصرف الذي لا معقب لحكمه ولا ينبغي العبادة الا له والى الله المصير اي يوم القيمة فيحكم فيه بما يشاء ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار يخبر تعالى انه بقدرته يسوق السحاب اول ما ينشئها وهي ضعيفة وهي الازجاء ثم يؤلف بينه اي يجمعه بعد تفرقه ثم يجعله ركاما اي متراكما اي يركب بعضها بعضا فترى الودق اي المطر يخرج من خلله كما هو قراءة ابن عباس قال يبعث الله المثيرة فتقم الارض قما ثم يبعث الناشئة فتنشئ السحاب ثم يبعث المؤلفة فيؤلف بينهم ثم يبعث اللواقح فيلقح السحاب رواه ابن ابي حاتم وابن جرير وقوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد قيل من الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة لبيان الجنس وهذا على معنى ان في السماء جبال برد ينزل الله منها البرد واما من جعل الجبال ههنا كناية عن السحاب فان من الثانية حينئذ لابتداء الغاية لكنها بدل من الاولى وقوله فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يحتمل ان يكون المراد بقوله اي بما ينزل من السماء من نوعي المطر والبرد فيكون قوله فيصيب به من يشاء رحمة لهم ويصرفه عمن يشاء اي يؤخر عنهم الغيث ويحتمل ان يكون المراد بقوله فيصيب به اي البرد نقمة على من يشاء من نثر ثمارهم واتلاف زروعهم واشجارهم ويصرفه عمن يشاء اي رحمة بهم وقوله يكاد سنا برقه يذهب بالابصار اي يكاد ضوء برقه من شدته يخطف الابصار اذا اتبعته وتراءته وقوله يقلب الله الليل والنهار اي يتصرف فيهما فياخذ من طول هذا في قصر هذا حتى يعتدلا ثم ياخذ من هذا في هذا فيطول الذي كان قصيرا ويقصر

قال علي عليه السلام في وصف العوام همج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا الى ركن وثيق ه

الذ

الذي كان طويلا والله هو المتصرف في ذلك بحكمه وقدرته ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار اي لدليلا على عظمته كما قال ان في خلق السموات والارض الى آخر الآيات والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير يذكر تعالى قدرته التامة وسلطانه في خلقه انواع المخلوقات على الوانها واحوالها من ماء واحد فمنهم من يمشي على رجلين كالانسان والطير ومنهم من يمشي على اربع كالانعام وسائر الحيوانات ولهذا قال يخلق الله ما يشاء اي بقدرته لانه ما شاء كان وما لم يشا لم يكن ولهذا قال ان الله على كل شيء قدير لقد انزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم يقرر تعالى انه انزل في هذا القرآن من الحكم والامثال والاحكام البينة المحكمة كثيرا جدا وانه يرشد الى تفهمها وتعقلها اولي الالباب والبصائر ولهذا قال والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله و رسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله و يتقه فاولئك هم الفائزون يخبر تعالى عن صفات المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون يقولون بالسنتهم آمنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك اي يخالفون اقوالهم باعمالهم فيقولون ما لا يفعلون ولهذا قال وما اولئك بالمؤمنين وقوله واذا دعوا الى الله ورسوله اي اذا طلبوا الى اتباع الهدى فيما انزل الله على رسوله اعرضوا عنه واستكبروا في انفسهم عن اتباعه وهذه كقوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا وقوله وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين اي اذا كان الحكم لهم لا عليهم جاؤا سامعين مطيعين وهو معنى قوله مذعنين واذا كان الحكم عليه اعرض ودعا الى غير الحق واحب ان يتحاكم الى غير النبي صلى الله عليه وسلم ليروج باطله فاذعانه لم يكن عن اعتقاد الحق بل لانه موافق لهواه ولهذا قال تعالى افي قلوبهم مرض الى آخره اي لا يخرج امرهم عن ان يكون في القلوب مرض لازم لها او قد عرض لها شك في الدين او يخافون ان يجور الله ورسوله عليهم في الحكم وايا ما كان فهو كفر محض والله عليم بكل منهم وما هو عليه منطو من هذه الصفات وقوله بل اولئك هم الظالمون اي هم الظالمون الفاجرون والله ورسوله مبرآن مما يظنون ويتوهمون من الحيف والجور تعالى الله ورسوله عن ذلك ثم اخبر تعالى عن صفة المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله الذين لا يبغون دينا سوى كتاب الله وسنة نبيه فقال انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا اي سمعا وطاعة ولهذا وصفهم تعالى بالفلاح وهو نيل المطلوب فقال واولئك هم المفلحون قال قتادة ذكر لنا ان ابا الدرداء قال لا اسلام الا بطاعة الله ولا خير الا في جماعة والنصيحة لله ولرسوله وللخليفة وللمؤمنين عامة رواه ابن ابي حاتم والاحاديث والآثار في هذا الباب كثيرة مشهورة وقوله ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه قال قتادة يطيع الله ورسوله فيما امراه به وترك ما نهياه عنه ويخشى الله فيما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل وقوله فاولئك هم الفائزون يعني الذين فازوا بكل خير وامنوا من كل شر في الدنيا والآخرة واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان

قسم الاول في صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين ان يكونوا مرضى القلوب منافقين او مرتابين في امر نبوته او خائفين الحيف في قضائه ثم ابطل كونهم خيفة بقوله بل اولئك هم الظالمون ه

النصح ارادة الخير للمنصوح له وخلوص المحبة له والتحري فيما يستدعيه حقه والنصح لله ولرسوله ولكتابه هو الايمان بذلك والتزام احكامه والعمل بمقتضاه وهذه النصيحة راجعة الى العبد في نصحه نفسه فالله غني عن نصح كل ناصح والنصيحة لازمة للمؤمن على قدر الطاقة اذا علم الناصح ان يطيع المنصوح له والنصيحة للخلفاء قبول امرهم [illegible] وتذكيرهم ارادة خيرهم ه

تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين اخبر تعالى عن المنافقين الذين كانوا يحلفون لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لئن امرتهم بالخروج الى الغزو ليخرجن قال تعالى قل لا تقسموا اى لا تحلفوا وقوله طاعة معروفة قيل تقديره
طاعتكم معروفة اى قد علم طاعتكم انما هى قول لا فعل معه وكلما حلفتم كذبتم من عادتهم الكذب حتى فيما يختارونه كما فى قوله
تعالى الم تر الى الذين نافقوا الى قوله ثم لا ينصرون وقيل المعنى لكن امركم طاعة معروفة اي بالمعروف من غير حلف ولا اقسام
كما يطيع الله ورسوله المؤمنون بغير حلف فكونوا انتم مثلهم ان الله خبير بما تعملون اى هو خبير بكم وبمن يطيع ممن
يعصى فانه خبير بضمائر العباد وان اظهروا خلافها ثم قال قل اطيعوا الله اي اتبعوا كتاب الله وسنة رسوله وقوله فان تولوا
اى تتولوا عنه وتتركوا ما جاءكم به فانما عليه ما حمل اى ابلاغ الرساله واداء الامانه وعليكم ما حملتم اى من قبول ذلك وتعظيمه
والقيام بمقتضاه وان تطيعوه تهتدوا وذلك لانه يدعو الى صراط مستقيم وقوله وما على الرسول الا البلاغ المبين كقوله
فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب قال وهب بن منبه اوحى الله الى نبي من انبياء بنى اسرائيل يقال له شعيا ان قم فى بنى
اسرائيل فانى سأطلق لسانك بوحي فقام فقال يا سماء اسمعي ويا ارض انصتي فان الله يريد ان يقضي شانا ويدبر امرا هو منفذه
انه يريد ان يحول الريف الى الفلاة والاجام فى الغيطان والانهار فى الصحارى والنعمة فى الفقراء والملك فى الرعاة و
يريد ان يبعث اميا من الاميين ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق لو يمر على جنب السراج لم يطفئه من سكينته ولو يمشي على
القصب اليابس لم يسمع من تحت قدميه ابعثه مبشرا ونذيرا لا يقول الخنا افتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا و
اسدده لكل امر جميل واهب له كل خلق كريم واجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة منطقه والصدق و
الوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته والعدل سيرته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي
به بعد الضلالة واعلم به من الجهالة وارفع به بعد الفرقة واؤلف به بين امم متفرقة وقلوب مختلفة واهواء متشتتة
واستنقذ به فئاما من الناس عظيما من الهلكة واجعل امته خير امة للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر موحدين
مؤمنين مخلصين مصدقين بما جاءت به رسلي رواه ابن ابي حاتم وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم
من بعد خوفهم امنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون هذه بشارة
من الله لرسوله عليه الصلوة والسلم بانه سيجعل امته خلفاء الارض ائمة الناس والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد
وليبدلنهم بعد خوفهم من الناس امنا وحكما فيهم وقد فعل تعالى ذلك فانه قد فتح على رسوله عليه الصلوة والسلم ما فتح ثم على خلفائه
الراشدين كما هو مبين فى السير والتواريخ وقد ثبت فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله زوى لي الارض
فرايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله وصدق الله و
رسوله ونساله القيام بشكره على ما يرضيه عنا وفى الصحيحين عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لا يزال الاسلام عزيزا الى اثنى عشر خليفة كلهم من قريش وفى رواية لا يزال امر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا
كلهم من قريش وفى رواية لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة او يكون عليهم اثنا عشرة خليفة كلهم من قريش وفى
الحديث دلالة على انه لا بد من وجود اثنى عشر خليفة عادلين كما وقعت البشارة بهم فى الكتب المتقدمة ثم لا يشترط ان يكونوا
متتابعين بل تكونوا متتابعين ومتفرقين وقد وجد منهم اربعة على الولاء وهم الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم ثم كان بعدهم

الغائط المطمئن من الارض الواسع والجمع غوط وغيطان واغواط ه
الفظ الكريه الخلق الجافى والغليظ القاسى القلب والسخاب الصياح ه

القسم محذوف اى وعدهم واقسم ليستخلفنهم او نزل وعد الله فى تحققه منزلة القسم فتلقى بما تلقى به القسم ه

فترة بينهم ثم وجد منهم ما شاء الله ثم قد يوجد منهم فى القرون الباقية بارادة الله منهم المهدى الذى يطابق
اسمه اسم رسول الله وكنيته كنيته يملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما وعن سفينة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الخلافة بعدى ثلثون سنة ثم يكون ملكا عضوضا رواه احمد قال ابو العالية فى قوله وعد الله الذين امنوا
منكم وعملوا الصالحات الاية كان النبى صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الوحى عشر سنين وامروا بالصبر على اذى الكفار وكانوا يصبحون
ويمسون خائفين ثم امروا بالهجرة الى المدينة وامروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق احد منهم سلاحه فقال رجل منهم
ما ياتى علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح فانزل الله هذه الاية فاظهر الله نبيه عليه الصلوة والسلام على جزيرة العرب فامنوا
ووضعوا السلاح ثم ان الله قبض نبيه صلى الله عليه وسلم فكانوا كذلك امنين فى امارة ابى بكر وعمر وعثمن حتى وقعوا فيما وقعوا
فادخل عليهم الخوف واتخذوا الحجزة والشرط وغيروا فغير بهم الله وقوله كما استخلف الذين من قبلهم قال قتادة كما استخلف
داود وسليمن وغيرهما من الانبياء كما قال تعالى عن موسى انه قال لقومه عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر
كيف تعملون يعنى بنى اسرائيل حيث اهلك الجبابرة واورثهم ارضهم وديارهم وقوله وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى اى اختاره
لهم قال ابن عباس يوسع لهم فى البلاد حتى يملكوها ويظهر دينهم على سائر الاديان وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا كما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم حين وفد عليه اتعرف الحيرة قلت لم اعرفها وقد سمعت بها قال فوالذى نفسى
بيده ليتمن الله هذا الامر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت فى غير جوار احد ولتفتحن كنوز كسرى قلت
كسرى بن هرمز قال نعم كسرى بن هرمز وليبذلن المال حتى لا يقبله احد قال عدى فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف
بالبيت فى غير جوار ولقد كنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز والذى نفسى بيده لتكونن الثالثة لان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد قالها رواه البخارى بنحوه وعن ابى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة بالسناء
والرفعة والدين والنصر والتمكين فى الارض فمن عمل منهم عمل الاخرة للدنيا لم يكن له فى الاخرة من نصيب وقوله يعبدوننى
لا يشركون بى شيئا وفى الصحيحين عن معاذ قال كنت رديف النبى صلى الله عليه وسلم على حمار ليس بينى وبينه الا مؤخرة الرحل فقال يا
معاذ هل تدرى ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله قلت الله ورسوله قال حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به
شيئا وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيئا فقلت يا رسول الله افلا ابشر به الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا وقوله
فمن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون اى فمن خرج عن طاعتى بعد ذلك فقد فسق عن امر ربه وكفى بذلك ذنبا عظيما فالصحابة
رضى الله عنهم لما كانوا اقوم الناس بعد النبى صلى الله عليه وسلم باوامر الله واطوعهم له كان نصرهم بحسبهم اظهروا كلمة
الله فى المشارق والمغارب وايدهم الله تاييدا عظيما وحكموا فى سائر العباد والبلاد ولما قصر الناس بعدهم فى بعض
الاوامر نقص ظهورهم بحسبهم ولكن قد ثبت فى الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال طائفة من امتى
ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم الى يوم القيمه وفى رواية حتى ياتى امر الله وهم كذلك وفى رواية
حتى يقاتلون الدجال وفى رواية حتى ينزل عيسى بن مريم وهم ظاهرون واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا
الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض وماويهم النار ولبئس المصير امر تعالى
المؤمنين باقام الصلوة وايتاء الزكوة وهى الاحسان الى المخلوقين كما هو المشروع وان يكونوا فى ذلك مطيعين للرسول ممتثلين
فيما امرهم وتركوا ما عنه زجرهم لعل الله يرحمهم بذلك وقوله لا تحسبن اى يا محمد لا تظنن الذين كفروا اى خالفوك وكذبوك

الخطاب لرسول الله ولمن معه ومنكم للبيان وعدهم الله ان ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببنى اسرائيل حين اورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة وان يمكن الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده وان يومن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذى كانوا عليه فانجز الله وعده واظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعده بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرهم فكفروا تلك الانعم وفسقوا وذلك قوله عليه السلم الخلافة بعدى ثلثون سنة ثم تملك الله من يشاء فتصير ملكا ثم تصير بزيزى قطع سبيل وسفك دماء واخذ اموال بغير حقها ه كشاف

عطف على قوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول وكررت طاعة الرسول تاكيدا لوجوبها ه

وماويهم النار عطف على لا تحسبن كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله وماويهم النار ه

معجزين في الارض اي لا يعجزون الله بل الله قادر عليهم وسيعذبهم على ذلك اشد العذاب ولهذا قال ومأويهم النار اي في الاخرة ولبئس المآل مآل الكافرين وقوله يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلث مرات من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم هذه آيات مشتملة على استيذان الاقارب بعضهم على بعض وما سبق كان في استيذان الاجانب فامر الله تعالى المؤمنين استيذان خدمهم مما ملكت ايمانهم واطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم منهم في ثلثة احوال الاول من قبل صلوة الغداة لان الناس حينئذ يكونون نياما في فرشهم وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة اي وقت القيلولة لانهم حينئذ يكونون مع اهليهم غالبا ومن بعد صلوة العشاء لانه وقت النوم فيؤمر الخدم والاطفال ان لا يهجموا على اهل البيت في هذه الاحوال لما يخشى من هتك الستر وكشف السر ولهذا قال ثلث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن اي اذا دخلوا في حال غير هذه الاحوال فلا جناح عليكم في تمكينكم اياهم من ذلك ولا عليهم ان رأوا شيئا من غير تلك الاحوال لانه قد اذن في الهجوم لانهم طوافون عليكم اي في الخدمة وغير ذلك ويغتفر فيهم ما لا يغتفر في غيرهم ولما كانت هذه الاية محكمة غير منسوخة وكان عمل الناس بها قليلا جدا انكر ابن عباس ذلك على الناس وقال ترك الناس ثلث ايات وفي رواية غلب الشيطان الناس على ثلث آيات فلم يعملوا بهن يا ايها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم الى آخر الاية والتي في سورة النساء اذا حضر القسمة اولوا القربى الاية والتي في سورة الحجرات ان اكرمكم عند الله اتقيكم وسئل ابن عباس عن الاستيذان في الثلث عورات التي امر الله بها في القرآن فقال ان الله ستير يحب الستر كان الناس ليس لهم ستور على ابوابهم ولا حجال في بيوتهم فربما فاجأ الرجل خادمه او ولده او يتيمه في حجره وهو على اهله فامرهم الله ان يستاذنوا في تلك العورات التي سمى الله ثم جاء الله بعد بالستور فبسط عليهم الرزق فاتخذوا الستور واتخذوا الحجال فرأى الناس ان ذلك قد كفاهم من الاستيذان الذي امروا به رواه ابو داود والذي يدل على انها محكمة لم تنسخ قوله كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم ثم قال تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم اي اذا بلغ الاطفال الذين يستاذنون في العورات الثلث الحلم وجب عليهم ان يستاذنوا على كل حال يعني بالنسبة الى اجانبهم وفي الاحوال التي يكون الرجل مع اهله مطلقا وقوله كما استاذن الذين من قبلهم يعني كما استاذن الكبار من ولد الرجل واقاربه وقوله والقواعد من النساء قال ابن جبير وغيره هن اللواتي انقطع عنهن الحيض ويئسن من الولد اللاتي لا يرجون نكاحا اي لم يبق لهن تشوف الى التزوج فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة اي ليس عليها من الحرج في التستر كما على غيرها من النساء قال ابن مسعود وغير واحد المراد بها الجلباب والرداء وقال سعيد بن جبير اي لا يتبرجن بوضع الجلباب ان يرى ما عليها من الزينة سئلت عائشة عن الخضاب والعقاص والصباغ والقرطين والخلخال وخاتم الذهب وثياب الرقاق فقالت يا معشر النساء قصتهن كلها واحدة احل الله لكن الزينة غير متبرجات اي لا يحل لكن ان يروا منكن محرما وقوله وان يستعففن خير لهن اي وترك وضعهن لثيابهن وان كان جائزا خير لهن وافضل والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم ليس على الاعمى حرج

اى بعن اى المراد ثلث عورات و العورة الخلل وقوله ليس عليكم كلمة رفع على الوصف على قراءة الرفع ثلث عورات واما على قراءة النصب فلا محل له لانه كلام مقرر للاستيذان في هذه الاحوال خاصة

الذين من قبلهم يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال او الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الاية والمعنى ان الاطفال مأذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم خرجوا من حد الطفولة بان يحتلموا او يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستاذنوا في جميع الاوقات كما للرجال الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن سو كشاف

ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون اختلفوا في المعنى الذي رفع من اجله الحرج عن الاعمى والاعرج والمريض ههنا فقال بعضهم نزلت في الجهاد وجعلوا هذه الاية كالاية التي في سورة الفتح وتلك في الجهاد لا محالة اي لا اثم عليهم في ترك الجهاد لضعفهم وعجزهم كما قال تعالى في سورة براءة ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية وقيل المراد ههنا انهم كانوا يتحرجون من الاكل مع الاعمى لانه لا يرى الطعام وما فيه من الطيبات فربما سبقه غيره الى ذلك ولا مع الاعرج لانه لا يتمكن من الجلوس فيفتات عليه جليسه والمريض لا يستوفي من الطعام كغيره فكرهوا ان يؤاكلوهم لئلا يظلموهم فانزل الله هذه الاية رخصة لهم في ذلك قاله سعيد بن جبير وغيره وقال الضحاك كانوا قبل المبعث يتحرجون من الاكل مع هؤلاء تقذرا او تعززا ولئلا يتفضلوا عليهم فانزل الله هذه الاية وقوله ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم انما ذكر هذا وهو معلوم ليعطف عليه غيره في اللفظ وليساوي به ما بعده في الحكم ويتضمن هذا بيوت الابناء لانه لم ينص عليهم ولهذا استدل بهذا من ذهب الى ان مال الولد بمنزلة مال ابيه وقد جاء في المسند والسنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انت ومالك لابيك وقوله او بيوت آبائكم الى قوله او ما ملكتم مفاتحه ظاهر وقد استدل به من يوجب نفقة الاقارب بعضهم على بعض كما هو مذهب ابي حنيفة واحمد واما قوله او ما ملكتم مفاتحه فقال سعيد بن جبير والسدي هو خادم الرجل من عبد وقهرمان فلا بأس ان يأكل مما استودعه من الطعام بالمعروف وقالت عائشة كان المسلمون يرغبون في النفير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدفعون مفاتحهم الى ضمنائهم ويقولون قد احللنا لكم ان تأكلوا ما احتجتم اليه فكانوا يقولون انه لا يحل لنا ان نأكل انهم اذنوا لنا عن غير طيب انفسهم وانما نحن امناء فانزل الله او ما ملكتم مفاتحه وقوله او صديقكم اي بيوت اصدقائكم واصحابكم فلا جناح عليكم في الاكل منها اذا علمتم ان ذلك لا يشق عليهم ولا يكرهونه في ذلك قال قتادة اذا دخلت بيت صديقك فلا بأس ان تأكل بغير اذنه وقوله ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا قال قتادة كان هذا الحي من بني كنانة لا يأكل احدهم وحده في الجاهلية حتى يجد ضيفا يأكل معه فربما يسوق الذود الحفل معه وهو جائع لا يأكل حتى يجد من يؤاكله ويشاربه فانزل هذه الاية وعن ابن عباس قال كان الغني يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه الى الطعام فيقول اني اتحرج ان آكل معك وانا غني وانت فقير فنزلت هذه الاية فهذا رخصة من الله ان يأكل الرجل وحده ومع الجماعة وان كان الاكل مع الجماعة افضل وابرك روي ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله انا نأكل ولا نشبع قال فلعلكم تفترقون قالوا نعم قال فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه رواه احمد وابو داود وقوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال سعيد بن جبير وغير واحد يعني ليسلم بعضكم على بعض وقال جابر بن عبد الله اذا دخلت على اهلك فسلم عليهم وهذا امر استحباب قال مجاهد واذا دخلت وليس فيه احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وبه قال قتادة وقوله تحية من عند الله مباركة طيبة اي حسنة جميلة وفسر ذكر البركة والطيب ههنا لما فيه من الثواب والاجر وقوله كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون لما ذكر تعالى في هذه السورة من الاحكام المحكمة والشرائع المتقنة المبرمة نبه تعالى على انه يبين لعباده الآيات بيانا شافيا ليتدبروها ويتعقلوها

انما المؤمنون الذين يؤمنون بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه ان
الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت
منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم هذا ادب آخر ارشد الله اليه عباده المؤمنين وكما امرهم بالاستيذان
عند الدخول كذلك امرهم بالاستيذان عند الانصراف لا سيما اذا كانوا في امر جامع اي اجتمعوا عليه مع الرسول عليه الصلوة
والسلم من صلوة جمعة او عيد او جماعة او اجتماع لمشورة ونحو ذلك امرهم الله ان لا يتفرقوا عنه والحالة هذه الا بعد استيذانه
ومشاورته وان من يفعل ذلك فهو من المؤمنين الكاملين ثم امر تعالى رسوله اذا استاذنه احد منهم في ذلك ان ياذن له ان شاء ولهذا
قال فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انتهى
احدكم الى المجلس فليسلم فاذا اراد ان يقوم فليسلم فليست الاولى باحق من الآخرة رواه احمد وابو داود والترمذي وحسنه
والنسائي لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر
الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم قال ابن عباس كانوا يقولون يا محمد يا ابا القاسم
فنهاهم الله عن ذلك اعظاما لنبيه عليه الصلوة والسلم قال فقولوا يا نبي الله يا رسول الله قال قتادة امر الله ان يهاب نبيه
وان يبجل وان يعظم وان يسود كما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الآية وقال ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون الآية وهذا من باب الادب في مخاطبته عليه الصلوة والسلم والكلام معه وعنده وقيل المعنى
لا تعتقدوا ان دعاءه على احد كدعاء غيره فان دعاءه مستجاب فاحذروا ان يدعو عليكم فتهلكوا هكذا عن ابن عباس واتباعه
وقوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قال مقاتل بن حيان المنافقون كان يثقل عليهم الحديث يعني الخطبة يوم الجمعة فيلوذون
ويستترون ببعض الصحابة حتى يخرجوا من المسجد وكان لا يصلح للرجل ان يخرج من المسجد يوم الجمعة حالة الخطبة الا باذن
منه عليه الصلوة والسلم وكان بعضهم يلوذ ببعض حتى يتغيبوا عنه فلا يراهم ومعنى يتسللون يخرجون خفية قال مجاهد
لواذا اي خلافا وقوله فليحذر الذين يخالفون عن امره اي امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سبيله ومنهاجه وطريقته
وشريعته كما ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد فليحذر وليخش
من خالف شريعة الرسول باطنا وظاهرا ان تصيبهم فتنة في قلوبهم من كفر او نفاق او بدعة او يصيبهم عذاب اليم اي في
الدنيا بقتل او حد او حبس او نحو ذلك وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد
نارا فلما اضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب اللاتي يقعن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه
فيتقحمن فيها قال فذلك مثلي ومثلكم انا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار فتغلبوني تقحمون فيها الا ان لله ما في
السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم
اخبر تعالى انه مالك السموات والارض وانه عالم الغيب وما يعمل العباد سرا وجهرا فقوله قد يعلم ما انتم عليه اي هو عالم به مشاهد
له لا يعزب عنه مثقال ذرة كما قال تعالى وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم الآية وقال وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها
الا هو ونحوها من الآيات البينات وقوله ويوم يرجعون اليه اي ويوم يرجع الخلائق الى الله وهو يوم القيمة فينبئهم بما عملوا
اي يخبرهم بما فعلوا في الدنيا من جليل وحقير وصغير وكبير كما قال ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم واخر ولهذا قال والله بكل شيء
عليم وفي بعض السنن عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن

الغزل

الامر الجامع الذي يجمع له الناس
فوصف الامر بالجامع على سبيل
المجاز او الامر الذي يعم بضرره
ونفعه وقالوا كذلك ينبغي ان يكون الناس
مع ائمتهم ومقدميهم بالعلم والدين

يتسللون ينسلون قليلا قليلا و
اللواذ الملاوذة وهو ان يلوذ
هذا بذاك وذاك بهذا يعني يتسللون
عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة
واستتار بعضهم ببعض ولواذا حال اي
ملاوذين

يقال خالفه الى الامر اذا ذهب
اليه دونه وخالفه عن الامر اذا صد عنه
دونه ومعنى الذين يخالفون عن امره
الذين يصدون عن امره دون المؤمنين
وهم المنافقون فحذف المفعول لان
الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه

والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم
ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه
يجوز ان يكونا جميعا للمنافقين
على طريق الالتفات ويجوز ان يكون
ما انتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين

الغزل وسورة النور تفسير سورة الفرقان مكية وهي بسم الله الرحمن الرحيم
تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات والارض ولم
يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا يحمد الله نفسه الكريمة على ما نزله على رسوله
من القرآن العظيم كما قال تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب وتبارك تفاعل من البركة المستقرة الدائمة الذي نزل الفرقان
نزل فعل من التكرر والتكثر كما قال والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل لان الكتب المتقدمة كانت تنزل جملة
واحدة والقرآن نزل منجما مفرقا متصلا آيات بعد آيات واحكاما بعد احكام وسورا بعد سور وهذا ابلغ واشد اعتناء بمن
انزل عليه كما قال في اثناء السورة وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة الآية ولهذا سماه ههنا الفرقان لانه يفرق
بين الحق والباطل والهدى والضلال والغي والرشاد وقوله على عبده صفة مدح وثناء لانه اضافه الى عبوديته كما وصفه
بها في ليلة الاسراء فقال سبحان الذي اسرى بعبده ليلا وذلك اشرف احواله وقوله ليكون للعالمين نذيرا اي انما خصه بهذا
الكتاب العظيم المفصل الذي جعله قرآنا عظيما انما خصه ليخصه بالرسالة الى من يستظل بالخضراء ويستقل بالغبراء كما
قال عليه الصلوة والسلم بعثت الى الاحمر والاسود وقال تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وقوله الذي له
ملك السموات والارض اي الذي جعله نذيرا للعالمين هو مالك السموات والارض من غير ان يكون له ولد ولم يكن له شريك في الملك
فنزه نفسه عن الولد وعن الشريك ثم اخبر انه خلق كل شيء فقدره تقديرا اي كل شيء سواه مخلوق مربوب وهو خالق كل شيء و
ربه ومليكه والهه فقدره تقديرا من الاجل والرزق فجرت المقادير على ما خلق واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا
وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا اخبر تعالى عن جهل المشركين الذين
عبدوا الاصنام دون الله الذي هو خالق كل شيء واتخذوا آلهة لا يقدرون على خلق جناح بعوضة بل هم مخلوقون ولا يملكون
لانفسهم ضرا ولا نفعا اي دفع ضر ولا جر نفع ولا يملكون موتا ولا حيوة اي اماتة واحياء ولا نشورا اي بعثا بعد الموت يعني ليس
لهم من ذلك شيء بل مرجع ذلك كله الى الله فهو الذي يحيي ويميت ويعيد الخلائق يوم القيمة اولهم وآخرهم فهو الله الذي لا اله
غيره ولا رب سواه وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتريه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا
وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه
كان غفورا رحيما اخبر تعالى عن سخافة عقول الجهلة من الكفار في قولهم عن القرآن ان هو الا افك افتريه يعنون النبي صلى الله عليه
وسلم واعانه عليه اي واستعان على جمعه بقوم آخرين قال تعالى فقد جاؤا ظلما وزورا اي فقد افتروا قولا باطلا يعلمون بطلانه و
يعرفون كذب انفسهم فيما يزعمونه وقالوا اساطير الاولين اكتتبها يعنون كتب الاولين استنسخها فهي تملى عليه اي تقرا عليه بكرة و
اصيلا اي في اول النهار وآخره وقد نشا بين اظهرهم من اول مولده الى ان بعثه الله على راس اربعين سنة وهم يعرفون مدخله و
مخرجه وصدقه وبره وامانته ونزاهته من الكذب والفجور وسائر الاخلاق الرذيلة حتى انهم لم يكونوا يسمونه الا الامين
لما يعلمون من صدقه وبره فلما اكرمه الله بما اكرمه به نصبوا له العداوة ورموه بهذه الاقوال التي يعلم كل عاقل براءته منه
قال تعالى في جوابهم قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض اي قل يا محمد انزل القرآن المشتمل على اخبار الاولين والآخرين
اخبارا حقا صدقا ماضيا ومستقبلا الله الذي يعلم الغيب في السموات والارض ويعلم السرائر كما يعلم الظواهر وقوله انه كان غفورا
رحيما دعاء لهم الى الانابة والتوبة واخبار بان رحمته واسعة وحلمه عظيم وان من تاب اليه تاب عليه فهؤلاء مع كفرهم و

البركة كثرة الخير وزيادته
فتبارك الله اي تزايد خيره
وتكاثر او تزايد عن كل شيء
وتعالى عنه في صفاته وافعاله

الضمير في ليكون لعبده
او للفرقان نذيرا اي منذرا
او مخوفا او انذارا
كالنكير بمعنى الانكار
المحكمة

فان قلت في الخلق معنى التقدير فما معنى قوله و
خلق كل شيء فقدره تقديرا قلت المعنى انه احدث
كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية
فقدره وهياه لما يصلح له مثاله انه خلق
الانسان على هذا الشكل المقدر المسوى
الذي تراه فقدره للتكاليف المنوطة به
في بابي الدين والدنيا او اوجد كل شيء
فقدره في ايجاده لم يوجده متفاوتا

اساطير الاولين ما سطره المتقدمون
من نحو احاديث رستم واسفنديار
جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة
اكتتبها كتبها لنفسه واخذها

لفرهم وعنادهم يدعوهم الى التوبة والاقلاع عما هم فيه الى الاسلام والهدى كما قال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد الى قوله رحيم قال الحسن البصري انظروا الى هذا الكرم والجود قتلوا اولياءه وهو يدعوهم الى التوبة والرحمة وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا اخبر تعالى عن تعنت الكفار وعنادهم وتكذيبهم للحق بلا حجة ولا دليل منهم وانما تعللوا بقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام يعنون كما نأكله ويحتاج اليه كما نحتاج اليه ويمشي في الاسواق اي يتردد فيها واليها للتكسب والتجارة لولا انزل اليه ملك اي هلا انزل اليه ملك من عند الله فيكون له شاهدا على صدق ما يدعيه وهذا كما قال فرعون لولا القي عليه اسورة من ذهب الاية كذلك قال هؤلاء على السواء تشابهت قلوبهم ولهذا قالوا او يلقى اليه كنز اي علم كنز يكون ينفق منه او تكون له جنة يأكل منها اي يسير معه حيث سار وهذا كله سهل على الله ولكن له الحكمة في ترك ذلك وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا اي تحدثوا وعما صرفوا عن الحق قال الله انظر كيف ضربوا لك الامثال اي جاؤوا بما يقذفونك به ويكذبون به عليك من قولهم ساحر مسحور مجنون كذاب شاعر وكلها اقوال باطلة يعلم ذلك كل من كان له ادنى فهم ولهذا قال فضلوا اي عن طريق الهدى فلا يستطيعون سبيلا وذلك لان كل من خرج عن الحق فانه ضال حيثما توجه لان الحق واحد ومنهج متحد يصدق بعضه بعضا ثم اخبر نبيه انه ان شاء لاتاه خيرا مما يقولون في الدنيا وافضل فقوله تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا اي في الدنيا وقريش يسمون كل بيت من حجارة قصرا سواء كان صغيرا او كبيرا قاله مجاهد وقال خيثمة قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان شئت ان نعطيك خزائن الارض ومفاتيحها ما لم نعط نبيا قبلك ولا نعطي احدا من بعدك ولا ينقص ذلك مما لك عند الله فقال اجمعوها لي في الاخرة فانزل الله هذه الاية وقوله بل كذبوا بالساعة اي انما يقول هؤلاء هذا تكذيبا وعنادا لا انهم يطلبون ذلك تبصرا واسترشادا بل تكذيبهم بالحشر يحملهم على هذه الاقوال واعتدنا اي ارصدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اي عذابا اليما لا يطاق في نار جهنم ل السعير واد من قيح جهنم وقوله اذا رأتهم من مكان بعيد في المحشر قال من مسيرة مائة سنة سمعوا لها تغيظا وزفيرا اي غليانا صددا من الغضب وصوتا من الاحتراق وهذا من قبل سعتها اسفا ل ابن عباس ان العبد ليجر الى النار فتشهق اليه شهقة البغلة الى الشعير ثم تزفر زفرة لا يبقى احد الا خاف وقال عبيد بن عمير ان جهنم تزفر زفرة لا يبقى ملك ولا نبي الا خر ترعد فرائصه حتى ان ابرهيم عليه السلم ليخر على ركبتيه ويقول رب لا اسالك اليوم الا نفسي وقوله واذا القوا منها مكانا ضيقا اي مثل الزج في الرمح من ضيقه وعن يحيى بن اسيد مرفوعا ل والذي نفسي بيده ليستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط وقوله مقرنين اي مصفدين قرنت ايديهم الى اعناقهم في الاغلال وقيل اي مع الشياطين في السلاسل دعوا هنالك ثبورا اي بالويل والحسرة والخيبة لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا ل ابن عباس يقال لهم لا تدعوا اليوم ويلا واحدا وادعوا ويلا كثيرا والثبور الهلاك والويل الخسار وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اول من يكسى حلة من النار ابليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من بعده وهو

ينادي

فيكون قرئ بالرفع والنصب اما النصب فلانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على انه معطوف على انزل ويلقى ويكون ايضا عطف على انزل فلا يجوز فيهما النصب لانهما في حكم الواقع بعد لولا واراد بالظالمين اياهم باعيانهم ووضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا

ضيقا

عنوا بتلك الامثال اي قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك والقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون عليه او فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا اليه

فاحت القدور غلت وكذلك فاحت الشجة السعير النار الشديدة واذا ... الاسعار وعن الحسن انه اسم من اسماء جهنم واذا رأتهم اي اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر والزفير اغراق النفس للشدة والزفير اول صوت الحمار والشهيق اخره لان الزفير ادخال النفس والشهيق اخراجه

بل كذبوا بالساعة فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال فطعنوا فيك لفقرك

ودعاء الثبور ان يقول واثبوراه لا تدعوا اي يقال لهم ذلك ... بان يقال لهم ...

ينادي يا ثبوراه وينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فيقول يا ثبوراه ويقولون يا ثبورهم فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا رواه احمد وابن جرير قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك وعدا مسؤولا اي قل يا محمد اهذا الذي وصفنا من حال هؤلاء الاشقياء خير ام جنة الخلد التي وعدها الله للمتقين من عباده وجعلها لهم جزاء على ما اطاعوه في الدنيا لهم فيها ما يشاؤون من الملاذ مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب احد وهم في ذلك خالدون ابدا متنعمون سرمدا وهذا من وعد الله الذي تفضل به عليهم واحسن به اليهم ولهذا قال كان على ربك وعدا مسؤولا اي لا بد ان يقع كما قيل اي وعدا واجبا وقال ابن عباس سلوا الذي وعدتكم تنجزوه لكم وقال القرظي ان الملائكة تسال لهم ذلك ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وقال ابو حازم اذا كان يوم القيمة قال المؤمنون ربنا عملنا لك الذي امرتنا فانجز لنا ما وعدتنا فذلك قوله وعدا مسؤولا وهذا المقام في هذه السورة من ذكر النار ثم التنبيه على حال اهل الجنة كما ذكر تعالى في سورة الصافات حال اهل الجنة وما فيها من النضرة والحبور ثم قال اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم الى قوله يهرعون ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا اخبر تعالى عما يقع يوم القيمة من تقريع الكفار في عبادتهم غير الله من الملائكة وغيرهم بقوله ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله قال مجاهد هو عيسى وعزير والملائكة فيقول ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل اي فيقول الرب تعالى للمعبودين ءانتم دعوتم هؤلاء الى عبادتكم من دوني ام هم عبدوكم من تلقاء انفسهم كما قال تعالى واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله الاية ولهذا اخبر عما يجيبون يوم القيمة بقوله قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء قرا الاكثرون نتخذ بفتح النون اي ليس للخلائق كلهم ان يعبدوا احدا سواك لا نحن ولا هم فنحن ما دعوناهم الى ذلك بل هم فعلوا ذلك من عند انفسهم نحن براء منهم ومن عبادتهم كما قال تعالى ويوم يحشرهم جميعا الاية وقرا آخرون ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء بضم النون وفتح الخاء اي ما ينبغي لاحد ان يعبدنا فانا عبيد لك فقراء اليك وهو قريب من المعنى الاول ولكن متعتهم واباءهم حتى طال عليهم العمر اي نسوا الذكر وكانوا قوما بورا قال ابن عباس اي هلكى وقال الحسن ومالك عن الزهري اي لا خير فيهم وقال ابن الزبعرى حين اسلم يا رسول المليك ان لساني راتق ما فتقت اذ انا بور اذ اجاري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثبور قال تعالى فقد كذبوكم بما تقولون اي فقد كذبكم الذين عبدتم فيما زعمتم انهم لكم اولياء وانكم اتخذتموهم قربانا يقربونكم اليه زلفى وقوله فما تستطيعون صرفا ولا نصرا اي لا يقدرون على صرف العذاب عنهم ولا الانتصار لانفسهم ومن يظلم منكم اي يشرك بالله نذقه عذابا كبيرا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك بصيرا اخبر تعالى عن جميع من بعثه من الرسل انهم كانوا يأكلون الطعام ويمشون في الاسواق اي للتكسب والتجارة وليس ذلك بمناف لحالهم ومنصبهم فان الله جعل لهم من الاقوال الفاضلة والاعمال الكاملة والسمات الحسنة والادلة الباهرة ما يستدل به كل ذي لب سليم على صدق ما جاؤوا به من الله تعالى وقوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون اي اختبرنا وبلونا بعضكم ببعض لنعلم الطائع من العاصي ولهذا قال اتصبرون وكان ربك بصيرا اي بمن يستحق ان يوحي الله

علم بالحق والفروج جعلنا بعضكم لبعض فتنة ليعلم ...

روى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن ربه تعالى قال ان من عبادي المومنين
من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادي المومنين من لا يصلح
ايمانه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك وان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا الصحة
ولو اسقمته لافسده ذلك وان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا السقم ولو اصححته لافسده
ذلك اني ادبر عبادي بعلمي بقلوبهم اني بهم عليم خبير

كما قال الله اعلم حيث يجعل رسالاته ومن يستحق ان يهديه الله مما ارسلهم به وممن لا يستحق ذلك قال ابن اسحق في هذه الآية يقول الله لو شئت ان اجعل الدنيا مع رسلي لا يخالفون لفعلت ولكني قد اردت ان ابتلي العباد بهم وابتليكم بهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله اني مبتليك ومبتل بك رواه مسلم وفي المسند انه عليه الصلوة والسلم قال لو شئت لاجرى الله معي جبال الذهب والفضة وفي الصحيح انه عليه الصلوة والسلم خير بين ان يكون نبيا ملكا او عبدا رسولا فاختار ان يكون عبدا رسولا وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملئكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملئكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا يخبر تعالى عن تعنت الكفار في كفرهم وعنادهم في قولهم لولا انزل علينا الملئكة اي بالرسالة كما تنزل على الانبياء كما اخبر عنهم في آية اخرى قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله ويحتمل ان يكون مرادهم ههنا لولا انزل علينا الملئكة فنريهم عيانا فيخبرونا ان محمدا رسول الله كقولهم حتى يأتي بالله والملئكة قبيلا وسبق تفسيره في سورة سبحان ولهذا قالوا او نرى ربنا وقوله لقد استكبروا اي تعظموا في انفسهم بهذه المقالة وعتوا عتوا اي طغوا طغيانا وعلوا في القول والعتو اشد الكفر وافحش الظلم وذلك ظلمهم رؤية الله حتى يؤمنوا به وقوله يوم يرون الملئكة لا بشرى يومئذ اي هم لا يرون الملئكة في يوم خير لهم بل يوم يرون الملئكة لا بشرى يومئذ لهم وذلك يصدق على وقت الاحتضار حين يبشرهم الملئكة بالنار وغضب الجبار فيقول الملئكة للكافر عند خروج روحه اخرجي ايتها النفس الخبيثة في الجسد الخبيث اخرجي الى سموم وحميم وظل من يحموم فتابى الخروج وتتفرق في البدن فيضربونه كما قال تعالى يضربون وجوههم وادبارهم وقيل بل المراد بقوله يوم يرون الملئكة يوم القيمة ولا منافاة بينهما فان الملئكة في هذين اليومين يتجلى للمومنين وللكافرين فيبشر المومنين بالرحمة والرضوان ويخبر الكافرين بالخيبة والخسران فلا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا اي يقول الملئكة للكفار حرام محرم عليكم الفلاح اليوم واصل الحجر المنع والضمير في قوله يقولون للملئكة قاله المكرون واختاره ابن جرير وقال ابن جريج ذلك من كلام المشركين يوم يرون الملئكة يقولون حجرا محجورا اي يتعوذون من الملئكة وذلك ان العرب اذا نزل باحدهم نازلة او شدة يقول حجرا محجورا وهذا بعيد والجمهور على خلافه وعن مجاهد انه قال معناه عوذا معاذا وهذا قريب من قول ابن جريج وقيل عوذا معاذا يقوله الملئكة وقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا هذا يوم القيمة حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من خير وشر فاخبر انه لا يتحصل لهؤلاء المشركين من الاعمال التي ظنوا انها منجاة لهم شيء وذلك لفقدان الشرط الشرعي وهو الاخلاص والمتابعة للشرع ولهذا قال فجعلناه هباء منثورا ومعنى قدمنا عمدنا واتينا وقال علي رضي الله عنه هباء منثورا شعاع الشمس اذا دخل في الكوة وعن ابن عباس وكثير مثله وعنه قال هو الماء المهراق وقيل وهو الدواب وقيل الورق اليابس من الشجر اذا ذرته الريح وقيل الرماد وحاصل ذلك ان مضمون الآية انهم عملوا اعمالا اعتقدوا انها شيء وفي الواقع ليست بشيء وشبهت بالشيء الحقير المتفرق الذي لا يقدر صاحبه منه على شيء بالكلية كما قال تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد الآية وقال والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة الآية وقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا اي يوم القيمة لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون وذلك ان اهل الجنة يصيرون الى الدرجات العاليات فهم في مقام امين حسن المنظر طيب المقام خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما واهل النار يصيرون الى الدركات السافلات وانواع العذاب والعقوبات انها ساءت مستقرا ومقاما اي بئس المنزل منظرا وبئس المقيل

لا يامنون لقاءنا بالخير لكفرهم بالغيب
او لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة
تهامة واصل اللقاء الوصول الى
الشيء ومنه الرؤية فانه الوصول الى
المرئي والمراد به الوصول الى
جزائه

اي انهم اضمروا الاستكبار
عن الحق وهو الكفر والعناد
في قلوبهم واعتقدوه وتجاوزوا
الحد في الظلم بقولهم لم يجسروا على هذا
القول العظيم الا لانهم بلغوا غاية الاستكبار
واقصى العتو ونهى من التعجب اي ما
اشد استكبارهم وما اكبر عتوهم

كما قاله

ابر و عونا الى ما عملوا اي كبرهم من المكارم
كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف
فاحبطناها لفقدها ما هو شرط اعتبارها وهو
[illegible] اعمالهم بحال يوم [illegible]
[illegible] الاسباب بهم [illegible]
[illegible] والهباء غبار يرى في شعاع
الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهو الغبار
ومنثورا صفته شبه عملهم المحبط في حقارته
وعدم نفعه ثم بالمنثور منه في انتشاره بحيث
لا يمكن نظمه [illegible]

[illegible] ان اهل الجنة لا يمر بهم الا قدر النهارين من اوله الى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة روى ان يوم القيمة يقصر على المومنين حتى يكون كما بين العصر الى غروب الشمس وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال [illegible] [illegible]

ولهذا قال تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا اي موضع قائلة ومأوى ومنزلا يعني ان اهل الجنة لا يمر بهم يوم القيمة الا قدر النهار من اوله الى وقت القيلولة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة وقال ابن مسعود لا ينتصف النهار حتى يقيل هؤلاء وهؤلاء ثم قرأ اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا اي بما عملوه من الاعمال المتقبلة نالوا ما نالوا وصاروا الى ما صاروا اليه بخلاف اهل النار فانه ليس لهم عمل واحد يقتضي لهم دخول الجنة والنجاة من النار فنبه بحال السعداء على حال الاشقياء وانه لا خير عندهم بالكلية ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملئكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا اخبر تعالى عن هول يوم القيمة وما كان فيه من الامور العظيمة كانشقاق السماء وتفطرها وانفجارها بالغمام ونزول ملئكة السموات يومئذ فيحيطون بالخلائق في مقام المحشر ثم يجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء قال مجاهد وهذا كما قال تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملئكة الآية قال ابن عباس يجمع الله الخلق يوم القيمة في صعيد واحد الجن والانس والبهائم والسباع والطير وجميع الخلق فتنشق السماء الدنيا فينزل اهلها وهم اكثر من الجن والانس ومن جميع الخلائق فيحيطون بهم ثم تنشق السماء الثانية فينزل اهلها وهم اكثر من اهل السماء الدنيا ومن الجن والانس ومن جميع الخلق فيحيطون بالملئكة الذين نزلوا قبلهم وبالجن والانس وجميع الخلق ثم تنشق السماء الثالثة فينزل اهلها وهم اكثر من اهل السماء الثانية والسماء الدنيا وجميع الخلق فيحيطون بهم ثم كذلك كل سماء حتى تنشق السماء السابعة وهم اكثر ممن نزل قبلهم من اهل السموات ومن الجن والانس ومن جميع الخلق فيحيطون بهم وربنا عز وجل في ظلل من الغمام وحوله الكروبيون وهم اكثر من اهل السموات السبع والجن والانس وجميع الخلق لهم قرون ككعوب القنا وهم تحت العرش لهم زجل بالتسبيح والتهليل والتقديس لله تعالى ما بين اخمص قدم احدهم الى كعبه مسيرة خمسمائة عام وما بين كعبه وركبته مسيرة خمسمائة عام وما بين ركبته الى اربيته وهو فخذه خمسمائة عام وما بين اربيته الى ترقوته مسيرة خمسمائة عام وما بين ترقوته الى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام وما فوق ذلك خمسمائة عام هكذا رواه ابن ابي حاتم وقوله الملك يومئذ الحق للرحمن كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اي الملك الذي هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيمة وفي الصحيح ان الله يطوي السموات بيمينه ويأخذ الارضين بيده الاخرى ثم يقول انا الملك انا الديان اين ملوك الارض اين الجبارون اين المتكبرون وقوله وكان يوما على الكافرين عسيرا اي شديدا صعبا لانه يوم عدل وقضاء فصل فهذا حال الكافرين في ذلك اليوم فاما المومنون فكما قال الله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملئكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون وعن ابي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله يوم كان مقداره خمسين الف سنة ما اطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة يصليها في الدنيا وقوله ويوم يعض الظالم على يديه اخبر تعالى عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول وما جاء به من عند الله من الحق المبين الذي لا شك فيه وسلك طريقا اخرى غير سبيل الرسول فاذا كان يوم القيمة ندم حيث لا ينفعه الندم وعض على يديه حسرة واسفا وسواء كان سبب نزولها عقبة بن ابي معيط او غيره من الاشقياء فانها عامة في كل ظالم كما قال تعالى يوم تقلب وجوههم في النار الآية فكل ظالم يندم يوم القيمة غاية الندم ويعض على يديه قائلا يا ليتني اتخذت اي في الدنيا مع الرسول سبيلا اي ليتني اتبعت محمدا واتخذت معه سبيلا الى الهدى يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يعني الذي

اي ليتني في سبيل فليتني حصلت لنفسي في صحبة الرسول سبيلا

قال الازهري القيلولة عند العرب الاستراحة نصف النهار وان لم يكن مع ذلك نوم [illegible]

لما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها
جعل الغمام كانه الذي تشق به السماء والمعنى
ان السماء تنفتح بغمام تخرج منها وفي الغمام الملئكة
ينزلون وفي ايديهم صحائف اعمال العباد

قال ابن عمر يهبط الله حين يهبط وبينه وبين خلقه
سبعون الف حجاب منها النور والظلمة والماء
فيصوت الماء في تلك الظلمة صوتا تنخلع له القلوب و
نزل الملئكة تنزيلا

الظلل الظلة والغمام السحاب

الكعب العظم الناشز عند ملتقى الساق
والقدم وكعوب الرمح النواشز في اطراف
الانابيب

وحجزتهم محتبية
حجزت المحيض [illegible]
[illegible]

عض اليد والانامل كناية عن الغيظ والحسرة لانه
من روادفهما فذكر الرادفة ودل بها على
المردوف

صرفه عن الهدى وعدل به الى طريق الضلالة امية بن خلف واقرانه لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني اى بعد بلوغه الي وكان الشيطان للانسان خذولا اى يخذله عن الحق ويصرفه عنه ويستعمله في الباطل ويدعوه اليه وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا اخبر تعالى عن رسوله محمد صلى الله عليه وسلم انه قال يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا وذلك ان المشركين كانوا لا يصغون للقرآن ولا يستمعونه بل كانوا اذا تلي عليهم القرآن اكثروا اللغط والكلام في غيره حتى لا يسمعوه فهذا من هجرانه كما ان ترك تعلمه وحفظه من هجرانه ايضا وكذلك ترك الايمان به وتصديقه وترك العمل به من امتثال اوامره ونواهيه من هجرانه وقوله كذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين اى كما حصل لك يا محمد في قومك من الذين هجروا القرآن كذلك كان في الامم الماضية لان الله جعل لكل نبي عدوا من المجرمين يدعون الناس الى ضلالهم وكفرهم ولهذا قال وكفى بربك هاديا ونصيرا اى لمن اتبع رسوله وامن بكتابه وصدقه واتبعه فان الله هاديه وناصره في الدارين وانما قال هاديا ونصيرا لان المشركين كانوا يصدون الناس عن اتباع القران لئلا يهتدي احد به ولتغلب طريقتهم طريقة القرآن وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل سبيلا اخبر تعالى عن كثرة اعتراض الكفار وتعنتهم وكلامهم فيما لا يعنيهم حيث قالوا لولا نزل عليه هذا الكتاب الذي اوحي اليه جملة واحدة كما نزلت الكتب قبله كالتورية والانجيل والزبور فاجابهم تعالى عن ذلك بانه انما نزل منجما في ثلث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث وما يحتاج اليه من الاحكام ليثبت قلبك وقلوب المؤمنين به ورتلناه ترتيلا اى بيناه تبيينا وفسرناه تفسيرا ولا يأتونك بمثل اى بحجة وشبهة الا جئناك بالحق اى لا يقولون قولا يعارضون به الحق الا اجبناهم بما هو الحق في نفس الامر واوضح وافصح من مقالتهم واحسن تفسيرا اى بيانا وتفصيلا وفي انزال جبرئيل عن الله بجوابهم دليل اعتناء بشرف الرسول عليه الصلوة والسلام حيث كان يأتيه الوحي بالقرآن صباحا ومساء ليلا ونهارا فكل مرة كان يأتيه الملك بالقرآن كانزال الكتاب مما قبله من الكتب المتقدمة فهذا المقام اعلا واجل من مقام سائر الانبياء عليهم السلام فالقرآن اشرف كتاب انزله الله ومحمد عليه الصلوة والسلام اعظم وافضل نبي ارسله الله وقد جمع الله للقرآن الصفتين معا ففي الملأ الاعلى انزل جملة من اللوح المحفوظ الى بيت العزة من سماء الدنيا ثم نزل بعد ذلك الى الارض بحسب الوقائع والحوادث قال ابن عباس انزل القرآن جملة الى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة رواه النسائي ثم ذكر ما هؤلاء المشركين فقال الذين اى هم الذين يحشرون على وجوههم فيساقون ويجرون الى جهنم اولئك شر مكانا اى مكانه ومنزله وتعالى مرة ومصيرا واضل سبيلا اى اخطأ طريقا ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم وجعلناهم للناس اية واعتدنا للظالمين عذابا اليما وعادا وثمودا واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا ولقد اتوا على القرية التي امطرت مطر السوء افلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا هذا وعيد من الله لمن كذب رسوله من مشركي قريش ومن خالفه وتحذير لهم من عقابه فيما احل بالامم الماضية المكذبين لرسله فبدأ بذكر موسى وانه ابتعثه وجعل معه اخاه هرون وزيرا اى نبيا موازرا ومؤيدا وناصرا فكذبهما فرعون وجنوده فدمر الله عليهم اى اهلكهم اهلاكا كما فعل باشباههم وكذلك فعل

وحكم هذه الآيات عام في كل متحابين اجتمعا على معصية الله عن ابي موسى انه قال صلعم مثل جليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما ان يحذيك واما ان تبتاع منه واما ان تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد ريحا خبيثة وعن ابي سعيد عنه صلعم انه قال لا تصاحب الا مؤمنا ولا ياكل طعامك الا تقي منه علم

بقوم نوح حين كذبوا نوحا ومن كذب رسولا فقد كذب جميع الرسل اذ لا فرق بين احد من رسله اذ لو فرض ان الله بعث اليهم كل رسول فانهم كانوا يكذبونه ولهذا قال وقوم نوح لما كذبوا الرسل ولم يبعث اليهم الا نوح فقط وقد لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى ويحذرهم نقمته فما آمن معه الا قليل ولهذا اغرقهم الله جميعا ولم يبق منهم ومن سائر بني ادم سوى اصحاب السفينة فقط وجعلناهم للناس اية اى عبرة يعتبرون بها كما قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة اى وابقينا لكم من السفن ما تركبون في لجج البحار لتذكروا نعمة الله عليكم في انجائكم من الغرق وقوله وعادا وثمود اسبق من قصتهما في مواضع منها سورة الاعراف ما يغني عن اعادته واما اصحاب الرس قال ابن عباس هم اهل قرية من قرى ثمود وقيل نخل من قرى اليمامة وهم اصحاب ياسين وعن ابن عباس ايضا رس بئر باذربيجان وقال عكرمة الرس بئر رسوا فيها نبيهم اى دفنوه بها واختار ابن جرير ان المراد باصحاب الرس هم اصحاب الاخدود الذين ذكروا في سورة البروج والله اعلم وقوله وقرونا بين ذلك كثيرا اى وامما من اضعاف من ذكر اهلكناهم كثيرة ولهذا قال وكلا ضربنا له الامثال اى بينا لهم الحجج واوضحنا لهم الادلة وازحنا عنهم الاعذار وكلا تبرنا تتبيرا اى اهلكنا اهلاكا كقوله وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح والقرن هو الامة من الناس واظهر الاقوال ان القرن هم الامة المتعاصرون في الزمن الواحد فاذا ذهبوا وخلفهم جيل اخر فهم قرن اخر كما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم الحديث وقوله ولقد اتوا على القرية التي امطرت مطر السوء يعني قرية قوم لوط وهي سدوم ومعاملتها التي اهلكها الله بالقلب وبالمطر الحجارة من سجيل ولهذا قال افلم يكونوا يرونها اى فيعتبروا بما حل باهلها من العذاب والنكال بسبب تكذيبهم بالرسول ومخالفتهم اوامر الله وقوله بل كانوا لا يرجون نشورا اى المارين بها من الكفار لا يعتبرون لانهم لا يرجون نشورا اى معادا يوم القيمة واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا اخبر تعالى عن استهزاء المشركين بالرسول عليه الصلوة والسلام اذا راوه كما قال واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث الله رسولا اى يقولون على سبيل التنقص والازدراء كما قال تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك الاية وقوله ان كاد ليضلنا عن الهتنا يعنون انه كاد ان يلهيهم عن عبادة اصنامهم لولا ان صبروا واستمروا على عبادتها قال تعالى متوعدا لهم وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا اى من اخطأ طريقا ثم قال تعالى لنبيه منبها له ان من كتب الله عليه الشقاوة والاضلال فانه لا يهديه احد الا الله ارايت من اتخذ الهه هواه اى مهما استحسن من شيء وراه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ولهذا قال ههنا افانت تكون عليه وكيلا قال ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يعبد الحجر الابيض زمانا فاذا راى غيره احسن منه عبد الثاني وترك الاول ثم قال ام تحسب ان اكثرهم يسمعون ما يقول سماع طالب للافهام او يعقلون اى ما يعاينون من الحجج والادلة والاعلام ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا لان البهائم تهتدي لمشاربها ومراعيها وهؤلاء خلقوا لعبادة الله وحده لا شريك له وهم يشركون به مع قيام الحجة عليهم وارسال الرسل اليهم الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا من ههنا شرع تعالى في بيان الادلة الدالة على وجوده وقدرته التامة على خلق الاشياء المختلفة والمتضادة فقال

المن الى ربك كيف مد الظل قال ابن عباس وكثيرون هو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس ولو شاء لجعله ساكنا اي دائما
لا يزول كما قال قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة وقوله ثم جعلنا الشمس عليه دليلا اي لولا ان الشمس تطلع
عليه لما عرف فان الضد لا يعرف الا بضده وقوله ثم قبضناه اي الظل وقيل الشمس الينا قبضا يسيرا اي سهلا خفيفا سريعا
حتى لا يبقى في الارض ظل الا تحت سقف او شجرة وقيل اي قليلا قليلا وقوله وهو الذي جعل لكم الليل لباسا اي يلبس الوجود
ويغشاها كما قال والليل اذا يغشى والنوم سباتا اي قطعا للحركة لراحة الابدان فان الاعضاء والجوارح تكل من كثرة
الحركة في الانتشار بالنهار في المعايش فاذا جاء الليل وسكن سكنت الحركات فاستراحت فحصل النوم الذي فيه راحة البدن
والروح معا وجعل النهار نشورا اي ينتشر الناس فيه لمعايشهم ومكاسبهم واسبابهم وهو الذي ارسل الرياح بشرا
بين يدي رحمته وانزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا
ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فابى اكثر الناس الا كفورا هذا ايضا من قدرته التامة وهو انه تعالى يرسل
الرياح مبشرات اي بمجيء السحاب بعدها والرياح انواع وصفات كثيرة من التسخير فمنها ما يثير السحاب ومنها ما يحمله
ومنها ما يسوقه ومنها ما يكون بين يدي السحاب مبشرا ومنها ما يكون قبل ذلك يقم الارض ومنها ما يلقح السحاب
ليمطر ولهذا قال وانزلنا من السماء ماء طهورا اي آلة يتطهر بها كالسحور وما جرى مجراه على الاصح وقيل هو فعول
بمعنى فاعل او انه مبني للمبالغة والتعدي فعلى كل منهما اشكالات من حيث اللغة والحكم ليس هذا موضع بسطها والله اعلم
قال ابن المسيب انزل الله ماء طهورا لا ينجسه شيء قال عكرمة ما انزل الله من السماء قطرة الا انبت بها في الارض عشبة
او في البحر لؤلؤة وقال غيره في البر بر وفي البحر در وقوله لنحيي به بلدة ميتا اي ارضا قد طال انتظارها للغيث فهي هامدة
لا نبات فيها ولا شيء فلما جاءها الحيا عاشت واكتست رباها انواع الازاهير والالوان كما قال تعالى فاذا انزلنا عليها
الماء اهتزت وربت الاية وقوله ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا اي وليشرب منه الحيوان من انعام واناسي
محتاجين اليه غاية الحاجة لشربهم وزروعهم وثمارهم وقوله ولقد صرفناه بينهم اي امطرنا هذه الارض دون هذه
وسقنا السحاب يمر على الارض ويتجاوزها الى الارض الاخرى فامطرتها وكفتها فجعلتها غدقا والتي وراءها لم ينزل
منها قطرة من ماء وله في ذلك الحجة البالغة والحكمة القاطعة قال ابن مسعود وابن عباس ليس عام باكثر مطرا
من عام ولكن الله يصرفه حيث يشاء ثم قرا ولقد صرفناه بينهم الاية وقوله ليذكروا اي ليذكروا باحياء الله الارض الميتة
انه قادر على احياء الاموات والعظام الرفات او ليذكر من منع القطر انما اصابه ذلك بذنب اصابه فليقلع عما هو فيه وقوله
فابى اكثر الناس الا كفورا قال عكرمة يعني الذين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وهذا الذي قاله عكرمة كما صح في الحديث ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه على اثر سماء اصابتهم من الليل اتدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال اصبح من
عبادي مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذاك مؤمن بي كافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنوء كذا
وكذا فهو كافر بي مؤمن بالكوكب رواه مسلم ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا
كبيرا وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وهو الذي خلق
من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا اي نذيرا ينذرهم ويدعوهم الى الله ولكنا خصصناك يا محمد
بالبعثة الى جميع اهل الارض وامرناك ان تبلغ الناس هذا القران كما في الصحيحين بعثت الى الاحمر والاسود وايضا فيهما وكان

معناه ان الظل يعم جميع الارض
قبل طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس
قبض الله الظل جزءا فجزءا قبضا يسيرا
اي خفيا

طهورا بليغا في طهارته وعن احمد بن يحيى هو ما كان طاهرا
في نفسه مطهرا لغيره فان كان ما قاله شرحا لبلاغته في
الطهارة كان سديدا ويعضده قوله وينزل عليكم
من السماء ماء ليطهركم به والا فليس فعول من
التفعيل في شيء والطهور على وجهين في العربية
صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك
طاهر والاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء
والوقود لما يتوضا به وتوقد به النار

اصابتهم

فمن نسب الامطار الى الانواء انكارا لا بدانها الا
من الانواء وجحد ان يكون هي والانواء من
خلق الله فهو كافر وان كان يرى ان الله خالقها
وقد نصب الانواء دلائل وامارات عليها
لم يكفر لكن يكره كراهة شديدة لان التكلم بهذه
الكلمة من شعار اهل الجاهلية

النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة ولهذا قال فلا تطع الكافرين وجاهدهم به اي بالقران جهادا كبيرا اي غليظا
وقوله وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات اي خلق الماء بين الحلو والملح فالحلو كالانهار والعيون والابار وهذا هو البحر
الحلو العذب الفرات الزلال قاله ابن جريج واختاره ابن جرير وهو المعنى لا شك فيه فانه هو السائح بين الناس فرقه تعالى بين
خلقه لاحتياجهم اليه انهارا وعيونا في كل ارض بحسب حاجتهم ومصلحتهم وقوله وهذا ملح اجاج اي شديد الملوحة
مر لا يستطاع شربه كالبحار المعروفة في المشارق والمغارب وما شاكلها من البحار الساكنة التي لا تجري ولكن تموج وتضطرب
بحسب الازمان والرياح وفي اكثرها مد وجزر ففي اول كل شهر يحصل منها مد وفيض فاذا شرع الشهر في النقصان جزرت حتى
ترجع الى حدها الاول فاذا استهل هلال الشهر الاخر شرعت في المد الى الليلة الرابعة عشر ثم شرع في النقص الى آخره فاجرى الله
سبحانه العادة بذلك وكل هذه البحار الساكنة خلقها الله مالحة الماء لئلا يحصل بسببها نتن الهواء فيفسد الوجود بذلك ولئلا
يجوى الارض بما يموت فيها من الحيوان ولما كان ماؤها مالحا كان هواها صحيحا وميتتها طيبة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه و
سلم وقد سئل عن ماء البحر انتوضا به هو الطهور ماؤه الحل ميتته رواه اهل السنن وقوله وجعل بينهما اي بين الملح والعذب برزخا
اي حاجزا وهو اليبس من الارض وحجرا محجورا اي مانعا ان يصل احدهما الى الاخر وقوله وهو الذي خلق من الماء بشرا اي خلق الانسان
من نطفة ضعيفة فسواه وعدله وجعله كامل الخلقة ذكرا وانثى كما يشاء فجعله نسبا وصهرا اي ذا نسب وصهر قيل النسب ما لا يحل
نكاحه والصهر ما يجوز والصهر الخلطة التي تشبه القرابة فهو في ابتداء امره ولد نسيب ثم يتزوج فيصير صهرا ثم يصير له اصهار
واختان وقرابات وكل ذلك من ماء مهين ولهذا قال وكان ربك قديرا ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا
يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما اسالكم عليه من اجر الا من شاء ان
يتخذ الى ربه سبيلا وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام فاسال به خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا
وزادهم نفورا اخبر تعالى عن جهل المشركين في عبادتهم الاصنام التي لا تملك لهم نفعا ولا ضرا بلا دليل ولا حجة ادتهم اليه بل
بمجرد الاراء والاهواء فهم يوالونهم ويقاتلون في سبيلهم ويعادون الله ورسوله والمؤمنين فيهم ولهذا قال وكان الكافر على
ربه ظهيرا اي عونا في سبيل الشيطان على حزب الله وحزب الله هم الغالبون وقال مجاهد اي يظاهر الكافر الشيطان على معصية الله ويعينه
وقال ابن جبير اي عونا للشيطان على ربه بالعداوة والشرك ثم قال تعالى لرسوله عليه الصلوة والسلم وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا اي
بشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين مبشرا بالجنة لمن اطاع الله ونذيرا بين يدي عذاب شديد لمن خالف امر الله قل ما اسالكم عليه من اجر
اي على هذا البلاغ وهذا الانذار من اجرة اطلبها من اموالكم وانما افعل ذلك ابتغاء وجه الله لمن شاء منكم ان يستقيم الا من شاء ان
يتخذ الى ربه سبيلا هذا استثناء منقطع اي لكن من شاء ان يتخذ الى ربه طريقا ومسلكا ومنهجا يقتدي فيها بما جئت به فليفعل ذلك
ثم قال وتوكل على الحي الذي لا يموت اي في امورك كلها كن متوكلا على الحي الذي لا يموت ابدا رب كل شيء وهو الذي يتوكل عليه ويفزع اليه فانه
كافيك وناصرك وعن شهر بن حوشب قال لقي سلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض فجاج المدينة فسجد له فقال لا تسجد لي يا سلمان
واسجد للحي الذي لا يموت رواه ابن ابي حاتم وقوله وسبح بحمده اي اقرن بين حمده وتسبيحه ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اي اخلص له العبادة والتوكل كما قال تعالى فاعبده وتوكل عليه وقوله وكفى به بذنوب عباده خبيرا اي بعلمه
التام الذي لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة وقوله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام اي هو الحي الذي لا يموت

سمي الماءين الكثيرين الواسعين بحرين و
الفرات البليغ العذوبة حتى يضرب
الى الحلاوة والاجاج نقيضه ومرجهما
خلاهما متجاورين متلاصقين وهو
بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج
الاختلاط

حجرا محجورا الكلمة يقولها المتعوذ وهي
هنا مجاز كان كل واحد يتعوذ من صاحبه

اراد تقسيم البشر قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم
فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات
صهر اي يصاهر بهن ونحوه فجعل منه الزوجين
الذكر والانثى

الذي خلق مبتدا او الرحمن خبره او صفة للحي و
الرحمن خبر مبتدا محذوف

وهو خالق كل شي وربه ومليكه الذي خلق بقدرته السموات السبع في ارتفاعها واتساعها والارضين السبع في غلظها وكثافتها
في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن اي يدبر الامر ويقضي الحق وهو خير الفاصلين وقوله فاسال به خبيرا اي استعلم عنه
من هو خبير به عالم به فاتبعه واقتد به وقد علم انه لا احد اعلم بالله ولا اخبر به من عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فما قاله فهو
حق وما اخبر به فهو صدق قال مجاهد اي ما اخبرتك من شي فهو كما اخبرتك ثم قال منكرا على المشركين الذين يسجدون لغير
الله واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن اي لا نعرف الرحمن وكانوا ينكرون ان يسمى الله باسمه الرحمن انكروا ذلك يوم الحديبية
حاله كتابه المصالحة وقالوا لا نعرف الرحمن وقالوا ههنا وما الرحمن اي لا نعرفه ولا نقر به انسجد لما تامرنا اي لمجرد قولك وزادهم
نفورا اي عن الدين والايمان فاما المومنون فانهم يعبدون الله الذي هو الرحمن الرحيم ويفردونه بالالهية ويسجدون له واتفقوا على
ان هذه السجدة مشروعة لقاريها ومستمعها كما هو مقرر في موضعه تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا
وقمرا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا يمجد الله نفسه ويعظمها على جميل ما
خلق في السما من البروج وهي الكواكب العظام في قول مجاهد واقرانه وقيل هي قصور في السماء للحرس يروى هذا عن علي وابن عباس و
موافقيه والاول اظهر اللهم الا ان يكون الكواكب العظام هي قصور للحرس فيجتمع القولان كما قال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح
وجعلناها رجوما للشياطين ولهذا قال وجعل فيها سراجا وهي الشمس المنيرة التي هي كالسراج في الوجود كما قال وجعلنا سراجا وهاجا
وقمرا منيرا اي مضيئا مشرقا بنور آخر غير نور الشمس وقوله وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي يخلف كل واحد منهما الاخر
يتعاقبان اذا ذهب هذا جاء هذا واذا جاء هذا ذهب هذا اي كما قال يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا الاية وقوله لمن اراد
ان يذكر او اراد شكورا اي جعلهما يتعاقبان توقيتا لعبادة عباده له فمن فاته عمل في الليل استدركه في النهار وما فاته في النهار
استدركه بالليل وفي الصحيح ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل او اراد شكورا
قال مجاهد اي شكر نعمة ربه عليه فيهما وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما
انها ساءت مستقرا ومقاما والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وصف الله
عباده المومنين بقوله الذين يمشون في الارض هونا اي بسكينة ووقار من غير جبرية ولا استكبار كما قال ولا تمش في الارض مرحا
الاية فليس المراد انهم يمشون كالمرضى بتضعف تصنعا ورياء فقد كان سيد ولد آدم اذا مشى كانما ينحط من صبب وكانما الارض
تطوى له بل المراد السكينة والوقار كما قال الحسن في هذه الاية ان المومنين قوم ذلل ذلت والله منهم الاسماع والابصار والجوارح
حتى تحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض وانهم لاصحاء ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ومنعهم من الدنيا علمهم بالاخرة
فقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اي اذا سفه عليهم الجهال بالقول السيء لم يقابلوهم
عليه بمثله بل يعفون ويصفحون ولا يقولون الا خيرا قال مجاهد اي قالوا سدادا من القول وقال ابن جبير ردوا معروفا من القول
وقال الحسن لو جهل عليهم جاهل حلموا ولم يجهلوا كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما وقوله
والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما اي في عبادته وطاعته كما قال كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وقال
امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه الاية ولهذا قال والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان
عذابها كان غراما اي ملازما دائما كما قال الشاعر ان يعذب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي ولهذا قال الحسن في قوله

كل شي

كل شي يصيب ابن آدم يزول عنه فليس بغرام وانما الغرام اللازم ما دامت السموات والارض وقوله انها ساءت مستقرا ومقاما
اي بيس المنزل منظرا وبيس المقيل مقاما وعن عبد الله بن الحرث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في النار حيات
كامثال البخت تلسع احداهن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا وان في النار عقارب كامثال البغال الموكفة تلسع
احداهن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا رواه احمد وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل
النار الا شقي قيل يا رسول الله ومن الشقي قال من لم يعمل لله بطاعة ولم يترك له معصية رواه ابن ماجه وقوله والذين اذا
انفقوا لم يسرفوا اي ليسوا بمبذرين في انفاقهم فيصرفون فوق الحاجة ولا بخلاء على اهليهم فيقصرون في حقهم فلا
يكفونهم بل عدلا خيارا وخير الامور اوساطها لا هذا ولا ذاك وكان بين ذلك قواما كما قال ولا تجعل يدك مغلولة الى
عنقك الاية وعن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من فقه الرجل رفقه في معيشته وعن ابن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد رواهما احمد وعن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احسن
القصد في الغنى واحسن القصد في الفقر واحسن القصد في العبادة رواه الحافظ البزار فكل ما جاوزت به امر الله
فهو سرف كما قيل السرف النفقة في معصية الله رواه ابن ماجه والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه
مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن
تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا في الصحيحين عن ابن مسعود قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الذنب
اكبر عند الله قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قال ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قال ثم اي قال ان
تزاني حليلة جارك فانزل الله تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون
الاية وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما من ذنب بعد الشرك اعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له رواه
ابن ابي الدنيا وقوله ومن يفعل ذلك يلق اثاما قال عكرمة وغيره اثام اودية في جهنم يعذب فيها الزناة وقال قتادة اي
نكالا وقال السدي اي جزاء وهذا اشبه بظاهر الاية ولهذا فسره بما بعده مبدلا منه وهو قوله يضاعف له العذاب يوم القيمة
اي يكرر ويغلظ عليه ويخلد فيه مهانا اي حقيرا ذليلا وقوله الا من تاب وآمن اي جزاؤه على ما فعل من هذه الصفات القبيحة
ما ذكر الا من تاب في الدنيا الى الله من جميع ذلك فان الله يتوب عليه وفي ذلك دلالة على صحة توبة القاتل ولا تعارض كما في
حديث الذي قتل مائة رجل ثم تاب وقبل منه وغير ذلك من الاحاديث وقوله فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات في معناه قولان
احدهما انهم بدلوا مكان عمل السيات عمل الحسنات كما قال ابن عباس هم المومنون كانوا من قبل ايمانهم على السيات فحولهم
الله عن ذلك الى الحسنات فابدلهم مكان السيات الحسنات قال الحسن ابدلهم بالعمل السيء العمل الصالح وبالشرك اخلاصا
وبالفجور احصانا وبالكفر اسلاما والثاني ان تلك السيات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات وما ذاك الا انه كلما تذكر
ما مضى ندم واسترجع واستغفر فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار فيوم القيمة وان وجده مكتوبا عليه لكنه لا يضره
وينقلب حسنة في صحيفته كما روى ابو ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لاعرف آخر اهل النار خروجا من النار وآخر
اهل الجنة دخولا الى الجنة يوتى برجل فيقول نحوا كبار ذنوبه وسلوه عن صغارها قال فيقال له عملت يوم كذا كذا وكذا و
عملت يوم كذا كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع ان ينكر من ذلك شيا فيقال ان لك بكل سيئة حسنة فيقول يا رب عملت اشياء

لا اريتها ههنا قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه انفرد به مسلم وعن معاذ بن جبل قال يدخل
اهل الجنة الجنة على اربعة اصناف المتقين ثم الشاكرين ثم الخائفين ثم اصحاب اليمين قلت لم سموا اصحاب اليمين قال
لانهم عملوا بالحسنات والسيات فاعطوا كتبهم بايمانهم فقرؤا سياتهم حرفا حرفا وقالوا ربنا هذه سياتنا فاين حسناتنا فعند
ذلك محى الله السيات وجعلها حسنات فعند ذلك قالوا هاؤم اقرؤا كتابيه فهم اكثر اهل الجنة رواه ابن ابي حاتم وعن مكحول قال
جاء شيخ كبير هرم قد سقطت حاجباه على عينيه فقال يا رسول الله رجل غدر وفجر لم يدع حاجة ولا داجة الا اقتطفها
بيمينه لو قسمت خطيئته بين اهل الارض لاوبقتهم فهل له من توبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اسلمت فقال اما انا فاشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم فان الله غافر لك ما كنت كذلك ومبدل
سياتك حسنات فقال يا رسول الله وغدراتي وفجراتي قال وغدراتك وفجراتك فولى الرجل يكبر ويهلل رواه ابن ابي حاتم ثم
اخبر تعالى عن عموم رحمته بعباده وانه من تاب اليه منهم تاب عليه من كل ذنب كان جليلا او حقيرا فقال ومن تاب وعمل صالحا
فانه يتوب الى الله متابا اي فان الله يقبل توبته كما قال تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما
وقال الم يعلموا ان الله يقبل التوبة عن عباده الآية والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما والذين
اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة
اعين واجعلنا للمتقين اماما هذه ايضا من صفات عباد المؤمنين انهم لا يشهدون الزور قيل هو الشرك وقيل الكذب و
الفسق واللغو والباطل وقال محمد بن الحنفية هو اللغو والغناء وقيل مجالس الخنا والفحش وقال آخرون هي اعياد المشركين
وقيل شهادة الزور وهي الكذب على عمد متعمدا كما ثبت في الصحيحين عن ابي بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم
باكبر الكبائر ثلاثا قلنا بلى يا رسول الله قال الشرك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال الا وقول الزور الا وشهادة
الزور الا وقول الزور الا وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت والاظهر ان المراد اي لا يحضرونه ولهذا قال واذا مروا
باللغو مروا كراما اي لا يحضرون الزور واذا اتفق مرورهم به مروا ولم يتدنسوا منه بشيء وروي ان ابن مسعود مر بلهو فلم يقف
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اصبح ابن مسعود او امسى كريما وقوله واذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا
اي لم يتعموا عن الحق ولم يتعاموا عنه ولله قوم عقلوا عن الله وانتفعوا بما سمعوا من كتابه قاله قتادة وسئل الشعبي عن الرجل يرى القوم
سجودا ولم يسمع ما سجدوا فيه ايسجد معهم قال لا هذه الآية يعني انه لا يسجد معهم لانه لم يتدبر آية السجدة ولا ينبغي للمؤمن ان يكون امعة بل يكون على بصيرة في امره
ويقين واضح بين وهذه من صفات المؤمنين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية بخلاف الكافر فانه اذا سمع كلام الله لا يؤثر فيه
ولا يتغير عما كان عليه بل يبقى مستمرا على كفره وطغيانه وجهله وضلاله كما قال تعالى واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته
هذه ايمانا الى قوله الى رجسهم ومعنى لم يخروا لم يقعوا ولم يسقطوا اي لم يسمعوا ولم يبصروا ولم يفقهوا حقا وقوله والذين يقولون
ربنا هب لنا يعني الذين يسألون الله ان يخرج من اصلابهم وذرياتهم من يطيعونه ويعبدونه وحده لا شريك له قال ابن عباس
يعنون من يعمل بالطاعة فتقر به اعينهم في الدنيا والآخرة يعني يسألون الله لازواجهم وذرياتهم ان يهديهم للاسلام وقوله
واجعلنا للمتقين اماما قال ابن عباس واتباعه اي ائمة يقتدى بنا في الخير وقال غيره هداة مهتدين دعاة الى الخير فاحبوا ان تكون
عبادتهم متصلة بعبادة اولادهم وذرياتهم وان يكون هداهم متعديا الى غيرهم بالنفع وذلك اكثر ثوابا واحسن مآبا ولهذا ورد في
صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله الا من ثلاث الا من صدقة جارية او علم

ينتفع به او ولد صالح يدعو له اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت
مستقرا ومقاما قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما لما ذكر تعالى من اوصاف عباده
المؤمنين ما ذكر قال اولئك اي المتصفون بهذه يجزون اي يوم القيامة الغرفة وهي الجنة قال ابو جعفر محمد الباقر وغيره سميت بذلك
لارتفاعها بما صبروا اي على القيام بذلك ويلقون فيها اي في الجنة تحية وسلاما اي يبتدرون فيها بالتحية والاكرام ويلقون فيها
التوقير والاحترام فلهم السلام وعليهم السلام فان الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقوله
خالدين فيها اي مقيمين لا يظعنون ولا يموتون ولا يزولون عنها ولا يبغون عنها حولا وقوله حسنت مستقرا ومقاما اي حسنت
منظرا وطابت مقيلا ومنزلا ثم قال تعالى قل ما يعبأ بكم ربي اي لا يبالي بكم ولا يكترث بكم اذا لم تعبدوه فانه انما خلق الخلق ليعبدوه
ويوحدوه ويسبحوه بكرة واصيلا قال ابن عباس لولا دعاؤكم لولا ايمانكم واخبر الله الكفار انه لا حاجة له بهم اذ لم يخلقهم
مؤمنين ولو كان له بهم حاجة لحبب اليهم الايمان كما حببه الى المؤمنين وقوله فقد كذبتم اي ايها الكافرون فسوف يكون لزاما
اي فسوف يكون تكذيبكم لزاما لكم يعني مقتضيا لهلاككم وعذابكم في الدارين ويدخل في ذلك يوم بدر كما فسره بذلك ابن مسعود وجماعة وقال
الحسن يعني يوم القيامة ولا منافاة بينهما والله اعلم تفسير سورة الشعراء وهي مكية الا الاربع آيات من آخر السورة من قوله
والشعراء يتبعهم الغاوون ووقع في تفسير مالك المروي عنه تسميتها بسورة الجامعة بسم الله الرحمن الرحيم
طسم تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ان نشا ننزل عليهم من السماء آية
فظلت اعناقهم لها خاضعين وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسياتيهم
انباء ما كانوا به يستهزؤن اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم ان في ذلك لآية وما كان
اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم سبق البحث عن الحروف المقطعة في اوائل السور في اول سورة البقرة
قوله تعالى تلك آيات الكتاب المبين اي هذه آيات القرآن المبين الواضح الذي يفصل بين الحق والباطل والغي والرشاد وقوله
لعلك باخع نفسك اي مهلك نفسك مما تحرص وتحزن عليهم الا يكونوا مؤمنين وهذه تسلية من الله لرسوله عليه الصلوة
والسلام في اعراضهم عن الايمان كما قال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال مجاهد وغير واحد اي لعلك قاتل نفسك وذلك
حين استمروا على الشرك وكذبوه فشق عليه وكان حريصا على ايمانهم ثم قال تعالى ان نشا ننزل عليهم من السماء آية اي لو
شئنا لانزلنا آية تضطرهم الى الايمان قهرا ولكنا لا نفعل ذلك لانا لا نريد من احد الا الايمان الاختياري واما قال
خاضعين ولم يقل خاضعة وهي صفة الاعناق لان المراد اصحاب الاعناق فاقيم الاعناق مقامهم لان الاعناق اذا
خضعت فاربابها خاضعون لانها كناية عن جميع البدن وقال الاخفش رد الخضوع على المضمر الذي اضاف الاعناق اليه
وقال مجاهد اراد بالاعناق الرؤساء والكبراء اي فظلت كبراؤهم خاضعين وقال تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة
واحدة الآية فنفذ قدره وقامت حجته على خلقه بارسال الرسل اليهم وانزال الكتب عليهم ثم قال وما ياتيهم من ذكر من
الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين اي كلما جاءهم كتاب من السماء اعرض عنه اكثر الناس قال الكلبي كلما نزل شيء من القرآن
بعد شيء فهو احدث من الاول اي محدث في التنزيل ولهذا قال فقد كذبوا فسياتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن اي فقد كذبوا
ما جاءهم من الحق فسيعلمون نبأ هذا التكذيب بعد حين ثم نبه تعالى على عظمته في سلطانه الذين اجترؤا على مخالفة رسوله
وتكذيب كتابه فقال اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج اي صنف وضرب من زروع وثمار وحيوان كريم اي حسن

يقال نخلة كريمة اذا طاب حملها ونباته كريمة اذا كثر نفعها قال الشعبي الناس من نبات الارض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن
دخل النار فهو لئيم ان في ذلك لاية اي دلالة على قدرة الخالق للاشياء الذي بسط الارض ورفع بناء السماء ومع هذا ما امن
اكثر الناس بل كذبوا به وبرسله وكتبه وخالفوا اوامره وارتكبوا زواجره وقوله وان ربك لهو العزيز اي الذي عز كل شي وقهره
وغلبه الرحيم اي بخلقه فلا يعجل على من عصاه بل ينظره ثم ياخذه اخذ عزيز مقتدر ان لم يرجع ورحمته ان تاب اليه واناب
واذ نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا يتقون قال رب اني اخاف ان يكذبون و
يضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل الى هرون ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون قال كلا فاذهبا باياتنا
انا معكم مستمعون فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ان ارسل معنا بني اسرائيل قال الم نربك فينا وليدا
ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين قال فعلتها اذا وانا من الضالين
ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل
اخبر تعالى عما امر كليمه عليه السلم حيث ناداه من جانب الطور الايمن وكلمه وناجاه وارسله الى فرعون وملائه ولهذا قال
ان ائت القوم الظالمين الى قوله ان يقتلون هذه اعذار سال من الله ازالتها عنه كما قال في سورة طه قال رب اشرح لي
صدري الى قوله قد اوتيت سؤلك يا موسى وقوله الا يتقون اي الا يصرفون عن انفسهم عقوبة الله بطاعته ويضيق صدري
اي من تكذيبهم اياي ولا ينطلق لساني اي من العقدة التي عليه وقوله ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون اي بسبب ما كان
من قتل القبطي الذي كان سبب خروجه من بلاد مصر قال كلا اي قال الله له لا تخف من شي من ذلك فاذهبا باياتنا انا
معكم اي معكما ومع اتباعكما من بني اسرائيل بالحفظ والنصرة والتاييد مستمعون اي نسمع ما يجيبكم فرعون فاتيا فرعون فقولا
انا رسول رب العالمين اي كل منا رسول من الله اليك ان ارسل معنا بني اسرائيل اي اطلقهم من اسارك وقهرك
فانهم عباد الله المؤمنون وهم معك في العذاب المهين فلما سمع فرعون ذلك اعرض متمردا ونظر الى موسى بعين الازدراء
فقال الم نربك فينا وليدا الاية اي اما انت الذي ربيناه صغيرا فينا وفي بيتنا وعلى فراشنا وغذيناه وانعمنا عليه مدة من
السنين ثم بعد ذلك قابلت ذلك الاحسان بتلك الفعلة ان قتلت منا رجلا وجحدت نعمتنا عليك ولهذا قال وانت من
الكافرين اي الجاحدين قاله ابن عباس وغيره واختاره ابن جرير قال فعلتها اذا اي في تلك الحال وانا من الضالين اي قبل
ان يوحى الي وينعم الله علي بالرسالة والنبوة وانا من الجاهلين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين
اي الحال الاول انفصل وجاء امر اخر فقد ارسلني الله اليك فان اطعته سلمت وان خالفته عطبت ثم قال موسى وتلك نعمة
تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي وما احسنت الي وربيتني مقابل ما اسات الى بني اسرائيل فجعلتهم عبيدا وخدما
تصرفهم في اعمالك ومشاق رعيتك افيفي احسانك الى رجل واحد منهم بما اسات الى مجموعهم اي ليس ما ذكرته شيئا بالنسبة
الى ما فعلت بهم وكان هو اقادر من موسى نعمة عليه حيث رباه ولم يقتله ولم يستعبده كما فعل ببني اسرائيل قال فرعون وما
رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله الا تستمعون قال ربكم
ورب ابائكم الاولين قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم
تعقلون اخبر تعالى عن كفر فرعون وطغيانه وجحوده في قوله وما رب العالمين وذلك انه كان يقول لقومه ما علمت لكم من اله غيري
واستخف قومه فاطاعوه وكانوا يجحدون الصانع تعالى ويعتقدون انه لا رب لهم سوى فرعون فلما قال موسى اني رسول رب

استخف طلب [illegible]
استثقله

تلك اشارة الى الخصلة الشنعاء المبهمة لا تدري
الا بتفسيرها ومحل ان عبدت رفع
عطف بيان لتلك والمعنى تعبيدك
بني اسرائيل نعمة تمنها علي

السؤال عن رب العالمين اي اي شي هو
من الاشياء التي شوهدت وعرفت فاجاب
بما يستدل به عليه من افعاله الخاصة ليعرفه انه
غير مجانس لجميع الاشياء . او معناه اي شي
هو نظرا الى حقيقته الخاصة
فاجاب بان الذي اليه سبيل وهو الكافي في معرفته
معرفة ثبوته بصفاته استدلالا بافعاله الخاصة
واما حقيقته الخاصة التي بها فرق نظر العقول
فلا سبيل الى معرفتها والتفتيش عنها متعنت

الوطن

العالمين قال ومن هذا الذي تزعم انه رب العالمين غيري هكذا فسروه حتى قال السدي هذه الاية كقوله تعالى ومن ربكما
يا موسى الاية ومن زعم ان هذا سؤال عن الماهية فقد غلط فانه لم يكن مقرا بالصانع حتى يسال عن ماهيته بل كان جاحدا
له بالكلية فيما يظهر وان كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه فعند ذلك قال موسى في جوابه رب السموات والارض وما بينهما
اي خالق جميع ذلك ومالكه والمتصرف فيه والهه لا شريك له هو الله الذي خلق الاشياء كلها العالم العلوي بما فيه والسفلي
وما فيه وما بينهما من الهواء وما يحتوي عليه الجو الجميع له عبيد خاضعون ذليلون ان كنتم موقنين اي ان كانت لكم قلوب
موقنة وابصار نافذة فعند ذلك التفت فرعون الى من حوله من ملائه واركان دولته قائلا لهم على سبيل الاستهزاء والتكذيب
لموسى فيما قاله الا تستمعون اي الا تعجبون مما يقول هذا في زعمه ان لكم الها غيري فقال لهم موسى ربكم ورب ابائكم الاولين اي
خالقكم وخالق ابائكم الاوائل الذين كانوا قبل فرعون وزمانه قال اي فرعون لقومه ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اي ليس
له عقل في دعواه ان ثم ربا غيري قال اي موسى لاولئك رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون اي هو الذي جعل
المشرق مشرقا تطلع منه الكواكب والمغرب مغربا تغرب فيه الكواكب ثوابتها وسياراتها مع هذا النظام الذي سخرها فيه وقدرها
فان كان هذا الذي يزعم انه ربكم والهكم صادقا فليعكس الامر كما قال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب
الاية ولهذا لما غلب فرعون وانقطعت حجته عدل الى استعمال جاهه وقوته وسلطانه واعتقد ان ذلك نافع له ونافذ في
موسى فقال لما اخبر تعالى عنه قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين قال اولو جئتك بشي مبين
قال فات به ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال
للملا حوله ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه وابعث في
المداين حاشرين ياتوك بكل سحار عليم لما قامت على فرعون الحجة بالبيان والعقل عدل الى قهر موسى بيده وسلطانه فقال لئن
اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين اي المحبوسين قال الكلبي وكان سجنه اشد من القتل فعند ذلك قال موسى اولو جئتك بشي مبين
اي ببرهان قاطع واضح قال فات به ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين اي ظاهر في غاية الجلاء والعظمة ذات
قوائم وفم واسع وشكل هائل مزعج ونزع يده اي من جيبه فاذا هي بيضاء للناظرين اي تتلالا كقطعة من القمر فبادر فرعون لشقاوته الى
التكذيب والعناد فقال للملا حوله ان هذا لساحر عليم اي فاضل بارع في السحر فروج عليهم فرعون ان هذا من قبيل السحر لا من المعجزة ثم هيجهم
وحرضهم على مخالفته والكفر به فقال يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون اي يذهب بقلوب الناس معه بسبب هذا فيكثر
اعوانه وانصاره واتباعه ويغلبكم على دولتكم فياخذ البلاد منكم فاشيروا علي فيه ماذا اصنع به قالوا ارجه واخاه وابعث في المداين حاشرين
ياتوك بكل سحار عليم اي اخره حتى تجمع له من مداين مملكتك كل سحار عليم يقابلونه وياتون بنظير ما جاء به فتغلبه انت وتكون لك النصرة
والتاييد فاجابهم الى ذلك وكان هذا من تسخير الله لهم في ذلك ليجتمع الناس في صعيد واحد ولتظهر ايات الله وحججه وبراهينه
على الناس في النهار فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين
فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى
القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فالقى موسى عصاه فاذا
هي تلقف ما يافكون فالقي السحرة ساجدين قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون ذكر تعالى هذه المناظرة
الفعلية بين موسى وفرعون في سورة الاعراف وفي سورة طه وفي هذه السورة وذلك ان فرعون وقومه ارادوا ان يطفئوا نور الله

والذي يلوح من حال فرعون ودليل عليه الكلام
ان يكون سؤاله هذا انكارا لان يكون
للعالمين رب سواه لادعائه الالهية
لا ماهية تعرف الافراد اي البسائط
الا بذكر الخواص والافعال [illegible]

ولما علم ان هذه الاجرام المحسوسة
ممكنة لتركبها وتعددها وتغير احوالها

عدل الى ما لا يمكن ان يتوهم فيه [illegible]
[illegible]

اولو جئتك بشي مبين صدق
دعواي يعني المعجزة فانها الجامعة
بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته
والدلالة على صدق مدعي نبوته

مجمعون ٥

بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون وهذا شان الكفر والايمان ما تواجها ولا تقابلا الا غلبه الايمان بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولهذا لما جمعت السحرة من اقاليم بلاد مصر وكانوا جمعا كثيرا وجما قيل كانوا اثنى عشر الفا وقيل اكثر من ذلك باضعاف كما سبق قال ابن اسحق وكان امرهم راجع الى اربعة منهم وهم رؤساؤهم سابور وعاذور وحطحطة ومصفى وحشد الناس في الاجتماع ذلك اليوم وقالوا لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين ولم يقولوا نتبع الحق لان الرعية على دين ملكهم فلما جاء السحرة الى فرعون وقد ضرب له وطاقا وجمع امراءه ووزراءه ورؤساء دولته وجنود مملكته وقام السحرة من بين يديه يطلبون منه الاحسان اليهم والتقرب اليه ان غلبوا فقالوا لفرعون ائن لنا لاجرا اي فهذا الذي جمعتنا من اجله ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين اي واخص مما تطلبون اجعلكم من المقربين عندي وجلسائي فعادوا الى مقام المناظرة قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى قال بل القوا وقد اختصر هذا ههنا فقال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون وقد ذكر تعالى في سورة الاعراف انهم سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم وفي سورة طه فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى الى قوله حيث اتى وقال ههنا فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون اي تختطفه وتجمعه من كل موضع وتبتلعه فلم تدع منه شيئا قال تعالى فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين والقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون فكان هذا امرا عظيما جدا وبرهانا قاطعا للعذر وحجة بالغة وذلك ان الذين استنصر بهم وطلب منهم ان يغلبوا غلبوا وخضعوا وآمنوا بموسى في الساعة وسجدوا لله رب العالمين الذي ارسل موسى وهرون بالحق وبالمعجزة الباهرة ولما صار فرعون مغلوبا عدل الى المكابرة والعناد ودعوى الباطل فشرع يتهددهم ويتوعدهم قائلا انه لكبيركم الذي علمكم السحر وقال ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة الاية قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين كلما يتهددهم فرعون ويتوعدهم زادهم ايمانا وتسليما وذلك انه قد كشف الله عن قلوبهم غشاوة الكفر وظهر لهم الحق فعلموا ما جهل قومهم من ان الذي جاء به موسى ليس الا معجزة ظاهرة وحجة قاطعة ولهذا لما قال لهم فرعون آمنتم له قبل ان آذن لكم الى قوله اجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون اي كان ينبغي ان تستاذنوني فيما فعلتم فان آذنت لكم فعلتم وان منعتكم امتنعتم فاني انا الحاكم المطاع انه لكبيركم الذي علمكم السحر وهذه مكابرة يعلم كل احد بطلانها فانهم لم يجتمعوا بموسى قبل ذلك اليوم فكيف يكون كبيرهم الذي افادهم صناعة السحر ثم توعدهم فرعون بقطع الايدي والارجل والصلب فقالوا لا ضير اي لا يضرنا ذلك ولا نبالي به انا الى ربنا منقلبون اي المرجع الى الله وهو لا يضيع اجر من احسن عملا وسيجزينا اتم الجزاء ولهذا قالوا انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا اي ما قارفناه من الذنوب وما اكرهتنا عليه من السحر ان كنا اول المؤمنين اي بسبب انا بادرنا قومنا من القبط الى الايمان قبلهم كلهم واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون فارسل فرعون في المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرائيل لما تمرد فرعون وملاؤه مع اقامة الحجج والبراهين الا مكابرة وعنادا ولم يبق لهم الا العذاب والنكال امر الله موسى ان يخرج بني اسرائيل ليلا من مصر وان يمضي بهم حيث يؤمر ففعل موسى ما امره به ربه وخرج بهم بعد ما استعاروا من قوم

تحليه

اقسموا بعزة فرعون وهي من ايمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله ولهذا [illegible] في اسلامهم جاهلية [illegible] الواحد منهم لو اقسم بابيه [illegible] وصفاته [illegible] لم يقبل منه ولم [illegible] فتلك عندهم جهد اليمين

انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده وهو على الاثر [illegible] اسرهم حتى اذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم وقبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين يلجون البحر فيدخلون مدخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم

فرعون

فرعون حليا كثيرا وكان خروجه بهم فيما روي وقت طلوع القمر وذكر مجاهد انه خسف القمر تلك الليلة وان موسى سال عن قبر يوسف عليه السلام فدلته امراة عجوز من بني اسرائيل عليه فاحتمل تابوته معهم ويقال انه هو الذي حمله بنفسه عليهما السلام وكان يوسف قد اوصى بذلك اذا خرج بنو اسرائيل من مصر ان يحملوه معهم وقد ورد في ذلك حديث غريب رواه ابن ابي حاتم عن ابي موسى قال نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم باعرابي فاكرمه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاهدنا فاتاه الاعرابي فقال له ما حاجتك قال ناقة برحلها واعنز يحتلبها اهلي فقال اعجزت ان تكون مثل عجوز بني اسرائيل فقال له اصحابه وما عجوز بني اسرائيل يا رسول الله قال ان موسى لما اراد ان يسير ببني اسرائيل اضل الطريق فقال لبني اسرائيل ما هذا فقال له علماء بني اسرائيل نحن نحدثك ان يوسف لما حضره الموت اخذ علينا موثقا من الله ان لا نخرج من مصر حتى ننقل تابوته معنا فقال لهم موسى فايكم يدري اين قبر يوسف قالوا ما يعلمه الا عجوز لبني اسرائيل فارسل اليها فقال دليني على قبر يوسف قالت لا والله لا افعل حتى تعطيني حكمي قال وما حكمك قالت حكمي ان اكون معك في الجنة فكانه ثقل عليه ذلك فقيل له اعطها حكمها قال فانطلقت معهم الى بحيرة مستنقع ماء فقالت انضبوا هذا الماء فلما انضبوه قالت احتفروا فلما احتفروا استخرجوا قبر يوسف فلما احتملوه اذا الطريق مثل ضوء النهار والله اعلم بصحته فلما اصبحوا وليس في ناديهم داع ولا مجيب غاظ ذلك فرعون واشتد غضبه على بني اسرائيل لما يريد الله من هلاكه فارسل سريعا في بلاده حاشرين اي من يحشر الجند ويجمعه كالنقباء والحجاب ونادى فيهم ان هؤلاء لشرذمة قليلون لطائفة قليلة وانهم لنا لغائظون اي كل وقت يصل الينا منهم ما يغيظنا وانا لجميع حاذرون اي مستعدون بالسلاح واني اريد ان استاصل شافتهم وابيد خضراءهم فجوزي في نفسه وجنده بما اراد لهم قال الله فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم اي فخرجوا من هذا النعيم الى الجحيم تركوا المنازل العالية والبساتين والانهار والاموال والارزاق والملك والجاه الوافر في الدنيا كذلك واورثناها بني اسرائيل وذلك ان الله رد بني اسرائيل الى مصر بعدما اغرق فرعون وقومه فاعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الاموال والاملاك فاتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وازلفنا ثم الاخرين وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ذكروا ان فرعون خرج في جمع كثير من اهل الحل والعقد والامراء والوزراء والجنود وذكر غير واحد من الاسرائيليات انه خرج في الف الف وستمائة الف فارس منها مائة الف على خيل دهم فخرجوا باجمعهم فاتبعوهم مشرقين اي وصلوا اليهم عند شروق الشمس وهو طلوعها فلما تراءى الجمعان اي راى كل من الفريقين الاخر قال اصحاب موسى انا لمدركون وذلك انه انتهى بهم السير الى سيف البحر وهو بحر القلزم فصار امامهم البحر وفرعون قد ادركهم بجنوده فلهذا قالوا انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين اي لا يصل اليكم شيء مما تحذرون فان الله هو الذي امرني ان اسير ههنا بكم وهو لا يخلف الميعاد وكان هرون في المقدمة ومعه يوشع بن نون ومؤمن آل فرعون وموسى في الساقة واقترب فرعون وجنوده ولم يبق الا القليل فعند ذلك امر الله سبحانه موسى ان يضرب البحر بعصاه فضربه فقال انفلق باذن الله ويقال ان موسى لما انتهى الى البحر قال يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء اجعل لنا مخرجا فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر وقال ابن اسحق اوحى الله فيما ذكر لي الى البحر ان اذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له قال فبات البحر يضطرب يضرب بعضه بعضا فرقا من الله تعالى وانتظارا لما امره الله واوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر

يعني بني اسرائيل والمعنى انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحزم واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قوته وسلطانه

فضربه بها فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم اى فانشق فصار كل قطعة كالجبل الكبير الضخم قال ابن عباس صار البحر
اثنى عشر طريقا لكل سبط طريق وزاد السدى وصار فيها طاقات ينظر بعضهم الى بعض وقام الماء على حياله كالحيطان
وبعث الله الريح على قعر البحر فلفحته فصار يبسا كوجه الارض كما قال تعالى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا ثم قال و
ازلفنا ثم الآخرين قال ابن عباس وغير واحد اى قربنا فرعون وجنوده من البحر وادنيناهم اليه وانجينا موسى ومن
معه اجمعين ثم اغرقنا الآخرين اى انجا موسى وبنى اسرائيل ومن تبعهم على دينهم فلم يهلك منهم احد واغرق فرعون و
جنوده فلم يبق منهم رجل الا هلك ثم قال تعالى ان فى ذلك لآية اى فى هذه القصة وما فيها من العجائب والنصر والتاييد
لعباد الله المومنين لدلالة وحجة قاطعة وحكمة بالغة وما كان اكثرهم مومنين اى من اهل مصر فانه لم يكن آمن منهم
الا آسية امراة فرعون وحزبيل المومن ومريم بنت ناموسا وان ربك لهو العزيز الرحيم اى العزيز فى الانتقام من اعدائه
الرحيم بالمومنين حين انجاهم واتل عليهم نبا ابرهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما
فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك
يفعلون قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين هذا اخبار
من الله تعالى عن رسوله وخليله فامر رسوله وحبيبه محمدا صلوات الله وسلامه عليه ان يتلوه على امته ليقتدوا به فى
عبادة الله وحده والتبرى من الشرك واهله فانه تعالى آتى ابرهيم رشده من قبل اى من صغره الى كبره فانه من وقت نشا و
شب انكر على قومه الشرك فقال لابيه وقومه ما تعبدون اى ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون قالوا نعبد اصناما فنظل
لها عاكفين اى مقيمين على عبادتها ودعائها قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك
يفعلون يعنى اعترفوا ان اصنامهم لا تفعل شيئا من ذلك وانما راوا اباءهم كذلك يفعلون فهم على آثارهم يهتدون فعند ذلك
قال لهم ابرهيم افرايتم ما كنتم تعبدون الى آخره اى ان كانت هذه الاصنام شيئا ولهم تاثير فليخلص الى بالمساءة فانى عدو لها لا
ابالبها قال الفراء هو من المقلوب اراد فانى عدو لهم لان من عاديته فقد عاداك وقيل هو على معنى فلا اتوليهم ولا اطلب
من جهتهم نفعا كما لا يتوقع ذلك من العدو الا رب العالمين هو استثناء منقطع اى فانهم عدو لى لكن رب العالمين وليى
وناصرى وقيل معناه الا من عند رب العالمين ثم وصف معبوده تعالى الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى
ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم
الدين اى لا اعبد الا الذى يفعل هذه الاشياء اى هو الخالق الذى قدر قدرا وهدى الخلائق اليه فكل يجرى على ما قدر وهو
الذى يهدى من يشاء ويضل من يشاء وهو رازقى بما سخر ويسر من الاسباب السماوية والارضية فانزل الماء واحيى به الارض
واخرج به كل الثمرات رزقا للعباد وانزل الماء عذبا زلالا ليسقيه مما خلق انعاما واناسى كثيرا وقوله واذا مرضت فهو يشفين
اسند المرض الى نفسه وان كان عن قدر الله ادبا اى اذا وقعت فى مرض فانه لا يقدر على شفائى احد غيره بما يقدره من الاسباب
الموصلة اليه والذى يميتنى ثم يحيين اى هو الذى يحيى ويميت لا يقدر احد على ذلك سواه فانه هو الذى يبدئ ويعيد والذى
اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين اى هو الذى لا يقدر على غفر الذنوب فى الدنيا والآخرة الا هو ومن يغفر الذنوب الا
الله فهو الفعال لما يشاء رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين واجعلنى
من ورثة جنة النعيم واغفر لابى انه كان من الضالين ولا تخزنى يوم يبعثون يوم لا ينفع مال و

يسمعون دعاءكم اذ تدعون اتى بالمضارع مع اذ على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الاحوال الماضية التى كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا او نفعوا

[illegible] من عبد هذه الاصنام الا عباده اعداءه كما قال تعالى سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وانما قال عدو لى تصويرا للمسالة فى نفسه على معنى انى فكرت فى امرى فرايت عبادتى لها عبادة للعدو فاجتنبتها [illegible] انما نصيحة ينفع بها نفسه اولا لينظروا فيقولوا ما نصحنا ابرهيم الا بما نصح به نفسه ليكون ادعى لهم الى القبول [illegible] ان رجلا واجه بشيء فقال لو كنت [illegible] لاحتجت الى ادب

لا بنون

لا بنون الا من اتى الله بقلب سليم قال ابن عباس الحكم المسئول هو العلم وقيل هو النبوة وقيل العقل وقال مجاهد هو القرآن
والحقنى بالصالحين اى اجعلنى معهم فى الدنيا والآخرة كما قال النبى عليه الصلوة والسلم عند الاحتضار اللهم فى الرفيق الاعلى
وقوله واجعل لى لسان صدق فى الآخرين اى اجعل ذكرا جميلا بعدى اذكر به ويقتدى بى فى الخير قال مجاهد وقتادة يعنى الثناء
الحسن وهو كقوله وآتيناه اجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين وقوله واجعلنى من ورثة جنة النعيم اى انعم على
فى الدنيا ببقاء الذكر الجميل بعدى وفى الآخرة بان تجعلنى من ورثة جنة النعيم وقوله واغفر لابى هو كقوله ربنا اغفر لى
ولوالدى وهذا مما رجع عنه ابرهيم عليه السلم كما قال تعالى وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه الى قوله
حليم وقد قطع الله الالحاق فى استغفاره لابيه فقال قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابرهيم والذين معه الاية وقوله ولا تخزنى يوم
يبعثون اى اجرنى من الخزى يوم القيمة حين يبعث الخلائق اولهم وآخرهم عن ابى هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم يلقى ابرهيم
اباه آزر يوم القيمة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له ابرهيم الم اقل لك لا تعصنى فيقول ابوه فاليوم لا اعصيك فيقول ابرهيم
الهى وعدتنى ان لا تخزنى يوم يبعثون فاى خزى اخزى من ابى الابعد فيقول الله انى حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا ابرهيم
ما تحت رجليك فينظر فاذا هو بذيخ متلطخ فيوخذ بقوائمه فيلقى فى النار رواه البخارى وقوله يوم لا ينفع مال ولا بنون اى لا يحمى
المرء من عذاب الله ماله ولو افتدى بملء الارض ذهبا ولا بنوه ولو افتدى بمن فى الارض جميعا ولا ينفع يومئذ الا الايمان بالله
واخلاص الدين له والتبرى من الشرك ولهذا قال الا من اتى الله بقلب سليم اى سالم من الدنس والشرك قال ابن سيرين القلب السليم
ان يعلم ان الله حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور وقيل هو القلب الصحيح السالم عن الشرك وقيل هو القلب
الخالى عن البدعة المطمئن على السنة وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم اينما كنتم تعبدون
من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون قالوا وهم فيها
يختصمون تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين و
لا صديق حميم فلو ان لنا كرة فنكون من المومنين ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو
العزيز الرحيم اى قربت الجنة وادنيت من اهلها يوم القيمة مزينة مزخرفة لناظريها وهم المتقون الذين رغبوا فيها وعملوا لها
فى الدنيا وبرزت الجحيم للغاوين اى اظهرت وكشف عنها وبدت منها عنق فزفرت زفرة بلغت منها القلوب الحناجر وقيل
لاهلها تقريعا وتوبيخا اينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون اى ليست الاصنام التى عبدتموها بان تغنى عنكم اليوم
شيئا ولا تدفع عن انفسها فانكم واياها اليوم حصب جهنم انتم لها واردون وقوله فكبكبوا فيها هم والغاوون قال مجاهد اى فدهوروا
فيها والمراد انه يلقى بعضهم على بعض من الكفار وقادتهم الذين اغووهم ودعوا الى الشرك وجنود ابليس اجمعون اى القوا كلهم ومن اطاعه
من الجن والانس اى القوا فيها عن آخرهم قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفى ضلال مبين اى يقول الضعفاء للذين استكبروا انا
كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار ويقولون وقد عادوا على انفسهم بالملامة تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب
العالمين اى اذ نجعل امركم مطاعا كما يطاع امر رب العالمين وما اضلنا الا المجرمون اى ما دعانا الى ذلك الا المجرمون اى الشيطان
ومن اضلنا بهم فما لنا من شافعين قيل يعنى من الملائكة ولا صديق حميم اى قريب وقال قتادة يعلمون والله ان الصديق اذا كان
صالحا نفع وان الحميم اذا كان صالحا شفع فلو ان لنا كرة فنكون من المومنين وذلك انهم يتمنون ان يردوا الى الدنيا ليعملوا بطاعة
ربهم فيما يزعمون والله يعلم انه لو ردهم الى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون ثم قال تعالى ان فى ذلك لآية اى فى محاجة

الكبكبة تكرير الكب جعل التكرير فى اللفظ دليلا على التكرير فى المعنى كانه اذا القى فى جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر فى قعرها

عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليقول فى الجنة ما فعل صديقى فلان وصديقه فى الجحيم [illegible]

ابرهيم لقومه واقامة الحجة عليهم في التوحيد كانه ودلاله واضحة على انه لا اله الا الله وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم سبق تفسير ذلك كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون هذا اخبار من الله عز وجل عن رسوله نوح عليه السلم وهو اول رسول بعث الى اهل الارض بعدما عبدت الاصنام فبعثه الله ناهيا عن ذلك ومحذرا عن وبيل عقابه فكذبه قومه واستمروا على ما هم عليه من عبادة الاصنام ونزل تكذيبهم له منزلة تكذيب جميع الرسل ولهذا قال كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون اي الا تخافون الله في عبادتكم غيره اني لكم رسول امين اي رسول من الله اليكم امين فيما بعثني به ابلغكم رسالة الله اليكم لا ازيد فيها ولا انقص منها فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر اي لا اطلب منكم جزاء على نصحي لكم بل ادخر ثواب ذلك عند الله فاتقوا الله واطيعون فقد وضح لكم وبان صدقي ونصحي وامانتي فيما بعثني به وائتمنني عليه قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون وما انا بطارد المومنين ان انا الا نذير مبين اي لا نؤمن لك ونتبعك ونتساوى في ذلك بهولاء الاراذل الذين اتبعوك قال وما علمي بما كانوا يعملون يعني واي شي يلزمني من اتباع هولاء وليس علي من دناءة مكاسبهم واحوالهم شي اعاد دعوتهم الى الله ولي منهم ظاهر امرهم ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون اي لو تعلمون ذلك لعرفتم ان الصناعات لا تضر في الديانات وما انا بطارد المومنين كانهم سالوه ان يبعدهم عنه ليتابعوه فابى عليهم ذلك ان انا الا نذير مبين اي انما بعثت نذيرا فمن اطاعني وصدقني كان مني وكنت منه سواء كان شريفا او وضيعا قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المومنين فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم اغرقنا بعد الباقين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم لما طال مقام نوح بين اظهرهم يدعوهم الى الله ليلا ونهارا ولم يزدهم ذلك الا الغلظة والكفر والتمرد والامتناع قالوا لئن لم تنته اي عن دعوتك ايانا الى دينك يا نوح لنرجمنك فعند ذلك دعا عليهم دعوة استجاب الله منه قال رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المومنين كما قال في الاية الاخرى فدعا ربه اني مغلوب فانتصر الى قوله لمن كان كفر وقال ههنا فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون هو المملو بالامتعة والازواج التي حمل فيه من كل زوجين اي نجينا نوحا ومن اتبعه كلهم واغرقنا من كذبه وخالف امره كلهم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وسبق تفسيره كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتبنون بكل ريع اية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله واطيعون واتقوا الذي امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم هذا اخبار عن حال هود عليه السلم انه دعا قومه عادا وكانوا يسكنون الاحقاف وهي جبال الرمل قريبا من بلاد حضرموت وكانوا بعد قوم نوح كما قال في سورة الاعراف واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة وذلك انهم كانوا في غاية من قوة التركيب والقوة والبطش الشديد والارزاق الدارة والاموال والاملاك و الارتفاعات الوافرة وكانوا مع ذلك يعبدون غير الله معه فبعث الله اليهم رجلا منهم رسولا وبشيرا ونذيرا فدعاهم الى الله وحذرهم نقمته وعذابه في مخالفته وقال لهم كما قال نوح لقومه الى ان قال اتبنون بكل ريع اية تعبثون واختلفوا في الريع بما حاصله انه

ونظيره قوله المرسلين والمراد نوح قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله الا دابة وبرد وقيل اخوهم لانه كان منهم من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم ٥

[illegible] والرذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزري بالديانة ٥

وهكذا كانت قريش تقول لاصحاب رسول الله [illegible] اتباع رسول الله [illegible] ضعفاء الناس [illegible] اتباع الانبياء كذلك ٥

تصدير القصص بها لان البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه وكان الانبياء متفقين على ذلك وان اختلفوا في الشرائع مبرئين عن المطامع الدنية والاعراض الدنيوية ٥

المكان

المكان المرتفع على جواد الطرق المشهورة يبنون هناك بناء محكما باهرا هائلا ولهذا قال اتبنون بكل ريع اية اي معلما اي بناء مشهورا تعبثون اي تفعلون ذلك عبثا من غير ان يحتاجون اليه بل لمجرد اللهو واللعب واظهار القوة ولهذا انكر عليهم نبيهم هود ذلك لانه تضييع المال واتعاب الابدان من غير فائدة في الدنيا ولا في الاخرة ثم قال وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون قال مجاهد المصانع البروج المشيدة والقصور المحكمة وفي رواية بروج الحمام وقال قتادة هي ماخذ الماء لعلكم تخلدون اي لكي تقيموا فيها ابدا ولا يكون كذلك بل زائل عنكم كما زال عمن قبلكم وقوله واذا بطشتم اي واذا اخذتم وسطوتم بطشتم جبارين وهذا وصف لهم بالقوة والغلظة والجبروت فاتقوا الله واطيعون اي اعبدوا ربكم واطيعوا رسولكم ثم شرع يذكرهم نعم الله عليهم فقال واتقوا الذي امدكم بما تعلمون اي اعطاكم من الخير ما تعلمون فيه وتعلمون ثم بين ما اعطاهم الى الله بالترغيب والترهيب مما نفع قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الاولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم اخبر تعالى عن جواب قوم هود بعدما حذرهم وانذرهم وبين لهم الحق ووضحه قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين اي لا نرجع عما فيه وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك كما قال تعالى سواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون وقولهم ان هذا الا خلق الاولين قرا بعضهم بفتح الخاء وتسكين اللام قال ابن مسعود وابن عباس يعنون ما هذا الذي جئتنا به الا اخلاق الاولين كما قال مشركوا قريش ان هذا الا اساطير الاولين وقرا اخرون بضم الخاء واللام اي دينهم وما هم عليه من الامر هو دين الاوائل من الاباء والاجداد نحن تابعون لهم نعيش كما عاشوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا معاد ولهذا قالوا وما نحن بمعذبين قال تعالى فكذبوه فاهلكناهم اي فاستمروا على تكذيب هود ومخالفته وعناده فاهلكهم الله وقد بين سبب اهلاكه اياهم في غير موضع من القران بانه ارسل عليهم ريحا صرصرا عاتية اي ريحا شديدة الهبوب ذات برد شديد جدا فكان اهلاكهم من جنسهم فانهم كانوا اعتى شي واجبره فسلط الله عليهم ما هو اعتى منهم واشد قوة وقد سبق ان الله لم يرسل اليهم من الريح الا مقدار انف الثور عتت على الخزنة فاذن لها في ذلك وسلكت في بلادهم فحصب كل شي لهم كما قال تعالى تدمر كل شي بامر ربها فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم وكانت الريح تاتي الرجل منهم فتقتلعه وترفعه في الهواء ثم تنكسه على ام راسه فتشدخ دماغه وتكسر راسه وتلقيه كانهم اعجاز نخل منقعر ولهذا قال فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لاية الى اخره كما سبق تفسيره كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اخبر تعالى عن رسوله صالح انه بعثه الى قومه ثمود وكانوا عربا يسكنون الحجر التي بين وادي القرى وبلاد الشام ومساكنهم معروفة مشهورة وقد سبق ذكرهم في سورة الاعراف وقد كانوا بعد عاد وقبل الخليل عليه السلم فدعاهم صالح الى الله ان يعبدوه وحده لا شريك له وان يطيعوه فيما بلغهم من الرسالة فابوا عليه وكذبوه وخالفوه واخبرهم انه لا يبتغي بدعوتهم اجرا منهم انما يطلب ثوابهم من الله ثم ذكرهم الاء الله عليهم فقال اتتركون فيما ههنا امنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون واعظا لهم ومحذرا اياهم نقم الله ان يحل بهم ومذكرا بانعم الله عليهم فيما رزقهم

امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون
اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم

من الارزاق الدارة وآمنهم من المحذورات وانبت لهم من الجنات وانبع لهم من العيون الجاريات واخرج لهم من
الزروع والثمرات ولهذا قال ونخل طلعها هضيم قال ابن عباس اينع وبلغ فهو هضيم والمراد رطب لطيف لين كما
قال قتادة الهضيم الرطب اللين وقال الضحاك اذا كثر حمل الثمرة وركب بعضه بعضا فهو هضيم وقال مرة هو الطلع
حين يتفرق ويخضر وقال الحسن هو الذي لا نوى له وقوله وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين قال ابن عباس وغير واحد
اى حاذقين وفي رواية عنه شرهين اشرين وهو اختيار مجاهد وجماعة ولا منافاة بينهما فانهم كانوا يتخذون تلك البيوت
المنحوتة في الجبال اشرا وبطرا وعبثا من غير حاجة الى سكناها وكانوا حاذقين متقنين لنحتها ونقشها كما هو المشاهد من
حالهم لمن راى منازلهم ولهذا قال فاتقوا الله واطيعون اي اقبلوا على عمل ما يعود عليكم نفعه في الدنيا والآخرة من
عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم لتوحدوه وتعبدوه وتسبحوه بكرة واصيلا ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون في
الارض ولا يصلحون يعني رؤساؤهم وكبراؤهم الدعاة لهم الى الشرك ومخالفة الحق قالوا انما انت من المسحرين ما انت
الا بشر مثلنا فات باية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها
بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين فاخذهم العذاب ان في ذلك لاية وما كان
اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم اخبر تعالى عن ثمود في جوابهم لنبيهم صالح حين دعاهم الى عبادة
ربهم بقوله انما انت من المسحرين قال مجاهد وقتادة اى من المسحورين وقال ابن عباس اى من المخلوقين كما اراد الشاعر
بقوله فان تسالينا فيم نحن فاننا عصافير من هذا الانام المسحر يعني الذين لهم سحور والسحر هو الرئة والاظهر الاول
يعني انما انت في قولك مسحور لا عقل لك ثم قالوا ما انت الا بشر مثلنا اي فكيف اوحي اليك دوننا ثم انهم اقترحوا عليه
آية ياتيهم بها ليعلموا صدقه فيما جاءهم به من ربهم فطلبوا منه وقد اجتمع ملؤهم ان يخرج لهم الان من هذه الصخرة
واشاروا الى صخرة عندهم ناقة عشراء من صفتها كذا وكذا فعند ذلك اخذ عليهم صالح العهود والمواثيق لئن اجابهم
الى ما سالوا ليؤمنن به وليتبعنه فانعموا بذلك فقام صالح فصلى ثم دعا الله ان يجيبهم الى سؤالهم فانفطرت تلك
الصخرة التي اشاروا اليها عن ناقة عشراء على الصفة التي وصفوها فآمن بعضهم وكفر اكثرهم قال هذه ناقة لها شرب و
لكم شرب يوم معلوم يعني ترد ماءكم يوما وتردونه انتم يوما ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم فحذرهم نقمة الله ان
اصابوها بسوء فمكثت الناقة بين اظهرهم حينا من الدهر ترد الماء وترعى الورق والمرعى وينتفعون بلبنها يحتلبون منها
ما يكفيهم شربا وريا فلما طال عليهم الامد وحضر شقاؤهم تمالؤوا على قتلها فعقروها فاصبحوا نادمين فاخذهم العذاب وهو
ان ارضهم زلزلت زلزالا شديدا وجاءتهم صيحة عظيمة اقتلعت القلوب من محالها واتاهم من الامر ما لم يكونوا يحتسبون
فاصبحوا في ديارهم جاثمين ان في ذلك لاية الى آخره كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم
رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون
الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم عادون اخبر تعالى عن نبيه لوط و
هو ابن هاران بن آزر وهو ابن اخي ابرهيم الخليل وكان قد بعثه الله الى امة عظيمة في حياة ابرهيم وكانوا يسكنون سدوم و
اعمالها التي اهلكها وجعل مكانها بحيرة منتنة خبيثة وهي مشهورة ببلاد الغور بمحاذية لجبال بيت المقدس بينها وبين
بلاد الكرك والشوبك فدعاهم الى الله ان يعبدوه وحده لا شريك له ولا يشركوا به شيئا وان يطيعوه ونهاهم عن معصية الله

وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في الدنيا مما لا يسبقهم الخلائق الى فعله من اتيان الذكران دون الاناث ولهذا قال
اتاتون الذكران من العالمين يعني الجماع في ادبارهم وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم قال مجاهد اى تركتم اقبال
النساء الى ادبار الرجال بل انتم قوم عادون اي المعتدون المجاوزون عن الحلال الى الحرام ولما نهاهم عن اتيانهم
الفواحش وغشيانهم الذكور وارشدهم الى اتيان نسائهم اللاتي خلقهن الله لهم فما كان جواب قومه الا ان قالوا
لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال اني لعملكم من القالين رب نجني واهلي مما يعملون فنجيناه
واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين
ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم اى لئن لم تنته عما جئتنا به لننفينك
ونخرجك من بين اظهرنا فلما راى انهم لا يرتدعون عما هم فيه وانهم مستمرون على ضلالتهم تبرا منهم فقال اني لعملكم
من القالين اي المبغضين لا احبه ولا ارضى به واني بريء منكم ثم دعا الله عليهم فقال رب نجني واهلي مما يعملون قال
تعالى فنجيناه واهله اجمعين اي كلهم الا عجوزا في الغابرين وهي امراته وكانت عجوز سوء بقيت فهلكت مع من بقي من
قومها وذلك كما اخبر تعالى عنهم في سورة الاعراف وهود وكذا في الحجر حين امره الله ان يسري باهله الا امراته وانهم لا يلتفتوا
اذا سمعوا الصيحة حين تنزل على قومه فصبروا لامر الله واستمروا وانزل الله على اولئك العذاب فعمهم وامطر عليهم حجارة
من سجيل منضود ولهذا قال ثم دمرنا الآخرين الى آخره كذب اصحاب الايكة المرسلين اذ قال شعيب الا تتقون اني
لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين هؤلاء اهل
مدين على الصحيح وكان نبي الله شعيب من انفسهم وانما لم يقل ههنا اخوهم شعيب لانهم نسبوا الى عبادة الايكة وهي شجرة وقيل
شجر ملتف كالغيضة كانوا يعبدونها ولهذا لما قال كذب اصحاب الايكة المرسلين لم يقل اذ قال لهم اخوهم شعيب بل قال اذ قال لهم شعيب
فقطع نسبة الاخوة بينهم لذلك وان كان اخاهم نسبا ومن الناس من لم يتفطن لهذه النكتة فظن ان اصحاب الايكة غير اهل مدين
فزعم ان شعيبا بعث الى امتين ومنهم من قال الى ثلث والصحيح انهم امة واحدة وصفوا في كل مقام بشيء ولهذا وعظ هؤلاء
وامرهم بوفاء المكيال والميزان كما في قصة مدين سواء فدل ذلك على انهما واحدة والله اعلم اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين
وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين واتقوا الذي خلقكم
والجبلة الاولين امرهم بايفاء المكيال والميزان ونهاهم عن التطفيف فيهما فقال اوفوا الكيل اى اذا دفعتم الى الناس فكملوا
الكيل لهم ولا تخسروه فتعطوه ناقصا وتاخذوه اذا كان لكم تاما وافيا ولكن خذوا كما تعطون واعطوا كما تاخذون وزنوا بالقسطاس
المستقيم والقسطاس هو الميزان وقيل القبان وقيل هو معرب من الرومية وقال مجاهد وغيره القسطاس المستقيم هو العدل
بالرومية وقوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي لا تنقصوهم اموالهم ولا تعثوا في الارض مفسدين يعني قطع الطريق وقوله واتقوا
الذي خلقكم يخوفهم باس الذي خلقهم وخلق اباءهم الاوائل كما قال موسى ربكم ورب اباءكم الاولين الجبلة الخلق يقال جبل
اي خلق قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا
من السماء ان كنت من الصادقين قال ربي اعلم بما تعملون فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب
يوم عظيم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم اخبر تعالى عن جواب قومه
له بمثل ما اجاب به ثمود لرسولها تشابهت قلوبهم حيث قالوا انما انت من المسحرين اى من المسحورين كما تقدم وما انت الا بشر مثلنا

من لسان ما اتيه اريد حيض الاناث
او للتبعيض ان اريد به العضو المباح
منهن فكون تعريضا انهم كانوا
يفعلون مثل ذلك بنسائهم ايضا

اذ دخل جبريل على الكلم جناحه تحت قراهم
وهي خمس مدائن فيها اربعمائة الف او اربعة
الاف الف فرفعها حتى سمع اهل السماء
صياح الديكة ونباح الكلاب ثم قلبها و
امطر عليهم حجارة من سجيل

اى بالاول والاولاد عادة
جامع بين وصفين
متنافيين للرسالة
مبالغة في التكذيب

وان نظنك لمن الكاذبين اى تتعمد الكذب فيما تقوله لا ان الله ارسلك الينا فاسقط علينا كسفا من السماء اى جانبا وقطعا من
السماء وقطعا او عذابا وقوله قال ربي اعلم بما تعملون اى الله اعلم بكم فان كنتم تستحقون ذلك جازاكم به غير ظالم لكم وكذلك وقع بهم كما سألوا
جزاء وفاقا ولهذا قال تعالى فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم وهذا من جنس ما سألوا من اسقاط الكسف عليهم فان
الله جعل عقوبتهم ان اصابهم حر شديد جدا مدة سبعة ايام لا يكنهم منه شي ثم اقبلت اليهم سحابة اظلتهم فجعلوا ينطلقون اليها
يستظلون بظلها من الحر فلما اجتمعوا كلهم تحتها ارسل الله عليهم منها شررا من نار ولهبا ووهجا عظيما ورجفت بهم الارض وجاءتهم
صيحة عظيمة ازهقت ارواحهم وقد ذكر تعالى صفة اهلاكهم في ثلثة مواطن بحسب ما يناسب ذلك السياق ففي الاعراف ذكر انهم اخذتهم
الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين وذلك لانهم قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا
فارجفوا بنبي الله ومن اتبعه فاخذتهم الرجفة وفي سورة هود قال فاخذتهم الصيحة وذلك لانهم استهزؤوا بنبي الله في قولهم
اصلاتك تأمرك ان نترك ما كان يعبد آباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد قالوا ذلك على سبيل التهكم
والازدراء فناسب ان ياتيهم صيحة تسكتهم فقال فاخذتهم الصيحة وههنا قالوا فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت
من الصادقين على وجه التعنت والعناد فناسب ان يحق عليهم ما استبعدوا وقوعه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان
عذاب يوم عظيم وقال محمد بن كعب القرظي ان اهل مدين عذبوا بثلثة اصناف من العذاب اخذتهم الرجفة في دارهم
حتى خرجوا منها اصابهم فزع شديد ففرقوا ان يدخلوا البيوت فتسقط عليهم فارسل الله عليهم الظلة فدخل تحتها رجل فقال
ما رايت كاليوم ظلا اطيب ولا ابرد هلموا ايها الناس فدخلوا جميعا تحت الظلة فصاح فيهم صيحة واحدة فماتوا جميعا
ثم تلا هذه الاية وعن ابن عباس نحوه ان في ذلك لاية لدلالة واضحة وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز اى في انتقامه
من الكافرين الرحيم اى بعباده المؤمنين وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين
بلسان عربي مبين اخبر تعالى عن الكتاب الذي انزله على سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم بقوله وانه اى القرآن الذي سبق ذكره
في اول السورة في قوله ما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا لتنزيل رب العالمين اى انزله الله عليك واوحاه اليك نزل به
الروح الامين وهو جبريل عليه السلام قاله ابن عباس والجمهور وهذا لا نزاع فيه كقوله قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك
باذن الله لتكون من المنذرين اى نزل به ملك كريم امين ذو مكانة عند الله على قلبك يا محمد سالما من الدنس والزيادة والنقصان
لتنذر به باس الله ونقمته على من خالفه وكذبه وتبشر به المؤمنين به المتبعين له وقوله بلسان عربي مبين اى هذا القرآن
الذي انزلناه اليك انزلناه بلسانك العربي الفصيح الكامل ليكون بينا واضحا ظاهرا قاطعا للعذر مقيما للحجة دليلا الى
المحجة قال سفين الثوري لم ينزل وحي الا بالعربية ثم ترجم كل نبي لقومه واللسان يوم القيمة بالسريانية من دخل الجنة تكلم
بالعربية رواه ابن ابي حاتم وانه لفي زبر الاولين اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل ولو نزلناه على بعض
الاعجمين فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين اى وان ذكر هذا القرآن لموجود في كتب الاولين المأثورة عن انبيائهم
الذين بشروا به في قديم الزمان وحديثه كما اخذ الله عليهم الميثاق بذلك حتى قام آخرهم خطيبا في ملائه بالبشارة باحمد كما قال
تعالى واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه
احمد والزبر هي الكتب جمع زبور وقال تعالى وكل شي فعلوه في الزبر اى مكتوب عليهم في صحف الملئكة ثم قال اولم يكن لهم آية
اوليس يكفيهم من الشاهد الصادق على ذلك ان علماء بني اسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم التي يدرسونها اى العدول منهم [illegible]

تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على اعجاز القرآن
ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها
لا يكون الا وحيا من الله عز وجل والقلب ان اراد
به الروح فذاك وان اراد به العضو فتخصيصه لان
المعاني الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل
منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تصعد منه الى
الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة والروح الامين
جبريل فانه امين الله على وحيه [illegible]

المعترفين بما في ايديهم على نهج الصواب كعبد الله بن سلام وامثاله كما قال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي
الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل الآية ثم قال تعالى مخبرا عن شدة كفر قريش وعنادهم لهذا القرآن انه لو نزله
على رجل من الاعاجم ممن لا يدري من العربية كلمة فقراه عليهم ببيانه وفصاحته لا يؤمنوا به انفة من اتباعه وقيل اى
فقراه عليهم بغير لغة العرب لم يؤمنوا به ويقولوا ما نفقه قولك كما قال تعالى ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت
آياته ءاعجمي وعربي الآية كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فياتيهم بغتة وهم
لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون افبعذابنا يستعجلون افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما
كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا
ظالمين اى كذلك ادخلنا التكذيب والكفر والجحود والعناد في قلوب المجرمين لا يؤمنون به بالحق حتى يروا العذاب الاليم
الموجع حيث لا ينفع الظالمين معذرتهم فياتيهم اى عذاب الله بغتة وهم لا يشعرون بذلك في الدنيا فيقولون اى يتمنون حين
يشاهدون العذاب عند الموت ان لو انظروا قليلا ليعملوا في زعمهم بطاعة الله وهكذا حكم كل ظالم وكافر اذا شاهد عقوبته
ندم وتحسر وتمنى ان يمهل حتى يعمل ما يجبر ذلك وقوله افبعذابنا يستعجلون انكار عليهم وتهديد لهم فانهم كانوا يقولون للرسول
تكذيبا واستبعادا ائتنا بعذاب الله كما قال تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب الآية ثم قال افرايت
ان متعناهم سنين اى لو اخرناهم وانظرناهم برهة من الزمان وان طال ثم جاءهم امر الله اى شي يجدي عنهم ما كانوا فيه
من النعيم كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها يعني انهم وان طال تمتعهم بنعيم الدنيا فاذا اتاهم العذاب
لم يغن ذلك عنهم شيئا ويكون كانهم لم يكونوا في نعيم قط ولهذا قال ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون وفي الحديث الصحيح
يؤتى بالكافر فيغمس في النار غمسة ثم يقال هل رايت خيرا قط هل رايت نعيما قط فيقول لا ويؤتى باشد الناس بؤسا كان
في الدنيا فيصبغ صبغة ثم يقال هل رايت بؤسا قط فيقول لا اى ما كان شي ثم اخبر تعالى عن عدله في خلقه انه ما اهلك امة من
الامم الا بعد الاعذار اليهم والانذار لهم وبعثة الرسل وقيام الحجج عليهم ولهذا قال وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون
اى رسل ينذرونهم ذكرى اى تلك ذكرى او ينذرونهم ذكرى وما كنا ظالمين كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون اخبر تعالى عن القرآن العزيز
انه نزل به الروح الامين المؤيد من الله وما نزلت به الشياطين فانه يمتنع عليهم ذلك من ثلثة اوجه احدها انه لا ينبغي
لهم اى ليس من بغيتهم ولا طلبتهم لان من سجاياهم الفساد واضلال العباد وهذا فيه نور وهدى وبرهان عظيم
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فبينه وبين الشياطين منافاة مانعة الجمع ولهذا قال وما ينبغي لهم والثاني انهم ما يستطيعون
ذلك اى ولو انبغى لهم لما استطاعوا ذلك قال تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله ثم
بين انهم لو انبغى لهم واستطاعوا حمله وتاديته لما وصلوا الى ذلك لانهم بمعزل عن استماع القرآن حال نزوله لان السماء
ملئت حرسا شديدا وشهبا في مدة انزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يخلص احد من الشياطين الى استماع حرف
واحد منه لئلا يشتبه الامر وهذا من رحمة الله بعباده وحفظه لشرعه وتاييده لكتابه ورسوله ولهذا قال انهم عن السمع
لمعزولون اى لمحجوبون بالشهب مرجومون فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وانذر عشيرتك
الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون وتوكل على

غاية عنادهم واستكبارهم

فنهلك غير الظالمين

بعلم

في الجنة م

لين جانبك لهم [illegible]

العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين انه هو السميع العليم لقد امر تعالى عباده بعبادته
وحده لا شريك له واخبر انه من اشرك به عذبه بقوله فلا تدع مع الله الها آخر والخطاب للامة ثم امر رسوله عليه الصلوة و
السلم ان ينذر عشيرته الاقربين اي الادنين اليه وانه لا يخلص احدا منهم الا ايمانه بربه تعالى وامره ان يلين جانبه لمن اتبعه
من عباده المؤمنين وان يتبرأ ممن عصاه من الخلائق كائنا من كان ولهذا قال فان عصوك فقل انى برئ مما تعملون وهذه
النذارة الخاصة لا تنافى العامة بل هى فرد من اجزائها كما قال لتنذر به المتقين وتنذر به قوما لدا وعن ابى هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى احد من هذه الامة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم
يؤمن بالذى ارسلت به الا كان من اصحاب النار رواه مسلم وفى نزول هذه الاية وردت احاديث منها ما ورد فى الصحيحين
عن ابن عباس قال لما انزل الله وانذر عشيرتك الاقربين اتى النبى صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى يا صباحاه
فاجتمع الناس اليه من رجل يجئ اليه ومن رجل يبعث رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى عبد المطلب يا بنى فهر
ارايتم لو اخبرتكم ان خيلا بسفح هذا الجبل تريد ان تغير عليكم صدقتمونى قالوا نعم قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد
فقال ابو لهب تبا لك سائر اليوم اما دعوتنا الا لهذا فانزل الله تبت يدا ابى لهب وتب والسياق لاحمد وفيهما ايضا
عن ابى هريرة قال لما نزلت هذه الاية وانذر عشيرتك الاقربين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فعم وخص فقال يا معشر
قريش انقذوا انفسكم من النار يا معشر بنى كعب انقذوا انفسكم من النار يا معشر بنى هاشم انقذوا انفسكم من النار يا
معشر بنى عبد المطلب انقذوا انفسكم من النار يا فاطمة بنت محمد انقذى نفسك من النار فانى والله لا املك لكم من الله
شيئا الا ان لكم رحما سابلها ببلالها وفى رواية يا عباس بن عبد المطلب لا اغنى عنك من الله شيئا ويا صفية عمة رسول
الله لا اغنى عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت محمد سلينى ما شئت من مالى لا اغنى عنك من الله شيئا وقوله وتوكل على العزيز
الرحيم اى فى جميع امورك فانه مؤيدك وحافظك وناصرك ومعلى كلمتك وقوله الذى يراك حين تقوم اى هو معتن بك
كما قال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا قال ابن عباس اى حين تقوم الى الصلوة وقال قتادة اى يراك قائما وجالسا وعلى
حالاتك وقوله وتقلبك فى الساجدين اي ويرى تقلبك فى الجمع اى وفى حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك وقيل يعنى
فى المصلين فى القاعد وقال مجاهد يرى تقلبك فى المصلين فانه كان يبصر من خلفه كما يبصر من امامه ويشهد له
ما فى الصحيحين انه عليه الصلوة قال اتموا الصفوف فانى اراكم من وراء ظهرى وعن ابن عباس يعنى تقلبه من صلب نبى الى
صلب نبى حتى اخرجه نبيا وقوله انه هو السميع العليم اى السميع لاقوال عباده العليم بحركاتهم وسكناتهم هل انبئكم على من تنزل الشياطين
تنزل على كل افاك اثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم فى كل واد
يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من
بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون خاطب تعالى من زعم من المشركين ان ما جاء به الرسول شئ افتعله من
تلقاء نفسه او انه اتاه به رئى من الجان فنزه سبحانه جناب رسوله عن قولهم وافترائهم ونبه انما جاء به هو من عند الله
وانه وحى نزل به ملك كريم امين عظيم وانه ليس من قبل الشياطين لانهم ينزلون على من يشاكلهم ويشابههم من الكهان الكذبة
ولهذا قال هل انبئكم اى اخبركم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم اى كذوب فى قوله وهو الاثيم الفاجر فى
فعاله فهذا هو الذى تنزل عليه الشياطين كالكهان ومن جرى مجراهم من الكذبة الفسقة الفجرة يلقون السمع اى يسترقون السمع

لما بين ان القران لا يصح ان يكون مما نزلت به
الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا صلعم
لا يصلح لان تنزلوا عليه من وجهين احدهما
انما ينزلون على شرير كذاب كثير الاثم لان
اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب
والتواد وحال محمد صلعم على خلاف ذلك و
ثانيهما قوله يلقون السمع واكثرهم كاذبون

من السماء فيسمعون الكلمة من علم الغيب فيزيدون معها مائة كذبة ثم يلقونها الى اوليائهم من الانس فيحدثون بها فيصدقهم
الناس فى كل ما قالوه بسبب صدقهم فى تلك الكلمة التى سمعت من السماء كما فى الصحيحين قالت عائشة سال اناس رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال انهم ليسوا بشئ قالوا يا رسول الله فانهم يحدثون احيانا بالشئ يكون حقا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقرقرها فى اذن وليه كقرقرة الدجاجة فيخلطون فيها اكثر من
مائة كذبة وعنها ايضا قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الملائكة تنزل فى العنان وهو السحاب فتذكر الامر قضى فى
السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند انفسهم رواه البخارى قوله والشعراء يتبعهم
الغاوون قال ابن عباس يعنى الكفار يتبعهم ضلال الانس والجن وقال عكرمة كان شاعران يتهاجيان فينتصر لهذا فئام
من الناس ولهذا فئام فانزل الله والشعراء يتبعهم الغاوون وعن ابى سعيد الخدرى قال بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالعرج اذ عرض شاعر ينشد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا الشيطان او امسكوا الشيطان لان يمتلئ جوف رجل قيحا
خير له من ان يمتلئ شعرا رواه مسلم واحمد وقوله الم تر انهم فى كل واد يهيمون قال ابن عباس اى فى كل فن من الكلام وفى كل لغو
يخوضون وقال الحسن قد والله راينا اوديتهم التى يهيمون فيها مرة فى شتيمة فلان ومرة فى مدحة فلان وقال قتادة الشاعر
يمدح قوما بباطل ويذم قوما بباطل وقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون قال ابن عباس اكثر قولهم يكذبون فيه وهذا ظاهر والواقع انهم
يتبالغون فى اقوال وافعال لم تصدر عنهم ولهذا اختلفوا فيما اذا اعترف الشاعر فى شعره بما يوجب حدا هل [illegible] عليه بهذا الاعتراف
ام لا لانهم يقولون ما لا يفعلون والراجح الاول والمراد ان [illegible] الرسول صلى الله عليه وسلم الذى انزل عليه ليس بكاهن ولا شاعر لان حاله
مناف لحالهم من وجوه ظاهرة كما قال تعالى وما علمناه الشعر [illegible] ينبغى له ان هو الا ذكر وقران مبين وقال وانه لتنزيل رب العالمين الاية
وقوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات روى انه لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاوون جاء حسان بن ثابت وابن رواحة وكعب بن
مالك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكون فقالوا يا رسول الله قد علم الله حين انزل هذه الاية انا شعراء فتلا النبى صلى الله عليه وسلم الا
الذين امنوا وعملوا الصالحات قال انتم وذكروا الله كثيرا قال انتم وانتصروا من بعد ما ظلموا قال انتم رواه ابن جرير وابن ابى حاتم ومن هنا قيل ان هذه الاية
مدنية لانهم من الانصار وقال ابن عباس وغير واحد ان هذا الاستثناء مما تقدم وان هذه السورة مكية فكيف يكون سبب نزولها الانصار
كانهم نظروا فى ذلك والحاصل ان هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الانصار وغيرهم حتى شعراء الجاهلية الذين ذموا الاسلام واهله
ثم تابوا وانابوا ورجعوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا فى مقابلة ما قالوه من الكلام السئ فان الحسنات يذهبن السيئات وذكروا
الله كثيرا اى فى كلامهم وقيل فى شعرهم كفارة لما سبق وقوله وانتصروا من بعد ما ظلموا قال ابن عباس وغير واحد اى ردوا على المشركين
الذين يهجون به المؤمنين كما ثبت فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان اهجهم او قال هاجهم وجبريل معك وعن
كعب بن مالك انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد انزل فى الشعر ما انزل فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يجاهد
بسيفه ولسانه والذى نفسى بيده لكانما ترمونهم به نضح النبل رواه احمد ثم اوعد شعراء المشركين فقال وسيعلم الذين ظلموا
اى منقلب ينقلبون اى مرجع يرجعون بعد الموت وقال قتادة يعنى من الشعراء وغيرهم وهو عام فى كل ظالم وان كان السبب
خاصا كما قالت عائشة كتب ابى رضى الله عنه فى وصيته سطرين بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اوصى به ابو بكر بن ابى قحافة عند خروجه من الدنيا
حين يؤمن الكافر وينتهى الفاجر ويصدق الكاذب انى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان يعدل فذاك ظنى ورجائى
وان يجر ويبدل فلا اعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون

تفسير سورة النمل وهى مكية

استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله و
تلاوة القران وكان ذلك اغلب عليهم من الشعر واذا
قالوا شعرا قالوه فى توحيد الله والثناء عليه و
الحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح
رسول الله صلعم والصحابة والصلحاء الامة وما
لا باس به من المعانى التى لا يتلطخون فيها بذنب
ولا يتلبسون بشائبة وكان هجاؤهم على سبيل
الانتصار ممن يهجوهم قال الله لا يحب الله الجهر بالسوء
من القول الا من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا
زيادة على ما هو جواب لقوله فاعتدوا عليه بمثل
ما اعتدى عليكم والقول فيه ان الشعر باب من الكلام
فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين
الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم
اعمالهم فهم يعمهون اولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الاخسرون وانك لتلقى القرآن
من لدن حكيم عليم سبق البحث عن حروف اوائل السور في اول سورة البقرة وقوله تلك اي هذه آيات القرآن وكتاب مبين
اي بين واضح وهدى وبشرى للمؤمنين اي انما يحصل الهداية والبشارة من القرآن لمن آمن به وصدقه واتبعه وعمل بما فيه واقام
الصلوة المكتوبة وآتى الزكوة المفروضة وايقن بالدار الآخرة والبعث بعد الموت والجزاء على الاعمال خيرها وشرها و
الجنة والنار ولهذا قال ان الذين لا يؤمنون بالآخرة اي يكذبون بها ويستبعدون وقوعها زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون
اي حسنا لهم ما هم فيه ومددنا لهم في غيهم فهم يتيهون في ضلالهم وكان هذا جزاء على ما كذبوا به من الدار الآخرة كما قال
تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون وقوله اولئك الذين لهم سوء العذاب
في الدنيا والآخرة وهم في الآخرة هم الاخسرون اي وهم متعينون بالخسارة في الآخرة بخلودهم في النار وقوله وانك لتلقى القرآن
اي وانك يا محمد لتاخذ القرآن من عند حكيم عليم اي حكيم في اوامره ونواهيه عليم بالامور جليلها وحقيرها فخبره هو الصدق المحض
وحكمه هو العدل التام كما قال وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا اذ قال موسى لاهله اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر او آ
تيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب
العالمين يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم والق عصاك فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب
يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم وادخل يدك
في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم
آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة
المفسدين ذكر الله لرسوله عليه الصلوة والسلم من امر موسى عليه السلم كيف اصطفاه وكلمه وناجاه واعطاه من الآيات الباهرة
والادلة القاهرة وابتعثه الى فرعون وملائه فجحدوا بها وكفروا واستكبروا عن اتباعه والانقياد له فقال تعالى اذ قال موسى
لاهله اي اذكر حين سار موسى باهله فاضل الطريق وذلك في ليل وظلام فآنس من جانب الطور نارا اي رأى نارا تاجج
وتضطرم فقال لاهله اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر اي عن الطريق او آتيكم بشهاب قبس وهو العود الذي في احد طرفيه
نار قيل والشهاب هو شيء ذو نور مثل العمود والعرب تسمي كل ابيض ذي نور شهابا والقبس القطعة من النار لعلكم تصطلون
اي كي تستدفئوا من البرد وكان ذلك في شدة الشتاء وكان كذلك فانه رجع منها بخبر عظيم واقتبس منها نورا عظيما ولهذا
قال فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها اي فلما اتاها ورأى منظرا هائلا حيث انتهى اليها والنار تضطرم
في شجرة خضراء لا تزداد النار الا توقدا ولا تزداد الشجرة الا خضرة ثم رفع راسه فاذا نورها متصل بعنان السماء قال
ابن عباس وغيره ولم تكن نارا انما كانت نورا تتوهج فوقف موسى متعجبا مما رأى فنودي ان بورك من في النار ومن حولها
اي من الملائكة قاله ابن عباس وغيره عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام
يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار بالليل حجابه النار وهكذا في رواية المسعودي لو كشفها لاحرقت
سبحات وجهه كل شيء ادركه بصره رواه ابن ابي حاتم وروى مسلم نحوه وقوله وسبحان الله رب العالمين اي الذي يفعل ما يشاء

من تمام ما نودي به

[illegible]

[illegible]

ولا يشبهه

[illegible]

ولا يشبهه شيء من مخلوقاته وهو المنزه عن جميع النقائص وقوله يا موسى انه انا الله اعلمه ان الذي يخاطبه ويناجيه هو
ربه الله العزيز الذي عز كل شيء وقهره الحكيم في افعاله واقواله ثم امره ان يلقي عصاه من يده ليظهر له دليلا واضحا
على انه الفاعل المختار القادر على كل شيء فلما القى العصا من يده انقلبت في الحال حية عظيمة هائلة في غاية الكبر وسرعة
الحركة مع ذلك ولهذا قال فلما رآها تهتز كانها جان والجان ضرب من الحيات اسرعه حركة واكثره اضطرابا فلما عاين
ذلك ولى مدبرا ولم يعقب اي لم يلتفت من شدة فزعه يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون اي لا تخف مما
ترى اني اريد ان اصطفيك رسولا نبيا وقوله الا من ظلم هذا استثناء منقطع وفيه بشارة عظيمة للبشر وذلك ان من
كان على عمل سيء ثم اقلع عنه ورجع وتاب واناب فان الله يتوب عليه كما قال تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم
اهتدى وقوله وادخل يدك في جيبك هذه آية اخرى ودليل باهر على قدرته وصدق من جعل له معجزة وذلك ان الله امره
ان يدخل يده في جيب درعه فاذا ادخلها واخرجها خرجت بيضاء ساطعة كانها قطعة قمر لها لمعان تتلألأ كالبرق
الخاطف وقوله في تسع آيات اي هاتان ثنتان من تسع آيات ايدتك بهن واجعلهن برهانا لك الى فرعون وقومه
هذه من الآيات التسع التي قال الله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات وقوله فلما جاءتهم آياتنا مبصرة اي بينة
واضحة ظاهرة قالوا هذا سحر مبين وارادوا معارضته بسحرهم فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وجحدوا بها اي في ظاهر
امرهم واستيقنتها انفسهم اي علموا في انفسهم انها حق من عند الله ولكن جحدوها وعاندوها وكابروها ظلما وعلوا
اي ظلما من انفسهم واستكبارا عن اتباع الحق ولهذا قال فانظر كيف كان عاقبة المفسدين اي انظر يا محمد كيف كان
عاقبة امرهم في اهلاك الله اياهم واغراقهم عن آخرهم في صبيحة واحدة والمراد احذروا ايها المكذبون لمحمد الجاحدون
لما جاء به من ربه ان يصيبكم ما اصابهم بالاولى فان محمدا عليه الصلوة والسلم اشرف واعظم من موسى وبرهانه ادل
واقوى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث
سليمان داود وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين وحشر
لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون حتى اذا اتوا على وادي النمل قالت نملة يا ايها
النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال
رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك
في عبادك الصالحين يخبر تعالى عما انعم به على عبديه ونبييه داود وسليمن عليهما السلم من النعم الجزيلة والصفات الجميلة
وما جمع لهما بين سعادة الدنيا والآخرة من الملك والتمكين في الدنيا والنبوة والرسالة في الدين ولهذا قال ولقد آتينا داود
وسليمان علما اي علم القضاء ومنطق الطير والدواب وتسبيح الجبال وقالا الحمد لله الذي فضلنا اي بالنبوة والكتاب وتسخير
الشياطين والجن والانس على كثير من عباده المؤمنين وكتب عمر بن عبد العزيز الى بعض اصدقائه انه ان الله لم ينعم على عبد نعمة
فحمد الله عليها الا كان حمده افضل من نعمته لو كنت لا تعرف ذلك الا في كتاب الله المنزل قال الله تعالى ولقد آتينا داود و
سليمن علما الى قوله المؤمنين فاي نعمة افضل مما اوتي داود وسليمن وقوله وورث سليمن داود اي في الملك والنبوة وليس
المراد وراثة المال اذ لو كان كذلك لم يخص سليمن وحده من بين سائر اولاد داود فانه كان لداود مائة امراة ولكن المراد
بذلك وراثة الملك والنبوة فان الانبياء لا تورث اموالهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث

قال بعض العلماء ليس هذا باستثناء من المرسلين لانه لا يجوز عليهم الظلم بل هو استثناء من المتروك من الكلام معناه لا يخاف لدي المرسلون انما الخوف على غيرهم من الظالمين الا من ظلم ثم تاب وهذا من الاستثناء المنقطع معناه لكن من ظلم من سائر الناس فانه يخاف فان تاب وبدل حسنا بعد سوء فان الله غفور رحيم يعني يغفر الله له ويزيل الخوف عنه وقال بعض النحويين الا ههنا بمعنى ولا يعني لا يخاف لدي المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء يقول لا يخاف لدي المرسلون ولا المذنبون التائبون كقوله تعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم يعني ولا الذين ظلموا منهم معالم

والكثير المفضل عليهم من لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفي الآية دليل على شرف العلم وتقدم حملته واهله وان نعمة العلم من اجل النعم وان من اوتيه فقد اوتي فضلا على كثير من عباد الله كما قال تعالى والذين اوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله صلعم الا ورثة الانبياء الا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها ان يحمدوا الله على ما اوتوه من فضلهم على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع وان يعتقد العالم انه ان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير وما احسن قول عمر كل الناس افقه من عمر

مما تركنا فهو صدقة هكذا في الصحيحين وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء اي اخبر سليمن بنعم الله
عليه فيما وهب له من الملك التام والتمكين العظيم حتى انه سخر له الجن والانس والطير وكان يعرف لغة الطير والحيوان ايضا
وهذا شيء لم يعطه احد من البشر فيما علمناه من الكتاب والسنة ومن زعم من الجهال ان الحيوانات كانت تنطق كنطق بني آدم
قبل سليمن بن داود فهو قول بلا علم ولو كان كذلك لم يكن لتخصيص سليمان بذلك فائدة اذ كلهم يسمع كلام الطيور والبهائم بل
لم تزل البهائم والطيور وسائر المخلوقات من وقت خلقت الى زماننا هذا على هذا الشكل والمنوال ولكنه تعالى قد افهم سليمن
ما تخاطب به الطيور في الهواء وما تنطق به الحيوانات على اختلاف اصنافها ولهذا قال علمنا منطق الطير واوتينا من كل
شيء اي مما يحتاج اليه الملك ان هذا لهو الفضل المبين اي الظاهر المبين لله علينا وقوله حتى اذا اتوا على وادي النمل اي حتى اذا
مر سليمن بمن معه من الجيوش والجنود على واد من النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم وقال الحسن
ان اسم تلك النملة حرس وانها من قبيلة يقال لهم الشيصان وكانت عرجاء وكانت بقدر الذيب اي خافت على النمل
ان يكسرها الخيول بحوافرها والحطم الكسر فامرتهم بالدخول الى مساكنها ففهم ذلك سليمن عنها فتبسم ضاحكا من
قولها وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك اي الهمني ان اشكر نعمتك التي مننت بها علي من تعليمي منطق الطير والحيوان
وعلى والدي بالاسلام والايمان وان اعمل صالحا ترضاه اي عملا تحبه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين اي اذا توفيتني
فالحقني بالصالحين من عبادك والرفيق الاعلى من اوليائك وعن نوف البكالي ان نمل سليمن كان امثال الذياب اي
بالياء المثناة من تحت وانما هو بالباء الموحدة وذلك تصحيف والله اعلم والغرض ان سليمن فهم قولها وتبسم ضاحكا
من ذلك وهذه معجزة عظيمة وعن ابي الصديق الناجي قال خرج سليمن بن داود يستسقي فاذا هو بنملة مستلقية
على ظهرها رافعة قوائمها الى السماء وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك لا غنى بنا عن سقياك وان لا تسقنا تهلكنا فقال
سليمن ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم رواه ابن ابي حاتم وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من
الغائبين لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او ليأتيني بسلطان مبين قال ابن عباس وغيره كان الهدهد
مهندسا يدل سليمن على الماء اذا كان بارض فلاة طلبه فنظر له الماء في تخوم الارض فاذا دلهم عليه امر سليمن الجان فحفروا له
ذلك المكان حتى يستنبطوا الماء من قراره فنزل سليمن يوما بفلاة من الارض فتفقد الطير اي طلبها وبحث عنها و
التفقد طلب المفقود ليرى الهدهد فلم يره فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين قال الحسن اسم هدهد
سليمن عنبر وقال ابن اسحق كان سليمن اذا غدا الى مجلسه الذي كان يجلس فيه تفقد الطير وكان فيما يزعمون يأتيه
نوب من كل صنف من الطير كل يوم طائر فنظر فراى من اصنافها كلها الا الهدهد فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من
الغائبين اي اخطأه بصري من الطير ام غاب فلم يحضر وقوله لاعذبنه عذابا شديدا قال ابن عباس وغيره اي نتف ريشه و
تشميسه وتركه ملقى يأكله الذر والنمل وقوله او لاذبحنه اي قتله او ليأتيني بسلطان مبين اي بعذر بين واضح فلما قدم
الهدهد قالت له الطير ما خلفك فقد نذر سليمان دمك فقال هل استثنى قالوا نعم قال لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه
او ليأتيني بسلطان مبين فقال نجوت اذا فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ
بنبإ يقين اني وجدت امراة تملكهم واوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها
يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون

الا يسجد

وحشر لسليمن جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون

معنى تبسم ضاحكا شارعا في الضحك واخذا فيه بمعنى لم يجاوز التبسم الى الضحك وكذلك ضحك الانبياء واما ما ذكر انه صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض الوصف بالمبالغة من وصف وحد منه من الضحك النبوي والا فبدو النواجذ على الحقيقة انما يكون عند الاستغراق

ام منقطعة كانه لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لساتر او غيره فقال ما لي لا ارى الهدهد ثم احتاط فلاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول ا هو غائب كانه يسال عن صحة ما لاح له

[illegible]

كان سبب غيبة الهدهد على ما ذكره العلماء ان سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى ارض الحرم فتجهز للمسير واستصحب من الجن والانس والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ معسكره مائة فرسخ فحملتهم الريح فلما
وافى الحرم اقام به ما شاء الله ان يقيم وكان يقرب كل يوم طول مقامه بمكة خمسة الاف ناقة وخمسة الاف ثور وعشرين الف غنم وقال لمن حضره من اشراف قومه ان هذا مكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا
وكذا يعطى النصر على جميع من ناواه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم قالوا فباي دين يدين يا نبي الله قال يدين بدين الحنيفية فطوبى لمن ادركه وآمن به فقالوا كم
بيننا وبين خروجه يا نبي الله قال مقدار الف عام فليبلغ الشاهد منكم الغائب فانه سيد الانبياء وخاتم الرسل قال فاقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك
مسيرة شهر فراى ارضا حسناء تزهو خضرتها فاحب النزول بها ليصلي ويتغدى فلما نزل قال الهدهد ان سليمن قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السماء فانظر الى طول الدنيا وعرضها ففعل ذلك فنظر يمينا وشمالا فراى
بستانا لبلقيس فمال الى الخضرة فوقع فيه فاذا هو بهدهد فهبط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن عنفير فقال عنفير اليمن ليعفور سليمن من اين اقبلت واين تريد قال اقبلت من الشام
مع صاحبي سليمن بن داود فقال ومن سليمن قال ملك الجن والانس والشياطين والطير والوحوش والرياح فمن اين انت قال انا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امراة يقال لها بلقيس وان لصاحبكم ملكا
عظيما ولكن [illegible]

الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب
العرش العظيم قال تعالى فمكث الهدهد غير بعيد اي زمانا يسيرا ثم جاء فقال احطت بما لم تحط به اي اطلعت على ما
لم تطلع عليه انت ولا جنودك وجئتك من سبإ بنبإ يقين اي بخبر صدق حق وسبأ هم حمير وهم ملوك اليمن ثم قال اني
وجدت امراة تملكهم قال الحسن هي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ قال قتادة كانت امها جنية وكان مؤخر قدميها مثل حافر
الدابة واسم امها فارعة وقيل بلقمة قال ابن عباس لصاحبة سليمن يعني بلقيس الف قيل تحت كل قيل مائة الف مقاتل وقال
قتادة كانت من بيت مملكة وكان اولو مشورتها ثلثمائة واثنا عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة الاف رجل وكانت بارض يقال لها مارب
على ثلثة اميال من صنعاء وهذا القول اقرب وقوله واوتيت من كل شيء اي من متاع الدنيا ما يحتاج اليه الملك المتمكن ولها عرش
عظيم اي سرير تجلس عليه عظيم اي مزخرف بالذهب وانواع الجواهر واللالي قيل كان طوله ثمانون ذراعا وعرضه اربعون ذراعا
وكان في قصر عظيم مشيد رفيع البناء محكم كان فيه ثلثمائة وستون طاقة من شرقه ومثلها من غربه قد وضع بناؤها على ان تدخل
الشمس كل يوم من طاقة وتغرب من مقابلها فيسجدون لها صباحا ومساء ولهذا قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون
الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل اي عن طريق الحق فهم لا يهتدون وقوله الا يسجدوا لله معناه وزين لهم
الشيطان اعمالهم فصدهم عن طريق الهدى لئلا يسجدوا لله فلا يعرفون سبيل الحق التي هي الاخلاص في السجود لله وحده وقرأ
بعض القراء الا يا اسجدوا لله بالاستفهامية وياء النداء وحذف المنادى تقديره عنده الا يا قوم اسجدوا لله وقوله الذي يخرج الخبء في
السموات والارض قال ابن عباس وغير واحد اي يعلم كل خبيئة في السماء والارض قال ابن زيد خبء السموات والارض ما جعل
فيها من الارزاق والمطر من السماء والنبات من الارض وهذا مناسب لكلام الهدهد الذي يرى الماء في تخوم الارض ودواخلها
وقوله ويعلم ما تخفون وما تعلنون اي يعلم ما يخفيه العباد وما يعلنونه من الاقوال والافعال كقوله تعالى سواء منكم من اسر القول
ومن جهر به الاية وقوله الله لا اله الا هو رب العرش العظيم اي هو المدعو الله وهو الذي لا اله الا هو رب العرش الذي ليس في
المخلوقات شيء اعظم منه ولما كان الهدهد داعيا الى الخير وعبادة الله والسجود له وحده نهي عن قتله كما رواه ابو هريرة ان النبي صلى الله
عليه وسلم نهى عن قتل اربع من الدواب النملة والنحلة والهدهد والصرد رواه احمد وابو داود وابن ماجه قال سننظر اصدقت
ام كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت
يا ايها الملأ اني القي الي كتاب كريم انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني
مسلمين اخبر تعالى عما قال سليمن للهدهد حين اخبره عن سبأ وملكهم بقوله قال سننظر اصدقت اي في اخبارك هذا ام كنت
من الكاذبين في مقالتك لتتخلص من الوعيد الذي اوعدتك اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم وذلك ان سليمن كتب كتابا الى بلقيس
وقومها واعطاه لذلك الهدهد فحمله في جناحه كما هو عادة الطير وقيل بمنقاره وذهب الى بلادهم فجاء الى قصر بلقيس الى الخلوة
التي كانت تختلي فيها بنفسها فالقاه اليها من كوة بين يديها ثم تولى ناحية ادبا فتحيرت مما رات وهالها ذلك ثم عمدت الى الكتاب
فاخذته ففتحت ختمه فقرأته فجمعت عند ذلك امراءها ووزراءها وكبراء دولتها ثم قالت لهم يا ايها الملأ اني القي الي كتاب
كريم تعني بكرمه ما راته من عجيب امره كون طائر جاء به فالقاه اليها ثم تولى عنها ادبا وهذا امر لا يقدر عليه احد من الملوك
ثم قرأته انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين فعرفوا انه من نبي الله سليمن وانه لا طاقة لهم به
وهذا الكتاب في غاية البلاغة والوجازة والفصاحة فانه حصل المعنى بايسر العبارة واحسنها قالوا ولم يكتب احد بسم الله

[illegible]

الرحمن الرحيم قبل سليمن وعن بريدة قال كنت امشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني اعلم آية لم تنزل على نبي قبلي بعد
سليمن بن داود قال قلت يا رسول الله اي آية قال سأعلمكها قبل ان اخرج من المسجد قال فانتهى الى الباب فاخرج
احدى قدميه فقلت نسي ثم التفت الي وقال انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم حديث غريب رواه ابن ابي
حاتم قال ابن مهران وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب باسمك اللهم حتى نزلت هذه الآية فكتب بسم الله الرحمن
الرحيم وقوله الا تعلوا علي اي لا تتجبروا علي واتوني مسلمين موحدين مخلصين طائعين قالت يا ايها الملأ
افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون قالوا نحن اولوا قوة واولوا بأس شديد والامر اليك
فانظري ماذا تأمرين قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة و
كذلك يفعلون واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون لما قرأت عليهم كتاب سليمن استشارتهم
في امرها وقالت يا ايها الملأ افتوني في امري اي اشيروا علي فيما عرض لي واجيبوني فيما اشاوركم فيه ما كنت قاطعة اي
فاصلة وقاضية امرا حتى تحضرون قالوا نحن اولوا قوة اي استظهروا بعددهم وعددهم وقوتهم والمحاربة ثم فوضوا اليها
بعد ذلك الاختيار فقالوا والامر اليك فانظري ماذا تأمرين اي نحن ذوو قوة وبأس ان شئت ان تقصديه وتحاربيه
فانا موافقون لك وبعدها فالامر اليك فانا نمتثلك ونطيعك فيما تأمرينا به قال الحسن البصري فوضوا امرهم الى علجة
تضطرب ثدياها فلما قالوا لها ما قالوا كانت هي احزم رايا منهم واعلم بامر سليمن وانه لا قبل لها بجنوده وجيوشه وما سخر له
من الجن والانس والطير وقد شاهدت من قضية الكتاب مع الهدهد امرا عجيبا بديعا فقالت لهم اني اخشى ان نحاربه
ونمتنع عليه فيقصدنا بجنوده ويحل علينا فيهلكنا ولهذا قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها اي تلك عنوة افسدوها
وخربوه وجعلوا اعزة اهلها اذلة اي قصدوا من فيها من الولاة والجنود فاهانوهم غاية الهوان اما بالقتل واما بالاسر
قال ابن عباس لما قالت هي هذا قال الرب وكذلك يفعلون ثم عدلت الى المهادنة والمصالحة والمصانعة فقالت واني
مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون اي سابعث اليه بهدية تليق بمثله وانظر ماذا يكون جوابه بعد ذلك ولعله
يقبل ذلك ويكف عنا او يضرب علينا خراجا نحمله اليه في كل عام ويتركنا سالمين قال قتادة ما كان اعقلها في اسلامها و
في شركها علمت ان الهدية تقع موقعا من الناس قال ابن عباس وغيره قالت لقومها ان قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه و
ان لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه فلما جاء سليمن قال اتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم
تفرحون ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون
ذكروا انها بعثت اليه بهدية عظيمة من ذهب وجواهر ولآلئ وغير ذلك من آنية الذهب قيل ولبنة من ذهب قال مجاهد
وغيره وارسلت جواري في زي الغلمان وغلمانا في زي الجواري وقالت ان عرف هؤلاء من هؤلاء فهو نبي فامرهم سليمن
فتوضؤوا فجعلت الجارية تفرغ على يدها من الماء وجعل الغلام يغترف فميزهم بذلك وقيل بل جعلت الجواري يغسلن من
الكوعين الى مرافقهن والغلمان من مرافقهم الى الكف وقيل انها ارسلت باشياء اخرى عجيبة واكثر ذلك من الاسرائيليات والله
اعلم بصحته والظاهر ان سليمن لم ينظر الى ما جاؤا به بالكلية بل اعرض عنه وقال منكرا عليهم اتمدونن بمال اي تصانعونني بمال
لاترككم على شرككم وملككم فما آتاني الله خير مما آتاكم اي الذي اعطاني الله من الملك والمال والجنود خير مما انتم فيه بل انتم بهديتكم
تفرحون اي انتم الذين تنقادون للهدايا والتحف واما انا فلا اقبل منكم الا الاسلام او السيف قال ابن عباس امر سليمن الشياطين

قالت ان الملوك تزيف لما احست منهم
من الميل الى المقابلة بادعائهم القوة
الذاتية والعرضية واستشارا بانها ترى
الصلح مخافة ان يتخطى سليمان خططهم
فيسرع الى افسادها بعد ذلك واموالهم
وعمارتهم ثم ان الحرب سجال لا تدرى
عاقبتها ١٢ قاضي

لانكم لا تعلمون الا ظاهرا
من الحياة الدنيا فتفرحون
بما يهدى اليكم حبا لزيادة
اموالكم [illegible]

السلاطين فبنوا له القصر من ذهب وفضة فلما رأته رسلها ذلك قالوا ما يصنع هذا بهديتنا ارجع اليهم اي بهديتهم
فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها اي لا طاقة لهم بقتالهم ولنخرجنهم من بلدتهم اذلة وهم صاغرون اي مهانون مدحورون
فلما رجعت اليها رسلها بهديتها وبما قال سليمن سمعت واطاعت هي وقومها واقبلت تسير اليه في جنودها خاضعة ذليلة
معظمة لسليمن ناوية متابعته في الاسلام ولما تحقق سليمن قدومهم عليه فرح بذلك قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها
قبل ان يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين
قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من
فضل ربي ليبلوني ءاشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم قال يزيد بن
رومان فلما رجعت اليها الرسل بما قال سليمن قالت قد والله عرفت ما هذا بملك وما لنا به من طاقة وما نصنع من مكابرته
شيئا وبعثت اليه اني قادمة عليك بملوك قومي لانظر ما امرك وما تدعونا اليه من دينك ثم امرت بسرير ملكها الذي
كانت تجلس عليه وكان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ فجعلت في سبعة ابيات بعضها في بعض ثم
اقفلت عليه الابواب ثم قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وسرير ملكي فلا يخلص اليه احد من عباد الله
ولا تريته احدا حتى آتيك ثم شخصت الى سليمن في اثني عشر الف قيل من ملوك اليمن تحت كل قيل منهم الوف كثيرة حتى اذا دنت
من معسكر سليمن على بعد فرسخ جمع من عنده من الجن والانس فقال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين قال
قتادة وغير واحد لما بلغ سليمن انها جائية وكان قد ذكر له عرشها فاعجبه وكان من ذهب وجوهر ولؤلؤ مستورا بالديباج
والحرير وكانت عليه تسعة مغاليق فكره ان يأخذه بعد اسلامهم وقد علم نبي الله انهم متى اسلموا تحرم اموالهم مع دمائهم
فقال يا ايها الملأ الآية قال عفريت من الجن قال مجاهد اي مارد وقيل كان اسمه كوزن وكان كانه جبل انا آتيك به قبل
ان تقوم من مقامك اي من مجلسك ومقعدك وكان يجلس للناس للقضاء والحكومات وللاطعام من اول النهار الى ان تزول
الشمس واني عليه لقوي امين قال ابن عباس قوي على حمله امين على ما فيه من الجواهر قال سليمن اريد اعجل من ذلك اظهارا
لعظمة ما وهبه الله من الملك وسخر له من الجنود الذي لم يعطه احدا قبله لتكون حجة على بلقيس وجنوده ونبوته قال
الذي عنده علم من الكتاب وهو آصف كاتب سليمن وكان صديقا يعلم الاسم الاعظم قاله قتادة وغير واحد كان مؤمنا من
الانس وقيل اسمه اسطوم وقيل غير ذلك وقوله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك اي ارفع بصرك وانظر مد بصرك مما تقدر
عليه فانك لا يكل بصرك الا وهو حاضر عندك قال وهب بن منبه امدد بصرك فلا يبلغ مداه حتى آتيك به فذكروا
ان الله امره ان ينظر نحو اليمن التي فيها هذا العرش فقام وتوضأ ودعا الله عز وجل قال مجاهد قال يا ذا الجلال والاكرام وقال
الزهري قال يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا انت ائتني بعرشها فمثل بين يديه قال ابن زيد لم يشعر سليمن الا وعرشها
يحمل بين يديه وقال وكان هذا الذي جاء به من عباد البحر فلما عاين سليمن ذلك وراه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي
اي هذا من نعم الله علي ليبلوني اي ليختبرني ءاشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه هو كقوله من عمل صالحا فلنفسه و
من اساء فعليها وقوله ومن كفر فان ربي غني كريم اي هو غني عن العباد وعبادتهم كريم في نفسه وان لم يعبده احد فان
عظمته ليست مفتقرة الى احد كما في صحيح مسلم يقول الله يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل
منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا

اراد بذلك ان يريها بعض ما خصه
الله من العجائب الدالة
على عظم القدرة وصدقه
في دعوى النبوة ويختبر عقلها
بان ينكر عرشها فينظر اتعرفه
ام تنكره ١٢

الطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه
فلما كان يوصف الناظر بارسال الطرف كما
في قوله وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا
لقلبك يوما اتعبتك المناظر وصف برد الطرف
والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك نحو شيء
فقبل ان ترده احضر عرشها بين يديك و
هذا غاية في الاسراع ومثل فيه ١٢ قاضي

يتفضل به علي من غير استحقاق

فمثل الشكر قيد للنعمة
الموجودة وصيد للنعمة
المفقودة ١٢

يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه قال نكروا لها
عرشها ننظر اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كانه هو واوتينا
العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين قيل لها ادخلي
الصرح فلما راته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب اني ظلمت
نفسي واسلمت مع سليمن لله رب العالمين ولما جي سليمن بعرش بلقيس قبل قدومها امر به ان يغير بعض صفاته
ليختبر معرفتها وثباتها عند رؤيته هل تقدم على انه عرشها او انه ليس به فقال نكروا لها عرشها ننظر اتهتدي ام تكون
من الذين لا يهتدون قال ابن عباس نزع عنه فصوصه ومرافقه وقيل امر به فغير الوانه وزاد فيه ونقص وجعل اسفله
اعلاه ومقدمه مؤخره فلما جاءت قيل اهكذا عرشك اي عرض عليها عرشها وقد غير ذلك وزيد فيه ونقص وكان فيها
ثبات وعقل ولها لب ودهاء وحزم فلم تقدم على ان تقول انه هو لبعد مسافته عنها ولا انه غيره لما رات من آثاره
وصفاته وان غير وبدل فقالت كانه هو اي يشبهه ويقاربه وهذا غاية في الذكاء والحزم وقوله واوتينا العلم من قبلها
قاله سليمن وصدها ما كانت تعبد الى آخره من تمام كلام ايضا اي كانت قد منعها من عبادة الله وحده ما كانت تعبد
من دون الله انها كانت من قوم كافرين قاله مجاهد وسعيد بن جبير وابن جرير وقال ايضا ويحتمل ان يكون في قوله وصدها
ضمير يعود الى سليمن او الى الله تعالى تقديره ومنعها ما كانت تعبد من دون الله اي صدها عن عبادة الله انها كانت من قوم
كافرين ويويد قول مجاهد انها انما اظهرت الاسلام بعد دخولها الى الصرح وقوله قيل لها ادخلي الصرح وذلك ان سليمن
امر الشياطين فبنوا له قصرا عظيما من قوارير اي من زجاج واجرى تحته الماء والذي لا يعرف امره يحسب انه ماء ولكن
الزجاج يحول بين الماشي وبينه واختلفوا في سببه فقيل ان سليمن لما عزم على تزويجها ذكر له جمالها وحسنها ولكن هي
شعراء الساقين وان مؤخر اقدامها كحافر الدابة فساءه ذلك فاتخذ هذا ليعلم صحته ام لا وقيل لما دخلت وكشفت عن
ساقيها راى احسن الناس ساقا وقدما ولكن على رجليها شعر لانها ملكة ليس لها زوج فاحب ان يذهب ذلك عنها فصنعوا
له النورة وكانت اول من اتخذ له النورة قاله ابن عباس وموافقوه وقال ابن اسحق ثم قال لها ادخلي الصرح ليريها ملكا
هو اعز من ملكها وسلطانا هو اعظم من سلطانها فلما راته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها لا تشك الا انه ماء تخوضه
فقيل لها انه صرح ممرد اي مملس مستو من قوارير فلما وقفت على سليمن دعاها الى الله وعابها في عبادة الشيطان وكانت
قد رات حال العرش والصرح فانقادت واسلمت وقالت رب اني ظلمت نفسي اي بالكفر واسلمت مع سليمن اي تابعته
واخلصت التوحيد لله رب العالمين فحسن اسلامها واصل الصرح في كلام العرب هو القصر وكل بناء مرتفع والممرد اي
المبني بناء محكما املس من القوارير الزجاج ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله فاذا هم
فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا
اطيرنا بك وبمن معك قال طايركم عند الله بل انتم قوم تفتنون اخبر تعالى عن ثمود وما كان من امرهم مع صالح
حين بعثه الله اليهم يدعوهم الى عبادة الله وحده فاذا هم فريقان يختصمون قال مجاهد اي مؤمن وكافر كما قال تعالى قال الذين
استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه الاية قال يا قوم لم تستعجلون اي لم تدعون
بحضور العذاب ولا تطلبون من الله رحمته ولهذا قال لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون اي هلا تستغفرونه بالتوبة من كفركم

اجابه منكرا متعجبا عن شكله ومشبه
كما ينكر الرجل للناس لئلا يعرفوه
...
وقد طلعته واغلقت عليه الابواب و
نصبت عليه الحراس

يقولون ايتنا بما تعدنا
ان كنت من الصادقين

لكي ترحموا

لكي ترحموا قالوا اطيرنا بك اي تشاءمنا بك وبمن معك اي ما راينا على وجهك ووجوه من تبعك خيرا وذلك انهم لشقائهم
كان لا يصيب احدا منهم سوء الا قال هذا من قبل صالح واصحابه قال طائركم عند الله اي الله يجازيكم على ذلك بل انتم قوم تفتنون
اي تبتلون بالطاعة والمعصية والظاهر ان المراد تستدرجون فيما انتم فيه من الضلال وكان في المدينة تسعة رهط
يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك
اهله وانا لصادقون ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم
وقومهم اجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لاية لقوم يعلمون اخبر تعالى عن طغاة ثمود الذين كانوا
دعاة قومهم الى الضلالة والكفر وتكذيب صالح وآل بهم الحال الى ان عقروا الناقة وهموا بقتل صالح ايضا بان يبيتوه في اهله
ليلا فيقتلوه غيلة ثم يقولوا لاوليائه من اقربيه انهم ما علموا بشي من امره وانهم لصادقون فيما اخبروهم به من انهم لم
يشاهدوا ذلك فقال تعالى وكان في المدينة اي مدينة ثمود تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون وكانوا كبراءهم و
رؤساءهم قال ابن عباس هؤلاء هم الذين عقروا الناقة وامروا به واسماؤهم رعمى ورعيم وهرم وهريم وداب وصواب ورياب ومسطع
وقدار بن سالف عاقر الناقة الذي باشره بيده قال الله تعالى فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر وكان من فسادهم انهم كانوا
يقرضون الدراهم ويسرقون منها شيئا ويتعاملون بها ولهذا قال ابن المسيب ان قطع الذهب والفضة من فساد الارض
كما جاء في سنن ابي داود وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن كسر سكة المسلمين الجائزة بينهم الا من باس قوله
قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله اي تحالفوا وتبايعوا عليهم في اهلاكهم فلم يصلوا اليه حتى هلكوا وقومهم اجمعين
قال محمد بن اسحق قال هؤلاء التسعة بعدما عقروا الناقة هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلناه قبلنا وان كان كاذبا
قد الحقناه بناقته فاتوه ليلا ليبيتوه في اهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فهلكوا فقالوا لصالح انت قتلتهم ثم هموا به
فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه ابدا وقد وعدكم ان العذاب نازل بكم في ثلاث فان كان
صادقا فلا تزيدوا ربكم عليكم غضبا وان كان كاذبا فانتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنه ليلتهم تلك وقوله ثم لنقولن
لوليه اي قالوا حين عقروها نبيت صالحا واهله فنقتلهم ثم نقول لاولياء دم صالح ما شهدنا من هذا شيئا وما لنا خبر بمهلك
اهله اي اهلاكهم ولا ندري من قتله وانا لصادقون في قولنا هذا ومكروا مكرا اي غدروا وعزموا حين قصدوا قتل صالح بالبيات
ومكرنا مكرا اي جازيناهم على مكرهم بتعجيل عقوبتهم وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم اي اهلكناهم يعني
التسعة قال ابن عباس ارسل الله الملائكة تلك الليلة اليهم فرمتهم بالحجارة فقتلتهم وقال مقاتل نزلوا في شعب جبل ينتظر
بعضهم بعضا ليأتوا دار صالح فوقع عليهم الجبل فاهلكهم وقومهم اجمعين فتلك بيوتهم خاوية بالنصب اي خالية بما ظلموا اي
بظلمهم وكفرهم ان في ذلك لاية اي لعلامة لقوم يعلمون اي قدرتنا وانجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون اي يحذرون وكانوا
اربعة آلاف ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون
النساء بل انتم قوم تجهلون فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون
فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين اخبر تعالى عن نبيه لوط
انه انذر قومه نقمة الله بهم في فعلهم الفاحشة التي لم يسبقهم اليها احد من بني آدم وهي اتيان الذكور دون الاناث وهي فاحشة
عظيمة استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فقال اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون اي يعضكم بعضا وتاتون في ناديكم المنكر

اي سببكم الذي يجي منه خيركم وشركم
عند الله وهو قدره وقسمته ان
شاء رزقكم وان شاء حرمكم

وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون

يعني من شانهم الافساد والبحث الذي
لا يخلطه شي من الصلاح كما ترى بعض
المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح

ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون اى لا يعرفون شيئا لا طبعا ولا شرعا فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون اى يتحرجون من فعل ما تفعلونه من اتيان الادبار فاخرجوهم من بين اظهركم فانهم لا يصلحون لمجاو في بلادكم فعزموا على ذلك فدمر الله عليهم وللكافرين امثالها قال تعالى فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها من الغ اى من الهالكين مع قومها لانها كانت ردءا لهم على دينهم وعلى طريقتهم في رضاها بافعالهم القبيحة وكانت تدل قومها على ضيفان لوط ليأتوا اليهم وقوله وامطرنا عليهم مطرا اى حجارة من سجيل منضود وما هي من الظالمين ببعيد ولهذا قال فساء مطر المنذرين اى الذين قامت عليهم الحجة ووصل اليهم الانذار فخالفوا الرسول وكذبوه وهموا باخراجه من بينهم

قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير اما يشركون امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ءاله مع الله بل هم قوم يعدلون

امر تعالى رسوله عليه الصلوة والسلام ان يقول الحمد لله اى على نعمه على عباده من النعم التي لا تحصى وان يسلم على عباد الله الذين اصطفاهم واختارهم وهم رسله وانبياؤه الكرام عليهم من الله افضل الصلوة والسلام وقال الثوري وغيره هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا منافاة فانهم ايضا خيار الامم والغرض انه تعالى امر رسوله ومن اتبعه بعد ذكره لهم ما فعل باوليائه من النصر والتاييد والنجاة ومما احل باعدائه من الخزي والنكال والقهر ان يحمدوه على جميل افعاله وان يسلموا على عباده المصطفين الاخيار وقوله آلله خير اما يشركون استفهام انكار على المشركين في عبادتهم مع الله آلهة اخرى ثم شرع يبين تعالى انه المتفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره فقال ام من خلق السموات والارض اى خلق تلك بارتفاعها وصفائها وما جعل فيها من العجائب والارض بانخفاضها وكثافتها وما جعل فيها من انواع المخلوقات وقوله وانزل لكم من السماء ماء اى جعله رزقا للعباد فانبتنا به حدائق اى بساتين ذات بهجة اى منظر حسن وشكل بهي ما كان لكم ان تنبتوا شجرها اى لم تكونوا تقدرون على انبات شجرها وانما يقدر على ذلك الخالق الرازق دون ما سواه كما اعترف به هؤلاء المشركون في قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء الاية اى هم معترفون بانه الفاعل لجميع ذلك ثم هم يعبدون معه غيره مما يعترفون انه لا يخلق ولا يرزق وانما يستحق ان يتفرد بالعبادة من هو المتفرد بالخلق والرزق ولهذا قال ءاله مع الله استفهام انكار اى هل معه معبود سواه اعانه على صنعه بل ليس معه اله فانه هو المستقل المتفرد بالخلق والتدبير وقوله امن خلق السموات والارض امن وهذه الايات كلها تقديره امن يفعل هذه الاشياء كمن لا يقدر على شيء منها لدلالة السياق عليه وقد قال آلله خير ام ما يشركون ثم قال في آخر الاية بل هم قوم يعدلون اى يجعلون لله عدلا ونظيرا وهكذا قال امن هو قانت آناء ساجدا اى امن هو هكذا كمن ليس كذلك

امن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا ءاله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون

اى قارة ساكنة ثابتة لا تتحرك باهلها ولا ترجف بهم فانها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش بل جعلها من فضله بساطا ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك وجعل خلالها انهارا اى جعل فيها الانهار العذبة الطيبة لمصالح العباد والبلاد بحسب ما يحتاجون اليه وجعل لها رواسي اى جبالا شامخة تثبت الارض لئلا تميد بكم وجعل بين البحرين حاجزا اى جعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزا اى مانعا يمنعها من الاختلاط لئلا تفسد هذه بهذه فان الحكمة الالهية تقتضي بقاء كل منها على صفته المقصودة منه فان البحر الحلو هو هذه الانهار الجارية بين الناس والمقصود منها ان تكون عذبة لتسقى الحيوان والنبات والثمار والبحار المالحة هي المحيطة بالارجاء والاقطار من كل جانب والمقصود منها ان يكون ماؤها ملحا

عدل به عن الغيبة الى التكلم لتاكيد
اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على
ان انبات الحدائق البهية المختلفة الانواع
المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة
لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله
ما كان لكم ان تنبتوا الخ ٩

اجاجا لئلا ينفسد الهواء بريحها ولهذا قال ءاله مع الله اى فعل هذا او يعبد معه بل اكثرهم لا يعلمون اى في عبادتهم غيره

امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض ءاله مع الله قليلا ما تذكرون

ينبه تعالى انه المدعو عند الشدائد المرجو عند النوازل كما قال واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وقال ههنا امن يجيب المضطر اذا دعاه اى من هو الذي يلجأ المضطر الا اليه والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه عن جابر بن سليم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محتب بشملة فقلت يا رسول الله الى ما تدعو قال ادعو الى الله وحده الذي ان مسك ضر فدعوته كشف عنك والذي ان ضلت راحلتك بارض قفر فدعوته رد عليك والذي ان اصابتك سنة فدعوته انبت لك قال قلت اوصني قال لا تسبن احدا ولا تزهدن في المعروف ولو ان تلقى اخاك وانت منبسط اليه وجهك ولو ان تفرغ من دلوك في اناء المستقي واتزر الى نصف الساق فان ابيت فالى الكعبين واياك واسبال الازار فان اسبال الازار من المخيلة وان الله لا يحب المخيلة رواه احمد ولابي داود والنسائي نحوه وعن ابي عبد الله بن ابي صالح قال دخل علي طاوس يعودني فقلت له ادع الله لي قال ادع لنفسك فانه يجيب المضطر اذا دعاه وقوله ويجعلكم خلفاء الارض اى يخلف قرنا لقرن قبلهم وخلفا لسلف كما قال تعالى ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء الاية اى امة بعد امة وقوما بعد قوم ولو شاء لاوجدهم كلهم في وقت واحد ولم يجعل بعضهم من ذرية بعض بل لو شاء لخلقهم كلهم كما خلق آدم من تراب ولكن اقتضت حكمته وقدرته ان يخلقهم من نفس واحدة ثم يكثرهم ويذراهم في الارض ويجعلهم قرونا بعد قرون وامما بعد امم حتى ينقضي الاجل كما قدر ذلك ثم يقيمهم يوم القيمة ويوفي كل عامل عمله ولهذا قال ءاله مع الله اى يقدر على ذلك اذا آله مع الله يعبد وقد علم ان الله هو المتفرد بفعل ذلك قليلا ما تذكرون اى ما اقل تذكرهم فيما ارشدهم الى الحق

امن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ءاله مع الله تعالى الله عما يشركون

اى يهديكم بما خلق من الدلائل السماوية والارضية كما قال وعلامات وبالنجم هم يهتدون وقوله ومن يرسل الرياح اى ومن يسوق السحاب الذي فيه مطر يغيث به عباده المجدبين ءاله مع الله تعالى الله عما يشركون

امن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض ءاله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين

اى هو الذي بقدرته وسلطانه يبدأ الخلق ثم يعيده كما قال في الاية الاخرى انه هو يبدئ ويعيد ومن يرزقكم من السماء والارض اى بما ينزل من مطر السماء وينبت من بركات الارض فهو تعالى ينزل من السماء ماء مباركا فيسكنه في الارض ثم يخرج منها انواع الزروع والثمار والازاهير وغير ذلك من الوان شتى ولهذا قال ءاله مع الله اى يفعل مثل هذا او يعبد قل هاتوا برهانكم اى على صحة ما تدعونه من عبادة آلهة اخرى ان كنتم صادقين في ذلك وقد علم انه لا حجة لهم ولا برهان

قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون بل ادارك علمهم في الاخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون

امر تعالى رسوله عليه الصلوة والسلام ان يقول معلما لجميع الخلق انه لا يعلم احد من اهل السموات والارض الغيب الا الله وهو استثناء منقطع اى لكن الله يعلم فانه المتفرد بذلك وحده لا شريك له وقوله وما يشعرون ايان يبعثون اى وما يشعر الخلائق الساكنون في السموات والارض بوقت القيمة كما قال ثقلت في السموات والارض لا تاتيكم الا بغتة اى ثقل علمها على اهل السموات والارض قال قتادة ان الله انما جعل هذه النجوم لثلاث خصال جعلها زينة للسماء وجعلها يهتدى بها وجعلها رجوما للشياطين فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه واخطأ

بشرا بين يدي رحمته اى بين
يدي السحاب ٤

لما بين اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة العامة المستتبعة
لما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء
منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على انه
تعالى ان كان ممن في السموات والارض ففيها من يعلم الغيب
مبالغة في نفيه عنهم او متصل على ان المراد بمن في السموات و
الارض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها
فانه يعم الله تعالى واولي العلم من خلقه وهو موصول او موصوف
ع

خطه واضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به وان ناسا جهلة بامر الله قد احدثوا من هذه النجوم كهانة من اغرس بنجم كذا و
كذا كان كذا وكذا ومن سافر بنجم كذا كان كذا وكذا ومن ولد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ولعمري ما نجم الا يولد به الاحمر و
الاسود والقصير والطويل والحسن والدميم وما علم هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشيء من الغيب وقضى الله انه لا يعلم من
في السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون رواه ابن ابي حاتم وهو كلام متين صحيح وقوله بل ادارك علمهم في الآخرة
اي انتهى علمهم وعجز عن معرفة وقتها وهو على وزن افاعل وقراءة الاكثر بل ادارك اي تساوى علمهم في ذلك [illegible] ابن عباس
بل ادارك علمهم في الآخرة اي غاب وقال السدي ان علمهم انما يدرك ويكمل يوم القيمة حيث لا ينفعهم ذلك وقال الحسن
اضمحل علمهم في الدنيا حين عاينوا الآخرة وقوله بل هم في شك منها الضمير عائد الى الجنس والمراد الكفار اي شاكون في وجودها
ووقوعها بل هم منها عمون اي في عماية وجهل كثير في امرها وشانها وقال الذين كفروا ءاذا كنا ترابا واباؤنا ائنا
لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن واباؤنا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين قل سيروا في الارض فانظروا
كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون اخبر تعالى عن منكري البعث من المشركين
استبعدوا اعادة الاجساد بعد صيرورتها عظاما ورفاتا وترابا ثم قال لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل اي ما زلنا نسمع
بهذا نحن وآباؤنا ولا نرى له حقيقة قال تعالى مجيبا لهم عما ظنوه قل يا محمد لهؤلاء المشركين سيروا في الارض فانظروا كيف كان
عاقبة المجرمين اي المكذبين بالرسل وبما جاؤهم به من امر المعاد وغيره كيف حلت بهم نقم الله وعذابه ونجا الله من بينهم رسله
ومن اتبعهم من المؤمنين فدل ذلك على صدق ما جاءت به الرسل وصحته ثم قال تعالى مسليا لنبيه عليه الصلوة والسلام
ولا تحزن عليهم اي على المكذبين ولا تاسف عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون اي في كيدك ورد ما جئت به فان الله مؤيدك
وناصرك على من خالف دينك اخبر تعالى عن المشركين ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون
ردف لكم بعض الذي تستعجلون وان ربك لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون وان ربك
ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين اخبر تعالى عن المشركين
في سؤالهم عن يوم القيمة واستبعادهم وقوع ذلك ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قال تعالى مجيبا لهم قل يا محمد عسى
ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون قال ابن عباس اي عسى ان قرب لكم بعض الذي تستعجلون وانما دخلت اللام
في قوله ردف لكم لانه ضمن معنى عجل لكم كما قال مجاهد في رواية عنه عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي عجل لكم ومعنى ردف
دنا وقرب وقيل اي تبعكم ثم قال تعالى وان ربك لذو فضل على الناس اي في اسباغه نعمه عليهم مع ظلمهم لانفسهم وهم
مع ذلك لا يشكرونه الا القليل منهم وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون اي يعلم الضمائر والسرائر كما يعلم الظواهر
سواء منكم من اسر القول ومن جهر به فانه يعلم السر واخفى ثم اخبر تعالى انه عالم غيب السموات والارض وعالم الغيب
والشهادة وهو ما غاب عن العباد وما شاهدوه فقال وما من غائبة قال ابن عباس يعني ما من شيء في السماء والارض اي
من مكتوم سر وخفي امر الا في كتاب مبين اي في اللوح المحفوظ ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم
فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على
الله انك على الحق المبين انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي
العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون اخبر تعالى عن كتابه العزيز وما اشتمل عليه من

الهدى

ومعنى ادرك علمهم انتهى وتكامل وادارك تتابع واستحكم وهو على وجهين احدهما ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة كائنة لا ريب فيه قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن في السموات والارض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله اناس منهم والوجه الثاني ان وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس ما اعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته

الهدى والبيان انه يقص على بني اسرائيل وهم حملة التورية والانجيل اكثر الذي هم فيه يختلفون كاختلافهم في عيسى و
تباينهم فيه فاليهود افتروا والنصارى غلوا فجاء القرآن بالقول الوسط الحق العدل انه عبد من عباد الله وانبيائه
ورسله الكرام عليهم افضل السلام كما قال تعالى ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون وقوله وانه لهدى ورحمة
للمؤمنين اي لقلوب المؤمنين به ورحمة لهم في العمليات ثم قال ان ربك يقضي بينهم اي يوم القيمة بحكمه وهو العزيز اي
في انتقامه العليم بافعال عباده واقوالهم فتوكل على الله اي في امرك وبلغ رسالة ربك انك على الحق المبين اي انت على الحق
الظاهر البين وان خالفك من خالفك من الاشقياء ممن حقت عليهم كلمة ربك انهم لا يؤمنون ولهذا قال انك لا تسمع الموتى
اي لا تسمعهم شيئا ينفعهم فكذلك هؤلاء على قلوبهم غشوة وفي آذانهم وقر الكفر ولهذا قال ولا تسمع الصم الدعاء اذا
ولوا مدبرين اي معرضين يعني انهم لفرط اعراضهم عما يدعون اليه كالميت الذي لا سبيل الى اسماعه والاصم الذي لا يسمع
وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون اي ما انت بمرشد من اعماه الله عن الهدى
واعمى قلبه عن الايمان انما يستجيب لك من هو سميع بصير وهو المصدق بالقرآن المخلص لله رب العالمين واذا وقع القول
عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون اي واذا وجب العذاب
عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم اوامر الله وتبديلهم الحق
تكلم الناس روي عن علي وابن عباس يعني يخاطبهم مخاطبة فتقول لهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون اي [illegible]
وقد ورد في شانها احاديث كثيرة منها عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من
غرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات طلوع الشمس من مغربها والدجال والدابة و
خروج ياجوج وماجوج ونزول عيسى بن مريم والدخان وثلثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة
العرب ونار تخرج من قعر عدن تسوق او تحشر الناس الى المحشر تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا رواه احمد
ومسلم واصحاب السنن وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال ستا الدخان والدجال ودابة
الارض وطلوع الشمس من مغربها وامر العامة وخويصة احدكم رواه مسلم وعن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان اول الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وايتهما ما كانت قبل
صاحبتها فالاخرى على اثرها قريبا رواه مسلم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج دابة الارض ومعها عصا
موسى وخاتم سليمن فتخطم انف الكافر بالعصا وتجلي وجه المؤمن بالخاتم حتى يجتمع الناس على الخوان يعرف المؤمن من الكافر
رواه احمد والطيالسي وقال ابن عباس هي دابة ذات زغب لها اربع قوائم تخرج من بعض اودية تهامة وقال ابن مسعود
تخرج الدابة من صدع من الصفا كجري الفرس ثلثة ايام لم يخرج ثلثها وقال ابو هريرة ان الدابة فيها من كل لون ما بين قرنيها
فرسخ للراكب وعن ابن الزبير انه وصف الدابة فقال راسها راس ثور وعينها عين خنزير واذنها اذن فيل وقرنها قرن
ايل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر اسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم
بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمن فلا يبقى مؤمن الا نكتت في وجهه بعصا موسى نكتة
بيضاء فتفشو تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه ولا يبقى كافر الا نكتت في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمن فتفشو تلك النكتة
حتى يسود لها وجهه حتى ان اهل البيت يجلسون على مائدتهم فيعرفون مؤمنهم من كافرهم ثم تقول لهم الدابة يا فلان ابشر

أنت من أهل الجنة ويا فلان أنت من أهل النار فذلك قول الله تعالى وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم
أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون وعن حذيفة قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة فقال لها ثلاث خرجات من الدهر
تخرج خرجة من أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تكمن زمانا طويلا ثم تخرج خرجة أخرى دون تلك فيعلو ذكرها
في أهل البادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم بينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهي في
ناحية المسجد ترغو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب فارفض الناس عنها وثبت لها عصابة فمرت بهم فجلت عن
وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية وولت في الأرض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى إن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة
فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها فتسمه في وجهه فيتجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في أسفارهم
ويعرف المؤمن من الكافر حتى إن المؤمن ليقول يا كافر اقضني حقي ويقول الكافر يا مؤمن اقضني حقي رواه ابن جرير ويوم نحشر
من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون حتى إذا جاؤوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما
أماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه و
النهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون أخبر تعالى عن يوم القيامة وحشر الظالمين المكذبين بآيات الله ورسله
إلى بين يدي الله ليسألهم عما فعلوه في الدنيا تقريعا وتوبيخا وتحقيرا فقال ويوم نحشر من كل أمة أي من كل قرن وقوم فوجا أي جماعة
ممن يكذب بآياتنا كما قال احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وقوله فهم يوزعون أي يدفعون ويساقون حتى إذا جاؤوا أي وقفوا
بين يدي الله في مقام المسألة قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أماذا كنتم تعملون أي فيسألون عن اعتقادهم وأعمالهم فلما
لم يكونوا من أهل السعادة وكانوا كما قال الله عنهم فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى فحينئذ قامت عليهم الحجة ولم يكن لهم عذر
يعتذرون به كما قال ووقع القول عليهم أي غضب الله عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون أي بهتوا فلم يكن لهم جواب لأنهم كانوا في الدنيا
ظلمة لأنفسهم ثم قال تعالى منبها على قدرته وسلطانه ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه أي في ظلامه يسكن بسببه حركاتهم
وتهدأ أنفاسهم ويستريحون من نصب التعب في نهارهم والنهار مبصرا أي منيرا مشرقا فبسبب ذلك يتصرفون في المعايش
والمكاسب والأسفار والتجارات وغير ذلك من شؤونهم الذي يحتاجون إليها إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون أي يصدقون
فيعتبرون ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين و
ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما يفعلون من جاء
بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل
تجزون إلا ما كنتم تعملون أخبر تعالى عن هول يوم نفخة الفزع في الصور وهو كما جاء في الحديث قرن ينفخ فيه وفي
حديث الصور أن إسرافيل ينفخ فيه بأمر الله فينفخ فيه أولا نفخة الفزع ويطولها وذلك في آخر عمر الدنيا حين تقوم الساعة
على شرار الناس من الأحياء فيفزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وهم الشهداء فإنهم أحياء عند ربهم
يرزقون عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فيمكث أربعين لا أدري أربعين يوما
أو شهرا أو عاما فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه فيمكث في الناس سبع سنين ليس بين
اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان
إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه قال فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام

روعت فلانا وروعته فارتاع أي أفزعته ففزع

هو الذي

السباع

السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبون فيقولون فما تأمرنا فيأمرهم بعبادة
الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا قال وأول من
يسمعه رجل يلوط حوض إبله فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله مطرا كأنه الطل فتنبت منه أجساد الناس
ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال يا أيها الناس هلم إلى ربكم وقفوهم إنهم مسؤولون فيقال أخرجوا بعث
النار فيقال من كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال فذلك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف
عن ساق رواه مسلم والليت صفحة العنق أي أمال عنقه ليستمعه من السماء فهذه نفخة الفزع ثم بعد ذلك نفخة الصعق
وهو الموت ثم بعد ذلك نفخة القيام لرب العالمين وهو النشور من القبور بجميع الخلائق ولهذا قال وكل أتوه داخرين
قرئ بالمد وبغيره على الفعل وكلاهما بمعنى واحد وداخرين أي صاغرين لا يتخلف أحد عن أمره كما قال تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون
بحمده وفي حديث الصور أنه في النفخة الثالثة يأمر الله الأرواح فتوضع في ثقب في الصور ثم ينفخ إسرافيل فيه بعد ما نبتت الأجساد
في قبورها وأماكنها فإذا نفخ في الصور طارت الأرواح تتوهج أرواح المؤمنين نورا وأرواح الكافرين ظلمة فيقول الله وعزتي وجلالي
ليرجعن كل روح إلى جسدها فتجيء فتدب فيها كما يدب السم في اللديغ ثم يقومون من قبورهم وينفضون التراب من رؤوسهم
قال تعالى يوم يخرجون من الأجداث سراعا الآية وقوله وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب أي تراها كأنها ثابتة باقية
على ما كانت عليه وهي تزول عن أماكنها وتسير سير السحاب حتى تقع على الأرض فتستوي بها كما قال تعالى يوم تمور السماء مورا و
تسير الجبال سيرا وقوله صنع الله الذي أتقن كل شيء أي يفعل ذلك بقدرته العظيمة التي قد أحكم كل ما خلق وأودع فيه الحكمة
ما أودع إنه خبير بما يفعلون أي عليم بأفعال عباده من خير وشر فيجازيهم عليه ثم بين حال السعداء والأشقياء يومئذ فقال
من جاء بالحسنة أي بالإخلاص وقال زين العابدين هي لا إله إلا الله فله خير منها وهو عشر أمثالها كما قال في موضع آخر
وهم من فزع يومئذ آمنون هو كما قال في آية أخرى لا يحزنهم الفزع الأكبر وقوله ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار
أي ومن لقي الله مسيئا لا حسنة له أو كانت سيئاته أكثر ألقوا على وجوههم فيها ويقول لهم خزنتها هل تجزون إلا ما كنتم
تعملون قال الجمهور والمراد بها الشرك إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت
أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين
وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون أخبر تعالى عن رسوله أنه أمره أن يقول إنما
أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها أي خلقها حرما آمنا وله كل شيء أي خلقا وملكا وإضافة الرب إلى البلدة للتشريف
والتكريم كما قال فليعبدوا رب هذا البيت الذي وقوله وله كل شيء من قبيل عطف العام على الخاص وأمرت أن أكون من المسلمين
أي الموحدين المخلصين المطيعين لله وقوله وأن أتلو القرآن أي على الناس أبلغهم إياه كقوله ذلك نتلوه عليك من الآيات و
الذكر الحكيم أي أنا مبلغ ومنذر فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين أي أنا كالرسل الذين أنذروا
قومهم وقاموا بما عليهم من أداء الرسالة وخلصوا من عهدتهم وحساب أممهم على الله كما قال فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب
وقوله وقل الحمد لله أي الحمد لله الذي لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه والإعذار إليه ولهذا قال سيريكم آياته يعني يوم بدر من
القتل والأسر وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وقيل أي في السماء والأرض وفي أنفسكم كما قال سنريهم آياتنا في الآفاق وفي
أنفسهم فتعرفونها أي الآيات والدلالات وقوله وما ربك بغافل عما تعملون أي بل هو شهيد حاضر بكل شيء وهذا وعيد لهم كما

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس لا يغترن احدكم بالله فان الله لو كان غافلا لاغفل البعوضة والخردلة والذرة رواه ابن ابي حاتم وكان الامام احمد ينشد هذا : اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل : خلوت ولكن قل علي رقيب : ولا تحسبن الله يغفل ساعة : ولا ان ما يخفى عليه يغيب

سورة القصص وهي مكية الا قوله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين ومنها آية نزلت بين مكة والمدينة وهي قوله ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبا موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طايفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون

قد سبق البحث في حروف اوائل السور في سورة البقرة وقوله تلك اي هذه آيات الكتاب المبين اي الواضح الجلي الكاشف عن حقائق الامور وقوله نتلو عليك من نبا موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون اي نحن نذكر لك الامر على ما كان عليه كانك شاهد ثم قال ان فرعون علا في الارض اي تكبر وتجبر وطغى وجعل اهلها شيعا اي اصنافا قد صرف كل صنف فيما يريد من امور دولته وقوله يستضعف طايفة منهم يعني بني اسرائيل وكانوا خيار اهل زمانهم وقد سلط الله عليهم ذلك الجبار العنيد يستعملهم في اخس الاعمال والتكاليف الشاقة ويقتل مع هذا ابناءهم ويستحيي نساءهم اهانة لهم واحتقارا وخوفا من ان يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو واتباعه ان يكون سبب هلاكهم وكان القبط قد تلقوا هذا من بني اسرائيل فيما كانوا يدرسونه عن قول ابرهيم عليه السلم حين ورد ديار مصر وجرى له مع جبارها ما جرى من قصة سارة فصانها الله منه بقدرته فبشر ابرهيم ولده انه سيولد من صلبه من يكون هلاك ملك مصر على يديه فاحترز فرعون وكان يحترز من ذلك ولهذا امر بقتل ذكور بني اسرائيل ولن ينفع حذر من قدر لان اجل الله اذا جاء لا يؤخر ولهذا قال تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الى قوله يحذرون يعني بني اسرائيل ونجعلهم ائمة اي قادة في الخير يقتدى بهم قال قتادة اي ولاة وملوكا ونجعلهم الوارثين اي لملكه فرعون وقومه يخلفون في مساكنهم ونمكن لهم في الارض اي نوطن لهم في ارض مصر والشام مستقروا فيها والحذر هو التوقي من الضرر اي نريهم ما كانوا يتقون وقد فعل الله بهم ذلك بقدرته وسلطانه كما قال واورثناها بني اسرائيل اراد فرعون بحوله وقوته ان ينجو من موسى فما نفعه ذلك فانه كان مقدرا ان يكون هلاكه بسبب موسى وان هلاكه الذي على يديه ليعلم ان رب السموات العلى هو القاهر الغالب

واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقالت امرات فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون

ذكروا ان فرعون لما اكثر من قتل بني اسرائيل خافت القبط ان يفنى بنو اسرائيل فيكونوا يلون الاعمال الشاقة بدلهم فقالوا لفرعون انه لو شك ان لا يبقى احد منهم فيكون عوضهم في تحمل المشاق والتكليف فيعجز عن ذلك فامر بقتل الولدان عاما وتركهم عاما فولد هرون في السنة المتروكة وولد موسى في السنة المهلكة وكان لفرعون اناس موكلون بذلك وقوابل تدورن على النساء فمن راينها قد حملت ضبط اسمها ولا يكون قابلتها الا من القبط فان ولدت جارية تركنها وان ولدت غلاما دخل اولئك وبايديهم الشفار المرهفة فقتلوه ومضوا فلما حملت ام موسى لم يظهر عليها مخايل الحمل كغيرها ولم تفطن لها القوابل ولكن لما ولدت ذكرا ضاقت به ذرعا وخافت عليه خوفا شديدا واحبته حبا زائدا وكان موسى لا يراه احد الا احبه قال تعالى والقيت عليك محبة مني فالهمت في سرها والقي في خلدها كما قال تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين وكانت دارها على حافة النيل فاتخذت تابوتا ومهدت فيه مهدا وجعلت ترضع ولدها فاذا دخل عليها احد ممن تخافه جعلته في ذلك التابوت وسيرته في البحر واوثقته بحبل عندها فلما كان في بعض الايام دخل عليها من تخافه فذهبت فوضعته في ذلك التابوت فارسلته في البحر وذهلت ان تربطه فذهب مع الماء حتى مر به على دار فرعون فالتقطه الجواري فاحتملنه فذهبن به الى امراة فرعون ولا يدرين ما فيه وخشين ان تفتتن عليها في فتحه دونها فلما كشف عنه اذا هو غلام من احسن الخلق واجمله واحلاه وابهاه فاوقع الله محبته في قلبها حين نظرت اليه وذلك لسعادتها وما اراد من شقاوة بعلها ولهذا قال فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقيل اللام ههنا لام العاقبة لا لام التعليل لانهم لم يريدوا بالتقاطه ذلك ولكن اذا نظر الى معنى السياق فبعيد التعليل لان معناه ان الله قيضهم لالتقاطه ليجعله لهم عدوا وحزنا فيكون ابلغ في ابطال حذرهم منه ولهذا قال ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقوله وقالت امرات فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون يعني ان فرعون لما رآه هم بقتله خوفا من ان يكون ذلك المولود فطفقت امراته تحميه وتذب عنه وتحببه الى فرعون فقالت قرت عين لي ولك فقال اما لك فنعم واما لي فلا فكان كذلك فهداها الله به واهلكه الله على يديه وقوله عسى ان ينفعنا قال ابن عباس لو ان عدو الله قال في موسى كما قالت آسيه عسى ان ينفعنا لنفعه الله ولكنه ابى للشقاء الذي كتبه الله عليه او نتخذه ولدا اي ارادت ان تتبناه وذلك انه لم يكن لها ولد منه وقوله وهم لا يشعرون اي لا يدرون ما اراد الله منه بالتقاطهم اياه من الحكمة العظيمة والحجة البالغة

واصبح فواد ام موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المومنين وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثر الناس لا يعلمون

اخبر تعالى عن فواد ام موسى حين ذهب ولدها في البحر انه اصبح فارغا اي من كل شي من امور الدنيا الا من موسى قاله ابن عباس وجماعة ان كادت لتبدي به اي ان كادت من شدة وجدها وحزنها واسفها لتظهر انه ذهب لها ولد وتخبر بحالها لولا ان الله ثبتها وصبرها قال الله لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المومنين اي مصدقين بوعد الله وقالت لاخته قصيه اي امرت ابنتها وكانت امراة لبيبة تتبع ما يقال لها فقالت لها قصيه اي اتبعي اثره وخذي خبره فخرجت لذلك فبصرت به عن جنب قال ابن عباس عن جانب وقال مجاهد عن بعد قال قتادة وجعلت تنظر اليها وكانها لا تريده وذلك انه لما استقر موسى بدار فرعون واحبته امراته واستطلقته منه عرضوا عليه المراضع التي في دارهم فلم يقبل منها ثديا وابى ان يقبل شيئا من ذلك فخرجوا به الى السوق لعلهم يجدون امراة تصلح لرضاعته فلما راته بايديهم عرفته ولم تظهر ذلك فلم يشعروا بها قال تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل اي تحريما قدريا وذلك لكرامته عند الله وصيانته ان يرتضع غير ثدي امه وان الله سبحانه جعل ذلك سببا الى رجوعه الى امه لترضعه وهي آمنة بعد ما كانت خائفة فلما راتهم طالبين مرضعة قالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون قال ابن عباس فلما قالت ذلك اخذوها وشكوا في امرها وقالوا ما يدريك بنصحهم له وشفقتهم عليه فقالت لرغبتهم في صهر الملك ورجاء منفعتها فارسلوها فذهبت معها الى منزلهم فدخلوا به على امه فاعطته ثديها ففرحوا بذلك فرحا شديدا وذهب البشير الى امراة فرعون فاستدعت ام موسى واحسنت اليها واعطتها عطاء جزيلا وهي لا تعرف انها امه في الحقيقة ثم سالتها آسيه ان تقيم عندها فترضعه فابت عليها وقالت ان لي بعلا واولادا ولا اقدر على المقام عندك

روى عكرمة عن ابن عباس انه قال طسم عجز العلماء عن علم تفسيرها وروى علي بن ابي طلحة عن ابن عباس انه قسم وهو اسم من اسماء الله تعالى وقال قتادة اسم من اسماء القرآن وقال مجاهد اسم السورة وقال محمد بن كعب القرظي اقسم الله بطوله وسنائه وملكه

اى كان من المفسدين

ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا في الارض من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبا او حال من يستضعف فان قلت كيف يجتمع استضعافهم وارادة المنة عليهم واذا اراد الله شيئا كان ولم يتوقف الى وقت اخر قلت لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت ارادة وقوعها كانها مقارنة لاستضعافهم
كشاف

وكن ان احببت ان ارضعه فى بيتى فعلت فاجابتها امراه فرعون الى ذلك وجرت عليها النفقه والصلات والكساوى
فرجعت ام موسى بولدها راضية مرضية قد امن وعزة ولهذا جاء فى الحديث مثل الذى يعمل ويحتسب فى صنعته الخير كمثل
ام موسى ترضع ولدها وتاخذ اجرها ولم يكن بين الشده والفرج الا القليل يوم وليله او نحوه والله اعلم ولهذا قال فرددناه
الى امه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق اى فيما وعدها من رده اليها وجعله من المرسلين فحينئذ تحققت
برده اليها انه كاين منه رسول من المرسلين فعاملته فى تربيته ما ينبغى له طبعا وشرعا وقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون اى
حكم الله فى افعاله وعواقبها المحمودة التى هو المحمود عليها فى الدارين ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك
نجزى المحسنين ودخل المدينه على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا
من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان
انه عدو مضل مبين قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بما انعمت على
فلن اكون ظهيرا للمجرمين قال الكلبى الاشد ما بين ثمانيه عشر سنة الى ثلثين وقال ثلثين سنه واستوى اى بلغ اربعين
سنة وكمل شبابه آتاه الله حكما وعلما وقال مجاهد يعنى النبوه وكذلك نجزى المحسنين فيعطيهم العلم والعقل والمنزله الرفيعة
ثم ذكر تعالى سبب وصوله الى ما كان تعالى قدر له من النبوه والتكليم فى قضيه قتله القبطى الذى كان سبب خروجه من الديار
المصرية الى بلاد مدين فقال ودخل المدينه على حين غفلة من اهلها قال ابن عباس ذلك بين المغرب والعشاء وعنه ايضا
نصف النهار فوجد فيها رجلين يقتتلان اى يتضاربان ويتنازعان هذا من شيعته اى اسرائيلى وهذا من عدوه اى قبطى فاستغاث
الاسرائيلى بموسى ووجد موسى فرصة فعمد الى القبطى فوكزه موسى فقضى عليه قال مجاهد اى ضربه بجميع كفه وقيل وكزه بعصا
كانت معه فقضى عليه اى فقتله وفرغ من امره فقال موسى هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين اى بين الضلاله قال
رب انى ظلمت نفسى اى بقتل القبطى من غير امر فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بما انعمت على اى بما جعلت
لى من الجاه والمنعة فلن اكون ظهيرا اى معينا للمجرمين اى الكافرين بك المخالفين لامرك فاصبح فواد ام موسى
فاصبح فى المدينه خايفا يترقب فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوى مبين فلما
ان اراد ان يبطش بالذى هو عدو لهما قال يا موسى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا
ان تكون جبارا فى الارض وما تريد ان تكون من المصلحين اخبر تعالى عن موسى لما قتل ذلك القبطى انه اصبح فى المدينة
خايفا اى من معرته مما فعل يترقب اى ينتظر متى يوخذ به فمر فى بعض الطرق فاذا ذلك الذى استنصره بالامس على ذلك القبطى
يقاتل اخر فلما مر موسى استصرخه على الاخر فقال له موسى انك لغوى مبين اى ظاهر الغوايه كثير الشر ثم عزم على البطش بذلك
القبطى فاعتقد الاسرائيلى لضعفه وذلته ان موسى انما يريد قصده لما سمعه يقول له ذلك فقال دافعا عن نفسه يا موسى اتريد
ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس وذلك لانه لم يعلم به الا هو وموسى فلما سمعها ذلك القبطى ذهب بها الى باب فرعون فاخبرهم
بذلك فعلم فرعون واشتد غضبه وعزم على قتل موسى فطلبوه وبعثوا فى اثره وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال
يا موسى ان الملأ ياتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين قال تعالى وجاء رجل وصفه بالرجولية لانه
سلك طريقا اقرب من الطريق المعتاد الذى بعثوا وراءه فسبق الى موسى فقال ان الملأ ياتمرون اى يتشاورون فيك ليقتلوك
فاخرج اى من البلد انى لك من الناصحين اى فى الامر بالخروج فخرج منها خايفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين

ولما

ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة
من الناس يسقون ووجد من دونهم امراتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء
وابونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما انزلت الى من خير فقير لما اخبره ذلك الرجل بما
تمالا عليه فرعون واتباعه خرج من مصر وحده ولم يكلف ذلك قبله بل كان فى رفاهية ونعمة ورياسة فخرج منها خائفا
يترقب اى يتلفت وينتظر الطلب قال رب نجنى من القوم الظالمين اى من فرعون وملائه فذكروا انه سبحانه بعث ملكا
على فرس فارشده الى الطريق ولما توجه تلقاء مدين اى اخذ طريقا سالكا فرح بذلك وقال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل
اى الى الطريق الاقوم فهداه الله الى الطريق المستقيم فى الدنيا والاخره فجعله هاديا مهديا ولما ورد اى وصل مدين وورد ماءها
وكان بئر يرده رعاء الشاء وجد عليه امة اى جماعة من الناس يسقون ووجد من دونهم امراتين تذودان اى تحبسان غنمهما
اغنامهما من الماء فلما رآهما موسى رق لهما وقال ما خطبكما اى ما شانكما لا تردان مع هولاء قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء
اى لا يحصل لنا سقى الا بعد فراغ هولاء وابونا شيخ كبير اى فهذا الحال التى الجانا الى ذلك قال تعالى فسقى لهما اى فلما سمع موسى
قولهما رحمهما فاقتلع صخرة من راس بئر اخرى كانت بقربها لا يطيق رفعها الا عشرة من الناس وقيل ان موسى زاحم القوم
ونحاهم عن راس البئر فسقى غنم المرئتين وروى ان القوم لما رجعوا باغنامهم غطوا راس البئر بحجر لا يرفعه اقل من عشرة
فجاء موسى ودفع الحجر وحده وسقى غنم المرئتين وقيل انه نزع ذنوبا واحدا ودعا فيه بالبركة فروى منه جميع الغنم وقوله
ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما انزلت الى من خير فقير قال ابن عباس سار موسى من مصر الى مدين ليس له طعام الا ورق
الشجر والبقل وكان حافيا سا قطه النعل ولما جلس فى الظل اى تحت شجره وهو صفوة الله من خلقه وان بطنه لاصق بظهره
من الجوع وان خضرة البقل ليرى من داخل جوفه دعا بذلك فسمعت المراه دعاءه فجاءته احداهما تمشى على استحياء قالت
ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم
الظالمين قالت احداهما يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوى الامين قال انى اريد ان انكحك
احدى ابنتى هاتين على ان تاجرنى ثمانى حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدنى
ان شاء الله من الصالحين قال ذلك بينى وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما نقول
وكيل لما ذهبت المراتان سريعا بالغنم الى ابيهما تعجب من ذلك فسالهما عن خبرهما فقصتا عليه ما فعل موسى فبعث احداهما
اليه تدعوه قال تعالى فجاءته احداهما تمشى على استحياء اى كمشى الحراير قال عمر بن الخطاب جاءت مستترة بكم درعها قالت
ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا وهذا تادب فى العبارة لئلا يتوهم ريبة يعنى ليثيبك ويكافئك على سقيك لغنمنا فلما
جاءه وقص عليه القصص اى ذكر له ما كان من امره وما جرى له فى السبب الذى خرج من اجله من مصر قال لا تخف نجوت
اى طب نفسا وقر عينا فقد خلصت من ايديهم فلا حكم لهم فى بلادنا ولهذا قال نجوت من القوم الظالمين واختلفوا فى هذا الرجل
من هو فقال بعضهم انه شعيب عليه السلام وهذا هو المشهور عن كثير من الائمه وقيل هو ابن اخى شعيب وقيل مومن من قوم شعيب وكان شعيب
قبل موسى بمدة طويلة لانه قال لقومه وما قوم لوط منكم ببعيد وقد كان هلاك قوم لوط فى زمن الخليل بنص القران وبين الخليل وموسى
عليهما السلام مدة طويلة تزيد على اربعمائة سنة وما قيل ان شعيبا عاش مدة طويلة انما هو جواب لهذا الاشكال وانه لو كان اياه لاوشك
ان ينص على اسمه فى القران ههنا وما جاء فى بعض الاحاديث من التصريح بذكره فليس يصح اسناده وفى كتب بنى اسرايل ان اسم هذا الرجل

يأتمرون وقال ابن مسعود وغيره اترون ابن اخي شعيب وقال ابن عباس الذي استأجر موسى يثرى والصواب انه غير محقق
والله اعلم وقوله قالت احدهما يا ابت استأجره اي قالت احدى ابنتي هذا الرجل قيل هي التي ذهبت وراء موسى قالت لابيها
يا ابت استأجره اي اتخذه اجيرا لرعي اغنامنا قال عمر وابن عباس وغير واحد لما قالت ان خير من استأجرت القوي الامين
قال لها ابوها وما علمك بذلك قالت انه رفع الصخرة التي لا يطيق رفعها الا عشرة رجال وانه لما جئت معه فقال لي كوني
من ورائي فاذا اختلف الطريق فاحذفي لي بحصاة اعلم بها كيف الطريق لاهتدي اليه قال اني اريد ان انكحك احدى
ابنتي هاتين اي طلب اليه هذا الشيخ الكبير ان يرعى غنمه ويزوجه احدى ابنتيه واسمهما صفورا وليا وقيل شرفا وقوله
على ان تأجرني ثماني حجج اي على ان ترعى على غنمي ثماني سنين فان تبرعت بزيادة سنتين فهو اليك والا ففي ثمان كفاية
وما اريد ان اشق عليك اي لا اشاقك ولا اماريك واستدل احد وموافقوه في صحة استيجار الاجير بالطعمة والكسوة
بهذه الآية واستأنسوا بما رواه عتبة بن المنذر في سنن ابن ماجة انه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ
طسم حتى اذا بلغ قصة موسى قال ان موسى آجر نفسه ثماني سنين او عشرة على عفة فرجه وطعام بطنه والحديث ضعيف
وقوله ستجدني ان شاء الله من الصالحين قال عمر اي في حسن الصحبة والوفاء بما قلت وقوله اخبارا عن موسى قال ذلك
بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل اي قال موسى لصهره الامر على ما قلت من انك استأجرتني
على ثمان سنين فان اتممت عشرا فمن عندي فانا متى فعلت اقلهما فقد برئت من العهد وخرجت من الشرط ولهذا قال ايما الاجلين
قضيت فلا عدوان اي فلا حرج علي مع ان موسى انما فعل اكمل الاجلين كما قال سعيد بن جبير سألني يهودي من اهل الحيرة اي
الاجلين قضى موسى فقلت لا ادري حتى اقدم على حبر العرب فاسأله فقدمت فسألت ابن عباس فقال قضى اكثرهما واطيبهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال فعل هكذا رواه البخاري وقد روي من حديث ابن عباس مرفوعا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال سألت جبريل اي الاجلين قضى موسى قال اتمهما واكملهما رواه ابن جرير وورد وابتدا وفاهما واتمهما وفي رواية
ابي ذر ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي الاجلين قضى موسى قال اوفاهما وابرهما وان سئلت اي امرأتين تزوج فقل الصغرى
منهما رواه ابن ابي حاتم والبزار وقال عتبة بن المنذر الصحابي مرفوعا فلما اراد موسى فراق شعيب امر امرأته ان تسأل
اباها ان يعطيها من غنمه ما يعيشون به فاعطاها ما ولدت من غنمه قالب لون من ولد ذلك العام وكانت غنمه سوداء
حسناء فانطلق موسى الى عصاه فسماها من طرفها ثم وضعها في ادنى الحوض ثم اوردها فسقاها ثم وقف موسى بازاء
الحوض فلم تصدر منها شاة الا ضرب جنبها شاة شاة قال فاتأمت وانتثت ووضعت كلها قوالب الوان الا شاة او شاتين
[illegible] وولدت كل شاة ثنتين وثلاثا رواه ابن ابي حاتم وقوله والله على ما نقول وكيل اي شهيد فيما بيني وبينك فلما قضى
موسى الاجل وسار باهله آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها
بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما اتيها نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة
من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وان الق عصاك فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم
يعقب يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم
اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين قد تبين
آنفا ان موسى قضى اتم الاجلين واوفاهما وقد يفهم هذا من هذه الآية ايضا حيث قال تعالى فلما قضى موسى الاجل اي الاكمل منهما

فان اتممت عشرا فمن عندك
فاتمام من عندك تفضلا لا من عندي الزاما عليك

والله على ما نقول وكيل شاهد حفيظ الشارح

قالب لون اي جاءت على غير الوان امهاتها هكذا في العرس

وقوله وسار باهله قالوا كان موسى قد اشتاق الى بلاده واقاربه فعزم على زيارتهم في خفية من فرعون وقومه فتحمل باهله و
ما كان معه من الغنم التي وهبها له صهره فسلك بهم في ليلة مظلمة باردة فنزل منزلا فجعل كلما اورى زنده لا يضيء شيئا فتعجب من
ذلك فبينما هو كذلك اذ آنس من جانب الطور نارا اي رأى نارا تضيء له من بعيد فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا اي حتى
اذهب اليها لعلي آتيكم منها بخبر وذلك لانه قد اضل الطريق او جذوة من النار اي قطعة منها لعلكم تصطلون اي لكي تستدفئوا
بها من البرد قال تعالى فلما اتيها نودي من شاطئ الوادي الايمن اي من جانب الوادي مما يلي الجبل عن يمينه من ناحية المغرب
كما قال وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر فهذا مما يرشد الى ان موسى قصد النار الى جهة القبلة والجبل الغربي عن
يمينه والنار وجدها تضطرم في شجرة خضراء في طرف الجبل مما يلي الوادي فوقف متحيرا في امرها فناداه ربه من شاطئ الوادي الايمن
في البقعة المباركة من الشجرة قيل الشجرة شجرة خضراء وعمر من العليق وقيل العوسج وعصاه ايضا من العوسج وقوله ان يا موسى
اني انا الله اي الذي يخاطبك ويكلمك هو رب العالمين الفعال لما يشاء المنزه عن مماثلة المخلوقات وقوله وان الق عصاك اي التي في
يدك كما في قوله وما تلك بيمينك يا موسى الآية يعني عصاك هذه التي في يدك القها فالقاها فاذا هي حية تسعى فعرف وتحقق ان الذي
يكلمه ويخاطبه هو الذي يقول للشيء كن فيكون كما سبق في سورة طه فلما رآها تهتز اي تضطرب كانها جان اي في حركتها السريعة مع
عظم خلقتها وقوائمها واتساع فمها واصطكاك انيابها واضراسها بحيث لا تمر بصخرة الا ابتلعتها فتنحدر فيها تتقعقع كانها
حادرة من واد فعند ذلك ولى موسى مدبرا ولم يعقب اي ولم يلتفت لان طبع البشرية ينفر من ذلك فلما قال الله له اقبل ولا
تخف انك من الآمنين رجع ووقف في مقامه الاول ثم قال تعالى اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء اي اذا ادخلت
يدك في جيب درعك ثم اخرجتها فانها تخرج تتلألأ كانها قطعة قمر في لمعان برق ولهذا قال من غير سوء اي من غير برص
وقوله واضمم اليك جناحك من الرهب اي الفزع والرعب والخوف من الحية والمراد انه اذا خاف من شيء ان يضم اليه
جناحه اي يده فاذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف قال مجاهد كان موسى قد ملئ قلبه رعبا من فرعون وكان اذا
رآه قال اللهم اني ادرأ بك في نحره واعوذ بك من شره فنزع الله ما كان في قلب موسى وجعله في قلب فرعون فكان اذا رآه يبول كالحمار
وقوله فذانك برهانان من ربك يعني القاء العصا وجعلها حية تسعى وادخاله يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء دليلان
قاطعان على قدرة الفاعل المختار وصحة نبوة موسى ولهذا قال الى فرعون وملائه اي وقومه من الرؤساء والكبراء والاتباع انهم
كانوا قوما فاسقين اي خارجين عن طاعة الله مخالفين لدينه قال اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخي
هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا يصدقني اني اخاف ان يكذبون قال سنشد عضدك باخيك
ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون لما امره بالذهاب الى فرعون قال
اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون اي اذا رأوني واخي هرون هو افصح مني لسانا وذلك ان موسى كان في لسانه لثغة
بسبب ما كان تناول تلك الجمرة حين خير بينها وبين الدرة فوضعها على لسانه فحصل فيه شدة في التعبير ولهذا قال واحلل عقدة
من لساني الآية وقوله ردءا اي وزيرا ومعينا ومقويا لامري يصدقني فيما اقوله واخبر به عن الله لان خبر اثنين اوقع في النفوس
من خبر واحد ولهذا قال اني اخاف ان يكذبون قال ابن اسحق ردءا يصدقني اي يبين لهم عني ما اكلمهم به فانه يفهم عني ما لا
يفهمون فقال الله سنشد عضدك باخيك اي سنقوي امرك ونعز جانبك باخيك يعني هرون كما قال في آية اخرى قد اوتيت
سؤلك يا موسى وقوله ونجعل لكما سلطانا اي حجة قاهرة فلا يصلون اليكما بآياتنا اي لا سبيل لهم الى الوصول الى اذاكم بسبب

[illegible] الشيخ
[illegible] فيعلم انه لا يقدر على الجمع بين النار والخضرة
الا الله تعالى ويحتمل [illegible]
ان ابليس [illegible]
من جميع الاجزاء [illegible]
سوى الله تعالى [illegible]
فلما البقعة [illegible]
[illegible] نودي نداء الوحي لا نداء الكلام
الدليل [illegible] وقال الجمهور
ان الله تعالى كلم [illegible] والدليل على قوله
وكلم الله موسى تكليما [illegible] تفسير كبير

[illegible]

ابلاغكما آيات الله كما قال تعالى لرسولنا صلى الله عليه وسلم والله يعصمك من الناس ووجه ابن جرير ان المعنى ونجعل لكما
سلطانا فلا يصلون اليكما ثم تبتدئ فتقول باياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون تقديره انتما ومن اتبعكما الغالبون باياتنا
وهذا يعلم من التوجيه مع زيادة الاختصاص والحصر ولا حاجة الى هذا التقدير فلما جاءهم موسى باياتنا بينات قالوا
ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده
ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون اخبر تعالى عن مجئ موسى واخيه هرون الى فرعون وملائه وعرضه ما
اتاهما الله من المعجزات على صدقهما في الدعوة الى الهدى فلما عاين فرعون وملاؤه ذلك وشاهدوه وتحققوه وايقنوا انه من عند الله
عدلوا بكفرهم وبغيهم الى العناد وانكار الحق فقالوا ما هذا الا سحر مفترى اي مفتعل مصنوع وارادوا معارضته بالحيلة والتسلط
فما تيسر لهم ذلك وقوله وما سمعنا بهذا يعنون عبادة الله وحده اي ما راينا احدا من ابائنا على هذا الدين ولم نر الناس الا يشركون فقال
موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده يعني مني ومنكم وسيفصل بيني وبينكم ولهذا قال ومن تكون له عاقبة الدار اي النصرة
والظفر والتاييد انه لا يفلح الظالمون اي المشركون بالله وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري فاوقد
لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى واني لاظنه من الكاذبين واستكبر
هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم
فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ويوم القيمة لا ينصرون واتبعناهم في هذه
الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقبوحين اخبر تعالى عن طغيان فرعون وافترائه في دعوى الالهية لنفسه كما قال
فاستخف قومه فاطاعوه وذلك لانه دعاهم الى الاعتراف له بالالهية فاجابوه الى ذلك بقلة عقولهم وسخافة فهومهم ولهذا
قال يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري فغضب الله عليه وانتقم منه فجعله عبرة لغيره في الدنيا والاخرة وقوله فاوقد لي
يا هامان اي امر وزيره هامان مدبر ملكه ان يوقد على الطين يعني ليتخذ له آجرا لبناء الصرح وهو القصر المنيف الرفيع
لعلي اطلع الى اله موسى اي انظر اليه واقف على حاله واني لاظنه اي موسى من الكاذبين اي في زعمه ان للارض والخلق الها
غيري وذلك انه اراد بهذا البناء ان يظهر لرعيته تكذيب موسى في دعواه الها غير فرعون لا في انه ارسله لانه لم يكن يعترف بوجود
الصانع فانه قال وما رب العالمين قاله ابن جرير وقوله واستكبر هو وجنوده في الارض اي طغوا وتجبروا واكثروا في الارض
الفساد واعتقدوا انه لا قيامة ولا معاد فصب عليهم ربك سوط عذاب ولهذا قال فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم اي اغرقناهم
في البحر صبيحة واحدة فلم يبق منهم احد فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم ائمة اي قادة يدعون الى النار اي لمن سلك
وراءهم مسلكهم في تكذيب الرسل وتعطيل الصانع ويوم القيمة لا ينصرون اي فاجتمع عليهم خزي الدنيا موصولا بذل الاخرة
وقوله واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة اي وشرع الله لعنتهم على لسان المؤمنين كما انهم في الدنيا ملعونون على لسان الانبياء
واتباعهم كذلك يوم القيمة هم من المقبوحين اي المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون المبعدين المهلكين في حقهم
ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون
اخبر تعالى عما انعم به على عبده موسى الكليم من انزال التورية عليه بعد ما اهلك فرعون وملاه وقوله من بعد ما اهلكنا القرون الاولى
يعني انه بعد انزال التورية لم يعذب امة بعامة بل امر المؤمنين ان يقاتلوا اعداء الله من المشركين كما قال ابو سعيد الخدري ما اهلك
الله قوما بعذاب من السماء ولا من الارض بعد ما انزلت التورية على وجه الارض غير القرية التي مسخوا قردة الم تر ان الله تعالى يقول

بغير الحق
بغير استحقاق

ولقد

ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى رواه ابن جرير وابن ابي حاتم هكذا موقوفا على ابي سعيد ورواه
البزار مرفوعا وقوله بصائر للناس اي من العمى والغي وهدى الى الحق ورحمة اي ارشادا الى الاعمال الصالحة لعلهم
يتذكرون اي لكي يتذكروا ويهتدوا بسببه وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين
ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلو عليهم اياتنا ولكنا كنا مرسلين
وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون
ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون
من المؤمنين ينبه تعالى على برهان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بالغيوب الماضية خبرا كان سامعه شاهد وراء
لما تقدم وكان هو رجلا اميا لا يقرا شيئا من الكتب نشا بين قوم لم يعرفوا شيئا من ذلك كما انه لما اخبره عن مريم وما كان من
امرها قال وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم الاية اي ما كنت حاضرا لذلك ولكن الله اوحاه اليك وهكذا
قصص الامم السالفة كما هي مبينة في مواضعها من القران وقال ههنا بعد ما اخبر عن قصة موسى من اولها الى اخرها وما
كنت بجانب الغربي اي ما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربي الذي كلم الله موسى من الشجرة التي هي شرقيه على شاطئ الوادي وما كنت
من الشاهدين لذلك ولكن الله اوحى اليك ذلك ليجعله حجة وبرهانا على قرون قد تطاول عهدها ونسوا حجج الله عليهم وما
اوحاه الى الانبياء المتقدمين وقوله وما كنت ثاويا في اهل مدين اي وما كنت مقيما في اهل مدين تتلو عليهم اياتنا حين اخبرت
عن نبيها شعيب وما قال لقومه وما ردوا عليه اي ولكنا كنا مرسلين اي ولكن نحن اوحينا اليك ذلك وارسلناك للناس رسولا
وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال ابو هريرة اي نودوا يا امة محمد اعطيتكم قبل ان تسالوني واجبتكم قبل ان تدعوني رواه
النسائي وابن جرير وابن ابي حاتم وقال مقاتل بن حيان اي اذ نادينا امتك في اصلاب ابائهم ان يؤمنوا بك اذا بعثت وقوله
ولكن رحمة من ربك اي ما كنت مشاهدا لشيء من ذلك ولكن الله اوحاه اليك واخبرك به رحمة منه لك وبالعباد بارسالك اليهم
لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون اي لعلهم يهتدون بما جئتهم به من الله تعالى ولولا ان تصيبهم
مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المؤمنين اي وارسلناك اليهم
لتقيم عليهم الحجة ولينقطع عذرهم اذا جاءهم عذاب من الله بكفرهم فيحتجوا بانه لم ياتهم رسول ولا نذير كما قال تعالى رسلا
مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وغيرها من الايات البينات في ذلك فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا
لولا اوتي مثل ما اوتي موسى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون
قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون
اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين ولقد وصلنا
لهم القول لعلهم يتذكرون اخبر تعالى عن القوم الذين لو عذبهم قبل قيام الحجة عليهم لاحتجوا بانهم لم ياتهم رسول
قالوا لما جاءهم الحق على لسان محمد صلى الله عليه وسلم عنادا وكفرا وتعنتا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من قبل اي من الايات
الكثيرة التسع وغيرها من المعجزات الباهرات التي اجراها الله على يدي موسى حجة وبراهين على المخالفين ومع هذا لم ينجع في فرعون
وملائه بل كفروا بموسى واخيه ولهذا قال اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل اي اولم يكفر البشر بما اوتي موسى من الايات العظيمة
قالوا ساحران تظاهرا اي تعاونا وقالوا انا بكل كافرون اي بكل منهما كافرون ولشدة التصاحب والتلازم والمقاربة بين موسى و

هارون دل كل احد منهما على الآخر كما قال الشاعر: فما ادري اذا يممت ارضا: اريد الخير ايهما يليني: اي فما ادري ايليني
الخير او الشر قال مجاهد امرت اليهود قريشا ان يقولوا ذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم فقال الله اولم يكفروا بما اوتي موسى
من قبل قالوا ساحران تظاهرا يعني محمدا وموسى عليهما السلام وعن الحسن عيسى بدل موسى وهذا بعيد والاول ظاهر واما من قرا
سحران يعني السحر قال ابن عباس وغير واحد يعني القران والتورية يعني صدق كل واحد منهما الآخر واختاره ابن جرير وقال قتادة
الانجيل والقران وهو ايضا بعيد والظاهر على هذه القراءة انهما التورية والقرآن لانه قال بعده قل فاتوا بكتاب من عند الله هو
اهدى منهما اتبعه وكثيرا ما يقرن الله بين القرآن والتورية كما في قوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس
الى ان قال وهذا كتاب انزلناه مبارك وغيره من الآيات البينات وقد علم بالضرورة انه تعالى لم ينزل كتابا فيما انزل على انبيائه المتقدمة
اكمل ولا اشمل ولا افصح ولا اعظم من التورية التي قال تعالى فيها انا انزلنا التورية فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الآية و
الانجيل انما نزل متمما للتورية ومحللا لبعض ما حرم فيها ولهذا قال تعالى قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه
ان كنتم صادقين اي فيما تدافعون به الحق وتعارضون به الباطل قال تعالى فان لم يستجيبوا لك اي فان لم يجيبوك فيما
قلت لهم ولم يتبعوا الحق فاعلم انما يتبعون اهواءهم اي بلا دليل وحجة ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله اي بغير
حجة ماخوذة من كتاب الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين قوله ولقد وصلنا لهم القول قال مجاهد فصلنا لهم القول
وقيل بيّنّا قال قتادة اخبرهم الله كيف صنع بمن مضى وكيف صانع لعلهم يتذكرون والضمير في لهم عائد الى قريش وهو
ظاهر ولكن قال رفاعة القرظي نزلت هذه الآية في عشرة انا احدهم رواه ابن جرير وابن ابي حاتم الذين آتيناهم الكتاب
من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين اولئك
يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو
اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين اخبر تعالى عن علماء اهل الكتاب
انهم يؤمنون بالقران كما قال الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته الآية وقال ان الذين اوتوا العلم من قبله الآية وقال
ولتجدن اقربهم مودة الآية قال سعيد بن جبير نزلت قوله الذين آتيناهم الكتاب في سبعين من القسيسين بعثهم النجاشي
فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم قرا عليهم يس والقران الحكيم حتى ختم السورة فجعلوا يبكون واسلموا ونزلت فيهم هذه
الآية الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون الى قوله مسلمين اي موحدين مخلصين لله مستجيبين له قال الله اولئك
يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا اي هؤلاء المتصفون بهذه الصفة الذين آمنوا بالكتاب الاول ثم بالثاني يؤتون
اجرهم مرتين بايمانهم بالرسول الاول ثم بالثاني ولهذا قال بما صبروا اي على اتباع الحق فان تجشم مثل هذا شديد على
النفوس وفي الصحيحين عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة لهم اجران رجل من اهل الكتاب آمن
بنبيه وآمن بمحمد والعبد المملوك اذا ادى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده امة يطأها فادبها فاحسن تاديبها
وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها فله اجران وقوله ويدرؤن بالحسنة السيئة بمثله ولكن يعفون ويصفحون
ومما رزقناهم ينفقون اي ومن الذي رزقهم الله من الحلال ينفقون على خلق الله في النفقات الواجبة على اهليهم واقاربهم
والزكوة المفروضة والمستحبة من التطوعات وقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه اي لا يخالطون اهله ولا يعاشرونهم بل كما
قال تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقالوا لنا اعمالنا اي اذا سفه عليهم سفيه وكلمهم بما لا يليق بهم الجواب عنه اعرضوا عنه

ذكر مقاتل ان اربعين من اهل الانجيل الذين قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبي صلعم قال سعيد بن جبير هم اربعون رجلا قدموا مع جعفر [illegible] من الحبشة على النبي صلعم فلما راوا بالمسلمين من الخصاصة قالوا يا نبي الله ان لنا اموالا فان اذنت لنا انصرفنا فجئنا باموالنا فواسينا المسلمين بها فاذن لهم فانصرفوا فاتوا باموالهم فواسوا بها المسلمين فنزل فيهم الذين آتيناهم الكتاب الى قوله ومما رزقناهم ينفقون [illegible]

ولم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح ولا يصدر عنهم الا كلام طيب ولهذا قال سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين اي لا نريد طريق الجاهلين
ولا نحبها ولا نجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما انتم عليه قاله الذين جاؤا من الحبشة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة
وكلموه وسائلوه فلما سمعوا القرآن اسلموا فلما قاموا عنه اعترض لهم ابو جهل ونفر من قريش فسبوهم وسفهوا عليهم في
اعراضهم عن النصرانية ودخولهم في الاسلام فقالوا لهم في جوابهم لنا اعمالنا الآية وقوله سلام عليكم ليس سلام التحية
بل سلام المتاركة اي سلمتم منا لا نعارضكم بالشتم والقبيح انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء و
هو اعلم بالمهتدين وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه
ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون اي انك يا محمد لا تهدي من احببت وليس اليك ذلك انما عليك
البلاغ والله يهدي من يشاء وله الحكمة البالغة كما قال ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين
اي بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية وفي الصحيحين انها نزلت في ابي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
كان يحوطه وينصره ويحبه حبا شديدا طبيعيا لا شرعيا فلما حضرته الوفاة وحان اجله دعاه رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى الايمان فسبق القدر فيه واختطف من يده فاستمر على ما كان عليه الكفر كما روى المسيب بن حزن قال لما
حضرت ابا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده ابا جهل بن هشام وعبد الله بن المغيرة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عم قل لا اله الا الله كلمة اشهد لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله بن ابي امية يا ابا طالب
اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان له بتلك المقالة حتى قال آخر ما قال
هو على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما والله لاستغفرن لك ما لم انه عنك
فانزل الله ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى وفي رواية ابي هريرة لما حضرت وفاة ابي
طالب اتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عماه قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيمة فقال لولا ان تعيرني قريش
يقولون ما حمله عليه الا جزع الموت لاقررت بها عينك فانزل الله انك لا تهدي من احببت الآية وقوله وقالوا ان نتبع الهدى
معك نتخطف من ارضنا اخبار عن اعتذار بعض الكفار في عدم اتباع الهدى حيث قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اي نخشى ان اتبعنا ما جئت من الهدى وخالفنا ما حولنا من احياء العرب
المشركين ان يقصدونا بالاذى والمحاربة ويتخطفونا اينما كنا والاختطاف الانتزاع بسرعة يعني يخرجونا من مكة فقال تعالى
مجيبا لهم اولم نمكن لهم حرما امنا يعني هذا الذي اعتذروا به كذب لان الله جعلهم في بلد امين وحرم معظم آمن منذ
وضع فكيف يكون الحرم امنا في كفرهم ولا يكون آمنا لهم وقد اسلموا وتابعوا الحق وقوله يجبى اليه ثمرات كل شيء اي من سائر
الثمار مما حوله من الطائف وغيره وكذلك المتاجر والامتعة رزقا من لدنا اي من عندنا ولكن اكثرهم لا يعلمون فلهذا قالوا
ما قالوا وفي النسائي ان قائل هذا القول هو الحرث بن عامر بن نوفل وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك
مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث
في امها رسولا يتلو عليهم اياتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون هذا تعريض باهل مكة في قوله
وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اي طغت وكفرت نعم الله فيما انعم به عليهم من الارزاق فاكلوا رزق الله وعبدوا
الاصنام فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا ولم تعمر وبقيت خربة وقوله وكنا نحن الوارثين عن

جهلة لا يستطيعون ذلك ولا يسكرون ليعلموا

[illegible] التخوف والتخطف اذا [illegible] الوحيد

منهم اذ [illegible] وصار [illegible]

ابن مسعود ان كفتا قال لعمران سليمن عليه السلام قال للهامة يعني البوم ما لك لا تأكلين الزرع قالت لانه اخرج آدم
بسببه من الجنة قال فما لك لا تشربين الماء قالت لان الله اغرق قوم نوح به قال فما لك لا تأوين الا الى الخراب قالت
لانه ميراث الله عز وجل ثم تلا وكنا نحن الوارثين ثم اخبر تعالى عن عدله وانه لا يهلك احدا ظالما له وانما يهلك من هلك
بعد قيام الحجة عليهم وقال وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها وهي مكة يتلو عليهم آياتنا اي بان العذاب نازل بهم
ان لم يؤمنوا وصار اي في اصلها وعظيمتها كامهات الرساتيق والاقاليم حكاه الزمخشري وغيره وما اوتيتم من شيء
فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون افمن وعدناه وعدا حسنا فهو
لاقيه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين اخبر تعالى عن حقارة الدنيا وما فيها
من زينتها وزهرتها الفانية بالنسبة الى ما اعد الله لعباده الصالحين في العقبى من النعيم المقيم كما قال ما عندكم ينفد
وما عند الله باق وقال وما عند الله خير للابرار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما الدنيا في الآخرة الا مثل
ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع رواه مسلم وقوله افلا تعقلون اي افلا يعقل من يقدم الدنيا على الآخرة
وقوله افمن وعدناه وعدا حسنا اي افمن هو مؤمن مصدق بما وعده الله على صالح اعماله من الثواب الذي هو صائر اليه
لا محالة كمن هو كافر مكذب بلقاء الله ووعده ووعيده فهو ممتع في الحيوة الدنيا اياما قلائل ثم هو يوم القيمة من المحضرين
اي المعذبين والاية عامة في اهل الجنة والنار وهذا كما اخبر تعالى عن ذلك المؤمن حين اشرف على صاحبه وهو في الدرجات
وذاك في الدركات بقوله ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون
قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون
وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون ويوم
يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون فاما من تاب
وآمن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين اخبر تعالى عما يوبخ به الكفار يوم القيمة حيث يناديهم فيقول
اين شركائي يعني الالهة التي كنتم تعبدونها في الدنيا من الاصنام والانداد هل ينصرونكم او ينتصرون وهذا على
وجه التهكم والتقريع وقوله قال الذين حق عليهم القول اي وجب عليهم العذاب يعني من الشياطين والمردة والدعاة الى
الكفر ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا اي دعوناهم الى الغي وهم الاتباع اضللناهم كما ضللنا فشهدوا عليهم انهم
اغووهم فاتبعوهم ثم تبرؤوا من عبادتهم كما قال تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب الاية وغيره
من الآيات وقوله لو انهم كانوا يهتدون اي فودوا حين عاينوا العذاب لو انهم كانوا مهتدين في الدنيا ما راوا العذاب
وقوله ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين النداء الاول عن سؤال التوحيد وفيه اثبات السؤال اي ماذا اجبتم
المرسلين وكيف حالكم معهم وهذا كما يسال العبد في قبره من ربك ومن نبيك وما دينك فاما المؤمن فيشهد ان لا اله الا
الله وان محمدا عبد الله ورسوله واما الكافر فيقول هاه هاه لا ادري ولهذا لا جواب له يوم القيمة غير السكوت لان من
كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى ولهذا قال فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون قال مجاهد فعميت عليهم
الحجج فهم لا يتساءلون بالانساب وقوله فاما من تاب اي في الدنيا فعسى ان يكون من المفلحين اي يوم القيمة فعسى من الله
موجبة بان هذا واقع بفضل الله ومنته لا محالة وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله

وتعالى

وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى و
الآخرة وله الحكم واليه ترجعون اخبر تعالى انه المنفرد بالخلق والاختيار وانه ليس له في ذلك منازع فقال وربك
يخلق ما يشاء ويختار فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وقوله ما كان لهم الخيرة نفي على اصح القولين كقوله وما كان
لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله ان يكون لهم الخيرة من امرهم اي ليس لهم الاختيار وليس لهم ان يختاروا على
الله وقد اختار ابن جرير انها بمعنى الذي اي ويختار الذي لهم فيه خيرة واحتج المعتزلة على وجوب مراعاة الاصلح على
الله والصحيح الاول كما قال ابن عباس وغيره فان المقام في بيان انفراده تعالى بالخلق والاختيار وانه لا نظير له في ذلك
سبحان الله وتعالى عما يشركون اي من الاصنام والانداد التي لا تخلق ولا تختار شيئا ثم قال وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون
اي ما تكنه الضمائر وما ينطوي عليه السرائر كما يعلم ما تبديه الظواهر من سائر الخلائق وقوله وهو الله لا اله الا هو اي
هو المتفرد بالالهية فلا معبود سواه له الحمد في جميع ما يفعله وهو المحمود عليه بعدله وحكمته وله الحكم اي الذي لا معقب
له لقهره وغلبته واليه ترجعون اي جميعكم يوم القيمة فيجزي كل عامل بعمله قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل
سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بضياء افلا تسمعون قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار
سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل و
النهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون يمتن الله على عباده بما سخر لهم الليل والنهار الذي
لا قوام لهم بدونهما وبين انه لو جعل الليل دائما عليهم سرمدا الى يوم القيمة لاضر بهم ولسئمته النفوس ولهذا قال من
اله غير الله يأتيكم بضياء اي تبصرون به وتستأنسون بسببه افلا تسمعون ثم اخبر انه لو جعل النهار سرمدا دائما مستمرا
الى يوم القيمة لاضر بهم ذلك ولتعبت الابدان وكلت من كثرة الحركات ولهذا قال من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه
اي تستريحون من حركاتكم واشغالكم افلا تبصرون ومن رحمته اي بكم جعل لكم الليل والنهار اي خلق هذا وهذا لتسكنوا فيه
اي في الليل ولتبتغوا من فضله اي في النهار بالاسفار والرحال وهذا من باب اللف والنشر وقوله ولعلكم تشكرون اي
تشكرون الله بانواع العبادات في الليل والنهار ومن فاته شيء من الليل استدركه بالنهار او بالنهار استدركه بالليل ويوم
يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا ان
الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون هذا ايضا تقريع وتوبيخ ينادي بهم الرب تعالى على رؤوس الاشهاد فيقول اين شركائي
الذين كنتم تزعمون اي في الدنيا ونزعنا من كل امة شهيدا اي رسولا فقلنا هاتوا برهانكم اي على صحة ما ادعيتموه من ان لله
شركاء فعلموا ان الحق لله اي لا اله غيره فلم ينطقوا ولم يحيروا جوابا وضل عنهم ما كانوا يفترون اي ذهبوا فلم ينفعوهم
ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي
القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك
من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين قال ابن عباس
ان قارون كان ابن عم موسى وهكذا عن اكثر التابعين وقال ابن جريج هو قارون بن يصهر بن قاهث وموسى بن عمران
ابن قاهث وكان يسمى المنور لحسن صوته بالتوراة ولكن نافق كما نافق السامري فاهلكه البغي لكثرة ماله وقيل زاد في ثيابه
شبرا ترفعا على قومه وقوله وآتيناه من الكنوز اي الاموال ما ان مفاتحه لتنوء اي ليثقل حملها بالعصبة اي بالقيام من

الناس ذوى القوة لكثرتها قال خيثمة كانت مفاتيح كنوز قارون من جلود كل مفتاح مثل اصبع كل منها على خزانة واحدة
فاذا ركب حملت على ستين بغلا اغر محجلا وقيل غير ذلك والله اعلم وقوله اذ قال له قومه لا تفرح اى وعظه فيما هو فيه صالحوا
قومه فقالوا على سبيل النصح والارشاد لا تفرح بما انت فيه اى لا تبطر ولا تبطر بما لك ان الله لا يحب الفرحين اى المرحين الاشرين
البطرين الذين لا يشكرون الله على ما اعطاهم وقوله وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة اى استعمل ما وهبك الله من هذا
المال الجزيل فى طاعة ربك واصرفه فى مصارف الحق ولا تنس نصيبك من الدنيا اى مما اباح الله فيها من الماكل والمشارب
والمساكن والملابس والمناكح فان لربك عليك حقا ولنفسك عليك حقا ولاهلك عليك حقا ولزوجك عليك حقا فآت كل ذى حق
حقه هكذا فى الحديث الصحيح واحسن كما احسن الله اليك اى احسن الى خلقه كما احسن هو اليك ولا تبغ الفساد فى الارض
اى لا تكن همتك بما انت فيه ان تفسد به فى الارض وتسيء الى خلق الله ان الله لا يحب المفسدين قال انما اوتيته على
علم عندى اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسأل
عن ذنوبهم المجرمون اخبر تعالى عن جواب قارون لقومه حين نصحوه بقوله قال انما اوتيته على علم عندى اى لا افتقر الى
ما تقولون فان الله تعالى انما اعطانى هذا المال لعلمه انى استحقه ولمحبته لى وهذا كقوله فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا
خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم اى على علم من الله بى وقيل انه اراد انما اوتيته على علم عندى انه كان يعانى علم الكيمياء وهذا
ضعيف لانه فى نفسه علم باطل لان قلب الاعيان لا يقدر احد عليها الا الله بل زور وضلال وانما يقدر اهله على الصبغ وصورة الظاهر
واللون وهو تمويه وترويج للزيف ودغل ولم يثبت بطريق شرعى صحته وجوازه مع احد من الناس فاما ما يجريه الله سبحانه من خرق
العوائد على يدى بعض الاولياء من قلب بعض الاعيان ذهبا او فضة او نحو ذلك فهذا امر لا ينكره اهل الحق ولا يرده مسلم فانما
هو عن مشية الله واختياره وفعله كما روى ان حيوة بن شريح المصرى رحمه الله ساله سائل فلم يكن عنده ما يعطيه ورأى
احتياجه فاخذ حصاة من الارض فاجالها فى كفه ثم القاها الى ذلك السائل فاذا هى ذهب احمر والاحاديث والآثار فى هذا
كثيرة وقال بعضهم ان قارون كان يعلم اسم الله الاعظم فدعا الله به فتمول بسببه والصحيح الاول ولهذا قال تعالى رادا عليه فيما
ادعاه من اعتناء الله به فيما اعطاه الله من المال اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر
جمعا اى قد كان اكثر منه مالا وما كان ذلك من محبة منا له وقد اهلكهم الله مع ذلك بكفرهم وعدم شكرهم ولهذا قال ولا
يسأل عن ذنوبهم المجرمون اى لكثرة ذنوبهم وقال ابن زيد اى لولا رضى الله عنى ومعرفته بفضلى ما اعطانى هذا المال وقرأ هذه
الآية فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون انه لذو
حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقيها الا الصابرون
اخبر تعالى عن قارون انه خرج ذات يوم فى زينة عظيمة وتجمل باهر مع خدمه وحشمه فلما رآه من يريد الدنيا ويميل الى زخارفها
تمنى واحد فواحد انه لو كان لهم مثل الذى اعطى قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون انه لذو حظ عظيم اى ذو حظ وافر من
الدنيا فلما سمع علماؤهم العاملون مقالتهم قالوا لهم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا اى جزاء الله لعباده المؤمنين
الصالحين فى الآخرة خير مما ترون وقوله وما يلقاها الا الصابرون قال السدى اى ما يلقى الجنة الا الصابرون فجعله من
تتمة كلامهم وقال ابن جرير وما يلقى هذه الكلمة الا الصابرون عن محبة الدنيا الراغبون فى العقبى وكانه جعل ذلك مقطوعا
عما قبله وجعله من كلام الله تعالى واخباره بذلك فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله

وقيل بنصيبك من الدنيا الكفن والقبر

[illegible]

وماكان

وما كان من المنتصرين واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء
من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون لما ذكر تعالى اختيال قارون
فى زينته وفخره على قومه عقب ذلك بانه خسف به وبداره الارض كما ثبت فى البخارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بينا رجل يجر ازاره اذ خسف به فهو يتجلجل فى الارض الى يوم القيمة وقد ذكر ان هلاك قارون كان عن دعوة موسى
عليه السلم واختلف فى سببه فعن ابن عباس واتباعه ان قارون اعطى امراة بغية مالا على ان تبهت موسى بحضرة الملا
من بنى اسرائيل وهو قائم فيهم يتلو عليهم كتاب الله فتقول يا موسى انك فعلت بى كذا وكذا فلما قالت فى الملا ذلك لموسى ارعد
من الفرق واقبل عليها بعد ما صلى ركعتين ثم قال انشدك بالله الذى فرق البحر وانجاكم من فرعون وفعل كذا وكذا لما
اخبرتنى بالذى حملك على ما قلت فقالت اما اذ نشدتنى فان قارون اعطانى كذا وكذا على ان اقول لك هذا وانا استغفر الله
واتوب اليه فعند ذلك خر موسى لله ساجدا وسأل الله فى قارون فاوحى الله اليه ان قد امرت الارض ان تطيعك فيه فامر موسى
الارض ان تبتلعه وداره فكان ذلك وقيل ان قارون لما خرج على قومه فى زينته وهو راكب مع اتباعه على البغال الشهب و
عليهم وعليهم ثياب الارجوان مروا على مجلس موسى وهو يذكرهم بايام الله فلما راى الناس قارون انصرفت وجوه الناس نحوه ينظرون
الى ما هو فيه فدعاه موسى وقال ما حملك على ما صنعت فقال يا موسى اما لئن كنت فضلت على بالنبوة فلقد فضلت عليك بالدنيا
ولئن شئت لتخرجن فلتدعون على وادعو عليك فخرج وخرج قارون فى قومه فقال موسى تدعو او ادعو انا قال بل ادعو انا
فدعا قارون فلم يجب له ثم قال موسى ادعو قال نعم فقال موسى اللهم مر الارض فليطعنى اليوم فاوحى الله اليه انى قد فعلت
فقال موسى يا ارض خذيهم فاخذتهم الى اقدامهم ثم قال خذيهم فاخذتهم الى ركبهم ثم الى مناكبهم ثم اقبلى بكنوزهم و
اموالهم قال فاقبلت بها حتى نظروا اليها ثم اشار موسى بيده فقال اذهبوا من عقبهم فاستوت بهم الارض قال ابن عباس
خسف بهم الى الارض السابعة وقوله فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله اى ما اغنى عنه ماله وما جمعه ولا خدمه ولا
حشمه ولا دفعوا عنه نقمة الله وعذابه ولا كان هو فى نفسه منتصرا لنفسه فلا ناصر له لا من نفسه ولا من غيره وقوله واصبح
الذين تمنوا مكانه بالامس اى الذين قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون لما خسف به اصبحوا يقولون ويكأن الله يبسط الرزق
لمن يشاء اى ليس المال بدال على رضى الله عن صاحبه فان الله يعطى ويمنع ويضيق ويوسع ويخفض ويرفع وله الحكمة البالغة
وقوله لولا ان من الله علينا لخسف بنا اى لولا لطف الله بنا واحسانه الينا لخسف بنا كما خسف به لانا وددنا ان نكون مثله
ويكأنه لا يفلح الكافرون اى انه كان كافرا ولا يفلح الكافرون عند الله لا فى الدنيا ولا فى الآخرة وقد اختلفوا فى معنى ويكأن
قيل معناه ويلك اعلم ان فخففت فقيل ويك ودل فتح ان على حذف اعلم وضعفه ابن جرير والظاهر انه قوى ولا يشكل على ذلك الا
كتابتها فى المصاحف متصلة ويكأن والكتابة امر وضعى اصطلاحى والمرجع الى اللفظ العربى وقيل معناها وى كأن ففصلها
وجعل حرف وى للتعجب او للتنبيه وكأن بمعنى اظن واحسب وقيل معناه ويلك الم تر ان قاله قتادة وقرره ابن جرير
بان المعنى الم تر ان كما قال الشاعر سالتانى الطلاق ان رأتانى قل مالى قد جئتمانى بنكر ويكأن من لم يكن له نشب يحبب
ومن يفتقر يعش عيش ضر تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة
للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون
اخبر تعالى ان الدار الآخرة ونعيمها المقيم جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين الذين لا يريدون علوا فى الارض اى ترفعا على

ولا فسادا او العاقبة للمتقين [illegible]

[illegible]

خلق الله وتعاظمًا وتجبرًا عليهم ولا فسادًا فيهم كما قال عكرمة وغيره العلو التجبر والبغي و التكبر بغير حق و الفساد اخذ
المال بغير الحق وصرفه كذلك وقوله من جاء بالحسنة اى يوم القيمة فله خير منها اى ثواب الله خير من حسنة العبد بكيف
والله يضاعفه اضعافًا كثيرة ومن جاء بالسيئة الاية هذا مقام العدل ولا ياتي من الكريم الا الكرم ان الذي فرض عليك
القرآن لرادك الى معاد قل ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين وما كنت ترجوا ان يلقى
اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرًا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت
اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الهًا آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا
وجهه له الحكم واليه ترجعون امر تعالى رسوله عليه الصلوة والسلم بابلاغ الرسالة وتلاوة القرآن على الناس واخبره انه
سيرده الى معاد وهو يوم القيمة فيسأله عما استرعاه من اعباء النبوة ولهذا قال ان الذي فرض عليك القرآن اى افترض عليك اداءه
الى الناس لرادك الى معاد كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم وعن ابن عباس الى الموت وقال الحسن والله ان له معادًا
يبعثه يوم القيمة ثم يدخله الجنة وفي البخاري عن ابن عباس قال الى مكة وفي غيره عنه لرادك الى مكة كما اخرجك منها ووافقه جماعة
وقال الضحاك لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرًا من مكة فبلغ الجحفة اشتاق الى مكة فانزل الله عليه ان الذي فرض عليك القرآن
لرادك الى معاد اى الى مكة وهذا دال على ان هذه الآية نزلت بين مكة والمدينة وان كانت السورة مكية وقيل اى الى بيت المقدس وهذا
يرجع الى قول من فسره بيوم القيمة لان بيت المقدس هو ارض المحشر والمنشر والله اعلم وقوله قل ربي اعلم من جاء بالهدى اي
قل يا محمد لمن خالفك وكذبك من قومك من المشركين ربي اعلم بالمهتدين منكم وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار ولمن تكون
النصرة في الدنيا والآخرة ثم قال تعالى مذكرًا لنبيه نعمته العظيمة عليه وعلى العباد اذ ارسله اليهم وما كنت ترجوا ان يلقى
اليك الكتاب اي ما كنت تظن قبل انزال الوحي اليك ان الوحي ينزل عليك ولكن رحمة من ربك اي الا من رحمة الله بك وبالعباد
بسببك فاذ منحك هذه النعمة العظيمة وخصصك بها فلا تكونن ظهيرًا للكافرين اى ولكن فارقهم ونابذهم وخالفهم
ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك اي لا تتأثر بمخالفتهم لك وصدهم الناس عن طريقك ولا تبال بهم فان الله
معل كلمتك ومؤيد دينك ومظهر ملتك على سائر الملل ولهذا قال وادع الى ربك اى الى عبادة ربك وحده لا شريك له ولا تكونن
من المشركين المراد به اهل دينه اى لا تظاهروا الكفار ولا توافقوهم وقوله ولا تدع مع الله الهًا آخر لا اله الا هو اى لا تليق
العبادة الا له ولا تنبغي الالهية الا لعظمته وقوله كل شيء هالك الا وجهه اخبار بانه الدائم الباقي تموت الخلائق و
لا يموت والمراد بالوجه الذات اى كل شيء هالك فان الا اياه وقيل اى الا ما اريد به وجهه حكاه في البخاري واستشهد له
ابن جرير بقول الشاعر: استغفر الله ذنبًا لست محصيه ∴ رب العباد اليه الوجه والعمل: وهذا لا ينافي القول الاول فان
مقتضاه ان كل الذوات فانية وهالكة وزائلة الا ذاته تعالى فانه الاول قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء وهذا اخبار
عن كل الاعمال بانها باطلة الا ما اريد بها وجه الله تعالى وكان ابن عمر اذا اراد ان يتعاهد قلبه ياتي الخربة فيقف على
بابها فينادي بصوت حزين فيقول اين اهلك ثم يرجع الى نفسه فيقول كل شيء هالك الا وجهه وقوله له الحكم اى الملك و
التصرف ولا معقب لحكمه واليه ترجعون اى يوم معادكم فيجزيكم باعمالكم تفسير سورة العنكبوت وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولقد
فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ام حسب الذين يعملون السيئات

ذاتًا وقدرًا ووصفا لكونه باقية وغيرها فانية ٢ لكونه افضل ٢ لكونه مرعيا ومرضية ٢

الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين او ما يسد مسدهما كقوله ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون فان معناه احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك اول مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم هو الثاني كقولك حسبت ضربه للتأديب [illegible] ووظائف الطاعات وانواع المصائب في الانفس والاموال ليميز المخلص من المنافق والثابت في الدين من المضطرب ولينالوا بالصبر عليها عوالي الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في العذاب ٢ قاضي

[illegible] بل يمتحنهم [illegible]

ان يسبقونا ساء ما يحكمون سبق الكلام في حروف اوائل السور في اول سورة البقرة وقوله احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا
استفهام انكار اى ان الله سبحانه لا بد ان يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الايمان كما جاء في الحديث الصحيح اشد الناس
بلاء الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلابة زيد في البلاء وهذه الآية
كقوله تعالى ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقال ههنا ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن
الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين اى الذين صدقوا في دعوى الايمان ممن هو كاذب في قوله ودعواه والله يعلم ما كان وما
يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون وهذا مجمع عليه عند ائمة السنة والجماعة ولهذا قال ابن عباس وغيره في مثل قوله الا لنعلم
الا لنرى وذلك لان الرؤية انما يتعلق بالموجود والعلم اعم من الرؤية فانه يتعلق بالمعدوم والموجود وقوله ام حسب الذين
يعملون السيئات اى لا يحسبن الذين لم يدخلوا في الايمان انهم يتخلصون من هذه الفتنة والامتحان فان من ورائهم من العقوبة
والنكال ما هو اغلظ من هذا ولهذا قال ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا اى يفوتونا ويعجزونا فلا نقدر على الانتقام ساء
ما يحكمون اى بئس ما يظنون من كان يرجوا لقاء الله فان اجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فانما
يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم
احسن الذي كانوا يعملون من كان يرجوا لقاء الله اى في الدار الآخرة وعمل الصالحات ورجا ما عند الله من الثواب
فان الله سيحقق له رجاءه ويوفيه عمله كاملا موفرا فان ذلك كائن لا محالة ولهذا قال فان اجل الله اى ما وعد الله من
الثواب والعقاب لآت لانه سميع الدعاء عليم بالجزئيات وقوله ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه اى من عمل عملا صالحا من الجهاد
وغيره فانما يعود نفع عمله الى نفسه فان الله غني عن افعال العباد ولو كانوا كلهم على اتقى قلب رجل منهم ما زاد ذلك في ملكه
شيئا قال الحسن ان الرجل ليجاهد وما ضرب يومًا من الدهر بسيف ثم اخبر انه مع غناه عن جميع الخلائق من احسانه
وبره بهم وانه يجازي الذين آمنوا وعملوا الصالحات احسن الجزاء وهو انه يكفر عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم
اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون فيقبل القليل من الحسنات ويثيب عليها الواحدة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف
ويجزي على السيئة بمثلها او يعفو ويصفح ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما
ليس لك به علم فلا تطعهما الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم
في الصالحين امر تعالى عباده بالاحسان الى الوالدين بعد الحث على التمسك بتوحيده فانهما سبب وجوده ولهما اليه
غاية الاحسان فالاب بالانفاق والام بالاشفاق وقوله وان جاهداك اى وان بالغا وحرصا عليك ان تتابعهما في دين
الشرك فاياك واياهما لا تطعهما في ذلك فان مرجعكم الي يوم القيمة فاجزيك باحسانك اليهما وصبرك على دينك واحشرك
مع الصالحين لا في زمرتهما ولهذا قال والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين اى في زمرتهم وهم الانبياء
والاولياء وعلى مدخلهم وهو الجنة ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة
الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين و
ليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين اخبر تعالى عن صفات قوم من المكذبين الذين يدعون الايمان بالسنتهم
ولم يثبت في قلوبهم بانهم اذا جاءتهم فتنة ومحنة في الدنيا اعتقدوا ان هذا من نقمة الله فارتدوا عن الاسلام كما قال
ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله اى جعل اذى الناس وعذابهم كعذاب الله

الانبياء والمؤمنين بعضهم [illegible] من مثل [illegible] فرعون وكان [illegible] والعذاب [illegible]

[illegible] جارية [illegible]

سعد بن جبير كان يطلع [illegible] يوم القيامة لكان [illegible]

ووصينا الانسان بوالديه حسنا نزلت هذه الآية والتي في سورة لقمن والاحقاف في سعد بن ابي وقاص وهو سعد بن مالك ابو اسحق الزهري وامه حمنة بنت ابي سفيان لما اسلم وكان من السابقين الاولين وكان بارا بامه قالت له امه ما هذا الدين الذي احدثت والله لا آكل ولا اشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه او اموت فتعير بذلك ابد الدهر ويقال يا قاتل امه ثم انها مكثت يوما وليلة لم تاكل ولم تشرب ولم تستظل فاصبحت قد جهدت ثم مكثت يوما آخر وليلة لم تاكل ولم تشرب فجاء سعد اليها وقال يا اماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني فكلي وان شئت فلا تاكلي فلما ايست منه اكلت وشربت فانزل الله هذه الآية وامره بالبر بالوالدة والاحسان اليها وان لا يطيعها في الشرك ٥

[illegible] على الكفر ٢ [illegible] عن الايمان ٢ بان عذبهم الكفرة على الايمان ٢

في الآخرة اي جزع من عذاب الناس ووطأ عليهم كما يطيع الله من يخاف عذابه وهو المنافق اذا اوذي في الله رجع عن الدين وكفر
ثم قال ولئن جاء نصر من ربك اي ولئن جاء نصر قريب من ربك يا محمد وفتح ومغانم ليقولن انا كنا معكم اي نحن
اخوانكم في الدين ثم قال تعالى اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين اي اوليس الله باعلم بما في قلوبهم وما تكنه ضمائرهم
وان اظهروا لكم الموافقة وقوله وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين اي وليختبرن الناس بالضراء والسراء
ليتميز هولاء من هولاء من يطيع الله في الضراء والسراء ومن لا يطيعه الا في حظ نفسه كما قال تعالى ولنبلونكم حتى
نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم
وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم و
ليسالن يوم القيمة عما كانوا يفترون اخبر تعالى عن كفار قريش انهم قالوا للمؤمنين ارجعوا عن دينكم الى الشرك
واتبعونا وآثامكم علينا وفي رقابنا اي كانت لكم في ذلك آثام كما يقول القائل افعل هذا وخطيئتك علي قال تعالى تكذيبا لهم وما
هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون اي فيما قالوه انهم يحتملوا عن اولئك خطاياهم فانه لا يحمل احد وزر احد
وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء وقوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم اخبار عن الدعاة الى الكفر والضلال
انهم يوم القيمة يحملون اوزار انفسهم واوزارا اخر بسبب ما اضلوا من الناس من غير ان ينقص من اوزار اولئك شيا
كما في الصحيح من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من اتبعه الى يوم القيمة من غير ان ينقص من اجورهم شيا وفيه ايضا
ما قتلت نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل وقوله وليسالن يوم القيمة عما كانوا
يفترون اي يكذبون ويختلقون من البهتان وعن معاذ قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ ان المؤمن يسال
يوم القيمة عن جميع سعيه حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطين باصبعيه فلا الفينك تاتي يوم القيمة واحد اسعد بما
آتاك الله منك رواه ابن ابي حاتم ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم
الطوفان وهم ظالمون فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين هذه تسلية من الله لرسوله
محمد صلى الله عليه وسلم اخبره عن نوح انه مكث في قومه هذه المدة يدعوهم الى الله سرا وجهارا وما زادهم ذلك الا فرارا و
اعراضا عن الحق وتكذيبا له وما آمن معه الا قليل ولهذا قال فاخذهم الطوفان وهم ظالمون اي بعد تلك المدة غرقهم بما
كانوا مشركين فانت يا محمد لا تاسف على من لا يؤمن بك من قومك ولا تحزن عليهم فان الله يهدي من يشاء ويضل من
يشاء وبيده الامر وانه سيظهرك وينصرك ويؤيدك ويخذل عدوك قال ابن عباس بعث نوح وهو ابن اربعين سنة
ولبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله وعاش بعد الطوفان ستين عاما حتى كثر الناس وفشوا وهذا
هو الصواب وقيل غير ذلك والله اعلم وقوله فانجيناه واصحاب السفينة اي الذين آمنوا بنوح كما سبق مبسوطا في سورة هود
وقوله وجعلناها آية للعالمين اي وجعلنا تلك السفينة باقية اما عينها كما قال قتادة بقيت الى اول الاسلام على الجودي
او نوعها جعله الله للناس تذكرة لنعمه على الخلق كيف نجاهم من الطوفان كما قال تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك
المشحون الآية قال ابن جرير ولو قيل ان الضمير في قوله وجعلناها عائد الى العقوبة لكان وجيها والله اعلم وابرهيم اذ قال
لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا
ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له

ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم
مثل آثام من تبعه لا ينتقص ذلك من
آثامهم شيا رواه مسلم

اليه

اليه ترجعون وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين اخبر تعالى عن
خليله ابرهيم عليه السلم انه دعا قومه الى عبادة الله وحده لا شريك له والتقوى والاخلاص له وطلب الرزق منه وحده وتوحيده في
الشكر فانه المشكور على النعم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه اي اخلصوا له العبادة والخوف ذلكم خير لكم اي اذا فعلتم ذلك حصل
لكم الخير في الدنيا والآخرة واندفع عنكم الشر فيهما ثم اخبر ان الاصنام والاوثان التي تعبدونها لا تضر ولا تنفع وانما اختلقتم لها
اسما فسميتموها آلهة وانما هي مخلوقة مثلكم قاله ابن عباس واتباعه وقالوا وتخلقون افكا اي تنحتون اصناما واختاره ابن جرير
وهي لا تملك لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق وهذا ابلغ في الحصر كقوله اياك نعبد واياك نستعين اي اطلبوا عند الله الرزق لا عند
غيره فان غيره لا يملك شيا واعبدوه واشكروا له اي كلوا من رزقه واعبدوه وحده واشكروا على ما انعم به عليكم اليه ترجعون اي
يوم القيمة فيجازي كل عامل بعمله وقوله وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم اي وقد بلغكم ما حل بهم من العذاب في مخالفة الرسل
وما على الرسول الا البلاغ اي انما على الرسول ان يبلغكم ما امره الله تعالى به من الرسالة والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء
فكونوا من اهل الهداية لتامنوا من شر الغواية وهذا من تتمة كلام الخليل لقومه يحتج عليهم لاثبات المعاد بقوله بعد هذا فما كان
جواب قومه وهو الظاهر من السياق قال قتادة هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحينئذ يكون منقطعا عن الكلام السابق
معترضا بينه وبين قوله فما كان جواب قومه قاله ابن جرير اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على
الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشاة الآخرة ان الله على كل شيء قدير
يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وما لكم من دون
الله من ولي ولا نصير والذين كفروا بآيات الله ولقائه اولئك يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم
اخبر تعالى ان الخليل ارشدهم الى اثبات المعاد الذي ينكرونه بما يشاهدونه من انفسهم من خلق الله اياهم بعد ان لم يكونوا شيئا
مذكورا ثم وجدوا وصاروا اناسا كاملي الخلقة والذي بداهم قادر على اعادتهم فانه سهل عليه يسير لديه ثم ارشدهم الى الاعتبار
بما في الآفاق من الآيات المشاهدة من خلق الله الاشياء السموات وما فيها من الكواكب وغيرها والارضين وما فيها من
الرغاب وغيرها وكل ذلك دال على حدوثها وعلى وجود صانعها الفاعل المختار الذي يقول للشيء كن فيكون ولهذا قال اولم يروا
كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده اي كيف خلقهم ابتداء نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم يعيده في الآخرة عند البعث ان ذلك على الله
يسير ثم قال قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشاة الآخرة اي يوم القيمة يخلقها نشاة ثانية فكما
لم يتعذر عليه احداثها مبدئا لا يتعذر عليه انشاؤها معيدا ولهذا قال ان الله على كل شيء قدير وقوله يعذب من يشاء اي هو
الحاكم المتصرف الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فله الخلق والامر لا يظلم مثقال ذرة كما جاء في الحديث المروي ان الله لو عذب
اهل سمواته واهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم رواه اهل السنن واليه تقلبون اي ترجعون يوم القيمة وقوله وما انتم بمعجزين في
الارض اي ولا يعجزه احد من اهل ارضه وسمائه بل هو القاهر فوق عباده وكل شيء خائف منه فقير اليه وهو الغني عما سواه وما
لكم من دون الله من ولي ولا نصير اي وليس لكم ولي ينقذكم من عذابه ولا نصير يدفع عنكم شر عقابه والذين كفروا بآيات الله ولقائه اي
جحدوها وكفروا بالمعاد اولئك يئسوا من رحمتي اي لا نصيب لهم فيها واولئك لهم عذاب اليم اي موجع مؤلم في الآخرة فما كان
جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقال
انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم

بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين اخبر تعالى عن قوم ابرهيم في كفرهم وعنادهم ودفعهم الحق بالباطل انه ما
كان لهم جواب عن مقالة ابرهيم هذه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وذلك لانهم قام عليهم البرهان وتوجهت عليهم الحجة
فعدلوا الى استعمال تغلب ملكهم وقوتهم فقالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم وذلك انهم سعوا في جمع احطاب كثيرة مدة
طويلة وحولوا حولها ثم اضرموا فيها النار فارتفع لها لهب الى عنان السماء ثم عمدوا الى ابرهيم فكتفوه والقوه في كفة
المنجنيق ثم قذفوا به فيها فجعلها الله عليه بردا وسلاما وخرج منها سالما بعدما مكث فيها اياما ولهذا وامثاله جعله الله
للناس اماما فانه بذل نفسه للرحمن وجسده للنيران وسخا بولده للقربان وجعل ماله للضيفان ولهذا اجتمع على محبته جميع اهل
الاديان وقوله فانجاه الله من النار اي سلمه الله منها ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون وقال انما
اتخذتم من دون الله اوثانا اي قال لقومه مقرعا وموبخا على سوء صنيعهم في عبادتهم الاوثان انما اتخذتم هذه لتجتمعوا
على عبادتها في الدنيا صداقة والفة منكم بعضكم لبعض وهذا على قراءة من نصب مودة على المفعولية واما على قراءة الرفع
فمعناه اتخاذكم هذا يحصل لكم المودة في الدنيا فقط ثم يوم القيمة ينعكس الحال فيصير بغضا وعداوة يكفر بعضكم ببعض اي
تتجاحدون ما كان منكم ويلعن الاتباع المتبوعين وبالعكس كلما دخلت امة لعنت اختها ومأواكم النار اي ومصيركم و
مرجعكم بعد عرصات القيمة الى النار وما لكم من ناصرين ينصركم ولا منقذ ينقذكم من عذاب الله هذا حال الكافرين فاما المؤمنون
فبخلاف ذلك كما قالت ام هانئ رضي الله عنها قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يجمع الاولين والآخرين يوم القيمة
في صعيد واحد ثم ينادي مناد من تحت العرش يا اهل التوحيد فيشرئبون اي يرفعون رؤوسهم ثم ينادي يا اهل التوحيد
ثم ينادي الثالثة يا اهل التوحيد ان الله قد عفا عنكم قال فيقوم الناس قد تعلق بعضهم ببعض في ظلامات الدنيا يعني المظالم
ثم ينادي يا اهل التوحيد ليعفو بعضكم عن بعض وعلى الله الثواب رواه ابن ابي حاتم فآمن له لوط وقال اني مهاجر
الى ربي انه هو العزيز الحكيم ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه اجره
في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اخبر تعالى عن ابرهيم انه آمن له لوط وهو ابن اخيه كما سبق ولم يؤمن به
من قومه سواه وسارة امرأة ابرهيم اسلمت قبله لقول ابرهيم لسارة في قصة مرورهما على الجبار ليس على وجه الارض احد مؤمن
غيري وغيرك وقوله وقال اني مهاجر الى ربي اي وقال لوط وهو الاقرب وقيل ابرهيم قال ابن عباس وهو المكني عنه بقوله فآمن
له لوط اي من قومه ثم اخبر عنه بانه اختار المهاجرة من بين اظهرهم ابتغاء اظهار الدين والتمكن من ذلك ولهذا قال
انه هو العزيز الحكيم اي له العزة ولرسوله وللمؤمنين به الحكيم في اقواله وافعاله وقال قتادة هاجرا جميعا من كوثى وهي
من سواد الكوفة الى الشام وقد روى عبد الله بن عمرو انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها ستكون هجرة بعد
هجرة فخيار الناس الى مهاجر ابرهيم وفي رواية فخيار اهل الارض الزمهم مهاجر ابرهيم ويبقى في الارض شرار اهلها
تلفظهم ارضوهم تقذرهم نفس الرحمن وفي رواية روح الله تحشرهم النار مع القردة والخنازير تبيت معهم اذا باتوا
وتقيل معهم اذا قالوا رواه احمد وابو داود وقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب كقوله فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون
الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا اي انه لما فارق قومه اقر الله عينه بوجود ولد صالح نبي وولد له ولد صالح
نبي في حيوة جده وسما ولدا لابرهيم على معنى ان ولد الولد بمنزلة الولد وقوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب هذا شرف عظيم
مع اتخاذ الله اياه خليلا وجعله للناس اماما ان جعل في ذريته النبوة والكتاب فلم يوجد نبي بعد ابرهيم الا وهو من سلالته

فكلهم منهم
الانبيا

[illegible]

فجميع انبياء بني اسرائيل من سلالة يعقوب بن اسحق بن ابرهيم حتى كان آخرهم عيسى بن مريم فقام في ملأهم مبشرا بالنبي العربي
القرشي الهاشمي سيد ولد آدم الذي اصطفاه الله من سلالة اسمعيل بن ابرهيم عليهم السلام ولم يوجد نبي من سلالة اسمعيل
سواه وقوله وآتيناه اجره في الدنيا اي جمع الله له بين سعادة الدنيا الموصولة بسعادة الآخرة فكان له في الدنيا
الرزق الواسع الهني والمنزل الرحيب والزوجة الحسنة الصالحة والثناء الجميل مع القيام بطاعة الله من جميع الوجوه
كما قال وابرهيم الذي وفى اي قام بجميع ما امر به وكمل طاعة ربه ولهذا قال وانه في الآخرة لمن الصالحين ولوطا
اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون
السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين
قال رب انصرني على القوم المفسدين اخبر تعالى عن لوط عليه السلام انه انكر على قومه سوء صنيعهم وما كانوا يفعلونه
من قبيح الاعمال في اتيانهم الذكران من العالمين لم يسبقهم الى هذه الفعلة احد من بني آدم قبلهم وكانوا مع هذا كافرين
بالله مكذبين لرسوله ويقطعون السبيل اي يقطعون طريق الناس يقتلونهم ويأخذون اموالهم وتأتون في ناديكم المنكر اي يفعلون
ما لا يليق من الاقوال والافعال في مجالسهم التي يجتمعون فيها لا ينكر بعضهم على بعض شيئا من ذلك فمن قائل كانوا يأتون
بعضهم بعضا في الملأ وقيل يتضارطون ويتضاحكون وقيل كانوا يناطحون بين الكباش ويناقرون بين الديوك وعن ام هانئ
قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وتأتون في ناديكم المنكر قال يحذفون اهل الطريق ويسخرون منهم
وذلك المنكر الذي كانوا يأتونه رواه احمد والترمذي وحسنه وقال مجاهد ومن افعالهم في ناديهم الصفير ولعب الحمام
والجلاهق وحل ازرار القباء وقوله فما كان جواب قومه الى آخره هذا من كفرهم واستهزائهم ولهذا استنصر عليهم نبي الله فقال
رب انصرني على القوم المفسدين ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان
اهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين
ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك
الا امرأتك كانت من الغابرين انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون
لما استنصر لوط من عند الله بعث لنصرته ملائكة فمروا على ابرهيم على هيئة الاضياف فجاءهم بما ينبغي للضيف فلما رأى
انه لا همة لهم الى الطعام نكرهم واوجس منهم خيفة فطفقوا يؤانسونه ويبشرونه بوجود ولد صالح من امرأته سارة
وكانت حاضرة فتعجبت من ذلك كما سبق في سورتي هود والحجر فلما جاءت ابرهيم بالبشرى واخبروه انهم ارسلوا لهلاك
قوم لوط اخذ يدافع لعلهم يمهلون فيتوبون ولما قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها
لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين اي من الهالكين لانها كانت تمالئهم على كفرهم وبغيهم ثم ساروا من عنده فدخلوا
على لوط في صورة شباب حسان فلما رآهم سيء بهم وضاق بهم ذرعا اي اهتم بامرهم ان هو اضافهم خاف عليهم من قومه
وان لم يضفهم خشي عليهم منهم ولم يعلم بامرهم في تلك الساعة قالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت
من الغابرين انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا اي عذابا بما كانوا يفسقون وذلك ان جبريل اقتلع قراهم من قرار الارض
ثم رفعها الى عنان السماء ثم قلبها عليهم وارسل الله عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد
وجعل الله مكانها بحيرة خبيثة منتنة وجعلهم عبرة الى يوم التناد وهم من اشد الناس عذابا يوم المعاد ولهذا قال ولقد

لوطا معطوف على ابرهيم [illegible]

قوله لتأتون الفاحشة لانهم على خصلتهم الشنعاء [illegible] من المعروف وما ترتكبوه من المنكر [illegible] لطائف

[illegible]

ركنا منها آية بينة اي واضحة لقوم يعقلون والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا
اليوم الاخر ولا تعثوا في الارض مفسدين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين هذا اخبار
عن شعيب انه انذر قومه اهل مدين فامرهم بعبادة الله وحده وان يخافوا باس الله ونقمته وسطوته يوم القيمة فقال
يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر قال ابن جرير اي اخشوا اليوم الاخر ثم نهاهم عن العيث في الارض بالفساد
وهي السعي فيها والبغي على اهلها وذلك انهم كانوا ينقصون المكيال والميزان ويقطعون الطريق على الناس هذا مع كفرهم
بالله ورسوله فاهلكهم الله برجفة عظيمة زلزلت عليهم بلادهم وصيحة اخرجت القلوب من حناجرها وعذاب يوم
الظلة الذي ازهق الارواح من مستقرها انه كان عذاب يوم عظيم كما سبق في سورة الاعراف وهود والشعراء وقوله
فاصبحوا في دارهم جاثمين اي ميتين قد القي بعضهم على بعض وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم
وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون وفرعون وهامان
ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فكلا اخذنا بذنبه فمنهم
من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من
اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون اخبر تعالى عن هؤلاء الامم المكذبة كيف اهلكهم
وتنوع في عذابهم والانتقام منهم فعاد قوم هود كانوا يسكنون الاحقاف وهي قريبة من حضرموت بلاد اليمن وثمود
قوم صالح كانوا يسكنون الحجر قريبا من وادي القرى وكانت العرب تعرف مساكنها جيدا وتمر عليها كثيرا وقارون
صاحب الاموال الجزيلة وفرعون ملك مصر في زمان موسى ووزيره هامان الكافران بالله ورسوله فاستكبروا اي
تجبروا وعتوا في الارض وما كانوا سابقين اي فائتين من عذابنا فكلا اخذنا بذنبه اي كانت عقوبته بما يناسبه فمنهم
من ارسلنا عليه حاصبا وهو الريح التي تحمل الحصباء وهي الحصا الصغار وهم عاد وهم قالوا من اشد منا قوة فجاءتهم
ريح صرصر باردة شديدة البرد عاتية شديدة الهبوب تحمل عليهم حصباء الارض فتلقيها عليهم وتقتلعهم من الارض
فترفع الرجل منهم الى عنان السماء ثم تنكسه على ام راسه فيشدخه فيبقى بدنا بلا راس كانهم اعجاز نخل منقعر ومنهم
من اخذته الصيحة وهم ثمود قامت عليهم الحجة من تلك الناقة التي انفلقت عنها الصخرة كما سالوا فما آمنوا بل استمروا
على طغيانهم وكفرهم وتهددوا صالحا ومن آمن معه وتوعدوهم بان يخرجوهم ويرجموهم فجاءتهم صيحة اخمدت الاصوات منهم
والحركات ومنهم من خسفنا به الارض وهو قارون الذي طغى وبغى وعتا ومشى في الارض مرحا وتاه بنفسه واعتقد انه
افضل من غيره فخسف الله به وبداره الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة ومنهم من اغرقنا وهو فرعون واتباعه وجنوده
عن آخرهم اغرقوا في صبيحة واحدة فلم ينج منهم مخبر وما كان الله ليظلمهم اي فيما فعل بهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون اي انما
فعل بهم جزاء وفاقا بما كسبت ايديهم وفي الاية لف ونشر فانه تعالى ذكر الامم المكذبة ثم قال فكلا اخذنا بذنبه اي من هؤلاء
المذكورين مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت
لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم وتلك الامثال
نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله يرجون
منهم نصرهم ورزقهم ويتمسكون بهم في الشدائد فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه فليس في ايدي هؤلاء من

فكذبوه صح

وكانوا مستبصرين اي ذوي ابصار تمكنهم تمييز الحق من الباطل

آلهتهم الا كمن يتمسك ببيت العنكبوت فانه لا يجدي عنه شيئا فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله اولياء وهذا
بخلاف المؤمن المسلم قلبه مع الله وهو مع ذلك يحسن العمل مستمسكا بالعروة الوثقى ثم قال تعالى متوعدا لمن عبد
غيره انه تعالى يعلم ما هم عليه من الاعمال وما يشركون به من الانداد وسيجازيهم وهو العزيز الحكيم ثم قال تعالى و
تلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون اي وما يفهمها ويتدبرها الا الراسخون في العلم وقال
عمرو بن مرة ما مررت باية من كتاب الله لا اعرفها الا احزنني لاني سمعت الله يقول وتلك الامثال نضربها للناس
وما يعقلها الا العالمون خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لاية للمؤمنين اتل ما اوحي اليك
من الكتاب واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون
اخبر تعالى عن قدرته العظيمة انه خلق السموات والارض بالحق يعني لا على وجه العبث واللعب لتجزى كل نفس بما تسعى و
قوله ان في ذلك لاية للمؤمنين اي لدلالة واضحة على انه تعالى هو المتفرد بالخلق والتدبير والالهية ثم قال تعالى امرا رسوله و
المؤمنين بتلاوة القرآن وهو قراءته وابلاغه للناس واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر
يعني ان الصلوة تشتمل على شيئين على ترك الفواحش والمنكرات يعني ان مواظبتها تحمل على ترك ذلك وقد جاء في الحديث
المرفوع عن ابن عباس وعمران من لم تنهه الصلوة عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله الا بعدا رواه الطبراني و
تشتمل الصلوة ايضا على ذكر الله وهو المطلوب الاكبر ولهذا قال ولذكر الله اكبر اي اعظم واجل من كل طاعة والله يعلم ما
تصنعون اي يعلم جميع اقوالكم واعمالكم قال ابو العالية ان الصلوة فيها ثلاث خلال وكل صلوة لا تكون فيها شيء من
هذه الخلال فليست بصلوة الاخلاص والخشية وذكر الله فالاخلاص يامره بالمعروف والخشية تنهاه عن المنكر و
ذكر الله القرآن يامره وينهاه وقال ابن عباس ولذكر الله لعباده اذا ذكروه اكبر من ذكرهم اياه وعنه ايضا
ذكر الله عند طعامك وعند منامك وعنه ايضا ولذكر الله ايانا اكبر من ذكرنا اياه وبه قال عكرمة واختاره ابن
جرير ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا
وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون قال قتادة وغير واحد هذه الاية منسوخة باية السيف فلم
يبق معهم مجادلة وانما هو الاسلام او الجزية او السيف وقال اخرون بل هي باقية محكمة لمن اراد الاستبصار منهم في الدين
فيجادل بالتي هي احسن ليكون انجع فيه كما قال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة الاية وهو اختيار
ابن جرير وقوله الا الذين ظلموا منهم بان مالوا واعرضوا عن وجه الحق وعموا عن واضح المحجة وعاندوا فحينئذ ينتقل
من الجدال الى الجلاد ويقاتلون بما يردعهم ويمنعهم قال جابر امرنا من خالف كتاب الله ان نضربه بالسيف قال
مجاهد هم اهل الحرب ومن امتنع من اداء الجزية وقوله وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم يعني اذا اخبروا بما لا
نعلم صدقه ولا كذبه لا نكذبه لامكان صدقه ولا نصدقه لامكان كذبه ولكن نؤمن به ايمانا اجماليا معلقا على شرط ان
يكون منزلا عن ابي هريرة قال اهل الكتاب يقرؤون التورية بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له
مسلمون تفرد به البخاري ثم ليعلم ان اكثر ما يحدثون به غالبه كذب وبهتان لانه قد دخله تحريف وتبديل وتغيير وتاويل وما
اقل الصدق فيه ثم ما اقل فائدة كثير منه لو كان صحيحا وقال ابن عباس كيف تسالون اهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي انزل

اولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته

اي بالطريقة التي هي احسن فان اللين والملاطفة في المحاورة يورث والغلظة ينفر

على رسوله احدث تقرؤونه محضا لم يشب وقد حدثكم ان اهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بايديهم الكتاب وقالوا
هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا الا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسالتهم لا والله ما راينا منهم رجلا يسالكم عن
الذي انزل عليكم رواه البخاري **وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به و**
من هؤلاء من يؤمن به وما يجحد باياتنا الا الكافرون وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا
تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد
باياتنا الا الظالمون قال ابن جرير اي كما انزلنا الكتب على من قبلك يا محمد من الرسل كذلك انزلنا اليك هذا الكتاب
وهذا حسن جيد وقوله فالذين آتيناهم الكتاب اي الذين اخذوه فتلوه حق تلاوته من علمائهم كعبد الله بن سلام وسلمان
واشباههما يؤمنون به وقوله ومن هؤلاء من يؤمن به يعني العرب من قريش وغيرهم وما يجحد باياتنا الا الكافرون
اي ما يكذب بها ويجحد حقها الا من يستر الحق بالباطل ثم قال وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اي قد
لبثت في قومك يا محمد من قبل ان تاتي بهذا القرآن عمرا لا تقرا كتابا قط ولا تحسن الكتابة بل كل احد من قومك وغيرهم
يعرف انك رجل امي لا تقرا ولا تكتب وهو موصوف به في الكتب المتقدمة كما قال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي
الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل الاية فقوله وما كنت تتلو اي تقرا من قبله من كتاب لتاكيد النفي ولا تخطه
بيمينك تاكيد ايضا اذ خرج مخرج الغالب كقوله ولا طائر يطير بجناحيه وقوله اذا لارتاب المبطلون اي لو كنت تحسنها
لارتاب بعض الجهلة فقالوا انما تعلم هذا من كتب قبله ماثورة عن الانبياء مع انهم قالوا ذلك مع علمهم بانه امي لا يحسن
الكتابة وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا وقوله بل هو آيات بينات اي هذا القرآن آيات بينة
واضحة في الدلالة على الحق امرا ونهيا وخبرا يحفظه العلماء يسره الله عليهم حفظا وتلاوة وتفسيرا كما قال تعالى ولقد
يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من الانبياء من نبي الا قد اعطي من
الايات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحى الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة
وقيل المراد بالذين اوتوا العلم اهل الكتاب اي بل العلم بانك ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتابا ولا تخطه بيمينك آيات
بينات في صدور الذين اوتوا العلم من اهل الكتاب هكذا نقل عن قتادة وغير واحد واختاره ابن جرير وقوله وما يجحد باياتنا
الا الظالمون اي ما يكذب بها ويبخس حقها ويردها الا الظالمون اي المعتدون المكابرون الذين يعلمون الحق ويعرضون
عنه **وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الايات عند الله وانما انا نذير مبين اولم يكفهم انا**
انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا
يعلم ما في السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون يخبر تعالى عن
المشركين في تعنتهم وطلبهم آيات يعنون ترشدهم الى ان محمدا رسول الله كما جاء صالح بناقته فقال تعالى قل يا محمد
انما الايات عند الله اي انما امر ذلك الى الله فانه لو علم انكم تهتدون لاجابكم الى سؤالكم ولكنه يعلم انكم انما قصدكم التعنت
والامتحان فلا يجيبكم الى ذلك كما قال تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون الاية وقوله انما
انا نذير مبين اي انما بعثت نذيرا لكم بين النذارة فعلي ان ابلغكم رسالة الله والله يهدي من يشاء ثم قال تعالى مبينا
كثرة جهلهم وقلة عقلهم حيث طلبوا آيات تدلهم على صدق محمد فيما جاءهم وقد جاءهم بالكتاب العزيز الذي لا ياتيه

الباطل

٣٧١

الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد الذي هو اعظم من كل معجزة اذ عجزت الفصحاء والبلغاء عن
معارضة سورة منه فقال اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم اي اولم يكفهم انا انزلنا عليك هذا الكتاب
العظيم الذي فيه خبر ما قبلهم ونبا ما بعدهم وحكم ما بينهم وانت رجل امي لا تقرا ولا تكتب ولا تخالط احدا من
اهل الكتاب فجئتهم باخبار ما في الصحف الاولى ببيان الصواب مما اختلفوا فيه وبالحق الواضح البين الجلي ان في ذلك
لرحمة اي ان في هذا القرآن بيانا للحق وازاحة للباطل وذكرى بما فيه حلول النقمات ونزول العقاب بالمكذبين والعاصين
لقوم يؤمنون ثم قال قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا اي هو اعلم بما تفيضون فيه من التكذيب ويعلم ما اقول لكم من انه ارسلني
اليكم فلو كنت كاذبا لانتقم مني وانما انا صادق عليه فيما اخبرتكم به ولهذا ايدني بالمعجزات الظاهرات يعلم ما في السموات والارض
اي لا يخفى عليه خافية والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون اي في يوم معادهم سيجزيهم على ما فعلوه
ويقابلهم على ما صنعوا في تكذيبهم بالحق واتباعهم بالباطل كذبوا رسل الله مع قيام الادلة على صدقهم وآمنوا بالطواغيت
والاوثان بلا دليل فيجازيهم على ذلك **ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم**
بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب
من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون يخبر تعالى عن جهل المشركين في استعجالهم عذاب
الله ان يقع بهم كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الاية فقال تعالى ولولا اجل
مسمى اي لولا ما حتم الله من تاخير العذاب الى يوم القيمة لجاءهم العذاب قريبا سريعا كما استعجلوه ثم قال تعالى وليأتينهم
بغتة اي فجاة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين اي وهو واقع بهم لا محالة قال
ابن عباس جهنم هو هذا البحر الاخضر تنتثر الكواكب فيه ويكون فيه الشمس والقمر ثم يستوقد فيكون جهنم وعن يعلى بن
امية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال البحر هو جهنم رواه احمد وهو غريب ثم قال تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم
ومن تحت ارجلهم كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم
ظلل اي اذا غشيهم العذاب احاطت بهم جهنم من جميع الجهات وقوله ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون تهديد وتوبيخ
وهذا عذاب معنوي على النفوس تقريعا **يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون كل**
نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وكاين من دابة
لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم امر الله عباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي كان يؤذى
فيه على اقامة الدين فيه الى ارض الله الواسعة حيث يمكن اقامة الدين بان يوحدوا الله ويعبدوه كما امرهم ولهذا قال
يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون كما هاجر الضعفاء من مكة الى ارض الحبشة لما ضاقت عليهم
الحال فوجدوا هنالك خيرا النجاشي ملك الحبشة آواهم وايدهم بنصره وجعلهم سيوما ببلاده ثم بعد ذلك هاجر رسول
الله صلى الله عليه وسلم والصحابة الباقون الى المدينة النبوية ثم قال كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون اي اينما كنتم
يدرككم الموت فكونوا في طاعة الله وحيث امركم الله فهو خير لكم فان الموت لا بد منه ولا خلاص عنه ثم الى الله المرجع
والمآب فمن كان مطيعا له جازاه افضل الجزاء ووفاه تمام الثواب ولهذا قال والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم

من الجنة غرفا اي لنسكننهم منازل عالية في الجنة تجري من تحتها الانهار على اختلاف اصنافها من ماء وخمر وعسل
ولبن يصرفونها ويجرونها حيث شاؤا خالدين فيها اي ماكثين فيها ابدا نعم اجر العاملين اي نعمت هذه الغرف اجرا
على اعمال المؤمنين الذين صبروا اي على دينهم وهاجروا الى الله ونابذوا الاعداء وفارقوا الاهل والاقارب ابتغاء وجه الله
ورجاء ما عنده وتصديق موعوده وعلى ربهم يتوكلون اي في احوالهم كلها في دينهم ودنياهم ثم اخبرهم تعالى ان الرزق
لا يختص ببقعة بل رزقه تعالى عام لخلقه حيث كانوا وان كانوا بل كانت ارزاق المهاجرين حيث هاجروا اكثر واوسع و
اطيب فانهم بعد قليل صاروا حكام البلاد في سائر الاقطار ولهذا قال وكاين من دابة لا تحمل رزقها اي لا تطيق جمعه
وتحصيله ولا يدخر شيئا الله يرزقها واياكم اي الله يقدر لها رزقها على ضعفها وتيسره عليها فيبعث الى كل مخلوق من الرزق
ما يصلحه حتى الذر في قرار الارض والطير في الهواء والحيتان في الماء قال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
الاية وقد قال الشافعي سافروا تصحوا وترزقوا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم سافروا تصحوا وتغنموا رواه البيهقي
وفي رواية احمد سافروا تربحوا وصوموا تصحوا واغزوا تغنموا وقوله وهو السميع اي لاقوال عباده العليم بحركاتهم وسكناتهم
ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون الله يبسط
الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شيء عليم ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا
به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون يعني ولئن سالت المشركين عن خالق السموات
والارض ومسخر الشمس والقمر ليعترفون ان الله هو المستقل بخلق ذلك المسخر لهما وانه الخالق الرازق لعباده ومقدر اجالهم
واختلافها واختلاف ارزاقهم فتفاوت بينهم فمنهم الغني والفقير وهو العليم بما يصلح كلا منهم ومن يستحق الغنى
ممن يستحق الفقر فاذا كان الامر كذلك فكيف يكذبون رسوله ويعاندون ويعبدون غير الله ولماذا يتوكلون على من سواه
فكما انه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته وكثيرا ما يقرر تعالى مقام الالهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية وقد كان المشركون
يعترفون بذلك ولهذا قال قل الحمد لله اي على ان خالق هذه الاشياء هو الله وقيل وقل الحمد لله على اعترافهم ولزوم الحجة عليهم
بل اكثرهم لا يعقلون اي ينكرون التوحيد مع اقرارهم بانه خالق الاشياء وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان
الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجيهم
الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون اخبر تعالى عن حقارة الدنيا وزوالها
وانقضائها وانها لا دوام لها وغاية ما فيها لهو ولعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان اي الحيوة الدائمة الحق الذي
لا زوال لها ولا انقضاء بل هي مستمرة ابد الاباد وقوله لو كانوا يعلمون اي لآثروا ما يبقى على ما يفنى ثم اخبر عن المشركين
انهم عند الاضطرار يدعونه وحده لا شريك له فهلا يكون هذا منهم دائما وقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين
له الدين كقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وقال هنا فلما نجيهم الى البر
اذا هم يشركون وقوله ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا قالوا هذه لام العاقبة لانهم لا يقصدون ذلك ولا شك انها كذلك
بالنسبة اليهم واما بالنسبة الى تقدير الله عليهم فهو لام التعليل كما سبق في قوله ليكون لهم عدوا وحزنا اولم يروا
انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين والذين جاهدوا فينا

لنهدينهم

لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين لقد من الله على قريش فيما احلهم من حرمه الذي جعله للناس سواء
العاكف فيه والباد ومن دخله كان آمنا فهم في امن عظيم والاعراب حوله ينهب بعضهم بعضا ويقتل بعضهم بعضا
كما قال تعالى وآمنهم من خوف والخطف السلب وقوله افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون اي افكان شكرهم على هذه
النعمة ان اشركوا به وعبدوا معه الاصنام وبدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار فكفروا رسوله وكذبوه واخرجوه
من بين اظهرهم ولهذا سلبهم الله ما كان انعم به عليهم وقتل من قتل منهم ببدر ثم صارت الدولة لله ولرسوله ففتح الله
على رسوله مكة وارغم آنافهم واذل رقابهم ثم قال تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا احد اشد عقوبة ممن كذب
على الله فقال ان الله اوحى اليه ولم يوح اليه وهكذا لا احد اشد عقوبة ممن كذب بالحق لما جاءه فالاول مفتر والثاني مكذب
ولهذا قال اليس في جهنم مثوى للكافرين اي اما لهؤلاء الكفرة المكذبين مأوى في جهنم ثم قال والذين جاهدوا فينا يعني
الرسول عليه الصلوة والسلم واصحابه واتباعه الى يوم الدين لنهدينهم سبلنا اي لنبصرنهم طرقنا في الدارين وقال اي
الذين يعملون بما يعلمون يهديهم لما لا يعلمون وان الله لمع المحسنين قال عيسى بن مريم انما الاحسان ان تحسن الى من
اساء اليك وليس الاحسان ان تحسن الى من احسن اليك اي انه تعالى معهم بالنصر والمعونة في دنياهم وبالثواب في
المغفرة في عقباهم والله اعلم

تفسير سورة الروم وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل و
من بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله
وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون نزلت هذه الآيات
حين غلب سابور ملك الفرس على بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزيرة واقاصي بلاد الروم فاضطر هرقل ملك الروم حتى
الجاه الى القسطنطينية وحاصره فيها مدة ثم عادت الدولة لهرقل كما سياتي وعن ابن عباس في قوله تعالى الم غلبت
في ادنى الارض قال غلبت وغلبت كان المشركون يحبون ان يظهر فارس على الروم لانهم اصحاب اوثان وكان المسلمون
يحبون ان يظهر الروم على فارس لانهم اهل كتاب فذكروه لابي بكر فذكره ابو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اما انهم سيغلبون فذكره ابو بكر لهم فقالوا اجعل بيننا وبينكم اجلا فان ظهرنا كان لنا كذا وكذا فجعل
اجل ذلك خمس سنين فلم يظهروا فذكر ذلك ابو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال الا جعلتها اراه قال العشر قال ابن جبير البضع
ما دون العشر ثم ظهرت الروم بعد قال فذلك قوله الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع
سنين الى قوله الرحيم رواه احمد والترمذي وفيه انه لما نزلت الم غلبت الروم فكانت فارس يوم نزلت هذه الاية قاهرين للروم
وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لانهم واياهم اهل كتاب وفي ذلك قول الله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر
من يشاء وهو العزيز الرحيم وكان قريش تحب ظهور فارس لانهم واياهم ليسوا اهل كتاب ولا ايمان ببعث فلما انزل الله هذه
الاية خرج ابو بكر يصيح في نواحي مكة الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين فقال ناس
من قريش لابي بكر فذلك بيننا وبينكم زعم صاحبك ان الروم ستغلب فارس في بضع سنين افلا نراهنك على ذلك قال بلى و
ذلك قبل تحريم الرهان فارتهن ابو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان وقالوا لابي بكر كم تجعل البضع ثلث سنين الى تسع
سنين فسم بيننا وبينك وسطا تنتهي اليه فسموا بينهم ست سنين قال فمضت الست سنين قبل ان يظهروا فاخذ المشركون

رهن ابي بكر فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس فعاب المسلمون على ابي بكر تسمية ست سنين فاسلم عند ذلك ناس كثير هكذا ساقه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي تفسير سنيد بن داود قال عكرمة ولقي المشركون اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انكم اهل كتاب والنصارى اهل كتاب ونحن اميون وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من اهل الكتاب وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله هذه الآيات فخرج ابو بكر الصديق الى الكفار فقال افرحتم بظهور اخوانكم على اخواننا فلا تفرحوا ولا يقرن الله اعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس اخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فقام اليه ابي بن خلف فقال كذبت يا ابا فضيل فقال له ابو بكر انت اكذب يا عدو الله فقال انا احبك بعشر قلائص مني وعشر قلائص منك فان ظهرت الروم على فارس غرمت عليك وان ظهرت فارس غرمت الى ثلاث سنين ثم جاء ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الاجل فخرج ابو بكر فلقي ابيا فقال لعلك ندمت فقال لا فقال ازايدك في الخطر واماددك في الاجل فاجعلها مائة قلوص لمائة قلوص الى تسع سنين قال قد فعلت فظهرت الروم على فارس قبل ذلك فغلبهم المسلمون وفي رواية البراء فلم تمض تلك السنين حتى غلبت الروم فارس وربطوا خيولهم بالمدائن وبنوا الرومية فاخذ ابو بكر القلائص فجاء بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هذا النحب قال تصدق به فقوله تعالى الم غلبت الروم قد سبق البحث عن حروف اوائل السور في اول سورة البقرة واما الروم فهم من سلالة العيص بن اسحق بن ابرهيم وهم ابناء عم بني اسرائيل ويقال لهم بنو الاصفر وكانوا على دين اليونان واليونان من سلالة يافث بن نوح ابناء عم الترك وكانوا يعبدون الكواكب السبعة السيارة الى ان مضى الى مبعث عيسى نحو من ثلثمائة سنة وكان ملك الشام مع الجزيرة قيصر وكان اول من دخل في دين النصارى من ملوك الروم قسطنطين وتابعه الملوك ولكن واحدثوا في النصرانية اشياء قبيحة فضلوا واضلوا واستمروا عليها كلما هلك قيصر خلفه آخر بعده حتى كان آخرهم هرقل وكان من عقلاء الرجال واحزم الملوك فتملك عليهم في رياسة عظيمة وابهة كثيرة فعاداه كسرى ملك الفرس ومالك ممالك المشرق كالعراق وخراسان وجميع بلاد العجم وكانوا مجوسا يعبدون النار ثم ان كسرى مع جنوده غزا قيصر في بلاده وقهره وكسره حتى لم يبق معه سوى مدينة قسطنطينية فحاصره بها مدة طويلة حتى ضاقت عليه وكانت النصارى تعظمه تعظيما زائدا ولم يقدر كسرى على فتح البلد ثم دبر قيصر تدبيرا وكاد مع كسرى وخادعه وصالحه حتى اغفله وتوجه بلاد فارس وقتل رجال عسكره ونهب الخزائن وسبى الذراري وهذا غلبة الروم لفارس وكانت الوقعة بينهم حين غلبت الروم بين اذرعات وبصرى على ما ذكره ابن عباس فاعجب ذلك المؤمنين وفرحوا به وقوله لله الامر من قبل ومن بعد اي من قبل ذلك ومن بعده مبني على الضم لما قطع عن الاضافة ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله اصحاب قيصر على اصحاب كسرى وهم المجوس و كانت نصرة الروم على فارس يوم وقعة بدر في قول طائفة كثيرة كابن عباس واتباعه كما في الترمذي عن ابي سعيد قال لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فاعجب ذلك المؤمنين وفرحوا به وانزل الله ويومئذ يفرح المؤمنون الآية وقال آخرون كان نصرة الروم على فارس يوم الحديبية وقال الزبير الكلابي رايت غلبة فارس الروم ثم غلبت غلبة الروم فارس ثم رايت غلبة المسلمين فارس والروم كل ذلك في خمس عشرة سنة وقوله وهو العزيز اي في انتصاره وانتقامه من اعدائه الرحيم بعباده المؤمنين وقوله وعد الله لا يخلف الله وعده اي هذا الذي اخبرنا به يا محمد من انا سننصر الروم على فارس وعد من الله حق وخبر صدق لا يخلف الله ولا بد من كونه ووقوعه لان الله قد جرت سنته انه ينصر اقرب الطائفتين المقتتلتين الى الحق ويجعل لها العاقبة

ولكن

خالص
القلوص جوانه ماده
القلص والقلايص ج
من سامی

النحب
نذركردن
من المصادر

والشان ابراز جهان بيخبرانند

و مدانند كه ابراز جسم است اركان رها از جهان

ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي بحكم الله في كونه وافعاله المحكمة البالغة وقوله يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون اي اكثر الناس ليس لهم علم الا بالدنيا واكسابها وشئونها وما فيها فهم حذاق في امور الدنيا مغفلون عما ينفعهم في الآخرة قال ابن عباس هم الكفار يعرفون عمران الدنيا وهم في امر الدين جهال اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوءى ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن نبه الله عباده على التفكر في مخلوقاته الدالة على وجوده وانفراده بخلقها وانه لا اله الا هو فقال اولم يتفكروا في انفسهم يعني به النظر والتفكر في خلق الله الاشياء من العالم العلوي والسفلي وما بينهما من المخلوقات المتنوعة والاجناس المختلفة فيعلموا انها ما خلقت عبثا ولا باطلا بل بالحق وانها مؤجلة الى اجل مسمى وهو يوم القيمة ولهذا قال وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون ثم نبههم على صدق رسله فيما جاؤا به عما ايدهم من المعجزات والدلالات الواضحات من اهلاك من كفر بهم ونجاة من صدقهم فقال اولم يسيروا في الارض اي بافهامهم وعقولهم وسماع اخبار الماضين ولهذا قال فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة اي كانت الامم الماضية والقرون السالفة اشد منكم ايها المبعوث اليهم واكثر اموالا واولادا وما اوتيتم معشار ما اوتوا ومكنوا في الدنيا ما لم تبلغوا اليه وعمروا فيها اعمارا طوالا فعمروها اكثر منكم ومع هذا لما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما اوتوا اخذهم الله بذنوبهم وما لهم من الله من واق ولا حالت اموالهم واولادهم بينهم وبين باس الله ولا دفعوا عنهم مثقال ذرة فما كان الله ليظلمهم اي فما احل بهم من العذاب والنكال ولكن كانوا انفسهم يظلمون اي حيث كذبوا بآيات الله واستهزؤا بها وما ذاك الا بسبب ذنوبهم السالفة ولهذا قال ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوءى اي اساؤا العمل السوء وقيل السوءى اسم لجهنم كما ان الحسنى اسم للجنة ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن كما قال تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم فتكون السوءى منصوبا مفعولا لاساؤا وقيل معناه كانت السوءى عاقبتهم لانهم كذبوا بآيات الله فتكون خبر كان هكذا وجهه ابن جرير ناقلا عن ابن عباس وقتادة ووافقه ابن ابي حاتم الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك في العذاب محضرون اي كما هو قادر على بداية الخلق فهو قادر على اعادته ثم اليه ترجعون اي يوم القيمة فيجازي كل عامل بعمله ثم قال ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون اي يفتضح المجرمون ويبئس حالهم ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين اي ما شفعت فيهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله وكفروا بهم وخانوهم احوج ما كانوا اليهم ثم قال ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون قال قتادة هي والله الفرقة التي لا اجتماع بعدها يعني انه اذا رفع هذا الى عليين وخفض ذاك الى اسفل السافلين فذاك آخر العهد بينهما ولهذا قال فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون اي يتنعمون ويسمعون الغناء والحبرة اعم من ذلك قال العجاج فالحمد لله الذي اعطى الحبر موالي الحق ان المولى شكر فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا

قيل يعلمون رعايتهم وزراعتهم وتجارتهم ووجوه كسبهم وهم عن امر آخرتهم وما لهم فيها من النجاة من عذاب الله غافلون لا يتفكرون فيها فغفلة المؤمنين بترك الاستعداد لها وغفلة الكافرين بالجحود قال الحسن بلغ والله من علم احدهم انه يقلب الدينار على ظفره فيخبر بوزنه ولا يحسن يصلي ه

قيل اولم يتفكروا في انفسهم فيعلموا ان ذلك ان الله عز وجل لم يخلق كل السموات والارض وما فيهما من العجائب عبثا وانما خلقهما بالحق لاقامة الحق يعني للاقامة للثواب والعقاب على العمل

كان م

واثاروا الارض
اي قلبوها لاجل
لاستنباط المياه واستخراج
المعادن وزرع البذور
فيها للزراعة

وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون

مدح الله نفسه المقدسة وارشد عباده الى تسبيحه وتحميده في هذه الاوقات المتعاقبة الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه عند المساء وهو اقبال الليل بظلامه وعند الصباح وهو اسفار النهار عن ضيائه ثم اعترض بحمد مناسبة للتسبيح وهو التحميد فقال وله الحمد في السموات والارض اي هو المحمود على ما خلق في السموات والارض ثم قال وعشيا وحين تظهرون فالعشاء هو شدة الظلام والاظهار قوة الضياء فسبحان خالق هذا وهذا وعن انس بن مالك الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه الا اخبركم لم سمى الله ابرهيم خليله الذي وفى لانه كان يقول كلما اصبح وامسى سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون رواه احمد وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون الاية كلها ادرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته في ليلته رواه ابو داود وقوله يخرج الحي من الميت هو مما نحن فيه من قدرته على خلق الاشياء المتقابلة وهذه الايات المتتابعة كلها من هذا فانه يذكر فيها خلقه الاشياء واضدادها دليلا على كمال قدرته فمن ذلك اخراج النبات من الحب والحب من النبات والانسان من النطفة والنطفة من الانسان وعلى هذا وقوله ويحي الارض بعد موتها كقوله وآية لهم الارض الميتة احييناها الاية وقال وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت الاية وكذلك تخرجون اي تبعثون من القبور **ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون** يعني ومن آياته الدالة على عظمته وكمال قدرته انه خلق اباكم ادم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون اي تنبسطون في الارض فاصلكم من تراب ثم من ماء مهين ثم تصور فكان علقة ثم مضغة ثم صار عظاما مشكلة ثم كسى الله تلك العظام لحما ثم نفخ فيه الروح فاذا هو سميع بصير ثم يولد صغيرا ضعيفا ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركاته حتى آل به الحال الان يبني المدائن والحصون ويسافر الى الاقطار برا وبحرا ويتكسب ويجمع الاموال وله فكر ورأي ومكر وعلم واتساع في امور الدنيا والاخرة كل بحسبه فسبحان من اقدرهم وسيرهم وسخرهم وصرفهم في فنون الاشياء وفاوت بينهم في العلوم والاشكال والاحوال والصفات عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو ادم على قدر الارض منهم الابيض والاحمر والاسود وبين ذلك والخبيث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك رواه احمد وابو داود والترمذي وحسنه وصححه وقوله ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا اي من نفسكم اناثا تكون لكم ازواجا لتسكنوا اليها ولو انه جعل بني آدم كلهم ذكورا وجعل اناثهم من جنس آخر من غيرهم اما من جان او من حيوان لما حصل هذا الايتلاف بينهم وبين الازواج بل كانت تحصل نفرة ثم من تمام رحمته ببني آدم ان جعل ازواجهم من جنسهم وجعل بينهم وبينهن مودة وهي المحبة ورحمة وهي الرافة فالرجل يمسك المراة اما لمحبته لها او لرحمته بها بان لها منه ولدا او محتاجة اليه في الانفاق وغير ذلك ان في ذلك لايات اي لدلالات واضحات لقوم يتفكرون في عظمة الله وقدرته **ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لايات للعالمين ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لايات لقوم يسمعون** اي ومن دلائل قدرته العظيمة خلق السموات

ذكرهم تسويتهم لئلا يعجبوا باحوالهم وتيقنوا الاصل تراب ولكن العبرة بالتربية لا بالتربة القيمة لا منه لا لاعيان المخلوقات اصطفى واختار الكعبة وهي افضل من الجنة والجنة جوار وتراب والشجرة البيت حجارة والمؤمن محاربه بذا المحي رحمه وبذا اللي عززه سو لطائف

رد المثل الى المثل وربط الشكل بالشكل وجعل سكون البعض الى البعض ولكن ذلك للاشباح والصور واما الارواح فصحبتها للاشباح كره لا طوع ووراء الاسرار مختلفة لا تساكن الاطلال ولا تساكن اطلال سو لطائف

السموات في علوها والارض في دنوها بنجومها وكواكبها وبهذه باقطارها ومناكبها وبحارها وشمسها وقمرها و[illegible] بما بها ومدرها واختلاف لغات اهلها في الارض واختلاف تسبيحات الملائكة الذين هم سكان السماء واختصاص كل شيء من هذه بعجائب آيات كلها شاهدة سابغ عدل ودليل صدق [illegible] المستفهمين وشاهد على [illegible] من تقدير العزيز الحكيم سو لطائف

النوم لمن اختار صحبته من [illegible] قيام الكتاب له [illegible] علاوة وعلم او [illegible] كذلك المنت [illegible] الداعي [illegible] خيره ونظره وتبعه [illegible] سو لطائف

قارئها

شرف

في ارتفاعها واتساعها وشفوف اجرامها وزهارة كواكبها ونجومها الثوابت والسيارات والارض في انخفاضها وكثافتها وما فيها من جبال واودية وبحار وقفار وحيوان واشجار وقوله واختلاف السنتكم يعني لغاتكم فهؤلاء بلغة العرب وهؤلاء بلغة العجم بانواعها وعلى هذا سائر لغة الاقاليم وانواع خلافها مما لا يعلمه الا الله من لغات بني آدم واختلاف الوانهم فجميع اهل الدنيا منذ خلق آدم الى قيام الساعة كل له عينان وحاجبان وانف وجبين وفم وخدان وليس يشبه واحد منهم الاخر بل لا بد ان يفارقه بشيء من السمت او الهيئة او الكلام ظاهرا كان او خفيا يظهر عند التأمل كل وجه منهم اسلوب بذاته وهيئة لا تشبه الاخرى ان في ذلك لايات للعالمين قرأ بعضهم بكسر اللام والاخرون بفتحها ومن اياته منامكم بالليل والنهار ليحصل الراحة وسكون الحركة وذهاب الكلال والتعب وجعل لكم الانتشار في السعي في الاسباب والاسفار وهذا ضد النوم ان في ذلك لايات لقوم يسمعون اي يعون **ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون** اي ومن آياته الدالة على عظمته انه يريكم البرق تارة وتخافون مما يحدث بعده من امطار مزعجة او صواعق متلفة وتارة ترجون وميضه وما يأتي بعده من المطر المحتاج اليه ولهذا قال وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها اي بعد ما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء فلما جاءها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج وفي ذلك عبرة ودلالة واضحة على المعاد وقيام الساعة ولهذا قال ان في ذلك لايات لقوم يعقلون ثم قال ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره هو كقوله ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا اجتهد في يمين يقول لا والذي تقوم السماء والارض بامره اي هي قائمة ثابتة بامره لها وتسخيره اياها ثم اذا كان يوم القيمة بدلت الارض غير الارض والسموات وخرجت الاموات من قبورها احياء بامره تعالى ودعائه اياهم ولهذا قال ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون كما قال تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا **وله من في السموات والارض كل له قانتون وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم** يعني له ملكه وعبيده كل له قانتون اي مطيعون خاضعون طوعا وكرها وعن ابي سعيد مرفوعا كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة وقوله وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه قال ابن عباس الاعادة ايسر واهون عليه من البداءة والبداءة عليه هينة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس اول الخلق باهون علي من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد لم الد ولم اولد ولم يكن له كفوا احد رواه البخاري وقال آخرون كلاهما بالنسبة الى القدرة على السواء وقال بعضهم ويحتمل ان يعود الضمير في قوله وهو اهون عليه الى الخلق اي هو اهون على الخلق يقومون بصيحة واحدة فيكون اهون عليهم من ان يكونوا نطفا ثم علقا ثم مضغا الى ان يصيروا رجالا ونساء وهذا المعنى عن ابن عباس وقوله وله المثل الاعلى اي الصفة العليا قال ابن عباس هي انه ليس كمثله شيء وقال قتادة انه لا اله الا هو وتمثل هنا قال ابن جرير وانشد بعض العارفين عند ذكره هذه الاية

اذا سكن الغدير على صفاء ∴ وجنب ان يحركه النسيم
ترى فيها السماء بلا امتراء ∴ كذاك الشمس تبدو والنجوم
كذاك قلوب ارباب التجلي ∴ يرى في صفوها الله العظيم

وهو العزيز اي الذي لا يغالب ولا يمانع بل قد غلب كل شيء وقهر كل شيء بقدرته وسلطانه الحكيم في افعاله واقواله شرعا وقدرا ضرب لكم

له ذلك ملكا وصنعا ملك الاشياء بذواتها ايجادا او [illegible] لطائف

وليس لتحولات [illegible] كل حي في السموات والارض له ملكه وكل له قانتون

اي الصفة العليا في الوجود كمثل اللام وفي الجود بنعت الكرم وفي القدرة بوصف الشمول وفي النصرة بوصف الكمال وفي العلم بعموم التعلق وفي الحكم بوجوب الحق وفي التشبيه بوصف البلوغ وفي التنزيه بحكم النقود وفي الجبروت بنعت العز والجلال وفي الملكوت بنعت المجد والكمال سو لطائف

[illegible]

مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم فهم فيه شركاء فما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم
انفسكم كذلك نفصل الايات لقوم يعقلون بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم فمن يهدي من اضل الله
وما لهم من ناصرين هذا مثل ضربه الله للمشركين به العابدين معه غيره وهم مع ذلك معترفون ان الاصنام والانداد
عبيد وملك له كما كانوا يقولون لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك فقال ضرب لكم مثلا من انفسكم اي تشهدونه
وتفهمونه من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء اي ايرتضي احد منكم ان عبده شريكا له في
ماله فهو وهو فيه على السواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم اي تخافون ان يقاسموكم الاموال قال ابن مجلز ان مملوكك لا تخاف
ان يقاسمك مالك وليس له ذاك كذلك الله لا شريك له والمعنى ان احدكم يانف من ذلك فكيف تجعلون لله اندادا من خلقه
ولما كان التنبيه بهذا المثل على براءته تعالى ونزاهته عن ذلك بطريق الاولى قال كذلك نفصل الآيات اي نبينها لقوم
يعقلون ثم قال مبينا انهم انما عبدوا غيره سفها من انفسهم بل اتبع الذين ظلموا اي المشركون اهواءهم اي في عبادتهم
الانداد بغير علم فمن يهدي من اضل الله اي لا احد يهديهم اذا كتب الله اضلالهم وما لهم من ناصرين اي ليس لهم
من قدرة منقذ ولا مجير لانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر
الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه و
اقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون
اي فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الدين الحنيفية ملة ابرهيم الذي هداك الله لها وكملها لك
غاية الكمال وانت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها فانه تعالى فطر خلقه اي خلقهم على معرفته
وتوحيده وانه لا اله غيره كما سبق عند قوله واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى وفي الحديث كما سيجئ ان الله فطر
خلقه على الاسلام ثم طرا على بعضهم الاديان الفاسدة كاليهودية والنصرانية والمجوسية وقوله لا تبديل لخلق الله قيل
اي لا تبدلوا خلق الله فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها فيكون خبرا بمعنى الطلب وقيل هو خبر على بابه
معناه انه تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة لا يولد احد الا على ذلك لا تفاوت بين الناس في
ذلك ولهذا قال ابن عباس وكثيرون في قوله لا تبديل لخلق الله اي لدين الله وهو الاسلام وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كما تنتج البهيمة
بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم وعن
جابر قال قال كل مولود على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فاذا اعرب عنه لسانه اما شاكرا واما كفورا رواه احمد وفي الصحيحين
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن اولاد المشركين فقال الله اعلم بما كانوا عاملين اذ خلقهم وقوله ذلك
الدين القيم اي التمسك بالشرع والفطرة السليمة هو الدين القيم المستقيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي فلهذا اكثر الناس لا يعرفونه فهم
عنه ناكبون وقوله منيبين اليه اي راجعين اليه واتقوه اي خافوه وراقبوه واقيموا الصلوة وهي الطاعة العظيمة ولا تكونوا
من المشركين اي بل من الموحدين المخلصين له العبادة روي ان عمر رضي الله عنه مر بمعاذ بن جبل فقال ما قوام هذه الامة قال
معاذ ثلث وهي المنجيات الاخلاص وهي الفطرة فطرة الله التي فطر الناس عليها والصلوة وهي الملة والطاعة وهي العصمة فقال عمر
صدقت رواه ابن جرير وقوله من الذين فرقوا دينهم اي لا تكونوا من المشركين الذين قد فرقوا دينهم اي بدلوه وآمنوا ببعض و

كونوا

وكفروا ببعض وقرا بعضهم فارقوا اي تركوه وراء ظهورهم وهؤلاء كاليهود وسائر الاديان الفاسدة وكانوا شيعا
اي فرقا مختلفة كل حزب اي طائفة بما لديهم فرحون اي راضون بما عندهم فاهل الاديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على
آراء وملل باطلة كلها وكل فرقة منهم يزعم انهم على شئ وهذه الامة ايضا اختلفوا فيما بينهم على نحل كلها ضلالة الا واحدة
وهم اهل السنة والجماعة المتمسكون بالكتاب والسنة وبما كان عليه الصدر الاول من الصحابة والتابعين وائمة المسلمين
قديما وحديثا كما رواه الحاكم في مستدركه انه سئل عليه الصلوة والسلام عن الفرقة الناجية من هم فقال ما انا عليه اليوم
واصحابي واذا مس الانسان ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم
يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون
واذا اذقنا الانسان رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون اولم يروا
ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون اخبر تعالى عن الناس انهم في حال الاضطرار
يدعون الله وحده لا شريك له ولهذا اذا اسبغ عليهم النعم اذا فريق منهم في حال الاختيار يشركون بالله وقوله ليكفروا بما
آتيناهم هي لام العاقبة عند بعضهم ولام التعليل عند آخرين كما سبق غير مرة ثم توعدهم بقوله فسوف تعلمون قال بعضهم والله
لو توعدني حارس درب لخفت منه فكيف والمتوعد ههنا من الذي يقول للشئ كن فيكون ثم قال منكرا على المشركين في
عبادتهم الاوثان بلا حجة ولا برهان ام انزلنا عليهم سلطانا اي حجة فهو يتكلم اي ينطق بما كانوا به يشركون وهذا
استفهام انكار اي لم يكن شئ من ذلك ثم قال واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها هذا انكار على الانسان من حيث هو
الا من عصمه الله فانه اذا اصابته نعمة بطر وقال ذهب السيئات عني انه لفرح فخور اي يفرح في نفسه ويفخر على
غيره واذا اصابته شدة قنط وايس عن حصول مراده قال تعالى الا الذين صبروا اي في الضراء وعملوا الصالحات
في الرخاء كما ثبت في الصحيحين عجبا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء الا كان خيرا له ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له و
ان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له وقوله اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي هو المتصرف الفاعل لذلك
بحكمته وعدله فيوسع على قوم ويضيق على آخرين ان في ذلك لآيات اي دلالة ظاهرة لقوم يؤمنون فآت ذا القربى حقه و
المسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك هم المفلحون وما آتيتم من ربا
ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون
الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه وتعالى
عما يشركون امر تعالى باعطاء ذي القربى حقه اي من البر والصلة والمساكين وهو الذي لا شئ له ينفق عليه او له شئ لا يقوم
بكفايته وابن السبيل وهو المسافر المحتاج الى نفقة وما يحتاج اليه في سفره ذلك خير للذين يريدون وجه الله اي النظر اليه
يوم القيمة وهو الغاية القصوى واولئك هم المفلحون اي في الدنيا والاخرى ثم قال وما آتيتم من ربا ليربو في اموال الناس
اي في اختطاف اموالهم واجتذابها فلا يربو عند الله اي من اعطى عطية يريد ان يرد الناس عليه اكثر مما اهدى لهم
فهذا لا ثواب له عند الله بهذا فسره ابن عباس واتباعه وهذا مباح وان لم يكن فيه ثواب الا انه قد نهي عنه رسول الله صلى
الله عليه وسلم خاصة لشرف منصبه كما قال تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تعط العطاء تريد اكثر منه قال ابن عباس الربوا ربوان
فربا لا يصح يعني في المعاملات وربا لا باس به وهو هدية الرجل يريد فضلها واضعافها ثم تلا هذه الاية وانما الثواب عند الله

في الزكوة ولهذا قال وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون اي الذين يضاعف الله لهم الثواب والجزاء
كما جاء في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ومن تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب فان
الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل وقوله الله الذي خلقكم ثم رزقكم اي هو الخالق الرازق
يخرج الانسان من بطن امه عريانا لا علم له ولا سمع ولا بصر ولا قوى ثم يرزقه جميع ذلك بعد ذلك مع الاملاك والرياش واللباس
والمكاسب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحبة وسواء ابني خالد لا تيأسا من الرزق ما تهززت رؤسكما فان الانسان
تلده امه احمر ليس عليه قشرة ثم يرزقه الله تعالى رواه احمد وقوله ثم يميتكم اي بعد هذه الحيوة ثم يحييكم اي يوم القيمة هل من
شركائكم اي الذين يعبدونهم من دون الله من يفعل من ذلكم من شيء اي لا يقدر احد منهم على فعل شيء من ذلك بل الله سبحانه
هو المستقل بالخلق والرزق والاحياء والاماتة ثم يبعث الخلائق يوم القيمة ولهذا قال بعده سبحانه وتعالى عما يشركون
اي تعالى وتقدس وتنزه وتعاظم وعز وجل عن ان يكون له شريك او نظير ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي
الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبل كان اكثرهم مشركين قال ابن عباس واتباعه المراد بالبر هنا الفيافي وبالبحر الامصار والقرى وقال
آخرون البر هو البر المعروف والبحر هو البحر المعروف وقال زيد بن رفيع ظهر الفساد يعني انقطاع المطر عن البر يعقبه
القحط وعن البحر يعني دوابه رواه ابن ابي حاتم وقال مجاهد وقتادة البر قتل ابن آدم وفي البحر اخذ السفينة غصبا والقول
الاول اظهر وعليه الاكثر ويؤيده ما جاء في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح ملك ايلة وكتب له ببحره يعني ببلده
وقوله بما كسبت ايدي الناس اي بان النقص من الثمرات والزروع بسبب المعاصي قال ابو العالية من عصى الله في الارض
فقد افسد فيها لان صلاح الارض والسماء بالطاعة ولهذا جاء في الحديث لحد يقام في الارض احب الى اهلها من
ان يمطروا اربعين صباحا رواه ابو داود لان بالحد ينزجر الخلق عن المعاصي فينزل البركات كما ثبت في الصحيح ان الفاجر
اذا مات يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب وفي مسند احمد انه وجد في عهد زياد او ابن زياد صرة فيها حب
يعني من بر امثال النوى عليه مكتوب هذا نبت في زمان كان يعمل فيه بالعدل وقوله ليذيقهم بعض الذي عملوا اي من
المعاصي لعلهم يرجعون اي نبتليهم بنقص الاموال والانفس والثمرات اختبارا منه ومجازاة على صنيعهم كي يرجعوا عن
المعاصي ثم قال تعالى قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل اي من قبلكم لتروا ما نزل بهم ومساكنهم خاوية
كان اكثرهم مشركين فاهلكوا بكفرهم فاقم وجهك للدين القيم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يومئذ
يصدعون من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات
من فضله انه لا يحب الكافرين امر تعالى بالمبادرة الى الاستقامة في طاعته والى الخيرات فقال فاقم وجهك للدين
القيم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله اي يوم القيمة لا يقدر احد ان يرده من الله يومئذ يصدعون اي يتفرقون
ففريق في الجنة وفريق في السعير ولهذا قال من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اي يسوون مضاجعهم
في قبورهم ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله اي يجازيهم مجازاة الفضل الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف
الى ما شاء الله انه لا يحب الكافرين ومع هذا هو العادل فيهم الذي لا يجور ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات
وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ولقد ارسلنا من قبلك

رسلا

رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين ذكر الله نعمه
على خلقه في ارساله الرياح مبشرات من بين يدي رحمته بمجيء الغيث عقيبها ولهذا قال وليذيقكم من رحمته اي بالمطر الذي
ينزله فيحيي به العباد والبلاد ولتجري الفلك بامره اي في البحر وانما سيرها بالريح ولتبتغوا من فضله اي في التجارات والمعايش
ولعلكم تشكرون اي لكي تشكروا الله على ما انعم به عليكم من النعم الظاهرة والباطنة التي لا تعد ولا تحصى ثم قال ولقد ارسلنا
من قبلك رسلا الى قومهم هذه تسلية من الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بانه ارسل قبله الرسل الى اممهم بالمعجزات البينات
من الدلائل الواضحات ولكن الله انتقم ممن كذبهم وخالفهم وانجا المؤمنين بهم وكان حقا علينا نصر المؤمنين هو حق اوجبه
على نفسه الكريمة تكرما وتفضلا كما قال كتب ربكم على نفسه الرحمة وعن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة ثم تلا هذه الاية وكان حقا علينا
نصر المؤمنين رواه ابن ابي حاتم ومحيي السنة في شرحها الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء
كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم
يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض
بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا من بعده
يكفرون يبين تعالى كيف يخلق السحاب التي ينزل منه الماء فقال الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا اما من البحر على ما ذكره
غير واحد او مما يشاء الله فيبسطه في السماء كيف يشاء اي يمده ويكثره وينميه ويجعل من القليل كثيرا ومادة ياتي من جانب البحر
ثقالا مملوة ماء كما قال وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت اي حملت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت
فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات وقوله ويجعله كسفا يعني قطعا وقيل متراكما وقيل اسود من كثرة الماء مقبلا قريبا
من الارض وقوله فترى الودق اي فترى المطر وهو القطر يخرج من خلاله اي من بين ذلك السحاب فاذا اصاب به من يشاء
من عباده اذا هم يستبشرون اي يفرحون بالمطر ووصوله اليهم وقوله من قبل ان ينزل عليهم لمبلسين يعني ان هؤلاء القوم
الذين اصابهم هذا المطر كانوا قانطين من نزول المطر اليهم قبل ذلك فاذا جاءهم جاءهم على فاقة فوقع منهم موقعا عظيما
وقوله لمبلسين اي آيسين قيل من قبل راجع الى انزال المطر ومن قبله الى انشاء السحاب وقال ابن جرير الثاني وقع تاكيدا
ويحتمل ان يكون المعنى انهم كانوا محتاجين اليه قبل نزوله ومن قبله ايضا اي قد فات عنهم المطر وقتا بعد وقت وزمنه
في ابانه فتاخر ومضت مدة من ترقبوه فتاخر ثم جاءهم بغتة على الاياس والقنوط منه فبعد ما كانت ارضهم مقشعرة هامدة
اصبحت وقد اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ولهذا قال فانظر الى آثار رحمة الله يعني المطر كيف يحيي الارض بعد
موتها ثم نبه بذلك على احياء الاجساد بعد موتها وتمزقها وتفرقها فقال ان ذلك لمحيي الموتى اي ان الذي فعل ذلك لقادر
على احياء الموتى انه على كل شيء قدير ثم قال ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون اي ولئن ارسلنا ريحا
يابسة على الزرع الذي زرعوه ونبت وشب واستوى على سوقه فراوه مصفرا اي قد اصفر وشرع في الفساد لظلوا من بعد
هذا الحال يكفرون اي يجحدون ما سبق اليهم من النعم قال عبد الله بن عمرو الرياح ثمانية اربعة منها رحمة واربعة عذاب
فاما الرحمة فالناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات واما العذاب فالعقيم والصرصر وهما في البر والعاصف والقاصف
وهما في البحر فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم

ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون يعني كما انه ليس في قدرتك ان تسمع الاموات في اجداثها ولا يبلغ
كلامك الصم الذين لا يسمعون وهم مع ذلك مدبرون ومعرضون عنك كذلك لا تقدر على هداية العميان عن الحق وردهم
عن ضلالتهم بل ذلك الى الله فانه تعالى بقدرته يسمع الاموات اصوات الاحياء اذا شاء ويهدي من يشاء ويضل من يشاء
وليس ذلك لاحد سواه ولهذا قال ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون اي خاضعون مطيعون فاولئك هم الذين يسمعون
الحق ويتبعونه فهذا حال المؤمنين المرتب على مثل الكافرين وقد استدلت عائشة رضي الله عنها بهذه الاية انك لا تسمع
الموتى على توهيم عبد الله بن عمر في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم القتلى الذين القوا في القليب قليب بدر بعد ثلثة ايام في
معاتبته اياهم وتقريعه لهم حتى قال عمر يا رسول الله ما تخاطب من قوم قد جيفوا فقال والذي نفسي بيده ما انتم باسمع لما
اقول منهم ولكن لا يجيبون وتاولته عائشة على انه قال انهم الآن ليعلمون ان ما كنت اقول لهم حق وقال قتادة احياهم
الله له حتى سمعوا مقالته تقريعا وتوبيخا والصحيح رواية ابن عمر لما لها من الشواهد على صحتها من وجوه كثيرة من اشهرها ما روى
عن ابن عباس مرفوعا ما من احد يمر بقبر اخيه المسلم كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه
السلم الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق
ما يشاء وهو العليم القدير نبه تعالى على تنقل الانسان في اطوار الخلق حالا بعد حال فاصله من تراب ثم من نطفة
ثم من علقة ثم من مضغة ثم يصير عظاما ثم يكسى لحما وينفخ فيه الروح ثم يولد ضعيفا نحيفا واهن القوى ثم يشب على
التدريج يكون صغيرا ثم حدثا ثم مراهقا ثم شابا وهو القوة بعد الضعف ثم يشرع في النقص فيتكهل ثم يشيخ ثم يهرم
وهو الضعف بعد القوة وتشيب اللمة فتضعف الهمة والحركة والبطش وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة ولهذا
قال ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء اي يفعل ما يشاء ويتصرف في عباده بما يريد وهو العليم اي بتدبير
خلقه القدير على ما يشاء ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون
وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم
لا تعلمون فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون اخبر تعالى عن جهل الكفار في الدنيا و
الآخرة ففي الدنيا فعلوا ما فعلوا من عبادة الاوثان وفي الآخرة مثل اقسامهم بالله ما لبثوا في الدنيا الا ساعة واحدة
ومقصودهم به عدم قيام الحجة عليهم قال تعالى كذلك كانوا يؤفكون اي كذبوا في قولهم غير ساعة كما كذبوا في الدنيا انكار البعث
وقال الذين اوتوا العلم والايمان اي فيرد عليهم المؤمنون العلماء في الآخرة كما اقاموا عليهم حجة الله في الدنيا لقد لبثتم
في كتاب الله اي كتاب الاعمال الى يوم البعث اي من يوم خلقتم الى ان بعثتم ولكنكم كنتم لا تعلمون قال الله فيومئذ اي يوم
القيمة لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم اي اعتذارهم عما فعلوا ولا هم يستعتبون اي ولا هم يرجعون الى الدنيا ولا يطلب منهم
العتبى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم باية ليقولن الذين كفروا ان انتم
الا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين
لا يوقنون اي قد بينا للناس الحق ووضحنا لهم وضربنا لهم فيه الامثال ليتبينوا الحق ويتبعوه ولئن جئتهم باية ليقولن
الذين كفروا ان انتم الا مبطلون اي لو رأوا اي اية كانت سواء كانت باقتراحهم او غيره لا يؤمنون بها ويعتقدون انها سحر
وباطل كما قالوا في انشقاق القمر ونحوه ولهذا قال كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر ان وعد الله حق اي اصبر على مخالفتهم

روايته م

وعنادهم

٣٠٧٧

وعنادهم فان الله سينجز لك ما وعدك من نصره اياك وجعل العاقبة لك ولمن اتبعك في الدنيا ولا يستخفنك اي لا يحملنك
الذين لا يوقنون على الجهل واتباعهم في الغي بل اثبت على ما بعثك الله به فانه الحق الذي لا مرية فيه ولا تعدل عنه وليس
فيما سواه هدى يتبع بل الحق منحصر فيه عن ابي روح قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الصبح فقرا فيها الروم فاوهم
فلما انصرف قال انه يلبس علينا القرآن ان اقواما منكم يصلون معنا لا يحسنون الوضوء فمن شهد الصلوة معنا فليحسن الوضوء
رواه احمد وفيه سر عجيب وهو انه عليه الصلوة والسلم تاثر بنقصان وضوء من ائتم به والله اعلم تفسير سورة لقمن وهي مكية
بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين
الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك
هم المفلحون سبق في اول سورة البقرة ما يتعلق بصدر هذه السورة وهو انه تعالى جعل هذا القرآن هدى وشفاء و
رحمة للمحسنين وهم الذين احسنوا العمل في اتباع الشريعة فاقاموا الصلوة المفروضة بحدودها واوقاتها وما يتبعها
من الرواتب والنوافل وآتوا الزكوة المفروضة عليهم الى مستحقيها ووصلوا ارحامهم وقراباتهم وايقنوا بالجزاء في الآخرة فرغبوا
الى الله في ذلك لم يراؤوا به ولا ارادوا جزاء من الناس فمن كان هكذا فهو من الذين قال تعالى فيهم اولئك على هدى من ربهم
اي بصيرة ومنهج واضح واولئك هم المفلحون اي في الدارين ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله
بغير علم ويتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها
كان في اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم لما ذكر تعالى حال السعداء وهم الذين يهتدون بكتاب الله وينتفعون
بسماعه عطف بذكر حال الاشقياء الذين اعرضوا عن استماع كلام الله واقبلوا على استماع المزامير والغناء بالالحان والات
الطرب كما قال ابن مسعود في قوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال هو والله الغناء وفي رواية ابن جرير ان ابن مسعود
سئل عن هذه الاية فقال هو الغناء والذي لا اله الا هو يرددها ثلث مرات وكذا قال ابن عباس وجابر وكثيرون وقال
قتادة والله لعله لا ينفق فيه مالا ولكن اشتراءه استحبابه بحسب المرء من الشر ان يختار حديث الباطل على حديث الحق
وما يضر على ما ينفع وقيل اراد به اشتراء المغنيات من الجواري كما روى ابو امامة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل
بيع المغنيات ولا شراؤهن واكل اثمانهن حرام وفيهن انزل الله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث رواه الترمذي
وابن جرير وابن ابي حاتم وقال الضحاك يعني الشرك واختار ابن جرير انه كل كلام يصد عن آيات الله واتباع رسله وقوله
ليضل عن سبيل الله اي انما يصنع هذا ليخالف الاسلام واهله وعلى قراءة فتح الياء تكون لام العاقبة او تعليلا للامر القدري
اي قيضوا لذلك ليكونوا كذلك وقوله ويتخذها هزوا اي ويتخذ سبيل الله هزوا يستهزئ بها قاله مجاهد وقوله اولئك لهم
عذاب مهين اي كما استهانوا بايات الله على قول قتادة وسبيله اهينوا يوم القيمة في العذاب الدائم المستمر ثم قال واذا تتلى
عليه اياتنا ولى مستكبرا اي هذا المقبل على الطرب واللهو اذا تليت عليه آيات القرآن ولى واعرض عنها وادبر وتصامم
كانه ما يسمعها لانه يتاذى بسماعها اذ لا انتفاع له بها ولا ارب له فيها فبشره بعذاب اليم اي يوم القيمة فيؤلم كما تالم
بسماع كلام الله واياته ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو
العزيز الحكيم ذكر تعالى مآل الابرار في الآخرة وهم الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وعملوا الاعمال الصالحة بان لهم جنات
النعيم اي يتنعمون فيها بانواع الملاذ والمسار الذي لم يخطر ببال احد وهم في ذلك مقيمون دائما فيها بلا زوال وقوله وعد الله حقا

نبئ هذا كائن لا محالة لانه من وعد الله والله لا يخلف الميعاد لانه الكريم القادر على كل شيء وهو العزيز الذي قد قهر
كل شيء الحكيم في اقواله وافعاله الذي جعل القرآن هدى للمؤمنين خلق السموات بغير عمد ترونها والقى في الارض
رواسي ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق
الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين تبين تعالى بهذا قدرته العظيمة على
خلق السموات والارض وما فيهما وما بينهما فقال خلق السموات بغير عمد ترونها قال الحسن وقتادة ليس لها عمد مرئية ولا غير
مرئية وسبق البحث عنه في اول سورة الرعد والقى في الارض رواسي يعني الجبال ارست الارض وثقلتها لئلا تضطرب
باهلها على وجه الماء ولهذا قال ان تميد بكم اي لئلا تضطرب بكم وقوله وبث فيها من كل دابة اي وذرأ فيها من اصناف الحيوانات
مما لا يعلم عدد اشكالها والوانها الا الذي خلقها ولما قرر انه الخالق نبه على انه الرازق بقوله وانزلنا من السماء ماء
فانبتنا فيها من كل زوج كريم اي من كل زوج من النبات كريم اي حسن المنظر وقال الشعبي والناس ايضا من نبات الارض
فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم وقوله هذا خلق الله اي هذا الذي ذكره تعالى من خلق السموات والارض وما
بينهما صادر عن فعل الله وخلقه وتقديره وحده لا شريك له في ذلك ولهذا قال فاروني ماذا خلق الذين من دونه اي مما
تعبدون من الاصنام والانداد بل الظالمون يعني المشركين بالله في ضلال مبين اي في جهل وعمى ظاهر واضح لا خفاء به
ولقد آتينا لقمن الحكمة ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد اختلفوا
في لقمن هل كان نبيا او عبدا صالحا من غير نبوة على قولين الاكثرون على الثاني وقال ابن عباس كان لقمن عبدا حبشيا نجارا
وقال جابر كان قصيرا افطس نوبيا وقال ابن المسيب كان لقمن من سودان مصر ذو مشافر اعطاه الله الحكمة ومنعه
النبوة وقال مجاهد وغيره كان لقمن الحكيم عبدا حبشيا غليظ الشفتين مصفح القدمين قاضيا على بني اسرائيل في زمن
داود عليه السلم روي ان لقمان اتاه رجل وهو في مجلس اناس يحدثهم فقال له الست كنت ترعى معي الغنم في مكان كذا
وكذا قال بلى قال فما بلغ بك ما ارى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني وهذه الآثار دالة صريحة على انه لم
يكن نبيا لكونه عبدا امسه الرق والرسل تبعث في احساب قومها وعلى هذا جمهور السلف وقال قتادة خير الله لقمن الحكيم
بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة على النبوة قال فاتاه جبريل وهو نائم فذر او رش عليه الحكمة فاصبح ينطق بها وقيل له
كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك فقال انه لو ارسل الي النبوة عزمة لرجوت فيه الفوز منه ولكنت ارجو
ان اقوم بها ولكنه خيرني فخفت ان اضعف عن النبوة فكانت الحكمة احب الي وهذا خبر ضعيف فقوله ولقد آتينا
لقمن الحكمة قال قتادة اي الفقه في الاسلام ولم يكن نبيا ولم يوح اليه والمراد انه اعطي الفهم والعلم والتعبير ان اشكر لله
اي امرناه ان يشكر على ما آتاه الله ومنحه ووهبه من الفضل الذي خصصه به عمن سواه من ابناء جنسه واهل زمانه
ثم قال تعالى ومن يشكر فانما يشكر لنفسه اي انما يعود نفع ذلك وثوابه على الشاكر لقوله ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون
وقوله ومن كفر فان الله غني حميد اي غني عن العباد لا يتضرر بذلك ولو كفر اهل الارض جميعا فانه الغني عما سواه واذ قال
لقمن لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ووصينا الانسان بوالديه حملته
امه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير وان جاهداك على ان
تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب الي ثم الي

الحكمة عبارة عن توفيق العمل بالعلم
فكل من اوتي توفيق العمل بالعلم
فقد اوتي الحكمة ع

وانما انه عظيم لانه وضع النفس الشريفة
المكرم بقوله ولقد كرمنا بني آدم في عبادة
الخسيس وانما انه عظيم لانه وضع
موضع ليس موضعه ع

ولد
الى المنعم يعني
نعمتهما مخصص بالدنيا
والمنعم في الدنيا والاخرة
فان الى المصير ع

[illegible]

مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون اخبر تعالى عن وصية لقمن لولده واسمه لقمن بن عنقاء بن سدون وقيل واسم ولده
انعم وقيل مشكم وقد ذكره الله باحسن الذكر فانه آتاه الحكمة وهو يوصي ولده فاوصاه اولا بان يعبد الله وحده ولا يشرك
به شيئا ثم قال محذرا له ان الشرك لظلم عظيم اي هو اعظم الظلم وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال لما نزلت الذين آمنوا
ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون شق ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اينا لم
يلبس ايمانه بظلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس بذلك الا تسمع الى قول لقمن يا بني لا تشرك بالله ان الشرك
لظلم عظيم ثم قرن بوصيته اياه بعبادة الله البر بالوالدين كما قال تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا
وقوله وهنا على وهن اي مشقة على مشقة وجهدا على جهد وضعفا على ضعف وفصاله في عامين اي تربيته وارضاعه
بعد وضعه في عامين كما قال والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين الاية ومن ههنا استنبط ابن عباس وغيره من
الائمة ان اقل الحمل ستة اشهر لانه تعالى قال وحمله وفصاله ثلثون شهرا وانما تذكر تعالى تربية الوالدة وتعبها ومشقتها
في سهرها الليل ونهارها ليذكر الولد باحسانها المتقدم اليه وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ولهذا قال ان اشكر لي و
لوالديك الي المصير اي فاني ساجزيك على ذلك اوفر الجزاء وقوله وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما
اي وان حرصا عليك غاية الحرص على ان تتابعهما على دينهما فلا تقبل منهما ولا يمنعك ذلك ان تصاحبهما في الدنيا معروفا
اي محسنا اليهما واتبع سبيل من اناب الي يعني المؤمنين من الصحابة ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون وعن سعد بن ابي
وقاص رضي الله عنه قال نزلت في هذه الآية وان جاهداك على ان تشرك بي الاية قال كنت رجلا برا بامي فلما اسلمت
قالت يا سعد ما هذا الذي اراك قد احدثت لتدعن دينك هذا او لا آكل ولا اشرب حتى اموت فتعير بي فيقال يا قاتل
امه فقلت لا تفعلي فاني لا ادع ديني هذا الشيء فمكثت يوما وليلة لم تاكل واشتد جهدها فقلت يا امه تعلمين
والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا الشيء فان شئت كلي وان شئت لا تاكلي فاكلت
يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يات بها الله ان الله
لطيف خبير يا بني اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم
الامور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد
في مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير هذه وصايا نافعة قد حكاها الله عن لقمن الحكيم
ليمتثلها الناس فقال يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل اي ان المظلمة او الخطيئة لو كانت مثقال حبة خردل
ويجوز ان تكون الضمير للقصة ورفع مثقال والاول اولى وقوله يات بها الله اي احضرها الله يوم القيمة حين يضع
الموازين القسط وجازى عليها بحسب ذلك ولو كانت تلك الذرة مستورة محصنة في داخل صخرة صماء او غائبة
ذاهبة في ارجاء السموات والارض فان الله يأتي بها لانه لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض ولهذا قال ان الله لطيف خبير اي لطيف العلم فلا يخفى عليه الاشياء وان دقت ولطفت خبير بدبيب النمل
في الليل البهيم وقيل المراد الصخرة التي تحت الارضين السبع قاله ابن عباس وابن مسعود وغير واحد ولعل هذا من
الاسرائيليات الجائزة النقل فان المراد ان هذه الحبة الحقيرة لو كانت داخل صخرة فان الله سيبديها ويظهرها بلطيف
علمه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائنا ما كان

كما حصل الاجماع على ان شكر الوالدين بدوام طاعتهما
ولا يكون بمجرد النطق بالثناء عليهما على ان شكر الحق
لا يكون بمجرد القول ثم يكون في مواضعه شكر الفعل
وذلك بالتزام الطاعة واستعمال [illegible] النعمة في
وجه الطاعة دون صرفها في الزينة [illegible]

يعني صاحبهما بجسمك وارفقهما بجسمك
واتبع سبيل النبي عليه السلم بعقلك فانه
مربي عقلك كما ان الوالدين مربي جسمك

ولما [illegible] [illegible] الاجماع [illegible]
الكاف في الصغر مثل حبة خردل [illegible]
الصغر [illegible] في موضع [illegible] الصخرة
[illegible]
الى الصغر [illegible]
الحجاب [illegible]
[illegible]
الى [illegible]
[illegible]

لا تعرض م

ثم قال يا بني اقم الصلوة اي بحدودها وفروضها واوقاتها وامر بالمعروف وانه عن المنكر بحسب طاقتك وجهدك و
اصبر على ما اصابك اي من الناس اي بسبب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقوله ان ذلك اي الصبر على الاذى
في الطاعة من الامور التي يعزم عليها لوجوبها وقوله ولا تصعر خدك للناس اي لا توجهك للناس اذا كلمتهم وكلموك
احتقارا منك لهم واستكبارا عليهم ولكن الن جانبك وابسط وجهك اليهم كما جاء في الحديث ولو ان تلقى اخاك
بوجه طليق وقال ابن عباس لا تتكبر فتحتقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك وبه قال مجاهد وقيل يعني بذلك
التشدق في الكلام والصواب الاول قال ابن جرير واصل الصعر داء ياخذ الابل في اعناقها او رؤسها حتى تلتفت اعناقها
عن رؤسها فشبه به الرجل المتكبر ومنه قول ابن جني التغلبي ؞ وكنا اذا الجبار صعر خده ؞ اقمنا له من ميله فتقوما ؞
وقال ابو طالب في شعره ؞ وكنا قديما لا نقر ظلامة ؞ اذا ما ثنوا صعر الرؤس نقيمها ؞ وقوله ولا تمش في الارض مرحا
اي خيلا متكبرا جبارا عنيدا لا تفعل ذلك يبغضك الله ولهذا قال ان الله لا يحب كل مختال فخور اي مختال معجب
بنفسه فخور على غيره وعن ثابت بن قيس قال ذكر الكبر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فشدد فيه فقال ان الله لا يحب كل
مختال فخور فقال رجل من القوم والله يا رسول الله اني لاغسل ثيابي فيعجبني بياضها ويعجبني شراك نعلي وعلاقة سوطي
فقال ذلك الكبر انما الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس رواه الطبراني وقوله واقصد في مشيك اي امش مشيا مقتصدا
ليس بالبطيء المتثبط ولا بالسريع المفرط بل عدلا وسطا وقوله واغضض من صوتك اي لا تبالغ في الكلام لا ترفع صوتك فيما لا
فائدة فيه ولهذا قال ان انكر الاصوات لصوت الحمير قال مجاهد وغير واحد اي ان اقبح الاصوات لصوت الحمير اي غاية من رفع صوته
انه تشبه صوت الحمار في علوه ورفعه وفيه غاية الذم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس لنا مثل السوء فيكون ذلك
بغيضا الى الله تعالى فهذه وصايا نافعة قصها الله في القرآن عن لقمن وقد روي من الحكم والمواعظ اشياء كثيرة منها عن
ابن عمر قال اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لقمن الحكيم كان يقول ان الله اذا استودع شيئا حفظه رواه احمد
وقال عليه الصلوة والسلم قال لقمن لابنه وهو يعظه يا بني اياك والتقنع فانه مخوفة بالليل مذمة بالنهار رواه
ابن ابي حاتم مع ما بعده وقال لابنه ايضا يا بني ان الحكمة اجلست المساكين مجالس الملوك وعن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا السودان اي من الحبش فان ثلثة منهم من سادات اهل الجنة لقمن الحكيم والنجاشي
وبلال المؤذن رواه الطبراني الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة
وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله
قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير نبه تعالى خلقه على نعمه عليهم
في الدنيا والاخرة فانه سخر لكم ما في السموات من نجوم يستضيئون بها في ليلهم ونهارهم وما يخلق فيها من سحاب وامطار
وثلج وبرد وغير ذلك وما خلق لهم في الارض من قرار وانهار واشجار وزروع وثمار واسبغ عليكم نعمه الظاهرة والباطنة
من ارسال الرسل وانزال الكتب وازاحة الشبه والعلل ومع هذا ما آمن الناس كلهم بل منهم من يجادل في توحيد الله و
ارسال الرسل بغير علم ولا حجة صحيحة ولا كتاب ماثور صحيح منير اي مبين مضيء واذا قيل لهم اي لهؤلاء المجادلين
في توحيد الله اتبعوا ما انزل الله على رسوله من الشرائع المطهرة قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اي لم يكن لهم حجة الا
اتباع الاباء الاقدمين اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير وجواب لو محذوف اي فيتبعونه اي فما ظنكم ايها

يبين ان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير
يدعوهم الى التراب ويوم
هذا يتبعون الشيطان

المحجوب

المحجوب بصنيع الاباء انهم كانوا على ضلالة تابعة للشيطان ان تتبعون انتم الشيطان اذ كان يدعوكم الى عذاب النار
المستعرة الدائمة ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة
الامور ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور
نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ اخبر تعالى عن من اسلم وجهه لله اي اخلص له العمل وانقاد لامره
واتبع شرعه ولهذا قال وهو محسن اي في عمله باتباع ما امر وترك ما عنه زجر فقد استمسك بالعروة الوثقى اي فقد
اخذ موثقا من الله متينا انه لا يعذبه والى الله عاقبة الامور ومن كفر فلا يحزنك كفره اي لا تحزن عليهم يا محمد في كفرهم
بالله وبما جئت به فان قدر الله نافذ فيهم والى الله مرجعهم فننبئهم بما عملوا اي نعذبهم عليه ان الله عليم بذات
الصدور فلا يخفى عليه خافية ثم قال نمتعهم قليلا اي في الدنيا ثم نضطرهم اي نلجئهم الى عذاب غليظ اي فظيع صعب
مشق على النفوس ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون
لله ما في السموات وما في الارض ان الله هو الغني الحميد اخبر تعالى عن هؤلاء المشركين به انهم يعرفون ان الله
خالق السموات والارض وحده لا شريك له ومع هذا يعبدون معه شركاء يعترفون انها خلق وملك له ولهذا قال ولئن
سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون اي قل يا محمد الحمد لله اذا قامت عليهم الحجة
باعترافكم بل اكثرهم لا يعلمون ثم قال لله ما في السموات والارض اي هو خلقه وملكه ان الله هو الغني اي عما سواه الحميد في جميع
ما خلق وهو المحمود في الامور كلها ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت
كلمات الله ان الله عزيز حكيم ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير اخبر تعالى عن عظمته وكبريائه
واسمائه الحسنى وصفاته العلى وكلماته التامة التي لا يحيط بها احد ولا اطلاع لبشر على كنهها واحصائها كما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقال تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام اي ولو ان جميع اشجار
الارض جعلت اقلاما وجعل البحر مدادا وامده سبعة ابحر معه فكتبت بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله
لتكسرت الاقلام ونفدت ماء البحار ولو جاء امثالها مدادا وانما ذكرت السبعة على وجه المبالغة ولم يرد الحصر ولا ان
ثم سبعة ابحر موجودة محيطة بالعالم كما يقوله من تلقاه من الاسرائيليات التي يجوز نقلها لانه لا تحصر الا بامر الله قال قتادة
قال المشركون انما هذا كلام يوشك ان ينفد فقال تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام اي لو كان شجر الارض اقلاما ومع
ومع البحر سبعة ابحر ما كان لينفد عجائب كلمات ربي وحكمته وخلقه وعلمه وقال الربيع بن انس ان مثل علم العباد كلهم
في علم الله كقطرة من ماء البحور كلها وهذا بعينه كما قال الخضر لموسى عليهما السلم وقوله ان الله عزيز حكيم اي قد عز كل شيء و
قهره وغلبه فلا مانع لما اراد حكيم في خلقه وامره واقواله وافعاله وجميع شؤنه وقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
اي ما خلق جميع الناس وبعثهم يوم المعاد بالنسبة الى قدرته الا كنسبة نفس واحدة الى الجميع هين عليه انما امره اذا اراد
شيئا ان يقول له كن فيكون اي لا يامر بالشيء الا مرة واحدة فيكون ذلك الشيء لا يحتاج الى تكرره وقوله ان الله سميع بصير اي
كما هو سميع لاقوالهم بصير بافعالهم كسمعه وبصره بالنسبة الى نفس واحدة كذلك قدرته عليهم كقدرته على نفس واحدة
الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى اجل مسمى وان الله
بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل وان الله هو العلي الكبير

اخبر تعالى انه يولج الليل في النهار يعني ياخذ منه في النهار فيطول ذلك ويقصر هذا وهذا يكون في الصيف يطول النهار الى الغاية
ثم يشرع في النقص فيطول الليل ويقصر النهار وهذا يكون في الشتاء وسخر الشمس والقمر كل يجري الى اجل مسمى قيل الى غاية
محدوده وقيل الى يوم القيمه وكلا القولين صحيح ويستشهد للقول الاول بما في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يا ابا ذر هل تدري اين تذهب هذه الشمس قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب فتسجد تحت العرش ثم
تستاذن ربها فيوشك ان يقال لها ارجعي من حيث جئت قال ابن عباس الشمس بمنزلة الساقيه تجري بالنهار في
السماء في فلكها فاذا غربت جرت الليل في فلكها تحت الارض حتى تطلع من مشرقها وكذلك القمر رواه ابن ابي حاتم
وقوله وان الله بما تعملون خبير كقوله وان الله قد احاط بكل شي علما وقوله ذلك بان الله هو الحق اي انما يظهر لكم اياته لتستدلوا
بها على انه الحق اي الموجود الحق الاله الحق وان كل ما سواه باطل فانه الغني عما سواه وكل شي فقير اليه وان الله هو العلي
اي الذي لا اعلى منه الكبير الذي هو اكبر من كل شي الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من اياته ان في
ذلك لايات لكل صبار شكور واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم
الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد باياتنا الا كل ختار كفور اخبر تعالى انه الذي سخر البحر لتجري فيه الفلك بامره اي بلطفه
وتسخيره فانه لولا ما جعل في الماء قوة يحمل بها السفن لما جرت ولهذا قال ليريكم من اياته اي من قدرته ان في ذلك لايات
لكل صبار شكور اي صبار في الضراء شكور في الرخاء ثم قال واذا غشيهم موج كالظلل اي كالجبال والغمام دعوا الله
مخلصين له الدين ثم قال فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد قال مجاهد اي كافر جاحد وقال ابن زيد هو المتوسط في العمل
كما في قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فان المراد هنا المتوسط وحينئذ يكون من
باب الانكار على من شاهد تلك الاهوال والامور العظام في البحر ثم بعد ما انعم الله عليه من الخلاص كان ينبغي ان يقابل
ذلك بالعمل التام والمبالغة في العبادة والمبادرة الى الخيرات فمن اقتصد بعد ذلك فهو مقصر والحالة هذه وما يجحد
باياتنا الا كل ختار كفور الختار هو الغدار وهو الذي كلما عاهد نقض عهده والختر اتم الغدر وابلغه قال عمرو بن
معدي كرب وانك لو رايت ابا عمير ملات يديك من غدر وختر والكفور الجحود للنعم لا يشكرها بل يتناساها
ولا يذكرها يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن
والده شيا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور انذر الله الناس
يوم المعاد وامرهم بتقواه والخوف منه والخشيه من يوم القيمه حيث لا يجزي والد عن ولده اي لو اراد ان يفديه بنفسه
لما قبل منه وكذلك الولد لو اراد فداء والده بنفسه لم يتقبل منه ثم عاد بالموعظة عليهم بقوله فلا تغرنكم الحيوة الدنيا اي
لا يلهينكم بالطمانينه فيها عن الدار الاخره ولا يغرنكم بالله الغرور يعني الشيطان فانه يغر ابن ادم ويعده ويمنيه وليس
من ذلك في شي بل كما قال يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا قال ابن جبير هو ان تعمل بالمعصيه وتتمنى المغفرة
ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما
تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير هذه مفاتيح الغيب التي استاثر الله تعالى بعلمها فلا يعلمها
احد الا بعد اعلامه تعالى بها فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب وكذلك انزال الغيث لا يعلمه احد الا الله
ولكن اذا اعلم به امر تعالى الملكه الموكلين بذلك ومن شاء الله وكذلك لا يعلم ما في الارحام مما يريد ان يخلقه تعالى سواه

لكن اذا امر بكونه ذكرا او انثى او شقيا او سعيدا علمه الملكه الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه وكذلك لا تدري
نفس ماذا تكسب غدا في دنياها واخراها وما تدري نفس باي ارض تموت في بلدها او في غيره من اي بلاد الله كان
لا علم لاحد بذلك وهذه شبيهه بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعه وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ما
ذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير رواه البخاري في مواضع من صحيحه وعن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يوما بارزا للناس اذ اتاه رجل يمشي فقال يا رسول الله ما الايمان قال ان تؤمن بالله وملئكته
وكتبه ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الاخر قال يا رسول الله ما الاسلام قال الاسلام ان تعبد الله ولا تشرك به
شيا وتقيم الصلوة وتؤتي الزكوة المفروضه وتصوم رمضان فقال يا رسول الله ما الاحسان قال الاحسان ان تعبد
الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال يا رسول الله متى الساعه قال ما المسؤل عنها باعلم من السائل ولكن ساحدثك
عن اشراطها اذا ولدت الامه ربتها فذاك من اشراطها واذا كان الحفاة العراة رؤس الناس فذاك من اشراطها في
خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعه وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام الايه ثم انصرف الرجل فقال ردوه علي فاخذوا
ليردوه فلم يروا شيا فقال هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم رواه البخاري في كتاب الايمان ومسلم من طرق قال قتاده
اشياء استاثر الله بهن فلم يطلع عليها ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ان الله عنده علم الساعه فلا يدري احد متى تقوم الساعة
في اي سنه او في اي شهر او ليل او نهار وينزل الغيث فلا يعلم احد متى ينزل الغيث ليلا او نهارا ويعلم ما في الارحام
فلا يعلم احد ما في الارحام اذكر ام انثى احمر او اسود وما هو وما تدري نفس ماذا تكسب غدا خير ام شر ولا تدري نفس
باي ارض تموت ليس احد من الناس يدري اين مضجعه من الارض افي بحر ام بر او سهل او جبل وقد جاء في السنن
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله ميتة عبد بارض جعل له اليها حاجة وفي مسند احمد مرفوعا اذا اراد
الله قبض روح عبد بارض جعل له فيها او قال بها حاجة تفسير سورة الم السجدة وهي مكية قال عطاء الا ثلث
ايات من قوله افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا الى اخرها وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
يقرا في الفجر يوم الجمعه الم تنزيل السجده وهل اتى على الانسان وعن جابر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرا الم
تنزيل السجده وتبارك الذي بيده الملك تفرد به احمد بسم الله الرحمن الرحيم
الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتريه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما اتاهم
من نذير من قبلك لعلهم يهتدون سبق البحث عن حروف اوائل السور في اول سورة البقرة وقوله تنزيل الكتاب
لا ريب فيه اي لا شك فيه ولا مرية انه منزل من رب العالمين ثم قال مخبرا عن المشركين ام يقولون افتريه اي اختلقه
من تلقاء نفسه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك اي لم ياتهم نذير من قبلك قال ابن عباس
ذلك في الفتره التي كانت بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه لعلهم يهتدون اي يتبعون الحق الله الذي
خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع
افلا تتذكرون يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ذلك
عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم اخبر تعالى انه الخالق للاشياء فخلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى

[illegible]

على العرش قد سبق الكلام على ذلك ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع اي بل هو المالك لازمة الكون الخالق لكل شيء ومدبره وقاهره فلا ولي لخليقه سواه ولا شفيع الا من بعد اذنه افلا تتذكرون يعني ايها العابدون غيره المتوكلون على من عداه تقدس وتنزه ان يكون له شريك او نظير او وزير او عديل وفي النسائي عن ابي هريرة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بيدي فقال ان الله خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش يوم السابع فخلق التربة يوم السبت والجبال يوم الاحد والشجر يوم الاثنين والمكروه يوم الثلثا والنور يوم الاربعا والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة في آخر ساعة من النهار بعد العصر خلقه من اديم الارض باحمرها واسودها وطيبها وخبيثها من اجل ذلك جعل الله من آدم الطيب والخبيث وروى مسلم نحوه وقوله يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه اي ينزل امره من اعلى السموات الى اقصى تخوم الارض السابعة وترفع الاعمال الى ديوانها فوق سماء الدنيا ومسافة ما بينها وبين الارض مسيرة خمسمائة سنة وسمك السماء خمسمائة سنة والملك يقطعها في طرفة عين ولهذا قال في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة المدبر لهذه الامور الذي هو شهيد على اعمال عباده يرفع اليه جليلها وحقيرها هو العزيز الذي قد عز كل شيء فقهره وغلبه ودان له العباد والبلاد والرقاب الرحيم بعباده المؤمنين فهو عزيز في رحمته رحيم في عزته الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون يعني انه الذي احسن خلق الاشياء واتقنها واحكمها وقيل اي احسن كل شيء ففيه تقديم وتاخير ثم شرع في ذكر خلق الانسان فقال وبدأ خلق الانسان من طين يعني خلق ابا البشر آدم من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين اي يتناسلون كذلك من نطفة تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة ثم سواه يعني آدم لما خلقه من تراب خلقه سويا مستقيما ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة يعني العقول قليلا ما تشكرون اي بهذه القوى التي رزقكموها الله فالسعيد من استعملها في طاعة ربه وقالوا ائذا ضللنا في الارض ائنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون اخبر تعالى عن المشركين في استبعادهم المعاد حيث قالوا ائذا ضللنا في الارض اي تمزقت اجسامنا وتفرقت في اجزاء الارض وذهبت ائنا لفي خلق جديد اي انا لنعاد بعد تلك الحال يستبعدون ذلك وهذا انما هو بعيد بالنسبة الى قدرهم العاجزة لا بالنسبة الى قدرة الذي بدأهم وخلقهم واوجدهم من العدم ولهذا قال بل هم بلقاء ربهم كافرون اي بالبعث بعد الموت ثم قال قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم الظاهر ان ملك الموت شخص معين من الملائكة كما نطق به هذه الآية ويتبادر الى الذهن من حديث البراء المقدم ذكره في سورة ابرهيم واسمه على ما هو المشهور عزرائيل قاله قتادة وغيره وله اعوان كما ورد في الحديث ان اعوانه ينتزعون الارواح من سائر الجسد حتى اذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت قال مجاهد حويت له الارض فجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وعن جعفر بن محمد قال سمعت ابي يقول نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملك الموت عند رجل من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا ملك الموت ارفق بصاحبي فانه مؤمن فقال ملك الموت يا محمد طب نفسا وقر عينا فاني بكل مؤمن رفيق واعلم انه ما في الارض بيت مدر ولا شعر في بر ولا بحر الا وانا اتصفحهم في كل يوم خمس مرات حتى اني اعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بانفسهم والله يا محمد لو اني اردت ان اقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله

[illegible]

هو الآمر بقبضها قال جعفر بلغني انما يتصفحهم عند مواقيت الصلوة فاذا حضر عند الموت فان كان ممن يحافظ على الصلوة دنا منه الملك ودفع عنه الشيطان ولقنه الملك لا اله الا الله محمد رسول الله في تلك الحال العظيمة وقال كعب الاحبار والله ما من بيت فيه احد من اهل الدنيا الا وملك الموت يقوم على بابه كل يوم سبع مرات ينظر هل فيه احد امر به يتوفاه رواه ابن ابي حاتم وقوله ثم الى ربكم ترجعون اي يوم معادكم وقيامكم من قبوركم ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون ولو شئنا لآتينا كل نفس هديها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون اخبر تعالى عن حال المشركين يوم القيمة وحالهم حين عاينوا البعث وقاموا بين يدي الله حقيرين ذليلين ناكسي رؤسهم اي من الحياء والخجالة يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا اي نحن الآن نسمع قولك ونطيع امرك فارجعنا اي الى دار الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اي قد ايقنا وتحققنا ان وعدك حق ولقاءك حق وقد علم الرب تعالى منهم انه لو اعادهم الى الدنيا لكانوا فيها كما كانوا فيها مكذبين بآيات الله ومخالفين لرسله كما قال تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون ثم قال ولو شئنا لآتينا كل نفس هديها اي رشدها وتوفيقها ولكن حق القول مني اي وجب القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من الصنفين قد خلقهم للنار لا مفر لهم عنها ولا محيص لهم منها نعوذ بالله من ذلك فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا اي يقال لهم على سبيل التقريع والتوبيخ ذوقوا هذا العذاب بسبب تكذيبكم به واستبعادكم وقوعه وتناسيكم له اذ عاملتموه معاملة من هو ناس له انا نسيناكم اي سنعاملكم معاملة الناسي لانه لا ينسى شيئا ولا يضل عنه شيء بل هذا من باب المقابلة كما قال فاليوم ننسيكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا وقوله وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون اي بسبب كفركم وتكذيبكم كما قال في آية اخرى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون يعني انما يصدق بها الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا اي استمعوا لها واطاعوها قولا وفعلا سقطوا على وجوههم ساجدين وسبحوا اي صلوا وتلفظوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون اي عن اتباعها والانقياد لها كما يفعله الجهلة من الكفرة والفجرة ثم قال تتجافى جنوبهم عن المضاجع يعني بذلك قيام الليل وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطيئة وقال بعضهم هو الصلوة بين العشائين وقال انس هو انتظار صلوة العشاء رواه ابن جرير وقيل هو صلوة العشاء في جماعة وصلوة الغداة في جماعة يدعون ربهم خوفا وطمعا اي خوفا من وبال عقابه وطمعا في جزيل ثوابه ومما رزقناهم ينفقون فيجمعون بين فعل القربات اللازمة والمتعدية ومقدم هؤلاء وسيدهم في الدارين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال ابن رواحة ∴

وفينا رسول الله يتلو كتابه ∴ اذا انشق معروف من الفجر ساطع ∴
ارانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ∴ به موقنات ان ما قال واقع ∴
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ∴ اذا استثقلت بالمشركين المضاجع ∴

وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عجب ربنا من رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين حبه واهله الى صلوته رغبة فيما عندي وشفقا مما عندي ورجل غزا في سبيل الله فانهزموا فعلم ما عليه من الفرار وما له في الرجوع فرجع حتى اهريق دمه رغبة فيما عندي ورهبة مما عندي حتى اهريق دمه رواه احمد وابو داود وعن

يقول تعالى انما يؤمن بآياتنا

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم [illegible] وهم لا يستكبرون اي لا يستنكفون [illegible]

يقول الله لملائكته انظروا الى عبدي [illegible]

[illegible]

وعن معاذ بن جبل قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فاصبحت قريبا منه ونحن نسير فقلت يا نبي الله اخبرني بعمل يدخلني
الجنة ويباعدني من النار قال لقد سالت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلوة
وتؤتي الزكوة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة و
صلوة الرجل في جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم قال الا اخبرك براس الامر وعموده وذروة
سنامه فقلت بلى يا رسول الله فقال راس الامر الاسلام وعموده الصلوة وذروة سنامه الجهاد ثم قال الا اخبرك بملاك
ذلك كله فقلت بلى يا نبي الله فاخذ بلسانه ثم قال كف عليك هذا فقلت يا رسول الله وانا لمواخذون بما نتكلم به فقال
ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم او قال مناخرهم الا حصائد السنتهم رواه احمد والترمذي
والنسائي وابن ماجه وعن اسماء بنت يزيد قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين
يوم القيمة جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلائق سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم
الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية فيقومون هم قليل رواه ابن ابي حاتم وقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من
اي فلا تعلم احد عظمة ما اخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم واللذات التي لم يطلع على مثلها احد لما اخفوا اعمالهم
كذلك اخفى الله لهم من الثواب جزاء وفاقا فان الجزاء من جنس العمل وقال الحسن اخفى قوم عملا فاخفى الله لهم
ما لم تر عين ولم يخطر على قلب بشر رواه ابن ابي حاتم وعن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال ابو هريرة اقرءوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين رواه في الصحيحين وعن سهل بن سعد قال شهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا وصف
فيه الجنة حتى انتهى ثم قال في آخر حديثه فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم اقترا هذه الآية
تتجافى جنوبهم عن المضاجع الى قوله يعملون رواه مسلم واحمد وعن المغيرة بن شعبة يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال
سال موسى عليه السلم ربه تعالى ما ادنى اهل الجنة منزلة قال هو رجل يجيء بعد ما ادخل اهل الجنة الجنة فيقال له ادخل
الجنة فيقول اي رب كيف وقد اخذ الناس منازلهم واخذوا اخذاتهم فيقال له اترضى ان يكون لك مثل ملك من
ملوك الدنيا فيقول رضيت رب فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت رب فيقول هذا
لك وعشرة امثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت رب قال رب فاعلاهم منزلة قال اولئك
الذين اردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على قلب بشر قال ومصداقه من
كتاب الله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون رواه مسلم افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا
لا يستوون اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوى نزلا بما كانوا يعملون واما
الذين فسقوا فماويهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار
الذي كنتم به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون ومن اظلم
ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها انا من المجرمين منتقمون اخبر تعالى عن عدله وكرمه انه لا يساوي في حكمه
يوم القيمة من كان مؤمنا بآياته متبعا لرسله بمن كان فاسقا اي خارجا عن طاعة ربه مكذبا لرسله كما قال تعالى ام نجعل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار ولهذا قال ههنا افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون

اى عند

اى عند الله يوم القيمة قالوا نزلت في علي بن ابي طالب وعقبة بن ابي معيط ولهذا فصل حكمهم فقال اما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات اي صدقت قلوبهم بآيات الله وعملوا بمقتضاها فلهم جنات الماوى اي التي فيها المساكن والدور والغرف
العالية نزلا اي ضيافة وكرامة بما كانوا يعملون واما الذين فسقوا اي خرجوا عن الطاعة فماويهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا
منها اعيدوا فيها قال فضيل بن عياض والله ان الايدي لموثقة وان الارجل لمقيدة وان اللهب ليرفعهم والملائكة لتقمعهم
وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون اي يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا وقوله ولنذيقنهم من العذاب الادنى
قال ابن عباس وكثيرون يعني بالعذاب الادنى مصائب الدنيا واسقامها وآفاتها وما يحل باهلها مما يبتلي الله به عباده ليتوبوا
اليه ومن اقامة الحدود عليهم وعن ابن مسعود سنون اصابتهم وما اصابهم من القتل والسبي يوم بدر وقال السدي
لم يبق بيت بمكة الا دخله الحزن على قتيل لهم او اسير فاصيبوا او غرموا ومنهم من جمع له الامران وقوله ومن اظلم ممن ذكر
بآيات ربه ثم اعرض عنها اي لا اظلم ممن ذكره الله بآياته وبينها ووضحها له ثم بعد ذلك تركها وجحدها واعرض عنها وتناساها
كانه لا يعرفها قال قتادة اياكم والاعراض عن ذكر الله فان من اعرض عن ذكره فقد اغتر اكبر الغرة واعوز اشد العوز
واعظم من اعظم الذنوب ولهذا قال تعالى مهددا لمن فعل ذلك انا من المجرمين اي الكافرين منتقمون اي سانتقم ممن فعل
ذلك اشد الانتقام ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل وجعلنا
منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما
كانوا فيه يختلفون اخبر تعالى عن موسى الكليم انه آتاه الكتاب وهو التورية وقوله فلا تكن في مرية من لقائه قال قتادة
يعني به ليلة الاسراء وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت ليلة اسري بي موسى رجلا آدم طوالا جعدا كانه من
رجال شنوءة ورايت عيسى رجلا مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الراس ورايت مالكا خازن النار والدجال
في آيات اراهن الله اياه فلا تكن في مرية من لقائه اي من انه راى موسى ولقيه ليلة المعراج وقال السدي اي من تلقي
موسى كتاب الله بالرضا والقبول وهو المراد بقوله في الحديث من لقاء موسى ربه وقوله وجعلناه هدى لبني اسرائيل اي الكتاب
الذي آتيناه كما قال تعالى وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله
وجعلناه هدى لبني اسرائيل قال جعل موسى هدى لبني اسرائيل وفي قوله فلا تكن في مرية من لقائه قال من لقاء موسى ربه
رواه الطبراني وقوله وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون اي لما كانوا صابرين على اوامر الله
وترك زواجره وتصديق رسله واتباعهم فيما جاءوهم به كان منهم ائمة يهدون الى الحق بامر الله ويدعون الى الخير ويامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ثم لما بدلوا وحرفوا سلب ذلك المقام عنهم فصارت قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه
فلا عمل صالحا ولا اعتقاد صحيحا ولهذا قال ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون اي من الاعتقادات
والاعمال اولم يروا كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات افلا يسمعون
اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون
يعني اولم يتبين لهؤلاء المكذبين بالرسل ما اهلك الله قبلهم من الامم الماضية بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم اياهم فلم يبق منهم
باقية ولا اثر ولهذا قال يمشون في مساكنهم اي وهؤلاء المكذبون يمشون في مساكن اولئك المكذبين فلا يرون فيها احدا
ممن كان يسكنها ويعمرها ذهبوا منها كان لم يغنوا فيها ولهذا قال ان في ذلك لآيات اي ان في ذهاب اولئك القوم

وهلاكهم وما حل بهم بسبب تكذيبهم الرسل ونجاة من آمن بهم لآيات وعبر ومواعظ أفلا يسمعون أي أخبارهم كيف كان وقوله أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز يبين تعالى لطفه بخلقه وإحسانه إليهم في إرساله الماء إما من السماء أو من الأنهار والعيون إلى الأراضي المحتاجة إليه في أوقاته ولهذا قال إلى الأرض الجرز وهي التي لا نبات فيها وهي أعم من أرض مصر وغيرها فإنها في نفسها أرض رخوة غليظة محتاجة إلى الماء في أي موضع كانت ولهذا قال فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أي من القت والعشب والتبن وأنفسهم أي من الحبوب والأقوات أفلا يبصرون أي آثار قدرته ولطفه بخلقه قال ابن عباس هي الأرض التي لا تمطر إلا مطرا لا يغني عنها شيئا إلا ما يأتيها من السيول وقال الحسن هي قرى فيما بين اليمن والشام ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون أخبر تعالى عن استعجال الكفار وقوع بأس الله بهم وحلول غضبه ونقمته عليهم استبعادا وتكذيبا وعنادا فقال ويقولون متى هذا الفتح أي متى تنصر علينا يا محمد كما تزعم أن لك وقتا يدال علينا وينتقم لك منا فمتى يكون هذا قال تعالى قل يوم الفتح أي إذا أحل بكم بأس الله وسخطه وغضبه في الدنيا وفي العقبى لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون أي يمهلون ليتوبوا ويعتذروا ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أخطأ وأبعد فإن يوم الفتح قد قبل النبي صلى الله عليه وسلم إسلام الطلقاء وكانوا قريبا من ألفين ولو كان المراد ذلك لما قبل إسلامهم وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل كقوله فافتح بيني وبينهم فتحا الآية وقال إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ثم قال فأعرض عنهم أي عن هؤلاء المشركين وانتظر فإن الله سينجز لك ما وعدك وسينصرك على من خالفك إنه لا يخلف الميعاد فإنك منتظر وهم منتظرون ويتربصون بكم الدوائر وسترى أنت عاقبة صبرك عليهم وعلى أداء رسالة الله من نصرتك وتأييدك وسيجدون غب ما ينتظرونه فيك وفي أصحابك من وبيل عقاب الله لهم وحلول عذابه بهم

تفسير سورة الأحزاب وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عما تعملون خبيرا وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا هذا تنبيه بالأعلى على الأدنى فإنه تعالى إذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا فلأن يأتمر من هو دونه بطريق الأولى وقد قال طلق بن حبيب التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله رجاء ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله مخافة عذاب الله وقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين أي لا تسمع منهم ولا تستشرهم إن الله كان عليما حكيما أي هو أحق أن تتبع أوامره وتطيعه فإنه عليم بعواقب الأمور حكيم في أفعاله وأقواله ولهذا قال واتبع ما يوحى إليك من ربك أي من قرآن وسنة إن الله كان بما تعملون خبيرا أي فلا يخفى عليه خافية وتوكل على الله في جميع أمورك وأحوالك وكفى بالله وكيلا لمن توكل عليه وأناب إليه ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما يقول تعالى موطئا قبل المقصود المعنوي أمرا معروفا حسيا وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه ولا تصير زوجته التي تظاهر منها بقوله أنت علي كظهر أمي أما له كذلك لا يصير الدعي ولدا للرجل إذا تبناه فدعاه ابنا له فقال ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم كقوله تعالى ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا وقوله وما جعل أدعياءكم أبناءكم هذا هو المقصود بالنفي فإنها نزلت في زيد ابن حارثة مولى النبي صلى الله عليه وسلم كان قد تبناه قبل النبوة فكان يقال له زيد بن محمد فأراد الله أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة بقوله وما جعل أدعياءكم أبناءكم كما قال في أثناء هذه السورة ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقال هاهنا ذلكم قولكم بأفواهكم يعني تبنيكم لهم قول لا يقتضي أن يكون ابنا حقيقيا فإنه مخلوق من صلب رجل آخر فما يمكن أن يكون له أبوان كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان والله يقول الحق وهو يهدي السبيل قال ابن جبير الحق العدل وقال قتادة أي يهدي إلى الصراط المستقيم وقال ابن عباس وغير واحد إن هذه الآية نزلت في رجل من قريش كان يقال له ذو القلبين فإنه كان يزعم أن له قلبين كل منهما بعقل وافر فأنزل الله هذه الآية ردا عليه وأخرجه ابن جرير وعن ابن عباس قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يصلي فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه ألا ترون له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فأنزل الله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه رواه أحمد والترمذي وقوله ادعوهم لآبائهم هذا أمر ناسخ لما كان في ابتداء الإسلام من جواز ادعاء الأبناء الأجانب وهم الأدعياء فأمر تعالى برد نسبهم إلى آبائهم في الحقيقة وأن هذا هو العدل والقسط وفي الصحيحين عن ابن عمر أن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله وقد كانوا يعاملونهم معاملة الأبناء من كل وجه في الخلوة بالمحارم وغير ذلك ولهذا لما نسخ هذا الحكم أباح تعالى زوجة الدعي وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش مطلقة زيد بن حارثة وقال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم الآية وأما دعوة الغير ابنا على سبيل التكريم والتحبيب فليس مما نهي عنه في هذه الآية بدليل ما روى ابن عباس قال قدمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أغيلمة بني عبد المطلب على حمرات لنا من جمع فجعل يلطخ أفخاذنا أبيني لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس قال أبو عبيدة أبيني تصغير ابني وكان هذا في حجة الوداع وقوله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم أمر تعالى برد أنساب الأدعياء إلى آبائهم إن عرفوا فإن لم يعرفوا آباءهم فهم إخوانهم في الدين ومواليهم أي عوضا عما فاتهم من النسب ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة أنت أخونا ومولانا وقد جاء في الصحيح من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه فالجنة عليه حرام ثم قال تعالى وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به أي إذا نسبتم بعضهم إلى غير أبيه في الحقيقة خطأ بعد الاجتهاد واستفراغ الوسع فإن الله قد وضع الحرج في الخطأ ورفع إثمه كما جاء في الحديث رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وقوله ولكن ما تعمدت قلوبكم أي وإنما الإثم على من تعمد الباطل في الادعاء إلى غير أبيه تعمدا لنهي وكان الله غفورا رحيما أي لمن تاب وندم على ذلك النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا قد علم الله شفقة رسوله صلى الله عليه وسلم على أمته ونصحه لهم فجعله أولى بهم من أنفسهم وحكمه فيهم مقدما على اختيارهم لأنفسهم كما قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية وفي الصحيح والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين ولهذا قال تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرؤوا إن شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم

[illegible]

رواه البخاري وقوله وازواجه امهاتهم اي في الحرمة والاحترام والاكرام ولكن لا يجوز الخلوة بهن ولا ينتشر التحريم الى بناتهن
واخواتهن بالاجماع وان سمى بعض العلماء بناتهن اخوات المؤمنين وقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله اي في
حكم الله من المؤمنين والمهاجرين اي القرابات اولى بالتوارث من المهاجرين والانصار وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث
بالحلف والمواخاة التي كانت بينهم كما قال ابن عباس وغيره كان المهاجري يرث الانصاري دون قرابته وذوي رحمه للاخوة
التي آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا اي ذهب الميراث وبقي النصر والبر والصلة و
الاحسان والوصية وقوله كان ذلك في الكتاب مسطورا اي هذا الحكم وهو ان اولوا الارحام بعضهم اولى ببعض حكم من الله مقدر مكتوب
في الكتاب الاول الذي لا يبدل ولا يغير وان كان تعالى شرع خلافه في وقت لما له في ذلك من الحكمة البالغة وهو يعلم انه سينسخه الى ما
هو جار في قدره الازلي وقضائه القدري الشرعي واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى
وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسال الصادقين عن صدقهم واعد للكافرين عذابا اليما
اخبر تعالى عن اولي العزم الخمسة وبقية الانبياء انه اخذ عليهم العهد اي الميثاق في اقامة دين الله وابلاغ رسالته والتعاون والتناصر
كما قال تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فهذا العهد والميثاق اخذ عليهم بعد ارسالهم ونص من بينهم على
هؤلاء الخمسة وهم اولوا العزم وهو من باب عطف الخاص على العام فبدا بخاتمهم لشرفه ثم رتبهم بحسب وجودهم وعن ابي هريرة
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم الآية كنت اول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث فبدا بي
قبلهم رواه ابن ابي حاتم وعن ابي هريرة موقوفا خيار ولد آدم خمسة نوح وابرهيم وموسى وعيسى ومحمد وخيرهم محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل ان المراد بهذا الميثاق الذي اخذ من ذريته حين اخرجوا في صورة الذر من صلب آدم وعن ابي بن كعب قال ورفع اباهم
آدم فنظر اليهم يعني ذريته وان فيهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال لو سويت بين عبادك فقال اني احببت
ان اشكر ورأى فيهم الانبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة فهو الذي يقول الله واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك الآية وبه قال مجاهد قال ابن عباس والميثاق الغليظ العهد اي عهدا شديدا على الوفاء بما حملوا ليسال الصادقين
عن صدقهم قال مجاهد اي المبلغين المؤدين عن الرسل وقوله واعد للكافرين اي من اممهم عذابا اليما اي موجعا فنحن نشهد
ان الرسل قد بلغوا رسالة ربهم ونصحوا الامم فما جاؤا به هو الحق ومن خالفهم فهو على الضلال يا ايها الذين امنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا اذ جاؤكم
من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا
اخبر تعالى عن نعمته وفضله واحسانه الى عباده المؤمنين في صرفه الاعداء عنهم عام تحزبوا عليهم في شوال سنة خمس من الهجرة
على الاصح وهو عام الخندق وقيل كانت سنة اربع وكان سبب قدوم الاحزاب ان نفرا من اشراف يهود بني النضير الذين كانوا
قد اجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى خيبر منهم سلام بن ابي الحقيق وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع خرجوا الى مكة
فاجتمعوا باشراف قريش واتفقوا على حرب النبي صلى الله عليه وسلم ووعدوهم من انفسهم النصر والاعانة فاجابوهم الى ذلك ثم خرجوا
الى غطفان فدعوهم فاستجابوا لهم ايضا وخرجت قريش في احابيشها ومن تابعها وقائدهم ابو سفيان صخر بن حرب وعلى غطفان
عيينة بن حصن والجميع قريب من عشرة آلاف فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسيرهم امر المسلمين بحفر الخندق حول المدينة
مما يلي الشرق وذلك باشارة سلمان الفارسي فعمل المسلمون فيه واجتهدوا ونقل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب وحفر وكان في

حفره

[illegible]

يعني واذكر اذ اخذنا يعني اخذ الله عهد الانبياء عليهم السلام عند تحميلهم الرسالة على الوفاء بما حملوا من تبليغ الرسالات واداء الامانات والصدق بعضهم لبعض وايمانهم [illegible] بتبشير بعضهم ببعض اخذ على نوح ان يبشر بابرهيم وعلى ابرهيم ان يبشر بموسى ومن موسى بعيسى ومن عيسى بمحمد صلعم وكان ذلك على لسان جبريل عليه السلم [illegible] بلا واسطة واخذ الميثاق من محمد صلعم ليلة المعراج بلا واسطة [illegible]

ليسال الصادقين يقول اخذ ميثاقهم ليسال الصادقين يعني المبلغين عن [illegible] الرسل [illegible] والحكمة [illegible] الكفار الذين ارسل اليهم [illegible] ليسال الصادقين عن علمهم [illegible]

في حفره آيات بينات وجاء المشركون فنزلوا شرقي المدينة قريبا من احد ونزلت طائفة منهم في اعالي ارض المدينة كما قال تعالى
اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم وخرج رسول الله ومن معه من المسلمين وهم نحو من ثلاثة آلاف فاسندوا ظهورهم الى سلع و
وجوههم نحو العدو والخندق حفير ليس فيه ماء بينهم يحجب الفرسان والرجالة ان يصلوا اليهم وجعل النساء والذراري في آطام
المدينة وكانت بنو قريظة وهم طائفة من اليهود لهم حصن شرقي المدينة ولهم عهد من النبي صلى الله عليه وسلم وذمة وهم قريب
من ثمانمائة مقاتل فذهب اليهم حيي بن اخطب النضري فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد ولحقوا بالاحزاب فعظم الخطب واشتد
الامر وضاق الحال كما قال الله تعالى هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ومكثوا محاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
قريبا من شهر الا انهم لا يصلون اليهم ولم يقع بينهم الا ان عمرو بن عبد ود العامري وكان من الشجعان المشهورين في الجاهلية
ركب ومعه فوارس فاقتحموا الخندق وخلصوا الى ناحية المسلمين فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فامر عليا رضي الله عنه فخرج
اليه فتجاولا ساعة ثم قتله علي وكان علامة على النصر ثم ارسل الله على الاحزاب ريحا شديدة الهبوب حتى لم يبق لهم خيمة ولا شيء ولا توقد
لهم نار ولم يقر لهم قرار حتى ارتحلوا خائبين خاسرين كما قال تعالى فارسلنا عليهم ريحا قال مجاهد هي الصبا ويؤيده الحديث
الآخر نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها وهم الملائكة زلزلتهم والقت في قلوبهم الرعب والخوف فكان
رئيس كل قبيلة يقول يا بني فلان الي فيجتمعون اليه فيقول النجا النجا لما القى الله من الرعب في قلوبهم وفي صحيح مسلم ان رجلا
قال لحذيفة بن اليمان لو ادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلت معه وابليت فقال له حذيفة انت كنت تفعل ذلك لقد
رايتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة ذات ريح شديدة وقر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا رجل ياتيني بخبر القوم يكون
معي يوم القيامة فلم يجبه منا احد ثم الثانية ثم الثالثة مثله ثم قال قم يا حذيفة فاتنا بخبر من القوم فلم اجد بدا اذ دعاني باسمي
ان اقوم فقال ائتني بخبر القوم ولا تذعرهم علي فمضيت قال كانما امشي في حمام حتى اتيتهم فاذا ابو سفيان يصلي ظهره بالنار
فوضعت سهما في كبد قوسي واردت ان ارميه ثم ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تذعرهم علي ولو رميته لاصبته قال
فرجعت كانما امشي في حمام فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اصابني البرد حين فرغت وقررت فاخبرت رسول الله صلى الله عليه و
سلم فالبسني من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها فلم ازل نائما حتى الصبح فلما ان اصبحت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا نومان
وقوله اذ جاؤكم اي الاحزاب من فوقكم اي من قبل المشرق وهم اسد وغطفان ويهود قريظة ومن اسفل منكم وهم قريش وكنانه واذ
زاغت الابصار اي مالت وشخصت من الرعب وبلغت القلوب الحناجر اي زالت عن اماكنها حتى بلغت الحلوق من الفزع والحنجرة
جوف الحلق وهذه مبالغة في شدة الخوف على طريق التمثيل وتظنون بالله الظنونا اي اختلف الظنون فظن المنافقون استيصال
المؤمنين وظن المؤمنون الظفر والنصر وعن ابي سعيد قال قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقول فقد بلغت القلوب
الحناجر قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا قال فضرب وجوه اعدائه بالريح فهزمهم بها رواه احمد هنالك
ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله و
رسوله الا غرورا واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستاذن فريق منهم النبي
يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا اخبر تعالى عن حال نزول الاحزاب حول المدينة
والمسلمون في غاية الجهد والضيق والحصار ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم انهم ابتلوا واختبروا وزلزلوا زلزالا شديدا
اي اضطربوا وتحركوا حركة شديدة فحينئذ ظهر النفاق وتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في انفسهم واذ يقول المنافقون اي

[illegible]

عبد الله بن أبي ومعتب بن قشير وآخرون والذين في قلوبهم مرض أي شك وشبهة وضعف إيمان تنفس بما يجده من
الوسواس في نفسه لشدة ما هو فيه من ضيق الحال ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا وهو قول أهل النفاق يعدنا محمد فتح قصور
الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يتجاوز رحله هذا والله الغرور وقوم آخرون قالوا كما قال تعالى وإذ قالت طائفة منهم
يا أهل يثرب يعني المدينة قال أبو عبيدة يثرب اسم أرض ومدينة الرسول في ناحية منها وفي الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى
أن يسمى المدينة يثرب وقال هي طابة كما في مسند أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله هي
طابة هي طابة قيل وسميت يثرب برجل نزلها من العماليق لا مقام لكم أي ههنا يعنون عند النبي صلى الله عليه وسلم في مقام
المرابطة فارجعوا أي إلى بيوتكم ومنازلكم ويستأذن فريق منهم النبي قال ابن عباس هم بنو حارثة قالوا بيوتنا نخاف عليها
السرق قاله هو أوس بن قيظي يعني اعتذروا في الرجوع إلى منازلهم بأنها عورة أي ليس دونها ما يحجبها من العدو فهم
يخشون عليها منهم قال الله وما هي بعورة أي ليست كما يزعمون إن يريدون إلا فرارا أي هربا من الزحف **ولو دخلت عليهم
من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون
الأدبار وكان عهد الله مسؤلا قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا
قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا**
أخبر تعالى عن هؤلاء الذين قالوا إن بيوتنا عورة أنهم لو دخل عليهم الأعداء من كل جانب من جوانب المدينة ثم سئلوا الفتنة
وهي الدخول في الكفر لكفروا سريعا وهم لا يحافظون على الإيمان ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفزع ولهذا ذمهم شديدا
ثم قال تعالى يذكرهم بما كانوا عاهدوا الله من قبل هذا الخوف أن لا يولون الأدبار ولا يفرون من الزحف وكان عهد الله
مسؤلا أي أن الله سيسألهم عن ذلك العهد ولا بد من ذلك ثم أخبرهم أن فرارهم ذلك لا يؤخرهم آجالهم ولا يطول أعمارهم
بل ربما كان سببا في تعجيل أخذهم غرة ولهذا قال وإذا لا تمتعون إلا قليلا أي بعد هربكم وفراركم ثم قال قل من ذا الذي يعصمكم
أي يمنعكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا أي ليس لهم ولا لغيرهم من دون
الله مجيرا ولا مغيثا **قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا أشحة
عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم
بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا** يخبر تعالى عن إحاطة
علمه على المعوقين أي المثبطين لغيرهم عن شهود الحرب والقائلين لإخوانهم أي أصحابهم وخلطائهم هلم إلينا أي إلى ما نحن
فيه من الإقامة في الظلال والثمار وهم مع ذلك لا يأتون البأس إلا قليلا أشحة عليكم أي بخلاء بالمودة والشفقة عليكم وقيل
أي في الغنائم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم أي في الرؤس من الخوف كالذي أي كدوران عين الذي
يغشى عليه من الموت أي من شدة خوفه وجزعه فإنه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف وهكذا خوف هؤلاء الجبناء
من القتال فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أي فإذا كان الأمن تكلموا كلاما بليغا فصيحا عاليا وادعوا لأنفسهم
المقامات العالية في الشجاعة وهم يكذبون في ذلك قال ابن عباس سلقوكم أي استقبلوكم وقال قتادة أما عند الغنيمة فأشح
قوم وأسوأه مقاسمة أعطونا أعطونا قد شهدنا معكم وأما عند البأس فأجبن القوم وأخذله للحق وهم مع ذلك أشحة على
الخير أي ليس فيهم خير قد جمعوا الكذب والجبن وقلة الخير فهم كما قال الشاعر: أفي السلم أعيارا جفاء وغلظة

لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا

تدور أعينهم ص

أشحة جمع شحيح وهو البخيل أي بخلاء عليكم
بكل خير لا يحبون أن ينالكم [illegible] يا
معشر المسلمين خير والظفر ووصفهم الله
بالبخل والجبن أي هم جبناء عند القتال
بخلاء عند العطاء [illegible] أشحة على [illegible]
[illegible] الناس [illegible] عنه
الناس [illegible] عند الإنفاق على فقراء
المسلمين

واعلم أن الجبن سببه البخل فلما ذكر البخل بين سببه
وهو الجبن والذي يدل عليه أن الجبان يبخل بماله
[illegible] في سبيل الله لأنه لا يتوقع الظفر فلا يرجو الغنيمة
[illegible] وأما الشجاع فيتوقع
الظفر والاغتنام فيهون عليه إخراج المال [illegible]
[illegible] وأما بالنفس والبدن فكذلك لأن الجبان
يخاف [illegible] [illegible] وأما الشجاع
[illegible] فيقدم

وفي الحرب

وفي الحرب أمثال النساء العوارك. أي في حال المسالمة كأنهم الحمر والأعيار جمع عير وهو الحمار وفي الحرب كأنهم
النساء الحيض ولهذا قال تعالى أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم أي بطل الله جهادهم وكان ذلك على الله يسيرا
أي سهلا هينا عنده **يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب
يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا** هذا أيضا من صفاتهم الذميمة في الجبن والخوف يحسبون
الأحزاب لم يذهبوا أي بل هم قريب منهم وأن لهم عودة إليهم وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب
أي ويودون إذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكونون حاضرين معكم في المدينة بل في البادية يسألون الأعراب عن خبركم وما
كان من أمركم مع عدوكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا أي ولو كانوا بين أظهركم لما قاتلوا معكم إلا قليلا لكثرة جبنهم
وذلتهم وضعف يقينهم **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر
وذكر الله كثيرا ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله
وما زادهم إلا إيمانا وتسليما** هذه الآية أصل عظيم في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أفعاله وأقواله وأحواله
ولهذا أمر الناس بالاقتداء به يوم الأحزاب في صبره ومرابطته وانتظاره الفرج من ربه ولهذا قال تعالى للذين
تضجروا واضطربوا في أمرهم يومئذ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة أي هلا اقتديتم به وتأسيتم في شمائله
ولهذا قال لمن كان يرجو الله أي يرجو ثواب الله ويخشاه واليوم الآخر أي يخشى يوم البعث وذكر الله كثيرا أي في جميع المواطن
في السراء والضراء ثم وصف المؤمنين المصدقين بموعد الله لهم يوم الأحزاب فقال ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا
الله ورسوله وصدق الله ورسوله قال ابن عباس وغيره يعنون قوله تعالى في سورة البقرة أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم
مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله
قريب أي هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار الذي يعقبه النصر القريب ولهذا قالوا وصدق الله ورسوله وما
زادهم إلا إيمانا وتسليما دليل على زيادة الإيمان وقوته بالنسبة إلى الناس وأحوالهم كما قاله الجمهور أنه يزيد وينقص وقد قررنا ذلك
في أول شرح البخاري أي وما زادهم ذلك الحال والضيق والشدة إلا انقيادا لأوامر الله وطاعة لرسوله **من المؤمنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين
بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما** لما أخبر تعالى عن المنافقين
أنهم نقضوا العهد وصف المؤمنين بأنهم استمروا على العهد وصدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه أي عهده
وقيل أجله ومنهم من ينتظر أي أحد الأمرين إما الشهادة وإما النصرة وما بدلوا تبديلا أي وما غيروا عهد الله وما نقضوه
ولا بدلوه وقال أنس بن مالك نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النضر رواه البخاري قال أنس بن مالك غاب عمي أنس بن النضر
عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن الله أشهدني مشهدا فيما بعد ليرين الله ما أصنع
فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فاستقبل سعد بن معاذ فقال له يا أبا عمرو أين واها لريح الجنة أجده دون
أحد قال فقاتلهم حتى قتل قال فوجد في جسده بضع وثمانون من ضربة وطعنة ورمية فقالت أخته عمتي الربيع بنت
النضر فما عرفت أخي إلا ببنانه قال فنزلت هذه الآية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية قال فكانوا يرون أنها نزلت فيه
وفي أصحابه رواه أحمد ومسلم وأكثر أهل السنن وعن معاوية قال أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم طلحة ممن قضى نحبه رواه

معنى الآية من يتوقع الجزاء [illegible] من الشدائد [illegible]
[illegible] النبي عليه السلام [illegible] أسوة ولا يكره
أن يصيبه [illegible] [illegible]
عنه [illegible] [illegible]

من المؤمنين رجال صدقوا [illegible]
[illegible]
[illegible]
فمنهم من [illegible] صدقه ومنهم من [illegible]
في الحيوة والممات [illegible] وحقيقة الصدق
حفظ العهد [illegible]

ابن جرير قال مجاهد ومنهم من ينتظر اي يوما فيه قتال فيصدق في اللقاء وقال الحسن فمنهم من قضى نحبه اي موته
على الصدق والوفاء ومنهم من ينتظر الموت على مثل ذلك ومنهم من بدل تبديلا وقوله وما بدلوا اي وما غيروا عهدهم
ولا بدلوا الوفاء بالغدر بل استمروا على ما عاهدوا الله وما نقضوه كفعل المنافقين الذين قالوا ان بيوتنا عورة الاية
وقوله ليجزي الله الصادقين بصدقهم اي انما يختبر عباده بالخوف والزلزال ليميز الخبيث من الطيب فيظهر امر هذا
بالفعل وهذا بالفعل مع انه تعالى يعلم الشيء قبل كونه ولكن لا يعذب الخلق بعلمه فيهم حتى يعملوا بما يعلمه منهم كما قال تعالى
ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم فهذا علم بالشيء بعد كونه وان كان العلم السابق حاصلا به قبل
وجوده ولهذا قال ههنا ليجزي الله الصادقين بصدقهم اي بصبرهم على ما عاهدوا الله عليه وقيامهم به ومحافظتهم عليه
ويعذب المنافقين وهم الناقضون لعهد الله المخالفون لاوامره فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه ولكن هم تحت مشيته
في الدنيا ان شاء استمر بهم على ما فعلوا حتى يلقوه به فيعذبهم عليه وان شاء تاب عليهم بان ارشدهم الى ترك النفاق والى
الاخلاص في الايمان والعمل الصالح بعد الفسوق ولما كانت رحمته ورافته بخلقه هي الغالبة لغضبه قال ان الله كان
غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المومنين القتال وكان الله
قويا عزيزا اخبر تعالى عن الاحزاب لما اجلاهم عن المدينة بما ارسل اليهم من الريح والجنود الغيبية وفرق جماعتهم
وردهم خائبين خاسرين بغيظهم وحنقهم لم ينالوا خيرا في الدنيا مما كان في انفسهم من الظفر والمغنم ولا في الاخرة
بما تحملوه من الاثام ومبارزة الرسول بالعداوة وهمهم بقتله واستيصال جيشه وقوله وكفى الله المومنين القتال اي
لم يحتاجوا الى منازلتهم ومبارزتهم حتى يجلوهم عن بلادهم بل كفى الله وحده ونصر عبده واعز جنده ولهذا كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده فلا شيء بعده هكذا في الصحيحين
وفيهما انه عليه الصلوة والسلم دعا على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم و
زلزلهم وفي قوله وكفى الله المومنين القتال اشارة الى وضع الحرب بينهم وبين قريش وهكذا كان بعدها لم يغزهم
المشركون بل غزاهم المسلمون في بلادهم قال ابن اسحق فلما انصرفوا عن الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا لن
تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم فلم تغز قريش بعد ذلك وكان هو يغزوهم حتى فتح الله عليه مكة وهذا
الحديث صحيح كما في البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب الان نغزوهم ولا يغزونا وقوله وكان الله قويا عزيزا
اي بحوله وقوته ردهم خائبين لم ينالوا خيرا واعز الله الاسلام واهله وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من
صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتاسرون فريقا واورثكم ارضهم وديارهم
واموالهم وارضا لم تطاوها وكان الله على كل شيء قديرا قد سبق ان قريظة لما قدمت جنود الاحزاب
ونزلوا على المدينة نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد وكان سببه ان حيي بن اخطب النضري
دخل حصنهم ولم يزل بسيدهم كعب بن اسد حتى نقض العهد واشترط له حيي ان ذهب الاحزاب ولم يكن من امرهم
شيء ان يدخل معهم في الحصن فيكون اسوتهم فلما نقضت قريظة العهد وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ساءه
وشق على المسلمين جدا فلما ايده الله ونصره وكبت الاعداء وردهم خائبين باخسر صفقة ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المدينة مويدا منصورا ووضع الناس السلاح فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل في بيت ام سلمة اذ تبدى له جبريل

ليجزي الله الصادقين بصدقهم في الدنيا بالتمكين والنصرة
على العدو وفي الآخرة بتحصيل الثواب وجزيل الماب
والخلود في النعيم المقيم ويعذب المنافقين ان شاء
او يتوب عليهم على الوجه الذي سبق به العلم وتعلق
به المشية

معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة ديباج فقال اوضعت السلاح يا رسول الله قال نعم قال لكن الملائكة لم تضع
اسلحتها ثم قال ان الله امرك ان تنهض الى بني قريظة وامرني ان ازلزل عليهم فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم من
فوره وامر الناس بالمسير الى بني قريظة وكانت على اميال من المدينة وذلك بعد صلوة الظهر وقال لا يصلين احدكم العصر الا في
بني قريظة فسار الناس فادركتهم الصلوة في الطريق فصلى بعضهم في الطريق وقالوا لم يرد منا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
تعجيل السير وقال آخرون لا نصليها الا في بني قريظة فلم يعنف واحدا من الفريقين وتبعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطى
الراية علي بن ابي طالب ثم نازلهم وحاصرهم خمسا وعشرين ليلة فلما طال عليهم الحال نزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الاوس
لانهم كانوا حلفاءهم في الجاهلية واعتقدوا انه يحسن اليهم في ذلك ولم يعلموا ان سعدا رضي الله عنه كان قد اصابه
سهم في اكحله ايام الخندق فكواه رسول الله صلى الله عليه وسلم في اكحله وانزله في قبة في المسجد ليعوده من قريب فقال سعد
فيما دعا به اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيئا فابقني لها وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها ولا تمتني
حتى تقر عيني من بني قريظة فاستجاب الله دعاءه وقدر عليهم ان نزلوا على حكمه باختيارهم طلبا من تلقاء انفسهم فعند
ذلك استدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ليحكم فيهم فلما اقبل وهو راكب على حمار قد وطئوا له عليه جعل الاوس
يلوذون به ويقولون يا سعد انهم مواليك فاحسن فيهم ويرققونه عليهم وهو ساكت لا يرد عليهم فلما اكثروا عليه قال
لقد آن لسعد ان لا ياخذه لومة لائم فعرفوا انه غير مستبقيهم فلما دنا من الخيمة التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم فقام اليه المسلمون فانزلوه اعظاما واكراما له في محل ولايته ليكون انفذ
لحكمه فيهم فلما جلس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هولاء واشار اليهم قد نزلوا على حكمك فاحكم فيهم بما شئت فقال
وحكمي نافذ عليهم قال نعم قال وعلى من في هذه الخيمة قالوا نعم قال وعلى من ههنا واشار الى الجانب الذي فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو معرض بوجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا واعظاما له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال
اني احكم ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذريتهم واموالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة
ارقعة وفي رواية لقد حكمت بحكم الملك ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاخاديد فخدت في الارض وجيء بهم مكتفين فضرب
اعناقهم وكانوا ما بين السبعمائة الى ثمانمائة وسبى من لم ينبت منهم مع النساء واموالهم وهذا كله مقرر مفصل في كتاب
السير ولهذا قال تعالى وانزل الذين ظاهروهم اي عاونوا الاحزاب وساعدوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود
قريظة من بني اسرائيل وقد نزل اباؤهم الحجاز قديما طمعا في اتباع النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية فلما جاءهم ما
عرفوا كفروا به فعليهم لعنة الله وقوله من صياصيهم يعني حصونهم واحدها صيصية ومنه قيل لقرون البقر صياصي لانها اعلى شيء
فيها وقذف في قلوبهم الرعب وهو الخوف لانهم مالوا الى المشركين على حرب النبي صلى الله عليه وسلم وليس من يعلم كمن لا يعلم وخوفوا
المسلمين وراموا قتلهم ليعزوا في الدنيا فانعكس عليهم الحال وانقلب اليهم القال فاذلوا واستوصلوا واضيف الى ذلك شقاوة
الآخرة فعادوا بالصفقة الخاسرة ولهذا قال فريقا تقتلون وتاسرون فريقا فالذين قتلوا هم المقاتلة والاسراء هم الاصاغر والنساء
وقوله واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم اي جعلها لكم من قتلكم لهم وارضا لم تطؤها قيل هي خيبر وقيل مكة وقيل فارس والروم قال
ابن جرير يجوز ان يكون الجميع مرادا وكان الله على كل شيء قديرا يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا و
زينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان

الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما هذا ما امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يخير نساءه بين ان يفارقهن
فيذهبن الى من عنده الدنيا وزينتها وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال ولهن عند الله في ذلك الثواب الجزيل فاخترن رضا الله
منهن وارضاهن الله ورسوله والدار الآخرة فجمع الله لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة عن عائشة رضي الله عنها ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءها حين امره الله ان يخير ازواجه قالت فبدا بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني ذاكر لك
امرا فلا عليك ان تستعجلي حتى تستامري ابويك وقد علم ان ابوي لم يكونا يامراني بفراقه قالت ثم قال ان الله قال يا ايها النبي قل
لازواجك الى تمام الآيتين فقلت له ففي اي هذا استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الآخرة وفي رواية ثم خير نساءه
كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة هكذا في الصحيحين وغيرهما من السنن والمسانيد وله طرق وروايات وفيهما قالت عائشة خيرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه فلم يعدها علينا شيئا وعن جابر قال اقبل ابو بكر رضي الله عنه يستاذن على رسول الله صلى الله عليه
وسلم والناس ببابه جلوس والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فلم يؤذن له ثم اقبل عمر فاستاذن فلم يؤذن له ثم اذن لابي بكر وعمر
فدخلا والنبي صلى الله عليه وسلم جالس وحوله نساؤه وهو ساكت فقال عمر لاكلمن النبي صلى الله عليه وسلم لعله يضحك فقال عمر يا رسول الله
لو رايت ابنة زيد امراة عمر سالتني النفقة آنفا فوجات عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدا نواجذه فقال هن حولي يسالنني
النفقة فقام ابو بكر الى عائشة ليضربها وقام عمر الى حفصة كلاهما يقولان تسالان النبي صلى الله عليه وسلم النفقة ما ليس عنده فنهاهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن اي نساؤه والله لا نسال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا المجلس ما ليس عنده قال وانزل الله
عز وجل الخيار فبدا بعائشة فقال اني ذاكر لك امرا ما احب ان تعجلي فيه حتى تستامري ابويك قالت ما هو قال فتلا عليها يا
ايها النبي قل لازواجك الآية قالت عائشة افيك استامر ابوي بل اختار الله ورسوله واسالك ان لا تذكر لامراة من نسائك
ما اخترت فقال ان الله لم يبعثني معنتا ولكن بعثني معلما ميسرا لا تسالني امراة منهن عما اخترت الا اخبرتها رواه مسلم
واحمد والنسائي وقوله تعالى امتعكن اي اعطيكن متعتكن واسرحكن اي اخليكن بالطلاق واختلفوا في جواز
تزوج غيره لهن لو طلقهن على قولين اصحهما نعم لو وقع ليحصل المقصود من السراح والله اعلم قال عكرمة وكانت تحته يومئذ
تسع نسوة خمس من قريش عائشة وحفصة وام حبيبة وسودة وام سلمة وكانت تحته صفية بنت حيي النضرية وميمونة
بنت الحرث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية رضي الله عنهن يا نساء النبي
من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت
منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما قال تعالى واعظا نساء النبي
صلى الله عليه وسلم اللاتي اخترن الله ورسوله بان من يات منكن بفاحشة مبينة قال ابن عباس يعني النشوز وسوء الخلق وعلى
بمعصية ظاهرة
كل تقدير فهو شرطية والشرط لا يقتضي الوقوع كقوله تعالى ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك وغيره من
الآيات ولما كانت مرتبتهن رفيعة ناسب ان يجعل الذنب لو وقع منهن مغلظا بحسبه ولهذا قال يضاعف لها العذاب ضعفين
تضعيف عقوبة الحرة على الامة [illegible]
اي في الدنيا وكان ذلك على الله يسيرا اي سهلا هينا ثم ذكر عدله وفضله في قوله ومن يقنت منكن لله ورسوله اي يطيع الله [illegible]
رسوله وتداومت على العمل الصالح نؤتها اجرها مرتين اي مثلي اجر غيرها واعتدنا لها اي في الجنة رزقا كريما فانهن في منازل رسول
الله صلى الله عليه وسلم في اعلا عليين يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول
فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن

[illegible]

الصلوه

الصلوة وآتين الزكوة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا هذه اداب امر الله بها نساء
النبي صلى الله عليه وسلم ونساء الامة تبع لهن في ذلك فقال مخاطبا لنساء النبي عليه الصلوة والسلام اذا اتقيتن الله كما امركن فانه
لا يشبهكن احد من النساء ولا يلحقكن في الفضيلة ثم قال فلا تخضعن بالقول اي لا ترققن الكلام اذا خاطبتن الرجال ولهذا
قال فيطمع الذي في قلبه مرض اي خيانة وفجور وقلن قولا معروفا اي حسنا معروفا في الخير يعني انها تخاطب الاجانب بالغلظة
في المقال بحيث تقطع الاطماع من غير خضوع لكن بوجه الدين والاسلام وقوله وقرن في بيوتكن اي الزمن بيوتكن فلا تخرجن
بغير حاجة فمن الحوائج الشرعية الصلوة في المسجد بشرطه لا تمنعوا اماء الله مساجد الله وليخرجن وهن تفلات وفي رواية
وبيوتهن خير لهن وقوله ولا تبرجن قالوا التبرج هو التكسر والتغنج والتبختر واظهار الزينة وابراز المحاسن للرجال وقوله
تبرج الجاهلية الاولى قال ابن عباس كانت فيما بين نوح وادريس وكانت الف سنة وان بطنين من بني آدم احدهما يسكن السهل
والآخر يسكن الجبل وكان رجال الجبل صباحا وفي النساء دمامة ونساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة وان ابليس اتى رجلا
من اهل السهل في صورة غلام فآجر وكان يخدمه واخذ ابليس شيئا مثل الذي يزمر فيه الرعاء فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ
ذلك من حوله فانتابوهم يستمعون اليه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه في السنة فيتبرج الرجال للنساء قال ويتزين الرجال لهن وان
رجلا من اهل الجبل هجم عليهم في عيدهم فراى النساء وصباحتهن فاتى اصحابه فاخبرهم بذلك فتحولوا اليهن فنزلوا معهن فظهرت
الفاحشة فيهن فهو قول الله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقوله واقمن الصلوة نهاهن اولا عن الشر ثم امرهن بالخير من
اقامة الصلوة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وايتاء الزكوة وهي الاحسان الى المخلوقين واطعن الله ورسوله وهذا من باب عطف
العام على الخاص وقوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا هذا نص في دخول ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم في اهل البيت ههنا لانهن سبب نزول هذه الآية وسبب النزول داخل فيه قولا واحدا اما وحده على قول او مع غيره
على الصحيح وعن عكرمة انه كان ينادي بهذه الآية بالسوق انها نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة رواه ابن جرير و
ابن ابي حاتم وهكذا قال ابن عباس والمراد انهن كن سبب نزوله ولكن دلت الاحاديث على انها اعم من ذلك كما روى انس ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة ستة اشهر اذا خرج الى صلوة الفجر يقول الصلوة يا اهل البيت انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا رواه احمد والترمذي وحسنه وغيره وعن عائشة قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة
وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن بن علي بن ابي طالب فادخله ثم الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فادخلها
ثم جاء علي فادخله ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا رواه مسلم وعن واثلة بن الاسقع
قال اتيت ~~رسول الله صلى الله عليه وسلم~~ فاطمة اسالها عن علي فقالت توجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست انتظره
حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي وحسن وحسين آخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فادنى عليا وفاطمة
واجلسهما بين يديه واجلس حسنا وحسينا كل واحد على فخذه ثم لف عليهم ثوبه او قال كساء ثم تلا هذه الآية انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال اللهم هؤلاء اهل بيتي واهل بيتي احق رواه احمد ولهذا الحديث
رواة وطرق مشهورة وعن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه
ووعظ وذكر ثم قال اما بعد الا ايها الناس فانما انا بشر يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيب وانا تارك فيكم الثقلين اولهما

قوله لستن كاحد من النساء قال ابن عباس اي قدركن عندي
ليس مثل قدر غيركن من النساء الصالحات انتن اكرم علي و
ثوابكن اعظم وذلك للمتقين فان اتقيتن فجعل التقوى
شرطا للخيرية كما جعل الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر شرطا للخيرية بهذه الامة في قوله كنتم خير امة

قراه نافع وعاصم بفتح القاف وهو من الوقار يقول قررت بالمكان
اقر قرارا اي اقررن فحذفت الراء الاولى ونقلت حركتها
الى القاف فانفتحت وسقطت الراء الاولى لالتقاء الساكنين
كقوله فظلتم تفكهون يعني ظللتم ولم يخرج بعد الآية سودة
بنت زمعة ما خرجت من حجرتها للصلوة ولا لحج ولا لعمرة
حتى اخرج جنازتها من بيتها في زمن عمر بن الخطاب وقيل لها لم لا
تحجين ولا تعتمرين فقالت قيل لنا وقرن في بيوتكن

نقشه منه

[illegible]

كتابُ الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغّب فيه ثم قال واهل بيتى اذكركم الله في اهل بيتى اذكركم الله في اهل بيتى ثلثا رواه مسلم ثم الذى لا يشك من تدبّر القران ان نساء النبى صلى الله عليه وسلم داخلات في هذه الاية لما سبق ولهذا قال بعد ذلك واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة يعنى واعملن بما ينزل الله على رسوله في بيوتكن من الكتاب والسنة واذكرن هذه النعمة التى خصصتكن من بين الناس ان الوحى ينزل في بيوتكن دون سائر الناس واما آله عليه الصلوة والسلام الذين حرمت عليهم الزكوة فهم بنو هاشم وبنو المطلب ومواليه بايعهم في ذلك كما هو مقرر في الفقه وقوله ان الله كان لطيفا خبيرا اى بلطفه بكن بلغتن هذه المنزلة وبخبرته بكن وانكن اهل لذلك اعطاكن ذلك وخصكن بذلك قال ابن جرير واذكرن نعمة الله عليكن بان جعلكن في بيوت تتلى آيات الله والحكمة واشكرن الله على ذلك واحمدنه ان الله كان لطيفا اى ذا لطف بكن اذ جعلكن في البيوت التى تتلى فيها آياته وحكمته وهى سنته خبيرا بكن اذ اختاركن لرسوله ازواجا وقيل اى لطيفا باستخراجها خبيرا بموضعها

ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما

عن ام سلمة قالت قلت للنبى صلى الله عليه وسلم ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال قالت فلم يرعنى منه ذات يوم الا ونداؤه على المنبر قالت وانا اسرح شعرى فلففت شعرى ثم خرجت الى حجرتى حجرة بيتى فجعلت سمعى عند الجريد فاذا هو يقول على المنبر يا ايها الناس ان الله يقول ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الى اخر الاية رواه احمد والنسائى فقوله ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات دليل على ان الايمان غير الاسلام وهو اخص منه كقوله قالت الاعراب آمنا الاية وفى الصحيحين لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن فيسلبه الايمان ولا يلزم من ذلك كفره بالاجماع فدل على انه اخص منه كما قررنا في اول شرح البخارى والقانتين والقانتات القنوت هو الطاعة في سكون كما قال تعالى وقوموا لله قانتين والعطف ههنا للترقى فان القنوت ناشئ عنهما والصادقين والصادقات هذا في الاقوال فان الصدق خصلة محمودة وهو علامة الايمان كما ان الكذب امارة على النفاق وفى الصحيحين عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا واياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور والفجور يهدى الى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا والصابرين والصابرات هذه سجية الاثبات وهى الصبر على المصاب والعلم بان المقدر كائن لا محالة وتلقى ذلك بالصبر والثبات والخاشعين والخاشعات اى السكون والطمانينة والتؤدة والوقار والحامل عليه الخوف من الله ومراقبته كما في الحديث اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والمتصدقين والمتصدقات الصدقة هى الاحسان الى الناس المحاويج الضعفاء الذين لا كسب لهم ولا كاسب حسبة لله وفى الحديث الصحيح الصدقة تطفئ الخطيئة كما تطفئ الماء النار والصائمين والصائمات وفى حديث ابن ماجة الصوم زكوة البدن اى يزكيه ويطهره وينقيه من الاخلاط الرديئة طبعا وشرعا ولما كان الصوم من اكبر العون على كسر الشهوة ناسب ان يذكر بعده والحافظين فروجهم والحافظات اى عن المحارم والمآثم الا عن المباح كما قال الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم الاية وقوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات عن ابى سعيد

[illegible]

واوكد ما يحمل الراجات كلما فتحتهن [illegible] فيفتنهن عنها [illegible] الى [illegible] عن [illegible] من الصلوة والزكوة

ان رسول

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا ايقظ الرجل امراته من الليل فصليا ركعتين كانا تلك الليلة من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات رواه ابو داود والنسائى وعن ابى سعيد ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اى العباد افضل وارفع درجة عند الله يوم القيمة قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات رواه ابو داود والنسائى وعن ابى سعيد ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اى العباد افضل وارفع درجة عند الله يوم القيمة قال الذاكرون الله كثيرا قيل يا رسول الله ومن الغازى في سبيل الله قال لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما فان الذاكر لله افضل منه درجة رواه احمد والترمذى وسنذكر الاحاديث الواردة في فضل الذكر في تفسير هذه السورة

وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا

عن ابن عباس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة فاستنكفت منه وقالت انا خير منه حسبا وكانت امراة فيها حدة فانزل الله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا الاية كلها فاجابت وعن انس قال خطب النبى صلى الله عليه وسلم على جليبيب امراة من الانصار الى ابيها فقال حتى استامر امها فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم فانطلق الرجل الى امراته فذكر ذلك لها فقالت لاها الله اذا ما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا جليبيبا وقد منعناها من فلان وفلان والجارية في سترها تسمع فقالت الجارية اتريدون ان تردوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم امره ان كان قد رضيه لكم فانكحوه قالا صدقت فذهب ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان كنت رضيته فقد رضيناه قال فانى قد رضيته فزوجها ثم فزع اهل المدينة فركب جليبيب فوجدوه قد قتل وحوله ناس من المشركين قد قتلهم رواه احمد وكان ذلك في غزاة احد فهذه الاية عامة في جميع الامور وذلك انه اذا حكم الله ورسوله بشىء فليس لاحد مخالفته ولا اختيار لاحد ههنا ولا راى ولا قول كما قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية وفى الحديث والذى نفسى بيده لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به ولهذا شدد في خلاف ذلك فقال ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا اى اخطا وضل عن طريق الصواب خطا عظيما ظاهرا

واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا

اخبر تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم انه قال لمولاه زيد بن حارثة وهو الذى انعم الله عليه اى بالاسلام ومتابعة الرسول عليه الصلوة والسلام وانعمت عليه اى بالاعتاق وكان سيدا كبير الشان حبيبا الى النبى صلى الله عليه وسلم يقال له الحب ويقال لابنه اسامة حب ابن الحب قالت عائشة ما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية الا امره عليهم ولو عاش بعده لاستخلفه رواه احمد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوجه ابنة عمته زينب بنت جحش الاسدية وامها ميمونة بنت عبد المطلب واصدقها عشرة دنانير وستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وخمسين مدا من طعام وعشرة امداد من تمر قاله مقاتل بن حيان فمكثت عنده قريبا من سنة او فوقها ثم وقع بينهما ما وقع فجاء زيد يشكوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول امسك عليك زوجك واتق الله قال الله تعالى وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وقد ذكر بعض السلف ههنا آثارا احببنا ان نعرض عنها ولا نوردها وقد روى البخارى بعض ذلك مختصرا عن انس ان هذه الاية وتخفى في نفسك ما الله مبديه نزلت في شان زينب بنت جحش وزيد بن حارثة رضى الله عنهما كما قال على بن الحسين كان الله اعلم نبيه انها ستكون من ازواجه قبل ان يتزوجها فلما اتاه زيد ليشكوها اليه

[illegible] مخالفت [illegible]

نزلت في زينب بنت جحش الاسدية واخيها عبد الله بن جحش وامهما اميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله خطب رسول الله زينب على مولاه زيد بن حارثة وكان زيد مولى رسول الله اشتراه من سوق عكاظ بمال خديجة فاعتقه وتبناه وكان شديد الحب له ولابنه اسامة حتى انه اخر الافاضة عن عرفات لاجله وكان ذهب يعنى الى حاجة وكان زيد اسود افطس فلما رجع قال رجل من اهل اليمن لرسول الله احتبستنا لاجله فدعا رسول الله عليهم فلما خطبها رسول الله على زيد قالت يا رسول الله تخطبنى على مولى وانا ايم قريش وبنت عمتك فقال رسول الله انا ارضاه لك قالت لكنى لا ارضاه لنفسى وكانت زينب بيضاء جميلة فيها حدة وكذلك كره اخوها عبد الله ذلك فنزلت هذه الاية فلما سمعت اطاعت ورضيت وكذلك رضى اخوها وجعلت امرها بيد رسول الله فبعث اليها رسول الله عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وازارا وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلثين صاعا من تمر

قال اتق الله وامسك عليك زوجك فقال قد اخبرتك اني مزوجكها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وعن السدي نحوه وعن عائشة رضي الله عنها قالت لو كتم محمد صلى الله عليه وسلم شيئا مما اوحي اليه من كتاب الله لكتم وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وقوله فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها الوطر هو الحاجة والارب اي لما فرغ منها وفارقها زوجناكها [illegible] وكان الذي ولي تزويجها منه الله عز وجل بمعنى انه اوحى اليه ان يدخل عليها بلا ولي ولا عقد ولا مهر ولا شهود من البشر وفي الصحيحين عن انس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرها علي فانطلق حتى اتاها وهي تخمر عجينها قال فلما رايتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها واقول لها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي وقلت يا زينب ابشري ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما انا بصانعة شيئا حتى اؤامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن ولقد رايتنا حين دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعمنا عليها الخبز واللحم فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل يتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يا رسول الله كيف وجدت اهلك فما ادري انا اخبرته ان القوم قد خرجوا او اخبر قال فانطلق حتى دخل البيت فذهبت ادخل معه فالقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الاية والسياق لاحمد وفي البخاري ان زينب بنت جحش تفتخر على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن اهلوكن وزوجني الله من فوق سبع سموات وقوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج اي انما ابحنا لك تزويجها وفعلنا ذلك لئلا يبقى حرج على المؤمنين في تزويج مطلقات الادعياء وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة قد تبنى زيد بن حارثة فكان يقال له زيد بن محمد فلما قطع الله هذه النسبة بقوله وما جعل ادعياءكم ابناءكم الى قوله ادعوهم لآبائهم ثم زاد ذلك بيانا وتاكيدا بوقوع تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لما طلقها زيد بن حارثة وقوله وكان امر الله مفعولا اي وكان هذا الامر الذي وقع قد قدره الله وحتمه وهو كائن لا محالة كانت زينب في علم الله ستصير من ازواج رسول الله

ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدرا مقدورا

اي فيما احل له وامره به من تزوج زينب مطلقة دعيه زيد بن حارثة وقوله سنة الله في الذين خلوا من قبل اي هذا حكم الله في الانبياء قبله لم يكن ليامرهم بشيء وعليهم في ذلك حرج وهذا رد على من توهم من المنافقين نقصا في تزويجه امراة زيد مولاه ودعيه الذي كان قد تبناه وكان امر الله قدرا مقدورا اي وكان امره الذي يقدره كائنا لا محالة وواقعا لا معدل عنه فما شاء كان وما لم يشا لم يكن

الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وكفى بالله حسيبا ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما

قد مدح الله تعالى الذين يبلغون رسالات الله الى خلقه ويؤدونها بامانتها ويخشونه اي يخافونه ولا يخافون احدا فلا يمنعهم سطوة احد عن ابلاغ رسالات الله وكفى بالله حسيبا اي وكفى بالله ناصرا ومعينا وسيد الناس في هذا المقام وفي كل مقام محمد رسول الله فانه قام باداء الرسالة وابلاغها الى اهل المشارق والمغارب الى جميع انواع بني آدم واظهر الله كلمته ودينه وشرعه على جميع الاديان والشرائع فانه قد كان النبي قبله انما يبعث الى قومه خاصة واما هو صلوات الله وسلامه عليه فانه بعث الى جميع الخلق عربهم وعجمهم قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا ثم ورث عنه مقام البلاغ امته من بعده فكان على من قام بها بعده

اذا قضوا منهن وطرا
اذا طلقوهن و
انقضت عدتهن

اصحابه رضي الله عنهم بلغوا عنه كما امرهم به جميع اقواله وافعاله واحواله في ليله ونهاره وحضره وسفره وسره وعلانيته ثم ورثه كل خلف عن سلفهم الى زماننا هذا فبنورهم يقتدي المهتدون وعلى منهجهم يسلك الموفقون فنسال الله الكريم المنان ان يجعلنا من خلفهم وقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم نهى عن ان يقال بعد هذا زيد بن محمد اي لم يكن اباه وان كان قد تبناه فانه صلوات الله وسلامه عليه لم يعش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم بل ولد له القاسم والطيب والطاهر من خديجة فماتوا صغارا وولد له ابراهيم من مارية القبطية فمات ايضا رضيعا وكان له من خديجة اربع بنات زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة رضي الله عنهم اجمعين فمات في حياته ثلث وتاخرت فاطمة حتى اصيبت به عليه الصلوة والسلام ثم توفيت بعده بستة اشهر وقوله ولكن رسول الله وخاتم النبيين كقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته فهذه الآية نص على انه لا نبي من بعده واولى ان لا يكون رسول بعده فان مقام الرسالة اخص من مقام النبوة فان كل رسول نبي ولا ينعكس وبذلك وردت الاحاديث المتواترة كما روى ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارا فاحسنها واكملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون لو تم موضع هذه اللبنة فانا في النبيين موضع تلك اللبنة رواه احمد والترمذي وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل الانبياء كمثل قصر احسن بنيانه وترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنائه الا موضع تلك اللبنة فكنت انا سددت موضع اللبنة ختم بي البنيان وختم بي الرسل وفي رواية فانا اللبنة وانا خاتم النبيين وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة رواه البخاري وفي مسند احمد عن ابي الطفيل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبوة بعدي الا المبشرات يا رسول الله ما المبشرات قال الرؤيا الحسنة او قال الرؤيا الصالحة وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض طهورا ومسجدا وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون رواه مسلم وعن العرباض بن سارية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني عند الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته رواه احمد وفي الصحيحين عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لي اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب الذي ليس بعده نبي وفي هذا الباب احاديث كثيرة فمن رحمة الله بالعباد ارسال محمد عليه الصلوة والسلام اليهم وختم الانبياء به واكمال الدين الحنيف له كما بين في كتابه الكريم واخبر به رسوله الامين انه لا نبي بعده ليعلموا انه من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب افاك دجال ضال مضل ولو تحرف وتشعبذ واتى بانواع السحر فكلها محال وضلال كما اجرى الله على يدي الاسود العنسي ومسيلمة الكذاب من الاحوال الفاسدة والاقوال الباردة ما علم كل ذي لب وفهم انهما كاذبان ضالان وكذلك كل مدع لذلك الى قيام الساعة هذا من تمام لطفه بخلقه فانهم لا يعلمون شيئا من اعمال الدين ولا يامرون باوامر الشرع المبين بل يكونون في غاية الافك والعجز في اقوالهم وافعالهم وهذا بخلاف حال الانبياء فانهم في غاية البر والصدق والرشد والاستقامة فيما كانوا يقولونه ويفعلونه ويامرون به وينهون عنه مع ما يؤيدون به من خوارق العادات والادلة القاطعات والبراهين الباهرات وصلوات الله وسلامه عليهم اجمعين

يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من

پدر

سبب نزول این آن بود که زید بن حارثه که پسر خوانده رسول الله بود
مردم او را زید بن محمد می خواندند پس چون زینب را زنی کرد قومی گفتند
تزوج بامراة ابنه زن پسر خود را زنی کرد و در شرع وی حلالست
زن پسر را بزنی کردن رب العالمین این آیه بر جواب ایشان
فرستاد یعنی که محمد پدر زید حارثه نیست ای لیس ابا احد من رجالکم
الذین لم یلده فیحرم علیه نکاح زوجته اما زن پسر آنکه بر پدر
حرام باشد که آن پسر از صلب وی بود و از وی زاده و زید بن حارثه
نه از صلب محمد است و نه از وی زاده و محمد خود پدر هیچ مرد
بالغ رسیده نبوده است حکم الله این بود که بعد از محمد هیچ
پیغمبر نباشد او را فرزند نرینه بالغ نداد که اگر دادی پیغامبر
بودی و آنکه گفت خاتم النبیین درست نبودی ولکن رسول
الله و خاتم النبیین یعنی که مهر پیغامبرانست ای بهو ختم
و گفته اند معنی خاتم النبیین آنست که رب العزة نبوت همه انبیا
جمع کرد و دل مصطفی [illegible] را معدن آن کرد و مهر نبوت
بر آن نهاد تا هیچ دشمن به موضع نبوت راه نیافت نه وساوس
نفس و نه هواجس شیطان نه خطرات مذمومه [illegible]
[illegible] لا جرم الشان [illegible] و هواجس [illegible]
رب العالمین [illegible] مصطفی را آن مهر دادر دل وی

قال وما المبشرات

نهان بگذاشت تا میان دوست وی [illegible] کرد تا
هر که بگرستی [illegible] همچون [illegible]

[illegible]

الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام واعد لهم اجرا كريما

امر الله المؤمنين بكثرة الذكر له تعالى الذي انعم عليهم بانواع النعم وصنوف المنن لما لهم في ذلك من جزيل الثواب وجميل المآب عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وما هو يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل رواه احمد والترمذي وابن ماجه وعن انس بن مالك الجهني ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي المجاهدين اعظم اجرا يا رسول الله فقال اكثرهم لله ذكرا قال فاي الصائمين اكثر اجرا قال اكثرهم لله ذكرا ثم ذكر الصلوة والزكوة والحج والصدقة كل ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثرهم لله ذكرا فقال ابو بكر لعمر رضي الله عنهما ذهب الذاكرون بكل خير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل وعن عبد الله بن بسر قال جاء اعرابيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احدهما يا رسول الله اي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله وقال الآخر يا رسول الله ان شرائع الاسلام قد كثرت علينا فمرني بامر اتشبث به قال لا يزال لسانك رطبا بذكر الله رواه احمد والترمذي وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه الا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة رواه احمد وابو داود وعن ابن عباس ان الله لم يفترض فريضة الا عذر اهلها في حال عذر غير الذكر فان الله لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر احدا في تركه الا مغلوبا على عقله فقال اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم بالليل والنهار في البر والبحر سفرا وحضرا وفي الصحة والسقم وعلى كل حال وقال وسبحوه بكرة واصيلا فاذا فعلتم ذلك صلى الله عليكم وملائكته والاحاديث في الحث على ذكر الله كثيرة وقد صنف الناس في الاذكار المتعلقة بالليل والنهار كتبا كثيرة ومن احسنها كتاب الاذكار للشيخ محيي الدين النواوي رحمه الله وقوله وسبحوه بكرة واصيلا اي عند الصباح والمساء كقوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية وقوله هو الذي يصلي عليكم وملائكته ترغيب منه تهييج الى الذكر اي انه يذكركم فاذكروه انتم كما قال فاذكروني اذكركم وقال النبي عليه الصلوة والسلام يقول الله من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم هكذا في الصحيحين والصلوة من الله ثناؤه على العبد عند الملائكة هكذا في البخاري وقيل هي الرحمة ولا منافاة بينهما واما الصلوة من الملائكة فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار كقوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا الآية وقوله ليخرجكم من الظلمات الى النور اي بسبب رحمته بكم وثنائه عليكم ودعاء ملائكته لكم يخرجكم من ظلمات الجهل والضلال الى نور الهدى واليقين وكان بالمؤمنين رحيما اي في الدارين اما في الدنيا فانه هداهم الى الحق الذي جهله غيرهم وبصرهم الطريق الذي ضل عنه من سواهم من الدعاة الى الكفر او البدعة واتباعهم من الطغام واما في الآخرة فامنهم من الفزع الاكبر وامر ملائكته يتلقونهم بالبشارة بالفوز والنجاة من النار وما ذاك الا لمحبته لهم ورأفته بهم وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي فاذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسعى اذا وجدت صبيا في السبي اخذته فالصقته ببطنها وارضعته فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم اترون هذه طارحة ولدها في النار قلنا لا وهي تقدر على ان لا تطرحه قال الله ارحم بعباده من هذه بولدها هكذا في الصحيحين وقوله تحيتهم يوم يلقونه سلام اي يسلم عليهم كما قال تعالى سلام قولا من رب رحيم وزعم قتادة انهم يحيي بعضهم بعضا بالسلام يوم يلقون الله في الآخرة واختاره ابن جرير مستدلا بقوله سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام

اول النهار واخره خصوصا وتخصيصها بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودتين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها

المعنى هو الذي يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم الى الخير ويامركم باكثار الذكر والتوفر على الصلوة والطاعة ليخرجكم من ظلمات المعصية الى نور الطاعة وكان بالمؤمنين رحيما كشاف

[illegible]

من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم يلقونه يوم لقائه عند الموت او الخروج من القبر او دخول الجنة سلام اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة

[illegible]

الآية وقوله واعد لهم اجرا كريما يعني الجنة وما فيها من النعمات مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال اجل والله انه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل لا فظ ولا غليظ ولا سخاب بالاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله فيفتح بها اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا رواه احمد والبخاري والدارمي وعن ابن عباس قال لما نزلت يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وقد كان امر عليا ومعاذا ان يسيرا الى اليمن فقال انطلقا فبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا انه قد انزلت علي يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا رواه ابن ابي حاتم والطبراني وقوله ومبشرا اي بشيرا للمؤمنين بجزيل الثواب ونذيرا للكافرين من وبيل العقاب وقوله وداعيا الى الله باذنه اي داعيا للخلق الى عبادة ربهم عن امره لك بذلك وسراجا منيرا اي امرك ظاهر فيما جئت به من الحق كالشمس في اشراقها والقمر في اضاءته لا يجحدها الا معاند وقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم اي لا تطعهم وتسمع منهم في الذي يقولونه ودع اذاهم اي اصفح وتجاوز عنهم وكل امرهم الى الله فان فيه كفاية لهم ولهذا قال وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا وهذه الآية احكام كثيرة منها اطلاق النكاح على العقد وحده وليس في القرآن آية اصرح في ذلك منها وقد اختلفوا في النكاح هل هو حقيقة في العقد وحده او في الوطء او فيهما على ثلثة اقوال واستعمال القرآن انما هو في العقد والوطء بعده الا في هذه الآية فانه استعمل في العقد وحده لقوله اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن ومنها جواز طلاق المرأة قبل الدخول بها وقوله المؤمنات خرج مخرج الغالب اذ لا فرق في الحكم بين المؤمنة والكتابية واستدل بعض الصحابة وجمهور السلف بهذه الآية ان الطلاق لا يقع الا اذا تقدمه نكاح لان الله تعالى قال اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن فرتب الطلاق على النكاح فلا يقع قبله وهذا مذهب الشافعي واحمد واكثر السلف والخلف وذهب مالك وابو حنيفة الى صحة الطلاق قبل النكاح فيما اذا قال ان تزوجت فلانة فهي طالق فعندهما متى تزوجها طلقت منه واختلفا فيما اذا قال كل امرأة تزوجها فهي طالق فقال مالك لا تطلق حتى يعين المرأة وقال ابو حنيفة كل امرأة يتزوجها بعد هذا الكلام تطلق منه وحجة الجمهور على عدم الطلاق هذه الآية وعن ابن عباس قال من قال كل امرأة اتزوجها فهي طالق ليس بشيء من اجل ان يقول الله يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن الآية الا ترى ان الطلاق بعد النكاح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك رواه احمد وابو داود والترمذي وحسنه وقد رواه ابن ماجه لا طلاق قبل النكاح وقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها هذا امر مجمع عليه بين العلماء ان المرأة اذا طلقت قبل الدخول بها لا عدة عليها فتذهب وتتزوج في فورها من شاءت ولا يستثنى من هذا الا المتوفى عنها زوجها فانها تعتد منه اربعة اشهر وعشرا وان لم يكن دخل بها بالاجماع وقوله فمتعوهن المتعة ههنا اعم من ان يكون نصف الصداق المسمى او المتعة الخاصة ان لم يكن قد سمي لها وسرحوهن اي وخلوا سبيلهن بالمعروف من غير

وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا

قال في حقه عليه السلام سراجا ولم يقل انه شمس مع ان الشمس اشد اضاءة من السراج لان الشمس لا يوخذ منها شيء والسراج يوخذ منها انوار كثيرة اذا انطفى الاول بقي التي اخذ منه وكذلك ان غاب كان النبي عليه السلام كذلك ولذلك كان كل صحابي سراجا اخذ منه نور الهداية كما قال عليه السلام اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم

وبنات عماتك ص

ذكر لحكم ما يبوا لا وكلهان الزوجة التي روبيت مهرها لطيب عليها راطيب قبلها ممن لا ورث والمملوكة التي سبيها الرجل بنفسه اطهر مما التي اشتراها الرجل لا نها لا يدري كيف حالها ومن ورث معه من اقاربه اشرف ممن لم يهاجر وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي حينئذ لا يستحق لها صداق فيعتبر كالمستوفية مهرها

امرأن وعن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج اميمة بنت شراحيل فلما ادخلت عليها بسط يده اليها فكانها كرهت ذلك فامر ابا اسيد ان يجهزها ويكسوها ثوبين رازقيين رواه البخاري قال ابن عباس ان كان سمى لها صداقا فليس لها الا النصف وان لم يكن سمى لها صداقا فامتعها على قدر عسره ويسره وهو السراح الجميل يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما خاطب الله نبيه عليه الصلوة والسلم بانه قد احل له من النساء ازواجه اللاتي اعطاهن مهورهن وهي الاجور ههنا كما قاله مجاهد وغير واحد وقد كان مهره لنسائه ثنتي عشرة اوقية ونشا وهو نصف اوقية فالجميع خمسمائة درهم الا ام حبيبة بنت ابي سفين فانه امهرها عنه النجاشي اربعمائة دينار والا صفية بنت حيي فانه اصطفاها من سبي خيبر ثم اعتقها وجعل عتقها صداقها وكذلك جويرية بنت الحرث فانه ادى عنها كتابتها الى ثابت ابن قيس وتزوجها وقوله وما ملكت يمينك اي واباح لك التسري مما اخذت من المغانم وقد ملك صفيه وجويرية وتزوجهما وملك ريحانه بنت شمعون النضرية ومارية القبطية وكانتا من السراري وقوله وبنات عمك هذا عدل وسط بين الافراط والتفريط فان النصارى لا يتزوجون المرأة الا اذا كان الرجل بينه وبينها سبعة اجداد فصاعدا واليهود يتزوج احدهم بنت اخيه وبنت اخته فجاءت هذه الشريعة الكاملة بهدم افراط هؤلاء وتفريط هؤلاء وانما وحد لفظ العم والخال لشرف الذكورة وجمع الاناث كقوله عن اليمين والشمائل وقوله اللاتي هاجرن معك عن ام هانئ قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله انا احللنا لك ازواجك الى قوله هاجرن معك قالت فلم اكن احل له لم اكن ممن هاجر معه كنت من الطلقاء رواه الترمذي وغيره قال ابو رزين وقتادة اي من هاجر معه الى المدينة وقيل اي اسلمن وقوله وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي اي ويحل لك يا ايها النبي المرأة المؤمنة اذا وهبت نفسها لك ان تتزوجها بغير مهر ان شئت ذلك وهذه الآية توالى فيها شرطان هبتها وارادته وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة فقالت يا رسول الله اني وهبت نفسي لك فقامت طويلا فقام رجل فقال يا رسول الله زوجنيها ان لم يكن لك فيها حاجة فقال عندك من شيء تصدقها فقال ما عندي الا ازاري هذا قال فالتمس ولو خاتما من حديد فالتمس فلم يجد شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل معك من القرآن شيء قال نعم سورة كذا وسورة كذا فقال قد زوجتكها بما معك من القرآن وفي رواية فقال انطلق فقد زوجتكها فعلمها من القرآن وعن ثابت البناني قال كنت مع انس جالسا وعنده ابنة له فقال انس جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله هل لك في حاجة فقالت ابنته ما كان اقل حياها فقال هي خير منك رغبت في النبي صلى الله عليه وسلم فعرضت عليه نفسها رواه البخاري واحمد وكانت خولة بنت حكيم وميمونة بنت الحرث وزينب ام المساكين وهي التي اختارت الدنيا وابنة الجون وهي التي استعاذت منه هن اللاتي وهبن انفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قالت عائشة كنت اغار على اللاتي وهبن انفسهن من النبي صلى الله عليه وسلم واقول اتهب المرأة نفسها فلما انزل الله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك قلت ما ارى ربك يسارع في هواك رواه

البخاري

البخاري قال ابن عباس لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها له اي انه لم يقبل واحدة منهن بالهبة وان كان ذلك مباحا له ومخصوصا به لانه مردود الى مشيته كما قال تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها اي ان اختار ذلك وقوله خالصة لك قال عكرمة اي لا تحل الموهوبة لغيرك ولو ان امرأة وهبت نفسها لرجل لم تحل له حتى يعقد عليه بشيء من المهر وقال مجاهد وغيره اي انها اذا فوضت المرأة نفسها الى رجل فانه متى دخل بها وجب لها عليه مهر المثل كما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم في بروع بنت واشق لما فوضت وتوفي عنها زوجها والموت والدخول سواء في تقرير المهر وثبوت مهر المثل في المفوضة لغير النبي صلى الله عليه وسلم فاما هو صلى الله عليه وسلم فلا يجب عليه للمفوضة شيء ولو دخل بها لان له ان يتزوج بغير صداق ولا ولي ولا شهود كما في قصة زينب بنت جحش وكان ذلك خاصا للنبي صلى الله عليه وسلم ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما سبق قول عائشة في شان اللاتي وهبن انفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونزول هذه الآية قريبا فقوله ترجي اي تؤخر من تشاء منهن اي من الواهبات وتؤوي اي تضم اليك من تشاء اي من شئت قبلتها ومن شئت رددتها انت بالخيار وبعد ذلك ان شئت عدت فيها فآويتها ولهذا قال ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك اي ومن طلبت واردت ان تؤوي اليك امرأة ممن عزلتهن من القسم وقيل المراد بقوله ترجي من تشاء منهن اي من ازواجك لا حرج عليك ان تترك القسم لهن فتقدم من شئت وتؤخر من شئت وتجامع من شئت وتترك من شئت هكذا روي عن ابن عباس وغير واحد ومع هذا كان عليه الصلوة والسلم يقسم لهن و لهذا ذهب بعض الشافعية الى ان القسم لم يكن واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وعن معاذة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاذن في اليوم المرأة منا بعد ان نزلت هذه الآية ترجي من تشاء منهن الآية فقلت لها ما كنت تقولين قالت كنت اقول ان كان ذاك الي فاني لا اريد يا رسول الله ان اوثر عليك احدا رواه البخاري فهذا عنها يدل على ان المراد من ذلك عدم وجوب القسم وحديثها الاول يدل على انها نزلت في الواهبات ومن ههنا اختار ابن جرير ان الآية عامة في الواهبات وفي النساء عنده انه مخير فيهن ان شاء قسم وان شاء لم يقسم وهذا حسن قوي ولهذا قال تعالى ذلك ادنى ان تقر اعينهن اي اذا علمن ان الله قد وضع عنك الحرج في القسم ان شئت قسمت و ان شئت لم تقسم لا جناح عليك اي في اي ذلك فعلت ومع هذا انت تقسم لهن اختيارا منك لا انه على سبيل الوجوب فرحن بذلك واستبشرن به واعترفن بمنتك عليهن في قسمك لهن وعدلك فيهن وقوله والله يعلم ما في قلوبكم اي من الميل الى بعضهن دون بعض مما لا يمكن دفعه كما قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك رواه احمد واصحاب السنن الاربعه وزاد ابو داود يعني القلب ولهذا عقب بقوله وكان الله عليما اي بضمائر السرائر حليما اي يحلم ويغفر لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا قال ابن عباس وكثيرون نزلت هذه الآية مجازاة لازواج النبي صلى الله عليه وسلم على حسن صنيعهن في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة كما سبق في آية التخيير فكان جزاؤهن ان الله قصره عليهن وحرم عليه ان يتزوج او يستبدل بهن غيرهن ولو اعجبه

حسنهن الا الاماء والسراري فلا حجر عليه فيهن ثم رفع الله عنه الحجر في ذلك ونسخ حكم هذه الاية واباح له التزوج ولكن لم يتزوج واحدة بعد ذلك لتكون له المنة عليهن حتى قالت عائشة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل الله له النساء رواه احمد والترمذي والنسائي وقالت ام سلمة لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل الله له ان يتزوج ما شاء رواه ابن ابي حاتم وقال آخرون بل معنى الاية لا يحل لك النساء بعد ما ذكرنا لك من صفة النساء اللاتي احللنا لك من النساء اللاتي آتيت مهورهن وما ملكت يمينك وبنات العم والعمات والخال والخالات والواهبة وما سوى ذلك من اصناف النساء فلا تحل لك كما قيل لابي بن كعب ارايت لو ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم توفين اما كان له ان يتزوج فقال وما يمنعه ذلك قال قوله لا يحل لك النساء من بعد فقال انما احل له ضربا من النساء فقال يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك الاية ثم قيل له لا يحل لك النساء من بعد رواه ابن جرير وقال مجاهد اي لا يحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات ولا ان تبدل بهن اي ولا ان تبدل بالمسلمات غيرهن وعن الضحاك ولا ان تبدل بهن من ازواج اي ولا ان تبدل بازواجك اللاتي في حبالك ازواجا غيرهن بان تطلقهن فتنكح غيرهن فحرم عليه طلاق نسائه اللاتي كن عنده فاما نكاح غيرهن فلم يمنع وقال بعضهم لا يحل لك النساء من بعد اي التي سمى الله واختار ابن جرير ان الاية عامة فيمن ذكر من اصناف النساء وفي النساء اللاتي كن في عصمته وهن تسع ولا منافاة بين هذا وبين ما سبق عند التامل واما ما روي في الصحيح انه عليه الصلوة والسلام عزم على فراق سودة حتى وهبت نوبتها لعائشة وما روي انه عليه الصلوة والسلام طلق حفصة ثم راجعها فان ذلك قبل نزول هذه الاية والله اعلم وقد روى الحافظ ابو بكر البزار باسناده عن ابي هريرة قال كان البدل في الجاهلية ان يقول الرجل للرجل بادلني امراتك وابادلك بامراتي اي تنزل عن امراتك وانزل لك عن امراتي فانزل الله ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن قال فدخل عيينة بن حصن الفزاري على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة فدخل بغير اذن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين الاستيذان قال يا رسول الله ما استاذنت على رجل من مضر منذ ادركت ثم قال من هذه الحميراء الى جنبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه عائشة ام المومنين قال افلا انزل لك عن احسن الخلق قال يا عيينة ان الله قد حرم ذلك فلما ان خرج قالت عائشة من هذا قال هذا احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه والحديث ضعيف معلول

يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستانسين لحديث ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق واذا سالتموهن متاعا فاسئلوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان توذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما ان تبدوا شيئا او تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما

وهذه الاية احكام واداب شرعية وهي مما وافق تنزيلها قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما ثبت ذلك في الصحيحين عنه انه قال وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت مقام ابرهيم مصلى فانزل الله واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقلت يا رسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو حجبتهن فانزل الله آية الحجاب وقلت لازواج النبي صلى الله عليه وسلم لما تمالين عليه في الغيرة عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن فنزلت كذلك وفي رواية لمسلم ذكر اسارى بدر

بل نسخ تحريم النساء عليه ام الاية التي فيها
لنسخ وروي كانت عائشة رضي الله عنها ما مات
النبي الا واحل له النساء وعلى هذا فالناسخ
قوله يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك

وهي قض

وهي قضية رابعة وكانت وقت نزولها في صبيحة عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش في ذي القعدة سنة خمس وقيل سنة ثلث من الهجرة والله اعلم وفي الصحيحين عن انس بن مالك قال لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فاذا هو يتهيا للقيام فلم يقوموا فلما راى ذلك قام فلما قام قام من قام وقعد ثلثة نفر وجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل واذا القوم جلوس ثم انهم قاموا فانطلقوا فجئت فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم انهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت ادخل فالقى الحجاب بيني وبينه فانزل الله يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الاية وفي البخاري عن انس بن مالك قال بني على النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش بخبز ولحم فارسلت على الطعام داعيا فيجيء قوم فياكلون ويخرجون ثم يجيء قوم فياكلون ويخرجون فدعوت حتى ما اجد احدا ادعوه فقلت يا رسول الله ما اجد احدا ادعوه قال ارفعوا طعامكم وبقي ثلثة نفر يتحدثون في البيت فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق الى حجرة عائشة فقال السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته فقالت وعليك السلام ورحمة الله وبركاته كيف وجدت اهلك بارك الله لك فتقرى حجر نسائه كلهن ويقول لهن كما قال لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم فاذا رهط ثلثة في البيت يتحدثون وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فخرج منطلقا نحو حجرة عائشة فما ادري اخبرته ام اخبر ان القوم خرجوا فرجع حتى اذا وضع رجله في اسكفة الباب داخلة واخرى خارجة ارخى الستر بيني وبينه وانزلت اية الحجاب فقوله لا تدخلوا بيوت النبي حظر على المومنين ان يدخلوا منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذن كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الاسلام حتى انزل الله هذه الاية فامرهم بذلك اكراما لرسوله وامته ولهذا قال عليه الصلوة والسلام اياكم والدخول على النساء الحديث ثم استثنى من ذلك فقال الا ان يوذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه غير متحينين نضجه يقال انى الحميم اذا انتهى حره اي لا ترقبوا الطعام اذا طبخ حتى اذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول فانه مما يكرهه الله ويذمه وهذا دليل على تحريم التطفيل وهو الذي يمشي الى طعام لم يدع اليه ثم قال تعالى ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا كما جاء في الصحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا احدكم اخاه فليجب عرسا كان او غيره اي فاذا فرغتم من الذي دعيتم اليه فخففوا عن اهل المنزل وانتشروا في الارض ولهذا قال ولا مستانسين لحديث اي كما وقع اولئك النفر الثلثة الذين استرسل بهم الحديث ونسوا انفسهم حتى شق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحيي منكم وقيل ان المراد دخولهم منزله بغير اذن كان يشق عليه ويتاذى به ولكن كان يكره ان ينهاهم عن ذلك عن شدة حيائه حتى انزل الله عليه النهي عن ذلك ولهذا قال والله لا يستحيي من الحق فلهذا نهاكم عن ذلك وزجركم عنه ثم قال واذا سالتموهن متاعا فاسئلوهن من وراء حجاب اي من وراء ستر فبعد اية الحجاب لم يكن لاحد ان ينظر الى امراة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم متنقبة كانت او غير متنقبة ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن اي هذا الذي شرعته لكم من الحجاب اطهر واطيب وقوله وما كان لكم ان توذوا رسول الله اي ليس لكم اذاؤه في شيء من الاشياء ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما نزلت في رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال لئن قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لانكحن عائشة قيل هو طلحة بن عبيد الله فاخبر الله تعالى ان ذلك محرم رواه ابن ابي حاتم ولهذا اجمع العلماء على ان من توفي عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ازواجه يحرم على غيره تزوجها من بعده لانهن امهات

المؤمنين واختلفوا فيمن دخل بها ثم طلقها في حياته هل يحل لغيره ان يتزوجها على قولين فاما من طلقها قبل الدخول فلا نزاع في جوازه وقد عظم الله ذلك المحرم وشدد فيه وتوعد عليه بقوله ان ذلكم كان عند الله عظيما ثم قال ان تبدوا شيئا او تخفوه يعني مهما تكنه ضمائركم وتنطوي عليه سرائركم فان الله كان بكل شيء عليما اي فانه تعالى يعلمه لا يخفى عليه خافية فانه يعلم خائنة الاعين وخافية الصدور لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت ايمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيدا لما امر تعالى النساء بالحجاب من الاجانب بين ان هؤلاء الاقارب لا يجب الاحتجاب منهم كما استثناهم في سورة النور عند قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن الاية وانما لم يذكر العم والخال في هذه الاية والله اعلم لانهما قد يصفانها وينعتانها لابنائهما وقوله ولا نسائهن يعني بذلك عدم الاحتجاب من نساء المؤمنات بخلاف الكتابيات فانه لا يجوز لهن الدخول عليهن وقوله ولا ما ملكت ايمانهن يعني به ارقاءهن من الذكور والاناث كما تقدم التنبيه عليه وقال ابن المسيب انما يعني به الاماء فقط وقوله واتقين الله ان الله على كل شيء شهيدا اي واخشينه في الخلوة والعلانية فانه شهيد على كل شيء ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال ابو العالية صلوة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلوة الملائكة الدعاء وعن ابن عباس يصلون يبركون هكذا في البخاري تعليقا وقال سفين الثوري وغير واحد صلوة الرب الرحمة وصلوة الملائكة الاستغفار وقيل صلوته تعالى سبوح قدوس سبقت رحمتي غضبي والغرض من الاية انه تعالى اخبر عباده بمنزلة نبيه عنده في الملأ الاعلى بانه يثني عليه عند الملائكة المقربين وان الملائكة تصلي عليه ثم امر تعالى اهل العالم السفلي بالصلوة والتسليم ليجتمع الثناء عليه من اهل العالمين جميعا قال ابن عباس ان بني اسرائيل قالوا لموسى هل يصلي ربك فناداه ربه تعالى يا موسى سالوك هل يصلي ربك فقل نعم انا اصلي وملائكتي على انبيائي ورسلي فانزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية وقد اخبر تعالى انه يصلي على عباده المؤمنين في قوله هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور الاية وقوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وفي الحديث ان الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف وايضا اللهم صل على آل ابي اوفى وقد جاءت الاحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر بالصلوة عليه وكيفيتها منها في البخاري عن كعب بن عجرة قال قيل يا رسول الله اما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلوة قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابرهيم انك حميد مجيد وعن كعب ايضا قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله قد علمنا وعرفنا كيف السلام عليك فكيف الصلوة فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابرهيم انك حميد مجيد رواه اصحاب الكتب الستة ومعنى قوله اما السلام عليك فقد عرفناه هو الذي في التشهد الذي كان قد علمهم اياه كما كان يعلمهم السورة من القرآن وهو السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وفي رواية اخرى للبخاري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل ابرهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم وفي رواية على آل ابرهيم ولهذا الحديث روايات مختلفة فلنكتف بما ذكرنا وقال ابن مسعود موقوفا عليه اذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلوة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه فقالوا له فعلمنا فقال قولوا اللهم اجعل

ان قيل اذا صلى الله والملائكة عليه فاي حاجة الى صلوتنا
منا الصلوة عليه ليس لحاجته اليها والا فلا حاجة
الى صلوة الملائكة مع صلوة الله تعالى عليه وانما هو
اظهار لتعظيمه منا وشفقة علينا ليثيبنا عليه السلم
ولهذا قال عليه السلم من صلى علي واحدة صلى الله عليه
عشرا ح كبير

صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه به الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وآل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابرهيم وآل ابرهيم انك حميد مجيد رواه ابن ماجه وعن عامر بن ربيعة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلوة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي فليقل عبد من ذلك او ليكثر رواه احمد وابن ماجه وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اولى الناس بي اكثرهم علي صلوة رواه الترمذي وحسنه وعن ابي بن كعب قال قلت يا رسول الله اني اكثر الصلوة عليك فكم اجعل لك من صلوتي قال ما شئت قلت الربع قال ما شئت فان زدت فهو خير لك قال فالنصف قال ما شئت فان زدت فهو خير لك قلت فالثلثين قال ما شئت فان زدت فهو خير لك قلت اجعل لك صلوتي كلها قال اذا تكفى همك ويغفر لك ذنبك رواه الترمذي وحسنه وعن ابي طلحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والسرور يرى في وجهه فقالوا يا رسول الله انا لنرى السرور في وجهك فقال انه اتاني الملك فقال يا محمد اما يرضيك ان ربك عز وجل يقول انه لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا قال بلى رواه احمد والنسائي وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا رواه مسلم وعن حسين بن علي رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي رواه احمد والترمذي وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم انف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة رواه الترمذي وحسنه وفي البخاري نحوه وفي الحديث دليل على وجوب الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم كما هو مذهب طائفة من العلماء منهم الطحاوي والحليمي وذهب اخرون الى انه يجب الصلوة عليه في المجلس مرة واحدة ثم لا يجب في بقية ذلك المجلس بل تستحب نقله الترمذي عن بعضهم ويؤيد ذلك ما رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم الا كان عليهم ترة فان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم رواه احمد والترمذي وحسنه وقال بعضهم انما يجب الصلوة عليه في العمر مرة واحدة امتثالا للامر الاية ثم هي مستحبة في كل حال وعليه القاضي عياض بعد ما حكى الاجماع على وجوب الصلوة عليه في الجملة وقل غير ذلك وقد ورد الامر بالصلوة عليه في اوقات كثيرة فمنها واجب ومنها مستحب كما في آخر الاذان لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم مؤذنا فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلوة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا ينبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة رواه مسلم واكثر اصحاب السنن ومن ذلك عند دخول المسجد والخروج منه وكذا الصلوة عليه في صلوة الجنازة وكذا في صلوة العيد وختم الدعاء وفي دعاء القنوت وكذا الاكثار منها في يوم الجمعة وليلتها وعند زيارة قبره صلى الله عليه وسلم وبعد التلبية للمحرم ومع ذكر الله وفي اكثر المواطن فان في كل منها وردت احاديث واخبار

فصل

واما الصلوة على غير الانبياء فان كان على سبيل التبعية فهو جائز بالاجماع قال الامام النواوي اجمعوا على الصلوة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك اجمع من يعتد به على جوازها واستحبابها على سائر الانبياء والملائكة استقلالا واما غير الانبياء فالجمهور على انه لا يصلى عليهم ابتداء فلا يقال ابو بكر صلى الله عليه وسلم واختلف في هذا المنع فقال بعض اصحابنا هو حرام وقال اكثرهم مكروه كراهة

كراهة تنزيه وذهب كثير منهم الى انه خلاف الاولى ليس مكروها والصحيح الذي عليه الاكثرون انه مكروه كراهة تنزيه
لانه شعار اهل البدع وقد نهينا عن شعارهم والمكروه هو ما ورد فيه نهي مقصود قال اصحابنا والمعتمد في ذلك ان
الصلوة صارت مخصوصة في لسان السلف بالانبياء صلوات الله وسلامه عليهم كما ان قولنا عز وجل مخصوص بالله
تعالى وكما لا يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا لا يقال ابو بكر او علي صلى الله عليه وان كان معناه صحيحا واتفقوا
على جواز جعل غير الانبياء تبعا لهم في الصلوة فيقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واصحابه وازواجه وذريته واتباعه للاحاديث
الصحيحة في ذلك وقد امرنا به في التشهد ولم يزل السلف خارج الصلوة ايضا واما السلام فقال الشيخ ابو محمد الجويني من
اصحابنا هو في معنى الصلوة فلا يستعمل في الغائب فلا يفرد به غير الانبياء فلا يقال علي عليه السلم سواء في هذا الاحياء والاموات
واما الحاضر فيخاطب به فيقال سلام عليك او سلام عليكم او السلم عليك او عليكم وهذا مجمع عليه ان الذين يؤذون الله و
رسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات
بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا هدد الله وتوعد على من آذاه بمخالفة اوامره وارتكاب زواجره
واصراره على ذلك وآذى رسوله بعيب او تنقص قال عكرمة نزلت هذه الآية في المصورين وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر اقلب ليله ونهاره ومعنى هذا ان اهل
الجاهلية كانوا يقولون يا خيبة الدهر فعل بنا كذا وكذا فيسندون افعال الله الى الدهر ويسبونه وانما الفاعل لذلك هو الله
فنهى عن ذلك هكذا قرره الشافعي وغيره من الائمة وقال ابن عباس نزلت في الذين طعنوا على النبي صلى الله عليه وسلم في تزويجه
صفية بنت حيي بن اخطب والظاهر ان هذه الآية عامة في كل من آذاه بشيء ومن آذاه فقد آذى الله كما ان من اطاعه فقد
اطاع الله وقوله والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات اي ينسبون اليهم ما هم براء منه لم يعملوه ولم يفعلوه فقد احتملوا
بهتانا واثما مبينا وهذا هو البهت البين ان يحكى او ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم
ومن اكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرة بالله ورسوله ثم الرافضة الذين ينتقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد براهم الله منه
ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه ابدا وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اي الربوا اربى
عند الله قالوا الله ورسوله اعلم قال اربى الربى استحلال عرض امرء مسلم ثم قرا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الآية
رواه ابن ابي حاتم وعن ابي هريرة انه قيل يا رسول الله ما الغيبة قال ذكرك اخاك بما يكره قيل افرايت ان كان في اخي ما اقول قال
ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته رواه ابو داود والترمذي وصححه يا ايها النبي قل
لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين
وكان الله غفورا رحيما لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة
لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا
سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا امر تعالى رسوله عليه الصلوة والسلم ان يامر
النساء المؤمنات وخاصة ازواجه وبناته لشرفهن ان يدنين عليهن اي يغطين رؤسهن ووجوههن من جلابيبهن
جمع جلباب وهو الرداء الذي يتستر ويشتمل به المراة فوق الدرع والخمار للخروج ليتميزن عن سمات نساء الجاهلية والاماء
قال [illegible] ابن عباس امر الله نساء المؤمنات اذا خرجن من بيوتهن في حاجة ان يغطين وجوههن من فوق رؤسهن

بالجلابيب

اللعن اشد المحذورات لان البعد من الله لا يرجى معه خير
بخلاف التعذيب بالنار وغيره وقوله في الدنيا و
الآخرة اشارة الى بعد لا يرجى القرب معه لان
المبعد في الدنيا يرجو القرب في الآخرة فاذا
خاب في الآخرة فقد خاب وخسر في الدنيا والآخرة
لان الله تعالى اذا ابعده وطرده من الرحمة
يوم القيمة قوله واعد لهم عذابا مهينا فاللعن
جزاء ايذاء الله لان من آذى الملك يبعده عن
بابه ان لم يامر بايذائه والتعذيب جزاء ايذاء
الرسول لان الملك يستوفي منه قصاصه

بالجلابيب ويبدين عينا واحدة قالت ام سلمة لما نزلت هذه الآية خرج نساء الانصار كان على رؤسهن الغربان من
السكينة وعليهن اكسية سود يلبسنها وقوله ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين اي اذا فعلن ذلك عرفن انهن حرائر
لسن باماء ولا عواهر قال السدي وغيره كان ناس من فساق المدينة يخرجون في ظلام الليل الى طرقها متعرضون للنساء
وكانت المساكن ضيقة فتخرج النساء لقضاء الحاجة وكانوا يبتغون ذلك منهن ان كن بلا جلباب وثبوا عليها ويكفون عن
ذوات الجلباب فامرن ان يتجلببن ليعلم انهن حرائر فلا يتعرض لهن وقوله وكان الله غفورا رحيما اي لما سلف في ايام
الجاهلية حيث لم يكن عندهن علم بذلك ثم قال تعالى متوعدا للمنافقين والذين في قلوبهم مرض قال عكرمة وغيره هم الزناة
ههنا والمرجفون في المدينة يعني الذين يقولون جاء الاعداء وجاءت الحروب وهو كذب وافتراء لئن لم ينتهوا عن ذلك ويرجعوا
الى الحق لنغرينك بهم اي لنسلطنك عليهم ولنحرشنك بهم ثم لا يجاورونك فيها اي لا يساكنونك في المدينة الا قليلا ملعونين
حال منهم في مدة اقامتهم في المدينة مدة قريبة مطرودين مبعدين اينما ثقفوا اي وجدوا اخذوا لذلتهم وقلتهم وقتلوا
تقتيلا اي هذا الحكم فيهم ثم قال سنة الله في الذين خلوا من قبل اي هذه سنته في المنافقين اذا تمردوا على نفاقهم وكفرهم
ولم يرجعوا عما هم فيه ان اهل الايمان يسلطون عليهم ويقهرونهم ولن تجد لسنة الله تبديلا اي سنة الله لا تبدل ولا تغير
يسالك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ان الله لعن الكافرين
واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار
يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا
السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا اخبر تعالى رسوله عليه الصلوة والسلم انه
لا علم له بالساعة وان ساله الناس عن ذلك وارشده ان يرد علمها الى الله فاستمر الحال في رد علمها الى من يقيمها لكن اخبره انه
قريبة بقوله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا كما قال تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر ثم قال ان الله لعن الكافرين اي
ابعدهم من رحمته واعد لهم سعيرا اي في الآخرة خالدين اي ماكثين فيها لا خروج لهم منها ولا زوال لهم عنها لا يجدون
وليا ولا نصيرا اي وليس لهم مغيث ولا معين ينقذهم مما هم فيه ثم قال يوم تقلب وجوههم في النار اي يسحبون في النار
على وجوههم وتكوى وجوههم على جهنم ويقولون وهم كذلك يتمنون اي لو كانوا في الدنيا ممن اطاع الله واطاع الرسول كما اخبر
عنهم في حال العرصات بقوله ويوم يعض الظالم على يديه الآية وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا اي السادة الامراء و
الاشراف والكبراء العلماء والمشيخة اي اتبعناهم وخالفنا الرسل وتصورنا انهم على شيء فاذا هم ليسوا على شيء فاضلونا السبيلا
ربنا آتهم ضعفين من العذاب اي بكفرهم واغوائهم ايانا والعنهم لعنا كبيرا اي عذابا اكبر مرة بعد اخرى يا ايها
الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبراه مما قالوا وكان عند الله وجيها عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى من جلده شيء استحياء منه فآذاه من آذاه
من بني اسرائيل قالوا ما تستر هذا التستر الا من عيب بجلده اما برص واما ادرة واما آفة وان الله تعالى اراد ان يبرئه
مما قالوا لموسى فخلا يوما وحده ووضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ اقبل الى ثيابه لياخذها وان الحجر عدا بثوبه فاخذ
موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملأ من بني اسرائيل فراوه عريانا احسن ما خلق الله
وابراه مما يقولون وقام الحجر فاخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله ان بالحجر لندبا من اثر ضربه ثلثا او اربعا

كان في الجاهلية تخرج الحرة والامة مكشوفات فيتبعهن
الزناة وتقع التهم فامر الله الحرائر بالتجلبب وقوله
ذلك ادنى ان يعرفن قيل يعرفن انهن حرائر فلا يتبعن
ويمكن ان يقال يعرفن انهن لا يزنين لان من تستر
وجهها مع انه ليست بعورة لا يطمع فيها انها تكشف
عورتها فيعرفن انهن مستورات لا يمكن طلب الزنا منهن
لئن لم ينته المنافقون
الذين يؤذون الله ورسوله

بلغ [illegible]
[illegible]

او خمشا فذلك قوله يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الاية رواه البخاري وقال بعضهم ايذاؤهم اياه
انه لما مات هرون في التيه ادعوا على موسى انه قتله فامر الله الملائكة حتى مروا به على بني اسرائيل فتكلمت بموته فعرفوا انه
لم يقتله فبرأه الله مما قالوا وقيل المراد قصته قارون ويحتمل ان يكون الكل مرادا وفي الصحيحين عن عبد الله قال
قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قسما فقال رجل من الانصار ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله قال
فقلت يا عدو الله اما لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت قال فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمر
وجهه ثم قال رحمة الله على موسى لقد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر وقوله وكان عند الله وجيها اي وله وجاهة
وجاه عند ربه تعالى لم يسأل الله شيئا الا اعطاه الله غير الرؤية يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا
سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما
امر تعالى عباده المؤمنين بتقواه وان يعبدوه عبادة من كان يراه وان يقولوا قولا سديدا اي مستقيما لا اعوجاج فيه
ولا انحراف ووعدهم انهم اذا فعلوا ذلك اثابهم عليه بان يصلح اعمالهم اي يوفقهم للاعمال الصالحة وان يغفر لهم
الذنوب الماضية وما قد يقع منهم في المستقبل يلهمهم التوبة منها ثم قال ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما
وذلك انه يجار من النار ويصير الى النعيم المقيم وعن ابي موسى قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما صلاة
الظهر فلما انصرف اومأ الينا بيده فجلسنا فقال ان الله امرني ان امركم ان تتقوا الله وتقولوا قولا سديدا ثم اتى
النساء فقال ان الله امرني ان امركن ان تتقين الله وتقلن قولا سديدا رواه ابن ابي حاتم قال عكرمة القول السديد
لا اله الا الله وقيل الصدق وقيل الصواب والسداد والكل حق انا عرضنا الامانة على السموات والارض و
الجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب
الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات
وكان الله غفورا رحيما قال ابن عباس يعني بالامانة الطاعة عرضها عليهن قبل ان تعرضها على ادم فلم
يطقنها فقال لادم اني قد عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم يطقنها فهل انت آخذها بما فيها قال
يا رب وما فيها قال ان احسنت جزيت وان اسأت عوقبت فاخذها آدم فتحملها فذلك قوله وحملها الانسان انه كان
ظلوما جهولا وفي رواية اخرى عنه قال الامانة الفرائض عرضها الله على السموات والارض والجبال ان ادوها اثابهم
وان ضيعوها عذبهم فكرهوا ذلك واشفقوا من غير معصية ولكن تعظيما لدين الله ان لا يقوموا بها ثم عرضها على آدم فقبلها
بما فيها وهو قوله وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا يعني غرا بامر الله وفي رواية عنه فما كان الا قدر ما بين العصر
الى الليل من ذلك اليوم اي بعد تحمله الامانة حتى اصاب الخطيئة وقال قتادة الامانة الدين والفرائض والحدود و
قيل اركان الاسلام كلياتها وجزئياتها ولا منافاة بينهما فانها راجعة الى انها التكليف وقبول الاوامر والنواهي بشرطها
وهو انه ان قام بذلك اثيب وان تركها عوقب فقبلها الانسان على ضعفه وجهله وظلمه الا من وفقه الله انه كان
ظلوما اي لنفسه جهولا اي بامر الله وما احتمل من الامانة وقيل ظلوما حين عصى ربه جهولا لا يدري ما العقاب في ترك
الامانة وقال بعض المأولين ان الله ائتمن ادم واولاده على شيء وائتمن السموات والارض والجبال على شيء فالامانة
في حق بني آدم ما ذكر من الطاعة والقيام على الفرائض وسائر التكاليف والامانة في حق السموات والارض والجبال هي الخضوع

تكليف الاركان
الى الطبيعة

ارشدهم الى ما ينبغي ان يصدر عنهم من الافعال والاقوال
اما الافعال فالخير واما الاقوال فالحق لان من اتى
بالخير وترك الشر فقد اتقى الله ومن تكلم بالصدق قال
قولا سديدا ثم وعدهم على الامرين بالاثابة على الخيرات
باصلاح الاعمال فان بتقوى الله يصلح العمل والعمل
الصالح يرفع ويبقى فيستبقي فاعله في دار الجنة
وعلى القول السديد يغفر الذنوب

[illegible]

ليس اباؤهن كاباء ابليس في قوله تعالى ابى ان يسجد
كان فرضا وههنا الامانة عرضا وسبب الاشفاق
وعدم قبول الامانة لوجوه احدها لعزتها وصعوبة
حفظها كالاواني من الجواهر التي يكون عزيزة سريعة
الانكسار فان العاقل يمتنع من قبولها والركاكات
من الذهب والفضة لثقلها وان كان الكل
الوقت زمان نهب وغارة فلا يقبل العاقل
وكذلك الوقت الوداع والاركان كذلك لان
الشيطان وجنوده في قصد المكلفين اذ الوقوع
كان من بعد خروج آدم الثالث عدم رعاية
الامانة والانسان يأبى كايداع الحيوانات
التي تحتاج الى العلف والسقي وموضع محفوظ
فان العاقل يمتنع من قبولها بخلاف متاع يوضع
في صندوق او زاوية بيت والتكليف كذلك
فانه يحتاج الى تربية وتنمية

[illegible]

والطاعة لما خلقهن له وقوله فابين ان يحملنها اي ادين الامانة يقال فلان لم يتحمل الامانة اي لم يخن الامانة وحملها
الانسان اي خان فيها يقال فلان حمل الامانة اي اثم فيها بالخيانة قال تعالى وليحملن اثقالهم وفي الصحيحين عن حذيفة
قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين رأيت احدهما وانا انتظر الاخر حدثنا ان الامانة نزلت في جذر قلوب
الرجال ثم علموا من القرآن ثم من السنة وحدثنا في رفعها قال ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها
مثل اثر الوكت ثم ينام النومة فتقبض فيبقى اثرها مثل اثر المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا
وليس فيه شيء ويصبح الناس يتبايعون ولا يكاد احد يؤدي الامانة فيقال ان في بني فلان رجلا امينا ويقال للرجل
ما اعقله وما اظرفه وما اجلده وما في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان قال ولقد اتى علي زمان وما ابالي ايكم
بايعت ان كان مسلما ليردنه علي دينه وان كان نصرانيا او يهوديا ليردنه علي ساعيه فاما اليوم ما كنت ابايع منكم
الا فلانا وفلانا وعن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اربع اذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا
حفظ امانة وصدق حديث وحسن خليقة وعفة طعمة رواه احمد وقد ورد النهي عن الحلف بالامانة اشد النهي
كما روى بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف بالامانة فليس منا رواه ابو داود وقوله ليعذب الله المنافقين
والمنافقات اي انما حمل بني آدم الامانة وهي التكاليف ليعذب المنافقين منهم والمنافقات وهم الذين يظهرون
الايمان خوفا من اهله ويبطنون الكفر متابعة لاهله والمشركين والمشركات وهم الذين ظاهرهم وباطنهم على الشرك بالله
ومخالفة رسله ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات اي يهديهم ويرحمهم بما ادوا من الامانة ويعود عليهم بالرحمة
والمغفرة ان قصروا في بعض الطاعات وكان الله غفورا رحيما تم والحمد لله رب العالمين

النفطة آبلة

معنى لما بايعه هنا البيع والشرى المعروفان ومراده اني
كنت اعلم ان الامانة لم ترتفع وان في الناس وفاء
بالعهود فكنت اقدم على مبايعة من اتفق غير باحث
عن حاله فانه ان كان مسلما فدينه وامانته يمنعه
من الخيانة ويحمله على اداء الامانة وان كان كافرا
فساعيه وهو الوالي عليه كان ايضا يقوم بالامانة
في ولايته فيستخرج حقي منه واما اليوم فقد ذهبت
الامانة فما بقي لي وثوق بمن ابايعه ولا بالساعي
لاداء الامانة فما ابايع الا فلانا وفلانا
يعني افرادا من الناس اعرفهم واثق بهم
شرح مسلم للنووي

فاصل معنى الحديث ان القلب يخلو عن الامانة بزوال الخير
منها فتبقى فاذا زال جزء منها زال نورها وخلفه ظلمة
كالوكت وهو اعتراض لون مخالف للون الذي قبله
فاذا زال شيء اخر صار كالمجل وهو اثر محكم
لا يكاد يزول الا بعد مدة وهذه الظلمة فوق التي قبلها
ثم شبه زوال ذلك النور بعد وقوعه في القلب وخروجه
بعد استقراره فيه واعتقاب الظلمة اياه بجمر تدحرجه الى رجلك حتى
يوثر فيها ثم يزول الجمر ويبقى النفط

كتب سفيان الثوري رحمه الله عليه الى عباد بن عباد اما بعد فانك في زمان كان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتعوذون ان يدركوا ولهم من العلم ما ليس لنا ولهم من القدم ما ليس لنا فكيف بنا حين ادركناه على
قلة العلم وقلة الصبر وقلة اعوان على الخير وفساد من الناس وكدر من الدنيا فعليك بالامر الاول والتمسك به وعليك بالخمول
فان هذا زمان خمول وعليك بالعزلة وقلة مخالطة الناس فقد كان الناس اذا التقوا انتفع بعضهم ببعض واما اليوم فقد ذهب ذلك
والنجاة في تركهم فيما نرى واياك ان تخدع ويقال تشفع فتدرأ عن مظلوم او ترد مظلمة فان ذلك خديعة ابليس وانما اتخذها فجار
القراء سلما وكان يقال اتقوا فتنة العابد الجاهل والعالم الفاجر فان فتنتهما فتنة لكل مفتون وما كفيت من المسئلة والفتيا فاغتنم ذلك ولا تنافسهم
فيه واياك ان تكون ممن يحب ان يعمل بقوله او ينشر قوله او يسمع من قوله فاذا ترك ذلك منه عرف فيه فاياك وحب الرياسة فان الرجل يكون الرياسة احب
اليه من الذهب والفضة وهو باب غامض لا يبصره الا البصير من العلماء السماسرة فتفقد نفسك واعمل بنية واعلم انه قد دنا من الناس امور يشتهي الرجل ان يموت
والسلام

قال ابو عبد الله علام الجليل
بلغني عن اويس القرني انه جاع ثلثه ايام فلم يطعم
طعاما فلما كان في الليله الرابعه رفع يديه الى السماء
فقال وعزتك لئن بقيتني بغير طعام لا بدلك في وظيفتي
اربعمائه ركعه فبات الليله الرابعه فلما كان في اليوم الرابع وجد
في الطريق دينارا فقال دينار يشغلني عن الجنه ويقربني من الحساب
يا دينار مر عني ولم يلتفت اليه ثم مضى فاذا هو بحشيش نابت فقال
الكم لهذا الحشيش ارباب فقالوا هذا نبات رب العالمين فقطف ثلثه وقام
يصلي فلما فرغ من صلوته اذا بعنز في فمها رغيف فقال عنز في فمها
رغيف لعلها استلبته من [illegible] فانطقها الله عز وجل وهو يقول
والله يا اويس ما استلبته من [illegible] ولكن جبرئيل دفعه الي لادفعه اليك

روى عن حذيفه رضي الله عنه
انه قال كان الرجل ليتكلم بها بكلمه على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا
واني لاسمعها من احدكم في اليوم عشر مرات في المجلس
قيل لوكيع ما هي ههنا قال الغيبه والكذب

عن علي رضي الله عنه انه دخل عليه رجل وساله عن القدر فقال علي رضي الله عنه طريق مظلم فلا تسلكه فسكت الرجل ساعة ثم قال اخبرني عن القدر فقال بحر عميق فلا تلجه فسكت الرجل ساعة ثم قال اخبرني عن القدر فقال سر الله قد اخفي عنك فلا تفتشه فسكت الرجل ساعه ثم قال اخبرني عن القدر فبدأ علي رضي الله عنه بالسؤال فقال اخبرني مشيتك مع مشية الله تعالى او دون مشية الله تعالى فتحير الرجل وقال قل انت فقال علي رضي الله عنه ان قلت بان مشيتي مع مشية الله تعالى فقد ادعيت المشاركة مع الله وان قلت مشيتي دون مشية الله تعالى فقد ادعيت الالوهيه فعلمت ان مشيتي تحت مشية الله تعالى فقال الرجل تبت الى الله فقال علي صار مجوسي فانه قد اسلم الان انتهى قوله مع مشية الله اي يشاء وتشاء مشيئتين وهو المشاركه وقوله دون مشيه الله اي تشاء انت دونه اي هو لا يشاء فكنت انت الاله وقوله تحت مشية الله اي مشيتك من مشيه الله كما قال سبحانه وما تشاؤن الا ان يشاء الله فهو محمول على ارادته

قيل ان ابا ايوب الانصاري سال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال الا الله هل يقضي بالشر
قال نعم فقال يقضي بالشر ثم يعذبهم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية لا يسال
عما يفعل وهم يسئلون

بياض صحيح

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما
يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور اخبر تعالى عن نفسه الكريمة
ان له الحمد المطلق في الدنيا والآخرة لانه المنعم المتفضل على اهل الدارين المالك لجميع ذلك الحاكم في جميع ذلك كما قال وهو الله
لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون ولهذا قال ههنا الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض
اي الجميع ملكه وعبيده وتحت قهره وتصرفه ثم قال وله الحمد في الآخرة فهو المعبود ابدا المحمود على طول المدى وقوله
وهو الحكيم اي في افعاله واقواله وشرعه وقدره الخبير الذي لا يخفى عليه خافية وقيل حكيم بامره خبير بخلقه ولهذا قال يعلم ما يلج
في الارض وما يخرج منها اي يعلم عدد قطر النازل في اجزاء الارض والحب المبذور الكامن فيها ويعلم ما يخرج من ذلك
عدده وكيفيته وصفاته وما ينزل من السماء اي من قطر ورزق وما يعرج فيها من الاعمال الصالحة وغير ذلك وهو الرحيم
اي بعباده فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة الغفور لذنوب التائبين اليه وقال الذين كفروا الى قوله صراط العزيز الحميد
هذه احدى الآيات الثلاث اللاتي لا رابع لهن مما امر الله رسوله ان يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لما انكره من
اهل الكفر والعناد فاحداهن في سورة يونس ويستنبئونك احق هو قل اي وربي انه لحق وما انتم بمعجزين والثانية هذه
وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم والثالثة في التغابن زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي
لتبعثن الآية فقوله قل بلى وربي لتأتينكم اي الساعة ثم وصفه بما يؤكد ذلك ويقرره فقال عالم الغيب لا يعزب اي لا يغيب عنه
مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين اي الجميع مندرج تحت علمه فلا يخفى عليه
شيء فالعظام وان تلاشت وتمزقت وتفرقت هو عالم اين ذهبت ثم يعيدها كما بدأها اول مرة ثم بين حكمته في اعادة
الابدان وقيام الساعة بقوله ليجزي الذين آمنوا الآية والذين سعوا في آياتنا اي في الصد عن سبيل الله وتكذيب رسله
ويحسبون انهم معجزونا عن اخذهم ويفوتونا اولئك لهم عذاب من رجز اليم اي لينعم السعداء من المؤمنين
ويعذب الاشقياء من الكافرين وقوله ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق هذه حكمة اخرى معطوفة
على التي قبلها وهي ان المؤمنين بما انزل على الرسل اذا شاهدوا قيام الساعة ومجازاة الابرار والفجار الذي كانوا قد علموه
من كتب الله في الدنيا رأوه حينئذ عين اليقين ويقولون يومئذ لقد جاءت رسل ربنا بالحق وغير ذلك من الآيات الموافقة لمعناه
ويهدي الى صراط العزيز اي المنيع الجناب الذي لا يمانع ولا يغالب الحميد في جميع اقواله وافعاله وشرعه وقال

الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد افترى على الله كذبا
ام به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد افلم يروا الى ما بين ايديهم و
ما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء ان في
ذلك لآية لكل عبد منيب هذا اخبار من الله عن استبعاد الكفرة الملحدين قيام الساعة واستهزائهم بالرسول عليه الصلاة
والسلام في اخباره بذلك وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اي يخبركم يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم اذا مزقتم اي قطعتم
كل تقطيع وفرقتم كل تفريق في الارض وذهبت اجزاؤكم كل مذهب انكم اي بعد هذه الحال لفي خلق جديد اي تعودون احياء
ترزقون وهو في هذا الاخبار لا يخلو امره من قسمين اما ان يكون قد تعمد الافتراء على الله انه اوحى الله اليه ذلك او انه
لم يتعمد لكن لبس عليه كما يلبس على المعتوه والمجنون ولهذا قالوا افترى على الله كذبا ام به جنة قال الله تعالى رادا عليهم بل الذين

لا يؤمنون

القطره

وعملوا الصالحات لهم مغفرة و
اي لذنوبهم
رزق كريم
اي الجنة

لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد اي ليس الامر كما زعموا ولا كما ذهبوا اليه بل محمد رسول الله هو الصادق
البار الذي جاء بالحق وهم الكذبة الجهلة الاشقياء في العذاب اي الكفر المفضي بهم الى عذاب الله والضلال
البعيد من الحق في الدنيا ثم قال منبها لهم على قدرته في خلق السموات والارض افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم
من السماء والارض اي حيث ما توجهوا وذهبوا فالسماء مظلة لهم مطلة عليهم والارض تحتهم وقوله ان نشأ
نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا اي قطعا من السماء اي لو شئنا لفعلنا بهم ذلك لظلمهم وقدرتنا عليهم ولكن
نؤخر ذلك لحلمنا وعفونا ثم قال ان في ذلك لآية لكل عبد منيب قال قتادة المنيب المقبل على الله بالتوبة اي ان في النظر
الى خلق السماء والارض لدلالة لكل عبد فطن رجاع الى الله على قدرة الله على بعث الاجساد ووقوع المعاد لان
من قدر على خلق هذه السموات في ارتفاعها واتساعها وهذه الارضين في انخفاضها وطولها وعرضها انه
لقادر على اعادة الاجسام ونشر الرميم من العظام كما قال تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس

قطعة

ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير والنا له الحديد ان اعمل
سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير يخبر تعالى عما انعم به على عبده ورسوله داود مما آتاه
من الفضل العظيم وجمع له بين النبوة والملك والجنود الكثيرة والعدة وما منحه من الصوت الحسن الذي كان
اذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات وتقف له الطيور السارحات والغاديات الرائحات وتجاوبه بانواع
اللغات والتاويب في اللغة الترجيع فامرت الجبال والطير ان ترجع باصواتها اي رجعي مسبحة معه وقوله
والنا له الحديد كان الحديد في يده كالشمع والعجين يعمل منه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة بل كان يفتله بيده مثل الخيوط ولهذا قال
ان اعمل سابغات وهي الدروع وهو اول من عمل الحلقة وكانت قبل ذلك صفائح قال ابن شوذب كان داود يرفع كل يوم
درعا فيبيعها بستة آلاف درهم الفين له ولاهله واربعة آلاف درهم يطعم بها بني اسرائيل خبز الحواري وقدر في السرد
ارشاد من الله لداود في تعليمه صنعة الدروع قال مجاهد اي لا تدق المسمار فتسلس في الحلقة ولا تغلظه فيقصمها واجعله
بقدر الحاجة والسرد حلق الحديد يقال درع مسرودة اذا كانت مسمورة الحلق قال الشاعر وعليهما مسرودتان قضاهما
داود او صنع السوابغ تبع وقال وهب كان داود يخرج متنكرا يسأل الركبان عنه وعن سيرته فلا يسأل احدا الا
اثنى عليه خيرا في عبادته وسيرته وعدله قال حتى بعث الله ملكا فلقيه داود فسأله كما كان يسأل غيره فقال هو خير الناس
لنفسه ولامته الا ان فيه خصلة لو لم تكن فيه كان كاملا قال وما هي قال يأكل ويطعم عياله من مال المسلمين يعني بيت
المال فعند ذلك نصب داود يديه الى ربه بالدعاء ان يعلمه عملا بيده يستغني به ويطعم منه عياله فالان له الحديد
وعلمه صنعة الدروع فعمل الدرع وهو اول من عملها وكان يعمل الدرع فاذا ارتفع من عمله درع باعها فتصدق
بثلثها واشترى بثلثها ما يكفيه وعياله وامسك الثلث فيتصدق به يوما بيوم الى ان يعمل غيرها وكان اذا
قرأ الزبور يسمع الوحش اليه حتى يؤخذ باعناقها وما تنفر وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج
الا على اصناف صوته وكان شديد الاجتهاد في العبادة وقوله واعملوا صالحا اي في الذي اعطاكم الله من النعم
اني بما تعملون بصير اي مراقب لكم بصير باعمالكم ولا يخفى علي من ذلك شيء ولسليمان الريح غدوها شهر

ورواحها شهر واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور لما ذكر تعالى ما انعم به على داود عطف بذكر ما اعطى ابنه سليمن بن داود من تسخير الريح لتحمل بساطه غدوها شهر ورواحها شهر قال الحسن البصري كان يغدو من دمشق فينزل باصطخر يتغدى بها ويذهب رائحا من اصطخر فيبيت بكابل وبين دمشق واصطخر شهر كامل للمسرع وبين اصطخر وكابل شهر كامل للمسرع وقوله واسلنا له عين القطر قال ابن عباس وكثير والقطر النحاس و كانت باليمن قال قتادة فكل ما يصنع الناس مما اخرج الله لسليمن قال السدي وانما اسلت له ثلثة ايام وقوله ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه اي وسخرنا له الجن يعملون بين يديه باذن الله اي بقدرته لهم وتسخيره ومشيئته ما يشاء من انواع البناء وغيره ومن يزغ منهم عن امرنا اي ومن يعدل ويخرج منهم عن الطاعة نذقه من عذاب السعير وهو الحريق وعن ابي ثعلبة الخشني مرفوعا قال الجن ثلثة اصناف صنف لهم اجنحة يطيرون في الهواء وصنف حيات وكلاب وصنف يحلون ويظعنون رفعه غريب جدا رواه ابن ابي حاتم وقال بكر بن مضر الانس ثلث اصناف صنف يظلهم الله بظل عرشه يوم القيمة وصنف كالانعام بل هم اضل سبيلا وصنف في صور الناس على قلوب الشياطين وقوله يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل اما المحاريب فهي البناء الحسن وهو اشرف شيء في المسكن وقيل هو المساجد القصور واما التماثيل فهي الصور من النحاس وغيره وقوله وجفان كالجواب وقدور راسيات الجواب جمع جابية وهي الحوض الذي يجبى فيه الماء وقال ابن عباس كالجوبة من الارض والراسيات هي الثابتات في اماكنها لا تتحرك ولا تحول من اماكنها لعظمها قاله مجاهد وغيره وقوله اعملوا آل داود شكرا مصدر من غير الفعل او انه مفعول له وفيه دلالة على ان الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول وبالنية كما قال افادتكم النعماء مني ثلثة يدي ولساني والضمير المحجبا قال بعضهم الصلوة شكر والصيام شكر وكل خير يعمله لله شكر وافضل الشكر الحمد وقد كان آل داود قائمين بشكر الله قولا وعملا قال ثابت البناني كان داود قد جزأ على اهله وولده ونسائه الصلوة فكان لا ياتي عليهم ساعة من الليل والنهار الا وانسان من آل داود قائم يصلي فعمتهم هذه الآية اعملوا آل داود شكرا وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احب الصلوة الى الله صلوة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه واحب الصيام الى الله صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر اذا لاقى وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ام سليمن بن داود لسليمن لا تكثر النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل يترك الرجل فقيرا يوم القيمة رواه ابن ماجة وقيل ان داود قال يا رب كيف اطيق شكرك والشكر نعمة منك قال الآن شكرتني حين علمت ان النعم مني وقوله وقليل من عبادي الشكور اخبار عن الواقع اي العامل بطاعتي شاكر لنعمتي **فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين** ذكر تعالى كيفية موت سليمن وكيف عمى الله موته على الجن المسخرين له في الاعمال الشاقة وانه مكث متوكئا على عصاه وهي منساته كما قال ابن عباس وغير واحد مدة طويلة نحوا من سنة

فلما اكلتها

فلما اكلتها دابة الارض وهي الارضة فضعفت سقط الى الارض وعلم انه قد مات قبل ذلك بمدة وتبينت الجن والانس ايضا ان الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان سليمن نبي الله اذا صلى راى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك فتقول كذا فيقول لاي شيء انت فان كانت لغرس غرست وان كان لدواء كتبت فبينما هو يصلي ذات يوم اذ راى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخروب قال لاي شيء انت قالت لخراب هذا البيت فقال سليمن اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب فنحتها عصا فتوكا عليها حولا ميتا والجن تعمل فاكلتها الارضة فتبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا في العذاب المهين قال ابن جبير وكان ابن عباس يقراها كذلك فشكرت الجن للارضة فكانت تاتيه بالماء وهكذا رواه ابن ابي حاتم وفي رفعه غرابة ونكارة والاقرب ان يكون موقوفا والله اعلم والمنساه بلسان الحبش هي العصا وقال ابن زيد في هذه الآية قال سليمن لملك الموت اذا امرت بي فاعلمني فاتاه فقال يا سليمن قد امرت بك قد بقيت لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي فاتكا على عصاه فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متوكئ على عصاه ولم يصنع ذلك فرارا من ملك الموت قال والجن تعمل بين يديه وينظرون اليه يحسبون انه حي فبعث الله دابة الارض وهي التي تاكل العيدان يقال لها القادح فدخلت فيها فاكلتها حتى اذا اكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخر ميتا فلما رات ذلك الجن انفضوا وذهبوا فذلك قوله ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته وذكر اهل التواريخ ان سليمن كان عمره ثلثا وخمسين سنة ومدة ملكه اربعون سنة وملك يوم ملك وهو ابن ثلث عشرة سنة وابتدا في بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه والله اعلم **لقد كان لسبا في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور** كانت سبا ملوك اليمن واهلها وكانت التبابعة منهم وبلقيس صاحبة سليمن من جملتهم وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وعيشهم واتساع ارزاقهم وثمارهم فبعث الله اليهم الرسل يامرونهم ان ياكلوا من رزقه ويشكروه بتوحيده وعبادته وكانوا كذلك ما شاء الله ثم اعرضوا عما امروا به فعوقبوا بارسال السيل عليهم والتفرق في البلاد ايدي سبا شذر مذر كما سياتي تفصيله وبيانه قال ابن عباس ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبا ما هو ارجل ام امراة ام ارض قال بل هو رجل ولد عشرة فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم اربعة فاما اليمانيون فمذحج وكندة والازد والاشعريون وانمار وحمير واما الشامية فلخم وجذام وعاملة وغسان رواه احمد وفي رواية له عن فروة بن مسيك قال قلت يا رسول الله ارايت سبا وادي هو او جبل ام ما هو قال لا بل رجل من العرب ولد له عشرة فتيامن ستة وتشام اربعة تيامن الازد والاشعريون وحمير وكندة ومذحج وانمار الذي يقال له بجيلة وخثعم وتشام لخم وجذام وعاملة وغسان وروى الترمذي مثله وحسنه قال ابن اسحق اسم سبا عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وانما سمي سبا لانه اول من سبا من العرب وكان يقال له الرائش لانه اول من غنم الغزو فاعطى قومه فسمي الرائش والعرب تسمي المال

ديننا ودنيانا ومعنى قوله عليه الصلوة والسلام رجل من العرب اي العرب العاربة الذين كانوا قبل الخليل عليه السلام من سلالة سام بن نوح وقيل من سلالة الخليل عليهما السلام وقد جاء في البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بنفر من اسلم ينتضلون فقال ارموا بني اسمعيل فان اباكم كان راميا فاسلم قبيلة من الانصار والانصار اوسها وخزرجها من غسان من عرب اليمن من سبا نزلوا يثرب بعد تفرقهم في البلاد حين بعث الله عليهم سيل العرم ومعنى قوله ولد عشرة اي كان من نسله هؤلاء العشرة الذين يرجع اليهم اصول القبائل من عرب اليمن لا انهم ولدوا من صلبه بل منهم من بينه وبينه الابوان والثلثة والاقل والاكثر ومعنى قوله فتيامن منهم ستة وتشام منهم اربعة اي بعدما ارسل عليهم السيل منهم من اقام ببلادهم ومنهم من نزح عنها الى غيرها وكان من امر السد انه كان الماء ياتيهم من بين جبلين ويجتمع اليه ايضا سيول امطارهم واوديتهم فعمد ملوكهم الاقادم فبنوا بينهما سدا عظيما محكما حتى ارتفع الماء وحكم على حافات ذينك الجبلين فغرسوا الاشجار واستغلوا الثمار في غاية ما يكون من الكثرة والحسن كما ذكر غير واحد من السلف منهم قتادة ان المراة كانت تمشي تحت الاشجار وعلى راسها مكتل او زنبيل فتساقط من الاشجار في ذلك ما يملاه من غير ان يحتاج الى كلفة ولا قطاف لكثرته ونضجه واستوائه وكان هذا السد بمارب بلدة بينها وبين صنعاء ثلث مراحل وذكر اخرون انه لم يكن ببلدهم شئ من الذباب ولا البعوض ولا البراغيث ولا شئ من الهوام وذلك لاعتدال الهواء وصحة المزاج وعناية الله بهم ليوحدوه ولا يشركوا به كما قال تعالى لقد كان لسبا في مسكنهم اية ثم فسرها بقوله جنتان عن يمين وشمال اي من ناحيتي الجبلين والبلدة بين ذلك كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور اي غفور لكم ان استمررتم على التوحيد ف قوله فاعرضوا اي عن التوحيد وعبادته وشكره على ما انعم به عليهم وعدلوا الى عبادة الشمس كما قال الهدهد وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله قال وهب بعث الله اليهم ثلثة عشر نبيا وقال السدي ارسل الله اليهم اثني عشر الف نبي والله اعلم وقوله فارسلنا عليهم سيل العرم قيل المراد بالعرم المسناة وقيل الوادي وقيل الجرذ وقيل الماء الغزير فيكون من باب اضافة الاسم الى صفته وذكر ابن عباس وغير واحد ان الله تعالى لما اراد عقوبتهم بارسال السيل عليهم بعث على السد دابة من الارض يقال لها الجرذ وكانوا يرصدون عنده السنانير برهة من الزمان فلما جاء القدر غلبت الفار السنانير وولجت الى السد فنقبته فانهار عليهم وقال قتادة وغيره الجرذ نقبا اسافل السد حتى اذا ضعف ووهي وجاءت ايام السيول صدم الماء البناء فسقط فانساب الماء في اسفل الوادي وخرب ما بين يديه من الابنية والاشجار وغير ذلك ونضب الماء عن الاشجار التي في الجبلين عن يمين وشمال فيبست وتحطمت وتبدلت تلك الاشجار المثمرة كما قال تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط قال ابن عباس وغير واحد هو الاراك اكله البرير واثل وهو شجر يشبه الطرفاء وقيل هو السمر وقوله وشئ من سدر قليل فكان اجود هذه الاشجار المبدل بها هو السدر فهذا الذي صار امر تلك الجنتين اليه بعد الثمار النضيجة والمناظر الحسنة والانهار الجارية تبدلت الى شجر الاراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والثمر القليل وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله وتكذيبهم بالحق ولهذا قال تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور اي ذلك عاقبناهم بكفرهم ولا نعاقب الا الكفور وعن علي رضي الله عنه قال جزاء المعصية الوهن في العبادة والضيق في المعيشة والتعسر في اللذة قيل وما التعسر في اللذة قال لا يصادف لذة حلالا الا جاءه من ينغصه اياها وجعلنا بينهم

قيل كانت العجوز تخرج من منزلها الى منزل جارتها وعلى راسها مكتل ويداها في مغزلها فاذا مكتلها قد امتلأ ثمرا مما يسقط من جنانها يانعا وذلك قوله بلدة طيبة الهوا ورب غفور الخطا كثير العطا

وبين القرى

وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي واياما امنين فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لايات لكل صبار شكور ذكر تعالى ما كانوا فيه من النعمة والعيش الهني الرغيد والبلاد الرخية والاماكن الامنة والقرى المتقاربة بعضها من بعض مع كثرة اشجارها وزروعها بحيث ان مسافرهم لا يحتاج الى زاد ولا ماء بل حيث نزل يجد زادا وماء ويقيل ويبيت في اخرى بمقدار ما يحتاجون اليه في سيرهم ولهذا قال تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قال وهب بن منبه هي قرى صنعاء وقال مجاهد وغير واحد قرى الشام يعنون انهم كانوا يسيرون من اليمن الى الشام في قرى ظاهرة متواصلة قال ابن عباس هي بيت المقدس وظاهرة اي بينة واضحة يعرفها المسافرون يقيلون في واحدة ويبيتون في اخرى ولهذا قال وقدرنا فيها السير اي جعلناها بحسب ما يحتاج اليه المسافرون سيروا فيها ليالي واياما امنين اي الامن حاصل لهم في سيرهم ليلا ونهارا فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم اي بكفرهم وقرا بعضهم بعد بين اسفارنا وذلك انهم بطروا هذه النعمة كما قاله ابن عباس واتباعه واحبوا مفاوز ومهامه يحتاجون الى الزاد والرواحل والسير في الحرور والمخاوف فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق اي جعلناهم حديثا للناس وسمرا يتحدثون به من خبرهم وكيف مكر الله بهم وفرق شملهم بعد الاجتماع والالفة والعيش الهني تفرقوا في البلاد ولهذا تقول العرب في القوم اذا تفرقوا تفرقوا ايدي سبا ومزقناهم اي فرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفرق قال الشعبي لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد اما غسان فلحقوا بالشام واما الازد فلحقوا بعمان وخزاعة الى تهامة وال خزامة الى العراق وعمرو بن عامر جد الاوس والخزرج الى يثرب ثم فرقهم الله كل ممزق وقوله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور اي ان في هذا الذي حل بهؤلاء من النقمة والعذاب وتبديل النعمة وتحويل العافية عقوبة على ما ارتكبوه من الكفر والاثام لعبرة ودلالة لكل عبد صبار على المصائب شكور على النعم وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء الا كان خيرا له ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له وليس ذلك لاحد الا للمؤمن **ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شئ حفيظ** لما ذكر الله قصة سبا وما كان من امرهم في اتباعهم الهوى والشيطان اخبر عنهم وعن امثالهم ممن اتبع ابليس والهوى وخالف الرشاد والهدى فقال ولقد صدق عليهم ابليس ظنه قال ابن عباس وغير واحد هذا كقوله تعالى اخبارا عن ابليس حين امتنع عن السجود لادم ثم ارايتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتن الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته الا قليلا وقال الحسن البصري لما اهبط الله ادم من الجنة ومعه حواء هبط ابليس فرحا بما اصاب منهما وقال اذا اصبت من الابوين ما اصبت فالذرية اضعف واضعف وكان ذلك ظنا من ابليس فانزل الله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اي ظن فيهم ظنا فصدق ظنه وحققه بفعله ذلك بهم واتباعهم اياه وعلى قراءة التخفيف معناه صدق عليهم في ظنه بهم اي على اهل سبا وقيل على الناس كلهم الا من عصمه الله فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين اي الذين يطيعون الله ولا يعصونه فقال عند ذلك ابليس لا افارق ابن ادم ما دام فيه الروح اعده وامنيه واخدعه فقال الله وعزتي لا احجب عنه التوبة ما لم يغرغر بالموت ولا يدعوني الا اجبته ولا يسالني الا اعطيته ولا يستغفرني الا غفرت له

قيل كانت قرى
بينهم اربعة الاف وسبعمائة قرية متصلة من سبا
الى الشام وقدرنا فيها السير اي جعلنا السير
بين قراهم والقرى التي باركنا فيها سيرا
مقدرا من منزل الى منزل ومن قرية الى قرية
لا ينزلون الا في قرية وماء وشجر ولا يغدون الا
من قرية وماء وشجر وقلنا لهم سيروا فيها
ليالي واياما اي وقت شئتم امنين لا تخافون
عدوا ولا جوعا ولا عطشا فبطروا وطغوا
ولم يصبروا على العافية فقالوا ربنا باعد
بين اسفارنا اي اجعل بيننا وبين الشام
فلوات ومفاوز لنركب فيها الرواحل و
نتزود الازواد فعجل الله لهم الاجابة

لعظات وعبر لكل ذي همة
مما ذكرنا من
حال الشاكرين و
وبال الكافرين

وقيل صدق عليهم ابليس ظنه في انه خير منه كما قال انا خير منه
وحقق ذلك في قوله فاتبعوه لان المتبوع خير من
التابع والا لا يتبعه العاقل والذي يدل على ان ابليس
خير من الكافر هو ان ابليس امتنع من عبادة غير الله
لكن لما كان امتناعه بتركه عبادة الله عنادا وكفر و
المشرك يعبد غير الله فهو كفر [illegible] الى التوحيد
وهم كفروا [illegible]

[illegible]

رواه ابن ابي حاتم وقوله وما كان له عليهم من سلطان اى من حجة قال الحسن والله ما ضربهم بعصا
ولا اكرههم على شئ وما كان الا غرورا واماني دعاهم اليها فاجابوه وقوله الا لنعلم من يؤمن
بالاخرة ممن هو منها في شك اى انما سلطناه عليهم ليظهر امر من هو مؤمن بالاخرة وقيامها والحساب
فيها والجزاء فيحسن عبادة ربه في الدنيا ممن هو منها في شك وقوله وربك على كل شئ حفيظ اى مع حفظه
ضل من ضل من اتباع ابليس وبحفظه وكلاءته سلم من سلم من المؤمنين اتباع الرسل **قل ادعوا الذين
زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما
من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى
اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير** بين الله انه الواحد
الاحد الصمد الذي لا نظير له ولا شريك هو المستقل بالامر وحده من غير مشارك ولا منازع فقال قل ادعوا الذين
زعمتم من دون الله اى من الالهة التي عبدت من دونه لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض كما قال والذين
يدعون من دون الله لا يملكون من قطمير وقوله وما لهم فيهما من شرك اى لا يملكون شيئا استقلالا ولا على سبيل الشركة وما له
منهم من ظهير اى وليس لله من هذه الانداد من ظهير يستظهر به في الامور بل الخلق كلهم فقراء اليه وقال قتادة اى من عون يعينه
بشئ ثم قال ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له يعني الا باذنه اى لعظمته وجلاله وكبريائه لا يتجرأ احد ان يشفع عنده في
شئ الا بعد اذنه له في الشفاعة كما قال من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وكما في حديث الشفاعة ثم يقال يا محمد ارفع راسك و
قل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع الحديث وقوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهذا ايضا مقام رفيع
في العظمة وهو انه تعالى اذا تكلم بالوحي فسمع اهل السموات كلامه ارعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي وقال ابن مسعود و
اى اذا زال الفزع عنها وقال ابن عباس وكثيرون اى جلي عن قلوبهم فاذا كان كذلك سال بعضهم بعضا ماذا قال ربكم فيخبر
بذلك حملة العرش للذين يلونهم ثم للذين يلونهم حتى ينتهي الخبر الى اهل السماء الدنيا ولهذا قال قالوا الحق اى اخبروا بما
قال من غير زيادة ولا نقصان وهو العلي الكبير وقال اخرون حتى اذا فزع عن قلوب المشركين عند الاحتضار واذا استيقظوا
مما كانوا فيه غافلين في الدنيا وقال مجاهد اى حتى اذا كشف عنهم الغطاء يوم القيمة وقال الحسن يعني ما فيه من الشك والتكذيب
وقال ابن زيد اى حتى اذا فزع الشيطان عن قلوبهم ففارقهم وامانيهم وما كان يضلهم وهذا في بني آدم عند الموت
حتى لا تنفعهم الاقرار واختار ابن جرير القول الاول ان الضمير عائد الى الملائكة وهذا هو الحق الذي لا مرية فيه للاحاديث الصحيحة
فيه عن ابي هريرة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على
صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع .. وهكذا بعضه فوق بعض
ووصف سفيان بيده فحرفها وبدد بين اصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الآخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان
الآخر او الكاهن فربما ادرك الشهاب قبل ان يلقيها وربما القاها قبل ان يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال اليس قد
قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء رواه البخاري وابو داود والترمذي وعن
ابن عباس قال كان رسول الله صلعم جالسا في نفر من اصحابه فرمي بنجم فاستنار قال ما كنتم تقولون اذا كان مثل هذا
في الجاهلية قالوا كنا نقول يولد عظيم او يموت عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها لا يرمى بها لموت احد ولا لحيوته

وفي الاية حذف اى ادعوهم ليكشفوا الضر الذي نزل بكم في سني الجوع

اى كشف الفزع واخرج عن قلوبهم فالتفريع ازالة الفزع كالتمريض والتقريد

المزيد ازالة الزاد عن البعير

فيه من الغفلة في الدنيا ورجعت اليهم عقولهم يوم القيمة قالوا ماذا قال ربكم فقيل لهم الحق واخبروا بما كانوا فيه مرضى

[illegible]

[illegible]

ولكن ربنا تبارك وتعالى اذا قضى امرا سبح حملة العرش ثم سبح اهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا ثم يستخبر
اهل السماء الذين يلون حملة العرش فيقول لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ويخبر اهل كل سماء سماء حتى ينتهي الى هذه السماء
ويخطف الجن السمع فيرمون فما جاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون رواه احمد ومسلم والنسائي والترمذي
**قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين
قل لا تسئلون عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق
وهو الفتاح العليم قل اروني الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو العزيز الحكيم**
تقرر تعالى تفرده بالخلق والرزق وانفراده بالالهية ايضا فكما كانوا يعترفون بانه يرزقهم من السموات والارض اى بما ينزل
من المطر وينبت من الزرع فكذلك فليعلموا انه لا اله غيره وقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين من باب اللف والنشر
اى واحد من الفريقين مبطل والاخر محق لا سبيل الى ان تكونوا انتم ونحن على الهدى او على الضلال بل واحد منا مصيب ونحن اقمنا البرهان
على التوحيد فدل على بطلان ما انتم عليه من الشرك بالله وقد قال ذلك الصحابة للمشركين والله ما نحن واياكم على امر واحد ان
احد الفريقين لمهتد وقال عكرمة اى انما نحن على هدى واياكم لفي ضلال مبين وقوله لا تسئلون عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون معناه
التبري منهم اى لستم منا ولا نحن منكم بل ندعوكم الى الله والى توحيده وافراد العبادة له فان اجبتم فانتم منا ونحن منكم وان كذبتم
فنحن براء منكم وانتم براء منا كما قال وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون وقوله قل يجمع
بيننا ربنا اى يوم القيمة يجمع بين الخلائق في صعيد واحد ثم يفتح بيننا بالحق اى يحكم بيننا بالعدل فيجزي كل عامل بعمله وسيعلمون
يومئذ لمن النصرة والعزة والسعادة الابدية ولهذا قال وهو الفتاح العليم اى الحاكم العالم بحقائق الامور وقوله قل اروني
الذين الحقتم به شركاء اى اروني هذه الالهة التي جعلتموها لله اندادا وصيرتموها له عدلا كلا اى ليس له نظير ولا نديد ولا شريك
ولا عديل ولهذا قال بل هو الله اى الواحد الاحد الذي لا شريك له العزيز الحكيم اى ذو العزة التي قد قهر بها كل شئ الحكيم في
افعاله واقواله وشرعه وقدره **وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستاخرون عنه
ساعة ولا تستقدمون** اى وما ارسلناك يا محمد الا الى جميع الخلق من المكلفين كما قال تعالى قل يا ايها الناس اني
رسول الله اليكم جميعا قال قتادة ارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم الى العرب والعجم فاكرمهم على الله اطوعهم لله تعالى وقال
ابن عباس ان الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السماء وعلى الانبياء فانه قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه ليبين لهم وقال للنبي صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس فارسله الله الى الانس والجن رواه ابن ابي حاتم
وقد ثبت في الصحيحين عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلي نصرت
بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل ادركته الصلوة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل
لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه وبعثت الى الناس عامة وفي الصحيح ايضا انه عليه الصلوة
والسلم قال بعثت الى الاحمر والاسود ثم قال تعالى مخبرا عن الكفار في استبعادهم قيام الساعة ويقولون متى هذا
الوعد ان كنتم صادقين يعني يوم القيمة ثم قال قل لكم ميعاد يوم لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون اى لكم ميعاد
مؤجل معدود لا يزداد ولا ينقص فاذا جاء فلا يؤخر ساعة ولا يقدم كما قال الله تعالى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر
وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى اذ الظالمون

عند الموت وانما قالوا هذا
لانهم كانوا ينكرون
البعث ٥

[illegible]

موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا
لولا انتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد
اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل
والنهار اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا واسروا الندامة لما راوا العذاب
وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون اخبر تعالى عن
تمادي الكفار في طغيانهم وعنادهم على عدم الايمان بالقرآن وبما اخبر به من امر المعاد ولهذا قال وقال الذين كفروا
لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه يعنون التورية ولا الانجيل فقال تعالى متهددا لهم ومخبرا عن مواقفهم الذليلة بين يديه
في حال تخاصمهم وتحاجهم ولو ترى يا محمد اذ الظالمون موقوفون اي محبوسون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول
يقول الذين استضعفوا وهم الاتباع للذين استكبروا وهم قادتهم وسادتهم لولا انتم لكنا مؤمنين اي لولا انتم تصدوننا
لكنا اتبعنا الرسل وآمنا بما جاؤا به فقال لهم القادة والسادة وهم الذين استكبروا انحن صددناكم عن الهدى بعد
اذ جاءكم اي نحن ما فعلنا بكم ذلك اكثر من انا دعوناكم فاتبعتمونا بغير دليل ولا برهان وخالفتم الادلة والبراهين والحجج التي
جاءت بها الانبياء لشهوتكم واختياركم لذلك ولهذا قال بل كنتم مجرمين اي ترك الايمان وقال الذين استضعفوا للذين
استكبروا بل مكر الليل والنهار اي بل كنتم تمكرون بنا ليلا ونهارا وتغروننا وتمنوننا وتخبروننا انا على هدى وعلى شي فاذا
جميع ذلك باطل وكذب ومين وقال قتادة اي مكركم بالليل اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا اي نظراء وآلهة
معه وتقيموا لنا شبها واشياء من المحال تضلوننا بها واسروا الندامة لما راوا العذاب اي الجميع من السادة والاتباع
كل ندم على ما سلف منه وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا وهي السلاسل التي تجمع ايديهم مع اعناقهم هل يجزون
الا ما كانوا يعملون اي انما نجازيكم باعمالكم كلا بحسبه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان جهنم لما سيق اليها
اهلها تلقتهم لهبها ثم لفحتهم لفحة فلم يبق لحم الا سقط على العرقوب رواه ابن ابي حاتم وما ارسلنا في قرية
من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما
نحن بمعذبين قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون وما
اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فاولئك
لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون والذين يسعون في آياتنا معاجزين
اولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر له وما انفقتم
من شي فهو يخلفه وهو خير الرازقين امر تعالى نبيه عليه الصلوة والسلم بالتاسي بمن قبله من الرسل واخبره
انه ما بعث نبيا في قرية الا كذبه مترفوها واتبعه ضعفاؤهم كما قال قوم نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون وقوله
وما ارسلنا في قرية من نذير او نبي او رسول الا قال مترفوها وهم اولو النعمة والحشمة والثروة والرياسة قال قتادة هم جبابرتهم
وقادتهم ورؤسهم في الشر انا بما ارسلتم به كافرون اي لا نؤمن به ولا نتبعه عن ابي رزين قال كان رجلان شريكين خرج
احدهما الى الساحل وبقي الآخر فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى صاحبه يساله ما فعل فكتب اليه انه لم يتبعه احد
من قريش الا اتبعه رذالة الناس ومساكينهم قال فترك تجارته ثم اتى صاحبه فقال دلني عليه قال وكان يقرا
الكتب او بعض الكتب قال فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الى ما تدعو قال الى كذا وكذا قال اشهد انك رسول الله

وبه تنبيه للكفار ان طاعة بعضهم لبعض في الدنيا تصير سبب العداوة في الآخرة

لفحته النار والسموم بحرها احرقته قال الاصمعي ما كان من الرياح لفح فهو حر وما كان نفح فهو برد

العرقوب العصب الغليظ الموتر فوق عقب الانسان

قال وما علمك

قال وما علمك بذلك قال انه لم يبعث نبي الا اتبعه رذالة الناس ومساكينهم قال فنزلت هذه الآيات وما ارسلنا
في قرية من نذير الآيات قال فارسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد انزل تصديق ما قلت رواه ابن ابي حاتم
وقال تعالى مخبرا عن المشركين المكذبين وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين افتخروا بكثرة الاموال و
الاولاد واعتقدوا ان ذلك دليل على محبة الله لهم واعتنائه بهم وانه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا ثم يعذبهم
في الآخرة وهيهات لهم ذلك قال الله ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون
ثم قال منبها قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي يعطي المال لمن يحب ومن لا يحب فيفقر من يشاء و
يغني من يشاء وله الحكمة البالغة والحجة القاطعة ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي بانها لذلك ثم قال وما اموالكم ولا اولادكم
بالتي تقربكم عندنا زلفى اي ليست هذه دليلا على محبتنا لكم ولا اعتنائنا بكم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم رواه احمد ومسلم ولهذا قال الا من آمن وعمل صالحا اي
انما يقربكم عندنا زلفى الايمان والعمل الصالح فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا اي يضاعف لهم الحسنة
بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف وهم في الغرفات اي في منازل الجنة العالية آمنون اي من كل باس وخوف ومن
كل شي يحذر منه عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة غرفا يرى ظهورها من بطونها
وبطونها من ظهورها فقال اعرابي يا رسول الله لمن هي قال لمن طيب الكلام واطعم الطعام وادام الصيام
وصلى لله بالليل والناس نيام رواه ابن ابي حاتم والترمذي وقوله والذين يسعون في آياتنا معاجزين اي يسعون
في الصد عن سبيل الله واتباع رسله والتصديق باياته معاجزين اي معاندين يحسبون انهم يعجزوننا عن تعذيبهم
فاولئك في العذاب محضرون اي جميعهم مجزيون باعمالهم فيها بحسبهم وقوله قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء
من عباده ويقدر له اي بحسب ما له في ذلك من الحكمة يبسط على هذا من المال كثيرا ويضيق على هذا ويقتر عليه
رزقه جدا اي كما هم متفاوتون في الدنيا في الفقر والغنى فكذلك هم في الآخرة هذا في الغرفات في اعلى الدرجات
وهذا في الغمرات في اسفل الدركات واطيب الناس في الدنيا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد افلح من اسلم
ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه رواه مسلم وقوله وما انفقتم من شي اي فيما امركم به واباحه لكم فهو يخلفه
عليكم في الدنيا بالبدل وفي الآخرة بالجزاء والثواب كما ثبت في الصحيحين ابن آدم انفق انفق عليك وعن ابي هريرة
فيهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط
منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا وقال عليه الصلوة والسلم انفق بلال ولا تخش من ذي العرش
اقلالا رواه البيهقي في الشعب وقال مجاهد لا يتاولن احدكم هذه الآية ما انفقتم من شي فهو يخلفه اذا كان
عند احدكم ما يقيم عيشه فليقتصد فيه فان الرزق مقسوم ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة
اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن
اكثرهم بهم مؤمنون فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول
للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون اخبر تعالى عن تقريع المشركين
على رؤس الاشهاد فيسال الملائكة الذين كان المشركون يزعمون انهم يعبدون الانداد التي هي على صور الملائكة

لفقرا

كانوا

ليقربوهم الى الله زلفى فيقول للملئكة اهؤلاء اياكم يعبدون اى انتم امرتم هؤلاء بعبادتكم كما قال في سورة الفرقان أانتم اضللتم
عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل فيقول الملئكة سبحانك اى تقدست وتعاليت ان يكون معك اله انت ولينا من دونهم
الآية اى نحن عبيدك ونبرأ اليك من هؤلاء بل كانوا يعبدون الجن اى الشياطين هم الذين زينوا لهم عبادة الاوثان
واضلوهم اكثرهم بهم مؤمنون قال تعالى فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا اى لا يقع لكم نفع ممن كنتم ترجون
نفعه اليوم من الانداد والاوثان التي ادخرتم عبادتها لكربكم وشدائدكم اليوم لا يملكون لكم ضرا ولا نفعا ونقول
للذين ظلموا وهم المشركون ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون اى يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا **واذا تتلى**
عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم
وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر
مبين وما اتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب
الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما اتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير
اخبر تعالى عن الكفار انهم يستحقون منه العقوبة واليم العذاب لانهم كانوا اذا تتلى عليهم اياته بينات يسمعونها غضة
طرية من لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم يعنون ان دين
آبائهم هو الحق وان ما جاءهم به الرسول عندهم باطل عليهم وعلى آبائهم لعائن الله وقالوا ما هذا الا افك مفترى
يعنون القرآن وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين وما اتيناهم اى هؤلاء المشركين من كتب
يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير اى ما انزل الله على العرب من كتاب قبل القرآن وما ارسل اليهم نبيا
قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد كانوا يودون ذلك يقولون لو جاءنا نذير او انزل علينا كتاب لكنا اهدى من غيرنا
فلما من الله عليهم بذلك كذبوه وجحدوه وعاندوه ثم قال وكذب الذين من قبلهم اى من الامم وما بلغوا معشار
ما اتيناهم قال ابن عباس وغيره اى من القوة في الدنيا كما قال تعالى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة اى وما دفع ذلك عنهم عذاب الله ولا رده بل دمر الله عليهم
كما كذبوا رسله ولهذا قال فكذبوا رسلي فكيف كان نكير اى فكيف كان عقابي وانتصاري لرسلي **قل انما اعظكم**
بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة
ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد يقول قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين
انك مجنون انما اعظكم اى امركم بخصلة واحدة وهي ان تقوموا لله مثنى وفرادى ان تقوموا قياما خالصا
لله من غير هوى ولا عصبية فيسال بعضكم بعضا هل بمحمد من جنون فينصح بعضكم بعضا ثم تتفكروا اى ينظر الرجل
لنفسه في امر محمد صلى الله عليه وسلم ويسال غيره من الناس عن شانه ان اشكل عليه ويتفكر في ذلك ولهذا قال
ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة هذا معنى ما ذكره مجاهد وغير واحد في المراد من
هذه الآية وقوله ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد عن ابن عباس قال صعد النبي صلى الله عليه وسلم
على الصفا ذات يوم فقال يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش فقالوا ما لك فقال ارأيتم لو اخبرتكم ان العدو
يصبحكم او يمسيكم اما كنتم تصدقوني قالوا بلى قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك

الهنا

قل انما اعظكم بواحدة يعني آمركم واوصيكم بكلمة واحدة
وهي قول لا اله الا الله قال وهل جزاء لا اله الا الله الا الجنة
كذلك قوله هل جزاء الاحسان الا الاحسان عن عثمان الانصاري
ان رسول الله صلعم قال ان لا اله الا الله كلمة عند الله كريمة
ولها عند الله مكان من قالها صادقا بها ادخله الله الجنة
ومن قالها كاذبا حقنت دمه واحرزت ماله ولقي الله غدا
فحاسبه وقيل معناه اعظكم بخصلة واحدة وهي ان تقوموا
لله اى لاجل الله ليس المراد القيام الذي هو ضد الجلوس و
انما هو [illegible] الامر الذي هو طلب الحق كقوله وان تقوموا لليتامى
بالقسط مثنى يعني اثنين متناظرين وفرادى يعني واحدا واحدا
متفكرين التفكر طلب المعنى بالقلب تفكر جست وجوى دل است
در طلب معنى وآن سه قسم است حرام ومستحب وواجب تفكر
در ذات الله تعالى وصفات او حرام است زيراكه از آن تخم حيرت
ونقص زايد وتفكر در اسرار خلق حرام است زيراكه از آن تخم
خصومت زايد وتفكر در صنع صانع مستحب است وتحصيل در آن ادنى
صانع وتفكر واجب است تفكر در كردار خويش وحسن عيب خويش
وعرض نامه يوم وكسب خويش

الهذا جمعتنا فانزل الله تبت يدا ابي لهب رواه البخاري وعن بريدة قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما فنادى ثلث مرات فقال ايها الناس تدرون ما مثلي ومثلكم قالوا الله ورسوله اعلم قال انما مثلي ومثلكم مثل
قوم خافوا عدوا ان ياتيهم فبعثوا رجلا يتراءى لهم فبينما هم كذلك ابصر العدو فاقبل لينذرهم وخشي ان يدركه
العدو قبل ان ينذر قومه فاهوى بثوبه ايها الناس اتيتم ثلاث مرات رواه احمد وفي السنن معناه **قل ما سالتكم**
من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد قل ان ربي يقذف
بالحق علام الغيوب قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد قل ان ضللت
فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي انه سميع قريب امر تعالى رسوله
عليه الصلوة والسلام ان يقول للمشركين ما سالتكم من اجر فهو لكم اني لا اريد منكم جعلا ولا عطاء على اداء رسالة
الله اليكم ونصحي اياكم وامركم بعبادة الله ان اجري الا على الله انما اطلب ثواب ذلك من عند الله وهو على كل شيء
شهيد اى عالم بجميع الامور وبما انا عليه من اخباري عنه بارساله اياي اليكم وما انتم عليه وقوله قل ان ربي يقذف
بالحق علام الغيوب اى يرسل الملك الى من يشاء من عباده من اهل الارض وهو علام الغيوب فلا يخفى عليه خافية
في السموات ولا في الارض وقوله جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد اى جاء الحق من الله من الهداية والشرع
المبين وزهق الباطل وذهب واضمحل كقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ولهذا لما دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم المسجد الحرام يوم الفتح ووجد تلك الاصنام منصوبة حول الكعبة جعل يطعن الصنم بسية
قوسه ويقرأ وقل جاء الحق وزهق الباطل الآية رواه في الصحيحين قال ابن مسعود اى لم يبق للباطل مقالة ولا
رياسة وعن قتادة ان المراد بالباطل هنا ابليس اى انه لا يخلق احدا ولا يعيده ولا يقدر على ذلك وهذا وان كان
حقا ولكن ليس هو المراد هنا والله اعلم قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي اى الخير كله
من عند الله وفيما انزله من الوحي والحق المبين فيه الهدى والبيان والرشاد ومن ضل فانما يضل من تلقاء نفسه
وقوله انه سميع قريب اى سميع لاقوال العباد قريب يجيب دعوة الداعي اذا دعاه كما ورد في الصحيحين من حديث ابي موسى
ايها الناس اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انما تدعون سميعا قريبا **ولو ترى اذ فزعوا**
فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقالوا امنا به وانى لهم التناوش من مكان
بعيد وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد وحيل بينهم
وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب يعني ولو ترى يا محمد
اذ فزع هؤلاء المكذبون يوم القيمة فلا فوت اى فلا مفر لهم ولا ملجا واخذوا من مكان قريب اى لم يمكن ان يبعدوا
في الهرب بل اخذوا في اول وهلة قال الحسن حين خرجوا من قبورهم وقيل اخذوا من تحت اقدامهم وقال
ابن عباس يعني عذابهم في الدنيا وقيل قتلهم يوم بدر والصحيح ان المراد بذلك يوم القيمة وهو الطامة الكبرى وان
كان ما ذكر متصلا بذلك وقوله وقالوا امنا به اى يوم القيمة يقولون امنا بالله وملئكته ورسله كما قال تعالى
ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم الآية ولهذا قال وانى لهم التناوش من مكان بعيد اى وكيف لهم تعاطي
الايمان وقد بعدوا عن محل قبوله منهم وصاروا الى الآخرة وهي دار الجزاء لا دار الابتلاء فلا سبيل لهم الى قبول

يريد ان التوبة كانت بمحل عنهم
في الدنيا وقد ذهبت الدنيا
وبعدت عن الآخرة ٩

الايمان كما لا سبيل لهم الى حصول الشي لمن يتناوله من مكان بعيد و التناوش التناول قال ابن عباس طلبوا الرجعه
الى الدنيا و التوبة مما هم فيه وليس بحين رجعه ولا توبة و قوله وقد كفروا به من قبل اي وكيف يحصل لهم الايمان في
الاخرة وقد كفروا بالحق في الدنيا وكذبوا الرسول و يقذفون بالغيب اي بالظن من مكان بعيد قال قتاده يقولون
شاعر و تارة يقولون كاهن ساحر مجنون الى غير ذلك و يكذبون بالغيب و النشور و المعاد و قوله وحيل بينهم
وبين ما يشتهون قال الحسن وغير واحد يعني الايمان وقيل هي التوبة وهو اختيار ابن جرير وقيل من الدنيا و زهرتها وما لا
فيها وبه قال ابن عباس وكثيرون والصحيح انه لا منافاة بين القولين فانه قد حيل بينهم وبين شهواتهم في الدنيا وبين
ما طلبوه في الاخرة فمنعوا منه و قوله كما فعل باشياعهم من قبل اي كما جرى للامم الماضية المكذبة بالرسل لما جاءهم
باس الله تمنوا ان لو آمنوا فلم يقبل منهم فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك
ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا الاية و قوله انهم كانوا في شك مريب اي كانوا في الدنيا في شك وريبة فلهذا لم يتقبل منهم
الايمان عند معاينة العذاب قال قتاده اياكم و الشك و الريبة فانه من مات على شك بعث عليه ومن مات
على يقين بعث عليه **بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض**
جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان
الله على كل شي قدير قال ابن عباس كنت لا ادري ما فاطر السموات والارض حتى اتاني اعرابيان يختصمان
في بئر فقال احدهما لصاحبه انا فطرتها انا بداتها يعني ابتدعتها وخالقها و قوله جاعل الملائكة رسلا اي بينه وبين
انبيائه اولي اجنحة اي يطيرون بها ليبلغوا ما امروا به سريعا مثنى وثلاث ورباع اي منهم من له جناحان ومنهم
من له ثلثة ومنهم من له اربعة ومنهم من له اكثر من ذلك كما جاء في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى جبرئيل
ليلة الاسراء وله ستمائة جناح بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب ولهذا قال يزيد في الخلق ما يشاء ان الله
على كل شي قدير قال السدي يزيد في الاجنحة وخلقهم ما يشاء وقال الزهري يعني حسن الصوت كما روى عنه البخاري
في الادب و قرئ في الشاذ في الحلق بالحاء المهملة **ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما**
يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم اخبر تعالى انه ما شاء كان وما لم يشا لم يكن وانه
لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع و في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا انصرف من الصلوة قال لا اله
الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا
ينفع ذا الجد منك الجد وهذه الاية كقوله وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو الاية وكان ابو هريرة اذا
مطروا يقول مطرنا بنوء الفتح **يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله**
يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون نبه تعالى عباده وارشدهم الى الاستدلال
على التوحيد و افراد العبادة له كما انه المستقل بالخلق و الرزق فكذلك فليفرد بالعبادة ولا يشرك به غيره ولهذا
قال لا اله الا هو فانى تؤفكون اي تكذبون بعد هذا البيان و وضوح هذا البرهان وانتم بعد تعبدون الاوثان
وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الامور يا ايها الناس ان
وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو

يرمون محمدا بالكذب و البهتان ظنا لا يقينا
ومعنى الغيب هو الظن لانه
غائب علمه عنهم والمكان البعيد
بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى
يرمون محمدا بما لا يعلمون ه

تفسير سورة فاطر وهي مكية

يزيد في الخلق ما يشاء يعني في اجنحة الملائكة عن ابن شهاب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال جبرئيل ان يتراءى له
في صورته فقال له جبرئيل انك لن تطيق ذلك قال اني
احب ان تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
المصلى في ليلة مقمرة فاتاه جبرئيل صلى الله عليه وسلم
في صورته فغشي على رسول الله حين راه فلما افاق
وجبرئيل مسنده و واضع احدى يديه على صدره
والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى
ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبرئيل فكيف لو
رايت اسرافيل ان له لاثني عشر جناحا جناح
منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش
لعلى كاهله وانه ليتضاءل في الاحايين لعظمة الله
حتى يعود مثل الوصع والوصع عصفور صغير حتى
ما يحمل عرشه الا عظمته ثعلبي

فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير يعني وان يكذبوك يا محمد هولاء المشركون
بالله ويخالفوك فيما جئتهم به من التوحيد فلك فيمن سلف قبلك من الرسل اسوة فانهم كذلك جاؤا قومهم بالبينات
وامروهم بالتوحيد فكذبوهم وخالفوهم والى الله ترجع الامور اي وسيجزيهم على ذلك اوفر الجزاء ثم قال يا ايها الناس
ان وعد الله حق اي المعاد كائن لا محالة فلا تغرنكم الحيوة الدنيا اي العيشة الدنية بالنسبة الى ما اعد الله لاوليائه
واتباع رسله من الخير العظيم فلا تلهوا عن ذلك الباقي بهذه الزهرة الفانية ولا يغرنكم بالله الغرور وهو الشيطان
قاله ابن عباس اي لا يفتننكم عن اتباع رسل الله وتصديق كلماته فانه غرار كذاب افاك ثم بين تعالى عداوة ابليس
لابن ادم فقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا اي هو مبارز لكم بالعداوة فعادوه انتم اشد العداوة وخالفوه
وكذبوه فيما يغركم به انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير اي انما يقصد ان يضلكم حتى يدخلوا معه الى عذاب السعير
فهذا هو العدو المبين **الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم**
مغفرة واجر كبير افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون لما ذكر ان اتباع ابليس مصيرهم الى السعير ذكر
بعده ان الذين كفروا لهم عذاب شديد لانهم اطاعوا الشيطان وعصوا الرحمن وان الذين امنوا بالله ورسله
وعملوا الصالحات لهم مغفرة اي لما كان منهم من ذنب واجر كبير على ما عملوه من خير ثم قال افمن زين له سوء عمله فراه
حسنا يعني كالكفار والفجار يعملون اعمالا سيئة وهم في ذلك يعتقدون ويحسبون انهم يحسنون صنعا اي افمن كان
هكذا قد اضله الله الك فيه حيلة لا حيلة لك فيه فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء اي بقدره كان ذلك فلا
تذهب نفسك عليهم حسرات اي لا تاسف على ذلك فان الله حكيم في قدره انما يضل من يضل ويهدي من يهدي
لما له في ذلك من الحجة البالغة والعلم التام ولهذا قال ان الله عليم بما يصنعون وعن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق خلقه في ظلمة فالقى عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطاه
ضل فلذلك اقول جف القلم بعلم الله رواه احمد والترمذي **والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه**
الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور من كان يريد العزة فلله العزة جميعا
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيات لهم عذاب
شديد ومكر اولئك هو يبور والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا
وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك
على الله يسير كثيرا ما يستدل تعالى على المعاد باحياء الارض بعد موتها كما في اول سورة الحج فينبه عباده ان
يعتبروا بهذا على ذلك فان الارض تكون ميتة يابسة لا نبات فيها فاذا ارسل الله اليها السحاب تحمل الماء وانزله
عليها اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج كذلك الاجسام اذا اراد الله بعثها ونشورها انزل من تحت العرش
مطرا فيعم الارض جميعها وتنبت الاجساد في قبورها كما ينبت الحب في الارض كما جاء في الصحيح كل ابن ادم يبلى الا
عجب الذنب منه خلق وفيه يركب ولهذا قال تعالى كذلك النشور و قوله من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اي
من كان يحب ان يكون عزيزا في الدنيا والاخرة فليستلزم طاعة الله فانه يحصل له مقصوده لان الله مالك الدنيا

فلا تغرنكم فلا تخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم
التمتع والتلذذ بمنافعها عن
عمل الاخرة وطلب ما عند الله و
لا يغرنكم بالله الغرور لا يقولن لكم
اعملوا ما شئتم فان الله غفور يغفر
كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة و
الغرور الشيطان لان ذلك ديدنه
ه

عن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ربكم يقول كل يوم انا العزيز
من اراد عز الدارين فليطع العزيز
ط ك

ولله العزة جميعا قال مجاهد من كان يريد العزة بعبادة الاوثان فان العزة لله جميعا وقال قتادة فليتعزز بطاعة
الله وقوله اليه يصعد الكلم الطيب يعني الذكر والتلاوة والدعاء قاله غير واحد قال ابن مسعود اذا حدثناكم
حديثا اتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله ان العبد المسلم اذا قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
تبارك الله اخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم يصعد بهن الى السماء فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا
لقائلهن يجيء بهن وجه الرحمن ثم قرا عبد الله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه رواه ابن جرير وعن
النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تذكرون من جلال الله من تسبيحه وتحميده وتهليله وتكبيره
يتعاطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل يذكرن لصاحبهن الا يحب احدكم ان لا يزال له عند الله شي يذكر به
رواه احمد وابن ماجه والعمل الصالح يرفعه قال ابن عباس وغيره احد الكلم ذكر الله والعمل الصالح اداء فرائضه
فمن ذكر الله في اداء فرائضه حمل عمله ذكر الله يصعد به الى الله عز وجل ومن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه
على عمله فكان اولى به وقال بعضهم لولا العمل الصالح لم يرفع الكلام ولا يقبل قول الا بعمل وقوله والذين يمكرون
السيئات قال مجاهد وغير واحد هم المراءون باعمالهم يعني يمكرون بالناس يوهمون انهم في طاعة الله وهم بغضاء
الى الله يراءون باعمالهم ولا يذكرون الله الا قليلا وقيل هم المشركون والصحيح انها عامة وبالمشركين اولى ولهذا قال لهم
عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور اي يفسد ويبطل ويظهر زيفهم من قريب لاولي الالباب فانه ما اسر
احد سريرة الا كساه الله رداها ان خيرا فخير وان شرا فشر وقوله والله خلقكم من تراب ثم من نطفة اي ابتدا خلق
ابيكم آدم من تراب ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم جعلكم ازواجا اي ذكرا وانثى لطفا منه ورحمة ان
جعل لكم ازواجا من جنسكم لتسكنوا اليها وقوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه اي هو عالم بذلك لا يخفى عليه
من ذلك شي وقوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب اي ما يعطي بعض النطف من العمر الطويل يعلمه الله
وهو عنده في الكتاب الاول وما ينقص من عمره وهنا الضمير عائد الى الجنس لا على المعين لان المعين الطويل العمر
في الكتاب وفي علم الله انه لا ينقص من عمره فعاد الى الجنس قال ابن جرير وهذا كقولك عندي ثوب ونصفه اي و
نصف آخر وقال ابن عباس ليس احد قضيت له بطول العمر والحيوة الا هو بالغ ما قدرت له من العمر فانما
ينتهي الى الكتاب له لا يزاد عليه وليس احد قضيت له انه قصير العمر والحيوة ببالغ العمر ولكن ينتهي الى الكتاب
الذي كتب له فذلك قوله ولا ينقص من عمره الا في كتاب اي كل ذلك في كتاب عنده وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من سره ان يبسط له في رزقه وينسا له في اثره فليصل رحمه وقوله ان ذلك على الله يسير اي ان كتابة الاجال
والاعمار وعلمه بذلك سهل عليه يسير لديه فان علمه شامل للجميع لا يخفى عليه شي منه وما يستوي البحران هذا
عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية
تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون نبه تعالى على قدرته
العظيمة في خلقه الاشياء المختلفة خلق البحرين العذب الزلال وهو هذه الانهار السارحة بين الناس من كبار
وصغار بحسب الحاجة اليها وهي عذبة سائغ شرابها لمن اراد ذلك وهذا ملح اجاج وهو البحر الساكن الذي تسير فيه
السفن الكبار وانما يكون مالحا مرا ولهذا قال واجاج شديد الملوحة والمرارة ثم قال ومن كل تاكلون لحما طريا يعني السمك

يجيء به

وقيل الرافع الكلم والمرفوع العمل لانه لا يقبل العمل الا من موحد

رداها

[illegible]

وتستخرجون حلية تلبسونها اي من الملح دون العذب يعني اللؤلؤ وقد نسب اللؤلؤ ~~لحما طريا يعني السمك~~ اليهما لانه يكون في
البحر الاجاج عيون عذبة تمتزج بالملح فيكون اللؤلؤ من بين ذلك وقوله وترى الفلك فيه مواخر اي جواري مقبلة ومدبرة
بريح واحدة اي تشقه بمقدمها المسنم الذي يشبه جؤجؤ الطير وهو صدره وقوله لتبتغوا من فضله اي في اسفاركم بالتجارة من
قطر الى قطر ولعلكم تشكرون اي لكي تشكروا ربكم على تسخيره لكم هذا الخلق العظيم وهو البحر تتصرفون فيه كيف شئتم وتذهبون
اين اردتم ولا يمتنع عليكم شي منه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر
كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون
من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم ولا
ينبئك مثل خبير هذا ايضا من قدرته التامة في تسخيره الليل بظلامه والنهار بضيائه وياخذ من طول
هذا فيزيده في قصر هذا فيعتدلان ثم ياخذ من هذا في هذا فيطول هذا ويقصر هذا ثم يتقارضان صيفا وشتاء وسخر
الشمس والقمر والنجوم السيارات والثوابت الباقيات الجميع يسيرون بمقدار معين وفي منهاج مبين تقديرا من
عزيز عليم الى اجل مسمى اي يوم القيمة ذلكم الله ربكم اي الذي فعل هذا هو الرب العظيم لا اله غيره والذين تدعون من دونه
اي من الاصنام والانداد والذي هي على صورة من تزعمون من الملائكة المقربين ما يملكون من قطمير وقال ابن عباس
وغير واحد القطمير هو اللفافة التي تكون على نواة التمرة اي لا يملكون من السموات والارض شيئا ولا بمقدار هذا القطمير ثم
قال ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم يعني الالهة التي تدعونها من دون الله لا يسمعون دعاءكم لانها جماد لا ارواح فيها
ولو سمعوا ما استجابوا لكم اي لا يقدرون على شي مما تطلبون منها ويوم القيمة يكفرون بشرككم اي يتبرءون منكم كما قال تعالى
واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقوله ولا ينبئك مثل خبير اي لا يخبرك بعواقب الامور ومآلها
وما تصير اليه مثل خبير بها قال قتادة يعني بها نفسه تبارك وتعالى فانه اخبر بالواقع لا محالة يا ايها الناس انتم الفقراء
الى الله والله هو الغني الحميد ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على
الله بعزيز ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شي ولو كان
ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلوة ومن تزكى فانما يتزكى
لنفسه والى الله المصير اخبر تعالى بغناه عما سواه وبافتقار المخلوقات كلها اليه وتذللها بين يديه فقال يا ايها
الناس انتم الفقراء الى الله اي هم محتاجون اليه في جميع الحركات والسكنات وهو الغني عنهم بالذات ولهذا قال
وهو الغني الحميد اي هو المتفرد بالغنى وحده لا شريك له وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله ويقدره وقوله ان يشا
يذهبكم ويات بخلق جديد اي لو شاء لاذهبكم ايها الناس واتى بقوم غيركم وما هذا عليه بصعب ولا ممتنع ولهذا قال
وما ذلك على الله بعزيز وقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة الى حملها اي وان تدع نفس مثقلة باوزارها
غيرها الى ان يساعد على حمل ما عليها من الاوزار او بعضه لا يحمل منه شي ولو كان ذا قربى اي ولو كان قريبا
اليها حتى ولو كان اباها او ابنها كل مشغول بنفسه وحاله قال عكرمة هو الجار يتعلق بالجار يوم القيمة فيقول
يا رب سل هذا لم كان يغلق بابه دوني وان الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيمة فيقول له يا مؤمن ان لي عندك
يدا قد عرفت كيف كنت لك في الدنيا وقد احتجت اليك اليوم فلا يزال المؤمن يشفع له عند ربه حتى يرده
الى منزل دون منزله وهو في النار وان الوالد ليتعلق بولده يوم القيمة فيقول يا بني اي والد كنت لك فيثني خيرا

دعاءكم ولو سمعوا

اي لتبتغوا من فضل الله عليكم من المعاش بان تستخرجوا من الجواهر وتصيدون من السمك وتركبون وتنتفعون بالتجارة والجهاد ولعلكم اي لتنتفعوا وتشكروا

[illegible]

يقول له يا بني قد احتجت اليوم الى مثقال ذرة من حسناتك انجو بها مما ترى فيقول له ولده يا ابت ما ايسر
ما طلبت ولكني اتخوف مثل ما تتخوف فلا استطيع ان اعطيك شيئا ثم يتعلق من زوجته فيقول يا فلانة او يا هذه
اي زوج كنت لك فتثني خيرا فيقول لها اني اطلب اليك حسنة واحدة تهبيها لي لعلي انجو بها مما ترين فتقول
ما ايسر ما طلبت ولكني لا اطيق ان اعطيك شيئا اني اتخوف مثل الذي تتخوف يقول الله وان تدع مثقلة الى حملها
الآية رواه ابن ابي حاتم ثم قال تعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب اي انما يتعظ بما جئت به اولوا البصائر
والنهى والخائفون من ربهم الفاعلون ما امرهم به ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه اي ومن عمل صالحا فانما يعود
نفعه الى نفسه والى الله المصير اي واليه المرجع والمآب وسيجزي كل عامل بعمله **وما يستوي الاعمى و**
البصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات
ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور ان انت الا نذير انا ارسلناك بالحق بشيرا
ونذيرا وان من امة الا خلا فيها نذير وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم
رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير
يعني كما لا يستوي هذه الاشياء المتباينة المختلفة كالاعمى والبصير لا يستويان بل بينهما فرق وبون كثير وكما لا يستوي
الظلمات والنور ولا الظل ولا الحرور كذلك لا يستوي الاحياء ولا الاموات فالمومنون هم الاحياء والكافرون
هم الاموات كقوله تعالى امن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس الآية فان المومن بصير سميع في نور
يمشي لا خروج له منها بل هو يتيه في غيه وضلاله في الدنيا حتى يفضي به الى الحرور والسموم وقوله ان الله يسمع
من يشاء اي يهديهم الى سماع الحجة وقبولها والانقياد لها وما انت بمسمع من في القبور اي كما لا ينتفع الاموات
بعد موتهم وصيرورتهم الى قبورهم بالهداية والدعوة اليها كذلك هؤلاء المشركون الذين كتب عليهم الشقاوة
لا حيلة لك فيهم ولا تستطيع هدايتهم ان انت الا نذير اي انما عليك البلاغ والانذار والله يضل من يشاء
ويهدي من يشاء وقوله انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا اي بشيرا للمومنين ونذيرا للكافرين وان من امة الا خلا
فيها نذير اي وما من امة خلت من بني آدم الا وقد بعث الله اليهم النذر وازاح عنهم العلل كما قال تعالى
انما انت منذر ولكل قوم هاد وقوله وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وهي المعجزات
الباهرات والادلة القاطعات وبالزبر وهي الكتب وبالكتاب المنير اي الواضح البين ثم اخذت الذين كفروا اي
ومع هذا كله كذب اولئك رسلهم فيما جاءوهم به فاخذتهم اي بالعقاب والنكال فكيف كان نكير اي فكيف رايت
كيفية انكاري عليهم يعني شديدا بليغا **الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا**
الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب
والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور ينبه تعالى على
كمال قدرته في خلقه الاشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد وهو الماء الذي ينزل من السماء يخرج به ثمرات
مختلفا الوانها من اصفر واحمر واخضر وابيض الى غير ذلك من الوان الثمار كما هو المشاهد من تنوع الوانها
وطعومها وروائحها وقوله ومن الجبال جدد بيض اي وخلق الجبال كذلك مختلفة الالوان كما هو المشاهد
ايضا من بيض وحمر وفي بعضها طرائق وخطط وهي الجدد جمع جدة مختلفة الالوان ايضا قال عكرمة الغرابيب

مثل الجاهل والعالم وقيل الاعمى عن الهدى والبصير بالهدى اي المومن والمشرك

مثل للعلماء والجهال

يمشي على الصراط المستقيم في الدنيا والاخرة حتى يستقر به الحال في الجنات والكافر اعمى اصم في الظلمات

الجدد الخطوط والطرائق تكون في الجبال بعضها بيض وبعضها حمر وبعضها غرابيب سود والغرابيب جمع غربيب وهو الشديد السواد يقال اسود غربيب وتمام الكلام عند قوله كذلك يقول من الجبال مختلف الوانه ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك اي كاختلاف الثمرات ثم ابتدأ انما يخشى الله من عباده العلماء [illegible]

الجبال

الجبال الطوال السود وبه قال آخرون وقال ابن جرير والعرب اذا وصفوا الاسود بكثرة السواد قالوا اسود غربيب
ولهذا قال بعضهم تقديره اسود غربيب وقوله ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك اي وكذلك
الحيوانات من الاناسي والدواب وهو كل ما دب على قوائم والانعام من باب عطف الخاص على العام كذلك هي مختلفة
ايضا فالناس منهم بربر وحبوش وطماطم في غاية السواد والروم في غاية البياض والعرب بين ذلك والهنود كذلك
ولهذا قال في آية اخرى واختلاف السنتكم والوانكم وكذلك الدواب والانعام مختلفة الالوان في الجنس الواحد
بل النوع الواحد منهن مختلف الالوان بل الحيوان الواحد يكون فيه من هذا اللون وذاك اللون فتبارك الله
احسن الخالقين ولهذا قال تعالى بعد هذا انما يخشى الله من عباده العلماء اي انما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون
به لانه كلما كانت المعرفة بالعظيم القدير اتم والعلم به اكمل كانت الخشية له اكمل واكثر قال ابن عباس هم الذين يعلمون
ان الله على كل شيء قدير وقال ايضا العالم بالرحمن من عباده من لم يشرك به شيئا واحل حلاله وحرم حرامه وحفظ
اوامره وايقن انه ملاقيه ومحاسب بعمله وقال ابن جبير الخشية هي التي تحول بينك وبين معصية الله وقال
الحسن البصري العالم من خشي الرحمن بالغيب ورغب فيما رغب الله فيه وزهد فيما سخط الله فيه وقال ابن مسعود ليس
العلم عن كثرة الحديث ولكن العلم من الخشية وقال مالك ليس العلم بكثرة الرواية وانما العلم نور يجعله الله في القلب قيل
معناه ان الخشية لا تدرك بكثرة الرواية واما العلم الذي فرض الله ان يتبع فانما هو الكتاب والسنة وما جاء عن
الصحابة ومن بعدهم من الائمة لا يدرك الا بالرواية والمراد بقوله نور هو فهم العلم ومعرفة المعاني قيل العلماء ثلثة
عالم بالله وبامر الله وعالم بالله وعالم بامر الله فالعالم بالله وبامر الله هو الذي يخشى الله ويعلم الحدود والفرائض والعالم
بالله الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود والفرائض والعالم بامر الله فقط هو الذي يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله تعالى
ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية
يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور اخبر تعالى عن
عباده المومنين الذين يتلون كتابه ويعملون بما فيه من اقام الصلوة والانفاق مما رزقهم الله في الاوقات المشروعة ليلا ونهارا سرا
علانية يرجون تجارة لن تبور اي يرجون ثوابا عند الله لا بد من حصوله فان كل تاجر من وراء تجارته وان البوار الفساد والهلاك وقوله
ليوفيهم اجورهم اي ثواب ما عملوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر ببالهم انه غفور اي لذنوبهم شكور للقليل من اعمالهم وعن ابي سعيد
انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى اذا رضي عن العبد اثنى عليه بسبعة اصناف من الخير لم يعمله واذا سخط
عن العبد اثنى عليه بسبعة اصناف من الشر لم يعمله رواه احمد وهو غريب جدا **والذي اوحينا اليك من الكتاب**
هو الحق مصدقا ان الله بعباده لخبير بصير يعني والذي اوحينا اليك يا محمد من الكتاب يعني القران هو الحق
مصدقا لما بين يديه اي من الكتب المتقدمة كما شهدت هي له بالصدق وانه منزل من رب العالمين ان الله بعباده اي هو خبير بهم
بصير بمن يستحق ما يفضله به على من سواه ولهذا فضل الانبياء والرسل على جميع البشر وفضل النبيين بعضهم على بعض وجعل منزلة محمد صلى الله عليه وسلم
فوق جميعهم **ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد و**
منهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير اي ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصدق
لما بين يديه من الكتب الذين اصطفينا من عبادنا وهم هذه الامة المحمدية ثم قسمهم الى ثلاثة انواع فقال فمنهم ظالم لنفسه وهو
المفرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات ومنهم مقتصد وهو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات
[illegible]

قال ابن عباس انما يخشاني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني

فهناه

وقوله ان الذين يتلون كتاب الله اشارة الى عمل اللسان وقوله واقاموا الصلوة اشارة الى عمل الجوارح [illegible] الاشياء التي تتعلق بجانب التعظيم لله [illegible] الشفقة على خلق الله [illegible]

عن عبد الله بن عبيد الله بن عمير الليثي انه قال قام رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لي لا احب الموت قال الك مال قال نعم قال فقدمه قال لا استطيع قال فان قلب المرء مع ماله ان قدمه احب ان يلحق به وان اخره احب ان يتاخر معه

لما بين يديه ص

لخبير

معنى اورثنا اعطينا لان الميراث عطاء قاله مجاهد وقيل اورثنا اي اخرنا ومنه الميراث لانه اخر عن الميت ومعناه اخرنا القران عن الامم السالفة واعطيناكموه

قال قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت للايذان بكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم وان المقتصدين قليل بالاضافة اليهم والسابقون اقل من القليل كشاف

[illegible]

ونعل بعض المكروهات ومنهم سابق بالخيرات باذن الله وهو العامل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات
قال ابن عباس هم امة محمد صلى الله عليه وسلم ورثهم الله كل كتاب انزله فظالمهم يغفر له ومقتصدهم يحاسب حسابا يسيرا وسابقهم يدخل الجنة بغير
حساب وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال شفاعتي لاهل الكبائر من امتي رواه الترمذي وابو داود وقال ابن عباس ايضا السابق
بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله والظالم لنفسه واصحاب الاعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم
وقال بعضهم الظالم لنفسه ليس من هذه الامة ولا من المصطفين الوارثين للكتاب كما في رواية ابن عباس فمنهم ظالم لنفسه قال هو
الكافر وقيل هو المنافق ثم روى عن ابن عباس ~~ايضا السابق بالخيرات يدخل الجنة~~ وغيره ان هذه الاقسام الثلثة كالاقسام الثلثة المذكورة
في اول سورة الواقعة واخرها والصحيح ان الظالم لنفسه من هذه الامة من المصطفين على ما فيه من عوج وتقصير وهو اختيار ابن
جرير وكما هو ظاهر الاية وكما جاءت في الاحاديث عن رسول الله صلعم منها عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلعم انه قال في هذه
الاية ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال هولاء كلهم بمنزلة واحدة
في الجنة هذا حديث غريب رواه احمد وقوله بمنزلة واحدة اي في انهم من هذه الامة وانهم من اهل الجنة وان كان بينهم فرق في منازل
الجنة وعن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا فمنهم ظالم
لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فاما الذين سبقوا فاولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب واما
الذين اقتصدوا فاولئك الذين يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك الذين يحبسون في طول المحشر
ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته فهم الذين يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار
المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب وعن عقبة بن صهبان قال سالت عائشة عن هذه الاية فقالت
لي يا بني هولاء في الجنة اما السابق فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له رسول الله بالحيوة والرزق
واما المقتصد فمن اتبع اثره من اصحابه حتى لحق به واما الظالم فمثلي ومثلكم وهذا منها رضي الله عنها من باب التواضع
والا فهي من اكبر السابقين بالخيرات وقال عثمن بن عفان رضي الله عنه فمنهم ظالم لنفسه هي اهل بدونا ومقتصدنا
اهل حضرنا وسابقنا اهل الجهاد رواه ابن ابي حاتم وروى ان ابن عباس سال كعبا عن هذه الاية فقال تماست
مناكبهم ورب الكعبة ثم اعطوا الفضل باعمالهم وقال محمد بن الحنفية انها امة مرحومة الظالم لنفسه مغفور له
والمقتصد في الجنان عند الله والسابق بالخيرات في الدرجات عند الله وقال محمد بن علي الباقر فمنهم ظالم لنفسه
هو الذي خلط عملا صالحا واخر سيئا هنا وان الاية عامة في جميع الاقسام الثلثة من هذه الاية والعلماء اغبط
الناس بهذه النعمة واولاهم بهذه الرحمة وعن كثير بن قيس قال كنت جالسا مع ابي الدرداء في مسجد دمشق فجاء
رجل فقال يا ابا الدرداء اني جئتك من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لحديث بلغني انك تحدثه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما جئت لحاجة قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله
به طريقا من طرق الجنة وان الملائكة لتضع اجنحتها رضا لطالب العلم وان العالم ليستغفر له من في السموات
ومن في الارض والحيتان في جوف الماء وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان
العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر رواه
احمد وابو داود والترمذي وفي روايته وفي رواية احمد قيس بن كثير وقوله ذلك هو الفضل الكبير يعني ايراثهم الكتاب
ثم اخبر بثوابهم فقال جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا

ولباسهم

خداوند عالم امت احمد را انوریان تشریف داد
به نعمت کرامت وار فرزند ادم هیچ کس این نعمت
کرامت بهم نیافت مگر این امت ازان نعمت سه
خبر در صورت ایت است اول اورثنا دیگر اصطفینا
سیوم عبادنا اورثنا وارثان خواند اصطفینا
برگزیدگان خواند عبادنا بندگان خواند میراث
بران ما گزیدگان ما بندگان ما یا محمد ازروز که ما
امت تو را برمیگزیدیم فرستگان دراز عمر بر طاعت
می دیدیم ان روز که در محل ضعف عسل نهادیم باران
با قوت میدیدیم ازروز که کرمک ضعف را ابریشم دادیم
ماران با هیبت می دیدیم ازروز که اهو وحشی را
مسک دادیم شیران با صولت می دیدیم ان روز که گاو
بحری را عنبر دادیم نیلان با عظمت می دیدیم ازروز
که در صدف مروارید نهادیم نهنگان با سطوت می
دیدیم ان روز که اواز خوش بر عندلیب می دادیم
طاوسان با زینت می دیدیم ازروز که امت محمد را

علم رای تو پیار استه ام
درشهر مرا نزار عاشق بیتی است
تو شاد بزی که من ترا خواسته ام

منهم ظالم لنفسه طفیلانند ومنهم مقتصد خواندکانند
ومنهم سابق بالخیرات یاد دادکانند ظالم ستمکارست عفو من ویرا مقتصد جوینده است
عون من ویرا سابق یاد داده است فضل من ویرا ای ظالم عفو ترا با لطف بیاسود ای
مقتصد عون ترا با فضل بیاسود ای سابق قربت ترا با بر واحسان بیاسود ای ظالم ستر ترا و
نمک بیست ای مقتصد قبول ترا و پاک بیست ای سابق قربت ترا و بجل نیست اگر ظالمی من راحم ام

ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور
الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب اخبر تعالى ان
هولاء المصطفين من عباده الذين اوتوا الكتاب المنزل من رب العالمين يوم القيمة جنات اقامة يدخلونها
يوم معادهم وقدومهم على ربهم يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا كما ثبت في الصحيح عن ابي هريرة عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال تبلغ الحلية من المومن حيث يبلغ الوضوء ولباسهم فيها حرير فاباحه الله لهم في
الاخرة عوضا عما حرمه عليهم في الدنيا وثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لبس الحرير في الدنيا
لم يلبسه في الاخرة وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم
ولا في محشرهم وكاني باهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
رواه ابن ابي حاتم ورواه الطبراني مبسوطا ان ربنا لغفور شكور قال ابن عباس وغيره غفر لهم الكبير من السيئات وشكر
لهم اليسير من الحسنات الذي احلنا دار المقامة يقولون الذي اعطانا هذه المنزلة وهذا المقام من فضله ومنه
ورحمته لم تكن اعمالنا تساوي ذلك كما ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لن يدخل احدكم الجنة
عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا
فيها لغوب اي لا يمسنا فيها عناء ولا اعياء ولا مشقة والنصب واللغوب كل منهما يستعمل في التعب ولعل المراد
بنفيهما عنهم انهم لا تعب على ابدانهم ولا ارواحهم لانهم كانوا يدئبون انفسهم في العبادة في الدنيا فلا جرم
فراحة دائمة مستمرة في العقبى والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف
عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا
غير الذي كنا نعمل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين
من نصير لما ذكر تعالى حال السعداء شرع في مال الاشقياء فقال والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا
اي لا يهلكون فيها فيستريحوا كما قال تعالى لا يموت فيها ولا يحيى وثبت في صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اما اهل النار الذين هم اهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون وقال تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال
انكم ماكثون فهم في حالهم ذلك يرون موتهم راحة لهم ولكن لا سبيل الى ذلك ولا يخفف عنهم من عذابها ثم قال
كذلك نجزي كل كفور اي هذا جزاء من كفر بربه وكذب الحق وقوله وهم يصطرخون فيها اي ينادون فيها يجارون
الى الله باصواتهم ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اي يسالون الرجعة الى الدنيا ليعملوا غير عملهم الاول
وقد علم الرب تعالى انه كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فلهذا لا يجيبهم
الى سؤالهم وقد قال سبحانه اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر اي اوما عشتم في الدنيا اعمارا لو كنتم ممن ينتفع بالحق
لانتفعتم به في مدة عمركم واختلفوا في مدة هذا العمر قال زين العابدين سبع عشرة سنة وقال قتادة ثماني عشرة سنة
وقيل عشرون سنة وقيل اربعون سنة وهذا عن ابن عباس وهو اختيار ابن جرير وكان مسروق يقول اذا بلغ
احدكم اربعين سنة فلياخذ حذره من الله وعن مجاهد عن ابن عباس انه قال العمر الذي اعذر الله فيه لابن ادم
في هذه الاية ستون سنة وهذه الرواية اصح عن ابن عباس كما ثبت وفي ذلك من الحديث عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعذر الله الى امرئ اخر اجله حتى بلغه ستين سنة رواه البخاري وفي مسند احمد عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقد اعذر الله الى عبد احياه حتى بلغ ستين او سبعين سنة لقد اعذر الله اليه

ونظر فضل الرجل وخطه
الشيب فقال ابن الله فان الموت
قد عزد اعلامه في لحيتك

اعذر الرجل صار ذا عذر واعذر في الامر
المعذر الذي له عذر وإما المعذر بالتشديد
يكون محقا وقد يكون غير محق فالمحق بمعنى المعتذر
ابناء ذا الا واد ... وغير المحق هو المقصر
ومتعذر واعذر الله الى ابن ادم اي ازال
او اظهر العذر في عقوبته

لقد اعذر الله اليه وذكر بعضهم ان العمر الطبيعي عند الاطباء مائة وعشرون سنة فان الانسان لا يزال في ازدياد الى كمال الستين ثم شرع بعد هذا في النقص والهرم كما قال الشاعر اذا بلغ الفتى ستين عاما فقد ذهب المسرة والفتاء ولما كان هذا هو العمر الذي يعذر الله الى عباده به ويزيح به عنهم العلل كان هو الغالب على اعمار هذه الامة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعمار امتي ما بين الستين الى السبعين واقلهم من يجوز ذلك رواه الترمذي وابن ماجه وابن ابي الدنيا وقد ثبت في الصحيح على المشهور ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش ثلثا وستين سنة وقوله وجاءكم النذير قال ابن عباس وغير واحد يعني الشيب وقال ابن زيد وغيره يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقرا هذا نذير من النذر الاولى وهذا هو الصحيح عن قتادة انه قال احتج عليهم بالعمر وبالرسل وهذا اختيار ابن جرير وهو الاظهر وله شواهد من الايات البينات وقوله فذوقوا فما للظالمين من نصير اي فذوقوا عذاب النار جزاء على مخالفتكم للانبياء في مدة اعماركم فما لكم اليوم ناصر ينقذكم مما انتم فيه من العذاب والنكال ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور هو الذي جعلكم خلايف في الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا اخبر تعالى بعلمه غيب السموات والارض وانه يعلم ما تكنه السرائر وما تنطوي عليه الضمائر وسيجازي كل عامل بعمله ثم قال هو الذي جعلكم خلائف في الارض اي يخلف قوم لاخرين قبلهم وجيل لجيل قبلهم كما قال ويجعلكم خلفاء الارض فمن كفر فعليه كفره اي انما يعود وبال ذلك على نفسه دون غيره ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا اي كلما استمروا على كفرهم خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة بخلاف المؤمنين فانهم كلما طال عمر احدهم وحسن عمله ارتفعت درجته ومنزلته في الجنة قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ام آتيناهم كتابا فهم على بينات منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان غفورا يعني قل يا محمد للمشركين ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اي من الاصنام والانداد اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات والارض اي ليس لهم شيء من ذلك ما يملكون من قطمير ام آتيناهم كتابا فهم على بينات منه اي ام انزلنا عليهم كتابا بما يقولونه من الشرك والكفر ليس الامر كذلك بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا اي بل انما اتبعوا في ذلك اهواءهم وآراءهم وامانيهم التي تمنوها لانفسهم وهي غرور وباطل وزور ثم اخبر تعالى عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السماء والارض عن امره وما جعل فيهما من القوة الماسكة لهما فقال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا اي ان تضطربا عن اماكنهما كما قال ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه وقوله ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده اي لا يقدر على دوامهما وابقائهما الا هو وهو مع ذلك حليم غفور اي يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه وهو يحلم عنهم فيؤخر وينظر ويؤجل ولا يعجل ويستر آخرين ويغفر ولهذا قال انه كان حليما غفورا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا استكبارا في الارض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء الا باهله فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا

اخبر تعالى

حليما

ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا

سبب نزول این آیه آن بود که کفار قریش پیش از بعثت
رسول صلی الله علیه وسلم با ایشان رسید که اهل کتاب پیغمبران
خود را دروغ زن داشتند ایشان گفتند لعن الله الیهود
والنصاری اتتهم الرسل فکذبوهم لعنت باد بر جهودیان
وترسایان که پیغمبران خود را دروغ زن داشتند آنگه سوگند
یاد کردند به ایمان مغلظه که اگر رسولی با آید وکتابی آرد او را
بپذیریم وراست گوی داریم باز ایشان راه راست تر باشیم وقریش
این سخن بر حسد می گفتند که اهل کتاب را عز کتاب شریعت بود قریش را نبود
از حق جل جلاله کتاب ورسول میخواستند بی خبر رسول آمد به ایشان وقرآن درست
بنه فرستاد همه [illegible] کفر وشرک [illegible] که رب العالمین گفت فلما جاءهم نذير

اخبر تعالى عن قريش والعرب انهم اقسموا بالله جهد ايمانهم قبل ارسال الرسول اليهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم اي من جميع الامم الذين ارسل اليهم الرسل كقوله تعالى وان كانوا ليقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون قال تعالى فلما جاءهم نذير وهو محمد صلى الله عليه وسلم بما انزل معه من القرآن المبين ما زادهم الا نفورا اي ما ازدادوا الا كفرا الى كفرهم ثم بين ذلك بقوله استكبارا في الارض اي استكبروا عن اتباع آيات الله ومكر السيء اي ومكروا بالناس في صدهم اياهم عن سبيل الله ولا يحيق المكر السيء الا باهله اي وما يعود وبال ذلك الا عليهم انفسهم دون غيرهم وروى ابن ابي حاتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياك ومكر السيء فانه لا يحيق المكر السيء الا باهله ولهم من الله طالب وقوله فهل ينظرون الا سنة الاولين يعني عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسله ومخالفتهم امره فلن تجد لسنة الله تبديلا اي لا تغير ولا تبدل بل هي جارية كذلك في كل مكذب ولن تجد لسنة الله تحويلا اي واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ولا يكشف ذلك عنهم ولا يحوله عنهم احد اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا يعني قل يا محمد لهؤلاء المكذبين سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين كذبوا الرسل كيف اهلكهم الله فخلت منهم منازلهم وسلبوا ما كانوا فيه من النعم بعد كمال القوة وكثرة العدد والعدد ووفرة الاموال والاولاد والاتباع فما اغنى ذلك ولا دفع عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء امر ربك لانه تعالى لا يعجزه شيء اذا اراد كونه في السموات والارض انه كان عليما قديرا اي عليم بجميع الكائنات قدير على مجموعها ثم قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة اي لو اخذهم بجميع ذنوبهم لاهلك جميع اهل الارض وما يملكونه من دواب وارزاق قال ابن مسعود كاد الجعل ان يعذب في جحره بذنب ابن ادم ثم قرا هذه الآية وقال ابن جبير والسدي في قوله ما ترك على ظهرها من دابة اي لما سقاهم المطر فمات جميع الدواب ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى اي ولكن ينظرهم الى يوم القيمة فيحاسبهم يومئذ ويوفي كل عامل بعمله فيجازي بالثواب اهل طاعته وبالعقاب اهل معصيته ولهذا قال فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا

تفسير سورة يس وهي مكية

عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ومن قرا يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات رواه الترمذي وقال حديث غريب وضعفه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا يس في ليلة اصبح مغفورا له ومن قرا حم التي يذكر فيها الدخان اصبح مغفورا له رواه ابو يعلى الموصلي باسناد جيد وعن معقل بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يس قلب القرآن لا يقراها رجل يريد الله والدار الآخرة الا غفر له واقرؤوها على موتاكم رواه احمد والنسائي ولهذا قال بعض العلماء من خصائص هذه السورة انها لا تقرا عند امر عسير الا يسره الله وكان قراءتها عند الميت لتنزل الرحمة والبركة وليسهل عليه خروج الروح والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون انا جعلنا سبق القول في حروف اوائل السور في اول سورة البقرة وعن ابن عباس وعكرمة وغير واحد ان يس بمعنى يا انسان وقال ابن جبير هو كذلك بلغة الحبشة وقيل هو اسم من اسماء

اي تكبروا عن الايمان ومكروا السيء مع اخوة استكبارا مفعول له او بدل من النفور
في المثل من حفر لاخيه جبا وقع فيه
ومكر السيء العمل القبيح
السنة الصورة والطريقة ما ينتظرون الا ان ينزل بهم العذاب كما نزل بمن مضى من الكفار المكذبين

الناس

روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يس تدعى المعمة قيل يا رسول الله وما
المعمة قال تعم صاحبها خير الدنيا وخير الآخرة وتدعى
الرافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل
حاجة وعن عائشة قالت قال رسول الله ان في
القرآن سورة تشفع قارئها وتغفر لمستمعها الا
وهي سورة يس وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
من قراها عدلت له عشرين حجة ومن سمعها كان له
الف دينار في سبيل الله ومن كتبها ثم شربها ادخلت
جوفه الف دواء والف نور والف بركة والف
رحمة ونزع منه كل داء وغل وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
يس في ليلة اصبح مغفورا له وقال صلى الله عليه وسلم
من دخل المقابر وقرا سورة يس خفف عنهم يومئذ
وكان له بعدد من فيها حسنات وعن يحيى بن
ابي كثير ان من قرا يس حين يصبح لم يزل في فرح
حتى يمسي ومن قراها حين يمسي لم يزل في فرح
حتى يصبح
بيضاوي

وقيل لسر الهيا
اشاره الى يوم الميثاق والبين
وبالقرآن الحكيم اشارة الى

[illegible]

[illegible]

الله والقرآن الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه انك اي محمد لمن المرسلين اي على منهج ودين قويم وشرع مستقيم تنزيل العزيز الرحيم
اي هذا الصراط والمنهج والدين الذي جئت به تنزيل من رب العزة الرحيم بعباده المؤمنين كما قال وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقوله لتنذر
قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون يعني بهم العرب فانه ما اتاهم من نذير من قبله وذكرهم وحدهم لا ينفي من عداهم كما ان ذكر بعض الافراد لا
ينفي العموم وقد سبق الآيات والاحاديث المتواترة في عموم بعثته عليه الصلوة والسلام عند قوله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله
اليكم جميعا وقوله لقد حق القول على اكثرهم قال ابن جرير اي لقد وجب العذاب على اكثرهم بان الله قد حتم عليهم في ام الكتاب انهم لا يؤمنون
فهم لا يؤمنون بالله ولا يصدقون رسله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من
بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم
لا يؤمنون انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة واجر كريم انا نحن نحيي
الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء احصيناه في امام مبين يعني انا جعلنا هؤلاء المختوم بالشقاء
بنسبتهم الى الهدى كنسبة من جعل في عنقه غل فجمع يديه مع عنقه تحت ذقنه فارتفع رأسه فصار مقمحا ولهذا قال فهم مقمحون والمقمح هو الرافع رأسه قال
الازهري اراد ان ايديهم لما غلت الى اعناقهم رفعت الاغلال اذقانهم ورؤسهم فهم مرفوعوا الرؤس برفع الاغلال اياها واكتفى بذكر الغل في
العنق عن ذكر اليدين وان كانتا مرادتين كما قال الشاعر فما ادري اذا يممت ارضا اريد الخير ايهما يليني االخير الذي انا ابتغيه
ام الشر الذي لا يأتي يليني واكتفى بذكر الخير عن ذكر الشر لما دل الكلام والسياق عليه وكذا هنا لما كان الغل انما يعرف فيما جمع اليدين
مع العنق اكتفى بذكر العنق عن اليدين قال ابن عباس هو كقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك يعني نزلت ان ايديهم موثقة
الى اعناقهم لا يستطيعون ان يبسطوها بخير اي منعناهم من الايمان بموانع تجعل الاغلال مثلا لذلك وقوله وجعلنا من بين ايديهم
سدا ومن خلفهم سدا عن الحق يترددون قاله مجاهد وقال قتادة في الضلالات وقوله فاغشيناهم اي اغشينا ابصارهم
وغطيناها واعميناها عن الحق فهم لا يبصرون اي لا ينتفعون بخير ولا يهتدون اليه وروي ان ابن عباس كان يقرأها
بالعين المهملة من العشاء وهو داء في العين قال ابن زيد جعل الله هذا السد بينهم وبين الاسلام والايمان فهم لا يخلصون
اليه وقال عكرمة قال ابو جهل لئن رأيت محمدا لافعلن به كذا وكذا فانزلت هذه الآية انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الى قوله
فهم لا يبصرون قال فكانوا يقولون هذا محمد فيقول اين هو اين هو لا يبصره رواه ابن جرير وقال محمد بن كعب قال
ابو جهل وهم جلوس ان محمدا يزعم انكم ان تابعتموه كنتم ملوكا فاذا متم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم جنات خير من جنات
الاردن وانكم ان خالفتموه كان لكم منه ذبح ثم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم نار تعذبون بها وخرج عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم عند ذلك وفي يده حفنة من تراب وقد اخذ الله على اعينهم دونه فجعل يذرها على رؤسهم ويقرأ
يس والقرآن الحكيم الى قوله فهم لا يبصرون وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته وباتوا متربصين له على بابه
حتى خرج عليهم خارج من الدار فقال ما لكم قالوا ننتظر محمدا قال قد خرج عليكم فما بقي منكم من رجل الا وضع على راسه
ترابا ثم ذهب لحاجته فجعل كل رجل ينفض على ما في راسه من التراب قال وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قول ابي جهل
فقال وانا اقول ذلك ان لهم مني لذبحا وانه لآخذهم رواه ابن اسحق وقوله وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم
لا يؤمنون اي قد ختم الله عليهم بالضلالة فما يفيد فيهم الانذار ولا يتأثرون به كما سبق نظيره في اول سورة البقرة
وقوله انما تنذر من اتبع الذكر اي انما ينتفع بانذارك الذين يتبعون القرآن العظيم وخشي الرحمن بالغيب اي حيث
لا يراه احد الا الله يعلم ان الله مطلع عليه وعالم بما يفعله فبشره بمغفرة واجر كريم اي كثير واسع حسن جميل ثم قال
تعالى انا نحن نحيي الموتى اي يوم القيمة وفيه اشارة الى انه تعالى يحيي قلب من يشاء من الكفار الذين قد ماتت قلوبهم

تنزيل العزيز الرحيم یعنی عزت وهم رحیم عزیز به
بیگانگان رحیم به مومنان اگر عزیز بودی رحیم
هر کس اورا نیابند واگر رحیم بودی عزیز
کس اورا در نیابد عزت تا کافران در دنیا
او را اند رحیم است تا مومنان در عقبی
او را بینند لهم غافلون غافلان وکسی اند
نکی ارکان دین عاقل وارطلبت صلاح
[illegible]

وقال الفراء معناه انا
حبسناهم عن الانفاق
في سبيل الله كقوله
ولا تجعل يدك مغلولة الى
عنقك

[illegible]

انا نحن نحيي الموتى ارباب معرفت در احیاء موتی لهمی ذکر کرده اند یعنی زنده میگردانیم دلهای اهل غفلت بنور قربت وجانهای اهل هوا وشهوت بنسیم مشاهدت و
روح مواصلت اگر همه جانهای عالمیان ترا بود وبنور قربت ترا حیوة طیبه ندهد مرده زندانی توئی واگر هزار سال در خاک بوده چون ریحان
توحید رحان در روضه روح تو بود مایه همه زندگان توئی ونکتب ما قدموا وآثارهم یعنی خطاهم الی المسجد فی ظلم اللیل ووقوفهم علی بساط المناجات
وفی الخبر بشر المشائین فی ظلم اللیل الی المساجد بالنور التام یوم القیمة در وقت سحرگاه که بنده ازحجره انزوه خود بیرون اید بقصد مسجد ومحراب وقدم
بر بساط مناجات نهد بر جمله در اطراف واکناف سموات موکب بود زبانها بحمد وثنا بگشایند واز حجاب حرمت

بالصلوة فيهديهم بعد ذلك الى الحق كما قال بعد ذكر قسوة القلوب اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها الآية وقوله ونكتب ما قدموا
اي من الاعمال وآثارهم اي نكتب ~~ما قدموا اي من الاعمال وآثارهم~~ اي نكتب اعمالهم التي باشروها بانفسهم وآثارهم التي اثروها
من بعدهم فنجزيهم على ذلك ايضا كما في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سن في الاسلام سنة حسنة كان له اجرها واجر من عمل بها
من بعده من غير ان ينتقص من اجورهم شيئا ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير ان
ينقص من اوزارهم شيئا رواه مسلم وكما جاء فيه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا عن ثلث
من علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له او صدقة جارية من بعده وقال مجاهد اي ما اورثوا من الضلالة وقال سعيد بن جبير اي ما
سنوا من سنة يعمل بها بعدهم كما ترى آنفا من الحديث وقيل المراد بذلك آثار خطاهم الى الطاعة او المعصية كما قال جابر بن عبد الله خلت
البقاع حول المسجد فاراد بنو سلمة ان ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم بلغني انكم تريدون ان تنتقلوا
قرب المسجد قالوا نعم يا رسول الله قد اردنا ذلك فقال يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم رواه مسلم وقال
ابن عباس كانت منازل الانصار متباعدة من المسجد فارادوا ان ينتقلوا الى المسجد فنزلت ونكتب ما قدموا وآثارهم فقالوا
نثبت مكاننا رواه ابن جرير وعن عبد الله بن عمرو قال توفي رجل بالمدينة فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا ليته
مات في غير مولده فقال رجل ولم يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل اذا توفي في غير مولده قيس
له من مولده الى منقطع اثره في الجنة رواه احمد والنسائي وابن ماجه وقوله وكل شيء احصيناه في امام مبين اي وجميع
الكائنات مكتوب في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ وهو الامام المبين واضرب لهم مثلا اصحاب
القرية اذ جاءها المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم
مرسلون قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون قالوا
ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين اي واضرب يا محمد لقومك الذين كذبوك
مثلا واذكر لهم اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون قال ابن عباس ووهب وكعب انها مدينة انطاكية وكان بها
ملك يقال له انطيخس وكان يعبد الاصنام فبعث الله اليه ثلثة من الرسل وهم صادق وصدوق وشلوم فكذبهم
وقيل هي غير انطاكية وقوله اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما اي بادروهما بالتكذيب فعززنا بثالث اي قويناهما وشددنا
ازرهما برسول ثالث قيل اسم الاولين شمعون ويوحنا واسم الثالث بولص فقالوا اي لاهل تلك القرية انا اليكم مرسلون
اي من ربكم الذي خلقكم يامركم بعبادته وحده لا شريك له وزعم قتادة انهم كانوا رسل المسيح عليه السلام الى اهل انطاكية قالوا
ما انتم الا بشر مثلنا اي فكيف اوحي اليكم وانتم بشر ونحن بشر فلم لا اوحي الينا مثلكم ولو كنتم رسلا لكنتم ملائكة وهذه
شبهة كثير من الامم المكذبة كما اخبر تعالى عنهم فقالوا ابشر يهدوننا وقوله قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا
عما كان يعبد آباؤنا ولهذا قال هؤلاء ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون قالوا ربنا
يعلم اي اجابتهم الرسل الثلثة قائلين الله يعلم انا رسله اليكم ولو كنا كذبة عليه لانتقم منا اشد الانتقام ولكنه
سيعزنا وينصرنا عليكم وما علينا الا البلاغ المبين اي انما علينا ان نبلغكم ما ارسلنا به اليكم فان اطعتم كانت
لكم السعادة في الدارين وان لم تجيبوا فستعلمون عقب ذلك قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم
وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم ائن ذكرتم بل انتم قوم مسرفون اي فعند
ذلك قال لهم اهل القرية انا تطيرنا بكم اي تشاءمنا بكم ولم نر على وجوهكم خيرا في عيشنا وقال قتادة اي ان اصابنا
شر فانما هو من اجلكم وقال مجاهد اي لم يدخل مثلكم قرية الا عذب اهلها لئن لم تنتهوا لنرجمنكم اي لنشتمنكم او الحجارة

حرمت ستر ابستر ترابست وصل اما جليس
من ذكرني روان گردد ان ساعت اسمان
وزمین ازعزت فروگذارند وذرات طاعات
کوشش زبانها بعطش الی عین الشوق تکشانند
که ولا زمن من کان کرام نصیب عزیز کنج ان
ساعت بستر وبالین را وداع کند ورد ی
بمحراب عبادت نهد ودرد خود را برهم جوید
شریف وقتی لست عزیز ساعتی که آن هنگام است
ان ساعت که جلال احدیت صفت صمدیت بساط
نزول بگسترد وباواز حجات کند که هل من
سائل هل من تائب
هیچ درد زده را سوالی
هست تا جام اجابت در کام
او [illegible]
هیچ تایبی
هست تا
مرکب قبول مر
استقبال او فرستم
هیچ عاصی هست تا
[illegible] ودیده وبینه او را بنور عفوان

واضرب لهم مثلا اصحاب القرية خبر میدهد از بار دادگاه
عدل ازل [illegible]

[illegible]

در نگر بدینجا که آن غسال ظاهر او به آب می شوید ما باطن او به آب رحمت می شوییم ساکنان حضرت حروف کوبند بادستها ما را خبر کن تا از زبان وی شعله می زند که بدان نور جلال ماست که از
باطن وی بر ظاهر تجلی می کند حبیب نجار چون به آن مقام دولت رسید او را گفتند ادخل الجنة ای حبیب در رو این جای باز دوستان و میعاد راز محبان و منزل آسایش مشتاقان
با هم طوبی بینی هم زلفی هم حسنی طوبی عیش بی عتابست زلفی ثواب بی حسابست حسنی دیدار
یا غفرلی ربی اینجای که ابرار شنیدند رسیدیم [illegible] المنة لله که بمقصود رسیدم
ما را بهمه مقصود [illegible] لی حیا باست حبیب چون ان نواخت و کرامت دید یالیت قومی یعلمون

وليمسكم منا عذاب اليم اي عقوبة شديدة فقالت لهم رسلهم طائركم معكم اي مردود عليكم قال قتادة اي اعمالكم معكم
ا قولهم ائن ذكرتم اي من اجل انا ذكرناكم وامرناكم بتوحيد الله واخلاص العبادة له قابلتمونا بهذا الكلام وتوعدتمونا
وتهددتمونا بل انتم قوم مسرفون وقال قتادة ائن ذكرناكم بالله تطيرتم بنا بل انتم قوم مسرفون اي مشركون مجاوزون
عن الحد وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم
اجرا وهم مهتدون ومالي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون ءاتخذ من دونه
الهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال
مبين اني امنت بربكم فاسمعون عن ابن عباس وغيره ان اهل القرية هموا بقتل رسلهم فجاء رجل من اقصى
المدينة اي كان منزله عند اقصى باب من ابوابها يسعى اي لينصرهم من قومه قالوا وهو حبيب وكان يعمل الحرير وكان
سقيما قد اسرع فيه الجذام وكان كثير الصدقة يتصدق بنصف كسبه مستقيم الفطرة قيل كان اسمه حبيب بن مري
قال ابن عباس اسم صاحب يس حبيب النجار فقتله قومه وقيل كان اسكافا فتعبد في غار هناك قال يا قوم اتبعوا
المرسلين يحض قومه على اتباع الرسل الذين اتوهم اتبعوا من لا يسألكم اجرا اي على ابلاغ الرسالة وهم مهتدون فيما
يدعونكم اليه من عبادة الله وحده لا شريك له ومالي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون اي وما يمنعني من اخلاص
العبادة للذي خلقني واليه ترجعون يوم المعاد فيجازيكم على اعمالكم ءاتخذ من دونه الهة استفهام انكار وتوبيخ ان
يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون اي هذه الالهة تعبدونها من دونه لا يملكون من الامر شيئا
لان الله لو ارادني بسوء فلا كاشف له الا هو وهذه الاصنام لا تملك دفع ذلك ولا منعه ولا ينقذوني مما انا فيه
اني اذا لفي ضلال مبين اي ان اتخذتها الهة من دون الله وقوله اني امنت بربكم اي بربكم الذي كفرتم به فاسمعون اي
فاشهدوا لي بذلك عنده يعني اسمعوا قولي ليشهدوا لي بما اقول لكم عند ربي اني قد امنت بربكم واتبعتكم قال ابن عباس
وغيره فلما قال ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن له احد يمنع عنه وقال قتادة جعلوا يرجمونه بالحجارة
وهو يقول اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون حتى قتلوه قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي
وجعلني من المكرمين وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين
ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون قال ابن مسعود انهم وطئوه بارجلهم حتى خرج
قصبه من دبره وقال الله له ادخل الجنة فدخلها يرزق منها قد اذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها
وقال مجاهد فلما راى الثواب قال يا ليت قومي يعلمون فتمنى ان يعلم قومه بما عاين من كرامة الله ليتنبهوا ويؤمنوا
وقال ابن عباس نصح قومه في حياته بقوله يا قوم اتبعوا المرسلين وبعد مماته في قوله يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني
من المكرمين اي بايماني بربي وتصديقي المرسلين ومقصوده انهم لو اطلعوا على ذلك لاتبعوا الرسل قال ابن اسحق
ان كعب الاحبار ذكر حبيب بن زيد اخا بني النجار الذي كان مسيلمة الكذاب قطعه باليمامة حين جعل يسأله عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول اتشهد ان محمدا رسول الله فيقول نعم ثم يقول اتشهد اني رسول الله فيقول لا
اسمع فيقول له مسيلمة اتسمع هذا ولا تسمع ذلك فيقول نعم فجعل يقطعه عضوا عضوا فكلما سأله لم يزده على ذلك
حتى مات عليه فقال كعب اسمه وكان والله اسم صاحب يس حبيب وقوله وما انزلنا على قومه من بعده من جند
من السماء وما كنا منزلين اخبر تعالى انه انتقم من قومه بعد قتلهم اياه غضبا منه تعالى عليهم وذكر انه ما انزل عليهم
في اهلاكهم جندا من الملائكة لان امرهم ايسر من ذلك ان كانت الا صيحة واحدة اي ما كان تدميرهم بالجند ما كانت الا صيحة

اي المذكور في سورة
يس [illegible]

قيل اضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم
لان الفطرة اثر النعمة وكان عليه اظهر و
في الرجوع معنى الزجر وكان بهم اليق وقيل
انه لما قال اتبعوا المرسلين اخذوه ورفعوه
الى الملك فقال له الملك افانت تتبعهم
فقال ومالي لا اعبد الذي فطرني واي شيء
لي اذا لم اعبد خالقي واليه ترجعون تردون
عند البعث فيجزيكم باعمالكم ٢

قوله بما غفر لي ربي فيه ثلثة اوجه احدها
مصدرية اي بغفرانه والثاني بمعنى الذي
اي بالذنب الذي غفره والثالث استفهام
على التعظيم ذكره بعض الناس وهو بعيد
لان ما في الاستفهام اذا دخل عليها حرف جر
حذفت الفها وقد جاء في الشعر بغير حذف

ما نافية ويكون وما كنا
ويجوز ان تكون الثانية
زائدة اي وقد كنا وقيل
هي اسم معطوف على جند

اسم كان مضمر اي ما كانت الصيحة
الا صيحة والرفع وصفها بالايجاد
واذا للمفاجأة

واحدة قالوا اخذ جبريل بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة فاذا هم خامدون اي ميتون عن
آخرهم لم يبق فيهم روح يتردد في جسد وقال بعضهم ان هذه المدينة غير انطاكية المشهورة لان اهل انطاكية
كانوا من اول من آمن بعيسى فكيف خالفوا الرسل حتى وقع يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا
كانوا به يستهزءون الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون وان
كل لما جميع لدينا محضرون اي يا حسرة العباد على انفسهم والمعنى يا حسرتهم وندامتهم يوم القيمة اذا عاينوا
العذاب كيف كذبوا رسل الله وخالفوا امره فانهم كانوا في الدنيا ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون اي يكذبونه
ويستهزءون به ويجحدون ما ارسل به من الحق ثم قال الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون اي
الم يتعظوا بمن اهلك الله قبلهم من المكذبين للرسل كيف لم يكن لهم الى هذه الدنيا رجعة ولم يكن الامر كما زعم كثير
من جهلتهم وضلالهم في قولهم ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وهم القائلون بالدور من الدهرية المعتقدين
جهلا منهم انهم يعودون الى الدنيا كما كانوا فيها فرد الله عليهم باطلهم بهذه الاية وقوله وان كل لما جميع لدينا محضرون
اي وان جميع الامم من الماضية والاتية ستحضر للحساب يوم القيمة بين يدي الله فيجازيهم باعمالهم كلها خيرها و
قرا بعضهم لما بالتخفيف فعنده ان للاثبات وبعضهم بالتشديد وان نافية ولما بمعنى الا تقديره وما كل الا
جميع لدينا محضرون ومعناهما واحد واية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا
فمنه ياكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون لياكلوا
من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون سبحان الذي خلق الازواج كلها مما
تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون يعني ودلالة لهم على وجود الصانع وقدرته التامة
واحياء الموتى الارض الميتة اي اذا كانت هامدة يابسة لا شيء فيها من النبات فاذا انزل الله عليها الماء
اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ولهذا قال احييناها واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون اي جعلناه
رزقا لهم ولانعامهم وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون اي جعلنا فيها انهارا
جارية في امكنة يحتاجون اليها ليأكلوا من ثمره لما امتن على خلقه بايجاد الزروع لهم عطف بذكر الثمار
وتنوعها واصنافها وقوله وما عملته ايديهم اي وما ذلك كله الا من رحمة الله بهم لا بسعيهم وكدهم ولا
بحولهم وقوتهم قاله ابن عباس وغيره ولهذا قال افلا يشكرون اي فهلا يشكرونه واختار ابن جرير ان ما في
قوله وما عملته ايديهم بمعنى الذي تقديره ليأكلوا من ثمره ومما عملته ايديهم اي من انهم غرسوه ونصبوه قال
وهكذا في قراءة ابن مسعود ثم قال سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض اي من زروع وثمار
ونبات ومن انفسهم فجعلهم ذكرا وانثى ومما لا يعلمون اي من مخلوقات شتى لا يعرفونها كما قال تعالى ومن كل
شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون واية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس
تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون
القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون
يعني ومن الدلالة لهم على قدرته العظيمة خلق الليل والنهار هذا بضيائه وذا بظلامه وجعلهما يتعاقبان
يجيء هذا فيذهب هذا وبالعكس كما قال يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا ولهذا قال ههنا واية لهم الليل نسلخ منه

الحسرة شدة الندامة وفيه قولان احدهما
تقول الله تعالى يا حسرة وندامة وكآبة على العباد
يوم القيمة حين لم يؤمنوا بالرسل والآخر
انه من قول الهالكين [illegible]
قالوا يا حسرة [illegible]

[illegible]

النهار اي ننزع فيكشطه منه فيذهب ويقبل الليل ولهذا قال فاذا هم مظلمون كما جاء في الحديث اذا اقبل الليل
من ههنا وادبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد افطر الصائم وهو ظاهر الآية بخلاف قوله يولج الليل في
النهار ويولج النهار في الليل فان معنى الايلاج الاخذ من هذا في هذا وليس هو المراد في هذه الآية قال ابن جرير
وقوله والشمس تجري لمستقر لها فيه قولان احدهما ان المراد مستقرها المكاني وهو تحت العرش مما يلي الارض
من ذلك الجانب وهي اينما كانت فهي تحت العرش هي وجميع المخلوقات لانه سقفها وليس بكرة كما يزعمه كثير من
ارباب الهيئة وانما هو قبة ذات قوائم تحمله الملائكة وهو فوق العالم مما يلي رؤوس الناس فالشمس اذا كانت في قبة
الفلك وقت الظهر تكون اقرب ما تكون الى العرش فاذا استدارت في فلكها الرابع الى مقابلة هذا المقام
وهو وقت نصف الليل صارت ابعد ما تكون من العرش فحينئذ تسجد وتستاذن في الطلوع كما روى ابو ذر
قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه في المسجد حين وجبت الشمس فقال يا اباذر اتدري اين تذهب الشمس قلت
الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستاذن فيوذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل
منها وتستاذن فلا يوذن لها ويقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله والشمس تجري
لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم رواه البخاري ومسلم وقيل المراد لمستقرها هو غاية ارتفاعها في السماء في الصيف
واوجها ثم غاية انخفاضها في الشتاء وهو الحضيض والقول الثاني ان المراد لمستقرها هو منتهى سيرها وهو
يوم القيمة يبطل سيرها ويسكن حركتها وتكور وينتهي هذا العالم الى غايته وهذا هو مستقرها الزماني وقيل المراد
انها لا تزال تنتقل من مطالعها الصيفية الى مدة لا تزيد عليها ثم تنتقل في مطالع الشتاء الى مدة لا تزيد عليها
وقرا ابن مسعود وابن عباس لا مستقر لها اي لا قرار لها ولا سكون بل سائرة ليلا ونهارا لا تفتر ولا تقف
كما قال تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين اي لا يفتران ولا يقفان الى يوم القيمة ذلك تقدير العزيز العليم اي الذي
لا يخالف ولا يمانع العليم بجميع الحركات والسكنات ثم قال والقمر قدرناه منازل اي جعلناه يسير سيرا آخر يستدل
به على مضي الشهور كما ان الشمس بها تعرف الليل والنهار كما قال يسالونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس
والحج وغيره من الآيات فقدر منازل ان يظهر في اول ليلة من الشهر دقيقا قليل النور ثم يزداد نورا في الليلة
الثانية ويرتفع منزلة ثم كلما ارتفع ازداد ضياء وان كان مقتبسا من الشمس حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة
عشر ثم يشرع في النقص الى آخر الشهر حتى يصير كالعرجون القديم قال ابن عباس هو اصل العذق اليابس المنحني
ثم يبديه الله جديدا في اول الشهر الآخر وقوله لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر قال مجاهد لكل منهما حد لا يعدوه
ولا يقصر دونه اذا جاء سلطان هذا ذهب هذا واذا ذهب سلطان هذا جاء هذا وقوله ولا الليل سابق النهار
اي لا ينبغي اذا كان الليل ان يكون ليل آخر حتى يكون النهار فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل وقال
الضحاك لا يذهب الليل من ههنا حتى يجي النهار من ههنا يعني لا فترة بين الليل والنهار بل كل منهما يعقب الآخر
بلا مهلة ولا تراخ وقوله وكل في فلك يسبحون اي الليل والنهار والشمس والقمر كلهم يسبحون اي يدورون في فلك
السماء قاله ابن عباس وقال ابن زيد في فلك بين السماء والارض اي في فلكة كفلكة المغزل لا يدور المغزل
الا بها قال مجاهد الفلك كحديدة الرحا **وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون و
خلقنا لهم من مثله ما يركبون وان نشا نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون**

التنوين عوض عن المضاف اليه والمعنى كلهم والضمير للشموس والاقمار

الا رحم

الا رحمة منا ومتاعا الى حين يعني ومن دلالة على قدرته تعالى تسخيره البحر ليحمل السفن فاولها سفينة نوح عليه
السلام التي انجاه الله فيها بمن معه من المومنين الذين لم يبق على وجه الارض من ذرية آدم غيرهم ولهذا قال تعالى وآية لهم
انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون اي في السفينة المملوة من الامتعة والحيوانات التي امره الله ان يحمل من كل زوجين
اثنين والمشحون الموقر وقوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قال ابن عباس وغير واحد هو الابل فانها سفن البر يحملون عليها
ويركبونها وعن ابن عباس هي السفن بعد سفينة نوح على مثلها ثم به قال آخرون وقوله وان نشا نغرقهم يعني الذين في
السفن فلا صريخ لهم اي فلا مغيث لهم مما هم فيه ولا هم ينقذون اي مما اصابهم الا رحمة منا وهذا استثناء منقطع تقديره لكن
برحمتنا نسيركم في البر والبحر ونسلمكم الى اجل مسمى ولهذا قال ومتاعا الى حين الى وقت معلوم عند الله **واذا قيل
لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تاتيهم من آية من آيات
ربهم الا كانوا عنها معرضين واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين
كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه ان انتم الا في ضلال مبين**
اخبر تعالى عن تمادي المشركين في غيهم وضلالهم وعدم اكتراثهم بذنوبهم التي اسلفوها وما هم يستقبلون بين ايديهم
يوم القيمة فقال واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم قال ابن عباس ما بين ايديكم يعني الآخرة فاعملوا لها وما
خلفكم يعني الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقال قتادة ما بين ايديكم وقائع الله فيمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم
عذاب الآخرة لعلكم ترحمون اي لعل الله باتقائكم ذلك يرحمكم ويومنكم من عذابه يعني انهم لا يجيبون الى ذلك بل يعرضون
عنه واكتفى عن ذلك بقوله وما تاتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين اي لا يتاملون فيها ولا ينتفعون بها و
قوله واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله اي واذا امروا بالانفاق مما رزقهم الله على الفقراء والمحاويج من المسلمين
قال الذين كفروا للذين آمنوا من الفقراء اي قالوا لمن امرهم من المومنين بالانفاق محاجين لهم فيما امروهم به انطعم
من لو يشاء الله اطعمه اي هولاء الذين امرتمونا بالانفاق عليهم لو شاء الله لاغناهم ولاطعمهم من رزقه فنحن
نوافق مشية الله فيهم ان انتم الا في ضلال مبين اي في امركم لنا بذلك وقيل ما انتم الا في خطا بين في اتباعكم محمدا وترك
ما نحن عليه قال ابن جرير ويحتمل ان يكون هذا من قول الله تعالى للكفار حين ناظروا المومنين وردوا عليهم فقال
لهم ان انتم الا في ضلال مبين **ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا
صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم
يرجعون** اخبر تعالى عن استبعاد الكفرة لقيام الساعة في قولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يستعجلونها
الذين لا يومنون بها قال تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة وهذه والله اعلم نفخة الفزع ينفخ في الصور نفخة الفزع و
الناس في اسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتشاجرون على عادتهم فبيناهم كذلك اذ امر الله اسرافيل فنفخ في الصور
نفخة يطولها ويمدها فلا يبقى احد على وجه الارض الا اصغى ليتا ورفع ليتا وهو صفحة العنق يتسمع الصوت من
قبل السماء ثم يساق الموجودون من الناس الى محشر القيمة بالنار تحيط بهم من جوانبهم ولهذا قال فلا يستطيعون
توصية اي على ما يملكونه يعني لا يقدرون على الايصاء بشيء بل يتخلوا عنها فيموتوا ولا الى اهلهم يرجعون اي ينقلبون
يعني ان الساعة لا يمهلهم بشيء وقد سبق احاديثه في موضع آخر ثم يكون بعد ذلك نفخة الصعق التي تموت بها

الاحياء كلهم ما عدا الحي القيوم ثم بعد ذلك نفخة البعث ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى
ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون
الا ما كنتم تعملون هذه هي النفخة الثالثة وهي نفخة البعث والنشور للقيام من الاجداث والقبور و
لهذا قال فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون والنسلان هو المشي السريع كما قال يوم يخرجون من الاجداث
سراعا كانهم الى نصب يوفضون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا القبور وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم لانه بالنسبة
الى ما بعده في الشدة كالرقاد قال ابي بن كعب وغير واحد ينامون نومة قبل البعث وذلك بين النفختين
ولذلك يقولون من بعثنا من مرقدنا فاذا قالوا ذلك اجابهم المؤمنون بقولهم هذا ما وعد الرحمن و
صدق المرسلون وقيل بل يجيبهم الملئكة بذلك ويمكن ان يكون هذا الجواب من الجميع وقيل الجميع من قول
الكفار والاصح الاول قوله ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون اي انما كانت النفخة الاخيرة
صيحة واحدة فاذا الجميع محضرون عندنا للعرصات فاليوم لا تظلم نفس شيئا اي من عملها ولا تجزون الا ما كنتم
تعملون ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون
لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم اخبر تعالى عن اهل الجنة انهم يوم
القيمة اذا ارتحلوا من العرصات فنزلوا في روضات الجنات انهم في شغل عن غيرهم بما هم فيه من النعيم المقيم و
الفوز العظيم فاكهون اي في نعم معجبون فرحون به اي بسماع الاوتار وافتضاض الابكار و قوله هم وازواجهم
اي من الحور في ظلال الاشجار على الارائك اي السرر تحت الحجال متكئون و قوله لهم فيها فاكهة اي من جميع
انواعها ولهم فيها ما يدعون اي مهما طلبوا وجدوا من جميع اصناف الملاذ عن اسامة بن زيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا هل مشمر الى الجنة فان الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور كلها يتلألأ وريحانة تهتز
وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام في ابد في دار السلامة
وفاكهة خضرة وحبرة ونعمة في محلة عالية بهية قالوا نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها قال قولوا ان شاء الله
رواه ابن ابي حاتم وكذا رواه ابن ماجه في الزهد من سننه و قوله سلام قولا من رب رحيم قال ابن عباس اي فان
الله نفسه سلام على اهل الجنة وهذا كقوله تحيتهم يوم يلقونه سلام وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه و
سلم بينا اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور في الجلية نور غلب على نور الجنة فرفعوا رؤسهم فاذا الرب تعالى
قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله سلام قولا من رب رحيم قال فينظر اليهم
وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم رواه
ابن ابي حاتم وابن ماجه في كتاب السنة من سننه وقيل يسلم عليهم الملئكة من ربهم وامتازوا اليوم ايها
المجرمون الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني
هذا صراط مستقيم ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون اخبر تعالى عما يؤول اليه
حال الكفار يوم القيمة من امره لهم ان يمتازوا عن المؤمنين في موقفهم كما قال تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ

ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون   اين شغل عامه مومنانست كه مصطفى در حق ايشان گفته اكثر اهل الجنة البله
اما مومنان حضرت وخواص مملكت از مطالعه شهود واستغراق وجود يک لحظه وا بنعيم بهشت نپردازند بزبان
حال همی گويند   روزی که مرا وصل تو در چنگ آيد   از حال بهشتيان مرا ننگ آيد   چون خلايق از عرصات قيامة
بروند ايشان بر جای بمانند وبروند فرمان آيد که شما نيز به بهشت رويد و ناز و نعيم بهشت به بينيد گويند کجا رويم
که آنجا مقصود ما را خود موجود است   سلام قولا من رب رحيم   سلام خداوند كريم بر بنده ضعيف
دو ضربست يکی به سفير وواسطه يکی بی سفير وبی واسطه اما آنچه بواسطه است اول سلام مصطفی است وذلک
في قوله واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم يا محمد چون مومنان بر تو آيند ونواخت ما طلبند تو به نيابت
ما بر ايشان سلام کن وبگوی كتب ربكم على نفسه الرحمة باز چون روزگار دعوت برسد وبريد مرگ در رسد در آن دم زدن
بازپسين ملک الموت را فرمان آيد که تو بريد حضرت مائی سفير مملکت مائی بفرمان ما قبض روح بنده میکنی نخست
او را شربت شادی ده مرهمی بر دل خسته وی نه بروی سلام کن ونعت بروی تمام کن اينست که رب العزت گفت
تحيتهم يوم يلقونه سلام واعد لهم اجرا كريما آن فرشتگان ديگر که اعوان ملک الموت اند چون آن نواخت وكرامت
بينند همه گويند سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ای بنده مومن بخوشی دل ودليت جان تسليم کردی نوشت باد
سلام ودرود حق بر تو باد از سرای حکم قدم در ساحت بهشت نه که کار کار تو ست ودولت دولت تو وازان
پس چون از حساب وکتاب وديوان قيامت فارغ شود بدر بهشت رسد رضوان او را استقبال کند گويد سلام عليكم
طبتم فادخلوها خالدين سلام ودرود بر شما خوش گشتيد وخوش آمديد وپاک زندگی کرديد اکنون در رويد
درين سرای جاودان وناز ونعيم بی کران و ازان پس که در بهشت آيد اندر غرفه خود آرام گيرد فرشتگان
ملک آيند واورا مژده دهند وسلام رسانند گويند سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار چون گوش بنده
از شنيدن سلام واسطه پر شود واز درود فرشتگان سير گردد آرزوی ديدار وسلام وكلام حق کند
گويد بزبان افتقار در حالت انكسار بر بساط انبساط که ای چون ناز من اين نياز من تا کی ای شغل
جان من اين شغل جان من تا کی ای ساقی بر تن اين تشنگی من تا کی ای شهود جان من اين خبر شنيدن من
تا کی خداوندا وجود دل عازمانی درد گریگانه آرزوی جان مشتاقانی در وجود يگانه هيچ روی آن دارد
خداوندا که ديدار نمائی وخود سلام کنی برين بنده فيتجلى الله تعالى ويقول سلام عليكم يا اهل الجنة فذلك
قوله سلام قولا من رب رحيم   قوله تعالى اليوم نختم على افواههم الآية گفته اند فردا که اندام
دشمن گواهی دهد بر دشمن بر کردهای بد اندام دوست هم گواهی دهد دوست را بر کردارهای نيک
در آن ماه بيارند که بنده مومن را خطاب آيد که چه آوردی بنده شرم دارد که گويد چندين نماز و روزه
وصدقات آوردم رب العزه دست ويرا بسخن آرد تا گويد چندين صدقه داد پای وی گويد چندين نماز
کرد انگشتان وی گواهی دهد بر تسبيحات وتهليلات قال النبي صلى الله عليه لبعض النساء عليكن
بالتسبيح والتهليل والتقديس واعقدن بالانامل فانهن مسئولات مستنطقات گفته اند آن يک تار
موی مژگان چشم بنده مومن را گواهی دهد يقول الله تعالى تكلمي يا شعرة جفن عين عبدي فاحتجي عن عبدي
ای موی مژگان چشم بنده بيا حجت از بهر بنده من گويد بار خدايا گواهی دهم که از بيم عقوبت تو در
آرزوی ديدار تو بسيار گريست الله گويد راست میگوئی ومن ديدم آنکه گويد اين بنده را بر گواهی کلنا
موی آمرزيدم منادی ندا کند که هذا عتيق الله بشعرة اين سخن گفتی اندامها بنده ازان عيبها است
که بر خود آدمی پوشيده است وبر خواست الله حوالت است ور توان ديد ازان جائست تا دريافته نرفته
واثر آگردن نهاده

تفرقون يومئذ يصدعون اى يصيرون صدعين فرقتين وقوله الم اعهد اليكم يا بنى آدم الا تعبدوا الشيطان
انه لكم عدو مبين اى ظاهر العداوة هذا تقريع من الله للكفرة من بنى آدم الذين اطاعوا الشيطان وهو عدو لهم
مبين وعصوا الرحمن وهو خلقهم ورزقهم ولهذا قال وان اعبدونى هذا صراط مستقيم فسلكتم غير ذلك واتبعتم
الشيطان فيما امركم ولهذا قال ولقد اضل منكم جبلا كثيرا قرئ بكسر الجيم وتشديد اللام وبضم الجيم والباء وتخفيف
اللام ومنهم من سكن الباء والمراد بذلك الكثير وقوله افلم تكونوا تعقلون اى اما كان لكم عقل فى مخالفة ربكم فيما
امركم به من عبادته وحده لا شريك له وموافقة عدوكم ومتابعته هذه جهنم التى كنتم توعدون اصلوها
اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم
بما كانوا يكسبون ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون ولو
نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون اى يقال للكفرة يوم القيمة وقد
برزت الجحيم لهم تقريعا وتوبيخا هذه جهنم التى كنتم توعدون اى حذرتكم الرسل فكذبتموهم اصلوها اى ادخلوها
اليوم بما كنتم تكفرون وقوله اليوم نختم على افواههم الى قوله يكسبون هذا حال الكفار والمنافقين يوم القيمة حين
ينكرون ما اجترموه فى الدنيا ويحلفون ما فعلوه فيختم الله على افواههم وتستنطق جوارحهم بما فعلت وعن انس بن
مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مما اضحك قال قلنا الله ورسوله اعلم قال
من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب الم تجرنى من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فانى لا اجيز على نفسى الا شاهدا
منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال لاركانه انطقى
قال فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام قال فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل رواه مسلم وعن
ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث القيمة ثم يلقى الثالث فيقول ما انت فيقول انا عبدك آمنت
بك وبنبيك وبكتابك وصمت وصليت وتصدقت ويثنى بخير ما استطاع قال فيقال له الا نبعث عليك
شاهدنا قال فيتفكر فى نفسه من الذى يشهد عليه فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقى قال فتنطق فخذه ولحمه
وعظامه بما كان يعمل وذلك المنافق وذلك ليعذر من نفسه وذلك الذى يسخط الله عليه رواه مسلم وعن عقبة
ابن عامر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول عظم من الانسان يتكلم يوم يختم على الافواه فخذه
من الرجل اليسرى رواه ابن ابى حاتم وابن جرير وقوله ولو نشاء لطمسنا على اعينهم قال ابن عباس اى ولو نشاء
لاضللناهم واعميناهم عن الهدى فكيف يهتدون وقال الحسن لو شاء الله لطمس على اعينهم فجعلهم عميا يترددون
فاستبقوا الصراط يعنى الطريق والحق فانى يبصرون اى لا يبصرون الحق وقوله ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم
اى لغيرنا خلقهم واهلكناهم وقال مجاهد لاقعدناهم على ارجلهم ولهذا قال فما استطاعوا مضيا اى الى امام
ولا يرجعون الى وراء بل يلزمون حالا واحدا لا يتقدمون ولا يتأخرون ومن نعمره ننكسه فى الخلق افلا يعقلون
وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول
على الكافرين اخبر تعالى عن بنى آدم كلما طال عمره رد الى الضعف بعد القوة والعجز بعد النشاط كما قال تعالى
الله الذى خلقكم من ضعف الآية والمراد الاخبار عن هذه الدار بانها دار زوال وانتقال لا دار دوام واستقرار و

قال سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة فقال هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فى سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون فى رؤية الشمس عند الظهيرة ليست فى سحاب قالوا لا يا رسول الله قال والذى نفسى بيده لا تضارون فى رؤية ربكم كما لا تضارون فى رؤيتهما قال فيلقى العبد فيقول اى فل الم اكرمك الم اسودك الم ازوجك الم اسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول بلى يا رب قال افظننت انك ملاقى فيقول لا فيقول انى قد انساك كما نسيتنى ثم يلقى الثانى فيقول اى فل الم اكرمك الم اسودك الم ازوجك الم اسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول بلى يا رب فيقول افظننت انك ملاقى فيقول لا فيقول انى قد انساك كما نسيتنى

قوله ومن نعمره ننكسه فى الخلق اين آيت بندگانرا تنبيهى است عظيم وبيدار كردن انسان از خواب غفلت
يعنى كه خود را دريابند وروزگار جوانى وقوت بغنيمت دارند وعمل كنند پيش ازانكه سست شوند قال النبى صلى الله عليه
وسلم اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وحيوتك قبل موتك وفراغك
قبل شغلك پس اگر روزگار جوانى ضايع كند ودر عمل تقصير آرد بر پيرى وعجز عذرى باز خواهد هم نكو بود قال
النبى صلى الله اذا بلغ الرجل تسعين سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وكتب اسير الله فى الارض وشفع فى اهل بيته
واذا بلغ مائة سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وكتب اسير الله فى الارض وشفع فى اهل بيته واذا بلغ مائة
سنة استحيى الله عز وجل منه ان يحاسبه

اليوم نختم على افواههم روز قيامت عمل كافران بر كافران عرضه كنند وصحيفهاء كردار ايشان به ايشان نمايند آن رسوايها
بينند وكردارهاء بد بر مثال كوهها عظيم انكار كنند وخصومت گيرند وفرشتگان بر دروغ بسازند گويند
ما اين كه در صحيفهاست نكرده ايم وعمل ما نيست والله ربنا ما كنا مشركين همسايگان بر ايشان گواهى دهند
همسايگانرا دروغ زن كنند پس رب العزة مهر بر دهنهاء ايشان نهد وجوارح ايشان بسخن آرد تا بر كردارها
ايشان گواهى دهند اينست كه رب العزت گفت اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا
يكسبون واول چيزى كه بر ايشان گواهى دهد ران چپ بود لقول النبى صلى الله عليه وسلم ان اول عظم من الانسان
ينطق يوم يختم على الافواه فخذه من رجله اليسرى وقال صلى الله عليه وسلم مقدمة افواهكم بالفدام اى مشدودة
فاول ما يسأل عن احدكم فخذه وكفه وروى انهم يقولون لجوارحهم ما شهادتكم هذه وعنكن كنت اناضل اى اجادل
وفى كيفية هذا الكلام قولان احدهما ان الله يمكنها من الكلام ويجعل لها خلقة تصلح للنطق والثانى ان المتكلم
هو الله سبحانه الا انه يسمع من جهتها فنسب اليها وفى الخبر عن جابر بن عبد الله قال لما رجعت مهاجرة البحر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا تحدثونى باعجب ما رايتم بارض الحبشة قالوا بينا نحن جلوس اذ مرت علينا عجوز من رهابينهم
تحمل على راسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم فجعل احدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت
قلتها فلما ارتفعت التفتت اليه فقالت سوف تعلم يا غدر اذا وضع الله الكرسى وجمع الاولين والآخرين
وتكلمت الايدى والارجل بما كانوا يكسبون سوف تعلم كيف امرى وامرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
صدقت ثم صدقت كيف يقدس الله قوما لا يؤخذ من شديدهم لضعيفهم

قوله ولو نشاء لطمسنا
قال ابن عباس معناه لو نشاء لفقأنا اعين ضلالتهم فاعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم من الضلالة
الى الهدى فابصروا وارشدناهم فانى يبصرون ولم افعل ذلك بهم

شعر گفتن شیمت او و در وی شیمت نیست و در گفتار ای تهمت نیست و ما هو علی الغیب بظنین ای بمتهم او در هر چه از غیب [illegible] نیست و بیغام او و وحی نیست ان هو الا وحی یوحی

لهذا قال افلا تعقلون اى افلا تتفكرون بعقولهم فى ابتداء خلقهم ثم صيرورتهم الى سن الشيبة ثم الى الشيخوخة ليعلموا انهم خلقوا لدار اخرى لا زوال لها ولا انتقال منها وهى الآخرة وقوله وما علمناه الشعر وما ينبغى له اخبر تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم انه ما علمه الشعر وما ينبغى له اى وما يتسهل له وما هو فى طبعه فلا يحسنه ولا يحبه ولا تقتضيه جبلته ولهذا ورد انه عليه الصلوة والسلم كان لا يحفظ بيتا على وزن منتظم بل ان انشده زحفه او لم يتمه وجرى على لسانه منكسرا وروى عن الشعبى انه قال ما ولد عبد المطلب ذكرا ولا انثى الا يقول الشعر الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا فقال ابو بكر يا رسول الله كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا فقال ابو بكر وعمر اشهد انك رسول الله يقول الله وما علمناه الشعر وما ينبغى له رواه ابن ابى حاتم وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استراث الخبر تمثل فيه ببيت طرفه ويأتيك بالاخبار من لم تزود رواه احمد يجعل عليه الصلوة والسلم يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار واوله ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا وثبت فى الصحيح انه عليه الصلوة والسلم تمثل يوم حفر الخندق بابيات ابن رواحة موافقة لاصحابه فانهم كانوا يرتجزون حينئذ واما ما وقع فى بعض كلماته مما هو موزون كقوله انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت فقد جرى على لسانه من غير قصد ولا ينافى معنى الآية وليس هو بشعر كما زعم الجهال والضلال وتجنبه عليه الصلوة والسلم يأبى صناعة الشعر طبعا وشرعا كما فى سنن ابى داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ابالى ما اتيت ان انا شربت ترياقا او تعلقت تميمة او قلت الشعر من قبل نفسى ولهذا قال تعالى وما ينبغى له اى وما يصلح له ذلك ان هو الا ذكر وقرآن مبين اى ما هذا الذى علمناه الا ذكر اى موعظة وقرآن مبين اى بين واضح جلى لمن تأمله وتدبره ولهذا قال لينذر من كان حيا اى لينذر هذا القرآن المبين كل حى على وجه الارض كقوله لانذركم به ومن بلغ وانما ينتفع بنذارته من هو حى القلب مستنير البصيرة كما قال قتادة حى القلب حى البصر ويحق القول على الكافرين اى رحمة للمؤمنين وحجة على الكافرين اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون ذكر تعالى ما انعم به على خلقه من هذه الانعام التى سخرها لهم فهم لها مالكون اى جعلهم يقهرونها وهى ذليلة منقادة لهم لا تمتنع منهم وقوله فمنها ركوبهم ومنها يأكلون اى منها ما يركبون فى الاسفار ويحملون عليه الاثقال الى سائر الاقطار ومنها ما يأكلون اذا شاؤا ولهم فيها منافع اى من اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين ومشارب اى من البانها وابوالها لمن يتداوى ونحو ذلك افلا يشكرون اى افلا يوحدون خالق ذلك ولا يشركون به غيره واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون انكر تعالى على المشركين فى اتخاذهم الانداد آلهة مع الله يبتغون بذلك ان تنصرهم تلك الآلهة وترزقهم وتقربهم الى الله زلفى لا يستطيعون نصرهم اى لا تقدر الآلهة على نصر عابديها بل هى اضعف من ذلك واذل بل لا تقدر على الانتصار لانفسها لانها جماد وقوله وهم لهم جند محضرون يعنى عند الحساب هذه الاصنام محشورة مجموعة يوم القيمة

لعذابهم لانهم يحملون
ووقودا للنار يوقد

تحفة

او لم یر الانسان نمی بیند مردم که بیافریدیم او را از آبی مهین در قراری مکین چهل روز او را در طور نطفه نگه داشتیم تا علقه گشت وانگه در طور علقه چهل روز بداشتیم تا مضغه گشت مصطفی گفت ان احدکم یجمع خلقه فی بطن امه اربعین لیلة ثم یکون علقة مثل ذلک ثم یکون مضغة مثل ذلک ثم یبعث الله عز وجل الیه ملکا با این کلمات فیقول اکتب اجله ورزقه وسعید او شقی [illegible] صورت شخص او در ظهور آوردیم و او را کسوت بشریت بپوشانیدیم و او را قرار مکین [illegible] فضا رحب او وردیم و او را لسان [illegible] و او را [illegible] عقل و فهم و سمع و بصر و دل و جان و او را [illegible] و بطش و مشی و حرکات [illegible] کرامت که با وی کردیم و ازان نطفه [illegible] رسانیدیم [illegible] با ما خصمی کند اینست که رب العالمین گفت فاذا هو خصیم مبین

محضرة عند حساب عابديها ليكون ذلك ابلغ فى خزيهم وقال قتادة وغيره اى لا يستطيع المشركون نصر الآلهة وهم للآلهة جند محضرون يغضبون للآلهة فى الدنيا وهى لا تسوق اليهم خيرا ولا تدفع عنهم شرا وانما هى الاصنام وقوله فلا يحزنك قولهم اى تكذيبهم لك وكفرهم بالله انا نعلم ما يسرون وما يعلنون اى نحن نعلم جميع ما هم عليه ونجزيهم وصفهم ونعرض عليهم جميع ما كانوا يعملون اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون قالوا جاء ابى بن خلف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يده عظم رميم يفتته ويذره فى الهواء وقال يا محمد اتزعم ان الله يبعث هذا فقال نعم يميتك الله ثم يبعثك ثم يحشرك الى النار نزلت هذه الآية اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم اى مجادل بالباطل مبين اى بين الخصومة يعنى انه مخلوق من نطفة ثم يخاصم وكيف لا يتفكر فى بدء خلقه حتى يدع الخصومة والآية عامة فى كل من انكر البعث فان الله ابتدأ خلق الانسان من سلالة من ماء مهين وهو النطفة فالذى يقدر على هذا اليس بقادر على اعادته بعد موته كما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما فى كفه فوضع عليها اصبعه ثم قال قال الله تعالى بنى آدم انى تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقى قلت اتصدق وانى اوان الصدقة رواه احمد وابن ماجه ولهذا قال وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم اى استبعد اعادة الله ذى القدرة العظمى التى بها خلق السموات والارض للاجساد العظام الرميم ونسى نفسه وان الله اوجده من العدم فعلم فى نفسه ما هو اعظم مما استبعده وانكره ولهذا قال تعالى قل يحييها الذى انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم اى يعلم العظام فى سائر اقطار الارض وارجائها اين ذهبت واين تفرقت وتمزقت وفى الصحيح عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رجل لم يعمل خيرا قط لاهله وفى رواية اسرف رجل على نفسه فلما حضره الموت اوصى بنيه اذا مات فحرقوه ثم اذروا نصفه فى البر ونصفه فى البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه احدا من العالمين فلما مات فعلوا ما امرهم فامر الله البحر فجمع ما فيه وامر الله البر فجمع ما فيه ثم قال له كن فاذا هو رجل قائم فقال لم فعلت هذا قال من خشيتك يا رب وانت اعلم فغفر له وقوله الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون اى الذى بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضرا نضرا ذا ثمر ثم اعاده الى ان صار حطبا يابسا توقد به النار كذلك هو فعال لما يشاء قادر على ما يريد لا يمنعه شئ وقال قتادة اى الذى اخرج هذا النار من هذا الشجر قادر ان يبعثه وعن ابن عباس المراد بذلك شجر المرخ والعفار تنبت فى ارض الحجاز فيأتى من اراد قدح نار وليس معه زناد فيأخذ منه عودين اخضرين فيحك احدهما بالآخر فيتولد النار من بينهما كالزناد سواء وقال التراجى لكل شجر نار واستجد المرخ والعفار وقال الحكماء فى كل شجر نار الا العناب اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون ينبه تعالى على قدرته

نه خضرا در شنا روزی هزاران هزار باد آن خانه را زیارت کنند سید رسل صلوات الله علیه گفت شب معراج چون باسمان چهارم رسیدم زیارت بیت المعمور جندین هزار ملک صف راندیدم در جانب بیت المعمور همه از ترتیب وصل محور از ذات همی امدند و طوف همی کردند و لبیک می زدند کفتی عدد ایشان از عدد اجران فزونست وار شمار ملک در جهان زیادت کنیم با جبرئیل گفتم ایشان که اند و از کجا می ایند جبرئیل گفت ای سید و ما یعلم جنود ربک الا هو سی هزار سال است تا همچنین می بینم یک ساعت ارام نه هزاران از ین جانب می اید و کذر کنند نه انها که می اید

العظمة فی خلق السموات وما فیها من الکواکب السیارة والثوابت والارضین السبع وما فیها من جبال ورمال وبحار وقفار وما بین ذلک وارشد الی الاستدلال علی اعادة الاجساد بخلق هذه الاشیاء کما قال لخلق السموات والارض اکبر من خلق الناس وقال ههنا اولیس الذی خلق السموات والارض بقادر علی ان یخلق مثلهم ای مثل البشر فیعیدهم کما بداهم بلی ای بلی هو قادر علی ذلک وهو الخلاق ای یخلق خلقا بعد خلق العلیم ای بجمیع ما خلق انما امره اذا اراد شیئا ان یقول له کن فیکون عن ابی ذر ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال ان الله یقول یا عبادی کلکم مذنب الا من عافیت فاستغفرونی اغفر لکم وکلکم فقیر الا من اغنیت انی جواد ماجد واجد افعل ما اشاء عطائی کلام وعذابی کلام اذا اردت شیئا فانما اقول له کن فیکون وقوله فسبحان الذی بیده ملکوت کل شیء والیه ترجعون ای تقدس وتنزه عن السوء الحی القیوم الذی بیده مقالید السموات والارض والیه یرجع العباد یوم المعاد فیجازی کل عامل بعمله وله الخلق والامر والملک والملکوت واحد فی المعنی وله نظائر کرحمة ورحموت وقیل الملک واحد هو عالم الاجسام والملکوت عالم الارواح والجمهور علی الاول وهو الصحیح وعن حذیفة بن الیمان قال قمت مع رسول الله صلی الله علیه وسلم فقرا السبع الطول فی سبع رکعات وکان اذا رفع راسه من الرکوع قال سمع الله لمن حمده ثم قال الحمد لله ذی الملکوت والجبروت والکبریاء والعظمة وکان رکوعه مثل قیامه وسجوده مثل رکوعه فانصرف وقد کادت تنکسر رجلای رواه احمد ولابی داود نحوه

تفسیر سورة الصافات وهی مکیة عن ابن عمر قال کان رسول الله صلی الله علیه وسلم یامرنا بالتخفیف ویؤمنا بالصافات تفرد به النسائی

بسم الله الرحمن الرحیم

والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتالیات ذکرا ان الهکم لواحد رب السموات والارض وما بینهما ورب المشارق قال ابن عباس وغیر واحد الصافات هم الملئکة فی السماء یصفون کصفوف الخلق فی الدنیا للصلوة عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم الا تصفون کما تصف الملئکة عند ربهم قالوا وکیف تصف الملئکة عند ربهم قال یتمون الصفوف المقدمة ویتراصون فی الصف رواه مسلم فالزاجرات هم الملئکة تزجی السحاب وتسوقه وقال قتادة وغیره هی ما زجر الله عنه فی القرآن من القبیح و التالیات ذکرا هی الملئکة یجیئون بالقرآن من عند الله تعالی الی الناس کما قال فالملقیات ذکرا وقوله ان الهکم لواحد هذا هو المقسم علیه انه تعالی لا اله الا هو رب السموات والارض وما بینهما ای من المخلوقات ورب المشارق ای هو المالک المتصرف فی الخلق بتسخیره بما فیه من الکواکب ثوابت وسیارات تبدو من المشرق وتغرب من المغرب کما صرح به فی قوله فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون فاکتفی ههنا بذکر المشارق لدلالتها علیها انا زینا السماء الدنیا بزینة الکواکب وحفظا من کل شیطان مارد لا یسمعون الی الملا الاعلی ویقذفون من کل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب اخبر تعالی انه زین سماء الدنیا للناظرین الیها بزینة الکواکب قرئ بالاضافة وبالبدل کلاهما بمعنی واحد والکواکب السیارة والثوابت یثقب ضوءها جرم السماء الشفاف فتضیء لاهل الارض کما قال وزیناها للناظرین الآیة وقوله وحفظا ای وحفظناها حفظا من کل شیطان مارد یعنی المتمرد العاتی اذا اراد ان یسترق السمع اتاه شهاب ثاقب فاحرقه ولهذا قال لا یسمعون

الخارج من الطاعة

ای انما یامر بالشیء امرا واحدا لا یحتاج الی تکرار وتاکید اذا ما اراد الله امرا فانما یقول کن فیکون

الی الملا الاعلی ای لئلا یصلون الی الملا الاعلی وهی السموات ومن فیها من الملئکة اذا تکلموا بما یوحیه الله کما سبق عند قوله حتی اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربکم الآیة ولهذا قال ویقذفون من کل جانب دحورا ای رجما یدحرون به ویمنعون من الوصول الی ذلک ولهم عذاب واصب ای فی الآخرة لهم عذاب دائم موجع وقوله الا من خطف الخطفة ای الا من اختطف من الشیاطین الخطفة وهی الکلمة یسمعها من السماء فیلقیها الی الذی تحته ویلقیها هو الی من تحته فربما ادرکه الشهاب قبل ان یلقیها وربما القاها بقدر الله قبل ان یاتیه الشهاب فیذهب بها الآخر الی الکاهن کما سبق فی الحدیث والثاقب المستنیر فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا انا خلقناهم من طین لازب بل عجبت ویسخرون واذا ذکروا لا یذکرون واذا راوا آیة یستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبین ائذا متنا وکنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اوآباؤنا الاولون قل نعم وانتم داخرون فانما هی زجرة واحدة فاذا هم ینظرون یعنی فاسال هؤلاء الملحدین المنکرین للبعث ایما اشد خلقا هم او السموات والارض وما بینهما من الملئکة والشیاطین و المخلوقات العظیمة وقرا امن خلقنا من غیرهم من الامم التی اهلکناهم بذنوبهم یعنی الامم الخالیة ثم بین انهم خلقوا من شیء ضعیف فقال انا خلقناهم من طین لازب ای الذی یلزق بعضه ببعض یعنی جید لانه والباء بدل من المیم وقوله بل عجبت ای بل عجبت یا محمد لهؤلاء المنکرین للبعث وانت موقن مصدق بما اخبر الله من الامر العجیب وهو اعادة الاجسام بعد فنائها وهم بخلاف امرک من شدة تکذیبهم ویسخرون مما تقول لهم من ذلک واذا ذکروا لا یذکرون ای وعظوا بالقرآن لا یتعظون واذا راوا آیة ای دلالة واضحة علی ذلک یستسخرون ای یستهزؤون وقالوا ان هذا الا سحر مبین ای ما هذا الذی جئت به الا سحر مبین ائذا متنا وکنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اوآباؤنا الاولون یستبعدون ذلک ویکذبون به قل نعم ای قل یا محمد نعم تبعثون یوم القیمة بعد ما تصیرون ترابا وعظاما وانتم داخرون ای حقیرون تحت قدرة الله ثم قال فانما هی زجرة واحدة ای انما قصة البعث والنشور امر واحد من الله یدعوهم دعوة ان یخرجوا من الارض فاذا هم قیام ینظرون الی اهوال یوم القیمة وقالوا یا ویلنا هذا یوم الدین هذا یوم الفصل الذی کنتم به تکذبون احشروا الذین ظلموا وازواجهم وما کانوا یعبدون من دون الله فاهدوهم الی صراط الجحیم وقفوهم انهم مسؤولون ما لکم لا تناصرون بل هم الیوم مستسلمون اخبر تعالی عن قیل الکفار انهم یرجعون علی انفسهم بالملامة ویعترفون حیث لا ینفعهم الندم وقالوا یا ویلنا هذا یوم الدین ای یوم الحساب والجزاء فتقول لهم الملئکة والمؤمنون هذا یوم الفصل الذی کنتم به تکذبون وهذا یقال لهم علی وجه التقریع والتوبیخ ویامر الله الملئکة ان یمیزوا الکفار من المؤمنین فی الموقف فی محشرهم ومنشرهم ولهذا قال احشروا الذین ظلموا وازواجهم ای اشباههم وامثالهم قاله ابن عباس وعن عمر بن الخطاب قال اخوانهم واشباههم یحشر صاحب الربا مع اصحاب الربا وصاحب الزنا مع اصحاب الزنا وصاحب الخمر مع اصحاب الخمر وقیل نساؤهم والمعروف الاول وما کانوا یعبدون ای من الاصنام والانداد یحشر معهم فی اماکنهم وقوله فاهدوهم الی صراط الجحیم ای ارشدوهم الی طریق جهنم

حتی یسلکوها

ای من کل جهة نفصله والسماء منها

قوله الا من خطف استثناء من الضمیر ای لا یسمعون الملئکة الا مخالسة من مسموع الشیاطین والخطفة مصدر والالف واللام للجنس

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة دعا الله عز وجل
بعبد من عبيده فيوقفه بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن ماله ٥

وقوله وقفوهم انهم مسئولون اي قفوهم حتى يسألوا عن اعمالهم واقوالهم واحوالهم التي صدرت عنهم في الدنيا قال ابن عباس اي احبسوهم انهم محاسبون وعن انس مرفوعا ايما داع دعا الى شيء كان موقوفا معه الى يوم القيمة لا يغادره ولا يفارقه وان دعا رجل رجلا ثم قرا وقفوهم انهم مسئولون رواه ابن ابي حاتم ورواه ابن جرير موقوفا ثم يقال لهم على سبيل التقريع والتوبيخ ما لكم لا تناصرون اي كما زعمتم انكم جميع منتصر بل هم اليوم مستسلمون اي منقادون لامر الله لا يخالفونه ولا يميلون عنه واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين فانهم يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين بين تعالى ان الكفار يتلاومون في عرصات القيمة كما يتخاصمون في دركات النار فتقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد ونحو من الايات البينات وقالوا هيهنا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين قال ابن عباس انكم كنتم تقهروننا بالقدرة منكم علينا لانا كنا اذلاء وكنتم اعزاء وقال قتادة قالت الانس للجن انكم كنتم تاتوننا عن اليمين اي من قبل الخير فتنهوننا عنه وتبطئوننا عنه وقال السدي تاتوننا من قبل الحق وتزينون لنا الباطل وتصدوننا عن الحق واليمين هنا عبارة عن الدين والحق وقوله قالوا بل لم تكونوا مؤمنين اي يقول القادة من الجن والانس للاتباع ما الامر كما تزعمون بل كانت قلوبكم منكرة للايمان قابلة للكفر وما كان لنا عليكم من سلطان اي من حجة على صحة ما دعوناكم اليه بل كنتم قوما طاغين اي بل كان فيكم طغيان ومجاوزة للحق فلهذا استجبتم لنا وتركتم الحق الذي جاءتكم به الانبياء واقاموا لكم الحجج على صحة ما جاؤكم به فخالفتموهم فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين اي يقول الكبراء للمستضعفين حقت علينا كلمة الله انا من الاشقياء الذائقين للعذاب يوم القيمة فاغويناكم اي دعوناكم الى الضلالة انا كنا غاوين فدعوناكم الى ما نحن فيه فاستجبتم لنا قال تعالى فانهم يومئذ في العذاب مشتركون اي الجميع في النار كل بحسبه انا كذلك نفعل بالمجرمين انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اي من ان يقولوها كما يقولها المؤمنون عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله وانزل الله في كتابه وذكر قوما استكبروا فقال انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون واصل الحديث في الصحيحين وهذا من رواية ابن ابي حاتم وقوله ويقولون أئنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون استفهام انكار يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى تكذيبا لهم وردا عليهم بل جاء بالحق يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق في جميع ما شرعه الله له من الاخبار والطلب وصدق المرسلين اي صدقهم فيما اخبروا عنه من الصفات الحميدة والمناهج السديدة واخبر عن الله في شرعه وامره كما اخبروا ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك الاية انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا عباد الله المخلصين اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم على سرر متقابلين ٥

و في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدما ابن ادم يوم القيمة حتى يسأل عن اربعة اشياء عن شبابه فيما ابلاه وعن عمره فيما افناه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وعن علمه ماذا عمل به ٥ قوماه

[illegible] يتيامنون ويتشاءمون بالشمال [illegible] افاضل الامور باليمين واراذلها باليسار [illegible] فقيل اتاه عن اليمين اي من قبل [illegible] ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم [illegible] الشيطان من جهة اليمين اتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق ومن اتاه من جهة الشمال اتاه من قبل الشهوات ومن اتاه من بين يديه اتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب والعقاب ومن اتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يؤد زكوة ٥

قوله انا كذلك انا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم فان من ارتكب الاجرام استحق العقوبة ٥

يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وعندهم قاصرات الطرف عين كانهن بيض مكنون يقول تعالى مخاطبا الناس بقوله انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون اي في الدنيا من الشرك ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين كما جاء في كثير من الايات ولهذا قال هيهنا الا عباد الله المخلصين اي فانهم لا يذوقون العذاب الاليم ولا يناقشون في الحساب بل يتجاوز عن سيئاتهم ان كانت لهم ويجزون الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف الى ما يشاء الله من التضعيف وقوله اولئك لهم رزق معلوم يعني الجنة ثم فسره بقوله فواكه اي متنوعة وهم مكرمون اي يخدمون ويتنعمون في جنات النعيم على سرر متقابلين قال مجاهد لا ينظر بعضهم في قفاء بعض وقوله يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون نزه الله سبحانه خمر الجنة عن الافات التي في خمر الدنيا من صداع الراس ووجع البطن وهو الغول وذهابها بالعقل جملة فقال هيهنا يطاف عليهم بكأس من معين اي بخمر من انهار جارية لا يخافون انقطاعها بيضاء اي لونها مشرق حسن بهي لا كخمر الدنيا في منظرها البشع الردي من الالوان الكدرة مما ينفر الطبع السليم وقوله لذة للشاربين اي طعمها طيب كلونها وهو دليل على طيب الريح بخلاف خمر الدنيا في جميع ذلك وقوله لا فيها غول يعني لا تؤثر فيهم غول وهو وجع البطن كما يفعله خمر الدنيا من القولنج ونحوه لكثرة مائيتها وقيل المراد بالغول صداع الراس وعن ابن عباس كلاهما وقال السدي لا تغتال عقولهم كما قال الشاعر فما زالت الكاس تغتالنا وتذهب بالاول فالاول وقال ابن جبير لا مكروه فيها ولا اذى والصحيح الاول وقوله ولا هم عنها ينزفون اي لا تذهب عقولهم قال ابن عباس في الخمر اربع خصال السكر والصداع والقي والبول فنزه الله خمر الجنة عن هذه الاربع كما ذكر في سورة الصافات وقوله وعندهم قاصرات الطرف اي عفيفات لا ينظرن الى غير ازواجهن قاله ابن عباس وغير واحد وقوله عين اي حسان الاعين وقيل ضخام الاعين يعني النجلاء الحسناء وقوله كانهن بيض مكنون يصفهن برافة الابدان باحسن الالوان قال الحسن يعني محصون لم تمسه الايدي وقيل يعني بطن البيض وقيل هو الذي يكون بين قشره العليا ولباب البيضة وقال السدي هو البيض حين ينزع قشره كما هو اختيار ابن جرير فان القشر العليا مستها جناح الطير والعش ونالها الايدي بخلاف داخلها وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا مستشفعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا يئسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي تطوف على الف خادم كانهن بيض مكنون او لؤلؤ منثور رواه الدارمي والترمذي وغيره فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون قال هل انتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون اخبر تعالى عن اهل الجنة انه اقبل بعضهم على بعض يتساءلون اي عن احوالهم وكيف كانوا في الدنيا وماذا كانوا يعانون فيها وذلك من حديثهم على شرابهم واجتماعهم

وكلن عباد الله على الاستثناء المنقطع ٥ كشاف

فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني ان رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات بانهم اجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما ياكلونه ياكلونه على سبيل التلذذ ويجوز ان يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت لقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ٥

قوله بكأس من معين اي من شراب معين او من نهر معين وهو الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون وصف بما يوصف به الماء لانه يجري في الجنة في انهار كما يجري الماء ٥

قوله قاصرات الطرف قصرت ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم ٥

من نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف ويقال للمطعون نزف اذا خرج دمه كله ٥

فان قلت علام عطف قوله فاقبل بعضهم على بعض قلت على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة الشراب فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا ٥ كشاف

فى متنادمهم وعشرتهم فى مجالسهم وهم جلوس على السرر والخدم بين ايديهم يسعون ويجيئون بكل
خير عظيم من ماكل ومشارب وملابس وغير ذلك مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال
قائل منهم انى كان لى قرين قال مجاهد يعنى شيطانا وعن ابن عباس هو الرجل المشرك يكون له صاحب من اهل الايمان
فى الدنيا ولا تنافى بين القولين فان الشيطان يكون من الجن فيوسوس فى النفس ويكون من الانس فيسمعه الكلام
فى المفاسد وكلاهما متقاربان قال تعالى يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا فكل منهما يوسوس ولهذا
قال تعالى قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول انك لمن المصدقين اى انت تصدق بالبعث والنشور والحساب
والجزاء يقول هذا على وجه التعجب والاستبعاد والتكذيب والعناد ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما انا لمدينون
اى لمحاسبون ومجزيون باعمالنا قال هل انتم مطلعون اى مشرفون يقوله المومن لاصحابه وجلسائه من اهل الجنة
فاطلع فراه فى سواء الجحيم اى فى وسط الجحيم كانه شهاب يتقد قال قتادة ذكر لنا انه اطلع فراى جماجم تغلى
وقال كعب الاحبار فى الجنة كوى اذا اراد احد من اهلها ان ينظر الى عدوه فى النار اطلع فيها فازداد شكرا
قال تالله ان كدت لتردين اى يقول المومن للكافر والله ان كدت لتهلكنى لو اطعتك ولولا نعمة ربى اى
ولولا فضل الله على بان هدانى للايمان وارشدنى الى التوحيد لكنت من المحضرين اى لكنت مثلك فى سواء الجحيم
حيث انت محضر معك فى العذاب وقوله افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين هذا كلام المومن
مغبطا نفسه بما اعطاه الله اياه من الكرامة بلا موت فيها ولا عذاب ولهذا قال ان هذا لهو الفوز العظيم قال
الحسن علموا ان كل نعيم فان الموت يقطعه فقالوا افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين قيل لا
قالوا ان هذا لهو الفوز العظيم قوله لمثل هذا فليعمل العاملون قال قتادة هذا من تمة كلام اهل الجنة وقال
ابن جرير هو من كلام الله ومعناه لمثل هذا النعيم وهذا الفوز فليعمل العاملون فى الدنيا ليصيروا اليه فى الاخرة
وذكر ان رجلين كانا شريكين فى ثمانية الاف دينار فكان لاحدهما حرفة والاخر ليس له حرفة فقال الذى له حرفة
للاخر ليس عندك حرفة ما ارانى الا مفارقك ومقاسمك فقاسمه وفارقه ثم ان الرجل اشترى دارا بالف
دينار كانت لملك مات فدعا صاحبه فاراه فقال كيف ترى هذه الدار ابتعتها بالف دينار قال ما احسنها
فلما خرج قال اللهم ان صاحبى هذا قد ابتاع هذه الدار بالف دينار وانى اسالك دارا من دور الجنة فتصدق
بالف دينار ثم مكث ما شاء الله ان يمكث ثم انه تزوج امراة بالف دينار فدعاه فصنع له طعاما فلما اتاه قال
انى تزوجت هذه المراة بالف دينار قال ما احسنها فلما خرج قال اللهم ان صاحبى هذا تزوج هذه المراة بالف دينار
وانى اسالك امراة من الحور العين فتصدق بالف دينار ثم انه مكث ما شاء الله ان يمكث ثم اشترى بستانين بالفى
دينار ثم دعاه فاراه فقال انى ابتعت هذين البستانين بالفى دينار فقال ما احسن هذا فلما خرج قال يا رب
ان صاحبى هذا قد اشترى بستانين بالفى دينار وانا اسالك بستانين فى الجنة فتصدق بالفى دينار ثم ان الملك
اتاهما فتوفاهما ثم انطلق بهذا المتصدق فادخله دارا تعجبه واذا امراة تطلع يضىء ما تحتها من حسنها ثم ادخله
بستانين فقال عند ذلك ما اشبه هذا برجل كان من امره كذا وكذا قال فانه ذاك ولك هذا المنزل والبستان
والمراة قال فانه كان لى صاحب يقول انك لمن المصدقين قيل له فانه فى الجحيم قال هل انتم مطلعون فاطلع فراه
فى سواء الجحيم فقال عند ذلك تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين الايات قال ابن جرير وهذا

اى صاحب يحتج على

وقيل القائل هو الله عز وجل وقيل
الملائكة تقول لاهل الجنة هل تحبون
ان تطلعوا فتعلموا اين منزلكم
من منازل اهل النار والمعنى هل
انتم مطلعون الى القرين فاطلع ايضا

الخلد فى الجنة والاقامة
فى دار ه

قوله افما نحن بميتين الذى عطف عليه الفاء
محذوف معناه انحن مخلدون منعمون فما نحن
بميتين ولا معذبين والمعنى ان هذه حال
المومنين وصفتهم وما قضى الله لهم من
انهم لا يذوقون الا الموتة الاولى بخلاف
الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل
ساعة وقيل لبعض الحكماء ما شر من الموت
قال الذى يتمنى فيه الموت يقوله المومن
تحدثا بنعمة الله واغتباطا بحاله وليسمع
من قرينه ليكون توبيخا له يزيد به تعذيبا
وليحكيه الله فيكون لنا لطفا وزاجرا

يقوى قراءة من قرا انك لمن المصدقين بالتشديد اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم انا جعلناها
فتنة للقوم الظالمين انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم طلعها كانه رءوس الشياطين
فانهم لاكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم
ان مرجعهم لالى الجحيم انهم الفوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون
يعنى هذا الذى ذكر من نعيم الجنة وما فيها من الملاذ خير ضيافة وعطاء ام شجرة الزقوم اى التى فى جهنم
ويحتمل ان يكون المراد شجرة واحدة معينة كما قال بعضهم انها شجرة تمتد فروعها الى جميع محال جهنم كما ان شجرة
طوبى ما من دار فى الجنة الا وفيها منها غصن ويحتمل ان يكون المراد بذلك جنس شجر يقال له الزقوم كقوله تعالى و
شجرة تخرج من طور سيناء الاية والمراد به الزيتون ويؤيده قوله تعالى لاكلون من شجر من زقوم وقوله انا جعلناها
فتنة للظالمين قال قتادة ذكرت شجرة الزقوم فافتتن بها اهل الضلالة وقالوا صاحبكم ينبئكم ان فى النار
شجرة والنار تاكل الشجر فانزل الله انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم غذيت من النار ومنها خلقت وقال ابو جهل
انما الزقوم التمر والزبد اتزقمه والمعنى انما اخبرناك يا محمد بشجرة الزقوم اختبارا للناس بصدق منهم ممن
يكذب كقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس الى قوله كبيرا وقوله انها شجرة تخرج فى اصل
الجحيم اى اصل منبتها فى قرار النار طلعها كانه رءوس الشياطين اى لقبحه وكراهة منظره وانما شبهها برءوس
الشياطين وان لم تكن معروفة عند المخاطبين لانه قد استقر فى النفوس انها قبيحة المنظر وقيل المراد ضرب من
الحيات رءوسها بشعة المنظر وقوله فانهم لاكلون منها فمالئون منها البطون اى ياكلون من تلك الشجرة
التى لا اشنع منها ولا اقبح من منظرها مع مرارة طعمها ونتن ريحها فانهم ليضطرون الى الاكل منها لانهم
لا يجدون الا اياها ونحوها كما قال تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قرا هذه الاية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون ثم قال فلو ان قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لافسدت
على اهل الارض معايشهم فكيف من يكون طعامه رواه الترمذى وصححه ورواه النسائى وابن ماجه وقوله ثم ان لهم
عليها لشوبا من حميم قال ابن عباس اى مزجا على الزقوم وقيل مزج لهم الحميم بصديد وغساق مما يسيل من فروجهم
وعيونهم وعن ابى امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول تقرب يعنى الى اهل النار ماء فيتكرهه
فاذا ادنى منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فيه فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره رواه ابن
ابى حاتم وللترمذى نحوه وقوله ثم ان مرجعهم لالى الجحيم اى ثم ان مردهم بعد هذا الفصل لالى نار تتاجج و
جحيم تتوقد وسعير تتوهج فتارة فى هذا وتارة فى هذا كما قال تعالى يطوفون بينها وبين حميم ان وقال السدى
فى قراءة عبد الله ثم ان مقيلهم لالى الجحيم وكان عبد الله يقول والذى نفسى بيده لا ينتصف النهار يوم القيمة
حتى يقيل اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار ثم قرا اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا وقوله
انهم الفوا اباءهم ضالين اى انما جازيناهم بذلك لانهم وجدوا اباءهم على الضلالة فاتبعوهم فيها بمجرد ذلك
من غير دليل ولا برهان ولهذا قال فهم على اثارهم يهرعون اى يسرعون ويهرولون فيفعلون مثل عملهم ولقد ضل
قبلهم اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد
الله المخلصين اخبر تعالى عن الامم الماضية ان اكثرهم كانوا ضالين يجعلون مع الله الها اخر وذكر انه ارسل فيهم

اصحاب نزلا على التمييز ولكن ان تجعله حالا
بمعنى ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة و
اهل النار نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير
فى كونه نزلا والنزل ما يقام للنازل بالمكان
من الرزق ومعنى الاول ان للرزق المعلوم
نزلا ولشجرة الزقوم نزلا فايهما خير نزلا
ومعلوم انه لا خير فى شجرة الزقوم و
لكن المومنين لما اختاروا ما ادى الى
الرزق المعلوم واختار الكافرون
ما ادى الى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك
توبيخا على سوء اختيارهم

الرسل ينذرونهم بأس الله ويحذرونهم سطوته ونقمته ممن كفر به وعبد غيره وانهم تمادوا على مخالفة رسلهم وتكذيبهم فاهلك المكذبين ونجا المؤمنين ونصرهم وظفرهم ولهذا قال فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اى من هلاك في العذاب الا عباد الله المخلصين اى الموحدين حيث نجوا من العذاب ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه واهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا الآخرين لما ذكر تعالى عن اكثر الاولين انهم ضلوا عن سبيل النجاة شرع في بيان ذلك مفصلا فذكر نوحا وما لقي من قومه من التكذيب وانه لم يؤمن منهم الا القليل مع طول المدة فلما طال عليه ذلك واشتد عليه تكذيبهم وعنادهم دعا ربه باني مغلوب فانتصر فغضب الله عليهم ولهذا قال ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون اى نحن حيث اجبنا دعاءه واهلكنا قومه ونجيناه واهله من الكرب العظيم وهو التكذيب والاذى وجعلنا ذريته هم الباقين قال ابن عباس الناس كلهم من ذرية نوح كما روى سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سام ابو العرب وحام ابو الحبش ويافث ابو الروم رواه احمد والمراد هنا بالروم الروم الاول وهم اليونان المنتسبون الى رومي بن لنطي بن يونان بن يافث بن نوح قال سعيد بن المسيب ولد نوح ثلثة سام ويافث وحام وولد لكل واحد من هؤلاء الثلثة ثلثة فولد لسام العرب وفارس والروم وولد ليافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج وولد لحام القبط والسودان والبربر وقوله وتركنا عليه في الآخرين قال مجاهد يعني لسان صدق للانبياء كلهم وقال قتادة ابقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين وقوله سلام على نوح في العالمين مفسر بما ابقى عليه من الذكر الجميل والثناء الحسن انه يسلم عليه في جميع الطوائف والامم انا كذلك نجزي المحسنين اى هكذا نجزي من احسن من العباد في طاعتنا نجعل له لسان صدق يذكر به بعده ثم قال انه من عبادنا المؤمنين اى المصدقين الموحدين ثم اغرقنا الآخرين اى اهلكناهم فلم تبق منهم عين تطرف ولا اثر وان من شيعته لابرهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين يعني وان من اهل دينه وسنته لابرهيم اذ جاء ربه بقلب سليم قال ابن عباس يعني شهادة ان لا اله الا الله وقال ابن سيرين اى يعلم ان الله حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور وقوله اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون انكر عليهم عبادة الاصنام والانداد ولهذا قال أئفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين اى فما ظنكم به انه فاعل بكم اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم فقال الا تأكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فاقبلوا اليه يزفون قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين انما قال ابرهيم لقومه ذلك ليقيم في البلد اذا ذهبوا الى عيدهم فاحب ان يختلي بآلهتهم ليكسرها قال لهم كلاما هو حق في نفس الامر ففهموا منه انه سقيم على ما يعتقدونه فتولوا عنه مدبرين قال قتادة اى نظر الى السماء متفكرا فيما يلهيهم به فقال اني سقيم اى ضعيف واما الاحاديث الواردة في الصحاح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابرهيم الا ثلث كذبات ثنتين في ذات الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله في سارة هي اختي فليس من باب الكذب

الحقيقي

لما ذكر الله ارسال المنذرين في الامم و
سوء عاقبة المنذرين اتبع ذلك تفصيلا
ذكر نوح ودعائه اياه حين ايس من قومه

وتركنا عليه في الآخرين من الامم هذه
الكلمة وهي سلام على نوح يعني يسلمون
عليه تسليما ويدعون له وهو من
الكلام المحكي فان قلت
فما معنى قوله في العالمين قلت معناه
الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا
وان لا يخلو احد منهم منها كانه
قيل ثبت الله التسليم على نوح و
ادامه في الملئكة والثقلين يسلمون
عليه عن آخرهم كشـ

افكا مفعول له تقديره اتريدون آلهة
من دون الله افكا وانما قدم المفعول
على الفعل للعناية وقدم المفعول له على
المفعول به لانه كان الاهم عنده ان يكافحهم
بانهم على افك وباطل في شركهم كشـ

الاسقام عليهم وكانوا الخائفين العدوى ليتفرقوا
عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه
فبقيت الاصنام ولم يكن هناك احد
ففعل بها ما فعل كشـ

٤١٦

قصه ذبیح قصه عظیم است واختلاف علما در آن عظیم از علما روی وصدر اول از صحابه وتابعین چون ابو بکر صدیق وابن عباس بیک روایت وابن عمر وعبد الله بن عمرو ومحمد بن کعب قرظی وسعید بن مسیب وشعبی وحسن بصری ومجاهد وضحاک وکلبی وغیر ایشان می گویند ذبیح اسمعیل بود وعلیه اکثر العرب ودر خبر است که انا ابن الذبیحین رسول علیه السلام گفت من پسر دو ذبیح ام یکی جد پیشین اسمعیل ویکی پدر خویش عبد الله وسبب آن بود که عبد المطلب نذر کرد که اگر مرا ده فرزند آید یکی را قربان کنم چون او را ده فرزند تمام شد همه را در خانه کعبه جمع کرد ومیان ایشان قرعه زد قرعه بر عبد الله آمد که پدر مصطفی بود وعبد المطلب او را از همه فرزندان دوستر داشتی که نور وفطرت مصطفی با وی بود عبد المطلب ده شتر او را فدا کرد وقرعه زد هم قرعه بر عبد الله آمد همچنین ده شتر فدا می کرد وقرعه می زد بار بار نام عبد الله بر می آمد تا آنگه که صد شتر تمام شد آنگه قرعه بر آن صد شتر آمد که فدا کرده بود عبد المطلب آن صد شتر قربان کرد ودر شریعت دیت مرد مسلمان صد شتر گشت ودلیل بر آنکه ذبیح اسمعیل بود قول رب العزه بعد الفراغ من قصة المذبوح وبشرناه باسحق نبیا من الصالحین تدل على ان المذبوح غيره وهمچنین در سوره هود گفت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب بشرها باسحق وبشر بابنه يعقوب فكيف يأمره بذبح اسحق وقد وعده بنافلة منه اما عمر بن الخطاب و علی بن ابی طالب وابن مسعود وکعب الاحبار وسعید بن جبیر وقتاده ومسروق وعطا ومقاتل وجماعتی علما وتابعین میگویند ذبیح اسحق بود ودلیل ایشان خبر مصطفی است علیه السلام که پرسیدند من اکرم الناس واشرفهم نسبا گفت یوسف صدیق الله بن یعقوب اسرائیل الله بن اسحق ذبیح الله بن ابرهیم خلیل الله وعلیه عامه اهل الکتاب مثل عبد الله بن سلام وکعب الاحبار وغیرهما وقرینه هذا القول فبشرناه بغلام حلیم اما قوله فبشرناه بغلام حلیم انه بشر بمولد اسحق واما قوله فبشرناه باسحق نبیا بشر بنبوة اسحق اما قصه ذبح بر قول محمد بن اسحق آنست که هر بار ابرهیم قصد زیارت اسمعیل کردی او را براق آوردندی تا بامداد از شام برفتی تا مکه نشیمن که بودی زیارت کردی وبازگشتی شبانگاه بشام بودی چون اسمعیل بزرگ شد او را هنرمند وروزافزون دید مهر وی در دل وی گرفت دل در حیوة اوست ماکان مأمل فیه من عبادة ربه وتعظیم حرماته تا شبی که بنمودند او را بخواب که گوینده گوید ان الله یامرک بذبح ابنک هذا ابرهیم چون آن خواب دید دانست که وحی خداوند است وفرمان وی بامداد گفت که میخواهم که خدای را عز وجل قربانی کنم اندران وادی که گوسپندان ایستاده اند ومیخواهم که اسمعیل را با خود ببرم برش بشوی وپوشش بپوشانی وگیسوانش بباف واو را نیکو بیارای تا فرمود شود وبا خودش ببرم آنگه گفت جان پدر کارد ورسن بردار تا در آن شعب رویم وگوسپندی را قربان کنیم چون آنجا رسیدند ابرهیم گفت یا بنی انی اری فی المنام انی اذبحک ای پسر محنتها وبلاها که بما رسیده همه بسر آمد اکنون فرمانی رسیده از حضرت مرا می فرمایند که ترا قربان کنم فانظر ماذا تری در کار ما در دل خود چه بینی وترا درین فرمان چه رایست میخواست که بداند او وی که صبر خواهد کرد یا جزع خواهد نمود اسمعیل گفت یا ابت افعل ما تؤمر ستجدنی ان شاء الله من الصابرین ابو هریره روایت کند از کعب الاحبار که شیطان از در گفت لئن لم افتن عند هذا آل ابرهیم لا افتن منهم احدا ابدا اگر امروز درین حال آل ابرهیم را بفتنه نیفکنم وبر ایشان مرا دستی نبود پس هرگز نتوانم که مرا بر ایشان دست رسی بود در آن حال شیطان بر صورت مردی ناصح آمد پیش مادر اسمعیل گفت هیچ دانی که ابرهیم پسر خود را اسمعیل کجا می برد گفت او را می برد تا گوسپند را قربان کند گفت نه که پسر خود را قربان خواهد کرد مادر گفت کلا هو ارحم به واشد حبا له من ذلک این چه سخن است که تو میگویی او ازان مهربانتر است ودوستر که این کند شیطان گفت او چنین می نماید که خدا فرموده گفت اگر خدا فرماید خدا را فرمانست وطاعت وی واجب او از وی نومید گشت براه اسمعیل آمد پسر را دید که براثر پدر می رفت گفت ای پسر دانی که پدرت کجا میبرد گفت می رویم که گوسپند را قربان کنیم گفت نه که ترا قربان خواهد کرد گفت پدر فرزند را قربان کند گفت آری او را چنین فرمایند گفت اگر الله می فرماید سمعا وطاعة او از وی نومید گشت فرا پیش ابرهیم شد گفت ایها الشیخ کجا میروی گفت مرا حاجتی است درین شعب گفت والله که شیطان در خواب بتو نموده که این فرزند را قربان کنی ابرهیم بدانست که او خود شیطانست گفت الیک عنی یا عدو الله والله لامضین لامر ربی ابن عباس گفت ابرهیم آن ساعت ابلیس را بتیر بزد وکم [illegible] چون بجمرة العقبه رسید شیطان دیگر باره فرا پیش آمد ابرهیم بهفت سنگ وی انداخت وهمچنین در جمره الوسطی وجمره الکبری شیطان فرا پیش آمد وابرهیم سنگ می انداخت حق تعالی آن تیر زدن ابرهیم وآن سنگ انداختن را سنتی گردانید بر امت احمد تا در مناسک بجای می آرند وابرهیم را شاکر گویند فلما اسلما ای انقادا وخضعا لامر الله وقیل سلم الذبیح نفسه وسلم ابرهیم ابنه وتله للجبین ای صرعه علی جبینه والجبین احد جانبی الجبهه اسمعیل گفت ای پدر مرا بتو سه حاجت است یکی آنکه مرا دست وپای سخت ببندی زیرا که چون تیزی کارد بحلق من رسد صبر از من زایل گردد ودر اضطراب آیم آنگه قطرات خون بر جامه تو افتد ومرا ازین [illegible] گرفتاری بود وثواب من ضایع شود دیگر حاجت آنست که بوقت ذبح مرا بروی افکنی تا در سجود باشم آن ساعت که جان تسلیم کنم ونیز نباید که چون در روی من نگری ترا رحمت آید بر من ودر فرمان الله سستی نمایی ومن در روی تو نگرم بر فراق تو جزع نمایم آنکه بر رضای حق [illegible] سیوم حاجت آنست که بعد از ذبح چون بر مادرم شوی ومن با تو نباشم او سوخته گردد که درد فراق فرزند سخت بود سلام من بدو رسان وپیرهن من بدو ده تا بوی من می یابد [illegible] وکارد تیز کن وزود بحلق فرود آر تا مرگ بر من آسان شود که مرگ دردی صعبست ابرهیم چون این سخن از وی بشنید بگریست وروی بآسمان کرد وگفت الهی انا ابرهیم الذی [illegible] ولم اعبد غیرک وقومی کانوا یعبدون الاصنام الهی انا الذی توقفت فی النار [illegible] الهی ابتلیتنی بهذا البلاء من بت پرستیدند ومن ترا یگانه پرستیدم دشمن مرا بآتش افکندند ومن ترا [illegible] الهی تو عالم الغیوب خداوندا من آن ابرهیم که قوم آسمان وزمین طاقت کشیدن آن ندارد الهی اگر بنده را آزمایش ترا رسد که تو خداوندی ومن بنده تو دانی که در نفس من چیست ومن ندانم که در نفس تو چیست همه دان وخدای همگان توی پس ابرهیم کارد بر حلقش نهاد وفرمان بجای آورد کارد می کشید وحلق نمی برید تا بدانی که کارد که می برد نه بطبع می برد که بفرمان می برد همچنین آتش که می سوزد نه بطبع می سوزد که بفرمان می سوزد ابرهیم را به آتش انداختند فرمان آمد که مسوز بسوخت [illegible] کارد را فرمود که مبر نبرید لکن آن قربان را اسکار کرد قهر اعدا را وانکار دشمن بود امر آسمان را انکار کرد گفته اند آن ساعت فرمان آمد به جبرئیل که کارد برگردان تا نبرد جبرئیل از سدره المنتهی در پرید وکارد برگردانید که کارد بر حلق محمل نهاده بود من بسدرة المنتهی بودم که ندا آمد که ادرک عبدی ونادیناه وادرکن عونا وقت که یوسف را بچاه انداختند سیوم آن وقت الروما ندا آمد که یا ابرهیم خواب که دیده راست کردی انا کذلک نجزی المحسنین ای الاختبار والامتحان الظاهر حیث امر بذبح ابنه وفدیناه بذبح عظیم الذبح اسم لما یذبح کالطحن لما یطحن فنظر ابرهیم فاذا هو بجبرئیل [illegible] فاذبحه دونه فکبر جبرئیل وکبر ابرهیم وکبر اسمعیل جبرئیل گفت الله اکبر الله اکبر ابرهیم گفت لا اله الا الله والله اکبر اسمعیل گفت الله اکبر ولله الحمد این تکبیر سنتی گشت در روز عید ودر منا [illegible] کعبه الاعظم خواندند از بهر آنکه قربان هابیل بود [illegible] بهشت [illegible] کرده بود [illegible]

الحقيقي الذي يذم فاعله حاشا وانما اطلق الكذب تجوزا وانما هو من المعاريض في الكلام لمقصد شرعي ديني كما جاء
في الحديث ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب فقوله اني سقيم قال سفين اي طعين وكانوا يفرون من المطعون
وقيل اي سقيم القلب من عبادتكم الاوثان وقال البصري اضطجع على ظهره ينظر في السماء وقال اني سقيم فلما خرج القوم
الى عيدهم اقبل الى الهتهم فكسرها ولهذا قال تعالى فتولوا عنه مدبرين اي الى عيدهم فراغ الى الهتهم اي ذهب اليها
بعدما خرجوا في سرعة واختفاء فقال الا تاكلون وذلك انهم كانوا وضعوا بين ايديها طعاما قربانا لتبرك فيه فلما نظر
ابرهيم الى ما بين ايديهم من الطعام قال الا تاكلون ما لكم لا تنطقون وقوله فراغ عليهم ضربا باليمين قال الفراء اي مال
وقال قتادة اقبل عليهم يضربهم باليمين وانما ضربهم باليمين لانها اشد وانكى ولهذا تركهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم
اليه يرجعون كما سبق في سورة الانبياء وقوله ههنا فاقبلوا اليه يزفون اي يسرعون فهذه القصة وهذه القصة ههنا
مختصرة وفي سورة الانبياء مبسوطة فانهم لما رجعوا ما عرفوا فاعل ذلك اولا حتى كشفوا واستعلموا فعرفوا ان ابرهيم هو
الذي فعله فلما جاؤا اليه ابتدا اخذ في تانيبهم وعيبهم فقال اتعبدون ما تنحتون اي اتعبدون من دون الله
الاصنام ما انتم تنحتونها وتعملونها بايديكم والله خلقكم وما تعملون يحتمل ان يكون ما مصدرية وان يكون بمعنى
الذي وكلاهما متلازمان والاول اظهر كما في البخاري عن حذيفة مرفوعا ان الله تصنع كل صانع وصنعته فعند ذلك
لما قامت عليهم الحجة عدلوا الى اخذه باليد والقهر فقالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم وكان من امرهم ما سبق في
سورة الانبياء ونجاه الله من النار واظهره عليهم ولهذا قال وارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين اي المقهورين
وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي
قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء
الله من الصابرين فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي
المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الاخرين سلام على ابرهيم
كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وباركنا
عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين اخبر تعالى عن خليله عليه السلم انه بعدما
نصره الله على قومه وايس من ايمانهم بعدما شاهدوا من الايات العظيمة اراد ان يخرج من بين اظهرهم بقوله وقال
اني ذاهب الى ربي اي هاجر دار الكفر واذهب الى مرضاة ربي سيهدين اي الى حيث امرني وهو الشام فلما
قدمها سال ربه الولد فقال رب هب لي من الصالحين يعني اولادا يكونون عوضا من قومه وعشيرته الذي
فارقهم قال تعالى فبشرناه بغلام حليم وهذا هو اسمعيل فانه اول ولد بشر به ابرهيم عليه السلم وهو اكبر من اسحق
عليه السلم بالاتفاق بل وفي كتب اهل الكتاب ان اسمعيل ولد لابرهيم ست وثمانون سنة وولد اسحق ولابرهيم
تسع وتسعون سنة وعندهم ان الله امر ابرهيم ان يذبح ابنه وحيده وفي نسخة بكره فاقحموا ههنا كذبا وبهتانا
اسحق ولا يجوز هذا لانه مخالف لنص كتابهم وانما فعلوا ذلك لانه ابوهم واسمعيل ابو العرب فحسدوهم وزادوا
ذلك وحرفوا وحيدك بمعنى الذي ليس عندك غيره فان اسمعيل كان ذهب به وبامه الى مكة وهذا تاويل وتحريف
باطل فانه لا يقال وحيد الا لمن ليس له غيره وايضا فان اول ولد له معزة ما ليس لمن بعده من الاولاد
فالامر بذبحه ابلغ في الابتلاء والاختبار وذهب جماعة من العلماء الى ان الذبيح هو اسحق وحكى ذلك عن طائفة

الى الاصنام التي جعلوها الهة زعمهم انها كذلك

فراغ عليهم فاقبل عليهم مستخفيا يضربهم ضربا قويا شديدا لان اليمين اقوى الجارحتين واشدها

فيه دليل على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى [illegible]
لو كان خالقا لافعاله لكان عالما بتفاصيلها [illegible] باطل
[illegible]
المرتعش والاول الى الله تعالى لبطل قاعدة التكليف
لو كان الكل بخلق الله تعالى بالايمان والعجزة والخبر و
اي ام يصح التكليف
الشر لان الكل بخلق الله لا احسان للعبد لكونه مجبورا

از دامن دولت دست کوتاه مکن
گر زغم بر حکمت آه مکن
یک لحظه زیاد دوست غافل منشین
او خواه ترا یاد کن و خواه مکن

من السلف حتى عن بعض الصحابه وليس في ذلك كتاب ولا سنة والغالب انه تُلُقِّي من اهل الكتاب من غير حجة وهذا كتاب الله شاهدٌ ومرشد الى انه اسمعيل فانه ذكر البشارة بالغلام الحليم وذكر انه الذبيح ثم قال بعد ذلك وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين ولما بشرت الملئكه ابرهيم باسحق قالوا انا نبشرك بغلام عليم وقال فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب اى يولد له في حيوتهما ولد يسمى يعقوب يكون من ذريته عاقبة ونسل وقد سبق ان الله وعدهما انه سيعقب ويكون له نسل فكيف يمكن بعد هذا ان يؤمر بذبحه صغيرا واسمعيل وصف ههنا بالحلم لانه يناسب له هذا المقام وقوله فلما بلغ معه السعي اي كبر وترعرع وصار يذهب مع ابيه ويمشي معه وقد كان ابرهيم يذهب في كل وقت يتفقد ولده وام ولده ببلاد فاران وينظر في امرهما وقد ذكر انه كان يركب على البراق فيصل الى هناك سريعا وقال ابن عباس وكثيرون يعني فلما شب وارتحل واطاق ما يفعله ابوه من السعي والعمل قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى ذكر ابن اسحق ان ابرهيم امر في المنام ان يذبح اسمعيل ثلث ليال متواليات اوله ليلة التروية فلما تيقن ان ذلك من عند الله اعلم ابنه بذلك ليكون اهون عليه وليختبر صبره وجلده وعزمه على طاعة الله وطاعة ابيه قال يا ابت افعل ما تؤمر اي امض لما امرك الله من ذبحي ستجدني ان شاء الله من الصابرين اى ساصبر واحتسب ذلك عند الله وصدق عليه السلم فيما وعد ولهذا قال تعالى واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد الاية فلما اسلما وتله للجبين اى فلما تشهدا وذكرا الله تعالى ابرهيم على الذبح والولد شهادة الموت وقيل اى استسلما وانقادا ابرهيم امتثل امر الله واسمعيل طاعة لله ولابيه وقوله وتله للجبين اى صرعه واكبه على وجهه ليذبحه من قفاه ولا يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون اهون عليه وقال ابن عباس لما امر ابرهيم بالمناسك عرض له الشيطان عند المسعى فسابقه فسبقه ابرهيم ثم ذهب به جبريل الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات وثم تله للجبين وعلى اسمعيل قميص ابيض فقال له يا ابت انه ليس لي ثوب تكفنني فيه غيره فاخلعه حتى تكفنني فيه فعالجه ليخلعه فنودي من خلفه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا فالتفت ابرهيم فاذا بكبش ابيض اقرن اعين رواه احمد قال ابن عباس والذي نفس ابن عباس بيده انه كان اول الاسلام وان راس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة قد وحش اي يبس وقوله وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا اى قد حصل المقصود من رؤياك باضجاعك اياه للذبح وذكر السدي وغيره انه امر السكين على رقبته فلم يقطع شيئا بل حال بينها وبينه صفحة من نحاس ونودي ابرهيم عند ذلك قد صدقت الرؤيا وقوله انا كذلك نجزي المحسنين اى هكذا نصرف عمن اطاعنا المكاره والشدائد ونجعل لهم من امرهم فرجا ومخرجا

يعني انا كما عفونا ابرهيم عن ذبح ولده نجزي من احسن في طاعتنا

واستدل بهذه الاية بعض الاصوليين صحة النسخ قبل التمكن من الفعل خلافا لطائفة من المعتزله والدلالة من هذه الاية ظاهرة لانه تعالى شرع لابرهيم ذبح ولده ثم نسخه عنه وصرفه الى الفداء وانما كان المقصود من شرعه اولا اثابة الخليل على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك ولهذا قال تعالى ان هذا لهو البلاء المبين اى الاختبار الواضح الجلي حيث امر بذبح ولده فسارع الى ذلك مستسلما لامر الله منقادا لطاعته ولهذا قال تعالى وابرهيم الذي وفى وقوله وفديناه بذبح عظيم اى بكبش ابيض اعين اقرن قد ربط بسمرة في ثبير قال ابن عباس كبش قد رعى في الجنة اربعين خريفا وقال سعيد بن جبير كان الكبش يرتع في الجنة حتى تشقق عنه ثبير وكان عليه عهن احمر قيل كان اسمه جرير وذبحه بمنى عند المنحر وعن عثمان بن طلحة الحجبي قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم

انى كنت

وان الياس لمن المرسلين عبد الله بن مسعود گفت الياس ادريس است او را دو نامست همچون يعقوب كه او را دو نامست اسرائيل و يعقوب و در مصحف ابن مسعود چنين است وان ادريس لمن المرسلين وقول عكرمه اينست اما جمهور مفسران بر آنند كه الياس پيغمبرى بود از بنى اسرائيل بعد از موسى و از فرزندان هرون بود الياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران و بعثت وى بعد از حزقيل پيغمبر بود چون روزگار حزقيل بسر آمد بنى اسرائيل سر بر طغيان و فساد نهادند سبطى از ايشان بت پرست شوند در نواحى شام جايى كه بعلبك خوانند و نام آن بت كه مى پرستيدند بعل بود و به تسميت مدينتهم بعلبك و آن بعل بالاى وى بيست گز بود و چهار روى داشت شيطان در جوف وى شدى و با ايشان سخن گفتى تا ايشانرا بفتنه افگندى ومن يضلل الله فما له من هاد و ايشانرا پادشاهى بود نام وى اجب زنى داشت نام وى ازبيل وكانت قتالة للانبياء [illegible] يحيى بن زكريا اين پادشاه و زن وى و آن سبط بنى اسرائيل كه در آن مدينه بعلبك مسكن داشتند همه آن بعل را مى پرستيدند رب العالمين [illegible] الياس پيغمبر فرستاد الياس ايشانرا بتوحيد الله دعوت كرد ايشان سر وا زدند و قصد قتل وى كردند الياس از ايشان بگريخت در ميان كوهها با غارى شد و چند سال آنجا باند [illegible]

انى كنت رايت قرني الكبش حين دخلت البيت فنسيت ان آمرك ان تخمرهما فخمرهما فانه لا ينبغي ان يكون في البيت شيء يشغل المصلي قال سفين لم يزل قرنا الكبش في البيت حتى احترق البيت فاحترقا وهذا دليل قوي على انه اسمعيل فان قريشا توارثوا قرني الكبش الذي فدي به اسمعيل خلفا عن سلف الى ان بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس المفدي اسمعيل وزعمت اليهود انه اسحق وكذبت اليهود وقال ابن عمر الذبيح اسمعيل وكذا قال مجاهد والحسن وغير واحد وقال الشعبي هو اسمعيل وقد رايت قرني الكبش في الكعبة وعلى هذا اكثر من الصحابة والتابعين ومن بعدهم عن عبد الله بن سعيد الصنابحي قال كنا عند معوية بن ابي سفين فذكروا الذبيح اسمعيل او اسحق فقال على الخبير سقطتم كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يا رسول الله عد علينا مما افاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له يا امير وما الذبيحان فقال ان عبد المطلب لما امر بحفر زمزم نذر لله ان سهل الله له امرها ليذبحن احد ولده قال فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل واسمعيل الثاني وهذا حديث غريب رواه ابن جرير وقوله وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين لما تقدمت البشارة بالذبيح وهو اسمعيل عطف بذكر البشارة باخيه اسحق وقوله نبيا حال مقدرة اى سيصير منه نبي من الصالحين قال ابن عباس بشر به حين ولد وحين نبئ وقوله وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن اي مؤمن وظالم لنفسه مبين اى كافر ظاهر الكفر كقوله قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك الاية **ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما في الاخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين** ذكر تعالى ما انعم به على موسى وهرون من النبوة والنجاة بمن آمن معهما من قهر فرعون وقومه وما يعتمده في حقهم من الاساءة العظيمة من قتل الابناء واستحياء النساء واستعمالهم في اخس الاشياء ثم بعد هذا كله نصرهم عليهم واقر اعينهم منهم باهلاكهم فغلبوا عليهم واخذوا ارضهم واموالهم وما جمعوا طول حيوتهم ثم انزل الله على موسى الكتاب العظيم وهو التورية كما قال وآتيناهما الكتاب المستبين اى الواضح الجلي وهديناهما الصراط المستقيم اى في الاقوال والافعال وتركنا عليهما في الاخرين اي ابقينا لهما من بعدهما ذكرا جميلا وثناء حسنا ثم فسره بقوله سلام على موسى وهرون الى قوله المؤمنين **وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين وتركنا عليه في الاخرين سلام على الياسين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين** قال ابن مسعود وغيره الياس هو ادريس وقال وهب بن منبه هو الياس بن نسي بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران بعثه الله في بني اسرائيل بعد حزقيل وكانوا قد عبدوا صنما يقال له بعل فدعاهم الى الله ونهاهم عن الشرك وكان قد آمن به ملكهم ثم ارتدوا واستمروا على ضلالهم ولم يؤمن به احد منهم فدعا الله عليهم وحبس عنهم القطر ثلث سنين ثم سالوه ان يكشف ذلك عنهم ووعدوه الايمان به ان هم اصابهم المطر فدعا الله لهم فجاءهم الغيث فاستمروا على اخبث ما كانوا عليه من الكفر فسال الله ان يقبضه اليه وكان

[illegible]

قدمنا على يد اليسع بن اخطوب فامر الياس ان يذهب الى مكان كذا وكذا فمهما جاءه من شيء فليركبه ولا يهبه فجاءه فرس من نار فركبه والبسه الله النور وكساه الريش فكان يطير مع الملئكة ملكا انسيا سماويا ارضيا هكذا نقل عن اهل الكتاب والله اعلم بصحته اذ قال لقومه الا تتقون اي الا تخافون الله في عبادتكم غيره اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين قال ابن عباس وغير واحد يعني ربا وهي لغة اهل اليمن وقيل ازد شنوءة وقيل انهم كانوا يعبدون امراة اسمها بعل وقيل هو اسم صنم تعبده اهل مدينة يقال لها بعلبك غربي دمشق اي اتعبدون صنما وتعرضون وتتركون عبادة احسن الخالقين فالله ربكم ورب اباءكم الاولين اي هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له قال تعالى فكذبوه فانهم لمحضرون اي للعذاب يوم الحساب الا عباد الله المخلصين اي الموحدين منهم استثناء منقطع من مثبت وقوله وتركنا عليه في الاخرين اي ابقينا له ثناء جميلا سلام على الياسين هنا كما يقال في اسمعيل اسماعين وهي لغة بني اسد ويقال ميكال وميكائيل وميكائين وابراهيم وابراهام واسرائيل واسرائين وطور سيناء وطور سينين وهو موضع واحد وكل هذا سائغ وقرا اخرون سلام على ال يعني ادراسين وهي قراءة ابن مسعود وقرا اخرون سلام على ال يس يعني ال محمد صلى الله عليه وسلم وقوله انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين تقدم تفسيرها وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الاخرين وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون يخبر تعالى عن لوط عليه السلم انه بعثه الى قومه فكذبوه فنجاه الله من بين اظهرهم هو واهله الا امراته فانها هلكت مع من هلك من قومها فان الله اهلكهم بانواع من العقوبات وجعل محلتهم من الارض بحيرة منتنة قبيحة المنظر والطعم والريح وجعلها بسبيل مقيم يمر بها المسافرون ليلا ونهارا ولهذا قال وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون اي افلا تعتبرون بهم كيف دمر الله عليهم واهلكهم وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون فامنوا فمتعناهم الى حين قد تقدم قصة يونس في سورة الانبياء وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى ونسبه الى امه وفي رواية الى ابيه وفي رواية للبخاري قال من قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب وقوله اذ ابق الى الفلك المشحون قال ابن عباس هو الموقر المملوء بالامتعة فساهم اي قارع فكان من المدحضين اي المغلوبين وذلك ان السفينة تلعبت بها الامواج من كل جانب واشرفوا على الغرق فساهموا على ان من تقع عليه القرعة يلقى في البحر لتخف بهم السفينة فوقعت القرعة على نبي الله يونس ثلث مرات وهم يضنون به ان يلقى من بينهم فتجرد من ثيابه ليلقي نفسه وهم يابون عليه ذلك وامر الله تعالى حوتا من البحر الاخضر ان يشق البحار وان يلتقم يونس فلا يهشم له لحما ولا يكسر له عظما فجاء ذلك الحوت والقى يونس نفسه فالتقمه الحوت وذهب به فطاف به البحار كلها ولما استقر يونس في بطن الحوت حسب انه قد مات ثم حرك رجليه واطرافه فاذا هو حي فقام فصلى في بطن الحوت وكان من جملة دعائه يا رب اتخذت لك مسجدا في موضع لم يبلغه احد من الناس واختلفوا في مقدار ما لبث في بطن الحوت قال قتادة ثلثة ايام وقال جعفر الصادق سبعة وقيل اربعين

يوما وقال مجاهد التقمه ضحى ولفظه عشية والله اعلم وقال امية بن ابي الصلت ؛ وانت بفضل منك نجيت يونسا ؛ وقد بات في اضعاف حوت لياليا ؛ وقوله فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون قيل اي لولا ما تقدم له من العمل في الرخاء وقربات قاله ابو العالية وغير واحد واختاره ابن جرير وفي حديث ابن عباس تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وقال من المسبحين اي من المصلين قبل ذلك وقيل كان من المصلين في جوف الحوت وقيل هو قوله فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين الاية وعن انس مرفوعا ان يونس النبي حين بدا له ان يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت فقال اللهم لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاقبلت الدعوة تحن بالعرش قالت الملئكة يا رب هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غربة فقال اما تعرفون ذلك قالوا يا رب ومن هو قال عبدي يونس قالوا عبدك يونس الذي لم يزل ترفع له عملا متقبلا ودعوة مستجابة اولا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه من البلاء قال بلى فامر الحوت فطرحه بالعراء رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وزاد هو عن ابي هريرة قال وانبت الله عليه اليقطينة شجرة الدباء وهيا الله له اروية وحشية تاكل من خشاش الارض فتتفشج عليه فترويه من لبنها كل بكرة وعشية حتى نبت يعني قوي وقال ابن ابي الصلت في شعره فانبت يقطينا عليه برحمة من الله لولا الله القي ضاحيا ولهذا قال تعالى فنبذناه اي القيناه بالعراء قال ابن عباس وغيره هي الارض التي ليس بها نبت ولا بناء وقيل على جانب دجلة وقيل باليمن والله اعلم وهو سقيم اي ضعيف البدن قال ابن مسعود كهيئة الفرخ ليس عليه ريش وقال ابن عباس كهيئة الولد الصبي حين يولد وهو المنفوس قاله ابن عباس وقال هو واكثرون اليقطين هو القرع وقيل كل شجرة لا ساق لها فهي من اليقطين وقوله وارسلناه الى مائة الف او يزيدون حكى البغوي انه ارسل الى امة اخرى بعد خروجه من بطن الحوت وقال الشيخ رحمه الله ولا مانع ان يكون الذي ارسل اليهم اولا امران يعود اليهم اخرا وصدقوه كلهم وامنوا به وقوله او يزيدون قال ابن عباس اي بل يزيدون وكانوا مائة وثلثين الفا او اكثر وقال في خبر يزيدون سبعين الفا وعن ابي بن كعب انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قال يزيدون عشرون الفا رواه الترمذي وابن جرير وقوله فامنوا اي فامن هؤلاء القوم الذين ارسل اليهم يونس جميعهم فمتعناهم الى حين اي الى وقت اجالهم فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملئكة اناثا وهم شاهدون الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون اصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون افلا تذكرون ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين انكر تعالى على المشركين في جعلهم لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون اي من الذكور ولهذا قال فاستفتهم اي سلهم يا محمد على سبيل التوبيخ والانكار عليهم الربك البنات ولهم البنون كقوله الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى وقوله ام خلقنا الملئكة اناثا وهم شاهدون اي كيف حكموا على الملئكة انهم اناث وما شاهدوا خلقهم كما قال اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون وقوله الا انهم من افكهم اي كذبهم ليقولون ولد الله اي صدر منه الولد وانهم لكاذبون فذكر الله عنهم في الملئكة ثلثة اقوال في غاية الكفر والكذب فاولا جعلوهم بنات الله فجعلوا لله ولدا وجعلوا ذلك الولد انثى ثم عبدوهم من دون الله فكل منها كاف في التخليد في نار جهنم ثم قال

قوله ولقد علمت الجنة قال ابن عباس هم حي من الملكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس
قالوا هم بنات الله وقال الكلبي قالوا لعنهم الله الملكة بنات الله تعالى ابو بكر الصديق
فمن امهاتهم قالوا سروات الجن اي تزوج من الجن فخرج منها الملكة تعالى الله
عن ذلك وقال بعض الكفار الباري جل جلاله وابليس اخوان والنور
والخير من الله والظلمة والشر من ابليس

منكرا عليهم اصطفى البنات على البنين يعني اي شي يحمله على ان يختار البنات دون البنين كقوله افاصفكم ربكم بالبنين الآية ولهذا قال ما لكم كيف تحكمون اما لكم عقول تدبرون ما تقولون افلا تذكرون ام لكم سلطان مبين اي حجة وبينة على ما تقولونه فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين اي هاتوا برهانا على ذلك يكون مستندا الى كتاب منزل من السماء ان كنتم صادقين في دعويكم الباطلة وقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال مجاهد وغيره قال المشركون الملكة بنات الله فقال ابو بكر فمن امهاتهن قالوا بنات سروات الجن ولهذا قال ولقد علمت الجنة اي الذين نسبوا اليهم ذلك انهم لمحضرون اي ان قالوا ذلك لمحضرون في العذاب يوم الحساب لكذبهم في ذلك وافترائهم قال ابن عباس زعم اعداء الله انه تعالى وابليس اخوان حكاه ابن جرير في قوله سبحان الله عما يصفون اي تعالى وتقدس وتنزه عن ان يكون له ولد وعما يصفه الظالمون الملحدون علوا كبيرا وقوله الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من مثبت الا ان يكون الضمير في قوله عما يصفون عائدا الى جميع الناس ثم استثنى منهم المخلصين وهم المتبعون للحق المنزل على كل نبي فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وان كانوا ليقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون خاطب تعالى المشركين بقوله فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين اي انما ينقاد لمقالكم وما انتم عليه من الضلالة وعبادة الاصنام من هو اضل منكم ممن خلق للنار وسبق له في علم الله الشقاوة وهو الذي ينقاد لدين الشرك ثم قال منزها للملكة عما نسبوا اليهم من الكذب عليهم انهم بنات الله وما منا الا له مقام معلوم اي له موضع مخصوص من السماء في السموات ومقامات العبادات لا يتجاوزه ولا يتعداه عن العلاء بن سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لجلسائه اطت السماء وحق لها ان تئط ليس منها موضع قدم الا عليه ملك راكع او ساجد ثم قرا وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون رواه ابن عساكر وللطبراني نحوه وعن عائشة انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من السماء موضع الا عليه ملك ساجد او قائم فذلك قوله وما منا الا له مقام معلوم وعن ابن مسعود وابن جبير نحوه وقال قتادة كانوا يصلون الرجال والنساء جميعا حتى نزلت وما منا الا له مقام معلوم فتقدم الرجال وتأخر النساء وانا لنحن الصافون اي نقف صفوفا في الطاعة كما سبق في اول السورة وانا لنحن المسبحون اي نصطف فنسبح الرب ونمجده ونقدسه وننزهه عن النقائص فنحن عبيد له فقراء اليه خاضعون لديه وقال ابن عباس ومجاهد هم الملكة المصلون يثبتون بمكانهم من العبادة وقوله وان كانوا ليقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين اي قد كانوا يتمنون قبل ان تأتيهم يا محمد لو كان عندهم من يذكرهم بامر الله وما كان من امر القرون الاولى ويأتيهم بكتاب الله لكنا عباد الله المخلصين اي المؤمنين الموحدين فلما اتاهم ذلك الكتاب عاندوا فكفروا به فسوف يعلمون وهذا وعيد اكيد وتهديد شديد على كفرهم بربهم وتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى حين وابصرهم فسوف يبصرون افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون يعني تقدم في الكتاب الاول ان العاقبة للرسل واتباعهم في الدنيا والآخرة كما قال تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي الآية انهم لهم المنصورون اي في الدارين كما سبق

في الكشاف الضمير في عليه لله عز وجل
ومعناه انكم ومعبودكم ما انتم وهم جميعا
بفاتنين على الله الا اصحاب النار الذين
سبق في علمه انهم لسوء اعمالهم يستحقون
ان يصلوها فان قلت كيف يفتنونهم على
الله قلت يفسدونهم عليه باغوائهم و
استهوائهم من قولك فتن فلان على فلان
امرأته كما تقول خببها عليه وافسدها عليه

قال السدي الا له مقام معلوم في القربة
والمشاهدة وقال ابو بكر الوراق
الا له مقام معلوم نعبد الله عليه كالخوف
والرجاء والمحبة والرضا

قوله وما منا الا له مقام معلوم [illegible]
احد الا له مقام معلوم جمهور مفسران بر آنند كه اين سخن فرشتگان
است جبرئيل مر مصطفى را گفت ما منا ملك الا له في السماء
مقام معلوم نعبد الله فيه و تقديسه و تسبيح مى گويند يعنى كه
ما بندگانيم و عابدان نه معبودان چنانكه
كافران مى گويند

سانه فهم

بيان نصرتهم على قومهم ممن كذبهم وخالفهم كيف اهلك الكافرين ونجى عباده المؤمنين وان جندنا لهم الغالبون اي تكون لهم العاقبة وقوله فتول عنهم حتى حين اي اصبر على اذاهم لك وانتظر الى وقت معلوم فانا سنجعل لك العاقبة والنصرة وقوله وابصرهم فسوف يبصرون اي انظرهم وارتقب ماذا يحل بهم من العذاب والنكال بمخالفتك وتكذيبك ولهذا قال تهديدا فسوف يبصرون اي حلول العذاب وقالوا متى هذا العذاب قال تعالى افبعذابنا يستعجلون اي استعجالهم العذاب لكفرهم وتكذيبهم بل فيغضب الله عليهم ويعجل لهم العقوبة فاذا نزل العذاب بساحتهم اي بمحلتهم وفنائهم فساء صباح المنذرين اي فبئس ذلك اليوم يومهم باهلاكهم ودمارهم قال السدي اي فاذا نزل العذاب بدارهم فبئس ما يصبحون اي بئس الصباح صباحهم كما ثبت في الصحيحين عن انس قال صبح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فلما خرجوا بفؤوسهم ومساحيهم وراوا الجيش رجعوا وهم يقولون محمد والله محمد والخميس فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وقوله فتول عنهم حتى حين وابصر اي العذاب اذا نزل بهم فسوف يبصرون تأكيد لما تقدم من الامر بذلك سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين نزه الله نفسه الكريمة وقدسها عما يقول الظالمون المكذبون تعالى عن قولهم علوا كبيرا ولهذا قال سبحان ربك رب العزة اي ذي العزة التي لا ترام عما يصفون اي عن قول هؤلاء المعتدين المفترين وسلام على المرسلين اي سلام الله عليهم في الدارين بسلامة ما قالوه في ربهم وصحته وحقيته والحمد لله رب العالمين اي له الحمد في الاولى والآخرة في كل حال ولما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص بدلالة المطابقة ويستلزم اثبات الكمال كما ان الحمد يدل على اثبات صفات الكمال ويستلزم التنزيه من النقص قرن بينهما ههنا وفي كثير من المواضع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلمتم علي فسلموا على المرسلين فانما انا رسول من المرسلين رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وعن علي رضي الله عنه موقوفا وعن الشعبي مرسلا مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليقل آخر مجلسه حين يريد ان يقوم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة ص وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص سبق البحث عن اوائل السور في اول سورة البقرة وقوله والقرآن ذي الذكر اي والقرآن المشتمل على ما فيه ذكر للعباد ونفع لهم في المعاش والمعاد وهو كقوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم اي تذكيركم واختاره ابن جرير وقال ابن عباس وكثيرون اي ذي الشرف والشان والمكانة ولا منافاة بينهما فانه كتاب شريف مشتمل على التذكير واختلفوا في جواب القسم فقيل هو قوله ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب وقيل قوله ان ذلك لحق تخاصم اهل النار والاول اقرب وقال قتادة جوابه بل الذين كفروا في عزة وشقاق واختاره ابن جرير ثم حكى عن بعض اهل العربية جوابه ص بمعنى صدق وحق والقرآن ذي الذكر وقيل جوابه ما تضمنه سياق السورة بكمالها والله اعلم وقوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق اي ان في هذا القرآن لذكرى لمن يتذكر وعبرة لمن يعتبر وانما لم ينتفع به الكافرون لانهم في عزة اي استكبار عنه وحمية وشقاق اي ومخالفة له ومعاندة ومفارقة ثم خوفهم ما اهلك به الامم المكذبة قبلهم فقال كم اهلكنا قبلهم من قرن اي من امة مكذبة فنادوا اي حين جاءهم

قوله رب العزة معناه ذو العزة لان
العزة صفة الربوبية وفي الحديث ان
ابن عباس سمع رجلا يقول اللهم
رب القرآن فانكر عليه و
قال القرآن ليس بمربوب
لكنه كلام الله

عمم الرسل بالسلام بعد ما خص
البعض في السورة لان
تخصيص كل واحد بالذكر
يطول والمعنى وسلام
على المرسلين الذين
بلغوا عن الله
التوحيد و
الشرائع

يعنى بر صاد و بر قرآن كه اين قوم تو بگروند نبود نه
چنانست كه ايشان گفتند كه تو دروغ زنى و سخن
دروغ آوردى بل كه ايشان در تكبر اند و در عداوت
ظاهر واز راه صواب برگشته واز حق روى گردانيده
في عزة اي انفة من الانقياد للحق وفي تكبر عن قبول
الحق

وقيل جوابه محذوف تقديره والقرآن ذي الذكر
ما الامر كما تقول الكفار ودل على هذا المحذوف
قوله بل الذين كفروا

وعيد لذوي العزة والشقاق

العذاب استغاثوا وجأروا الى الله وليس ذلك بمجد عنهم شيئا وقال ابن عباس في قوله فنادوا ولات حين
مناص اي ليس بحين نزو ولا فرار نادوا النداء لما ولوا العذاب اي بالتوبة حين لا ينفعهم وقال مجاهد اي ليس بحين
فرار ولا اجابة ونحوه عن غير واحد قيل ولات هي لا التي للنفي زيدت معها التاء كما يزاد في ثم فيقال ثمة وهي
مفصولة والوقف عليها وذكر ابن جرير انها متصلة بحين ولا تحين مناص والمشهور الاول اي ليس الحين حين فرار
ولا ذهاب قال ابن عباس كان كفار مكة اذا قاتلوا فاضطروا في الحرب قال بعضهم لبعض مناص اي اهربوا فلما نزل بهم
العذاب ببدر قالوا مناص فانزل الله ولات حين مناص اي ليس حين هذا القول وعجبوا ان جاءهم منذر
منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وانطلق
الملاء منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة
ان هذا الا اختلاق أانزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب
ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا
في الاسباب جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اخبر تعالى عن المشركين في تعجبهم من بعثة الرسول بشرا
كما قال اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا الآية فقال وعجبوا ان
جاءهم منذر منهم اي بشر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب اجعل الآلهة الها واحدا اي ازعم ان المعبود واحد
لا اله الا هو انكر المشركون ذلك وتعجبوا من ترك الشرك بالله فانهم كانوا قد تلقوا من آبائهم عبادة الاوثان
واشربته قلوبهم فلما دعاهم الرسول عليه الصلوة والسلام الى خلع ذلك من قلوبهم وافراد الاله بالتوحيد اعظموا ذلك
وتعجبوا وقالوا اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب اي عجب وانطلق الملاء منهم وهم قادتهم وسادتهم قائلين
ان امشوا اي استمروا على دينكم واصبروا على آلهتكم ولا تستجيبوا الى ما يدعوكم اليه محمد من التوحيد ان هذا لشيء يراد
اي ان الذي يدعونا اليه محمد من التوحيد لشيء يريد به الشرف عليكم والاستعلاء وان تكونوا له تبعا ولسنا نجيبه
اليه وسبب نزوله ما قال السدي ان ناسا من قريش اجتمعوا منهم ابو جهل في نفر من مشيخة فقال بعضهم لبعض انطلقوا
بنا الى ابي طالب فلنكلمه في شان ابن اخيه فلينصفنا منه فليكف عن شتم آلهتنا وندعه والهه الذي يعبد فاتوا
ابا طالب فقالوا انت كبيرنا وشيخنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا اتيناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فارسل
ابو طالب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسالونك السواء فلا تمل كل الميل عن قومك كف
عن شتم آلهتهم ويدعوك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عم افلا ادعوهم الى ما هو خير لهم كلمة واحدة تدين
لهم بها العرب ويملكون بها العجم فقال ابو جهل من بين القوم ما هي وابيك لنعطينكها وعشر امثالها قال تقولون
لا اله الا الله فنفروا وقالوا سلنا غيرها قال لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سالتكم غيرها فقاموا من
عنده غضابا قائلين والله لنشتمنك والهك الذي يامرك بهذا فنزلت وانطلق الملاء منهم الآية وقولهم ما سمعنا بهذا
في الملة الآخرة اي ما سمعنا بهذا الذي يدعونا اليه محمد من التوحيد في الملة الآخرة يعنون النصرانية هكذا عن
ابن عباس وكثير قالوا لو كان هذا القرآن حقا اخبرتنا به النصارى ان هذا الا اختلاق اي كذب واختراص
وقولهم أانزل عليه الذكر من بيننا يعني انهم يستبعدون تخصيصه بانزال القرآن من بينهم كلهم عليه كما قالوا
في آية اخرى لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ولهذا لما اظهروا غاية جهلهم وقلة عقلهم في استبعادهم

لم تقل وقالوا اظهارا للغضب عليهم ودلالة على ان هذا القول لا يجسر عليه الا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي الذين قال فيهم اولئك هم الكافرون حقا ٥

جلس الى ابي طالب يريدوا بكلمتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد ٥

انزال

قوله جند ما هنالك اي هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند ما هنالك وما صلة مهزوم اي مقهور مغلوب من الاحزاب
اي من جملة الاحزاب الذين يتحزبون عليك يوم بدر ويهزمون الحزب الجند المتحزبون على من عداهم يقول
حزبت عليك الاحزاب اي اجتمعت عليك الاعداء نزول اين آيت بمكه بود و وقوع آن حالت روز بدر
و هنالك اشارت بروز بدر و بمصارع قوم خلاصه معنى آنست كه اين كفار مكه جندى اند از احزاب ابليس
واتباع وى سپاهى چون سپاهيان پيشين دشمنان پيغمبران كه بر پيغمبران جمع آمدند و انبيا را
در وقوع آن ترسيدند تا همه مغلوب و مقهور گشتند و هلاك شوند ايشان
همچنان بر دشمنى تو جمع اند روز بدر و بار شكسته شوند مغلوب و مقهور

بل هم في شك من ذكري من القرآن

انزال القرآن على الرسول من بينهم قال تعالى بل لما يذوقوا عذاب اي انما يقولون هذا لانهم ما ذاقوا الى حين قولهم عذاب
الله ونقمته وسيعلمون غب ما قالوا وما كذبوا يوم يدعون الى نار جهنم دعا ثم قال تعالى مبينا انه المتصرف الفعال في ملكه لما يشاء ويهدي
من يشاء ويضل من يشاء وليس لهم من التصرف في الملك ولا مثقال ذرة ولا يملكون من قطمير فقال منكرا عليهم ام عندهم خزائن
رحمة ربك العزيز الوهاب اي العزيز الذي لا يرام جنابه الوهاب الذي يعطي ما يريد لمن يريد وهذه الآية شبيهة بقوله قل لو انتم
تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وذلك بعد الحكاية عنهم انهم انكروا بعثة الرسول البشري وقوله
ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما اي ان كان لهم ذلك فليصعدوا الى الاسباب قال ابن عباس وغيره يعني طرق السماء و
قال الضحاك فليصعدوا الى السماء السابعة ثم قال جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اي هؤلاء الجند المكذبون الذين هم
في عزة وشقاق سيهزمون ويغلبون كما كبت الذين من قبلهم من الاحزاب المكذبين وكان ذلك يوم بدر فانهم كانوا من جملة
الذين تحزبوا واجتمعوا على الانبياء بالتكذيب فقهرهم الله واهلكهم كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون
ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل
فحق عقاب وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم
الحساب اصبر على ما يقولون اخبر تعالى عن هؤلاء القرون الماضية وما حل بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل
وتكذيبهم كما سبق قصصهم مبسوطة في اماكن متعددة وقوله اولئك الاحزاب اي كانوا اكثر منكم واشد قوة واكثر اموالا
فما دفع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء امر الله ولهذا قال ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب فجعل علة اهلاكهم هو
تكذيبهم الرسل فليحذر المخاطبون اشد الحذر وقوله وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق اي من رجوع ومثنوية وصرف
ورد اي ما ينتظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة وقد اقتربت اشراطها ودنت وهذه الصيحة هي نفخة الفزع التي يامر الله
اسرافيل ان يطولها فلا يبقى احد من اهل السموات والارض الا فزع الا من استثنى الله تعالى وقوله ربنا عجل لنا قطنا
قبل يوم الحساب هذا انكار من الله على المشركين في دعائهم على انفسهم بتعجيل العذاب فان القط هو الكتاب وقيل هو الحظ
والنصيب قالوا سالوا تعجيل العذاب وقيل سالوا تعجيل نصيبهم من الجنة ان كانت موجودة ان يلقوا ذلك في الدنيا استهزاء
واستبعادا وقال ابن جرير سالوا تعجيل ما يستحقونه من الخير او الشر في الدنيا وهذا حسن ولما كان هذا الكلام منهم على وجه
الاستهزاء والاستبعاد امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر على اذاهم مبشرا له على ذلك بالعاقبة والنصر والظفر
واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق
والطير محشورة كل له اواب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب اخبر تعالى عن عبده
ورسوله داود انه كان ذا ايد والايد القوة في العلم والعمل قاله ابن عباس قال قتادة اعطي داود قوة في العبادة و
فقها في الاسلام وكان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر كما ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احب الصلوة
عند الله صلوة داود واحب الصيام الى الله صيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوما
ولا يفر اذا لاقى وقوله انه اواب هو الرجاع الى الله في جميع اموره وشؤونه وقوله انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي
والاشراق اي انه تعالى سخر الجبال معه يسبح عند اشراق الشمس وآخر النهار كما قال تعالى يا جبال اوبي معه والطير
وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه وترجع بترجيعه اذا مر به الطير وهو سابح في الهواء فسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور
لا تستطيع الذهاب بل تقف في الهواء وتسبح معه وتجيبه الجبال الشامخات ترجع معه وتسبح تبعا له وعن ابن عباس

والملك يصوم
يوما ويفطر يوما

ويهوا [illegible] القدوم
والقيام نصف الليل ٥

وما بينهما فليرتقوا في الاسباب اي المعارج والطرق التي يتوصلون بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي الى من يختارون ويستصوبون ٥

ثم خسأهم خسارة عن ذلك بقوله جند ما هنالك ٥

وفي عقد اي فرجت لكل ان اعاقبهم حتى عفى عنهم ٥

الاولاد كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم ٥

يعني اذا جاء وقتها لم تستاخر قدر فواق من الزمان ٥

سعيد بن جبير [illegible]

نبي بن الانبياء [illegible] ثم زل زلة [illegible] الملكة وبكى عليها على طريق التنزل حتى يظن [illegible] فاستغفر واناب

وبلغه ان ام هانئ ذكرت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الضحى يوم فتح مكة ثمانى ركعات فقال قد ظننت
ان لهذه الساعة صلوة يقول الله يسبحن بالعشى والاشراق رواه ابن جرير وفى رواية وكان ابن عباس اولا لا يصلى الضحى
فلما بلغه ذلك عن ام هانى قال لقد قرأت ما بين اللوحين ما عرفت صلوة الضحى الا الآن يسبحن بالعشى والاشراق وكان يقول تلك
صلوة الاشراق قوله والطير محشورة اى محبوسة فى الهواء كل له اواب اى مطيع يسبح تسبيحه وقوله وشددنا ملكه اى جعلنا له ملكا
كاملا من جميع ما يحتاج اليه الملوك قال مجاهد كان داود اشد اهل الدنيا سلطانا قال السدى كان يحرسه كل يوم اربعة الاف
وقيل كان حرسه فى كل ليلة ثلثة وثلثين الفا لا تدور عليهم النوبة الى مثلها من العام القابل وقيل اربعون الفا متسلحين
وعن ابن عباس ان نفرين من بنى اسرائيل استعدى احدهما على الآخر الى داود انه اغتصبه بقرا فانكر الآخر ولم يكن للمدعى
البينة فأرجأ امرهما فلما كان الليل اوحى الى داود فى المنام بقتل المدعى فلما كان النهار طلبهما وامر بقتل المدعى فقال يا نبى الله
علام تقتلنى وقد اغتصبنى هذا بقرى فقال له ان الله تعالى امرنى بقتلك فانا قاتلك لا محالة فقال والله يا نبى الله
ان الله لم يأمرك بقتلى لاجل هذا الذى ادعيت عليه وانى لصادق فيما ادعيت ولكنى كنت قد اغتلت اباه فقتلته
ولم يشعر بذلك احد فامر به داود فقتل قال ابن عباس فاشتدت هيبته فى بنى اسرائيل وهو الذى يقول الله وشددنا
ملكه وقوله وآتيناه الحكمة قال مجاهد يعنى الفهم والعقل والفطنة والعدل والصواب وقيل كتاب الله واتباع ما فيه
وقيل النبوة وقوله وفصل الخطاب قال شريح وغيره اى الشهود والايمان وقال قتادة شاهدان على المدعى او يمين المدعى
عليه هو فصل الخطاب الذى فصل به الانبياء والرسل وهو قضاء هذه الامة الى يوم القيمة وقيل هو اصابة القضاء
وفهم ذلك وقال مجاهد هو الفصل فى الكلام وفى الحكم وهذا شامل للكل وهو المراد وقال ابو موسى الاشعرى اول من
قال اما بعد داود وهو فصل الخطاب **وهل اتيك نبؤ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على
داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا
تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة
فقال اكفلنيها وعزنى فى الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا
من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم
وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب فغفرنا له ذلك وان له
عندنا لزلفى وحسن مآب** قد ذكر المفسرون ههنا قصة اكثرها ماخوذة من الاسرائيليات ولم يثبت فيها
عن المعصوم حديث يجب متابعته لكن روى ابن ابى حاتم حديثا لا يصح سنده فالاولى ان نقتصر على مجرد تلاوة هذه
القصة وان نرد علمها الى الله عز وجل فان القرآن حق وما تضمنه فهو حق ايضا وقوله ففزع منهم انما كان ذلك لانه
كان فى محرابه وهو اشرف مكان فى داره وكان قد امر ان لا يدخل عليه احد ذلك اليوم فلم يشعر الا بشخصين قد تسوروا
عليه المحراب اى صعدا من علو يقال تسورت الحائط والسور اذا علوته وانما جمع الفعل وهما اثنان لان الخصم اسم
يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ومعنى الجمع موجود فى الاثنين لان معنى الجمع ضم الشئ الى الشئ وهذا
كما يقال صغت قلوبكما فاحاطا به يسالانه عن شانهما والنبأ الخبر وقوله ولا تشطط اى لا تجر ولا تتعد واهدنا اى
ارشدنا الى سواء الصراط اى طريق الصواب والمراد بالنعجة المرأة ومعنى اكفلنيها اى انزل لى عنها واجعلنى كفيلها
وقوله وعزنى فى الخطاب اى غلبنى يقال عز يعز اذا قهر وغلب وقوله وظن داود انما فتناه اى اختبرناه وقوله

وعن ابن عباس قال كنت امر
بهذه الآية لا ادرى ما هي
حتى حدثتنى ام هانى بنت
ابى طالب ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم دخل عليها
فدعا بوضوء فتوضأ ثم
صلى الضحى قال يا ام هانى
هذه صلوة الاشراق

قوله انك ميت وانهم ميتون   ذكر وفات آدم عليه السلم   چون آدم را اجل رسيد پيش از آنكه ملك موت بر بالينش حاضر شود ملك موت
پسران خود را گفت مرا آرزوى ميوه بهشت است رويد مرا ميوه بهشت آريد ايشان رفتند و در آن صحرا طوف ميكردند وگويند آمدند بر
طور سينا شدند و دعا ميكردند جبرئيل را ديدند با دوازده فرشته از مهتران و سروران فرشتگان و با ايشان كفن و حنوط بهشتى
بود و بيل و تبر و آن كفن از روشنائى فروغ ميداد و بوى حنوط در ميان آسمان و زمين ميرسيد جبرئيل بفرزندان آدم گفت
ما لكم محزونين حيث جئتما اوجه رسيد كه چنين اندوهگين و غمناك ايستاده ايد گفتند ان ابانا قد كلفنا ما لا نطيقه پدر ما ميوه
بهشت آرزو ميكند و دست ما بدان نمى رسد بر ما آن نهاده كه طاقت نداريم جبرئيل گفت باز گرديد كه آنچه آرزوى اوست
ما آورده ايم ايشان باز گشتند چون جبرئيل آمدند جبرئيل را ديدند و فرشتگان و ملك الموت بر بالين آدم نشسته و جبرئيل
ميگويند كيف تجدك يا آدم خود را چون مى بينى اين ساعت يا آدم آدم گفت مرگ عظيم است و درد سخت اما صعبتر از درد
مرگ آنست كه از ضعف و عبادت الله باز ميمانم آنگه جبرئيل گفت يا ملك الموت ارفق به فقد عرفت حاله هو آدم الذى
خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وامرنا بالسجود له واسكنه جنته آدم از ساعت گفت يا جبرئيل انى لاستحيى من ربى العظيم خطيئتى
فاذكر فى السماء بابا او خاطئا چكنم يا جبرئيل ترسم كه فردا در حضرت آب روى نبود كه نافرمانى كرده ام واندازه فرمان
در گذاشته ام يا جبرئيل اگر چه عفو كند او شرم زده باشم و شرمسار در انجمن آسمانيان گويند اين آن بابست كه نا[illegible]
آدم ميگويد و جبرئيل مى گريد و فرشتگان همه بر موافقت مى گريند در آن حال فرمان آمد كه يا جبرئيل آدم را گو سر بردار و بر
آسمان نگر تا چه بينى سر برداشت از بالين خود تا سرادقات عرش عظيم فرشتگان ديد صفها بر كشيده استقبال قدوم روح
آدم را جنات ماوى و فراديس اعلى انهار و اشجار و ازهار آن آراسته و حور العين بر آن كنگرها ايستاده و ندا ميكنند
كه يا آدم من اجلك خلقنا ربنا تعالى آدم چون آن كرامت و آن منزلت ديد گفت يا ملك الموت عجل فقد اشتد شوقى
الى ما اعطانى ربى فلم يزل آدم يقدس ربه حتى قبض ملك الموت روحه ونحاه جبرئيل بثوبه ثم غسله جبرئيل والملئكة وحنطه وكفنه
ووضع على سريره ثم تقدم جبرئيل والملئكة ثم بنو آدم ثم حوا وبناتها وكبر جبرئيل عليه اربعا ويقال انه قدم للصلوة عليه ابنه
شيث واسمه بالعربية هبة الله ثم حفروا له ودفنوه وسنوا عليه التراب ثم التفت جبرئيل الى ولد آدم وعزاهم وقال لهم
احفظوا وصية ابيكم فانكم ان حفظتم ذلك لم تضلوا بعده ابدا واعلموا ان الموت سبيلكم وهذه سنتكم فى موتاكم فاصنعوا
بهم مثل ما صنعنا بابيكم وانكم لن ترونا بعد اليوم الى يوم القيمة   روى ان آدم عليه السلم لما اهبط الى الارض قيل له لِدْ
للفناء وابن للخراب
روايتى ديگر عن كعب الاحبار   گفتا خوانده ام در كتب شيث بن آدم عليهما السلام كه
آدم را هزار سال عمر بود چون روزگار عمر وى بآخر رسيد وحى آمد كه عمرت بآخر رسيد فرزند خود شيث را وصيت كن گفت يا رب
وكيف الموت اين مرگ چه صفت كن وحى آمد كه يا آدم روح از كالبد جدا كنم و ترا بر دگر خوانم آدم و كردار ترا جزا دهم يا
آدم هر كه را كردار نيك بود جزا نيكو برد و هر كه را كردار بد بود جزا بد بيند آدم گفت مرگ مرا خواهد بود بر خصوص گفت نه همه فرزندان
ترا خواهد بود بر عموم فرمان آمد كه يا آدم هر كه حلاوت حيوة چشيد ناچار مرارت مرگ چشيد الموت باب وكل الناس داخله والموت كأس وكل الناس شاربه
هر كه او در زندگانى در آمد ناچار از در مرگ در آيد قرارگاه عالميان و بازگشت جهانيان گورست موعد ايشان رستاخيز قيامت است
مورد ايشان بهشت يا دوزخ است پس هيچ انديشه مهمتر از انديشه مرگ نيست و هيچ دشمن غالب تر از تو بر زاد مرگ نيست مصطفى
عليه السلم گفت الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت پس آدم شيث را حاضر كرد اند و او را خليفه خويش كرد در زمين و او را وصيت كرد
گفت عليك بتقوى الله ولزوم طاعته وعليك بمناقب الخير فاياك ثم اياك وطاعة النساء فانها بئست الوزرة وبئست الشريكة ولا بد منها
و كلما ذكرت الله فاذكر الى جانبه محمدا صلى الله عليه وسلم فانى رأيته مكتوبا فى سرادق العرش وانا بين الروح والطين اى پسر تقوى پيشه گير
و در همه حال بر همه كار و طاعت دار باش و در گاه خدمت را لازم گير و در خيرها بكوش و زنان را طاعت دار مباش و بر فرمان ايشان كار مكن
كه من بر فرمان حوا كار كردم و رسيد بر من آنچه رسيد اى پسر ذكر محمد فراموش مكن هر گه كه نام الله گويى نام وى در نام الله بند كه من نام او ديدم
نوشته بر سرادق عرش و بر اطراف حجب و پردهاى بهشت و در هيچ آسمان نگذشتم كه نه نام او مى بردند و ذكر او مى كردند شيث گفت و انى محمد كست

وخرّ راكعا اى ساجدا واناب اى رجع وتاب ويحتمل انه ركع اولا ثم سجد بعده وقد ذكر انه استمر ساجدا اربعين صباحا
فغفرنا له ذلك اى ما كان منه كما يقال فيه ان حسنات الابرار سيئات المقربين وقد اختلفوا فى سجدة ص هل هى من
عزائم السجود على قولين الجديد للشافعى انها ليست من عزائم السجود بل هى سجدة شكر والدليل ما قال ابن عباس سجدة
ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها رواه البخارى وعن ابن عباس ان النبى
صلى الله عليه وسلم سجد فى ص وقال سجدها داود توبة ونسجدها شكرا تفرد به النسائى وقال مجاهد قلت لابن عباس
أسجد فى ص فقرأ ومن ذريته داود وسليمن حتى اتى فبهداهم اقتده فقال نبيكم ممن امر ان يقتدى بهم رواه البخارى
وعن ابى سعيد انه رأى رؤيا انه يكتب ص فلما بلغ الى التى يسجد بها رأى الدواة والقلم وكل شئ بحضرته انقلب ساجدا
فقصها للنبى صلى الله عليه وسلم فلم يزل يسجد بها تفرد به احمد وقوله وان له عندنا لزلفى وحسن مآب اى وان له يوم
القيمة لقربة تقربها الله تعالى بها وحسن مرجع وهو الدرجات العاليات فى الجنة لنبوته وعدله التام فى ملكه كما
جاء فى الصحيح المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم واهليهم
وما ولوا يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى
فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم
الحساب هذا ايصاء من الله لولاة الامور ان يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا
فيضلوا عن سبيله وقد توعد تعالى من ضل عن سبيله وتناسى يوم الحساب بالعذاب الشديد قال عكرمة هذا من
المقدم والمؤخر اى لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا وقال السدى اى لهم عذاب بما تركوا ان يعملوا ليوم
الحساب وهذا اظهر والله اعلم وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين
كفروا فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين
فى الارض ام نجعل المتقين كالفجار كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر
اولوا الالباب اخبر تعالى انه ما خلق الخلق عبثا وانما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه ثم يجمعهم ليوم الجمع فيثيب
المطيع ويعذب الكافر ولهذا قال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا
اى الذين لا يرون بعثا ولا معادا وانما يعتقدون هذه الدار فقط فويل للذين كفروا من النار اى ويل لهم يوم
معادهم ونشورهم من النار المعدة لهم ثم بين انه تعالى من عدله وحكمته لا يساوى بين المؤمن والكافر فقال ام
نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض ام نجعل المتقين كالفجار اى لا نفعل ذلك و
لا يستوون عند الله ولو كان الامر كذلك فلا بد من دار اخرى يثاب فيها المطيع ويعاقب فيها الفاجر وهذا
الارشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على انه لا بد من معاد وجزاء فانا نرى الظالم يزداد
ماله وولده ويموت كذلك ونرى المظلوم يموت بكمده فلا بد فى حكمة الحكيم العليم العادل من انصاف هذا
من هذا واذا لم يقع هذا فى هذه الدار فتعين ان دارا اخرى لهذا الجزاء والمواساة ولما كان القرآن يرشد الى
المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة قال كتاب انزلناه اليك مبارك اى كثير خيره ونفعه ليدبروا
آياته اى يتفكروا فيها وليتذكر اولوا الالباب اى ذوو العقول وهى الالباب جمع لب وهو العقل قال الحسن
البصرى والله ما تدبره بحفظ حروفه واضاعة حدوده حتى ان احدهم يقول قرأت القرآن كله ما يرى له القرآن

قال الحسن البصرى ... كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وما تدبر آياته الا اتباعها اما والله ما هو بحفظ حروفه

الكبد الخرق المكتوم

بدين بزرگوارى و عزيزى آدم گفت نبى آو از مان آو بهم ازواجا من الاوتاد وادلهم دخولا فى الجنة طوبى لمن ادركه و آمن به لوى گفت روز ادينه
آن ساعت كه تو خلق آدم بود همان ساعت وقت وفات وى بود فرمان امد به ملك الموت ان اهبط على آدم فى صورتك فرود
به قبض روح آدم بهم بران صفت كه قبض روح احد كنى از دوست من در گرده يا ملك الموت ونگر كه قبض روح وى نكنى تا تخت
شراب عروضه بدو ننوشى و باوى گوى تو خلوت اصل الخلابك اگر در همه خلق كسى را زندگانى جاودانه دادمى ترا دادمى ولكن حكمى
است ازلى مرگ رانده در ازل و قضا رفته بر سر همه خلق وانى انا الله لا اله الا انا الديان الكبير اقضى فى عبادى ما اشاء
واحكم ما اريد منم آن خداى كه جز من خداوند نيست ديان و مهربان بزرگوار و بزرگ بحسابش برسند كان حكم كنم و قضا رانم بر ايشان
حاكم خواهم و كسى را زهرة نيست و بر كلام من اعتراض نه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون اى ملك با بنده من ادم بكوى انما قضيت
عليك الموت لا عيدك الى الجنة التى اخرجتك منها دل خوش دار و اندوه مدار كه اين قضا مرگ بر سر تو بوان الارم ماترا به آن
سراى پيروزى و بهشت جاودانى باز برم كه ازانجات بيرون اوردند و ديرا زوى آن ما بنده ملك الموت فرود امد و پيغام بگزارد
وشراب عروضه كه الله فرستاده بوى داد آدم چون ملك الموت را ديد زار بگريست ملك الموت گفت يا آدم از مرگ كه از بهشت وامانى
وبدنيا آمدى چندين گريه و زارى نكردى كه امروز مى كنى بر فوت دنيا آدم گفت نه بر فوت دنيا مى گريم كه دنيا همه بلا و عنا است لكن
بر فوت لذت خدمت و ذكر حق مى گريم در بهشت لذت نعمت بود و در دنيا لذت خدمت و راز و لى نعمت چون راز ولى نعمت امد
لذت نعمت كجا بديد آيد ٩

قوله ... فى الصحيح المبى ذكر الجديد للشافعى انها ليست من عزائم السجود
النزاع فى عزيمة وعزيمة عموم الانسان اى تقصده اما بسبيل الوجوب او السنة و
الزمر استعمالها فى الزلفة اكثر وعند ابى حنيفة سجود التلاوة واجب وعند
الشافعى سنة وسجدة ولد ودراكعا واناب سجدة التلاوة عند ابى حنيفة وسجدة الشكر
عند الشافعى قول ابن عباس ليس من عزائم السجود منه عند ابى حنيفة ليس من الزلفة
بل هو من الواجبات وعند الواجب عن الزلفة والزلفة عند ما ثبت وجوبه بدليل
قاطع والواجب ما ثبت وجوبه بدليل ظنى وعند الشافعى معناه انه ليس من سنن سجدات
التلاوة بل هو سجدة الشكر لان داود لما قبلت توبته سجد شكرا وانما فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذاكى واناب بعد موافقة لداود عليه السلم ٩

في خلق وعمل ووهبنا لداود سليمن نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق اخبر تعالى انه وهب لداود سليمن اي نبيا كما قال وورث سليمن داود اي في النبوة والا فقد كان له بنون غيره فانه كان عنده مائة امراة حرائر وقوله نعم العبد انه اواب ثناء على سليمن انه كثير الطاعة والعبادة والانابة الى الله قال مكحول لما وهب الله داود سليمن قال له يا بني ما احسن قال هداية الله والايمان قال فما اقبح قال الكفر بعد ايمان قال فما احلى قال روح الله بين عباده قال فما ابرد قال عفو الله عن الناس وعفو الناس بعضهم عن بعض قال داود فانت نبي وقوله اذ عرض عليه اي على سليمن حال مملكته وسلطانه بالعشي هو بعد الزوال الى وقت الغروب الصافنات الجياد قال مجاهد هي الخيل القائمة على ثلث قوائم وطرف حافر الرابعة واحدها صافن والجياد السراع قال ابرهيم التيمي كانت عشرين فرسا ذات اجنحة كذا رواه ابن جرير ورواه ابن ابي حاتم عن التيمي قال كانت الخيل التي شغلت سليمن عشرين الف فرس فعقرها وهذا اشبه وعن عائشة قالت قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك او حنين وفي سهوتها ستر فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب فقال ما هذا يا عائشة قالت بناتي وراى بينهن فرسا له جناحان من رقاع فقال ما هذا الذي ارى وسطهن قالت فرس قال وما هذا الذي عليه قالت جناحان قال فرس له جناحان قالت اما سمعت ان لسليمن خيلا لها اجنحة قالت فضحك حتى رايت نواجذه رواه ابو داود وقوله قال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ذكروا انه اشتغل بعرضها عن وقت صلوة العصر والذي يقطع به انه لم يتركها عمدا بل نسيانا كما شغل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق عنها حتى صلاها بعد الغروب كما هو ثابت في الصحيحين ويحتمل انه كان سائغا في ملتهم تاخير الصلوة لعذر الغزو وادعى ان هذا كان مشروعا فنسخ في ديننا بصلوة الخوف وذهب بعضهم الى ان ذلك كان في حال المسايفة والمضايقة حيث لا يمكن صلوة كما فعل الصحابة في فتح تستر والاول اقرب لانه قال بعده ردوها علي وقوله حتى توارت اي استترت بما يحجبها عن الابصار قيل والحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائها فلما ردت الخيل اليه امر بها فعقرت وقال السدي ضرب اعناقها وعراقيبها بالسيوف قال ابن عباس جعل يمسح اعناق الخيل وعراقيبها حبا لها واختاره ابن جرير وقال لانه لم يكن ليعذب حيوانا بالعرقبة ويهلك مالا من امواله بلا سبب سوى انه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلوة ولهذا لما خرج عنها عوضه الله ما هو خير منها وهو الريح التي تجري بامره رخاء حيث اصاب غدوها شهر ورواحها شهر فهذا اسرع وخير من الخيل وقد ورد في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انك لا تدع شيئا اتقاء الله الا اعطاك خيرا منه رواه احمد ولقد فتنا سليمن والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب والشياطين كل بناء وغواص واخرين مقرنين في الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن ماب يعني لقد اختبرنا سليمن بان سلبناه المملكة والقينا على كرسيه جسدا قال ابن عباس وغير واحد يعني شيطانا ثم اناب اي رجع الى ملكه وسلطانه واسم ذلك الشيطان صخر وعن مجاهد اسمه آصف او آصوذ وقال السدي حبقيق وقصته

الصافن الذي في قوله الف
الصفون مما يزال كانه مما يقوم
على الثلاث كسيرا وقيل الذي يقوم
على طرف سنبك يد او رجل وهو المخيم
من خمس رجلي اخيها اذا رفعها
واما الصافن فالذي يجمع بين يديه
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان
يقوم له الناس صفونا فليتبوأ
مقعده من النار اي واقفين كما خدم
الجبابرة ٩

عن صلوته ما لطف اليها وكانت
لها وفي قول ابن جرير هنا نظر
لاحتمال كونه جائزا في شرعهم
ولا سيما اذا كان غضبا لله
بسبب انه اشتغل به م

عن قتادة ان سليمن عليه السلم امر ببناء بيت المقدس فقيل له ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد قال فطلب ذلك فلم يقدر عليه فقيل له ان شيطانا في البحر يقال له صخر شبه المارد اي الذي كان يحسن البناء كما ينبغي فطلبه فاتي سليمن فقال انا امرنا ببناء هذا البيت وقيل لنا لا يسمعن فيه صوت حديد قال فاتي ببيض الهدهد فجعل عليه زجاجة فجاء الهدهد فدار حولها فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه فذهب فجاء بالماس فوضعه عليه فقطعها به حتى افضى الى بيضه فاخذوا الالماس فجعلوا يقطعون به الحجارة وكان سليمن اذا اراد ان يدخل الخلاء او الحمام لم يدخل بخاتم فانطلق يوما الى الحمام وذلك الشيطان صخر معه وذلك عند مقارفة قارف بعض نسائه قال فدخل الحمام واعطى الشيطان خاتمه فالقاه في البحر فالتقمته سمكة ونزع ملك سليمن منه والقي على الشيطان شبه سليمن قال فجاء فقعد على كرسيه وسريره وسلط على ملك سليمن كله غير نسائه قال فجعل يقضي بينهم وجعلوا ينكرون منه اشياء فكان فيهم رجل شبيه بعمر بن الخطاب في القوة فقال والله لاجربنه قال فقال يا نبي الله وهو لا يرى الا انه نبي الله احدنا تصيبه الجنابة في الليلة الباردة فيدع الغسل عمدا حتى تطلع عليه الشمس اترى عليه باسا قال لا فبينما هو كذلك اربعين ليلة وجد نبي الله خاتمه في بطن سمكة فاقبل فجعل لا يستقبله جني ولا طير الا سجد له حتى انتهى اليهم والقينا على كرسيه جسدا قال هو الشيطان قال سليمن له واسمه آصف كيف تفتنون الناس قال ارني خاتمك فاخبرك فلما اعطاه اياه نبذه في البحر فساح سليمن وذهب ملكه وقعد آصف على كرسيه ومنعه الله نساء سليمن فلم يقربهن ولم يقربنه وانكرنه قال مجاهد وكان سليمن يسيح تائها ويستطعم الناس فيقول اتعرفوني اطعموني انا سليمن فيكذبونه حتى اعطته امراة يوما حوتا فجعل يشق بطنه فوجد خاتمه فيه فرجع اليه ملكه وهو قوله ثم اناب وفر آصف فدخل البحر فارا فارسل سليمن في اثره فجيء به فجعله في صندوق من حديد ثم اطبق عليه بقفل وختم عليه بخاتمه ثم امر به فالقي في البحر فهو فيه حتى تقوم الساعة هذه خلاصة ما ذكروا من قصته والاعتماد على غيرها فان ذلك من المناكير الاسرائيلية التي لا تليق بحال الانبياء وكانت من اهل الكتاب طائفة لم تعتقد نبوة سليمن فكذبوا عليه بما لا يجوز ان ينسب اليه وقوله رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد اي لا يصلح لاحد ان يسلبنيه كما كان قضية الجسد الذي القي على كرسيه لا انه يحجر على من بعده من الناس قاله عطاء والصحيح انه سال من الله ملكا لا يكون لاحد من بعده من البشر مثله وهذا هو ظاهر السياق من الاية كما في الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن تفلت علي البارحة او كلمة نحوها ليقطع علي الصلوة فامكنني الله منه فاخذته واردت ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا اليه كلكم فذكرت قول اخي سليمن رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرده الله خاسئا وقوله انك انت الوهاب اي كثير النعم دائم العطاء قال بعضهم اراد سليمن بقوله لا ينبغي لاحد من بعدي تسخير الرياح والطير والشياطين بدليل قوله فسخرنا له الريح الى اخره نقل ان داود قال الهي كن لسليمن كما كنت لي فاوحى الله اليه ان قل لسليمن يكون لي كما كنت لي اكن له كما كنت لك وقوله فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء اي لينة غير عاصفة حيث اصاب اي حيث اراد من البلاد وقوله والشياطين كل بناء وغواص اي منهم من هو مشتغل في الابنية الهائلة من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات و غير ذلك من الاعمال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر وطائفة غواصون في البحار يستخرجون مما فيها من اللآلي والجواهر والعجائب التي لا يوجد الا فيها واخرين مقرنين في الاصفاد اي موثقون في الاغلال والقيود ممن تمرد وعصى

اي اسطوانة

اي صاغرا مهينا حقيرا

يستطعم

قوله لا ينبغي لاحد من بعدي اي لا يتسهل
ولا يكون لاحد دوني ٩

اي توثب وتربع او تعرض لي
فلتة اي فجاءة ٩

واشح من العمل وابى وتداساء فى صنيعه واعتدى وقوله هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب اى هذا الذى اعطيناك من الملك التام والسلطان الكامل كما سالتنا فاعط من شئت واحرم من شئت لا حساب عليك اى مهما فعلت فهو جائز لك احكم بما شئت فهو صواب وقد ثبت فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خير بين ان يكون عبدا رسولا وهو الذى يفعل ما يؤمر به وانما هو قاسم يقسم بين الناس ما امره الله به وبين ان يكون نبيا ملكا يعطى من يشاء ويمنع من يشاء بلا حساب ولا جناح اختار المنزلة الاولى بعدما استشار جبريل فاشار اليه بالتواضع فاختارها لانها ارفع قدرا عند الله واعلا منزلة فى المعاد وان كانت المنزلة الثانيه وهى النبوة مع الملك عظيمة ايضا فى الدنيا ولهذا لما ذكر تعالى ما اعطى سليمن فى الدنيا على انه ذو حظ عظيم فى العقبى قال وان له عندنا لزلفى اى قربة وحسن مآب اى عند الله فى الدار الآخرة **واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولى الالباب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب** ذكر تعالى عبده ورسوله ايوب وما كان ابتلاه به من الضر فى جسده وماله وولده حتى لم يبق من جسده مغرز ابرة سليما سوى قلبه ولم يبق له من الدنيا شئ يستعين به على مرضه وما هو فيه غير ان زوجته حفظت وده لايمانها بالله ورسوله وكانت تخدم الناس بالاجرة وتنفقه عليه نحوا من ثمانيه عشر سنة بعد ان كان فى صحة وعافيه ومال جزيل واولاد وسعة من الدنيا فسلب جميعها حتى آل به الحال الى ان القى على مزبلة واعرض عنه القريب والبعيد سوى زوجته فانها كانت تتفقده وتطعمه فلما اشتد الحال وتم الاجل المقدر تضرع الى رب العالمين فقال انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين وفى هذه الاية قال انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب قيل اى بنصب فى بدنى وعذاب فى مالى وولدى فعند ذلك استجاب له ارحم الراحمين امره ان يقوم من مقامه وان يركض الارض برجله ففعل فانبع الله عينا وامره ان يغتسل منها فاذهب جميع ما كان به من الاذى ثم امره فضرب الارض فى مكان اخر فانبع له عينا اخرى وامره ان يشرب منها فاذهب ما كان بباطنه من السوء فتكاملت العافيه ظاهرا وباطنا ولهذا قال اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا ايوب يغتسل عريانا فخر عليه جراد من ذهب فجعل ايوب يحثى فى ثوبه فناداه ربه يا ايوب الم اكن اغنيتك عما ترى قال بلى وعزتك ولكن لا غنى بى عن بركتك رواه البخارى ولهذا قال ووهبنا له اهله ومثلهم معهم قال الحسن وقتاده احياهم الله له باعيانهم وزاده مثلهم معهم وقوله رحمة منا اى به على صبره وثباته واستكانته وذكرى لاولى الالباب اى لذوى العقول ليعلموا ان عاقبة الصبر الفرج والمخرج والراحة وقوله وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وذلك ان ايوب كان قد غضب على زوجته ووجد فى امر فعلته قيل باعت ضفيرتها بخبز فاطعمته فلامها على ذلك وحلف ان شفاه الله ليضربنها مائة جلدة وقيل لغير ذلك من الاسباب فلما شفاه الله وعافاه افتاه الله ان ياخذ ضغثا وهو الشمراخ فيه مائة قضيب فيضربها ضربة واحدة فبر بيمينه وخرج من حنثه وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله واناب اليه ولهذا قال انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب اثنى الله عليه ومدحه بانه نعم العبد انه اواب اى رجاع منيب **واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب اولى الايدى والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار واذكر**

اسمعيل

اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار هذا ذكر اخبر تعالى عن فضائل عباده المرسلين وانبيائه العابدين والمراد بالايدى والابصار القوة فى العبادة والبصيرة النافذة فى العلم النافع والعمل الرافع هكذا عن ابن عباس وغيره فانهم اعطوا قوة فى طاعة الله وبصرا فى الحق والدين وقوله انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار قال مجاهد اى جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم هم غيرها وكذا قال السدى وقال ابن زيد نزع الله من قلوبهم حب الدنيا وذكرها واخلصهم بحب الآخرة وذكرها والدار الجنة وكانوا يذكرون الناس الدار الآخرة والعمل لها قاله قتادة وقوله وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار اى لمن المختارين المجتبين فهم اخيار مختارون وقوله واذكر اسمعيل وذا الكفل وكل من الاخيار سبق اخبارهم فى سورة الانبياء وقوله هذا ذكر اى هذا فصل فيه ذكر لمن يتذكر يعنى القرآن و **ان للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الابواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف اتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ما له من نفاد** اخبر تعالى عن عباده السعداء ان لهم فى الآخرة حسن مآب وهو المرجع والمنقلب ثم فسره بقوله جنات عدن اى جنات اقامة مفتحة لهم الابواب اى اذا جاؤها فتحت لهم ابوابها وعن عبد الله ابن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة الاف باب عند كل باب خمسة الاف حبرة لا يدخله او لا يسكنه الا نبى او صديق او شهيد او امام عادل رواه ابن ابى حاتم وفى الباب احاديث كثيرة وقوله متكئين فيها اى متربعين متمكنين فيها على سرر تحت الحجال يدعون فيها بفاكهة كثيرة اى ايها طلبوا وجدوا وحضر كما ارادوا وشراب من اى انواعه شاؤا اتتهم به الخدام باكواب واباريق وكاس من معين وعندهم قاصرات الطرف اى عن غير ازواجهن لا يلتفتن الى غيرهم اتراب اى متساويات فى السن والعمر قاله ابن عباس وغيره هذا ما توعدون اى هذا الذى ذكرنا من صفة الجنة هى التى وعدها لعباده المتقين الذين يصيرون اليها بعد نشورهم وقيامهم من قبورهم وسلامتهم من النار ثم اخبر عن الجنة انه لا فراغ لها ولا انقضاء ولا زوال ولا انتهاء فقال ان هذا لرزقنا ما له من نفاد اى من انقطاع كقوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق وغيره من الآيات **هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم وغساق واخر من شكله ازواج هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار قالوا بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا فبئس القرار قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم الابصار ان ذلك لحق تخاصم اهل النار** لما ذكر تعالى مآل السعداء شرع فى بيان حال الاشقياء ومرجعهم فى دار معادهم فقال هذا اى الامر هذا وان للطاغين وهم الخارجون عن طاعة الله تعالى المخالفون لرسل الله لشر مآب اى لسوء منقلب ومرجع ثم فسره بقوله جهنم يصلونها اى يدخلونها فتغمرهم من جميع جوانبهم فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم وغساق اما الحميم فهو الحار الذى قد انتهى حره واما الغساق فهو ضده وهو البارد الذى لا يستطيع من شدة برده المولم ولهذا قال واخر من شكله ازواج اى واشياء من هذا القبيل الشى وضده يعاقبون بها وعن ابى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان دلوا من غساق يهراق فى الدنيا لانتن اهل الدنيا رواه

ومزدوجات او من كل زوجا
المزدوق من [illegible] الشدة والفظاعة
ازواج اجناس

گفته اند ان نبا عظیم سر حرات بعد مرگ وحساب وقیامت وآتش دوزخ [illegible] لو قرنت السموات والارض بهذه السياط التك لاقادت خاشعة فكيف وقد ضرب بها ابن آدم الموت والحساب والنار [illegible]

خداوند عالم از سوکان اخلاص می درخواهد بیکوید وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين مصطفی علیه السلم گفت اخلص العمل يجزك منه القليل

احمد والترمذي وقال كعب الاحبار غساق عين في جهنم يسيل اليها حمة كل ذات حمة من حية وعقرب وغير ذلك فيستنقع فيؤتى بالآدمي فيغمس فيها غمسة واحدة فيخرج وقد سقط جلده ولحمه في كعبيه وعقبيه ويجر لحمه كما يجر الرجل ثوبه وقوله وآخر من شكله ازواج قال الحسن من العذاب كالزمهرير والسموم وشرب الحميم واكل الزقوم والصعود والهوي الى غير ذلك من الاشياء المختلفة والمتضادة مما يعذبون به وقوله هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار هذا اخبار عن قيل اهل النار بعضهم لبعض كما دخلت امة لعنت اختها حتى بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون ويكفر بعضهم ببعض فتقول الطائفة التي تدخل قبل الاخرى اذا اقبلت التي تدخل بعدها مع الخزنة من الزبانية هذا فوج مقتحم اي داخل معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار اي لانهم من اهل جهنم قالوا بل انتم لا مرحبا بكم اي فتقول لهم الداخلون بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا اي انتم دعوتمونا الى ما افضى بنا الى هذا المصير فبئس القرار اي فبئس المنزل والمستقر قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار اي ضعف عليه من انواع العذاب في النار وقوله وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار هذا اخبار عن الكفار في النار انهم يفقدون رجالا كانوا يعتقدون انهم على الضلالة وهم المؤمنون في زعمهم قال مجاهد هذا قول ابي جهل يقول ما لي لا ارى بلالا وعمارا وصهيبا وفلانا وفلانا وهذا ضرب مثل والا فكل الكفار هذا حالهم يعتقدون ان المؤمنين يدخلون النار اتخذناهم سخريا اي في الدنيا ام زاغت عنهم الابصار يسلون انفسهم بالمحال يقولون او لعلهم معنا في جهنم ولكن لم يقع بصرنا عليهم فعند ذلك يعرفون انهم في الدرجات العاليات وقوله ان ذلك لحق تخاصم اهل النار اي هذا الذي اخبرناك به يا محمد من تخاصم اهل النار بعضهم في بعض ولعن بعضهم على بعض لحق لا مرية فيه ولا شك قل انما انا منذر وما من اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين امر تعالى رسوله عليه الصلوة والسلام ان يقول للكفار المكذبين له انما انا منذر لست كما تزعمون وما من اله الا الله الواحد القهار اي هو وحده قهر كل شيء وغلبه رب السموات والارض وما بينهما اي هو مالك جميع ذلك والمتصرف فيه العزيز الغفار اي غفار مع عزته وعظمته قل هو نبأ عظيم اي خبر عظيم وشان بليغ وهو ارسال الله اياي اليكم بالقرآن انتم عنه معرضون اي غافلون وقوله ما كان لي من علم اي لولا الوحي من اين كنت ادري واعلم باختلاف الملأ الاعلى يعني في شان آدم في امتناع ابليس من السجود له ومحاجته ربه في تفضيله عليه واما ما رواه احمد واكثر اصحاب السنن عن معاذ قال احتبس علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة عن صلوة الصبح حتى كدنا نترا اي قرن الشمس فخرج سريعا فثوب بالصلوة فصلى فتجوز في صلوته فلما سلم قال كما انتم فاقبل الينا فقال اني قمت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست في صلوتي حتى استثقلت فاذا انا بربي عز وجل في احسن صورة فقال يا محمد اتدري فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا ادري يا رب حتى اعادها ثلاثا قال فرايته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد انامله بين صدري فتجلى لي كل شيء وعرفت فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت في الكفارات قال وما الكفارات قلت نقل الاقدام الى الجماعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات واسباغ الوضوء عند الكريهات قال وما الدرجات قلت اطعام الطعام ولين الكلام والصلوة والناس نيام قال سل قلت اللهم اني اسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفر لي وترحمني واذا اردت بقوم فتنة فاقبضني اليك فتنة بقوم فتوفني غير مفتون واسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل

اي هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار اي دخل النار في صحبتكم وقرانكم والمراد بالفوج اتباعهم الذين اقتحموا معهم في الضلالة فيقتحمون معهم العذاب والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها

از جناب حضرت خطاب عزه آمد [illegible]

ابليس که از آتش بود [illegible] علیک لعنتی الی یوم الدین [illegible]

يقربني الى حبك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها حق فادرسوها وتعلموها فهو حديث المنام المشهور ومن جعله يقظة فقد غلط والحديث حسنه الترمذي وصححه وليس هذا الاختصام هو الاختصام المذكور في القرآن فان هذا قد فسر واما الاختصام الذي في القرآن فقد فسر بعد هذا وهو قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق اقول لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين قد ذكر الله تعالى هذه القصة في سورة البقرة وفي اول الاعراف وسورة الحجر وسورة سبحان وههنا وهي ان الله اعلم الملائكة قبل خلق آدم بانه سيخلق بشرا من صلصال من حمأ مسنون وتقدم اليهم بالامر متى فرغ من خلقه وسواه فليسجدوا له اكراما واعظاما واحتراما وامتثالا لامر الله تعالى فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى ابليس ولم يكن منهم جنسا بل كان من الجن فانف عن السجود لآدم وخاصم ربه فيه وادعى انه خير من آدم فانه مخلوق من نار وآدم من طين والنار في زعمه خير من الطين وقد اخطا في ذلك وخالف امر الله وكفر بذلك فابعده الله وارغم انفه فطرده من باب رحمته وسماه ابليس اعلاما بانه قد ابلس من الرحمة وانزله من السماء مذؤوما مدحورا الى الارض فسال النظرة والامهال الى يوم البعث فانظره الحليم الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى فتمرد وطغى وقال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وقوله قال فالحق والحق اقول قرأ بعضهم برفع الحق الاول على تقدير انا الحق او الحق مني واقول الحق وقرأ آخرون بنصبهما قال السدي هو قسم اقسم الله به اي فبالحق وهو الله فانتصب بنزع الخافض والثاني منصوب بايقاع الفعل عليه وهذه الآية كقوله تعالى ولكن حق القول مني الآية وكقوله تعالى قال اذهب فمن تبعك منهم الآية قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين ما اسألكم على هذا البلاغ وهذا النصح اجرا تعطونيه من عرض الحيوة الدنيا وما انا من المتكلفين اي وما اريد على ما ارسلني الله به ولا ابتغي زيادة عليه بل ما امرت به اديته لا ازيد عليه ولا انقص وانما ابتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة وفي الصحيحين ان ابن مسعود قال يا ايها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لا يعلم فليقل الله اعلم فان من العلم ان يقول الرجل لما لا يعلم الله اعلم فان الله تعالى قال لنبيكم صلى الله عليه وسلم قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين وقوله ان هو الا ذكر للعالمين يعني القرآن ذكر لجميع المكلفين من الانس والجن قاله ابن عباس قوله ولتعلمن نبأه اي خبره وصدقه بعد حين اي عن قريب قال قتادة اي بعد الموت وقيل يوم القيمة ولا منافاة بينهما فان من مات فقد دخل في حكم القيمة وقال الحسن يا ابن آدم عند الموت ياتيك الخبر اليقين تفسير سورة الزمر وهي مكية عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر رواه النسائي بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله

مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدى
من هو كاذب كفار لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله
الواحد القهار اخبر تعالى ان تنزيل هذا الكتاب وهو القرآن العظيم من عنده تبارك وتعالى فهو الحق الذى
لا مرية فيه ولا شك كما قال وانه لتنزيل رب العالمين الآية وقال ههنا تنزيل الكتاب من الله العزيز اى المنيع
الجناب الحكيم فى افعاله واقواله وشرعه وقدره انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين اى فاعبد الله
وحده لا شريك له وادع الخلق الى ذلك واعلمهم انه لا يصلح العبادة الا له وحده وانه ليس له شريك ولهذا قال الا لله
الدين الخالص اى لا يقبل من العمل الا ما اخلص فيه العامل لله وحده قال قتادة هى شهادة ان لا اله الا الله ثم اخبر
تعالى عن عبادة الاصنام انهم يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى اى انما يحملهم على عبادتهم لهم انهم عمدوا
الى اصنام اتخذوها على صور الملئكه المقربين فى زعمهم فعبدوا تلك الصور تنزيلا لها منزلة عبادتهم للملئكه ليشفعوا لهم
عند الله فى نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من امور الدنيا فاما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به قال قتادة وغيره اى
ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منزلة كما كانوا يقولون فى تلبيتهم اذا حجوا فى جاهليتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك
تملكه وما ملك وهذه الشبهة هى التى اعتمدها المشركون قديما وحديثا وجاءتهم الرسل بردها والنهى عنها والدعوة الى
افراد العبادة لله وحده لا شريك له وقوله ان الله يحكم بينهم اى يوم القيمة فيما هم فيه يختلفون اى سيفصل بين الخلائق
يوم معادهم ويجزى كل عامل بعمله وقوله ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار اى لا يرشد الى الهداية من قصد الكذب
والافتراء على الله وقوله كاذب كفار اى باياته وحججه وبراهينه ثم بين انه لا ولد له كما يزعمه جهلة المشركين فى الملئكه
والمعاندون من اليهود والنصارى فى العزير وعيسى فقال لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى اى لاختار واجتبى
مما يخلق ما يشاء يعنى لكان الامر على خلاف ما تزعمون وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه بل هو محال بل هو تجهيلهم فيما
ادعوه وزعموه كما قال لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين وقوله سبحانه هو الله الواحد القهار
اى تعالى وتنزه وتقدس عن ان يكون له ولد فانه الواحد الاحد الفرد الذى قد قهر الاشياء فدانت له خلق السموات
والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى
لاجل مسمى الا هو العزيز الغفار خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وانزل
لكم من الانعام ثمانية ازواج يخلقكم فى بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات
ثلث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون اخبر تعالى انه الخالق لما فى السموات والارض
وما بين ذلك من الاشياء وانه مالك الملك والمتصرف فيه يقلب ليله ونهاره يكور الليل على النهار اى سخرهما يجريان متعاقبين
لا يفتران كل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا وهذا عن ابن عباس وغيره وقوله وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى اى الى مدة
معلومة عند الله ثم ينقضى يوم القيمة الا هو العزيز الغفار اى مع عزته وعظمته هو غفار لمن عصاه ثم تاب واناب اليه
وقوله خلقكم من نفس واحدة اى خلقكم مع اختلاف اجناسكم واصنافكم والسنتكم والوانكم من نفس واحدة وهو آدم ثم
جعل منها زوجها يعنى حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج اى وخلق لكم من
ظهور الانعام ثمانية ازواج وهى المذكورة فى سورة الانعام وقوله يخلقكم فى بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق اى يكون احدكم

اى تنزيل الكتاب قرئ بالرفع على انه مبتدأ اخبر عنه بالظرف او خبر مبتدأ محذوف والجار صلة التنزيل اى تنزيل الكتاب من الله لا من

قال النبى صلى الله عليه وسلم من عمل لى عملا اشرك فيه غيرى فهو له كله وانا منه برى وانا اغنى الاغنياء عن الشرك وقال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله سبحانه عملا فيه مقدار ذرة من رياء

قيل المؤمن مثله كمثل الآس والمنافق مثله كمثل الورد فالآس يكون على حالة واحدة فى حال الحر والبرد واما الورد فيتغير حاله اذا اصابه الاذى
كذلك المؤمن يكون حاله عند الشدة وعند الرخاء
واحدا او يكون راضيا بما قسم الله تعالى له
ينعصى عند النعمة ويجزع عند الشدة
والمنافق لا

نطفة ثم يكون علقة ثم يكون مضغة ثم يكون لحما وعظما وعصبا وعروقا وينفخ فيه الروح فيصير خلقا آخر وقوله فى
ظلمات ثلث يعنى فى ظلمة الرحم وظلمة المشيمة التى هى كالغشاوة والوقاية على الولد وظلمة البطن هكذا عن ابن عباس وعن
واحد وقوله ذلكم الله ربكم اى هذا الذى خلق السموات والارض وما بينهما وخلقكم وخلق آباءكم هو الرب له الملك والتصرف
فى جميع ذلك لا اله الا هو اى الذى لا ينبغى العبادة الا له وحده فانى تصرفون اى فكيف تعبدون معه غيره اين ذهبت عقولكم
ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة
وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور واذا مس
الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل
لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار اخبر تعالى عن ذاته المقدس
بانه الغنى عما سواه من المخلوقات كما قال موسى ان تكفروا انتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى حميد وفى صحيح مسلم
يا عبادى لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا وقوله ولا يرضى لعباده الكفر
اى لا يحبه ولا يامر به وان تشكروا يرضه لكم اى يحبه منكم ويزدكم من فضله ولا تزر وازرة وزر اخرى اى لا تحمل نفس عن
نفس شيئا بل كل مطالب بامر نفسه ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه خافية وقوله
واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه اى عند الحاجة تضرع واستغاث بالله وحده لا شريك له ثم اذا خوله اى
اعطاه نعمة منه نسى ما كان يدعوا اليه من قبل اى فى حال الرفاهية ينسى ذلك الدعاء والتضرع وجعل لله اندادا يعنى
الاوثان ليضل عن سبيله اى ليزل غيره فيه قل اى لمن هذه حاله تمتع بكفرك قليلا اى فى الدنيا الى اجل وهذا تهديد
شديد انك من اصحاب النار تخالدا فيها امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو
رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب يعنى من هذه
صفته كمن اشرك بالله وجعل له اندادا لا يستوون عند الله كما قال ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات
الله آناء الليل وهم يسجدون وقال ههنا امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما اى فى حالى سجوده وقيامه ولهذا
استدل من ذهب الى ان القنوت والخشوع فى الصلوة ليس هو القيام وحده كما ذهب اليه آخرون قال ابن مسعود
القانت المطيع لله ولرسوله قال ابن عباس آناء الليل جوف الليل وقيل بين المغرب والعشاء وقيل اوله ووسطه وآخره
وقوله يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه اى فى حال عبادته خائف راج ولا بد فى العبادة من هذا وهذا وان يكون الخوف
فى مدة الحياة هو الغالب ولهذا قال يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه فاذا كان عند الاحتضار فليكن الرجاء هو
الغالب عليه كما قال انس دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل وهو فى الموت فقال له كيف تجدك قال ارجو الله يا رسول
الله واخاف ذنوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا اعطاه الله ما يرجو
وآمنه مما يخاف رواه احمد والترمذى والنسائى وقال ابن عمر هذه الآية ذاك عثمان رضى الله عنه وذلك لكثرة صلوته بالليل
وقراءته حتى انه ربما قرأ القرآن فى ركعة كما قال الشاعر ضحوا باشمط عنوان السجود به ۞ يقطع الليل تسبيحا وقرآنا ۞ وعن تميم
الدارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ بمائة آية فى ليلة كتب له قنوت ليلة رواه احمد والنسائى وقوله
قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون اى هل يستوى هذا والذى قبله ممن جعل لله اندادا ليضل عن سبيله انما
يتذكر اولوا الالباب اى انما يعلم الفرق بين هذا وهذا من له لب وهو العقل قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا

فكيف تعدلون عن عبادته الى عبادة غيره

القانت المقيم على الطاعة قال ابن عمر القنوت قراءة القرآن وطول القيام وآناء الليل ساعاته

قوله ويتبعون احسنه مثاله هذا الاحسن في الدين ان ولي الدم اذا طلب الدم فهو حسن فاذا عفا ورضي بالدية فهو احسن ومن جزى السيئة بالسيئة مثلها فهو حسن فان عفا واصلح فهو احسن فان وزن او كال فهو حسن فان ارجح فهو احسن فان اتزن وعدل فهو حسن وان لطف على نفسه فهو احسن فان رد السلام فقال وعليكم السلام فهو حسن فان قال وعليكم السلام ورحمة الله فهو احسن فان حج راكبا فهو حسن فان كان راجلا فهو احسن فان غسل اعضاءه في الوضوء مرة مرة فهو حسن فان غسلها ثلثا فهو احسن وان سجد او ركع ماكثا فهو جائز والمكث حسن وفعلهما متانيا فهو احسن [illegible]

ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنه وارض الله واسعه انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وامرت ان اكون اول
المسلمين امر تعالى عباده المؤمنين بالاستمرار على طاعته وتقواه بقوله يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم للذين
احسنوا في هذه الدنيا حسنه اي لمن احسن العمل في هذه الدنيا حسنه في دنياهم واخرتهم و قوله وارض الله واسعة
قال مجاهد فهاجروا فيها وجاهدوا واعتزلوا الاوثان قيل واذا دعيتم الى العصيان فاهربوا و قوله انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب اي ليس يوزن لهم ولا يكال انما يغرف لهم غرفا قال علي رضي الله عنه كل مطيع يكال له
كيلا و يوزن له وزنا الا الصابرون فانه يحثى عليهم حثيا و يروى ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب وقوله
قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين اي امرت باخلاص العبادة لله وحده وامرت ان اكون اول المسلمين قال
السدي يعني من امته صلى الله عليه وسلم قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل الله
اعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم
واهليهم يوم القيمة الا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن
تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون يعني قل يا محمد وانت رسول الله اني اخاف
ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وهو يوم القيمة هنا شرط معناه التعريض لغيره بطريق الاولى قل الله اعبد مخلصا
له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه وهنا ايضا تهديد وتبري منهم قل ان الخاسرين اي انما الخاسرون كل الخاسرين
الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة اي تفارقوا فلا التقاء لهم ابدا وسواء ذهب اهلوهم الى الجنة وهم
ذهبوا الى النار او دخلوا كلهم الى النار ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور الا ذلك هو الخسران المبين اي هذا هو
الخسران البين الظاهر الواضح ثم وصف حالهم في النار فقال لهم من فوقهم ظلل من النار اي اطباق سرادقات
منها ودخانها ومن تحتهم ظلل اي فراش ومهاد منها الى ان ينتهي الى القعر وسمي الاسفل ظللا لانها ظلل لمن
تحتهم كما قال لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين وقوله ذلك يخوف الله به عباده اي انما
نقص خبر هذا الكائن لا محالة ليخوف به عباده لينزجروا عن المحارم والمآثم وقوله يا عباد فاتقون اي اخشوا
بأسي وسطوتي وعذابي ونقمتي والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله
لهم البشرى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم
الله واولئك هم اولوا الالباب قال زيد بن اسلم نزلت هذه الاية في زيد بن عمرو بن نفيل وابي ذر و
سلمان الفارسي والصحيح انها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الاوثان واناب الى طاعة الرحمن فهؤلاء لهم
البشرى بالجنة في الدارين ثم قال فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اي يفهمونه ويعملون
بما فيه اولئك الذين هداهم الله اي المتصفون بهذه الصفة هم الذين هداهم الله في الدنيا والاخرة واولئك
هم اولوا الالباب اي ذوو العقول الصحيحة والفطر المستقيمة افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ
من في النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها
الانهار وعد الله لا يخلف الميعاد يعني امن كتب الله انه شقي هل تقدر ان تنقذه مما هو فيه من الضلال
والهلاك اي لا يهديه احد من بعد الله لانه من يضلل الله فلا هادي له ومن يهده فلا مضل له ثم اخبر عن عباده السعداء

وعن النبي صلى الله عليه وسلم ينصب الله الموازين يوم القيمة فيؤتى باهل الصلوة فيوفون اجورهم بالميزان ويؤتى باهل الصدقة فيوفون اجورهم بالميزان ويؤتى باهل الحج فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا تقرض بالمقاريض ما يذهب به اهل البلاء من الفضل

جملة شرطية دخل عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في اولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره اانت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه والهمزة الثانية هي الاولى كررت لتاكيد معنى الانكار ووضع من في النار موضع الضمير

ارادوا ان يكونوا نقادا في الدين يميزون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل [illegible]

قوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم

قوله تعالى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه يعني يستمعون القول من ابي بكر فيتبعون احسنه وهو قول لا اله الا الله
ودر اسلام عثمان رضي الله عنه روايت كرده اند اصحاب چنانكه عثمان مردي بود سخت زيبا روي نيكو قد خوش سخن شرمگين
حليمي و پيغمبري نيكو داشت ولكن بر جمال وي نبود دران عصر وزن نخواسته بود و رسول خدا دختري داشت رقيه نام و
عثمان ميخواست كه او را بزني كند اما پيش از وي عتبه بن ابي لهب بخواست و بوي دادند عثمان اندوهگين شد بخانه
ودر خانه مادر شد و خاله وي آنجا بود و خاله زني كاهنه بود گفت يا عثمان خبر داري كه يتيم ابوطالب چه ميگويد دين نو
آورده و كاري نو ساخته همي گويد كه من رسول خدايم نماز مي فرمايد و روزه و زكات و ديگر خيرات و پيوستن
با خويشان و قرابات عثمان گفت يا خاله مرا ازين سخن هيچ خبر نيست اما در دلم اين سخن جاي گرفت و اثري تمام كرد
عثمان گفت و مرا با ابوبكر دوستي بود بغايت برخاستم و نزديك وي شدم و اين سخن با وي گفتم كه چنين چيزي شنيدم
و در دل من اثر كرد ابوبكر بدانست كه از عالم غيب دري در دل وي گشادند و حلقه دل وي بجنبانيدند و او را براه
آوردند در نصيحت شد گفت يا عثمان تو مردي عاقل هشياري و نيك ميداني كه پرستش جماد به كار نزرگ نيست و نه موافق
عقل اگر تو رسول را ببيني اين كار بر تو روشن شود و چنان دانم كه اين بند گشاده گردد عثمان برخاست و رفت با مهتر
آن مهتر عالم و سيد ولد آدم صلوات الله عليه گفت چون چشمم بر وي افتاد مهر و محبت وي همه دلم بگرفت گويي شمعي در
سينه من بر افروختند و از كمين گاه غيب كمندي بينداختند رسول خدا را ديدار آن در چهره من پيدا شد گفت يا عثمان من فرستاده
الله ام و حق گزار و پيغام رسان او بتو و بهمه جهانيان بگو لا اله الا الله محمد رسول الله عثمان كلمه شهادت بگفت و رسول به
ايمان وي شاد گشت انگه بس روزگار بر نيامد كه رقيه از عتبه باز ستدند و بعثمان دادند گويي كه هر دو بودند
مردمان گفتند جمع الشمس والقمر ماه و آفتاب بر هم رسيدند روي عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مضطجعا في بيته كاشفا عن فخذيه او ساقيه فاستاذن ابوبكر فاذن له وهو على تلك الحال فتحدث ثم استاذن
عمر فاذن له وهو كذلك فتحدث ثم استاذن عثمان فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوى ثيابه فلما خرج قالت عائشة
دخل ابوبكر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك فقال
الا استحيي من رجل تستحيي منه الملائكة وقال لكل نبي رفيق ورفيقي في الجنة عثمان وعن انس لما امر رسول الله صلعم
ببيعة الرضوان كان عثمان رسول رسول الله الى مكة فبايع الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عثمان في حاجة الله
وحاجة رسوله فضرب باحدى يديه على الاخرى فكانت يد رسول الله لعثمان خير من ايديهم لانفسهم

ان لهم غرف في الجنه وهي القصور العاليه من فوقها غرف مبنيه اي طباق فوق طباق مبنيات محكمات مزخرفات عاليات وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنه لغرفا يرى بطونها من ظهورها وظهورها من بطونها فقال اعرابي يا رسول الله لمن هي قال لمن اطاب الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام رواه الترمذي وحسنه وفي الصحيحين عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنه يتراءون اهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الافق من المشرق او المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وقوله تجري من تحتها الانهار اي تسلك الانهار بين خلال ذلك كما شاءوا واين ارادوا وعد الله اي هذا الذي ذكرناه وعد وعده الله عباده المومنين ان الله لا يخلف الميعاد الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين اخبر تعالى ان اصل الماء في الارض من السماء فاذا نزل من السماء كمن في الارض ثم يصرفه تعالى في اجزاء الارض كما يشاء وينبعه عيونا ما بين صغار وكبار بحسب حكمته واحتياج الخلق اليها ولهذا قال فسلكه ينابيع في الارض قال ابن عباس وغير واحد ليس في الارض ماء الا نزل من السماء ولكن عروق في الارض تغيره وقال ابن جبير اصله من الثلج يعني انه يتراكم على الجبال فيسكن في قرارها فينبع العيون من اسافلها وقوله ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اي اشكاله وطعومه وروائحه ومنافعه ثم يهيج اي بعد نضارته وشبابه يكتهل ويتغير فتراه مصفرا قد خالطه اليبس ثم يجعله حطاما اي ثم يعود يابسا يتكسر ويتفتت ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب اي الذين يتذكرون بهذا ويتنبهون ويعتبرون ان الدنيا هكذا تكون خضرة نضرة حسناء ثم تعود عجوزا شوهاء والشاب يعود شيخا كبيرا وبعد ذلك ضعيفا وبعد ذلك كله الموت فالسعيد من كان حاله بعده الى خير وكثيرا ما يضرب الله مثل الحيوة الدنيا بماء انزل من السماء وينبت به زرعا وثمارا ثم يكون بعد ذلك حطاما في القرآن وقوله افمن شرح الله صدره للاسلام اي وسعه لقبول الحق فهو على نور من ربه اي هل يستوي هذا ومن هو قاسي القلب بعيد من الحق ولهذا قال فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اي فلا تلين عند ذكره ولا تخشع ولا تعي ولا تفهم اولئك في ضلال مبين قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة قلب وما غضب الله على قوم الا نزع منهم الرحمة الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد هذا مدح من الله تعالى لكتابه القرآن العظيم المنزل على رسوله الكريم قال تعالى الله الذي نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني قال مجاهد يعني القرآن كله متشابه مثاني قال قتاده الآية تشبه الآية والحرف يشبه الحرف وقال الضحاك مثاني ترديد القول ليفهموا عن ربهم اي تكون السورة فيها آية وفي اخرى تشبهها وقال ابن عباس القرآن يشبه بعضه بعضا ويرد بعضه على بعض وهو المراد بمثاني وقال ابن عيينة ان سياقات القرآن تارة يكون في معنى واحد فهذا من المتشابه وتارة يكون بذكر الشيء وضده كذكر المومنين ثم الكافرين وكصفة الجنة ثم

قوله لهم غرف الى قوله وعد الله اي يعني وعدهم الله

اي ذلكه ونظمه ينابيع عيونا ومسالك ومجاري كالعروق في الاجساد

من خضره وحمره وصفره وبياض وغير ذلك واصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها

لتذكيرا وتنبيها على انه لا بد من صانع حكيم وان ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال

انشرح صدره للاسلام وقبله كمن طبع على قلبه فهو حرج الصدر قاسي القلب

ملء قلوبهم قساوة

عن ابن مسعود ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا مله فقالوا حدثنا فانزل الله الله نزل احسن الحديث والقرآن احسن الحديث لكونه صدقا كله

متشابها مطلق في مشابهة بعضه بعضا فكان متناولا لتشابه معانيه في الصحة والاحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق وتناسب الفاظه وتناصفها في التخير والاصابة وتجاوب نظمه والمثاني جمع مثنى بمعنى مردد مكرر لما ثني من قصصه وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه

كان في مناجاة الله عز وجل موسى عليه السلام يا موسى لا تطول في الدنيا املك فيقسو قلبك والقلب القاسي مني بعيد وكن خلق الثياب جديد القلب تخفى على اهل الارض وتعرف في اهل السماء وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وان ابعد الناس من الله القلب القاسي

قوله افمن شرح الله صدره للاسلام بدانکه دل آدمی را چهار پرده است پرده اول صدر است و مستودع عهد اسلام لقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه پرده دوم قلب محل نور ایمان لقوله تعالى کتب في قلوبهم الایمان پرده سوم فواد سرا پرده مشاهده حق ما کذب الفواد ما رای چهارم شغاف است محل رحل عشق لقوله قد شغفها حبا این چهار پرده را با هر یکی خاصیتی است و از حق بهر یکی نظری رب العالمین چون خواهد که رهیده را به کمند لطف در راه دین خود کشد اول نظری کند بر صدر وی تا سینه وی از هواها و بدعتها پاک گردد و قدم وی بر جاده سنت مستقیم شود پس نظری کند به قلب وی تا از آلایش دنیا و اخلاق نکوهیده چون عجب و حسد و کبر و ریا و حرص و عداوت و رعونت پاک گردد و در راه ورع روان شود پس نظری کند بر فواد وی و اورا از علایق خلایق باز برد چشمه علم و حکمت در دل گشاید نور هدایت بر دل تابد پس نظری کند به شغاف وی او را از آب و گل باز برد قدم در کوی فنا نهد قوله فهو على نور من ربه نور بر سه قسم است یکی بر زبان یکی بر دل یکی در تن نور زبان توحید است و شهادت نور تن خدمت است و طاعت و نور دل شوق است و محبت نور زبان به جنت رساند فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري الایه نور تن به فردوس رساند لقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات کانت لهم جنات الفردوس نزلا نور دل به لقا و رویت رساند لقوله وجوه یومئذ ناضرة الى ربها ناظرة کسی که در دنیا این سه نور یافت بیم در دنیا او را از خلق دهند یکی هیبت تا از وی شکوه دارند یعنی آنکه از وی بیم دارند دوم حلاوت تا او را جویند یعنی آنکه با وی سببی دارند سوم محبت او را دوست دارند یعنی آنکه با وی نسبتی دارند قوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله بدانکه این قسوت دل از بسیاری معصیت خیزد و بسیاری معصیت از کثرت شهوات خیزد و کثرت شهوات از سیری شکم خیزد عائشه صدیقه رضی الله عنها گوید اول بدعتی که بعد از رسول خدای در میان خلق بوید آمد سیری بود لعنتها خود را سیری دادند تا شهوتها در وی و بر دین سر بر زد و سرکشی در گرفت ذو النون مصری گوید هرگز سیر نخوردم که نه معصیتی کردم تو سلیمان دارانی گوید هر آنکس که سیر خورد در وی شش خصلت بد آید از خصال بد یکی حلاوت عبادت نیابد دیگر حفظ وی در یاد داشت حکمت بد شود سوم از شفقت بر خلق محروم ماند پندارد که همه همچون وی سیرند چهارم شهوات بروی زور کند و زیادت شود پنجم عبادت و طاعت بر وی گران شود ششم چون مومنان گرد مسجد و محراب گردند وی همه گرد طهارت جای گردد و در خبرست از مصطفی علیه السلام که گفت که دلها خویش را زنده کردانید به اندک خوردن و پاک گردانید به گرسنگی تا صافی شود و نیکو شود و گفت هر که خویشتن را گرسنه دارد دل وی زیرک شود و اندیشه وی عظیم و قال النبي عليه السلام افضلكم عند الله اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله كل اكول نوم شروب كلوا واشربوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة

صفة الناد وما اشبه ذلك فهذا من المثانى كقوله ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم ونحو هذا من السياقات فان ذلك من المثانى اى فى معنيين اثنين واما اذا كان السياق كله فى معنى واحد فهو المتشابه وليس هذا من المتشابه المذكور فى قوله واخر متشابهات فان ذاك معنى آخر وقوله تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم هذه صفة الابرار عند سماع كلام الجبار لما يفهمون منه من الوعد والوعيد والتخويف والتهديد تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لما يرجون ويأملون من رحمته ولطفه والى بمعنى اللام قال بعضهم اذا ذكرت ايات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله واذا ذكرت آيات الرحمة لانت وسكنت قلوبهم كما قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب والمراد ان قلوبهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء وقوله ذلك هدى الله اى هذه صفة من هداه الله ومن كان على خلاف ذلك فهو ممن اضله الله ومن يضلل الله فما له من هاد

افمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فاتيهم العذاب من حيث لا يشعرون فاذاقهم الله الخزى فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون يعنى أفمن يجر على وجهه ويلقى فى النار منكوسا واول شئ منه تمسه النار وجهه فيقال له تقريعا ذوقوا ما كنتم تكسبون كمن ياتى آمنا يوم القيمة كما قال افمن يلقى فى النار خير ام من ياتى آمنا يوم القيمة فاكتفى فى هذه الآية باحد القسمين عن الآخر لوضوحه وقوله كذب الذين من قبلهم يعنى القرون الماضية المكذبة للرسل اهلكهم الله بذنوبهم وقوله فاذاقهم الله الخزى اى بما انزل بهم من العذاب فى الحيوة الدنيا والذى اعده الله لهم فى الآخرة من العذاب الشديد اعظم مما اصابهم فى الدنيا ولهذا قال ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون فليحذر المخاطبون من ذلك فانهم قد كذبوا اشرف الرسل وخاتم النبيين **ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون** يعنى ولقد بينا للناس فى هذا القرآن ضرب الامثال لكى يتعظوا ويتذكروا فان المثل يقرب المعنى الى الاذهان كما قال ضرب لكم مثلا من انفسكم اى تعلمونه من انفسكم وقوله قرآنا عربيا بلسان لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس بل هو بيان ووضوح وبرهان وانما انزله الله كذلك لعلهم يتقون اى لكى يحذروا ما فيه من الوعيد ويعملوا لما فيه من الوعد ثم قال ضرب الله مثلا رجلا مملوكا فيه شركاء متشاكسون اى متنازعون فى ذلك العبد المشترك بينهم ورجلا سلما لرجل اى خالصا لرجل لا شركة فيه لاحد غيره هل يستويان مثلا اى لا يستوى هذا وذاك وكذلك المشرك الذى يعبد آلهة مع الله والمؤمن المخلص الذى لا يعبد الا الله وحده لا شريك له فاين هذا من ذاك قال ابن عباس وغير واحد هذا مثل ضرب للمشرك والمخلص ولما كان هذا المثل ظاهرا جليا قال الحمد لله اى على اقامة الحجة بل اكثرهم لا يعلمون اى فلهذا يشركون بالله وقوله انك ميت وانهم ميتون اى ستنقلون من هذه الدار لا محالة وستجمعون عند الله فى الدار الآخرة وتختصمون فيما انتم فيه فى الدنيا من التوحيد والشرك بين يدى الله فيفصل بينكم ويفتح بالحق فينجى المؤمنين المخلصين ويعذب الكافرين الجاحدين واستشهد بهذه الآية الصديق رضى الله عنه عند موت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تحقق موته مع قوله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية ثم ان هذه الآية وان كان

افمن يتقى بوجهه سوء العذاب كمن امن العذاب فحذف الخبر كما حذف فى نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه ان الانسان اذا لقى مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب ان يقى بها وجهه لانه اعز اعضائه عليه والذى يلقى فى النار يلقى مغلولة يداه الى عنقه فلا يتهيأ له ان يتقى النار الا بوجهه الذى يتقى المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه

قوله غير ذى عوج اى مستقيما لا تخالف بعضه بعضا لان الشئ المعوج هو المختلف

انا لنخشى الله ولا نسقط قال ابن عمر ان الشيطان يدخل فى جوف احدهم ما كان هكذا صنع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

سياقها فى المؤمنين والكافرين وذكر الخصومة بينهم فى الدار الآخرة فانها شاملة لكل متنازعين فى الدنيا فانه تعاد عليهم الخصومة فى الآخرة وعن الزبير بن العوام رضى الله عنه لما قال نزلت هذه الآية ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون قال الزبير اى رسول الله اتكرر علينا ما كان بيننا فى الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى يؤدى الى كل ذى حق حقه قال الزبير والله ان الامر لشديد رواه احمد والترمذى وصححه وقال عليه الصلوة والسلام والذى نفسى بيده انه ليختصم حتى الشاتان فيما انتطحتا رواه احمد وقال ابن عباس يخاصم الصادق الكاذب والمظلوم الظالم والمهتدى الضال وقال ايضا يختصم الناس يوم القيمة حتى يختصم الروح مع الجسد فتقول الروح للجسد انت فعلت ويقول الجسد للروح انت امرت وانت سولت فيبعث الله ملكا يفصل بينهما فيقول لهما ان مثلكما كمثل رجل مقعد بصير وآخر ضرير فدخلا بستانا فقال المقعد للضرير انى ارى ههنا ثمارا ولكن لا اصل اليها فقال الضرير اركبنى فتناولها فركبه فتناولها فايهما المعتدى فيقولان كلاهما فيقول لهما الملك فانكما حكمتما على انفسكما يعنى ان الجسد للروح كالمطية وهو راكبه **فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه اليس فى جهنم مثوى للكافرين والذى جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم اسوء الذى عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذى كانوا يعملون** خاطب الله المشركين الذين افتروا على الله وجعلوا معه آلهة اخرى وادعوا ان الملئكة بنات الله وكذبوا بالحق اذ جاءهم على السنة الرسل فقال فمن اظلم ممن كذب على الله اى لا اظلم من هذا لانه جمع طرفى الباطل ورد الحق ولهذا وعدهم وقال اليس فى جهنم مثوى للكافرين وهم الجاحدون المكذبون ثم قال والذى جاء بالصدق وصدق به قال مجاهد وغيره الذى جاء بالصدق هو الرسول وصدق به اى المسلمون وقال السدى هو جبريل وصدق به يعنى محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس والذى جاء بالصدق من جاء بلا اله الا الله وصدق به يعنى رسول الله وقرأ الربيع بن انس الذين جاؤا بالصدق يعنى الانبياء وصدقوا به يعنى الاتباع وقال مجاهد والذى جاء بالصدق وصدق به اصحاب القرآن المؤمنون يجيئون يوم القيمة فيقولون هذا ما اعطيتمونا فعملنا فيه بما امرتمونا وقوله اولئك هم المتقون اى اتقوا الشرك لهم ما يشاؤن عند ربهم يعنى فى الجنة مهما طلبوا وجدوا ذلك جزاء المحسنين وقوله ليكفر الله عنهم اسوأ الذى عملوا فيسترها عليهم بالمغفرة ويجزيهم اجرهم قال مقاتل يجزيهم بالمحاسن من اعمالهم ولا يجزيهم بالمساوى **اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل اليس الله بعزيز ذى انتقام ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم** يعنى انه كاف لمن عبده وتوكل عليه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افلح من هدى الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به رواه الترمذى والنسائى وصححه وقرأ بعضهم عباده بالجمع ويخوفونك يعنى المشركين يخوفون الرسول ويتوعدونه بالاصنام التى يدعونها من دونه جهلا منهم وضلالا ولهذا قال ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل

بالذين من دونه

قوله اليس الله بكاف عبده مفسران گفتند این آیت دوبار از آسمان فرو آمد یکبار در حق مصطفی صلی الله علیه وسلم ویکبار در شان خالد بن ولید وروا باشد نزول یک آیت دوبار از آسمان چنانکه سوره فاتحه بیک قول از آن مثانی خوانند از بهر آنکه دوبار از آسمان فرو آمد یکبار به مکه و یکبار بمدینه [illegible]

قوله الله يتوفى الانفس النفس اسم للحركة الحسي ولكل انسان نفسان نفس حيوة ونفس يقظة يحيى باحدها ويستيقظ بالاخرى والتوفي على وجهين توفي النوم كقوله وهو الذي يتوفيكم بالليل وتوفي الموت كقوله قل يتوفيكم ملك الموت فالميت متوفى تفارقه نفس الحيوة عند الموت وانقضاء الاجل والنائم متوفى تفارقه نفس اليقظة والتمييز عند النوم ومعنى الاية الله يتوفى الانفس مرتين مرة حين موتها ومرة حين منامها فيمسك التي قضى عليها الموت فلا يردها الى الجسد ويرسل الاخرى يعني ويرد الاخرى التي لم تقض عليها الموت الى الجسد الى اجل مسمى الى ان يأتي وقت موته

اليس الله بعزيز اي بمنيع الجناب لا يضام من استند الى جنابه ولجأ الى بابه فانه العزيز الذي لا اعز منه ولا اشد
انتقاما منه ممن كفر به واشرك وعاند رسوله وقوله ولئن سالتهم من خلق السموت والارض ليقولن الله يعني
المشركين كانوا يعترفون بان الله هو الخالق للاشياء كلها ومع هذا يعبدون معه غيره مما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا
ولهذا قال قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر اي بشدة وبلاء هل هن اي الاصنام كاشفات ضره
او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته اي من نعمه وبركته نعم لا تستطيع شيئا من هذا ولا ذاك فلما نزلت الاية سالهم النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا فقال الله لنبيه قل حسبي الله اي الله كافي عليه توكلت وعليه يتوكل المتوكلون
وعن ابن عباس مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله رواه
ابن ابي حاتم وقوله قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اي على طريقتكم وهذا تهديد ووعيد اني عامل اي على طريقتي ومنهجي فسوف
تعلمون اي ستعلمون غب ذلك ووباله من ياتيه عذاب يخزيه اي في الدنيا ويحل عليه عذاب مقيم اي دائم مستمر لا زوال
له وذلك يوم القيمة انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما
يضل عليها وما انت عليهم بوكيل الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت
في منامها فيمسك التي قضى عليها ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان في ذلك لايات
لقوم يتفكرون يعني انا انزلنا عليك يا محمد القران لجميع الخلق بالحق لتنذرهم به فمن اهتدى فلنفسه اي فانما
يعود نفع ذلك الى نفسه ومن ضل فانما يضل عليها اي انما يرجع وبال ذلك الى نفسه وما انت عليهم بوكيل ان
تهتدوا انما انت نذير والله على كل شيء وكيل ثم اخبر تعالى عن نفسه الكريمة بانه المتصرف في الوجود بما يشاء وانه
يتوفى الانفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الابدان والوفاة الصغرى عند المنام
كما قال تعالى وهو الذي يتوفيكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار الى قوله وهم لا يفرطون فذكر الوفاتين الصغرى ثم الكبرى
وفي هذه الاية ذكر الكبرى ثم الصغرى ولهذا قال الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها اي التي تتوفى
عند المنام وهي النفس المميزة فيمسك التي قضى عليها الموت فلا يردها الى الجسد فان لكل انسان نفسين احدهما
نفس الحيوة وهي التي تفارقه عند الموت الى اجل مسمى اي الى وقت الاجل قيل للانسان نفس وروح فعند النوم
تخرج النفس وتبقى الروح وقال علي رضي الله عنه يخرج عنه الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد فبذلك
يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عاد الروح الى جسده باسرع من لحظة ويقال ان ارواح الاحياء والاموات تلتقي
في المنام فتتعارف ما شاء الله فاذا ارادت الرجوع الى اجسادها امسك الله التي قضى عليها الموت عنده ويرسل
ارواح الاحياء الى اجسادها الى انقضاء مدة حيوتها وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا اوى احدكم الى فراشه فلينفض فراشه بداخلة ازاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول باسمك ربي وضعت
جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسي فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين وقوله ان في ذلك
لايات لقوم يتفكرون اي لدلالات على قدرته حيث لم يغلط في امساك ما يمسكه من الارواح وارسال ما يرسل منها
ليتفكروا في امر البعث والنشور ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون
شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون
واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين

فيرد بها واليها والاخرى نفس التمييز وهي التي تفارقه اذا نام وهو بعده يتنفس
ويرسل الاخرى

التي بها النفس والروح

والحركة فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه

من دونه

ام اتخذوا اي بل اتخذوا [illegible]

[illegible]

من دونه اذا هم يستبشرون ذم الله المشركين في اتخاذهم شفعاء من دون الله وهم الاصنام والانداد
التي لا يملك شيئا من الامر وليس لها عقل ولا سمع ولا بصر بل هن جمادات اسوء حالا من الحيوان بكثير فقال قل يا محمد
لهؤلاء الزاعمين ان ما اتخذوه شفعاء لهم عند الله واخبرهم ان الشفاعة لا تشفع عند الله الا لمن ارتضاه واذن له
فمرجعها كلها اليه له ملك السموات والارض اي هو المتصرف في جميع ذلك ثم اليه ترجعون اي يوم القيمة فيحكم
بينكم بعدله ويجزي كلا بعمله ثم قال ذاما لهم ايضا واذا ذكر الله وحده اي قيل لا اله الا الله اشمازت قلوب الذين
لا يؤمنون بالاخرة اي انقبضت ونفرت واستكبرت عن المتابعة والانقياد لها فقلوبهم لا تقبل الخير ويقبل الشر
ولهذا قال واذا ذكر الذين من دونه اي من الاصنام والانداد اذا هم يستبشرون اي يفرحون ويسرون قل اللهم
فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه
يختلفون ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء
العذاب يوم القيمة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما كسبوا
وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون بعدما ذم الله تعالى المشركين في حبهم الشرك ونفرتهم عن التوحيد
قال قل اللهم فاطر السموات والارض اي ادع انت يا محمد الله الذي خلق السموات والارض وفطرها اي
جعلها على غير مثال سبق عالم الغيب والشهادة اي السر والعلانية انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اي
في دنياهم ستفصل بينهم يوم معادهم ونشورهم وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل
افتتح صلوته فقال اللهم رب جبرئيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم
بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم
رواه مسلم وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب
والشهادة اني اعهد اليك في هذه الدنيا اني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك
فانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا توفينيه
يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد الا قال الله لملائكته يوم القيمة ان عبدي قد عهد الي عهدا فاوفوه اياه فيدخله الله
الجنة تفرد به احمد وقوله ولو ان للذين ظلموا وهم المشركون ما في الارض جميعا ومثله معه اي لو ان جميع ملك الارض
وضعفه لهم لافتدوا به من سوء العذاب اي الذي اوجب الله لهم يوم القيمة ومع هذا لا يقبل منهم الفداء
ولو كان ملء الارض ذهبا وبدا لهم سيئات ما كسبوا اي وظهر لهم جزاء ما كسبوا في الدنيا من المحارم والماثم وحاق
بهم ما كانوا به يستهزءون اي واحاط بهم من العذاب والنكال ما كانوا به يستهزءون فاذا مس الانسان ضر
دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم عندي بل هي فتنة ولكن اكثرهم لا
يعلمون قد قالها الذين من قبلهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فاصابهم سيئات ما كسبوا
وما هم بمعجزين اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات
لقوم يؤمنون اخبر تعالى عن الانسان انه في حال الضراء يتضرع الى الله وينيب اليه ويدعوه واذا اعطاه
نعمة منه بغى وطغى وقال انما اوتيته على علم اي لما يعلم الله من استحقاقي له ولولا اني عند الله حظيظ لما خولني
هذا قال قتادة على علم اي على خير عندي قال تعالى بل هي فتنة اي ليس الامر كما زعم بل انما انعمنا عليه بهذه النعمة

اي اذا ذكروا الله بالذكر ولم يذكروا معه الهتهم
اشمأزوا اي نفروا وانقبضوا واذا ذكر الذين
من دونه وهم الالهة ذكر الله معهم او لم يذكر
استبشروا لافتتانهم بها ونسيانهم حق الله
الى ان يتجاوز [illegible] ولقد تقابلا الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية
في بابه لان الاستبشار ان يمتلي قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل
والاشمئزاز ان يمتلي غما وغيظا حتى يظهر الانقباض في اديم وجهه

وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون

تعرض عليهم حين يتم وكانت خافية عليهم

والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا

يعني بل تلك النعمة فتنة استدراج من الله تعالى وامتحان وبلية

اي على علم مني اني سأعطاه لما فيّ من فضل واستحقاق او على علم مني بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندي

[illegible]

[illegible]

لنختبره فيما انعمنا عليه ايطيع ام يعصي مع علمنا المتقدم بذلك فهي فتنة اي اختبار ولكن اكثر الناس لا يعلمون فلهذا يقولون ما يقولون ويدعون ما يدعون قد قالها الذين من قبلهم اى قد قال هذه المقاله وزعم هذا الزعم كثير ممن سلف من الامم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون اى فما صح قولهم ولا نفعهم جمعهم وما كانوا يكسبون فاصابهم سيات ما كسبوا والذين ظلموا من هولاء اى من المخاطبين سيصيبهم سيات ما كسبوا اى كما اصاب اولئك وما هم بمعجزين اي بفائتين فان مرجعهم الى الله وقوله اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي يوسعه على قوم ويضيقه على آخرين ان في ذلك لآيات اى عبرا وحججا لقوم يومنون قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين في هذه الايه دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم الى التوبه والانابه واخبار بان الله يغفر جميع الذنوب لمن تاب منها ورجع عنها وان كثرت وكان مثل زبد البحر ولا يصح حمل هذه على غير توبة لان الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه وفي الصحيحين عن ابن عباس ان ناسا من اهل الشرك كانوا قد قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا فاتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعو اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزل والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ونزل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله والمراد من الآيه الاولى قوله الا من تاب وآمن وعمل صالحا الايه وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما احب ان لي الدنيا وما فيها بهذه الايه يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الى اخر الايه فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال الا ومن اشرك ثلاث مرات تفرد به احمد كما تفرد بما رواه عمرو بن عبسة قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم شيخ كبير يدعم على عصا له فقال يا رسول الله ان لي غدرات وفجرات فهل يغفر لي قال الست تشهد ان لا اله الا الله قال بلى واشهد انك رسول الله فقال قد غفر لك غدراتك وفجراتك والاحاديث داله على انه يغفر جميع ذلك مع التوبه ولا يقنطن عبد من رحمة الله وان عظمت ذنوبه فان باب الرحمة والتوبة واسع قال تعالى الم يعلموا ان الله يقبل التوبه عن عباده ونحوه من الآيات الظاهرات قال ابن عباس في هذه الآيه فدعا الله الى مغفرته من زعم ان المسيح هو الله او ابن الله ومن زعم ان عزيرا ابن الله وان الله فقير وان يد الله مغلولة وان الله ثالث ثلاثة يقول الله لهولاء افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ثم دعا الى توبته من هو اعظم قولا من هولاء من قال انا ربكم الاعلى وقال ما علمت لكم من اله غيري ومن ايس العباد من التوبه بعد هذا فقد جحد كتاب الله ولكن لا يقدر العبد ان يتوب حتى يتوب الله عليه وعن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذي نفسي بيده لو اخطاتم حتى تملا خطاياكم ما بين السماء والارض ثم استغفرتم الله يغفر لكم والذي نفس محمد بيده لو لم تخطئوا لجاء الله بقوم يخطئون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم تفرد به احمد وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم

او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين او تقول

قال عطاء بن ابي رباح عن ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وحشي يدعوه الى الاسلام فارسل اليه كيف تدعوني الى دينك وانت تزعم انه من قتل او اشرك او زنى يلق اثاما يضاعف له العذاب وانا قد فعلت ذلك كله فانزل الله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقال وحشي هذا شرط شديد لعلي لا اقدر عليه فهل غير ذلك فانزل الله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال وحشي اراني بعد في شبهة فلا ادري يغفر لي ام لا فانزل الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقال وحشي نعم هذا فجاء واسلم قال المسلمون هذا له خاصة ام للمسلمين عامة

المراد بالاسراف ارتكاب الكبائر

رواه مسلم

رواه مسلم وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رجل لم يعمل خيرا قط لاهله وفي رواية اسرف رجل على نفسه فلما حضره الموت اوصى بنيه اذا مات فحرقوه ثم اذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه احدا من العالمين فلما مات فعلوا ما امرهم فامر الله البحر فجمع ما فيه وامر البر فجمع ما فيه ثم قال له لم فعلت هذا قال من خشيتك يا رب وانت اعلم فغفر له ثم استحث تعالى عباده الى المسارعة الى التوبة فقال وانيبوا الى ربكم واسلموا له اي ارجعوا الى الله واستسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون اى بادروا بالتوبه والعمل الصالح قبل حلول النقمه واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وهو القرآن العظيم من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون اى من حيث لا تعلموا ولا تشعروا ثم قال ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله اى يوم القيمه يتحسر المجرم المفرط في التوبه والانابه ويود لو كان من المحسنين المخلصين وقوله وان كنت لمن الساخرين اي انما كان في الدنيا على عمل ساخر مستهزئ غير موقن مصدق او تقول لو ان الله هداني الى قوله من المحسنين اى تود ان لو اعيد الى الدنيا ليحسن العمل قال ابن عباس اخبر سبحانه ما العباد قائلون قبل ان يقولوه وعملهم قبل ان يعملوه وقال ولا ينبئك مثل خبير ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله الى قوله من المحسنين فاخبر تعالى ان لو ردوا لما قدروا على الهدى كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل اهل النار يرى مقعده من الجنه فيقول لو ان الله هداني فيكون عليه حسرة قال وكل اهل الجنه يرى مقعده من النار فيقول لولا ان الله هداني قال فيكون له شكر رواه احمد والنسائي ولما تمنى اهل الجرائم العود الى الدنيا وتحسروا على تصديق ايات الله واتباع رسله قال تعالى بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين اى قد جاءتك ايها العبد النادم على ما كان منك اياتي في الدنيا وقامت حججي عليك وكذبت بها واستكبرت عن اتباعها وصرت من الجاحدين لها ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة اليس في جهنم مثوى للمتكبرين وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون اخبر تعالى عن يوم القيمه انه تسود فيه وجوه وتبيض فيه وجوه تسود وجوه اهل الفرقه والاختلاف وتبيض وجوه اهل السنه والجماعة فقوله ويوم القيمه ترى الذين كذبوا على الله اى في دعواهم له شريكا وولدا وجوههم مسودة اي بكذبهم وافترائهم وقوله اليس في جهنم مثوى للمتكبرين اى اليست جهنم كافية لهم سجنا وموئلا لهم فيها دار الخزي والهوان بسبب تجبرهم وابائهم عن الانقياد للحق عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحشر المتكبرون امثال الذر يوم القيمه في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون الى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الانيار يسقون من عصارة اهل النار طينة الخبال رواه الترمذي وقوله وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم اى بما سبق لهم من السعاده والفوز عند الله لا يمسهم السوء اى يوم القيمه ولا هم يحزنون اي ولا يحزنهم الفزع الاكبر بل هم آمنون من كل فزع مبعدون من كل شر مؤملون كل خير الله خالق كل شي وهو على كل شي وكيل له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين اخبر تعالى انه خالق الاشياء كلها وربها ومليكها والمتصرف فيها وكل تحت تدبيره وقهره وكلايته وقوله له مقاليد السموات والارض قال مجاهد وغيره هي المفاتيح بالفارسية وقال

[illegible]

الجنب الجانب يقال انا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجانب والجنب ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه والمعنى في طاعة الله وعبادة الله

قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها

وحكي ان كثيرا النصر على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر اي فرطت في حال سخريتي وروي انه كان في بني اسرائيل عالم ترك علمه وفسق فاتاه ابليس وقال له تمتع من الدنيا ثم تب فاطاعه وكان له مال فانفقه في الفجور فاتاه ملك الموت في الذ ما كان فقال يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان واسخطت ربي فندم حين لم ينفعه الندم فانزل الله عز وجل خبره في القرآن

بمفازتهم اي بنجاتهم يقال فاز بكذا اذا افلح وتفسير المفازة قوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون كانه قيل ما مفازتهم قيل لا يمسهم السوء اي ينجيهم بنفي السوء والحزن

قيل سال عثمان رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سالني عنها احد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شي قدير

وتاويله على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين اصابه

السدي اي خزائن السموات والارض والمعنى ان ازمة الامور بيده ولهذا قال والذين كفروا بايات الله اي بحججه و براهينه اولئك هم الخاسرون وقوله قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون وسبب نزولها ما قال ابن عباس ان المشركين بجهلهم دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبادة آلهتهم ويعبدوا معه الهه فنزلت قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون استفهام انكار ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك اي الذي عملته قبل الشرك ه هذا تنبيه وارشاد من الله لنبيه وتهديد لغيره وقيل الخطاب مع الرسول والمراد منه غيره كقوله ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون وقوله بل الله فاعبد وكن من الشاكرين اي اخلص العبادة لله وحده وكن انت ومن اتبعك مصدقا له من الشاكرين لالايه ونعمايه وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون يعني ما قدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره وهو العظيم الذي لا اعظم منه القادر على كل شي قال السدي اي ما عظموه حق عظمته قال ابن عباس هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم فمن آمن ان الله على كل شي قدير فقد قدر الله حق قدره ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره وقد وردت احاديث كثيرة على طبق هذه الآية في الصفات والطريق فيها وفي امثالها مذهب السلف وهو امرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف منها في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال جاء حبر من الاحبار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله تعالى يجعل السموات على اصبع والارضين على اصبع والشجر على اصبع والماء والثرى على اصبع وسائر الخلائق على اصبع فيقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة الآية ورواه احمد اكثر اهل السنن من وجوه وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله الارض ويطوي السماء بيمينه ويقول انا الملك اين ملوك الارض وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذ الله سمواته وارضيه بيده ويقول انا الملك ويقبض اصابعه ويبسطها ويقول انا الملك حتى نظرت الى المنبر يتحرك من اسفل شي منه حتى اني لاقول اساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وعن جبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفر من اصحابه اني قارئ عليكم آيات من آخر سورة الزمر من بكى منكم وجبت له الجنة فقراها من عند وما قدروا الله حق قدره الى آخر السورة فمنا من بكى ومنا من لم يبك فقال الذين لم يبكوا يا رسول الله جهدنا ان نبكي فلم نبك فقال اني سأقراها عليكم فمن لم يبك فليتباك حديث غريب رواه الطبراني ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون اخبر تعالى عن هول يوم القيمة وما فيه من الآيات والزلازل الهائلة بقوله ونفخ في الصور هذه هي النفخة الثانية وهي نفخة الصعق التي يموت بها الاحياء من اهل السموات والارض الا من شاء الله كما جاء مصرحا به مفسرا في حديث الصور المشهور ثم يقبض ارواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت وينفرد الحي القيوم كما كان اولا ويقول لمن الملك اليوم ثلث مرات فيجيب نفسه بنفسه لله الواحد القهار ثم يحيي اول من يحيي اسرافيل ويامره ان ينفخ في الصور اخرى وهي النفخة الثالثة نفخة البعث قال تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون اي احياء بعد ما كانوا عظاما ورفاتا صاروا احياء ينظرون الى

اهوال

فان قلت الموحى اليهم جماعة فكيف قال لئن اشركت على التوحيد قلت معناه اوحي اليك لئن اشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله فان قلت كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى ان رسله لا يشركون ولا يحبط اعمالهم قلت هو على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها لاغراض فكيف ما ليس بمحال الا ترى الى قوله ولو شاء لآمن من في الارض كلهم جميعا ولن يكون ذلك وامتناع كونه على خلاف العلم الازلي

في الكشاف يروى ان جبريل جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا القاسم ان الله تعالى يمسك السموات يوم القيمة على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال ثم قرا تصديقا له وما قدروا الله حق قدره

اهوال يوم القيمة كما قال تعالى فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فيمكث فيهم اربعين لا ادري اربعين يوما او شهرا او عاما فيبعث الله عيسى بن مريم كانه عروة ابن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث في الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الارض احد في قلبه مثقال ذرة من خير او ايمان الا قبضته حتى لو ان احدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه قال فيبقى شرار الناس في خفة الطير واحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول الا تستجيبون فيقولون فما تامرنا فيامرهم بعبادة الاوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه احد الا اصغى ليتا ورفع ليتا قال واول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله مطرا كانه الطل فتنبت منه اجساد الناس ثم ينفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون ثم يقال يا ايها الناس هلم الى ربكم وقفوهم انهم مسؤلون فيقال اخرجوا بعث النار فيقال من كم كم فيقال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين قال فذلك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق رواه مسلم وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا يا ابا هريرة اربعون يوما قال ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابيت قال اربعون سنة قال ابيت ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل قال وليس من الانسان شي يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيمة وفي مسند ابي يعلى الموصلي باسناد جيد عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل عن هذه الآية وقال من الذين لم يشاء الله ان يصعقهم قال هم الشهداء يتقلدون اسيافهم يطوفون حول العرش يتلقاهم ملائكة يوم القيمة الى المحشر بنجائب من ياقوت نمارقها الين من الحرير مد خطاها مد ابصار الرجال يسيرون في الجنة يقولون عند طول النزهة انطلقوا بنا الى ربنا لننظر كيف يقضي بين خلقه يضحك اليهم تعالى واذا ضحك الى عبد في موطن فلا حساب عليه وقوله واشرقت الارض بنور ربها اي اضاءت يوم القيمة اذا تجلى الحق تبارك وتعالى للخلائق لفصل القضاء ووضع الكتاب يعني كتاب الاعمال وجيء بالنبيين قال ابن عباس يشهدون على الامم بانهم بلغوهم رسالة الله اليهم والشهداء اي الشهداء من الملائكة الحفظة على اعمال العباد من خير وشر وقضي بينهم بالحق اي بالعدل وهم لا يظلمون كما قال تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة الآية ولهذا قال ووفيت كل نفس ما عملت اي من خير او شر وهو اعلم بما يفعلون فلا يحتاج الى كاتب ولا شاهد وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين اخبر تعالى عن حال الكفار كيف يساقون الى النار وانما يساقون سوقا عنيفا بزجر وتهديد كما قال تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا اي يدفعون اليها دفعا هذا وهم عطاش ظماء كما قال في اخرى يوم نحشر المجرمين الى جهنم وردا وهم في تلك الحال صم بكم عمي منهم من يمشي على وجهه ويحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما ماويهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا وقوله حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها اي بمجرد وصولهم اليها فتحت ابوابها سريعا ليعجل لهم العقوبة ثم يقول لهم خزنتها من الزبانية الذين هم غلاظ الاخلاق شداد القوى على وجه التقريع والتوبيخ والتنكيل الم ياتكم رسل منكم اي من جنسكم يتمكنون

من مخاطبتهم والاخذ عنهم يتلون عليكم ايات ربكم اى يقيمون عليكم الحجج والبرهان على صحة دعوتكم اليه وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي ويحذرونكم من شر هذا اليوم فيقول الكفار لهم بلى اى قد جاؤنا وانذرونا واقاموا الحجج والبراهين ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين اي ولكن كذبناهم وخالفناهم لما سبق لنا من الشقوة التى كنا نستحقها حيث عدلنا عن الحق الى الباطل كما قال تعالى كلما القى فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير الى قوله فى اصحاب السعير وقوله ههنا ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها اى كل من رآهم وعرف حالهم تشهد عليهم بانهم مستحقون للعذاب ولهذا لم يسند هذا القول الى قائل معين خالدين اى ماكثين فيها لا خروج لكم منها ولا زوال لكم عنها فبئس مثوى المتكبرين اى فبئس المصير وبئس المقيل لكم بسبب تكبركم فى الدنيا وابائكم عن اتباع الحق وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين هذا اخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفدا الى الجنة زمرا اى جماعة بعد جماعة المقربون ثم الابرار ثم الذين يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم الانبياء مع الانبياء والصديقون مع اشكالهم والشهداء مع اضرابهم والعلماء مع اقرانهم كل زمرة تناسب بعضها بعضا حتى اذا جاؤها اى وصلوا الى ابواب الجنة بعد مجاوزة الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فاقتص لهم مظالم كانت بينهم حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم فى دخول الجنة وقد جاء فى حديث الصور ان المؤمنين اذا انتهوا الى ابواب الجنة تشاوروا فيمن يستاذن لهم فى الدخول فيقصدون آدم ثم نوحا ثم ابرهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمدا صلى الله عليه وعليهم اجمعين كما فعلوا فى العرصات عند استشفاعهم الى الله ان ياتى لفصل القضاء ليظهر شرف محمد صلى الله عليه وسلم على سائر البشر فى المواطن كلها عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول شفيع فى الجنة وفى رواية انا اول من يقرع باب الجنة رواه مسلم وعنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتى باب الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد قال فيقول بك امرت ان لا افتح لاحد قبلك رواه مسلم وفى الصحيحين عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون فيها ولا يتغوطون فيها آنيتهم وامشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم من الالوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا والسياق لاحمد وفى الباب احاديث كثيرة مشهورة وقوله حتى اذا جاؤها وما عطف عليه منوى الجواب تقديره حتى اذا جاؤها وكانت هذه الامور من فتح الابواب لهم وتلقيهم الملئكة بالبشارة والسلام والتعظيم سعدوا وفازوا وسروا وفرحوا بقدر كل ما يكون لهم فيه نعيم ليذهب الذهن كل مذهب فى الرجاء والامل وقد ورد فى الصحيح ان للجنة ثمانية ابواب كما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد يتوضأ فيبلغ او فيسبغ الوضوء ثم يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء رواه مسلم وفيهما عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجنة ثمانية ابواب منها باب يسمى الريان لا يدخله الا الصائمون وفى الصحيحين ايضا فى سعة ابواب الجنة عن ابى هريرة وفى حديث الشفاعة يقول الله يا محمد ادخل من لا حساب عليه من امتك من الباب

علم

قوله حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها قال الكوفيون
هذه الواو زائدة حتى يكون جوابا لقوله حتى اذا
جاؤها كما فى سوق الكفار وهذا كما قال الله تعالى
ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء
اى ضياء والواو زائدة وقيل الواو واو الحال
مجازه وقد فتحت ابوابها فادخل الواو لبيان
انها كانت مفتحة
قبل مجيئهم وحذفها
فى الآية الاولى لبيان
انها كانت قبل مجيئهم
معالم

حبسوا

الاولين

الاولين وهم شركاء الناس فى الابواب الاخرى والذى نفس محمد بيده ان ما بين المصراعين من مصاريع الجنة ما بين عضادتى الباب لكما بين مكة وهجر وفى رواية مكة وبصرى وعن ابى سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بين مصراعين فى الجنة كمسيرة اربعين سنة رواه احمد وقوله وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم اى طابت اعمالكم واقوالكم وطاب سعيكم وطاب جزاؤكم كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينادى بين المسلمين فى بعض الغزوات ان الجنة لا يدخلها الا نفس مسلمة وفى رواية مؤمنة وقولهم فادخلوها خالدين اي ماكثين فيها ابدا وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده اي يقول المؤمنون اذا عاينوا فى الجنة ذلك الثواب الوافر والنعيم المقيم الحمد لله الذى صدقنا وعده اى الذى وعدنا على السنة رسله الكرام كما دعوا فى الدنيا ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك الآية وقوله واورثنا الارض قال ابو العالية وغير واحد اي ارض الجنة ولهذا قالوا نتبوأ من الجنة حيث نشاء اى اين شئنا حللنا فنعم الاجر اجرنا على عملنا وفى الصحيحين فى قصة المعراج قال النبى صلى الله عليه وسلم ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك وعن ابى سعيد ان ابن صياد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص رواه مسلم وعن على رضى الله عنه فى هذه الآية قال سيقوا حتى انتهوا الى باب من ابواب الجنة وجدوا عندها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان فعمدوا الى احديهما فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تغير ابشارهم بعدها ابدا ولم تشعث اشعارهم بعدها ابدا كانما ادهنوا بالدهان ثم عمدوا الى الاخرى كانما امروا بها فشربوا منها فاذهبت ما كان فى بطونهم من اذى او قذى وتلقتهم الملئكة على باب الجنة سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وتلقى كل غلمان صاحبهم يطوفون فعل الولدان بالحميم جاء من الغيبة ابشر قد اعد الله لك من الكرامة كذا وكذا قال وينطلق غلام من غلمانه الى ازواجه من الحور العين فيقول هذا فلان باسمه فى الدنيا فيقلن انت رايته فيقول نعم فيستخفهن الفرح حتى تخرج الى اسكفة الباب قال فيجئ فاذا هو بنمارق مصفوفة واكواب موضوعة وزرابى مبثوثة قال ثم ينظر الى تاسيس بنيانه فاذا هو قد اسس على جندل اللؤلؤ بين احمر واخضر واصفر وابيض ومن كل لون ثم يرفع طرفه الى سقفه فلولا ان الله قدره له لالم ان يذهب بصره انه لمثل البرق ثم ينظر الى ازواجه من الحور العين ثم يتكئ على اريكته ثم يقول الحمد لله الذى هدانا لهذا الآية رواه ابن ابى حاتم وترى الملئكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين لما بين الله تعالى حكمه واهل الجنة والنار وانه نزل كلا فى المحل الذى يليق به ويصلح له وهو العادل فى ذلك اخبر عن ملئكته انهم محدقون من حول عرشه المجيد يسبحون بحمد ربهم ويمجدونه ويقدسونه وينزهونه عن النقائص والجور وقد فصل القضية وقضى الامر وحكم بالعدل ولهذا قال وقضى بينهم اي بين الخلائق بالحق ثم قال وقيل الحمد لله رب العالمين اي ونطق الكون اجمعه ناطقه وبهيمه لله رب العالمين بالحمد فى حكمه وعدله ولهذا لم يسند القول الى قائل معين بل اطلقه ليدل على ان جميع المخلوقات شهدت له بالحمد قال قتادة افتتح الخلق بالحمد فى قوله الحمد لله الذى خلق السموات والارض واختتم بالحمد فى قوله وقيل الحمد لله رب العالمين تفسير سورة المؤمن وهى مكية قال محمد بن سيرين وغيره لا يقال الحواميم وانما يقال آل حم قال ابن مسعود آل حم ديباج القرآن وقال ابن عباس ان لكل شئ لبابا ولباب القرآن آل حم او قال الحواميم وقال ابن مسعود اذا وقعت فى آل حم فقد وقعت فى روضات اتانق فيهن

عن ابى هريرة رضى الله عنه

اتانق فى الروضة
اذا وقع فيها
معجبا بها

وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حم المؤمن الى اليه المصير وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي ومن قرابهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح رواه الدارمي والترمذي وغيره وفي رواية من قرا آية الكرسي واول حم المؤمن عصم ذلك اليوم من كل سوء رواه الترمذي وابو بكر البزار بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير سبق البحث عن حروف اوائل السور في اول سورة البقرة وقد قيل ان حم اسم من اسماء الله تعالى وانشدوا في ذلك يذكرني حم والرمح شاجر فهلا تلا حم قبل التقدم وعن المهلب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان بيتكم العدو فليكن شعاركم حم لا ينصرون واختار ابو عبيدة لا ينصروا ابا الجزم اى قلتم ذلك لا ينصروا وقوله تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم اى تنزيل هذا الكتاب وهو القرآن من الله ذي العزة والعلم فلا يرام جنابه ولا يخفى عليه الذر وان تكاثف حجابه وقوله غافر الذنب وقابل التوب اي يغفر ما سلف من الذنب ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب اليه وقوله شديد العقاب اي لمن تمرد وطغى وآثر الحيوة الدنيا وهذه كقوله نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم فانه تعالى قرن هذين الوصفين كثيرا في مواضع القرآن ابقاء للعبد بين الخوف والرجاء وقوله ذي الطول قال ابن عباس يعني السعة والغنى والخير الكثير وقال عكرمة اي ذي المن وقيل ذي النعم والفواضل والمعنى انه المتفضل على عباده المتطول عليهم بما هم فيه من المنن والانعام التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقوله لا اله الا هو اي لا نظير له في جميع صفاته فلا اله غيره ولا رب سواه اليه المصير اى المرجع والمآب فيجازي كل عامل بعمله وهو سريع الحساب روى انه جاء رجل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال يا امير المؤمنين انى قتلت فهل لي من توبة فقرا عليه حم تنزيل الكتاب الى اليه المصير وقال اعمل ولا تيأس رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وقال ثابت البناني دخلت حائطا في سواد الكوفة اصلي ركعتين فافتتحت حم المؤمن حتى بلغت لا اله الا هو اليه المصير فاذا رجل خلفي على بغلة شهباء عليه مقطعات يمنية فقال اذا قلت غافر الذنب فقل يا غافر الذنب اغفر لي ذنبي واذا قلت قابل التوب فقل يا قابل التوب اقبل توبتي واذا قلت شديد العقاب فقل يا شديد العقاب لا تعاقبني قال فالتفت فلم ار احدا فخرجت الى الباب فقلت هل مر بكم رجل عليه مقطعات يمنية قالوا ما رأينا احدا فكانوا يرون انه الياس ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار يعني ما يدفع الحق ويجادل فيه بعد البيان وظهور البرهان الا الذين كفروا اى الجاحدون لآيات الله وحججه وبراهينه فلا يغررك تقلبهم في البلاد اي ترددهم وتصرفهم في اموالها ونعيمها وسلامتهم فيها مع كفرهم فان عاقبة امرهم العذاب كما قال لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الآية قال مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه بان له اسوة من سلف من الانبياء فانهم قد كذبتهم اممهم وخالفوهم وما آمن بهم منهم الا قليل فقال كذبت قبلهم قوم نوح وهو اول رسول بعثه الله ينهى عن عبادة الاوثان والاحزاب من بعدهم

ان ما خاصم [illegible] الا الكفر

وان عاقبة امرهم [illegible] وعاقبة الزوال ودراية شقاوة الابد

يعني الكفار الذين تحزبوا على انبيائهم بالتكذيب من بعد قوم نوح اي من

[illegible]

٤٣٢

الذين يحملون العرش ومن حوله حملة العرش والطائفون به وهم الكروبيون وهم سادة الملئكة قال ابن عباس حملة العرش ما بين كعب احدهم الى اسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام ويروى ان اقدامهم في تخوم الارضين والارضون والسموات الى حجزهم وهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت سبحان ذي الملك والملكوت سبحان الحي الذي لا يموت سبوح قدوس رب الملئكة والروح وقال ميسرة بن عبيدة ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم اشد خوفا من اهل السماء السابعة واهل السماء السابعة اشد خوفا من اهل التي تليها وقال مجاهد بين الملئكة والعرش سبعون حجابا من نور وروى محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لي ان احدث عن ملك من حملة العرش ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام وروى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده انه قال ان بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع ثلثين الف عام والعرش يكسى كل يوم سبعين الف لون من النور لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله والاشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة وقال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون الف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة وقال وهب بن منبه ان حول العرش سبعون الف صف من الملئكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويقبل هؤلاء فاذا استقبل بعضهم بعضا هلل هؤلاء وكبر هؤلاء ومن ورائهم سبعون الف صف قيام ايديهم الى اعناقهم قد وضعوها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير هؤلاء وتهليلهم رفعوا اصواتهم فقالوا سبحانك وبحمدك ما اعظمك واجلك انت الله لا اله غيرك انت الاكبر الخلق كلهم لك راجعون ومن وراء هؤلاء مائة الف صف من الملئكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم احد الا وهو يسبح بتحميد لا يسبحه الآخر ما بين جناحي احدهم مسيرة ثلثمائة عام وما بين شحمة اذنه الى عاتقه اربعمائة عام واحتجب الله من الملئكة الذين حول العرش بسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من در وسبعين حجابا من ياقوت وسبعين حجابا من زبرجد اخضر وسبعين حجابا من ثلج وسبعين حجابا من ماء وسبعين حجابا من برد لا يعلم الا الله قال ولكل واحد من حملة العرش ومن حوله اربعة وجوه وجه ثور ووجه اسد ووجه نسر ووجه انسان ولكل واحد منهم اربعة اجنحة اما جناحان فعلى وجهه مخافة ان ينظر الى العرش فيصعق واما جناحان فيهفو بهما ليس لهم كلام الا التسبيح والتحميد والتكبير والتمجيد معالم

[illegible]

اي من كل امة برسولهم ليأخذوه اي حرصوا على قتله بكل ممكن ومنهم من قتل رسوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق اي كابروا وعارضوا بالشبه ليردوا الحق الواضح الجلي وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اعان باطلا ليدحض بباطله حقا فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله رواه الطبراني وقوله فاخذتهم اى فاهلكتهم على ما صنعوا من هذه الآثام والذنوب العظام فكيف كان عقاب اي فكيف بلغك عذابي لهم ونكالي بهم قال قتادة كان شديدا والله وقوله وكذلك حقت كلمة ربك اي كما حقت ووجبت كلمة العذاب على الذين كفروا من الامم السالفة كذلك حقت على المكذبين من هؤلاء الذين كذبوك وخالفوك يا محمد بطريق الاولى لان من كذبك فلا وثوق له بتصديق غيرك الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم اخبر تعالى عن الملئكة المقربين من حملة العرش الاربعة ومن حوله من الكروبيين بانهم يسبحون بحمد ربهم اى يقرنون بين التسبيح الدال على نفي النقائص والتحميد المقتضي لاثبات صفات المدح ويؤمنون به اى خاشعون له اذلاء بين يديه وانهم يستغفرون للذين آمنوا اى من اهل الارض ممن آمن بالغيب فقيض الله سبحانه ملئكته المقربين ان يدعوا للمؤمنين بظهر الغيب كما في صحيح مسلم اذا دعا المسلم لاخيه بظهر الغيب قالت الملئكة آمين ولك بمثل ثم ان حملة العرش اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة كانوا ثمانية كما قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وقال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك ولهذا يقولون اذا استغفروا للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما اى رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم وعلمك محيط بجميع اعمالهم واقوالهم وحركاتهم وسكناتهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك اى فاصفح عن المسيئين اذا تابوا وانابوا واقلعوا عما كانوا فيه واتبعوا ما امرتهم به من فعل الخيرات وترك المنكرات وقهم عذاب الجحيم اي واحفظهم عن عذاب جهنم وهو العذاب الموجع الاليم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم اي اجمع بينهم وبينهم لتقر بذلك اعينهم بالاجتماع في منازل متجاورة قال سعيد بن جبير ان المؤمن اذا دخل الجنة سال عن ابيه وابنه واخيه اين هم فيقال انهم لم يبلغوا طبقتك في العمل فيقول انى انما عملت لي ولهم فيلحقون به في الدرجة ثم تلا سعيد ربنا وادخلهم جنات عدن الآية وقال مطرف بن عبد الله انصح عباد الله للمؤمنين الملئكة ثم تلا هذه الآية واغش عباده للمؤمنين الشياطين وقوله انك انت العزيز الحكيم اى الذي لا يمانع ولا يغالب وما شاء كان وما لم يشا لم يكن الحكيم في اقوالك وافعالك من شرعك وقدرك وقهم السيئات اي فعلها او وبالها ممن وقعت منه ومن تق السيئات يومئذ اي يوم القيمة فقد رحمته اي لطفت به ونجيته من العقوبة وذلك هو الفوز العظيم ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به

اي الحكيم الذي لا يفعل الا ما فيه حكمه ومن حكمه [illegible] ان ينبغي [illegible]

اي لا يحارب ولا يقاتل ه

السيئات هي الصغائر والكبائر المترتب عليها والوقاية منها التكفير او بقبول التوبة

فان قلت فما الفائدة في استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون موعودون المغفرة والله لا يخلف الميعاد قلت هي كالشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب

فالحكم لله العلي الكبير هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر
الا من ينيب فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون اخبر تعالى عن الكفار انهم
ينادون يوم القيمه وهم في غمرات النيران يحترقون وذلك عندما باشروا من عذاب الله ما لا قبل لاحد به فمقتوا عند
ذلك انفسهم بسبب ما اسلفوه من الاعمال السيئه فاخبرتهم الملكه اخبارا عاليا بان مقت الله لهم في الدنيا بانهم
عن الايمان واصرارهم على كفرهم اشد من مقتكم ايها المعذبون انفسكم اليوم في هذه الحاله كما قال قتاده وغير واحد لمقت
الله اهل الضلاله حين عرض عليهم الايمان في الدنيا فتركوه وابوا ان يقبلوا ذلك اكبر مما مقتوا انفسهم حين
عاينوا العذاب يوم القيمه وقوله قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين قال ابن مسعود هذه الآيه كقوله تعالى
كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون وهكذا عن ابن عباس وكثيرين وهو الصواب
الذي لا شك فيه وقال السدي اميتوا في الدنيا ثم احيوا في قبورهم فخوطبوا ثم اميتوا ثم احيوا يوم القيمه وقال ابن زيد
احيوا حين اخذ عليهم الميثاق من صلب آدم ثم خلقهم في الارحام ثم اماتهم ثم احياهم يوم القيمه ويلزم
من هذين القولين ثلث احياآت واماتات والصحيح ما سبق عن ابن مسعود والمراد ان الكفار يسئلون الرجعه
وهم وقوف بين يدي الله تعالى في العرصات كما قال ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم الآيه فلا
يجابون ثم اذا رأوا النار وعاينوها ووقفوا عليها متحيرين سالوا الرجعه اشد مما سالوا اول مرة فلا يجابون
قال تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد الى قوله لكاذبون فاذا دخلوا النار ووقعوا في اشد
العذاب كان سؤالهم للرجعه اشد واعظم وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا الى قوله ولا تكلمون وفي
هذه الآيه قدموا بين يدي كلامهم مقدمه وهي قولهم ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين اي قدرتك عظيمه
فانك احييتنا بعد ما كنا امواتا ثم امتنا ثم احييتنا فانت قادر على ما تشاء وقد اعترفنا بذنوبنا وانا كنا ظالمين
لانفسنا في الدنيا فهل الى خروج من سبيل اي فهل انت مجيبنا الى ان تعيدنا الى الدنيا فانك قادر على ذلك لنعمل
غير الذي كنا نعمل فاجيبوا ان لا سبيل الى عودكم ومرجعكم الى الدنيا ثم علل المنع من ذلك بان سجاياكم لا تقبل الحق
ولا تقتضيه بل تمجه وتنفيه ولهذا قال ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم اي انتم هكذا تكونون وان رددتم الى دار
الدنيا كما قال تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقوله فالحكم لله العلي الكبير اي هو الحاكم في خلقه العادل الذي لا يجور
فيفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وقوله هو الذي يريكم آياته اي يظهر قدرته لخلقه ما يشاهدونه في خلقه العلوي والسفلي من
الآيات الداله على كمال خالقها ومنشئها وينزل لكم من السماء رزقا وهو المطر الذي يخرج به من الزروع والثمار ما هو
مشاهد بالحس من اختلاف الوانه وطعومه وروائحه واشكاله وهو ماء واحد فبالقدرة العظيمه فاوت بين هذه الاشياء
وما يتذكر الا من ينيب اي وما يعتبر وما يتفكر في هذه الاشياء ويستدل بها على عظمة خالقها الا من هو بصير منيب
الى الله وقوله فادعوا الله مخلصين اي فاخلصوا لله وحده العباده والدعاء وخالفوا المشركين في مسلكهم ومذهبهم
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابه واعلموا ان الله لا يستجيب
الدعاء من قلب غافل لاه رواه الترمذي وابن ابي حاتم رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من
امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله
منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله

سريع الحساب

المقت اشد الغضب

اي الى نوع من الخروج سريع او بطيء من سبيل قط ام اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وانما يقولون ذلك تعللا وتحيرا

اي سئلوا عن التوحيد

اي المطر الذي سبب الارزاق

يريكم آياته من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها والرزق المطر لانه سببه

ولو كره الكافرون
غاظ ذلك
اعداءكم ممن ليس
على دينكم

رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح ثلثة اخبار لقوله هو
مترتبة على قوله هو الذي يريكم آياته او اخبار مبتدا محذوف
وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا ورفيع الدرجات كقوله ذي المعارج وهي مصاعد
الملائكة الى ان تبلغ العرش وهو دليل على عزته وملكوته وعن ابن جبير سماء فوق
سماء والارض فوقهن ويجوز ان يكون عبارة عن رفعة شانه وعلو سلطانه كما ان
ذا العرش عبارة عن ملكه كشاف

سريع الحساب اخبر تعالى عن عظمته وكبريائه وارتفاع عرشه العظيم العالي على جميع مخلوقاته كالسقف لها وقد ذكر
غير واحد ان العرش من ياقوته حمراء اتساع ما بين قطريه مسيرة خمسين الف سنه وارتفاعه عن الارض السابعه مسيرة
خمسين الف سنه وقوله يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده هو كقوله ينزل الملائكه بالروح من امره على من يشاء من
عباده قيل الوحي سماه روحا لما يحيي به القلوب وقال ابن عباس من امره اي من قضائه ولهذا قال لينذر يوم التلاق
وهو اسم من اسماء يوم القيمه حذر منه عباده اي يلتقي فيه آدم وآخر ولده وقال ابن زيد يلتقي فيه العباد وقال
ابن عيينه وغيره يلتقي فيه اهل السماء والارض والخالق والخلق والظالم والمظلوم وسيلقى كل عامل ما عمل من خير
وشر وقوله يوم هم بارزون اي خارجون من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شيء لا يخفى على الله منهم شيء اي الجميع في
علمه على السواء وقوله لمن الملك اليوم قد سبق في الحديث انه تعالى يطوي السماء والارض بيده ثم يقول انا الملك
انا الجبار انا المتكبر اين ملوك الارض اين الجبارون اين المتكبرون وفي حديث الصور انه تعالى اذا قبض الله ارواح
جميع خلقه فلم يبق سواه وحده لا شريك له حينئذ يقول لمن الملك اليوم ثلاث مرات ثم يجيب نفسه قائلا لله الواحد
القهار اي الذي هو وحده قد قهر كل شيء وغلبه وقوله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت اخبر تعالى عن عدله في حكمه بين خلقه
انه لا يظلم مثقال ذره من خير ولا من شر بل يجزي بالحسنه عشر امثالها وبالسيئه واحده ولهذا قال لا ظلم اليوم كما روى
ابو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل انه قال يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم
محرما فلا تظالموا الى ان قال يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها عليكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا
يلومن الا نفسه رواه مسلم وقوله ان الله سريع الحساب اي يحاسب الخلائق كلهم كما يحاسب نفسا واحده كما قال ما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحده وانذرهم يوم الآزفه اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من
حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور والله يقضي بالحق والذين يدعون
من دونه لا يقضون بشيء ان الله هو السميع البصير يوم الآزفه اسم من اسماء القيمه وسميت بذلك لاقترابها
كما قال تعالى ازفت الآزفه ليس لها من دون الله كاشفه وقوله اذ القلوب لدى الحناجر اي حين زالت القلوب عن
اماكنها من الخوف والرجاء حتى تصير الى الحناجر لا هي تعود الى اماكنها ولا تخرج من افواههم فيموتوا ويستريحوا كاظمين
اي ساكتين لا يتكلم احد الا باذنه يوم يقوم الروح والملائكه صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقيل كاظمين
اي باكين وقوله ما للظالمين من حميم اي ليس للذين ظلموا انفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم ولا شفيع يشفع
فيهم بل تقطعت بهم الاسباب من كل خير وقوله يعلم خائنة الاعين اخبر تعالى عن علمه التام المحيط بجميع الاشياء
جليلها وحقيرها صغيرها وكبيرها غليظها ولطيفها ليحذر الناس علمه فيهم فيستحيوا من الله حق الحياء ويتقوه حق تقواه
فانه تعالى يعلم خائنة الاعين العين الخائنة وهي مسارقة النظر الى ما لا يحل ويعلم خفايا الصدور والضمائر والسرائر ق
قيل خائنة الاعين هي الغمز وقيل قول الرجل رايت ولم ير او لم ار وقد راى وما تخفي الصدور قال ابن عباس
يعلم اذا انت قدرت عليها هل تزني بها او لا وقيل الوسوسه وقوله والله يقضي بالحق اي قادر على ان يجزي بالحسنه
الحسنه وبالسيئه السيئه وقوله والذين يدعون من دونه يعني من الاصنام والاوثان لا يقضون بشيء اي لا يملكون شيئا
ولا يحكمون بشيء لانها لا تعلم شيئا ولا تقدر على شيء ان الله هو السميع البصير اي سميع لاقوال خلقه بصير بهم فيهدي من
يشاء ويضل من يشاء وهو الحاكم العادل في جميع ذلك اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة

ان اعذب احدا الا بذنب [illegible]

وبرزت مشارفهم دخول النار فعند ذلك ترتفع
قلوبهم عن اماكنها ومقارها فتلتصق
بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع
الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا
كشاف

وما تخفي الصدور

فان قلت ما معنى قوله ولا شفيع يطاع [illegible]

لهم من

كانوا
الذين من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة واثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم
وما كان لهم من الله من واق ذلك بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله
انه قوي شديد العقاب يعني اولم يسر هولاء المكذبون برسالتك يا محمد في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم اي من الامم المكذبة بالانبياء ما حل بهم من العذاب والنكال مع انهم كانوا اشد من هولاء قوة و
اثارا في الارض اي اثروا في الارض من الابنية والمعالم والديارات ما لا يقدر هولاء عليه اي مع هذه القوة العظيمة
والباس الشديد اخذهم الله بذنوبهم وهي كفرهم برسلهم وما كان لهم من الله من واق اي وما دفع عنهم عذاب
الله احد ولا رده عنهم راد ولا وقاهم واق ثم ذكر علة اخذه اياهم وذنوبهم التي ارتكبوها واجترموها
فقال ذلك بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات اي بالدلائل الواضحات فكفروا اي مع هذا البيان كفروا وجحدوا
فاخذهم الله اي اهلكهم الله ودمر عليهم انه قوي شديد العقاب اي ذو قوة عظيمة وبطش شديد وعقابه اليم
شديد ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا
ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا
نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه
اني اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض الفساد وقال موسى اني عذت بربي
وربكم من كل متكبر لا يؤمن الحساب لقد سلى الله محمدا صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه
مبشرا له بان العاقبة والنصرة في الدارين له كما جرى لموسى بن عمران فانه تعالى ارسله بالايات البينات ولهذا
قال باياتنا وسلطان مبين والسلطان هو الحجة والبرهان الى فرعون وهو ملك القبط بالديار المصرية وهامان
وزيره في مملكته وقارون وكان اكثر الناس في زمانه مالا فقالوا ساحر كذاب اي كذبوه وجعلوه ساحرا مموها
كذابا في ان الله ارسله اليهم قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا نساءهم وهذا امر ثان من فرعون
بقتل ذكور بني اسرائيل فان الاول كان لاجل الاحتراز من وجود موسى او لاذلال بني اسرائيل وتقليل عددهم او
لكليهما والثاني للعلة الثانية ولاهانتهم كما قال قتادة هذا امر بعد امر قال تعالى وما كيد الكافرين الا في ضلال
اي وما مكرهم وقصدهم الذي هو تقليل عدد بني اسرائيل لئلا ينصروا عليهم ٢ الا ذاهب وهالك وضال وقال فرعون
ذروني اقتل موسى وليدع ربه هذا عزم من فرعون على قتل موسى اي قال لقومه دعوني حتى اقتل لكم هذا وليدع ربه
اي لا ابالي منه وهذا في غاية الجحد والعناد وقوله اني اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر يعني موسى يخشى فرعون
ان يضل موسى الناس ويغير رسومهم وعاداتهم وقرا الاكثرون وان يظهر بالواو واخرون وقرا بعضهم
يظهر بالفتح في الارض الفساد بالضم وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب و
قد جاء في الحديث انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا خاف قوما قال اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من
شرورهم رواه احمد وابو داود وقال رجل مؤمن من ال فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا
ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك
صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يا قوم لكم
الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا قال فرعون ما اريكم الا ما ارى

بيوم

سموا السلطان سحرا

[illegible]

٢ يعني انهم باشروا قتلهم اولا فما اغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار ما خافوه فما اغنى عنهم هذا القتل الثاني وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى واحس بانه قد وقع اعاده عليه غيظا وحنقا وظنا منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى وما علم ان كيده ضائع في الكرتين جميعا كشاف

اي لما بلغه ذروني اقتل موسى قال موسى استجرت بالله وتعوذت به من شره وشر امثاله من كل متكبر اي عن الحق كافر م

وما اهديكم الا سبيل الرشاد قال السدي هذا الرجل المومن ابن عم فرعون ويقال انه الذي نجا مع موسى
واختاره ابن جرير وكان قبطيا من ال فرعون لا اسرائيليا لان فرعون استمع كلامه وكف عن قتل موسى ولو كان اسرائيليا
لاوشك ان يعاجل العقوبة قال ابن عباس لم يومن من ال فرعون الا هذا الرجل وامراة فرعون والذي قال يا موسى
ان الملأ ياتمرون بك ليقتلوك رواه ابن ابي حاتم وكان هو يكتم ايمانه من القبط فلم يظهره الا هذا اليوم حين قال
هذا لهم غضبا لله تعالى وافضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر كما ثبت في الحديث وكذا قال الصديق رضي الله عنه وذلك
حين اقبل عقبة بن ابي معيط ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة فاخذ بمنكبه ولوى ثوبه في
عنقه خنقا شديدا فاقبل ابو بكر فاخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال اتقتلون رجلا ان يقول
ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رواه البخاري اي كيف تقتلون رجلا لكونه يقول ربي الله وقد اقام لكم
البرهان على صدق ما جاءكم به من الحق ثم تنزل معهم في المخاطبة فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه اي اذا لم يظهر
لكم صحة ما جاءكم به فمن العقل ان تتركوه ونفسه فلا تؤذوه فان يك كاذبا فان الله سيجازيه على كذبه بالعقوبة وان يك
صادقا وقد اذيتموه يصبكم بعض الذي يعدكم فانه يتوعدكم ان خالفتموه بالعذاب فلا تتعرضوا له بل اتركوه وقومه
ان تعرضتم له
يدعوهم ويتبعونه وهكذا اخبر تعالى عن موسى انه طلب من فرعون وقومه الموادعة في قوله ولقد فتنا قبلهم قوم
فرعون وجاءهم رسول كريم الى قوله فاعتزلون وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتركوه يدعو الخلق الى الله و
لا تمسوه بسوء وان يصلوا ما بينه وبينهم من القرابة في ترك اذيته قال تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في
القربى اي الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة ولا تؤذيني وتتركوا بيني وبين الناس وعلى هذا وقعت الهدنة يوم الحديبية
وكانت فتحا مبينا وقوله ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب اي لو كان هو كاذبا كما تزعمون لكان امره بينا
يظهر لكل احد في اقواله وافعاله وكان في غاية الاختلاف والاضطراب وهذا نرى امره سديدا ومنهجه مستقيما و
لو كان من المسرفين الكذابين لما هداه الله الى ما ترون من انتظام امره وفعله ثم قال المومن محذرا قومه زوال
نعمة الله عليهم وحلول نقمته بهم يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض اي قد انعم الله عليكم بهذا الملك والظهور
بان لكم ملك مصر وبه علوتم الناس وتدبيرهم
في الارض بالكلمة النافذة فراعوا هذه النعمة بشكر الله وتصديق رسوله واحذروا نقمة الله ان كذبتم رسوله فمن
ينصرنا من باس الله ان جاءنا اي لا يغني عنكم هذه الجنود ولا يرد هذه العساكر شيئا من باس الله ان ارادنا بسوء قال
فرعون لقومه رادا ما اشار به المومن ما اريكم الا ما ارى اي ما اقول لكم واشير عليكم الا ما اراه لنفسي وقد كذب
فرعون فانه كان يتحقق صدق موسى فيما جاء به من الرسالة كما قال تعالى لقد علمت ما انزل هولاء الا رب السموات
والارض بصائر فقوله ما اريكم الا ما ارى قد كذب وافترى وكذا قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد اي وما ادعوكم
الا الى طريق الحق والرشد وقد كذب ايضا في ذلك وان اطاعه قومه واتبعوه كما قال تعالى فاتبعوا امر فرعون و
ما امر فرعون برشيد وقال الذي امن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل داب قوم نوح
وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم
تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف
من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك
يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون في ايات الله ~~الا الذين~~ كفروا بغير سلطان اتاهم

قاله

اي لان يقول ربي الله انكار منه عظيم كانه قال اترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة وما لكم علة في ارتكابها الا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله ربي الله

لا تفسدوا امركم على انفسكم ولا تتعرضوا لباس الله وعذابه

كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار هذا اخبار عن مؤمن
آل فرعون انه حذر قومه باس الله في الدارين فقال يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب اي الذين كذبوا رسل الله
في قديم الدهر كقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم من الامم المكذبة كيف حل بهم باس الله وما رده عنهم راد ولا
صده عنهم صاد وما الله يريد ظلما للعباد اي انما اهلكهم الله بذنوبهم وتكذيبهم رسله فانفذ فيهم قدره ثم قال
ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يعني يوم القيمة سمي بذلك لانهم اذا راوا اهوال القيمة تحيروا هاربين ينادي بعضهم
بعضا وقال قتادة ينادى كل قوم باعمالهم ينادى اهل الجنة اهل الجنة واهل النار اهل النار وقيل لمناداة اهل الجنة اهل
النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم ومناداة اهل النار اهل الجنة ان افيضوا علينا
من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين ولمناداة اصحاب الاعراف اهل الجنة والنار كما هو مذكور في سورة
الاعراف وقيل غير ذلك واختار البغوي وغيره انه سمي بمجموع ذلك وهو حسن جيد وقوله يوم تولون مدبرين اي ذاهبين
هاربين ما لكم من الله من عاصم اي ما لكم من مانع يمنعكم من باس الله وعذابه ومن يضلل الله فما له من هاد اي من اضله الله
فلا هادي له غيره وقوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات يعني اهل مصر قد بعث الله فيهم رسولا من قبل موسى
وهو يوسف عليه السلم كان عزيز اهل مصر وكان رسولا يدعو الى الله امته القبط فما اطاعوه تلك الطاعة الا لمجرد الوزارة
والجاه الدنيوي ولهذا قال فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا اي ايستم وقلتم
طامعين لو بعث الله من بعده رسولا فاتتم بكفركم وظننتم ان الله لا يجدد عليكم الحجة كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب
اي كحالكم هذا يكون حال من يضله الله لاسرافه في افعاله وارتياب قلبه ثم قال الذين يجادلون في آيات الله اي
الذين يدفعون الحق بالباطل ويجادلون الحجج بغير دليل وحجة معهم من الله فان الله يمقت على ذلك اشد المقت
ولهذا قال كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا اي والمؤمنون ايضا يبغضون من يكون هذه صفته فانه يطبع الله على
قلبه فلا يعرف بعد ذلك معروفا ولا ينكر منكرا ولهذا قال يطبع الله على كل قلب متكبر اي عن اتباع الحق جبار قال
عكرمة والشعبي لا يكون الانسان جبارا حتى يقتل نفسين وقال قتادة آية الجبابرة القتل بغير حق وقال فرعون
يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه
كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب يخبر تعالى
عن فرعون وعتوه وافترائه في تكذيبه موسى انه امر وزيره هامان ان يبني له صرحا وهو القصر العالي المنيف الشاهق
وكان اتخاذه من الآجر المضروب من الطين المشوي كما قال فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا ولهذا كان
السلف يكرهون البناء بالآجر وان يجعلوه في قبورهم وقوله لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات اي ابواب السموات وقيل طرق السموات
فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا وهذا من كفره وتمرده انه كذب موسى في ان الله ارسله اليه قال تعالى
وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل اي بصنيعه هذا الذي اراد ان يوهم به الرعية انه يعمل شيئا
يتوصل به الى تكذيب موسى ولهذا قال وما كيد فرعون الا في تباب قال ابن عباس اي الا في خسار وقال
الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع وان الآخرة
هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن
فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب اي قال المؤمن لقومه ممن تمرد وطغى وآثر الحيوة

الدنيا

اي مثل عادتهم في الاقامة على التكذيب حتى اتتهم العذاب

الدنيا يا قوم اتبعون اهدكم طريق الهدى ثم زهدهم في الدنيا التي آثروها على الاخرى فقال يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا
متاع اي قليلة زائلة فانية عن قريب تذهب وتضمحل وان الآخرة هي دار القرار اي التي لا زوال لها ولا انتقال
منها ولا ظعن عنها الى غيرها بل اما نعيم واما جحيم ولهذا قال من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها اي واحدة مثلها
ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب اي لا يتقدر بجزاء
بل يثيبه الله ثوابا كثيرا لا انقضاء له ولا نفاد ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار
تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار لا جرم انما تدعونني
اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين هم اصحاب النار
فستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيات ما مكروا
وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة
ادخلوا آل فرعون اشد العذاب قال لهم المؤمن ما لي ادعوكم الى النجاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له
وتصديق رسوله الذي بعثه وتدعونني الى النار تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم اي على جهل بلا دليل
وانا ادعوكم الى العزيز الغفار اي هو في عزته وكبريائه يغفر ذنب من تاب اليه لا جرم اي حقا لا كذبا انما تدعونني
اليه يعني بلى ان الذي تدعونني اليه من الاصنام والانداد ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة اي الوثن ليس
ليس بشئ لا ينفع ولا يضر قال السدي لا يجيب داعيه لا في الدنيا ولا في الآخرة كما قال ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم
ولو سمعوا ما استجابوا لكم وقوله وان مردنا الى الله اي في الآخرة فيجازي كلا بعمله ولهذا قال وان المسرفين هم
اصحاب النار اي خالدين فيها باسرافهم وشركهم بالله فستذكرون ما اقول لكم اي سوف تعلمون صدق ما امرتكم به
ونهيتكم عنه ونصحتكم ووضحت لكم وتتذكرونه وتندمون حيث لا ينفعكم الندم وافوض امري الى الله اي اتوكل
على الله واستعينه واقاطعكم واباعدكم ان الله بصير بالعباد اي بصير بهم فيهدي من يستحق الهداية ويضل من
يستحق الاضلال وله الحكمة البالغة والقدرة النافذة وقوله فوقاه الله سيات ما مكروا اي في الدارين اما في الدنيا
فنجاه الله مع موسى واما في الآخرة فبالجنة وحاق بآل فرعون سوء العذاب وهو الغرق في اليم ثم النقلة منه الى
الجحيم فان ارواحهم تعرض على النار صباحا ومساء الى قيام الساعة فاذا كان يوم القيمة اجتمعت ارواحهم واجسادهم
في النار ولهذا قال ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب اي اشده الما واعظمه نكالا وهذه الاية اصل
عظيم في استدلال اهل السنة على عذاب البرزخ في القبور وهي قوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وفي الصحيحين
عن عائشة رضي الله عنها ان يهودية دخلت عليها فقالت لها اعاذك الله من عذاب القبر فسالت عائشة رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر فقال نعم عذاب القبر حق قالت عائشة فما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
صلى صلوة الا تعوذ بالله من عذاب القبر وقال قتادة في قوله غدوا وعشيا اي صباحا ومساء ما بقيت الدنيا
ويقال لهم هذه منازلكم توبيخا لهم وقال ابن مسعود ان ارواح الشهداء في اجواف طير خضر تسرح بهم في الجنة حيث
شاءت وان ارواح ولدان المؤمنين في اجواف عصافير تسرح في الجنة حيث شاءت فتاوي الى قناديل معلقة في العرش
وان ارواح آل فرعون في اجواف طير سود تغدو على جهنم وتروح عليها فذلك عرضها رواه ابن ابي حاتم وقال قتادة
والسدي وغيرهما تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا ما دامت الدنيا كما في الصحيحين عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله

النار بدل من سوء العذاب او خبر
مبتدأ محذوف كانه قيل ما
سوء العذاب فقيل هو النار
كشاف

عليه وسلم قال ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة و
ان كان من اهل النار فمن اهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه الى يوم القيمه واذ يتحاجون في
النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من
النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال الذين في النار
لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم
بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال اخبر تعالى عن تحاج
اهل النار وتخاصمهم في النار وفرعون وقومه من جملتهم فيقول الضعفاء وهم الاتباع للذين استكبروا وهم
الكبراء والقادة والسادة انا كنا لكم تبعا اى اطعناكم فيما دعوتمونا اليه من الكفر والضلال فهل انتم مغنون عنا نصيبا
اي قسطا من النار تحملونه عنا قال الذين استكبروا انا كل فيها اي لا نتحمل منكم شيا كفى بنا ما عندنا وما حملنا
من العذاب والنكال ان الله قد حكم بين العباد اي فقسم بيننا العذاب بقدر ما يستحقه كل منا كما قال لكل ضعف
ولكن لا تعلمون وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم اى لما علموا ان الله لا يستجيب منهم ولا يسمع لدعاهم
بل قد قال اخسئوا فيها ولا تكلمون سالوا الخزنة وهم كالسجانين لاهل النار ان يدعوا لهم الله في ان يخفف عن
الكافرين ولو يوما واحدا من العذاب فردت عليهم الخزنة قائلين لهم اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات اي اوما
قامت عليكم الحجج في الدنيا على السنة الرسل قالوا بلى قالوا فادعوا اى انتم لانفسكم فنحن لا ندعو لكم ولا نسمع منكم ولا نود
خلاصكم ونخبركم انه سواء دعوتم او لم تدعوا لا يستجاب لكم فلا يخفف عنكم ولهذا قالوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال
اي لا يقبل ولا يستجاب انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم
لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ولقد اتينا موسى الهدى واورثنا
بني اسرائل الكتاب هدى وذكرى لاولي الالباب فاصبر ان وعد الله حق واستغفر
لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتيهم
ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير قال ابو جعفر بن جرير
سائلا قد علم الله ان بعض الانبياء قتله قومه كيحيى وزكريا ومنهم من خرج من بين اظهرهم مهاجرا كابرهيم او رفع الى
السماء كعيسى فاين النصرة في الدنيا فاجاب بان الخبر خرج عاما والمراد به البعض وهذا سائغ في اللغة او بان المراد
بالنصرة الانتصار لهم ممن اذاهم سواء كان ذلك بحضرتهم او غيبتهم او بعد موتهم كما فعل بقتلة يحيى وزكريا وشعيا
سلط عليهم من اعدائهم من اهانهم وسفك دماءهم وقد ذكر ان النمرود اخذه الله اخذ عزيز مقتدر واما الذين راموا صلب المسيح
من اليهود فسلط الله عليهم الروم فاهانوهم واذلوهم ثم قبل يوم القيمه سينزل عيسى بن مريم اماما عادلا وحكما مقسطا
فيقتل الدجال وجنوده من اليهود ولا يقبل الا الاسلام وهذه نصرة عظيمه وهذه سنة الله في خلقه دائما انه ينصر
عباده المؤمنين في الدنيا كما في البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد
بارزني بالحرب ولهذا اهلك الذين كذبوا الرسل وخالفوا الحق اولا واخرا انجا من بينهم المؤمنين وعذب
الكافرين قال السدي لم يبعث الله رسولا قط الى قومه فيقتلونه او قوما من المؤمنين يدعون الى الحق فيقتلون
فيذهب ذلك القرن حتى يبعث الله لهم من ينصرهم فيطلب بدمائهم ممن فعل ذلك بهم في الدنيا قال فكانت الانبياء والمؤمنون

يقتلون

تسمع

في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اى في الدنيا والاخرة يعني انه يغلبهم في الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا في الدنيا في بعض الاحايين امتحانا من الله فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من اعدائهم ولو بعد حين والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب يريد الحفظة من الملئكة والانبياء والمؤمنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم لتكونوا شهداء على الناس ٩ كشاف

يقتلون في الدنيا وهم منصورون فيها وهكذا نصر الله محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه على من خالفه وناواه وكذبه وعاداه
فجعل كلمته هي العليا ودينه هو الظاهر على سائر الاديان حتى انتشرت الدعوة المحمدية في مشارق الارض ومغاربها
ثم لا يزال هذا الدين قائما منصورا ظاهرا الى قيام الساعة ولهذا قال انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة الدنيا
ويوم القيمه يقوم الاشهاد اى يوم القيمه تكون النصرة اعظم واكبر واجل قال مجاهد الاشهاد الملئكه وقوله يوم لا ينفع
الظالمين معذرتهم بدل من قوله يوم يقوم الاشهاد وقال بعضهم يوم بالرفع كانه فسره يوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع
الظالمين وهم المشركين معذرتهم اي لا يقبل منهم عذر ولا فدية ولهم اللعنة اي الابعاد والطرد من الرحمة ولهم
يحتمل انهم يعتذرون بمعذرة ولكنها لا تنفع لانها باطلة وانهم لو جاوا بمعذرة لم تقبل كقوله ولا يوذن لهم فيعتذرون ٩
سوء الدار وهي النار قاله السدي وبئس المنزل والمقيل وقال ابن عباس سوء العاقبة وقوله ولقد اتينا موسى الهدى
وهو ما بعثه الله من الهدى والنور واورثنا بني اسرائل الكتاب اى التورية وجعلنا لهم العاقبة واورثناهم بلاد
فرعون وامواله وارضه بما صبروا على طاعة الله واتباع موسى وفي التورية هدى وذكرى اى موعظة لاولي الالباب وهي
العقول الصحيحة السليمة وقوله فاصبر اى يا محمد ان وعد الله حق اي وعدناك انا سنعلي كلمتك ونجعل العاقبة لك ولمن
اتبعك والله لا يخلف الميعاد وهذا الذي اخبرناك به حق لا شك فيه وقوله واستغفر لذنبك هذا تهييج للامة على الاستغفار
وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار اي في اواخر النهار واوائل الليل وقوله ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان
اتيهم اى يدفعون الحق بالباطل ويردون الحجج الصحيحة بالشبه الفاسدة بلا برهان ولا حجة من الله ان في صدورهم الا
كبر اي ما في صدورهم الا كبر عن اتباع الحق واحتقار من جاءهم به وليس لهم حاصل من ذلك وما هم ببالغي مقتضى ذلك
الكبر لان الله مذلهم بل الحق هو المرفوع وهم هو الموضوع فاستعذ بالله اى من حال مثل هولاء انه هو السميع البصير
او من شر هولاء المجادلين في ايات الله قاله ابن جرير وعن ابي العاليه انها نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه
وسلم ان صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج في اخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا قال الله
نبيه عليه الصلوة والسلام ان يستعيذ من فتنة الدجال ولهذا قال فاستعذ بالله وهذا قول غريب بعيد فيه تعسف لان
السورة مكية وان رواه ابن ابي حاتم لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس
لا يعلمون وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما
تتذكرون ان الساعة لاتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون نبه تعالى عباده انه يعيد الخلائق
يوم القيمه وان ذلك سهل عليه بانه خلق السموات والارض وخلقهما اكبر من خلق الناس بداة واعادة فمن قدر على
ذلك فهو قادر على ما دونه بطريق الاولى كما قال تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن
بقادر على ان يحيي الموتى وقال ههنا لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون فلهذا
لا يتدبرون هذه الحجة ولا يتاملونها كما كان كثير من العرب يعترفون بان الله خلق السموات والارض وينكرون المعاد
استبعادا وكفرا وعنادا ثم قال وما يستوي الاعمى والبصير اي كما لا يستوي الاعمى الذي لا يبصر شيا والبصير الذي يبصر
ما انتهى اليه بصره بل بينهما فرق عظيم كذلك لا يستوي المؤمنون الابرار والكفرة الفجار قليلا ما يتذكرون اي ما
اقل ما يتذكر كثير من الناس ثم قال ان الساعة لاتية اي لكائنة وواقعة لا ريب فيها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون اي
لا يصدقون بها بل يكذبون بوجودها وقال مالك عن شيخ من اهل اليمن قال سمعت ان الساعة اذا دنت اشتد البلاء
على الناس واشتد حر الشمس وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون

[illegible]

الا قال ربي خليفتي على كل مؤمن قالت اسما فقالت يا رسول الله والله انا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ قال يجزيهم ما يجزي اهل السماء من التسبيح والتقديس ٩ معالم

[illegible]

فان قلت كيف قوله لخلق السموات والارض بما قبله قلت ان مجادلتهم في ايات الله كانت مشتملة على انكار البعث وهو اصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بان الله خالقهما بانها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالقياس اليه شيء مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته اقدر ٩ كشاف

[illegible]

[illegible]

جهنم داخرين هذا من فضله تعالى وكرمه انه ندب عباده الى دعائه وتكفل لهم بالاجابة كما كان سفيان الثوري يقول يا من احب عباده اليه من سأله فاكثر سؤاله ويا من ابغض عباده اليه من لم يسأله وليس احد كذلك غيرك يا رب رواه ابن ابي حاتم وفي هذا المعنى يقول الشاعر ∴ الله يغضب ان تركت سؤاله ∴ وبنو آدم حين يسأل يغضب ∴ قال كعب الاحبار اعطيت هذه الامة ثلاثا لم يعطهن امة قبلهم الا نبي كان اذا ارسل قيل له انت شاهد على امتك وجعلكم شهداء على الناس وكان يقال له ليس عليك في الدين من حرج وقال لهذه الامة وما جعل عليكم في الدين من حرج وكان يقال له ادعني استجب لك وقال لهذه الامة ادعوني استجب لكم رواه ابن ابي حاتم وعن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدعاء هو العبادة ثم قرأ ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين رواه احمد واصحاب السنن وصححه الترمذي وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يدع الله غضب عليه وفي رواية من لم يسأله يغضب عليه رواه احمد والترمذي ولما مات محمد بن مسلم الانصاري وجد في قراب سيفه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم ان لربكم في بقية ايام دهركم نفحات فتعرضوا له لعل دعوة ان يوافق رحمته يسعد بها صاحبها سعادة لا يخسر بعدها ابدا وقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي اي عن عبادتي وتوحيدي سيدخلون جهنم داخرين اي صاغرين حقيرين كما روى عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس المتكبرون يوم القيمة امثال الذر في صور الناس يعلوهم كل شيء من الصغار حتى يدخلوا سجنا في جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الانيار يسقون من طينة الخبال عصارة اهل النار رواه احمد والترمذي ونقل ان رجلا كان يسير يوما بارض الروم فسمع هاتفا من فوق جبل يقول يا رب عجبت لمن عرفك كيف يرجو غيرك يا رب عجبت لمن عرفك كيف يطلب حوائجه الى احد غيرك يا رب عجبت لمن عرفك كيف يتعرض لشيء من سخطك برضى غيرك قال فناديته اجني انت ام انسي قال انسي اشغل نفسك بما يعنيك عما لا يعنيك رواه ابن ابي حاتم الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فانى تؤفكون كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين لقد من الله على خلقه بان جعل لهم الليل يسكنون فيه ويستريحون من الحركات والمعاش بالنهار وجعل النهار مبصرا اي مضيئا ليتصرفوا بالاسفار وقطع الاقطار والتمكن من الصناعات ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يقومون بشكر نعم الله عليهم ثم قال ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اي الذي فعل هذه الاشياء هو الله الواحد خالق الاشياء الذي لا اله الا غيره ولا رب سواه فانى تؤفكون اي فكيف تعبدون غيره من الاصنام التي هي مخلوقة منحوتة ومصنوعة وقوله كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون اي كما ضل هؤلاء بعبادة غير الله كذلك افك الذين من قبلهم فعبدوا غيره بلا دليل ولا برهان وقوله الله الذي جعل لكم الارض قرارا اي جعلها مستقرا لكم بساطا مهادا تعيشون عليها وتتصرفون فيها وتمشون في مناكبها وارساها بالجبال لئلا تميد بهم والسماء بناء اي سقفا للعالم محفوظا وصوركم فاحسن صوركم اي خلقكم في احسن الاشكال ومنحكم اكمل الصورة في احسن تقويم ورزقكم من الطيبات اي من المآكل والمشارب في الدنيا فذكر انه خلق الدار والسكان

اي فمن اي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان

ولم يخلقهم منكوسين كالبهائم

مبصرا من الاسناد المجازي لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار ٥

الله

عن اسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلائق سيعلم اهل الجمع من اولى بالكرم ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم ينادي مناد ليقم الذين كانت لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل ثم ينادي مناد ليقم الذين كانوا يحمدون في السراء والضراء فيقومون وهم قليل ثم يحاسب سائر الناس ٥

[illegible]

والارزاق

والارزاق فهو الخالق الرازق كما قال في سورة البقرة يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم الى قوله وانتم تعلمون ذلكم الله ربكم اي الذي خلقكم ورزقكم هو الله خالق كل شيء فتبارك الله رب العالمين فتعالى وتقدس وتنزه رب العالمين كلهم ثم قال هو الحي لا اله الا هو اي هو الحي ازلا وابدا لم يزل ولا يزال لا اله الا هو لا نظير له ولا عديل له فادعوه مخلصين له الدين اي موحدين مقرين بانه لا اله الا هو الحمد لله رب العالمين قال ابن جرير كان جماعة من اهل العلم يأمرون من قال لا اله الا الله ان يتبعها بالحمد لله رب العالمين عملا بهذه الآية قال ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين وذلك قوله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين قال ابن جبير اذا قرأت فادعوا الله مخلصين له الدين فقل لا اله الا الله وقل على اثرها الحمد لله رب العالمين وعن عبد الله بن الزبير قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دبر كل صلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة الا بالله لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون رواه مسلم قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا مسمى ولعلكم تعقلون هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون يقول قل يا محمد لهؤلاء المشركين ان الله نهى ان يعبد احد سواه من الاصنام والاوثان فلا تدعوني الى الكفر فانه تعالى قد بين انه لا يستحق العبادة احد سواه في قوله هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة اي هو الذي يقلبكم في هذه الاطوار كلها وحده لا شريك له وعن امره وتدبيره وتقديره يكون ذلك كله ومنكم من يتوفى من قبل اي من قبل ان يوجد ويخرج الى هذا العالم بل تسقطه امه سقطا ومنهم من يتوفى صغيرا وشابا وكهلا قبل الشيخوخة ولتبلغوا اي جميعا اجلا مسمى اي وقتا محدودا لا تجاوزونه يعني اجل الحيوة الى الموت ولعلكم تعقلون اي لكي تتذكروا وتعقلوا البعث وتوحيد ربكم وقدرته ثم قال قل هو الذي يحيي ويميت اي هو المنفرد بذلك لا يقدر على ذلك احد سواه واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اي لا يخالف ولا يمانع بل ما شاء كان لا محالة الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعو من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين يقول الا تعجب يا محمد من هؤلاء المكذبين بآيات الله ويجادلون في الحق بالباطل كيف تصرف عقولهم عن الهدى الى الضلال الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا اي من الهدى والبيان فسوف يعلمون هذا تهديد ووعيد شديد من الرب تعالى لهؤلاء كما قال ويل يومئذ للمكذبين وقوله اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل اي متصلة بالاغلال بايدي الزبانية يسحبونهم اي يجرونهم على وجوههم تارة الى الحميم وتارة الى الجحيم ولهذا قال يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون اي يصيرون وقودا للنار وقوله ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون اي قيل لهم اين الاصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله هل ينصرونكم اليوم قالوا ضلوا عنا اي ذهبوا فلم ينفعونا بل لم نكن ندعو من قبل شيئا اي جحدوا عبادتهم كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ولهذا قال يضل الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض اي تقول لهم الملائكة هذا الذي انتم فيه جزاء على فرحكم في الدنيا بغير الحق ومرحكم واشركم

فاعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك والرياء قائلين الحمد لله رب العالمين كذا ٥

قال الفراء هو خبر وفيه اضمار الامر مجازه فادعوه واحمدوه ٥

قال ابو سليمان الداراني وقف رجل على باب الكعبة حين فرغ من الحج فقال الحمد لله بجميع محامده كلها ما علمت منها وما لم اعلم على جميع نعمه كلها ما علمت منها وما لم اعلم لذي خلقه كلهم ما علمت منهم وما لم اعلم قال ثم قفل الى بلاده ثم خرج من قابل فوقف على باب الكعبة فذهب ليقول مثل مقالته فنودي يا عبد الله اتعبت الحفظة من عام الاول الى الآن ما فرغوا مما قلت ٥

لتبلغوا اشدكم متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك لتكونوا واما لتبلغوا اجلا مسمى فمعناه ونفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت ٥ كشاف

اي تبين لنا انهم لم يكونوا شيئا قط وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت ان فلانا شيء فاذا هو ليس بشيء ٥ كشاف

[illegible]

[illegible]

وبطلكم ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين اي فبئس المنزل والمقيل الذي فيه الهوان
والعذاب الشديد لمن استكبر عن ايات الله واتباع رسله ودلائله وحججه فاصبر ان وعد الله حق فاما
نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم
من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله
فاذا جاء امر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون امر الله تعالى رسوله بالصبر على تكذيب من كذبه
من قومه فان الله سينجز لك ما وعدك من النصر والظفر على قومك وجعل العاقبة لك ولمن اتبعك في الدنيا
والآخرة فاما نرينك بعض الذي نعدهم اي في الدنيا وكذلك وقع فان الله اقر اعينهم من كبرائهم وعظمائهم
بان قتلوا يوم بدر ثم فتح الله مكة وسائر جزيرة العرب في حياته صلى الله عليه وسلم وقوله او نتوفينك فالينا يرجعون
اي فنذيقهم العذاب الشديد في الآخرة ثم قال مسليا له ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم
من لم نقصص عليك اي منهم اوحينا اليك خبرهم وقصصهم مع قومهم كيف كذبوهم ثم كان للرسل العاقبة والنصرة
ومنهم من لم نقصص عليك وهم اكثر كما سبق في سورة النساء وقوله وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله
اي ولم يكن لواحد من الرسل ان ياتي قومه بخارق العادات الا ان ياذن الله له في ذلك فيدل ذلك على صدقه فيما
جاءهم به فاذا جاء امر الله اي عذابه قضي بالحق فينجي المومنين ويهلك الكافرين ولهذا قال وخسر هنالك
المبطلون الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا
عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويريكم اياته فاي ايات الله تنكرون
من الله على عباده بما خلق لهم من الانعام فمنها ركوبهم ومنها ياكلون فالابل تركب وتوكل وتحلب ويحمل عليها الاثقال
في الاسفار والبقر يوكل وتشرب لبنها وتحرث عليها الارض والغنم يوكل وتشرب لبنها والجميع تجز اصوافها و
اوبارها واشعارها فيتخذ منه الاثاثات والامتعة كما سبق في سورة الانعام والنحل ولتبلغوا عليها حاجة في
صدوركم اي تحمل اثقالكم من بلد الى بلد وتبلغوا اليها حاجاتكم وعليها وعلى الفلك تحملون اي على الابل في البر
وعلى السفن في البحر وقوله ويريكم اياته اي حججه وبراهينه في الآفاق وفي انفسكم فاي ايات الله تنكرون اي لا
يقدرون على انكار شيء من آياته الا ان يعاندوا ويكابروا افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض فما اغنى عنهم ما كانوا
يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون
فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا
باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون اخبر تعالى عن الامم المكذبة بالرسل
في قديم الدهر وما حل بهم من العذاب الشديد مع شدة قوتهم وما اثروه في الارض وما جمعوه من الاموال
فما اغنى عنهم ذلك شيئا ولا رد عنهم ذرة من باس الله وذلك لانهم لما جاءتهم رسلهم بالبينات والبراهين
القاطعات لم يلتفتوا اليهم واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم قال مجاهد قالوا نحن اعلم منهم لن نبعث و
لا نعذب وقال السدي فرحوا بما عندهم من العلم بجهالتهم فاتاهم من باس الله ما لا قبل لهم به وحاق بهم اي احاط
بهم ما كانوا به يستهزءون اي يكذبون ويستبعدون وقوعه فلما راوا باسنا اي عاينوا وقوع العذاب بهم قالوا
امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين اي وحدوا الله وكفروا بالطاغوت ولكن حيث لا تنفع المعذرة ولهذا
قال فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا اي عذابنا سنة الله التي قد خلت في عباده اي هذا حكم الله في جميع من

آثارا قصورهم ومصانعهم فما اغنى عنهم ما نافية
او مضمنة معنى الاستفهام [illegible] النصب والثانية
موصولة او مصدرية [illegible] رفع بمعنى اي شيء
اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم

تاب عند معاينة العذاب انه لا يقبل ولهذا جاء في الحديث ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اي فاذا غرغر
وبلغت الروح الحنجرة وعاين الملك فلا توبة حينئذ ولهذا قال وخسر هنالك الكافرون قال الزجاج الكافر
خاسر في كل وقت ولكنه يتبين لهم خسرانهم اذا راوا العذاب تفسير حم السجدة وهي مكية
بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت
اياته قرانا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا
قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون
سبق البحث عن حروف اوائل السور في اول سورة البقرة فقوله تنزيل يعني القرآن منزل من الرحمن الرحيم كقوله قل
نزله روح القدس من ربك بالحق وقوله كتاب فصلت اياته اي بينت معانيه واحكمت احكامه قرانا عربيا اي في حال
المحكمة من الاحكام والامثال والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك
كونه لفظا عربيا واضحا معانيه مفصلة والفاظه غير مشكلة اي هو معجز من حيث اللفظ والمعنى وقوله لقوم يعلمون
اي انما يعرف هذا البيان والوضوح العلماء الراسخون بشيرا ونذيرا اي تارة يبشر المومنين وتارة ينذر الكافرين
فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون اي اكثر قريش فهم لا يفهمون منه شيئا مع بيانه ووضوحه وقالوا قلوبنا في اكنة
اي في غلف مغطاة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر اي صمم مما جئتنا به ومن بيننا وبينك حجاب فلا يصل الينا شيء
مما تقول فاعمل اننا عاملون اي اعمل انت على طريقتك ونحن على طريقتنا لا نتابعك قال ابن اسحق في كتاب السير عن محمد بن
كعب القرظي قال حدثت ان عتبة بن ربيعة وكان سيدا قال يوما وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس في المسجد وحده يا معشر قريش الا اقوم الى محمد فاكلمه فاعرض عليه امورا لعله يقبل بعضها فنعطيه ايها شاء
ويكف عنا وذلك حين اسلم حمزة وراوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون قالوا بلى يا ابا الوليد فقم اليه
فكلمه فقام اليه عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخي انك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة
والمكان في النسب وانك قد اتيت قومك بامر عظيم فرقت جماعتهم وسفهت احلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت
به من مضى من آبائهم فاسمع مني اعرض عليك امورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
قل يا ابا الوليد اسمع قال يا ابن اخي ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا
وان كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع امرا دونك وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي
ياتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطبيب وبذلنا فيه اموالنا حتى نبريك منه حتى اذا فرغ عتبة
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع اليه فقال افرغت يا ابا الوليد قال نعم قال فاستمع مني قال افعل قال بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته قرانا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون ثم مضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه وعتبة والقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع منه ثم انتهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى السجدة منها فسجد ثم قال قد سمعت يا ابا الوليد ما سمعت فانت وذاك فقام عتبة الى اصحابه فقال
بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا ابا الوليد قال
ورائي اني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة يا معشر قريش اطيعوني وخلوا بين
الرجل وما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبا فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على
العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وانتم اسعد الناس به قالوا سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه قال هذا رايي فيه فاصنعوا

ان جعلت اسما للسورة كانت في موضع المبتدا
وتنزيل خبره وان جعلتها تعديدا للحروف كان
تنزيل خبر المبتدا المحذوف وكتاب
بدل من تنزيل او خبر بعد خبر او
خبر مبتدا محذوف وجوز الزجاج
ان يكون تنزيل مبتدا او
كتاب خبره ووجهه ان تنزيلا
تخصص بالصفة فساغ
وقوعه مبتدا

اي لقوم عرب يعلمون ما نزل
عليهم من الآيات المفصلة
المبينة بلسانهم العربي
المبين لا يلتبس عليهم
شيء منه

[illegible]

قوله [illegible] لم خص من بين اوصاف المشركين منع الزكوة مقرونا بالكفر بالآخرة قلت لان احب شي الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك اقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته وخلوص نيته الا ترى الى قوله عز وعلا مثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم اي يثبتون انفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق الاموال وما خدع المولفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم واهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تظاهروا الا بمنع الزكوة فنصبت لهم الحرب وجوهدوا وفيه بعث للمومنين على اداء الزكوة وتخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة كشاف

تمامًا لكم قل انما انا بشر مثلكم يوحي الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم كافرون ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون يعني قل يا محمد لهولاء المكذبين المشركين انما انا بشر مثلكم يوحي الي انما الهكم اله واحد لا كما تعبدونه من الاصنام والانداد انما الله اله واحد فاستقيموا اليه اي اخلصوا العبادة له على منوال ما امركم به على السنة الرسل واستغفروه اي لسالف الذنوب وويل للمشركين اي دمار لهم وهلاك عليهم الذين لا يؤتون الزكوة قال ابن عباس يعني الذين لا يشهدون ان لا اله الا الله وهذا كقوله قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وقوله فقل هل لك الى ان تزكى المراد هنا طهارة النفس من رذائل الاخلاق ومن اهمه ذلك طهارة النفس من الشرك وزكوة المال سميت بها لانها يطهره عن الحرام وتكون سببا لزيادته وكثرة نفعه وتوفيقا الى استعماله في الطاعات وقيل اي لا يدينون الزكوة ولا هم من اهل الزكوة وقال قتادة وغيره اي يمنعون الزكوة واختاره ابن جرير وفيه نظر لان ايجاب الزكوة انما كان في السنة الثانية من الهجرة على ما ذكره كثيرون وهذه الآية مكية اللهم الا ان يقال لا يبعد ان يكون اصل الزكوة والصدقة كان مامورا به في ابتداء البعثة كقوله وآتوا حقه يوم حصاده واما الزكوة ذات النصب والمقادير فانما بين امرها بالمدينة جمعا بين القولين ثم قال بعد ذلك ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع ولا محسوب كقوله عطاء غير مجذوذ وقال السدي اي غير ممنون عليهم وقد رد هذا عليه فان المنة لله على اهل الجنة قال تعالى بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وقال اهل الجنة فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فقضيهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم هذا انكار على المشركين الذين عبدوا معه غيره وهو الخالق لكل شي فقال قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا اي نظراء وامثالا تعبدونها معه ذلك رب العالمين اي الخالق للاشياء هو رب العالمين كلهم وفي هذا المكان تفصيل لقوله خلق السموات والارض في ستة ايام ففصل ههنا ما يختص بالارض مما اختص بالسماء فذكر انه خلق الارض اولا لانها كالاساس والاصل ان يبدا به ثم بعده بالسقف كما قال هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات الآية واما قوله ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسويها واغطش ليلها واخرج ضحيها والارض بعد ذلك دحيها اخرج منها ماءها ومرعيها الآية ففي هذه الآية ان دحي الارض كان بعد خلق السماء وهو مفسر بقوله اخرج منها ماءها الى آخره وكان هذا بعد خلق السماء فاما خلق اصل الارض فقبل خلق السماء بالنص ذكره البخاري عن ابن عباس في تفسير هذه الآية جوابا لمن سأله عن الآيتين وعن آيات اخر فقوله خلق الارض في يومين يعني يوم الاحد ويوم الاثنين وجعل فيها رواسي اي جبالا ثابتة من فوقها وبارك فيها اي في الارض بان جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والغراس

عن عبد الله بن عمر الدين خمس لا يقبل الله منهن شيئا دون شي شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله والايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار والحيوة بعد الموت هذه واحدة والصلوة الخمس عمود الاسلام لا يقبل الله الايمان الا بالصلوة والزكوة طهور من الذنوب لا يقبل الله تعالى الايمان والصلوة الا بالزكوة من فعل هولاء ثم جاء رمضان فترك صيامه متعمدا لم يقبل الله منه الايمان ولا الصلوة ولا الزكوة ومن فعل هولاء الاربع وتيسر له الحج فلم يحج ولم يوص بحجه ولم يحج عنه بعض اهله لا يقبل الله منه الاربع الايمان ولا الصلوة ولا الزكوة ولا الصيام رواه في الحلية

وقدر فيها

قوله ثم استوى يحتاه دعاه اي الحكمة الى خلق السموات بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك ومعنى امر السماء والارض بالاتيان وامتثالهما انه اراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما ارادهما وكانتا في ذلك كالمامور المطيع اذا ورد عليه فعل الامر المطاع كشاف

وقدر فيها اقواتها وهو ما يحتاج اهلها اليه من الارزاق والاماكن التي تزرع وتغرس يعني يوم الثلثاء والاربعاء فهما مع اليومين السابقين اربعة ولهذا قال في اربعة ايام سواء للسائلين اي لمن اراد السوال عن ذلك ليعلمه وقال عكرمة اي جعل في كل ارض ما لا يصلح لغيرها ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد الى بلد سواء للسائلين وقال السدي وغيره اي لمن اراد السوال عن ذلك وقال ابن زيد وقدر فيها اقواتها اي على وفق مراد من له حاجة الى رزق او حاجة فان الله قد قدر له ما هو محتاج اليه وهذا القول يشبه ما ذكروه في قوله تعالى وآتيكم من كل ما سألتموه وقوله ثم استوى الى السماء وهي دخان وهو بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الارض فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها اي استجيبا لامري وانفعلا لفعلي طائعتين او مكرهتين قال ابن عباس قال الله للسموات اطلعي شمسي وقمري ونجومي وقال للارض شققي انهارك واخرجي ثمارك قالتا اتينا طائعين واختاره ابن جرير وقيل اي بل نستجيب لك مطيعين بما فينا مما تريد خلقه من الملائكة والجن والانس [[اتينا على الطوع لا على الكره]] تنزيلا لهن منزلة من لا يعقل بكلامهما وقيل ان المتكلم من الارض بذلك هو مكان الكعبة ومن السماء ما يسامته منها قال الحسن البصري لو ابيا عليه امره لعذبهما عذابا يجدان المه رواه ابن ابي حاتم وقوله فقضيهن سبع سموات في يومين اي فرغ من تسويتهن في يومين اي آخرين وهما يوم الخميس ويوم الجمعة واوحى في كل سماء امرها اي ورتب مقررا في كل سماء ما يحتاج اليه من الملائكة وما فيها من الاشياء التي لا يعلمها الا هو وزينا السماء الدنيا بمصابيح وهي الكواكب النيرة المشرقة على اهل الارض وحفظا اي حرسا من الشياطين ان تسمع الى الملاء الاعلى ذلك تقدير العزيز العليم الذي قد عز كل شي بغلبته وقهره العليم بجميع حركات المخلوقات وسكناتهم وعن ابي هريرة قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة اخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر الى الليل رواه مسلم والنسائي فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم الا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملئكة فانا بما ارسلتم به كافرون فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا باياتنا يجحدون فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى وهم لا ينصرون واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون يعني قل يا محمد لهولاء المشركين المكذبين المعاندين ان اعرضتم عما جئتكم به من عند الله فاني انذركم حلول نقمة الله بكم كما حلت بالامم الماضية من المكذبين بالمرسلين صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اي ومن شاكلهما ممن فعل كفعلهما اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم اي في القرى المجاورة لبلادهم بعث الله اليهم الرسل يامرون بعبادة الله وحده لا شريك له مبشرين ومنذرين ورأوا ما احل الله باعدائه من النقم وما البس اولياءه من النعم ومع هذا ما آمنوا ولا صدقوا بل كذبوا وجحدوا وقالوا لو شاء ربنا لانزل ملئكة اي لو ارسل الله رسلا لكانوا ملائكة من عنده فانا بما ارسلتم به اي ايها البشر كافرون اي لا نتبعكم وانتم بشر مثلنا [[معطوف على محذوف]] قال تعالى فاما عاد فاستكبروا في الارض اي بغوا وعتوا وعصوا فيها وقالوا من اشد

تهام

كافرون
اركاذا انهم بشر مثلنا
ولسم يملكم [illegible]
كم وبما جئتم

الا تتطولوا اليهما علما اجلها
مما لا يستحقون من العظم
وهو القوة وعظم الاجرام

الذي

مناقوة اي عتوا واستطهروا بشدة تركيبهم وقواهم واعتقدوا انهم يمتنعون بها من بأس الله اولم يروا ان الله الذي
خلقهم هو اشد منهم قوة اي افما يتفكرون فيما يبارزون بالعداوة فانه العظيم الذي خلق الاشياء وركب فيها قواها
الحاملة لها وان بطشه شديد كما قال والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون اي فبارزوا الجبار بالعداوة وجحدوا
باياته وعصوا رسله فلهذا قال فارسلنا عليهم ريحا صرصرا وهي الشديدة الهبوب الباردة التي لها صوت لتكون
عقوبتهم من جنس ما اغتروا من قواهم وقوله في ايام نحسات اي متتابعات سبع ليال وثمانية ايام حتى اهلكهم
عن آخرهم واتصلت بهم خزي الدنيا وعذاب الآخرة ولهذا قال لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة
الخزي الذل والاستكانة
اخزى اي اشد خزيا لهم ولا ينصرون اي في الاخرى كما لم ينصروا في الدنيا وما لهم من الله من واق يقيهم العذاب
وقوله واما ثمود فهديناهم قال ابن عباس وغير واحد اي بينا لهم ودعوناهم فاستحبوا العمى على الهدى اي بصرناهم
اختاروا الضلالة على الرشد
وبينا لهم ووضحنا لهم الحق على لسان نبيهم صالح عليه السلم فخالفوه وكذبوه وعقروا ناقة الله التي جعلها آية وعلامة
على صدق نبيهم فاخذتهم صاعقة العذاب الهون اي بعث الله عليهم صيحة ورجفة وذلا وعذابا ونكالا بما كانوا
يكسبون اي من التكذيب والجحود ونجينا الذين آمنوا اي من بين اظهرهم لم يمسهم سوء ولا نالهم من ذلك ضرر بل نجاهم
الله مع نبيهم صالح بايمانهم بالله تعالى ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤوها
شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا
قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون
ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون
وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم فاصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى
لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين يعني اذكر لهؤلاء المشركين يوم يحشرون الى النار يوزعون اي
يجمع الزبانية اولهم وآخرهم حتى اذا ما جاؤها اي وقفوا عليها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون
اي باعمالهم مما قدموه واخروه لا يكتم منه حرف وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا اي لاموا اعضاءهم وجلودهم
حين شهدوا عليهم فاجابتهم الاعضاء عند ذلك قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي فلم يكن لنا بد من ذلك وهو
شهادة الجلود هي الملامسة الحرام وما اشبه ذلك مما تفضي اليه من المحرمات
خلقكم اول مرة فلا يخالف ولا يمانع واليه ترجعون عن انس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك
فقال هل تدرون مما اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب الم تجرني من الظلم قال
يقول بلى قال فيقول اني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين
شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي قال فتنطق باعماله ثم يخلي بينه وبين الكلام قال فيقول بعدا لكن وسحقا
فعنكن كنت اناضل رواه مسلم قال ابن عباس ان يوم القيمة ياتي على الناس منه حين لا ينطقون ولا يعتذرون ولا
يتكلمون حتى يؤذن لهم ثم يؤذن لهم فيختصمون فيجحد الجاحد بشركه بالله فيحلفون له كما يحلفون لكم فيبعث الله
عليهم شهداء من انفسهم جلودهم وابصارهم وايديهم وارجلهم ويختم على افواههم ثم يفتح لهم الافواه فتخاصم الجوارح
فتقول انطقنا الله الذي انطق كل شي فتقر الالسنة بعد الجحود رواه ابن ابي حاتم وقد سبق الحديث في هذا الباب
في سورة يس وقوله وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم اي تقول لهم الاعضاء والجلود حين يلومونها على
الشهادة عليهم ما كنتم تكتمون منا ما تفعلونه بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصي ولا تبالون منه في زعمكم لانكم كنتم لا تعتقدون

والمعنى انكم كنتم تستترون بالحيطان او الحجب عند
ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة
ان تشهد عليكم جوارحكم لانكم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم
جاحدين بالبعث والجزاء اصلا ولكن

[illegible]

انه يعلم جميع افعالكم ولهذا قالوا ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم اي هذا
الظن الفاسد وهو اعتقادكم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون هو الذي اتلفكم واهلككم عند ربكم فاصبحتم من الخاسرين اي في
مواقف القيمة خسرتم انفسكم واهليكم وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي
او قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع ان
جهرنا ولا يسمع ان اخفينا وقال الآخر ان كان يسمع اذا جهرنا فانه يسمع اذا اخفينا فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون
ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله فان قوما قد اراداهم سوء ظنهم بالله فقال الله وذلكم ظنكم الذي ظننتم الآية
وقوله فان يصبروا فالنار مثوى لهم اي مسكن اي سواء عليهم اصبروا ام لم يصبروا هم في النار لا محيد لهم عنها ولا مخرج لهم
منها وان طلبوا ان يستعتبوا او يبدوا اعذارا فما لهم اعذار ولا تقال لهم عثرات قال ابن جرير معناه ان سالوا
الرجعة الى الدنيا فلا اجابة لهم لقوله تعالى اخبارا عنهم قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا الى قوله ولا تكلمون وقيضنا
لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في امم قد خلت من
قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن و
الغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوأ الذي
كانوا يعملون ذلك جزاء اعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا ~~يعملون~~
باياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس
نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين يذكر تعالى انه هو الذي اضل المشركين وان ذلك بمشيته
وقدرته وهو الحكيم في افعاله بما قيض لهم قرناء من شياطين الانس والجن فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم
اي حسنوا لهم اعمالهم في الماضي وبالنسبة الى المستقبل فلم يروا انفسهم الا محسنين كما قال ومن يعش عن ذكر الرحمن
نقيض له شيطانا الى قوله مهتدون وقوله وحق عليهم القول اي كلمة العذاب كما حق على امم قد خلت من قبلهم ممن فعل
كفعلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين اي استووا هم واياهم في الخسار والدمار وقال الذين كفروا من مشركي قريش لا تسمعوا
لهذا القرآن اي تواصوا فيما بينهم ان لا يطيعوا القرآن ولا ينقادوا لاوامره والغوا فيه اي اذا تلي لا تسمعوا له
كما قال مجاهد والغوا فيه بالمكاء والتصفير والتخليط في المنطق على رسول الله صلى الله عليه وسلم في قرائته اذا قرا القرآن
قريش تفعله وقال قتادة اي اجحدوا به وانكروه وعادوه لعلكم تغلبون اي على رسول الله صلى الله عليه وسلم في قرائته ثم قال
تعالى منتصرا للقرآن ومنتقما ممن عاداه من اهل الكفران فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا اي في مقابلة ما اعتمدوه
في القرآن وعند سماعه ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون اي بشر اعمالهم وسيئ افعالهم ذلك اي الذي ذكرت من
العذاب الشديد جزاء اعداء الله النار اي هو النار لهم فيها اي في النار دار الخلد اي الاقامة لا انتقال منها جزاء
بما كانوا باياتنا يجحدون اي ينكرون ولا يقبلون وقال الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا قال علي رضي الله عنه اي
ابليس وابن آدم الذي قتل اخاه فابليس يدعو به كل صاحب شرك وابن آدم يدعو به كل صاحب كبيرة وقولهم نجعلهما تحت
اقدامنا اي اسفل منا في العذاب ليكونا اشد عذابا منا ولهذا قالوا ليكونا من الاسفلين اي في الدرك الاسفل من النار
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا و

ان يستعتبوا اي وان سالوا
ان يرضوا ربهم فما هم بمعتبين
اي لا سبيل لهم الى ذلك

سئل ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن الاستقامة فقال ان لا تشرك بالله شيئا وقال عمر بن الخطاب الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ روغان الثعلب وقال عثمان اخلصوا العمل لله وقال علي ادوا الفرائض وقال ابن عباس [illegible]

ابشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة ولكم فيها
ما تشتهى انفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم يعنى ان الذين اخلصوا العمل لله
وعملوا بطاعة الله على ما شرع لهم الله وقال الصديق رضى الله عنه هم الذين لم يشركوا بالله شيئا وقال ابن عباس ثم استقاموا
على شهادة ان لا اله الا الله وعلى اداء فرائضه وقال عمر رضى الله عنه استقاموا لله بطاعته ولا يروغون روغان الثعالب
وكان الحسن يقول اللهم انت ربنا فارزقنا الاستقامة وعن سفين بن عبد الله الثقفى قال قلت يا رسول الله قل لى فى
الاسلام قولا لا اسال عنه احدا بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم رواه مسلم وفى رواية لاحمد قلت فما اتقى فاومى الى
لسانه وقوله تتنزل عليهم الملئكة قال مجاهد وغير واحد اى عند الموت قائلين الا تخافوا اى مما يقدمون عليه من امر
الاخرة ولا تحزنوا اى على ما خلفتموه من امر الدنيا من الاهل والاولاد فانا نخلفكم فيه وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون
فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير وهذا كما فى حديث البراء ان الملئكة تقول لروح المؤمن اخرجى ايتها الروح الطيب
من الجسد الطيب الذى كنت تعمرينه اخرجى الى روح وريحان ورب غير غضبان وقيل ان الملئكة تتنزل عليهم يوم
خروجهم من قبورهم حكاه ابن جرير عن ابن عباس والسدى وقال زيد بن اسلم يبشرونهم عند موته وفى قبره وحين
يبعث وهذا هو الواقع الحسن وقوله نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة اى تقول الملئكة للمؤمنين عند الاحتضار
نحن كنا اولياءكم اى قرناءكم فى الحيوة الدنيا نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بامر الله وكذلك نكون معكم فى الاخرة نونس
منكم الوحشة فى القبور وعند النفخة فى الصور ونؤمنكم يوم البعث والنشور ونجاوز بكم الصراط المستقيم ونوصلكم الى
جنات النعيم ولكم فيها ما تشتهى انفسكم اى فى الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهيه النفوس وتقر به العيون ولكم
فيها ما تدعون اى فيها ما طلبتم وجدتم وحضر بين يديكم كما اخترتم نزلا من غفور رحيم اى ضيافة وعطاء وانعاما من
غفور لذنوبكم رحيم بكم وعن سعيد بن المسيب انه لقى ابا هريرة فقال ابو هريرة اسال الله ان يجمع بينى وبينك فى سوق
الجنة قال سعيد افيها سوق قال نعم اخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة اذا دخلوها نزلوا فيها بفضل
اعمالهم ثم يؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من ايام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم فى روضة
من رياض الجنة فيوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب
ومنابر من فضة ويجلس ادناهم وما فيهم من دنى على كثبان المسك والكافور ما يرون ان اصحاب الكراسى افضل
منهم مجلسا قال ابو هريرة قلت يا رسول الله هل نرى ربنا قال نعم هل تتمارون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر قلنا لا
قال كذلك لا تمارون فى رؤية ربكم ولا يبقى فى ذلك المجلس رجل الا حاضره الله محاضرة حتى يقول للرجل منهم يا فلان
بن فلان اتذكر يوم كذا وكذا فعلت فيذكره ببعض غدراته فى الدنيا فيقول يا رب افلم تغفر لى فيقول بلى فبسعة
مغفرتى بلغت منزلتك هذه فبينا هم على ذلك اذ غشيتهم سحابة من فوقهم فامطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل
ريحه شيئا قط ويقول ربنا قوموا الى ما اعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم فناتى سوقا قد حفت به الملئكة
فيها ما لم تنظر العيون الى مثله ولم تسمع الاذان ولم يخطر على القلوب فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيها ولا يشترى
وفى ذلك السوق يلقى اهل الجنة بعضهم بعضا قال فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم
دنى فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما ينقضى اخر حديثه حتى يتخيل عليه ما هو احسن منه وذلك انه لا ينبغى
لاحد ان يحزن فيها ثم ننصرف الى منازلنا فيتلقانا ازواجنا فيقلن مرحبا واهلا لقد جئت وان لك من الجمال

ان الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا اى وحدوا الله وامنوا به
ثم استقاموا فلم يحيدوا عن توحيدهم
والتزموا طاعته الى ان توفوا
على ذلك

قال ابن مسعود اذا جاء ملك الموت ليقبض
روح المؤمن قال له ان ربك يقرئك
السلام فيشتغل القلب بالفكر فى انتظار
اللقاء فلا تحس الجوارح بما يجرى كتقطيع
النسوة عند رؤية يوسف

قوله فيروعه اى يعجبه والروع اعجابك
بالشى واكباره فيرتاع وقد يكون من خوف
او جمال يبهرك ومنه جمال رائع

افضل مما

افضل مما فارقتنا عليه فنقول انا جالسنا اليوم ربنا الجبار ويحقنا ان ننقلب بمثل ما انقلبنا رواه ابن ابى حاتم
وابن ماجه والترمذى عن محمد بن اسمعيل البخارى وقال هذا حديث غريب ومن احسن قولا ممن دعا
الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى
هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم وما يلقاها الا الذين
صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ
بالله انه هو السميع العليم يعنى من الذى دعا عباد الله اليه وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين اى وهو
فى نفسه مهتد بما يقوله فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد فياتى بالخير ويترك الشر ويدعو الخلق الى الخالق تعالى
وهذه عامة فى كل من دعا الى خير وهو فى نفسه مهتد ورسول الله صلى الله عليه وسلم اولى الناس بذلك كما قاله
ابن عباس وغيره وقيل المراد بها المؤذنون الصلحاء كما ثبت فى صحيح مسلم المؤذنون اطول الناس اعناقا يوم القيمة
وفى السنن مرفوعا الامام ضامن والمؤذن مؤتمن فارشد الله الائمة وغفر للمؤذنين وقال عمر بن الخطاب رضى الله
عنه لو كنت مؤذنا لكمل امرى وما باليت ان لا انتصب لقيام الليل ولا لصيام النهار سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اللهم اغفر للمؤذنين ثلثا وقال ابن مسعود رضى الله عنه لو كنت مؤذنا ما باليت ان لا احج ولا اعتمر
ولا اجاهد رواهما ابن ابى حاتم وقالت عائشة رضى الله عنها هو المؤذن اذا قال حى على الصلوة فقد دعا الى الله وقال
ابو امامة الباهلى وعمل صالحا يعنى ركعتين بين الاذان والاقامة كما فى الصحيحين عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بين كل اذانين صلوة بين كل اذانين صلوة ثم قال فى الثالثة لمن شاء والصحيح ان الاية عامة فى
المؤذنين وغيرهم فانه لم يكن حال نزول هذه الاية الاذان مشروعا بالكلية لانها مكية والاذان شرع بعد الهجرة
حين ارى عبد الله بن زيد الانصارى فى المنام كما هو المشهور عنه وقال الحسن البصرى فى هذه الاية هذا حبيب الله
هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا احب الخلق الى الله اجاب الله فى دعوته ودعا الناس الى ذلك وعمل صالحا فى اجابته
وقال اننى من المسلمين هذا خليفة الله وقوله ولا تستوى الحسنة ولا السيئة اى فرق عظيم بين هذه وهذه ادفع بالتى
هى احسن اى من اساء اليك فادفعه عنك بالاحسان اليه كما قال عمر ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل ان تطيع الله
فيه وقوله فاذا الذى بينك وبينه عداوة اى فاذا احسنت الى من اساء اليك قادته تلك الحسنة الى مصافاتك
حتى يصير كانه ولى حميم اى قريب اليك فى الشفقة والمحبة لك ثم قال وما يلقاها الا الذين صبروا اى وما يقبل هذه
الوصية ولا يعمل بها الا من صبر على ذلك فانه يشق على النفوس وما يلقاها الا ذو حظ عظيم اى ذو نصيب وافر من
السعادة فى الدارين قال ابن عباس فى هذه الاية امر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند
الاساءة واذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كانه ولى حميم وقوله واما ينزغنك من
الشيطان نزغ فاستعذ بالله اى ان شيطان الانس ربما ينخدع بالاحسان اليه فاما شيطان الجن فلا حيلة فيه
اذا وسوس الا الاستعاذة بخالقه الذى سلطه فاذا استعذت بالله والتجات اليه كفه عنك ورد كيده وقد
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلوة يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه و
نفخه ونفثه ونظيرها هنا ما سبق فى سورة الاعراف عند قوله خذ العفو الاية وفى سورة المؤمنون عند قوله ادفع
بالتى هى احسن الاية انه هو السميع اى لاستعاذتك واقوالك العليم اى بافعالك واحوالك ومن اياته الليل

ويحقنا ان ننقلب

قال الفراء لا ههنا صلة ومعنى ولا تستوى
الحسنة والسيئة يعنى الصبر والغضب والحلم
والجهل والعفو والاساءة

والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير ينبه تعالى خلقه على قدرته العظيمة وانه الذي لا نظير له وانه على ما يشاء قادر بقوله ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر اي انه خلق الليل بظلامه والنهار بضيائه وهما متعاقبان لا يفتران والشمس ونورها واشراقها والقمر وضياؤه وتقدير منازله في فلكه واختلاف سيره في سمائه ليعرف باختلاف سيرهما مقادير الليل والنهار والجمع والشهور والاعوام ويتبين بذلك حلول الحقوق واوقات العبادات والمعاملات ثم لما كان الشمس والقمر احسن الاجرام المشاهدة في العالم العلوي والسفلي نبه تعالى على انهما مخلوقان عبدان من عبيده تحت قهره وتسخيره فقال لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون اي لا تشركوا به فما ينفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره فانه لا يغفر ان يشرك به ولهذا قال فان استكبروا اي عن افراد العبادة له وابوا الا ان يشركوا معه غيره فالذين عند ربك يعني الملائكة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون اي لا يفترون ولا يملون وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الليل ولا النهار ولا الشمس ولا القمر ولا الرياح فانها ترسل رحمة لقوم وعذابا لقوم رواه ابو يعلى الموصلي وقوله ومن آياته اي على قدرته على اعادة الموتى انك ترى الارض خاشعة اي هامدة لا نبات فيها بل هي ميتة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت اي اخرجت من جميع الالوان الزروع والثمار ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا افمن يلقى في النار خير ام من يأتي آمنا يوم القيمة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم قال ابن عباس الالحاد وضع الكلام على غير مواضعه وقال قتادة هو الكفر والعناد وقوله لا يخفون علينا فيه تهديد ووعيد اي انه تعالى عالم بمن يلحد في آياته واسمائه وصفاته وسيجزيه على ذلك بالعقوبة والنكال ولهذا قال افمن يلقى في النار خير ام من يأتي آمنا يوم القيمة اي لا يستوي هذا وهذا ثم قال مهددا للكفرة اعملوا ما شئتم قال مجاهد وغيره هذا وعيد اي من خير وشر انه عالم بكم وبصير باعمالكم ولهذا قال انه بما تعملون بصير ثم قال ان الذين كفروا بالذكر اي بالقرآن وانه لكتاب عزيز اي منيع الجناب لا يرام ان يأتي احد بمثله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اي ليس للبطلان اليه سبيل لانه منزل من رب العالمين ولهذا قال تنزيل من حكيم حميد اي حكيم في اقواله وافعاله حميد في جميع ما يأمر به وينهى عنه الجميع محمودة عواقبه وغاياته ثم قال ما يقال لك اي من التكذيب الا ما قد قيل للرسل من قبلك فكما كذبت فقد كذبوا وكما صبروا على اذى قومهم فاصبر انت على اذى قومك وهذا اختيار ابن جرير ولم يحك هو ولا ابن ابي حاتم غيره وقوله ان ربك لذو مغفرة اي لمن تاب اليه وذو عقاب اليم اي لمن استمر على كفره وطغيانه وعناده وشقاقه ومخالفته قال ابن المسيب لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد رواه ابن ابي حاتم ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته اعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين

روي ان لله تعالى ملكا يقال له جوقيائيل له ثمانية عشر الف جناح

عن عكرمة ان الشمس اذا غربت دخلت بحرا تحت العرش فتسبح الله حتى اذا هي اصبحت استعفت ربها من الخروج فيقول الرب جل جلاله ولم ذلك والرب اعلم قالت اني اذا خرجت عبدت من دونك فقال الرب اخرجي فليس عليك من ذلك شيء حسبهم جهنم ابعثها اليهم مع ثلاثة عشر الف ملك يقودونها حتى يدخلوهم فيها

لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب لما ذكر تعالى القرآن وفصاحته وبلاغته واحكامه في لفظه ومعناه ومع هذا لم يؤمن به المشركون نبه على ان كفرهم به كفر عناد وتعنت كما قال ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين وكذلك لو انزلنا القرآن كله بلغة العجم لقالوا على وجه التعنت والعناد لولا فصلت آياته اعجمي وعربي اي لقالوا هلا انزل مفصلا بلغة العرب ولانكروا ذلك فقالوا اعجمي وعربي اي كيف ينزل كلام اعجمي على مخاطب عربي لا يفهمه هكذا نقل عن ابن عباس وغيره وقيل المراد هلا انزل بعضها بالاعجمي وبعضها بالعربي وهذا قول الحسن وكان يقرؤها كذلك بلا استفهام ووافقه ابن جبير وهو في العناد ابلغ ثم قال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء اي قل يا محمد هذا القرآن لمن آمن به هدى لقلبه وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى اي لا يهتدون الى ما فيه من البيان كما قال وننزل من القرآن ما هو شفاء الآية قوله بعيد قال مجاهد اي بعيد من قلوبهم وقال ابن جرير معناه كان من يخاطبهم يناديهم من مكان بعيد لا يفهمون ما يقول وقال الضحاك ينادون يوم القيمة باشنع اسمائهم وقوله ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه اي كذب واوذي فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولولا كلمة سبقت من ربك اي الى اجل مسمى بتأخير الحساب الى يوم المعاد لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب اي وما كان تكذيبهم له عن بصيرة منهم لما قالوا بل كانوا شاكين فيما قالوه غير محققين لشيء كانوا فيه هكذا وجهه ابن جرير من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرة من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم اين شركائي قالوا آذناك ما منا من شهيد وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص يعني انما يعود نفع عمله الصالح على نفسه ومن اساء فعليها اي انما يرجع وبال ذلك عليه وما ربك بظلام للعبيد اي لا يعاقب احدا الا بذنبه ولا يعذب احدا الا بعد قيام الحجة عليه وارسال الرسول اليه ثم قال اليه يرد علم الساعة اي لا يعلم ذلك احد سواه كما قال سيد البشر عليه الصلوة والسلام لجبريل حين سأله عن الساعة ما المسؤول عنها باعلم من السائل وقوله وما تخرج من ثمرة من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه اي الجميع بعلمه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وقد قال تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها وقال الله يعلم ما تحمل كل انثى الى قوله بمقدار وقوله ويوم يناديهم اين شركائي اي يوم القيمة ينادي الله المشركين على رؤس الخلائق اين شركائي الذين عبدتموهم معي قالوا آذناك اي اعلمناك ما منا من شهيد اي ليس احد منا اليوم يشهد ان معك شريكا وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل اي ذهبوا فلم ينفعوهم وظنوا ما لهم من محيص اي وظن المشركون يوم القيمة وهذا الظن بمعنى اليقين ما لهم من محيص اي لا مهرب لهم ولا مفر من عذاب الله لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض يقول تعالى لا يمل الانسان من دعائه ربه بالخير وهو المال

والمعنى ان آيات الله على اي طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لان القوم غير طالبين للحق وانما يتبعون اهواءهم

اولئك ينادون من مكان بعيد

وصحة الجسم ونحو ذلك وان مسه الشر وهو البلاء والفقر فيؤس قنوط اى يقع في ذهنه انه لا يتهيأ له بعد هذا خير ولئن اذقناه رحمة منا اي اذا اصابه خير ورزق بعد ما كان في شدة ليقولن هذا لي اي كنت استحقه عند ربي وما اظن الساعة قائمة اي يكفر بقيام الساعة لاجل انه ولي نعمه يفخر ويكفر كما قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى ولئن رجعت الى ربي اي ولئن كان ثم معاد فليحسن الي ربي كما احسن الي في الدنيا يتمنى على الله مع اساءته العمل مع عدم اليقين قال تعالى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا يتهدد تعالى من كان هذا عمله واعتقاده بالعقاب والنكال ثم قال واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه اي اعرض واستكبر عن الانقياد لاوامر الله كقوله فتولى بركنه واذا مسه الشر اي الشدة فذو دعاء عريض اي يطيل المسألة في شيء واحد فالكلام العريض ما طال لفظه وقل معناه والوجيز عكسه وهو ما قل ودل قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد الا انهم في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط يقول قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالقرآن ارايتم ان كان هذا القرآن من عند الله ثم كفرتم به اي كيف ترون حالكم عند الذي انزله على رسوله ولهذا قال من اضل ممن هو في شقاق بعيد اي في كفر وعناد ومشاقة للحق ومسلك بعيد عن الهدى ثم قال سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم اي سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقا منزلا من عند الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بدلائل خارجية في الافاق من الفتوحات وظهور الاسلام على الاقاليم وسائر الاديان قاله مجاهد وغير واحد ودلائل في انفسهم كوقعة بدر وفتح مكة ونحو ذلك من الوقائع التي حلت بهم نصر الله فيها رسوله عليه الصلاة والسلام واصحابه ويحتمل ان يكون المراد بذلك ما الانسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والاخلاط والهيئات العجيبة كما هو مشروح في علم التشريح الدال على حكمة الصانع وكذلك ما هو مجبول عليه من الاخلاق المتباينة من حسن وقبيح وغير ذلك وما هو متصرف فيه تحت الاقدار التي لا يقدر بحوله وقوته وحيله وحذره ان يجوزها ولا يتعداها كما انشد ابن ابي الدنيا عن شيخه ابي جعفر القرشي ؛

اذا نظرت تريد معتبرا ؛ فانظر اليك ففيك معتبر ؛
انت الذي تمسي وتصبح في ؛ الدنيا وكل اموره عبر ؛
انت المصرف كان في صغر ؛ ثم استقل بشخصك الكبر ؛
انت الذي تنعاه خلقته ؛ تنعاه منه الشعر والبشر ؛
انت الذي تعطى وتسلبه ؛ لا ينجيه من ان يسلب الحذر ؛
انت الذي لا شيء منه له ؛ واحق منه بماله القدر ؛

وقوله تعالى حتى يتبين لهم انه الحق يعني دين الاسلام وقيل القرآن يتبين لهم انه من عند الله اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد اي كفى به شهيدا على افعال عباده واقوالهم وهو يشهد ان محمدا صادق فيما اخبر به عنه كما قال لكن الله يشهد بما انزل اليك الاية وقوله الا انهم في مرية من لقاء ربهم اي في شك من قيام الساعة ولهذا لا يتفكرون فيه ولا يعملون له ولا يحذرون منه بل هو عندهم هدر لا يعبأون به وهو كائن لا محالة روى ان عمر بن عبد العزيز صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا ايها الناس فاني لم اجمعكم لامر احدثه فيكم ولكن فكرت في هذا الامر الذي انتم اليه صائرون فعلمت ان المصدق بهذا الامر احمق والمكذب به هالك ثم نزل فقوله ان المصدق به احمق اي لانه لا يعمل له عمل مثله ولا يحذر منه ولا يخاف من هوله وهو مع ذلك مصدق به موقن بوقوعه ومع ذلك يتمادى في لعبه وغفلته وشهواته فهو بهذا الاعتبار احمق والاحمق في اللغة ضعيف العقل ثم قال تعالى مقررا انه على كل شيء قدير وبكل شيء محيط واقامة الساعة لديه يسير سهل عليه الا انه بكل شيء محيط اي المخلوقات كلها تحت قهره

وفي قبضته

[illegible]

وفي قبضته وتحت طي علمه وهو المتصرف فيها كلها بحكمته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن

تفسير سورة الشورى

وهي مكية بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض الا ان الله هو الغفور الرحيم والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل سبق البحث عن حروف اوائل السور في اول سورة البقرة روى ابو يعلى الموصلي باسناد منقطع ان عمر بن الخطاب صعد يوما المنبر فقال ايها الناس هل سمع منكم احد رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر حم عسق فوثب ابن عباس فقال انا حم اسم من اسماء الله قال فعين قال عاين المولون عذاب يوم بدر قال فسين قال سيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون قال فقاف فسكت فقام ابو ذر ففسر كما قال ابن عباس وقال قاف قارعة من السماء تغشى الناس وقوله كذلك يوحي اليك اي كما انزل هذا القرآن كذلك انزل الكتب والصحف على الانبياء قبلك وقوله الله العزيز اي في انتقامه الحكيم في اقواله وافعاله وعن عائشة رضي الله عنها ان الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا يأتيني الملك رجلا يكلمني فاعي ما يقول قالت عائشة فلقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا رواه البخاري ومسلم وعن عبد الله بن عمرو قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هل تحس بالوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمع صلاصل ثم اسكت عند ذلك فما من مرة يوحى الي الا ظننت ان نفسي تفيض تفرد به احمد وقد ذكرنا كيفية نزول الوحي في اول شرح البخاري بما اغنى عن اعادته ههنا وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض اي الجميع عبيد له تحت قهره وتصريفه وهو العلي العظيم كقوله وهو العلي الكبير وقوله تكاد السموات يتفطرن اي يتشققن من فوقهن قال ابن عباس وغير واحد اي فرقا من العظمة والملائكة يسبحون بحمد ربهم كقوله الذين يحملون العرش الى قوله علما وقوله الا ان الله هو الغفور الرحيم اعلام بذلك واشادة به وقوله والذين اتخذوا من دونه اولياء يعني المشركين الله حفيظ عليهم اي شهيد على اعمالهم يحصيها ويعدها وسيجزيهم بها اوفى الجزاء وما انت عليهم بوكيل اي انما انت نذير والله على كل شيء وكيل وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون من ولي ولا نصير يقول وكما اوحينا الى الانبياء قبلك اوحينا اليك قرآنا عربيا اي واضحا جليا بينا لتنذر ام القرى وهي مكة ومن حولها اي من سائر البلاد شرقا وغربا وقوله وتنذر يوم الجمع هو يوم القيمة يجمع الله فيه الاولين والاخرين في صعيد واحد وقوله لا ريب فيه اي لا شك في وقوعه وانه كائن لا محالة وقوله فريق في الجنة وفريق في السعير كقوله يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد عن عبد الله بن عمرو قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وفي يده كتابان فقال اتدرون ما هذان الكتابان قلنا لا الا ان تخبرنا يا رسول الله قال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين باسماء اهل الجنة واسماء ابائهم وقبائلهم ثم اجمل على اخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ابدا ثم قال للذي في يساره هذا كتاب اهل النار باسمائهم واسماء ابائهم وقبائلهم ثم اجمل على اخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ابدا فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاي شيء نعمل

ما لهم ص

اي انما انت رسول عليك البلاغ وليس عليك حملهم على الايمان

ويستغفرون لمن في الارض من المؤمنين لقوله ويستغفرون للذين امنوا [illegible]

اقصم المطر اي اقلع [illegible] شبهه بالحمى اذا انفصمت عن المحموم

[illegible]

ان كان هذا امر قد فرغ منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل الجنة وان عمل اي عمل وان صاحب النار يختم له بعمل النار وان عمل اي عمل ثم قال بيده فقبضها ثم قال فرغ ربكم من العباد ثم قال باليمنى فنبذ بها فقال فريق في الجنة ونبذ باليسرى وقال فريق في السعير رواه ابن احمد والترمذي وصححه والنسائي وقوله ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة اي اما على الهداية او على الضلالة ولكنه تعالى فاوت بينهم فهدى من يشاء الى الحق واضل من يشاء عنه وله الحكمة البالغة ولهذا قال ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير وقد روى ابن جرير عن ابن حجيرة انه بلغه ان موسى عليه السلم قال يا رب خلقك الذين خلقتهم جعلت منهم فريقا في الجنة وفريقا في النار لو ما ادخلتهم كلهم الجنة فقال يا موسى ارفع زرعك فرفع قال قد رفعت قال ارفع فرفع فلم يترك شيئا قال يا رب قد رفعت قال ارفع قال قد رفعت الا ما لا خير فيه قال كذلك ادخل خلقي كلهم الجنة الا ما لا خير فيه **ام اتخذوا من دونه اولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شي قدير وما اختلفتم فيه من شي فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه انيب فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شي وهو السميع البصير له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شي عليم** انكر تعالى على المشركين في اتخاذهم الهة من دون الله مخبرا انه هو الولي الحق الذي لا ينبغي العبادة الا له وحده لا شريك له فان الله هو القادر على احياء الموتى وهو على كل شي قدير ثم قال وما اختلفتم فيه من شي فحكمه الى الله اي هو الحاكم فيه بكتابه وسنة نبيه كقوله فان تنازعتم في شي فردوه الى الله والرسول ذلكم الله ربي اي الحاكم في كل شي عليه توكلت واليه انيب اي ارجع في جميع الامور وقوله فاطر السموات والارض اي خالقهما وما بينهما جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم وشكلكم منة عليكم وتفضلا جعل من جنسكم ذكرا وانثى ومن الانعام ازواجا اي وخلق لكم من الانعام ثمانية ازواج وقوله يذرؤكم اي يخلقكم فيه اي في ذلك الخلق على هذه الصفة لا يزال يوجد فيه ذكور واناث خلقا من بعد خلق ونسلا من بعد نسل من الناس والانعام وقال البغوي يذرؤكم فيه اي في الرحم وقيل في البطن وقيل في هذا الوجه من الخلقة وقيل في بمعنى الباء ليس كمثله شي اي ليس كخالق الازواج كلها شي لانه الفرد الصمد الذي لا نظير له وهو السميع البصير وقوله له مقاليد السموات والارض اي المفاتيح سبق تفسيره في سورة الزمر يعني انه المتصرف الحاكم فيهما يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء وله الحكمة التامة انه بكل شي عليم **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب** قال تعالى لهذه الامة شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك فذكر اول الرسل بعد آدم وهو نوح وآخرهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر من بين ذلك من اولي العزم وهو ابرهيم وموسى وعيسى وهذه الآية اشتملت ذكر الخمسة كما اشتملت آية الاحزاب عليهم في قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك الآية والذي جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وفي الحديث

ولو شاء ربك مشيئة قدرة لقسرهم على الايمان ولكنه شاء مشيئة حكمة وكلفهم وبنى امرهم على الاختيار ... ويدخل المؤمنين في رحمته وهم المرادون بمن يشاء ... ووضعهم في معاملة الظالمين وترك الظالمين بغير ولي ولا نصير في عذابه سو كشاف

... آدم نوحا لانه اول من اوحي اليه الحلال والحرام واول من اوحي اليه تحريم الامهات والاخوات والبنات

نحن معشر الانبياء اولاد علات ديننا واحد اي القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده وان اختلفت شرائعهم ومناهجهم لقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اي طريقا وسنة ولهذا قال ههنا ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه اي وصى الله سبحانه جميع الانبياء بالائتلاف والجماعة ونهاهم عن الافتراق والاختلاف وقوله كبر على المشركين ما تدعوهم اليه اي شق عليهم وانكروا ما تدعوهم اليه يا محمد من التوحيد ثم قال الله يجتبي اليه من يشاء اي هو الذي يقدر الهداية لمن يستحقها ويكتب الضلالة على من آثرها على طريق الرشد ولهذا قال وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم اي انما كان مخالفتهم للحق بعد بلوغه اليهم وقيام الحجة عليهم وما حملهم على ذلك الا البغي والعناد والمشاقة قال تعالى ولولا كلمة سبقت اي لولا الكلمة السابقة من الله بانظار العباد باقامة حسابهم الى يوم المعاد لعجل لهم العقوبة في الدنيا وقوله وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم يعني الجيل المتاخر بعد القرن الاول المكذب للحق لفي شك منه مريب اي ليسوا على يقين من امرهم وايمانهم بل مقلدون لآبائهم واسلافهم بلا دليل ولا برهان وهم في حيرة من امرهم وشك مريب وشقاق بعيد **فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل امنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير** هذه الآية مشتملة على عشر كلمات مستقلات كل منها منفصلة عن التي قبلها ولها حكم براسه ولا نظير لها سوى آية الكرسي فانها كذلك فقوله فلذلك فادع اي فللذي اوحينا اليك من الدين الذي وصينا به جميع المرسلين قبلك من اولي العزم وغيرهم فادع الناس اليه وقوله واستقم كما امرت اي واستقم انت ومن اتبعك على عبادة الله كما امركم الله وقوله ولا تتبع اهواءهم يعني المشركين فيما اختلفوه وكذبوه وافتروه من عبادة الاوثان وقوله وقل امنت اي صدقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الانبياء لا نفرق بين احد منهم وقوله وامرت لاعدل بينكم اي في الحكم كما امرني الله وقوله الله ربنا وربكم اي هو المعبود لا اله غيره فنحن نقر بذلك على الاختيار وان لم تفعلوه انتم كذلك وقوله لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي نحن براء منكم كما قال فقل لي عملي ولكم عملكم الآية وقوله لا حجة بيننا وبينكم اي لا خصومة وكان ذلك قبل نزول آية السيف وقوله الله يجمع بيننا اي يوم القيمة وقوله واليه المصير اي المرجع والمآب يوم الحساب **والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين امنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق الا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد** يعني الذين يجادلون المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله ليصدوهم عما سلكوه من طريق الهدى حجتهم داحضة عند ربهم اي باطلة عند الله وعليهم غضب اي من الله ولهم عذاب شديد اي يوم القيمة قال ابن عباس جادلوا المؤمنين بعدما استجابوا لله ولرسوله ليصدوهم عن الهدى وطمعوا ان يعود الى الجاهلية ثم قال تعالى الله الذي انزل الكتاب بالحق يعني الكتب المنزلة من عنده على انبيائه والميزان وهو العدل والانصاف قاله مجاهد وقتادة وهو كقوله والسماء رفعها ووضع الميزان الآية وقوله وما يدريك لعل الساعة قريب فيه ترغيب فيها وترهيب منها وتزهيد في الدنيا وقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها اي يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وانما يقولون ذلك تكذيبا واستبعادا وكفرا والذين امنوا مشفقون منها اي خائفون وجلون من وقوعها ويعلمون انها الحق اي كائنة لا محالة فهم مستعدون لها عاملون لاجلها وقد روي في الصحاح

المراد اقامة دين الاسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل باقامته مسلما ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الامم على حسب احوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل ان اقيموا الدين اما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه واما رفع على الاستئناف كانه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين سو كشاف

ويهدي اليه من ينيب اي يرجع الى طاعته

يحاجون في الله يخاصمون في دينه من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا في دين الاسلام ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق سو كشاف

فان قلت كيف يوفق ذكر اقتراب الساعة مع انزال الكتاب والميزان قلت لان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين القسط فكانه قيل امركم الله بالعدل والسوية والعمل بالشرائع قبل ان يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن اعمالكم ويوفي لمن اوفى ويطفف لمن طفف سو كشاف

السنن ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوت جهوري وهو في بعض اسفاره فقال متى الساعة فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويحك انها كائنة فما اعددت لها فقال حب الله ورسوله فقال انت مع من احببت فقوله في الحديث
المرء مع من احب متواتر لا محالة والغرض انه لم يجبه عن وقت الساعة بل امره بالاستعداد لها وقوله الا ان الذين يمارون
في الساعة اي يحاجون في وجودها ويدفعون وقوعها لفي ضلال بعيد اي في جهل بين لان الذي خلق السموات و
الارض قادر على احياء الموتى بطريق الاولى الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز
من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له
في الاخرة من نصيب ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله ولولا كلمة
الفصل لقضي بينهم وان الظالمين لهم عذاب اليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا
وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن
عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير اخبر تعالى عن لطفه بخلقه في رزقه اياهم عن آخرهم لا ينسى احدا منهم سواء
في رزقه البر والفاجر كقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين
وقوله يرزق من يشاء اي يوسع على من يشاء وهو القوي العزيز اي لا يعجزه شيء ثم قال من كان يريد حرث الاخرة اي عمل
الاخرة نزد له في حرثه اي نقويه ونعينه على ما هو بصدده ونكثر نماءه ونجزيه بالحسنة عشر امثالها الى سبعمائة الى اضعاف
الى ما يشاء الله ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب اي ومن كان انما سعيه ليحصل له شيء من الدنيا
وليس له الى الاخرة هم بالكلية حرمه الله الدنيا والاخرة ان شاء اعطاه منها وان لم يشأ لم يحصل له هذه ولا هذه وخسر
الدنيا والاخرة ودليله ان هذه الآية مقيدة بالآية التي في سبحان وهي قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها
ما نشاء الى قوله واكبر تفضيلا وفي المعالم للبغوي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة
بالسناء والرفعة والنصر والتمكين في الارض فمن عمل منهم عمل الاخرة للدنيا لم يكن له في الاخرة من نصيب وقوله ام
لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله اي هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم بل يتبعون ما شرع
لهم شياطينهم من الجن والانس من تحريم ما حرموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وتحليل الميتة والدم
والقمار الى نحو ذلك من الضلالات والجهالات التي اخترعوها في جاهليتهم وقوله ولولا كلمة الفصل اي لولا ما تقدم
من تأجيلهم الى يوم المعاد لقضي بينهم اي لعوجلوا بالعقوبة وان الظالمين لهم عذاب اليم اي شديد موجع في جهنم و
بئس المصير ثم قال ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا اي في عرصات القيمة وهو واقع بهم اي الذي يخافون منه واقع
بهم لا محالة هذا حالهم يوم معادهم وهم في هذا الخوف والوجل والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات
الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم فاين هذا من هذا اين من هو في العرصات في الذل والهوان والخوف المحقق عليه
بظلمه ممن هو في روضات الجنات فيما يشاء من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومناظر ومناكح وملاذ مما لا
عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولهذا قال ذلك هو الفضل الكبير اي الفوز العظيم والنعمة التامة
السابغة العامة ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا اسألكم
عليه اجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور
شكور ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق

الحق

[illegible]

الله لطيف بعباده

لطيف بعباده بر يبلغ البر بهم قد توصل بره الى جميعهم وتوصل من كل واحد منهم الى حيث لا يبلغه وهم احد من كلياته وجزئياته فان قلت فما معنى قوله يرزق من يشاء بعد توصل بره الى جميعهم قلت كلهم مبرورون لا يخلو احد من بره الا ان البر اصناف وله اوصاف والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت قضايا الحكمة والتدبير فيطير لبعض العباد صنف من البر لم يطر مثله لاخر ويصيب هذا حظ له وصف ليس ذلك الوصف لحظ صاحبه فمن قسم له منهم ما لم يقسم للاخر فقد رزقه وهو الذي اراد بقوله يرزق من يشاء كما يرزق احد الاخوين ولدا دون الاخر وعلما اصابه بغيره اوفى لم يرزقها صاحب الولد وهو القوي الباهر القدرة الغالب على كل شيء العزيز المنيع الذي لا يغلب

[illegible]

[illegible]

الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور لما ذكر تعالى روضات الجنات لعباده المؤمنين الصالحين قال
ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا اي هذا حاصل لهم كائن لا محالة ببشارة الله لهم به وقوله قل لا اسألكم عليه اجرا
الا المودة في القربى اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش لا اسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالا تعطونيه و
انما اطلب منكم ان يكفوا شركم عني وتذروني ابلغ رسالة ربي وقال ابن عباس اي الا ان تصلوا ما بيني وبينكم
من القرابة رواه البخاري وقال ايضا قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اسألكم على ما آتيتكم من البينات و
الهدى اجرا الا ان تودوا الله وتقربوا اليه بطاعته رواه احمد وهذا كانه تفسير لقول ثان كانه يقول الا
ان تعملوا بالطاعة التي تقربكم عند الله زلفى وقول ثالث معناه الا ان تودوني في قرابتي اي تحسنوا اليهم وتبروا
معهم وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته بغدير خم اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله
وعترتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض وعن العباس قال قلت يا رسول الله ان قريشا اذا لقي بعضهم بعضا
لقوهم ببشر حسن واذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها قال فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا و
قال والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله رواه احمد وفي الصحيح ان ابا بكر الصديق رضي الله
عنه قال ارقبوا محمدا في اهل بيته وانه قال لعلي رضي الله عنه والله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب
الي ان اصل من قرابتي وعن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطيبا فينا بماء يدعى خما
بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال اما بعد الا ايها الناس انما انا بشر يوشك ان ياتي
رسول ربي فاجيب واني تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به
فحث على كتاب الله ورغب فيه وقال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي رواه مسلم وقيل
لزيد من اهل بيته قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس وقيل هم الذين حرم الله عليهم الصدقة من
اقاربه ويقسم فيهم الخمس وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يفترقوا في جاهلية ولا في الاسلام وعن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبوا الله لما يغذوكم من نعمه واحبوني بحب الله واحبوا اهل بيتي بحبي
رواه الترمذي وحسنه وغربه وقوله ومن يقترف حسنة اي ومن يعمل حسنة نزد له فيها حسنا اي اجرا وثوابا
اي من يكتسب طاعة نزد له فيها حسنا بالتضعيف
كقوله وان تك حسنة يضاعفها الآية قال بعض السلف ان من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وان جزاء السيئة السيئة
بعدها وقوله ان الله غفور شكور اي يغفر الكثير من السيئات ويكثر القليل من الحسنات فيستر ويغفر ويضاعف
فيشكر وقوله ام يقولون افترى على الله كذبا اي لو افتريت على الله كذبا كما يزعم هؤلاء الجهلة يختم على قلبك اي يطبع
على قلبك ويسلبك ما كان آتاك من القرآن وقوله ويمح الله الباطل ليس معطوفا على قوله يختم حتى يكون مجزوما بل
هو مرفوع على الاستئناف وقوله ويحق الحق بكلماته معطوف على يمحو اي يحققه ويثبته ويوضحه بكلماته اي بحججه
وبراهينه انه عليم بذات الصدور اي بما تكنه الضمائر وتنطوي عليه السرائر وهو الذي يقبل التوبة
عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات
ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ولو بسط الله الرزق لعباده
لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير وهو الذي ينزل
الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد يمتن الله تعالى على عباده بقبول

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

توبتهم اذا تابوا ورجعوا اليه وانه يعفو ويصفح ويستر ويغفر بقوله وهو الذي يقبل التوبة عن عباده قال ابن عباس يريد اولياءه واهل طاعته وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله اشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من احدكم كان راحلته بارض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فايس منها فاتى شجرة فاضطجع في ظلها قد ايس من راحلته فبينما هو كذلك اذ هو بها قائمة عنده فاخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم انت عبدي وانا ربك اخطاء من شدة الفرح رواه مسلم وقوله ويعفو عن السيئات اي يقبل التوبة في المستقبل ويعفو عن السيئات في الماضي ويعلم ما تفعلون اي هو عالم بجميع ما فعلتم وصنعتم وقلتم ومع هذا يتوب على من تاب اليه وقوله ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال ابن جرير اي يستجيب لهم الدعاء لانفسهم ولاصحابهم واخوانهم ويزيدهم من فضله اي فوق ذلك قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ويزيدهم من فضله هو الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع اليهم المعروف في الدنيا رواه ابن ابي حاتم وقال ابرهيم النخعي هو الشفاعة في اخوان اخوانهم وقوله والكافرون لهم عذاب شديد اي موجع مؤلم يوم معادهم وحسابهم وقوله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض اي لو اعطاهم فوق حاجتهم من الرزق لحملهم ذلك على البغي والطغيان من بعضهم على بعض اشرا وبطرا قال قتادة كان يقال خير العيش ما لا يلهيك ولا يطغيك وقوله ولكن ينزل بقدر ما يشاء اي ولكن يرزقهم من الرزق ما يختاره مما فيه صلاحهم وهو اعلم بذلك فيغني من يستحق الغنى ويفقر من يستحق الفقر كما جاء في الحديث المروي ان من عبادي لمن لا يصلحه الا الغنى ولو افقرته لافسدت عليه دينه وان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر فلو اغنيته لافسدت عليه دينه وقوله وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا اي من بعد اياس الناس من نزول المطر ينزله عليهم في وقت حاجتهم وفقرهم اليه كقوله وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم الآية وقوله وينشر رحمته اي يعم بها الوجود على اهل ذلك القطر وتلك الناحية روي ان رجلا قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يا امير المؤمنين قحط المطر وقنط الناس فقال عمر مطرتم ثم قرا هذه الآية وهو الولي الحميد اي هو المتصرف في خلقه بما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم وهو المحمود العاقبة في جميع ما يقدره ويفعله **ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وما انتم بمعجزين في الارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير** يعني ومن آياته الدالة على عظمته وقدرته وسلطانه خلق السموات والارض وما بث اي ذرأ في السموات والارض من دابة تشمل الملائكة والجن والانس وسائر الحيوانات على اختلاف اشكالهم والوانهم ولغاتهم وطباعهم واجناسهم وانواعهم وقد فرقهم في ارجاء اقطار السموات والارض ومع هذا كله هو على جمعهم اذا يشاء قدير اي يوم القيمة يجمع الاولين والآخرين وسائر الخلائق في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيحكم بينهم بحكمه العدل الحق وقوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم اي مهما اصابكم ايها الناس من المصائب فانما هي عن سيئات تقدمت لكم ويعفو عن كثير اي من السيئات فلا يجازيكم عليها بل يعفو عنها وفي الحديث الصحيح والذي نفسي بيده ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن الا كفر الله عنه بها من خطاياه حتى الشوكة يشاكها وعن علي رضي الله عنه قال الا اخبركم بافضل آية في كتاب الله وحدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وسافسرها لك يا علي ما اصابكم من مرض او عقوبة او بلاء في الدنيا فبما كسبت ايديكم و

[illegible]

عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله تبارك وتعالى قال يقول الله من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ... اني لاغضب لاوليائي كما يغضب الليث الحرد وما تقرب الي عبدي المؤمن بمثل اداء ما افترضت عليه وما يزال عبدي المؤمن يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا ان دعاني اجبته وان سالني اعطيته وما ترددت في شئ انا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادي المؤمنين لمن يسالني الباب من العبادة فاكفه عنه ان لا يدخله عجب فيفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو اسقمته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا السقم ولو اصححته لافسده ذلك اني ادبر امر عبادي بعلمي في قلوبهم اني عليم خبير معالم

الشكر مصدر شاكر لا اسم الذات والا لكان يشاكه بها

... مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع ان يستوفي الله بعض عقاب ... ويعفو عن بعض فاما من لا جرم له كالانبياء والاطفال ... اذا اصابهم شيء من الم وغيره فللعوض الموفي ... والمصلحة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ... الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر وعن بعضهم من لم يعلم ان ... من الغنم والمصائب باكتسابه وان ما عفا عنه مولاه اكثر كان

[illegible]

والله تعالى احلم من ان يثني عليه العقوبة في الآخرة وما عفى الله عنه في الدنيا فالله تعالى احلم من ان يعود بعد عفوه رواه احمد وغيره كما رواه ابن ابي حاتم وعن معوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من شئ يصيب المؤمن في جسده يؤذيه الا كفر الله عنه به من سيئاته رواه احمد وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له ما يكفرها ابتلاه الله بالحزن ليكفرها رواه احمد وعن الحسن البصري قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر رواه ابن ابي حاتم وقوله وما انتم بمعجزين اي بفائتين في الارض هربا يعني لا تعجزونه حيث ما كنتم ولا تسبقونه وما لكم من دون الله من ولي ينفعكم من العذاب وينصركم في دفعه عنكم **ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام ان يشا يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور او يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص** يعني من آياته الدالة على قدرته وسلطانه تسخيره البحر لتجري الفلك فيه بامره وهي الجوار في البحر كالاعلام اي كالجبال في البر ان يشا يسكن الريح اي التي تسير السفن لو شاء لسكنها حتى لا يتحرك السفن بل تظل راكدة لا تجيء ولا تذهب على ظهره اي على وجه الماء ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور اي ان في تسخيره البحر واجرائه الهواء بقدر ما يحتاجون اليه في سيرهم لدلالات على نعمه تعالى على خلقه لكل صبار اي في الشدائد شكور في الرخاء وقوله او يوبقهن بما كسبوا اي ولو شاء لاهلك السفن وغرقها بذنوب اهلها الراكبين فيها ويعف عن كثير اي من ذنوبهم ولو اخذهم بجميع ذنوبهم لاهلك كل من ركب البحر وقيل معناه لو شاء لارسل الريح قوية عاتية فاخذت السفن واحالتها عن سيرها المستقيم فصرفها ذات اليمين وذات الشمال آبقة لا تسير الى طريق ولا الى جهة مقصد وهذا القول يتضمن هلاكها وهو مناسب للاول وهو انه تعالى لو شاء لسكن الريح فوقفت او قواه فشردت وهلكت ولكن من لطفه ورحمته انه يرسله بحسب الحاجة كما يرسل المطر بقدر الكفاية ولو انزله كثيرا جدا لهدم البنيان او قليلا لما انبت الزرع والثمار حتى انه يرسل الى مثل بلاد مصر سيحا من ارض اخرى بحيث لا يحتاجون الى مطر لو انزل اليهم لهدم بنيانهم واسقط جدرانهم وقوله ويعلم الذين يجادلون في آياتنا اي يكذبون بالقرآن ما لهم من محيص اي اذا اعادوا الى الله بعد البعث ان لا مهرب لهم من عذاب الله بل مقهورون بقدرته **فما اوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون** لقد حقر الله شان الحيوة الدنيا وزينتها وما فيها من الزهرة والنعيم الفاني بقوله فما اوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا اي مهما حصلتم وجمعتم فلا تغتروا به فانما هو متاع الحيوة الدنيا وهو دار دنية فانية لا محالة وما عند الله خير وابقى اي وثواب الله خير من الدنيا وهو باق سرمدي فلا تقدموا الفاني على الباقي وقوله للذين آمنوا دليل على ان المؤمن والكافر يستويان في التمتع بالدنيا فاذا صاروا الى الآخرة كان ما عند الله خيرا للمؤمن وقوله وعلى ربهم يتوكلون ليعينهم على اداء الواجبات وترك المحرمات ثم قال والذين يجتنبون كبائر الاثم سبق تفسيره في سورة الاعراف واذا ما غضبوا هم يغفرون اي يحلمون ويتجاوزون ولا ينتقمون وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه قط الا ان ينتهك حرمات الله وقوله

ابر الحاجب عنى الا فقطع من رحمى ازايدوا فانا حبيبهم وان لم يتوبوا فانا طبيبهم ابتليهم بالمصائب لتطهروا عن المعائب

سمعت من بعض اهل العلم ان هذا من الاوساب والله اعلم بصحته

بجوار الى السفن جمع جارية وهي السائرة

المعنى انه ان يشا يبتلي المسافرين في البحر باحدى البليتين اما ان يسكن الريح فيركد الجوارى على متن البحر ويمنعهن من الجري او يرسل الريح عاصفة فيهلكهن اغراقا بسبب ما كسبوا من الذنوب او يعفو عن كثير منها كشاف

[illegible]

لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

[illegible]

[illegible]

رجوع

والذين استجابوا لربهم اي اتبعوا رسله واطاعوا امره واجتنبوا زجره واقاموا الصلوة وهي اعظم العبادات
لله تعالى وامرهم شورى بينهم اي لا يبرمون امرا حتى يتشاوروا فيه ليتساعدوا بآرائهم في مثل الحروب كما قال
وشاورهم في الامر ولهذا كان عليه الصلوة والسلم يشاورهم في الحروب ونحوها ليطيب بذلك قلوبهم وهكذا لما طعن
عمر رضي الله عنه جعل الامر بعده شورى في ستة نفر كما هو مبين في الصحيح فاجتمع راى الصحابة كلهم على تقديم عثمن رضي
الله عنهم وقوله ومما رزقناهم ينفقون وذلك بالاحسان الى الخلق الاقرب اليهم فالاقرب وقوله والذين اذا اصابهم
البغي هم ينتصرون اي فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدى عليهم وليسوا بعاجزين ولا اذلة بل هم يقدرون على
الانتقام ممن بغى عليهم وان كان من شيمتهم العفو كما قال يوسف عليه السلم لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وكما
عفى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كثير من القضايا على ما ورد في الاحاديث وجزاء سيئة سيئة مثلها
فمن عفا واصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم
من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك
لهم عذاب اليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور هذا كقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم فشرع العدل وهو القصاص وندب الى الفضل وهو العفو ولهذا قال فمن عفا واصلح فاجره
على الله اي لا يضيع ذلك عند الله كما صح في الحديث وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وسمي الجزاء سيئة وان لم يكن كذلك
لتشابههما في الصورة وقوله انه لا يحب الظالمين اي المعتدين وهو المبتدي بالسيئة ثم قال ولمن انتصر بعد ظلمه
اي بعد ظلم الظالم اياه فاولئك ما عليهم من سبيل اي ليس عليهم جناح في الانتصار ممن ظلمهم وقد وقع ذلك بين الصحابة
من بعدهم وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا على من ظلمه فقد انتصر رواه الترمذي وقوله انما
السبيل اي انما الحرج والعتب على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اي يبدأون الناس بالظلم كما جاء في
الصحيح المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم اولئك لهم عذاب اليم اي شديد موجع ثم انه تعالى لما ذم الظلم
واهله وشرع القصاص قال نادبا الى العفو والصفح ولمن صبر وغفر اي صبر على الاذى وستر على السيئة فان ذلك لمن
عزم الامور قال سعيد بن جبير اي لمن حق الامور التي امر الله بها يعني لمن الامور المشكورة والافعال الحميدة التي
عليها ثواب جزيل وثناء جميل وعن ابي هريرة ان رجلا شتم ابا بكر والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فجعل النبي صلى الله عليه وسلم
يتعجب ويتبسم فلما اكثر رد عليه بعض قوله فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقام فلحقه ابو بكر وقال يا رسول الله كان يشتمني
وانت جالس فلما رددت بعض قوله غضبت وقمت قال كان معك ملك يرد عليه فلما رددت عليه وقع الشيطان
فلم اكن لاقعد مع الشيطان ثم قال يا ابا بكر ثلث كلهن حق ما من عبد ظلم مظلمة فيغضي عنها لله الا اعزه الله بها
نصره وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة الا زاده الله بها كثرة وما فتح رجل باب مسئلة يريد بها كثرة الا
زاده الله بها قلة رواه احمد وابو داود وهذا الحديث في غاية الحسن معنى وهو مناسب للصديق ومن يضلل الله
فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما راوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل وتريهم
يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين امنوا ان الخاسرين
الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة الا ان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من
اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل قال تعالى مخبرا عن نفسه الكريمة انه

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة نادى مناد من كان له على الله اجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله

عليه

ومن يضلل الله [illegible] فما له من ولي من بعده اي لا احد يلي هدايته بعد اضلال الله وخذلانه

ماشاء

ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فلا موجد له وانه من هداه فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له كما قال ومن يضلل فلن
تجد له وليا مرشدا ثم اخبر عن الظالمين المشركين بالله لما راوا العذاب اي يوم القيمة تمنوا الرجعة الى الدنيا يقولون
هل الى مرد من سبيل وقوله وتراهم يعرضون عليها اي على النار خاشعين من الذل اي الذي قد اعتراهم بما
اسلفوا من العصيان ينظرون من طرف خفي قال مجاهد يعني ذليل اي ينظرون اليها مسارقة خوفا منها والذي يحذرون
منه واقع بهم لا محالة وقال الذين امنوا اي يقول يوم القيمة ان الخاسرين اي الخسار الاكبر الذين خسروا انفسهم
واهليهم يوم القيمة اي ذهب بهم الى النار فعدموا لذتهم في دار الابد وخسروا انفسهم وفرق بينهم وبين احبابهم و
اصحابهم واهاليهم وقراباتهم فخسروهم الا ان الظالمين في عذاب مقيم اي دائم سرمدي لا خروج لهم منها ابدا وقوله
ما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله اي ينقذونهم مما هم فيه من العذاب والنكال ومن يضلل الله
فما له من سبيل اي ليس له خلاص استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من
ملجأ يومئذ وما لكم من نكير فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ
وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان
كفور لما ذكر تعالى ما يكون في يوم القيمة من الاهوال والامور العظام الهائلة حذر منه وامر بالاستعداد له فقال
استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله اي اذا امر بكونه فانه كلمح البصر يكون وليس له دافع ولا مانع وقوله
ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير اي ليس لكم حصن تتحصنون فيه ولا مكان يستركم وتتنكرون فتغيبون عن
بصره تعالى بل هو محيط بكم بعلمه وبصره وقدرته فلا ملجأ منه الا اليه وقوله فان اعرضوا يعني المشركين فما ارسلناك
عليهم حفيظا اي لست عليهم بمسيطر كما قال فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب اي انما كلفناك ان تبلغهم رسالة
الله اليهم ثم قال وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها اي اذا اصابه رخاء ونعمة فرح بها وان تصبهم
يعني الناس سيئة اي جدب ونقمة وبلاء وشدة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور اي يجحد ما تقدم من النعم ولا يعرف
الا الساعة التي هو فيها وهذا حال اكثر الناس الا من هداه الله والهمه رشده وكان من صلحاء المومنين فالمومن كما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له وليس ذلك
الا للمومن لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء
الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير اخبر تعالى انه خالق السموات
والارض ومالكهما والمتصرف فيهما وانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وانه يعطي من يشاء ويمنع من يشاء يهب لمن
يشاء اناثا اي يرزقه البنات فقط ومنهم لوط عليه السلم ويهب لمن يشاء الذكور اي يرزقه البنين فقط كابراهيم عليه السلم
لم يولد له انثى او يزوجهم ذكرانا واناثا اي ويعطي من يشاء من الناس الزوجين الذكر والانثى كمحمد صلى الله عليه
وسلم ولد له بنون وبنات ويجعل من يشاء عقيما اي لا يولد له كيحيى وعيسى عليهما السلم فجعل الناس اربعة اقسام انه عليم
اي بمن يستحق كل قسم منها قدير اي على ما يشاء من تفاوت الناس في ذلك وهذا المقام شبيه بقوله تعالى عن عيسى
ولنجعله آية للناس اي دلالة لهم على قدرته تعالى كما سبق في موضعه حيث خلق الخلق على اربعة اقسام فآدم مخلوق
من تراب لا من ذكر ولا انثى وحواء من ذكر بلا انثى وسائر الخلق سوى عيسى من ذكر وانثى وعيسى من انثى بلا ذكر
فتمت الدلالة بخلق عيسى بن مريم ولهذا قال ولنجعله آية للناس فهذا المقام في الآباء والمقام الاول في الابناء وكل منها

آخيا بهيده

ما له من سبيل طريق الى الوصول الى الحق في الدنيا وعلى الجنة في العقبى

اجيبوا داعي الله محمدا صلى الله عليه وسلم

ای لا يرده الله بعد ما حكم به او من صلة يأتي اي من قبل ان يأتي من الله يوم لا يعود احد على رده كشاف

[illegible]

يهب لمن يشاء اناثا الآية يهب لمن يشاء اناثا او ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما لا يولد له

[illegible]

[illegible]

اربعة اقسام فسبحان العليم القدير وماكان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور هذه مراتب الوحي بالنسبة الى حضرة الله تعالى وهو انه تعالى تارة كان يلقي في روع النبي عليه الصلوة والسلم شيئا لا يتمارى فيه انه من الله كما جاء في صحيح ابن حبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها واجلها فاتقوا الله واجملوا في الطلب قوله او من وراء حجاب كما كلم موسى عليه السلم فانه سال الرؤية بعد التكليم فحجب عنها وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجابر بن عبد الله ما كلم الله احدا الا من وراء حجاب وانه كلم اباك كفاحا وكان قد قتل يوم احد ولكن هذا في عالم البرزخ والاية انما هي في دار الدنيا وقوله او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء كما كان جبرئيل ينزل وغيره من الملئكة على الانبياء انه علي حكيم في افعاله واقواله وقوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا يعني القرآن ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي على التفصيل الذي شرع لك في القرآن ولكن جعلناه اي القرآن نورا نهدي به من نشاء من عبادنا كقوله قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء وانك اي يا محمد لتهدي الى صراط مستقيم وهو الحق القويم ثم فسره بقوله صراط الله اي شرعه الذي امر الله به الذي له ما في السموات وما في الارض اي ربهما ومالكهما الذي لا معقب لحكمه الا الى الله تصير الامور اي ترجع الامور فيفصلها ويحكم فيها

تفسير سورة الزخرف وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن فاهلكنا اشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين يعني الكتاب الواضح الجلي المعاني والالفاظ لانه نزل بلغة العرب التي هي افصح اللغات المتخاطب بها بين الناس ولهذا قال انا جعلناه قرآنا عربيا اي بلغة العرب لعلكم تعقلون اي لكي تفقهوه وتتدبروه وقوله وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم بين شرفه في الملأ الاعلى ليشرفه و يعظمه ويطيعه اهل الارض فقال وانه اي القرآن في اللوح المحفوظ لدينا اي عندنا لعلي اي ذو مكانة وعظمة وشرف حكيم اي محكم بريء من اللبس والزيغ وهذا كله تنبيه على شرفه وفضله كما قال وانه لقرآن كريم في كتاب مكنون الاية وقوله افنضرب عنكم الذكر صفحا قيل معناه اتحسبون ان نصفح عنكم فلا نعذبكم ولم تفعلوا ما امرتم به قاله ابن عباس و غير واحد واختاره ابن جرير وقال قتادة والله لو ان هذا القرآن رفع حين رده اوائل هذه الامة لهلكوا ولكن الله عاد عليهم بعائدته ورحمته فكرره عليهم ودعاهم اليه عشرين سنة او ما شاء الله من ذلك يعني انه تعالى من لطفه وكرمه بخلقه لا يترك دعاءهم الى الخير والى الذكر الحكيم وهو القرآن وان كانوا معرضين عنه بل امر به ليهتدي من قدر هدايته وتقوم الحجة على من كتب شقاوته ثم قال تعالى مسليا لنبيه في تكذيب من كذبه من قومه وآمرا له بالصبر عليهم وكم ارسلنا من نبي في الاولين اي في شيع الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن اي يكذبونه ويسخرون وقوله فاهلكنا اشد منهم بطشا اي فاهلكنا المكذبين بالرسل وقد كانوا اشد بطشا من هؤلاء المكذبين لك يا محمد وقوله ومضى مثل الاولين اي سنتهم وعقوبتهم وعبرتهم يعني جعلناهم عبرة لمن بعدهم من المكذبين ان يصيبهم

ولا يحملنكم استبطاء الرزق ان تطلبوه بمعاصي الله فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته

اي انزلناه

[illegible]

ما اصابهم

ما اصابهم كقوله فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذي خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه و تقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون يعني ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم اي ليعترفن بان الخالق لذلك هو الله وحده لا شريك له وهم مع هذا يشركون به ثم قال الذي جعل لكم الارض مهدا اي فراشا قرارا ثابتة يسيرون عليها ويقومون و ينامون بها ويتصرفون فيها مع انها مخلوقة على تيار الماء لكنها ارساها بالجبال لئلا تميد وتضطرب وجعل لكم فيها سبلا اي طرقا بين الجبال والاودية لعلكم تهتدون اي في سيركم في الاسفار والذي نزل من السماء ماء بقدر اي بحسب الكفاية لزروعكم وثماركم وشربكم لانفسكم وانعامكم فانشرنا به بلدة ميتا اي ارضا ميتة فلما جاءها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ثم نبه باحياء الارض على احياء الاجساد بعد موتها فقال كذلك تخرجون ثم قال والذي خلق الازواج كلها اي مما تنبت الارض من سائر الاصناف الزروع والثمار والازاهير وغير ذلك ومن الحيوانات مع اختلاف اجناسها واصنافها وجعل لكم من الفلك اي السفن والانعام ما تركبون اي ذللها لكم وسخرها ويسرها لاكلكم لحومها وشربكم البانها وركوبكم ظهورها ولهذا قال لتستووا على ظهوره اي لتستقروا متمكنين مرتفقين على ظهوره اي ظهور هذا الجنس ثم تذكروا نعمة ربكم اي فيما سخر لكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين اي مقاومين ولولا تسخير الله لنا هذا ما قدرنا عليه وقيل اي مطيقين وانا الى ربنا لمنقلبون اي لصائرون اليه بعد مماتنا واليه سيرنا الاكبر وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا على سير الآخرة كما نبه بالزاد الدنيوي على الاخروي في قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى وعن علي بن ربيعة قال رأيت عليا رضي الله عنه اتي بدابة فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى قال الحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم حمد الله ثلثا وكبر ثلثا ثم قال سبحانك لا اله الا انت قد ظلمت نفسي فاغفر لي ثم ضحك فقلت مم تضحك يا امير المؤمنين فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل مثل ما فعلت ثم ضحك فقلت مم ضحكت يا رسول الله قال تعجبا للرب من عبده اذا قال رب اغفر لي ويقول علم عبدي انه لا يغفر الذنوب غيري رواه احمد وابو داود والنسائي والترمذي وصححه وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استوى على بعيره خارجا الى السفر كبر ثلثا ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو لنا بعده اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب في المال والاهل واذا رجع قالهن وزاد فيهن آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون دائما وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان لكفور مبين ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم او من ينشؤ في الحلية وهو في الخصام غير مبين وجعلوا الملئكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم و يسئلون وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون اخبر تعالى عن

[illegible] مهادا [illegible]

وقالوا ام

المشركين فيما افتروه وكذبوه في جعلهم بعض الانعام لطواغيتهم وبعضها لله كما ذكر الله في سورة الانعام في قوله وجعلوا
لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الآية وكذلك جعلوا له البنات كما قال الكم الذكر وله الانثى وقال ههنا وجعلوا
له من عباده جزءا اي نصيبا وبعضا ان الانسان لكفور اي جحود لنعم الله مبين اي ظاهر الكفران ثم قال ام اتخذ مما
يخلق بنات واصفاكم بالبنين وهذا انكار عليهم غاية الانكار ثم ذكر تمام الانكار فقال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن
مثلا اي اذا بشر احدهم بما جعلوه لله من البنات يانف عن ذلك غاية الانفة ويعلوه كآبة من سوء ما بشر به ق
يتوارى من القوم من خجله من ذلك وهو كظيم من الحزن والغيظ اي فكيف تانفون انتم من ذلك وتنسبونه الى الله ثم قال
اومن ينشؤا في الحلية وهو في الخصام غير مبين اي المراة ناقصة تكمل نقصها بلبس الحلي منذ تكون صغيرة واذا خاصمت
فلا عبارة لها بل هي عاجزة عيية او يكون هكذا ينسب الى الحضرة تعالى وقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
اي اعتقدوا فيهم ذلك فانكر عليهم تعالى فقال اشهدوا خلقهم اي شاهدوه وقد خلقهم الله اناثا ستكتب شهادتهم ويسألون
عنه يوم القيمة وهذا تهديد شديد وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اي لو اراد الله لحال بيننا وبين عبادة هذه الاصنام
التي هي على صور الملائكة التي سموها بنات الله فانه عالم بذلك وهو يقررنا عليه فجمعوا بين انواع كثيرة من الخطأ احدها جعلهم
لله ولدا تعالى وتنزه عن ذلك الثاني دعواهم انه اصطفى البنات على البنين فجعلوا الملائكة اناثا الثالث عبادتهم لهم
بلا دليل ولا برهان الرابع احتجاجهم بتقريرهم على ذلك قدرا وقد ضلوا في هذا فانه تعالى قد انكر عليهم ذلك
اشد الانكار حيث بعث الرسل وانزل الكتب آمرا بعبادته وحده ناهيا عن عبادة ما سواه انهم الا يخرصون
اي يكذبون ويتقولون وما يعلمون قدرة الله على ذلك ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا
انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم
قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين انكر تعالى على المشركين
في عبادتهم غير الله بلا برهان ولا دليل بقوله ام آتيناهم كتابا من قبله اي من قبل شركهم فهم به مستمسكون اي فيما هم
فيه اي ليس الامر كذلك كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون اي لم يكن ذلك ثم قال بل قالوا
انا وجدنا آباءنا على امة اي على دين وانا على آثارهم مهتدون اي ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد
آبائهم بانهم كانوا على ملة الكفر وجعلوا انفسهم باتباع آبائهم مهتدين وهو دعوى بلا حجة ثم بين تعالى ان مقالة
هؤلاء قد سبقهم اليها اشباههم ونظراؤهم من الامم السالفة المكذبة للرسل فقالوا مثل مقالتهم كذلك ما اتى
الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون وهكذا قال ههنا وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير
الا قال مترفوها اي اغنياؤهم ورؤساؤهم وسادتها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم اي طريقتهم
مقتدون ثم قال قل يا محمد لهؤلاء المشركين اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم اي ولو علموا وتيقنوا صحة
ما جئتهم به لما انقادوا لذلك بسوء قصدهم ومكابرتهم للحق واهله قال تعالى فانتقمنا منهم اي من الامم المكذبة
بانواع العذاب كما بينه تعالى في قصصهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين واذ قال ابرهيم لابيه وقومه
انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون
بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به
كافرون وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم

مهتدون وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم م

[illegible]

معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة
ربك خير مما يجمعون ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة
ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع
الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين اخبر تعالى عن خليله عليه السلام الذي ينتسب اليه قريش في نسبها ومذهبها
انه تبرأ من ابيه وقومه في عبادتهم الاوثان فقال انني براء مما تعبدون اي بري وهو مصدر لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث
ما تعبدون الا الذي فطرني اي خلقني فانه سيهدين اي يرشدني لدينه وجعلها كلمة باقية اي هذه الكلمة وهي عبادة
الله وحده ونفي ما سواه وهي لا اله الا الله اي جعلها دائمة في ذريته يهتدي فيه بها من هداه الله منهم لعلهم يرجعون
اي اليها قال ابن عباس وغيره لا يزال في ذريته من يقولها ثم قال تعالى بل متعت هؤلاء يعني المشركين وآباءهم
بالعمر الطويل في ضلالهم حتى جاءهم الحق اي القرآن والاسلام ورسول مبين اي بين الرسالة والنذارة فلما جاءهم
الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون اي كابروه وعاندوه كفرا وحسدا وقالوا اي كالمعترضين على الذي انزله تعالى ق
تقدس لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اي هلا كان انزال هذا القرآن على رجل عظيم كبير في اعينهم
من القريتين يعنون مكة والطائف قاله ابن عباس وغير واحد وقال آخرون المراد الوليد بن المغيرة وعروة بن
مسعود وقيل غير ذلك والظاهر ان مرادهم رجل كبير من اي البلدين كان فرد الله عليهم اعتراضهم بقوله اهم
يقسمون رحمة ربك اي ليس الامر مردود اليهم بل الى الله تعالى والله اعلم حيث يجعل رسالته فانه لا ينزلها
الا على ازكى الخلق قلبا ونفسا واشرفهم بيتا واطهرهم اصلا ثم بين تعالى انه قد فاوت في خلقه فيما اعطاهم
من الاموال والارزاق من العقول والفهوم وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة بقوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم
في الحيوة الدنيا فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وكذلك اصطفينا بالرسالة من نشاء ورفعنا
بعضهم بعضا قال ورحمة ربك خير مما يجمعون اي رحمة الله بخلقه خير لهم مما بايديهم من الاموال ومتاع الحيوة الدنيا
ثم قال ولولا ان يكون الناس امة واحدة اي لولا ان يعتقد كثير من الجهلة ان اعطاءنا المال دليل على محبتنا لمن اعطيناه
فيجتمعوا على الكفر لاجله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة قرئ بفتح السين وسكون القاف على انه
على معنى الجمع وبضمها على الجمع ومعارج اي سلالم ودرجا من فضة قاله ابن عباس وغير واحد عليها يظهرون
اي يصعدون ولبيوتهم ابوابا اي اغلاقا على ابوابهم وسررا عليها يتكئون اي جميع ذلك يكون فضة وزخرفا
اي وذهبا ثم قال وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا اي انما ذلك من الدنيا الفانية الحقيرة عند الله اي يعجل لهم
بحسناتهم التي يعملونها في الدنيا ماكل ومشارب ليوافوا الآخرة وليس لهم عند الله حسنة يجزيهم بها كما ورد في حديث سهل بن
سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة
ماء رواه احمد والترمذي ثم قال والآخرة عند ربك للمتقين اي هي لهم خاصة لا يشاركهم فيها احد غيرهم وفي الصحيحين
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تاكلوا في صحافها فانها لهم في الدنيا
ولنا في الآخرة ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم
عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين
فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون افانت تسمع الصم او تهدي

[illegible]

العمى ومن كان في ضلال مبين فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون فاستمسك بالذي اوحي اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون وسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون

العشي في العين ضعف البصر والمراد ههنا ضعف البصيرة اي ومن يتعامى ويتغافل ويعرض عن ذكر الرحمن نقيض اي نسبب ونوكل له شيطانا ونسلطه عليه فهو له قرين اي ملازم له ولا مفارقة فيزين له العمى ويخيل اليه انه على الهدى كقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وكقوله وقيضنا لهم قرناء الآية ولهذا قال ههنا وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون يعني هذا الذي تغافل عن الهدى نقيض الله له من الشياطين من يضله ويهديه الى صراط الجحيم فاذا وافى الله يوم القيمة يتبرم بالشيطان الذي وكل به قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين وقرا بعضهم حتى اذا جاءانا على التثنية يعني القرين والمقارن قيل ان الكافر اذا بعث يوم القيمة شفع بيده شيطان فلم يفارقه حتى يصيرهما الله الى النار فذلك حين يقول يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين يعني ما بين المشرق والمغرب كما يقال القمران والابوان ثم قال تعالى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم اي لا يغني عنكم في الآخرة اجتماعكم واشتراككم في العذاب الاليم لان لكل احد منكم الحظ الاوفر من العذاب وقيل لن ينفعكم اليوم الاعتذار والندم فانكم وقرناءكم اليوم مشتركون في العذاب وقوله افانت تسمع الصم او تهدي العمي اي ليس ذلك اليك انما عليك البلاغ وليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الحاكم العادل في ذلك ثم قال فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون اي لا بد ان ننتقم منهم ونعاقبهم ولو ذهبت انت قبل ان نعذبهم او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون اي نحن قادرون على هذا وعلى ذلك فمتى شئنا عذبناهم واراد مشركي مكة فاقر الله عينه منهم يوم بدر وحكمه في نواصيهم واختاره ابن جرير وقال قتادة ذهب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره الله شيئا في امته يكرهه حتى مضى بخلاف سائر الانبياء قال وذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اري ما يصيب امته من بعده فما رئي ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله ووافقه في ذلك الحسن وغيره وعن ابي موسى قال رفع نبي الله صلى الله عليه وسلم راسه يوما الى السماء وكان كثيرا مما يرفع راسه الى السماء فقال النجوم امنة للسماء فاذا ذهبت النجوم اتى السماء ما توعدون وانا امنة لاصحابي فاذا ذهبت انا اتى اصحابي ما يوعدون واصحابي امنة لامتي فاذا ذهبت اصحابي اتى امتي ما يوعدون رواه مسلم ثم قال تعالى فاستمسك بالذي اوحي اليك اي خذ بالقرآن المنزل على قلبك فانه الحق وما يهدي اليه هو الحق المفضي الى صراط الله المستقيم الموصل الى جنات النعيم ثم قال وانه لذكر لك قيل معناه لشرف لك ولقومك قاله ابن عباس وغير واحد واختاره ابن جرير وعن معوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر في قريش لا ينازعهم احد الا اكبه الله على وجهه ما اقاموا الدين رواه البخاري ومعناه انه شرف لهم من حيث انه انزل بلغتهم فهم افهم الناس له فينبغي ان يكونوا اقوم الناس به واعلمهم بمقتضاه وهكذا كان خيارهم وصفوتهم من المهاجرين الاولين ومن شابههم وتابعهم وقيل معناه وانه لتذكير لك ولقومك وتخصيصهم بالذكر لا ينفي من سواهم كقوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون وسوف تسئلون اي عن هذا القرآن وكيف كنتم في العمل به والاستجابة له وقوله واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا اي جميع الرسل دعوا الى ما دعوت الناس اليه من عبادة الله وحده ونهوا عن عبادة ما سواه كقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت قال مجاهد وغيره في قراءة ابن مسعود واسال الذين ارسلنا اليهم قبلك رسلنا وهذا كانه تفسير لا تلاوة والله اعلم وقال ابن زيد اي واسئلهم ليلة الاسراء فان الانبياء جمعوا له واختار ابن جرير الاول

ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون

اخبر تعالى عن كليمه موسى انه ابعثه الى فرعون وملائه من الامراء والوزراء والقادة والاتباع والرعايا من القبط وبني اسرائيل يدعوهم الى عبادة الله وينهاهم الى عبادة ما سواه وانه بعث معه آيات عظاما كيده وعصاه وما ارسل معه من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ومن نقص الزروع والانفس والثمرات ومع هذا كله استكبروا عن اتباعها والانقياد لها وكذبوها وسخروا منها وضحكوا ممن جاءهم بها وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها اي قرينتها وصاحبتها التي قبلها ومع هذا ما رجعوا عن غيهم وضلالهم وجهلهم وكلما جاءتهم من هذه الايات كانوا يتضرعون الى موسى ويتلطفون له في العبارة بقولهم يا ايها الساحر اي العالم قاله ابن جرير وكان علماء زمانهم هم السحرة ولم يكن السحر في زمانهم مذموما عندهم ولم يقولوا هذا له تنقصا بل تعظيما فزعمهم في كل مرة يعدون موسى ان كشف عنهم هذا يؤمنوا به ويرسلوا معه بني اسرائيل وفي كل مرة ينكثون اي ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم

ونادى فرعون في قومه قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا القي عليه اسورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين

اخبر تعالى عن فرعون وتمرده وعناده وعتوه انه جمع قومه فنادى فيهم متبجحا بملك مصر وتصرفه فيها بقوله اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي قال قتادة كانت لهم جنات وانهار ماء افلا تبصرون اي افلا ترون ما انا فيه من العظمة والملك يعني وموسى واتباعه فقراء ضعفاء وهذا كقوله فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى وقوله ام انا خير من هذا قال السدي يقول بل انا خير من هذا الذي هو مهين يعني الحقير الضعيف الذي لا ملك له ولا سلطان فام بمعنى بل وعليه اكثر القراء وقرا بعضهم اما انا خير على الاستفهامية ولا يكاد يبين يعني لا يكاد يفهم لما في لسانه من العي اي من الجمرة التي وضعها في فيه وهو صغير وهذا من فرعون كذب واختلاق بل حمله على ذلك الكفر والعناد ناظرا الى موسى بعين كافرة شقية ولقد كان موسى من الجلالة والعظمة وصورة يبهر ابصار ذوي الابصار ففرعون هو الحقير الذليل الخسيس وموسى هو الشريف البار الراشد وقوله ولا يكاد يبين اي يفصح بكلامه افتراء وان كان قد اصاب لسانه في حال صغره شيء من جهة تلك الجمرة فقد سال الله تعالى ان يحل عقدة لسانه ليفقهوا قوله فاستجاب الله ذلك في قوله قد اوتيت سؤلك يا موسى وقد يكون بقي شيء منه في لسانه كما قاله الحسن وانما سال زوال ما يحصل معه الابلاغ والافهام فالاشياء الخلقية التي ليست من فعل العبد لا يعاب بها ولا يذم عليها وانما اراد فرعون ترويجه على اتباعه فانهم كانوا جهلة اغبياء وهكذا قوله فلولا القي عليه اسورة من ذهب وهي ما يجعل في الايدي من الحلي قاله ابن عباس وغير واحد او جاء معه الملائكة مقترنين اي يكتنفونه خدمة له ويشهدون بتصديقه نظر الى الشكل الظاهر ولم يفهم السر المعنوي الذي هو اظهر مما نظر اليه لو كان يعلم ولهذا قال فاستخف قومه فاطاعوه

اي استخف عقولهم فدعاهم الى الضلالة فاستجابوا له انهم كانوا قوما فاسقين اى خارجين عن الطاعة قال تعالى فلما آسفونا قال ابن عباس وغير واحد اي اسخطونا واغضبونا وعن عقبة بن عامر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رايت الله يعطى العبد ما شاء وهو مقيم على معاصيه فانما ذلك استدراج منه له ثم تلا فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين رواه ابن ابى حاتم وذكر عند ابن مسعود موت الفجاءة فقال تخفيف على المؤمن وحسرة على الكافر ثم قرا فلما آسفونا انتقمنا منهم وقال عمر بن عبد العزيز وجدت النقمة مع الغفلة يعني قوله فلما آسفونا انتقمنا وقوله وجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين اى مثلا سلفا لمثل من عمل بعملهم وعبرة لمن بعدهم قاله ابو مجلز ومجاهد ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا ءآلهتنا خير ام هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الارض يخلفون وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم اخبر تعالى عن تعنت قريش فى كفرهم وتعمدهم العناد والجدال بقوله ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون قال ابن عباس وغيره يعنى يضحكون اى اعجبوا بذلك وقيل يجزعون ويضحكون وقيل يعرضون وسببه ما ذكره ابن اسحق فى السيرة حيث قال وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى يوما مع الوليد بن المغيرة فى المسجد فجاء النضر بن الحرث حتى جلس معهم وفى المجلس غير واحد من رجال قريش فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه ثم تلا عليه وعليهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون الآيات ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم واقبل عبد الله بن الزبعرى السهمى حتى جلس فقال الوليد بن المغيرة له والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب وما قعد وقد زعم محمد انا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم فقال ابن الزبعرى اما والله لو وجدته لخصمته فسلوا محمدا اكل ما نعبد من دون الله فى جهنم مع من عبده فنحن نعبد الملائكة واليهود عزيرا والنصارى يعبد المسيح فعجب الوليد ومن كان معه فى المجلس من قول ابن الزبعرى وراوا انه قد احتج وخاصم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كل من احب ان يعبد من دون الله فهو مع من عبده انهم انما يعبدون الشيطان ومن امرهم بعبادته فانزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون اى عيسى وعزيرا ومن عبدوه من الاحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله فاتخذهم من بعدهم من اهل الضلالة اربابا من دون الله ونزل فيما يذكرون انهم يعبدون الملائكة وانها بنات الله وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل عباد مكرمون الآيات ونزل فيما ذكر من عيسى وانه يعبد من دون الله وعجب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون اي عن امرك بذلك القول وقال ابن عباس يعنى قريشا لما قيل لهم انكم وما تعبدون الآية فقالت له قريش فما ابن مريم قال ذلك عبد الله ورسوله فقالوا والله ما يريد هذا الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا فقال الله ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وقوله ءآلهتنا خير ام هو قال قتادة يقولون ءآلهتنا خير ام محمد صلى الله عليه وسلم وقوله ما ضربوه لك الا جدلا اى مراء وهم يعلمون انه ليس بوارد على الآية لانها لما لا يعقل وهى قوله انكم

المعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه اذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجدلا وضحكا بما سمعوا منه من اسكات رسول الله صلعم بجدله كما يرتفع لغط القوم اذا تعيوا بحجة ثم فتحت عليهم

ما ضربوه لك الا جدلا الا لاجل الجدل والغلبة فى القول لا لطلب الميز بين الحق والباطل بل هم قوم خصمون لد شديدو الخصومة [illegible] كشاف

وقالوا ءآلهتنا خير ام هو يعنون ان آلهتنا عندنا ليست بخير من عيسى فاذا كان عيسى من حصب النار كان امر آلهتنا هينا كشاف

وما تعبدون

[illegible]

وما تعبدون الآية ثم هي خطاب لقريش وهم انما كانوا يعبدون الاصنام والانداد ولم يكونوا يعبدون المسيح حتى يوردوه فتعين ان مقالتهم انما كانت جدلا منهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم تلا هذه الآية ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون رواه احمد والترمذي وصححه وقوله ان هو الا عبد انعمنا عليه اى عيسى ما هو الا عبد انعم الله عليه بالنبوة والرسالة وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل اي دلالة وبرهانا وحجة على قدرتنا على ما نشاء وقوله ولو نشاء لجعلنا منكم اى بدلكم ملائكة فى الارض يخلفون قال السدي اي يخلفونكم فيها وقال ابن عباس اي يخلف بعضهم بعضا كما يخلف بعضكم بعضا وهذا القول مستلزم للاول وقال مجاهد يعمرون الارض بدلكم وقوله وانه لعلم للساعة قيل المراد به ما بعث به عيسى من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك من الاسقام والظاهر ان المراد به نزوله قبل يوم القيمة كما قال تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اى قبل موت عيسى ثم يوم القيمة يكون عليهم شهيدا ويؤيد هذا قراءة من قرا وانه لعلم للساعة اي امارة ودليل على وقوع الساعة وقال مجاهد اي آية للساعة خروج عيسى قبل يوم القيمة وهكذا روي عن ابن عباس وابى هريرة وكثيرين وقد تواترت الاحاديث بنزول عيسى قبل يوم القيمة اماما عادلا وحكما مقسطا وقوله فلا تمترن بها اي لا تشكون فيها انها واقعة كائنة لا محالة واتبعون اي فيما اخبركم به هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان اي عن اتباع الحق انه لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات اى بالمعجزات الظاهرات قال قد جئتكم بالحكمة اى بالنبوة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه قال ابن جرير يعنى من الامور الدينية من احكام التورية لا الدنيوية وهذا حسن وغير ذلك محتمل وقوله فاتقوا الله اي فيما امركم به واطيعون فيما جئتكم به ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه اي انا وانتم عبيد له فقراء اليه مشتركون فى عبادته وحده هذا صراط اى هذا الذى جئتكم به هو الصراط المستقيم وهو عبادة الله وحده وقوله فاختلف الاحزاب من بينهم اى اختلفت الفرق فصاروا شيعا فيه منهم من يقر بانه عبد الله ورسوله وهو الحق ومنهم من يدعي انه ولد الله ومنهم من يقول انه الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ولهذا قال فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة وهم لا يشعرون الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون يقول هل ينظر هؤلاء المشركون المكذبون للرسل الا الساعة اى القيمة ان تاتيهم بغتة وهم لا يشعرون اى فانها كائنة لا محالة وواقعة وهؤلاء غافلون عنها غير مستعدين وتجئ فجاءة وهم لا يشعرون بها فحينئذ يندمون كل الندم حيث لا ينفعهم وقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين اى كل صداقة لغير الله فانها تنقلب يوم القيمة عداوة الا ما كان لله عز وجل فانه دائم بدوامه وقال ابن عباس كل خلة تصير عداوة يوم القيمة الا المتقين وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان رجلين تحابا فى الله احدهما فى المشرق والآخر بالمغرب لجمع الله بينهما يوم القيمة يقول هذا الذى احببته فى رواه ابن عساكر وقوله يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ثم بشرهم فقال الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين اي آمنت قلوبهم وبواطنهم وانقادت لشرع الله جوارحهم وظواهرهم قال المعتمر بن سليمان اذا كان يوم القيمة حين يبعث الناس

اى نزوله من اشراط الساعة

ولو نشاء لقدرتنا على عجائب الامور وبدائع الفطر لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال ملائكة يخلفونكم فى الارض كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من انثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا ان الملائكة اجسام لا تتولد الا من اجسام وذات القديم متعالية عن ذلك. كشاف

عن النبى صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلم ينزل على ثنية بالارض المقدسة وعليه ممصرتان وشعر راسه دهين وبيده حربة وبها يقتل الدجال فياتى بيت المقدس والناس فى صلوة العصر والامام يؤم بهم فيتاخر الامام فيقدمه عيسى ويصلى خلفه على شريعة محمد ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من امن به

فاكهة

[illegible]

[illegible]

لا يبقى احد منهم الا فزع فينادي مناد يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم قال فيتبعها
الذين آمنوا وكانوا مسلمين فييأس منها غير المؤمنين ادخلوا الجنة انتم وازواجكم اى نظراؤكم تحبرون اى تنعمون
وتسعدون كما سبق في سورة الروم يطاف عليهم بصحاف جمع صحفة وهي القصعة الواسعة من ذهب واكواب وهي
اواني الشراب التي لا خراطيم لها ولا عرى واحدها كوب وفيها ما تشتهي الانفس وقرا بعضهم تشتهيه الانفس وتلذ
الاعين اى طيب الطعم والريح حسن المنظر وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة
من له سبع درجات وهو على السادسة وفوقه السابعة وان له ثلثمائة خادم ويغدا عليه ويراح عليه كل يوم ثلثمائة صحفة
ولا اعلمه الا قال من ذهب في كل صحفة لون ليس في الاخرى وانه ليلتذ اوله كما يلتذ آخره ومن الاشربة ثلثمائة اناء
في كل اناء لون ليس في الآخر وانه ليلتذ اوله كما يلتذ آخره وانه ليقول يا رب لو اذنت لي لاطعمت اهل الجنة وسقيتهم
لم ينقص مما عندي شي وان له من الحور العين لاثنين وسبعين زوجة سوى ازواجه من الدنيا وان الواحدة منهن
لتاخذ مقعدها قدر ميل من الارض رواه احمد وعن عبد الرزاق وابن ابي حاتم نحوه لكن موقوفا انتم فيها اي
في الجنة خالدون اى لا يخرجون عنها ولا يبغون عنها حولا ثم قيل لهم على وجه التفضل والامتنان وتلك الجنة التي
اورثتموها بما كنتم تعملون اي اعمالكم الصالحة كانت سببا لشمول رحمة الله اياكم فانه لا يدخل احدا عمله الجنة ولكن
برحمة الله وفضله وانما الدرجات تنال بحسب الاعمال وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل اهل النار
يرى منزله من الجنة حسرة فيقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين وكل اهل الجنة يرى منزله من النار فيقول
وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله فيكون له شكرا قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد الا وله منزل في الجنة
ومنزل في النار فالكافر يرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة فذلك قوله وتلك الجنة التي
اورثتموها بما كنتم تعملون رواهما ابن ابي حاتم وقوله لكم فيها فاكهة كثيرة اى من جميع الانواع منها تاكلون اى مهما
اخترتم واردتم وذكر الفاكهة بعد ذكر الطعام والشراب لتمام النعمة ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر
عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك
قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون ام ابرموا امرا فانا مبرمون ام
يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون لما ذكر حال السعداء ثنى بذكر الاشقياء
فقال ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم ساعة واحدة وهم فيه مبلسون اي آيسون من كل خير وما ظلمناهم
ولكن كانوا هم الظالمين اى باعمالهم السيئة بعد قيام الحجة عليهم وارسال الرسل اليهم فكذبوا وعصوا فجوزوا بذلك
جزاء وفاقا ونادوا يا مالك وهو خازن النار عن يعلى بن امية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا على المنبر
ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك رواه البخاري اي ليقبض ارواحنا فيريحنا مما نحن فيه فانهم كما قال تعالى لا يقضى عليهم
فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها الآية فلما سالوا ان يموتوا قال مجيبا لهم انكم ماكثون اى لا خروج لكم منها ولا محيص لكم
عنها ثم ذكر سبب شقوتهم وهو مخالفتهم الحق فقال لقد جئناكم بالحق اى بيناه لكم ولكن اكثركم للحق كارهون اي ولكن
كانت سجاياكم لا تقبله ولا تقبل عليه وانما تنقاد للباطل وتعظمه وتصد عن الحق وتاباه فعودوا على انفسكم بالملامة
واندموا حيث لا تنفعكم الندامة ثم قال تعالى ام ابرموا امرا فانا مبرمون قال مجاهد اي ارادوا كيد شر فكدناهم
كما قال ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون وذلك لان المشركين كانوا يتحيلون في رد الحق بالباطل بحيل ومكر يسلكونه

ثم فصل عند السعداء وعند الكافرين

المعنى سل ربك ان يقضي علينا ان يميتنا

فان قلت كيف قال ونادوا ونادوا يا مالك بعدما وصفهم بالابلاس قلت تلك ازمنة متطاولة
واحقاب ممتدة فتختلف بهم الاحوال فيسكتون اوقاتا لغلبة الياس عليهم انه لا فرج ويغوثون اوقاتا

[illegible]

٤٥٢

فكادهم الله ورد وبال ذلك عليهم ولهذا قال ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم اي علانيتهم بلى ورسلنا
لديهم يكتبون اى نحن نعلم ما هم عليه والملائكة ايضا يكتبون اعمالهم صغيرها وكبيرها قل ان كان للرحمن ولد
فانا اول العابدين سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون فذرهم يخوضوا و
يلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وهو الحكيم
العليم وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون
ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون ولئن سالتهم من خلقهم
ليقولن الله فانى يؤفكون وقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم وقل سلام فسوف
يعلمون يعني قل يا محمد ان كان للرحمن ولد في قولكم على زعمكم فانا اول من عبده بانه واحد لا شريك له ولا ولد ليس عندي
استكبار ولا اباء عن عبادته فلو فرض ذلك لكان هذا ولكن ذلك ممتنع في حقه والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا
الجواز ايضا كما قال تعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار وقيل في قوله
فانا اول العابدين اي الانفين يعني الجاحدين المنكرين لما قلتم وقيل ان للنافية لا للشرط كما قال ابن عباس ما كان للرحمن
من ولد فانا اول الشاهدين له بذلك وقال قتادة هي كلمة من كلام العرب ومعناه ان ذلك لم يكن ولا ينبغي وقيل
اي انا اول من عبده ووحده وكذبكم والاول اقرب وقال السدي اى لو كان له ولد كنت اول من عبده بان له
ولدا ولكن لا ولد له وهو اختيار ابن جرير ورد قول من زعم ان ان نافية ولهذا قال سبحان رب السموات اى تعالى
وتنزه خالق الاشياء ان يكون له ولد فانه فرد احد صمد وقوله فذرهم يخوضوا اى في جهلهم وضلالهم ويلعبوا
في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو يوم القيمة اى فسوف يعلمون كيف يكون مصيرهم ومآلهم وحالهم
في ذلك اليوم وقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله اى هو اله من في السماء واله من في الارض يعبده اهلهما وكلهم
خاضعون اذلاء بين يديه وهو الحكيم في تدبير خلقه العليم بمصالحهم وقوله تبارك الذي له ملك السموات والارض اى هو خالقهما
ومالكهما بلا مدافعة ولا ممانعة فسبحانه عن الولد وتبارك اى استقر له السلامة من العيوب والنقائص لانه الرب العظيم
وعنده علم الساعة لا يجليها لوقتها الا هو واليه ترجعون اي فيجازي كلا بعمله ثم قال ولا يملك الذين يدعون من دونه اى من
الاصنام والاوثان الشفاعة اى لا يقدرون على الشفاعة لهم الا من شهد بالحق هذا استثناء منقطع اى لكن من شهد
بالحق على بصيرة وعلم فانه ينفع شفاعته عنده باذنه له ثم قال ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون
اي ولئن سالت هؤلاء المشركين العابدين معه غيره من خلقهم ليقولن الله اى هم يعترفون انه الخالق للاشياء
جميعها وحده لا شريك له في ذلك ومن غاية الجهل والسفاهة يشركون به وينسبون اليه الولد ولهذا قال فانى يؤفكون
وقوله وقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون اى قال محمد قيله اى شكى الى ربه شكواه من قومه الذين كذبوه فقال
يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون كما اخبر تعالى في آية اخرى وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا
وهذا معنى قول ابن مسعود وغيره وقال مجاهد هذا قول محمد [illegible] وحكى ابن جرير في قوله قراءتين احدهما النصب
عطفا على مفعول يسمع والثاني على تقدير فعل اى وقال قيله والثانية الخفض عطفا على الساعة اى وعلم قيله وقوله
فاصفح عنهم اى عن المشركين وقل سلام اي لا تجاوبهم بمثل ما يخاطبونك به من الكلام السيئ ولكن تالفهم واصفح
عنهم فعلا وقولا فسوف يعلمون هذا تهديد منه تعالى لهم ولهذا احل بهم بأسه وشرع بعد ذلك الجهاد حتى دخل الناس

عن يحيى بن معاذ الرازي من ستر من الناس ذنوبه وابداها للذي لا يخفى عليه شيء في السموات والارض فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو من علامات النفاق

من شهد م

[illegible]

في دين الله افواجا وانتشر الاسلام في المشارق والمغارب

تفسير سورة الدخان وهي مكية

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك وعنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان في ليلة الجمعة غفر له رواهما الترمذي وقال في كل منهما غريب والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب اباءكم الاولين اخبر تعالى عن القرآن العظيم انه انزله في ليلة مباركة وهي ليلة القدر كما قال تعالى انا انزلناه في ليلة القدر وكان ذلك في شهر رمضان كما قال شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن وقد سبق الاحاديث في ذلك في سورة البقرة ومن قال انها ليلة النصف من شعبان فقد ابعد النجعة فان نص القرآن انها نزلت في رمضان واما الحديث الذي رواه الزهري عن ابن الاخنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد اخرج اسمه في الموتى رواه ابن زنجوية فهو حديث مرسل ومثله لا يعارض به النصوص وقوله انا كنا منذرين اي نعلم الناس ما ينفعهم ويضرهم شرعا ليقوم حجة الله على عباده وقوله فيها يفرق كل امر حكيم اي في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ امر السنة وما فيها من الآجال والارزاق وما هو كائن من الخير والشر الى آخرها ويكتب مفردا هكذا عن ابن عباس وغير واحد وقوله حكيم اي محكم لا يبدل ولا يغير ولهذا قال امرا من عندنا اي جميع ما يكون ويقدره تعالى وما يوحيه فبامره واذنه وعلمه انا كنا مرسلين اي الى الناس رسولا يتلو عليهم آيات الله مبينات فان الحاجة كانت ماسة اليه ولهذا قال رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات والارض اي الذي انزل هذا القرآن هو رب السموات والارض وخالقهما ومالكهما وما بينهما ان كنتم متحققين ان الامر كذلك ثم قال لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب اباءكم الاولين وهذه الآية كقوله قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الآية

بل هم في شك يلعبون فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون انى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون يعني بل هؤلاء المشركون في شك يلعبون اي قد جاءهم الحق اليقين وهم يشكون فيه ويمترون ولا يصدقون به ثم قال متوعدا لهم ومهددا فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين في الصحيحين وغيرهما عن مسروق قال قال رجل تدرون ما ذلك الدخان ذلك دخان ياتي يوم القيامة فياخذ باسماع المنافقين وابصارهم وياخذ المؤمنين شبه الزكام فذكرنا ذلك لابن مسعود فقال ان الله تعالى قال لنبيكم صلى الله عليه وسلم قل ما اسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين ان من العلم ان يقول الرجل لما لا يعلم الله اعلم ساحدثكم عن ذلك ان قريشا لما ابطات عن الاسلام واستعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف فاصابهم من الجهد والجوع حتى اكلوا العظام والميتة وجعلوا يرفعون ابصارهم الى السماء فلا يرون الا الدخان من الجهد قال الله تعالى فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل يا رسول الله استسق الله لمضر فانها قد هلكت فاستسقى لهم فسقوا فنزلت انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون قال ابن عباس يكشف العذاب عنهم يوم القيامة فلما اصابهم الرفاهية عادوا الى حالهم فانزل الله يوم نبطش

عن عطاء بن يسار قال اذا كان ليلة النصف من شعبان دفع الى ملك الموت صحيفة فيقال اقبض من في هذه الصحيفة وان العبد ليغرس الغرس وينكح الازواج ويبني البنيان وان اسمه قد نسخ في الموتى وما ينتظر به ملك الموت الا ان يؤمر فيقبضه

قوله تعالى فيها يفرق ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل امر حكيم من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم منها الى الاخرى القابلة وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبرئيل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت مد كشاف

يوم تاتي السماء مفعول به مرتقب يقال رقبته وارتقبته نحو نظرته وانتظرته واختلف في الدخان فعن علي ابن ابي طالب وبه اخذ الحسن انه دخان ياتي من السماء قبل يوم القيمة يدخل في اسماع الكفرة حتى يكون راس الواحد منهم كالراس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية قال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة واما الكافر فكالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره مد كشاف

انا انزلناه اي القرآن في ليلة مباركة هي ليلة القدر وقيل ليلة النصف من شعبان [illegible]

[illegible]

البطشة

البطشة الكبرى انا منتقمون قال يعني يوم بدر قال ابن مسعود فقد مضى خمسة الدخان والروم والقمر والبطشة واللزام ووافق في ذلك ابن مسعود جماعة كمجاهد وابي العالية وهو اختيار ابن جرير وقال بعضهم لم يمض الدخان بعد بل هو من امارات الساعة كما روى حذيفة بن اسيد الغفاري قال اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة وخروج ياجوج وماجوج وخروج عيسى بن مريم والدجال وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ونار تخرج من قعر عدن تسوق او تحشر الناس الى المحشر تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا انفرد باخراجه مسلم وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن صياد اني خبأت لك خبيئا فقال هو الدخ فقال له اخسأ فلن تعدو قدرك وخبأ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين وهذا فيه اشعار بانه من المنتظر المرتقب وابن صياد كاشف على طريق الكهان بلسان الجان فقال هو الدخ يعني الدخان فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم مادته وانها شيطانية فقال له اخسأ فلن تعدو قدرك وعن ابي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم انذركم ثلاثا الدخان ياخذ المؤمن كالزكمة وياخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه والثانية الدابة والثالثة الدجال رواه ابن جرير باسناد جيد وعن علي رضي الله عنه نحوه موقوفا ووافقه ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين وفيه دلالة على ان الدخان من الآيات المنتظرة مع انه ظاهر القرآن قال تعالى فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين اي بين واضح يراه كل احد وعلى تفسير ابن مسعود انما هو خيال راوه في اعينهم من شدة الجوع والجهد وهكذا قوله يغشى الناس اي يتغشاهم ويعمهم ولو كان امرا خياليا يخص اهل مكة من المشركين لما قيل فيه يغشى الناس وقوله هذا عذاب اليم اي يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا كقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون او يقول بعضهم لبعض ذلك وقوله ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون اي يقول الكافرون اذا عاينوا عذاب الله وعقابه سائلين رفعه وكشفه عنهم كقوله اخبارا عنهم فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب الآية وقال ههنا انى لهم الذكرى اي كيف يتذكرون ويتعظون وقد جاءهم رسول مبين اي الصدق وهو محمد صلى الله عليه وسلم ثم تولوا اي اعرضوا عنه وقالوا معلم اي يعلمه بشر او هو مجنون وهذا كقوله يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى وقوله انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون يحتمل ان يكون معناه لو كشفنا عنكم العذاب ورجعناكم الى الدنيا لعدتم الى ما كنتم فيه من الكفر والطغيان كقوله ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون وان يكون المراد انا مؤخروا العذاب عنكم قليلا بعد انعقاد سببه ووصوله اليكم وانتم مستمرون فيما انتم فيه من الكفر والضلال ولا يلزم الكشف عنهم ان يكون العذاب باشرهم كما قال الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم العذاب بل يكفي انعقاد السبب عليهم وقال قتادة انكم عائدون الى عذاب الله وقوله يوم نبطش البطشة الكبرى فسره ابن مسعود بيوم بدر ووافقه فيه جماعة كما سبق وعن ابن عباس وغيره ان ذلك يوم القيمة وان كان يوم بدر يوم بطشة ايضا

ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ان ادوا الى عباد الله اني لكم رسول امين وان لا تعلوا على الله اني اتيكم بسلطان مبين واني عذت بربي وربكم ان ترجمون وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون فاسر بعبادي ليلا انكم متبعون واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون كم تركوا من جنات وعيون وزروع و

يريد يوم القيمة اذا جاءت الطامة الكبرى انا منتقمون اي منتقم منهم في ذلك اليوم

[illegible]

مقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين يعني ولقد اخترنا قبل هؤلاء المشركين قوم فرعون وهم قبط مصر وجاءهم رسول كريم يعني موسى الكليم ان ادوا الي عباد الله كقوله ان ارسل معنا بني اسرائيل الآية وقوله اني لكم رسول امين اي مأمون على ما ابلغكموه وقوله وان لا تعلوا على الله اي لا تستكبروا عن اتباع آياته والانقياد لحججه والايمان ببراهينه اني آتيكم بسلطان مبين اي بحجة ظاهرة واضحة وهي ما ارسله الله به من الآيات البينات والادلة القاطعات واني عذت بربي وربكم ان ترجمون قال ابن عباس هو الرجم باللسان وهو الشتم وقال قتادة الرجم بالحجارة اي اعوذ بالله الذي خلقني وخلقكم من ان تصلوا الي بسوء من قول او فعل وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون اي فلا تتعرضوا الي ودعوا الامر بيني وبينكم مسالمة الى ان يقضي الله بيننا فلما طال مقامه بين اظهرهم واقام حجج الله عليهم وما زادهم ذلك الا كفرا وعنادا دعا ربه عليهم دعوة نفذت فيهم فقال ان هؤلاء قوم مجرمون اي مشركون فحينئذ امره تعالى ان يخرج ببني اسرائيل من بين اظهرهم بلا استيذان فرعون ومشاورته ولهذا قال ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى وقوله ههنا واترك البحر رهوا اي ساكنا انهم جند مغرقون وذلك ان موسى لما جاوز هو وبنو اسرائيل البحر اراد موسى ان يضربه بعصاه حتى يعود كما كان ليصير حائلا بينهم وبين فرعون فلا يصل اليهم فامره الله تعالى ان يتركه على حاله ساكنا وبشره بانهم جند مغرقون فيه وانه لا تخاف دركا ولا تخشى قال ابن عباس وغير واحد اي اتركه كهيئته وامضه وقال لا تأمره يرجع الى حاله اتركه حتى يدخل آخرهم ثم قال كم تركوا يعني بعد الغرق من جنات وهي البساتين وعيون والمراد بها الانهار والآبار ومقام كريم وهي المساكن الانيقة والاماكن الحسنة وقيل هي المنابر وعن ابن عمر قال نيل مصر سيد الانهار سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب فاذا اراد الله ان يجري نيل مصر امر كل نهر ان يمده فامدته الانهار بمائها وفجر الله له الارض عيونا فاذا انتهى جريته الى ما اراد الله اوحى الى كل ماء ارجع الى عنصرك وهذه الآية كانت الجنان بحافتي هذا النيل من اوله الى آخره في الشقين جميعا ما بين اسوان الى رشيد ونعمة كانوا فيها فاكهين اي عيشة كانوا يتفكهون فيها فياكلون ما شاؤوا ويلبسون كيف شاؤوا كذلك واورثناها قوما آخرين اي بني اسرائيل كما قال تعالى كذلك واورثناها بني اسرائيل وقوله فما بكت عليهم السماء والارض اي لم يكن لهم اعمال صالحة تصعد في ابواب السماء فتبكي على فقدهم ولا لهم في الارض بقاع عبدوا الله فيها فقدتهم فلهذا استحقوا ان يهلكوا ولا يؤخروا لكفرهم وعنادهم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد الا وله في السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل فيه عمله وكلامه فاذا مات فقداه وبكيا عليه وتلا هذه الآية فما بكت عليهم السماء والارض رواه ابو يعلى الموصلي والترمذي نحوه فذكر انهم لم يكونوا يعملون على الارض عملا صالحا تبكي عليهم ولم تصعد لهم الى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب ولا عمل صالح فتفقدهم فتبكي عليهم رواه ابن ابي حاتم وعن علي بن ابي طالب نحوه موقوفا وهكذا عن ابن عباس وقال مجاهد عنه ايضا ما مات مؤمن الا بكت عليه السماء والارض اربعين صباحا قال فقلت له اتبكي الارض قال اتعجب وما للارض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل وقوله ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين لقد منّ الله عليهم بذلك حيث انقذهم مما كانوا فيه من اهانة فرعون واذلاله لهم وتسخيره اياهم في الاعمال

الشاقة

ولقد فتنا قبلهم اي ابتلينا قبل قريش قوم فرعون [illegible]

النعمة اليد والصنيعة والمنة وما انعم به عليك والنعمة بالفتح التنعيم [illegible]

كانوا فيها فاكهين [illegible]

كذلك افعل بمن عصاني

وما كانوا منظرين [illegible]

وقال صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يبكي عليه من الارض مصلاه وموضع عبادته ومن السماء مصعد عمله [illegible]

[illegible]

الشاقة وقوله من فرعون انه كان عاليا اي مستكبرا جبارا عنيدا مسرفا في امره كما قال ان فرعون علا في الارض وقوله ولقد اخترناهم على علم على العالمين اي على من هم بين ظهرانيهم من اهل زمانهم وكان يقال ان لكل زمان عالما كما قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس اي اهل زمانه وكقوله لمريم واصطفاك على نساء العالمين اي في زمانها فان خديجة افضل منها او مساوية لها في الفضل وكذا آسية امرأة فرعون وقوله وآتيناهم من الآيات اي الحجج والبراهين وخوارق العادات ما فيه بلاء مبين اي اختبار ظاهر جلي لمن اهتدى به ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين فاتوا بآبائنا ان كنتم صادقين اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين ينكر تعالى على المشركين في انكارهم البعث وانه ما ثم الا هذه الحيوة الدنيا ولا حيوة بعد الممات بقولهم وما نحن بمنشرين اي بمبعوثين بعد الموت محتجين بآبائهم الماضين الذين ذهبوا فلم يرجعوا فان كان البعث حقا فاتوا بآبائنا ان كنتم صادقين وهذه حجة باطلة وشبهة فاسدة فان المعاد انما هو يوم القيمة بعد انقضاء الدنيا وذهابها فيعيد الله خلقا جديدا ثم قال تعالى متهددا لهم ومنذرا اياهم باسه الذي لا يرد كما حل باشباههم من منكري البعث كقوم تبع وهم سبا حيث اهلكهم الله وخرب بلادهم وشردهم في البلاد كما سبق في سورة سبا وكذلك ههنا شبههم باولئك كانوا عربا من قحطان كما ان هؤلاء عرب من عدنان وقد كانت حمير وهم سبا كلما ملك فيهم رجل سموه تبعا كما يقال كسرى لمن ملك الفرس وقيصر لمن ملك الروم وغير ذلك من اعلام الاجناس ولكن اتفق ان بعض تبابعتهم خرج من اليمن وسار في البلاد حتى وصل الى سمرقند واشتد ملكه وعظم جيشه واتسعت مملكته وبلاده وكثرت رعاياه وهو الذي مصر الحيرة واتفق انه مر بالمدينة النبوية فاراد قتال اهلها فمانعوه واستصحب معه حبرين من احبار يهود وكانا نصحاه واخبراه انه لا سبيل له على هذه البلدة فانها مهاجر نبي يكون في آخر الزمان فرجع عنها واخذهما معه الى بلاد اليمن فلما اجتاز بمكة اراد هدم الكعبة فنهياه عن ذلك ايضا واخبراه بعظمة ذلك البيت وانه من بناء ابراهيم الخليل وانه سيكون لها شان عظيم على يدي ذلك النبي المبعوث في آخر الزمان فعظمها وطاف بها وكساها الحبير ثم كر راجعا الى اليمن ودعا اهلها الى التهود معه وكان اذ ذاك دين موسى فيه من يكون على الهداية قبل بعثة المسيح فتهود معه عامة اهل اليمن وقد ذكر القصة بطولها محمد بن اسحق في كتاب السيرة وتوفي ذلك التبع قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو من سبعمائة سنة وذكروا انه ملك على قومه ثلثمائة سنة وستة وعشرين سنة والله اعلم وانه لما اعلمه الحبران بان المدينة النبوية مهاجر نبي في آخر الزمان اسمه احمد قال في ذلك شعرا واستودعه عند اهل المدينة وكانوا يتوارثونه ويروونه خلفا عن سلف وكان ابو ايوب خالد بن زيد الانصاري الذي نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة في داره يحفظونه وهو هذا شعر

شهدت على احمد انه ⁂ رسول من الله باري النسم ⁂ فلو مد عمري الى عمره ⁂ لكنت وزيرا له وابن عم ⁂ وجاهدت بالسيف اعداءه ⁂ وفرجت عن صدره كل غم ⁂

قال قتادة ذكر لنا ان تبعا كان رجلا صالحا ذم الله قومه ولم يذمه وكانت عائشة تقول لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا ونحوه عن ابن عباس وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه قد كان اسلم رواه احمد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم اخبر تعالى عن عدله وتنزهه عن اللعب العبث والباطل كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا الآية وقال افحسبتم انما خلقناكم عبثا الآية وقوله فتعا

[illegible]

خلقناهما الا بالحق قيل للحق وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ثم قال ان يوم الفصل وهو يوم القيمة يفصل الله فيه بين الخلائق فيثيب المؤمنين ويعذب الكافرين وقوله ميقاتهم اجمعين اي يجمعهم كلهم اولهم وآخرهم يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا اي لا ينفع قريب قريبا كقوله فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقوله ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم اي لا يسأله عن حاله وهو يراه عيانا وقوله ولا هم ينصرون اي ولا ناصر لهم من خارج ثم قال الا من رحم الله اي لا ينفع الا رحمة الله بخلقه انه هو العزيز الرحيم اي هو عزيز ذو رحمة وشفقة ان شجرة الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم ذق انك انت العزيز الكريم ان هذا ما كنتم به تمترون اخبر تعالى عما يعذب به الكافرين الجاحدين للقائه فقال ان شجرة الزقوم طعام الاثيم اي في قوله وفعله وهو الكافر وذكر غير واحد انه ابو جهل ولا شك في دخوله في هذه الآية ولكن ليست خاصة به قال ابو الدرداء اي طعام الفاجر يعني ليس له طعام من غيرها قال مجاهد ولو وقعت قطرة منها في الارض لافسدت على اهل الارض معايشهم كما سبق نحوه مرفوعا وقوله كالمهل اي كعكر الزيت وهو دُرديه تغلي في البطون كغلي الحميم اي كالماء الحار اذا اشتد غليانه وقوله خذوه اي الكافر وقد ورد انه تعالى اذا قال للزبانية خذوه ابتدره سبعون الفا منهم فاعتلوه اي سوقوه سحبا ودفعا في ظهره وقال مجاهد فاعتلوه خذوه فادفعوه والعتل السوق بالعنف والدفع الى سواء الجحيم اي وسطها ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم وقد سبق ان الملك يضربه بمقمعة من حديد فيفتح دماغه ثم يصب الحميم على راسه فينزل في بدنه فيسلت ما في بطنه من امعائه حتى تمرق من كعبيه وقوله ذق انك انت العزيز الكريم اي قولوا له ذلك على وجه التهكم والتوبيخ قال ابن عباس اي لست بعزيز ولا كريم وعن عكرمة قال لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا جهل فقال ان الله امرني ان اقول لك اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى قال فنزع ثوبه من يده وقال ما تستطيع لي انت ولا صاحبك من شيء لقد علمت اني امنع اهل البطحاء وانا العزيز الكريم فقتله الله يوم بدر واذله وعيّره بكلمته وانزل هذه الآية وقوله ان هذا ما كنتم به تمترون اي تشكون فيه ولا تؤمنون به كقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون ان المتقين في مقام امين في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب انهم مرتقبون لما ذكر تعالى حال الاشقياء عطف بذكر السعداء ولهذا سمي القرآن مثاني فقال ان المتقين اي لله في الدنيا في مقام امين اي في الآخرة وهو الجنة قد امنوا فيها من الموت والخروج ومن كل هم وحزن ومن الشيطان وكيده ومن سائر الآفات والمصائب في جنات وعيون وهذا في مقابلة ما اولئك من شجرة الزقوم وشراب الحميم وقوله يلبسون من سندس هو رفيع الحرير كالقميص ونحوه واستبرق وهو ما فيه بريق ولمعان وذلك كالرياش وما يلبس على اعالي القماش متقابلين اي على سرر متواجهين بعضهم بعضا وقوله كذلك وزوجناهم بحور عين اي هذا العطاء مع ما منحناهم من الزوجات الحور العين الحسان وقال انس لو ان حوراء بزقت في بحر لجي لعذب ذلك الماء لعذوبة ريقها رواه ابن حاتم وقوله يدعون فيها بكل فاكهة آمنين اي مهما طلبوا من انواع الثمار احضر لهم وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه وقوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى هذا استثناء منقطع مؤكد للنفي يعني انهم لا يذوقون فيها الموت ابدا كما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بالموت في صورة

الاثيم هو الفاجر والكثير الآثام كشاف

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس اتقوا الله حق تقاته فلو ان قطرة من الزقوم قطرت على الارض لامرت على اهل الدنيا معيشتهم فكيف بمن هو طعامه وليس لهم طعام غيره معالم

كبش املح فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح ثم يقال يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت كما سبق في سورة مريم وعن ابي سعيد وابي هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لاهل الجنة ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا وان لكم ان تعيشوا ابدا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تبأسوا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا رواه ابو بكر بن مردويه وقوله ووقاهم عذاب الجحيم اي مع هذا النعيم المقيم قد وقاهم وسلمهم ونجاهم من العذاب الاليم فحصل لهم المطلوب وحفظوا من المرهوب ولهذا قال فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم اي انما كان هذا بفضله عليهم واحسانه اليهم كما ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا ان احدا لن يدخله عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل وقوله فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون اي انما يسرنا هذا القرآن وانزلناه سهلا واضحا بينا بلسانك الذي هو افصح اللغات واجلاها لعلهم يتذكرون اي لكي يتفهموا ويعملوا به ثم لما كان مع هذا البيان والوضوح عاند من اصر على الكفر قال تعالى لرسوله مسليا له وواعدا له بالنصر فارتقب اي انتظر انهم مرتقبون فسيعلمون لمن يكون له النصر والظفر فانه لك يا محمد ولمن اتبعك من المؤمنين كما قال تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا الآية

تفسير سورة الجاثية وهي مكية بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون ارشد تعالى خلقه الى التفكر في آلائه ونعمه وقدرته العظيمة التي خلق بها السموات والارض وما فيهما من المخلوقات المختلفة الاجناس والانواع من الملائكة والجن والانس والدواب والطيور والوحوش والسباع والحشرات وما في البحر من الاصناف المتنوعة واختلاف الليل والنهار في تعاقبهما دائبين لا يفتران هذا بظلامه وهذا بضيائه وما انزل الله من السماء وهو المطر وقت الحاجة وسماه رزقا لان به يحصل الرزق فاحيا به الارض بعد موتها اي بعد ما كانت يابسة لا نبات فيها ولا شيء وقوله وتصريف الرياح اي جنوبا وشمالا ودبورا وصبا ليلية ونهارية ومنها ما هو للمطر ومنها ما هو للقاح ومنها ما هو غذاء ومنها ما هو عقيم لا ينتج وقال اولا لآيات للمؤمنين ثم لقوم يوقنون ثم يعقلون وهو ترق من حال شريف الى ما هو اشرف واعلى منه تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فباي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ويل لكل افاك اثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها فبشره بعذاب اليم واذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم يعني هذه آيات الله اي القرآن بما فيه من الحجج والبينات نتلوها عليك بالحق اي متضمنة الحق من الحق فاذا كانوا لا يؤمنون بها ولا ينقادون لها فباي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ثم قال ويل لكل افاك اثيم في قوله كذاب اثيم في فعله وقلبه كافر بآيات الله ولهذا قال يسمع آيات الله تتلى اي تقرأ عليه ثم يصر اي على كفره وجحوده استكبارا وعنادا كان لم يسمعها اي كانه ما سمعها فبشره بعذاب اليم اي فاخبره ان له عند الله يوم القيمة عذابا موجعا واذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا اي اذا حفظ شيئا من القرآن كفر به واتخذه سخريا وهزوا اولئك لهم عذاب مهين اي في مقابلة ما استهان بالقرآن واستهزأ به ولهذا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسافر بالقرآن الى ارض العدو مخافة ان يناله العدو رواه مسلم عن ابن عمر ثم فسر حاصله يوم معاده فقال من ورائهم جهنم اي كل من اتصف بذلك سيصيرون الى جهنم يوم القيمة ولا يغني عنهم ما كسبوا

نظم

دگر ز ابر افکند قطره سوی یم
ز صلب افکند نطفه در شکم
از آن قطره لولوی لالا کند
وزین صورتی سرو بالا کند
دهد نطفه را پیکری چون پری
که کردست بر آب صورت گری

کس نماند آیت دیگر آفرینش آدمیان و جانوران از چهارپایان و مرغان و حشرات زمین و ددان بیابان هر یکی برنگی و شکلی دیگر و هر یک بصفتی و صورتی دیگر هر یکی را الهام داده وحش ارزانی فرموده که غذای خویش چون بدست آرد و بچه خویش چگونه نگاه دارد و آشیان خویش بر چه کیفیت کند و جفت خویش بشناسد و از دشمن خویش بپرهیزد و اوقات کار خود را چه طریق نگه کند آیت دیگر گردش روز و شب است یکی تیره و ظلمانی و آن دیگر روشن و نورانی چون روز رفت شب آید و اگر شب رفت روز در پی فترت و قصور درمیان نه روز از برای کسب روزی و معیشت و شب از برای آرام و راحت آیت دیگر باران است که سبب حصول روزی مردمان است از آسمان فرود می آید تا زمین مرده بدان زنده شود و گیاه برارد قطرهای باران برابر می بارد و با هر قطره فرشته تا چنانکه اقتضای حکمت بیچون بود بجای خود رساند چون باران بزمین رسد زمین شکافته شود و از آن انواع نبات و اصناف گیاه و درختان براند گیاهها رنگارنگ و درختان گوناگون رنگها نیکو و طعمهای شیرین و بویهای خوش آنگاه یکی حلوا یکی روغن یکی شیرین یکی ترش یکی نافع یکی مضر بعضی خورند بعضی بپوشند بعضی میوه بعضی غذای آدمیان بعضی خورش ستوران عاقل داند که این ساخته را سازنده باید و این آراسته را آرایندهٔ و آن رسته را رویاننده و فی کل شیء له آیة تدل علی انه واحد آیت دیگر فرو گشادن باد است و گردانیدن از هر سوی و مراد تصریف رياح گردانیدن است در جهان عالم بحسب مصالح شمال و جنوب و صبا و دبور بر کیفیتهای مختلف گرم و سرد سخت و سست بعضی برای باران بعضی برای آبستن شدن درختان بعضی از بهر عذاب بعضی عقیم

[illegible]

شيئا اي لا ينفعهم اموالهم ولا اولادهم ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اي ولا يغني عنهم الالهة التي عبدوها
من دون الله شيئا ولهم عذاب عظيم ثم قال تعالى هذا هدى يعني القرآن بيان من الضلالة والذين كفروا بآيات ربهم لهم
عذاب من رجز اليم وهو المؤلم الموجع الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله
ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون قل للذين
آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها
ثم الى ربكم ترجعون ذكر تعالى نعمه على عباده فيما سخر لهم من البحر لتجري الفلك وهي السفن فيه بامره تعالى فانه هو الذي
امر البحر ان يحملها ولتبتغوا من فضله اي في المتاجر والمكاسب ولعلكم تشكرون اي على حصول المنافع المجلوبة اليكم من
الاقاليم النائية والآفاق القاصية ثم قال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض اي من الكواكب والجبال والبحار والانهار
وجميع ما ينتفعون به الجميع من فضله واحسانه وامتنانه ولهذا قال جميعا منه اي من عنده وحده لا شريك له في ذلك قال
ابن عباس اي كل ذلك رحمة منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وقوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله
اي لا يخافون وقائع الله ولا يبالون نقمته اي ليصفحوا عنهم ويتحملوا الاذى منهم وهذا كان في ابتداء الاسلام امروا
ان يصبروا على اذى المشركين ليكون ذلك كالتاليف لهم ثم لما اصروا على العناد شرع للمؤمنين الجلاد والجهاد هكذا
عن ابن عباس وغيره وقوله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون اي اصفحوا عنهم في الدنيا فان الله يجازيهم باعمالهم في الآخرة
ولهذا قال من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون اي تعودون اليه يوم القيمة فيعرضون باعمالهم
فيجازيكم خيرها وشرها ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم
على العالمين وآتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي
بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين
لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين هذا
بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ذكر الله ما انعم به على بني اسرائيل من انزال الكتب عليهم وارسال
الرسل اليهم وجعله الملك فيهم بقوله ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات اي من المآكل
والمشارب وفضلناهم على العالمين اي في زمانهم وآتيناهم بينات من الامر اي حججا وبراهين وادلة قاطعات فقامت
عليهم الحجج ثم اختلفوا بعد ذلك بغيا منهم بعضهم بعضا ان ربك يا محمد يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه
يختلفون اي سيفصل بينهم بحكمه العدل وفي هذا تحذير لهذه الامة ان تسلك مسلكهم ولهذا قال ثم جعلناك على شريعة
من الامر اي من الدين فاتبعها اي اتبع ما اوحي اليك من ربك ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون اي الكفار الذين يقولون
لك اتبع الدين آبائك فانهم كانوا افضل منك فقال تعالى انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا اي لن يدفعوا عنك من عذاب
الله شيئا اذا اتبعت اهواءهم وان الظالمين بعضهم اولياء بعض وماذا يغني عنهم ولايتهم لبعضهم بعضا فانهم
لا يزيدونهم الا خسارا او هلاكا والله ولي المتقين فيخرجهم من الظلمات الى النور ثم قال هذا يعني القرآن بصائر اي معالم
الناس والحدود والاحكام يبصرون بها وهدى ورحمة لقوم يوقنون ام حسب الذين اجترحوا السيآت ان
نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وخلق الله السموات
والارض ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم

على سمعه

[illegible]

على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون يعني ام حسب الذين عملوا السيآت
وكسبوها ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم اي نساويهم بهم يعني ان حيوة الكافرين
ومماتهم ليس كحيوة المؤمنين وموتهم وقرا بعضهم سواء بالرفع اي محياهم ومماتهم سواء والضمير راجع الى الفريقين
اي المؤمن مؤمن محياه ومماته في الدارين وكذا الكافر ساء ما يحكمون اي ساء ما ظنوا بنا ان نعادل بين الابرار و
الفجار في الدنيا والآخرة وعن ابي ذر قال قال ابو القسم صلى الله عليه وسلم كما لا يجتنى من الشوك العنب كذلك لا ينال
الفجار منازل الابرار حديث غريب رواه الحافظ الموصلي وذكر محمد بن اسحق انهم وجدوا حجرا بمكة في اس الكعبة
مكتوبا عليه تعملون السيآت وترجون الحسنات كما يجنى من الشوك العنب وقوله وخلق الله السموات والارض بالحق
اي بالعدل ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ثم قال افرايت من اتخذ الهه هواه اي انما يأتمر بهواه فمهما رآه
حسنا فعله ومهما رآه قبيحا تركه وفيه رد على المعتزلة في قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين وقال مالك لا يهوى شيئا
الا عبده وقوله واضله الله على علم يحتمل ان يكون معناه واضله الله لعلمه انه يستحق لذلك واضله الله بعد بلوغ العلم اليه
وقيام الحجة عليه والثاني مستلزم للاول بلا عكس وختم على سمعه اي فلا يسمع ما ينفعه ولا يعي شيئا يهتدي به ولا يرى
حجة يستضيء بها ولهذا قال فمن يهديه من بعد الله اي بعد اذ اضله الله افلا تذكرون وقالوا ما هي الا حيوتنا الدنيا نموت
ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات
ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة
لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون اخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في انكار المعاد
بقوله وقالوا ما هي الا حيوتنا الدنيا اي ما ثم الا هذه الدنيا يموت قوم ويعيش آخرون وليس معاد ولا قيامة وهذا قول
مشركي العرب وبعض الفلاسفة المنكرين للبداءة والرجعة والفلاسفة الدهرية الدورية المنكرين للصانع المعتقدين ان في
كل ستة وثلثين الف سنة يعود كل شيء الى ما كان عليه وزعموا ان هذا قد تكرر مرات لا تتناهى فكابروا المعقول وكذبوا المنقول
ولهذا قالوا وما يهلكنا الا الدهر اي الا مر الزمان وطول العمر واختلاف الليل والنهار قال تعالى وما لهم بذلك من علم
ان هم الا يظنون اي يتوهمون ويتخيلون وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ~~قال كان اهل الجاهلية يقولون~~
يقول الله يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان
اهل الجاهلية يقولون انما يهلكنا الليل والنهار وهو الذي يهلكنا يميتنا ويحيينا فقال الله في كتابه وقالوا ما هي الا حيوتنا الدنيا نموت
ونحيى وما يهلكنا الا الدهر فقال تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار رواه ابن جرير وابن
ابي حاتم بهذه العبارة قال الشافعي وابو عبيدة وغيرهما في تفسير قوله عليه الصلوة والسلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر كانت
العرب في جاهليتها اذا اصابهم شدة او بلاء او نكبة قالوا يا خيبة الدهر فيسندون تلك الافعال الى الدهر ويسبونه وانما فاعلها
هو الله فكانهم انما سبوا الله تعالى لانه فاعل ذلك في الحقيقة فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار وهذا احسن ما قيل في تفسيره
وقوله واذا تتلى عليهم آياتنا بينات اي اذا استدل عليهم وبين لهم الحق في ان الله قادر على اعادة الابدان بعد فنائها و
تفرقها ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا اي احيوهم ان كان ما تقولون حقا قال الله قل الله يحييكم اي كما تشاهدون
ذلك يخرجكم من العدم الى الوجود ثم يميتكم ثم يجمعكم اي الذي قدر على البداءة قادر على الاعادة بطريق الاولى ثم يجمعكم الى يوم
القيمة لا ريب فيه اي انما يجمعكم ليوم القيمة لا يعيدكم الى الدنيا حتى تقولوا ائتوا بآبائنا لا شك فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون

[illegible]

اي فلهذا يكذبون بالمعاد ويستبعدون قيام الاجساد قال تعالى انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا اي انما الكفار يرون
وقوعه بعيدا والمؤمنون يرون ذلك سهلا قريبا ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وترى كل
امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا
نستنسخ ما كنتم تعملون اخبر تعالى انه مالك السموات والارض والحاكم فيهما في الدنيا ولهذا قال ويوم تقوم الساعة
اي القيمة يخسر المبطلون وهم الكافرون بالله الجاحدون بما انزله على رسله ثم قال وترى كل امة جاثية اي باركة
على الركب من الشدة وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء قال سلمن الفارسي ان في القيمة ساعة هي عشر سنين
يخر الناس جثاة على ركبهم وقيل ان هذا اذا جيء بجهنم فانها تزفر زفرة لا يبقى احد الا جثا لركبتيه حتى ابرهيم
الخليل يقول نفسي لا اسالك اليوم الا نفسي وروى ابن ابي حاتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كاني اراكم بالكوم جاثين
دون جهنم وقوله كل امة تدعى الى كتابها يعني كتاب اعمالها كقوله ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء ولهذا قال
اليوم تجزون بما كنتم تعملون اي تجازون باعمالكم خيرها وشرها ولهذا قال هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق اي يستحضر جميع اعمالكم
من غير زيادة ولا نقص وقوله انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اي انا كنا نامر الحفظة ان تكتب اعمالكم عليكم قال ابن عباس وغيره تكتب
الملئكة اعمال العباد ثم تصعد بها الى السماء فيقابلون مع الملئكة على ما ابرز لهم من اللوح المحفوظ من كل ليلة قدر مما قد كتبه الله
في القدم على العباد قبل ان يخلقهم فلا يزيد ولا ينقص حرفا ثم قرا انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين واما الذين كفروا افلم تكن اياتي تتلى عليكم فاستكبرتم
وكنتم قوما مجرمين واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا
ظنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وقيل اليوم ننسيكم
كما نسيتم لقاء يومكم هذا وماويكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا وغرتكم
الحيوة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب
العالمين وله الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم اخبر تعالى عن حكمه في خلقه يوم القيمة فقال فاما
الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي آمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الاعمال الصالحة وهي الموافقة للشرع فيدخلهم ربهم
في رحمته وهي الجنة كما ثبت في الصحيح انه قال للجنة انت رحمتي ارحم بك من اشاء ذلك هو الفوز المبين اي البين الواضح
ثم قال واما الذين كفروا افلم تكن اياتي تتلى عليكم فاستكبرتم اي يقال لهم ذلك توبيخا اي اما قرئت عليكم آيات الرحمن
فاستكبرتم عن اتباعها واعرضتم عند سماعها وكنتم قوما مجرمين اي في افعالكم مع ما اشتملت عليه من التكذيب واذا قيل ان
وعد الله حق والساعة لا ريب فيها اي اذا قال لكم المؤمنون ذلك قلتم ما ندري ما الساعة اي لا نعرفها ان نظن الا ظنا
اي ان نتوهم وقوعها الا توهما مرجوحا ولهذا قال وما نحن بمستيقنين اي بمتحققين قال الله وبدا لهم سيئات ما عملوا
اي وظهر لهم عقوبة اعمالهم السيئة وحاق اي احاط بهم ما كانوا به يستهزءون اي من العذاب والنكال وقيل اليوم ننسيكم اي
نعاملكم معاملة الناسي لكم في نار جهنم كما نسيتم لقاء يومكم هذا اي فلم تعملوا له لانكم لم تصدقوا به وماويكم النار وما لكم من ناصرين
وقد ثبت في الصحيح ان الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيمة اي الم اكرمك الم اسودك الم ازوجك الم اسخر لك الخيل
والابل واذرك ترأس وتربع فيقول بلى يا رب فيقول افظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول الله فاليوم انساك كما نسيتني
قال الله ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا اي انما جازيناكم هذا الجزاء لانكم اتخذتم حجج الله عليكم سخريا تسخرون وتستهزءون بها

ولله ملك السموات والارض

عامل النصب في يوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم يقوم

فان قلت كيف اضيف الكتاب اليهم والى الله عز وجل قلت الاضافة تكون للملابسة وقد لابسهم ولابسه اما ملابسته اياهم فلان اعمالهم مثبتة فيه واما ملابسته اياه فلانه مالكه والآمر ملائكته ان يكتبوا فيه اعمال عباده

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم وغرتهم قال الله للجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي وقال للنار انما انت عذابي اعذب بك من اشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها فاما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله رجله تقول قط قط قط فهناك تمتلئ ويزوى بعضها الى بعض فلا يظلم الله من خلقه احدا واما الجنة فان الله ينشئ لها خلقا متفق عليه

خاک را بار کشتی باید کرد نه سر کشتی اگر سلطان گدایی بی نوایی را از میان راه برگرد [illegible] دولت خود بداود [illegible] شرطان بود که خود را [illegible] [illegible] که لهو [illegible] [illegible] الکبریاء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم

وغرتكم

وغرتكم الحيوة الدنيا اي خدعتكم فاطمانتم اليها فاصبحتم من الخاسرين فلهذا قال فاليوم لا يخرجون منها اي من النار ولا هم
يستعتبون اي لا يطلب منهم العتبى بل يعذبون بلا حساب ولا عتاب كما يدخل طائفة من المؤمنين الجنة بلا عذاب ولا
حساب ثم لما ذكر حكمه في الفريقين قال فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين ثم قال وله الكبرياء في السموات
والارض قال مجاهد يعني السلطان اي هو العظيم الممجد الذي كل شيء خاشع لديه فقير اليه وقد ورد في صحيح مسلم يقول الله
تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما ادخلته وفي رواية اسكنته النار وقوله وهو العزيز اي
الذي لا يغالب ولا يمانع الحكيم في اقواله وافعاله وشرعه وقدره تعالى وتقدس

تفسير سورة الاحقاف وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما
الا بالحق واجل مسمى والذين كفروا عما انذروا معرضون قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني
ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم ان كنتم
صادقين ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون
واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين اخبر تعالى انه تعالى نزل الكتاب على رسوله
محمد صلى الله عليه وسلم ووصف نفسه بالعزة التي لا ترام والحكمة في الاقوال والافعال ثم قال ما خلقنا السموات والارض و
ما بينهما الا بالحق اي لا على وجه العبث والباطل واجل مسمى اي والى مدة معينة مضروبة لا تزيد ولا تنقص وقوله والذين
كفروا عما انذروا معرضون اي لاهون عما يراد بهم وقد انزل الله اليهم كتابا وارسل اليهم رسولا وهم معرضون عن ذلك
كله اي وسيعلمون غب ذلك ثم قال قل اي لهؤلاء المشركين ارايتم ما تدعون من دون الله اروني اي ارشدوني الى المكان
الذي استقلوا بخلقه من الارض ام لهم شرك في السموات اي ولا شرك لهم في السموات ولا في الارض وما يملكون من قطمير ان
الملك والتصرف كله ليس الا لله تعالى فكيف تعبدون معه غيره وتشركون به من ارشدكم الى هذا من دعاكم اليه اهو امركم به
ام هو شيء اقترحتموه من عندكم ولهذا قال ائتوني بكتاب من قبل هذا اي هاتوا كتابا من كتب الله المنزلة على انبيائه يامرهم
بعبادة هذه الاصنام او اثارة من علم او دليل بين على هذا المسلك الذي سلكتموه ان كنتم صادقين اي لا دليل لكم لا نقليا و
لا عقليا على ذلك ولهذا قرا آخرون او اثرة من علم اي او علم صحيح ياثرونه عن احد ممن قبلهم كما قال مجاهد او احد ياثر علما
وقال ابن عباس او بينة من الامر وعنه في رواية مرفوعا يعني الخط وعن قتادة او علم خاص وقوله ومن اضل ممن يدعو
من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة اي ومن اضل ممن يدعو اصناما ويطلب منها ما لا تستطيعه الى يوم القيمة وهي
غافلة عما يقول لا تسمع ولا تبصر ولا تبطش لانها جماد صم وقوله واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم
كافرين اي جاحدين كقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا اي تبرؤوا عنهم واذا تتلى عليهم اياتنا
بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين ام يقولون افتريه قل ان افتريته فلا تملكون
لي من الله شيئا هو اعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم قل ما
كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى الي وما انا الا نذير
مبين اخبر تعالى عن المشركين في كفرهم وعنادهم انهم اذا تتلى عليهم آيات الله بينات اي في حال بيانها ووضوحها
يقولون هذا سحر مبين اي سحر واضح وقد كذبوا وضلوا وافتروا ام يقولون افتريه يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى قل ان
افتريته اي لو كذبت عليه وادعيت الرسالة لعاقبني اشد العقوبة ولم يقدر احد من اهل الارض لا هم ولا غيرهم ان يجيرني منه ويدفع العذاب

خلقا ملتبسا بالحق والحكمة والغرض الصحيح

وتقدير اجل مسمى ينتهي اليه وهو يوم القيمة وهو اشارة الى فنائها

اي المالك لهما وما فيهما ولهذا قال

اي لا يطلب منهم [illegible] لانه لا تقبل اليوم عذر ولا توبة

وفيه تهكم [illegible] الاكثر في الضلال كلهم ابلغ ضلالا من عبدة الاصنام حيث يدعون جمادا لا يستجيبون لهم ولا يقدر على استجابة احد ما دامت الدنيا والى ان تقوم الساعة [illegible]

يعنى هو اعلم بما تفيضون فيه من التكذيب بالقرآن كفى به شهيدا بينى وبينكم هذا تهديد ووعيد شديد وقوله هو الغفور الرحيم ترغيب لهم الى التوبة والانابة اى ومع هذا ان رجعتم وتبتم تاب عليكم وعفى عنكم ورحمكم وقوله قل ما كنت بدعا من الرسل اى لست باول رسول مبعوث والبدع والبديع واحد بل قد جاءت الرسل من قبلى فما انا باول آمر ومبلغ اليكم حتى تستنكروا الى فانه قد ارسل الله قبلى جميع الانبياء الى الامم وقوله وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم هذا قبل نزول ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهذا ما نسخه قاله ابن عباس وغير واحد وقال الضحاك اى ما ادرى بماذا اومر وبما انهى بعد هذا وقال الحسن البصرى اما فى الآخرة فمعاذ الله قد علم انه فى الجنة ولكن قال لا ادرى ما يفعل بى ولا بكم فى الدنيا اخرج كما اخرجت الانبياء من قبلى ام اقتل كما قتلت الانبياء من قبلى ولا ادرى ايخسف بكم او ترمون بالحجارة وهذا هو اختيار ابن جرير واللائق بحضرته عليه الصلوة والسلام فانه بالنسبة الى الآخرة جازم انه فى الجنة ومن اتبعه واما فى الدنيا فلم يدر ما كان يؤول امره وامر المشركين الى ماذا ايؤمنون ام يكفرون واما الحديث الذى فى البخارى عن ام العلاء قالت طارت لنا فى السكنى حين اقترعت الانصار على سكنى المهاجرين عثمن بن مظعون فاشتكى عثمان عندنا فمرضناه حتى اذا توفى ادرجناه فى اثوابه فدخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك ابا السائب شهادتى عليك لقد اكرمك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك ان الله اكرمه فقلت لا ادرى بابى انت وامى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هو فقد جاءه اليقين من ربه وانى لارجو له الخير والله ما ادرى وانا رسول الله ما يفعل به قالت فقلت والله لا ازكى احدا بعده ابدا واحزننى ذلك فنمت فرايت لعثمن عينا تجرى فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك فقال ذاك عمله وفى رواية ما ادرى وانا رسول الله ما يفعل به وهذا اشبه بدليل قولها فاحزننى ذلك فهذا وامثاله دال على انه لا يقطع لمعين بالجنة الا للذى نص عليه الشارع بانه من اهل الجنة كالعشرة وابن سلام وامثاله وقوله ان اتبع الا ما يوحى الى اى انما اتبع ما ينزله الله على من الوحى وما انا الا نذير مبين اى بين النذارة امرى ظاهر لكل ذى لب وعقل قل ارايتم

ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون

يعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الكافرين بالقرآن ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به اى ما ظنكم ان الله صانع بكم وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله وقد شهدت بصدقه وصحته الكتب المتقدمة المنزلة على الانبياء قبلى وبشرت به واخبرت بمثل ما اخبر هذا القرآن به وقوله فآمن اى هذا الذى شهد بصدقه من بنى اسرائيل لمعرفته بحقيقته واستكبرتم انتم عن اتباعه وقال مسروق فآمن هذا الشاهد بنبيه وكتابه وكفرتم انتم بنبيكم وكتابكم ان الله لا يهدى القوم الظالمين وهذا الشاهد اسم جنس يعم عبد الله بن سلام وغيره فان هذه الآية مكية نزلت قبل اسلام عبد الله بن سلام وفى الصحيحين عن سعد بن ابى وقاص قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشى على وجه الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام قال وفيه نزلت وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله وكذا قال ابن عباس وغير واحد وقوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا اى قالوا فى شان المؤمنين بالقرآن لو كان القرآن خيرا ما سبقونا هؤلاء اليه يعنون صهيبا وعمارا وبلالا واشباههم من المستضعفين وما ذاك الا انهم كانوا عند انفسهم يعتقدون ان لهم عند الله وجاهة وله بهم عناية وقد غلطوا فى ذلك وضلوا وقوله واذ لم يهتدوا به اى بالقرآن فسيقولون

الآيه من كان عدوا لجبريل

اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واذا سبق ماء الرجل ماء المراه نزع الولد

قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وانهم ان يعلموا باسلامى قبل ان تسئلهم بهتونى فجاءت اليهود فقال

وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله بن سلام قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا

وابن شرنا فانتقصوه قال هذا الذى كنت اخاف يا رسول الله وقال الاوزاعى الشاهد هو موسى بن عمران معالم

هذا افك اى كذب قديم اى مأثور من الاقدمين فينتقصون القرآن واهله وهذا هو الكبر الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بطر الحق وغمط الناس ثم قال ومن قبله كتاب موسى وهو التورية اماما ورحمة وهذا كتاب يعنى القرآن مصدق لما قبله من الكتب لسانا عربيا اى فصيحا بينا واضحا لينذر الذين ظلموا اى المشركين وبشرى للمحسنين اى للمؤمنين وقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تقدم تفسيرها فى سورة حم السجدة وقوله فلا خوف عليهم اى فيما يستقبلون ولا هم يحزنون على ما خلفوا اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون اى الاعمال سبب لنيل الرحمة لهم بفضل الله وكرمه ووصينا

الانسان بوالديه احسانا حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلثون شهرا حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لى فى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى اصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون

يعنى وامرنا الانسان بالاحسان الى الوالدين والشفقة عليهما قال السدى نزلت فى سعد بن ابى وقاص وامه الكافرة وقد مضت القصة من قبل وقوله حملته امه كرها اى قاست بسببه فى حال حمله مشقة وتعبا من ثقل وكرب ونحو ذلك ووضعته كرها اى بمشقة ايضا من الطلق وشدته وحمله وفصاله ثلثون شهرا وفى هذه الآية والتى فى سورة لقمن والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر وبه قال كثير من الصحابة ومن بعدهم قال ابن عباس اذا وضعت المراه لتسعة اشهر كفاه من الرضاع احد وعشرون شهرا واذا وضعته لستة اشهر فحولين كاملين لان الله يقول وحمله وفصاله ثلثون شهرا حتى اذا بلغ اشده اى قوى وشب وارتجل وبلغ اربعين سنة اى تناهى عقله وكمل فهمه وحلمه ويقال انه لا يتغير غالبا عما يكون عليه ابن الاربعين وعن عثمن رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم العبد المسلم اذا بلغ اربعين سنة خفف الله حسابه واذا بلغ ستين سنة رزقه الله الانابة اليه واذا بلغ سبعين سنة احبه اهل السماء واذا بلغ ثمانين سنة ثبت الله حسناته ومحا سيئاته واذا بلغ تسعين سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وشفعه الله فى اهل بيته وكتب فى السماء اسير الله فى ارضه رواه احمد والحافظ الموصلى وقال بعض الامراء تركت المعاصى والذنوب حين بلغت اربعين سنة حياء من الناس ثم تركتها حياء من الله تعالى وما احسن قول الشاعر ⁂ صبا ما صبا حتى علا الشيب راسه ⁂ فلما علاه قال للباطل ابعد ⁂ قال رب اوزعنى اى الهمنى ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى اى بالهداية والايمان وان اعمل صالحا ترضاه اى فى المستقبل واصلح لى فى ذريتى اى نسلى وعقبى انى تبت اليك وانى من المسلمين وهذا ارشاد لمن بلغ الاربعين ان يجدد التوبة والانابة الى الله وفى سنن ابى داود عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم ان يقولوا فى التشهد اللهم الف بين قلوبنا واصلح ذات بيننا واهدنا سبل السلام ونجنا من الظلمات الى النور وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن وبارك لنا فى اسماعنا وابصارنا وقلوبنا وازواجنا وذرياتنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها قابليها واتممها علينا قال تعالى اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا اى هؤلاء المتصفون بما ذكرنا التائبون الى الله المنيبون اليه المستدركون ما فات بالتوبة والاستغفار هم الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فنغفر لهم الكثير من الزلل ونتقبل منهم اليسير من العمل فى اصحاب الجنة اى هم من جملة اهل الجنة وهذا حكمهم عند الله كما وعد الله من تاب اليه واناب ولهذا قال وعد الصدق الذى كانوا يوعدون وعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح الامين قال يؤتى بحسنات العبد وسيئاته فيقتص بعضها ببعض فان بقيت حسنة وسع الله له فى الجنة قال قلت فان ذهبت الحسنة

قال اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون
رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وفي روايته عن الروح الامين قال قال الرب جل جلاله يؤتى الى آخره هذا حديث غريب
واسناده جيد وقال علي بن ابي طالب ان عثمن واصحابه كانوا من الذين قال الله اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا الى
آخر الآية والذي قال لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان
الله ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اولئك الذين حق عليهم القول في
امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم اعمالهم
وهم لا يظلمون ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا واستمتعتم بها
فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون لما ذكر تعالى حال
الداعين للوالدين البارين بهما وما لهم عنده من الفوز والنجاة عطف بحال الاشقياء العاقين لهما فقال والذي قال لوالديه
اف لكما وهذا عام في كل من قال هذا ومن زعم انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر فقوله ضعيف لانه اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه
وكان من خيار اهل زمانه وانما هذا عام في كل من عق والديه وكذب بالحق فقال لوالديه اف لكما اي عقهما وفي البخاري
ان مروان كان على الحجاز استعمله معوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معوية لكي يبايع له بعد ابيه فقال له عبد الرحمن بن ابي بكر شيئا
فقال خذوه فدخل بيت عائشة رضي الله عنها فلم يقدروا عليه فقال مروان ان هذا الذي انزل فيه والذي قال لوالديه اف لكما
اتعدانني ان اخرج وقد خلت القرون من قبلي فقالت عائشة من وراء الحجاب ما انزل الله فينا شيئا من القرآن الا ان الله انزل
عذري وفي سنن النسائي انه لما بايع معوية لابنه قال مروان سنة ابي بكر وعمر فقال عبد الرحمن سنة هرقل و
قيصر فقال مروان هذا الذي انزل الله فيه والذي قال لوالديه اف لكما الآية فبلغ ذلك عائشة فقالت كذب والله مروان
والله ما هو به ولو شئت ان اسمي الذي نزلت فيه لسميته ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن ابا مروان ومروان في صلبه
فمروان فضض من لعنة الله وقوله اتعدانني ان اخرج اي ابعث وقد خلت القرون من قبلي اي وقد مضى الناس
فلم يرجع منهم مخبر وهما يستغيثان الله اي يسألان الله فيه ان يهديه ويقولان لولدهما ويلك آمن ان وعد الله
حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اي ما هذا الذي تدعواني اليه الا قصص السابقين قال تعالى اولئك الذين حق
عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين اي دخلوا في زمرة اشباههم واضرابهم
من الكافرين الخاسرين انفسهم واهليهم يوم القيمة وهذا دليل على ما سبق من انه جنس يعم كل من كان عاقا كافرا وقوله
ولكل درجات مما عملوا اي لكل عذاب بحسب عمله وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون اي لا يظلمهم مثقال ذرة فما دونها
قال ابن زيد درجات النار تذهب سفالا ودرجات الجنة تذهب علوا وقوله ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم
طيباتكم اي يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا وقد تورع عمر بن الخطاب عن كثير من الطيبات المآكل والمشارب وتنزه عنها
خوفا عن وعيد هذه الآية واستمتعتم بها اي تمتعتم بلذاتها وقال ابو مجلز لتفقدن اقوام حسنات كانت لهم في
الدنيا فيقال لهم اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا وقوله فاليوم تجزون عذاب الهون اي الذل والخزي بما كنتم تستكبرون
في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون فجوزوا من جنس عملهم فكما نعموا انفسهم واستكبروا عن اتباع الحق وتعاطوا
الفسق والمعاصي جازاهم الله بعذاب الهون وهو الاهانة والآلام الموجعة والحسرات المتتابعة واذكر اخا عاد
اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله اني

الحقف توده ريك كرد

وعن عائشة قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا حتى ارى منه لهواته
انما كان يتبسم فكان اذا رأى غيما او ريحا عرف ذلك في وجهه فقلت يا
رسول الله ان الناس اذا راوا الغيم فرحوا رجاء ان يكون فيه
المطر واذا رأيته عرف في وجهك الكراهية فقال يا عائشة ما يؤمنني
ان يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا معالم

اللهوات جمع لهاة وهي اللحمات في سقف اقصى الفم

اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا اجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين
قال انما العلم عند الله وابلغكم ما ارسلت به ولكني اريكم قوما تجهلون فلما راوه عارضا مستقبل
اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شيء بامر ربها
فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين قال تعالى مسليا لرسوله في تكذيب من كذبه من قومه
واذكر اخا عاد وهو هود النبي بعثه الله الى عاد الاولى وكانوا يسكنون الاحقاف الجبال والمغاور وقال علي رضي الله عنه الاحقاف
واد بحضرموت يدعى برهوت يلقى فيه ارواح الكفار وقال قتادة ذكر لنا ان عادا كانوا حيا باليمن اهل رمل مشرفين
على البحر بارض يقال لها الشحر والاحقاف جمع حقف وهو المستطيل المعوج من الرمال وعن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يرحمنا الله واخا عاد رواه ابن ماجه وقوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه يعني وقد ارسل الله
الى من حول بلادهم في القرى مرسلين ومنذرين كقوله فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها الا تعبدوا الا الله اي
قال لهم هود ذلك فاجابه قومه قائلين اجئتنا لتأفكنا اي لتصدنا عن آلهتنا فاتنا بما تعدنا اي من العذاب ان كنت من
الصادقين استعجلوا عذاب الله وعقوبته استبعادا منهم وقوعه كقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها قال انما العلم
عند الله اي الله اعلم بكم ان كنتم مستحقين لتعجيل العذاب فيفعل ذلك بكم واما من شاني ان ابلغكم ما ارسلت به ولكني اريكم
قوما تجهلون اي لا تعقلون ولا تفهمون قال تعالى فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم اي لما راوا العذاب مستقبلهم اعتقدوا
انه عارض اي سحاب مطر وقد كانوا ممحلين محتاجين الى المطر قال تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم اي هو العذاب
الذي قلتم فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين تدمر اي تخرب كل شيء من بلادهم بامر ربها اي باذن الله لها في ذلك كقوله
ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم اي كالشيء البالي ولهذا قال فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم اي قد هلكوا كلهم عن
آخرهم ولم يبق لهم باقية كذلك نجزي القوم المجرمين اي هذا حكمنا فيمن كذب رسلنا وخالف امرنا وعن عائشة قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم اني اسئلك خيرها وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها
وشر ما فيها وشر ما ارسلت به قال واذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل واقبل وادبر فاذا امطرت سري عنه فعرفت
ذلك عائشة فسألته فقال لعله يا عائشة كما قال قوم عاد فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا رواه مسلم
وقد سبق بيان هلاكهم في سورة الاعراف وهود فلا نعيده ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا
وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون
بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات
لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك
افكهم وما كانوا يفترون يعني ولقد مكنا الامم السالفة في الدنيا من الاموال والاولاد واعطيناهم منها ما لم
نعطكم مثله ولا قريبا منه وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم الآية اي واحاط بهم العذاب والنكال
الذي كانوا يكذبون به ويستبعدون وقوعه اي فاحذروا ايها المخاطبون ان تكونوا مثلهم فيصيبكم ما اصابهم من العذاب
في الدنيا والآخرة وقوله ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى اي قد اهلك الامم المكذبة للرسل مما حولها كحجر ثمود وارض سدوم
وعاد وكانوا بالاحقاف بحضرموت باليمن واهل مدين وكانت في طريقهم الى غزة وقوله وصرفنا الآيات اي بيناها و
وضحناها لعلهم يرجعون اي عن كفرهم فلم يرجعوا فاهلكناهم فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة يعني الاوثان

اتخذوها آلهة يتقربون بها الى الله عند احتياجهم اليهم والقربان كلما تقرب الى الله بل ضلوا عنهم اى ذهبوا عنهم احوج
ما كانوا اليهم وذلك افكهم اى كذبهم وما كانوا يفترون اي وافتراؤهم في اتخاذهم اياهم آلهة فخابوا وخسروا في عبادتهم
لها واعتمادهم عليها وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي
ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي
الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من
عذاب اليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء اولئك في ضلال
مبين في الصحيحين عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد
حيل بين الشياطين وخبر السماء وارسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء
وارسلت علينا الشهب فقالوا ما حال بينكم وبين خبر السماء الا شيء حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها وانظروا ما
هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء
فانصرف اولئك الذين توجهوا نحو تهامة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدا الى سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلوة
الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهنالك حين رجعوا الى قومهم قالوا انا سمعنا قرآنا
عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن وانما
اوحي اليه قول الجن وهذا السياق لاحمد وعن ابن مسعود قال هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة
فلما سمعوه قالوا انصتوا فسكتوا وكانوا تسعة احدهم زوبعة فانزل الله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الى ضلال مبين
وهذا يدل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم هذه المرة وانما استمعوا قراءته ثم رجعوا الى قومهم ثم بعد ذلك
وفدوا اليه ارسالا قوما بعد قوم وفوجا بعد فوج كما سيجيء وعن ابن مسعود قال آذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة
استمعوا القرآن شجرة وروى البخاري نحوه فهذا يحتمل ان يكون في المرة الاولى ولكن لم يشعر بهم حال استماعهم حتى آذنته
بهم شجرة وان يكون في غير الاولى من المرات المتأخرة والله اعلم قال البيهقي وهذا الذي حكاه ابن عباس انما هو في اول ما
سمعت الجن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم ثم بعد ذلك اتاه داعي الجن فقرأ عليهم
القرآن ودعاهم الى الله وعن علقمة قال سألت ابن مسعود فقلت هل شهد احد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن
قال لا ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا استطير او اغتيل
قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما اصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء قال فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك
فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال اتاني داعي الجن فذهبت فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق بنا فارانا آثارهم وآثار
نيرانهم وسألوه الزاد فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه في ايديكم اوفر ما يكون لحما وكل بعرة او روثة علف لدوابكم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم رواه مسلم واحمد وروى ابن جرير ان ابن مسعود قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه وهو بمكة من احب منكم ان يحضر امر الجن الليلة فليفعل فلم يحضر احد منهم غيري قال
فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة خط لي برجله خطا ثم امرني ان اجلس فيه ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فغشيته اسودة كثيرة
حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقي منهم رهط ففرغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع الفجر فانطلق فتبرز ثم اتاني فقال ما فعل الرهط فقلت هم اولئك يا رسول الله فاعطاهم عظما وروثا

زادا ثم نهى ان يستطيب احد بروث او عظم ورواه البيهقي في دلائل النبوة ولهذا الحديث طرق وروايات يقرب بعضها
من بعض وفيها قال ابن مسعود وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبي الله صلى الله عليه وسلم ثم علا القرآن فلما رجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله ما اللغط الذي سمعت قال اختصموا في قتيل فقضيت بينهم بالحق وفي الحديث دليل على ان النبي
عليه الصلوة والسلام ذهب الى الجن قصدا فتلا عليهم القرآن ودعاهم الى الله تعالى وشرع الله لهم على لسانه ما هم محتاجون
اليه في ذلك الوقت واما ابن مسعود فانه لم يكن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حال مخاطبته معهم ودعائه اياهم الى الحق بل
كان بعيدا منه وكان الجن الذين لقوه بمكة جن نصيبين والذين لقوه بنخلة جن نينوى والله اعلم وعن ابن عباس في قوله واذ
صرفنا اليك نفرا من الجن الآية قال كانوا سبعة نفر من اهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وقال
مجاهد ثلثة من اهل حران واربعة من اهل نصيبين وكانت اسماؤهم حسى وحسى ومسى وشاصى وماصى والارد وايبان
والاحقم وذكر ابو حمزة الثمالي ان هذا الحي من الجن كان يقال لهم بنو الشيصبان كانوا اكثر الجن عددا واشرفهم نسبا
وكانوا هم عامة جنود ابليس وعن ابن مسعود ايضا كانوا تسعة احدهم زوبعة اتوه من اصل نخلة وقيل كانوا خمسة
عشر وفي رواية انهم كانوا على ستين راحلة واسم سيدهم وردان وقيل كانوا ثلثمائة وقيل اكثر من ذلك ولعل هذا الاختلاف
دليل على تكرر وفادتهم عليه صلوات الله وسلامه عليه كما في صحيح البخاري عن ابن عمر قال ما سمعت عمر يقول لشيء قط اني لاظنه
كذا الا كان كما يظن بينما عمر بن الخطاب جالس اذ مر به رجل جميل فقال لقد اخطأ ظني او ان هذا على دينه في الجاهلية او لقد
كان كاهنهم علي الرجل فدعي به فقال له ذلك فقال ما رأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم قال فاني اعزم عليك الا ما اخبرتني
قال كنت كاهنهم في الجاهلية قال فما اعجب ما جاءتك به جنيتك قال بينما انا يوما في السوق جاءتني اعرف فيها الفزع فقالت
الم تر الجن وابلاسها ويأسها من بعد انكاسها فصرخ به صارخ لم اسمع صارخا قط اشد صوتا منه يقول يا جليح امر نجيح
رجل فصيح يقول لا اله الا الله فوثب القوم فقلت لا ابرح حتى اعلم ما وراء هذا ثم نادى يا جليح وهذا الرجل الذي دعاه
هو سواد بن قارب وله فيه حديث مبسوط رواه البيهقي وهو مشهود لا نطول به الكتاب فقوله تعالى واذ صرفنا اليك
نفرا من الجن اي طائفة منهم يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا اى استمعوا وهذا ادب منهم وقوله فلما قضي اي فرغ ولوا
اي رجعوا الى قومهم منذرين اي فانذروهم بما سمعوه من القرآن وفيه دليل على ان في الجن نذرا وليس فيهم رسل ولا شك
انه لم يكن منهم لقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى واما قوله في الانعام يا معشر الجن والانس الم
يأتكم رسل منكم فالمراد من مجموع الجنسين فصدق على احدهما وهو الانس كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اي احدهما
ثم انه تعالى فسر انذار الجن لقومهم بقوله قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ولم يذكروا عيسى لان الانجيل
في الحقيقة كالمتمم لشريعة التوراة فيه مواعظ وقليل من التحليل والتحريم مصدقا لما بين يديه اي من الكتب المنزلة قبله على
الانبياء وقولهم يهدي الى الحق اي في الاعتقاد والاخبار والى طريق مستقيم في الاعمال فان القرآن يشتمل على شيئين
خبر وطلب فخبره صدق وطلبه عدل كما قال وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا يا قومنا اجيبوا داعي الله دليل على انه تعالى
ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى الثقلين الانس والجن حيث دعاهم الى الله وقرأ عليهم السورة التي فيها خطاب الفريقين
وتكليفهم ووعدهم ووعيدهم وهي سورة الرحمن ولهذا قال اجيبوا داعي الله وآمنوا برسوله وقوله يغفر لكم من ذنوبكم
قيل من ههنا زائدة وفيه نظر لان زيادتها في الاثبات قليل وقيل انها للتبعيض ويجركم من عذاب اليم اي ويقيكم من عذابه
الموجع واستدل بعض العلماء بهذه الآية ان الجن المؤمنين لا يدخلون الجنة وانما جزاء صالحيهم ان يجاروا من العذاب يوم القيمة

جنيتك

اليك [illegible] بالرسل [illegible]
[illegible] الاطلاق حتى [illegible]
وعن ابن عباس [illegible]
عن ابن [illegible] رضي

ما قالوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
وآمنوا وعلمهم [illegible]

ابن عباس فاستجاب لهم من قومهم نحو من
سبعين رجلا من الجن فرجعوا الى
رسول الله فوافقوه في البطحاء
فقرأ عليهم القرآن وامرهم ونهاهم

ولهذا قالوا ويجركم ولم يذكروا ويدخلكم الجنة مع انه هنا مقام مبالغه قال ابن عباس لا يدخل مؤمنوا الجنة الجنة لانهم
من ذرية ابليس والحيوانات مؤمنيهم كمؤمني الانس يدخلون الجنة لقوله لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان واقوى من
هذا قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان فباى آلاء ربكما تكذبان فقد امتن تعالى على الثقلين بان جعل جزاء محسنيهم
الجنة وقد قابلت الجن هذا بالشكر القولي ابلغ من الانس فقالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد فلم يكن تعالى
ليمتن عليهم بجزاء لا يحصل لهم ولعموم قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا وغيره
من الآيات وهذه الجنة لا يزال فيها فضل حتى ينشئ الله لها خلقا افلا يسكنها من آمن به وعمل له صالحا وايضا فما
ذكروه ههنا من الجزاء على الايمان من تكفير الذنوب والاجارة من العذاب هو يستلزم دخول الجنة لانه ليس في الآخرة
الا الجنة او جهنم فمن اجير من جهنم دخل الجنة لا محالة ولم يرد نص صريح عن الشارع ان مؤمني الجنة لا يدخلون الجنة
وان اجيروا من العذاب ولو صح لقلنا به وهذا نوح قد قال لقومه يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم ولا خلاف
ان مؤمني قومه في الجنة فكذلك هؤلاء وقد حكي فيهم اقوال غريبة فعن عمر بن عبد العزيز انهم لا يدخلون بحبحة الجنة
وانما يكونون في ربضها وحولها وفي ارجائها وقيل انهم في الجنة يراهم بنو آدم ولا يرون بني آدم عكس ما كانوا عليه في
الدنيا وقيل انهم لا ياكلون في الجنة ولا يشربون وانما يلهمون التسبيح والتحميد والتقديس عوضا عن الطعام والشراب
كالملائكة لانهم من جنسهم وكل هذه تحكمات بلا دليل والله اعلم ثم قال مخبرا عنهم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض
اي بل قدرة الله شاملة له محيطة به وليس له من دونه اولياء اي لا يجيرهم منه احد اولئك في ضلال مبين وهذا مقام تهدد
فدعوا قومهم بالترغيب والترهيب ولهذا جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفودا وجموعا كما سبق اولم يروا

ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل
شيء قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كانهم يوم
يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون

يقول اولم ير هؤلاء المنكرون للبعث يوم القيمة المستبعدون لقيام الاجساد يوم المعاد ان الله الذي خلق السموات
والارض ولم يعي بخلقهن اي لم يعجز عن ابداعهن بل قال لها كوني فكانت بلا ممانعة ولا مخالفة بل طائعة خائفة
اوليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى كما قال في آية اخرى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس الآية ولهذا قال
بلى انه على كل شيء قدير ثم قال تعالى متهددا ومتوعدا لمن كفر به ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق اي يقال
لهم اما هذا حق افسحر هذا ام انتم لا تبصرون قالوا بلى وربنا اي لا يسعهم غير الاعتراف فقال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
ثم قال آمرا رسوله بالصبر على تكذيب قومه اياه فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اي على تكذيب قومهم لهم وهم على الاشهر
خمسة نوح وابرهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وعليهم وسلم كما هو المنصوص على اسمائهم في سورة الاحزاب
والشورى ويحتمل ان يكون المراد بهم جميع الرسل فتكون من في من الرسل لبيان الجنس وعن عائشة قالت ظل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوما صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما قال يا عائشة ان الدنيا لا ينبغي لمحمد ولا لآل محمد
يا عائشة ان الله لم يرض من اولي العزم من الرسل الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ثم لم يرض مني الا ان
يكلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل واني والله لا بد لي من طاعته واني والله لاصبرن كما صبروا

واحدث ولا قوة الا بالله رواه ابن حاتم ولا تستعجل لهم اي حلول العقوبة بهم كقوله ومهلهم قليلا وكقوله فمهل
الكافرين امهلهم رويدا كانهم يوم يرون ما يوعدون اي من العذاب في الآخرة لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة من نهار
اي اذا عاينوا عذاب الآخرة ما يطول لبثهم في الدنيا وفي البرزخ كالساعة من نهار ثم قال بلاغ اي ذلك لبث بلاغ ف
قيل اي هذا القرآن بلاغ من الله اليكم فتكون بمعنى التبليغ وقوله فهل يهلك الا القوم الفاسقون اي لا يهلك مع رحمة
الله وفضله الا القوم الفاسقون اي الخارجون عن امره وهذا من عدله تعالى انه لا يعذب الا من يستحق العذاب

تفسير سورة القتال وهي سورة محمد صلى الله عليه وسلم وهي مدنية بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات
وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سياتهم واصلح بالهم ذلك
بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب
الله للناس امثالهم يقول الذين كفروا بآيات الله وصدوا غيرهم عن سبيل الله اضل اعمالهم اي ابطلها واذهبها
ولم يجعل لها ثوابا ولا جزاء كقوله فجعلناه هباء منثورا ثم قال والذين آمنوا اي آمنت قلوبهم وسرائرهم وعملوا الصالحات
اي وانقادت جوارحهم وظواهرهم وآمنوا بما نزل على محمد عطف خاص على عام وهو دليل على انه شرط في صحة الايمان بعد
بعثته عليه الصلوة والسلم وقوله وهو الحق من ربهم جملة معترضة حسنة ولهذا قال كفر عنهم سياتهم واصلح بالهم اي
امرهم وشانهم وحالهم ثم قال ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل اي اختاروا الباطل على الحق وان الذين آمنوا
اتبعوا الحق من ربهم يعني القرآن كذلك يضرب الله للناس امثالهم اي يبين لهم مآل اعمالهم وما يصيرون اليه في معادهم

فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد و
اما فداء حتى تضع الحرب اوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض
والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها
لهم يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم و
اضل اعمالهم ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم ارشد تعالى المؤمنين الى ما يعتمدونه في حروبهم
مع المشركين بقوله فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب اي اذا واجهتموهم فاحصدوهم حصدا بالسيوف حتى اذا اثخنتموهم
اي قهرتموهم بالقتل والقتل فشدوا وثاق الاسارى الذين تاسرونهم ثم انتم بعد انقضاء الحرب وانفصال المعركة مخيرون
في امرهم ان شئتم مننتم عليهم واطلقتم اسارهم مجانا وان شئتم فاديتموهم بمال تاخذونه منهم وتشاطرونه عليهم والظاهر
ان هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر فانه تعالى عاتب المؤمنين على الاستكثار من الاسارى يومئذ لياخذوا منهم الفداء
والتقلل من القتل يومئذ فقال ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا الآية وقيل ان هذه
الآية المخيرة بين المفادات والمن منسوخة بقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين الآية وهذا مروي عن
ابن عباس وبعض اتباعه والاكثرون على انها غير منسوخة ثم قال بعضهم انما الامام مخير بين المن على الاسير ومفاداته فقط
ولا يجوز له قتله ان شاء لحديث قتل النبي صلى الله عليه وسلم النضر بن الحرث وعقبة بن ابي معيط من اسارى بدر وحديث
ثمامة بن اثال لما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما كان مربوطا على سارية المسجد ما عندك يا ثمامة فقال ان تقتل
تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعطه منه ما شئت وزاد الشافعي فقال والامام مخير

فاما منا بعد واما فداء

من قتله والمنّ عليه ومفاداته واسترقاقه ايضا كما هو مبسوط في كتب الفقه وقوله حتى تضع الحرب اوزارها اي اثقالها
واحمالها حتى تضع اهل الحرب السلاح فيمسكوا عن المحاربة قال مجاهد حتى ينزل عيسى بن مريم وكانه اخذه من قوله صلى الله عليه
وسلم لا يزال امتي ظاهرين على الحق حتى يقاتل آخرهم الدجال وقال قتادة اي اوزار المحاربين وهم المشركون بان يتوبوا
الى الله وقيل اوزار اهلها بان يبذلوا الوسع في طاعة الله وقوله ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم اي هذا الذي ذكرت
من حكم الكفار ولو شاء الله لانتقم منهم بعقوبة ونكال من عنده ولكن ليبلو بعضكم ببعض اي ولكن شرع لكم الجهاد ليختبركم
ويبلوا اخباركم كما ذكر حكمته في سورتي آل عمران وبراءة في قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم ويعلم الصابرين وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الى قوله حكيم ثم لما كان من شان القتال ان يقتل كثير من المؤمنين
قال تعالى والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم ان لن يذهبها بل يكثرها وينميها ويضاعفها ومنهم من يجري عليه
عمله مدة برزخه كما روى المقدام بن معديكرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله ست خصال يغفر له في
اول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويامن من الفزع الاكبر ويوضع على راسه تاج الوقار الياقوتة
منها خير من الدنيا وما فيها ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من اقاربه رواه الترمذي
وصححه وكذا ابن ماجه وقوله سيهديهم اي الى الجنة وقوله ويصلح بالهم اي امرهم وحالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم اي
عرفهم بها وهداهم اليها قال مجاهد يهتدي اهلها الى بيوتهم ومساكنهم وحيث قسم الله لهم منها لا يخطئون كانهم
ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلون عليها احدا وقال محمد بن كعب يعرفون بيوتهم اذا دخلوا الجنة كما تعرفون بيوتكم اذا
انصرفتم من الجمعة كما روى ابو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة
بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن في دخول الجنة فوالذي
نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا رواه البخاري ثم قال تعالى يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا
الله ينصركم اي ان تنصروا دين الله ورسوله ينصركم على عدوكم كقوله ولينصرن الله من ينصره فان الجزاء من جنس العمل ولهذا
قال ويثبت اقدامكم كما جاء في الحديث من بلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها الى ذي سلطان ثبت الله قدميه على الصراط يوم
القيمة ثم قال والذين كفروا فتعسا لهم اي تعسا وسقوطا وخيبة لهم عكس تثبيت الاقدام للمؤمنين الناصرين لدين الله
ورسوله عليه الصلوة والسلام وقوله واضل اعمالهم اي احبطها وابطلها ولهذا قال ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله اي لا يريدونه
ولا يحبونه ثم خوف الكفار فقال افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر
الله عليهم وللكافرين امثالها ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم ان
الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا
يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك
التي اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم قال تعالى افلم يسيروا يعني المشركين بالله المكذبين لرسوله في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم اي عاقبهم بتكذيبهم وكفرهم ونجا الله المؤمنين من بين اظهرهم و
لهذا قال وللكافرين امثالها اي من اهل الكفر ثم قال ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم
ولهذا قال ابو سفين بن حرب رئيس المشركين يوم احد اعل هبل اعل هبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا تجيبوه قالوا يا رسول الله وما نقول قال قولوا الله اعلى واجل ثم قال ابو سفين ان لنا العزى ولا عزى لكم فقال

اخرجتك ٥
معناه دمر عليهم واهلك ما اختص بهم من انفسهم واولادهم واموالهم ٥

لا تجيبوه

اعلم ان للجوع فوائد كثيرة منها صفاء القلب ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب قال النبي صلى الله عليه وسلم من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه

قيل المؤمن في الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع

الى اخرجتك

لا تجيبوه قالوا وما نقول يا رسول الله قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ثم قال تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار اي يوم القيمة والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام اي في
دنياهم يتمتعون بها وياكلون منها كاكل الانعام خضما وقضما ليس لهم همة الا في ذلك ولهذا ثبت في الصحيح المؤمن
ياكل في معى واحد والكافر ياكل في سبعة امعاء ثم قال والنار مثوى لهم اي يوم جزائهم وقوله وكاين من قرية هي اشد
قوة من قريتك يعني مكة اهلكناهم فلا ناصر لهم وهذا تهديد ووعيد لاهل مكة في تكذيبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا كان الله اهلك الامم السالفة بتكذيبهم رسلهم قبله وقد كانوا اشد قوة من هؤلاء فما ظن هؤلاء ان يفعل الله
بهم في الدارين فان رفع عن كثير منهم العقوبة في الدنيا فببركة وجوده نبي الرحمة عليه الصلوة والسلام فان العذاب يوفى
على الكافرين به في معادهم وقوله التي اخرجتك اي اخرجك اهلها من بين اظهرهم كما قال ابن عباس لما خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى الغار التفت الى مكة وقال انت احب بلاد الله الى الله واحب بلاد الله الي ولولا ان
المشركين اخرجوني منك ما خرجت فانزل الله هذه الآية رواه ابن ابي حاتم افمن كان على بينة من ربه كمن زين له
سوء عمله واتبعوا اهواءهم مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن
وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم
فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع
امعاءهم يعني افمن كان على بصيرة ويقين في امر الله ودينه بما انزل الله في كتابه من الهدى والعلم وبما جبله الله عليه من
الفطرة المستقيمة كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم اي ليس هذا كهذا كقوله افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق
كمن هو اعمى ثم قال مثل الجنة التي وعد المتقون اي نعتها انها فيها انهار من ماء غير آسن اي غير متغير ولا منتن
يقال آسن الماء اذا تغير ريحه قال ابن مسعود مرفوعا انهار الجنة تفجر من جبل من مسك رواه ابن ابي حاتم وانهار من
لبن لم يتغير طعمه اي في غاية البياض والحلاوة والدسومة وفي حديث مرفوع لم يخرج من ضروع الماشية وانهار من خمر لذة
للشاربين اي ليست كريهة الطعم والرائحة كخمر الدنيا بل حسنة المنظر والطعم والرائحة والفعل لا فيها غول ولا هم عنها
ينزفون وفي حديث مرفوع لم يعصرها الرجال باقدامها وانهار من عسل مصفى اي وهو في غاية الصفاء وحسن الطعم والريح
واللون وفي حديث مرفوع لم يخرج من بطون النحل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة بحر اللبن وبحر الماء وبحر
العسل وبحر الخمر ثم يشقق الانهار منها بعد رواه احمد والترمذي وصححه وفي الصحيح اذا سالتم الله فاسئلوه الفردوس فانه اوسط
الجنة واعلى الجنة ومنه تفجر انهار الجنة وفوقه عرش الرحمن وقوله ولهم فيها من كل الثمرات كقوله يدعون فيها بكل فاكهة آمنين
وقوله فيهما من كل فاكهة زوجان ومغفرة من ربهم اي مع ذلك كله وقوله كمن هو خالد في النار اي اهؤلاء الذين ذكرنا
منازلهم في الجنة كمن هو خالد في النار ليس هؤلاء كهؤلاء ليس من هو في درجات كمن هو في دركات وسقوا ماء حميما اي حارا
شديد الحر لا يستطاع فقطع امعاءهم اي قطع ما في بطونهم من الامعاء والاحشاء عياذا بالله من ذلك ومنهم من
يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم
فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم
فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمومنات والله يعلم متقلبكم و

مثويكم اخبر تعالى عن المنافقين في بلادتهم وقلة فهمهم حيث كانوا يجلسون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستمعون
كلامه فلا يفهمون منه شيئا فاذا خرجوا من عنده قالوا للذين اوتوا العلم اي من اصحابه ماذا قال آنفا اي الساعة لا
يعقلون ما يقال ولا يكترثون له قال تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم فلم يؤمنوا واتبعوا اهواءهم فلا فهم لهم
ولا قصد صحيح ثم قال والذين اهتدوا اي الذين قصدوا الهداية وفقهم الله لها فهداهم اليها وثبتهم عليها وزادهم
منها وآتاهم تقواهم اي الهمهم رشدهم وقوله فهل ينظرون الا الساعة اي القيمة ان تاتيهم بغتة اي فجاة وهم غافلون
عنها فقد جاء اشراطها اي امارات اقترابها كقوله اتى امر الله فلا تستعجلوه وغيره من الآيات البينات فبعثة رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة لانه خاتم الرسل واخبر بما دانها واشراطها كما هو مبسوط في موضعه وعن سهل بن سعد قال
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال باصبعيه هكذا بالوسطى والتي تليها بعثت انا والساعة كهاتين رواه البخاري ولهذا
جاء في اسمائه انه نبي التوبة ونبي الملحمة والحاشر الذي يحشر الناس على قدميه والعاقب الذي ليس بعده نبي ثم قال تعالى فانى لهم
اذا جاءتهم ذكريهم اي فكيف للكافرين بالتذكر اذا جاءتهم القيمة حيث لا ينفعهم ذلك لقوله يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى
وقوله فاعلم انه لا اله الا الله هذا اخبار بانه لا اله الا الله ولا يتأتى كونه امرا بعلم ذلك ولهذا عطف عليه بقوله واستغفر
لذنبك امره بالاستغفار مع انه مغفور له ليستن ويقتدي به امته وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والله اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة رواه البخاري وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس
توبوا الى الله فاني اتوب اليه في اليوم مائة مرة رواه مسلم وفي الصحيحين انه عليه الصلوة والسلم كان يدعو بهذا الدعاء اللهم
اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في امري وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطاي وعمدي وكل ذلك عندي
وعن عاصم الاحول عن عبد الله بن سرجس قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاكلت معه من طعامه فقلت غفر الله لك يا رسول الله
قال ولك فقلت استغفر لك رسول الله قال نعم ولكم وقرا واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات رواه مسلم وبعض اهل
السنن وقوله والله يعلم متقلبكم ومثويكم اي يعلم تصرفكم في نهاركم ومستقركم في ليلكم كقوله وهو الذي يتوفيكم بالليل
ويعلم ما جرحتم بالنهار وهذا القول اختاره ابن جرير وبه قال ابن جريج وعن ابن عباس متقلبكم في الدنيا ومثويكم في الآخرة و
الاول اظهر والله اعلم **ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها
القتال رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت فاولى لهم
طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان
توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى**
ابصارهم اخبر تعالى عن المؤمنين انهم تمنوا شرعية الجهاد فلما فرضه الله وامر به نكل عنه كثير من الناس بقوله
ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة اي مشتملة على حكم القتال ولهذا قال فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال
رايت الذين في قلوبهم مرض يعني المنافقين ينظرون اليك اي تشزرا كراهية منهم للجهاد وجبنا عن لقاء العدو
نظر المغشي عليه من الموت اي كما ينظر الشاخص بصره عند الموت من الفزع والرعب ثم قال مشجعا لهم فاولى لهم
طاعة وقول معروف اي وكان الاولى بهم ان يسمعوا ويطيعوا فاذا عزم الامر اي جد الحال وحضر القتال
فلو صدقوا الله اي اخلصوا له النية لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان توليتم اي عن الجهاد ونكلتم عنه ان تفسدوا
في الارض اي تعودوا الى ما كنتم فيه في الجاهلية تسفكون الدماء وتقطعون الارحام ولهذا قال اولئك الذين لعنهم الله

فاصمهم

عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما ينتظر احدكم الا غنى مطغيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او الدجال فالدجال شر غائب ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر

تشاور القوم نظر بعضهم الى بعض شزرا صحاح

اي هل يتوقع منكم يا معشر المنافقين ان وليتم تسلطتم وملكتم امور الناس وتامرتم عليهم وحكمتم ولاة الحكام ان تفسدوا في الارض بسفك الدماء واخذ الرشى

فاصمهم اي عن استماع الحق واعمى ابصارهم اي عن رؤيته وهذا نهي عن الافساد عموما وعن قطع الارحام خصوصا
بل قد امر الله تعالى بالاصلاح في الارض وصلة الارحام وهو الاحسان الى الاقارب في المقال والفعال وبذل الاموال
كما روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فاخذت بحقوي الرحمن
فقال مه فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة فقال اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك
قالت بلى قال فذاك قال ابو هريرة اقرؤوا ان شئتم فهل عسيتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم رواه البخاري
وعن ابي بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ذنب احرى ان يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه
في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم رواه احمد وابو داود والترمذي وصححه وعن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من سره النساء في الاجل والزيادة في الرزق فليصل رحمه رواه احمد وفي الباب احاديث كثيرة **افلا يتدبرون
القرآن ام على قلوب اقفالها ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان
سول لهم واملى لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر والله
يعلم اسرارهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ذلك بانهم اتبعوا ما
اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم** امر تعالى بتدبر القرآن ونهى عن الاعراض عنه بقوله
افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها اي بل على قلوب اقفالها وهي مطبقة لا يخلص اليها شيء من معانيه وعن
عروة بن الزبير قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها فقال شاب من اهل اليمن
بل عليها اقفالها حتى يكون الله يفتحها ويفرجها فما زال الشاب في نفس عمر حتى ولي فاستعان به رواه ابن جرير ثم قال
ان الذين ارتدوا على ادبارهم اي فارقوا الايمان ورجعوا الى الكفر من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم اي زين
لهم ذلك وحسنه واملى لهم اي غرهم وخدعهم ذلك بانهم يعني المنافقين قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في
بعض الامر يعني على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فناصحوهم في الباطن على الباطل وهذا شان المنافقين يظهرون
مع الكفار بعض ما بطنهم من النفاق وعداوة الاسلام سرا ولهذا قال والله يعلم اسرارهم اي ما يسرون وما يخفون الله مطلع
عليه وعالم به ثم قال فكيف اذا توفتهم الملائكة اي فكيف حالهم اذا جاءتهم الملائكة لقبض ارواحهم مستخرجين لها من اجسادهم
بالعنف والقهر والضرب كما قال يضربون وجوههم وادبارهم ذلك اي قبضهم بالعنف والضرب بانهم اتبعوا ما
اسخط الله من الكفر وكتمان الحق وكرهوا رضوانه اي ما فيه رضوان الله وهو الايمان والطاعة **ام حسب الذين
في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم و
لتعرفنهم في لحن القول والله يعلم اعمالكم ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين و
نبلوا اخباركم** يعني ايعتقد المنافقون ان الله لا يكشف امرهم لعباده المؤمنين بل سيوضح امرهم
ويظهره حتى يفهمهم ذوو البصائر وقد انزل الله في ذلك سورة براءة فبين فيها فضائحهم والاضغان جمع ضغن
وهو ما في النفوس من الحسد والحقد للاسلام واهله والقائمين بنصره ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم
اي لو نشاء يا محمد لاريناك اشخاصهم فعرفتهم عيانا ولكن لم نفعل في جميع المنافقين سترا منه على خلقه وحملا للامور
على ظاهر السلامة ورد السرائر الى عالمها ولتعرفنهم في لحن القول اي فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم
يفهم المتكلم من اي الحزبين هو بمعاني كلامه وفحواه وهو المراد من لحن القول كما جاء في الحديث ما اسر احد سريرة الا

فاحبط اعمالهم

اللحن ازالة الكلام عن جهته فيما يعرضون به من تهجين امرك وامر المسلمين والاستهزاء بهم فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي صلى الله عليه وسلم الا عرفه ويستدل

كساه الله جلبابها ان خيرًا فخير وان شرًا فشر وعن عقبة بن عمرو الانصاري قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا خطبة فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان منكم منافقين فمن سميت فليقم ثم قال قم يا فلان قم يا فلان حتى سمى ستة وثلثين رجلا ثم قال انّ فيكم او منكم فاتقوا الله قال فمر عمر برجل ممن سمى متقنّع وقد كان يعرفه فقال ما لك فحدثه بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعدًا لك سائر اليوم رواه احمد وقوله ولنبلونكم اي لنختبرنكم بالاوامر والنواهي حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين اي على دينه من عزم ونبلو اخباركم وليس في تقدم علم الله بما هو كائن انه سيكون شك ولا ريب فالمراد حتى نعلم وقوعه قال ابن عباس اي لنرى **ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط اعمالهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم** اخبر تعالى عمن كفر وصد عن سبيل الله وخالف الرسول وشاقه وارتد عن الايمان من بعد ما تبين له الهدى انه لا يضر الله شيئا وانما يضر نفسه ويخسرها يوم معادها وسيحبط الله عمله فلا يثيبه على سالف ما تقدم من عمله الذي عقبه بردته مثقال ذرة من خير بل يحبطه ويمحقه بالكلية كما ان الحسنات يذهبن السيئات قال ابو العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضر مع لا اله الا الله ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم فخافوا ان يبطل الذنب العمل فقوله ولا تبطلوا اعمالكم قال عطاء اي بالنفاق وقال الكلبي بالرياء والسمعة وقال الحسن بالمعاصي والكبائر فامر تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ونهاهم عن الارتداد الذي هو مبطل الاعمال ولهذا قال بعدها ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم وقيل المراد اصحاب قليب بدر ثم قال لعباده المؤمنين فلا تهنوا اي تضعفوا عن الاعداء وتدعوا الى السلم اي المسالمة والمهادنة ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم وكثرة عددكم وعُددكم ولهذا قال وانتم الاعلون واما اذا كان الكفار فيهم كثرة بالنسبة الى جميع المسلمين وراى الامام في المهادنة والمعاهدة مصلحة فله ان يفعل ذلك كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية ووضع الحرب بينه وبينهم عشر سنين ففتح الله له مكة بعد سنتين منها وقوله والله معكم ولن يتركم اعمالكم اي ولن ينقصكم شيئا من ثواب اعمالكم بل يوفيكم ثوابكم **انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ولا يسالكم اموالكم ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وانتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا امثالكم** قال تعالى تحقيرًا لامر الدنيا وتهوينًا لشانها فقال تعالى انما الحيوة الدنيا لعب ولهو اي حاصلها ذلك الا ما كان منها لله تعالى ولهذا قال وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ولا يسالكم اموالكم اي هو غني عنكم لا يطلب منكم شيئا وانما فرض عليكم الصدقات من الاموال مواساة لاخوانكم الفقراء ليعود نفع ذلك اليكم ثم قال ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا اي يحرجكم ويحوجكم تبخلوا بها ولا تعطوها ويخرج اضغانكم اي بغضكم وعداوتكم قال قتادة قد علم الله ان في اخراج الاموال اخراج الاضغان وقوله ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل اي لا يجيب الى ذلك ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه اي انما نقص نفسه من الاجر ويعود وباله عليه والله الغني اي عن كل ما سواه وكل شيء فقير اليه دائما

منه بشارة عظيمة في النصر والظفر على الاعداء م

ها انتم م

ولهذا قال وانتم الفقراء اي بالذات فان الغنى والفقر وصفان لازمان الاول للخالق والاخر للمخلوق وقوله وان تتولوا اي عن طاعته واتباع شرعه يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا امثالكم اي ولكن يكونون سامعين مطيعين له ولاوامره عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا امثالنا قال فضرب بيده على كتف سلمان الفارسي ثم قال هذا وقومه ولو كان الدين بالثريا لتناوله رجال من الفرس رواه ابن ابي حاتم وابن جرير والترمذي وفي رواية على فخذ سلمان ولهذا قال الحسن هم العجم والله اعلم

تفسير سورة الفتح وهي مدنية في الصحيحين عن عبد الله بن مغفل قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح في مسيره سورة الفتح على راحلته فرجّع فيها قال الراوي عنه لولا اني اكره ان يجتمع الناس علينا لحكيت قراءته رواه احمد ايضا **بسم الله الرحمن الرحيم**

انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي القعدة سنة ست من الهجرة حين صده المشركون عن الوصول الى المسجد الحرام لاداء العمرة فيه فحالوا بينه وبين ذلك ثم مالوا الى المصالحة والمهادنة الى ان يرجع هذا العام ثم يعود من قابل فاجابهم الى ذلك على تكرّه من جماعة من الصحابة منهم عمر بن الخطاب كما سياتي بيانه ونحر هديه حيث احصر ورجع انزل الله ذلك السورة فيما كان من امره وامرهم وجعل ذلك الصلح فتحا باعتبار ما فيه من المصلحة وما آل الامر اليه كما روي عن ابن مسعود وغيره انه قال انكم تعدون الفتح فتح مكة ونحن نعد الفتح صلح الحديبية وعن البراء بن عازب قال تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضا ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا رواه البخاري وفي الصحيحين عن انس قال نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر مرجعه من الحديبية قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد نزلت علي اية احب الي مما على الارض ثم قراها عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هنيئا مريئا يا نبي الله بيّن الله عز وجل ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فنزلت عليه ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات حتى بلغ فوزا عظيما والسياق لاحمد فقوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا اي بينا ظاهرا والمراد به صلح الحديبية فانه حصل بسببه خير كثير وامن الناس واجتمع بعضهم ببعض واختلط الكافر بالمؤمن وتكلموا معا وانتشر العلم والايمان واسلم كثير منهم وقوي المسلمون بذلك وقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر هذا من خصائصه التي لا يشاركه غيره وفيه تشريف عظيم له عليه الصلوة والسلم فانه كان في جميع اموره على البر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه من الاولين والاخرين وقوله ويتم نعمته عليك اي في الدنيا والاخرة ويهديك صراطا مستقيما اي بما يشرعه لك من الشرع المبين وينصرك الله نصرا عزيزا اي بسبب خضوعك لامر الله يرفعك الله وينصرك على اعدائك كما جاء في الصحيح وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله **هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا**

عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في التورية قال اجل والله انه لموصوف في التورية بصفته في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وحرزا للاميين وانت عبدي ورسولي سميتك المتوكل لا فظ ولا غليظ ولا سخاب بالاسواق و
لا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه حتى يقيم الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله
فيفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا سو في الاصل

ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما يعني جعل الطمانينة والوقار في قلوب المؤمنين وهم
الصحابة الذين استجابوا لله ولرسوله وانقادوا لحكمه فلما اطمانت قلوبهم بذلك واستقرت زادهم ايمانا مع ايمانهم اي
تصديقا مع تصديقهم ويقينا مع يقينهم وبهذا استدل البخاري وغيره على تفاضل الايمان في القلوب ثم ذكر تعالى انه لو شاء
لانتصر من الكفار فقال ولله جنود السموات والارض اي ولو ارسل عليهم ملكا واحدا لاهلك بجميعهم ولكنه تعالى شرع
لعباده المؤمنين الجهاد والقتال لما له في ذلك من الحكمة البالغة والحجة القاطعة ولهذا قال وكان الله عليما حكيما ثم
قال تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين اي ماكثين فيها ابدا ويكفر عنهم سيئاتهم
اي خطاياهم وذنوبهم فلا يعاقبهم عليها بل يعفو ويصفح ويغفر ويرحم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما كقوله فمن زحزح
عن النار وادخل الجنة فقد فاز وقوله ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله اي
يتهمون الله في حكمه ظن السوء اي ويظنون بالرسول واصحابه ان لا ينصرهم الله بل يقتلوا ويذهبوا بالكلية ولهذا
قال عليهم دائرة السوء اي بالعذاب والهلاك وغضب الله عليهم ولعنهم اي ابعدهم من رحمته واعد لهم جهنم وساءت
مصيرا اي وبئست المرجع لهم ثم قال مؤكدا لقدرته على الانتقام من اعداء الاسلام ولله جنود السموات والارض وكان
الله عزيزا حكيما انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه
وتسبحوه بكرة واصيلا ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن
نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما قال تعالى انا ارسلناك
شاهدا اي على الخلق ومبشرا اي للمؤمنين ونذيرا اي للكافرين كما سبق تفسيره في سورة الاحزاب وتعزروه اي تعظموه
وتوقروه من التوقير وهو الاحترام والاجلال والاعظام وتسبحوه اي تسبحون الله بكرة واصيلا اي في اول النهار واخره
ثم قال تعالى لرسوله تشريفا له وتعظيما وتكريما ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وهو كقوله من يطع الرسول فقد
اطاع الله يد الله فوق ايديهم اي هو حاضر معهم يسمع اقوالهم ويرى مكانهم ويعلم ضمائرهم فهو تعالى هو المبايع
بواسطة رسوله عليه الصلوة والسلم كقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الاية وعن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سل سيفه في سبيل الله فقد بايع الله رواه ابن ابي حاتم وقوله فمن نكث اي
نقض البيعة فانما ينكث على نفسه اي انما يعود وبال ذلك على الناكث والله غني عنه ومن اوفى بما عاهد عليه الله
اي يثبت على البيعة فسيؤتيه اجرا عظيما اي ثوابا جزيلا وهو الجنة وهذه بيعة الرضوان وكانت تحت شجرة سمرة بالحديبية
وكان الصحابة الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الفا واربعمائة على الاصح كما قال جابر كنا يومئذ الفا
واربعمائة رواه البخاري وهكذا عن المسيب بن حزن وسلمة بن الاكوع وكثير من الصحابة رضي الله عنهم وسبب هذه البيعة
ما قال محمد بن اسحق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عمر بن الخطاب اي بعدما نزل بالحديبية ليبعثه الى مكة فيبلغ عنه
اشراف قريش ما جاء فقال يا رسول الله اني اخاف قريشا على نفسي وليس بمكة من بني عدي بن كعب من يمنعني منهم ولكن
ادلك على عثمن فانه اعز بها مني فبعثه الى ابي سفين واشراف قريش يخبرهم انه لم يات لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت و
معظما لحرمته فخرج عثمن الى مكة فلقيه ابان بن سعيد العاص فحمله بين يديه ثم اجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانطلق عثمن حتى اتى ابا سفين وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ارسله به فقالوا لعثمن
حينيذ ان شئت ان تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت لافعل حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبسته قريش عندها

فبلغ

عثمان قدم

فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ان عثمن قد قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حينيذ لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا
الناس الى البيعة وكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله على الموت وكان جابر يقول
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعهم على الموت ولكن بايعنا على ان لا نفر ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الذي كان من امر عثمان باطل وفي رواية عن عروة ان قريشا بعثوا وعندهم عثمن سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى
ومكرز بن حفص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هم عندهم اذ وقع كلام من بعض المسلمين وبعض المشركين وتراموا
بالنبل والحجارة وصاح الفريقان كلاهما وارتهن كل من الفريقين من عنده من الرسل ونادى منادي رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا ان روح القدس نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم وامر بالبيعة فاخرجوا على اسم الله فبايعوا فثار
المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت الشجرة فبايعوه على ان لا يفروا ابدا فارعب ذلك المشركين وارسلوا
من كان عندهم من المسلمين ودعوا الى الموادعة والصلح وعن جابر قال اخبرتني ام بشر انها سمعت رسول الله صلى الله عليه و
سلم يقول عند حفصة لا يدخل النار ان شاء الله من اصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها احد قالت بلى يا رسول الله فانتهرها
فقالت حفصة وان منكم الا واردها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا
رواه مسلم ولهذا قال تعالى في الثناء عليهم ان الذين يبايعونك الى قوله عظيما سيقول لك المخلفون من الاعراب
شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم
من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم ان لن ينقلب
الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا و
من لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا ولله ملك السموات والارض يغفر
لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما اخبر تعالى رسوله عليه الصلوة والسلام بما يعتذر به
المخلفون من الاعراب الذين اختاروا المقام في اهليهم وتركوا المسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذروا بشغلهم
بذلك وسالوا ان يستغفر لهم الرسول وذلك قول منهم لا على سبيل الاعتقاد بل على وجه التقية والمصانعة ولهذا
قال تعالى يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد نفعا اي لا يقدر
احد ان يرد ما اراده عليكم تعالى وهو العليم بسرائركم وضمائركم وان صانعتمونا ونافقتمونا ولهذا قال بل كان
الله بما تعملون خبيرا ثم قال بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا اي لم يكن تخلفكم تخلف معذور
ولا عاص بل تخلف تقليق ونفاق فانكم اعتقدتم انهم يقتلون ويستاصلون ولا يرجع منهم مخبر وظننتم ظن
السوء وكنتم قوما بورا اي هلكى فاسدين ثم قال ومن لم يؤمن بالله ورسوله اي من لم يخلص العمل ظاهرا وباطنا
فان الله سيعذبه في السعير وان اعتقد الناس بحسب عمله الظاهر ثم بين تعالى انه الحاكم المالك المتصرف في اهل السموات
والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم
لتاخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل
فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا اخبر تعالى عن الاعراب الذين تخلفوا عن
النبي صلى الله عليه وسلم وعمرة الحديبية اذ ذهب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه الى خيبر يفتحونها انهم يسالون
ان يخرجوا معهم الى المغنم وقد تخلفوا عن وقت المحاربة للاعداء ومصابرتهم فامره تعالى ان لا ياذن لهم في ذلك

وزين ذلك الظن
في قلوبكم

سيقول المخلفون من الحديبية اذا انطلقتم ايها المؤمنون
الى مغانم خيبر ذرونا نتبعكم الى خيبر لنشهد معكم القتال
[illegible]

تثبيطا اي شغله عنه

عقوبة لهم من حيث ذنبهم فانه تعالى وعد اهل الحديبية مغانم اهل خيبر مخصوصا بهم لا يشركهم غيرهم فلا يقع غير ذلك شرعا وقدرا ولهذا قال يريدون ان يبدلوا كلام الله قال مجاهد وغيره وهو الوعد الذي وعد به اهل الحديبية اختاره ابن جرير وقال ابن جريج يريدون ان يبدلوا كلام الله يعني تثبيطهم المسلمين عن الجهاد قل لن تتبعونا اي الى خيبر كذلكم قال الله من قبل اي وعد الله اهل الحديبية بغنيمة خيبر كان قبل سؤالكم الخروج معهم فسيقولون بل تحسدوننا اي ان نشرككم في المغانم بل كانوا لا يفقهون الا قليلا اي ليس الامر كما زعموا ولكن لا فهم لهم الا قليلا منهم وهو من صدق الله ورسوله قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس شديد تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما اختلفوا في هولاء الذين يدعون اليهم هم اولو باس شديد على اقوال احدها انهم هوازن والثاني انهم ثقيف والثالث بنو حنيفة والرابع اهل فارس وقيل الروم وقال مجاهد رجال اولو باس شديد ولم يعين فرقة وهو اختيار ابن جرير وقال الزهري لم يات اولئك بعد وعن ابي هريرة هم البارز وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر وحتى تقاتلوا الترك صغار الاعين ذلف الانوف كان وجوههم المجان المطرقة هكذا في الصحيحين وقوله تقاتلونهم او يسلمون يعني يشرع لكم جهادهم وقتالهم فلا يزال ذلك مستمرا عليهم ولكم النصرة فيذلك او يسلمون ويدخلون دينكم بلا قتال بل باختيار ثم قال فان تطيعوا اي تستجيبوا وتنفروا في الجهاد وتؤدوا الذي عليكم فيه يؤتكم الله اجرا حسنا وهي الجنة وان تتولوا اي تعرضوا كما توليتم من قبل يعني زمن الحديبية حيث دعيتم فتخلفتم يعذبكم عذابا اليما ثم ذكر تعالى الاعذار في ترك الجهاد فمنها لازم كالعمى والعرج المستمر وعارض كالمرض الذي يطرا ثم يزول فهو في حال مرضه ملحق بذوي الاعذار اللازمة حتى يبرا ثم قال تعالى مرغبا في الجهاد وطاعة الله ورسوله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول اي ينكل عن الجهاد ويقبل على المعاش يعذبه عذابا اليما في الدنيا بالمذلة وفي الاخرة بالنار لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة ياخذونها وكان الله عزيزا حكيما اخبر تعالى عن رضاه عن المؤمنين بايعوا رسوله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة وقد سبق سبب ذلك وعددهم قريبا فبايع لعثمن احدى يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاخرى فقال هذه يد عثمن فقال الناس هنيئا لابن عفان يطوف بالبيت ونحن هنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو مكث كذا وكذا سنة ما طاف حتى اطوف وقوله فعلم ما في قلوبهم اي من الصدق والوفاء والسمع والطاعة فانزل السكينة اي الطمانينة عليهم واثابهم فتحا قريبا وهو ما اجرى الله على ايديهم من الصلح بينهم وبين قريش وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة ثم فتح سائر البلدان والاقاليم عليهم وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدارين ولهذا قال و مغانم كثيرة ياخذونها وكان الله عزيزا حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم هذه وكف ايدي الناس عنكم ولتكون اية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا

ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا فقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها هي الفتوح التي تفتح لهم الى يوم القيمة فعجل لكم هذه قال ابن عباس يعني صلح الحديبية المتصل به فتح خيبر وقوله وكف ايدي الناس عنكم اي منع ودفع ايدي من هم من الاعداء كاسد وغطفان حين قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وحاصر اهلها ان يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة بالقاء الرعب في قلوبهم وقيل يعني اهل مكة بالصلح ولتكون اية للمؤمنين فيعتبرون بذلك بان الله حافظهم وناصرهم على الاعداء ويزيدوا تصديقا وايمانا ويهديكم صراطا مستقيما اي بسبب انقيادكم لامره واتباعكم طاعته وموافقتكم رسوله وقوله لم تقدروا عليها اي وغنيمة اخرى وفتح اخر معينة لم تكونوا تقدرون عليها قد يسرها الله عليكم واحاط بها لكم فانه تعالى يرزق عباده المتقين من حيث لا يحتسب وقد اختلفوا في هذه الغنيمة قال ابن عباس هي خيبر وقال جماعة وقال بعضهم هي مكة واختار ابن جرير وقيل هي فارس والروم وقال مجاهد هي كل فتح وغنيمة الى يوم القيمة وفي رواية عن ابن عباس هي هذه الفتوح التي تفتح الى اليوم ومعنى احاط بها اي حفظها لكم ومنعها من غيركم حتى تاخذوها وقوله ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار اي لو ناوشكم وناجزكم المشركون لنصر الله رسوله والمؤمنين عليهم ولانهزم جيش الكفر فارا مدبرا ثم لا يجدون لانفسهم وليا يواليهم ولا نصيرا ينصرهم لانهم محاربون لله ولرسوله ولحزبه المؤمنين ثم قال سنة الله التي قد خلت من قبل اي كسنة الله وعادته في خلقه فانه ما تقابل الكفر والايمان في موطن الا نصر الله الايمان على الكفر فرفع الحق ووضع الباطل كما فعل يوم بدر نصرا اولياءه المؤمنين على اعدائه المشركين مع قلة عدد المسلمين وعددهم وكثرة المشركين وعددهم وقوله وهو الذي كف ايديهم عنكم الاية هذا امتنان من الله على عباده المؤمنين حين كف ايدي المشركين عنهم فلن يصل اليهم منهم سوء وكف ايدي المؤمنين عن المشركين فلم تقاتلوهم عند المسجد الحرام بل صان كلا من الفريقين واوجد بينهم صلحا فيه خيرة للمؤمنين وعاقبة لهم في الدارين وعن انس قال لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ثمانون رجلا من اهل مكة في السلاح من قبل جبل التنعيم يريدون غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذهم سلما وعفى عنهم فنزلت هذه الاية رواه مسلم وعدة من اصحاب السنن هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وكان الله بكل شيء عليما اخبر تعالى عن مشركي العرب من قريش ومن والاهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هم الذين كفروا اي هم الكفار دون غيرهم وصدوكم اي منعوكم عن المسجد الحرام وانتم احق به في نفس الامر والهدي معكوفا ان يبلغ محله اي وصدوا الهدي وهي البدن التي ساقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين بدنة معكوفا اي محبوسا ممنوعا ان يصل الى محله بغيا وعنادا وقوله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات اي بين اظهرهم ممن يكتم ايمانه ويخفيه منهم خيفة على انفسهم من قومهم لسلطناكم عليهم فقتلتموهم ولكن بينهم من اهل الايمان اقوام لا تعرفونهم ولهذا قال لم تعلموهم ان تطؤهم اي تقتلوهم بالقتال فتصيبكم منهم معرة اي اثم وغرامة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء

اى يؤخر عقوبتهم ليخلص من بين اظهرهم المؤمنين وليدخل كثير منهم فى الاسلام ثم قال لو تزيلوا اى لو تميز الكفار من المؤمنين
الذين بين اظهرهم لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما اى لسلطنا عليهم فقتلتموهم قتلا ذريعا وعن جنيد بن سبع
قال قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم اول النهار كافرا وقاتلت معه آخر النهار مسلما وفينا نزلت ولولا رجال مؤمنون
ونساء مؤمنات كانوا تسعة نفر سبعة رجال وامرأتين رواه ابو القاسم الطبرانى وقوله اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية
حمية الجاهلية وذلك حين صدوهم عن البيت وابوا ان يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم وابوا ان يكتبوا محمد رسول الله فانزل
الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين فلم يدخلهم ما دخلهم من الحمية والزمهم كلمة التقوى وهى قول لا اله الا الله كما روى
ابى بن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله رواه احمد والترمذى وقال
مجاهد كلمة التقوى الاخلاص وقال على رضى الله عنه كلمة التقوى لا اله الا الله والله اكبر وكانوا اى المسلمون احق بها من غيرهم
وكانوا اهلها وكان الله بكل شىء عليما اى هو عليم بمن يستحق الخير ممن يستحق الشر واما قصة الحديبية ففى صحيح البخارى عن معمر
عن الزهرى عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبى صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم فى خيل لقريش
طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبى
صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل حل فالحت فقالوا خلأت القصواء
خلأت القصواء فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذى
نفسى بيده لا يسألونى خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل
باقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكى الى رسول الله صلى الله عليه و
سلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم امرهم ان يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه فبينما هم
كذلك اذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل
تهامة وقال انى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا اعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك
وصادوك عن البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال احد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم
الحرب واضرت بهم فان شاؤا ماددتهم مدة ويخلوا بينى وبين الناس فان اظهر فان شاؤا ان يدخلوا فيما دخل
فيه الناس فعلوا والا فقد جموا وان هم ابوا فوالذى نفسى بيده لاقاتلنهم على امرى هذا حتى تنفرد سالفتى ولينفذن الله
امره فقال بديل سابلغهم ما تقول فانطلق حتى اتى قريشا قال انا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم
ان نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا ان تخبرنا عنه بشىء وقال ذوو الرأى منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته
يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبى صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود فقال اى قوم الستم بالوالد قالوا بلى قال اولستم بالولد
قالوا بلى فقال فهل تتهمونى قالوا لا قال الستم تعلمون انى استنفرت اهل عكاظ فلما بلحوا على جئتكم باهلى وولدى ومن
اطاعنى قالوا بلى قال فان هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعونى آتيه قالوا ائته فاتاه فجعل يكلم النبى صلى الله
عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك اى محمد ارأيت ان استأصلت امر قومك
هل سمعت باحد من العرب اجتاح اهله قبلك وان تكن الاخرى فانى والله لارى وجوها وانى لارى اشوابا من الناس
خليقا ان يفروا ويدعوك فقال له ابو بكر الصديق امصص بظر اللات انحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قالوا ابو بكر

فقال اما والذى نفسى بيده لولا يد كانت لك عندى لم اجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فكلما تكلم
اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبى صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوى عروة بيده الى لحيته
صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال اخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة رأسه فقال من هذا
قالوا المغيرة بن شعبة فقال اى غدر الست اسعى فى غدرتك وكان المغيرة صحب قوما فى الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم
ثم جاء فاسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم اما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه فى شىء ثم ان عروة جعل يرمق اصحاب
النبى صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك
بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده و
لا يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الى اصحابه فقال اى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى
والنجاشى والله ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد محمدا والله ان تنخم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم
فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون
اليه النظر تعظيما له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من بنى كنانة دعونى آتيه فقالوا ائته فلما اشرف
على النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن قد قلدت واشعرت
فما ارى ان يصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعونى آتيه فقالوا ائته فلما اشرف عليهم قال
النبى صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو قال
معمر فاخبرنى ايوب عن عكرمة انه لما جاء سهيل قال النبى صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من امركم قال معمر قال الزهرى فى حديثه
فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا النبى صلى الله عليه وسلم الكاتب فقال النبى صلى الله عليه وسلم بسم الله
الرحمن الرحيم فقال سهيل اما الرحمن فوالله ما ادرى ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا
نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبى صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم ثم قال هذا ما قاضى محمد رسول الله فقال سهيل
والله لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم
والله انى رسول الله وان كذبتمونى اكتب محمد بن عبد الله قال الزهرى وذلك لقوله لا يسألونى خطة يعظمون فيها حرمات
الله الا اعطيتهم اياها فقال النبى صلى الله عليه وسلم على ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث
العرب انا اخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى انه لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا
رددته الينا قال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما فبينما هم كذلك اذ دخل ابو جندل بن سهيل بن
عمرو يرسف فى قيوده وقد خرج من اسفل مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل يا محمد هذا اول ما اقاضيك
عليه ان ترده الى فقال النبى صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا لا اصالحك على شىء ابدا فقال
النبى صلى الله عليه وسلم فاجزه لى قال ما انا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل قال مكرز بل قد اجزناه لك قال
ابو جندل اى معشر المسلمين ارد الى المشركين وقد جئت مسلما الا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب عذابا شديدا فى الله
قال عمر بن الخطاب فاتيت نبى الله صلى الله عليه وسلم فقلت الست نبى الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على
الباطل قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا اذا قال انى رسول الله ولست اعصيه وهو ناصرى قلت اوليس كنت تحدثنا
انا سنأتى البيت فنطوف به قال بلى فاخبرتك انا نأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه ومطوف به قال فاتيت ابا بكر فقلت يا ابا بكر

قال

یاد آر ای محمد چون کردند و در آوردند کافران در دلهای ایشان تعصب و تکبر و غیرت جاهلیه که [illegible] [illegible] [illegible] عصبیه [illegible] فانزل الله سکینته

الثمد والثمد الماء القليل الذى لا مادة له صحاح

العد بالكسر الماء الذى له مادة لا تنقطع كماء العين والبئر والجمع الاعداد صحاح

السالفة ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط الى قلت الترقوة صحاح

قال م

فى

الستم بالوالد

بلح الرجل بلوحا اعيا وبلح تبليحا مثله صحاح

العوذ الحديثات النتاج من الظباء والابل والخيل والمطافيل [illegible] بالولد

نعل السيف ما يكون فى اسفل جفنه من حديد او فضة صحاح

رمقته ارمقه رمقا نظرت اليه ورمقته ترميقا ادام النظر به صح

واذا توضأ

فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغى لهؤلاء ان يصدوا عن البيت فلما رجع الى اصحابه قال رأيت البدن

اكتب

ثم جعل سهيل الرد الى قريش م

وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا جندل احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا عقدنا بيننا وبين القوم عقدا وصلحا وانا لا نغدر م

[illegible]

الغرز ركاب الرحل من جلد [illegible]

اليس هذا نبي الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال ايها الرجل انه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت اليس كان يحدثنا انا سنأتي البيت فنطوف به قال بلى افاخبرك انك تأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه ومطوف به قال الزهري قال عمر فعملت لذلك اعمالا قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلث مرات فلما لم يقم منهم احد دخل على ام سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت ام سلمة يا نبي الله اتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم احدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم احدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما ثم جاءه نسوة مؤمنات فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك فتزوج احدهما معوية بن ابي سفين والاخرى صفوان بن امية ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجاءه ابو بصير رجل من قريش وهو مسلم فارسلوا في طلبه رجلين فقالوا العهد الذي جعلت لنا فدفعه الى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا ياكلون من تمر لهم فقال ابو بصير لاحد الرجلين والله اني لارى سيفك هذا يا فلان جيدا فاستله الآخر فقال اجل والله انه لجيد لقد جربت به ثم جربت فقال ابو بصير ارني انظر اليه فامكنه منه فضربه به حتى برد وفر الآخر حتى اتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه لقد رأى هذا ذعرا فلما انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم قال قد قتل والله صاحبي واني لمقتول فجاء ابو بصير فقال يا نبي الله قد والله اوفى الله ذمتك قد رددتني اليهم ثم انجاني الله منهم قال النبي صلى الله عليه وسلم ويل امه مسعر حرب لو كان له احد فلما سمع ذلك عرف انه سيرده اليهم فخرج حتى اتى سيف البحر قال وينفلت منهم ابو جندل فلحق بابي بصير فجعل لا يخرج رجل من قريش قد اسلم الا لحق بابي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش الى الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم واخذوا اموالهم فارسلت قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما ارسل فمن اتاه فهو آمن فارسل النبي صلى الله عليه وسلم اليهم فانزل الله عز وجل وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم حتى بلغ الحمية حمية الجاهلية وكانت حميتهم انهم لم يقروا انه نبي الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينه وبين البيت

لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارى في المنام انه دخل مكة وطاف بالبيت فاخبر اصحابه بذلك وهو بالمدينة فلما كان عام الحديبية لم يشك جماعة منهم ان هذه الرؤيا تعبر في ذلك العام فلما وقع الصلح كما سبق وقع في نفس بعضهم من ذلك شيء حتى سال عمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وسمع الجواب بما سمع كما سبق في قصة الحديبية ولهذا قال تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله قال ابن كيسان قوله لتدخلن الى آخره حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه من رؤياه فاخبر عنه انه قال ذلك وان شاء الله للتحقيق تبركا وتأدبا بادب الله حيث قال ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله لا استثناء من شيء وقوله آمنين اي في حال دخولكم محلقين رؤسكم ومقصرين حال مقدرة اي بعد فراغكم من الطواف والسعي وقوله لا تخافون حال مؤكدة في المعنى فاثبت لهم الامن حال الدخول

[illegible]

ونفى عنهم الخوف حال استقرارهم في البلد لا تخافون من احد وكان هذا في عمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع فان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية سنة ست الى المدينة فاقام بها ذا الحجة والمحرم وخرج في صفر الى خيبر ففتحها الله عليه بعضها عنوة وبعضها صلحا وهي اقليم عظيم كثير النخل والزرع فاستخدم من فيها من اليهود عليها على الشطر وقسمها على اهل الحديبية وحدهم ولم يشهدها احد غيرهم الا الذين قدموا من الحبشة جعفر بن ابي طالب واصحابه وابو موسى الاشعري واصحابه ولم يغب منهم احد الا ابا دجانة سماك بن حرب ثم رجع الى المدينة وفي ذي القعدة سنة سبع خرج الى مكة معتمرا هو واهل الحديبية فاحرم من ذي الحليفة وساق معه الهدي قيل كان ستين بدنة وساروا يلبون فلما كان قريبا من مر الظهران بعث محمد بن مسلمة بالخيل والسلاح امامه فلما رآه المشركون رعبوا رعبا شديدا وظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزوهم وانه قد نكث العهد الذي بينه وبينهم من وضع القتال عشر سنين وذهبوا فاخبروا اهل مكة فلما نزل بمر الظهران حيث ينظر الى انصاب الحرم بعث اكثر السلاح الى بطن ياجج وسار الى مكة بالسيوف مغمدة في قربها كما شارطهم عليه فلما كان في اثناء الطريق بعثت قريش مكرز بن حفص فقال يا محمد ما عرفناك تنقض العهد فقال وما ذاك قال دخلت علينا بالسلاح والقسي والرماح فقال لم يكن ذلك وقد بعثنا به الى ياجج فقال بهذا عرفناك بالبر والوفاء وخرجت رؤس الكفار من مكة لئلا ينظروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه غيظا وحنقا واما بقية اهل مكة من الرجال والنساء والولدان فجلسوا في الطرق على البيوت ينظرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فدخلها عليه الصلوة والسلام واصحابه يلبون صبيحة رابعة من ذي القعدة قال ابن عباس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكة فقال المشركون انه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب ولقوا منها شرا وجلس المشركون من الناحية التي تلي الحجر فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ما قالوا فامر اصحابه ان يرملوا الاشواط الثلثة ليرى المشركون جلدهم قال فرملوا ثلثة اشواط وامرهم ان يمشوا بين الركنين حيث لا يراهم المشركون ولم يمنعهم ان يرملوا الاشواط كلها الا الابقاء عليهم رواه احمد وفي الصحيحين مثله وعن ابن ابي اوفى قال لما اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سترناه من غلمان المشركين ومنهم ان يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرد به البخاري وفيه عن البراء قال فلما دخلها ومضى الاجل اتوا عليا فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الاجل فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقوله فعلم ما لم تعلموا اي فعلم الله تعالى من الخيرة والمصلحة في صرفكم عن مكة ودخولكم اليها عامكم ذلك ما لم تعلموه انتم فجعل من دون ذلك اي قبل دخولكم الذي وعدتم به في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم فتحا قريبا وهو صلح الحديبية ثم بشر تعالى المؤمنين بالنصر فقال هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق اي بالعلم النافع والعمل الصالح فان الشريعة تشتمل على شيئين علم وعمل فالعلم الشرعي صحيح والعمل الشرعي مقبول فاخبارها حق وانشاءاتها عدل ليظهره على الدين كله اي على جميع اهل الاديان من سائر اهل الارض من عرب وعجم ومليين وكافرين وكفى بالله شهيدا اي انه رسوله وهو ناصره

قراب السيف جفنه وهو وعاء يكون فيه السيف بغمده وحمائله

الرمل بالتحريك الهرولة ورملت بين الصفا والمروة رملا ورملانا

[illegible] ويعليه على الاديان

محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تريهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما

اخبر تعالى ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسوله حقا بلا شك فقال محمد رسول الله وهو مبتدا وخبر مشتمل على كل وصف جميل

روى عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال محمد رسول الله والذين معه ابو بكر الصديق اشداء على الكفار
عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمن بن عفان تريهم ركعا سجدا على بن ابى طالب يبتغون فضلا من الله ورضوانا
بقية العشرة المبشرون بالجنة

ثم ثنى بالثناء على اصحابه فقال والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم وهذه صفة للمؤمنين ان يكون احدهم شديدا على الكفار رحيما بالاخيار غضوبا عبوسا فى وجه الكافر ضحوكا بشوشا فى وجه اخيه المؤمن كما فى الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وقوله تريهم ركعا سجدا وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلوة وهى خير الاعمال ووصفهم بالاخلاص فيها لله والاحتساب عند الله جزيل الثواب وهو الجنة المشتملة على فضل الله وهو سعة الرزق عليهم ورضاه عنهم وهو اكبر من الاول كما قال ورضوان من الله اكبر وقوله سيماهم فى وجوههم من اثر السجود قال ابن عباس يعنى السمت الحسن وقال مجاهد وغيره اى الخشوع والتواضع فقيل له ما كنت اراه الا هنا الاثر فى الوجه فقال ربما كان بين عينى من هو اقسى قلبا من فرعون وقال بعض السلف من كثرت صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار ورواه ابن ماجة مرفوعا والصحيح انه موقوفا وقال بعضهم ان للحسنة لنورا فى القلب وضياء فى الوجه وسعة فى الرزق ومحبة فى قلوب الناس وقال عثمان رضى الله عنه ما اسر احد سريرة الا ابداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه فالمؤمن اذا كانت سريرته صحيحة مع الله اصلح الله ظاهره للناس كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من اصلح سريرته اصلح الله علانيته وعن ابى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان احدكم يعمل فى صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة تخرج عمله للناس كائنا من كان رواه احمد فالصحابة رضى الله عنهم صلحت نياتهم وحسنت اعمالهم فكل من نظر اليهم اعجبوه فى سمتهم وهديهم وقال مالك رحمه الله بلغنى ان النصارى كانوا اذا راوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا وصدقوا فى ذلك فان هذه الامة معظمة فى الكتب المتقدمة واعظمها وافضلها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نوه الله بذكرهم فى الكتب المنزلة ولهذا قال ههنا ذلك مثلهم فى التورية ثم قال ومثلهم فى الانجيل كزرع اخرج شطأه اى فراخه فآزره وغيره قال السدى هو ان تخرج مع الطاقة الاخرى فآزره اى شدة فاستغلظ اى شب وطال فاستوى على سوقه يعجب الزراع اى فكذلك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم آزروه وايدوه ونصروه فهم معه كالشطأ مع الزرع ليغيظ بهم الكفار اى انما كثرهم وقواهم ليكونوا اغيظ الكافرين ومن هذه الاية استنبط الامام مالك فى رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة قال لانهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافر لهذه الاية ووافقه طائفة من العلماء على ذلك ثم قال وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم من هذه لبيان الجنس مغفرة اى لذنوبهم واجرا عظيما اى ثوابا جزيلا ورزقا كريما ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا يبدل وكل من اقتفى اثر الصحابة فهو فى حكمهم ولهم الفضل والسبق والكمال الذى لا يلحقهم فيه احد من هذه الامة وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابى فوالذى نفسى بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه رواه مسلم

تفسير سورة الحجرات وهى مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم لقد ادب الله عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول عليه الصلوة والسلام من التوقير والاعظام فقال لا تقدموا بين يدى الله ورسوله اى لا تسرعوا فى الاشياء بين يديه اى

يبتغون فضلا من الله ورضوانا

السيما والعلامة بمعنى واحد

الخلق الحسن

تمثيل زرع الزرع محمد صلى الله عليه وسلم اخرج شطأه ابو بكر فآزره عمر فاستغلظ عثمن يعنى استغلظ عثمن الاسلام فاستوى على سوقه على بن ابى طالب استقام الاسلام بسيفه يعجب الزراع يعنى المؤمنين ليغيظ بهم الكفار

عن عبد الله بن مغفل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله فى اصحابى الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن احبهم فبحبى احبهم ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك ان ياخذه

[illegible]

امامه وقدامه يعنى بين يدى امرهما ونهيهما بل كونوا تبعا له فى جميع الامور حتى دخل فى عموم هذا الادب حديث معاذ حيث قال له النبى صلى الله عليه وسلم حين بعثه الى اليمن بم تحكم قال بكتاب الله قال فان لم تجد قال بسنة نبيه رسول الله قال فان لم تجد قال اجتهد رايى فضرب فى صدره وقال الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله رواه احمد وابو داود والترمذى فاخر معاذ رايه واجتهاده الى ما بعد الكتاب والسنة ولو قدمه عليهما لكان من باب التقدم بين يدى الله ورسوله قال ابن عباس اى لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة وعنه ايضا نهوا ان يتكلموا بين يدى كلامه وقال مجاهد اى لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء حتى يقضيه الله على لسانه وقال الضحاك لا يقضوا امرا دون الله ورسوله من شرائع دينكم وقال الحسن لا تدعو قبل الامام واتقوا الله اى فيما امركم به ان الله سميع اى لاقوالكم عليم بنياتكم وقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى هذا ادب ثان ادبهم الله ان لا يرفعوا اصواتهم بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فوق صوته وقد روى انها نزلت فى الشيخين ابى بكر وعمر رضى الله عنهما كما قال ابن ابى مليكة كاد الخيران ان يهلكا ابو بكر وعمر رفعا اصواتهما عند النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بنى تميم فاشار احدهما بالاقرع بن حابس اخى بنى مجاشع واشار الاخر برجل آخر فقال ابو بكر لعمر ما اردت الا خلافى قال ما اردت خلافك فارتفعت اصواتهما فى ذلك فانزل الله يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الاية فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية حتى يستفهمه رواه البخارى ثم قال ابو بكر يا رسول الله والله لا اكلمك الا كاخى السرار رواه البزار وعن انس بن مالك قال لما نزلت هذه الاية يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الى آخر الاية جلس ثابت بن قيس فى بيته فقال انا من اهل النار واحتبس عن النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ يا ابا عمرو ما شان ثابت ايشتكى فقال سعد انه لجارى وما علمت له بشكوى قال فاتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ثابت انزلت هذه الاية ولقد علمتم انى من ارفعكم صوتا على رسول الله فانا من اهل النار فذكر ذلك سعد للنبى صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو من اهل الجنة رواه مسلم وللبخارى مثله مبسوطا والصحيح ان سعد بن معاذ لم يكن حينئذ حيا كما فى رواية اخرى لمسلم وليس فيها ذكر سعد فكان رجلا غير مسمى كما فى البخارى قيل اسمه عاصم بن عدى قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب فادعه لى فذهب عاصم فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فاتيا النبى صلى الله عليه وسلم فقال له اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا فتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله ولا ارفع صوتى ابدا على صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله ان الذين يغضون اصواتهم الاية رواه ابن جرير والغض الخفض وقد ذكر هذه القصة ابسط من هذا غير واحد من التابعين فقد نهى الله عن رفع الصوت بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكره عند حجرته كما كان يكره فى حيوته لانه حى فى قبره ثم نهى عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبه ممن يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم ولهذا قال ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض كما قال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقوله ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون اى انما نهيتكم عن رفع الصوت عنده خشية ان يغضب من ذلك فيغضب الله لغضبه وتحبط عمل من اغضبه وهو لا يدرى ثم ندب الله سبحانه الى خفض الصوت عنده وحث على ذلك وارشد اليه ورغب فيه فقال ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اى اخلصها له وجعلها اهلا ومحلا لهم مغفرة واجر عظيم وعن مجاهد قال كتب الى عمر يا امير المؤمنين رجل لا يشتهى المعصية ولا يعمل بها افضل ام رجل يشتهى المعصية ولا يعمل بها فكتب عمر رضى الله عنه ان الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم **ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم**

اذا نطق ونطقتم فعليكم ان لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذى يبلغه صوته

وعن ابن عباس انها نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وكان فى اذنه وقر وكان جهورى الصوت فكان اذا كلم رفع صوته وربما كان يكلم رسول الله فيتاذى بصوته

لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض [illegible]

امتحن الله قلوبهم للتقوى اى اخلصها للتقوى [illegible]

[illegible]

لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم ثم انه تعالى
ذم الذين ينادونه من وراء حجرات نسائه كما تصنع عوام الاعراب وقال اكثرهم لا يعقلون ثم ارشد الى الادب في ذلك
فقال ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم اي لكان لهم في ذلك الخيرة والمصلحة في الدارين ثم قال داعيا الى التوبة
والانابة والله غفور رحيم وقد ذكر انها نزلت في الاقرع بن حابس كما في مسند احمد انه نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا محمد يا محمد وفي رواية يا رسول الله فلم يجبه فقال يا رسول الله ان حمدي لزين وان ذمي لشين فقال ذاك الله عز وجل
وعن زيد بن ارقم قال اجتمع ناس من العرب فقالوا انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يك نبيا فنحن نكون اسعد وان يكن ملكا
نعش بجناحه قال فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بما قالوا فجاؤا الى حجرته فجعلوا ينادونه وهو في حجرته يا محمد يا محمد
فانزل الله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون قال فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول لقد صدق
الله قولك يا زيد لقد صدق الله قولك يا زيد رواه ابن جرير وابن ابي حاتم يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق
بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين واعلموا ان فيكم رسول
الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم
وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة و
الله عليم حكيم امر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق احتياطا فلا يحكم بقوله لامكان كذبه لئلا يقع الحاكم في خطا فيتم ندامة لا
يقبل خبرا ولا تداركا ومن ههنا امتنع بعض العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه في نفس الامر وقبلها آخرون
لعدم تحقق الفسق لانه مجهول الحال كما هو مقرر في علوم الحديث وقد ذكر كثيرون ان هذه الآية نزلت في وليد بن عقبة بن ابي
معيط حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات بني المصطلق كما في مسند احمد عن الحارث بن ضرار الخزاعي والد
ميمونة ام المؤمنين قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني الى الاسلام فدخلت فيه واقررت به ودعاني الى الزكوة
فاقررت بها وقلت يا رسول الله ارجع فادعوهم الى الاسلام واداء الزكوة فمن استجاب لي جمعت زكوته وترسل الي يا رسول الله
رسولا لابان كذا وكذا لياتيك ما جمعت من الزكوة فلما جمع الحارث الزكوة ممن استجاب له وبلغ الابان الذي اراد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يبعث اليه احتبس عليه الرسول فلم ياته وظن الحارث انه قد حدث فيهم سخطة من الله ورسوله فدعا
بسروات قومه فقال لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وقت لي وقتا يرسل الي رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكوة
وليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلف ولا ارى حبس رسوله الا من سخطة فانطلقوا فناتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة الى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكوة فلما ان سار الوليد الى
ان بلغ الى بعض الطريق فرق فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان الحارث منعني الزكوة واراد قتلي فضرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم البعث الى الحارث فاقبل الحارث باصحابه حتى اذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث
فقالوا هذا الحارث فلما غشيهم قال لهم الى من بعثتم قالوا اليك قال ولم قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليك
الوليد بن عقبة فزعم انك منعته الزكوة واردت قتله قال لا والذي بعث محمدا بالحق ما رايته بتة ولا اتاني فلما دخل
الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال منعت الزكوة واردت قتل رسولي قال لا والذي بعثك بالحق ما رايته ولا اتاني
وما اقبلت الا حين احتبس علي رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم خشية ان تكون كانت سخطة من الله ورسوله قال فنزلت
الحجرات يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا الى قوله حكيم وروى ابن جرير وابن ابي حاتم نحوه وقال قتادة فكان رسول الله

تداركا

ان تصيبوا مفعول له اي كراهة اصابتكم قوما بجهالة حال يعني جاهلين بحقيقة الامر

فتبينوا اي تعرفوا صدقه من كذبه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق

صلى الله

صلى الله عليه وسلم يقول التاني من الله والعجلة من الشيطان وقوله واعلموا ان فيكم رسول الله اي واعلموا ان بين اظهركم
رسول الله فعظموه ووقروه وانقادوا لامره فانه اعلم بمصالحكم واشفق عليكم منكم ورايه فيكم اتم من رايكم لانفسكم كما
قال تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ثم بين ان رايهم سخيف بالنسبة الى مراعاة مصالحهم فقال لو يطيعكم في كثير
من الامر لعنتم اي لو اطاعكم في جميع ما تختارونه لادى ذلك الى عنتكم وحرجكم والعنت الاثم والهلاك وقوله ولكن الله
حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم اي حببه الى نفوسكم وحسنه في قلوبكم وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الاسلام علانية والايمان في القلب قال ثم يشير الى صدره ثلث مرات ثم يقول التقوى ههنا رواه احمد وقوله وكره اليكم
الكفر والفسوق والعصيان اي وبغض اليكم الكفر والفسوق وهو الذنوب الكبار والعصيان وهي جميع المعاصي وهذا
تدريج لكمال النعمة وقوله اولئك هم الراشدون اي المتصفون بهذه الصفة هم الراشدون الذين قد اتاهم الله رشدهم و
عن رفاعة بن رافع الزرقي انه كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حين انكفا المشركون اللهم حبب الينا
الايمان وزينه في قلوبنا وكره الينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين اللهم توفنا مسلمين واحينا
مسلمين والحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين رواه احمد والنسائي في عمل اليوم والليلة وفي الحديث المرفوع من سرته
حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن ثم قال فضلا من الله ونعمة اي هذا العطاء الذي منحكموه كان فضلا من الله عليكم
ونعمة من عنده والله عليم حكيم اي عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية حكيم في اقواله وافعاله وشرعه وقدره وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احديهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى
تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون
اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون امر تعالى بالاصلاح بين المتقاتلين الباغين بعضهم
على بعض بقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فسماهم مؤمنين مع الاقتتال وبهذا استدل اهل الحق على انه لا يخرج من
الايمان بالمعصية وان عظمت لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم وهكذا ثبت في صحيح البخاري عن ابي بكرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوما ومعه على المنبر الحسن بن علي فجعل ينظر اليه مرة والى الناس اخرى ويقول ان
ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كما قال عليه الصلوة والسلام فانه اصلح الله به
بين اهل الشام واهل العراق بعد الحروب والوقعات الهائلة وقوله فان بغت احديهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء
اي ترجع الى امر الله وتسمع للحق وتطيعه وعن انس قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو اتيت عبد الله بن ابي فانطلق اليه
نبي الله صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون وهي ارض سبخة فلما انطلق اليه النبي عليه الصلوة والسلام
قال اليك عني فوالله لقد آذاني ريح حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله اطيب ريحا منك قال فغضب
لعبد الله رجال من قومه فغضب لكل واحد منهما اصحابه قال فكان منهم ضرب بالجريد والايدي والنعال فبلغنا انه
انزلت فيهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما رواه احمد وفي الصحيحين نحوه وقوله فان فاءت فاصلحوا
بينهما بالعدل
واقسطوا ان الله يحب المقسطين اي اعدلوا بينهم فيما كان اصاب بعضهم لبعض بالقسط وهو العدل وفي النسائي عن
عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ بين يدي الرحمن بما
اقسطوا في الدنيا اسناده قوي كما روى مسلم عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المقسطون عند الله يوم القيمة على منابر
من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم واهليهم وما ولوا وقوله انما المؤمنون اخوة اي

اى الجميع اخوة فى الدين كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه وفى الصحيح اذا دعا المسلم لاخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك بمثل وفيه ايضا المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين اصابعه والاحاديث فى هذا كثيرة وقوله فاصلحوا بين اخويكم يعنى الفئتين المقتتلتين واتقوا الله اى فى جميع اموركم لعلكم ترحمون اى لكى ترحموا تحقيقا بلا ريب

يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون

ينهى تعالى عن السخرية بالناس وهو احتقارهم والاستهزاء بهم كما ثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الكبر بطر الحق وغمط الناس ويروى وغمص الناس والمراد بذلك احتقارهم واستصغارهم وهذا حرام فانه قد يكون المحتقر اعظم قدرا عند الله واحب اليه من المحتقر له والساخر منه ولهذا قال لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء فنص على نهى الرجال وعطف بنهى النساء وقوله ولا تلمزوا انفسكم اى ولا تلمزوا الناس ولا تطعنوا فيهم اى لا يلمز بعضكم بعضا والهماز اللماز من الناس مذموم ملعون كما قال تعالى ويل لكل همزة لمزة فالهمز بالفعل واللمز بالقول كما قال هماز مشاء بنميم اى يحتقر الناس ويهمزهم طاعنا عليهم ماشيا منهم بالنميمة وهو اللمز بالمقال وقوله ولا تنابزوا بالالقاب اى لا تداعوا بالالقاب وهى التى يسوء الشخص سماعها وعن ابى جبيرة قال فينا نزلت فى بنى سلمة ولا تنابزوا بالالقاب قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وليس فينا رجل الا وله اسمان او ثلثة فكان اذا دعا احدا منهم باسم من تلك الاسماء قالوا يا رسول الله انه يغضب من هذا فنزلت ولا تنابزوا بالالقاب رواه احمد وابو داود وقوله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اى بئس الصفة والاسم الفسوق وهو التنابز بالالقاب قال الحسن كان اليهودى والنصرانى يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودى يا نصرانى فنهوا عن ذلك وقال عكرمة هو قول الرجل للآخر يا فاسق يا منافق بعد ما تاب وقيل ان معناه ان من فعل منهيا من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسق ومن لم يتب اى من هذا فاولئك هم الظالمون

يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم

ينهى تعالى عباده المومنين عن كثير من الظن وهو التهمة والتخون للاهل والاقارب والناس فى غير محله لان بعض ذلك اثما محضا فليجتنب كثيرا منه احتياطا كما قال عمر بن الخطاب لا تظنن بكلمة خرجت من فى المومن على محمل سوء وانت تجد لها فى الخير محملا وعن ابن عمر قال رايت النبى صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ويقول ما اطيبك واطيب ريحك ما اعظمك واعظم حرمتك والذى نفس محمد بيده لحرمة المومن اعظم عند الله حرمة منك ماله ودمه وان يظن به الا خيرا تفرد به ابن ماجه وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا هكذا فى الصحيحين وعن معوية قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول انك اذا اتبعت عورات الناس افسدتهم او كدت ان تفسدهم تفرد به ابو داود والتجسس غالبا يطلق فى الشر ومنه الجاسوس واما التحسس فيكون غالبا فى الخير كما قال يعقوب يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه وقد يستعمل فى الشر كما فى الحديث وقال الاوزاعى التجسس البحث عن الشى والتحسس الاستماع الى حديث القوم وهم له كارهون وقوله ولا يغتب بعضكم بعضا فيه نهى عن الغيبة وقد فسرها الشارع عن ابى هريرة قال قيل يا رسول الله ما الغيبة قال ذكرك اخاك بما يكره قيل افرايت ان كان فى اخى ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته رواه ابو داود والترمذى وصححه والغيبة محرمة بالاجماع ولا يستثنى من ذلك الا ما رجحت مصلحته كما فى الجرح والتعديل والنصيحة كقوله عليه الصلوة والسلام لما استاذن عليه ذلك الرجل الفاجر ائذنوا له وبئس اخو العشيرة وكقوله لفاطمة بنت قيس وقد خطبها معوية وابو الجهم اما معوية فصعلوك واما ابو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه وكذا ما يجرى مجرى ذلك ثم بقيتها على التحريم الشديد وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم رواه ابو داود والترمذى وعن ابى برزة الاسلمى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه فى بيته تفرد به ابو داود وفى رواية ابن عمر ولم يفض الايمان الى قلبه وفى آخره ولو فى جوف رحله والاحاديث فى هذا كثيرة وقوله ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا قال السدى ان سلمان الفارسى ~~لما سار الناس ذات يوم~~ كان مع رجلين من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر يخدمهما وينال من طعامهما وان سلمان لما سار الناس ذات يوم بقى سلمان نائما لم يسر معهم فجعل صاحباه يكلمانه فلم يجداه فضربا الخباء وقالا ما يريد سلمان او هذا العبد شيئا غير هذا ان يجىء الى طعام مقدور وخباء مضروب فلما جاء سلمان ارسلاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب لهما اداما فانطلق فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه قدح له فقال يا رسول الله بعثنى اصحابى لتؤدمهم ان كان عندك قال ما يصنع اصحابك بالادام قد ائتدموا فرجع سلمان فخبرهما بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقا حتى اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا لا والذى بعثك بالحق ما اصبنا طعاما منذ نزلنا قال انكما قد ائتدمتما بسلمان بقولكما قال فنزلت ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا انه كان نائما وقوله واتقوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه فراقبوه فى ذلك واخشوا منه ان الله تواب اى على من تاب اليه رحيم لمن رجع اليه واعتمد عليه وطريق المغتاب فى توبته ان يقلع عن ذلك والا يعود وان يتحلل من الذى اغتابه وقيل لا يشترط الاستحلال اذ ربما تاذى اشد مما اذا لم يعلم بما كان منه وطريقه ان يحفظه غيبته بمدحه عوضا عما اغتابه ويدفع عنه ما استطاع تداركا لما سبق كما قال النبى صلى الله عليه وسلم من حمى مومنا من منافق بعث الله ملكا يحمى لحمه يوم القيمة من نار جهنم ومن رمى مومنا بشىء يريد شينه حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال رواه احمد وابو داود وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ يخذل امرءا مسلما فى موضع ينتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته وما من امرئ ينصر مسلما فى موضع ينتقص فيه من عرضه وتنتهك فيه حرمته الا نصره الله فى موطن يحب نصرته تفرد به ابو داود

يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقيكم ان الله عليم خبير

اخبر تعالى الناس انه خلقهم من نفس واحدة وجعل منهم الذكر والانثى وهما آدم وحواء وجعلهم شعوبا اى بطونا ودونها القبائل جمع شعب بفتح الشين وسموا شعوبا لتشعبهم اى تفرقهم واجتماعهم والشعب من اسماء الاضداد وهى اعم من القبائل قيل المراد بالشعوب بطون العجم وبالقبائل بطون العرب كما ان الاسباط بطون بنى اسرائيل فجميع الناس فى الشرف والطينية بالنسبة الى آدم وحواء سواء وانما يتفاضلون بالامور الدينية ومتابعة الشريعة ولهذا قال بعد النهى عن الغيبة واحتقار الناس بعضهم بعضا انا خلقناكم من ذكر وانثى منبها على تساويهم فى البشرية والقبائل دون الشعوب واحدتها قبيلة وهى كتميم من مضر لتعارفوا اى ليحصل التعارف بينهم فى قرب النسب وبعده قال مجاهد كما يقال فلان بن فلان من قبيلة كذا وكذا وعن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم فان صلة الرحم محبة فى الاهل مثراة فى المال منساة فى الاثر رواه الترمذى وقوله ان اكرمكم عند الله اتقيكم اى انما تتفاضلون عند الله بالتقوى

لم طال عليكم تكلمون وانا ساكت فاسكتوا القوم حتى الكلم الى رفعت
لنسبا وابيتم الا انسابكم قلت ان اكرمكم عند الله اتقيكم وابيتم
تعلم لا بل فلان بن فلان وفلان بن فلان فرفعت انسابكم ووضعت
نسبي فاليوم ارفع نسبي ووضعت انسابكم سيعلم اهل الجمع اليوم من
اصحاب الكرم اين المتقون

لا بالأحساب كما روى ابو هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الناس اكرم قال اكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فاكرم الناس يوسف نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألوني قالوا نعم قال فخياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا في الدين رواه البخاري وعن ابي ذر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بخير من احمر ولا اسود الا ان تفضله بتقوى الله رواه احمد وعن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب ولينتهين قوم يفتخرون بآبائهم او ليكونن اهون على الله من الجعلان رواه البزار وروى ابو داود والترمذي مثله مبسوطا وعن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انسابكم هذه ليست بمسبة على احد كلكم بنو آدم طف الصاع بالصاع لم تملؤه ليس لاحد على احد فضل الا بدين وتقوى وكفى بالرجل ان يكون بذيا فاحشا بخيلا رواه احمد والبيهقي وقوله ان الله عليم خبير اى عليم بكم خبير باموركم فيهدي من يشاء ويضل من يشاء ويفضل من يشاء على من يشاء وهو الحكيم في ذلك كله **قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون قل اتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون** انكر تعالى على الاعراب الذين اول ما دخلوا في الاسلام ادعوا لانفسهم مقام الايمان ولم يتمكن الايمان في قلوبهم بعد بقوله قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا وفي الآية دليل لاهل السنة ان الايمان اخص من الاسلام ويدل عليه حديث جبريل حين سأل عن الاسلام ثم عن الايمان ثم عن الاحسان فترقى من الاعم الى الاخص ثم الاخص منه وفي الصحيحين عن سعد بن ابي وقاص قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا وانا جالس فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم رجلا هو اعجبهم الي فقمت فقلت ما لك يا رسول الله عن فلان والله اني لاراه مؤمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مسلما ذكر ذلك سعد ثلثا واجابه بمثل ذلك ثم قال اني لاعطي الرجل وغيره احب الي منه خشية ان يكب في النار على وجهه فقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمن والمسلم فدل على ان الايمان اخص من الاسلام كما تقرر في كتاب الايمان في شرح صحيح البخاري ودل ذلك ان ذاك الرجل كان مسلما غير منافق وان هؤلاء الاعراب المذكورين في الآية ليسوا بمنافقين بل مسلمون لم يستحكم الايمان في قلوبهم فادعوا لانفسهم مقاما اعلى مما وصلوا اليه فادبوا في ذلك وهذا معنى قول ابن عباس وطائفة واختاره ابن جرير وذهب الامام البخاري الى ان هؤلاء كانوا منافقين يظهرون الايمان لكل وجهة والله اعلم وقوله ولكن قولوا اسلمنا اى استسلمنا خوف القتل والسبي قال مجاهد نزلت في بني اسد بن خزيمة ولما يدخل الايمان في قلوبكم اى لم تصلوا الى حقيقة الايمان بعد ثم قال وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا اى لا ينقصكم من اجورها شيئا وقوله ان الله غفور رحيم اى لمن تاب اليه واناب وقوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا اى لم يشكوا ولم يتزلزلوا بل ثبتوا على حالة واحدة وهي التصديق المحض وجاهدوا باموالهم وانفسهم اى وبذلوا نفائس اموالهم ومهجتهم في طاعة الله ورضوانه اولئك هم الصادقون اى في قولهم اذا قالوا انهم مؤمنون لا كبعض الاعراب الذين ليس معهم من الدين الا الكلمة الظاهرة وعن ابي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المؤمنون في الدنيا على ثلثة اجزاء الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذي يأمنه الناس على اموالهم وانفسهم ثم الذي اذا اشرف على طمع تركه لله عز وجل وقوله قل اتعلمون الله بدينكم اى اتخبرونه بما في ضمائركم والله يعلم ما في السموات وما في الارض اى لا يخفى عليه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر والله بكل شيء عليم ثم قال يمنون عليك ان اسلموا يعني الاعراب الذين يمنون باسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد الله عليهم قائلا قل لا تمنوا علي اسلامكم فان نفع ذلك يعود عليكم ولله المنة عليكم فيه بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين اى في دعواكم ذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للانصار يوم حنين يا معشر الانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وكنتم عالة فاغناكم الله بي كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله امن وعن ابن عباس قال جاءت بنو اسد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله اسلمنا وقاتلتك العرب ولم نقاتلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فقههم قليل وان الشيطان ينطق على السنتهم ونزلت هذه الآية يمنون عليك الى قوله صادقين ثم كرر الاخبار بعلمه بجميع الكائنات وبصره باعمال المخلوقات فقال ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون

تفسير سورة ق وهي مكية

هذه السورة هي اول الحزب المفصل على الصحيح وقيل من الحجرات ولا قائل بها والدليل على صحة الاول ما في مسند احمد وسنن ابي داود وابن ماجه عن اوس بن حذيفة قال سألت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تحزبون القرآن فقالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع واحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل وحده اذا علم هذا فاذا عددت ثمانيا واربعين سورة فالتي بعدهن سورة ق وبيانه ثلث البقرة وآل عمران والنساء وخمس المائدة والانعام والاعراف والانفال وبراءة وسبع يونس وهود ويوسف والرعد وابرهيم والحجر والنحل وتسع سبحان والكهف ومريم وطه والانبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان واحدى عشرة الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمن والم السجدة والاحزاب وسبا وفاطر ويس وثلث عشرة الصافات وص والزمر وغافر وحم السجدة وحم عسق والزخرف والدخان والجاثية والاحقاف والقتال والفتح والحجرات ثم بعد ذلك الحزب المفصل كما قاله الصحابة رضي الله عنهم فتعين ان اوله سورة ق ولله الحمد وعن ابي واقد الليثي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيد بق واقتربت رواه مسلم واهل السنن الاربعة وعن ام هشام بنت حارثة بن النعمان قالت ما حفظت ق الا من في رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ هذه السورة في الجامع الكبار كالعيد والجمع لتضمنها قواعد ايمانية من ابتداء الخلق والبعث والنشور والمعاد والقيام والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب والترغيب والترهيب

بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقرآن المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ءاذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في امر مريج قال مجاهد وغيره ق حرف من حروف الهجاء المذكورة في اوائل السور كقوله ص ون ونحو ذلك وتقدم البحث عنها في اول سورة البقرة وقيل ق جبل محيط بجميع الارض وهذا من خرافات بني اسرائيل واختلاق زنادقتهم اضلالا للناس والله اعلم وقد اكثر كثير من المفسرين من الحكاية عن كتب اهل الكتاب في تفسير القرآن وليس لنا احتياج الى ذلك بحمد الله وقيل المراد قضي الامر والله وانها دلت على محذوف كقوله فقلت لها قفي فقالت ق وفيه نظر لعدم الدليل على ذلك وقوله والقرآن المجيد اى الكريم العظيم واختلفوا في جواب القسم ما هو فنقل هو قوله قد علمنا ما تنقص الارض منهم وفيه نظر بل هو مضمون الكلام بعد القسم وهو اثبات النبوة واثبات المعاد وتقريره وتحقيقه وان لم يكن القسم متلقى لفظا كما هو لشيء كما سبق في قوله ص وقوله بل عجبوا ان جاءهم اى تعجبوا من ارسال رسول اليهم

من البشر كما قال أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم يعني ليس هذا بعجيب فإن الله يصطفي من الملائكة رسلا
ومن الناس ثم أخبر عنهم في تعجبهم أيضا من المعاد واستبعادهم لوقوعه فقال أإذا متنا أي يقولون أإذا
متنا وبلينا وصرنا ترابا كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلى هذه البنية والتركيب ذلك رجع بعيد أي بعيد الوقوع
لما كانوا يعتقدون استحالته وعدم إمكانه فقال تعالى رادا عليهم قد علمنا ما تنقص الأرض منهم أي نعلم ما تأكل من
أجسادهم في البلى ولا يخفى علينا أين تفرقت الأبدان وأين ذهبت وإلى أين صارت وعندنا كتاب حفيظ أي حافظ لذلك
فالعلم شامل وكل الأشياء في الكتاب محفوظة مضبوطة ثم بين تعالى سبب كفرهم وعنادهم واستبعادهم ما ليس بعيدا
فقالوا بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج وهذا حال كل من خرج عن الحق ومتابعته لما قال بعد ذلك فهو باطل
والمريج المضطرب المختلف كما قال قتادة من ترك الحق مرج عليه أمره والتبس عليه دينه أفلم ينظروا إلى السماء
فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي
وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا
فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا
به بلدة ميتا كذلك الخروج نبه تعالى عباده على قدرته العظيمة التي أظهر بها ما هو أعظم مما تعجبوا مستبعدين
لوقوعه فقال أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها أي بالنجوم وما لها من فروج أي من شقوق وفتوق
أي ليس فيه عيب ولا نقص وقوله والأرض مددناها أي وسعناها وفرشناها وألقينا فيها رواسي وهي الجبال لئلا
تميد بأهلها ولا تضطرب فإنها مستقرة على تيار الماء المحيط بها من جوانبها وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج أي حسن كريم
يسر به تبصرة وذكرى أي جعلنا ذلك تبصرة وتذكرة لكل عبد منيب أي خاضع متواضع وجل رجاع إلى الله وقوله و
نزلنا من السماء ماء مباركا أي نافعا فأنبتنا به جنات أي حدائق وبساتين ونحوها وحب الحصيد أي وحب النبت
الحصيد وهو الزرع الذي يدخر حبه والنخل باسقات أي طوال شاهقات قاله ابن عباس وغير واحد لها طلع نضيد
أي منضود رزقا للعباد أي للخلائق وأحيينا به بلدة ميتا وهي الأرض التي كانت هامدة لا نبات فيها فلما نزل عليها الماء
اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج من أزاهير وغيرها مما تحار الطرف في حسنها فهذا مثال في البعث بعد الموت
كذلك يحيي الله الموتى كما فعلها من الآيات البينات كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد
وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد أفعيينا بالخلق
الأول بل هم في لبس من خلق جديد هدد الله تعالى كفار قريش بما أحله الله بأشباههم ونظرائهم من المكذبين
قبلهم من النقمات والعذاب الأليم في الدنيا كقوم نوح وما عذبهم به من الغرق العام لجميع أهل الأرض وأصحاب الرس
كما سبق في سورة الفرقان وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وهم أمته من أهل سدوم ومقابلتها من الغور وكيف
خسف الله بهم الأرض وصيرها بحيرة منتنة خبيثة بكفرهم وطغيانهم وأصحاب الأيكة وهم قوم شعيب وقوم
تبع وهو اليماني وقد سبق شأنه في سورة الدخان كل كذب الرسل أي كل من هذه الأمم وهؤلاء القرون كذب رسولهم
ومن كذب برسول فكأنما كذب بجميع الرسل كقوله كذبت قوم نوح المرسلين فحق وعيد أي فحق عليهم ما أوعدهم الله على
التكذيب من العذاب والنكال فليحذر المخاطبون أن يصيبهم ما أصابهم وقوله أفعيينا بالخلق الأول أي أفأعجزنا ابتداء
الخلق حتى هم في شك من الإعادة بل هم في لبس من خلق جديد يعني أن ابتداء الخلق لم يعجزنا فكيف يعجزنا الإعادة وهي

ألم نعجز عن الخلق الأول
كما علموا حتى نعجز عن الثاني

أهون منه كما قال وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وقد سبق في الصحيح يقول الله تعالى يؤذيني ابن آدم يقول
لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه
ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول
إلا لديه رقيب عتيد وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ في الصور ذلك
يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديد أخبر تعالى عن قدرته على الإنسان بأنه خالقه وعلمه محيط بجميع أموره حتى أنه تعالى يعلم ما توسوس به
نفوس بني آدم من الخير والشر وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت
أنفسها ما لم تعمل به أو تتكلم وقوله ونحن أقرب إليه من حبل الوريد يعني ملائكته أقرب إلى الإنسان من حبل العنق وهو عرق بين
الحلقوم والعلباوين متفرق في البدن ومن تأوله على العلم فإنما فر من الحلول والاتحاد تعالى الله وتقدس منهما فإنهما منفيان
بالإجماع ولكن اللفظ لا يقتضيه فإنه لم يقل وأنا أقرب إليه بل قال ونحن أقرب إليه كما قال في المحتضر ونحن أقرب إليه منكم ولكن
لا تبصرون يعني ملائكته فللملك لمة من الإنسان كما أن للشيطان لمة كذلك يجري من ابن آدم مجرى الدم كما أخبر بذلك الصادق
المصدوق ولهذا قال ههنا إذ يتلقى المتلقيان يعني الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان عن اليمين وعن الشمال قعيد أي قاعد مترصد
ملازم فالذي عن اليمين يكتب الحسنات والذي عن الشمال يكتب السيئات ما يلفظ أي ابن آدم من قول أي ما يتكلم بكلمة إلا لديه
رقيب عتيد أي إلا ولها من يراقبها حافظا حاضرا يعتدها لذلك واختلفوا هل يكتب الملك كل شيء من الكلام كما هو قول الحسن
وقتادة أو إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب كما هو قول ابن عباس على قولين وظاهر الآية مع الأول وعن بلال بن الحارث
المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها
سخطه عليه إلى يوم يلقاه رواه أحمد والنسائي والترمذي وصححه وكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن
الحارث قال الأحنف بن قيس صاحب اليمين يكتب وهو أمير على صاحب الشمال فإن أصاب العبد خطيئة قال له أمسك
فإن استغفر الله نهاه أن يكتبها وإن أبى كتبها وذكر عن الإمام أحمد أنه كان يئن في مرضه فبلغه عن طاووس أنه يكتب كل شيء
حتى الأنين فلم يئن أحمد حتى مات رحمه الله وقوله وجاءت سكرة الموت بالحق أي وجاءت أيها الإنسان فإنه المخاطب على الصحيح
وعن عائشة أنها قالت لما ثقل أبو بكر تمثلت بهذا البيت: من لا يزال دمعه مقنعا: فإنه لا بد مرة مدفوق: وفي رواية أنها
قالت: لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى: إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر: قالت فكشف عن وجهه فقال يا بنية
كذلك ولكن كما قال تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد أي تكره وتهرب وأصل الحيد الميل وقد ثبت
في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق عن وجهه يقول سبحان الله إن للموت سكرات
وقوله ونفخ في الصور قد سبق الكلام في نفخ الصور للفزع والصعق والبعث وذلك يوم القيمة وعن أبي سعيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه وأصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ فقالوا يا رسول الله
فما تأمرنا قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل رواه الترمذي وقوله جاءت كل نفس معها سائق وشهيد أي ملك يسوقه إلى المحشر
وملك يشهد عليه بأعماله هذا هو الظاهر من الآية وهو اختيار ابن جرير وقال عثمان وغيره ما جد وقال أبو هريرة السائق الملك
والشاهد العمل وقال ابن عباس السائق من الملائكة والشهيد الإنسان نفسه يشهد على نفسه وقوله لقد كنت في غفلة من هذا
أي في الدنيا وفيه ثلاثة أقوال أحدها أن المراد بذلك الكافر وهذا عن ابن عباس والثاني أن المراد كل أحد من بر وفاجر

وجعلت الغفلة كأنها
غطاء غطي به جسده كله أو غشاوة غطي بها عينيه

لان الآخرة بالنسبة الى الدنيا كاليقظة والدنيا كالنوم وهو اختيار ابن جرير الثالث ان المخاطب بذلك النبي صلى الله عليه و
سلم وبه قال ابن زيد واتبوه على معنى لقد كنت في غفلة من هذا القرآن قبل ان يوحى اليك فكشفنا عنك غطاءك بانزاله اليك
فبصرك اليوم حديد متبصر لذلك وتعلمه والظاهر من السياق خلاف هذا بل الخطاب مع الانسان من حيث هو والمراد بقوله لقد
كنت في غفلة من هذا اي من هذا اليوم فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد اي قوي لان كل احد يكون يوم القيمة مستبصرا
حتى الكفار يكونون يوم القيمة على الاستقامة لكن لا ينفعهم ذلك قال تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم
الآية **وقال قرينه هذا ما لدي عتيد القيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذي
جعل مع الله الها آخر فالقياه في العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال
بعيد قال لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد**
اخبر تعالى عن الملك الموكل بعمل ابن آدم انه يشهد عليه يوم القيمة بما فعل ويقول هذا ما لدي عتيد اي معد محضر بلا زيادة ولا
نقصان وقال مجاهد هذا كلام الملك السائق واختار ابن جرير يشمل السائق والشهيد وهو موجه فعند ذلك يحكم الله
في خلقه بالعدل فيقول القيا في جهنم كل كفار عنيد واختلفوا في قوله القيا فقال بعضهم هي لغة لبعض العرب يخاطبون
المفرد بالتثنية وانشد ابن جرير على هذا قول الشاعر ∴ فان تزجراني يا ابن عفان انزجر ∴ وان تتركاني احم عرضا ممنعا ∴
وقيل الخطاب للسائق والشاهد وهو الظاهر فالسائق احضره الى عرصة الحساب فلما ادى الشهيد عليه امرهما الله بالقائه
في نار جهنم والكفار العنيد هو كثير الكفر والتكذيب بالحق المعاند له وهو معارض للحق بالباطل مع علمه بذلك مناع للخير اي
لا يؤدي ما عليه من الحقوق ولا بر فيه ولا صلة ولا صدقة معتد اي فيما ينفقه ويصرفه يتجاوز فيه الحد مريب اي شاك
في التوحيد وفي امره الذي جعل مع الله الها آخر وهو الشرك بالله فالقياه في العذاب الشديد وعن ابي سعيد عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال يخرج عنق من النار يتكلم يقول وكلت اليوم بثلثة بكل جبار عنيد وكل من دعا مع الله الها آخر
وبالمصورين وفي رواية من قتل نفسا بغير نفس بدل المصورين ثم ينطوي عليهم رواه احمد والترمذي عن ابي هريرة قال
قرينه قال ابن عباس واتباعه هو الشيطان الذي وكل به ربنا ما اطغيته اي ما اضللته ولكن كان في ضلال بعيد اي بل
كان هو في نفسه ضالا قابلا للباطل معاندا للحق كما في آية اخرى وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم
لي الآية وقوله لا تختصموا لدي اي يقول الرب تعالى للانسي وقرينه من الجن وذلك انهما يختصمان بين يدي الحق فيقول
الانسي هذا اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني ويقول الشيطان ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد اي عن منهج الحق
فيقول الرب تعالى لهما لا تختصموا لدي اي عندي وقد قدمت اليكم بالوعيد اي قد اعذرت اليكم على السنة الرسل
وانزلت الكتب وقامت عليكم الحجج والبينات ما يبدل القول لدي قال مجاهد يعني قضيت ما انا قاض به وما انا بظلام
للعبيد اي لست اعذب احدا بذنب احد بل بذنبه بعد قيام الحجة عليه **يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول
هل من مزيد وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ من خشي
الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤن فيها
ولدينا مزيد** اخبر تعالى انه يقول لجهنم هل امتلأت وذلك لانه وعدها ان سيملأها من الجنة والناس اجمعين فهو سبحانه
يامر بمن يامر به اليها ويلقى فيها وهي تقول هل من مزيد اي هل بقي شيء تزيدوني هذا هو الظاهر من الآية كما روى انس عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى في النار وهي تقول هل من مزيد حتى يضع قدمه فيها فتقول قط قط رواه البخاري وفي رواية

فان قلت كيف قال بظلام على لفظ المبالغة قلت فيه وجهان ان يكون من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده وان يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب لكنت ظلاما مفرط الظلم فنفى ذلك

[illegible]

قوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين اي قربت غير بعيد ينظرون اليها قبل ان يدخلوها
هذا ما توعدون هذا الذي ترونه ما توعدون على السنة الانبياء عليهم السلام
لكل اواب رجاع الى الطاعة عن المعاصي قال سعيد بن المسيب هو الذي
يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الشعبي ومجاهد الذي يذكر ذنوبه
في الخلاء فيستغفر منها وقال الضحاك هو التواب وقال عطا المسبح
من قوله يا جبال اوبي معه وقال قتادة المصلي حفيظ قال ابن عباس
الحافظ لامر الله وقال الضحاك المحافظ على نفسه المتعهد لها [illegible]

لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيزوي بعضها الى بعض وتقول قط قط وعزتك
وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله خلقا آخر فيسكنهم في فضول الجنة رواه احمد ولمسلم نحوه وعن ابي هريرة قال
قال النبي صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني
الا ضعفاء الناس وسقطهم وغرتهم قال الله للجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي وقال للنار انما
انت عذابي اعذب بك من اشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها فاما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله فيها رجله فتقول
قط قط قط فهنالك تمتلئ وتزوي بعضها الى بعض فلا يظلم الله من خلقه احدا واما الجنة فان الله ينشئ لها خلقا هكذا
في الصحيحين وقوله وازلفت الجنة قال قتادة وغير واحد اي ادنيت وقربت من المتقين غير بعيد وذلك يوم القيمة
وليس ببعيد لانه واقع لا محالة هذا ما توعدون لكل اواب اي رجاع تائب حفيظ اي يحفظ العهد فلا ينقضه و
لا ينكثه قال عبيد بن عمير الاواب الحفيظ الذي لا يجلس مجلسا فيقوم حتى يستغفر الله من خشي الرحمن بالغيب اي من
خاف الله في سره حيث لا يراه احد الا الله كما قال عليه الصلوة والسلام ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه وجاء
بقلب منيب اليه خاضع لديه ادخلوها بسلام اي بسلامة من العذاب والهموم وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم وقيل
ذلك يوم الخلود اي يخلدون في الجنة فلا يموتون ابدا ولا يبغون سرمدا وقوله لهم ما يشاؤن فيها اي مهما ارادوا
وجدوا من اي اصناف الملاذ احضر لهم على الفور ولدينا مزيد قال كثير بن مرة من المزيد ان تمر السحابة باهل الجنة
فتقول ماذا تريدون فامطره لكم فلا يدعون بشيء الا امطرتهم وفي الحديث عن ابن مسعود انه عليه الصلوة والسلام
قال انك لتشتهي الطير في الجنة فيخر بين يديك مشويا وهو كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقد سبق انها النظر
الى وجهه الكريم وقال انس بن مالك في قوله ولدينا مزيد يظهر لهم الرب في كل جمعة وقد اورد الشافعي في كتاب الام
عن انس قال اتى جبرئيل بمرآة بيضاء فيها نكتة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذه
فقال هذه الجمعة فضلت بها انت وامتك فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها
مؤمن يدعو الله بخير الا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبرئيل وما يوم المزيد قال ان ربك
اتخذ في الفردوس واديا افيح فيه كثيب مسك فاذا كان يوم الجمعة انزل الله ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها
مقاعد النبيين وحفت تلك المنابر بكراسي من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون
فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله انا ربكم قد صدقتكم وعدي فاسئلوني اعطكم فيقولون ربنا نسألك رضوانك
فيقول قد رضيت عنكم ولكم علي ما تمنيتم ولدي مزيد فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير وهو اليوم الذي
استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة رواه ابن جرير باسط من هنا **وكم اهلكنا قبلهم
من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص ان في ذلك لذكرى لمن كان
له قلب او القى السمع وهو شهيد ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام
وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب
ومن الليل فسبحه وادبار السجود** يعني وكم اهلكنا قبل هؤلاء المكذبين من قرن هم اشد منهم بطشا اي كانوا
هم اكثر منهم واشد قوة فنقبوا في البلاد قال ابن عباس اي اثروا فيها وقال غيره اي ساروا وضربوا فيها سائرين
يبتغون الارزاق والمتاجر والمكاسب اكثر مما طفتم بها ويقال لمن طوف في البلاد نقب فيها قال امرؤ القيس

فنقبوا ارفقوا المسالك في البلاد
من النقب وهو الطريق والمعنى
دوخوا وذللوا البلاد وتفرقوا
على حوزها ه

در بعضی تفاسیر آورده که فردای قیامت چون
اهل بهشت در بهشت قرار گیرند فرمان شود که
امروز روز وفا وعده منست سر بر آرند تا دیدار
من ببینند چون حق تعالی را ببینند شرمسار از گناه
کاری خود گردند و سر بر زمین نهند و از شرم سر بر
نگیرند گویند کاشکی ما نافرمانی نکردمانی فرمان
شود که امروز سجده بهشت هر چه کردید از شما
درگذاشتم و عفو کردم گویند الهی اگر چه تو به کرم
عفو فرمودی ولی شرمساری از دل ما نمیرود و
حق تعالی بادی را فرمان دهد تا از دلهای ایشان
بوزد و آن شرمساری از دلهای ایشان ببرد و
فراموش شود
درحق گنهکار که بخشند شرمساری بس است

[illegible]

لقد نقبت في الآفاق حتى ∴ رضيت من الغنيمة بالاياب ∴ وقوله هل من محيص اي هل من مفر كان لهم من قضاء الله وقدره وهل نفعهم ما جمعوه او رد عنهم عذاب الله اذ جاءهم لما كذبوا الرسل فانتم ايضا لا مفر لكم وقوله ان في ذلك لذكرى اي لعبرة لمن كان له قلب اي قلب وعقل يعي او القى السمع وهو شهيد اي استمع الكلام فوعاه ويعقله بقلبه ويفهمه بلبه والعرب تقول القى فلان سمعه اذا استمع باذنيه وهو شاهد غير غايب وقوله لقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب اي من اعياء ولا نصب ولا تعب اي من كان قادرا على هذا فهو على احياء الموتى اقدر قال قتاده قالت اليهود خلق الله السموات والارض في ستة ايام ثم استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت وهم يسمونه يوم الراحة فانزل الله تكذيبهم فيما قالوه وقوله فاصبر على ما يقولون يعني هولاء المكذبين واهجرهم وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وكانت الصلوة المفروضة قبل الاسراء ثنتان قبل طلوع الشمس في وقت الفجر وقبل الغروب في وقت العصر وقيام الليل كان واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى امته حولا ثم نسخ في حق الامة وجوبه ثم بعد ذلك نسخ الله ذلك كله ليلة الاسراء بخمس صلوات ولكن منهن صلوتا الصبح والعصر فهما قبل الطلوع وقبل الغروب وفي الصحيحين عن جرير بن عبد الله قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال اما انكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر لا تضامون فيه فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلوة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وقوله ومن الليل فسبحه اي فصل له وادبار السجود قال ابن عباس هو التسبيح بعد الصلوة ويويده ما في الصحيحين عن ابي هريرة انه قال جاء فقراء المهاجرين فقالوا يا رسول الله ذهب اهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال وما ذاك قالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق قال افلا اعلمكم شيئا اذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ولا يكون احد افضل منكم الا من فعل مثل ما فعلتم تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلوة ثلثا وثلثين فقالوا يا رسول الله سمع اخواننا اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال ذلك فضل الله يوتيه من يشاء وقيل المراد الركعتان بعد المغرب قاله علي وابن عباس وغير واحد كما روى علي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على اثر كل صلوة مكتوبة ركعتين الا الفجر والعصر رواه احمد وابو داود والنسائي وعن ابن عباس قال بت ليلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ركعتين خفيفتين اللتين قبل الفجر ثم خرج الى الصلوة فقال يا ابن عباس ركعتين قبل صلوة الفجر ادبار النجوم وركعتين بعد المغرب ادبار السجود رواه الترمذي وغيره **واستمع يوم ينادي المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج انا نحن نحيي ونميت والينا المصير يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار فذكر بالقران من يخاف وعيد** يعني استمع يا محمد يوم ينادي الملك المنادي بالحشر وهو اسرافيل ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء يوم يسمعون الصيحة بالحق يعني النفخة في الصور التي ياتي بالحق الذي كان اكثرهم فيه يمترون ذلك يوم الخروج اي من الاجداث انا نحن نحيي ونميت والينا المصير اي هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه واليه مصير الخلائق كلهم فيجازي كلا بعمله قوله يوم تشقق الارض عنهم سراعا وذلك ان الله عز وجل ينزل مطرا من السماء ينبت به اجساد الخلائق في قبورها كما ينبت الحب في الثرى بالماء فاذا تكاملت الاجساد امر الله اسرافيل فنفخ في الصور وقد اودعت الارواح في ثقب الصور فاذا نفخ فيه خرجت الارواح يتوهج بين السماء والارض فيقول الله وعزتي وجلالي لترجعن كل روح الى الجسد الذي كانت تعمره فترجع كل روح الى جسدها فيدب

من مكان قريب

عن انس قال بعث الفقراء رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني رسول الفقراء اليك فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم جئت من قوم احبهم قال يا رسول الله يقول الفقراء ان الاغنياء قد ذهبوا بالخير كله هم يحجون ولا نقدر ويتصدقون ولا نقدر ويعتقون ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا بفضل اموالهم ذخرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ عني الفقراء ان من صبر منكم واحتسب فله ثلث خصال ليس للاغنياء منها شيء اما الخصلة الواحدة ان في الجنة غرفة من ياقوت حمراء ينظر اليها اهل الجنة كما ينظر اهل الارض الى النجوم لا يدخلها الا نبي فقير او شهيد فقير او مومن فقير والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام يتنعمون فيها حيث شاءوا ويدخل سليمان بن داود عليهما السلام الجنة بعد دخول الانبياء باربعين عاما بسبب الملك الذي اعطاه الله تعالى والخصلة الثالثة اذا قال الفقير سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مخلصا ويقول الغني مثل ذلك مخلصا لم يلحق الغني الفقير وان انفق فيها عشرة الاف درهم وكذلك اعمال البر كلها فرجع اليهم الرسول فاخبرهم بذلك فقالوا رضينا يا رب رضينا يا رب

رواه الرزين وابو داود

فيه كما يدب السم في اللديغ وتنشق الارض عنهم فيقومون الى موقف الحساب سراعا مبادرين الى امر الله وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول من تنشق عنه الارض رواه مسلم وقوله ذلك حشر علينا يسير اي تلك اعادة سهلة علينا يسيرة لدينا كما قال وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر وقوله نحن اعلم بما يقولون لك المشركون من التكذيب والانكار فلا يهمنك ذلك وقوله وما انت عليهم بجبار اي ولست بالذي تجبر هولاء على الهدى وليس ذلك مما كلفت به انما بعثت مذكرا ثم قال فذكر بالقران من يخاف وعيد اي بلغ انت رسالة ربك فانما يتذكر من يخاف الله ووعيده ويرجو وعده و كان قتاده يقول اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعودك يا بار يا رحيم

تفسير سورة الذاريات وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات امرا انما توعدون لصادق وان الدين لواقع والسماء ذات الحبك انكم لفي قول مختلف يوفك عنه من افك قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون يسئلون ايان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون سئل علي بن ابي طالب فقيل له ما معنى قوله تعالى والذاريات ذروا فقال الريح فالحاملات وقرا قال السحاب فالجاريات يسرا قال السفن فالمقسمات امرا قال الملئكة وهكذا روي عن عمر بن الخطاب مرفوعا وبه فسرها ابن عباس وغير واحد وهذا قسم من الله تعالى على وقوع المعاد ولهذا قال انما توعدون لصادق اي لخبر صدق وان الدين وهو الحساب لواقع اي لكائن لا محالة فالوقر الثقل يعني يحمل الماء الثقيل الغزير والسفن التي تجري في الماء جريا سهلا والملئكة الذين يقسمون الامور الشرعية والكونية بين الخلائق بامر الله و قوله والسماء ذات الحبك اي البهاء والجمال والحسن والاستواء قاله ابن عباس وكثيرون ومعنى الحبك الجودة ولهذا قال بعضهم هو ان الماء اذا مرته الريح تجعده فينسج بعضه بعضا طرايق طرايق فذلك الحبك وقيل الحبك الشدة يعني ذات الصفاقة جلت بالنجوم وقيل يعني السماء السابعة وهي التي فيها الكواكب الثابتة وهي عند اهل الهيئة في الفلك الثامن الذي فوق السابع والله اعلم وهذه الاقوال متقاربة راجعة الى الحسن والبهاء كما قال ابن عباس فانه من حسنها مرتفعة شفافة صفيقة شديدة البناء متسعة الارجاء انيقة البهاء مكللة بالنجوم الثوابت والسيارات موشحة بالشمس والقمر والكواكب الزاهرات وقوله انكم لفي قول مختلف اي انكم ايها المشركون المكذبون للرسل لفي قول مضطرب لا يلتئم ولا يجتمع وقوله يوفك عنه من افك اي يصرف عن الايمان من صرف ويضل من ضل اي انما يروج على من هو ضال في نفسه لانه قول باطل وذلك انهم كانوا اختلفوا الذي يريد الايمان فيقولون هو ساحر كاهن مجنون فيصرفونه عن الايمان ف قوله قتل الخراصون اي الكذابون الذين لا يوقنون بالبعث وقيل المرتابون وقيل هم الكهنة وقوله الذين هم في غمرة ساهون اي في غفلة وكفر غافلون لاهون يسئلون ايان يوم الدين يعني متى يوم القيمة وانما يقولون هذا تكذيبا وعنادا و شكا واستبعادا قال تعالى يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون ويحرقون وقال مجاهد كما يفتن الذهب في النار ذوقوا فتنتكم اي عذابكم وحرقتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون اي يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا **ان المتقين في جنات وعيون اخذين ما اتيهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وفي اموالهم حق للسائل والمحروم وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون** اخبر تعالى عن المتقين لله انهم يوم معادهم في جنات وعيون بخلاف

والقصة في ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فشا خبره في البلاد ان جعل الناس يبعثون رجالا من ذوي الراي والعقل يقولون لهم انطلقوا الى قوم هذا الرجل فسلوهم عنه فينطلق الرجل فيلقى المشركين من اهل مكة فيقول ان قومي بعثوني اليكم في هذا الرجل فاخبروني عنه من هو وما الذي يدعو اليه فيقولون انه كاذب ساحر وكاهن وان لا تراه ولا يراك خير لك فيرجع الى قومه فيخبرهم بما سمع فيقولون ان قومه اعلم به ويشاع ذلك في العرب فمنهم من يرجع ولا يلتفت الى ما سمع ومنهم من يثبت على كفره فذلك قوله تعالى يوفك عنه من افك اي يصرف عن النبي من قد صرف عن الايمان به [illegible]

ما اولئك الاشقياء فيه من العذاب والنكال وقوله آخذين ما آتاهم ربهم قال ابن جرير اي عاملين بما آتاهم الله من
الفرائض انهم كانوا قبل ذلك محسنين اى قبل ان يفرض عليهم كانوا محسنين ايضا في الاعمال والظاهر ان قوله آخذين
حال من قوله في جنات وعيون فالمتقون في حال كونهم في الجنات والعيون آخذين ما آتاهم ربهم اي من النعيم والسرور
والغبطه وقوله انهم كانوا قبل ذلك اى في الدنيا محسنين كقوله كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخاليه ثم انه
تعالى بين احسانهم في العمل فقال كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وفي ما قولان احدهما انها نافيه تقديره كانوا قليلا من الليل
ما يهجعونه قال ابن عباس لم يكن تمضي عليهم ليلة واحدة الا ياخذون منها ولو شيئا وقال مطرف قل ليلة تاتي عليهم
لا يصلون فيها لله تعالى اما من اولها واما من اوسطها وقال مجاهد قلما يرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهجدون وقيل كانوا
يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلوة الاوابين والثاني ان ما مصدريه تقديره كانوا قليلا من الليل هجوعهم ونومهم
اختاره ابن جرير وقال الحسن كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل الا اقله فنشطوا فمدوا الى السحر حتى كانوا مستغفرين بسحر
وقال رجل لابي امامه صفة لا اجدها فينا ذكر الله بها قوما فقال كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ونحن والله قليلا من
الليل ما نقوم فقال له طوبى لمن رقد اذا نعس واتقى الله اذا استيقظ وقال عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم المدينه كان اول ما سمعته يقول اطعموا الطعام وصلوا الارحام وافشوا السلام وصلوا بالليل والناس نيام
قال الزهري والحسن كانوا اكثر من الليل ما يصلون وقوله وبالاسحار هم يستغفرون قال مجاهد وغير واحد يصلون ويمدون
الاستغفار الى الاسحار كما قال تعالى والمستغفرين بالاسحار فان كان الاستغفار في صلوة فهو احسن وقد ثبت في الصحاح
وحديث النزول هل من تائب فاتوب عليه هل من مستغفر فاغفر له هل من سائل فيعطى سؤله حتى يطلع الفجر وقوله وفي اموالهم
حق لما وصفهم بالصلوة ثنى بوصفهم بالزكوة والبر والصلة فقال وفي اموالهم حق اى جزء مقسوم قد افرزوه للسائل
والمحروم اما السائل فمعروف وهو الذي يبتدى بالسؤال وله حق كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان
جاء على فرس رواه احمد وابو داود واما المحروم فقال ابن عباس هو المحارف الذي ليس له في الاسلام سهم اى
في بيت المال ولا كسب له ولا حرفة وقيل هو الذي ليس له في الغنيمة والفيء سهم وقيل هو المتعفف الذي لا يسال
وقيل هو المصاب ماله بالجائحة وقوله وفي الارض آيات للموقنين اي فيها من الآيات الداله على عظمة خالقها
وقدرته الباهرة مما قد ذرأ فيها من صنوف النباتات والحيوانات والمهاد والجبال والقفار والانهار والبحار
واختلاف السنة الناس والوانهم وما جبلوا عليه من القوى وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات
والسكنات والسعاده والشقاوة وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل من اجسادهم في المحل الذي هو محتاج اليه
فيه ولهذا قال وفي انفسكم افلا تبصرون اي وفيها آيات اذ كانت نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما الى ان
نفخ فيه الروح ثم قال وفي السماء رزقكم يعني المطر وما توعدون يعني الجنه قاله ابن عباس وغير واحد وقال
عكرمه اي من الثواب والعقاب ثم اقسم بنفسه فقال فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون
اي ما وعدتهم به من امر القيمه والبعث والجزاء كائن لا محالة وهو حق لا مرية فيه كما لا تشكون في نطقكم حين تنطقون
وكان معاذ بن جبل اذا حدث بالشيء يقول لصاحبه ان هذا لحق كما انك ههنا وعن الحسن البصري بلغني ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قاتل الله اقواما اقسم لهم ربهم ثم لا يصدقونه رواه ابن جرير مرسلا هل اتيك
حديث ضيف ابرهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ

الى اهله

عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ويل للاغنياء
من الفقراء يوم القيمة يقولون ربنا ظلمونا
حقوقنا التي فرضت لنا عليهم فيقول
وعزتي وجلالي لاقربنكم ولابعدنهم

قرئ مثل بالرفع صفة للحق اي حق مثل نطقكم وبالنصب
على انه لحق حقا مثل نطقكم

عن الاصمعي اقبلت من جامع البصره فطلع اعرابي على قعود فقال ممن الرجل قلت من بني اصمع قال من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن فقال اتل علي فتلوت
والذاريات فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت
مع الرشيد طفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف بي بصوت دقيق فالتفت فاذا انا بالاعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرأ السوره فلما بلغت الآية
صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي اغضب الجليل حتى
حلف لم يصدقوه بقوله حتى الجاؤه الى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه
سو كشاو

فاخبرهم بذلك فقالوا رضينا يا رب ... رواه الترمذي وابو داود

الى اهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تاكلون فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف
وبشروه بغلام عليم فاقبلت امراته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك
قال ربك انه هو الحكيم العليم سبقت هذه القصة في سورة هود والحجر ايضا فقوله هل اتيك حديث ضيف ابرهيم
المكرمين سماهم مكرمين لانهم كانوا ملئكة كراما كما قال تعالى في وصفهم بل عباد مكرمون ولان ابرهيم عليه السلم
اكرمهم بتعجيل قراهم وقوله فقالوا سلاما قال سلام الرفع اقوى واثبت من النصب فرده افضل من التسليم فان الخليل
افضل وقوله قوم منكرون وذلك بان جبريل واسرافيل وميكائيل قدموا عليه في صورة شباب حسان عليهم مهابة
عظيمه فلم يعرفهم وقوله فراغ الى اهله اي انسل خفية في سرعة فجاء بعجل سمين اى من خيار ماله مشوى على الرضف
كما في آية اخرى فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فقربه اليهم اي ادناه منهم قال الا تاكلون تلطف في المبادرة وعرض
حسن حيث لم يقل اقربوا وكلوا وهذا كما يقول القائل اليوم ان رايت ان تتفضل وتحسن فافعل وقوله فاوجس
منهم خيفة هذا على ما تقدم في سورة اخرى وهي قوله فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا
لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط الى قوله مجيد ولهذا قال ههنا وبشروه بغلام عليم وقوله فاقبلت امراته في صرة اي
فطفقت واخذت في صيحة وعنبطة ورقة قاله ابن عباس وغير واحد وذلك قولها يا ويلتي فصكت وجهها اي
فضربت بيدها على وجهها تحيرا وتعجبا كعادة النساء اذا انكرت شيئا وقالت عجوز عقيم اي كيف الد وانا عجوز
وقد كنت في حال الشباب لا احبل قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم اي حكيم في اقواله وافعاله عليم بما يستحق
من الكرامة قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة
من طين مسومة عند ربك للمسرفين فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت
من المسلمين وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم يعني قال ابرهيم للملئكة بعد ان ذهب عنه الروع
وبشروه بالغلام العليم ما خطبكم اى ما شانكم وفيم جئتم قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني قوم لوط لنرسل عليهم حجارة
من طين مسومة اى معلمة عند ربك للمسرفين اي مكتتبة عنده باسمائهم كل حجر عليه اسم صاحبه وقوله فاخرجنا
من كان فيها من المؤمنين وهم لوط واهل بيته الا امراته فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين احتج بهذه الاية من وافق
المعتزله ممن لا يفرق بين مسمى الايمان والاسلام لانه اطلق عليهم المؤمنين والمسلمين وهذا ضعيف لان هؤلاء كانوا
قوما مؤمنين وعندنا ان كل مؤمن مسلم بلا عكس فاتفق الاسمان ههنا لخصوصية الحال ولا يلزم ذلك في كل حال
وقوله وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم اي جعلناها عبرة بما انزلنا بهم من العذاب والنكال وحجارة
السجيل وجعلنا محلتهم بحيرة خبيثة منتنة ففي ذلك عبرة للذين يخافون العذاب الاليم وفي موسى اذ ارسلناه
الى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم
في اليم وهو مليم وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم
وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن امر ربهم فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون
فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين قال تعالى وفي
موسى فهو عطف قوله وفي الارض آيات اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين اى بدليل باهر وحجة قاطعة فتولى بركنه
اى فاعرض فرعون عما جاء به موسى عنادا واستكبارا وقيل بركنه اي باصحابه وجموعه التي معه وقال ساحر او مجنون اي

اذ دخلوا عليه

قوله

عن الايمان بما جاء به

لا يخلوا امرك فيما جئتني به من ان تكون ساحرا او مجنونا فاخذناه وجنوده فنبذناهم اى القيناهم في اليم وهو البحر وهو مليم اي ملوم كافر فاجر ثم قال وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم اي المفسدة التى لا تنتج شيئا ولهذا قال ما تذر من شيء اتت عليه اى مما يفسده الريح من النفوس والمواشي والاموال الا جعلته كالرميم اي كالشيء الهالك البالي قيل هي الجنوب كما ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين قال ابن جرير يعني الى وقت فناء آجالكم فعتوا عن امر ربهم اي عقروا الناقة فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون وذلك انهم انظروا العذاب ثلثة ايام وجاءهم في صبيحة اليوم الرابع بكرة النهار فما استطاعوا من قيام اى من نهوض ولا هرب وما كانوا منتصرين اي ولا قادرين على ان ينتصروا مما هم فيه وقوله وقوم نوح من قبل اي واهلكنا قوم نوح من قبل هولاء انهم كانوا قوما فاسقين وقد سبقت هذه القصص مبسوطه في سور متعدده والله اعلم والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر اني لكم منه نذير مبين

نبه تعالى عن خلق العالم العلوي والسفلي بقوله والسماء بنيناها بايد اى بقوة قاله ابن عباس وغير واحد وانا لموسعون اي قد وسعنا ارجاءها ورفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هي والارض فرشناها اى جعلناها فراشا للمخلوقات فنعم الماهدون اى فنعم الباسطون نحن وقال ابن عباس اى نعم ما وطأت لعبادي ومن كل شيء خلقنا زوجين اي صنفين مختلفين اى جعلنا جميع المخلوقات ازواجا سماء وارضا ليلا ونهارا والشمس والقمر والبر والبحر والايمان والكفر والحيوة والموت والشقاوة والسعادة وعلى هذا ولهذا قال لعلكم تذكرون اى لتعلموا ان الخالق واحد لا شريك له ففروا الى الله اى الجاؤا واعتمدوا في اموركم عليه انى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر اى لا تشركوا به شيئا انى لكم منه نذير مبين كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون اتواصوا به بل هم قوم طاغون فتول عنهم فما انت بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المومنين وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوه المتين فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون قال تعالى مسليا لنبيه عليه الصلوة والسلم كذلك ما اتى الذين من قبلهم اى كما قال لك هولاء المشركون كذلك قال المكذبون الاولون لرسلهم يعني ما جاءهم من رسول الا كانوا يقولون هذا ساحر او مجنون عنادا واستكبارا قال تعالى اتواصوا به اي اوصى بعضهم بعضا هذه المقالة الالف فيه للتوبيخ بل هم قوم طاغون اى لكن هم قوم طغاة تشابهت قلوبهم فقال آخرهم كما قال اولهم قال تعالى فتول عنهم اى اعرض عنهم يا محمد فما انت بملوم اي فلا نلومك على ذلك وذكر فان الذكرى تنفع المومنين اى انما ينتفع بها القلوب المومنة ثم قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليقروا بعبادتي طوعا او كرها وهذا اختيار ابن جرير وقيل الا ليعرفون وقيل اي للعبادة قال السدي من العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع ولئن سالتهم من خلق السموات ليقولن الله هذا منهم عبادة وليس ينفعهم مع الشرك وقوله ما اريد منهم من رزق اي ان يرزقوا احدا من خلقي ولا ان يرزقوا انفسهم وما اريد ان يطعمون اى ان يطعموا احدا من خلقي وهذا كما جاء في الحديث يقول الله استطعمتك فلم تطعمني اى لم تطعم عبدي ثم بين ان الرزاق هو لا غيره فقال ان الله هو الرزاق اى لجميع خلقه ذو القوه

المتين

الريح العقيم هي التي لا تلقح شيئا ولا تحمل مطرا ولا تنشئ سحابا وهي الدبور

اى جعلناها سقفا

المتين اى هو القوي المقتدر الكامل في القوه والقدره قال ابن مسعود اقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم اني انا الرزاق ذو القوة المتين رواه احمد وابو داود والنسائي والترمذي وصححه ومعنى الايه انه تعالى خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له فمن اطاعه جازاه اتم الجزاء ومن عصاه عذبه اشد العذاب واخبر انه غير محتاج اليهم بل هم الفقراء في جميع الاحوال فهو خالقهم ورازقهم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله ابن آدم تفرغ لعبادتي املأ صدرك غنى واسد فقرك وان لا تفعل ملأت صدرك شغلا ولم اسد فقرك رواه احمد والترمذي وحسنه وفي بعض الكتب الالهيه يقول الله ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وتكفلت برزقك فلا تتعب واطلبني تجدني فان وجدتني وجدت كل شيء وان فتك فاتك كل شيء وانا احب من كل شيء وقوله فان للذين ظلموا ذنوبا اي نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم اى الذين اهلكوا من الامم السالفة والذنوب في اللغه الدلو العظيم المملوء ماء ثم استعمل في الحظ والنصيب فلا يستعجلون اى بالعذاب فانه واقع بهم لا محالة فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون يعني يوم القيمه

تفسير سورة والطور وهي مكيه

في الصحيحين عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب والطور فما سمعت احدا احسن صوتا او قراءة منه وعن ام سلمة قالت رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الى جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور رواه البخاري بسم الله الرحمن الرحيم والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون اقسم تعالى بمخلوقاته الدالة على قدرته العظيمه ان عذابه واقع باعدائه ولا دافع له عنهم فالطور هو الجبل الذي يكون فيه اشجار مثل الذي كلم الله عليه موسى وارسل منه عيسى وما لم يكن فيه شجر لا يسمى طورا انما يقال له جبل وكتاب مسطور قيل هو اللوح المحفوظ وقيل الكتب المنزلة التي يقرا على الناس جهارا ولهذا قال في رق منشور والبيت المعمور وهو الذي فوق السماء السابعه كعبة لاهلها وهو بحيال الكعبه الارضية كما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث الاسراء بعد مجاوزته الى السماء السابعه ثم رفع لي البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الفا لا يعودون اليه آخر ما عليهم يعني يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطوف اهل الارض بكعبتهم وفي كل سماء بيت يتعبد فيه اهلها ويصلون اليه والذي في السماء الدنيا يقال له بيت العزة وروى ان ابن الكوا سال عليا رضي الله عنه عن بيت المعمور فقال مسجد في السماء الدنيا يقال له بيت الخرة الضراح بحيال الكعبة حرمته في السماء كحرمة البيت في الارض يصلي فيه كل يوم سبعون الفا من الملكه لا يعودون فيه ابدا رواه ابن جرير وقوله والسقف المرفوع قال علي يعني السماء ثم تلا وجعلنا السماء سقفا محفوظا وبه قال غير واحد واختاره ابن جرير وقيل هو العرش يعني انه سقف لجميع المخلوقات وقوله والبحر المسجور قال الربيع بن انس هو الماء الذي تحت العرش الذي ينزل الله منه المطر الذي يحيي به الاجساد في قبورها وقال الجمهور هو هذا البحر واختلف في معنى المسجور قيل المراد انه يوقد يوم القيمه نارا كقوله واذا البحار سجرت اي اضرمت فتصير نارا تتاجج محيطة باهل الموقف هكذا روى عن علي وابن عباس وجماعة وقال ابن زيد اما سميت البحر مسجورا لانه لا يشرب منه ماء ولا يسقى به زرع

عن علي رضي الله عنه في البحر المسجور هو بحر تحت العرش عمقه كما بين سبع سموات الى سبع ارضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الاولى منه اربعين صباحا فينبتون في قبورهم

وكذلك البحار يوم القيمه وقال قتادة المسجور المملوء يقال سجرت الاناء اذا ملاته واختاره ابن جرير وقيل الفارغ و
قيل المراد بالمسجور المكفوف عن الارض لئلا يغمرها فيغرق اهلها كما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مرفوعا ليس من ليلة
الا والبحر يشرف فيها ثلث مرات يستاذن الله ان ينتضح عليهم فيكفه الله عز وجل رواه احمد وقوله ان عذاب ربك لواقع
هذا هو المقسم عليه اى واقع بالكافرين ماله من دافع اي ليس له دافع يدفعه عنهم اذا اراد الله بهم ذلك روى ان عمر بن الخطاب
قرأ ان عذاب ربك لواقع فربى لها ربوة عيد منها عشرين يوما وقوله يوم تمور السماء مورا قال ابن عباس اى تتحرك تحريكا
وهو تشققها وقيل تدور دورا وتموج بعضها فى بعض وتسير الجبال سيرا اى يذهب فيصير هباء منبثا وتنسف نسفا
فويل يومئذ للمكذبين اى ويل لهم ذلك اليوم من عذاب الله ونكاله بهم الذين هم فى خوض يلعبون اى هم فى الدنيا يخوضون
فى الباطل ويتخذون دينهم هزؤا ولعبا يوم يدعون اي يدفعون ويساقون الى نار جهنم دعا اى يدفعون فيها دفعا هذه
النار اى يقول لهم الزبانية هذه النار التى كنتم بها تكذبون تقريعا وتوبيخا افسحر هذا ام انتم لا تبصرون هذا توبيخ لهم ايضا على
ما كانوا ينسبون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السحر الذى يغطى الابصار اصلوها اى ادخلوها دخول من يغمره فى جميع جهاته
فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم اى سواء صبرتم على عذابها او لم تصبروا لا خلاص لكم منها انما تجزون ما كنتم تعملون اى لا يظلم
الله احدا بل يجازى كلا بعمله ان المتقين فى جنات ونعيم فاكهين بما اتاهم ربهم ووقاهم ربهم
عذاب الجحيم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفه وزوجناهم بحور
عين اخبر تعالى عن حال السعداء فقال ان المتقين فى جنات ونعيم وذلك بضد ما اولئك فيه من العذاب فاكهين اى
متفكهين متنعمين بما اتاهم الله من النعيم من اصناف المستلذات ووقاهم ربهم عذاب الجحيم اى وقد نجاهم الله من
عذاب النار وتلك نعمة مستقلة بذاتها على حدتها مع ما اضيف اليها من دخول الجنه وقوله كلوا واشربوا اى يقال لهم
كلوا واشربوا هنيئا اى مامون العاقبه عن السقم بما كنتم تعملون اى هذا بذاك تفضلا منه واحسانا وقوله متكئين على
سرر مصفوفه اى موضوعة بعضها الى جنب بعض قال ابن عباس اى السرر فى الحجال كما فى الحديث المرفوع ان الرجل ليتكئ
المتكأ مقدار اربعين سنة ما يتحول عنه ولا يمله ياتيه ما اشتهت نفسه ولذت عينه رواه ابن ابى حاتم وزوجناهم
بحور عين اي وجعلنا لهم قرينات صالحات وازواجا هم زوجات حسان من الحور العين والذين امنوا واتبعتهم
ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شئ كل امرئ بما كسب رهين و
امددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كاسا لا لغو فيها ولا تاثيم ويطوف
عليهم غلمان لهم كانهم لؤلؤ مكنون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انا كنا قبل فى اهلنا
مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم
اخبر تعالى عن فضله وكرمه وامتنانه ولطفه بخلقه ان المؤمنين اذا اتبعتهم ذرياتهم فى الايمان يلحقهم بابائهم
فى المنزله وان لم يبلغوا عملهم لتقر اعين الاباء بالابناء عندهم فى منازلهم فيجمع بينهم على احسن الوجوه ولهذا قال
الحقنا بهم ذريتهم فيرفع الناقص العمل بكامله ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته كما قال وما التناهم اي وما نقصنا
الاباء من عملهم من شئ قال ابن عباس مرفوعا ان الله ليرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كان دونه فى العمل لتقر
بهم عينه ثم قرا هذه الاية كما قال وفى رواية اخرى اي والذين ادرك ذريتهم الايمان فعملوا بطاعتى الحقتهم بابائهم
الى الجنه واولادهم الصغار تلحق بهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل المؤمن الجنة سال عن ابويه وزوجته و

ولد

ولده فيقال له لم يبلغوا درجتك فيقول يا رب قد عملت لى ولهم فيؤمر بالحاقهم به رواه الطبرانى وعن على قال سالت
خديجة النبى صلى الله عليه وسلم عن ولدين ماتا لها فى الجاهليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما فى النار قال فلما راى
الكراهة فى وجهها قال لو رايت مكانهما لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدى منك قال فى الجنه ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين واولادهم فى الجنه وان المشركين واولادهم فى النار ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم هكذا فى مسند احمد وهذا فضله تعالى على الابناء ببركة عمل الاباء واما فضله على الاباء
ببركة دعاء الابناء فقد روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة
فيقول يا رب انى لى هذه يقول باستغفار ولدك لك رواه احمد باسناد صحيح وعنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا عن ثلث صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له رواه مسلم وقوله كل امرئ
بما كسب رهين لما اخبر عن مقام الفضل وهو رفعه الذرية الى منزلة الاباء من غير عمل اخبر ايضا عن مقام العدل وهو انه لا
يؤاخذ احدا بذنب احد بل كل امرئ بما كسب رهين اى مرتهن بعمله لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس سواء كان ابا او
ابنا وقوله وامددناهم بفاكهة اي وفيها الحقناهم بفواكه ولحم من انواع شتى مما يستطاب ويشتهى وقوله يتنازعون
فيها كاسا اي يتعاطون فيها الكاس من الخمر لا لغو فيها ولا تاثيم قال ابن عباس اللغو الباطل والتاثيم الكذب اي
لا يتكلمون فيها بكلام هذيان ولا فحش كما يتكلم به الشربة من اهل الدنيا فنزه الله خمر الاخرة عن قاذورات خمر الدنيا
واذاها فنفى عنها كما تقدم صداع الراس ووجع البطن وازالة العقل بالكليه واخبر بحسن منظرها وطيب طعمها
كما قال بيضاء لذة للشاربين وقوله ويطوف عليهم غلمان اخبر عن خدمهم فى الجنه كانهم اللؤلؤ الرطب المكنون فى حسنهم
ونظافتهم كما قال ويطوف عليهم ولدان مخلدون الاية واقبل بعضهم على بعض يتساءلون اى اقبلوا يتحادثون و
يتساءلون عن اعمالهم واحوالهم فى الدنيا وهذا كما يتحادث اهل الشراب على الشراب اذا اخذ فيهم الشراب بما كان من
امرهم قالوا انا كنا من قبل فى اهلنا مشفقين اي قد كنا فى دار الدنيا ونحن بين اهلينا خائفين من ربنا مشفقين من عذابه
وعقابه فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم اى فتصدق علينا واجارنا مما نخاف والسموم اسم من اسماء جهنم انا
كنا من قبل ندعوه اي نتضرع اليه فاستجاب لنا واعطانا سؤلنا انه هو البر اى اللطيف الصادق بما وعد الرحيم بالمؤمنين
روى ان عائشه قرات هذه الاية فى الصلوة فقالت اللهم من علينا وقنا عذاب السموم انك انت البر الرحيم رواه ابن
ابى حاتم فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون
قل تربصوا فانى معكم من المتربصين ام تامرهم احلامهم بهذا ام هم قوم طاغون ام
يقولون تقوله بل لا يؤمنون فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين امر تعالى رسوله عليه الصلوة
والسلم بتبليغ رسالته الى عباده وبذكرهم بما انزل عليه ثم نفى عنه بما يرميه به اهل البهتان والفجور فقال فذكر فما
انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون اي لست بحمد الله بكاهن كما يقوله الجهلة من كفار قريش والكاهن هو الذى ياتيه
الرئى من الجن بالكلمة يتلقاها من خبر السماء ولا مجنون وهو الذى يتخبطه الشيطان من المس ثم قال منكرا عليهم ام
يقولون شاعر نتربص به ريب المنون اى ننتظر به قوارع الدهر والمنون الموت يعنى نصبر ونترصد عليه حتى ياتيه الموت
فنستريح منه ومن شانه قال تعالى قل تربصوا اى انتظروا فانى منتظر معكم وستعلمون لمن تكون العاقبه والنصرة فى الدارين
قال ابن عباس ان قريشا لما اجتمعوا فى دار الندوة فى امر النبى صلى الله عليه وسلم قال قائل منهم احبسوه فى وثاق وتربصوا

به المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء زهير والنابغة انما هو كاحدهم فانزل الله ذلك من قولهم ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ثم قال ام تأمرهم احلامهم اي عقولهم تأمرهم بهذا الذي يقولونه فيك من الاقوال الباطلة التي يعلمون في انفسهم انها كذب وزور بل هم قوم طاغون اي ولكن هم قوم ضلال بغاة معاندون فهذا هو الذي يحملهم على ما قالوه فيك وقوله ام يقولون تقوله اي اختلقه وافتراه من عند نفسه يعني القرآن قال الله بل لا يؤمنون اي القرآن ولا يرجعون عن كفرهم الذي يحملهم على هذه المقالة ثم الزمهم الحجة فقال فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين اي في قولهم تقوله وافتراه فليأتوا اذا بمثل ما جاء به محمد من هذا القرآن فانهم لو اجتمعوا هم وجميع الخلائق ما جاؤا بمثله ولا بعشر سور من مثله **ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون ام خلقوا السموت والارض بل لا يوقنون ام عندهم خزائن ربك ام هم المسيطرون ام لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين ام له البنات ولكم البنون ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون ام لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون** هذا المقام في اثبات الربوبية وتوحيد الالهية فقال ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون اي اوجدوا من غير موجد ام هم اوجدوا انفسهم اي لا هذا ولا ذاك بل الله هو الذي خلقهم وانشأهم بعد ان لم يكونوا شيئا مذكورا وفي الصحيحين عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب والطور فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون ام عندهم خزائن ربك ام هم المسيطرون كاد قلبي ان يطير وكان سماعه هذه من هذه السورة من جملة ما حمله في الدخول في الاسلام بعد ذلك ثم قال تعالى ام خلقوا السموات والارض اي اهم خلقوا السموات والارض وهذا انكار عليهم في شركهم بالله وهم يعلمون انه الخالق وحده لا شريك له ولكن عدم ايقانهم هو الذي يحملهم على ذلك ام عندهم خزائن ربك اي اهم يتصرفون في الملك وبيدهم مفاتيح الخزائن ام هم المسيطرون اي المحاسبون للخلائق ليس الامر كذلك بل الله هو المالك المتصرف الفعال لما يريد وقوله ام لهم سلم يستمعون فيه اي مرقاة الى الملأ الاعلى فليأت مستمعهم بسلطان مبين اي فليأت الذي يستمع لهم بحجة ظاهرة على صحة ما هم فيه من الفعال والمقال اي وليس لهم سبيل الى ذلك فليسوا على شيء ولا لهم دليل ثم قال منكرا عليهم فيما نسبوه اليه من البنات وجعلهم الملائكة اناثا واختيارهم الذكور لانفسهم على الاناث بحيث اذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم هذا وقد جعلوا الملائكة بنات الله وعبدوهم مع الله فقال ام له البنات ولكم البنون وهذا تهديد ووعيد ام تسألهم اجرا اي اجرة على ابلاغك اياهم رسالة الله اي لست تسألهم على ذلك شيئا فهم من مغرم مثقلون اي فانهم من ادنى شيء يتبرمون ويثقلهم ويشق عليهم ام عندهم الغيب فهم يكتبون اي ليس الامر كذلك فانه لا يعلم احد من اهل السموات والارض الغيب الا الله ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون يعني ام يريد هؤلاء بقولهم هذا فيك وفي الدين غرور الناس والكيد بك وباصحابك فكيدهم انما يرجع على انفسهم ام لهم اله غير الله هذا انكار شديد على المشركين في عبادتهم الاصنام والانداد مع الله ثم نزه نفسه الكريمة عما يقولون ويفترون فقال سبحان الله عما يشركون **وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وسبح**

بحمد ربك

بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم اخبر تعالى عن المشركين المعاندين بالمكابرة المحسوسة فقال وان يروا كسفا من السماء ساقطا اي عليهم يعذبون به لما صدقوا ولما ايقنوا بل يقولون هذا سحاب مركوم اي متراكم بعضه على بعض يسقينا قال تعالى فذرهم اي دعهم يا محمد حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وذلك يوم القيمة يوم لا يغني عنهم كيدهم اي مكرهم شيئا ولا هم ينصرون اي لا ينفعهم من العذاب ثم قال وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك اي قبل ذلك في الدنيا كقوله ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر الآية ولهذا قال ولكن اكثرهم لا يعلمون اي نعذبهم في الدنيا ونبتليهم فيها بالمصائب لعلهم يرجعون وينيبون فلا يفهمون ما يراد بهم بل اذا جلي عنهم ما كانوا فيه عادوا الى اسوء ما كانوا عليه كما جاء في بعض الاحاديث ان المنافق اذا مرض وعوفي مثله في ذلك كمثل البعير لا يدري فيما عقلوه ولا فيما ارسلوه وقوله واصبر لحكم ربك فانك باعيننا اي اصبر على اذاهم ولا تبالهم فانك بمرأى منا وتحت كلائتنا والله يعصمك من الناس وقوله وسبح بحمد ربك حين تقوم قال الضحاك وغيره اي الى الصلوة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقد روى مسلم في صحيحه عن عمر انه كان يقول هذا في ابتداء الصلوة وروى احمد واهل السنن عن ابي سعيد وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول ذلك وقال ابو الجوزاء اي حين تقوم من نومك من فراشك واختاره ابن جرير مستظهرا بما رواه عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قال رب اغفر لي او قال ثم دعا استجيب له فان عزم فتوضأ ثم صلى قبلت صلاته رواه البخاري وغيره وقال مجاهد وعطاء اي حين تقوم من كل مجلس ان كنت احسنت ازددت خيرا وان كان غير ذلك كان هذا كفارة له وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من جلس في مجلسه فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك رواه الترمذي وصححه والنسائي في عمل اليوم والليلة وقوله ومن الليل فسبحه اي اذكره واعبده بالتلاوة والصلوة بالليل كما قال ومن الليل فتهجد به نافلة لك الآية وقوله وادبار النجوم قد سبق انها الركعتان اللتان قبل صلوة الفجر فانهما مشروعتان عند ادبار النجوم اي حين جنوحها للغيبوبة وقد روي عن ابي هريرة مرفوعا لا تدعوهما وان طردتكم الخيل رواه ابو داود وفي الصحيحين عن عائشة انها قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل اشد تعاهدا منه على ركعتي الفجر وفي لفظ لمسلم ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها تفسير **سورة النجم وهي مكية** في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال اول سورة انزلت فيها السجدة والنجم فسجد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه الا رجلا رايته اخذ كفا من تراب فسجد عليه فرايته بعد ذلك قتل كافرا قال البخاري هو امية بن خلف وقد جاء في غير هذه الرواية ان ذلك الرجل هو عتبة بن ربيعة والله اعلم **بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى** قال الشعبي وغيره الخالق يقسم بما شاء من خلقه والمخلوق لا ينبغي ان يقسم الا بالخالق رواه ابن ابي حاتم وقوله والنجم اذا هوى قال مجاهد يعني به الثريا اذا سقطت مع الفجر وهكذا عن ابن عباس وغيره واختاره ابن جرير وقيل هو الزهرة وقال الضحاك اذا هوى اذا رمي به الشياطين غداة استرقهم السمع وعن مجاهد يعني القرآن اذا نزل وهذه الآية كقوله فلا اقسم بمواقع النجوم الى قوله رب العالمين وقوله ما ضل صاحبكم وما غوى هذا هو المقسم عليه وهو الشهادة للرسول عليه الصلوة والسلام بانه بار راشد تابع للحق

ليس بضالّ والضالّ هو الجاهل الذي يسلك على غير طريق بغير علم والغاوي هو العالم بالحق العادل عنه الى غيره فنزّه الله رسوله
وشرعه عن مشابهة اهل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود وهي علم الشيء وكتمانه والعمل بخلافه بل هو صلى الله عليه وسلم
وما بعثه الله به من الشرع المطهر في غاية الاستقامة والاعتدال ولهذا قال وما ينطق عن الهوى اي لا يقول قولا عن هوى
وغرض نفساني ان هو الا وحي يوحى اي انما يقول ما امر به يبلغه الى الناس كاملا موفرا من غير زيادة ولا نقصان كما روي عن ابي
امامة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحيين ربيعة ومضر فقال رجل
يا رسول الله أما ربيعة من مضر قال انما اقول ما أقول رواه احمد وعن عبد الله بن عمرو قال كنت اكتب كل شيء سمعته من
رسول الله صلى الله عليه وسلم اريد حفظه فنهتني قريش فقالوا انك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو بشر يتكلم في الغضب فامسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اكتب فوالذي نفسي بيده ما
خرج مني الا الحق رواه احمد وابو داود وعن ابي هريرة قال قالوا يا رسول الله انك تداعبنا قال اني لا اقول الا حقا
رواه احمد والترمذي **علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنى فتدلى فكان
قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد ما رأى افتمارونه على ما يرى و
لقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ
البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى** اخبر تعالى عن رسوله محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم انه علّمه الذي
جاء به الى الناس شديد القوى وهو جبريل عليه السلم كما قال انه لقول رسول كريم ذي قوة الآية وقال ههنا ذو مرة اي
ذو قوة قاله مجاهد وغيره وقال ابن عباس ذو منظر حسن وقوة شديدة وقوله فاستوى يعني جبريل استوى في الافق
الاعلى وهو الذي يأتي منه الصبح والنهار وقال مجاهد هو مطلع الشمس عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم ير جبريل في صورته الا مرتين اما واحدة فانه سأله ان يريه صورته فسد الافق واما الثانية فانه كان معه
حيث صعد فذلك قوله وهو بالافق الاعلى رواه ابن ابي حاتم وذهب ابن جرير خاصة الى ان المعنى فاستوى اي هذا
الشديد القوى ذو المرة هو ومحمد صلى الله عليه وسلم بالافق الاعلى جميعا وذلك ليلة الاسراء ولم يوافقه احد على ذلك
وعن عبد الله قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق
يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم انفرد به احمد وقوله ثم دنى فتدلى فكان قاب
قوسين او ادنى اي ثم اقترب جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم لما هبط عليه الى الارض حتى كان بينه وبين محمد عليه الصلوة
والسلم قاب قوسين اي بقدرهما اذا امدتا قاله مجاهد وقتادة والتدلي هو النزول الى الشيء حتى يقرب منه وقيل ان
المراد بذلك بعد ما بين وتر القوس الى كبدها وقوله او ادنى اي اقرب وهذه الصيغة تستعمل في اللغة لاثبات المخبر عنه
ونفي ما زاد عليه كقوله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة اي ما هي بالين من الحجارة بل هي مثلها
او تزيد عليها في الشدة والقسوة وهكذا هذه الآية وهذا الذي قيل من ان المتقرب الداني الذي صار بينه وبين محمد
صلى الله عليه وسلم جبريل هو قول عائشة وابن مسعود وابي ذر وابي هريرة وروى مسلم في صحيحه عن ابن عباس انه قال
رأى محمد ربه بفؤاده مرتين فجعل هذه احداهما وجاء في حديث شريك بن ابي نمر عن انس في حديث الاسراء ثم دنى الجبار
رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى ولهذا تكلم كثير في متن هذه الرواية فان صح فهو محمول على وقت
آخر وقصة اخرى لا انها تفسير هذه الآية فان هذه كانت ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الارض لا ليلة الاسراء ولهذا

قال ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى فهذه هي ليلة الاسراء والاولى كانت في الارض وعن الشيباني قال سألت زرًّا
عن قوله فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى قال حدثنا عبد الله ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى جبريل
له ستمائة جناح رواه البخاري وعن عائشة قالت كان اول شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى في منامه جبريل
بأجياد ثم انه خرج ليقضي حاجته فصرخ به جبريل يا محمد يا محمد فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا
فلم ير شيئا ثلاثا ثم رفع رأسه فاذا هو ثاني رجليه على الاخرى على افق السماء فقال يا محمد جبريل جبريل يسكنه فهرب
النبي صلى الله عليه وسلم حتى دخل في الناس فلم ير شيئا ثم خرج من الناس ثم نظر فرآه فدخل في الناس فلم ير شيئا ثم خرج فنظر
فرآه فذلك قوله ثم دنى فتدلى يعني جبريل الى محمد فكان قاب قوسين او ادنى قيل القاب نصف اصبع وقيل ذراعين
كان بينهما وقال ابن مسعود ما كذب الفؤاد ما رأى لقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه حلتا رفرف
قد ملأ ما بين السماء والارض رواه ابن جرير فعلى هذا يكون قوله فاوحى الى عبده ما اوحى معناه فاوحى جبريل الى عبد الله
محمد ما اوحى او فاوحى الله الى عبده محمد ما اوحى بواسطة جبريل وعن سعيد بن جبير قال اوحى اليه الم اجدك يتيما ورفعنا
لك ذكرك وقال غيره اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك وقوله ما كذب
الفؤاد ما رأى افتمارونه على ما يرى روى مسلم عن ابن عباس انه رآه بفؤاده مرتين وعن ابن مسعود وغيره انه رآه
مطلقا وهو محمول على المقيد بالفؤاد وكلام الشيخ رحمه الله فمن روى عنه بالبصر فقد اغرب فانه لا يصح في
ذلك شيء من الصحابة وقول البغوي في تفسيره معالم وذهب جماعة الى انه رآه بعينه وقول انس والحسن وعكرمة
وفيه نظر والله اعلم وعن عكرمة عن ابن عباس قال رأى محمد ربه قلت اليس الله يقول لا تدركه الابصار وهو يدرك
الابصار قال ويحك ذاك اذا تجلى بنوره الذي هو نوره وقد رأى ربه مرتين رواه الترمذي وقال حسن غريب وروى
ايضا ان ابن عباس لقي كعبا بعرفة فسأله عن شيء فكبر حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباس انا بنو هاشم فقال كعب
ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين وقوله افتمارونه على ما يرى اي افتجادلونه
جدالا تريدون به دفعه عما رآه وعلمه وكان ذلك حين رجع عن الاسراء وقال مسروق دخلت على عائشة فقلت هل
رأى محمد ربه فقالت لقد تكلمت بشيء قف له شعري فقلت رويدا ثم قرأت لقد رأى من آيات ربه الكبرى فقالت
اين تذهب بك انما هو جبريل من اخبرك ان محمدا رأى ربه او كتم شيئا مما امر به او كان يعلم الخمس التي قال الله ان الله
عنده علم الساعة وينزل الغيث فقد اعظم الفرية ولكنه رأى جبريل لم يره في صورته الا مرتين مرة عند سدرة المنتهى و
مرة في اجياد وله ستمائة جناح قد سد الافق روى البخاري نحوه وعن ابي ذر قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم
هل رأيت ربك فقال نور اني اراه وفي رواية رأيت نورا رواه مسلم وقال ابن عباس اتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم
والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم رواه النسائي وقوله ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى هذه
هي المرة الثانية التي رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها وكانت ليلة الاسراء وقد
تقدم حديث المعراج في سورة سبحان وابن عباس يثبت الرؤية ليلة الاسراء مستندا بهذه الآية وتابعه جماعة من
الخلف والسلف وخالفه جماعات من الصحابة والتابعين وغيرهم وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينتثر من ريشه التهاويل الدر والياقوت رواه احمد وقوله عندها جنة المأوى
قال ابن عباس جنة يأوي اليها جبريل والملائكة وقيل يأوي اليها ارواح الشهداء وقوله اذ يغشى السدرة ما يغشى اي

غشيها الملائكة مثل الغربان وغشيها نور الرب وغشيها ألوان كما في حديث المعراج ما أدري ما هي قال ابن مسعود في
هذه الآية فراش من ذهب قال أبو هريرة فغشيها نور الخالق وغشيها الملائكة وكلمه عند ذلك وقال له سل وقال
مجاهد كان أغصان السدرة لؤلؤا وياقوتا أو زبرجدا فرآها محمد ورأى ربه تعالى بقلبه وقال ابن زيد قيل يا رسول الله
أي شيء رأيت يغشى تلك السدرة قال رأيت يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما
يسبح الله وقوله ما زاغ البصر وما طغى قال ابن عباس ما ذهب يمينا ولا شمالا وما طغى ما جاوز ما أمر به
هذه صفة عظيمة في الثبات والطاعة فإنه ما فعل إلا ما أمر به ولا سأل فوق ما أعطي وما أحسن ما قال الشاعر
رأى جنة المأوى وما فوقها ولو . رأى غيره ما قد رآه لتاها وقوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى كقوله لنريه من آياتنا
الكبرى أي الدالة على قدرتنا وعظمتنا وبهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية تلك الليلة لم تقع
لأنه قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك ولقال ذلك للناس أفرأيتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى إن هي إلا أسماء سميتموها
أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم
من ربهم الهدى أم للإنسان ما تمنى فلله الآخرة والأولى وكم من ملك في السموات لا تغني
شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى هذا تقريع للمشركين في عبادتهم غير الله من الأصنام
والأوثان واتخاذهم لها البيوت مضاهاة للكعبة التي بناها خليل الرحمن فقال تعالى أفرأيتم اللات وكانت اللات
صخرة بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف له أستار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهلها وهم ثقيف ومن
تابعها يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش قال ابن جرير وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله فقالوا
اللات يعنون مؤنثة منه تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وعن ابن عباس وغيره أنهم قرأوا اللات بتشديد التاء
وفسروه بأنه كان رجلا يلت السويق في الجاهلية للحجيج فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه هكذا في البخاري وكذا العزى
من العزيز وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة بين مكة والطائف كانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم أحد
إن لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم وعن أبي الطفيل قال لما فتح
رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى فأتاها خالد وكانت على ثلاث سمرات
فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال ارجع فإنك لم تصنع شيئا فرجع
خالد فلما أبصرته السدنة وهم حجبتها امتنعوا في الجبل وهم يقولون يا عزى يا عزى فأتاها خالد فإذا هي امرأة عريانة
ناشرة شعرها تحفن التراب على رأسها فغمسها بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال
تلك العزى وأما مناة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها
يعظمونها ويهلون منها للحج إلى الكعبة وروى البخاري عن عائشة نحوه وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أخر تعظمها
العرب كتعظيم العرب غير هذه الثلاثة التي نص عليها في القرآن وإنما أفرد هذه بالذكر لأنها أشهر من غيرها قال ابن إسحق
وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت يعظمونها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب ويهدى لها كما يهدى
للكعبة وتطوف بها كطوافهم بها وتنحر عندها لكن تعرف فضل الكعبة عليها لأنها كانت تعرف أنها بيت إبراهيم
ومسجده وكانت ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب ويقال لها الكعبة اليمانية أيضا

فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم جرير بن عبد الله فهدمها وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له رئام
وذكر أنه كان به كلب أسود وأن الحبرين اللذين كانا مع تبع استخرجاه وقتلاه وهدما البيت وقوله ألكم الذكر وله
الأنثى أي أتجعلون له ولدا أنثى وتختارون لأنفسكم الذكور فلو اقتسمتم أنتم ومخلوق مثلكم هذه القسمة لكانت
قسمة ضيزى أي جورا باطلة فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة ثم قال منكرا عليهم فيما ابتدعوه من الكذب والافتراء
من عبادة الأصنام وتسميتها إن هي إلا أسماء سميتموها أي من تلقاء أنفسكم أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان
أي من حجة وبرهان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس أي ليس لهم مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا
هذا المسلك الباطل قبلهم وإلا حظ نفوسهم في رياستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين ولقد جاءهم من ربهم الهدى أي
ولقد أرسل الله إليهم الرسل بالحق المنير والحجة القاطعة ومع هذا ما اتبعوا ما جاؤوهم به ولا انقادوا له ثم قال أم للإنسان ما
تمنى أي ليس كل من تمنى خيرا حصل له ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب ما كل من زعم أنه مهتد يكون كما قال ولا كل من
ود شيئا يحصل له عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى فإنه لا يدري ما يكتب
له من أمنيته تفرد به أحمد وقوله فلله الآخرة والأولى أي إنما الأمر كله لله مالك الدنيا والآخرة والمتصرف فيهما وقوله
وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى كقوله من ذا الذي يشفع عنده
إلا بإذنه فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين فكيف ترجون أيها الضالون شفاعة هذه الأصنام والأنداد عند الله
وقد نهى عبادتها على ألسنة جميع الرسل وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون
الملائكة تسمية الأنثى وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا
فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم
بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى لقد أنكر تعالى على المشركين في تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى كما قال و
جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أي حين قالوا إنهم بنات الله فقال وما لهم به من علم أي ليس لهم علم صحيح يصدق
ما قالوه بل هو كذب وزور وافتراء إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا أي لا يقوم الظن مقام العلم
ولا يجدي شيئا وقيل الحق هنا بمعنى العذاب أي إن ظنهم لا ينقذهم من العذاب وقوله فأعرض عمن تولى عن ذكرنا
أي عن الذي أعرض عن القرآن وأهجره وقوله ولم يرد إلا الحياة الدنيا أي إنما أكثر همته ومبلغ علمه الدنيا فذاك ما لا خير فيه
ولهذا قال ذلك مبلغهم من العلم أي طلب الدنيا والسعي لها هو غاية ما وصلوا إليه وعن عائشة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له رواه أحمد وفي الدعاء المأثور
اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا وقوله إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى أي هو الخالق
لجميع المخلوقات والعالم بمصالح عباده وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته وهو
العادل الذي لا يجور أبدا ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي
الذين أحسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع
المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا
أنفسكم هو أعلم بمن اتقى أخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض وأنه الغني عما سواه الحاكم في خلقه بالعدل وخلق الخلق
بالحق ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى أي يجازي كلا بعمله ثم فسر المحسنين بأنهم الذين يجتنبون

اللام في ليجزي متعلق بمعنى الآية الأولى
لأنه إذا كان أعلم بهم جازى كلا
بما يستحقه

كبائر الاثم والفواحش اى لا يتعاطون المحرمات الكبائر وان وقع منهم بعض الصغائر فانه يغفر لهم ويستر لهم وقوله
الا اللمم استثناء منقطع لان اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الاعمال قال ابن عباس الا ما سلف وقال مجاهد هو
الرجل يلم بالذنب ثم ينزع عنه ولا يعود وقال بعض الصحابة هو الرجل يصيب اللمة من الزنا واللمة من شرب الخمر فيجتنبها
ويتوب منها وقال ابن الزبير هو ما بين الحدين حد الزنا وعذاب الآخرة ومثله عن ابن عباس وهو دون كل موجب حد
اى ما لم يذكر الله عليه حدا فى الدنيا ولا عذابا فى الآخرة وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم تغفر
جما واى عبد لك لا الما رواه الترمذى وصححه وقوله ان ربك واسع المغفرة اى رحمته وسعت كل شى ومغفرته
تسع المذنبين كلها المرتاب منها وقوله هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض اى بصير بكم عليم باحوالكم وافعالكم واقوالكم
التى ستصدر عنكم وتقع منكم حين انشا اباكم آدم من الارض واستخرج ذريته من صلبه امثال الذر ثم قسمهم فريقين
فريقا للجنة وفريقا للسعير وكذا قوله واذ انتم اجنة فى بطون امهاتكم فكتب الملك الموكل ما الجنين رزقه واجله وعمله و
شقى او سعيد قال مكحول كنا اجنة فى بطون امهاتنا فسقط منا من سقط وكنا فيمن بقى ثم صرنا شيوخا الا اباللك فما
ذا بعد هذا ننتظر رواه ابن ابى حاتم وقوله فلا تزكوا انفسكم قال الحسن علم الله من كل نفس ما هى صانعة والى ما هى صائرة
فلا تزكوا انفسكم ولا تبرئوها عن الآثام ولا تمدحوها بحسن اعمالها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزكوا انفسكم
الله اعلم باهل البر منكم قاله حين غير اسم بنت ام سلمة من برة الى زينب رواه مسلم وعن ابى بكرة انه قال مدح رجل رجلا
عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك قطعت عنق صاحبك مرارا اذا كان احدكم مادحا
صاحبه لا محالة فليقل احسب فلانا والله حسيبه ولا ازكى على الله احدا احسبه كذا وكذا ان كان يعلم ذلك رواه فى الصحيحين
والسياق لاحمد وعن المقداد بن الاسود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم المداحين فاحثوا فى وجوههم
التراب رواه مسلم **افرايت الذى تولى واعطى قليلا واكدى اعنده علم الغيب فهو يرى ام لم ينبا
بما فى صحف موسى وابرهيم الذى وفى الا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان الا ما
سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزيه الجزاء الاوفى** لقد ذم الله من تولى عن طاعته فلا صدق ولا صلى
ولكن كذب وتولى واعطى قليلا واكدى قال ابن عباس وكثيرون اى ثم قطعه قال عكرمة وسعيد كمثل القوم اذا كانوا
يحفرون بئرا فيجدون فى اثناء الحفر صخرة تمنعهم من تمام العمل فيقولون اكدينا ويتركون العمل وقوله اعنده علم الغيب
فهو يرى اى اعند هذا الذى قد امسك يده خشية الانفاق وقطع معروفه علم الغيب انه سينفد ما فى يده حتى امسك
عن معروفه فهو يرى ذلك عيانا اى ليس الامر كذلك وانما امسك عن الصدقة والبر والصلة بخلا وشحا وحرصا و
لهذا جاء فى الحديث انفق بلالا ولا تخش من ذى العرش اقلالا وقوله ام لم ينبا بما فى صحف موسى يعنى اسفار التورية و
ابرهيم الذى وفى اى تمم واكمل ما امر به وبلغ وادى رسالة الله الى خلقه فاستحق بذلك ان يكون للناس اماما يقتدى به
كما قال ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وعن ابى امامة قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابرهيم الذى وفى
قال اتدرى ما وفى قلت الله ورسوله اعلم قال وفى عمل يومه باربع ركعات من اول النهار رواه ابن جرير وابن ابى حاتم
وعن ابى ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل انه قال ابن آدم اركع لى اربع ركعات من اول النهار اكفك
آخره رواه الترمذى وعن معاذ بن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الا اخبركم لم سمى الله ابرهيم خليله الذى وفى
انه كان يقول كلما اصبح وامسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون حتى ختم الآية رواه ابن جرير وابن ابى حاتم ثم شرع تعالى

فى بيان ما كان اوصاه فى صحف ابرهيم وموسى فقال الا تزر وازرة وزر اخرى اى كل نفس ظلمت نفسها بكفر او كبيرة او شى من
الذنوب فانما عليها وزرها لا يحمله عنها احد كما قال وان ليس للانسان الا ما سعى اى كما لا يحمل عليه وزر غيره كذلك لا يحصل
له من الاجر الا ما كسب هو لنفسه ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعى ومن اتبعه ان نفس القراءة لا يصل اهداء
ثوابها الى الاموات لانه ليس من عملهم ولا كسبهم ولهذا لم يندب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم امته ولا حثهم عليه
بنص ولا ايماء ولم ينقل ذلك عن احد من الصحابة وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ولا يتصرف فيه بانواع الاقيسة
فاما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولهما ومنصوص من الشارع عليهما واما الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه عن ابى هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلث من ولد صالح يدعو له او صدقة جارية
من بعده او علم ينتفع به فهذه الثلثة فى الحقيقة هى من سعيه وكده وعمله كما جاء فى الحديث ان اطيب ما اكل الرجل من
كسبه وان ولده من كسبه والصدقة الجارية كالوقف ونحوه هى من آثار عمله ووقفه وقد قال تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم
الآية والعلم الذى نشره فى الناس فاقتدى به بعده هو ايضا من سعيه وعمله وثبت فى الصحيح من دعا الى هدى كان له من الاجر
مثل اجور من تبعه من غير ان ينقص من اجورهم شيئا وقوله وان سعيه سوف يرى اى يوم القيمة فى ميزانه من رايته الشى
وقوله ثم يجزيه الجزاء الاوفى اى الاوفر الذى هو الاكمل الاتم بحسب سعيه ان خيرا فخير وان شرا فشر **وان الى ربك المنتهى
وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيا وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى
وان عليه النشاة الاخرى وانه هو اغنى واقنى وانه هو رب الشعرى وانه اهلك عادا
الاولى وثمود فما ابقى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى والمؤتفكة اهوى
فغشيها ما غشى فباى آلاء ربك تتمارى** قوله وان الى ربك المنتهى اى منتهى الخلق ومصيرهم اليه يوم القيمة
وعن عمرو بن ميمون الاودى قال قام فينا معاذ بن جبل فقال يا بنى اود انى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم تعلمون
ان المعاد الى الله الى الجنة او الى النار رواه ابن ابى حاتم وعن ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله وان الى ربك
المنتهى قال لا فكرة فى الرب وهذا مثل ما روى ابو هريرة مرفوعا تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق فانه لا يحيط به الفكرة
رواه محيى السنة فى تفسيره ولهذا شاهد فى السنن تفكروا فى مخلوقات الله ولا تفكروا فى ذات الله فان الله خلق ملكا ما بين
شحمتى اذنيه الى عاتقه مسيرة ثلثمائة سنة او كما قال وقوله وانه هو اضحك وابكى اى خلق فى عباده الضحك والبكاء
وسببهما وهما مختلفان وانه هو امات واحيا كقوله الذى خلق الموت والحيوة يعنى امات فى الدنيا واحيا للبعث وقيل
امات الكافر بالنكرة واحيا المؤمن بالمعرفة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى اى يصب فى الرحم
كقوله الم يك نطفة من منى يمنى الآية وقوله وان عليه النشاة الاخرى اى كما خلق البداءة هو قادر على الاعادة وهى النشاة
الآخرة يوم القيمة وانه هو اغنى واقنى اى ملك عباده المال وجعله لهم قنية مقيما لهم لا يحتاجون الى بيعه فهذا
تمام النعمة عليهم وبه قال كثيرون وقال ابن عباس اغنى اعطى واقنى رضى وقيل معناه اغنى نفسه وافقر الخلائق اليه و
قيل اغنى من شاء من خلقه وافقر من شاء منهم وانه هو رب الشعرى قال مجاهد عن ابن عباس هو هذا النجم
الوقاد الذى يقال له مرزم الجوزاء كانت طائفة من العرب يعبدونه وانه اهلك عادا الاولى وهم قوم هود ويقال
لهم عاد بن ارم بن سام بن نوح وكانوا من اشد الناس واقواهم واعتاهم على الله وعلى رسوله فاهلكهم الله بريح صرصر عاتية
وقوله وثمود فما ابقى اى اهلكهم بالصيحة فلم يبق منهم احد وقوم نوح من قبل اى من قبل هؤلاء انهم كانوا هم اظلم واطغى

اي اشد تمردا من الذين من بعدهم والمؤتفكة اهوى يعني مدائن لوط قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها وامطرنا عليهم
حجارة من سجيل منضود مسومة ولهذا قال فغشاها ما غشى يعني من الحجارة التي ارسلها الله عليهم مطرا فباي الاء ربك
تتمارى اي ففي اي نعم الله عليك ايها الانسان تمتري وهو اختيار ابن جرير هذا نذير من النذر الاولى ازفت
الازفة ليس لها من دون الله كاشفة افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم
سامدون فاسجدوا لله واعبدوا قوله تعالى هذا نذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من جنسهم ارسل كما ارسلوا
والنذير المحذر لما يعاين من الشر الذي يخشى وقوعه ممن انذرهم ازفت اي اقتربت ودنت الازفة اي القيمة سميت بها
لانها قريبة الوقوع ليس لها من دون الله كاشفة اي لا يدفعها احد من دون الله ولا يطلع على علمها سواه وعن سهل بن
سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل الساعة كهاتين وفرق بين اصبعيه الوسطى والتي تلي الابهام
ثم قال مثلي ومثل الساعة كفرسي رهان ثم قال مثلي ومثل الساعة كرجل بعثه قوم طليعة فلما خشي ان يسبق الاح بثوبه
أتيتم أتيتم ثم قال عليه الصلوة والسلام انا ذلك الذي وله شواهد اخر من الصحاح والحسان ثم قال منكرا على المشركين في
استماعهم القرآن واعراضهم عنه وتلهيهم منه افمن هذا الحديث تعجبون اي من ان يكون صحيحا وتضحكون منه استهزاء
وسخرية ولا تبكون اي كما يفعل الموقنون به كما اخبر تعالى عنهم بقوله ويخرون للاذقان يبكون الاية وقوله وانتم سامدون
اي معرضون متغنيون مستكبرون قاله ابن عباس وغير واحد ثم امر تعالى عباده بالسجود له والعبادة والمتابعة لرسوله
عليه الصلوة والسلام والتوحيد والاخلاص فقال فاسجدوا لله واعبدوا اي فاخلصوا له ووحدوه وعن ابن عباس
قال سجد النبي صلى الله عليه وسلم بالنجم وسجد له المسلمون والمشركون والجن والانس رواه البخاري تفسير سورة اقتربت
وهي مكية عن ابي واقد الليثي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيد بقاف واقتربت الساعة رواه احمد
ومسلم وغيره وكان يقرأ بهما في المحافل الكبار لاشتمالهما على الوعد والوعيد وبدء الخلق واعادته والتوحيد واثبات
النبوات وغير ذلك من المقاصد العظيمة بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق
القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا اهواءهم وكل امر مستقر
ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر اخبر تعالى عن اقتراب الساعة
وفراغ الدنيا وانقضائها كما قال تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه فقال اقتربت الساعة اي قربت الساعة القيمة عن ابن عمر
قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم والشمس على قعيقعان بعد العصر فقال ما اعماركم في اعمار من مضى الا كما بقي
من النهار فيما مضى رواه احمد وفي الصحيحين عن شعبة عن قتادة عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت انا
والساعة كهاتين رواه احمد قال شعبة وسمعت قتادة يقول كفضل احدهما على الاخرى فلا ادري اذكره عن انس او قاله
قتادة وعن المستورد بن شداد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت في نفس الساعة فسبقتها كما سبقت هذه هذه و
اشار باصبعيه السبابة والوسطى رواه الترمذي وقد جاء في الصحيحين انا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وقد ورد
ابن جرير ان حذيفة كان يقول في خطبة الجمعة الا ان الله يقول اقتربت الساعة وانشق القمر الا وان الدنيا قد آذنت
بفراق الا وان اليوم المضمار وغدا السباق الا وان الغاية النار والسابق من سبق الى الجنة وقوله وانشق القمر قد
كان هذا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ثبت ذلك في الاحاديث المتواترة وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال انشق القمر على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفيهما

ايضا

ايضا عن انس قال ان اهل مكة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فاراهم القمر شقتين حتى راوا حراء
بينهما وهذا امر متفق بين العلماء ان انشقاق القمر قد وقع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وانه كان احد المعجزات الباهرات
وفي رواية البيهقي باسناده عن ابن مسعود قال انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين فقال كفار قريش اهل مكة هذا سحر سحركم به
ابن ابي كبشة انظروا السفار فان كانوا راوا ما رايتم فقد صدق وان كانوا لم يروا مثل ما رايتم فهو سحر سحركم به قال فسئل
السفار وقدموا من كل وجهة فقالوا رايناه رواه ابن جرير وزاد فانزل الله اقتربت الساعة وانشق القمر وفي رواية لاحمد قال ابن مسعود
حتى رايت الجبل من بين فرجتي القمر وقوله وان يروا آية اي دليلا وحجة وبرهانا يعرضوا اي لا ينقادوا له بل يتركونه ويدبرون عنه
ويقولوا سحر مستمر اي ويقولون هذا الذي شاهدناه من الحجج سحر سحرنا به مستمر اي ذاهب باطل مضمحل لا دوام له وكذبوا
واتبعوا اهواءهم اي كذبوا بالحق اذ جاءهم واتبعوا ما امرتهم به آراؤهم واهواؤهم من جهلهم وسخافة عقلهم
قوله وكل امر مستقر قال قتادة ان الخير واقع باهل الخير والشر واقع باهل الشر وقيل مستقر اي واقع باهله يوم القيمة وقوله
ولقد جاءهم من الانباء اي من الاخبار اي عن قصص الامم المكذبين بالرسل وما حل بهم من انواع العذاب مما يتلى عليهم في
هذا القرآن ما فيه مزدجر مصدر بمعنى الازدجار اي نهي وعظة لهم عن الشرك والتمادي على الطغيان وقوله حكمة بالغة
اي وهدايته تعالى لمن هداه واضلاله لمن اضله فما تغن النذر يعني اي شيء تغني النذر عمن كتب الله عليه الشقاء وختم
على قلبه فمن الذي يهديه من بعد الله كما قال قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهديكم اجمعين فتول عنهم يوم يدع الداع
الى شيء نكر خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر مهطعين الى الداع يقول
الكافرون هذا يوم عسر يعني فتول يا محمد واعرض عن هؤلاء الذين اذا راوا آية يعرضون وانتظر بهم يوم يدع
الداع الى شيء نكر اي شيء منكر فظيع وهو موقف الحساب وما فيه من البلايا والاهوال خشعا ابصارهم اي ذليلة
ابصارهم يخرجون من الاجداث وهي القبور كانهم جراد منتشر اي كانهم في انتشارهم وسرعة سيرهم الى موقف الحساب
اجابة للداعي جراد منتشر في الآفاق ولهذا قال مهطعين اي مسرعين الى الداع لا يخالفون ولا يتاخرون يقول الكافرون
هذا يوم عسر اي يوم شديد الاهوال صعب كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر
فدعا ربه اني مغلوب فانتصر ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء
على امر قد قدر وحملناه على ذات الواح ودسر تجري باعيننا جزاء لمن كان كفر ولقد تركناها
آية فهل من مدكر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر يعني كذبت قبل قومك
يا محمد قوم نوح فكذبوا عبدنا اي صرحوا بالتكذيب واتهموه بالجنون وقالوا مجنون وازدجر قال مجاهد اي استطير جنونا
وقيل انتهروه وزجروه واوعدوه قائلين لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين وهذا توجيه حسن فدعا ربه اني
مغلوب اي ضعيف عن مقاومتهم فانتصر انت لدينك قال تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر اي الكثير منصبا انصبابا
شديدا اطبق ما بين السماء والارض ولم ينقطع اربعين يوما وفجرنا الارض عيونا اي نبعت جميع ارجاء الارض حتى التنانير
التي هي محال النيران فانها نبعت عيونا فالتقى الماء اي من السماء ومن الارض على امر قد قدر اي بامر مقدر قال ابن عباس لم تمطر
السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده الا من السحاب الا في تلك المرة فانها مطرت من غير سحاب وسئل علي عن المجرة قال هي شرج
السماء ومنها فتحت السماء بماء منهمر وقوله وحملناه على ذات الواح ودسر قال ابن عباس وغيره هي المسامير واحدها
دسار ويقال دسير كما يقال حباك وحبيك والجمع حبك قاله ابن جرير وقال مجاهد الدسر اضلاع السفينة وقال عكرمة

والحسن هو صدرها الذي يضرب بها الموج وقيل هو طرفاها وأصلها وقيل كلكلها وقوله تجري بأعيننا أي بأمرنا بمرأى
منا وتحت حفظنا وكلاءتنا جزاء لمن كان كفر أي جزاء لهم على كفرهم بالله وانتصارا لنوح عليه السلام وقوله ولقد
تركناها آية أي تركنا هذه الفعلة أو السفينة عبرة قال قتادة أبقى الله سفينة نوح حتى أدركها أول هذه الأمة ولهذا
قال فهل من مدكر أي فهل من يتذكر أو يتعظ ولعل المراد من ذلك جنس السفن كقوله وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك
المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وفي الصحيحين عن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فهل من مدكر
دالا أي متذكر متعظ خائف مثل عقوبتهم وقوله فكيف كان عذابي ونذر أي كيف كان عذابي لمن كفر بي وكذب رسلي
ولم يتعظ بما جاءت به نذري وكيف انتصرت لهم وقوله ولقد يسرنا القرآن للذكر أي سهلنا لفظه ويسرنا معناه لمن أراده ليتذكر
الناس كما قال ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب وقال مجاهد وغيره يعني هونا قراءته على الألسن قال ابن عباس
لولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله كما سبق أنه عليه الصلوة والسلام
قال إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف وذلك باستعاذة صلى الله عليه وسلم أن هون على أمتي مرة بعد أخرى كما هو
مبسوط في مسلم وقوله فهل من مدكر أي من متذكر بهذا القرآن الذي يسر الله حفظه ومعناه وقيل أي فهل من منزجر من
المعاصي وفي البخاري عن مطر الوراق أي هل من طالب علم فيعان عليه وعن قتادة مثله كذبت عاد فكيف كان عذابي
ونذر إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر فكيف كان
عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر أخبر تعالى عن عاد قوم هود أنهم كذبوا رسولهم كما صنع قوم
نوح وأنه تعالى أرسل عليهم ريحا صرصرا وهي الشديدة البرد في يوم نحس أي عليهم نحسه ودماره لأنه يوم اتصل فيه عذابهم
الدنيوي بالأخروي قاله الضحاك وغير واحد وقوله تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر أي منقلع من مكانه ساقط على
الأرض وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فتقلع رأسه فيبقى جثة بلا رأس وأعجاز النخل أصولها التي قطعت وواحدها
عجز كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذا لفي ضلال وسعر أألقي الذكر عليه من
بيننا بل هو كذاب أشر سيعلمون غدا من الكذاب الأشر إنا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر
ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي ونذر
إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
هذا إخبار عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم صالحا فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذا لفي ضلال وسعر أي لقد خبنا وخسرنا
إن سلمنا كلنا قيادا لواحد منا ثم تعجبوا من إلقاء الوحي عليه خاصة من دونهم ثم رموه بالكذب فقالوا بل هو
كذاب أشر أي متجاوز عن حد الكذب متجبر يريد التعظم علينا قال تعالى سيعلمون غدا أي يوم القيمة حين ينزل بهم العذاب
من الكذاب الأشر وهذا تهديد لهم ووعيد شديد ثم قال تعالى إنا مرسلو الناقة فتنة أي اختبارا لهم فأخرج الله لهم
ناقة عظيمة عشراء من صخرة صماء على طبق ما سألوا لتكون حجة عليهم في تصديق صالح فيما جاءهم به ثم قال آمرا لرسوله
صالح فارتقبهم أي انتظر ما يؤول إليه أمرهم واصطبر أي اصبر على أذاهم فإن العاقبة والنصرة لك ونبئهم أن الماء
قسمة بينهم أي يوم لهم ويوم للناقة وقوله كل شرب محتضر أي كل نصيب من الماء يحضره من كانت نوبته واحتضر وحضر
بمعنى واحد قال مجاهد إذا غابت حضروا الماء وإذا جاءت حضروا اللبن ثم قال تعالى فنادوا صاحبهم وهو قدار
بن سالف فتعاطى فعقر أي تناول السيف فعقرها وكان أشقى قومه لقوله إذ انبعث أشقاها فكيف كان عذابي ونذر

الانفصال اخراج السنان من الرمح والنصل من النبل والسيف من الغمد

تقالوا ألقي الذكر عليه من بيننا

٤٨٨٥

أي فعاقبتهم فكيف كان عذابي ونذر لهم على كفرهم بي وتكذيبهم رسولي إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة يعني صيحة جبرئيل فكانوا كهشيم
المحتظر أي فبادوا عن آخرهم قال ابن زيد هو الشجر اليابس الذي تهشم حتى ذرته الريح وكانت العرب يجعلون حظارا على المواشي
من يبس الشوك فهو المراد من الهشيم المحتظر يعني أنهم صاروا كالشجر إذا تحطم وتفتت وخمد كما يخمد يبس الزرع والنبات
قاله غير واحد وقال السدي هو المرعى بالصحراء حين ييبس ويحترق ونسفته الريح كذبت قوم لوط بالنذر إنا أرسلنا
عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر ولقد أنذرهم بطشتنا
فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر ولقد
صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
أخبر تعالى عن قوم لوط كيف كذبوا رسولهم وخالفوه وارتكبوا المكروه من إتيان الذكور وهي الفاحشة التي لم يسبقهم
بها أحد من العالمين ولهذا أهلكهم الله هلاكا لم يهلكه أمة من الأمم فإنه تعالى أمر جبرئيل فحمل مدائنهم حتى وصل إلى
عنان السماء ثم قلبها عليهم وأرسلها وأتبعها بالحجارة من سجيل منضود ولهذا قال إنا أرسلنا عليهم حاصبا وهي
الحجارة أي أرسلنا عليهم عذابا يحصبهم أي يرميهم بالحجارة ثم استثنى فقال إلا آل لوط نجيناهم بسحر أي خرجوا من
آخر الليل فنجوا مما أصاب قومهم الكفار وخرج نبي الله لوط وبناته من بين أظهرهم سالمين لم يمسهم سوء ولهذا
قال كذلك نجزي من شكر أي من وحد الله وأطاعه ولقد أنذرهم بطشتنا أي ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم
بأس الله وعذابه فما التفتوا إلى ذلك ولا أصغوا إليه بل شكوا فيه وتماروا به ولقد راودوه عن ضيفه أي طلبوا أن يسلم
إليهم لوط أضيافه الملائكة الذين جاؤوه في صورة شباب مرد حسان محنة من الله بهم فأضافهم لوط وبعثت امرأته الضالة
إلى قومها فأعلمتهم بهم فأقبلوا إليه يهرعون من كل مكان فأغلق لوط دونهم الباب فطفقوا يعالجون كسر الباب وذلك
عشية ولوط يدافعهم ويمانعهم دون أضيافه ويقول هؤلاء بناتي يعني نساءهم إن كنتم فاعلين قالوا لقد علمت ما لنا
في بناتك من حق أي ليس لنا فيهن أرب وإنك لتعلم ما نريد فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول خرج عليهم جبرئيل
فضرب أعينهم بطرف جناحه فانطمست أعينهم قيل إنها غارت في وجوههم وقيل بل لم يبق لهم عيون بالكلية
فرجعوا على أدبارهم يتحسسون بالحيطان ويتوعدون لوطا إلى الصباح فذوقوا عذابي ونذر أي ما أنذركم به لوط
من العذاب قال تعالى ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر أي دائم لا مفر لهم عنه ولا انفكاك لهم منه حتى أفضى بهم
إلى عذاب الآخرة ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر أ
كفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع و
يولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر أخبر تعالى عن فرعون وقومه أنهم جاءهم
موسى وهرون بالبشارة إن آمنوا والنذارة إن كفروا وأيدهما بمعجزات عظيمة وآيات متعددة فكذبوا بها كلها فأخذهم
أخذ عزيز مقتدر أي فأهلكهم فلم يبق منهم أحدا ولا أثرا ثم قال تعالى أكفاركم أي أيها المشركون الكفار من قريش خير
من أولئكم يعني من الذين تقدم ذكرهم ممن أهلكوا بسبب تكذيبهم الرسل وكفرهم بالكتب أنتم خير أو أولئك أم لكم براءة من العذاب
في الزبر أي أم معكم من الله براءة أن لا ينالكم عذاب ولا نكال ثم قال مخبرا عنهم أم يقولون نحن جميع منتصر أي يعتقدون
أنهم يتناصرون بعضهم بعضا يعني نحن يد واحدة على من خالفنا منتصر على من عادانا قال تعالى سيهزم الجمع ويولون
الدبر أي سيتفرق شملهم ويغلبون عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة له يوم بدر اللهم أنشدك
عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا فأخذ أبو بكر بيده وقال حسبك يا رسول الله ألححت على ربك

نعمة من عندنا

وطمسنا أعينهم

[illegible]

[illegible]

فحج وهو يثب في الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر رواه البخاري
والنسائي وعن عائشة قالت نزل على محمد صلى الله عليه وسلم بمكة واني لجارية العب بل الساعة موعدهم والساعة ادهى
وامر رواه البخاري اي الساعة اعظم بلية واشد مرارة من الاسر والقتل يوم بدر ان المجرمين في ضلال
وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر وما امرنا
الا واحدة كلمح بالبصر ولقد اهلكنا اشياعكم فهل من مدكر وكل شيء فعلوه في الزبر و
كل صغير وكبير مستطر ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر اخبر تعالى
عن المجرمين انهم في ضلال عن الحق وسعر اي نار تسعر عليهم بما هم فيه من الشكوك والكفر ثم بين عذابهم فقال يوم
يسحبون في النار على وجوههم اي كما كانوا في ضلال سحبوا فيها على وجوههم لا يدرون اين يذهبون ويقال لهم تقريعا
وتوبيخا ذوقوا مس سقر اي عذاب جهنم وقوله انا كل شيء خلقناه بقدر كقوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا اي خلقنا
كل شيء مكتوبا في اللوح المحفوظ قال الحسن قدر الله لكل شيء من خلقه قدره الذي ينبغي له والاية دليل صحيح على اثبات
قدر الله السابق لخلقه وهو علمه الاشياء قبل كونها وكتابتها لها قبل ظهورها عن ابي هريرة قال جاء مشركو قريش الى النبي
صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر فنزلت يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر رواه
مسلم وعن زرارة مرفوعا انها نزلت في اناس من امتي يكونون في اخر الزمان يكذبون بقدر الله رواه ابن ابي حاتم وعن ابن عمر
انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في امتي اقوام يكذبون بالقدر رواه احمد وابو داود وعن ابن
عمر ايضا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في هذه الامة مسخ الا وذلك في المكذبين بالقدر
والزنديقية رواه احمد والترمذي وصححه وعنه ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل امة مجوس ومجوس
امتي الذين يقولون لا قدر ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم رواه احمد وعنه ايضا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال له واعلم ان الامة لو اجتمعوا على ان ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك ولو اجتمعوا على
ان يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك جفت الاقلام وطويت الصحف رواه الترمذي وصححه وعن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن باربع يشهد ان لا اله الا الله واني
رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر خيره وشره رواه الترمذي وابن ماجه وعن عبد الله
بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة
قال وكان عرشه على الماء رواه مسلم وقوله وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر هذا اخبار عن نفوذ مشيئته في خلقه كما
اخبر بنفوذ قدره فيهم اي انما نامر بالشيء مرة واحدة لا نحتاج الى تاكيد ثانية فيكون ذلك الذي نامر به موجودا كلمح البصر
اي في طرفة لا يتاخر طرفة عين وقوله ولقد اهلكنا اشياعكم يعني امثالكم وسلفكم من الامم الماضية المكذبين بالرسل فهل
من مدكر اي فهل من متعظ بما اخزى الله اولئك وقدر لهم من العذاب كما قال كما فعل باشياعهم من قبل وقوله وكل
شيء فعلوه في الزبر اي مكتوب عليهم بايدي الملائكة وكل صغير وكبير اي من اعمالهم مستطر اي مجموع عليهم ومسطر في صحائفهم
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها كما سبق عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا عائشة اياك ومحقرات
الذنوب فان لها من الله طالبا رواه احمد والنسائي وابن ماجه وعن سليمن بن المغيرة انه عمل ذنبا فاستصغره فاتاه
آت في منامه فقال له يا سليمن لا تحقرن من الذنوب صغيرا ؞ ان الصغير يعود غدا كبيرا ؞ ان الصغير ولو تقادم عهده
عند الاله مسطر تسطيرا ؞ فازجر هواك عن البطالة لا تكن ؞ صعب القياد وشمرن تشميرا ؞ ان المحب اذا احب الهه

عن طاوس اليماني قال ادركت ناسا من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقولون كل شيء بقدر الله وسمعت عن
عبد الله ابن عمر رضي الله عنه يقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء
بقدر حتى العجز والكيس او الكيس
والعجز ه

[illegible]

طار الفؤاد

در کشف الاسرار آورده که کلمه عندی رقم ترتیب داده یعنی اہل قرب فردا در ان سرا بدان اختصاص خواہند
داشت و حضرت سالار ما صلوات الله وسلامه علیه امروز درین سرا مخصوص بدان بوده که ابیت
عندی ربی و چون رتبه کم فردا
خواص بدان نازند امروز
بابه ادنی وی بوده

طار الفؤاد والهم التفكيرا ۔ فاسأل هنالك لا آله بنيه ۔ يكفي بربك هاديا ونصيرا ۔ و قوله ان المتقين في جنات و نهر اي بعكس ما للاشقياء فيه من الضلال والسعر اي في بساتين وانهار من الماء والخمر واللبن والعسل و انما وحّده لاجل رؤس الآي وقوله في مقعد صدق اي في دار كرامة ورضوانه وفضله وامتنانه عند مليك مقتدر اي ملك الملوك الخالق للاشياء كلها و مقدرها وهو مقتدر على ما يشاء على ما يطلبون ويريدون قال الصادق مدح الله المكان بالصدق فلا يقعد فيه الا اهل الصدق

تفسير سورة الرحمن وهي مكية

عن زر ان رجلا قال اني اقرأ المفصل في ركعة واحدة فقال عبد الله اهذا كهذّ الشعر لا ابا لك قد علمت قرائن النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يقرن قرينتين قرينتين من اول المفصل وكان اول مفصل ابن مسعود الرحمن رواه احمد وعن جابر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من اولها الى آخرها فسكتوا فقال لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا احسن مردودا منكم كنت كلما اتيت على قوله فباي آلاء ربكما تكذبان قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد رواه الترمذي وغربه و روى البزار نحوه

بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان فباي آلاء ربكما تكذبان

اخبر تعالى عن فضله و رحمته انه انزل على عبده القرآن ويسر حفظه وفهمه على من رحمه فقال الرحمن علم القرآن يعني محمدا ويسره للذكر خلق الانسان يعني آدم علمه البيان يعني المنطق وذلك انه تعالى يسر المنطق على الخلق لاداء تلاوته وسهل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفتين على اختلاف مخارجها وانواعها وقوله والشمس والقمر بحسبان اي يجريان متعاقبين بحساب معين لا يختلف ولا يضطرب كما قال لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر الآية قال عكرمة لو جعل الله نور جميع ابصار الانس والجن والدواب والطير في عيني عبد ثم كشف حجابا دون الشمس لما استطاع ان ينظر اليها نور الشمس جزء من سبعين جزءا من نور الكرسي ونور الكرسي جزء من سبعين جزءا من نور العرش ونور العرش جزء من سبعين جزءا من نور الستر فانظر ماذا اعطى الله عبده من النور في عينيه وقت النظر الى وجه ربه الكريم عيانا رواه ابن ابي حاتم وقوله والنجم والشجر يسجدان قال ابن عباس وغير واحد النجم ما انبسط على وجه الارض يعني من النبات وهو اختيار ابن جرير وقال مجاهد وغيره هو النجم الذي في السماء وهو الاظهر لقوله الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض الآية واما الشجر فهو ما قام على ساق وقوله والسماء رفعها ووضع الميزان يعني العدل كما قال وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وكذا قال ههنا الا تطغوا في الميزان اي خلق السموات والارض بالحق والعدل لتكون الاشياء كلها بالحق والعدل ولهذا قال واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان اي لا تبخسوا الوزن بل زنوا بالحق والقسط كما قال وزنوا بالقسطاس المستقيم وقوله والارض وضعها للانام اي كما رفع السماء ووضع الارض ومهدها وارساها بالجبال الراسيات لتستقر لما على وجهها من الانام وهم الخلائق المختلفة انواعهم واشكالهم والوانهم والسنتهم في سائر اقطارها فيها فاكهة اي مختلفة الالوان والطعوم والروائح والنخل ذات الاكمام افرده بالذكر لشرفه وكثرة نفعه رطبا ويابسا قال ابن عباس وغيره الاكمام اوعية الطلع لان ثمر النخل يكون اولا في غلاف ما لم ينشق واحدها كم وكل ما ستر شيئا فهو كم وكمة ثم ينشق عن العنقود فيصير بسرا ثم رطبا ثم ينضج ويتناهى ينعه واستواؤه عن الشعبي قال كتب قيصر الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه اخبرك ان رسلي اتتني من عندك فزعمت ان قبلكم شجرة ليست بخليقة لشيء من الخير تخرج مثل آذان الحمير ثم تنشق عن مثل اللؤلؤ ثم تخضر فتكون كالزمرد الاخضر

روي عن علي بن الحسين عن ابيه عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكل شيء عروس وعروس القرآن الرحمن وعن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن رحم الله ضعفه وادى شكر ما انعم الله عليه و گفته اند اول چیزی از قرآن که در مکه بر قریش آشکارا خواندند بعضی آیات از اول این سوره بود روایه کردند از عبد الله مسعود که صحابه رسول مجتمع شدند گفتند قریش با این عبارت از قرآن هیچ نشنیده اند در میان ما کیست که ایشانرا قرآن بشنواند آشکارا عبد الله مسعود گفت آن کس من باشم گرچه ازان ترسیدند اید پس بیامد در انجمن قریش بایستاد و ابتدا سوره الرحمن کرد و بلحنی بر خواند قریش چون آن بشنیدند از سر غیظ و عداوت او را زجرها کردند بر جای نفی خواندن او بود او را فرو گذاشتند و نزدیک اصحاب باز گشت فقالوا هذا الذي خشينا عليك از این سوره اما سبب نزول این سوره آن بود که قریش نام رحمن کم شنیده بودند چون آیت فرو آمد که واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن چون ایشانرا گویند که رحمن را سجود برید ایشان گویند و ما الرحمن این رحمن کیست وچیست رب العالمین جواب ایشان گفت الرحمن علم القرآن اي الرحمن الذي كفرتم به ای که هو الذي علم القرآن الرحمن اسم من اسماء الله تعالى لا تعرفه ولا تستطيع الناس ان ينتحلوه و معناه مبالغه الوصف بالرحمه وهو الذي وسع كل شيء رحمة بهولاء و بهولاء و في بعض الدعاء رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لانه عم الرزق في الدنيا وخص المؤمنين بالعفو في الآخرة علم القرآن يرا رد على من قال انما يعلمه بشر وان هذا الا اختلاق اي الرحمن علم محمدا القرآن ليعلم به امته و قيل معنى علم القرآن اي يكلمه من تعلمه بان انزله عربيا ويسره لان يحفظ ويذكر و التعليم تبيين يصير المرء به عالما والاعلام ايجاد ما به يصير عالما خلق الانسان علمه البيان قال ابن عباس وقتاده معناه خلق آدم عليه السلام وعلمه اسماء كل شيء وعلمه اللغات كلها كان آدم عليه السلام يتكلم بسبعمائة الف لغة افضلها وقيل الانسان اسم الجنس واراد به جميع الناس علمه البيان يعني النطق والكتابة والخط بالعلم والفهم والافهام حتى عرف ما يقول وما يقال له وقال الحسن خلق الانسان يعني محمدا صلى الله عليه علمه البيان يعني القرآن فيه بيان ما كان وما يكون لانه كان نبئ عن الاولين والآخرين وعن يوم الدين الشمس والقمر بحسبان الحسبان قد يكون مصدرا مثل الغفران والكفران والرجحان وقد يكون جمع الحساب كشهاب وشهبان والمعنى الشمس والقمر يجريان بحساب ومنازل والشمس يقطع بروج السماء في ثلثمائة وخمس وستين يوما والقمر يقطعها في ثمانيه وعشرين يوما وقيل ذات كل واحد منهما بحساب فالشمس تسعمائة ستة آلاف واربعمائه فرسخ في مثلها وسعة القمر الف فرسخ في الف فرسخ وقيل لهما اجل وحساب كاجل الناس واذا جاء هلكا وقيل يعرف بهما حساب عدة الشهور والاعوام وقيل مكتوب في وجه الشمس لا اله الا الله محمد رسول الله خلق الله الشمس بقدرته واجراها بامره وفي بطنها مكتوب لا اله الا الله رضاه كلام وغضبه كلام ورحمته كلام وفي وجه القمر مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله خلق الله القمر وخلق الظلمات والنور وفي بطنه مكتوب لا اله الا الله خلق الخير والشر بقدرته يبتلي بهما من يشاء من خلقه فطوبى لمن اجرى الله الخير على يديه والويل لمن اجرى الله الشر على يديه والنجم والشجر يسجدان النجم ههنا كل نبات لا ساق له والشجر ما له ساق يبقى في الشتاء وبيان سجود النجم والشجر في قوله يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وقال مجاهد النجم هو الكوكب وسجوده طلوعه و قد اثبت الله عز وجل الصلوه والسجود والتسبيح للجماد في القرآن في مواضع والسماء رفعها اي رفعت من السفل الى العلو اذ هي دخان فاديره موج الماء الذي كان في الارض و وضع الميزان المعهود له لسان وعمود وكفتان اي الهم الناس كيفية اتخاذ الميزان ليتوصل به الى الانصاف والانتصاف ان لا تطغوا التاويل لان لا تطغوا اي لان لا تجاوزوا الحد والانصاف فيما لكم وعليكم واقيموا الوزن اي اقيموا لسان الميزان بالقسط اي بالعدل ولا تخسروا الميزان اي لا تدخلوا النقص فيه ولا تطففوا في الكيل والوزن وقيل الميزان ميزان القيامه اي لا تخسروا ميزان اعمالكم قال قتاده في هذه الآيه اعدل يا ابن آدم كما تحب ان يعدل عليك واوف كما تحب ان يوفى لك فان للعدل اصلاح الناس والارض وضعها للانام اي بسطها على وجه الماء للخلق ليكون قرارهم عليها والانام الانس والجن فيها فاكهة تكركرتها وعمومها يعني فيها انواع الفواكه والنخل ذات الاكمام اي ذات الاوعيه التي يكون فيها الثمر لان ثمر النخل يكون في غلاف ما لم ينشق والحب اي حب البر والشعير وغيرهما من الحبوب التي جعلها الله في الدنيا قوتا للانام ذو العصف العصف والعصيفه ورق الزرع يقال بدو اول ورقا ثم يكون سوقا ثم يحدث الله فيه اكماما ثم يحدث في الاكمام الحب والريحان هو الرزق خلق الانسان يعني آدم من صلصال الصلصال معناه احدهما هو الطين اليابس الذي اذا وطئ صلصل و صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا تكلم الله بالوحي سمع اهل السموات لصوته صلصلة كصلصلة الجرس على الصفوان والثاني الطين المنتن وهو الحماء المسنون قال الله تعالى من صلصال من حما مسنون صب عليه الماء فصار طينا ثم تركه حتى انتن ولزب ثم شكله فصار صلصالا ثم تركه حتى يبس فصار كالفخار والفخار هو الطين المطبوخ بالنار ويكون له صوت ثم صب عليه ماء وقيل ماء الالوان فلا ترى ان آدم الا كالذي بدونا بسواء الماء من دونهم مرج امر القوم اذا اختلط وقيل المارج هي التي تراها الزبانيه من خضرة النار وخلق الجان من مارج من نار والمارج اللهب المختلط عزوجل الجن منها والملئكه من نورها والشياطين من دخانها يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا في الدنيا فتقول ان استطعتم ان تهربوا ... معناه ان استطعتم ان تهربوا من الموت والخروج من اقطار السموات والارض فاهربوا واخرجوا منها يعني حيث ما كنتم ادرككم الموت كقوله اينما تكونوا يدرككم الموت لا تنفذون الا بسلطان يعني حيث خرجتم اليه ثم سلطاني فلا تخرجون من سلطاني وذلك بعضهم يخاطبهم به في القيامه والمقول ههنا مضمر اي يقال لهم يوم القيامه يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات و الارض فتخرجوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان يعني الا بشهاده ان لا اله الا الله وارضاء الخصوم او بعفو من الله عز وجل

كونند دوج اق الرلست كه زمانه سرخ وسبز وزرد وبكدكر امیخته كردد وجدا از بلندی وتری آتش
درباره هم ارسطو بالیتوحات مذکور است که مارج آتشیست ممتزج بهوا که ازا بهوای مشتعل
کونند پس جان مخلوقست از دو عنصر آتش وهوا وادم از دو عنصر خاک واب چون اب وخاک
بهم ممزوج سوند ازا طین کونند وچون هوا وآتش مختلط کردند ازا مارج خوانند وجابجا شاسیل
در تفسیر بدالعا ابت دردهم در حرف القاء بهواست در از هم اتش ومیان او ونشئ جان وآدم شصت هزار سال بوده

ثم يجيء فيكون كالياقوت الاحمر ثم يينع فينضج فيكون كاطيب الفالوذج اكلا ثم ييبس فيكون عصمة للمقيم وزادا للمسافر فان يكن رسلي صدقتني فلا ارى هذه الشجرة الا من شجر الجنة فكتب اليه عمر من عبد الله عمر امير المؤمنين الى قيصر ملك الروم ان رسلك صدقتك هذه الشجرة عندنا وهي الشجرة التي انبتها الله على مريم حين نفست بعيسى ابنها فاتق الله ولا تتخذ عيسى الها من دون الله فان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين وقيل الاكمام رقابها وهو الليف الذي على عنق النخل قاله قتادة والسدي والحب ذو العصف والريحان قال ابن عباس العصف ورق الزرع الاخضر الذي قطع راسه فهو يسمى العصف اذا يبس ولهذا قيل هو التبن وقال الريحان خضرة الزرع ولعل المراد ان الحب كالقمح والشعير في حاله نباته عصف وهو ما على السنبلة وريحان هو الورق الملتف على ساقها وقيل العصف الورق اول ما ينبت الزرع بقلا والريحان الورق يعني اذا ادجن وانعقد فيه الحب كما قال زيد في قصيدته المشهورة: وقولا له من ينبت الحب في الثرى: فيصبح منه البقل يهتز رابيا: ويخرج منه حبه في رؤوسه ففي ذلك آيات لمن كان واعيا وقيل هو الريحان المعروف وقوله فباي آلاء ربكما تكذبان اي فباي الآلاء يا معشر الثقلين من الانس والجن تكذبان قاله مجاهد وغير واحد ويدل عليه السياق بعده اي النعم ظاهرة عليكم وانتم مغمورون بها لا تستطيعون انكارها ولا جحودها فنحن نقول كما قالت الجن المؤمنون به اللهم ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد عن اسماء بنت ابي بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرا وهو يصلي نحو الركن قبل ان يصدع بما يؤمر والمشركون يسمعون فباي آلاء ربكما تكذبان

خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فباي آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين فباي آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فباي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فباي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام فباي آلاء ربكما تكذبان

ذكر تعالى خلقه الانسان من صلصال كالفخار وخلقه الجان من مارج من نار وهو طرف لهبها وخالصها واحسنها قاله ابن عباس وغير واحد وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم رب المشرقين ورب المغربين يعني مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما كما قال في الآية الاخرى فلا اقسم برب المشارق والمغارب وذلك باختلاف مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم وبروزها منه الى الناس وفي آية اخرى رب المشرق والمغرب الآية والمراد منه جنس المشارق والمغارب ولما كان في اختلاف هذه المشارق والمغارب مصالح للخلق من الثقلين قال فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله مرج البحرين يلتقيان اي ارسلهما وخلاهما ومنعهما ان يلتقيا بما جعل بينهما من البرزخ الحاجز الفاصل والمراد بقوله البحرين الملح والحلو فالحلو هذه الانهار الجارية بين الناس كما سبق في سورة الفرقان واختار ابن جرير ههنا ان المراد بحر السماء وبحر الارض كما قال مجاهد وغيره لان اللؤلؤ يتولد من ماء السماء واصداف البحر وهذا لا يساعده اللفظ فانه تعالى قال بينهما برزخ لا يبغيان اي وجعل بينهما حاجزا من الارض لئلا يبغي ذا على هذا وهذا على ذا فيفسد كل واحد منهما الآخر ويزيله عن صفته التي هي مقصودة منه والمرجان من مجموعهما فاذا وجد ذلك من احدهما كفى كما قال يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم والرسل انما كانوا من الانس خاصة دون الجن والمرجان قيل هو صغار اللؤلؤ قاله مجاهد وغيره وقيل هو كباره وجيده حكاه ابن جرير عن بعض السلف وقيل هو نوع من الجواهر احمر اللون يتخذ منه الخرز قال ابن عباس ما سقطت قطرة من السماء في البحر فوقعت في صدفة الا كان منها لؤلؤة وفي رواية فاذا لم يقع في صدفة نبت منها عنبرة ولما كان اتخاذ هذه الحلية نعمة

يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان

على اهل الارض امتن بها عليهم وقال فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله وله الجوار المنشآت اي السفن التي تجري في البحر قال مجاهد ما رفع قلعه من السفن فهو منشاة وما لم يرفع قلعه فليس بمنشاة وقيل يعني المخلوقات وقيل هي بكسر الشين يعني البادئات كالاعلام اي كالجبال في كبرها وما فيها من المتاجر والمكاسب المنقولة من قطر الى قطر مما فيه صلاح الناس وجلب ما يحتاجون اليه من انواع البضائع ولهذا قال فباي آلاء ربكما تكذبان وعن عميرة بن سويد قال كنت مع علي بن ابي طالب رضي الله عنه على شاطئ الفرات اذ اقبلت سفينة مرفوع شراعها فبسط علي يديه ثم قال يقول الله وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام والذي انشاها تجري في بحوره ما قتلت عثمان ولا مالات على قتله

كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فباي آلاء ربكما تكذبان يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شان فباي آلاء ربكما تكذبان

اخبر تعالى ان جميع اهل الارض سيذهبون ويموتون وكذلك اهل السموات الا من شاء الله ولا يبقى احد سوى وجهه الكريم فان الرب تعالى وتقدس لا يموت ابدا وهذه الآية كقوله كل شيء هالك الا وجهه ذو الجلال اي هو اهل ان يجل فلا يعصى وان يطاع فلا يخالف قال ابن عباس اي ذو العظمة والكبرياء ولما اخبر عن تساوي اهل الارض كلهم في الوفاة وانهم سيصيرون الى الدار الآخرة فيحكم فيهم ذو الجلال والاكرام بحكمه العدل قال فباي آلاء ربكما تكذبان وقوله يسأله من في السموات والارض هذا اخبار عن غناه عما سواه وافتقار جميع الارض اليه في جميع الحالات وانهم يسالونه بلسان حالهم وقالهم وانه كل يوم هو في شان اي يجيب داعيا ويعطي سائلا ويفك عانيا ويشفي سقيما ويكشف كربا ويغفر ذنبا قاله مجاهد وقال قتادة لا يستغني عنه اهل السموات والارض يحيي ميتا ويميت حيا ويربي صغيرا ويفك اسيرا وهو منتهى حاجات الصالحين وصريخهم ومنتهى شكواهم ومغيثهم وعن عبد الله الازدي قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم هو في شان فقلنا يا رسول الله وما ذاك الشان قال ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين رواه ابن جرير وعن ابن ابي حاتم مثله وروي موقوفا عن ابي الدرداء كما علقه البخاري بصيغة الجزم من كلامه وعن ابن عباس ان الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور عرضه ما بين السماء والارض ينظر فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق في كل نظرة ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء

سنفرغ لكم ايها الثقلان فباي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان فباي آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فباي آلاء ربكما تكذبان

قال ابن عباس وغيره هذا وعيد من الله تعالى للعباد بالمحاسبة وليس المراد الفراغ عن شغل لانه تعالى لا يشغله شان كما قال البخاري سنحاسبكم لا يشغله شيء عن شيء كما تقول العرب لاتفرغن لك وما به شغل اي لآخذنك على غرتك وقال ابن جريج اي سنقضي لكم وقوله ايها الثقلان يعني الانس والجن كما جاء في الصحيح وحديث سؤال القبر يسمعه كل شيء الا الثقلين وفي رواية الا الجن والانس ثم قال يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا اي تجوزوا وتخرجوا من اقطار السموات والارض اي من جوانبها واقطارها واطرافها فانفذوا يعني ان استطعتم ان تهربوا من الموت والخروج من تلك الاقطار فاهربوا واخرجوا منها ولكن لا تستطيعون هربا من امر الله وقدره بل هو محيط بكم لا تقدرون على التخلص من حكمه فيكم لا تنفذون الا بسلطان اي الا بامر الله يقول الانسان يومئذ اين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ولهذا قال يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران قال ابن عباس الشواظ لهب النار ودخانه

لا تنفذون

وقال مجاهد هو اللهب الاخضر المنقطع وقال ابو صالح هو اللهب الذى فوق النار ودون الدخان وقال الضحاك اي سيل من نار ونحاس اى دخان قال ابن جرير والعرب تسمي الدخان نحاسا بضم النون وكسرها والقراءة مجمعة على الضم قال النابغه: يضيء كضوء السراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا اى دخانا وعن نافع بن الازرق انه سال ابن عباس عن الشواظ فقال هو اللهب الذى لا دخان معه فسأله شاهدا على ذلك من اللغة فانشد بيت امية بن ابي الصلت في حسان: الا من مبلغ حسان عني مغلغلة تدب الى عكاظ اليس ابوك فينا كان قينا الى القينات فلال الحفاظ عمانيا يظل يشب كيرا وينفخ دائبا لهب الشواظ قال صدقت فما النحاس قال هو الدخان الذى لا لهب له قال فهل تعرفه العرب قال نعم اما سمعت نابغه بني ذبيان يقول يضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا وقال مجاهد وغيره النحاس هو الصفر يذاب فيصب على رؤسهم والمعنى على كل قول لو ذهبتم هاربين يوم القيمة لردتكم الملائكة والزبانيه بارسال اللهب من النار والنحاس المذاب عليكم لترجعوا ولهذا قال فلا تنتصران فباى آلاء ربكما تكذبان فاذا

انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فباى آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فباى آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام فباى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فباى آلاء ربكما تكذبان

يعني فاذا انشقت السماء يوم القيمة وانفرجت كقوله اذا السماء انشقت وكانت وردة كالدهان اى تذوب كما يذوب الدردي والفضة في السبك وتتلون كما تتلون الاصباغ التى يدهن بها فتارة حمراء وتارة صفراء وتارة خضراء وزرقاء وذلك من شدة الامر وهول يوم القيمة كما قال انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس يوم القيمة والسماء تطش عليهم قال الطش المطر الضعيف وقال ابن عباس وردة كالدهان هو الاديم الاحمر وكالفرس الورد وعن البغوي وغيره ان الفرس الورد تكون في الربيع صفراء وفي الشتاء حمراء فاذا اشتد البرد اغبر لونها وقال الحسن تكون الوانا وقيل تكون كالمهل كدردي الزيت قال مجاهد هي يوم ذي الوان قال ابن جريج تصير السماء كالدهن الذايب وذلك حين يصيبها حر جهنم وقوله فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان كقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فهذا في مقام وثم في مقام وحال فانه يسال الخلائق عن جميع اعمالهم قال تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون قال ابن عباس لا يسالهم هل عملتم كذا وكذا لانه تعالى اعلم بذلك منهم ولكن يقال لم عملتم كذا وكذا وقال ابو العاليه عن المجرم ذنب المجرم وقيل لا تسال الملائكة المجرمين لانهم يعرفونهم بسيماهم وذلك بعد ما يؤمر بهم الى النار فيقادون اليها فيلقون فيها كما قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم بظهور علامة عليهم قال الحسن وقتاده يعرفونهم باسوداد الوجوه وزرقة العيون كما يعرف المؤمنون بالغرة والتحجيل من الوضوء وقوله فيؤخذ بالنواصي والاقدام اى تجمع الزبانيه نواصيهم مع اقدامهم من خلف ويلقون في النار قال ابن عباس يؤخذ بناصية الكافر وقدميه ويكسر كما يكسر الحطب في التنور فيقال لهم تقريعا وتوبيخا هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون اى هذه النار التي كنتم تكذبون بوجودها هي حاضرة تشاهدونها عيانا وقوله يطوفون بينها وبين حميم آن اى تارة يعذبون في الجحيم وتارة يسقون من الحميم وهو الشراب الذى هو كالنحاس المذاب يقطع الامعاء والاحشاء وهذه كقوله تعالى يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ومعنى آن حار قد بلغ الغاية في الحرارة لا يستطاع من شدته وقال ابن عباس اى قد انتهى غليه واشتد حره وبه قال مجاهد وغير واحد ولما كان معاقبة العصاة المجرمين من عدله وتنعيم الهداة المتقين من فضله

بس باشد كلكون جون
زيت رنكا رنك

فباى آلاء ربكما تكذبان
بانشقاق السماء وتلونها
ووجه النعمة
التخويف والزجر عن
اجترا مثل ذلك

قال اهل الاشارة من كان صادقا في مقاله كان اخلاصه اجمع في حاله قال تعالى ولمن خاف مقام ربه
جنتان جنة معجلة وهي حلاوة الطاعات ولذة المناجاة وجنة مؤجلة وهي حصول المثوبات
وعلو الدرجات

ولطفه بخلقه وكان انذاره لهم مما يزجرهم عما هم فيه من المعاصي والكفر قال ممتنا بذلك على بريته فباى آلاء ربكما تكذبان

ولمن خاف مقام ربه جنتان فباى آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان فباى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فباى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فباى آلاء ربكما تكذبان

قال ابن شوذب وعطاء نزلت آية ولمن خاف مقام ربه جنتان في ابي بكر الصديق رضي الله عنه والصحيح انها عامه اي ولمن خاف مقامه بين يدي الله تعالى يوم القيمة ونهى النفس عن الهوى ولم يطغ ولا آثر الحيوة الدنيا وعلم ان الآخرة خير وابقى فادى فرائض الله واجتنب محارمه فله يوم القيمة عند ربه جنتان وفي الصحيحين عن عبد الله بن قيس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وعن ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا يوما هذه الآية ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال وان رغم انف ابي الدرداء رواه النسائي وابن جرير وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة رواه الترمذي وهذه الآية شاملة للانس والجن فهي من ادل دليل على ان الجن يدخلون الجنة اذا آمنوا واتقوا ولهذا امتن تعالى على الثقلين بهذا الجزاء فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم نعت هاتين الجنتين فقال ذواتا افنان اى اغصان الشجر نضرة حسنة تحمل من كل ثمرة نضيجة فائقة فباى آلاء ربكما تكذبان قال عطاء وجماعة الافنان اغصان الشجر يمس بعضها بعضا وقال مجاهد وغيره واحدها فنن وهو الغصن المستقيم طولا وقال ابن عباس وغير واحد اي ذواتا الوان يعني انواعا من الملاذ وقال قتادة ذواتا افنان يعني بفضلها وسعتها ومزيتها على ما سواها وعن اسماء بنت ابي بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر سدرة المنتهى فقال يسير في ظل الفنن منها الراكب مائة سنه او قال يستظل في ظل الفنن منها مائة راكب فيها فراش الذهب كان ثمرها القلال رواه الترمذي وقال عطاء كل غصن يجمع فنونا من الفاكهة فيهما عينان تجريان اي تسرحان لسقي تلك الاشجار والاغصان لتثمر من جميع الالوان قال الحسن يقال لاحديهما التسنيم وللاخرى السلسبيل وقال عطيه احديهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين ولهذا قال بعدها فيهما من كل فاكهة زوجان اى من جميع انواع الثمار مما تعلمون وخير مما تعلمون فان فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فباى آلاء ربكما تكذبان قال ابن عباس ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل الا انه حلو وليس في الدنيا مما في الآخرة الا الاسماء يعني ان بين ذلك بونا عظيما وفرقا بينا في التفاضل والله اعلم

متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان فباى آلاء ربكما تكذبان فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس ولا جان فباى آلاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان فباى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان فباى آلاء ربكما تكذبان

متكئين يعني اهل الجنة والاتكاء هنا الاضطجاع وقيل الجلوس على صفة التربع على فرش بطائنها جمع بطانة وهي التي تحت الظهارة من استبرق وهو ما غلظ من الديباج وقيل هو الديباج المعمول بالذهب فنبه على شرف الظهارة بشرف البطانة تنبيها بالادنى على الاعلى قال ابن مسعود هذه البطائن فكيف لو رايتم الظواهر وقال ابن دينار بطائنها من استبرق وظواهرها من نور وجنى الجنتين دان اى ثمرها قريب اليهم

متكئين اى جالسين جلسة الملوك جلوس
راحة ودعة على فرش جمع فراش و
هو ما استمهد للجلوس والنوم

فباى آلاء ربكما تكذبان
بالظهارة
ام بالبطانة

متى شاؤا تناولوه على اي صفة كانوا كما قال قطوفها دانية ولما ذكر الفراش وعظمتها قال بعده فيهن اي في الفراش
قاصرات الطرف اي غضيضات عن غير ازواجهن فلا يرين شيئا احسن في الجنة من ازواجهن قاله ابن عباس وغيره
وقد ورد ان الواحدة منهن تقول لبعلها والله ما ارى في الجنة شيئا احسن منك فالحمد لله الذي جعلك لي و
جعلني لك لم يطمثهن انس اي لم يفترعهن ولم يجامعهن واصله من الدم اي لم يدمهن بالجماع انس قبلهم ولا جان
عن ابي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجن ثلثة اصناف صنف لهم اجنحة يطيرون في الهواء
وصنف حيات وكلاب وصنف يحلون ويظعنون رواه البيهقي ثم قال ناعتا لهن للخطاب كانهن الياقوت و
المرجان قال مجاهد اي في صفاء الياقوت وبياض المرجان عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة من
اهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير ومخها فان الله تعالى يقول كانهن الياقوت والمرجان و
اما الياقوت فانه حجر لو ادخلت عليه سلكا ثم استصفيته لرايته من ورائه رواه ابن ابي حاتم ورواه الترمذي موقوفا
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال للرجل من اهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى
مخ ساقها من وراء الثياب رواه احمد وقال ابن سيرين اما تفاخروا واما تذاكروا الرجال اكثر في الجنة ام النساء
فقال ابو هريرة اولم يقل ابو القاسم صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على اضوء
كوكب دري في السماء لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما في الجنة اعزب رواه احمد
واصل الحديث مخرج من الصحيحين وقوله هل جزاء الاحسان الا الاحسان اي ما لمن احسن العمل في الدنيا الا الاحسان
اليه في الآخرة كما قال للذين احسنوا الحسنى وزيادة وعن انس قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء الاحسان
الا الاحسان وقال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول هل جزاء من انعمت عليه بالتوحيد
الا الجنة رواه البغوي في تفسيره ولما كان في الذي ذكر نعمة عظيمة لا تقاومها عمل بل مجرد تفضل وامتنان قال بعد ذلك
كله فباي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان فباي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان فباي آلاء
ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان
فباي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان فباي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام
فباي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباي آلاء ربكما تكذبان متكئين
على رفرف خضر وعبقري حسان فباي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال
والاكرام هاتان الجنتان دون اللتين قبلهما في المرتبة والفضيلة والمنزلة بنص القرآن وقد سبق في الحديث
جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما فالاوليان للمقربين والاخريان لاصحاب اليمين قاله ابو موسى وقال ابن زيد
من دونهما في الفضيلة والدرجة هكذا عن ابن عباس والدليل على شرف الاوليين على الاخريين انه نعت الاوليين
قبل هاتين والتقديم يدل على الاعتناء وهو ظاهر في شرف المتقدم وعلوه على الثاني وانه قال هناك ذواتا افنان
وهي الاغصان او الفنون وهي الملاذ وقال ههنا مدهامتان اي سوداوان من شدة الري قال ابن عباس قد اسودتا
من الخضرة من شدة الري من الماء وبه قال كثير من الصحابة والتابعين وقال القرظي اي ممتلئتان من الخضرة و
قال هناك فيهما عينان تجريان وقال هنا فيهما عينان نضاختان اي فياضتان والجري اقوى من النضخ وقيل
اي ممتلئتان لا تنقطعان وقال هناك فيهما من كل فاكهة زوجان وقال ههنا فيهما فاكهة ونخل ورمان ولا شك

الفعل مدهامة ... وبها مدهامتان اي الغالب عليهما من الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وفي الاوليين الاشجار

ان الاولى

ان الاولى اعم واكثر في الافراد والتنويع على فاكهة وهي نكرة في سياق الاثبات لا تعم ولهذا ليس قوله ونخل ورمان
من باب عطف الخاص على العام كما قرره البخاري وافراد النخل والرمان بالذكر لشرفهما على غيرهما وفي مسند عبد بن
حميد عن عمر بن الخطاب قال جاء اناس من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا محمد افي الجنة فاكهة
قال نعم فيها فاكهة ونخل ورمان قالوا افيأكلون كما يأكلون في الدنيا قال نعم واضعاف ذلك قالوا افيقضون
الحوائج قال لا ولكنهم يعرقون ويرشحون فيذهب الله ما بهم من اذى قال ابن عباس نخل الجنة سعفها كسوة
لاهل الجنة منها مقطعاتهم ومنها حللهم وكربها ذهب احمر وجذوعها زمرد اخضر وثمرها احلى من العسل و
الين من الزبد وليس له عجم وعن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نظرت الى الجنة فاذا الرمانة
من رمانها كالبعير المقتب رواهما ابن ابي حاتم ثم قال فيهن خيرات حسان اي خيرات حسان كثيرة حسنة
في الجنة قاله قتادة وقيل جمع خيرة وهي المرأة الصالحة الحسنة الخلق الحسنة الوجه قاله الجمهور وعن ام سلمة
قالت قلت يا رسول الله اخبرني عن الخيرات الحسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه ثم قال حور مقصورات
في الخيام وهناك قال فيهن قاصرات الطرف ولا شك ان التي قصرت طرفها بنفسها افضل ممن قصرت وان كان
الجميع مخدرات قال ابن مسعود لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة اربعة ابواب يدخل عليه كل يوم تحفة و
كرامة وهدية لم يكن قبل ذلك لا مرحات ولا طماحات ولا بخرات ولا ذفرات حور عين كانهن بيض مكنون وقوله
في الخيام عن عبد الله بن قيس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون
ميلا في كل زاوية منها اهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمنون رواه البخاري وقال ابو الدرداء الخيمة لؤلؤة
واحدة فيها سبعون بابا من در رواه ابن ابي حاتم وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ادنى اهل الجنة منزلة
الذي له ثمانون الف خادم واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية
وصنعاء رواه الترمذي وقوله لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان سبق تفسيره قريبا الا انه زاد في وصف الاوائل
بقوله كانهن الياقوت والمرجان وقوله متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان قال ابن عباس وغيره الرفرف
المحابس والبسط واحدها رفرفة وقال ابن زيد الرفرف على السرر كهيئة المحابس المتدلي وقيل يعني الوسائد
قال ابن جبير الرفرف رياض الجنة وقال ابن عباس وغيره واحد العبقري الزرابي وقال ابن جبير هي عتاق الزرابي
يعني جيادها وقيل الديباج وسئل الحسن عن العبقري فقال هي بسط اهل الجنة لا ابا لكم فاطلبوها وقيل انها المرافق
وقال ابن زيد العبقري احمر واصفر واخضر والبسط اسفل من ذلك وقيل هي الطنافس المخملة قال القتيبي كل ثوب
موشى عند العرب عبقري وقال ابو عبيد هو منسوب الى ارض يعمل بها الوشي وقال الخليل كل شيء نفيس من الرجال
وغير ذلك يسمى عند العرب عبقريا ومنه قوله عليه الصلوة والسلام في عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم ار عبقريا
يفري فريه وعلى كل تقدير فصفة مرافق اهل الجنتين الاوليين ارفع واعلى من هذه الصفة فانه قال هناك
متكئين على فرش بطائنها من استبرق فنعت بطائن فرشهم وسكت عن ظهائرها اكتفاء بما مدح به البطائن بطريق
الاولى وتمام الخاتمة انه قال بعد الصفات المتقدمة هل جزاء الاحسان الا الاحسان فوصف اهلها بالاحسان
وهو اعلى المراتب والنهايات فهذه وجوه عديدة في تفضيل الجنتين الاوليين على هاتين الاخريين جعلنا الله من
اهلها ثم قال تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام اي هو اهل ان يجل ولا يعصى وان يكرم فيعبد ويشكر فلا يكفر

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان امرأة من نساء اهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على راسها خير من الدنيا وما فيها

قال صلى الله عليه وسلم رأيت عمر بن الخطاب في المنام يستقي من بئر فلم ار عبقريا يفري فريه اي يعمل عمله

وان يذكر فلا ينسى قال ابن عباس اى ذى العظمة والكبرياء وعن ابى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلوا الله يغفر لكم رواه احمد وعن ابى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اجلال الله اكرام ذى الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالى فيه ولا الجافى عنه واكرام السلطان المقسط رواه ابو داود والبيهقى فى شعب الايمان وعن انس وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام وفى رواية بذى الجلال والاكرام رواه احمد والنسائى ومعنى الظوا الزموا او يقال الالظاظ هو الالحاح وكلاهما واحد فى المعنى وهو المداومة واللزوم وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقعد يعنى بعد الصلوة الا بقدر ان يقول اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام

تفسير سورة الواقعة وهى مكية

عن ابن عباس قال قال ابو بكر يا رسول الله قد شبت قال شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت رواه الترمذى وحسنه وعن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا رواه البيهقى فى شعب الايمان وعن ابن عساكر فى ترجمة ابن مسعود وعن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الصلوات كنحو من صلاتكم التى تصلون اليوم ولكنه كان يخفف وكان يقرأ فى الفجر الواقعة ونحوها من السور رواه مسلم وغيره **بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم ازواجا ثلثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة والسابقون السابقون اولئك المقربون فى جنات النعيم** الواقعة اسم من اسماء يوم القيمة سميت بذلك لتحقق كونها ووجودها اى اذا قامت القيمة ونزلت صيحتها وهى النفخة الاخيرة ليس لوقعتها كاذبة اى ليس لوقوعها اذا اراد الله كونها صارف يصرفها ولا مانع يدفعها قال ابن جرير والكاذبة مصدر كالعافية والعاقبة بمعنى كذب تعنى لا بد وان تكون ولدى فيها رجعة وقوله خافضة رافعة اى تخفض اقواما الى اسفل السافلين وان كانوا فى الدنيا اعزاء وترفع آخرين الى اعلى عليين وان كانوا فى الدنيا اذلاء قال الحسن وغيره كما قال عمر بن الخطاب الساعة خفضت اعداء الله الى النار ورفعت فاسمعت البعيد وقوله اذا رجت الارض رجا اى حركت تحريكا وزلزلت زلزالا قاله ابن عباس وغيره كقوله اذا زلزلت الارض زلزالها وقال الربيع رجت بما فيها فيهدم كل ما عليها كرج الغربال بما فيه واصل الرج التحريك وقوله وبست الجبال بسا اى فتتت فتا قاله ابن عباس وغيره وقال ابن زيد اى صارت الجبال كثيبا مهيلا وقوله فكانت هباء منبثا قال على رضى الله عنه الهباء هو الذى يطير من النار اذا اضطرمت يطير منه الشرر فاذا وقع لم يكن شيئا وقال عكرمة المنبث الذى ذرته الريح وبثته وقيل كيبيس الشجر الذى تذروه الرياح وهذه الآية كاخواتها الدالة على زوال الجبال عن اماكنها يوم القيمة وذهابها وتسييرها ونسفها وصيرورتها كالعهن المنفوش وقوله وكنتم ازواجا ثلثة اى ينقسم الناس يوم القيمة الى ثلثة اصناف قوم عن يمين العرش وهم الذين خرجوا من شق آدم الايمن ويؤتون كتبهم بايمانهم ويؤخذ بهم ذات اليمين قال السدى وهم جمهور اهل الجنة وآخرون عن يسار العرش وهم الذين خرجوا من شق آدم الايسر ويؤخذ بهم ذات الشمال ويؤتون كتبهم بشمائلهم وهم عامة اهل النار وطائفة سابقون بين يديه وهم اخص واقرب من اصحاب اليمين وهم سادتهم فيهم الرسل والانبياء والصديقون والشهداء وهم اقل عددا من اصحاب اليمين ولهذا قال تعالى فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة والسابقون السابقون فهكذا قسمهم الى هذه الانواع الثلثة فى آخر السورة وهكذا

شيبتنى

در حجرت كه عثمان بن عفان رضى الله عنه عيادت كرد عبد الله بن مسعود را در بيمارى مرگ گفت يا عبد الله ازچه مينالى گفت از گناهان خود مينالم گفت چه آرزو دارى گفت رحمت ربى عثمان گفت الا ندعوا الطبيب طبيبى را بخوانم تا ترا مداوات كند گفت الطبيب امرضنى گفت حكم كنى تا عطائى فرمايم كه به بعض حاجتها خود صرف كنى گفت لا حاجة لى به گفت دستورى هست تا بدختران دهم كه تا بعد از تو ايشانرا حاجت بود گفت ايشانرا حاجت نيست واگر حاجت بود من ايشانرا براتى عطا داده ام گفته ام كه بوقت حاجت وضرورت سورة الواقعة برخوانند كه من از رسول خداى شنيدم من قرا سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

فى التفسير ان الله سبحانه يبعث ريحا من تحت الارض فتحمل الارض والجبال وتضرب بعضها ببعض ولا تزال كذلك حتى يصير غبارا ويسقط ذلك الغبار على وجوه الكفار وذلك قوله وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وقال فى صفة الكفار وجوه يومئذ عليها غبرة

السابقون السابقون يحتمل ان يكون السابقون مبتدا وخبره السابقون الثانى ومعناه السابقون الى الطاعة فى الدنيا هم السابقون غدا الى الجنة والرضوان ويكون الثانى تاكيدا للاول وخبر الابتداء قوله اولئك المقربون

ذكرهم فى قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله على احد الاقوال فى الظالم لنفسه كما سبق فى سورة الملئكة وبه قال ابن عباس وقال مجاهد ازواجا ثلثة اى فرقا وقيل افواجا او اصنافا اثنان فى الجنة وواحد فى النار وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون من السابقون الى ظل الله يوم القيمة قالوا الله ورسوله اعلم قال الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سئلوا بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لانفسهم رواه احمد وقيل هم الانبياء على اممهم وقيل السابقون فى الاسلام وقيل الى الهجرة وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل المسارعون الى التوبة والى اعمال البر وقيل الى كل ما دعى الله اليه وقيل هم اولهم رواحا الى المسجد واولهم خروجا فى سبيل الله ولكل وجهة ودليل من القرآن فمن سبق فى هذه الدنيا الى الخيرات كان فى الآخرة من السابقين الى الكرامة فان الجزاء من جنس العمل ولهذا قال تعالى اولئك المقربون اى الى جوار القدس فى **جنات النعيم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق وكاس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما** اخبر تعالى عن هؤلاء السابقين المقربين انهم ثلة اى جماعة من الاولين وقليل من الآخرين قيل المراد بالاولين الامم الماضية وبالآخرين هذه الامة وهذا عن مجاهد والحسن وهو اختيار ابن جرير واستانس بقوله عليه الصلوة والسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيمة كما روى ابو هريرة قال لما نزلت ثلة من الاولين وقليل من الآخرين شق ذلك على اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم انى لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة بل ثلث اهل الجنة بل انتم نصف اهل الجنة او شطر اهل الجنة وتقاسمونهم النصف الثانى رواه احمد وابن ابى حاتم فقوله عليه الصلوة والسلم انى لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة الحديث بتمامه وهو مفرد فى صفة الجنة ولكن فيما اختاره ابن جرير نظر لان هذه الامة هى خير الامم بنص القرآن فيبعد ان يكون المقربون فى غيرها اكثر اللهم الا ان يقابل مجموع الامم بهذه الامة والظاهر ان المقربين من هؤلاء اكثر من سائر الامم والراجح فى هذا المقام ان يكون المراد بقوله ثلة من الاولين صدر هذه الامة وقليل من الآخرين اى من هذه الامة كما قال الحسن اما السابقون فقد مضوا ولكن اللهم اجعلنا من اصحاب اليمين فقرأ الحسن هذه الآية وقال ثلة من الاولين ممن مضى من هذه الامة وقليل من الآخرين كانوا يقولون او يرجون ان يكونوا كلهم من هذه الامة وبه قال ابن سيرين ان الجميع من هذه الامة ولا شك ان كل امة خير من آخرها فيحتمل ان يعم الامر جميع الامم كل امة بحسبها ولهذا ثبت فى الصحاح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم الحديث بتمامه واما الحديث الذى رواه احمد والترمذى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثل امتى مثل المطر لا يدرى اوله خير ام آخره فبعد الحكم بصحة اسناده محمول على ان الدين كما هو محتاج الى اول هذه الامة فى ابلاغه الى من بعدهم كذلك هو محتاج الى القائمين به فى اواخرها والفضل للمتقدم وكذلك الزرع هو محتاج الى المطر الاول والى الثانى ولكن العمدة الكبرى على الاول واحتياج الزرع اليه آكد فانه لولاه لما نبت فى الارض ولا تعلق اساسه فيها ولهذا قال عليه الصلوة والسلام لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم الى قيام الساعة وفى لفظ حتى ياتى امر الله وهم على ذلك هكذا فى الصحيحين والغرض ان هذه الامة اشرف من سائر الامم والمقربون فيها

اوّله

اكثر من غيرها واعلى منزلة لشرف دينها وعظم نبيها والاحاديث في شرف هذه الامة وفضلها كثيرة وقوله على سرر
موضونة اى منسوجة بالذهب واللؤلؤ هكذا عن ابن عباس وغير واحد وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت قال
ابن جرير ومنه وضين الناقة التي تحت بطنها لانه مضفور وكذلك السرر في الجنة مضفورة بالذهب واللآلى وقوله
متكئين عليها متقابلين اى وجوه بعضهم الى بعض ليس احد وراء احد يطوف عليهم ولدان مخلدون على صفة واحدة لا يكبرون
عنها ولا يشيبون ولا يتغيرون باكواب واباريق وكاس من معين اما الاكواب فهي الكيزان التي لا خراطيم لها ولا آذان
والاباريق التي جمعت الوصفين والكؤوس الهنابات اي القصاع والجميع من خمر من عين جارية معين ليس من اوعية ينقطع
ويفرغ من عيون سارحة وقوله لا يصدعون عنها ولا ينزفون اى لا تصدع رؤسهم ولا تنزف عقولهم بل هي ثابتة مع الشدة المطربة
واللذة الحاصلة وقد سبق عن ابن عباس انه قال في الخمر اربع خصال السكر والصداع والقيء والبول فذكر الله خمر الجنة ونزهها
عن هذه الخصال اى ليس لهم فيها صداع راس ولا ينزفون اي لا تذهب بعقولهم وقوله وفاكهة مما يتخيرون اى يطوفون عليهم
بما يتخيرون اى من الثمار وفيه دليل على جواز اكل الفاكهة على صفة التخير لها كما روى عكراش بن ذويب قال اتينا بجفنة كثيرة
الثريد والودر فخبطت بيدي في نواحيها واكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقبض بيده اليسرى على يدي اليمنى ثم
قال يا عكراش كل من موضع واحد فانه طعام واحد ثم اتينا بطبق فيه الوان التمر فجعلت آكل من بين يدي وجالت يد
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطبق فقال يا عكراش كل من حيث شئت فانه غير لون واحد ثم اتينا بماء فغسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يديه ومسح ببلل كفيه وجهه وذراعيه وراسه وقال يا عكراش هذا الوضوء مما غيرت النار رواه الترمذي و
ابن ماجه وعن انس قال اتت امراة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله رايت كاني اتيت فاخرجت من المدينة
فادخلت الجنة فسمعت وجبة ارتجت لها الجنة فنظرت فاذا فلان بن فلان وفلان بن فلان فسمت اثنى عشر رجلا
كان النبي صلى الله عليه وسلم قد بعثهم سرية قبل ذلك فجيء بهم عليهم ثياب طلس تشخب اوداجهم فقيل اذهبوا بهم الى
نهر البيذخ او البيدج قال فغمسوا فيه فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر فاتوا بصحفة من ذهب فيها بسر فاكلوا
من بسرها ما شاؤا انما يقلبونها من وجه الا اكلوا من الفاكهة ما ارادوا واكلت معهم فجاء البشير من تلك السرية
فقال ما كان من رؤيا كذا وكذا فاصيب فلان وفلان حتى عد اثنى عشر رجلا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم المراة فقال
قصي رؤياك فقصتها وجعلت تقول فجيء بفلان وفلان كما قال هذا الحديث على شرط مسلم رواه احمد وعن ثوبان
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل اذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها اخرى رواه الطبراني وقوله ولحم
طير مما يشتهون عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان طير الجنة كامثال البخت ترعى في شجر الجنة فقال
ابو بكر يا رسول الله ان هذه لطير ناعمة فقال آكلها انعم منها قالها ثلاثا واني لارجو ان تكون ممن ياكل منها تفرد به احمد
وعنه ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكوثر قال نهر اعطانيه ربي في الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى
من العسل فيه طيور اعناقها كاعناق الجزر فقال عمر انها لناعمة قال رسول الله آكلها انعم منها رواه الترمذي و
حسنه وقوله وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون وقرا بعضهم بالرفع على تقدير ولهم حور عين وقراءة الجر تحتمل
معنيين احدهما ان يكون تابعا لما قبله من القرآن كما قال عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق والثاني ان يكون مما يطوف
به الولدان المخلدون عليهم الحور العين ولكن يكون ذلك في القصور والخيام لا في المجالس الجامع وقوله كامثال اللؤلؤ
المكنون اى كانهن اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه كما تقدم في سورة الصافات كانهن بيض مكنون ووصفهن ايضا

الصفيح النسج وغيره ١٢

الودرة بالتحريك الغدة وهي القطعة من اللحم ١٢ ق

الاطلس الخلق وكذلك الطلس بالكسر والجمع اطلاس ١٢

ولهذا قال جزاء بما كانوا يعملون اى هذا الذى اتحفناهم به مجازاة لهم على ما احسنوا من العمل ثم قال لا يسمعون فيها لغوا
ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما اى لا يسمعون في الجنة كلاما لاغيا اي عبثا خاليا عن المعنى او مشتملا فائدة في معنى حقير
ولا تاثيما اى ولا كلاما فيه قبح الا قيلا سلاما سلاما اي الا التسليم منهم بعضهم على بعض كما قال تحيتهم فيها سلام واصحاب
اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب
وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة انا انشاناهن انشاء فجعلناهن
ابكارا عربا اترابا لاصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين لما ذكر تعالى مآل
السابقين وهم المقربون عطف عليهم حال اصحاب اليمين وهم الابرار فان منزلتهم دون منزلة السابقين فقال
واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين يعني اى شيء اصحاب اليمين تعجبا وما حالهم وكيف مآلهم ثم فسر فقال في سدر مخضود
فقال ابن عباس وجماعة وابن جرير هو الذى لا شوك فيه وفي رواية عنه انه هو الموقر بالثمر الظاهر ان المراد
كلاهما كما قال قتادة كنا نتحدث انه الموقر الذي لا شوك فيه فان سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر غالبا وفي الآخرة على
العكس موقر الثمر بلا شوك وعن سليم بن عامر قال اقبل اعرابي يوما فقال يا رسول الله ذكر الله في الجنة شجرة تؤذي
صاحبها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هي قال السدر فان له شوكا موذيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس
الله يقول في سدر مخضود خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة فانها لتنبت ثمرا يفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين
لونا من طعام ما فيها لون يشبه الآخر رواه ابو بكر النجاد يقال خضد شوكه اذا قطع ونزع منه وقوله وطلح منضود
قال ابو سعيد هو الموز وبه قال ابن عباس وغيره وقال ابن زيد اهل اليمن يسمون الموز الطلح وقال الحسن هو شجر
له ظل بارد طيب وقال السدي منضود مصفوف قال ابن عباس يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل قال
الجوهري الطلح في اللغة الطلع وقد روى عن علي رضي الله عنه انه قال وطلع منضود فعلى هذا يكون من صفة السدر فكانه
وصفه بانه مخضود وان طلعه منضود وهو كثرة ثمره وقوله وظل ممدود في الصحيحين عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرؤا ان شئتم وظل ممدود قال ابن جرير فبلغ ذلك كعبا فقال
صدق والذي انزل التوراة على موسى والقرآن على محمد لو ان رجلا ركب حقة او جذعة ثم دار باعلى تلك الشجرة ما بلغها
حتى يسقط هرما ان الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وان افنانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر الا وهو
يخرج من اصل تلك الشجرة وفي رواية في الصحيحين عن ابي سعيد وسهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في
الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها وهذا حديث متواتر مقطوع بصحته عند ائمة الحديث
لتعدد طرقه وقوة اسانيده وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما في الجنة شجرة الا وساقها من ذهب
رواه الترمذي وحسنه وقوله وماء مسكوب يعني مصبوب يجري في غير اخدود كما سبق في تفسير قوله تعالى فيها انهار
من ماء غير آسن وقوله وفاكهة كثيرة اى وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الالوان مما لا عين رات ولا اذن سمعت و
لا خطر على قلب بشر وفي الصحيحين في حديث صلاة الخسوف قال اني رايت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو اخذته لاكلتم منه
ما بقيت الدنيا وقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة اى لا تنقطع شتاء ولا صيفا بل اكلها دائم مستمر مهما طلبوا وجدوه لا يمتنع عليهم
بقدرة الله شيء قال قتادة لا يمنعهم من تناولها عود ولا شوك ولا بعد كما في الحديث اذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها
اخرى وفي رواية ما قطعت من ثمار الجنة الا ابدل الله مكانها ضعفين وقوله وفرش مرفوعة اى عالية وطيئة ناعمة عن ابي سعيد
عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والارض رواه النسائي والترمذي وحسنه قال
بعضهم معنى هذا الحديث ارتفاع الفرش في الدرجات وبعد ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض وقال الحسن ارتفاع

فراش الرجل من اهل الجنة مسيرة ثمانين سنة وقيل المراد بالفرش النساء والعرب تسمي المراة فراشا ولباسا مرفوعة اي
رفعن بالجمال والفضل على نساء الدنيا ولهذا رتب عليه انا انشاناهن انشاء اي اعدناهن في النشاة الآخرة بعد ما كن
عجائز رمصا صيرناهن ابكارا اي بعد الثيوبة عذارى ابكارا عربا متحببات الى ازواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة وقيل
عربا اي غنجات وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا انشاناهن انشاء قال عجائز كن في الدنيا عمشا رمصا
رواه الترمذي وابن جرير وابن ابي حاتم قيل جرى ضمير انشاناهن على غير مذكور لكن لما دل السياق وهو ذكر الفرش على
النساء التي يضاجعهن فيها اكتفى بذلك عن ذكرهن وعاد الضمير عليهن كما في قوله حتى توارت بالحجاب يعني الشمس على
المشهور وقال ابو عبيدة ذكرن في قوله وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون وفي مسند عبد بن حميد عن الحسن قال اتت عجوز
فقالت يا رسول الله ادع الله ان يدخلني الجنة فقال يا ام فلان ان الجنة لا تدخلها عجوز قال فولت تبكي قال اخبروها
انها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا وعن ابي سعيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة اذا جامعوا نساءهم عدن ابكارا رواه الطبراني وعن انس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعطى المؤمن قوة كذا وكذا في النساء قلت يا رسول الله او يطيق ذلك قال يعطى قوة مائة رواه الترمذي
وصححه وقال ابن عباس العرب العواشق لازواجهن وازواجهن لهن عاشقون وبه قال كثيرون قال ابن بريدة في قوله
عربا هي الشكلة بلغة اهل مكة والغنجة بلغة اهل المدينة وفي قوله اترابا قال ابن عباس يعني في سن واحدة ثلث وثلثين سنة
وقال مجاهد الاتراب المستويات وقال السدي اي في الاخلاق المتواخيات بينهن ليس بينهن تباغض ولا تحاسد يعني لا كما
كن في الدنيا ضرائر متعاديات وقيل اي مستويات الاسنان ياتلفن جميعا ويلعبن جميعا وعن علي رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة مجتمعا للحور العين يرفعن اصواتا لم تسمع الخلائق بمثلها يقلن نحن الخالدات
فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نباس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له رواه الترمذي وعن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الحور العين لتغنين في الجنة يقلن نحن خيرات حسان خلقنا لازواج كرام رواه
الحافظ الموصلي وقوله لاصحاب اليمين اي خلقن وادخرن لاصحاب اليمين وزوجهن لهم وهو متعلق بقوله انا انشاناهن انشاء
قاله ابن جرير ويمكن ان يكون متعلقا بما قبله وهو قوله اترابا اي في اسنانهم كما في الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على اضوء كوكب دري في السماء اضاءة
لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون امشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة وازواجهم
الحور العين اخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم ستون ذراعا في السماء وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين ابناء ثلث وثلثين وهم على خلق آدم ستون ذراعا
في عرض سبعة اذرع رواه احمد وللترمذي نحوه وقوله ثلة من الاولين وثلة من الآخرين اي جماعة من الاولين و
جماعة من الآخرين قال ابن عباس ثلة من الاولين وثلة من الآخرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما جميعا من امتي
رواه ابن جرير وعن ابن عباس قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال عرضت علي الامم فجعل يمر النبي معه
الرجل والنبي معه الرجلان والنبي معه الرهط والنبي ليس معه احد ورايت سوادا كثيرا سد الافق
فرجوت ان تكون امتي فقيل هذا موسى في قومه ثم قيل لي انظر فرايت سوادا كثيرا سد الافق فقيل لي انظر هكذا وهكذا
فرايت سوادا كثيرا سد الافق فقيل لي هؤلاء امتك ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس
ولم يبين لهم فتذاكر اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اما نحن فولدنا في الشرك ولكنا آمنا بالله ورسوله ولكن
هؤلاء ابناؤنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون

فقام

قال بعض المفسرين وعد فضل السدي ... فقال تعالى وصفي له زوج شكل الحسن غنج كل الصلاح فقال جعلها شابة بعد ان كانت عجوزا وولودا بعد ان كانت عقيما

روي ان في الجنة غرفة يقال لها العالية فيها حوراء يقال لها الغنجة اذا اراد ولي الله ان ياتيها اتاها جبريل فآذنها فقامت على اطرافها معها اربعة آلاف وصيفة يجمعن اذيالها وذوائبها يبخرنها بمجامر بلا نار وعن عبد الرحمن السلماني قال يعطى الرجل منكم غرفة من لؤلؤ فيها سبعون غرفة في كل غرفة زوجة من الحور العين ينظر في وجه كل منهن ... وجهه في وجهها وترى هي وجهها في وجهه من الحسن مكتوب في نحر كل واحدة منهن انت حبي وانا حبك ... كالمرجان وصفاء كصفاء الياقوت وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول الحوراء يوم القيامة لولي الله كم من مجلس من مجالس ذكر الله قد اكرمك به الله ... عليك ... وانت قاعد بين اخوانك تخطبني الى الله تعالى ... كان يقول ... الذي اكرمني بك واكرمك بي خطبتني الى الله عز وجل مرة الا خطبتك الى الله تعالى سبعين مرة فالحمد لله الذي اكرمني بك واكرمك بي

الشكل الدل

لا يراون الكي

لا يبرزون على الرقية وهي التعويذ

فقام عكاشة بن محصن فقال امنهم انا يا رسول الله قال نعم فقام آخر فقال امنهم انا قال سبقك بها عكاشة
رواه البخاري وعن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرضت علي الانبياء الليلة باتباعها حتى اتى علي
موسى في كبكبة بني اسرائيل قلت اي رب فاين امتي قال انظر عن يمينك فاذا الظراب ظراب مكة قد سدت بوجوه الرجال قيل هؤلاء
امتك ارضيت قلت رب رضيت فقيل انظر عن يسارك واذا الافق قد سد بوجوه الرجال قيل هؤلاء امتك ارضيت قلت رب
رضيت فقيل ان مع هؤلاء سبعين الفا يدخلون الجنة لا حساب عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان تكونوا من السبعين فكونوا و
ان عجزتم وقصرتم فكونوا من اهل الظراب وان عجزتم فكونوا من اهل الافق فاني قد رايت ثم اناسا يتهاوشون كثيرا رواه
ابن جرير وابن ابي حاتم **واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم**
لا بارد ولا كريم انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا
يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اواباؤنا الاولون قل ان
الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون
من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا
نزلهم يوم الدين لما بين تعالى حال اصحاب اليمين وهم السعداء عطف عليهم ذكر اصحاب الشمال وهم الاشقياء فقال و
اصحاب الشمال ما اصحاب الشمال يعني اي شيء هم وكيف مآلهم ثم فسر ذلك فقال في سموم وهو الهواء الحار وحميم هو الماء
الحار وظل من يحموم هو الدخان الاسود قاله ابن عباس وجماعة وقيل اليحموم اسم من اسماء النار لا بارد ولا كريم اي
ليس طيب الهبوب ولا حسن المنظر كما قال قتادة لا بارد المنزل ولا كريم المنظر والعرب تتبع هذه اللفظة في النفي فيقول
هذا الطعام ليس بطيب ولا كريم ثم ذكر استحقاقهم لذلك فقال انهم كانوا قبل ذلك مترفين اي انهم كانوا في الدنيا منعمين
مقبلين بلذات انفسهم معرضين عما جاءتهم به الرسل وكانوا يصرون اي يداومون ولا ينوون توبة على الحنث اي الذنب
العظيم وهو الكفر بالله وجعل الانداد والاوثان اربابا من دون الله وقال الشعبي هو اليمين الغموس وكانوا يقولون
ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او اباؤنا الاولون يعني انهم يقولون بذلك مكذبين به مستبعدين لوقوعه
قال تعالى قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم اي اخبرهم يا محمد ان الاولين و
الآخرين من لدن آدم سيجمعون الى عرصات القيامة لا يغادر ولا يسامح منهم احدا اي هو موقت بوقت محدود لا يتقدم
ولا يتاخر ولا يزيد ولا ينقص ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم وذلك انهم يقبضون ويسجرون
حتى ياكلوا من شجر الزقوم فيملئوا منها بطونهم فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم وهي الابل العطاش الظماء
قاله ابن عباس وغيره واحدها اهيم والانثى هيماء ويقال هائم وهائمة وقال عكرمة الهيم الابل المراض تمص الماء
مصا ولا تروى واصله داء ياخذ الابل فلا تروى حتى تموت وكذلك اهل جهنم لا يروون من الحميم ابدا ثم قال تعالى هذا
نزلهم يوم الدين اي هذا الذي وصفنا هو ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم كما قال في حق المؤمنين كانت لهم جنات
الفردوس نزلا اي ضيافة وكرامة **نحن خلقناكم فلولا تصدقون افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه**
ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم و
ننشئكم فيما لا تعلمون ولقد علمتم النشاة الاولى فلولا تذكرون قال تعالى مقررا للمعاد رادا
على ذوي العناد من اهل الزيغ والضلال والالحاد من الذين قالوا ائذا كنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون وذلك صدر منهم
على وجه التكذيب والاستبعاد نحن خلقناكم اي نحن ابتدانا خلقكم بعد ان لم تكونوا شيئا مذكورا افليس الذي قدر على البداءة

فلما رايتهم اعجبوني قلت اي رب من
هؤلاء قيل هذا اخي موسى ومن معه من
بني اسرائيل م

ان استطعتم م

بقادر على الاعادة بطريق الاولى ولهذا قال فلولا تصدقون اي فهلا تصدقون بالبعث ثم قال مستدلا عليهم بقوله افرايتم
ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون اي ما تصبونه من النطف ءانتم تقرونه في الارحام و تخلقونه فيها ام الله الخالق
لذلك ثم قال نحن قدرنا بينكم الموت اي قضينا وسوينا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين اي بعاجزين على ان نبدل امثالكم
اي نغير خلقكم يوم القيمة و ننشئكم فيما لا تعلمون اي من الصفات والاحوال ثم قال ولقد علمتم النشاة الاولى
اي قد علمتم ان الله انشاكم بعد ان لم تكونوا شيئا مذكورا فخلقكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة فهلا تذكرون و تعرفون
ان الذي قدر على هذه النشاة وهي البداءة قادر على النشاة الاخرى وهي الاعادة بطريق الاولى كما قال وهو الذي يبدؤ الخلق
ثم يعيده وهو اهون عليه وغيره من الآيات البينات **افرايتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون لو نشاء**
لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون انا لمغرمون بل نحن محرومون افرايتم الماء الذي تشربون ءانتم
انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون افرايتم النار
التي تورون ءانتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين
فسبح باسم ربك العظيم الحرث شق الارض واثارته للبذر فيها اي افرايتم ما تثيرون من الارض وتلقون فيها
البذر ءانتم تزرعونه اي تنبتونه فيها ام نحن الزارعون اي بل نحن ننبته وكان بعضهم اذا قرا هذا وامثاله قال بل انت يا رب
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولن زرعت ولكن قل حرثت قال ابو هريرة الم تسمع الى قوله تعالى افرايتم ما تحرثون
الآية رواه ابن جرير والبزار و قوله لو نشاء لجعلناه حطاما اي لا ينبته بل استواءه واستحصاده فظلتم تفكهون ثم فسر ذلك بقوله انا لمغرمون
بل نحن محرومون اي لو جعلناه حطاما لظلتم تفكهون في المقالة تنوعون كلامكم فتقولون تارة انا لمغرمون اي لملقون للشر والمغرم
هو الذي ذهب ماله بغير عوض وقيل اي لمعذبون والغرام العذاب قاله ابن عباس وتارة يقولون بل نحن محرومون اي ممنوعون
من الحظ اي حرمنا ما كنا نطلبه من الربح في الزرع وقيل اي فظلتم تتعجبون و تفجعون وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم وهو اختيار
ابن جرير وقال قتادة والسدي اي فظلتم تندمون اي على ما اسلفتم من الذنوب او من الانفاق في الزرع والتفكه من الاضداد
يقال تفكهت بمعنى تنعمت وبمعنى حزنت ثم قال افرايتم الماء الذي تشربون ءانتم انزلتموه من المزن يعني السحاب قاله ابن عباس
وغير واحد ام نحن المنزلون اي بل نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا شديد الملوحة مرا فلولا تشكرون نعمة الله عليكم في انزاله المطر
لاجلكم عذبا زلالا لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع الآية وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
اذا شرب قال الحمد لله الذي سقانا عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا رواه ابن ابي حاتم ثم قال افرايتم النار التي
تورون اي تقدحون من الزناد وتستخرجونها من اصلها ءانتم انشاتم شجرتها اي التي تقدح منها النار وهي المرخ والعفار
ام نحن المنشئون اي بل نحن الذي جعلناها مودعة في موضعها فاذا اخذ من الشجرتين غصنان اخضران فحك احدهما بالآخر
خرجت من بينهما النار وقوله نحن جعلناها اي النار الصغرى تذكرة للنار الكبرى اي مذكرة لها وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ما جعل الله منفعة لاحد رواه
احمد وفي الصحيحين عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قيل يا رسول الله ان كانت
لكافية قال فضلت عليهن بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها واللفظ للبخاري وفي رواية لمسلم ناركم التي توقد ابن آدم وفيها عليها
وكلها بدل عليهن وكلهن وقوله ومتاعا للمقوين قال ابن عباس وغير واحد اي للمسافرين واختاره ابن جرير وقيل المقوي ههنا
الجائع وعن مجاهد اي للحاضر والمسافر لكل طعام لا يصلحه الا النار غنيا كان او فقيرا فان الجميع محتاجون اليه للطبخ والاصطلاء
وسائر المنافع والمصالح ثم من لطف الله ان اودعها في الاحجار وخالص الحديد بحيث يمكن المسافر من حمل ذلك في متاعه وبين

ثيابه

وبين ثيابه فاذا احتاج الى ذلك اخرج زنده واورى واوقد ناره واستمتع بها ولهذا قال الحسن اي بلغة للمسافرين يتبلغون
بها الى اسفارهم ولئن كان ذلك عاما في حق الناس كلهم كما روى ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلمون شركاء
في ثلث في الماء والكلأ والنار رواه ابو داود وابن ماجه وقوله فسبح باسم ربك العظيم اي الذي بقدرته خلق هذه الاشياء المختلفة
المتضادة الماء الزلال العذب البارد ولو شاء لجعله ملحا اجاجا كماء البحر وخلق النار المحرقة وجعل ذلك مصلحة للعباد
ومنفعة لهم في معاش دنياهم وزادا لهم في المعاد **فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون**
عظيم انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين
افبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون قال الضحاك ان الله لا يقسم بشيء
من خلقه ولكنه استفتح بذلك كلامه وهذا ضعيف والذي عليه الجمهور انه قسم من الله يقسم بما شاء من خلقه وهو
دليل على عظمته ثم قال بعضهم لا هنا زائدة وتقديره اقسم بمواقع النجوم قاله ابن جرير عن سعيد بن جبير ويكون جوابه
انه لقرآن كريم وقال آخرون ليست زائدة بل لها معنى منوي في اول القسم اذا كان مقسما به على نفي كما قالت عائشة لا
والله ما مست يد رسول الله يد امراة قط وكذا ههنا وتقديره لا اقسم بمواقع النجوم ليس الامر كما زعمتم في القرآن انه
سحر او كهانة بل هو قرآن كريم وقال بعضهم معناه فليس الامر كما تقولون ثم استونف الكلام فقيل اقسم واختلفوا في
معنى مواقع النجوم فعن ابن عباس يعني نجوم القرآن فانه نزل ليلة القدر جملة من السماء العليا الى السماء الدنيا ثم نزل
مفرقا في السنين بعد ثم قرا هذه الآية ووافقه جماعة وقال مجاهد وغيره مواقع النجوم في السماء ويقال مطالعها
ومشارقها وهو اختيار ابن جرير وعن قتادة مواقعها منازلها وعن الحسن انتشارها يوم القيمة وعن الضحاك يعني
الانواء التي كان اهل الجاهلية اذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا وكذا وقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم اي وان هذا القسم
الذي اقسمت به لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لعظمتم المقسم عليه انه لقرآن كريم اي لكتاب عظيم في كتاب مكنون اي محفوظ
موقر لا يمسه الا المطهرون قال ابن عباس الكتاب الذي في السماء لا يمسه الا الملئكة وبه قال كثيرون وقال قتادة لا يمسه
عند الله الا المطهرون واما في الدنيا فيمسه الكافر النجس والمنافق الرجس والمراد به المصحف وكان ابن عباس ينهى ان
يمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن وظاهر الآية نفي ومعناه نهي ولهذا قال مالك والشافعي واكثر اهل العلم لا يجوز
للجنب والحائض والمحدث حمل المصحف ومسه وابو حنيفة بخلافه في الجنب والمحدث وفي الكتاب الذي كتبه رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم ان لا يمس القرآن الا طاهر رواه مالك في الموطا وكما في صحيح البخاري ومسلم عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يسافر بالقرآن الى ارض العدو وقوله تنزيل من رب العالمين اي هذا القرآن
منزل من الله رب العالمين وليس هو كما يقولون انه سحر او كهانة او شعر بل هو الحق الذي لا مرية فيه وقوله افبهذا الحديث
انتم مدهنون اي مكذبون غير مصدقين قاله ابن عباس وغيره وتجعلون رزقكم انكم تكذبون قال ابن عباس اي وتجعلون
شكركم انكم تكذبون به وعن الهيثم بن عدي ان من لغة ازد شنوءة ما رزق فلان يعني ما شكر وهذا في الاستسقاء
بالانواء وذلك انهم كانوا يقولون اذا مطروا مطرنا بنوء كذا ويرون ذلك من قبل الله فقيل لهم وتجعلون رزقكم
اي شكر رزقكم التكذيب وفي الصحيحين عن زيد بن خالد انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة الصبح بالحديبية
في اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اصبح من
عبادي مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله وبرحمته فذاك مؤمن بي كافر بالكوكب واما من قال مطرنا

بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب وقد سبق حكم ذلك عند قوله ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وروى
ابن جرير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا ومطروا يقول مطرنا ببعض ثنا نين الاسد فقال كذبت مطرنا بل هو رزق الله
فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون
فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين يعني فلولا اذا بلغت الحلقوم روح الحين الاحتضار
ولهذا قال وانتم حينئذ تنظرون اي الى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت ونحن اقرب اليه منكم اي بالقدرة والرؤية والعلم
او بملائكتنا الذين يقبضون روحه ولكن لا تبصرون اي لا ترونهم وقوله فلولا ان كنتم غير مدينين اي محاسبين ترجعونها
يعني فهلا ترجعون هذه النفس التي قد بلغت الحلقوم الى مكانها الاول ومقرها من الجسد ان كنتم غير محاسبين قاله ابن عباس
وغير واحد وعن ابن جبير والحسن اي فلولا ان كنتم غير مصدقين انكم تدانون وتبعثون وتحشرون فردوا هذه النفس وقال
مجاهد غير موقنين وقال غيره معذبين مقهورين **فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما
ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل
من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم** هذه الاحوال الثلثة هي احوال
الناس عند احتضارهم اما ان يكون من السابقين المقربين او يكون ممن دونهم من اصحاب اليمين واما ان يكون من المكذبين الضالين
عن الهدى ولهذا قال فاما ان كان اي المحتضر من المقربين وهم الذين امتثلوا اوامر الشريعة بانواعها وآدابها فروح
وريحان وجنة نعيم اي فلهم ذلك وتبشرهم الملائكة بها عند الموت كما سبق في حديث البراء ان ملائكة الرحمة تقول ايتها الروح
الطيبة من الجسد الطيب الذي كنت تعمرينه اخرجي الى روح وريحان ورب غير غضبان قال ابن عباس فروح اي راحة
وريحان مستراحة قال ابن جرير الراحة من الدنيا وقال مجاهد وغيره فروح وريحان جنة ورخاء وعن مجاهد ايضا ريحان
اي رزق والكل صحيح فان من مات مقربا حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة والفرح والسرور والرزق
الحسن وجنة نعيم وقال ابو العالية لا يفارق الدنيا احد من المقربين حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم
يقبض روحه فيه وقد سبق الكلام في ذلك مع الاحاديث في سورة ابرهيم عند قوله يثبت الله وعن عائشة انها سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرا فروح وريحان برفع الراء رواه احمد وابو داود والترمذي وهي قراءة يعقوب وحده وقال الحسن معناه
يخرج روحه في الريحان وخالفه الباقون فقرؤا فروح وريحان بفتح الراء اي فله روح وفرح كما سبق وعن ام هانئ
انها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم انتزاور اذا متنا ويرى بعضنا بعضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون النسم
طيرا يعلق بالشجر حتى اذا كانت يوم القيمة دخلت كل نفس جسدها وفي هذا بشارة لكل مؤمن ومعنى يعلق ياكل ويشهد له
بالصحة ما رواه كعب بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه
الله الى جسده يوم يبعثه رواه احمد باسناد قوي وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال حدثني فلان بن فلان سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فاكب القوم يبكون قال ما يبكيكم فقالوا
انا نكره الموت قال ليس ذلك ولكنه اذا احتضر فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم فاذا بشر بذلك احب
لقاء الله والله تعالى للقائه احب واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم فاذا بشر بذلك كره لقاء الله
والله للقائه اكره رواه احمد وفي الصحيحين عن عائشة شاهد لمعناه وقوله واما ان كان اي المحتضر من اصحاب اليمين فسلام لك
من اصحاب اليمين اي تبشرهم الملائكة بذلك تقول لاحدهم سلام لك اي لا باس عليك انت الى سلامة انت من اصحاب اليمين

اي فهلا اذا بلغت روح المحتضر حلقومه
يا اهل الميت ترجعونها الى مقامها
ان كنتم صادقين انكم غير مربوبين
بل مملوكين مطلقون

كما قال عكرمة تسلم عليه الملائكة وتخبره انه من اصحاب اليمين ويكون ذلك كقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل
عليهم الملائكة الى قوله رحيم وقال قتادة سلم من عذاب الله وسلمت عليه ملائكة الله وقال البخاري فسلام لك مسلم لك
انك من اصحاب اليمين وقوله واما ان كان اي المحتضر من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم اي من المكذبين بالحق
الضالين عن الهدى فنزل اي ضيافة من حميم وهو المذاب الذي يصهر به ما في بطونهم والجلود وتصلية جحيم اي
وتقريره في النار تغمره من جميع جهاته ثم قال تعالى ان هذا لهو حق اليقين اي ان هذا الخبر لهو حق اليقين الذي لا مرية
فيه ولا محيد لاحد عنه فسبح باسم ربك العظيم عن عقبة بن عامر قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبح باسم ربك
العظيم قال اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم رواه
احمد وابو داود وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة
رواه الترمذي والنسائي وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان
ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم **تفسير سورة الحديد وهي مكية**
عن العرباض بن سارية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرا المسبحات قبل ان يرقد وقال ان فيهن آية افضل من
الف آية هكذا رواه ابو داود والترمذي وحسنه والنسائي والآية المشار اليه في الحديث هي والله اعلم قوله هو الاول
والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم كما سياتي بيانه قريبا ان شاء الله تعالى **بسم الله الرحمن الرحيم**
**سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم له ملك السموات والارض يحيي ويميت
وهو على كل شيء قدير هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم** اخبر تعالى انه
يسبح له ما في السموات والارض اي من الحيوانات والنباتات كما قال في آية اخرى تسبح له السموات والارض ومن فيهن الآية
وقوله وهو العزيز اي الذي قد خضع له كل شيء الحكيم في خلقه وامره وشرعه له ملك السموات والارض يحيي ويميت اي
هو المالك المتصرف في خلقه فيحيي ويميت ويعطي من يشاء ما يشاء وهو على كل شيء قدير اي ما شاء كان وما لم يشا لم يكن وقوله
هو الاول والآخر والظاهر والباطن هذه الآية هي المشار اليه في حديث عرباض بن سارية انها افضل من الف آية قال ابو زميل
سالت ابن عباس فقلت ما شيء اجده في صدري قال ما هو قلت والله لا اتكلم به فقال لي اشيء من شك وضحك قال ما نجا
من ذلك احد حتى انزل الله فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك الآية وقال لي اذا وجدت
في نفسك شيئا فقل هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم رواه ابو داود وقد اختلفت عبارات المفسرين
واقوالهم في هذه الآية على نحو من بضعة عشر قولا وقال البخاري قال يحيى يعني ابن زياد الفراء الظاهر على كل شيء علما والباطن
على كل شيء علما وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو عند النوم اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم
ربنا ورب كل شيء منزل التورية والانجيل والفرقان فالق الحب والنوى لا اله الا انت اعوذ بك من شر كل شيء انت آخذ بناصيته
انت الاول فليس قبلك شيء وانت الآخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن ليس دونك شيء اقض عنا الدين
واغننا من الفقر رواه مسلم والسياق لاحمد وقال كعب الاحبار علمه بالاول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن **هو
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض و
ما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير
له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل**

وهو عليم بذات الصدور اخبر تعالى عن خلقه السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم اخبر باستوائه على العرش بعد خلقهن وقد تقدم الكلام في هذه الآية في سورة الاعراف بما اغنى عن اعادته ههنا وقوله يعلم ما يلج في الارض اي يعلم عدد ما يدخل فيها من حب وقطر وما يخرج منه من زرع ونبات وثمار كما قال وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر الى قوله مبين وقوله وما ينزل من السماء اي من الامطار والثلوج والبرد والاقدار والاحكام مع الملائكة الكرام وقد تقدم في سورة البقرة انه ما ينزل قطرة من السماء الا ومعها ملك يقررها في المكان الذي يامر الله به حيث يشاء تعالى وقوله وما يعرج فيها اي من الملائكة والاعمال كما جاء في الصحيح يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل وقوله وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير اي رقيب عليكم شهيد على اعمالكم حيث كنتم واين كنتم من بر او بحر او ليل او نهار في البيوت او القفار الجميع في علمه على السواء وتحت بصره وسمعه فيسمع كلامكم ويرى مكانكم ويعلم سركم ونجواكم كما قال تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور وثبت في الصحيح انه عليه الصلوة والسلم قال لجبريل عليه الصلوة والسلم لما سأله عن الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وكان الامام احمد ينشد هذين البيتين اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل: خلوت ولكن قل علي رقيب ؛ ولا تحسبن الله يغفل ساعة ؛ ولا ان ما يخفى عليه يغيب ؛ وقوله له ملك السموات والارض اي هو المالك للدنيا كما قال وان لنا للآخرة والاولى وهو المحمود على ذلك كما قال له الحمد في الاولى والآخرة لجميع ما في السموات والارض واهلها عبيد ارقاء اذلاء بين يديه ولهذا قال والى الله ترجع الامور اي اليه المرجع يوم القيمة فيحكم في خلقه ما يشاء وقوله يولج الليل في النهار اي هو المتصرف في الخلق يقلب الليل والنهار ويقدرهما بحكمته كما يشاء فتارة يطول الليل ويقصر النهار وتارة بالعكس وتارة يتركهما معتدلين وتارة يكون الفصل شتاء ثم صيفا ثم خريفا ثم ربيعا وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريده بخلقه وهو عليم بذات الصدور اي يعلم السرائر وان دقت وخفيت آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤف رحيم وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم امر تعالى بالايمان به وبرسوله على الوجه الاكمل والدوام والثبات على ذلك وحث على الانفاق مما جعلكم مستخلفين فيه اي مما هو معكم على سبيل العارية فانه قد كان في ايدي من قبلكم ثم صار اليكم فارشد تعالى الى انفاق المال في طاعته وان لم يفعلوا حاسبهم عليه وعاقبهم لتركهم الواجبات فيه وقوله مما جعلكم مستخلفين فيه اشارة الى انه سيكون مخلفا عنك فلعل وارثك ان يطيع الله فيه فيكون اسعد بما انعم الله به عليك منك او يعصي الله به فتكون قد سعيت في معاونته على الاثم والعدوان وعن عبد الله بن الشخير قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول الهكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي فهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت رواه احمد ومسلم وزاد وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس وقوله فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير ترغيب في الايمان والانفاق في الطاعة ثم قال وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم يعني واي شيء يمنعكم من الايمان والرسول بين اظهركم يدعوكم الى ذلك ويبين لكم الحجج والبراهين على صحة ما جاءكم به وقوله وقد اخذ ميثاقكم يعني بيعة الرسول وزعم ابن جرير ان المراد بذلك الميثاق الذي

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال افضل الايمان ان تعلم ان الله معك حيث ما كنت رواه ابن ماجة

عادت است که سلاطین چون طایفه را عهد او بشکند و روگردان شوند خواهند که او را باز خوانند استماله نامه بنویسند و بدست امانی امینی مقربی روانه دارند تا آن قوم او را مکین کرده بدرگاه سلطان آورد و اگر ایشان را شبهتی درباره رسول سلطان یا درباره نامه پیدا آید یک بار دیگر ایشان را آگاهی از حقیقه آن نماید اینست که فرمود وما لکم لا تؤمنون الآیه

ای بنده بارای و اندیشه مکن که اگر تو عذاری ما غفاریم
و اگر تو بدکاری ما آمرزگاریم
عالم الغیب عیب می‌پوشد
لیس عطاش از عطاس می‌نوشد

احد علیم

قوله المؤمن القوي قيل اراد بالمؤمن القوي الذي قوي في ايمانه وصلب في ايقانه بحيث لا يرى الاسباب ووثق بمسبب الاسباب والمؤمن الضعيف بخلافه وهو ادنى مراتب الايمان وقيل القوة ههنا يراد بها عزيمة النفس في امور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف اشد اقداما على العدو والجهاد واسرع خروجا اليه وذهابا في طلبه واشد عزيمة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الاذى في كل ذلك

قوله وفي كل خير معناه في كل من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الايمان

اخذ عليهم في صلب آدم وبه قال مجاهد وقوله هو الذي ينزل على عبده آيات بينات اي حججا واضحات وبراهين قاطعات ليخرجكم من الظلمات الى النور اي من ظلمات الجهل والكفر والآراء المتضادة الى نور الهدى واليقين والايمان وان الله بكم لرؤف رحيم اي في انزاله الكتب وارساله الرسل لهداية الناس وازاحة العلل وازالة الشبه ولما امرهم اولا بالايمان والانفاق ثم حثهم على الايمان وبين انه قد ازال عنهم موانعه حثهم ايضا على الانفاق فقال وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض اي انفقوا ولا تخشوا فقرا واقلالا فان الذي انفقتم في سبيله هو مالك السموات والارض وبيده مقاليدها وعنده خزائنها وقد قال وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين فمن توكل على الله انفق ولم يخش الفقر وعلم انه سيخلفه عليه وقوله لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اي لا يستوي من انفق ماله وقاتل العدو مع الرسول عليه الصلوة والسلم قبل فتح مكة في الفضل والدرجة مع من انفق وقاتل بعده فان قبله كان الحال شديدا فلم يكن مؤمن حينئذ الا الصديقون واما بعد الفتح فقد ظهر الاسلام ودخل الناس في دين الله افواجا ولهذا قال اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى اي وكلا من الفريقين وعدهم الله الجنة بحسب درجاتهم والجمهور على ان المراد بالفتح ههنا فتح مكة وعن الشعبي وغيره انه صلح الحديبية وفي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وهكذا في الحديث الصحيح المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير فعطف بمدح الآخر والثناء عليه مع تفضيل الاول عليه ولهذا قال والله بما تعملون خبير اي فلخبرته فاوت بين ثواب من انفق من قبل الفتح وقاتل ومن فعل ذلك بعده وما ذاك الا لعلمه بفضل الاول واخلاصه التام وانفاقه في حال الجهد والضيق ولا شك عند اهل الايمان ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه له الحظ الاوفر من هذه الآية فانه سيد من عمل بها من سائر الامم فانه انفق ماله كله ابتغاء وجه الله وقد روي ابن عمر قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ابو بكر الصديق رضي الله عنه وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل جبريل فقال ما لي ارى ابا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فقال انفق ماله علي قبل الفتح قال ان الله يقول اقرأ عليه السلم وقل له اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر ان الله يقرأ عليك السلم ويقول لك اراض انت في فقرك هذا ام ساخط فقال ابو بكر اسخط على ربي اني عن ربي راض رواه محيي السنة في المعالم مع ان هذا الحديث ضعيف الاسناد وقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال عمر بن الخطاب هو الانفاق في سبيل الله وقيل هو النفقة على العيال والصحيح انه اعم من ذلك فكل من انفق في سبيل الله بنية خالصة وعزيمة صادقة دخل في عموم هذه الآية ولهذا قال فيضاعفه له كما قال في الآية الاخرى اضعافا كثيرة وله اجر كريم اي جزاء جميل ورزق جليل وهو الجنة عن ابن مسعود قال لما نزلت هذه الآية من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له قال ابو الدحداح الانصاري يا رسول الله وان الله ليريد منا القرض قال نعم يا ابا الدحداح قال ارني يدك يا رسول الله قال فناوله يده قال فاني قد اقرضت ربي حائطي وهو حائط فيه ستمائة نخلة وام الدحداح فيها وعيالها قال فجاء ابو الدحداح فناداها يا ام الدحداح قالت لبيك فقال اخرجي فقد اقرضت ربي وفي رواية انها قالت له ربح بيعك يا ابا الدحداح ونقلت منه متاعها وصبيانها وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كم من عذق رداح في الجنة لابي الدحداح وفي لفظ رب نخلة مدلاة عروقها در وياقوت لابي الدحداح في الجنة رواه ابن ابي حاتم يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقا

[illegible]

للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الامانى حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ماواكم النار هى مولكم وبئس المصير اخبر تعالى عن المؤمنين المتصدقين انهم يوم القيمة يسعى نورهم بين ايديهم فى العرصات بحسب اعمالهم قال ابن مسعود على قدر اعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة ومنهم من نوره مثل الرجل القائم وادناهم نورا من نوره فى ابهامه يتقد مرة ويطفى اخرى رواه ابن ابى حاتم وابن جرير وقال قتادة ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول من المؤمنين من يضئ نوره من المدينة الى عدن ابين وصنعاء فدون ذلك حتى ان من المؤمنين يضئ نوره موضع قدميه وعن جنادة بن ابى امية قال انكم مكتوبون عند الله باسمائكم وسيماكم وحلاكم ونجواكم ومجالسكم فاذا كان يوم القيمة قيل يا فلان هذا نورك يا فلان لا نور لك وقرا يسعى نورهم بين ايديهم يعنى على الصراط وعن ابى ذر وابى الدرداء يخبران عن النبى صلى الله عليه وسلم قال انا اول من يؤذن له يوم القيمة بالسجود واول من يؤذن له برفع راسه فانظر من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى فاعرف امتى من بين الامم فقال له رجل يا نبى الله كيف تعرف امتك من بين الامم ما بين نوح الى امتك قال اعرفهم محجلون من اثر الوضوء ولا يكون لاحد من الامم غيرهم واعرفهم يؤتون كتبهم بايمانهم واعرفهم بسيماهم فى وجوههم واعرفهم بنورهم بين ايديهم وذريتهم رواه ابن ابى حاتم وقوله وبايمانهم اى وبايمانهم كتبهم كما قال فمن اوتى كتابه بيمينه قال الضحاك وقوله بشريكم اليوم اى يقال لهم بشراكم اليوم جنات اى لكم البشارة بجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين اى ماكثين فيها ابدا وذلك هو الفوز العظيم العظيم وقوله يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم وهذا اخبار عما يقع يوم القيمة فى العرصات من الاهوال المزعجة والزلازل العظيمة والامور الفظيعة وانه لا ينجو يومئذ الا من آمن بالله ورسوله وعمل بما امره وترك ما عنه زجره وعن ابى امامة قال يبعث ظلمة يوم القيمة فما من مؤمن ولا كافر يرى كفه حتى يبعث الله بالنور الى المؤمنين بقدر اعمالهم فيتبعهم المنافقون فيقولون انظرونا اى امهلونا او انظرونا نقتبس اى نستضئ من نوركم فلا يستضئ الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضئ الاعمى ببصر البصير قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا وهى خدعة الله التى خدع بها المنافقين حيث قال يخادعون الله وهو خادعهم فيرجعون الى المكان الذى قسم فيه النور فلا يجدون شيئا فينصرفون اليهم وقد ضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب الآية رواه ابن ابى حاتم وقال ابن عباس بينما الناس فى ظلمة اذ بعث الله نورا فلما راى المؤمنون النور توجهوا نحوه وكان النور لهم دليلا من الله الى الجنة فلما راى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتبعوهم فاظلم الله على المنافقين فقالوا حينئذ انظرونا نقتبس من نوركم فانا كنا معكم فى الدنيا قال المؤمنون ارجعوا من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور وعنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يدعو الناس يوم القيمة باسمائهم سترا منه على عباده واما عند الصراط فان الله يعطى كل مؤمن نورا وكل منافق نورا فاذا استووا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات فقال المنافقون انظرونا نقتبس من نوركم وقال المؤمنون ربنا اتمم لنا نورنا فلا يذكر عند ذلك احد احدا رواه ابو القسم الطبرانى وقوله فضرب بينهم بسور قال الحسن وقتادة هو حائط بين الجنة والنار وقال ابن زيد وغير واحد هو الذى قال الله تعالى وبينهما حجاب وهو الصحيح باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب اى النار قال ابن جرير وقد

پس گويند اورا كه در محشر نور كسب نتوان
كرد واز روشنی باخود بياورد و
كار اينجا كن تو نتوانی است در محشر پس
آب اينجا بر كه در دريا پس شور وزشت

[illegible]

قيل

وقد قيل ان ذلك السور سور بيت المقدس عند وادى جهنم هكذا عن عبد الله بن عمرو وعن عبادة بن الصامت وعلى بن الحسين زين العابدين وكعب الاحبار نحو ذلك وهذا محمول عنهم على انهم ارادوا بهذا تقريب المعنى ومثالا له لا ان هذا هو الذى اريد من معنى القرآن فان الجنة فى اعلى عليين والنار فى اسفل السافلين وقول كعب ان باب ظاهره فيه الرحمة هو احد ابواب المسجد الاقصى فهو من الترهات الاسرائيلية فان المراد بذلك سور يضرب يوم القيمة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين فاذا انتهى اليه المؤمنون دخلوه من بابه فاذا استكملوا دخولهم اغلق الباب وبقى المنافقون من ورائه من الحيرة والظلمة والعذاب كما كانوا فى الدنيا فى كفر وجهل وشك ينادونهم الم نكن معكم اى ينادى المنافقون المؤمنين اما كنا معكم فى الدنيا نشهد معكم الجمعات ونصلى معكم الجماعات ونقف معكم بعرفات ونحضر معكم الغزوات قالوا بلى اى فاجاب المؤمنون المنافقين قائلين بلى قد كنتم معنا ولكنكم فتنتم انفسكم اى اهلكتموها بالنفاق واستعملتموها فى المعاصى والشهوات وتربصتم اى اخرتم التوبة من وقت الى وقت وارتبتم اى شككتم فى البعث بعد الموت وغرتكم الامانى اى قلتم سيغفر لنا وقيل الدنيا وما زلتم كذلك حتى جاء امر الله يعنى الموت وغركم بالله الغرور اى الشيطان قال قتادة كانوا على خدعة من الشيطان والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله فى النار والمعنى انكم كنتم معنا بالابدان لا نية معها ولا اخلاص واماكم فى شك وحيرة كما قال مجاهد كانوا مع المؤمنين احياء يغشونهم ويعاشرونهم وكانوا معهم امواتا وهذا القول من المؤمنين لا ينافى قولهم الذى اخبر تعالى عنهم كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين فى جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين الى قوله اليقين فهذا انما خرج منهم على وجه التقريع لهم والتوبيخ ثم قال تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين كما قال ههنا فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا اى لو جاء احدهم اليوم بملء الارض ذهبا ومثله معه ليفتدى به من عذاب الله ما تقبل منه فقوله ماواكم النار اى هى مصيركم ومنقلبكم وقوله هى مولكم اى هى اولى بكم من كل منزل على كفركم وارتيابكم وبئس المصير الم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون يعنى اما آن للمؤمنين ان تخشع قلوبهم اى تلين وتخضع عند الذكر والموعظة وسماع القرآن فتفهمه وتنقاد له وتسمعه وتطيعه قال ابن عباس ان الله استبطا قلوب المؤمنين فعاتبهم على راس ثلث عشرة من نزول القرآن فقال الم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق يعنى القرآن رواه ابن ابى حاتم وعن ابن مسعود قال ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الآية الم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الا اربع سنين رواه مسلم وقال قتادة ذكر لنا ان شداد بن اوس روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اول ما يرفع من الناس الخشوع وقوله ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب نهى الله المؤمنين ان يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب قبلهم من اليهود والنصارى فلما تطاول عليهم الامد بدلوا كتاب الله بايديهم واشتروا به ثمنا قليلا ونبذوه وراء ظهورهم واقبلوا على الآراء المختلفة والاقوال المؤتفكة وقلدوا رجالهم فى دين الله واتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله فعند ذلك قست قلوبهم فلا يقبلون موعظة ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد وكثير منهم فاسقون اى فى الاعمال فقلوبهم فاسدة واعمالهم باطلة كما قال تعالى فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم الآية وقال ابن مسعود ان بنى اسرائيل لما طال عليهم الامد فقست قلوبهم اخترعوا كتابا من عند انفسهم استهوته قلوبهم واستحلته السنتهم واستلذته وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم فقالوا تعالوا ندع بنى اسرائيل الى كتابنا هذا فمن تابعنا عليه تركناه ومن كره ان يتابعنا قتلناه ففعلوا ذلك وكان فيهم رجل فقيه فلما راى ما

[illegible]

الم يان من انى الامر يانى اذا جاء
اناه اى وقته

بگوی تا به کی آخر هوا کردی
هنوز وقت نیامد که با خدا کردی

[illegible]

گفته اند [illegible] دل غفلت و لسانه
نرمی دل طاعت دلی کز نور معنی ست روشن
محرابش دل که از سنگ است و آهن
دلی کز زنگ غفلت زنگ دارد
دراز سنگ دل [illegible] دارد

[illegible]

يستغرق عمد الى ما يعرف من كتاب الله وكتبه في شيء لطيف ثم ادرجه فجعله في قرن ثم علق ذلك القرن في عنقه فلما اكثروا
القتل قال بعضهم لبعض يا هؤلاء انكم قد افشيتم القتل في بني اسرائيل فادعوا فلانا فاعرضوا عليه كتابكم فانه ان تابعكم
فستتابعكم بقية الناس وان ابى فاقتلوه فدعوا فلانا ذلك الفقيه فقالوا له تؤمن بكتابنا هذا قال ما فيه اعرضوه علي
فعرضوه عليه الى آخره ثم قالوا اتؤمن بهذا قال نعم آمنت بهذا واشار بيده الى القرن آمنت بما في هذا فتركوه فلما مات
نبشوه فوجدوه متعلقا ذلك القرن فوجدوا فيه ما يعرف من كتاب الله فقال بعضهم لبعض يا هؤلاء ما كنا نسمع هذا اصابه
فتنة فافترقت بنو اسرائيل على ثنتين وسبعين ملة وخير مللهم اصحاب ذي القرن قال ابن مسعود وانكم اوشك بكم ان بقيتم
او بقي منكم ان تروا امورا تنكرونها لا تستطيعون لها غيرا فبحسب امرئ منكم ان يعلم الله من قلبه انه لها كاره رواه ابن ابي حاتم
وابن جرير مختصرا وقوله اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها فيه اشارة الى انه تعالى يلين القلوب بعد قسوتها ويهدي
الحيارى بعد ضلتها ويفرج الكروب بعد شدتها فكما يحيي الارض الميتة المجدبة بالغيث الهتان الوابل كذلك يهدي
القلوب القاسية ببراهين القرآن ويولج اليها النور بعد ما كانت مقفلة قد بينا لكم الآيات يعني الدلالات الواضحات
لعلكم تعقلون اي لكي تفهموا ذلك وتنتهوا او تهتدوا ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا
حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون و
الشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك
اصحاب الجحيم اخبر تعالى عما يثيب به المصدقين والمصدقات باموالهم على اهل الحاجة والفاقة واقرضوا الله قرضا
حسنا اي دفعوه بنية خالصة ابتغاء وجه الله لا يريدون جزاء ممن اعطوه ولا شكورا ولهذا قال يضاعف لهم اي
يقابل لهم الحسنة بعشر امثالها ويزاد ذلك الى سبعمائة ضعف وفوق ذلك ولهم اجر كريم اي ثواب جزيل حسن ومرجع
صالح ومآب وقوله والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون هنا تمام الجملة وصف المؤمنين بالله ورسله
بانهم صديقون ثم قال والشهداء عند ربهم استينافا للكلام قاله ابن عباس وغير واحد وعن ابن مسعود ان والشهداء
عطف على الصديقون كما في قوله من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ففرق بين الصديقين والشهداء فدل على
انهما صنفان ولا شك ان الصديق اعلى مكانا من الشهيد كما روى ابو سعيد الخدري في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان اهل الجنة ليتراءون اهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الغابر من الافق من المشرق او المغرب لتفاضل ما بينهم
قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين
وقيل المراد انه اخبر عن المؤمنين بالله ورسله بانهم صديقون وشهداء قاله مجاهد كما روى البراء عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال مؤمنو امتي شهداء ثم تلا هذه الآية رواه ابن جرير وقال عمرو بن ميمون يجيئون يوم القيمة معا كالاصبعين
وقوله والشهداء عند ربهم اي في جنات النعيم كما في الصحيحين ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت
الحديث وقوله لهم اجرهم ونورهم اي لهم عند الله اجر جزيل ونور عظيم يسعى بين ايديهم وهم في ذلك يتفاوتون بحسب
ما كانوا في الدنيا من الاعمال كما قال عمر بن الخطاب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الشهداء اربعة رجل مؤمن
جيد الايمان لقي العدو فصدق الله فقتل فذاك الذي ينظر الناس اليه هكذا ورفع رأسه حتى سقطت قلنسوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم او قلنسوة عمر والثاني مؤمن لقي العدو فكانما يضرب ظهره بشوك الطلح جاءه سهم غرب فقتله فذاك
في الدرجة الثانية والثالث مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الثالثة والرابع
رجل مؤمن اسرف على نفسه اسرافا كثيرا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الرابعة رواه الترمذي وحسنه و

قوله لهم اجرهم ونورهم فان قلت كيف تسوى بينهم في الاجر والنور مع التفاوت قلت ان الله تعالى يعطي المؤمنين اجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى تساوى اجرهم مع اضعافه اجر اولئك

[illegible]

عن علي بن الموفق قال سمعت حاتما الاصم يقول لقينا الترك فكان بيننا جولة فرماني تركي بوهق فقلبني عن فرسي ونزل عن دابته فقعد على صدري واخذ بلحيتي واخرج من خفه
سكينا ليذبحني فوحق سيدي ما كان قلبي عنده ولا عند سكينه انما كان قلبي عند سيدي انظر ماذا ينزل به القضاء منه فقلت سيدي قضيت علي ان يذبحني هذا فعلى الراس و
العين انما انا لك وملكك فبينا انا اخاطب سيدي وهو قاعد على صدري آخذ بلحيتي ليذبحني رماه بعض المسلمين بسهم فما اخطأ حلقه فسقط عني فقمت انا اليه فاخذت
السكين من يده فذبحته فما هو الا ان تكون قلوبكم عند السيد حتى ترون من عجائب لطفه ما لم تروا من الآباء والامهات ام الحاج في تصلب ما كان العابد فرع على خشبته وهو يسبح
ويهلل ويعقد بيده حتى بلغ تسعا وعشرين سنة فبقي شهرا بعد موته وبيده على ذلك العقد

اى فايدة الامر العظيم والنوع الغريب الا ان تكون قلوبكم

قوله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا لما بين حال السعداء ومآلهم عطف بذكر الاشقياء وحالهم وقال اولئك اصحاب
الجحيم اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد
كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد
ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور سابقوا الى مغفرة من ربكم
وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم لقد اهان الله امر الحيوة الدنيا وحقرها فقال انما الحيوة الدنيا
لعب ولهو اي انما حاصل امرها عند اهلها هكذا كما قال زين للناس حب الشهوات من النساء الآية ثم ضرب تعالى مثل
الحيوة الدنيا في انها زهرة فانية ونعمة زائلة فقال كمثل غيث وهو المطر الذي ياتي بعد قنوط الناس كما قال وهو الذي ينزل
الغيث من بعد ما قنطوا وقوله اعجب الكفار نباته اي يعجب الزراع نبات ذلك الزرع التي نبتت بالغيث وكما يعجب
الزراع ذلك كذلك يعجب الحيوة الدنيا للكفار فانهم احرص شيء عليها واميل الناس اليها ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون
حطاما اي ثم يهيج ذلك الزرع فتراه مصفرا بعد ما كان خضرا نضرا ثم يكون بعد ذلك كله الى ان يصير يبيسا متكسرا متحطما
هكذا الحيوة الدنيا تكون اولا شابة ثم تكتهل ثم تكون عجوزا شوهاء والانسان يكون كذلك في اول عمره وعنفوان شبابه
غضا طريا لين الاعطاف بهي المنظر ثم انه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه ثم يكبر فيصير شيخا كبيرا ضعيف
القوى قليل الحركة يعجزه الشيء اليسير كما قال تعالى الله الذي خلقكم من ضعف الى قوله القدير ولما كان هذا المثل دالا على زوال
الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة وان الآخرة كائنة بلا شك حذر من امرها ورغب فيما فيها من الخير فقال وفي
الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان اي ليس في الآخرة الآتية القريبة الا اما هذا واما ذاك اما عذاب شديد واما مغفرة من الله
ورضوان ~~اي ليس في الآخرة~~ وقوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اي هي متاع فان غار لمن ركن اليها فانه يغتر بها
ويعجبه حتى يعتقد انه لا دار سواها ولا معاد وراءها وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع سوط في
الجنة خير من الدنيا وما فيها اقرؤا وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور رواه ابن جرير وهو ثابت في الصحيح الى قوله اقرؤا وعن ابن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للجنة اقرب الى احدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك رواه البخاري ففي الحديث دليل
على اقتراب الخير والشر من الانسان فلهذا حثه تعالى على المبادرة الى الخيرات والتباعد عن المحرمات والاشتغال بما يكفر عنه الذنوب
والزلات ويحصل له الثواب والدرجات فقال سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض والمراد جنسهما
كما في آية اخرى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين وقال ههنا اعدت للذين آمنوا بالله
ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اي هذا الذي اهلهم الله له هو من فضله ومنه عليهم واحسانه اليهم والله ذو الفضل العظيم
يتفضل على من يشاء بما يشاء من فضله وكرامته ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من
قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتيكم والله لا يحب كل مختال
فخور الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد اخبر تعالى عن تقديره
السابق وخلقه قبل ان يخلق البرية فقال ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم اي في الآفاق وفي نفوسكم الا في كتاب
من قبل ان نبرأها اي من قبل ان نخلق الخليقة ونبرأ النسمة وقيل ضمير نبرأها عائد الى الانفس وقيل الى المصيبة والاحسن
عوده الى الخليقة والبرية لدلالة الكلام عليها كما قال الحسن في جواب السائل عن كل مصيبة من السماء والارض ففي كتاب الله
من قبل ان نبرأ النسمة وقال قتادة مصيبة في الارض السنون يعني الجدب وفي انفسكم الاوجاع والامراض قال وبلغنا انه ليس

[illegible]

احد يصيبه خدش عود ولا نكبة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله اكثر وهذه الآية من ادل دليل على القدرية نفاة العلم السابق وعن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه على الماء رواه مسلم وقوله ان ذلك على الله يسير اي ان علمه تعالى للاشياء قبل كونها وكتابته لها على طبق ما يوجد في احيانها سهل هين لانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون وقوله لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتيكم اي اعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للاشياء قبل كونها وتقديرنا الكائنات قبل وجودها لتعلموا ان ما اصابكم لم يكن ليخطئكم وما اخطاكم لم يكن ليصيبكم فلا تاسوا اي فلا تحزنوا على ما فاتكم لانه لو قدر شيء لكان ولا تفرحوا بما آتيكم اي جاءكم واعطاكم يعني ولا تفخروا على الناس بما انعم الله به عليكم فان ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم وانما هو من قدر الله ورزقه لكم فلا تتخذوا نعمة الله اشرا وبطرا تفخرون بها على الناس ولهذا قال والله لا يحب كل مختال فخور اي متكبر في نفسه فخور على غيره وقال عكرمة ليس احد الا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا ثم قال الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل اي يفعلون المنكر ويحضون الناس عليه ومن يتول اي عن امر الله وطاعته فان الله هو الغني الحميد هو كما قال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد **لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز** يعني لقد ارسلنا رسلنا بالمعجزات والحجج الباهرات والدلائل القاطعات وانزلنا معهم الكتاب وهو النقل الصدق والميزان وهو العدل وقيل هو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المخالفة للآراء السقيمة كما قال فطرة الله التي فطر الناس عليها وقال والسماء رفعها ووضع الميزان ولهذا قال ههنا ليقوم الناس بالقسط اي بالحق والعدل وهو اتباع الرسل فيما اخبروا به وطاعتهم فيما امروا به فان الذي جاؤا به هو الحق الذي ليس وراءه حق كما قال تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا وقوله وانزلنا الحديد اي وجعلنا الحديد رادعا لمن ابى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه ولهذا اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة ثلث عشرة سنة يوحى اليه بالسور المكية وكلها جدال مع المشركين وبيان وايضاح للتوحيد وبينات ودلالات فلما قامت الحجة على من خالف شرع الله الهجرة وامرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب لمن خالف القرآن وعانده كما روى ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف امري ومن تشبه بقوم فهو منهم رواه احمد وابو داود ولهذا قال تعالى فيه باس شديد يعني السلاح كالسيوف والحراب والسنان والنصال والدروع ونحوها ومنافع للناس اي في معايشهم كالسكة والفاس والقدوم والمنشار والازميل والمجرفة وسائر الآلات التي يستعان بها في الحراثة والحياكة والطبخ والخبز وما لا قوام للناس بدونه وغير ذلك قال ابن عباس ثلثة اشياء نزلت مع آدم السندان والكلبتان والميقعة يعني المطرقة رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وقوله وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب اي ليرى الله من ينويه في حمل السلاح نصرة الله ورسوله ان الله قوي عزيز اي في امره عزيز اي في ملكه ينصر من ينصره من غير احتياج منه الى الناس وانما شرع الجهاد ليبلو بعضكم ببعض **ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون** اخبر تعالى انه منذ بعث نوحا لم يرسل بعده نبيا ولا رسولا الا من ذريته وكذلك ابرهيم خليل الرحمن لم ينزل من السماء كتابا ولا ارسل

فرحه للاانا تسوا انقليل لا تقدم وبيان الحكمة فيه فات من علم ان كل شيء مكتوب عند الله قل اساه على الفائت وفرحه على الآتي لانه لا علم ان ما عنده مفقود لم يتقاسم وجعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم ان بعض الخير واصل اليه لم يعظم فرحه عند نيله

قال جعفر بن محمد الصادق يا ابن آدم ما لك تاسف على مفقود لا يرده اليك الفوت وما لك تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت

[illegible]

~~وقوله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا لما بيّن حال السعداء ومآلهم عطف بذكر الاشقياء وحالهم وقال اولئك اصحاب الجحيم **اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتريه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** لقد اهان الله امر الحيوة الدنيا وحقرها فقال انما الحيوة الدنيا لعب ولهو اي انما حاصل امرها عند اهلها هكذا كما قال زين للناس حب الشهوات من النساء الآية ثم ضرب تعالى مثل الحيوة الدنيا في انها زهرة فانية ونعمة زائلة فقال كمثل غيث وهو المطر الذي ياتي بعد قنوط الناس كما قال وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وقوله اعجب الكفار نباته اي يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحيوة الدنيا للكفار فانهم احرص شيء عليها واميل الناس اليها ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما اي ثم يهيج ذلك الزرع فتراه مصفرا بعد ما كان اخضر نضرا ثم يكون بعد ذلك كله الى~~ رسولا ولا اوحى الى بشر من بعده الا وهو من سلالتيه كما قال في آية اخرى وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب حتى كان آخر انبياء بني اسرائيل عيسى بن مريم الذي بشر من بعده بمحمد صلى الله عليه وسلم ولهذا قال ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل وهو الكتاب الذي اوحاه الله اليه وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه وهم الحواريون رأفة ورحمة اي رقة وهي الخشية ورحمة بالخلق وقوله ورهبانية ابتدعوها اي ابتدعتها امة النصارى ما كتبناها اي ما فرضناها عليهم وما شرعناها لهم وانما هم التزموها من تلقاء انفسهم وقوله الا ابتغاء رضوان الله فيه قولان احدهما انهم قصدوا بذلك رضوان الله قاله ابن جبير وغير واحد والثاني ما كتبنا عليهم ذلك انما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله وقوله فما رعوها حق رعايتها اي فما قاموا بما التزموه حق القيام وهذا ذم لهم من وجهين احدهما في الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله والثاني في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا انه قربة يقربهم الى الله وعن ابن مسعود قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن مسعود قلت لبيك يا رسول الله قال هل علمت ان بني اسرائيل تفرقوا على ثنتين وسبعين فرقة لم ينج منهم الا ثلث فرق قامت بين ملوك والجبابرة بعد عيسى ابن مريم فدعت طائفة الى دين الله ودين عيسى بن مريم فقاتلت الجبابرة فقتلت فصبرت ونجت ثم قامت طائفة اخرى لم يكن لها قوة بالقتال فقامت بين الملوك والجبابرة فدعوا الى دين الله ودين عيسى بن مريم فقتلت وقطعت بالمناشير وحرقت بالنيران فصبرت ونجت ثم قامت طائفة اخرى لم يكن لها قوة بالقتال ولم تطق القيام بالقسط فلحقت بالجبال فتعبدت وترهبت وهم الذين ذكر الله ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم رواه ابن ابي حاتم وفي سنن النسائي عن ابن عباس قال كان ملوك بعد عيسى بدلت التورية والانجيل وكان فيهم مؤمنون يقرؤن التورية والانجيل فقيل لملوكهم ما نجد شتما اشد من شتم يشتمونا هؤلاء انهم يقرؤن ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون هؤلاء الآيات مع ما يعيبونا فيه من اعمالنا في قرائتهم فادعهم فليقرؤا كما نقرأ وليؤمنوا كما آمنا فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل او يتركوا قراءة التورية والانجيل الا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون الى ذلك دعونا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانة ثم ارفعونا اليها ثم اعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وقالت طائفة دعونا نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما تشرب الوحش فان قدرتم علينا في ارضكم فاقتلونا وقالت طائفة ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحتفر الآبار ونحرث البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم وليس احد من القبائل الا له حميم فيهم ففعلوا ذلك فانزل الله تعالى ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق

والتعبد في الجبال

قال مقاتل لما كثر المشركون بعد عيسى واستضعف المسلمون انهزموا واعتزلوا في الغيران واتخذوا الصوامع والزموها انفسهم فلما طال عليهم لم يصبروا على ذلك ورجع بعضهم عن دين عيسى قال الله تعالى فما رعوها حق رعايتها اي فما اطاعوني فيها وتركوا الحق واستحلوا لحم الخنزير وشربوا الخمر وتركوا الختان واقام اناس على دين عيسى حتى ادركوا محمدا وهم الذين قال الله تعالى فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم جزاء ايمانهم وكثير منهم فاسقون وهم الذين تهودوا وتنصروا ولم يؤمنوا بالنبي ونقضوا العهد وخالفوا دين عيسى

[illegible]

رعايتها فالآخرون بعدهم ممن قد غيّر الكتاب قالوا نتعبد كما تعبّد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورًا كما
اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا به فلما بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا القليل
انحط منهم رجل في صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب الدير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال الله يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا تشددوا على
انفسكم فيشدد الله عليكم فان قومًا شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديار رهبانية ابتدعوها
ما كتبناها عليهم رواه ابو داود وعن ابي سعيد الخدري ان رجلا جاءه فقال اوصني فقال سألت عما سألت عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قبلك اوصيك بتقوى الله فانه رأس كل شيء وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام وعليك بذكر الله وتلاوة
القرآن فانه روحك في السماء وذكرك في الارض تفرد به احمد وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي رهبانية ورهبانية
هذه الامة الجهاد في سبيل الله رواه احمد **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته**
ويجعل لكم نورًا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون
على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم [illegible] فيما روى
ابن عباس ان هذه الآية في شأن مؤمني اهل الكتاب وانهم يؤتون اجرهم مرتين كما في الصحيحين عن ابي موسى الاشعري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة يؤتون اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي فله اجران وعبد مملوك ادى حق الله
وحق مواليه فله اجران ورجل عنده امة يطأها فادبها فاحسن تأديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها فله اجران
وقال سعيد بن جبير لما افتخر مؤمنوا اهل الكتاب بانهم يؤتون اجرهم مرتين انزل الله هذه الآية في حق هذه الامة يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين اي ضعفين من رحمته وزادهم ويجعل لكم نورًا تمشون به يعني هدى يتبصر به من العمى و
الجهالة ويغفر لكم ففضلهم بالنور والمغفرة رواه ابن جرير وسأل عمر بن الخطاب حبرًا من احبار اليهود ما افضل ما ضعف لكم
حسنة قال كفل ثلثمائة وخمسين حسنة قال فحمد الله عمر على انه اعطانا كفلين وفي مسند احمد عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي من صلوة الفجر الى نصف النهار
على قيراط قيراط الا فعملت اليهود ثم قال من يعمل لي من نصف النهار الى صلوة العصر على قيراط قيراط الا فعملت النصارى ثم قال
من يعمل لي من صلوة العصر الى غروب الشمس على قيراطين قيراطين الا فانتم الذين عملتم فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن
اكثر عملا واقل عطاء قال هل ظلمتكم من اجركم شيئا قالوا لا قال فانما هو فضلي اوتيه من اشاء رواه البخاري وعن ابي موسى عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قومًا يعملون له عملا يومًا الى الليل الى اجر معلوم فعملوا
الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الى اجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا اكملوا بقية يومكم وخذوا اجركم
كاملا فابوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقال اكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلوة العصر
قالوا ما عملنا باطل ولك الاجر الذي جعلت لنا فيه فقال اكملوا بقية يومكم فانما بقي من النهار شيء يسير فابوا فاستأجر قومًا ان
يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس فاستكملوا اجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور
تفرد به البخاري ولهذا قال تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون على شيء من فضل الله اي ليتحققوا انهم لا يقدرون على رد ما
اعطاه الله ولا اعطاء ما منع الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم قال ابن جرير لئلا يعلم اي ليعلم وقد ذكر
عن ابن مسعود انه قرأ لكي يعلم ووافقه ابن جبير وغيره لان العرب يجعل لا صلة في كل كلام دخل في اوله او آخره جحد غير مصرح فالسابق
ما منعك ان لا تسجد وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون تفسير سورة المجادلة وهي مدنية بسم الله الرحمن الرحيم

ذو الفضل العظيم صاحب فضل بزرگ
يعني [illegible]

لما سمع من لم يؤمن من اهل الكتاب قوله عز وجل اولئك يؤتون اجرهم مرتين قالوا للمسلمين اما من آمن منا بكتابكم فله اجره مرتين لايمانه بكتابكم وبكتابنا ومن لم يؤمن منا فله اجر كاجوركم فما فضلكم علينا فانزل الله يا ايها الذين [illegible] فجعل لهم الاجرين اذا آمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم وزادهم النور والمغفرة
قال الله تعالى اعلم

قد سمع

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير
عن عائشة رضي الله عنها قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد جاءت المجادلة الى النبي صلى الله عليه وسلم تكلمه وانا في
ناحية البيت ما اسمع ما تقول فانزل الله قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما هكذا رواه
البخاري وفي رواية لابن ابي حاتم عن عائشة انها قالت تبارك الذي اوعى سمعه كل شيء اني لاسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه
وهي تشتكي زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول يا رسول الله اكل شبابي ونثرت له بطني حتى اذا كبرت سني وانقطع
ولدي ظاهر مني اللهم اني اشكو اليك قالت فما برحت حتى نزل جبرئيل بهذه الآية قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها
وهو اوس بن الصامت وكان امرأ به لمم وكان اذا اخذه لممه واشتد به يظاهر من امرأته واذا ذهب لم يقل شيئا فاتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم تستفتيه في ذلك وتشتكي الى الله فانزل الله هذه الآية ومعنى تجادلك تخاصمك وتراجعك في
زوجها والتحاور المراجعة في الكلام ان الله سميع اي لما تناجيه وتتضرع اليه بصير بمن تشكو اليه **الذين يظاهرون منكم**
من نسائهم ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول
وزورا وان الله لعفو غفور والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة
من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين
من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك
حدود الله وللكافرين عذاب اليم وفي مسند احمد عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن خويلة بنت ثعلبة قالت في
والله وفي اوس بن الصامت انزل الله صدر سورة المجادلة قالت كنت عنده وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه قالت فدخل
علي يوما فراجعته بشيء فغضب فقال انت علي كظهر امي قالت ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل علي فاذا
هو يريدني من نفسي قالت قلت كلا والذي نفس خويلة بيده لا تخلص الي وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا
بحكمه قالت فواثبني وامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فالقيته عني قالت ثم خرجت الى بعض جاراتي
فاستعرت منها ثيابا ثم خرجت حتى جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست بين يديه فذكرت له ما لقيت منه وجعلت
اشكو اليه ما القى من سوء خلقه قالت فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله
فيه قالت فوالله ما برحت حتى نزل في القرآن فتغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يتغشاه ثم سري عنه فقال لي يا خويلة
قد انزل الله فيك وفي صاحبك ثم قرأ علي قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الى قوله اليم قالت فقال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم مريه فليعتق رقبة قالت فقلت يا رسول الله ما عنده ما يعتق قال فليصم شهرين متتابعين قالت فقلت
والله انه لشيخ كبير ما به من صيام قال فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر قالت فقلت يا رسول الله ما ذاك عنده قالت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا سنعينه بعرق قالت فقلت يا رسول الله ساعينه بعرق آخر قال قد اصبت و
احسنت فاذهبي فتصدقي به عنه ثم استوصي بابن عمك خيرا قالت ففعلت ورواه ابو داود وفي رواية خولة من غير
تصغير ولا منافاة بينهما هذا هو الصحيح في سبب نزول صدر هذه السورة وبه قال ابن عباس والاكثرون واما قصة
سلمة بن صخر البياضي فكانت بعد ذلك والله اعلم فقوله الذين يظاهرون منكم من نسائهم اصل الظهار مشتق من الظهر وذلك
ان الجاهلية كانوا اذا تظاهر احدهم من امرأته قال لها انت علي كظهر امي ثم في الشرع كان الظهار في سائر الاعضاء قياسا على
الظهر وكان في الجاهلية طلاقا فارخص الله تعالى لهذه الامة وجعل فيه كفارة ولم يجعله طلاقا كما كانوا يعتمدونه في جاهليتهم
قال سعيد بن جبير كان الايلاء والظهار من طلاق الجاهلية فوقت الله الايلاء اربعة اشهر وجعل في الظهار الكفارة

[illegible]

وانا امه

المعنى ان من يقول لامراته انت علي كظهر امي فانه في كلامه هذا امراته بامه وجعلها مثلها فهذا التشبيه باطل لبيان الحال

واستدل مالك على ان الكافر لا يدخل في هذه الآية بقوله فالخطاب للمؤمنين واجاب الجمهور بان هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له واستدلوا عليه بقوله من نسائهم على ان الامة لا ظهار منها ولا تدخل في هذا الخطاب وقوله ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم اي لا تصير المراة بقول الرجل انت علي كامي او مثل امي او كظهر امي وشبه ذلك امه انما امه التي ولدته ولهذا ذمهم الله وقال وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا اي كلاما فاحشا باطلا وان الله لعفو غفور اي عما كان منكم وحال الجاهلية وهكذا ايضا عما خرج من سبق اللسان ولم يقصد اليه المتكلم كما رواه ابو داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول لامراته يا اختي فقال اخت هي فهذا انكار ولكن لم يحرمها عليه بمجرد ذلك لانه لم يقصده ولو قصده لحرمت عليه لانه لا فرق على الصحيح بين الام وغيرها من سائر المحارم من اخت وعمة وخالة وما اشبه ذلك وقوله والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا اختلفوا في المراد بقوله ثم يعودون فقال بعضهم العود هو ان يعود الى لفظ الظهار فيكرره وهذا قول باطل وهو اختيار ابن حزم وقال الشافعي هو ان يمسكها بعد الظهار زمانا يمكنه ان يطلق فيه فلا يطلق وقال مالك واحمد هو العزم على الجماع او الامساك او انه الجماع فلا تحل له حتى يكفر وقال ابو حنيفة هو ان يعود الى الظهار بعد تحريمه ورفع ما كان عليه امر الجاهلية فمتى تظاهر الرجل من امراته فقد حرمها تحريما لا يرفعه الا الكفارة واليه ذهب الصحابة وقال ابن جبير يعني يريدون ان يعودوا في الجماع الذي حرموه على انفسهم وقال الحسن يعني الغشيان في الفرج وكان لا يرى باسا ان يغشى فيما دون الفرج قبل ان يكفر وقال ابن عباس المس النكاح يعني الوطي وقال الزهري ليس له ان يقبلها ولا يمسها حتى يكفر وعن ابن عباس ان رجلا ظاهر من امراته فغشيها قبل ان يكفر فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال ما حملك على ذلك قال يا رسول الله رايت بياض حجلها في القمر فلم املك نفسي ان وقعت عليها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره ان لا يقربها حتى يكفر رواه ابن ماجه وابو داود والنسائي نحوه وكذا الترمذي وحسنه وصححه فقوله فتحرير رقبة اي فاعتاق رقبة كاملة من قبل ان يتماسا فالرقبة ههنا مطلقة غير مقيدة بالايمان وفي كفارة القتل مقيدة به فالشافعي حمل ما اطلق ههنا على ما قيد هناك لاتحاد الموجب وهو عتق الرقبة واعتضد في ذلك بما رواه عن مالك بسنده عن معوية بن الحكم في قصة الجارية السوداء وان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعتقها فانها مؤمنة رواه مسلم وقوله ذلكم توعظون به اي تزجرون وتؤمرون به والله بما تعملون خبير اي خبير بما يصلحكم عليم باحوالكم وقوله فمن لم يجد فصيام شهرين الآية مفسرا بما سبق في الحديث ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله اي شرعنا هذا وقوله وتلك حدود الله اي محارمه فلا تنتهكوها وقوله وللكافرين عذاب اليم اي الذين لم يؤمنوا ولم يلتزموا باحكام هذه الشريعة لا تعتقدوا انهم ناجون من البلاء بل لهم عذاب مؤلم موجع دائم في الدنيا والآخرة ان الذين يحادون

الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد انزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ~~والله بكل~~ ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة ان الله بكل شيء عليم

اخبر تعالى عن شاق الله ورسوله وعاند شرعه انهم كبتوا اي اهينوا ولعنوا واخزوا كما فعل باشباههم ممن كان قبلهم وقد انزلنا آيات بينات اي واضحات لا يخالفها ولا يعاندها الا كافر فاجر مكابر وللكافرين عذاب مهين اي في مقابلة ما استكبروا عن اتباع شرع الله والانقياد له والخضوع لديه ثم قال يوم يبعثهم الله جميعا وذلك يوم القيمة يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد فينبئهم بما عملوا اي فيخبرهم بما صنعوا من خير وشر احصاه الله ونسوه اي ضبطه الله وحفظه عليهم وهم قد نسوا ما كانوا عملوا والله على كل شيء شهيد اي لا يغيب عنه شيء ولا يخفى

قال الفراء يعودون عما قالوا وفيما قالوا اي فيما قالوا ونقض ما قالوا يعني رجع عما قال وهذا يبين ما قال الشافعي وذلك انه قصده بالظهار التحريم فاذا امسكها على النكاح فقد خالف قوله ورجع عما قال فيلزمه الكفارة

متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا

يعني المظاهر اذا لم يستطع الصوم لمرض او كبر او فرط شهوة لا يصبر عن الجماع يجب عليه اطعام ستين مسكينا

المحادة المشاقة والمخالفة وهي ان يكون في شق وحد وصاحبك في حد وشق

ولا ينسى شيئا ثم قال تعالى مخبرا عن احاطة علمه بخلقه واطلاعه عليهم وسماعه كلامهم ورؤيته مكانهم حيث كانوا واين كانوا فقال الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا اي مطلع عليهم يسمع كلامهم وسرهم ونجويهم ورسله ايضا مع ذلك تكتب ما يتناجون به مع علم الله به وسمعه له كما قال الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجويهم وقال ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجويهم ولهذا حكى غير واحد الاجماع على ان المراد بهذه الآية معية علمه تعالى ولا شك في ارادة ذلك ولكن سمعه ايضا مع علمه بهم وبصره نافذ فيهم فهو سبحانه مطلع على خلقه لا يغيب عنه من امورهم شيء ثم قال ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة ان الله بكل شيء عليم قال الامام احمد افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم الم تر الى الذين نهوا عن

النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون

قال مجاهد هم اليهود وذلك انه كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود موادعة وكانوا اذا مر بهم رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تناجوا بينهم حتى يظن المؤمن انهم يتناجون بقتله او بما يكره المؤمن فاذا راى المؤمن ذلك خشيهم فترك طريقه عليهم فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن النجوى فلم ينتهوا وعادوا الى النجوى فانزل الله الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه وعن ابي سعيد الخدري قال كنا نتناوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيت عنده تطرقه من الليل امر ويبدو له حاجة فلما كانت ذات ليلة كثر اهل النوب والمحتسبون حتى كنا اندية نتحدث فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه النجوى الم تنهوا عن النجوى فقلنا تبنا الى الله يا رسول الله انا كنا في ذكر المسيح فرقا منه فقال الا اخبركم بما هو اخوف عليكم عندي منه قلنا بلى يا رسول الله قال الشرك الخفي ان يقوم الرجل يعمل لمكان رجل حديث ضعيف رواه ابن ابي حاتم وقوله ويتناجون بالاثم والعدوان اي يتحدثون فيما بينهم بالاثم وهو ما يختص بهم والعدوان وهو ما يتعلق بغيرهم ومنه معصية الرسول عليه الصلوة والسلم ومخالفته وهم يصرون عليها ويتواصون بها وقوله واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله عن عائشة قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود فقالوا السام عليك يا ابا القسم فقالت عائشة وعليكم السام قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة ان الله لا يحب الفحش ولا التفحش قلت الا تسمعهم يقولون السام عليك او ما سمعت اقول وعليكم فانزل الله فاذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله رواه ابن ابي حاتم وفي الصحيح عن عائشة نحوه وفي رواية فيه انها قالت لهم عليكم السام والذام واللعنة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا وقوله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول اي يفعلون هذا ويقولون ما يحرفون من الكلام وايهام السلام وانما هو شتم في الباطن ومع هذا يقولون في انفسهم لو كان هذا نبيا لعذبنا الله بما نقول له في الباطن بالعقوبة في الدنيا لان الله يعلم ما نسره فقال تعالى حسبهم جهنم اي جهنم كفايتهم في الآخرة يصلونها فبئس المصير اي حقهم لهم وقال ابن عباس كان المنافقون اذا حيوه يقولون السام عليك قال الله حسبهم ثم قال الله مؤدبا عباده المؤمنين ان لا تكونوا مثل الكفرة والمنافقين يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان اي كما يتناجا به الكفرة من اهل الكتاب

اى من نجوى ثلثة

في سبب النزول قال ابن عباس ومجاهد نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم وينظرون الى المؤمنين ويتغامزون باعينهم فاذا راى المؤمنون ذلك قالوا ما نراهم الا وقد بلغهم عن اخواننا واقربائنا الذين خرجوا في السرايا قتل او موت او مصيبة او هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال ذلك شكوا الى رسول الله فامرهم ان لا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا وعادوا الى مناجاتهم فانزل الله الم تر الى الذين نهوا عن النجوى

راز بر بره آن بود که دران
آزار خدا بود و عدوان آن
بود که دران آزار خلق بود

في رواية عن عائشة ان اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك يا محمد فقال وعليكم فغضبت عائشة فقالت وعليكم السام واللعنة يا اولاد القردة والخنازير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش ان الله يبغض الفحش والتفحش الى آخره

ومعصية الرسول

ومن مالأهم على ضلالهم من المنافقين وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون اي فيخبركم بجميع
اعمالكم واقوالكم التي قد احصاها عليكم وسيجزيكم بها وفي الصحيحين عن صفوان بن محرز قال كنت آخذا بيد ابن عمر اذ
عرض له رجل قال كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى يوم القيمة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان الله ليدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس ويقرره بذنوبه ويقول له اتعرف ذنب كذا اتعرف
ذنب كذا حتى اذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه انه قد هلك قال فاني سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم ثم يعطى
كتاب حسناته واما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين ثم قال
تعالى انما النجوى من الشيطان اي انما النجوى وهي المسارة حيث يتوهم مؤمن منها سوءا من الشيطان ليحزن الذين آمنوا
يعني انما يصدر هذا من المتناجين عن تسويل الشيطان وتزيينه ليحزن الذين آمنوا اي ليسوءهم وليس ذلك بضارهم
شيئا الا باذن الله ومن احس من ذلك شيئا فليستعذ بالله وليتوكل على الله فانه لا يضره شيء الا باذن الله وفي الصحيحين عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه وعن ابن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث الا باذنه فان ذلك يحزنه انفرد به مسلم يا ايها
الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع
الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير قال تعالى مؤدبا عباده المؤمنين
وامرا لهم ان يحسن بعضهم الى بعض في المجالس يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا اي توسعوا في المجلس فافسحوا اي اوسعوا
يقال فسح يفسح فسحا اذا اوسع في المجلس يفسح الله لكم اي يوسع الله لكم في مجالس الجنة وذلك ان الجزاء من جنس العمل كما جاء
في الحديث الصحيح من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة ولهذا اشباه كثيرة قال قتادة نزلت هذه الآية في مجالس الذكر وذلك
انهم كانوا اذا رأوا احدهم مقبلا ضنوا بمجالسهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم الله ان يفسح بعضهم لبعض
قال مقاتل بن حيان نزلت هذه الآية يوم الجمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ في الصفة وفي المكان ضيق
فجاء ناس من اهل بدر وكانوا يكرمون وقد سبقوا في المجلس فقاموا حيال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السلام عليك
فرد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم فقاموا على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق
ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله قم يا فلان وانت يا فلان فاقام من المجلس بقدر النفر الذين قاموا
بين يديه من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهة في وجوههم فانزل الله هذه الآية
يوم الجمعة وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا
وفي رواية احمد ولكن افسحوا يفسح الله لكم وفي جواز القيام للوارد اذا جاء اقوال احدها انه يجوز لحديث قوموا الى سيدكم
والثاني لا يجوز لحديث من احب ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار والثالث التفصيل وهو انه يجوز لمن
قدم من سفر وللحاكم في محل ولايته كما دل عليه قصة سعد بن معاذ حين حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة فطلبه
فلما رآه مقبلا قال للمسلمين قوموا الى سيدكم وما ذاك الا ليكون انفذ لحكمه واما اتخاذه عادة فانه شعار العجم وكانوا
يومئذ غير مسلمين فخلافهم اولى وقد جاء في السنن انه لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا
جاء لا يقومون له لما يعلمون من كراهته لذلك وفي السنن انه عليه الصلوة والسلام كان يجلس حيث انتهى به المجلس ولكن
حيث يجلس يكون صدر ذلك المجلس وكانت الصحابة يجلسون منه على مراتبهم فالصديق يجلس عن يمينه وعمر عن يساره وبين يديه

فراخ تر نشینند فافسحوا بجنبید و فراخ تر نشینید

قيل ان رجلا من اهل الغنا

وقيل ان رجلا من الفقرا دخل المسجد فاراد ان يجلس بجنب احد من الاغنيا فلما قرب منه قبض الغني ثوبه فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال للغني اخشيت ان يعديه غناك او يعديك فقره

غالبا عثمن

غالبا عثمن وعلي لانهما كانا يكتبان الوحي وكان يامرهم بذلك كما روى ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يقول ليليني منكم اولو الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم رواه مسلم وما ذاك الا ليعقلوا عنه ما يقوله
من احكام الشرع وادابه ودقائقه وعن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل ان يفرق بين اثنين الا
باذنهما رواه احمد وابو داود والترمذي وحسنه قال ابن عباس وغيره اي فافسحوا في مجالس الحرب ومعنى اذا قيل انشزوا
فانشزوا اذا دعيتم الى خير فاجيبوا وقال ابن زيد كانوا يكونون عند النبي صلى الله عليه وسلم في بيته ويحبون ان يلبثوا طويلا
فربما يشق ذلك عليه فامروا انهم اذا امروا بالانصراف ينصرفوا بلا مكث كقوله واذا قيل لكم ارجعوا فارجعوا وقوله يرفع الله
الذين آمنوا منكم اي لا تعتقدوا انه اذا تفسح منكم احد لاخيه اذا قيل او امر بالخروج والانصراف فيخرج ان يكون ذلك نقصا في
حقه بل هو رفعة ورتبة عند الله والله لا يضيع ذلك له بل يجزيه بها في الدارين فان من تواضع لامر الله رفع الله قدره و
نشر ذكره ولهذا قال يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير اي بمن يستحق ذلك ممن لا يستحقه
وقد ذكرنا فضل العلم واهله في شرح صحيح البخاري في كتاب العلم والله اعلم يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا
بين يدي نجويكم صدقة ذلك خير لكم واطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم أاشفقتم ان تقدموا بين يدي
نجويكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الله ورسوله
والله خبير بما تعملون امر تعالى عباده المؤمنين اذا اراد احدهم ان يناجي رسول الله صلى الله عليه وسلم اي يساره فيما بينه
وبينه ان يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهره وتزكيه وتؤهله لان يصلح لهذا المقام ولهذا قال ذلك اي تقديم الصدقة خير لكم
واطهر ثم قال فان لم تجدوا اي من عجز عن ذلك لفقره فان الله غفور رحيم فانه ما امر بها الا من قدر عليها ثم قال أاشفقتم
ان تقدموا بين يدي نجويكم صدقات اي اخفتم من استمرار هذا الحكم عليكم من وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول فاذ لم تفعلوا
وتاب الله عليكم اي تجاوز عنكم وخفف فاقيموا الصلوة اي المفروضة واتوا الزكوة الواجبة واطيعوا الله ورسوله
والله خبير بما تعملون فنسخ وجوب ذلك عنهم وقد قيل انه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي بن ابي طالب قدم دينارا صدقة تصدق
ثم ناجى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن عشر خصال ثم انزلت الرخصة وعن مجاهد قال قال علي بن ابي طالب آية في كتاب الله
لم يعمل بها احد بعدي كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم فكنت اذا ناجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدقت بدرهم
فنسخت ولم يعمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي ثم تلا هذه الآية وعن علي قال لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم
ما ترى دينارا قال لا يطيقونه قال نصف دينار قال لا يطيقونه قال ما ترى قال شعيرة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك لزهيد
رواه ابن جرير والترمذي مثله قال علي فبي خفف الله عن هذه الامة ومعنى قوله شعيرة وزن شعيرة من ذهب وقال ابن عباس ان
المسلمين اكثروا المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه فاراد الله ان يخفف عنه فلما قال ذلك جبن كثير من المسلمين
وكفوا عن المسئلة فانزل الله بعده أاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجويكم صدقات الآية فوسع الله عليهم ولم يضيق وقال قتادة
ما كانت الا ساعة من نهار فنسخت الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون
على الكذب وهم يعلمون اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا ايمانهم جنة
فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم
هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فانسيهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم

اكن تعالى على المنافقين وموالاتهم الكفار في الباطن وهم في نفس الامر لا معهم ولا مع المؤمنين كما قال تعالى مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فقال الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود الذين كان المنافقون يوالونهم ويوالونهم في الباطن ثم قال ما هم منكم ولا منهم اي هؤلاء المنافقون ليسوا في الحقيقة منكم ايها المؤمنون ولا من الذين يوالونهم وهم اليهود ثم قال ويحلفون اي المنافقون على الكذب وهم عالمون بانهم كاذبون فيما حلفوا به وهي اليمين الغموس لا سيما في مثل حالهم لانهم لا يعتقدون صدق ما قالوه وان كان في نفس الامر مطابقا ولهذا اشهد الله بكذبهم في ايمانهم وشهادتهم لذلك ثم قال اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون اي ارصد الله لهم على هذا الصنيع العذاب الاليم على اعمالهم السيئة وهي موالاة الكافرين ومعاداة المؤمنين وغشهم ولهذا قال اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله اي اظهروا الايمان وابطنوا الكفر واتقوا بالايمان الكاذبة فيظن كثير ممن لا يعرف حقيقة امرهم صدقهم فاغتر بهم فحصل بهذا صد عن سبيل الله لبعض الناس فلهم عذاب مهين اي في مقابلة ما امتهنوا من الحلف باسم الله العظيم في الايمان الكاذبة الحانثة ثم قال لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي لن ترفع ذلك عنهم بأسنا اذا جاءهم اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ثم قال يوم يبعثهم الله جميعا اي يحشرهم يوم القيمة جميعا لا يغادر منهم احدا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء اي يحلفون بالله انهم كانوا في الدنيا على الهدى والاستقامة كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا لان من عاش على شيء مات عليه وبعث عليه ويعتقدون ان ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند الناس فيجرون عليهم الاحكام الظاهرة ولهذا قال ويحسبون انهم على شيء اي حلفهم ذلك لربهم قال منكرا عليهم حسبانهم ذلك الا انهم هم الكاذبون فاكد الخبر عنهم بالكذب وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في ظل حجرة من حجره وعنده نفر من المسلمين قد كاد يقلص عنهم الظل قال انه سيأتيكم انسان ينظر بعيني شيطان فاذا اتاكم فلا تكلموه فجاء رجل ازرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فقال علام تشتمني انت وفلان وفلان وفلان نفر دعاهم باسمائهم قال فانطلق الرجل فدعاهم فحلفوا له واعتذروا اليه فانزل الله يحلفون له كما يحلفون لكم الآية رواه احمد وابن ابي حاتم ولابن جرير نحوه وحال هؤلاء كما اخبر تعالى عن المشركين حيث قال لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين الآية ثم قال استحوذ عليهم الشيطان اي غلب واستولى على قلوبهم الشيطان حتى انساهم ان يذكروا الله وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه كما روي انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من ثلثة في قرية ولا بدو ولا يقام عليهم الصلوة الا قد استحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة فانما ياكل الذئب القاصية رواه ابو داود يعني لا يقام الصلوة في الجماعة ثم قال تعالى اولئك حزب الشيطان يعني الذين استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله ثم قال الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون اي في الدارين ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين

كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون اخبر تعالى عن الكفار المعاندين المحادين لله ورسوله يعني الذين هم في حد والشرع في حد اي مجانبون للحق مشاقون له هم في ناحية والهدى في ناحية اولئك في الاذلين اي في الاشقياء المبعدين المطرودين عن الصواب الاذلين في الدارين كتب الله لاغلبن انا ورسلي اي قد حكم وكتب في كتابه الاول وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع ولا يبدل بان النصرة له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدارين وان العاقبة للمتقين ان الله قوي عزيز

وعن الحسن في القيامة مواطن فموطن يعرفون فيه قبح الكذب ضرورة فيتركونه وموطن يكونون فيه كالمدهوشين فيتكلمون بكلام الصبيان الكذب وغير الكذب

وروي ان المؤمنين قالوا لئن فتح الله لنا مكة وخيبر وما حولها فانا نرجو ان يظهرنا الله على الروم وفارس فقال عبد الله بن ابي اتظنون ان فارس والروم كبعض القرى التي غلبتم عليها والله انهم اكثر عددا واشد بطشا من ذلك فانزل الله كتب الله لاغلبن انا ورسلي

اركب

اي كتب القوي العزيز انه الغالب على اعدائه وهذا قدر محكم وامر مبرم ان العاقبة والنصرة للمؤمنين في الدنيا والآخرة ثم قال تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله اي لا يوادون المحادين ولو كانوا اباءهم او ابناءهم يعني ولو كانوا من الاقربين كما قال لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين الآية قال بعضهم نزلت هذه الآية لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الى آخرها في ابي عبيدة عامر بن عبد الله الجراح حين قتل اباه يوم بدر ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جعل امر الخلافة شورى بعده في اولئك الستة ولو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته وقيل في قوله ولو كانوا اباءهم نزلت في ابي عبيدة قتل اباه يوم بدر او ابناءهم في الصديق هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن او اخوانهم في مصعب ابن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير او عشيرتهم في عمر قتل قريبا له يومئذ ايضا وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ ولـ الشيخ ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين في اسارى بدر فاشار الصديق بان يفادوا فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين وهم بنو العم والعشيرة ولعل الله ان يهديهم وقال عمر لا ارى ما ارى يا رسول الله بل يمكنني من فلان قريب لعمر فاقتله وتمكن عليا من عقيل وتمكن فلانا من فلان ليعلم الله انه ليست في قلوبنا موادة للمشركين القصة بطولها وقوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي من اتصف بانه لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان اباه او اخاه فهو ممن كتب الله في قلبه الايمان قال ابن عباس وايدهم بروح منه اي بنصره منه وقال الحسن سمى نصره اياهم روحا لان نصرهم يحييه وقيل اي الايمان او بالقرآن وحججه وقيل بجبرائيل وقوله ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار الآية سبق تفسيرها غير مرة وفي قوله رضي الله عنهم ورضوا عنه لطيفة وهو انه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله عوضهم الله بالرضى عنهم وارضاهم عنه بما اعطاهم من النعيم المقيم والفضل العميم وقوله اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون اي هؤلاء عباد الله واهل كرامته وفي قوله الا ان حزب الله تلميح بفلاحهم وسعادتهم ونصرتهم في الدارين في مقابلة ما اخبر عن اولئك بانهم حزب الشيطان ونقل ان ابا حازم الاعرج كتب الى الزهري اعلم ان الجاه جاهان جاه يجري الله على ايدي اوليائه وانهم الخامل ذكرهم الخفية شخوصهم ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الاخفياء الاتقياء الابرياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يدعوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة فهؤلاء اولياء الله الذين قال الله اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون رواه ابن ابي حاتم وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر ولا فاسق عندي يدا ولا نعمة فاني وجدت فيما اوحيته الي لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله قال سفين يرون انها نزلت فيمن يخالط السلطان

تفسير سورة الحشر وهي مدنية

عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة الحشر قال انزلت في بني النضير وفي رواية قلت لابن عباس سورة الحشر قال قل سورة النضير رواه البخاري بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتيهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين اخبر تعالى ان جميع ما في السموات وما في الارض من شيء يسبح له ويمجده و

قال السدي نزلت في عبد الله بن عبد الله بن ابي وذلك انه جلس الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء فقال عبد الله يا رسول الله ابق فضلة من شرابك قال فما تصنع بها قال اسقيها ابي لعل الله تعالى يطهر قلبه ففعل فاتاها اباه فقال ما هذا قال فضلة من شراب رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتك بها لتشربها لعل الله يطهر قلبك فقال له ابوه هلا جئتني ببول امك فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ائذن لي في قتل ابي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ترفق به وتحسن اليه

هوادة

رضي الله عنهم بعطا الدنيا ورضوا عنه في الآخرة بالجنة والثواب

اخبر الله سبحانه بهذه السورة بتقديسه وتمجيده وقدرته على اهل السموات والارض وان كل شيء منها منقاد وان كل شيء منها برئ من السوء وهو العزيز المنيع المنتقم

[illegible]

يقدسه ويصلي له ويوحده كما قال يسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده وقوله وهو العزيز اي
منيع الجناب الحكيم في قدره وشرعه وقوله هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب يعني يهود بني النضير قاله ابن عباس و
غير واحد وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة هادنهم واعطاهم عهدا وذمة على ان لا يقاتلهم ولا يقاتلوه
فنقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه فاحل الله بهم باسه الذي لا يرد وانزل عليهم قضاءه الذي لا يصد فاجلاهم النبي
صلى الله عليه وسلم واخرجهم من حصونهم الحصينة التي ما طمع فيها المسلمون وظن اليهود انها مانعتهم من باس الله فما اغنى
عنهم من الله شيئا وسيرهم من المدينه فكان منهم طائفة ذهبوا الى اذرعات من اعالي الشام وهي ارض المحشر والمنشر ومنهم طائفة
ذهبوا الى خيبر وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد انزلهم منها على ان لهم ما حملت ابلهم وكانوا يقلعون ما في بيوتهم من المنقولات
التي يمكن ان تحمل معهم ولهذا قال يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار اي تفكروا في عاقبة
من خالف امر الله وامر رسوله وكذب كتابه كيف يحل به من باسه المخزي له في الدنيا مع ما يدخره له في الاخرة من العذاب الاليم
وملخص غزوة بني النضير مما ذكره اصحاب المغازي والسير انه لما قتل اصحاب بئر معونة رضي الله عنهم وكانوا سبعين من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وافلت منهم عمرو بن امية الضمري فلما كان في اثناء الطريق راجعا الى المدينة قتل رجلين من
بني عامر وكان معهما عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وامان لم يعلم به عمرو فلما رجع اخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال قتلت رجلين ~~من بني عامر~~ لا بد من ديتهما وكان بين بني النضير وبني عامر حلف وعهد فخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى بني النضير يستعينهم في دية ذينك الرجلين وكانت منازل بني النضير ظاهر المدينه على اميال منها شرقيها قال
محمد بن اسحق في كتابه السيرة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر اللذين
قتلهما عمرو بن امية للجوار الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما فلما اتاهم وطلب اليهم قالوا نعم يا ابا القاسم
نعينك على ما احببت مما استعنت بنا عليه ثم خلا بعضهم ببعض وقالوا انكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ورسول
الله صلى الله عليه وسلم الى جنب جدار من بيوتهم فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه فانتدب
لذلك عمرو بن جحاش بن كعب احدهم فقال انا لذلك فصعد ليلقي عليه صخرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
في نفر من الصحابة فيهم ابو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما اراد القوم
فقام وخرج راجعا الى المدينه من غير ان يعلم الصحابة فلما استلبثوا النبي صلى الله عليه وسلم قاموا في طلبه فلقوا رجلا
مقبلا من المدينه فسالوه عنه فقال رايته داخلا المدينة فاقبل اصحابه حتى انتهوا اليه فاخبرهم الخبر بما كانت يهود
ارادت من الغدر به وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والمسير اليهم ثم سار حتى نزل بهم فتحصنوا منه
في الحصون فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل والتحريق فيها فنادوه ان يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على
من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها وقد كان رهط من بني عوف من الخزرج منهم عبد الله بن ابي بن سلول ووديعه
ومالك ابن ابي قوقل وسويد وداعس قد بعثوا الى بني النضير ان اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم
وان اخرجتم خرجنا معكم فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقذف الله في قلوبهم الرعب فسالوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يجليهم ويكف عن دمائهم على ان لهم ما حملت الابل من اموالهم الا الحلقة يعني السلاح ففعلوا فاحتملوا
من اموالهم ما استقلت به الابل فكان الرجل يهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به فخرجوا الى خيبر و
منهم من سار الى الشام وخلوا الاموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة يضعها حيث

يشاء فقسمها على المهاجرين الاولين دون الانصار الا ان سهل بن حنيف وابا دجانة سماك بن خرشة ذكرا فقرا
فاعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسلم من بني النضير الا رجلان يامين بن عمرو بن كعب ابن عم عمرو بن جحاش و
ابو سعد بن وهب اسلما على اموالهما فاحرزاها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليامين الم تر ما لقيت من ابن عمك و
ما هم به من شاني فجعل يامين بن عمير لرجل جعلا على ان يقتل عمرو بن جحاش فقتله ونزل في بني النضير سورة الحشر باسرها
هكذا قال ابن اسحق فقوله هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب يعني بني النضير من ديارهم لاول الحشر قال ابن عباس
من شك ان ارض المحشر هاهنا يعني الشام فليقرا هذه الاية رواه ابن ابي حاتم وقال لهم رسول الله اخرجوا قالوا الى اين
قال الى ارض المحشر وعن الحسن قال لما اجلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير قال هذا اول الحشر وانا على الاثر
رواه ابن جرير وقوله ما ظننتم ان يخرجوا اي في مدة حصاركم لهم وقصرها وكانت ستة ايام مع شدة حصونهم ومنعتها
ولهذا قال وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا اي جاءهم من امر الله ما لم يكن
في بال كما قال في اية اخرى واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون وقوله وقذف في قلوبهم الرعب قال كان النبي صلى الله عليه
وسلم قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ فاعطوه ما اراد منهم فصالحهم على ان يحقن لهم دماءهم وان يخرجهم من ارضهم
الى ارض اخرى وروى انه عليه الصلوة والسلام بعث محمد بن مسلمة الى بني النضير وامره ان يؤجلهم في الجلاء ثلث ليال و
قوله ولهم في الاخرة عذاب النار اي حتم لازم لا بد لهم منه وقوله ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله اي انما فعل الله بهم ذلك
وسلط عليهم رسوله وعباده المؤمنين لانهم خالفوا الله ورسوله وكذبوا بما انزل الله على رسله في البشارة بمحمد صلى الله عليه
وسلم وهم يعرفون ذلك كما يعرفون ابناءهم ثم قال ومن يشاق الله ورسوله فان الله شديد العقاب وقوله ما قطعتم
من لينة اللين نوع من التمر وهو جيد قال ابو عبيدة وهو ما خالف العجوة والبرني من التمر وقال بعضهم اللينة الوان
التمر سوى العجوة قال ابن جرير هو جميع النخل ونقله عن مجاهد وهو البويرة ايضا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حاصرهم
امر بقطع نخيلهم اهانة لهم وارعابا وارهابا بالعقوبة لهم يعني ما قطعتم وما تركتم من الاشجار فالجميع باذنه ومشيته وقدره و
رضاه وفيه نكاية للعدو وخزي لهم وارغام لانوفهم وقال مجاهد نهى بعض المهاجرين بعضا عن قطع النخل وقالوا انما
هي مغانم للمسلمين فنزل القران بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وانما قطعه وتركه باذنه وعن جابر قال رخص
لهم في قطع النخل ثم شدد عليهم فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله علينا اثم فيما قطعنا او علينا وزر فيما تركنا فانزل
الله ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله رواه الحافظ الموصلي وعن ابن عمر قال حاربت النضير وقريظة فاجلى
بني النضير واقر قريظة ومن عليهم حتى حاربت قريظة فقتل رجالهم وقسم نساءهم واولادهم بين المسلمين الا بعضهم
لحقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم فامنهم واسلموا واجلى يهود المدينه كلهم بني قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام ويهود
بني حارثة وكل يهود بالمدينه رواه البخاري ومسلم نحوه وفي البخاري عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بني
النضير وقطع وهي البويرة ولها يقول حسان ؞ وهان على سراة بني لؤي ؞ حريق بالبويرة مستطير ؞ فاجابه ابو سفين بن الحرث
ادام الله ذلك من صنيع ؞ وحرق في نواحيها السعير ؞ ستعلم اينا منها بنزه ؞ وتعلم اي ارضينا تضير ؞ وقال كعب بن
مالك يبكي اجلاء بني النضير وقتل ابن الاشرف ؞ لقد خزيت بغدرتها الحبور ؞ كذاك الدهر ذو صرف يدور ؞
وذلك انهم كفروا برب ؞ عظيم امره امر كبير ؞ وقد اوتوا معا فهما وعلما ؞ وجاءهم من الله النذير ؞ نذير صادق ادى كتابا
وايات مبينة تنير ؞ فقالوا ما اتيت بامر صدق ؞ وانت بمنكر منا جدير ؞ فقال بلى لقد اديت حقا ؞ يصدقني به الفهم الخبير

يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل باخوانهم بني قريظة [illegible]

او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين ليذل اليهود ويغيظهم في قطعها وبقيها

لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير وتحصنوا بحصونهم امر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع اعداء الله عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح افمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت انه انزل عليك الفساد في الارض فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ووجد المسلمون في انفسهم من قولهم وخشوا ان يكون ذلك فسادا واختلفوا في ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما افاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعها فنزلت الاية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم واخبر ان ما قطعوه وتركوه فباذن الله

[illegible]

فمن يتبعه يهد لكل رشد ۞ ومن يكفر به يجز الكفور ۞ فلما اشربوا غدرا وكفرا ۞ وجد بهم عن الحق النفور
ارى الله النبي براي صدق ۞ وكان الله يحكم لا يجور ۞ فايده وسلطه عليهم ۞ وكان نصيره نعم النصير
فغودر منهم كعبا صريعا ۞ فذلت بعد مصرعه النضير ۞ على الكفين ثم وقد علته ۞ بايدينا مشهرة ذكور
بامر محمد اذ دس ليلا ۞ الى كعب اخا كعب يسير ۞ فماكره فانزله بمكر ۞ ومحمود اخو ثقة جسور
فتلك بنو النضير بدار سوء ۞ ابادهم بما اجترموا المبير ۞ غداة اتاهم في الزحف رهوا ۞ رسول الله وهو بهم بصير
وغسان الحماة موازروه ۞ على الاعداء وهو لهم وزير ۞ فقال السلم ويحكم فصدوا ۞ وخالف امرهم كذب وزور
فذاقوا غب امرهم وبالا ۞ لكل ثلاثة منهم بعير ۞ واجلوا عامدين لقينقاع ۞ وغودر منهم نخل ودور

قال ابن اسحق كانت وقعة بني النضير بعد احد وبعد بئر معونة وفي البخاري عن عروة انه قال كانت وقعة بني النضير بعد بدر بستة اشهر والله اعلم **وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شي قدير ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما اتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب** فهذه الآية بيان مال الفيء وصفته وحكمه فالفيء كل مال اخذ من الكفار من غير قتال ولا ايجاف خيل ولا ركاب كاموال بني النضير هذه فانها مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب اي لم يقاتلوا الاعداء فيها بالمبارزة والمصاولة بل نزل اولئك من الرعب الذي القى الله في قلوبهم من هيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فافاءه الله على رسوله ولهذا تصرف فيه كما شاء فرده على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله تعالى فقال وما افاء الله على رسوله منهم اي من بني النضير فما اوجفتم اي اسرعتم عليه من خيل ولا ركاب يقال له وجف الفرس والبعير اذا سار سريعا واوجفه صاحبه اذا حمله على السير السريع والمراد بالركاب الابل الذي يركب عليه ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شي قدير اي هو قدير لا يغالب ولا يمانع بل هو القاهر لكل شي ثم قال ما افاء الله على رسوله من اهل القرى اي جميع البلدان التي تفتح هكذا فحكمها حكم اموال بني النضير ولهذا قال فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل الى آخرها والتي بعدها فهذه مصارف اموال الفيء ووجوهه وفي الصحيحين عن مالك بن اوس قال قال عمر رضي الله عنه ان الله قد خص رسوله في هذا الفيء بشي لم يعطه احدا غيره ثم قرأ ما افاء الله على رسوله منهم الى قوله قدير وكانت هذه خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق على اهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم ياخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله وفي رواية اخرى كانت اموال بني النضير مما افاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ينفق على اهله نفقة سنتهم ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله وهذه هي المصارف المذكورة في خمس الغنيمة وقد سبق بيانها في سورة الانفال وعن مالك بن اوس قال فيما احتج به عمر انه قال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث صفايا بني النضير وخيبر وفدك اما بنو النضير فكانت حبسا لنوائبه واما فدك فكانت حبسا لابناء السبيل واما خيبر فجزأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة اجزاء جزئين بين المسلمين وجزء نفقة لاهله فما فضل عن نفقة اهله جعله بين فقراء المهاجرين رواه ابو داود وقوله كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم اي جعلنا هذه المصارف لمال الفيء لئلا يبقى ماكلة يتغلب عليها الاغنياء ويتصرفون فيها بمحض الشهوات والآراء ولا يصرفون منه شيئا الى الفقراء وقوله وما آتيكم الرسول فخذوه اي مهما امركم بشي فافعلوه ومهما نهيكم عنه فانتهوا واجتنبوه فانه انما يامر بخير وينهى عن شر وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات

المهاجرين ٣

للحسن المغيرات خلق الله فجاءته امراة فقالت انه بلغني انك لعنت كيت وكيت فقال ما لي لا العن من لعن رسول الله وهو في كتاب الله فقالت لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول قال لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه اما قرأت ما آتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا قالت بلى قال فانه قد نهى عنه وقد ثبت في الصحيحين ايضا عن ابي هريرة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عنه فاجتنبوه وقوله واتقوا الله ان الله شديد العقاب اي لمن عصاه وخالف امره واباه وارتكب ما زجره عنه ونهاه **للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رؤف رحيم** قال تعالى مبينا حال الفقراء المستحقين لمال الفيء انهم الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضات الله ورضوانه وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون اي هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم وهؤلاء هم سادات المهاجرين ثم قال تعالى مادحا للانصار ومبينا فضلهم وشرفهم وكرمهم وايثارهم مع الحاجة والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم اي الذين سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم قال عمر بن الخطاب واوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم كرامتهم واوصيه بالانصار خيرا الذين تبوؤا الدار والايمان من قبل ان يقبل من محسنهم وان يعفو عن مسيئهم رواه البخاري وقوله يحبون من هاجر اليهم اي من كرمهم وشرف انفسهم انهم يحبون المهاجرين ويواسونهم باموالهم عن انس قال قال المهاجرون يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم احسن مواساة في قليل ولا احسن بذلا في كثير لقد كفونا المؤنة واشركونا في المهنأ حتى لقد خشينا ان يذهبوا بالاجر كله قال لا ما اثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم رواه احمد والترمذي مثله وصححه وقوله ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا اي ولا يجدون في انفسهم حسدا للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقدم في الذكر والرتبة قال ابن زيد وقد تكلم بعض الانصار في اموال بني النضير طمعا في قسمتها فعاتبهم الله في ذلك فقال وما افاء الله على رسوله منهم الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخوانكم قد تركوا الاموال والاولاد وخرجوا اليكم فقالوا اموالنا بيننا قطايع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او غير ذلك قالوا وما ذاك يا رسول الله قال هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر فقالوا نعم يا رسول الله وعن ابي هريرة قال قالت الانصار للنبي صلى الله عليه وسلم اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل قال لا تكفونا المؤنة وتشركونا في الثمرة قالوا سمعنا واطعنا رواه البخاري وقوله ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة يعني الفاقة والحاجة اي يقدمون المحاويج على حاجة انفسهم ويبدؤن بالناس قبلهم وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال افضل الصدقة جهد المقل وهذا المقام اعلى من حال الذين وصفهم الله بقوله ويطعمون الطعام على حبه فان هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به وقد لا يكون لهم حاجة اليه ولا ضرورة وهؤلاء آثروا على انفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم الى ما انفقوه ومن هذا المقام تصدق الصديق بجميع ماله فقال له رسول الله ما ابقيت لاهلك فقال ابقيت لهم الله ورسوله وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال اتى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اصابني الجهد فارسل الى نسائه فلم يجد عندهن شيئا فقال النبي صلى الله عليه وسلم

الا رجل يضيف هذه الليلة فقام رجل من الانصار فقال انا يا رسول الله فذهب الى اهله فقال لامراته ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخريه شيئا فقالت والله ما عندي الا قوت الصبية قال فاذا اراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فاطفئ السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت ثم غدا الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد عجب الله او ضحك من فلانة وفلان وانزل الله عز وجل ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقوله ومن يوق شح نفسه اي ومن سلم من الشح فقد افلح وانجح وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيمه واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم انفرد به مسلم واحمد وقوله والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الاية هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفي وهم المهاجرون ثم الانصار ثم التابعون لهم باحسان كما قال في اية براءة والسابقون الاولون الاية فالتابعون باحسان هم المتبعون لاثارهم الحسنة واوصافهم الجميلة الداعون لهم في السر والعلانية ولهذا قال في هذه الاية والذين جاؤا من بعدهم يقولون اي قائلين ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رؤف رحيم قالت عائشة امروا ان يستغفروا لهم فسبوهم ثم قرات هذه الاية وعنها قالت امرتم بالاستغفار لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسببتموهم سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول لا تذهب هذه الامة حتى يلعن اخرها اولها رواه البغوي وعن مالك بن اوس قال قرا عمر بن الخطاب انما الصدقات للفقراء والمساكين حتى بلغ عليم حكيم فقال هذه لهؤلاء ثم قرا واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه وللرسول حتى بلغ وابن السبيل ثم قال هذه لهؤلاء ثم قرا ما افاء الله على رسوله من اهل القرى حتى بلغ للفقراء والذين تبوؤا الدار والايمان والذين جاؤا من بعدهم ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامة فلئن عشت فلياتين الراعي وهو بسرو حمير نصيبه منها لم يعرق فيها جبينه

الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر باسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بري منك اني اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين

اخبر تعالى عن المنافقين كابن سلول واضرابه حين بعثوا الى بني النضير يعدونهم النصر من انفسهم فقال الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم الاية والله يشهد انهم لكاذبون اي فيما وعدوهم به اما لانهم قالوا لهم قولا ومن عادتهم ان لا يفوا به واما لانه لا يقع منهم الذي قالوه ولهذا قال ولئن قوتلوا لا ينصرونهم اي لا يقاتلون معهم ولئن نصروهم اي قاتلوا معهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون وهذه بشارة مستقلة بنفسها ثم قال تعالى لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله اي يخافون منكم اشد من خوفهم من الله ولهذا قال ذلك بانهم قوم لا يفقهون ثم قال لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر يعني انهم من جبنهم وهلعهم لا يقدرون على مواجهة جيش الاسلام بالمبارزة والمقاتلة بل اما في حصون او من وراء جدار محاصرين فيقاتلون ليدفعوا عنهم ضرورة ثم قال باسهم بينهم شديد اي عداوتهم فيما بينهم

سورة

شديدة كما قال ويذيق بعضكم باس بعض ولهذا قال تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى اي تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين وهم مختلفون غاية الاختلاف ثم قال كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم يعني كمثل ما اصاب كفار قريش يوم بدر قاله مجاهد وغيره وقال ابن عباس يعني يهود بني قينقاع كذا قال قتادة وغيره وهو اشبه بالصواب فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اجلاهم قبل ذلك وقوله كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر يعني مثل هؤلاء اليهود في اغترارهم بالذين وعدوهم النصر من المنافقين وقولهم لهم لئن قوتلتم لننصرنكم ثم لما حقت الحقائق وجد بهم الحصار والقتال تخلوا عنهم واسلموهم للهلكة كمثل الشيطان اذ سول للانسان الكفر فاذا دخل فيما سوله له تبرا منه وتباعد عنه وقال اني اخاف الله رب العالمين ولهذا المثل قصة شبيهة به روى ابن جرير ان عليا وابن مسعود رضي الله عنهما قالا ان راهبا تعبد ستين سنة فاراده الشيطان فاعياه فعمد الى امراة فاجنها ولها اخوة فقال لاخوتها عليكم بهذا القس فيداويها قال فجاؤا بها اليه فداواها وكانت عنده فبينما هو يوما عندها اذ اعجبته فاتاها فحبلت فعمد اليها فقتلها فجاء اخوتها فسالوه عنها فقال فجاء شيطانها فذهب بها ولم اطقه فصدقوه فاتى الشيطان اليهم في المنام فقال لهم ان الراهب قد قتل اختكم فلما احبلها قتلها ودفنها في مكان كذا وكذا فلما اصبحوا قال رجل منهم رايت البارحة رؤيا ما ادري اقصها عليكم ام اترك قالوا بل قصها علينا فقصها فقال كل واحد منهم انا رايت البارحة مثل هذا قالوا فوالله ما هذا الا لشي فانطلقوا واستعدوا ملكهم على ذلك الراهب فاتوه فانزلوه ثم انطلقوا به فلقيه الشيطان فقال اني انا الذي اوقعتك في هذا ولن ينجيك منه غيري فاسجد لي سجدة واحدة وانجيك مما اوقعتك فيه فلما اتوا به ملكهم تبرا منه وقال اني بري منك اني اخاف الله رب العالمين فقتله وكذا روي عن ابن عباس وكثير من السلف والمشهور ان الراهب هو برصيصا وهذه القصة مخالفة لقصة جريج الراهب كما هي مبسوطة في الصحيحين وقوله فكان عاقبتهما انهما في النار اي عاقبة الامر بالكفر والفاعل له ومصيرهما الى جهنم خالدين فيها وذلك جزاء كل ظالم

يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانسهم انفسهم اولئك هم الفاسقون لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنه اصحاب الجنه هم الفائزون

قوله اتقوا الله امر بتقواه وهو يشمل فعل المامورات وترك المنكرات وقوله ولتنظر نفس ما قدمت لغد اي حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وانظروا ماذا ادخرتم لانفسكم من الاعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم واتقوا الله تاكيد ثان ان الله خبير بما تعملون اي اعلموا انه عالم بجميع اعمالكم واحوالكم لا يخفى عليه منكم خافية ولا يغيب عنه من اموركم جليل ولا حقير وقوله ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانسهم انفسهم اي لا تنسوا ذكر الله فينسيكم العمل لصالح انفسكم التي تنفعكم في معادكم فان الجزاء من جنس العمل ولهذا قال اولئك هم الفاسقون اي الخارجون عن طاعة الله الهالكون يوم القيمه الخاسرون يوم معادهم كما قال يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم الى هم الخاسرون وعن بعض السلف قال كان في خطبة ابي بكر الصديق رضي الله عنه اما تعلمون انكم تغدون وتروحون لاجل معلوم فمن استطاع ان يقضي اجله وهو في عمل الله فليفعل ولن تنالوا ذلك الا بالله ان قوما جعلوا اجالهم لغيرهم فنهاكم الله ان تكونوا امثالهم ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانسهم انفسهم اين من تعرفون من اخوانكم قدموا على ما قدموا في ايام سلفهم وخلوا بالشقوة والسعادة اين الجبارون الاولون الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط قد صاروا تحت الصخر والاباد هذا كتاب الله لا تفنى عجائبه فاستضيئوا منه ليوم ظلمة واتضحوا بثنائه وبيانه ان الله اثنى على زكريا واهل بيته فقال كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين

لا خير في قول لا يراد به وجه الله ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه ولا خير فيمن لا يخاف في الله لومة لائم رواه الطبراني باسناد جيد وقوله لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اي لا يستوي هؤلاء وهؤلاء في حكم الله يوم القيمة كما قال ام حسب الذين اجترحوا السيآت ان نجعلهم كالذين آمنوا الآية وغيرها من الآيات البينات وهذا دال على ان الله مكرم الابرار ومهين الفجار ولهذا قال ههنا اصحاب الجنة هم الفائزون اي الناجون المسلمون من عذاب الله **لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم** عظم الله امر القرآن وبين علو قدره وانه ينبغي ان تخشع له القلوب وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوعد الحق والوعيد الاكيد فقال لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله اي اذا كان الجبل في غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه لخشع وتصدع من خوف الله فكيف يليق بكم ايها البشر ان لا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله وقد فهمتم عن الله امره وتدبرتم كتابه ولهذا قال وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون اي لكي يتفكروا ويتعظوا قال ابن عباس يعني لو اني انزلت هذا القرآن على جبل حملته اياه تصدع وخشع من ثقله ومن خشية الله فامر الله الناس اذا انزل عليهم القرآن ان يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع وقد ثبت في الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عمل له المنبر وقد كان يوم الخطبة يقف الى جانب جذع من جذوع المسجد فلما وضع المنبر اول ما وضع وجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليخطب فجاوز الجذع الى نحو المنبر وجعل يئن كما يئن الصبي الذي يسكت لما كان يسمع من الذكر والوحي عنده ففي بعض روايات هذا الحديث قال الحسن البصري فانتم احق ان تشتاقوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجذع و هكذا هذه الآية الكريمة اذا كانت الجبال لو سمعت كلام الله وفهمته لخشعت وتصدعت من خشيته فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم كما قال ولو ان قرآنا سيرت به الجبال الآية اي لكان هذا القرآن وقال وان منها لما يهبط من خشية الله ثم قال تعالى هو الله الذي لا اله الا هو اخبر تعالى انه الذي لا اله الا هو فلا رب غيره ولا اله موجود سواه وكل ما يعبد من دونه فباطل وانه عالم الغيب والشهادة اي يعلم جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنا فلا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء من جليل وحقير حتى الذر في الظلمات وقوله هو الرحمن الرحيم سبق تفسيره في اول الكتاب والمراد انه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما وقد قال تعالى ورحمتي وسعت كل شيء وقال كتب ربكم على نفسه الرحمة ثم قال هو الله الذي لا اله الا هو الملك اي المالك لجميع الاشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة وقوله القدوس الطاهر المبارك تقدسه الملائكة السلام اي من جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وافعاله وقوله المؤمن قال ابن عباس اي امن خلقه ان يظلمهم وقيل اي صدق عباده المؤمنين في ايمانهم به ما وعدهم من الثواب وهو من الايمان الذي هو ضد التخويف كما قال وآمنهم من خوف وقوله المهيمن قال ابن عباس وغير واحد اي الشاهد على خلقه باعمالهم اي هو رقيب عليهم كما قال والله على كل شيء شهيد ثم الله شهيد على ما يفعلون وقوله العزيز اي الذي قد عز كل شيء فقهره وغلب الاشياء فلا ينال جنابه لعزته و عظمته وجبروته وكبريائه ولهذا قال الجبار المتكبر اي الذي لا تليق الجبرية الا له ولا الكبرياء الا لعظمته كما تقدم في الصحيح العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما ادخلته النار وقال قتادة الجبار الذي جبر عباده على ما يشاء وقال ابن جرير

الملك هو الذي يستغني بذاته وصفاته عن كل موجود ويحتاج اليه كل موجود السلام هو الذي يسلم ذاته عن العيب وصفاته عن النقص وافعاله عن الشر المؤمن هو الذي يعزى اليه الامن والامان بافادته اسبابه وسده طرق المخاوف المهيمن القائم على خلقه باعمالهم وارزاقهم وآجالهم وانما قيامه عليهم باطلاعه واستيلائه وحفظه العزيز هو الذي يقل وجوده وتشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول اليه ٣

الجبار المصلح امور خلقه المتصرف لهم فيما فيه صلاحهم وقال قتادة المتكبر يعني عن كل سوء خلقه ثم قال سبحان الله عما يشركون تنزيها وتقديسا له عما يقول الظالمون وقوله هو الله الخالق البارئ المصور الخلق التقدير والبرء هو الفري و هو التنفيذ وابراز ما قدره وقرره الى الوجود وليس كل من قدر شيئا ورتبه يقدر على تنفيذه وايجاده سوى الله تعالى يعني الذي اذا اراد شيئا قال له كن فيكون على الصفة التي يريد والصورة التي يختار ولهذا قال المصور اي الذي ينفذ ما يريد ايجاده على الصفة التي يريدها وقوله له الاسماء الحسنى سبق تفسيره في سورة الاعراف والحديث الذي في الصحيحين عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من احصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر وقوله يسبح له ما في السموات والارض كقوله تسبح له السموات والارض ومن فيهن الى قوله غفورا وقوله وهو العزيز اي فلا يرام جنابه الحكيم في شرعه وقدره وعن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسي وان مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قال حين يمسي كان بتلك المنزلة رواه احمد والدارمي والترمذي وغيره والله اعلم

سورة الممتحنة وهي مدنية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيمة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير سبب نزول صدر هذه السورة قصة حاطب بن ابي بلتعة وذلك ان حاطبا كان من المهاجرين من اهل بدر وكان له بمكة اولاد واموال ولم يكن من قريش بل كان حليفا لعثمان فلما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة لما نقض اهلها العهد امر المسلمين بالتجهيز لذلك وقال اللهم عم عليهم خبرنا فعمد حاطب فكتب كتابا وبعثه مع امرأة من قريش الى اهل مكة يعلمهم بما عزم عليه رسول الله ليتخذ بذلك عندهم يدا فاطلع الله ذلك رسوله استجابة لدعائه فبعث في اثر المرأة فاخذ الكتاب منها كما ثبت في الصحيحين عن علي رضي الله عنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى اتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة قلنا اخرجي الكتاب قالت ما معي كتاب قلنا لتخرجن الكتاب او لتلقين الثياب قال فاخرجت الكتاب من عقاصها فاخذنا الكتاب فاتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا قال لا تعجل علي اني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم اكن من انفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون اهليهم بمكة فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صدقكم فقال عمر دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وزاد البخاري في كتاب المغازي فانزل الله السورة يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء ونزولها له فقد وجبت لكم الجنة ولهذا الحديث روايات متعددة وعبارات متفاوتة فقوله تعالى يا ايها

بالله

تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق

آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء يعني المشركين والكفار الذين هم محادون لله ولرسوله وللمؤمنين الذين شرع الله
عداوتهم ومصارمتهم ونهى أن يتخذوا أولياء وأصدقاء كما قال تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض
ومن يتولهم منكم فإنه منهم وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد وغيرها من الآيات البينات ولأن حاطبا إنما فعل ذلك
مصانعة لقريش حماية لماله لا ارتدادا قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عذره وقوله يخرجون الرسول وإياكم هذا مع ما
قبله من التهييج على عداوتهم وعدم موالاتهم لأنهم يخرجون الرسول وأصحابه من بين أظهرهم كراهة لما هم عليه من التوحيد
وإخلاص العمل لله ولهذا قال أن تؤمنوا بالله ربكم أي لم يكن لكم عندهم ذنب إلا إيمانكم بالله كقوله وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا
بالله وقوله إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي أي إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء فإنهم أعدائي وأعداؤكم وقد أخرجوكم من دياركم
وأموالكم حنقا عليكم وسخطا لدينكم وقوله تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم أي يفعلون ذلك وأنا العالم
بالسرائر والضمائر والظواهر ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل أي أخطأ طريق الهدى ثم قال إن يثقفوكم أي يظفروا
بكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء أي لو قدروا عليكم لما اتقوا فيكم من أذى ينالونكم به بالمقال و
الفعال وودوا لو تكفرون أي ويحرصون على أن لا تنالوا خيرا فعداوتهم لكم كامنة وظاهرة فكيف توالون مثل هؤلاء وهذا تحريض
على عداوتهم أيضا وقوله لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة أي قراباتكم لا تنفعكم عند الله إذا أراد الله بكم سوءا ونفعهم
لا يصل إليكم إذا أرضيتموهم بما يسخط الله ومن وافق أهله على الكفر ليرضيهم فقد خاب وخسر ولا ينفعه قرابته من أحد و
لو كان قريبا إلى نبي من الأنبياء عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله أين أبي قال في النار فلما قفى قال إن أبي وأباك في النار
رواه مسلم وأحمد يفصل بينكم فيكون فريق في الجنة وفريق في السعير والله بما تعملون بصير فيجازيكم بحسب أعمالكم قد كانت لكم

أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله
كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه
لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا
لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة
لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد قال تعالى لعباده المؤمنين

الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري منهم قد كانت لكم أسوة أي قدوة حسنة في إبراهيم والذين
معه أي وأتباعه الذين آمنوا معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم أي تبرأنا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم أي
بدينكم وطريقكم وبدا بيننا وبينكم العداوة أي وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم ما دمتم على كفركم فنحن أبدا
نتبرأ منكم ونبغضكم حتى تؤمنوا بالله وحده يعني إلى أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له وتتركوا ما تعبدون معه
من الأنداد والأصنام والأوثان وقوله إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك أي لكم في إبراهيم أسوة متابعة حسنة تقتدون بها
إلا في استغفاره لأبيه فإنه كان عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه وقال لأبيه وما أملك لك أي لا أغني
ولا أدفع عنك عذاب الله إن أشركت به وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لآبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون
لهم قائلين إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه فأنزل الله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين إلى قوله حليم يعني
ليس لكم في إبراهيم أسوة في الاستغفار للمشركين قاله ابن عباس وغير واحد ثم أخبر تعالى عن قول إبراهيم والذين معه حين فارقوا
قومهم وتبرؤوا منهم فلجأوا إلى الله وتضرعوا إليه فقالوا ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا أي توكلنا عليك في جميع الأمور و

سلمنا

وسلمنا أمورنا إليك وفوضناها وإليك المصير أي المعاد في الآخرة ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا قال مجاهد أي لا
تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا وقال قتادة لا تظهرهم علينا فيفتتنوا
بذلك يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحقهم على ذلك واختاره ابن جرير وقوله واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم أي واستر
ذنوبنا واعف عنا فيما بيننا وبينك إنك أنت العزيز الذي لا يضام من لاذ بجنابك الحكيم في أفعالك وأقوالك وشرعك وقدرك
ثم قال تعالى لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر تأكيد لما تقدم ومستثنى منه أيضا ما تقدم لأن هذه
الأسوة المثبتة هاهنا هي الأولى بعينها وقوله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر تهييج إلى ذلك لكل مؤمن بالله والمعاد وقوله و
من يتول أي عما أمر الله به فإن الله هو الغني الحميد كقوله إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد قال
ابن عباس الغني الذي قد كمل في غناه وهو الله هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفؤ وليس كمثله شيء والحميد المستحمد إلى خلقه أي
هو المحمود في جميع أفعاله وأقواله لا إله غيره ولا رب سواه **عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة**
والله قدير والله غفور رحيم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من
دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم
في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك
هم الظالمون قال تعالى لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم بعداوة الكافرين عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم
منهم مودة أي محبة بعد البغضة وألفة بعد النفرة والفرقة والله قدير أي على ما يشاء من الجمع بين الأشياء المتنافرة و
المتباينة فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والقساوة فتصبح مجتمعة متفقة كما قال ممتنا على الأنصار واذكروا نعمة الله
عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم الآية وكذا قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين
فألفكم الله بي وقال الشاعر وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا وقوله والله غفور رحيم
أي يغفر للكافرين كفرهم إذا تابوا منه وأنابوا إلى ربهم وأسلموا له ويرحمهم بتوبتهم من أي ذنب كان قال ابن شهاب
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل أبا سفيان بن حرب على بعض اليمن فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل فلقي
ذا الخمار مرتدا فقاتله فكان أول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين وهو ممن أنزل الله فيه عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين
عاديتم منهم مودة وقوله لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أي لا ينهاكم عن الإحسان إلى
الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين كالنساء والضعفة منهم أن تبروهم أي عن برهم وتقسطوا أي تعدلوا وتحسنوا إليهم
إن الله يحب المقسطين وسبق تفسيره في سورة الحجرات وعن الزبير رضي الله قال قدمت قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر
بهدايا ضباب وأقط وسمن وهي مشركة فأبت أسماء أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها فسألت عائشة النبي صلى الله عليه
وسلم فأنزل الله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين الآية فأمرها أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها رواه
أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم وكان ذلك في المدة التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش وقوله إنما ينهاكم
الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا أي تعاونوا على إخراجكم أن تولوهم أي إنما ينهاكم الله عن
موالاة هؤلاء الذين ناصبوكم بالعداوة وقاتلوكم وأخرجوكم وعاونوا على إخراجكم وينهاكم عن موالاتهم ثم أكد الوعيد
على موالاتهم فقال ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون **يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات**
فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم

يحلون لهن وآتوهم ما انفقوا ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن ولا تمسكوا
بعصم الكوافر واسئلوا ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم
وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا و
اتقوا الله الذي انتم به مؤمنون قد سبق في سورة الفتح ذكر صلح الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار
قريش وكان فيه على انه لا يأتيك منا احد وان كان على دينك الا رددته علينا وهذه الآية مخصصة للسنة وعلى طريقة بعض
السلف على رواية رجل بدل احد ناسخة فان الله امر عباده المؤمنين اذا جاءهم النساء مهاجرات ان يمتحنوهن فان علمتموهن
مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار وسئل ابن عباس كيف كان امتحان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان يمتحنهن بالله ما خرجت
من بغض زوج وبالله ما خرجت رغبة عن ارض الى ارض وبالله ما خرجت لدنيا وبالله ما خرجت الا حبا لله ولرسوله رواه
ابن جرير وفي رواية البزار ان الذي كان يحلفهن عن امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب وعن ابن عباس كان امتحانهن
ان يشهدن ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله قال مجاهد فامتحنوهن اي فاسألوهن ما جاء بهن فان كان جاء بهن
غضب على ازواجهن او سخطة او غيره ولم تؤمن فارجعوهن الى ازواجهن وقال عكرمة وقتادة محنتهن ان يستحلفن بالله
ما اخرجكن النشوز وما اخرجكن الا حب الاسلام واهله وحب الله ورسوله فاذا قلن ذلك قبل ذلك منهن وقوله فان
علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار وفيه دلالة على ان الايمان يمكن الاطلاع عليه يقينا وقوله لا هن حل لهم و
لا هم يحلون لهن هذه الآية هي التي حرمت المسلمات على المشركين وقد كان جائزا في ابتداء الاسلام ان يتزوج المشرك المؤمنة
ولهذا كان ابو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كانت مسلمة وهو على دين قومه فلما وقع في الاسارى
يوم بدر بعثت امرأته زينب في فدائه بقلادة لها كانت لامها خديجة فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة
وقال للمسلمين ان رأيتم ان تطلقوا لها اسيرها وتردوا عليها الذي لها فقالوا نعم ففعلوا فاطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ان يبعث ابنته اليه فوفى له بذلك وصدقه فيما وعده وبعثها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع زيد بن حارثة فاقامت
بالمدينة بعد وقعة بدر وكانت سنة اثنتين الى ان يسلم زوجها ابو العاص سنة ثمان فردها عليه بالنكاح الاول ولم
يحدث لها صداقا كما قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رد ابنته زينب الى ابي العاص وكان اسلامها قبل اسلامه
بست سنين على النكاح الاول ولم يحدث شهادة ولا صداقا رواه احمد وابو داود والترمذي وهذا محمول على ان عدتها
لم تنقض منه بعد لان الذي عليه الجمهور انه متى انقضت العدة ولم يسلم انفسخ نكاحها منه وقوله وآتوهم ما انفقوا
يعني ادفعوا الى ازواج المهاجرات من المشركين ما غرموا عليهن من الاصدقة قاله ابن عباس وغير واحد وقوله ولا
جناح عليكم ان تنكحوهن اي تزوجوهن بشرطه من انقضاء العدة وسائر المقدمات والمتممات ولا تمسكوا بعصم الكوافر
هذا تحريم من الله على عباده المؤمنين نكاح المشركات والاستمرار معهن وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاهد
كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساء من المؤمنات فانزل الله يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الى قوله
ولا تمسكوا بعصم الكوافر فطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين تزوج احدهما معوية بن ابي سفين والاخرى صفوان
بن امية وطلق ايضا جماعة من الصحابة نساءهم المشركات فتزوجن بالمشركين وقوله واسئلوا ما انفقتم وليسألوا ما
انفقوا اي وطالبوا بما انفقتم على ازواجكم اللاتي يذهبن الى الكفار ان ذهبن وليطالبوا بما انفقوا على ازواجهم
اللاتي هاجرن الى المسلمين وقوله ذلكم حكم الله يحكم بينكم اي في الصلح واستثناء النساء منه والامر بهذا كله هو حكم الله يحكم بين

خلقه

خلقه والله عليم بما يصلح عباده حكيم في ذلك فان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت ازواجهم
مثل ما انفقوا قال مجاهد وقتادة هذا في الكفار الذين لهم عهد اذا فرت اليهم امرأة ولم يدفعوا الى زوجها شيئا فاذا
جاءت منهم امرأة لا يدفع الى زوجها شيء حتى يدفع الى زوج الذاهبة اليهم مثل نفقته عليها وقال ابن عباس يعني ان
لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار امر له رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنيمة مثل ما انفق وهكذا قال مجاهد فعاقبتم
اي اصبتم غنيمة من قريش او غيرهم فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا يعني مهر مثلها وهذا قريب من الاول
لانه ان امكن ذلك فهو الاولى والا فمن الغنائم اللاتي تؤخذ من الكفار وهذا اوسع وهو اختيار ابن جرير فاتقوا الله اي فيما
امركم به ونهاكم عنه ان كنتم مؤمنين واختلفوا في ان رد المهر كما سبق كان واجبا او مندوبا بناء على ان ذلك الصلح ان وقع على
رد النساء والرجال جميعا نسخ في حق النساء كان واجبا وان وقع على الرجال خاصة كان مندوبا والله اعلم يا ايها النبي
اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن
ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر
لهن الله ان الله غفور رحيم عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر اليه من
المؤمنات بهذه الآية يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك الى قوله غفور رحيم فمن اقر بهذا الشرط من المؤمنات قال
لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما ولا والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة ما بايعهن الا بقوله قد بايعتك
على ذلك رواه البخاري وعن اميمة بنت رقيقة قالت اتيت النبي صلى الله عليه وسلم في نساء لنبايعه فاخذ علينا ما في القرآن ان
لا نشرك بالله شيئا الآية وقال فيما استطعتن واطقتن قلنا الله ورسوله ارحم بنا من انفسنا قلنا يا رسول الله الا تصافحنا
قال اني لا اصافح النساء انما قولي لامرأة واحدة كقولي لمائة امرأة رواه احمد واكثر اصحاب السنن وصححه الترمذي وعن عائشة
بنت قدامة بن مظعون قال انا مع امي رابطة بنت سفين الخزاعية والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع النسوة ويقول ابايعكن
على ان لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن اولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين ايديكن وارجلكن
ولا تعصيني في معروف قلن نعم قال فيما استطعتن فكن يقلن واقول معهن رواه احمد وعن ام عطية قالت بايعنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ علينا ولا يشركن بالله شيئا ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها قالت اسعدتني فلانة اريد
ان اجزيها فما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فانطلقت ورجعت فبايعها هكذا في الصحيحين وفي رواية فما وفى منهن
امرأة غيرها وغير ام سليم ابنة ملحان وروى ابن جرير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر عمر بن الخطاب وقال قل لهن ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعكن على ان لا تشركن بالله وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة التي شقت بطن حمزة متنكرة
في النساء فقالت اني ان اتكلم يعرفني وان يعرفني قتلني وانا تنكرت فرقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكتت النسوة اللاتي
مع هند وابين ان يتكلمن فقالت هند وهي متنكرة كيف تقبل من النساء شيئا لم تقبله من الرجال فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال لعمر قل لهن ولا يسرقن قالت هند والله اني لاصيب من مال ابي سفين الهنة فلا ادري ايحل لي ام لا قال ابو سفين ما
اصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فدعاها فاخذت بيده فعاذت به
فقال انت هند فقالت عفى الله عما سلف فصرف عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولا يزنين فقالت يا رسول الله وهل
تزني امرأة حرة قال لا والله ما تزني الحرة قال ولا يقتلن اولادهن قالت هند ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فانتم
وهم اعلم فضحك عمر حتى استلقى قال ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن قال ولا يعصينك في معروف اي في

كل امر وافق طاعة الله وقيل منعهن ان ينحن وكان اهل الجاهلية يمزقن الثياب ويخدشن الوجوه ويقطعن الشعور ويدعون
بالويل والثبور قال الشعبي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء وعلى يده ثوب قد وضعه على كفه ثم قال ولا تقتلن
اولادكن فقالت امراة تقتل اباءهم وتوصينا باولادهم قال وكان بعد ذلك اذا جاء النساء يبايعنه جمعهن فعرض عليهن
فاذا اقررن رجعن فقوله يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك اي من جاءك منهن تبايع على هذه الشروط فبايعها على ان لا
يشركن بالله شيا ولا يسرقن اي اموال الناس الاجانب فاما اذا كان الزوج مقصرا في نفقتها فلها ان تاكل من ماله بالمعروف
على ما جرت به عادة امثالها وان كان بغير علمه عملا بحديث هند كما في الصحيحين انها قالت يا رسول الله ان ابا سفين رجل شحيح لا يعطيني
النفقة ما يكفيني ويكفي بني فهل علي جناح ان اخذت من ماله بغير علمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذي من ماله
بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك وقوله ولا يقتلن اولادهن هذا يشمل قتل الولد بعد وجوده كما كان اهل الجاهلية يقتلون
اولادهم خشية املاق وقتله وهو جنين بالاسقاط كما يفعله بعض الجهلة من النساء لئلا تحبل اما لغرض فاسد او ما اشبهه و
قوله ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن قال ابن عباس يعني لا يلحقن بازواجهن غير اولادهم كما روى ابو هريرة
انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين نزلت آية الملاعنة ايما امراة دخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شي ولن
يدخلها الله جنته وايما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب الله منه وفضحه على رؤس الاولين والآخرين رواه ابو داود و
منه ان تلتقط المراة مولودا وتقول لزوجها هذا ولدي منك وقوله ولا يعصينك في معروف يعني فيما امرتهن به من معروف
ونهيتهن عنه من منكر قال ابن عباس انما هو شرط شرطه الله للنساء وقال ابن زيد امر الله بطاعة رسوله وهو خيرة الله من
خلقه في المعروف وهو العبادة وقالوا ونهاهن يومئذ عن النوح كما سبق وحديث ام عطية وعن الحسن قال كان فيما اخذ
النبي صلى الله عليه وسلم عليهن ان لا يحدثن الرجال الا ان تكون ذات محرم فان الرجل لا يزال يحدث المراة حتى يمذي بين فخذيه
وعن امراة من المبايعات قالت كان فيما اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا نعصيه في معروف ان لا نخمش وجها
ولا ننشر شعرا ولا نشق جيبا ولا ندعو ويلا رواه ابن ابي حاتم وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية وعن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن النائحة
والمستمعة رواه ابو داود يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس
الكفار من اصحاب القبور نهى تعالى عن موالات الكافرين في آخر السورة كما نهى في اولها والمراد بهم اليهود والنصارى
وسائر الكفار ممن غضب الله عليه ولعنه واستحق من الله الطرد والابعاد فكيف توالونهم وتتخذونهم اصدقاء واخلاء و
قد يئسوا من الآخرة اي من ثواب الآخرة ونعيمها في حكم الله كما يئس الكفار من اصحاب القبور فيه اقوال احدها كما يئس الكفار
الاحياء من قراباتهم الذين في القبور ان يجتمعوا بهم بعد ذلك لانهم لا يعتقدون بعثا ولا نشورا فقد انقطع رجاؤهم منهم
وقال ابن عباس من مات من الكفار فقد يئس الاحياء منهم ان يرجعوا اليهم او يبعثهم الله وقال الحسن الكفار الاحياء
قد يئسوا من الاموات وقيل معناه كما يئس الكفار الذين هم في القبور من كل خير قال ابن مسعود وغيره كما يئس هذا الكافر اذا مات
وعاين جزاءه واطلع عليه واخباره اي يحب والله اعلم تفسير سورة الصف وهي مدنية عن عبدالله بن سلام رضي
الله عنه ان اناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لو ارسلنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسأله عن احب الاعمال
الى الله فلم يذهب اليه احد وقالوا هبنا ان نسأله عن ذلك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك النفر رجلا رجلا و نزلت
فيهم هذه السورة سبح الصف قال عبدالله بن سلام فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها رواه ابن ابي حاتم مسلسلا

فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم

وروى الترمذي والدارمي مثله واحمد نحوه بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات
وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند
الله ان تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص
سبق الكلام في تفسير قوله سبح لله ما في السموات الآية بما اغنى عن اعادته وقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون انكار على من يعد
وعدا ويقول قولا فلا يفي به وبهذا استدل بعض ائمة السلف على انه يجب الوفاء بالوعد مطلقا سواء ترتب عليه غرم للموعود
ام لا و لما في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان
ولهذا اكد تعالى هذا الانكار عليهم بقوله كبر مقتا اي عظم ذلك في المقت والبغض عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وذهب
مالك الى انه اذا تعلق بالوعد غرم على الموعود وجب الوفاء به كما لو قال لاحد تزوج ولك علي كل يوم كذا فتزوج وجب عليه
ان يعطيه ما دام كذلك وذهب الجمهور الى انه لا يجب الوفاء به مطلقا وحملوا الآية على انها نزلت حين تمنوا فريضة الجهاد
عليهم فلما فرض نكل عنه بعضهم كما قال تعالى فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس الآية والمعنى كما قال ابن عباس كان
ناس من المومنين قبل ان يفرض الجهاد يقولون لوددنا ان الله تعالى دلنا على احب الاعمال اليه فنعمل به فاخبر الله نبيه ان احب
الاعمال ايمان بالله لا شك فيه وجهاد اهل معصيته الذين خالفوا الايمان ولم يقروا به فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المومنين
وشق عليهم امره فقال الله سبحانه يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون وهو اختيار ابن جرير وقيل نزلت في شان القتال يقول
الرجل قاتلت ولم يقاتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقال ابن زيد نزلت في قوم من المنافقين
كانوا يعدون المسلمين النصر ولا يفون لهم بذلك وقوله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا اي يصفون صفا
ولا يزولون عن اماكنهم كانهم بنيان مرصوص اي محكم مرصص بعضه ببعض وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلثة يضحك الله اليهم الرجل يقوم من الليل والقوم اذا صفوا للصلوة والقوم اذا صفوا للقتال رواه احمد وابن
ماجه وقال ابن جبير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقاتل العدو الا ان يصافهم وهذا تعليم من الله للمومنين وقوله
كانهم بنيان مرصوص اي ملتصق بعضه ببعض في الصف قال قتادة الم تر الى صاحب البنيان كيف لا يحب ان يختلف بنيانه
فكذلك الله لا يحب ان يختلف امره وان الله يحب صف المومنين في قتالهم وصفهم في صلوتهم فعليكم بامر الله فانه عصمة
لمن اخذ به رواه ابن ابي حاتم واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم
فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل
اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد فلما جاءهم
بالبينات قالوا هذا سحر مبين اخبر تعالى عن رسوله وكليمه موسى بن عمران انه قال لقومه يا قوم لم تؤذونني اي لاي شي
توصلون الاذى الي وقد تعلمون صدقي فيما جئتكم به من الرسالة وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اصابه من
كفار قومه وغيرهم وامر له بالصبر ولهذا قال رحم الله موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر وفيه نهي للمومنين ان ينالوا
من النبي صلى الله عليه وسلم او يوصلوا اليه اذى كما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية وقوله فلما
زاغوا اي فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به ازاغ الله قلوبهم اي امالها عن الحق والهدى واسكنها الشك والعمى كما قال
ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة الآية ولهذا قال في هذه الآية والله لا يهدي القوم الفاسقين قال الزجاج
اي لا يهدي من سبق في علمه انه فاسق وقوله واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية

انفسهم عند القتال

اني رسول الله اليكم

حين كان يغتسل مستترا وكان بنو اسرائيل يغتسلون
عراة فقالوا ان موسى لا يستتر الا لشوربة فاتهموه
بالادرة فخلا يوما للاغتسال ويوم اذ ذاك في البرية
فنزع ووضع ثيابه على الحجر الذي يستتر به فسار الحجر
وذهب بثيابه على الملا وهو كالطير اي اسرع و
هو يعدو خلفه بيده العصا ويقول ثوبي حجر
ثوبي حجر ثم لحقه وطفق ضربا بالحجر قال ابو هريرة
فوالله لقد رايت ندوب عصاه بالحجر وهو قوله
فبرأه الله مما قالوا وذلك ان بني اسرائيل نظروا
اليه حين يعدو خلف الحجر

تعني التورية فلذلك بشرت بي وانا مصداق ما اخبرت عنه وانا مبشر بمن بعدي وهو الرسول النبي الامي العربي المكي احمد
فعيسى هو خاتم انبياء بني اسرائيل وقد قام في ملا بني اسرائيل مبشرا بمحمد وهو خاتم الانبياء والمرسلين الذي لا رسالة
بعده ولا نبوة ولقد احسن البخاري فيما رواه جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لي اسماء
انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب ولمسلم نحوه وعن
ابي موسى الاشعري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسماء فقال انا محمد واحمد والمقفي والحاشر ونبي
التوبة ونبي الرحمة وفي رواية ونبي الملحمة رواه مسلم وعن العرباض بن سارية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني
عند الله خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وسانبئكم باول ذلك دعوة ابرهيم وبشارة عيسى ورؤيا امي التي رأت حين
وضعتني وقد خرج لها نور اضاءت لها منه قصور الشام رواه احمد والبغوي في شرح السنة ثم ان الانبياء عليهم السلام
لم تزل تنعته وتصفه في كتبهم على اممهم وتامرهم باتباعه ونصره وموازرته اذا بعث وكان قد اشتهر هذا الامر في اهل الارض
على لسان ابرهيم الخليل والد الانبياء بعده حين دعا لاهل مكة ان يبعث الله فيهم رسولا منهم وكذا على لسان عيسى بن مريم
ولهذا في رواية لاحمد وغيره قالوا اخبرنا عن بدو امرك يعني في الارض قال دعوة ابي ابرهيم وبشارة عيسى بن مريم ورؤيا
امي التي رأت اي ظهر في اهل مكة ذلك فذكره عليه الصلوة والسلم وقوله فلما جاءهم بالبينات قال ابن جريج وابن جرير قال
الكفرة والمعاندون هذا سحر مبين **ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا
يهدي القوم الظالمين يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** يعني لا احد
اظلم ممن يفتري الكذب على الله ويجعل له اندادا وشركاء وهو يدعى الى التوحيد والاخلاص ولهذا قال والله لا يهدي القوم الظالمين
ثم قال يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم اي يحاولون ان يردوا الحق بالباطل ومثلهم في ذلك كمثل من يريد ان يطفئ شعاع
الشمس بفيه وكما ان هذا مستحيل كذا ذاك مستحيل ولهذا قال والله متم نوره ولو كره الكافرون ثم قال هو الذي ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وقد سبق الكلام فيهما في الايتين في سورة براءة بما فيه كفاية
**يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري
من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها نصر من الله
وفتح قريب وبشر المؤمنين** قد سبق في ترجمة السورة من حديث عبد الله بن سلام ان الصحابة ارادوا ان يسالوا عن احب
الاعمال الى الله ليفعلوه فانزل الله هذه السورة ومن جملتها هذه الآية يا ايها الذين هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ثم فسر
هذه التجارة العظيمة النافعة فقال تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم اي من تجارة الدنيا
ان كنتم تعلمون ثم قال يغفر لكم ذنوبكم اي ان فعلتم ما امرتكم به ودللتكم عليه غفرت لكم الزلات وادخلتكم الجنات والمساكن الطيبات
والدرجات العاليات ولهذا قال ذلك الفوز العظيم ثم قال واخرى تحبونها اي وازيدكم على ذلك زيادة تحبونها وهي نصر من الله
وفتح قريب اي عاجل وهو فتح مكة وسائر الفتوحات فهذه الزيادة هي خير الدنيا موصولة بنعيم الآخرة لمن اطاع الله ورسوله و
نصر دينه ولهذا قال وبشر المؤمنين ثم حثهم على نصرة الدين وجهاد المخالفين فقال **يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله
كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بني**

اي فلما جاءهم احمد المبشر به
في الاعصار المتقادمة والقرون
السالفة بالبينات الظاهرة

وقال آخرون يعني جاءهم عيسى
بالمعجزات والدلالات الواضحة
قالوا هذا الذي اتى به سحر ظاهر
بين

قال ابن عباس ابطا الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم
اربعين يوما فقال كعب بن الاشرف اليهود ابشروا
فقد اطفأ الله نور محمد مما كان ينزل عليه وما كان
الله ليتم نوره فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزلت
هذه الآية ثم اتصل الوحي

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن افضل
الاعمال فقال ايمان بالله وجهاد في سبيله
وقال صلى الله عليه وسلم جاهدوا المشركين
باموالكم والسنتكم وقال رباط
يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها و
جاء رجل بناقة مخطومة وقال هذه في سبيل
الله فقال رسول الله لك بها يوم القيمة سبعمائة
ناقة كلها مخطومة وقال من جهز غازيا
في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في
اهله فقد غزا

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله واقام
الصلوة وصام رمضان كان حقا على الله ان يدخله الجنة جاهد في سبيل الله او جلس في ارضه التي ولد فيها قالوا
افلا نبشر الناس قال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض
فاذا سالتم الله فسلوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة رواه البخاري

اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين امر تعالى عباده المؤمنين ان
يكونوا انصار الله في جميع احوالهم باقوالهم وافعالهم وانفسهم واموالهم وان يستجيبوا لله ولرسوله كما استجاب الحواريون
لعيسى حين قال من انصاري الى الله اي من معيني في الدعوة الى الله قال الحواريون وهم اتباع عيسى نحن انصار الله اي
نحن انصارك على ما ارسلت به وموازروك على ذلك ولهذا بعثهم دعاة للناس في بلاد الشام وهكذا كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول في ايام الحج من رجل يؤويني حتى ابلغ رسالة ربي فان قريشا منعوني ان ابلغ رسالة ربي حتى قيض الله
تعالى له الاوس والخزرج من اهل المدينة فبايعوه ووازروه وشارطوه ان يمنعوه من الاسود والاحمر ان هو هاجر اليهم فلما
هاجر اليهم بمن معه من اصحابه وفوا له بما عاهدوا الله عليه ولهذا سماهم الله ورسوله الانصار وقوله فآمنت طائفة من بني
اسرائيل وكفرت طائفة اي لما بلغ عيسى رسالة ربه الى قومه ووازره من وازره من الحواريين اهتدت طائفة من بني اسرائيل
بما جاءهم به وضلت طائفة فخرجت عما جاءهم به وجحدوا نبوته ورموه وامه بالعظائم وهم اليهود وغلت طائفة
ممن اتبعه حتى رفعوه فوق ما اعطاه الله من النبوة وافترقوا فرقا وشيعا فمن قائل منهم انه ابن الله ومن قائل انه ثالث ثلاثة
الاب والابن وروح القدس ومن قائل انه الله كما سبق مفصلا في سورة النساء وقوله فايدنا الذين آمنوا اي نصرناهم
على من عاداهم من فرق النصارى فاصبحوا ظاهرين اي عليهم وذلك ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم كما قال ابن عباس لما
اراد الله ان يرفع عيسى الى السماء خرج الى اصحابه وهم اثنا عشر رجلا في البيت من عين وراسه يقطر ماء فقال ان منكم
من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد ان آمن بي ثم قال ايكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي فقام
شاب من احدثهم سنا فقال انا فقال له اجلس ثم اعاد عليهم فقام الشاب فقال انا فقال له اجلس ثم اعاد عليهم فقال
الشاب انا فقال نعم انت ذاك قال فالقي عليه شبه عيسى ورفع عيسى من روزنة في البيت الى السماء قال وجاء الطلب
من اليهود فاخذوا الشبه فقتلوه وصلبوه وكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد ان آمن به فتفرقوا ثلاث فرق وقالت فرقة
كان الله فينا ما شاء ثم صعد الى السماء وهؤلاء اليعقوبية وقالت فرقة كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه اليه وهؤلاء
النسطورية وقالت فرقة كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه اليه وهؤلاء المسلمون فتظاهرت الكافرتان على
المسلمة فقتلوها فلم يزل الاسلام طامسا حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنت طائفة من بني اسرائيل في زمان عيسى
وكفرت طائفة يعني التي كفرت في زمن عيسى فايدنا الذين آمنوا اي منهم على عدوهم فاصبحوا ظاهرين رواه النسائي اي
فاصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ان عيسى عبد الله وكلمته وروحه فهذه الامة الهادية
لا يزالون قائمين بالحق ظاهرين على الخلق حتى ياتي امر الله وهم كذلك وحتى يقاتل آخرهم الدجال مع المسيح عيسى بن مريم كما ورد
بذلك الاحاديث الصحاح والله اعلم

تفسير سورة الجمعة

عن ابن عباس وابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يقرا في صلوة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين رواه مسلم **بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله
ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم
يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين وآخرين
منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم**
اخبر تعالى انه يسبح له وينزهه جميع المخلوقات ناطقها وجامدها كما قال وان من شيء الا يسبح بحمده ثم قال الملك القدوس اي هو مالك
السموات والارض المتصرف فيهما بحكمه وهو المقدس المنزه عن النقائص الموصوف بصفات الكمال العزيز الحكيم سبق تفسيره غير مرة وقوله

الحواريون وهم الذين اخلصوا من كل عيب
ومنه الدقيق الحواري لانه لباب البر
وقيل لانهم كانوا [illegible]
كل امر الى ربهم [illegible]

هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته الاميون هم العرب كما قال تعالى وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ءاسلمتم و
تخصيص الاميين بالذكر لا ينفي من عداهم ولكن المنة عليهم ابلغ واكثر كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وهو ذكر لغيرهم
يتذكرون به وهذا وامثاله لا ينافي قوله تعالى يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وقوله لانذركم به ومن بلغ وقوله اخبارا
عن القرآن ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده الى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعثته صلى الله عليه وسلم الى جميع الخلق
احمرهم واسودهم كما سبق في سورة الانعام فقوله هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم مصداق اجابة الله لخليله ابرهيم حين
دعا لاهل مكة ان يبعث الله فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فبعثه الله سبحانه على حين فترة من
الرسل وطموس من السبل وقد اشتدت الحاجة اليه وقد مقت الله اهل الارض عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب اي نزرا
يسيرا ممن تمسك بما بعث الله به عيسى ولهذا قال هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الايه وذلك ان العرب كانوا قديما متمسكين
بدين ابرهيم الخليل فبدلوه وغيروه وقلبوه وخالفوه واستبدلوا بالتوحيد شركا وباليقين شكا وابتدعوا اشياء لم يأذن الله بها
وكذلك اهل الكتابين قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بشرع كامل شامل لجميع الخلق فيه هدايتهم
والبيان لجميع ما يحتاجون اليه من امر معاشهم ومعادهم والدعوة لهم الى ما يقربهم الى الجنة ورضى الله عنهم والنهي عما يقربهم
الى النار وسخط الله عليهم حاكم فاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب في الاصول والفروع وجمع له تعالى وله الحمد جميع المحاسن
ممن كان قبله واعطاه ما لم يعط احدا من العالمين الاولين ولا يعطيه احدا من الآخرين فصلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الدين
وقوله وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم عن ابي هريرة قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فانزلت عليه سورة الجمعة
وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قالوا من هم يا رسول الله فلم يراجعه حتى سأل ثلاثا وفينا سلمان الفارسي رضي الله فوضع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال او رجل من هؤلاء هكذا في الصحيحين ففي الحديث دليل
ان هذه السورة مدنية وعلى عموم بعثته صلى الله عليه وسلم الى جميع الناس لانه فسر قوله وآخرين منهم بفارس ولهذا كتب كتبه الى
فارس والروم وغيرهم من الامم يدعوهم الى الله والى اتباع ما جاء به ولهذا قال مجاهد وغير واحد في هذه الآية هم الاعاجم و
كل من صدق النبي صلى الله عليه وسلم من غير العرب وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في اصلاب اصلاب
اصلاب رجال ونساء من امتي يدخلون الجنة بغير حساب ثم قرا وآخرين منهم لما يلحقوا بهم يعني بقية من بقي من امة محمد صلى
الله عليه وسلم وقوله وهو العزيز الحكيم اي ذو العزة والحكمة في شرعه وقدره وقوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء يعني ما اعطاه
الله محمدا صلى الله عليه وسلم من النبوة العظيمة وما خص به امته من بعثته اليهم فدعاهم الى الاسلام والهداية ولهذا قال والله
ذو الفضل العظيم مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس مثل القوم الذين
كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله
من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم
بالظالمين قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
فينبئكم بما كنتم تعملون قال تعالى ذاما لليهود الذين اعطوا التورية وحملوا العمل بها فلم يعملوا بها انهم في ذلك كمثل الحمار
اذا حمل كتبا لا يدري ما فيها فهو يحملها حملا حسيا ولا يدري ما عليه وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي اوتوه حفظوه لفظا
ولم يفهموه ولا عملوا بمقتضاه بل اولوه وحرفوه وبدلوه فهم اسوأ حالا من الحمير لان الحمار لا فهم له وان هؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها
ولهذا قال في الآية الاخرى اولئك كالانعام بل هم اضل وقال ههنا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين

اى ظلموا

اى ظلموا على انفسهم بتكذيب الانبياء يعني من سبق في علمه انه لا يهديهم وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من تكلم يوم الجمعة والامام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل اسفارا رواه احمد ثم قال تعالى يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم
اولياء من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين اي ان كنتم تزعمون انكم على هدى وان محمدا واصحابه على ضلالة فادعوا بالموت
على الضال من الفئتين ان كنتم صادقين فيما تزعمونه ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم اي بما يعلمون من الكفر والظلم والفجور
والله عليم بالظالمين وقد سبق في سورة البقرة الكلام على هذه المباهلة لليهود حيث قال تعالى قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله
خالصة الآية والمراد ان يدعوا على الضال من انفسهم او خصومهم كما تقدمت مباهلة النصارى في آل عمران فمن حاجك فيه
من بعد ما جاءك من العلم الآية ومباهلة المشركين في سورة مريم قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا وعن ابن عباس
قال قال ابو جهل ان رأيت محمدا عند الكعبة لآتينه حتى اطأ على عنقه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو فعل لاخذته الملئكة
عيانا ولو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا وراوا مقاعدهم من النار ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم
لرجعوا لا يجدون اهلا ولا مالا رواه البخاري والنسائي والترمذي يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة من
يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلوة فانتشروا
في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون انما سميت الجمعة جمعة لانها مشتق من
الجمع وان اهل الاسلام يجتمعون فيه في كل اسبوع مرة في المعابد الكبار وفيه كمل جميع الخلائق فانه اليوم السادس
من الستة التي خلق الله فيها السموات والارض وفيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها وفيه تقوم الساعة
وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيرا الا اعطاه اياه كما ثبت بذلك الاحاديث الصحاح وعن سلمان
قال قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم يا سلمان ما يوم الجمعة قلت الله ورسوله اعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
الجمعة يوم جمع الله فيه ابواك او ابوكم رواه ابن ابي حاتم وقد يقال في اللغة القديمة يوم العروبة وثبت ان الامم قبلنا
امروا به فضلوا عنه واختار اليهود يوم السبت الذي لم يقع فيه خلق واختار النصارى يوم الاحد الذي ابتدئ فيه
الخلق واختار الله لهذه الامة يوم الجمعة الذي اكمل الله فيه الخليقة كما في الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيمة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا
فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد وفي لفظ لمسلم اضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان
لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الاحد فجاء بنا فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد كذلك هم لنا تبع
يوم القيمة نحن الآخرون في الدنيا الاولون يوم القيمة المقضي لهم قبل الخلائق وقد امر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم
الجمعة فقال يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله اي فاقصدوا واعمدوا واهتموا في سيركم
اليها وليس المراد بالسعي ههنا المشي السريع وانما هو الاهتمام بها كقوله ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن وكان
عمر بن الخطاب وابن مسعود يقرآنها فامضوا الى ذكر الله وقال الحسن اما والله ما هو بالسعي على الاقدام ولقد نهوا
ان ياتوا الصلوة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع وعن قتادة نحوه واما المشي السريع الى الصلوة فقد
نهي عنه لما في الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم الاقامة فامشوا الى الصلوة وعليكم بالسكينة والوقار
ولا تسرعوا فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا هذا لفظ البخاري وفيهما عن ابي قتادة قال بينما نحن نصلي مع النبي صلى الله عليه و
سلم اذ سمع جلبة رجال فلما صلى قال ما شأنكم قالوا استعجلنا الى الصلوة قال فلا تفعلوا اذا اتيتم الصلوة فعليكم السكينة فما ادركتم

قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك ثلث جمع تهاونا طبع الله على قلبه
اى ختم عليه وغشاه ومنعه من الالطاف وروى البيهقي في الشعب عن
ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ترك الجمعة ثلثا من غير عذر
فقد نبذ الاسلام وراء ظهره

اليها

فصلوا وما فاتكم فاتموا ويستحب لمن جاء الى الجمعة ان يغتسل قبل مجيئه لها لما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا جاء احدكم الجمعة فليغتسل وفيهما ايضا عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غسل يوم الجمعة واجب على كل
محتلم وفيهما ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكانما قرب بدنة ومن راح في
الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكانما قرب دجاجة
ومن راح في الساعة الخامسة فكانما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملئكة يستمعون الذكر ويستحب له ان يلبس احسن ثيابه
ويتطيب ويتسوك ويتنظف ويتطهر لما روى ابو ايوب الانصاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اغتسل يوم الجمعة
ومس من طيب ان كان عنده ولبس من احسن ثيابه ثم خرج حتى ياتي المسجد فيركع ان بدا له ولم يوذ احدا ثم انصت اذا خرج امامه
حتى يصلي كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الاخرى رواه احمد ولابي داود نحوه وقوله اذا نودي للصلوة المراد بهذا النداء النداء
الثاني الذي كان يوذن بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج فجلس على المنبر فانه كان حينئذ يوذن فهذا هو المراد فاما
النداء الاول الذي زيد على الزوراء فانما كان ذلك لكثرة الناس كما روى السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة اوله
اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فلما كان عثمن بعد زمن وكثر الناس زاد النداء
الثالث على الزوراء رواه البخاري يعني يوذن على الدار التي تسمى الزوراء وكانت ارفع دار بالمدينة بقرب المسجد حتى يجتمع الناس
وعن مكحول ان النداء كان في الجمعة موذن واحد حين يخرج الامام وذلك الذي يحرم البيع والشرى اذا نودي به وقوله وذروا
البيع اى واتركوا البيع اذا نودي للصلوة ولهذا اتفق على تحريمه بعد النداء الثاني وقوله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون اي تركك
البيع واقبالكم الى ذكر الله والى الصلوة خير لكم اي في الدارين ان كنتم تعلمون وقوله اذا قضيت الصلوة اى فرغ منها فانتشروا
في الارض وابتغوا من فضل الله لما حجر عليهم في التصرف بعد النداء وامرهم بالاجتماع للصلوة اذن لهم بعد الفراغ في الانتشار
في الارض والابتغاء من فضل الله وكان عراك بن مالك اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال اللهم اجبت دعوتك
وصليت فريضتك وانتشرت كما امرتني فارزقني وانت خير الرازقين رواه ابن ابي حاتم كما روى عن بعض السلف انه قال من باع
واشترى في يوم الجمعة بعد الصلوة بارك الله له سبعين مرة لقول الله فاذا قضيت الصلوة الآية وقوله واذكروا الله كثيرا لعلكم
تفلحون اى في حال بيعكم وشراكم واخذكم واعطائكم فاذكروا الله ذكرا كثيرا ولا يشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الآخرة ولهذا جاء
في الحديث من دخل سوقا من الاسواق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كتب الله له الف
الف حسنة ومحى عنه الف الف سيئة **واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير
من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين** عاتب تعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة الى التجارة
التي قدمت المدينة يومئذ فقال تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما اى على المنبر تخطب هكذا ذكره غير واحد
من التابعين كابي العالية والحسن وقتادة وزعم مقاتل بن حيان ان التجارة كانت لدحية بن خليفة قبل ان يسلم وكان معها طبل
فانصرفوا اليها وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر الا القليل منهم وفي الصحيحين عن جابر قال قدمت عير مرة المدينة
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فخرج الناس وبقي اثنى عشر رجلا فنزلت واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وفي قوله
وتركوك قائما دليل على انه يجب ان يخطب الامام قائما والمراد باللهو المذكور وقيل كانت العير اذا قدمت المدينة استقبلوها
بالطبل والتصفيق وعن جابر بن سمرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يقرا بينهما القرآن فيذكر الناس رواه ابو داود كنت
اصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم وكانت صلوته قصدا وخطبته قصدا رواه مسلم والخطبة فريضة في صلوة الجمعة ويجب ان

يخطب قائما خطبتين واقل ما يقع عليه اسم الخطبة ان يحمد الله ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله هذه الثلث
فرض في الخطبتين جميعا ويجب ان يقرا في الاولى او الثانية آية من القرآن ويدعو للمومنين في الثانية فلو ترك واحدا من هذه
الخمس لا يصح جمعته عند الشافعي وذهب ابو حنيفة الى انه لو اتى بتسبيحة او تحميدة او تكبيرة اجزاه وقد بان هذا القدر لا يقع
عليه اسم الخطبة وهو مامور بالخطبة والله اعلم وقوله قل ما عند الله خير اى الذي عند الله من الثواب على الصلوة والثبات
مع النبي صلى الله عليه وسلم خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين اي لمن توكل عليه وطلب الرزق في وقته

تفسير سورة المنافقين وهي مدنية بسم الله الرحمن الرحيم

**اذا جاءك المنافقون
قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا
ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم
لا يفقهون واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة يحسبون كل
صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يوفكون** اخبر تعالى عن المنافقين انهم يتفوهون بالاسلام اذا جاءوا
النبي صلى الله عليه وسلم فاما في باطن الامر فليسوا كذلك بل على الضد من ذلك ولهذا قال تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد
انك لرسول الله اي اذا حضروا عندك واجهوك بذلك واظهروا لك وليسوا كما يقولون ولهذا اعترض بجملة مخبرة انه رسول الله
فقال والله يعلم انك لرسوله ثم قال والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اى فيما اخبروا به وان كان مطابقا للواقع لانهم لم
يكونوا معتقدين صحة ما يقولون ولهذا كذبهم بالنسبة الى اعتقادهم وقوله اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله اي
اتقوا الناس بالايمان الكاذبة والحلفات الآثمة ليصدقوا فيما يقولون فاغتر بهم من لا يعرف جلية امرهم فاعتقدهم
مسلمين فربما اقتدى بهم فيما يفعلون وصدقهم فيما يقولون ومن شانهم انهم كانوا في الباطن يصدون عن الاسلام فحصل بهذا
القدر ضرر كثير على كثير من الناس ولهذا قال فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون وكان الضحاك يقراها اتخذوا
ايمانهم بكسر الهمزة اي تصديقهم الظاهر تقية يتقون به القتل والجمهور على الفتح جمع يمين وقوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا
فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون اي انما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الايمان الى الكفر واستبدالهم الضلالة بالهدى فطبع
الله على قلوبهم فلا يصل اليها هدى ولا يخلص اليها خير فلا يعي ولا يهتدي ولا يفهمون شيئا واذا رايتهم تعجبك اجسامهم
اي وكانوا اشكالا حسنة وذوي فصاحة والسنة اذا سمعهم السامع يصغي الى قولهم لبلاغتهم وهم مع ذلك في غاية
الضعف والخور والجبن كانهم خشب مسندة اي اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام ولهذا قال يحسبون كل صيحة عليهم
اي كلما وقع امر او خوف او صوت في العسكر يعتقدون لجبنهم انه نازل بهم وظنوا انهم قد اتوا لما في قلوبهم من الرعب
فهم جامات وصور بلا معان ولهذا قال هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يوفكون اي كيف يصرفون عن الهدى
الى الضلال عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان للمنافقين علامات يعرفون بها تحيتهم لعنة وطعامهم
نهبة وغنيمتهم غلول ولا يقربون المساجد الا هجرا ولا ياتون الصلوة الا دبرا مستكبرين لا يالفون ولا يولفون خشب
بالليل وصخب بالنهار وفي رواية سخب بالنهار رواه احمد **واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا
رؤسهم ورايتهم يصدون وهم مستكبرون سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن
يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند
رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون يقولون
لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمومنين ولكن المنافقين**

اخبر تعالى عن المنافقين انهم اذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم اي اعرضوا عما قيل لهم وعطفوا عن ذلك
استكبارا واحتقارا لما قيل لهم ولهذا قال ورايتهم يصدون اي يعرضون عما دعوا اليه وهم مستكبرون وحول
سفين وجهه على يمينه ونظر بعينه شزرا وهكذا ثم جازاهم على ذلك فقال سواء عليهم استغفرت لهم الاية كما سبق
في سورة براة الكلام عليه وقال غير واحد من السلف ان السياق كله نزلت في عبد الله بن ابي بن سلول قال ابن اسحق لما قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يعني مرجعه من غزوة احد وكان عبد الله بن ابي بن سلول له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر شرفا
له من نفسه ومن قومه وكان فيهم شريفا اذا جلس النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال يا ايها
الناس هذا رسول الله بين اظهركم اكرمكم الله واعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له واطيعوه ثم يجلس حتى اذا صنع يوم
احد ما صنع يعني رجوعه بثلث الجيش ورجع الناس قام ليفعل ذلك كما كان يفعله فاخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا
اجلس اي عدو الله لست لذلك باهل وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقاب الناس غضبان فلقيه رجل من الانصار
بباب المسجد فقال ويلك ما لك قال قمت اشدد امره فنفعني بعض اصحابه وعنفني فقالوا ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال والله ما ابتغي ان يستغفر لي وعن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا لم يرتحل
حتى يصلي فيه فلما كانت غزوة تبوك بلغه ان عبد الله بن ابي بن سلول قال ليخرجن الاعز منها الاذل فارتحل قبل ان ينزل اخر
النهار وقيل لابن سلول ايت النبي صلى الله عليه وسلم حتى يستغفر لك فانزل الله هذه الاية وفي قوله غزوة تبوك نظر بل ليس بجيد فان ابن
سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك بل رجع بطائفة عن الجيش وانما المشهور عند اصحاب المغازي ان ذلك في غزوة
المريسيع وهي غزوة بني المصطلق فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم هناك اقتتل على الماء جهجاه بن سعيد الغفاري
وكان اجيرا لعمر بن الخطاب وسنان بن زيد قال ابن اسحق ازدحما على الماء فاقتتلا فقال سنان يا معشر الانصار
وقال الجهجاه يا معشر المهاجرين وزيد بن ارقم ونفر من الانصار عند عبد الله بن ابي فلما سمعها قال قد ثاورونا
وكاثرونا في بلادنا والله ما مثلنا وجلابيب قريش هذه الا كما قال القائل سمن كلبك ياكلك والله لئن رجعنا الى
المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم اقبل على من عنده من قومه وقال هذا ما صنعتم بانفسكم احللتموهم بلادكم و
قاسمتموهم اموالكم اما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم الى غيرها فسمعها زيد بن ارقم فذهب بها الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو غلام وعنده عمر بن الخطاب فاخبره الخبر فقال عمر يا رسول الله مر عباد بن بشر فليضرب عنقه
فقال عليه الصلوة والسلام فكيف اذا تحدث الناس يا عمر ان محمدا يقتل اصحابه ولكن ناد يا عمر بالرحيل فلما بلغ ذلك قد بلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه فاعتذر اليه وحلف بالله ما قال ما قال عليه زيد بن ارقم وكان عند قومه بمكان فقالوا يا
رسول الله عسى ان يكون هذا الغلام اوهم في حديثه ولم يحفظ ما قاله وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم مهجرا في ساعة
كان لا يروح فيها فلقيه اسيد بن الحضير فسلم عليه بتحية النبوة ثم قال والله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بلغك ما قال صاحبك ابن ابي زعم انه اذا قدم المدينة انه سيخرج الاعز منها
الاذل قال يا رسول الله انت العزيز وهو الذليل ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وانا لننظم له
الخرز لنتوجه فانه ليرى انك قد استلبته ملكا فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس حتى امسوا وليلته حتى اصبحوا
وصدر يومه حتى اشتد الضحى ثم نزل بالناس ليشغلهم عما كان من الحديث فلم يامن الناس ان وجدوا مس الارض
فناموا ونزلت سورة المنافقين وعن جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من
الانصار فقال الانصاري يا للانصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما بال دعوى الجاهلية

قاله

كان المنافقون يدعون كل حدث الهجرة جلابيب

عبد الله بن ابي ان م

[illegible]

دعوها فانها منتنة فقال عبد الله بن ابي بن سلول اوقد فعلوها والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل
قال جابر وكانت الانصار بالمدينة اكثر من المهاجرين حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كثر المهاجرون بعد ذلك
فقال عمر دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعه لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه رواه احمد وفي
الصحيحين نحوه وعن زيد بن ارقم قال خرجت مع عمي في غزاة فسمعت عبد الله بن ابي بن سلول يقول لاصحابه لا تنفقوا على
من عند رسول الله ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فذكرت ذلك لعمي فذكره عمي لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فارسل الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثته فارسل الى عبد الله بن ابي واصحابه فحلفوا ما قالوا فكذبني رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصدقه فاصابني هم لم يصبني مثله قط وجلست في البيت فقال عمي ما اردت الى ان كذبك رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومقتك قال حتى انزل الله اذا جاءك المنافقون قال فبعث الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراها
ثم قال ان الله قد صدقك رواه احمد وفي البخاري نحوه وقال ابن اسحق لما بلغ عبد الله بن عبد الله بن ابي ما كان من امر
ابيه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه بلغني انك تريد قتل عبد الله بن ابي فيما بلغك عنه فان كنت فاعلا
فمرني به فانا احمل اليك راسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل ابر بوالده مني اني اخشى ان تامر به غيري
فيقتله فلا تدعني نفسي انظر الى قاتل عبد الله بن ابي يمشي في الناس فاقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا وذكر عكرمة وغير واحد ان الناس لما قفلوا راجعين الى المدينة
وقف عبد الله بن عبد الله بن ابي على باب المدينة واستل سيفه فجعل الناس يمرون عليه فلما جاء ابوه عبد الله بن ابي قال
له ابنه وراءك فقال ما لك ويلك فقال والله لا تجوز من ههنا حتى ياذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه العزيز وانت
الذليل فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان انما يكون في الساقة فشكى اليه عبد الله بن ابي فقال ابنه عبد الله والله يا رسول الله
لا يدخلها حتى ياذن له فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما اذا اذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجز الان
فدخل فلم يلبث الا اياما قلائل حتى اشتكى ومات وفي رواية قال لابيه والله لا تدخل المدينة ابدا حتى يقول رسول الله الاعز
وانا الاذل **يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك
فاولئك هم الخاسرون وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني
الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها والله خبير
بما تعملون** امر تعالى عباده المؤمنين بكثرة ذكره ونهاهم ان يشغلهم الاموال والاولاد عن ذلك واخبرهم انه من التهى بمتاع
الحيوة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره فانه من الخاسرين الذين يخسرون انفسهم واهليهم يوم القيمة ثم حثهم على
الانفاق في طاعته فقال وانفقوا مما رزقناكم اي زكوة الاموال من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني اي هلا امهلتني
يسال الرجعة الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين اي وازكي مالي واكن من المؤمنين والمراد بالصلاح هنا الحج قاله ابن عباس
وكل مفرط يندم عند الاحتضار ويسال طول المدة ولو شيئا يسيرا ليستدرك ما فاته وهيهات هيهات وما فات ليس بات وكل
بحسب تفريطه اما الكفار فكما قال تعالى وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك
ونتبع الرسل اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال وقال تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل
صالحا فيما تركت الاية ثم قال تعالى ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها اي لا ينظر الله ولا يمهل احدا بعد حلول اجله وهو اعلم واخبر
بمن يكون صادقا في قوله وسؤاله ممن لو رد لعاد الى شر مما كان عليه ولهذا قال والله خبير بما تعملون وعن ابي الدرداء قال
ذكرنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الزيادة في العمر فقال ان الله لا يؤخر نفسا اذا جاء اجلها وانما الزيادة في العمر ان يرزق الله

قال المفسرون [illegible] الصلوات الخمس في الجماعة نظيره قوله لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله [illegible]

[illegible]

العبد ذرية صالحة يدعون له فيلحقه دعاؤهم في قبره رواه ابن حاتم **تفسير سورة التغابن وهي مدنية**
عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا مكتوب في تشبيك راسه خمس آيات من سورة
التغابن حديث ضعيف رواه ابن عساكر في تاريخه **بسم الله الرحمن الرحيم**
يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير هو الذي
خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير خلق السموات والارض بالحق وصوركم
فاحسن صوركم واليه المصير يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما يسرون وما يعلنون
والله عليم بذات الصدور هذه السورة هي المسبحات وقد سبق الكلام على تسبيح المخلوقات لباريها ومالكها
ولهذا قال له الملك وله الحمد اي هو المتصرف في جميع الكائنات المحمود على جميع ما يخلقه ويقدره وقوله وهو على كل شيء
قدير اي مهما اراد كان بلا ممانع ولا مدافع وما لم يشاء لم يكن وقوله هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن اي هو الخالق
لكم على هذه الصفة واراد منكم ذلك فلا بد من وجود مؤمن وكافر وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الاضلال
وهو شهيد على اعمال عباده وسيجزيهم بها اتم الجزاء ولهذا قال والله بما تعملون بصير ثم قال خلق السموات والارض بالحق
اي بالعدل والحكمة فصوركم فاحسن صوركم اي اشكالكم وقوله واليه المصير اي المرجع والمآب ثم اخبر تعالى عن علمه
بجميع الكائنات السمائية والارضية والنفسية فقال يعلم ما في السموات وما في الارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم
بذات الصدور **الم ياتكم نبؤ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم ذلك بانه**
كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله
غني حميد اخبر تعالى عن الامم الماضية وما حل بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل والتكذيب بالحق فقال الم ياتكم
نبؤ الذين كفروا من قبل اي خبرهم وما كان من امرهم فذاقوا وبال امرهم اي وخيم تكذيبهم ورديء افعالهم و
هو ما حل بهم في الدنيا من العقوبة والخزي ولهم مضافا الى ذلك عذاب اليم في الآخرة ثم علل ذلك فقال ذلك بانه
كانت تاتيهم رسلهم بالبينات اي بالحجج والدلائل والبراهين القاطعات فقالوا ابشر يهدوننا اي استبعدوا ان تكون الرسالة
في البشر وان يكون هداهم على يدي بشر مثلهم فكفروا وتولوا اي كذبوا بالحق ونكلوا عن العمل واعرضوا عنه [illegible]
واستغنى الله اي عنهم وعن طاعتهم والله غني اي عن خلقه حميد في افعاله **زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل**
بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فامنوا بالله ورسوله والنور الذي
انزلنا والله بما تعملون خبير يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا
يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم
والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير اخبر تعالى عن المشركين
والكفار والملحدين انهم يزعمون انهم لا يبعثون ولا ينشرون فقال قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم اي لتخبرن بجميع اعمالكم
جليلها وحقيرها وذلك على الله يسير اي بعثكم ومجازاتكم على الله هين وسهل وهذه الآية الثالثة التي امر الله رسوله عليه
الصلوة والسلام ان يقسم بربه عز وجل على وقوع المعاد ووجوده فالاولى في سورة يونس ويستنبئونك احق هو قل اي وربي
الآية والثانية في سورة سبا وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة قل بلى وربي لتاتينكم الآية والثالثة هي هذه زعم الذين
كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم قال فامنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا يعني القرآن والله بما تعملون خبير اي فلا
يخفى عليه من اعمالكم خافية وقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وهو يوم القيمة سمي بذلك لانه يجمع فيه الاولون والآخرون في صعيد واحد يسمعهم

قيل انكروا ان يكون الرسل من بني آدم والبشر اسم جنس يقع على الواحد والجمع

في الحديث زعموا مطية الكذب وفي رواية بئس مطية الكذب زعموا

الداعي

الداعي وينفذهم البصر كما قال تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وقوله ذلك يوم التغابن قال ابن عباس
هو من اسماء يوم القيمة وذلك ان اهل الجنة يغبنون اهل النار وكذا قال قتادة ومجاهد وقال مقاتل بن حيان لا غبن اعظم
من ان يدخل هولاء الى الجنة ويذهب باولئك الى النار قال الشيخ رحمه الله وقد فسر ذلك بقوله ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا
الى قوله وبئس المصير سبق تفسير مثله غير مرة **ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله**
بكل شيء عليم واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله
الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون اخبر تعالى بما اخبر به في سورة الحديد بقوله ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم
الا في كتاب من قبل ان نبراها وقال ههنا ما اصاب من مصيبة الا باذن الله قال ابن عباس بامر الله يعني عن قدره ومشيته وقضائه
ومن يؤمن بالله يهد قلبه وعوضه عما فاته في الدنيا هدى في قلبه ويقينا صادقا وقد يخلف عليه ما كان اخذ منه او خيرا منه
وقال ابن عباس اي يهد قلبه لليقين فيعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وقيل معناه يسترجع يقول
انا لله وانا اليه راجعون وفي الحديث المتفق عليه عجبا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء الا كان خيرا له ان اصابته ضراء صبر
فكان خيرا له وان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وليس ذلك لاحد الا للمؤمن وقوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول امر
بطاعة الله ورسوله فيما شرع وفعل ما امر وترك ما عنه نهى وزجر ثم قال فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين اي ان نكلتم عن العمل
فانما عليه ما حمل من البلاغ وعليكم ما حملتم من السمع والطاعة قال الزهري من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم
ثم قال مخبرا انه الاحد الصمد الذي لا اله غيره فقال الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون فالاول خبر عن التوحيد و
معناه الطلب اي وحدوا الالهية له واخلصوا العبادة لديه وتوكلوا عليه كما قال رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه
وكيلا **يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا**
وتغفروا فان الله غفور رحيم انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم
واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله
قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم اخبر تعالى
عن الازواج والاولاد ان منهم من هو عدو الزوج والولد بمعنى انه يشتغل به عن العمل الصالح كقوله تعالى لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم
عن ذكر الله الآية ولهذا قال ههنا فاحذروهم اي على دينكم قال مجاهد يعني يحمل الرجل على قطيعة الرحم او معصية ربه فلا يستطيع
مع حبه الا ان يطيعه وعن ابن عباس وساله رجل عن هذه الآية قال هولاء رجال اسلموا بمكة فارادوا ان ياتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فابى ازواجهم واولادهم ان يدعوهم فلما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم راوا الناس قد فقهوا في الدين
هموا ان يعاقبوهم فانزل الله هذه الآية وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم رواه الترمذي وصححه وقوله
انما اموالكم واولادكم فتنة اي اختبار وابتلاء من الله لخلقه ليعلم من يطيعه ممن يعصيه وقوله والله عنده اجر عظيم كما قال والله
عنده حسن المآب وعن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما وعليهما قميصان
احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه فقال صدق الله ورسوله
انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما رواه
احمد واهل السنن وحسنه الترمذي وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد ثمرة القلب وانهم مجبنة
مبخلة محزنة رواه الحافظ البزار وقوله فاتقوا الله ما استطعتم اي جهدكم وطاقتكم كما ثبت في الصحيحين عن ابي هريرة قال قال

يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير

رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه قال بعضهم ان هذه الآية ناسخة
للتي في آل عمران وهي قوله يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون فانها لما نزلت اشتدت على
القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم فانزل الله تخفيفا على المسلمين فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت تلك
الآية وعن ابي العالية وغير واحد من السلف نحو ذلك وقوله واسمعوا واطيعوا اي كونوا منقادين لما يامركم الله به ورسوله
ولا تميلوا عنه يمنة ولا يسرة ولا تقدموا بين يدي الله ورسوله ولا تتخلفوا عما امرتم ولا ترتكبوا ما عنه زجرتم وقوله و
انفقوا خيرا لانفسكم اي وابذلوا مما رزقكم الله على الاقارب وذوي الحاجات واحسنوا الى خلق الله كما احسن اليكم يكن خيرا لكم
في الدارين وان لا تفعلوا يكن شرا لكم في الدنيا والآخرة وقوله ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون سبق تفسيره في سورة
الحشر مع الاحاديث المناسبة له بما يغني عن اعادته ههنا وقوله ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم اي مهما انفقتم
من شيء فهو يخلفه ومهما تصدقتم من شيء فعليه جزاؤه ونزل ذلك منزلة القرض كما ثبت في الصحيح ان الله تعالى يقول من يقرض
غير ظلوم ولا عديم ولهذا قال يضاعفه لكم كما سبق في سورة البقرة فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقوله ويغفر لكم اي ويكفر عنكم
السيئات ولهذا قال والله شكور اي مجاز على القليل بالكثير حليم اي يصفح ويغفر ويستر ويتجاوز عن الذنوب والزلات والخطايا
والسيئات عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم سبق تفسيره غير مرة والله اعلم تفسير سورة الطلاق وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن
واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة
مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك
امرا خوطب النبي عليه الصلوة والسلام اولا تشريفا وتكريما ثم الامة تبعا عن انس طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة
فاتت اهلها فانزل الله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن فقيل له راجعها فانها صوامة قوامة وهي من ازواجك
ونسائك في الجنة رواه ابن جرير وابن ابي حاتم كما روي من غير وجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها وفي
الصحيحين ان عبد الله بن عمر طلق امراة له وهي حائض فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه
ثم قال ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر فان بدا له ان يطلقها فليطلقها طاهرا قبل ان يمسها فتلك العدة التي امر الله
ان يطلق لها النساء قال ابن عمر وقرا النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن وقوله فطلقوهن
لعدتهن قال ابن مسعود وغير واحد اي الطهر من غير جماع وقال ابن عباس اي لا يطلقها وهي حائض ولا في طهر قد جامعها
فيه ولكن يتركها حتى اذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة وقال عكرمة فطلقوهن لعدتهن العدة الطهر والقرء الحيضة
وان يطلقها حبلى مستبينا حملها ولا يطلقها وقد طاف عليها ولا يدري حبلى هي ام لا ومن ههنا اخذ الفقهاء احكام الطلاق
وقسموه الى سنة وبدعة فطلاق السنة ان يطلقها طاهرا من غير جماع او حاملا استبان حملها والبدعي هو ان يطلقها في حال الحيض او
في طهر قد جامعها فيه ولا يدري احملت ام لا وطلاق ثالث لا سنة فيه ولا بدعة وهو طلاق الصغيرة والآيسة وغير المدخول بها وموضع
بسطه كتب الفقه الفروع والله اعلم وقوله واحصوا العدة اي احفظوها واعرفوا ابتداءها وانتهاءها لئلا تطول العدة على المراة فتمتنع
من الازواج واتقوا الله ربكم اي في ذلك ولا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن اي في مدة العدة لها السكنى على الزوج ما دامت معتدة منه
فليس للزوج ان يخرجها ولا يجوز لها ايضا الخروج لانها معتقلة لحق الزوج ايضا وقوله الا ان ياتين بفاحشة مبينة اي لا يخرجن من
بيوتهن الا ان ترتكب المراة فاحشة مبينة فتخرج من المنزل والفاحشة المبينة تشمل الزنا قاله ابن مسعود وابن عباس [illegible]

[illegible]

انها تخرج حينئذ لاقامة الحد وتشمل ما اذا نشزت او بذت على اهل الرجل وآذتهم في الكلام والفعال كما قال ابي بن كعب
وغير واحد وقوله وتلك حدود الله اي شرائعه ومحارمه ومن يتعد حدود الله اي ومن يخرج عنها ويتجاوزها الى غيرها
ولا ياتمر بها فقد ظلم نفسه اي بفعل ذلك وقوله لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا اي انما ابقينا المطلقة في منزل الزوج
في مدة العدة لعل الزوج يندم على طلاقها ويخلق الله في قلبه الميل اليها ومراجعتها فيكون ذلك ايسر واسهل قالت فاطمة بنت قيس
هو الرجعة وبه قال آخرون ومن ههنا ذهب بعض السلف ومن تابعهم كالامام احمد الى انه لا يجب السكنى للمبتوتة وكذا للمتوفى
عنها زوجها معتمدين على حديث فاطمة بنت قيس حين طلقها زوجها ابو عمرو بن حفص آخر ثلاث تطليقات وكان غائبا عنها
باليمن فارسل اليها وكيله بشعير يعني نفقة فتسخطته فقال والله ليس لك علينا نفقة فاتت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ليس لك عليه نفقة ولا سكنى وامرها ان تعتد في بيت ام شريك ثم قال تلك امراة يغشاها اصحابي اعتدي
عند ابن ام مكتوم فانه رجل اعمى تضعين ثيابك الحديث وفي رواية لاحمد قالت فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
ان فلانا طلقني ومنعني السكنى والنفقة فقال له ما لك ولابنة آل قيس قال يا رسول الله اني طلقتها ثلاثا جميعا قالت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انظري يا ابنة آل قيس انما النفقة والسكنى للمراة على زوجها ما كانت له عليها رجعة فاذا لم يكن
عليها رجعة فلا نفقة ولا سكنى اخرجي فانزلي على فلانة ثم قال انه يتحدث اليها انزلي على ابن ام مكتوم فانه اعمى لا يراك وذكرت
تمام الحديث وروى النسائي نحوه فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف و
اشهدوا ذوي عدل منكم واقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ
امره قد جعل الله لكل شيء قدرا فاذا بلغن اجلهن اي شارفن على انقضاء عدتهن وقاربن ذلك ولكن لم يفرغ العدة
بالكلية فحينئذ اما ان يعزم الزوج على امساكها وهو رجعتها الى عصمة نكاحه والاستمرار بها على ما كانت عليه عنده بمعروف اي
محسنا اليها في صحبتها واما ان يعزم على مفارقتها بمعروف اي بلا مقابحة ولا مشاتمة ولا تعنيف بل يطلقها على وجه جميل و
سبيل حسن وقوله واشهدوا ذوي عدل منكم اي على الرجعة اذا عزمتم عليها قال عطاء لا يجوز في نكاح ولا طلاق ولا رجاع الا
شاهدا عدل كما قال الله تعالى الا ان يكون من عذر وقوله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر اي هذا الذي امرناكم
به من الاشهاد واقامة الشهادة انما ياتمر به من يؤمن بالله ومن ههنا ذهب الشافعي في احد قوليه الى وجوب الاشهاد في الرجعة
كما يجب عنده في ابتداء النكاح وبه قال طائفة من العلماء ولا يصح عندهم الرجعة الا بالقول والاشهاد عليها وقوله ومن يتق الله
يجعل له مخرجا اي ومن يتق الله فيما امر به وترك ما نهي عنه يجعل له من امره مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب اي من جهة لا تخطر
بباله وعن ابي ذر قال جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو علي هذه الآية ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
حتى فرغ من الآية ثم قال يا ابا ذر لو ان الناس كلهم اخذوا بها كفتهم فجعل يتلوها ويرددها علي حتى نعست رواه احمد وعن ابن
مسعود قال ان اجمع آية في القرآن ان الله يامر بالعدل والاحسان وان اكثر آية في القرآن فرجا ومن يتق الله يجعل له مخرجا و
قال ابن عباس اي ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة وقال الربيع اي من كل شيء ضاق على الناس وقال قتادة اي من شبهات
الامور والكرب عند الموت ويرزقه من حيث لا يرجو ولا يامل وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكثر
من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب رواه احمد قال ابن اسحق جاء مالك
الاشجعي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اسر ابني عوف فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل اليه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

وان اخاه اخرجني صح

واقيموا الشهادة لله
امر للشهود لتؤدوها
وامر [illegible]

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من احب ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله ومن احب
ان يكون اكرم الناس فليتق الله ومن احب ان يكون اغنى
الناس فليكن بما في يد الله اوثق منه بما في يده الا انبئكم
بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال من اكل وحده ومنع رفده
وجلد عبده ثم قال الا اخبركم بشر من هذا قالوا بلى
يا رسول الله قال من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة ولا
يغفر الذنب قال الا انبئكم بشر من هذا قالوا بلى يا رسول الله قال من لا يرجى خيره
ولا يؤمن شره

يا بني ان تكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله وكانوا قد شدوه بالقد فسقط القد عنه فخرج فاذا هو بناقة لهم فركبها واقبل فاذا بسرح القوم الذين كانوا شدوه فصاح بها فاتبع اولها اخرها فلم يفجأ ابويه الا وهو ينادي بالباب فقال ابوه عوف ورب الكعبة فقالت امه واسوأتاه وعوف كيف يقدم علينا لما هو فيه من القد فاستبق الباب والخادم فاذا قد ملأ الفناء ابلا فقص على ابيه امره وامر الابل قال ابوه قفا حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عنها فاتاه فاخبره بخبر عوف وخبر الابل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنع بها ما احببت وما كنت صانعا بابلك ونزل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب رواه ابن ابي حاتم وقوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه عن ابن عباس انه ركب يوما خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا غلام اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعوا على ان ينفعوك لم ينفعوك الا بشيء كتبه الله عليك ولو اجتمعوا على ان يضروك لم يضروك الا بشيء كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف رواه احمد والترمذي وصححه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نزل به حاجة فانزلها بالناس كان قمنا ان لا يسهل حاجته ومن انزلها بالله آتاه الله برزق عاجل او بموت عاجل رواه احمد وقوله ان الله بالغ امره اي منفذ قضاياه واحكامه في خلقه بما يريده ويشاؤه قد جعل الله لكل شيء قدرا اي جعل لكل شيء من الشدة والرخاء اجلا ينتهي اليه

واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا ذلك امر الله انزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا

يبين الله عدة الآيسة وهي التي انقطع عنها المحيض لكبرها انها ثلاثة اشهر عوضا عن الثلاثة قروء في حق من تحيض كما دلت عليه آية البقرة وكذا الصغيرة التي لم تبلغ سن الحيض ان عدتها كعدة الآيسة ثلاثة اشهر ولهذا قال واللائي لم يحضن وقوله ان ارتبتم فيه قولان احدهما اي ان رأين دما وشككتم في كونه حيضا او استحاضة وهو قول مجاهد والزهري والثاني ان شككتم في حكم عدتهن ولم تعرفوه فهو ثلاثة اشهر روي هذا عن ابن جبير وهو اختيار ابن جرير وهو اظهر في المعنى كما قال ابي بن كعب يا رسول الله ان عددا من عدد النساء لم تذكر في الكتاب الصغار والكبار واولات الاحمال قال فانزل الله عز وجل واللائي يئسن من المحيض الى قوله حملهن رواه ابن جرير وقوله واولات الاحمال اي ومن كانت حاملا عدتها بوضعه ولو كان بعد الطلاق او بموت الزوج بفواق ناقة في قول الجمهور كما هو نص هذه الآية وكما وردت به السنة وقد روي عن علي وابن عباس انهما ذهبا في المتوفى عنها زوجها انها تعتد بابعد الاجلين من الوضع او الاشهر عملا بهذه الآية والتي في البقرة وقد روى ابو سلمة قال جاء رجل الى ابن عباس وابو هريرة جالس فقال افتني في امرأة ولدت بعد زوجها باربعين ليلة فقال ابن عباس آخر الاجلين قلت انا واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن قال ابو هريرة انا مع ابن اخي يعني ابا سلمة فارسل ابن عباس غلامه كريبا الى عائشة يسألها فقالت قتل زوج سبيعة الاسلمية وهي حبلى فوضعت بعد موته باربعين ليلة فخطبت فانكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابو السنابل فيمن خطبها هكذا في الصحيحين وفيهما عن المسور بن مخرمة ان سبيعة الاسلمية توفي عنها زوجها فلم تمكث الا ليالي حتى وضعت فلما تعلت من نفاسها خطبت فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النكاح فاذن لها ان تنكح فنكحت وقوله ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا اي يسهل عليه امر الدنيا والآخرة ثم قال ذلك اي ما ذكر من الاحكام امر الله اي حكمه وشرعه انزله اليكم بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا اي ويذهب عنه المحذور ويجزل له الثواب على العمل اليسير

اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا

عليهن

قدرا تقديرا وتوقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوقيته لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل

عليهن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له اخرى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا

يامر تعالى عباده اذا طلق احدهم امرأته ان يسكنها في منزل حتى تنقضي عدتها فقال اسكنوهن من حيث سكنتم اي عندكم من وجدكم قال ابن عباس وغير واحد يعني سعتكم حتى قال قتادة ان لم تجد الا جنب بيتك فاسكنها فيه وقوله ولا تضاروهن اي تؤذوهن لتضيقوا عليهن قال مقاتل بن حيان يعني لا تضاجرها لتفتدي بمالها او تخرج من مسكنه وقال الضحاك هو ان يطلقها فاذا بقي يومان راجعها وقوله وان كن اولات حمل قال ابن عباس وغير واحد المرأة البائن ان كانت حاملا انفق عليها حتى تضع حملها بدليل ان الرجعية تجب نفقتها سواء كانت حاملا او حائلا وقال آخرون بل السياق كله في الرجعيات وانما نص على الانفاق على الحامل وان كانت رجعية لان الحمل يطول مدته غالبا فاحتيج الى النص على وجوب الانفاق الى الوضع لئلا يتوهم انما تجب النفقة بمقدار هذه العدة ثم اختلفوا هل النفقة لها بواسطة الحمل او للحمل وحده على قولين منصوصين للشافعي وقوله فان ارضعن لكم اي اذا وضعن حملهن وهن طوالق وقد انقضت عدتهن فلها حينئذ ان ترضع الولد وان تمتنع منه ولكن بعد ان تغذيه باللبا وهو باكورة اللبن الذي لا قوام للولد غالبا الا به فان ارضعت استحقت اجرة مثلها ولها ان تعاقد اباه او وليه على ما اتفقا عليه من اجرة ولهذا قال فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن وقوله وأتمروا بينكم بمعروف اي ولتكن اموركم فيما بينكم بالمعروف من غير اضرار ولا نقصان ولا مضارة كما قال في سورة البقرة لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وقوله وان تعاسرتم اي وان اختلف الرجل والمرأة فان طلبت المرأة في اجرة الرضاع كثيرا ولم يجبها الرجل الى ذلك او بذل الرجل قليلا ولم توافقه عليه فليسترضع له غيرها فلو رضيت الام بما استؤجرت عليه الاجنبية فهي احق بولده وقوله لينفق ذو سعة من سعته اي لينفق على المولود والده او وليه بحسب قدرته ومن قدر عليه رزقه اي ضيق عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله من المال لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها هو كقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها وعن ابي مالك الاشعري واسمه الحارث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة نفر كان لاحدهم عشرة دنانير فتصدق منها بدينار وكان لآخر عشر اواق فتصدق منها باوقية وكان لآخر مائة اوقية فتصدق منها بعشر اواق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم في الاجر سواء كل تصدق بعشر ماله قال الله لينفق ذو سعة من سعته هذا حديث غريب رواه الطبراني وقوله سيجعل الله بعد عسر يسرا وعد منه تعالى ووعده حق وهو لا يخلفه اي بعد ضيق وشدة غنى وسعة وهو كقوله فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وعن ابي هريرة قال دخل رجل على اهله فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج الى البرية فلما رأت امرأته ذلك قامت الى الرحى فوضعتها والى التنور فسجرته ثم قالت اللهم ارزقنا فاذا الجفنة قد امتلأت قالت وذهبت الى التنور فوجدته ممتلئا قال فرجع الزوج وقال اصبتم بعدي شيئا قالت امرأته نعم من ربنا قام الى الرحى فرفعها واستخرجت المرأة ما في التنور فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال اما انه لو لم يرفعها لم تزل تدور الى يوم القيامة رواه احمد

وكأين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا اعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا

توعد الله لمن خالف امره وكذب رسله وسلك

عنها شرعه مخبرا عما حل بالامم السالفة بسبب ذلك فقال وكاين من قرية عتت عن امر ربها اي تمردت وطغت واستكبرت عن اتباع امر الله ومتابعة رسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا اي منكرا فظيعا فذاقت وبال امرها اي جزاءه وتبعة امرها وندموا حيث لا ينفع الندم وكان عاقبة امرها خسرا اي خسرانا في الدارين اعد الله لهم عذابا شديدا اي في الآخرة مع ما عجل لهم في الدنيا ثم قال بعد ما قص من خبر هؤلاء فاتقوا الله يا اولي الالباب اي الافهام المستقيمة لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما اصابهم الذين آمنوا اي صدقوا الله ورسله قد انزل الله اليكم ذكرا يعني القرآن كقوله انا نحن نزلنا الذكر وقوله رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات قال بعضهم رسولا منصوب على انه بدل اشتمال وملابسة لان الرسول هو الذي بلغ الذكر وقال ابن جرير الصواب ان رسولا ترجمة عن الذكر يعني تفسيرا له ولهذا قال رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات اي في حال كونها بينة واضحة جلية ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور اي من الكفر الى الايمان وقوله ومن يومن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا وقد سبق تفسير مثل هذا غير مرة بما اغنى عن اعادته الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شي قدير وان الله قد احاط بكل شي علما اخبر تعالى عن قدرته التامة وسلطانه العظيم ليكون ذلك باعثا على تعظيم ما شرع من الدين القويم فقال الله الذي خلق سبع سموات كقوله اخبارا عن نوح انه قال لقومه الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وقوله ومن الارض مثلهن اي سبعا ايضا كما ثبت في الصحيحين من ظلم قيد شبر من الارض طوقه الى سبع ارضين اي مردا بطبقاتها ومن حمل على سبع اقاليم فقد ابعد النجعة وخالف الكتاب والسنة وقد سبق في تفسير سورة الحديد ذكر الارضين السبع وبعد ما بينهن وكثافة كل واحدة منهن عن ابن مسعود وغيره وقال ابن عباس لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم وكفركم تكذيبكم بها رواه ابن جرير وقال ابن عباس ايضا سبع ارضين في كل ارض نبي كنبيكم وآدم كآدم ونوح كنوح وابرهيم كابرهيم وعيسى كعيسى رواه البيهقي في كتاب الاسماء والصفات وفي كتاب التفكر والاعتبار لابي بكر بن ابي الدنيا مرسلا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى اصحابه وهم سكوت لا يتكلمون فقال ما لكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر في خلق الله تعالى قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تفكروا فيه فان بهذا المغرب ارضا بيضاء نورها بياضها او قال بياضها نورها مسيرة الشمس اربعين يوما فيها خلق من خلق الله لم يعصوا الله طرفة عين ابدا قط قالوا فاين الشيطان منهم قال ما يدرون خلق الشيطان ام لم يخلق قالوا امن ولد آدم قال ما يدرون خلق آدم ام لم يخلق وهذا حديث غريب جدا والله اعلم

تفسير سورة التحريم وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا فلما نبأت به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض فلما نباها به قالت من انباك هذا قال نباني العليم الخبير ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا اختلفوا في سبب نزول هذه السورة فقيل نزلت في شان مارية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرمها فنزل قوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الآية كما قال النسائي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له امة يطاها فلم تزل عائشة وحفصة

النجعة بالضم طلب الكلأ في موضعه صح

تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم

فانزل الله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الآية وعن زيد بن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اصاب ام ابرهيم في بيت بعض نسائه فقالت اي رسول الله في بيتي وعلى فراشي فجعلها عليه حراما فقالت اي رسول الله كيف يحرم عليك الحلال فحلف لها بالله لا يصيبها فانزل الله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك رواه ابن جرير وعن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لحفصة لا تخبري احدا ان ام ابرهيم علي حرام فقالت اتحرم ما احل الله لك قال والله لا اقربها قال فلم يقربها حتى اخبرت عائشة فانزل الله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم وكان ابن عباس يقول في الحرام يمين تكفرها وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والجمهور على وجوب الكفارة على من حرم زوجته او جاريته مطلقا بلا نية طلاق فلو نوى به الطلاق وقع ما نوى وعند احمد عام في كل شي من المباحات وقيل نزلت في شان شرب العسل عند زينب بنت جحش كما في البخاري عند هذه الآية عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يشرب عسلا عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فتواطيت انا وحفصة على ايتنا دخل عليها فلتقل له اكلت مغافير اني اجد منك ريح مغافير قال لا ولكني كنت اشرب عسلا عند زينب بنت جحش فلن اعود له وقد حلفت لا تخبري بذلك احدا ابتغي مرضاة ازواجه وفي كتاب الايمان والنذور عنها انها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا فتواصيت انا وحفصة ان ايتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل اني اجد منك ريح مغافير اكلت مغافير فدخل على احديهما النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ذلك له فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن اعود له فنزلت يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الى ان تتوبا الى الله لعائشة وحفصة واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا لقوله بل شربت عسلا وفيه المغافير شبيه بالصمغ يكون في الرمث فيه حلاوة واحدها مغفور ويقال مغافير وهو شبيه من صمغ العرفط وقد رواه مسلم ايضا وفي البخاري ايضا في كتاب الطلاق حديث مبسوط صريح في ان ساقية العسل كانت حفصة والتواصي كان بين عائشة وسودة وصفية وهذا ايضا رواه مسلم وقد يقال انهما واقعتان ولا بعد من ذلك ولا شك ان عائشة وحفصة كانتا هما المتظاهرتان والدليل على ذلك ما في الصحيحين واكثر السنن بروايات وطرق عن ابن عباس قال مكثت سنة اريد ان اسال عمر بن الخطاب عن آية فما استطيع ان اساله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عدل الى الاراك لحاجة له قال فوقفت له حتى فرغ ثم سرت معه فقلت يا امير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي صلى الله عليه وسلم من ازواجه فقال تلك حفصة وعائشة قال فقلت والله ان كنت لاريد ان اسالك عن هذا منذ سنة فما استطيع هيبة لك قال فلا تفعل ما ظننت ان عندي من علم فسلني فان كان لي علم اخبرتك به قال ثم قال عمر والله ان كنا في الجاهلية ما نعد للنساء امرا حتى انزل الله فيهن ما انزل وقسم لهن ما قسم قال فبينا انا في امر اتامره اذ قالت امراتي لو صنعت كذا وكذا قال فقلت لها ما لك وما هاهنا فيما تكلفك في امر اريده فقالت لي عجبا لك يا ابن الخطاب ما تريد ان تراجع انت وان ابنتك لتراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان فقام عمر فاخذ رداءه مكانه حتى دخل على حفصة فقال لها يا بنية انك لتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان قالت حفصة والله انا لنراجعه فقلت تعلمين اني احذرك عقوبة الله وغضب رسوله يا بنية لا تغرنك هذه التي اعجبها حسنها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها يريد عائشة قال ثم خرجت حتى دخلت على ام سلمة لقرابتي منها فكلمتها فقالت ام سلمة عجبا لك يا ابن الخطاب دخلت في كل شي حتى تبتغي ان تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وازواجه فاخذتني والله اخذا كسرتني عن بعض ما كنت اجد فخرجت من عندها وكان لي صاحب من الانصار اذا غبت اتاني بالخبر واذا غاب كنت انا آتيه بالخبر ونحن نتخوف ملكا من ملوك غسان

الرمث بالكسر مرعى من مراعي الابل وهو من الحمض

ذكر لنا انه يريد ان يسير الينا فقد امتلأت صدورنا منه فاذا صاحبي الانصاري يدق الباب فقال افتح افتح فقلت جاء الغساني فقال اشد من ذلك اعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ازواجه فقلت رغم انف حفصة وعائشة فاخذت ثوبي فاخرج حتى جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشربة له يرقى عليها بعجلة وغلام رسول الله صلى الله عليه وسلم اسود على راس الدرجة فقلت له قل هذا عمر بن الخطاب فاذن لي قال عمر فقصصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث فلما بلغت حديث ام سلمة تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء وتحت راسه وسادة من ادم حشوها ليف وان عند رجليه قرظا مصبورا وعند راسه اهب معلقة فرايت اثر الحصير في جنبه فبكيت فقال ما يبكيك فقلت يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيما هما فيه وانت رسول الله فقال اما ترضى ان يكون لهم الدنيا ولك الآخرة فقوله قد فرض الله لكم اي بين او جب ان تكفروها اذا حنثتم كما ذكر في سورة المائدة وهو مولاكم اي وليكم وناصركم وهو العليم الحكيم وقوله واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا هو تحريم مارية او ما حرم على نفسه وقوله لحفصة لا تخبري بذلك احدا فلما نبات اي اخبرت به حفصة عائشة واظهره الله عليه اي اطلع الله نبيه على انها انبأت به عرف بعضه اي بعض الفعل الذي فعلته من افشاء سره واعرض عن بعض اي ولم يعلمها ببعض آخر لئلا ينتشر ذلك في الناس اي وغضب منه لكنه علمها وجازاها بما سبق في الحديث فلما نباها به اي اخبر حفصة بما اظهره الله عليه قالت حفصة من انباك هذا اي من اخبرك باني افشيت سرك قال نبأني العليم الخبير ان تتوبا الى الله اي من التعاون على النبي صلى الله عليه وسلم بما مضى والخطاب لعائشة وحفصة فقد صغت اي زاغت ومالت عن الحق قلوبكما [illegible] التوبة وعن عمر بن الخطاب قال لما اعتزل نبي الله نساءه دخلت المسجد فاذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون طلق النبي صلى الله عليه وسلم نساءه وذلك قبل ان يؤمرن بالحجاب فقلت لاعلمن ذلك اليوم فذكر الحديث في دخوله على عائشة وحفصة ووعظه اياهما الى ان قال فدخلت فاذا انا برباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم على اسكفة المشربة فناديت فقلت يا رباح استاذن لي على رسول الله فدخل ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت حتى ردد مرارا فاذن قال فدخلت فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من امر النساء فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وانا وابو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت واحمد الله بكلام الا رجوت ان يكون الله يصدق قولي ونزلت هذه الآية آية التخيير عسى ربه ان طلقكن الآية وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير فقلت اطلقتهن قال لا فقمت على باب المسجد فناديت باعلى صوتي لم يطلق نساءه رواه مسلم قالوا وصالح المؤمنين الخلفاء الراشدون وقوله عسى ربه ان طلقكن اي واجب من الله ان طلقكن رسوله ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات اي خاضعات لله بالطاعة مؤمنات اي مصدقات بتوحيد الله قانتات اي طائعات داعيات تائبات عابدات سائحات اي صائمات قاله غير واحد وقال زيد بن اسلم اي مهاجرات وللاول اقرب ثيبات وابكارا اي منهن ثيبات ومنهن ابكارا ليكون انشط للنفس وهذا في الاخبار عن القدرة لا على كونه لانه قال ان طلقكن وقد علم الله انه لا يطلقهن فيكون من قبيل وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن بريدة في قوله ثيبات وابكارا قال وعد الله نبيه في هذه الآية ان يزوجه الثيبات والابكار فالثيب آسية امراة فرعون والبكر مريم بنت عمران رواه الطبراني كما روى ابو امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمت ان الله زوجني مريم بنت عمران وكلثم اخت موسى وآسية امراة فرعون فقلت هنيئا لك يا رسول الله رواه ابو يعلى الموصلي والحديثان ضعيفان والله اعلم

يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات

بحزام

تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير قال علي رضي الله عنه في قوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا اي ادبوهم وعلموهم وقال ابن عباس اي اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله ومروا اهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار وقال الضحاك ومقاتل حق على المسلم ان يعلم اهله من قرابته وامائه وعبيده ما فرض الله عليهم ونهاهم عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مروا الصبي بالصلوة اذا بلغ سبع سنين فاذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها رواه احمد وابو داود والترمذي وحسنه قال الفقهاء وهكذا في الصوم ليكون ذلك تمرينا لهم على العبادة لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر والله اعلم وقوله وقودها اي حطبها الذي يلقى فيها اجساد بني آدم والحجارة التي كانت تعبد كقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقال ابن مسعود ومحمد الباقر هي حجارة من كبريت وزاد مجاهد انتن من الجيفة وقوله عليها ملائكة غلاظ طباعهم غليظة قد نزعت من قلوبهم الرحمة بالكفار شداد اي تركيبهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج يدفع الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين الفا في النار وهم الزبانية لم يخلق الله فيهم الرحمة وقوله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون اي مهما امرهم تعالى بشيء يبادروا اليه لا يتأخرون عنه طرفة عين وهم قادرون على فعله وليس بهم عجز عنه وهؤلاء كما مر هم الزبانية وقوله يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم اي يقال للكفرة يوم القيمة لا تعتذروا فانه لا يقبل منكم وانما تجزون اليوم باعمالكم ثم قال تعالى يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا اي توبة صادقة جازمة تمحو ما قبلها من السيئات قال عمر بن الخطاب التوبة النصوح ان يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه رواه احمد موقوفا صح ولهذا قال العلماء التوبة النصوح هو ان يقلع عن الذنب في الحاضر ويندم على ما سلف منه في الماضي ويعزم على ان لا يفعل في المستقبل ثم ان كان الحق لآدمي رده اليه وعن ابن مسعود سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الندم توبة رواه احمد وابن ماجه وعن زر بن حبيش قال قلت لابي بن كعب ما التوبة النصوح قال سالت عنه لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو الذنب على الندم حين يفرط منك فتستغفر الله بندامتك ثم لا تعود اليه ابدا رواه ابن ابي حاتم وقال الحسن هي ان تبغض الذنب كما احببته وتستغفر منه اذا ذكرته فاما اذا جزم بالتوبة وصمم عليها فانها تجب ما قبلها من الخطيئات كما ثبت في الصحيح الاسلام يجب ما قبله والتوبة تجب ما قبلها وقوله عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم عسى من الله واجب محقق ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه اي ولا يخزيهم معه يوم القيمة ولا يدخلهم النار نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم كما سبق في سورة الحديد ربنا اتمم لنا نورنا الآية قال مجاهد وغير واحد يقوله المؤمنون حين يرون نور المنافقين قد طفي وعن رجل من بني كنانة قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فسمعته يقول اللهم لا تخزني يوم القيمة رواه احمد وعن ابي ذر وابي الدرداء قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول من يؤذن له في السجود يوم القيمة واول من يؤذن له برفع راسه فانظر بين يدي فاعرف امتي من بين الامم وانظر عن شمالي فاعرف امتي من بين الامم فقال رجل يا رسول الله وكيف تعرف امتك من بين الامم قال غر محجلون من آثار الطهور ولا يكون احد من الامم كذلك غيرهم واعرفهم انهم يؤتون كتبهم بايمانهم واعرفهم بسيماهم في وجوههم من اثر السجود واعرفهم بنورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم رواه محمد بن نصر المروزي **يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماويهم جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين** امر تعالى رسوله بجهاد الكفار والمنافقين هؤلاء بالسلاح والقتال وهؤلاء باقامة الحدود عليهم وقوله واغلظ

يقولون ربنا اتمم لنا نورنا
واغفر لنا انك على كل شيء قدير
استر علينا ذنوبنا و
لا تهلكنا بها

[illegible]

عليهم اي في الدنيا ومأويهم جهنم اي في العقبى وبئس المصير هو المرجع ثم قال ضرب الله مثلا للذين كفروا اي في مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم ان ذلك لا يدفع عنهم شيئا ولا ينفعهم عند الله ان لم يكن الايمان حاصلا في قلوبهم ثم ذكر المثل فقال امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين اي نبيين رسولين عندهما في صحبتهما ليلا ونهارا يؤاكلانهما ويضاجعانهما ويعاشرانهما اشد العشرة والاختلاط فخانتاهما اي في الايمان فلم يوافقاهما على الطاعة ولا تصدقاهما على الرسالة فلم يجد ذلك كله شيئا ولا دفع عنهما محذورا ولهذا قال فلم يغنيا عنهما من الله شيئا اي لكفرهما وقيل اي للمرأتين ادخلا النار مع الداخلين وليس المراد بقوله فخانتاهما في فاحشة بل في الدين فان نساء الانبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الانبياء كما سبق في سورة النور قال ابن عباس ما زنتا قط اما امرأة نوح فكانت تخبر انه مجنون واما امرأة لوط فكانت تدل قومها على اضيافه وعنه ايضا انهما كانتا على غير دينهما فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح فاذا آمن مع نوح احد اخبرت الجبابرة من قومه به واما امرأة لوط اذا اضاف لوط احدا اخبرت به اهل المدينة ممن يعمل السوء وهكذا عن عكرمة وغير واحد واستدل بهذه الآية بعض العلماء على ان الحديث الذي يأثره كثير من الناس من اكل مع مغفور له غفر له ليس بصحيح ولا اصل له وانما يروى عن بعض الصالحين انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا رسول الله انت قلت من اكل مع مغفور له غفر له قال لا ولكني الآن اقوله

وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين هذا مثل ضربه الله للمؤمنين انهم لا يضرهم مخالطة الكافرين اذا كانوا محتاجين اليهم كما قال الا ان تتقوا منهم تقاة قال قتادة كان فرعون اعتى اهل الارض واكفره والله ما ضر امرأته كفر زوجها حين اطاعت ربها ليعلموا ان الله حكم عدل لا يؤاخذ احدا الا بذنبه وعن سلمان قال كانت امرأة فرعون تعذب في الشمس فاذا انصرف عنها اظلتها الملائكة باجنحتها وكانت ترى بيتها في الجنة رواه ابن جرير وروى عن القسم بن ابي بزة قال كانت امرأة فرعون تسأل من غلب فقال غلب موسى وهرون فتقول آمنت برب موسى وهرون فارسل اليها فرعون فقال انظروا اعظم صخرة تجدونها فان مضت على قولها فالقوها عليها وان رجعت عن قولها فهي امرأته فلما اتوها رفعت بصرها الى السماء فابصرت بيتها في الجنة فمضت على قولها وانتزع روحها والقيت الصخرة على جسد لا روح فيه فاختارت بقولها رب ابن لي عندك بيتا في الجنة الجار ثم الدار وقد ورد بعض هذا في حديث مرفوع ونجني من فرعون وعمله اي خلصني منه فاني ابرأ اليك من عمله ونجني من القوم الظالمين اي الكافرين وهذه المرأة هي آسية بنت مزاحم رضي الله عنها وعن ابي العالية كان ايمان امرأة فرعون من جهة ايمان امرأة خازن فرعون وذلك انها جلست تمشط ابنة فرعون فوقع المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت لها ابنة فرعون ولك رب غير ابي قالت نعم ربي ورب ابيك ورب كل شيء الله فلطمتها ابنة فرعون وضربتها واخبرت اباها فارسل اليها فرعون فقال تعبدين ربا غيري قالت نعم ربي وربك ورب كل شيء الله واياه اعبد فعذبها فرعون فاوتد لها اوتادا فشد يديها ورجليها وارسل اليها الحيات فكانت كذلك فاتى عليها يوما فقال لها ما انت منتهية فقالت له ربي وربك ورب كل شيء الله فقال لها اني ذابح ابنك في فيك ان لم تفعلي فقالت له اقض ما انت قاض فذبح ابنها في فيها وان روح ابنها بشرها فقال لها ابشري يا امه فان لك عند الله من الثواب كذا وكذا فصبرت ثم اتى عليها فرعون يوما آخر فقال لها مثل ذلك فقالت له مثل ذلك فذبح ابنها الآخر في فيها فبشرها روحه ايضا وقال لها اصبري يا امه فان لك من الثواب كذا وكذا وسمعت امرأة فرعون كلام روح ابنها الاكبر ثم الاصغر فآمنت امرأة فرعون وقبض روح امرأة الخازن وكشف الغطاء عن ثوابها ومنزلها وكرامتها

[illegible]

قال المفسرون لما غلب موسى السحرة آمنت امراة فرعون فلما تبين لفرعون اسلامها اوتد يديها ورجليها باربعة اوتاد والقاها في الشمس

في الجنة

في الجنة لامرأة فرعون حتى رأت فازدادت ايمانا ويقينا وتصديقا فاطلع الله فرعون على ايمانها فقال للملأ ما تعلمون من آسية بنت مزاحم فاثنوا عليها فقال لهم انها تعبد غيري فقالوا له اقتلها فاوتد لها اوتادا فشد يديها ورجليها فدعت آسية ربها فقالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فوافق ذلك ان حضرها فرعون فضحكت حين رأت بيتها في الجنة فقال فرعون الا تعجبون من جنونها انا نعذبها وهي تضحك فقبض الله روحها وقوله ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها اي حفظته وصانته والاحصان هو العفاف والحرية فنفخنا فيه من روحنا اي بواسطة الملك وهو جبريل فان الله بعثه اليها فتمثل لها في صورة بشر سوي وامره الله تعالى ان ينفخ بفيه في جيب درعها فنزلت النفخة فولجت في فرجها فكان منه الحمل بعيسى عليه السلم ولهذا قال فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه اي بقدره وشرعه والمراد ما نزل على الانبياء من الكتب والصحف وكانت من القانتين اي من القوم المطيعين لربها المصلحين لدينه عن ابن عباس قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم في الارض اربعة خطوط وقال اتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل نساء اهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون رواه احمد وقد ثبت في الصحيحين عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وان فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وقد ورد في الحديث المعتبر ان مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم من ازواج نبينا عليه الصلوة والسلام في الجنة كما سبق في سورة السابقة في تفسير قوله ثيبات وابكارا

تفسير سورة الملك وهي مكية عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان سورة في القرآن ثلثين آية شفعت لصاحبها حتى غفر له تبارك الذي بيده الملك رواه اهل السنن الاربع وحسنه الترمذي وعن ابن عباس قال ضرب بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا فيه انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائي على قبر وانا لا احسب انه قبر فاذا انسان يقرأ سورة تبارك حتى ختمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر رواه الترمذي وروى ايضا عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك وفي مسند عبد بن حميد عن ابن عباس انه قال لرجل الا اتحفك بحديث تفرح به قال بلى قال اقرأ تبارك الذي بيده الملك وعلمها اهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل او تخاصم يوم القيمة عند ربها لقاريها وتطلب له الجنة ان ينجيه من عذاب النار وينجي بها صاحبها من عذاب القبر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوددت انها في قلب كل انسان من امتي رواه الطبراني مختصرا **بسم الله الرحمن الرحيم**

تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير مجد تعالى نفسه الكريمة واخبر انه بيده الملك اي هو المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله ولهذا قال وهو على كل شيء قدير ثم قال الذي خلق الموت والحيوة فيه دليل بان الموت امر وجودي لانه مخلوق ومعنى الآية انه اوجد الخلائق من العدم ليختبرهم ايهم احسن عملا كما قال كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم فسمى الحال الاول وهو العدم

[illegible]

الحيوة ما يوجب كون الشيء حيا والحي هو الذي يصح منه ان يعلم ويقدر والموت عدم ذلك عنه ومعنى خلق الموت والحيوة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحيوتكم ايها المكلفون ليبلوكم وسمي علم الواقع منهم باختيارهم بلوى وهي الخبرة مستعارة من فعل المختبر

[illegible]

موتا وتسمى هذه النشأة حيوة ولهذا قال ثم يميتكم ثم يحييكم وقال قتادة في قوله الذي خلق الموت والحيوة كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان الله اذل بني آدم بالموت وجعل الدنيا دار حيوة ثم دار موت وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء
رواه ابن ابي حاتم وقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا كما قال ابن عجلان ولم يقل اكثر عملا وهو العزيز الغفور اى هو العظيم المنيع الجناب
وهو مع ذلك غفور لمن تاب اليه واناب بعد ما عصاه ويرحم ويصفح ثم قال الذي خلق سبع سموات طباقا اى طبقة بعد طبقة
وهل هن متواصلات بمعنى انهن علويات بعضهن على بعض او متفاصلات بينهن خلاء فيه قولان اصحهما الثاني كما دل على ذلك
حديث الاسراء وغيره ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اى من اعوجاج واختلاف بل هو مستقيم مستو واصله من الفوت
وهو ان يفوت بعضه بعضا لقلة استوائها بمعنى ليس فيه نقص ولا خلل ولا عيب ولهذا قال فارجع البصر هل ترى من فطور
اى انظر الى السماء فتأملها هل ترى فيها عيبا او نقصا او فطورا اى شقوقا وقيل خروقا والخطاب لابن آدم وقوله ثم
ارجع البصر كرتين اي مرتين ينقلب اليك البصر خاسئا قال ابن عباس اى ذليلا صاغرا وهو حسير اى كليل قال مجاهد وغيره الحسير
المنقطع من الاعياء ومعنى الآية انك لو كررت البصر مهما كررت لانقلب ويرجع اليك البصر خاسئا عن ان يرى عيبا او خللا
وهو كليل قد انقطع من الاعياء من كثرة التكرر ولم ير نقصا ولما نفى عنها النقص بين كمالها وزينتها فقال ولقد زينا السماء الدنيا
بمصابيح وهي الكواكب التي وضعت فيها من السيارات والثوابت وقوله وجعلناها رجوما للشياطين ضمير المفعول عائد على جنس
المصابيح لا على عينها لانه لا يرمى بالكواكب التي في السماء بل بشهب من دونها وقد تكون مستمدة منها وقوله واعتدنا لهم عذاب
السعير اى جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدنيا واعتدنا لهم العذاب في العقبى كما سبق في اول الصافات انا زينا السماء الدنيا
بزينة الكواكب الآية وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي
تفور تكاد تميز من الغيظ كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير
فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب
السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير يعني واعتدنا للذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المآل والمنقلب اذا
القوا فيها سمعوا لها شهيقا قال ابن جرير يعني الصياح وهي تفور اى تغلي بهم كما يغلي الحب القليل في الماء الكثير وقوله تكاد تميز من الغيظ
اي تنفصل بعضها من بعض من شدة غيظها عليهم وحنقها بهم كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها سؤال توبيخ الم ياتكم نذير اى
رسول ينذركم يذكر تعالى عدله في خلقه وانه لا يعذب احدا الا بعد قيام الحجة عليه وارسال الرسول اليه كما قال حتى اذا جاؤها فتحت
ابوابها وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم الآية ولهذا عادوا على انفسهم بالملامة وندموا حيث لا تنفعهم الندامة فقالوا لو كنا
نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير اى لو كانت لنا عقول ننتفع بها او نسمع ما انزله الله من الحق لما كنا على ما كنا عليه من الكفر
بالله والاغترار به ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل ولا عقل يرشدنا الى اتباعهم قال تعالى فاعترفوا بذنبهم فسحقا
لاصحاب السعير وفي مسند احمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لن يهلك الناس حتى يعذروا من انفسهم وفي حديث آخر لا يدخل
احد النار الا وهو يعلم ان النار اولى به من الجنة ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير واسروا
قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير هو الذي جعل لكم
الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور اخبر تعالى عمن يخاف مقام ربه فيما بينه و
بينه اذا كان غائبا عن الناس فينكف عن المعاصي ويقوم بالطاعات حيث لا يراه احد الا الله بان له مغفرة واجر كبير اى يكفر عنه
ذنوبه ويجازيه بالثواب الجزيل كما ثبت في الصحيحين سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله فذكر منهم رجلا دعته امراة

ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما ينفق يمينه وفي مسند الحافظ البزار
عن انس قال قالوا يا رسول الله انا نكون عندك على حال فاذا فارقناك كنا على غيره قال كيف انتم وربكم قالوا الله ربنا في السر و
العلانية قال ليس ذلكم النفاق وله شاهد في الصحيح من حديث حنظلة الاسيدي حيث قال له ولكن يا حنظلة ساعة فساعة
ثم قال تعالى منبها على انه مطلع على الضمائر والسرائر واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور اى بما يخطر في القلوب
الا يعلم من خلق اي الا يعلم الخالق اى الله مخلوقه وهو اللطيف اى في علمه بما في القلوب الخبير بما فيها من الشر والوسوسة ثم
ذكر نعمته على خلقه في تسخيره لهم الارض وتذليله اياها لهم بان جعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب بما جعل فيها
من الجبال وانبع فيها من العيون وسلك فيها من السبل وهيا فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار فقال هو الذي
جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها اى فسافروا حيث شئتم من اقطارها وترددوا في اقاليمها وارجائها في انواع المكاسب
والتجارات واعلموا ان سعيكم لا يجدي عليكم شيئا الا ان ييسره الله لكم ولهذا قال وكلوا من رزقه واليه النشور اى المرجع يوم
القيامة وقال ابن عباس وقتادة مناكبها الجبال وبه قال ابو الدرداء ءامنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض
فاذا هي تمور ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ولقد كذب الذين من قبلهم
فكيف كان نكير اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شيء بصير
وهذا ايضا من لطفه ورحمته بخلقه انه قادر على تعذيبهم بسبب كفر بعضهم به وعبادتهم معه غيره ومع هذا يحلم ويصفح ويؤجل
ولا يعجل كما قال ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا الآية وقال ههنا ءامنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور اي
تذهب وتجيء وتضطرب ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا اى ريحا فيها حصباء تدمغكم كما قال او يرسل عليكم حاصبا
ثم لا تجدوا لكم وكيلا وهكذا توعدهم ههنا فستعلمون كيف نذير اى كيف يكون انذاري وعاقبة من خالفه وكذب به ثم
قال ولقد كذب الذين من قبلهم اى من الامم السالفة والقرون الخالية فكيف كان نكير اي فكيف كان انكاري عليهم و
معاقبتي لهم اى عظيما شديدا اليما ثم قال تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن اى تارة يصففن اجنحتهن
في الهواء وتارة تجمع جناحا وتنشر جناحا ما يمسكهن في الهواء الا الرحمن اى بما سخر لهن في الهواء من رحمته ولطفه
انه بكل شيء بصير اى بما يصلح كل شيء من مخلوقاته وهذه كقوله الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء الآية امن هذا الذي
هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا في غرور امن هذا الذي يرزقكم ان امسك
رزقه بل لجوا في عتو ونفور افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم قل هو
الذي انشاكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون قل هو الذي ذراكم في الارض
واليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين
فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون ينكر تعالى على المشركين
الذين عبدوا غيره من الاصنام ويبتغون عندهم النصر والرزق فيما اعتقدوه واخبرهم انه لا يحصل لهم ما املوه فقال امن
هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن اي ليس لهم من دونه ولي ولا واق ولا ناصر لكم غيره ولهذا قال ان الكافرون
الا في غرور اي بان الشيطان يغرهم بان العذاب لا ينزل بهم ثم قال امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه اى من هو الذي
اذا قطع الله رزقه عنكم يرزقكم بعده اى لا احد يعطي ويمنع ويخلق ويرزق الا الله وحده لا شريك له اى وهم يعلمون ذلك
ومع هذا يعبدون غيره ولهذا قال بل لجوا اي استمروا في طغيانهم وافكهم وضلالهم في عتو ونفور اى معاندة واستكبارا

ونفوراً على ادبارهم عن الحق ثم قال أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم وهذا مثل ضربه للمؤمن والكافر فالكافر مثله بانه كمثل من يمشي مكباً على وجهه اي منحنياً لا مستوياً على وجهه اي لا يدري اين يسلك ولا كيف يذهب بل تائه حائر ضال اهذا اهدى امن يمشي سوياً اي منتصب القامة على صراط مستقيم اي على طريق واضح بين وهو في نفسه مستقيم وطريقه مستقيمة هذا مثلهم في الدنيا وكذلك يكونون في الآخرة فالمؤمن يحشر يمشي سوياً على صراط مستقيم مفض به الى الجنة واما الكافر فانه يحشر يمشي على وجهه الى نار جهنم وفي الصحيحين عن انس قال قيل يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم قال الذي امشاهم على ارجلهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم وقوله قل هو الذي انشأكم اي انشأ خلقكم بعد ان لم تكونوا شيئاً مذكوراً وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اي العقول والادراك قليلاً ما تشكرون اي ما اقل ما تستعملون هذه القوى التي انعم الله بها عليكم في طاعته وامتثال اوامره وترك زواجره قل هو الذي ذرأكم في الارض اي خلقكم ونشركم في اقطار الارض وارجائها مع اختلاف السنتكم في لغاتكم والوانكم واشكالكم وصوركم واليه تحشرون اي تجمعون بعد هذا التفرق والشتات فيجمعكم كما فرقكم ويعيدكم كما بدأكم ثم قال مخبراً عن الكفار المنكرين للمعاد المستبعدين وقوعه ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين اي متى يقع هذا الذي تخبرنا من الاجتماع بعد هذا التفرق قل انما العلم عند الله اي لا يعلم وقت ذلك على التعيين الا الله لكنه امرني ان اخبركم ان هذا كائن وواقع لا محالة فاحذروه وانما انا نذير مبين وانما علي البلاغ وقد اديته اليكم ثم قال تعالى فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا اي لما قامت القيامة وشاهدها الكفار ورأوا ان الامر كان قريباً لان كل ما هو آت آت وان طال زمنه ووقع ما كذبوا به ساءهم ذلك لما يعلمون ما لهم هناك من الشر اي فاحاط بهم ذلك وجاءهم الحق من كل مكان وبدا لهم سيئات ما عملوا ولهذا قال لهم على وجه التقريع والتوبيخ هذا الذي كنتم به تدعون اي تستعجلون قل ارأيتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الجاحدين لنعمه ارأيتم ان اهلكني الله ومن معي اي من المؤمنين او رحمنا وابقانا واخر في آجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اي خلصوا انفسكم فانه لا منقذ لكم من عذاب الله الا التوبة والانابة والرجوع الى دينه ولا ينفعكم وقوع ما تتمنون لنا من العذاب والنكال فسواء عذبنا الله او رحمنا فلا مخلص لكم من نكاله وعذابه الواقع بكم ثم قال قل هو الرحمن آمنا به اي برب العالمين وعليه توكلنا اي في جميع امورنا كما قال فاعبده وتوكل عليه ولهذا قال فستعلمون من هو في ضلال مبين اي منا ومنكم ولمن تكون العاقبة في الدار الدنيا ثم قال قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غوراً اي ذاهباً في الارض الى اسفل فلا ينال بالفؤوس الحداد ولا السواعد الشداد والغائر عكس النابع ولهذا قال فمن يأتيكم بماء معين اي نابع سائح جار على وجه الارض اي لا يقدر على ذلك الا الله تعالى فمن فضله وكرمه ان انبع لكم المياه واجراها في سائر الاقطار بحسب ما يحتاج اليه العباد والله اعلم

تفسير سورة ن وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجراً غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين سبق الكلام على الحروف في اول سورة البقرة وان قوله ن كقوله ص ق ونحو ذلك اغنى عن اعادته وقيل المراد به حوت عظيم على تيار الماء العظيم المحيط وهو حامل الارضين السبع كما قال ابن عباس اول ما خلق الله القلم قال اكتب قال وما اكتب قال القدر فجرى بما يكون من ذلك اليوم الى قيام الساعة ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال فانها لتفخر على الارض ثم قرأ ن والقلم وما يسطرون رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وقد ذكر البغوي وبعض المفسرين ان على ظهر هذا الحوت صخرة سمكها كغلظ

حروفه

السموات والارض وعلى ظهرها ثور له اربعون الف قرن وعلى متنه الارضون السبع وما فيهن والله اعلم والعجب ان بعضهم حمل على هذا المعنى الحديث الذي في الصحيحين ان عبد الله بن سلام لما بلغه مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اتاه فسأله عن اشياء لا يعلمها الا نبي قال ما اول اشراط الساعة وما اول طعام يأكله اهل الجنة وما بال الولد ينزع الى ابيه او امه فقال اخبرني بهن جبريل آنفاً قال ابن سلام فذاك عدو اليهود من الملائكة قال اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واول طعام يأكله اهل الجنة زيادة كبد حوت واما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد واذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت وعن ثوبان ان حبراً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم مسائل فكان منها فما تحفتهم يعني اهل الجنة حين يدخلونها قال زيادة كبد حوت قال فما غذاؤهم على اثرها قال ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من اطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين تسمى سلسبيلاً رواه مسلم وقيل ان المراد بقوله ن لوح من نور كما روى ابن جرير مرسلاً ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ن والقلم وما يسطرون لوح من نور وقلم من نور يجري بما هو كائن الى يوم القيامة وقيل المراد بقوله ن دواة والقلم القلم وبه قال الحسن وقتادة وعن ابن عباس قال ان الله خلق النون وهي الدواة وخلق القلم فقال اكتب قال وما اكتب قال اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة من عمل معمول به او فجور او رزق مقسوم او حلال او حرام ثم الزم كل شيء من ذلك شأنه دخوله في الدنيا ومقامه فيها كم وخروجه منها كيف ثم جعل على العباد حفظة وللكتاب خزاناً فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم فاذا فني الرزق وانقطع الاثر وانقضى الاجل اتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم فتقول لهم الخزنة ما نجد لصاحبكم عندنا شيئاً فترجع الحفظة فيجدونهم قد ماتوا رواه ابن جرير وقوله والقلم الظاهر انه جنس القلم الذي يكتب به كقوله اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فهو قسم منه تعالى وتنبيه لخلقه على ما انعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم ولهذا قال وما يسطرون قال ابن عباس وغيره اي وما يكتبون وقيل وما يعملون يعني الملائكة وما يكتبون من اعمال العباد وقال آخرون بل المراد القلم الذي اجراه الله بالقدر حين كتب مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة كما روى عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اول ما خلق الله القلم قال اكتب فقال يا رب ما اكتب قال اكتب القدر ما كان وما هو كائن الى الابد رواه احمد وابو داود والترمذي وقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون اي لست ولله الحمد بمجنون كما قد يقوله الجهلة من قومك المكذبون بما جئتهم من الهدى والحق المبين فنسبوك فيه الى الجنون وقوله وان لك لاجراً غير ممنون اي بل لك الاجر العظيم والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد على ابلاغك رسالة ربك الى الخلق وصبرك على اذاهم ومعنى غير ممنون اي غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ فلهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع عنهم وقال مجاهد اي غير محسوب وهو راجع الى ما قلنا وقوله وانك لعلى خلق عظيم قال ابن عباس وانك لعلى دين عظيم وقال قتادة سئلت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن تقول كما هو في القرآن كما قال سعد بن هشام سألت عائشة فقلت اخبريني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الست تقرأ القرآن قلت نعم فقالت خلقه القرآن رواه مسلم وفي رواية ابن جرير اما تقرأ وانك لعلى خلق عظيم ولابي داود والنسائي نحوه ومعنى هذا انه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن امراً ونهياً سجية له وخلقاً تطبعه فمهما امره القرآن فعله ومهما نهاه عنه تركه هذا مع ما جبله الله من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل كما ثبت في الصحيحين عن انس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط ولا قال لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم افعله الا فعلته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس خلقاً ولا مسست خزاً ولا حريراً ولا شيئاً كان الين من كف رسول الله

صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا ولا عطرا كان اطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن البراء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسن الناس خلقا ليس بالطويل ولا بالقصير والاحاديث في هذا كثيرة وعن ابي هريرة قال قيل يا رسول الله ادع على المشركين قال اني لم ابعث لعانا وانما بعثت رحمة رواه مسلم وقوله فستبصر ويبصرون بايكم المفتون اي فستعلم يا محمد ويعلم مخالفوك ومكذبوك يعني يوم القيمة من المفتون منك ومنهم كقوله ستعلمون غدا من الكذاب الاشر وكقوله وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وقيل بايكم المفتون اي المجنون وقيل اي اولى بالشيطان ومعنى المفتون الذي قد افتتن عن الحق وضل عنه وانما دخلت الباء في قوله بايكم المفتون ليدل على تضمين الفعل في قوله فستبصر ويبصرون وتقديره فستعلم ويعلمون او فستخبر ويخبرون بايكم المفتون ثم قال تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي هو تعالى يعلم اي الفريقين منكم ومنهم هو المهتدي ويعلم الحزب الضال عن الحق **فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين سنسمه على الخرطوم** اي كما انعمنا عليك واعطيناك الشرع المستقيم والخلق العظيم فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن قال ابن عباس اي لو ترخص لهم فيرخصون وقال مجاهد ودوا لو تركن الى الهتهم وتترك ما انت عليه من الحق ثم قال تعالى ولا تطع كل حلاف مهين وذلك لان الكاذب لضعفه ومهانته انما يتقي بايمانه الكاذبة التي يجترئ بها على اسماء الله واستعمالها في كل وقت في غير محلها قال الحسن اي كل حلاف مكابر ضعيف القلب والمهين الضعيف وقوله هماز اي كثير الغيبة مشاء بنميم يعني الذي يمشي بين الناس يحرش بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين وهي الحالقة كما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير اما احدهما فكان لا يستتر من البول واما الاخر فكان يمشي بالنميمة الحديث وعن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة قتات رواه احمد وكذا اهل الصحاح والسنن والقتات النمام وعن اسماء بنت يزيد بن السكن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بخياركم قالوا بلى يا رسول الله قال الذين اذا ذكر الله ثم قال الا اخبركم بشراركم المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون البراء العنت رواه احمد وابن ماجه وقوله مناع للخير معتد اثيم اي يمنع ما عليه وما لديه من الخير معتد في تناول ما احل الله يتجاوز عن الحد المشروع اثيم اي يتناول المحرمات وقوله عتل بعد ذلك زنيم اما العتل فهو الفظ الغليظ الجموع المنوع وفي الصحيحين عن حارثة بن وهب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم باهل الجنة كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره الا انبئكم باهل النار كل عتل جواظ جعظري مستكبر قال اهل اللغة الجعظري الفظ الغليظ والجواظ الجموع المنوع وعن عبد الرحمن بن غنم قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العتل الزنيم قال هو الشديد الخلق المصحح الاكول الشروب الواجد للطعام والشراب الظلوم للناس رحيب الجوف رواه احمد وعنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة الجواظ الجعظري والعتل الزنيم قال ابن عباس كان رجل من قريش له زنمة كزنمة الشاة ومعناه انه كان مشهورا بالسوء كشهرة الشاة ذات الزنمة من بين اخواتها واما الزنيم في اللغة هو الدعي في القوم قال حسان بن ثابت في ذم بعض كفار قريش

وانت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وقال الاخر

زنيم ليس يعرف من ابوه بغي الام ذو حسب لئيم

وقال ابن عباس هو الدعي الفاحش اللئيم ويقال هو الاخنس بن شريق وقيل هو الاسود بن عبد يغوث الزهري والاول الراجح وقال ابن جبير هو الملحق بالقوم ليس منهم وقال عكرمة هو ولد الزنا وقيل هو الذي يعرف بالشر وقوله ان كان

عن عبد الله بن عمرو قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول خياركم احسنكم اخلاقا عن انس ان امراة عرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق من طرق المدينة فقالت يا رسول الله ان لي اليك حاجة قال يا ام فلان اجلسي في اي سكك المدينة شئت اجلس اليك قال ففعلت فقعد اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قضت حاجتها عن انس بن مالك قال كانت الامة من اماء اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صافح الرجل لم ينزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه عن وجهه ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له

بالنميمة

ذا مال

ذا مال وبنين اي لان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين يعني ههنا مقابله ما انعم الله عليه من المال والبنين كفر بايات الله واعرض عنها وزعم ان هذا كذب ماخوذ من اساطير الاولين كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا الى قوله ان هذا الا قول البشر قال تعالى ساصليه سقر وقال ههنا سنسمه على الخرطوم هو الانف اي سنلحق به شيئا لا يفارقه ابدا وقيل يسود وجهه بسمة اهل النار ليكون له علما في الاخرة يعرف به وقال ابن عباس اي يقاتل يوم بدر فيخطم بالسيف في القتال قال ابن جرير لا يشبع اجتماع الجميع عليه في الدارين وهو متجه **انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فاصبحت كالصريم فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين فلما راوها قالوا انا لضالون بل نحن محرومون قال اوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون كذلك العذاب ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون** هذا مثل ضربه الله لكفار قريش فيما اهدى اليهم من الرحمة العظيمة واعطاهم من النعمة الجسيمة وهو بعثة محمد صلى الله عليه وسلم اليهم فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة ولهذا قال انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة وهي البستان المشتمل على انواع الثمار والفواكه اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين اي حلفوا ايمانهم ليجذن ثمرها اذا اصبحوا قبل ان يعلم الفقراء والمساكين ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء ولا يستثنون اي لم يقولوا ان شاء الله فيما حلفوا به ولهذا حنثهم الله في ايمانهم فقال فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون اي اصابتها آفة سماوية فاصبحت كالصريم قال ابن عباس اي كالليل الاسود وقال السدي وغيره مثل الزرع اذا حصد فهو هشيم يابس فتنادوا مصبحين اي لما كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضا ليذهبوا الى الجداد ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين اي تريدون الصرام قال مجاهد كان حرثهم عنبا فانطلقوا وهم يتخافتون اي يتناجون فيما بينهم بحيث لا يسمع احد كلامهم ثم فسر الله عالم السر والنجوى ما كانوا يتناجون به فقال فانطلقوا وهم يتخافتون ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين اي يقول بعضهم لبعض لا تمكنوا اليوم فقيرا يدخلها عليكم ولا مسكينا قال تعالى وغدوا على حرد اي قوة وشدة وحرد من المساكين قادرين على صرم ثمرها فيما يظنون ويحسبون فلما راوها قالوا انا لضالون اي فلما اشرفوا عليها وقد استحالت عن النضارة والزهرة وكثرة الثمار الى ان صارت سوداء مدلهمة لا ينتفع بشيء منها فتوهموا انه قد اخطاوا الطريق ولهذا قالوا انا لضالون اي اضللنا الطريق ليست هذه بجنتنا قال ابن عباس ثم رجعوا عما كانوا فيه وتيقنوا انما هي فقالوا بل نحن محرومون اي بل هي هذه ولكن نحن لا حظ لنا ولا نصيب قال اوسطهم قال ابن عباس وغير واحد اي اعدلهم وخيرهم الم اقل لكم لولا تسبحون قال مجاهد وغير واحد اي لولا تستثنون وكان استثناؤهم في ذلك الزمان تسبيحا قال ابن جريج وهو قول القائل ان شاء الله وقيل هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما اعطاكم وانعم به عليكم قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اي يلوم بعضهم بعضا على ما كانوا اصروا عليه من منع المساكين من حق الجداد فما كان جواب بعضهم لبعض الا الاعتراف بالذنب قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين اي باغين فيما منعنا حق المساكين ثم رجعوا على انفسهم فقالوا عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون قيل رغبوا في بذلها لهم في الدنيا وقيل احتسبوا ثوابها في الاخرة والله اعلم ثم قيل ان هؤلاء كانوا من اهل اليمن من قرية يقال لها ضروان على ستة اميال من صنعاء وقال سعيد بن جبير كانوا من الحبشة

وكان ابوهم قد خلف لهم هذه الجنة وكانوا من اهل الكتاب وكان ابوهم يسير فيها بسيرة حسنة وكان يستغله منها يرد فيها ما يحتاج اليه ويدخر لعياله قوت سنتهم ويتصدق بالفاضل فلما مات وورثه بنوه قالوا لقد كان ابونا احمق اذ كان يصرف من هذه شيئا على الفقراء والمساكين ولو انا منعناهم لتوفر ذلك علينا فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم فاذهب الله ما بايديهم بالكلية راس المال والربح والصدقة فلم يبق لهم شيء قال الله تعالى كذلك العذاب اي هكذا عذاب من خالف امر الله وبخل بما آتاه الله ومنع حق المسلمين والمستحقين وبدل نعمة الله كفرا ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون اي هذه عقوبة الدنيا كما سمعتم به وعذاب الآخرة اشق وعن علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الجداد بالليل والحصاد بالليل رواه البيهقي ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ام لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيمة ان لكم لما تحكمون سلهم ايهم بذلك زعيم ام لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين لما ذكر تعالى حال اهل الجنة الدنيوية وما اصابهم فيها من النقمة حين عصوا الله وخالفوا امره بين ان لمن اتقاه واطاعه في الآخرة جنات النعيم التي لا تبيد ولا تفرغ ولا ينقضي نعيمها ثم قال افنجعل المسلمين كالمجرمين اي انساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء كلا ورب الارض والسماء ولهذا قال ما لكم كيف تحكمون اي كيف تظنون ذلك ثم قال ام لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون يعني ابايديكم كتاب منزل من السماء تدرسونه وتحفظونه وتتداولونه بنقل الخلف عن السلف يتضمن حكما مؤكدا كما تدعونه ان لكم فيه لما تخيرون اي تختارون وتشتهون ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيمة ان لكم لما تحكمون اي امعكم عهود منا ومواثيق مؤكدة ان لكم لما تحكمون اي انه سيحصل لكم ما تريدون وتشتهون سلهم ايهم بذلك زعيم اي قل لهم من المتضمن المتكفل بهذا ام لهم شركاء اي من الاصنام والانداد فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين ام تسئلهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون لما ذكر تعالى ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم بين متى ذلك كائن وواقع فقال يوم يكشف عن ساق يعني يوم القيمة وما يكون فيه من الاهوال والزلازل والامور العظام كما في الصحيحين عن ابي سعيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول يوم يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا الحديث بطوله وقال ابن مسعود يوم يكشف عن امر عظيم كقول الشاعر سالت الحرب عن ساق وقال ابن عباس هو يوم كرب وشدة وهي اول ساعة واشدها يوم القيمة وهو الامر الشديد الفظيع من هول ذلك اليوم و عنه ايضا حين يكشف الامر وتبدو الاعمال وكشفه دخول الآخرة وكشف الامر عنه ذكره ابن جرير وقوله خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة اي يوم القيمة بجرائمهم وكبرهم في الدنيا عوقبوا بنقيض ما كانوا عليه فلما دعوا الى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم كذلك عوقبوا في الآخرة بعدم قدرتهم عليه اذا تجلى الرب فيسجد له المؤمنون ولا يستطيع احد من الكافرين ولا المنافقين ان يسجد بل يعود ظهر احدهم طبقا واحدا كلما اراد ان يسجد خر على قفاه عكس السجود كما كانوا في الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون ترهقهم اي تغشاهم ذل الندامة والحسرة ثم قال تعالى فذرني ومن يكذب بهذا الحديث اي فدعني والمكذبين بالقرآن فانا اعلم بهم كيف امدهم في غيهم وهذا تهديد شديد ولهذا قال سنستدرجهم اي سنأخذهم

وكان يترك للمساكين ما اخطاه المنجل وما في اسفل الاكداس وما اخطاه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة اذا صرمت وكان يجتمع لهم شيء كثير

ويدعون الى السجود فلا يستطيعون

وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون

قال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الآية الا في الذين يتخلفون عن الجماعات

قال ابراهيم التيمي يعني الى الصلوة المكتوبة بالاذان والاقامة

عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري ان ناسا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال ما تضارون في رؤية الله يوم القيمة الا كما تضارون في رؤية احدهما اذا كان يوم القيمة اذن مؤذن ليتبع كل امة ما تعبد فلا يبقى احد كان يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبر اهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من ولد ولا صاحبة فماذا تبغون فقالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون الى النار كانها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار ثم يدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون الى جهنم كانها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر اتاهم رب العالمين في ادنى صورة من التي رأوه فيها قال فماذا تنتظرون تتبع كل امة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا افقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله لا نشرك بالله شيئا مرتين او ثلاثا حتى ان بعضهم ليكاد ان ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا اذن الله له بالسجود فلا يبقى من كان يسجد اتقاء او رياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما اراد ان يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها اول مرة فقال انا ربكم فيقولون انت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من احد منكم باشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيمة لاخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن امرتنا احدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد الخدري يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فيقول الله شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحيوة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها تكون الى الحجر والى الشجر ما يكون الى الشمس اصيفر واخيضر ومنها ما يكون منها الى الظل يكون ابيض فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم تعرفهم اهل الجنة هؤلاء عتقاء الله من النار الذين ادخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول لكم عندي افضل من هذا فيقولون يا ربنا اي شيء افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم بعده ابدا

رواه محيي السنة في المعالم

ق ابوهريرة وابوسعيد هل تضارون في القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون في الشمس
ليس دونها سحاب قالوا لا قال فانكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيمة فيقول من كان يعبد شيا فليتبعه فيتبع
من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الامة
فيها منافقوها فياتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مقامنا حتى ياتينا
ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فياتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه ويضرب
الصراط بين ظهري جهنم فاكون انا وامتي اول من يجيز ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم
سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رايتم شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فانها مثل شوك
السعدان غير انه لا يعلم ما قدر عظمها الا الله تخطف الناس باعمالهم فمنهم الموبق بعمله ومنهم المخردل حتى ينجى
حتى اذا فرغ الله من القضاء بين العباد واراد ان يخرج برحمته من اراد من اهل النار امر الملئكة ان يخرجوا من
النار من كان لا يشرك بالله شيا ممن اراد الله ان يرحمه ممن يقول لا اله الا الله فيعرفونهم في النار يعرفونهم باثر السجود
تاكل النار من ابن آدم الا اثر السجود حرم الله على النار ان تاكل اثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم
ماء الحيوة فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه
على النار وهو آخر اهل الجنة دخولا الجنة فيقول اي رب اصرف وجهي عن النار فانه قد قشبني ريحها واحرقني
ذكاها فيدعو الله ما شاء الله ان يدعوه ثم يقول الله هل عسيت ان فعلت ذلك بك ان تسال غيره فيقول لا اسالك
غيره فيعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء فيصرف الله وجهه عن النار فاذا اقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء
الله ان يسكت ثم يقول اي رب قدمني الى باب الجنة فيقول الله له اليس قد اعطيت عهودك ومواثيقك لا تسالني
غير الذي اعطيتك ويلك يا ابن ادم ما اغدرك فيقول اي رب يدعو الله حتى يقول له فهل عسيت ان اعطيتك
ذلك ان تسل غيره فيقول لا وعزتك فيعطي ربه ما شاء الله من عهود ومواثيق فيقدمه الى باب الجنة فاذا قام على باب
الجنة انفهقت له الجنة فراى ما فيها من الحبرة والسرور فيسكت ما شاء الله ان يسكت ثم يقول اي رب ادخلني الجنة
فيقول الله له اليس قد اعطيت عهودك ومواثيقك ان لا تسل غير ما اعطيت ويلك يا ابن آدم ما اغدرك فيقول
اي رب لا اكونن اشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله منه فاذا ضحك الله منه قال ادخل الجنة فاذا
دخلها قال الله له تمنه فيسال ربه ويتمنى حتى ان الله ليذكره يقول من كذا وكذا حتى اذا انقطعت به الاماني
قال الله لك ذلك ومثله معه اورده الصغاني في المشارق

بالعذاب من حيث لا يعلمون بل يعتقدون ان ذلك من الله كرامة لهم وهو في نفس الامر اهانة كما قال ايحسبون انما نمدهم
به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ولهذا قال ههنا واملي لهم ان كيدي متين اي واوخرهم و
انظرهم وامدلهم وذلك من كيدي ومكري بهم وان كيدي عظيم لمن خالف امري وكذب رسلي وفي الصحيحين عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرا وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان
اخذه اليم شديد وقوله ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون سبق تفسيره في سورة الطور و
المعنى في ذلك انك يا محمد تدعوهم الى الله بلا اجر تاخذه منهم بل ترجو ثواب ذلك من عند الله وهم يكذبون ما جئتهم به بمجرد الجهل
والكفر والعناد فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا ان تداركه
نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين وان يكاد الذين كفروا
ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين يعني فاصبر
يا محمد على اذى قومك لك وتكذيبهم فان الله سيحكم لك عليهم ويجعل العاقبة لك ولاتباعك في الدارين ولا تكن كصاحب الحوت يعني
ذا النون وهو يونس بن متى حين ذهب مغاضبا على قومه فكان من امره ما كان من ركوبه البحر والتقام الحوت له وشروده
به في البحار وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلي القدير فحينئذ نادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قال
الله سبحانه فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين وقال ههنا اذ نادى ربه وهو مكظوم قال ابن عباس وغير واحد
اي مغموم مكروب وقد سبق في الحديث انه لما قال لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين خرجت الكلمة تحن حول العرش
فقالت الملئكة يا رب هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غربة فقال الله اما تعرفون هذا قالوا لا قال هذا يونس قالوا يا رب
عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة قال نعم قالوا افلا ترحم ما كان يعمله في الرخاء فتنجيه في البلاء فامر الله
الحوت فالقاه بالعراء لولا ان تداركه اي ادركه نعمة من ربه اي حين رحمه وتاب عليه لنبذ بالعراء اي لطرح بالفضاء من
بطن الحوت وهو مذموم اي يلام بالذنب ولهذا قال فاجتباه ربه اي اصطفاه ربه فجعله من الصالحين وقد قال
ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لاحد ان يقول انا خير من يونس بن متى رواه البخاري وقوله و
ان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم اي لينفذونك يعني يحسدونك لبغضهم اياك ويعينونك بابصارهم لولا
وقاية الله لك وحمايته اياك منهم وفي الاية دليل على ان اصابة العين وتاثيرها حق بامر الله كما وردت بذلك احاديث
منها عن بريدة بن الحصيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا رقية الا من عين او حمة رواه ابن ماجه مرفوعا
وفي الصحيحين والترمذي وغيره عن حابس التميمي انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا شي في الهام والعين حق واصدق الطيرة
الفال رواه احمد والترمذي وغيره وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم العين حق ولو كان شي سابق القدر سبقته العين
واذا استغسلتم فاغسلوا رواه مسلم وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين يقول اعيذكما
بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ويقول هكذا كان ابرهيم يعوذ اسحق واسمعيل رواه البخاري وعن ابي سعيد
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من عين الجان واعين الانسان فلما نزلت المعوذتان اخذهما وترك ما سوى ذلك رواه
النسائي وابن ماجه والترمذي وحسنه وعن ابي سعيد ان جبرئيل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت فقال نعم قال
ارقيك من كل شي يؤذيك من شر كل حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك رواه مسلم وفي الصحيحين عن عائشة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم امرها ان تسترقي من العين وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثر من يموت من امتي بعد
كتاب الله وقضائه وقدره بالانفس رواه الحافظ البزار وقال يعني العين وروى الحافظ ابن المنذر المعروف ببشكن في كتاب العجا

عن جابر ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق لتورد الرجل القبر والجمل القدر وان اكثر هلاك امتي بالعين وفي
رواية اخرى قد يدخل الرجل العين في القبر وتدخل الجمل القدر رجال اسناده ثقات وعن علي رضي الله عنه ان جبرئيل اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فوافقه مغتما فقال يا محمد ما هذا الغم الذي اراه في وجهك فقال الحسن والحسين اصابتهما عين قال صدق
بالعين فان العين حق افلا عوذتهما بهؤلاء الكلمات قال وما هن يا جبرئيل قال قل اللهم ذا السلطان العظيم ذا المن القديم
ذا الوجه الكريم ولي الكلمات التامات والدعوات المستجابات عاف الحسن والحسين من انفس الجن واعين الانس فقالها
النبي صلى الله عليه وسلم فقاما يلعبان بين يديه فقال النبي صلى الله عليه وسلم عوذوا انفسكم ونساءكم واولادكم بهذا التعويذ
فانه لم يتعوذ المتعوذون بمثله رواه الخطيب ابو بكر البغدادي وابن عساكر وقوله ويقولون انه لمجنون اي يزدرونه باعينهم
ويؤذونه بالسنتهم ويقولون انه لمجنون اي لمجيئه بالقرآن قال تعالى وما هو الا ذكر للعالمين قال ابن عباس اي موعظة للمؤمنين
قال الحسن دواء اصابة العين ان يقرأ الانسان هذه الآية

تفسير سورة الحاقة وهي مكية بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة ما الحاقة وما ادراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية و
اما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فترى القوم فيها
صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة
فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة
وتعيها اذن واعية الحاقة من اسماء يوم القيمة لان فيها تحقق الوعد والوعيد والقارعة ايضا من اسمائها كما سياتي في
سورتها ولهذا عظم تعالى امرها فقال وما ادراك ما الحاقة ثم ذكر تعالى اهلاكه الامم المكذبين بها فقال فاما ثمود فاهلكوا
بالطاغية وهي الصيحة التي اسكتتهم والزلزلة التي اسكنتهم قاله قتادة وهو اختيار ابن جرير وقال مجاهد وغيره الطاغية الذنوب
لانها الطغيان ولهذا قرا ابن زيد كذبت ثمود بطغواها وقال السدي الطاغية عاقر الناقة واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي
باردة عاتية اي شديدة الهبوب قال قتادة عتت عليهم حتى نقبت عن افئدتهم وقيل اي عتت عليهم بغير رحمة ولا بركة
وخرجت بغير حساب سخرها عليهم سلطها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما اي كوامل متتابعات مشائيم عليهم هكذا عن ابن
مسعود وابن عباس وغيرهما قال الربيع وكان اولها الجمعة وقيل الاربعاء ويقال انها التي تسميها الناس الاعجاز ماخوذ من
قوله تعالى كانهم اعجاز نخل خاوية وقيل لانها تكون في عجز الشتاء ويقال ايام العجوز لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فقتلتها
الريح في اليوم الثامن حكاه البغوي خاوية اي ساقطة بالية يعني جعلت الريح تضرب باحدهم الارض فيخر ميتا على ام راسه فينشدخ
راسه ويبقى جثته كانها قائمة النخل اذا خرت بلا اغصان وفي الصحيح نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وعن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فتح الله على عاد من الريح التي اهلكوا بها الا مثل موضع الخاتم فمرت باهل البادية فحملتهم
ومواشيهم واموالهم فجعلتهم بين السماء والارض فلما رأى ذلك اهل الحاضرة من عاد اي الريح وما فيها قالوا هذا عارض ممطرنا
فالقت اهل البادية ومواشيهم على اهل الحاضرة رواه ابن ابي حاتم قال مجاهد كان للريح جناحان وذنب فهل ترى لهم من باقية
اي هل تحس منهم من احد من بقاياهم او ممن ينتسب اليهم بل بادوا عن آخرهم ولم يجعل الله لهم خلفا ثم قال تعالى وجاء
فرعون ومن قبله قرئ بكسر القاف اي ومن عنده ممن في زمانه من اتباعه من كفار القبط وقرأ آخرون بالفتح اي ومن قبله
من الامم المشتبهين به وقوله والمؤتفكات وهم الامم المكذبون بالرسل بالخاطئة اي بالفعلة الخاطئة وهي التكذيب بما انزل
الله وقيل اي بالمعصية والخطايا ولهذا قال فعصوا رسول ربهم والمراد به الجنس اي كل كذب رسول الله اليهم كما قال ان كل
الا كذب الرسل ومن كذب برسول فقد كذب الجميع كما قال كذبت قوم نوح المرسلين كذبت عاد المرسلين كذبت ثمود المرسلين و

انما جا

وانما جاء الى كل امة رسول واحد ولهذا قال ههنا فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية اي عظيمة شديدة مهلكة ثم قال
تعالى انا لما طغى الماء اي زاد على الحد باذن الله وارتفع على الوجود وكثر وذلك بسبب دعوة نوح عليه السلم على قومه حين
كذبوه وخالفوه فعبدوا غير الله فاستجاب الله له وعم اهل الارض بالطوفان الا من كان مع نوح في السفينة فالناس كلهم من سلالة
نوح وذريته قال علي رضي الله عنه لم ينزل قطرة من ماء الا بكيل على يدي ملك فلما كان يوم نوح فانه اذن للماء دون الخزان
فطغى الماء على الخزان فذلك قوله انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية ولم ينزل شيء من الريح الا بكيل على يدي ملك الا يوم عاد فانه
اذن لها دون الخزان فخرجت فذلك قوله تعالى بريح صرصر عاتية اي عتت على الخزان رواه ابن جرير ولهذا قال تعالى ممتنا على الناس
انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية اي في السفينة الجارية على وجه الماء لنجعلها لكم تذكرة والضمير عائد الى الجنس لدلالة المعنى عليه اي
وابقينا لكم من جنسها ما تركبون على تيار الماء في البحار كما قال لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه ولهذا قال و
تعيها اذن واعية اي وتفهم هذه النعمة وتذكرها اذن واعية اي سامعة حافظة قال قتادة اي عقلت عن الله فانتفعت بما سمعت
من كتاب الله وقال الضحاك سمعتها اذن ووعت اي اذن من له سمع صحيح وعقل رجيح وهذا عام في كل من فهم ووعى قال مكحول
لما نزلت وتعيها اذن واعية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربي ان يجعلها اذن علي فكان علي يقول ما سمعت من رسول
الله شيئا قط فنسيته رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وهو مرسل ضعيف فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض
والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك
على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية اخبر تعالى عن
اهوال يوم القيمة واول ذلك نفخة الفزع ثم يعقبها نفخة الصعق حين يصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم بعدها
نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور وهي هذه النفخة وقد اكدها ههنا بانها واحدة لان امر الله لا يخالف ولا يمانع ولا يحتاج
الى تكرار ولا تاكيد ولهذا قال وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة اي فمدت مد الاديم وتبدلت الارض غير الارض فيومئذ
وقعت الواقعة اي قامت القيمة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية اي ضعيفة قال علي تنشق السماء من المجرة وقال ابن عباس متخرقة
والعرش بحذائها والملك على ارجائها اي الملئكة على اطراف السماء ونواحيها وحافاتها والملك اسم جنس وقال الربيع اي على ما استدق
ولم تشق من السماء ينظرون الى اهل الارض وقوله ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية اي يوم القيمة يحمل العرش ثمانية من الملئكة
ويحتمل ان يكون المراد بهذا العرش العظيم او العرش الذي يوضع في الارض يوم القيمة لفصل القضاء والله اعلم وفي الحديث عن العباس
في ذكر حملة العرش انهم ثمانية اوعال وعن عبد الله بن عمرو قال حملة العرش ثمانية ما بين موق احدهم الى مؤخر عينيه مسيرة مائة
عام رواه ابن ابي حاتم وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لي ان احدثكم عن ملك من حملة العرش بعد ما بين
شحمة اذنه الى عنقه مسيرة سبعمائة عام رواه ابن ابي حاتم ولابي داود نحوه وقال ابن عباس الكروبيون ثمانية اجزاء كل جزء منهم بعدة
الانس والجن والشياطين والملئكة رواه ابن ابي حاتم وقوله يومئذ تعرضون اي تعرضون على عالم السر والنجوى الذي لا يخفى عليه شيء من
اموركم بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر ولهذا قال لا تخفى منكم خافية وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان
تحاسبوا وزنوا انفسكم قبل ان توزنوا فانه اخف عليكم في الحساب غدا ان تحاسبوا انفسكم اليوم وتزينوا للعرض الاكبر يومئذ
تعرضون لا تخفى منكم خافية رواه ابن ابي الدنيا وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيمة ثلث عرضات
فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله رواه احمد وابن
ماجة فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه فهو في عيشة

راضية في جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية اخبر تعالى عن
سعادة من اوتي كتابه يوم القيمة بيمينه وفرحه بذلك وانه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه هاؤم اقرؤا كتابيه اي خذوا
اقرؤا كتابيه لانه يعلم ان الذي فيه خير وحسنات محضة قال ابن زيد اي هاؤم اقرؤا وام زائدة والظاهر انه بمعنى هاكم وقال
ابو عثمن المؤمن يعطى كتابه في ستر من الله فيقرا سياته فكلما قرا سيئة تغير لونه حتى يمر بحسناته فيقرؤها فرجع اليه لونه ثم ينظر فاذا
سياته قد بدلت حسنات فعند ذلك يقول هاؤم اقرؤا كتابيه رواه ابن ابي حاتم وقد سبق في حديث النجوى الصحيح ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يدني العبد يوم القيمة فيقرره بذنوبه كلها حتى اذا راى انه قد هلك قال الله اني سترتها عليك في الدنيا
وانا اغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه واما الكافر والمنافق فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة
الله على الظالمين وقوله اني ظننت اني ملاق حسابيه اي قد كنت موقنا في الدنيا ان هذا اليوم كائن لا محالة كما قال الذين يظنون
انهم ملاقوا ربهم وقوله فهو في عيشة راضية اي مرضية في جنة عالية اي رفيعة قصورها حسان حورها نعيمة دورها دائم
حبورها عن ابي امامة قال سال رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يتزاور اهل الجنة قال نعم انه ليهبط اهل الدرجة العليا
فيحيونهم ويسلمون عليهم ولا يستطيع اهل الدرجة السفلى يصعدون الى الاعلين لقصر اعمالهم رواه ابن ابي حاتم وقوله قطوفها
دانية اي قريبة التناول يتناولها احد وهو مضطجع على سريره وعن سلمن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة
احد الا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان بن فلان ادخلوه جنة عالية قطوفها دانية رواه الطبراني وقوله
كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية اي يقال لهم ذلك تفضلا عليهم وامتنانا واحسانا والا فقد ثبت في الصحيح ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا ان احدا منكم لن يدخله عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله
قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم
ادر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه خذوه فغلوه
ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا
يحض على طعام المسكين فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين لا ياكله الا الخاطئون
وهذا اخبار عن حال الاشقياء اذا اعطي احدهم كتابه في العرصات بشماله فحينئذ يندم غاية الندم فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه
اي بشمالي لما يرى فيه من قبائح اعماله ولم ادر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية قال الضحاك وغيره يعني موتة لا حيوة بعدها
مع انه لم يكن شيء في الدنيا اكره اليه منه ما اغنى عني ماليه اي لم يدفع عني مالي ولا جاهي عذاب الله وباسه هلك عني سلطانيه
اي ذهبت وضلت عني حجتي ولم تخلص لا امرائي وجندي فلا معين ولا مجير فعند ذلك يقول الله خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه اي يامر
الزبانية ان ياخذوه عنفا من المحشر فيغلوه اي يضع الاغلال في عنقه ثم يوردوه الى جهنم فيغمروه فيها قال عبد الله بن عمرو اذا
قال الله خذوه ابتدره سبعون الف ملك ان الملك منهم ليقول هكذا فيلقي سبعين الفا في النار رواه ابن ابي حاتم وقال فضيل
ابن عياض ابتدره سبعون الف ملك ايهم يجعل الغل في عنقه ثم يدخلوه فيغمروه في جهنم قوله ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا
فاسلكوه قال كعب الاحبار كل حلقة منها كقدر حديد الدنيا وقال ابن عباس فاسلكوه اي تسلك فتدخل في استه ثم تخرج من
فيه ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود حين يشوى وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان رضراضة
مثل هذه واشار الى جمجمة ارسلت من السماء الى الارض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت
من راس السلسلة لسارت اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ قعرها او اصلها رواه احمد والترمذي وحسنه وقوله

ياليتها الضمير للموتة اي ياليت الموتة
التي قضيت علي منها كانت القاضية
اي القاطعة لامري فلم ابعث بعدها ولم
القى ما القيت او للحالة اي ليت هذه
كانت الموتة التي قضيت علي لانه
راى تلك الحالة اشد وامر مما ذاقه
من مرارة الموت وشدته فتمنى
الموت عندها

قال ابن عباس سبعون ذراعا بذراع
الملك فتدخل في دبره وتخرج من منخريه
وقيل تدخل في فيه وتخرج من دبره و
قال نوف البكالي سبعون ذراعا كل
ذراع سبعون باعا كل باع ابعد مما
بينك وبين مكة وكان في رحبة
الكوفة وقال سفين كل ذراع سبعون
ذراعا وقال الحسن والله اعلم اي ذراع

انه كان

انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض اي لا يحث على طعام المسكين اي لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته و
لا ينفع خلقه ولا يؤدي حقهم فان لله على العباد ان يوحدوه ولا يشركوا به وللعباد بعضهم على بعض من الاحسان
والمعاونة على البر والتقوى وقوله فليس له اليوم ههنا حميم اي قريب يشفعه ويحميه ولا طعام الا من غسلين قال هو صديد
اهل النار ما خرج من الغسل كانه غسالة جروحهم وفي جحيم وهو شر طعام اهل النار وقيل هو شجر في جهنم كانه الزقوم
فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون
ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين اقسم تعالى لخلقه بما يشاهدونه من اياته
في مخلوقاته الدالة على كماله في اسمائه وصفاته وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من المغيبات ان القران كلامه ووحيه وتنزيله
على عبده ورسوله الذي اصطفاه لتبليغ الرسالة واداء الامانة فقال فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول
كريم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اضافه اليه على معنى التبليغ لان الرسول من شانه ان يبلغ عن المرسل ولهذا اضافه في سورة
التكوير الى الرسول الملكي انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وهذا جبريل عليه السلم ثم قال و
ما صاحبكم بمجنون يعني محمدا ولقد راه بالافق المبين يعني ان محمدا راى جبريل على صورته التي خلقه الله عليها وما هو على الغيب
بضنين اي بمتهم وما هو بقول شيطان رجيم وهكذا قال ههنا وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون المراد بالقليل نفي
ايمانهم اصلا وكذا الحكم فيما بعده ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون فاضافه تارة الى قول الرسول الملكي وتارة الى الرسول
البشري لان كلا منهما مبلغ عن الله ما استامنه عليه من وحيه وكلامه ولهذا قال تنزيل من رب العالمين وعن عمر بن الخطاب
قال خرجت اتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان اسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة
فجعلت اتعجب من تاليف القران قال فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش قال فقرا انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر
قليلا ما تؤمنون قال فقلت كاهن قال ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الاقاويل
لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين الى اخر السورة قال فوقع الاسلام في قلبي كل موقع و
هذا من جملة اسباب اسلامه ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين
فما منكم من احد عنه حاجزين وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم ان منكم مكذبين وانه لحسرة على
الكافرين وانه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم يعني لو كان محمد كما تزعمون مفتريا في الرسالة او نقص منها
او قال شيئا من عنده فنسبه الينا وليس كذلك لعاجلناه بالعقوبة ولهذا قال لاخذنا منه باليمين قيل معناه لانتقمنا منه
باليمين لانها اشد في البطش وقيل اي لاخذنا بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين قال ابن عباس وغيره وهو نياط القلب وهو العرق
الذي علق القلب به وقيل هو القلب ومراقه وما يليه وقوله فما منكم من احد عنه حاجزين اي فما يقدر احد منكم ان يحجز بيننا
وبينه اذا اردنا به شيئا من ذلك والمعنى في هذا بل هو صادق بار راشد لان الله تعالى مقرر له ما يبلغه عنه ومؤيد له
بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات ثم قال وانه لتذكرة للمتقين يعني القران كما قال قل هو للذين امنوا هدى
وشفاء والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى كما قال ههنا وانا لنعلم ان منكم مكذبين اي مع هذا البيان والوضوح
سيوجد منكم من يكذب بالقران ثم قال وانه لحسرة على الكافرين اي وان التكذيب لحسرة وندامة على الكافرين يوم القيمة
قاله ابن جرير ويحتمل عود الضمير الى القران اي ان القران والايمان به لحسرة في نفس الامر على الكافرين كما قال كذلك سلكناه
في قلوب المجرمين لا يؤمنون به ولهذا قال ههنا وانه لحق اليقين اي الخبر الصدق الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ثم قال فسبح

كما يقال هو العالم حق العالم
والمعنى لعين اليقين
ومحض اليقين

كلا لا ياكله الا الخاطئون
الاثمون اصحاب الخطايا
وخطئ الرجل اذا
تعمد الذنب وهم
المشركون

اقسم سبحانه بالاشياء على العموم لانها قسمان
مبصر وغير مبصر وقد فسر بالخلق والخالق
وبالانس والجن وبالاجسام والارواح
وبالدنيا والاخرة والنعم الظاهرة
والباطنة ان هذا القران
لقول رسول كريم

على وجه الرسالة
من عند الله

باسم ربك العظيم اي الذي انزل هذا القرآن العظيم

تفسير سورة سال سائل وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

سال سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملئكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا اي طلب سائل العذاب واستعجله كقوله ويستعجلونك بالعذاب قيل الباء بمعنى عن اي سال عن عذاب واقع نازل على من ينزل فقال تعالى مبينا مجيبا له للكافرين قال ابن عباس السائل هو النضر بن الحارث وقال مجاهد اي دعا داع بعذاب واقع يقع في الآخرة وهو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقوله واقع للكافرين اي مرصد معد لهم وقال ابن عباس اي جاي ليس له دافع يعني لا دافع له اذا اراد الله كونه ولهذا قال من الله ذي المعارج اي ذي الدرجات يعني العلو والفواضل والنعم وقيل معارج السماء وقوله تعرج الملئكة والروح اليه قال قتادة اي تصعد واما الروح فقال ابو صالح هم خلق من خلق الله يشبهون الناس وليسوا ناسا ويحتمل ان يكون المراد به جبرئيل ويكون من باب عطف الخاص على العام ويحتمل ان يكون اسم جنس لارواح بني آدم فانها اذا قبضت يصعد بها الى السماء كما سبق وحديث البراء المشهور في قبض الروح الطيبة عند قوله يثبت الله الذين آمنوا الآية وقوله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فيه اربعة اقوال احدها ان المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم الى اسفل السافلين وهو قرار الارض السابعة وكذلك اتساع العرش من قطر الى قطر مسيرة خمسين الف سنة كما قال ابن عباس هي منتهى امره من اسفل الارضين الى منتهى امره من فوق السموات مقدار خمسين الف سنة ويوم كان مقداره الف سنة يعني بذلك ينزل الامر من السماء الى الارض ومن الارض الى السماء في يوم واحد فذلك مقدار الف سنة لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وقال غلظ كل ارض خمسمائة عام ومن كل ارض الى الارض خمسمائة عام فذلك سبعة آلاف عام ومن السماء السابعة ومن العرش ستة وثلثين الف عام فذلك قوله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة رواه ابن ابي حاتم والقول الثاني المراد به مدة بقاء الدنيا منذ خلق الله هذا العالم الى قيام الساعة كما قال مجاهد الدنيا عمرها خمسون الف سنة وهو يوم سماها الله تعالى لا يدري احدكم مضى وكم بقي القول الثالث انه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة وهذا غريب وهو قول محمد بن كعب والقول الرابع المراد بذلك يوم القيمة قال ابن عباس فهذا يوم القيمة جعله الله على الكافرين مقدار خمسين الف سنة كما روى ابو سعيد قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين الف سنة ما اطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخفف حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة يصليها في الدنيا رواه احمد وابن حبان وقيل معناه لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه في خمسين الف سنة هذا ايضا عن ابن عباس وقوله فاصبر صبرا جميلا اي اصبر يا محمد على تكذيب قومك واستعجالهم العذاب استبعادا ولهذا قال انهم يرونه بعيدا اي وقوع العذاب وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع مستحيله ونراه قريبا اي المؤمنون يعتقدونه قريبا وان كان له امد لا يعلمه الا الله لكن كل ما هو آت فهو قريب آت يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسال حميم حميما يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعا ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعو من ادبر وتولى وجمع فاوعى يقول العذاب واقع بالكافرين يوم تكون السماء كالمهل قال ابن عباس وغير واحد اي كدردي الزيت وتكون الجبال كالعهن اي كالصوف قاله مجاهد وغيره وقوله ولا يسال حميم حميما اي قريب قريبه عن حاله وهو يراه في اسوء الاحوال فيشغله نفسه عن غيره قال ابن عباس يعرف بعضهم بعضا ويتعارفون بينهم ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك كقوله يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه وغيره من الآيات وقوله يود المجرم اي يتمنى المشرك لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته اي زوجته واخيه وفصيلته التي تؤويه اي عشيرته وقبيلته التي فصل منهم وتضمه وتاوي اليها ومن في الارض جميعا ثم ينجيه يعني يود لو يفتدي بهم جميعا ثم ينجيه ذلك الفداء من عذاب الله كلا اي لا يقبل منه فداء ولو جاء باهل الارض جميعا وباعز ما يجده من مال ولو بملء الارض ذهبا او من ولده واقاربه فانه لا ينجيه من عذاب الله شي قال مالك فصيلته اي امه وقوله انها لظى يصف النار وشدة حرها لظى اسم من اسماء جهنم وقيل هي الدركة الثانية لانها تتلظى اي تتلهب نزاعة للشوى اي اطراف البدن والرجلين وجلود الراس وسائر الجلود من اللحم والعظم وساير اجزاء البدن قال الحسن يحرق كل شي فيه ويبقى فواده ويصيح وقال ابن زيد الشوى الآراب العظام اي يقطع عظامهم وتبدل جلودهم وقوله تدعو من ادبر وتولى وجمع فاوعى اي تدعو النار اليها من ادبر عن الايمان وتولى عن الحق وهم اهل النار الذين كذبوا بقلوبهم وتركوا العمل بجوارحهم تدعوهم اليها يوم القيمة بلسان طلق من بين اهل المحشر ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وجمع فاوعى اي جمع المال بعضه على بعض فجعله في الوعاء واوكاه ومنع حق الله منه مما وجب عليه من النفقات ومن اخراج الزكوات وقد ورد في الصحيح فلا توعي فيوعي الله عليك قال قتادة يعني كان جموعا منوعا وقال الحسن يا ابن آدم سمعت وعيد الله ثم اوعيت الدنيا ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلوتهم دائمون والذين في اموالهم حق معلوم للسايل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهم غير مامون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلوتهم يحافظون اولئك في جنات مكرمون اخبر تعالى عن الانسان وما هو مجبول عليه من الاخلاق الدنية بقوله خلق هلوعا ثم فسره بقوله اذا مسه الشر جزوعا اي اذا اصابه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب وايس ان يحصل له بعده خير واذا مسه الخير منوعا اي اذا حصلت عنده نعمة من الله بخل بها على غيره ومنع حق الله فيها وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع رواه احمد وابو داود ثم قال تعالى الا المصلين اي الانسان من حيث متصف بصفات الذم مذموم الا من عصمه الله ووفقه وهداه الى الخير ويسر له اسبابه وهم المصلون الذين هم على صلوتهم دائمون قيل معناه يحافظون على اوقاتها وواجباتها وهذا عن ابن مسعود وقيل المراد ههنا السكون والخشوع لقوله قد افلح المؤمنون الآية ومنه الماء الدائم اي الساكن الراكد وقيل المراد به الذين اذا عملوا عملا داوموا عليه واثبتوه كما في الصحيح عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال احب الاعمال الى الله ادومها وان قل وفي لفظ ما داوم عليه صاحبه قالت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عمل عملا داوم عليه وقال قتادة ذكر لنا ان دانيال نعت امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال يصلون صلوة لو صلاها قوم نوح ما غرقوا او قوم عاد ما ارسلت عليهم الريح العقيم او ثمود ما اخذتهم الصيحة فعليكم بالصلوة فانها خلق للمؤمنين حسن وقوله والذين في اموالهم حق معلوم اي نصيب مقرر لذوي الحاجات كما سبق في سورة الذاريات وقوله والذين يصدقون بيوم الدين اي يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب ولهذا قال والذين هم من عذاب ربهم مشفقون اي خائفون وجلون ان عذاب ربهم غير مامون اي لا يامنه احد ممن عقل عن الله امره الا بامان من الله تعالى وقوله والذين هم لفروجهم حافظون اي يكفونها عن الحرام ويمنعونها ان يوضع في غير ما اذن الله ولهذا قال الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم اي من الاماء فانهم غير ملومين فمن ابتغى

وذلك مسيرة خمسين الف سنة هذا ارتفاع العرش عن المركز الذي في وسط الارض السابعة

قرأ البزي عن ابن كثير لا يسئل بضم الياء اي لا يسأل حميم عن حميم اي لا يقال له اين حميمك وقرأ الباقون بفتح الياء اي لا يسأل قريب قريبا لشغله بشأن نفسه

للسائل والمحروم السائل الذي يسأل والمحروم الذي يحسب غنيا فيحرم

لا ينبغي لاحد وان بالغ في الطاعة والعبادة ان يامن من عذاب الله وينبغي ان يكون مترددا بين الخوف والرجاء

وراء ذلك فاولئك هم العادون وقد سبق تفسيرها في اول سورة قد افلح المؤمنون وقوله والذين هم لاماناتهم وعهدهم
راعون اي اذا ائتمنوا لم يخونوا واذا عاهدوا لم يغدروا وهذه صفات المؤمنين وضدها صفات المنافقين كما ورد به
الحديث في الصحيح آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وفي رواية اذا حدث كذب واذا عاهد
غدر واذا خاصم فجر والذين هم بشهاداتهم قائمون اي محافظون عليها لا يزيدون فيها ولا ينقصون منها ولا يكتمونها ومن
يكتمها فانه آثم قلبه ثم قال والذين هم على صلاتهم يحافظون اي على مواقيتها واركانها وواجباتها ومستحباتها فافتتح الكلام
بذكر الصلاة واختتمه بذكرها فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها كما سبق في سورة قد افلح المؤمنون سواء ولذلك قال
هناك اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وقال ههنا اولئك في جنات مكرمون اي مكرمون
بانواع الملاذ والمسار والمبار فما للذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين ايطمع كل
امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كلا انا خلقناهم مما يعلمون فلا اقسم برب المشارق والمغارب
انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم
الذي يوعدون يوم يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون خاشعة ابصارهم
ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون انكر تعالى على الكفار الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
وهم مشاهدون له ولما ارسله الله به من الهدى وايده من المعجزات الباهرات ثم هم مع هذا كله فارون منه متفرقون عنه
شاردين يمينا وشمالا فرقا فرقا وشيعا شيعا كما قال تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين الآية وهذه مثلها فانه قال فما للذين
كفروا قبلك مهطعين اي فما لهؤلاء الكفار الذين عندك يا محمد مسرعين نافرين منك كما قال الحسن مهطعين اي منطلقين
عن اليمين وعن الشمال عزين اي متفرقين واحدها عزة وهو حال اي في حال تفرقهم واختلافهم كما قال الامام احمد
في اهل الاهواء فهم مخالفون للكتاب مختلفون في الكتاب متفقون على مخالفة الكتاب وقال ابن عباس وغيره مهطعين
اي ينظرون عن اليمين وعن الشمال عزين معرضين يستهزئون به يقولون ما قال هذا الرجل وعن جابر بن سمرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم حلق فقال ما لي اراكم عزين رواه مسلم وبعض اهل السنن وقوله ايطمع كل امرئ
منهم اي ايطمع هؤلاء والحالة هذه من نفارهم عن الحق ان يدخلوا جنات النعيم كلا بل ماواهم نار الجحيم ثم قال تعالى مقررا
لوقوع المعاد والعذاب بهم مستدلا عليهم بالبداءة التي الاعادة اهون منها وهم معترفون بها فقال انا خلقناهم مما
يعلمون اي المني الضعيف كما قال الم نخلقكم من ماء مهين وقال فلينظر الانسان مم خلق الآية ثم قال فلا اقسم برب المشارق
والمغارب اي الذي خلق السموات والارض وجعل مشرقا ومغربا وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب في مغاربها
تعني ليس الامر كما تزعمون ان لا معاد ولا حساب ولا بعث ولا نشور بل كل ذلك واقع وكائن لا محالة ولهذا اتى بلا في ابتداء
القسم ليدل على ان المقسم عليه نفي وهو مضمون الكلام وهو الرد على زعمهم الفاسد في نفي يوم القيمة وقد شاهدوا من عظيم
قدرة الله تعالى ما هو ابلغ من اقامة القيمة وهو خلق السموات والارض وتسخير ما فيهما من المخلوقات باجناسها وانواعها كما قال
لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وغيره من الآيات وقال ههنا فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون
على ان نبدل خيرا منهم اي يوم القيمة نعيدهم بابدان خير من هذه فان قدرته صالحة لذلك وما نحن بمسبوقين اي بعاجزين
كما قال ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوي بنانه واختار ابن جرير على ان نبدل خيرا منكم اي امة تطيعنا
ولا تعصينا وجعلها كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم والاول اظهر لدلالة الآيات الاخر عليه ثم قال تعالى فذرهم اي
دعهم يا محمد يخوضوا ويلعبوا اي في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون اي فسيعلمون غب ذلك ويذوقون

وباله

وباله يوم يخرجون من الاجداث اي يقومون من القبور اذا دعاهم الرب لموقف الحساب ينهضون سراعا كانهم الى
نصب يوفضون اي الى شيء منصوب كعلم وراية يسعون اليها وقراءة الجمهور بفتح النون وسكون الصاد على انه مصدر
بمعنى منصوب وقراءة الحسن بضم النون والصاد وهو الصنم اي كانهم في اسراعهم الى الموقف كما كانوا في الدنيا يهرولون
الى النصب اذا عاينوه يوفضون يبتدرون ايهم يستلمه اول قاله مجاهد وغير واحد وقوله خاشعة ابصارهم اي خاضعة
ترهقهم ذلة اي تغشاهم هوان في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة وذلك اليوم الذي كانوا يوعدون يعني يوم القيمة

تفسير سورة نوح وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى قومه
ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه
واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون
اخبر تعالى عن نوح عليه السلم انه ارسله الى قومه آمرا له ان ينذرهم باس الله قبل حلوله بهم فان تابوا وانابوا رفع عنهم
ولهذا قال ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم قال يا قوم اني لكم نذير مبين اي بين النذارة ظاهر الامر واضحه ان اعبدوا
الله واتقوه اي اتركوا محارمه واجتنبوا ماثمه واطيعون فيما آمركم به وانهاكم عنه يغفر لكم من ذنوبكم اي اذا فعلتم ما امرتكم
به وصدقتم ما ارسلت به اليكم غفر الله لكم ذنوبكم وقيل من ههنا زائدة ويقل ذلك في الاثبات كقول بعضهم قد كان من مطر
وقيل انها بمعنى عن اي يغفر لكم عن ذنوبكم واختاره ابن جرير وقيل انها للتبعيض اي يغفر لكم الذنوب العظام التي اوعدكم على ارتكابها
الانتقام منه ويؤخركم الى اجل مسمى اي يمد في اعماركم ويدرا عنكم العذاب الذي ان لم تنزجروا عما نهاكم عنه اوقعه بكم وفيه ان الطاعة
والبر وصلة الرحم يزاد بها في العمر كما ورد به الحديث صلة الرحم تزيد في العمر وقوله ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون اي بادروا
الى الطاعة قبل حلول النقمة فانه اذا امر تعالى امرا يكون ذلك لا يرد ولا يمانع فانه العظيم الذي قد قهر كل شيء قال رب اني
دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاءي الا فرارا واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم
في آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم
واسررت لهم اسرارا فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال
وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم اطوارا الم تروا
كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله انبتكم من الارض
نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا
اخبر تعالى عن عبده نوح انه اشتكى الى ربه ما لقي من قومه وما صبر عليهم في تلك المدة الطويلة التي هي الف سنة الا خمسين عاما
وما بين لقومه ووضح لهم ودعاهم الى سبيل الرشد فقال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا اي لم اترك دعاءهم لا في ليل ولا في
نهار امتثالا لامرك وانقيادا لطاعتك فلم يزدهم دعاءي الا فرارا اي كلما دعوتهم ليقتربوا من الحق اعرضوا عنه وفروا منه
واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم اي سدوا آذانهم بالاصابع لئلا يسمعوا ما ادعوهم
اليه واستغشوا ثيابهم اي غطوا رؤسهم وتنكروا لئلا يعرفهم ولا يسمعوا ما يقول واصروا اي استمروا على ما هم فيه من
الشرك والكفر العظيم واستكبروا استكبارا اي استنكفوا عن اتباع الحق والانقياد له عنادا وتمردا ثم اني دعوتهم جهارا
اي جهرة بين الناس ثم اني اعلنت لهم اي كلاما ظاهرا بصوت عال واسررت لهم اسرارا اي فيما بيني وبينهم فنوع عليهم
الدعوة لتكون انجع فيهم فقلت استغفروا ربكم اي ارجعوا الى ربكم عما انتم فيه وتوبوا اليه من قريب فانه من تاب اليه تاب عليه

من اي كفر وذنب كان ولهذا قال انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا اي متواصلة الامطار ويتبع بعضها بعضا
ولهذا يستحب قراءة هذه السورة في صلوة الاستسقاء لاجل هذه الآية وقد روى ان عمر بن الخطاب صعد المنبر ليستسقي
فلم يزد على الاستغفار وقرا هذه الآية وسائر آيات الاستغفار ثم قال لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر
وقوله ويمددكم باموال وبنين اي اذا تبتم الى الله واستغفرتموه واطعتموه لاكثر الرزق عليكم وسقاكم من بركات السماء
وانبت لكم من بركات الارض وادر لكم الضرع واعطاكم الاموال والاولاد وقواكم بذلك وجعل لكم جنات فيها انواع الثمار
وخللها بالانهار الجارية بينها هذا مقام الدعوة بالترغيب وعدل بهم الى دعوتهم بالترهيب فقال ما لكم لا ترجون لله وقارا
اي ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته ولا تخافون باسه ونقمته قاله ابن عباس وقد خلقكم اطوارا قيل اي من نطفة ثم من
علقة ثم من مضغة قاله ابن عباس وغير واحد وقوله الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا اي واحدة فوق واحدة
وهل هذا متلقى من جهة السمع فقط او هو من الامور المدركة بالحس مما علم من التسيير والكسوفات فان الكواكب السبعة السيارة
يكسف بعضها بعضا فادناها القمر في سماء الدنيا وهو يكسف ما فوقه وعطارد في الثانية والزهرة في الثالثة والشمس في الرابعة
والمريخ في الخامسة والمشتري في السادسة وزحل في السابعة واما بقية الكواكب وهي الثوابت ففي فلك ثامن يسمونه
فلك الثوابت والمتشرعون منهم يقولون هو الكرسي والفلك التاسع وهو الاطلس والاثير عندهم الذي حركته على خلاف
حركات سائر الافلاك وذلك ان حركته مبدا الحركات وهي من المغرب الى المشرق وسائر الافلاك عكسه من المشرق الى المغرب
ومعها يدور سائر الكواكب تبعا ولكن للسيارة حركة معاكسة لحركة افلاكها فانها تسير من المغرب الى المشرق وكل يقطع
فلكه بحسبه فالقمر يقطع فلكه في كل شهر مرة والشمس في كل سنة مرة وزحل في كل ثلاثين سنة مرة وذلك بحسب اتساع افلاكها
وان كان حركة الجميع في السرعة متناسبة هذا ملخص ما يقولونه في هذا المقام على اختلاف منهم في مواضع كثيرة لسنا بصدد بيانها
وانما المقصود انه سبحانه خلق سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا اي فاوت بينهما في الاستنارة
فجعل كل واحد منهما انموذجا على حدة ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها وقدر للقمر منازل وبروجا وفاوت نوره
فتارة يزداد حتى يتناهى ثم يشرع في النقص حتى يستتر ليدل على مضي الشهور والاعوام كما قال هو الذي جعل الشمس ضياء و
القمر نورا الى قوله يعلمون وقوله والله انبتكم من الارض نباتا هذا اسم مصدر والاتيان به ههنا احسن ثم يعيدكم فيها اي
اذا متم ويخرجكم اخراجا اي يوم القيمة يعيدكم كما بداكم اول مرة والله جعل لكم الارض بساطا اي بسطها ومهدها وقررها
وثبتها بالجبال الراسيات والشم الشامخات لتسلكوا منها سبلا فجاجا اي خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكوا فيها اين شئتم
من نواحيها وارجائها واقطارها وكل هذا مما ينبههم نوح عليه السلم على قدرة الله وعظمته في خلق السموات والارض ونعمه
عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والارضية فهو الخالق الرازق جعل السماء بناء والارض مهادا واوسع على خلقه من رزقه
فهو الذي يجب ان يعبد ويوحد ولا يشرك به احد لانه لا نظير له ولا ند وهو العلي الكبير قال نوح رب انهم عصوني و

اتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن
ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا اخبر تعالى

عن نبيه نوح انه انهى اليه وهو العليم الذي لا يخفى عليه شيء انه مع ما سبق من البيان والدعوة المتنوعة ترغيبا وترهيبا عصوه
وكذبوه واتبعوا ابناء الدنيا ممن غفل عن امر الله ومتع باموال واولاد استدراجا وانظارا لا اكراما واعزازا ولهذا
قال واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا وقرئ وولده بالضم والفتح وكلاهما متقارب ومكروا مكرا كبارا اي عظيما وقال

نصدر بيانها

قال ابن عباس قالوا قولا عظيما [illegible] افتروا على الله وكذبوا رسوله ابن جرير

عطف على من لم يزده [illegible] الراجع الى من على اعتبار المعنى والماكرون هم الرؤساء كيدهم [illegible] لنوح [illegible]

يعني اتبع السفلة والفقراء القادة والرؤساء الذين لم يزدهم كثرة المال والولد الا ضلالا في الدنيا وخسارا وعقوبة في الآخرة

ابن جرير اي كبيرا والعرب تقول امر عجيب وعجاب وعجّاب بالتخفيف والتشديد بمعنى واحد ويعني بقوله ومكروا اي باتباعهم في
تسويلهم لهم انهم على الحق والهدى كما يقولون لهم يوم القيمة بل مكر الليل والنهار اذ تامروننا ان نكفر بالله وقالوا لا تذرن
آلهتكم اي لا تتركن عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا هذه اسماء اصنامهم التي كانوا يعبدونها
من دون الله قال ابن عباس صارت الاوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد اما ود فكانت لكلب بدومة الجندل
واما سواع فكانت لهذيل واما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبا واما يعوق فكانت لهمدان واما نسر
فكانت لحمير لآل ذي الكلاع اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم
التي كانوا يجلسون انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك اولئك وتنسخ العلم عبدت رواه البخاري وعن غير واحد
نحوه وقيل كانوا قوما صالحين بين ادم ونوح وكان لهم اتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال اتباعهم لو صورناهم لكان اشوق
لنا الى العبادة اذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم فيسقون المطر
بها فعبدوهم رواه ابن جرير وابتداء عبادة الاوثان كان من ذلك وذكر ابن عساكر في التاريخ في ترجمة شيث عن ابن عباس
انه قال ولد لآدم اربعون ولدا عشرون غلاما وعشرون جارية وكان ممن عاش قابيل وهابيل وصالح وعبد الرحمن الذي
كان اسمه عبد الحرث وود وكان ود يقال له شيث ويقال له هبة الله وكان اخوته قد سودوه وولد سواع ويغوث ويعوق
ونسر وقوله وقد اضلوا كثيرا يعني الاصنام التي اتخذوها اضلوا بها خلقا كثيرا فانه استمر عبادتها في القرون الى زماننا هذا
في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم وقال الخليل في دعائه واجنبني وبني ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس
وقوله ولا تزد الظالمين الا ضلالا دعاء منه على قومه لتمردهم وكفرهم وعنادهم كما دعا موسى على فرعون وملائه في قوله ربنا
اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم وقد استجاب الله لكل من النبيين في قومه مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا

فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم
يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات
ولا تزد الظالمين الا تبارا قال تعالى مما خطيئاتهم وقرئ مما خطاياهم اغرقوا اي من كثرة ذنوبهم وعتوهم واصرارهم

على كفرهم اغرقوا فادخلوا نارا اي نقلوا من تيار البحار الى حرارة النار فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا اي لم يكن لهم معين ولا
مغيث ولا مجير ينقذهم من عذاب الله كقوله لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
اي لا تترك على وجه الارض من الكافرين احدا ولا ديارا فاستجاب الله دعاءه فاهلك جميع من على وجه الارض
من الكفار حتى ولد نوح لصلبه الذي اعتزل من ابيه وقال ساوي الى جبل يعصمني من الماء وعن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو رحم الله من قوم نوح احدا لرحم امراة لما رات الماء حملت ولدها ثم صعدت الجبل فلما بلغها الماء صعدت
به منكبها فلما بلغ الماء منكبها وضعت ولدها على راسها فلما بلغ الماء راسها رفعت ولدها بيديها فلو رحم الله منهم احدا
لرحم هذه المراة رواه ابن ابي حاتم حديث غريب ونجى الله اصحاب السفينة الذين آمنوا مع نوح وهم الذين امره الله بحملهم معه
وقوله انك ان تذرهم يضلوا عبادك اي ان ابقيت منهم احدا اضلوا عبادك الذين تخلقهم بعدهم ولا يلدوا الا
فاجرا كفارا اي فاجرا في الاعمال كافر القلب وذلك لخبرته بهم ومكثه بين اظهرهم الف سنة الا خمسين عاما ثم قال رب
اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا قال الضحاك يعني مسجدي ولا مانع من حملها على ظاهرها وهو انه دعا لكل من دخل
منزله وهو مؤمن وعن ابي سعيد انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تصحب الا مؤمنا ولا ياكل طعامك الا تقي رواه

قد اضلوا باضلالهم خلقا كثيرا

قال الكلبي [illegible]

أحمد وأبو داود والترمذي وقوله وللمؤمنين والمؤمنات يعم الاحياء منهم والاموات ولهذا يستحب هذا في الدعاء اقتداء
بنوح عليه السلام وبما جاء في الادعية المشروعة وقوله ولا تزد الظالمين الا تبارا اى الا هلاكا كما قاله السدي وقال مجاهد
اي الا خسارا اي في الدارين تفسير سورة الجن وهي مكيه بسم الله الرحمن الرحيم
قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن
نشرك بربنا احدا وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وانه كان يقول سفيهنا على الله
شططا وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن فزادوهم رهقا وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا امر تعالى رسوله ان يخبر
قومه ان الجن استمعوا القرآن فآمنوا به وانقادوا له فقال قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا
اي بليغا يعجب منه لبلاغته يهدي الى الرشد اي الى السداد والصواب باقسامه من الايمان والتوحيد ولن نشرك بربنا
احدا هذا شبيه بقوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن وتقدم بعض الاحاديث الواردة في ذلك بما اغنى عن
اعادته وقوله وانه تعالى جد ربنا اي امر ربنا وفعله وقدرته ونعمته على خلقه قاله ابن عباس وقال قتادة اي تعالى جلاله
وعظمته وامره يقال جد الرجل اي عظم وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا اى تعالى الله عن اتخاذ الصاحبة والولد نزه الجن الرب
تعالى حين اسلموا وآمنوا بالقرآن عن اتخاذ الصاحبة والولد ثم قالوا وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا قال مجاهد وغيره
يعني ابليس والشطط الجور وقال ابن زيد ظلما كبيرا ويحتمل ان تكون المراد بقولهم سفيهنا جنس كل من زعم ان لله صاحبة او ولدا
اي كان يقول قبل اسلامه على الله شططا اى باطلا وزورا ولهذا قالوا وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اى ما
حسبنا ان الانس والجن يتمالؤون الكذب على الله في نسبة الصاحبة والولد اليه فلما سمعنا هذا القرآن آمنا به علمنا انهم كانوا يكذبون
على الله في ذلك وقوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا اي كنا نرى ان لنا فضلا على الانس لانهم
كانوا يعوذون بنا اي اذا نزلوا واديا او مكانا موحشا من البراري وغيرها كما كانت عادة اهل الجاهلية يعوذون بعظيم ذلك
المكان من الجان ان يصيبهم شيء يسوءهم كما كان احدهم يدخل بلاد اعدائه في جوار رجل كبير وذمامه فلما رأت الجن ان
الانس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقا اي طغيانا وعتوا والرهق في كلام العرب الاثم وقيل اى خوفا وذعرا حتى
يبقوا اشد منهم مخافة واكثر تعوذا بهم وقال عكرمة كان الجن يفرقون من الانس كما يفرق الانس منهم او اشد وكان الانس
اذا نزلوا واديا هرب الجن فيقول سيدهم تعوذوا باهل هذا الوادي فقالت الجن نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم فدنوا
من الانس فاصابوهم بالخبل والجنون وقال ابن ابي السائب الانصاري خرجت مع ابي الى المدينة في حاجة وذلك اول ما
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فآوانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب واخذ حملا من الغنم فوثب الراعي
فقال يا عامر الوادي نحن جارك فنادى مناد لا نراه يقول يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم لم يصبه
كدمة فانزل الله تعالى على رسوله هذه الآية رواه ابن ابي حاتم قال ابو العالية وغير واحد ولعل هذا الذئب الذي اخذ الحمل كان
جنيا فعل ذلك حتى يرهب الانسي ويخاف منه ثم رده ليضله ويهينه وقوله وانهم ظنوا كما ظننتم اي يا معشر الكفار
من الانس ان لن يبعث الله احدا اي بعد الموت للحشر وقيل اي بعد هذه المدة رسولا نبيا وانا لمسنا السماء فوجدناها
ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا
وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله

الحارس
پاسبان

اللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف والمعنى طلبنا بلوغ السماء
واستماع كلام الملائكة وجدناها ملئت
حرسا شديدا اى حفظة من الملائكة شدادا
والحرس اسم مفرد كالخدم في معنى الحراس
والخدام ولذلك وصف بشديد

الرصد نگاه بانان

محمدا صلى الله عليه وسلم وانزل عليه القرآن وكان من حفظه له ان السماء ملئت حرسا شديدا وحفظت من سائر ارجائها
وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك لئلا يسترقوا شيئا من القرآن فيلقوه على السنة
الكهنة فيلتبس الامر ويختلط ولا يدرى من الصادق فكان هذا من لطف الله بخلقه ورحمته بعباده وحفظه لكتابه
العزيز ولهذا قالت الجن وانا لمسنا السماء فوجدناها الى قوله رصدا اي من يروم ان يسترق السمع اليوم يجد له شهابا
مرصدا له لا يتخطاه ولا يتعداه بل يمحقه ويهلكه وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا اي ما ندري
هذا الامر الذي قد حدث في السماء اشر اريد باهل الارض من رمي الشهب ام اراد بهم ربهم رشدا اي خيرا وسلامة وهذا
من ادبهم في العبارة حيث اسندوا الشر الى غير فاعل والخير اضافوه الى الله تعالى وقد ورد في الصحيح والشر ليس اليك وقد
كانت الكواكب يرمى بها قبل ذلك ولكن لم يكن بكثير بل في الاحيان بعد الاحيان كما في حديث العباس بينما نحن جلوس مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رمي بنجم استنار فقال ما كنتم تقولون في هذا فقلنا كنا نقول يولد عظيم يموت عظيم فقال ليس
كذلك ولكن الله اذا قضى الامر في السماء وذكر الحديث وسبق في سورة سبأ بتمامه وهذا هو السبب الذي حملهم على التطلب
السبب فاخذوا يضربون مشارق الارض ومغاربها فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ باصحابه في الصلاة فعرفوا
ان هذا هو الذي حفظت من اجله السماء فآمن من آمن منهم وتمرد في طغيانه من بقي كما سبق في سورة الاحقاف عند قوله
واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية ولا شك انه لما حدث هذا الامر وهو كثرة الشهب في السماء والرمي بها هال ذلك
الانس والجن وانزعجوا له وارتاعوا لذلك وظنوا ان ذلك لخراب العالم كما قال السدي لم تكن السماء تحرس الا ان يكون في الارض
نبي او دين لله ظاهر وكانت الشياطين قبل محمد صلى الله عليه وسلم قد اتخذت المقاعد من السماء الدنيا يستمعون ما يحدث في السماء
من امر فلما بعث محمد نبيا رجموا ليلة من الليالي ففزع لذلك اهل الطائف فقالوا هلك اهل السماء لما رأوا من شدة النار في
السماء واختلاف الشهب فجعلوا يعتقون ارقاءهم ويسيبون مواشيهم فقال لهم عبد ياليل بن عمير ويحكم يا معشر اهل الطائف امسكوا
عن اموالكم وانظروا الى معالم النجوم فان رأيتموها مستقرة في امكنتها فلم يهلك اهل السماء انما هذا من اجل ابن ابي كبشة يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم وان انتم لم تروها فقد هلك اهل السماء فنظروا فرأوها فكفوا عن اموالهم وفزعت الشياطين في تلك الليلة فاتوا ابليس
فحدثوه بالذي كان من امرهم فقال ائتوني من كل ارض بقبضة من تراب اشمها فاتوه فشم فقال صاحبكم بمكة فبعث سبعة
نفر من جن نصيبين فقدموا مكة فوجدوا نبي الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي في المسجد الحرام يقرأ القرآن فدنوا منه حرصا
على القرآن حتى كادت كلاكلهم تصيبه ثم اسلموا فانزل الله امرهم على نبيه صلى الله عليه وسلم وانا منا الصالحون
ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا وانا لما سمعنا
الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا وانا منا المسلمون ومنا القاسطون
فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وان لو استقاموا على
الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا يخبر تعالى
عن الجن انهم قالوا مخبرين عن انفسهم وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك اي غير ذلك كنا طرائق قددا اي طرائق متعددة
مختلفة وآراء متفرقة قال ابن عباس اي منا المؤمن ومنا الكافر وقال ابو معوية سمعت الاعمش يقول روح علينا
جني فقلت ما احب الطعام اليكم قال الارز فاتيناهم به فجعلت ارى اللقم ترفع ولا ارى احدا فقلت فيكم من هذه
الاهواء التي فينا قال نعم قلت فما الرافضة فيكم قال شرنا رواه ابن النجاد واماليه باسناد جيد وذكر ابن عساكر
عن عباس بن احمد الدمشقي انه قال سمعت بعض الجن وانا في منزلي بالليل ينشد   قلوب براها حتى تعلقت

من جملة الوحي
والضمير في وانهم
ظنوا الجن والخطاب
في كما ظننتم للكفار
وقيل بالعكس
والوحا اخبار الكفار

مذاهبها في كل غرب وشارق تهيم بحب الله والله ربها معلقة بالله دون الخلائق وقوله وانا ظننا
ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا نعلم ان قدرة الله حاكمة علينا وانا لا نعجزه في الارض ولو امعنا في الهرب فانه
علينا قادر لا يعجزه احد منا وانا لما سمعنا الهدى آمنا به يفتخرون بذلك وهو مفخر لهم وشرف رفيع وصفة حسنة وقوله
فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا قال قتادة وغيره اي فلا يخاف ان ينقص من حسناته او يحمل عليه غير سيئاته
وانا منا المسلمون ومنا القاسطون اي منا المسلم ومنا القاسط وهو الجائر عن الحق الناكب عنه بخلاف المقسط فانه العادل
فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا اي طلبوا لانفسهم النجاة واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا اي وقودا تسعر بهم وقوله
وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه في معناه قولان احدهما وان لو استقام القاسطون على طريقة
الاسلام واستمروا عليها لاسقيناهم ماء كثيرا والمراد به سعة الرزق كما قال تعالى ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل
اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم فيكون معنى لنفتنهم فيه لنختبرهم كما قال زيد بن اسلم لنفتنهم اي لنبتليهم من
يستمر على الهداية ممن يرتد الى الغواية وقال ابن عباس يعني بالاستقامة الطاعة وقال مجاهد وغير واحد الاسلام وطريقة
الحق وقال قتادة يعني لو آمنوا كلهم لاوسعنا عليهم من الدنيا وقال مقاتل نزلت في كفار قريش حين منعوا القطر سبع
سنين والقول الثاني ان لو استقاموا على طريقة الضلالة لاسقيناهم ماء غدقا اي لاوسعنا عليهم الرزق استدراجا كما قال
فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء الآية وهذا قول ابي مجلز لاحق بن حميد رواه ابن جرير وابن ابي حاتم والبغوي عن
جماعة وله وجه ويتأيد بقوله لنفتنهم فيه وقوله ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا اي عذابا شاقا شديدا موجعا مؤلما قاله
ابن عباس وغير واحد وقيل مشقة لا راحة معها وعن ابن عباس ايضا جبل في جهنم وقيل بئر فيها وان المساجد لله فلا
تدعوا مع الله احدا وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قل انما ادعوا ربي ولا
اشرك به احدا قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا قل اني لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه
ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا
حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا امر تعالى عباده ان يوحدوه في محال
عبادته ولا يدعى معه احد ولا يشرك به كما قال قتادة في قوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا كانت اليهود والنصارى
اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم اشركوا بالله فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يوحده وحده وقال ابن عباس لم يكن يوم
نزلت هذه الآية في الارض مسجد الا المسجد الحرام ومسجد ايليا بيت المقدس وقال الاعمش قالت الجن يا رسول الله
ائذن لنا فنشهد معك الصلوات في مسجدك فانزل الله هذه الآية اي صلوا لا تخالطوا الناس وقال سعيد بن جبير
نزلت في اعضاء السجود اي هي لله فلا تسجدوا بها لغيره كما في الصحيحين عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
امرت ان اسجد على سبعة اعظم على الجبهة واليدين والركبتين واطراف القدمين وقوله وانه لما قام عبد الله يدعوه
كادوا يكونون عليه لبدا قال ابن عباس لما سمعوا يعني الجن النبي صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن كادوا اي ركبونه من الحرص
عليه ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى اتاه الرسول فجعل يقرئه قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن يستمعون القرآن وعنه
ايضا انهم لما راوا محمدا صلى الله عليه وسلم يصلي واصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده فعجبوا من طواعية اصحابه
له فقالوا لقومهم لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا اي يركب بعضهم بعضا واصل اللبد الجماعات بعضها
فوق بعض وتلبد الشعر اذا تراكم وقال قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله الا ان ينصره ويمضيه
ويظهره على من ناواه وهذا ايضا عن ابن عباس وبعض اتباعه واختاره ابن جرير وهو الاظهر لقوله بعده قل انما ادعو ربي

ولا اشرك

ولا اشرك به احدا اي قال لهم الرسول لما آذوه وخالفوه وتظاهروا عليه ليبطلوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عداوته
انما ادعو ربي اي انما اعبد ربي وحده لا شريك له واستجير به واتوكل عليه وقوله قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا اي انما انا
بشر مثلكم وعبد من عباد الله ليس الي من الامر شيء في هدايتكم ولا في غوايتكم بل المرجع في ذلك كله الى الله ثم اخبر عن نفسه ايضا قل اني لن يجيرني
انه لا يجيره من الله احد اي لو عصيته فانه لا يقدر احد على انقاذي من عذابه ولن اجد من دونه ملتحدا اي ملجأ وملاذا
ولا نصيرا ولا وليا وقوله الا بلاغا من الله ورسالاته قال بعضهم هو مستثنى من قوله لا املك لكم ضرا ولا رشدا الا بلاغا ويحتمل
ان يكون مستثنى من قوله لن يجيرني من الله احد اي لن يجيرني ولا يخلصني الا ابلاغي الرسالة التي اوجب اداءها علي كما
قال تعالى بلغ ما انزل اليك من ربك الآية وقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها اي انا ابلغكم رسالة
الله فمن يعص بعد ذلك فله نار جهنم جزاء على ذلك خالدين فيها لا محيد لهم عنها ولا خروج منها ابدا وقوله حتى اذا راوا ما يوعدون اي
حتى اذا راى هؤلاء المشركون من الجن والانس ما يوعدون يوم القيمة فسيعلمون يومئذ من اضعف ناصرا واقل عددا اهم
او المؤمنون الموحدون لله اي بل المشركون لا ناصر لهم بالكلية وهم اقل عددا من جنود الله تعالى قل ان ادري اقريب
ما توعدون ام يجعل له ربي امدا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم
واحصى كل شيء عددا امر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول للناس انه لا علم له بوقت الساعة ولا يدري اقريب هو ام
بعيد فقال قل ان ادري اي ما ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا اي مدة طويلة وقد كان عليه الصلوة والسلام
يسأل عن وقت الساعة فلا يجيب عنها ولما تبدى له جبرئيل في صورة اعرابي وسأله عن الساعة قال ما المسؤل عنها باعلم من السائل
وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا بني آدم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى والذي نفسي بيده انما توعدون
لآت رواه ابن ابي حاتم وعن ابي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يعجز الله هذه الامة من نصف يوم تفرد
به ابو داود وفي رواية آخر له عن سعد بن ابي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان لا تعجز امتي عند ربها
ان يؤخرهم نصف يوم قيل لسعد كم نصف يوم قال خمسمائة عام وقوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من
رسول هذا كقوله ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء اي انه لا يطلع احد من خلقه على شيء من علمه الا بما اطلعه تعالى عليه و
لهذا قال فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول وهذا يعم الرسول الملكي والبشري ثم قال فانه يسلك من بين يديه
ومن خلفه رصدا اي يختصه بمزيد معقبات من الملكة يحفظونه من امر الله ويساوقونه على ما معه من وحي الله ولهذا قال
ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم واختلفوا في مرجع الضمير الذي في ليعلم فقيل انه عائد الى النبي صلى الله عليه وسلم قال
ابن جرير وهذه الآية انه حفظه من الملكة مع جبرئيل ليعلم محمد عليه الصلوة والسلام ان قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط بما
لديهم واحصى كل شيء عددا وكذا رواه ابن ابي حاتم وقال قتادة اي ليعلم نبي الله ان الرسل قد بلغت عن الله وان الملكة حفظتها
ودفعت عنها واختاره ابن جرير وقيل غير ذلك كما روى العوفي عن ابن عباس قال هي معقبات من الملكة يحفظون النبي من الشيطان
حتى يتبين الذين ارسل اليهم وذلك حين يقول ليعلم اهل الشرك ان قد ابلغوا رسالات وكذا عن مجاهد فقال ليعلم من كذب
الرسل ان قد ابلغوا رسالات ربهم والاول اقوى وقال البغوي قرا يعقوب ليعلم بالضم اي ليعلم الناس ان الرسل قد بلغوا
ويحتمل ان يكون الضمير عائدا الى الله عز وجل وهو قول حكاه ابن الجوزي في زاد المسير ويكون المعنى في ذلك انه يحفظ رسله
بملائكته ليتمكنوا من اداء رسالته ويحفظ ما ينزله اليهم من الوحي الكريم ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم ويكون ذلك
كقوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وكقوله وليعلمن الله الذين آمنوا الآية الى

غير ذلك مع العلم بانه تعالى يعلم الاشياء قبل كونها قطعا لا محالة ولهذا قال بعد ذلك واحاط بما لديهم اي علم ما عند الرسل فلم يخف عليه شيء واحصى كل شيء عددا اي احصى ما خلق وعرف عدده ولم يعزب عن علمه شيء حتى مثاقيل الذر والخردل ونصب عددا على الحال او المصدر والله اعلم

تفسير سورة المزمل وهي مكية بسم الله الرحمن الرحيم

عن جابر قال اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا سموا هذا الرجل اسماء تصدوا الناس عنه فقالوا كاهن قالوا ليس بكاهن قالوا مجنون قالوا ليس بمجنون قالوا ساحر قالوا ليس بساحر فتفرق المشركون على ذلك فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فتزمل في ثيابه وتدثر فيها فاتاه جبريل فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر تفرد به الحافظ ابو بكر البزار والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه ورتل القرآن ترتيلا انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا امر تعالى رسوله ان يترك التزمل وهو التغطي في الليل وينهض الى القيام لربه كما قال تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممتثلا لما امره الله تعالى من قيام الليل وكان واجبا عليه وحده كما قال ومن الليل فتهجد به الآية وههنا بين له مقدار ما يقوم فقال يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا قال ابن عباس اي يا ايها النائم فقال قتادة المزمل في ثيابه وكان متزملا بقطيفة وعن ابن عباس يا محمد زملت القرآن وقوله نصفه بدل من الليل او انقص منه قليلا او زد عليه اي امرناك ان تقوم نصف الليل بزيادة قليلة او نقصان قليل لا حرج عليك في ذلك وقوله ورتل القرآن ترتيلا اي اقراه على تمهل فانه يكون عونا على فهم القرآن وتدبره وكذلك كان يقرا عليه الصلوة والسلام قالت عائشة كان يقرا السورة فيرتلها حتى تكون اطول من اطول منها وفي البخاري عن انس انه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم وعن ام سلمة انها سئلت عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان يقطع قراءته آية آية رواه احمد وابو داود والترمذي وقال عليه الصلوة والسلام يقال لصاحب القرآن اقرا وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرؤها رواه احمد وابو داود والترمذي والنسائي وعن ابن مسعود انه قال لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم احدكم آخر السورة رواه البغوي وقوله انا سنلقي عليك قولا ثقيلا قال الحسن وقتادة اي العمل به وقيل ثقيلا وقت نزوله لعظمته كما قال زيد بن ثابت انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي فكادت ترض فخذي وعن عبد الله بن عمرو قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هل تحس بالوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمع صلاصل ثم اسكت عند ذلك فما من مرة يوحى الي الا ظننت ان نفسي تفيض تفرد به احمد وعن عائشة ان الحرث بن هشام سال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ياتيك الوحي فقال احيانا ياتيني في مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول قالت عائشة ولقد رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا رواه البخاري وعن عائشة قالت ان كان ليوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته فتضرب بجرانها رواه احمد والجران باطن العنق واختار ابن جرير انه ثقيل من الوجهين معا كما قال ابن زيد كما ثقل في الدنيا ثقل يوم القيمة في الموازين وقوله ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا قال ابن عباس نشأ قام بالحبشية والليل كله ناشئة وبه قال عمر وابن الزبير وغير واحد وعن مجاهد بعد العشاء وقالوا المراد بناشئة الليل اوقاته وساعاته وكل ساعة منه تسمى ناشئة والمقصود ان قيام الليل هي اشد مواطاة بين القلب واللسان واجمع على التلاوة ولهذا قال هي اشد وطأ واقوم قيلا اي اجمع للخاطر في اداء التلاوة وتفهمها من قيام النهار لانه وقت انتشار الناس ولغط الاصوات واوقات المعايش

وقال انس

وقال انس اي اصوب قراءة يعني ابين قولا بالقرآن واتم اخلاصا واكثر بركة وابلغ ثوابا ولهذا قال ان لك في النهار سبحا طويلا قال اي فراغا طويلا ومنقلبا وقال السدي تطوعا كثيرا وقال ابن زيد ان لك في النهار فراغا لحوائجك فافرغ لدينك الليل وهذا حين كانت صلوة الليل فريضة ثم ان الله تعالى من على عباده فخففها ووضعها وقرا قم الليل الا قليلا الآية ثم قال ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل الى قوله ما تيسر منه وقال ومن الليل فتهجد به نافلة لك الآية وهذا الذي قاله كما قال والدليل عليه ان سعد بن هشام سال ابن عباس عن الوتر فقال الا انبئك باعلم اهل الارض بوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال ائت عائشة فسلها ثم ارجع الي فاخبرني بردها عليك قال فاتيتها فقلت يا ام المؤمنين انبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الست تقرا القرآن قلت بلى قالت كان خلقه القرآن ثم قلت يا ام المؤمنين انبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الست تقرا هذه السورة يا ايها المزمل قلت بلى قالت فان الله افترض قيام الليل في اول هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا حتى انتفخت اقدامهم وامسك الله خاتمتها في السماء اثني عشر شهرا ثم انزل الله التخفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا من بعد فريضة الحديث بطوله رواه احمد وروى مسلم في صحيحه نحوه وعن ابن عباس قال اول ما نزل اول المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم في شهر رمضان وكان بين اولها وآخرها قريب من سنة او قال كان بينهما سنة هكذا رواه ابن جرير وقوله واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا اي اكثر من ذكره وانقطع اليه وتفرغ لعبادته اذا تفرغت من اشغالك وما تحتاج اليه من امور دنياك كما قال فاذا فرغت فانصب اي اذا فرغت من مهماتك فانصب في عبادته لتكون فارغ البال هذا معنى ما قال ابن زيد وقال ابن عباس وغير واحد وتبتل اليه تبتيلا اي اخلص له العبادة وقال الحسن اجتهد وابتل اليه نفسك وقال ابن جرير يقال للعابد متبتل ومنه الحديث المروي نهى عن التبتل يعني الانقطاع الى العبادة وترك التزويج وقوله رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا كما قال في آية اخرى فاعبده وتوكل عليه وغيرها من الآيات البينات التي فيها الامر بافراد العبادة والطاعة لله وتخصيصه بالتوكل عليه **واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وذرني والمكذبين اولي النعمة ومهلهم قليلا ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فاخذناه اخذا وبيلا فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا السماء منفطر به كان وعده مفعولا** امر تعالى رسوله عليه الصلوة والسلام بالصبر على ما يقوله المكذبون من سفهاء مكة وان يهجرهم هجرا جميلا وهو الذي لا عتاب معه ثم قال له متوعدا لكفار قومه ومتهددا ذرني والمكذبين اولي النعمة اي ذرني والمكذبين المترفين اصحاب الاموال فانهم اقدر على الطاعة من غيرهم وهم يطالبون من الحقوق بما ليس عند غيرهم ومهلهم قليلا اي رويدا فلم يكن الا يسيرا حتى قتلوا ببدر كما قال نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ولهذا قال ان لدينا انكالا وهي القيود قاله ابن عباس وغير واحد وجحيما وهي السعير المضطرمة وطعاما ذا غصة قال ابن عباس ان ياخذ في الحلق فلا يدخل ولا يخرج وهو الزقوم والضريع وعذابا اليما يوم ترجف الارض والجبال اي تزلزل وكانت الجبال كثيبا مهيلا اي تصير ككثبان الرمل بعد ما كانت حجارة صماء ثم انها تنسف نسفا فلا يبقى منها شيء الا ذهب حتى تصير الارض قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا اي رابية يعني لا شيء منخفض ولا شيء مرتفع ثم قال مخاطبا لكفار قريش والمراد سائر الناس انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم اي باعمالكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فاخذناه اخذا وبيلا قال ابن عباس وغير واحد اي اخذا شديدا

يعني فاحذروا انتم ان تكذبوا هذا الرسول فيصيبكم ما اصاب فرعون حيث اخذه الله اخذ عزيز مقتدر وقوله فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا يحتمل ان يكون يوما معمولا لتتقون كما حكاه ابن جرير عن قراءة ابن مسعود فكيف تخافون ايها الناس يوما يجعل الولدان شيبا ان كفرتم بالله ولم تصدقوا به ويحتمل ان يكون معمولا لكفرتم فعلى الاول اي كيف يحصل لكم امان من يوم هذا الفزع العظيم ان كفرتم وعلى الثاني كيف يحصل لكم تقوى ان كفرتم يوم القيمة وجحدتموه وكلاهما حسن ولكن الاول اولى والله اعلم والمعنى يوما يجعل الولدان شيبا من شدة اهواله وزلازله وبلابله وذلك حين يقول الله لآدم ابعث بعث النار فيقول من كم كم فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحد الى الجنة كما سبق الحديث بتمامه في اول سورة الحج وقوله السماء منفطر به قال الحسن وقتادة اي منشق بسببه من شدته وهوله ومنهم من يعيد الضمير على الله وفيه قوة ولكن ليس بقوي لانه لم يجر له ذكر هاهنا وقوله كان وعده مفعولا اي كان وعد هذا اليوم واقعا لا محالة كائنا لا محيد عنه ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم قال تعالى ان هذه اي السورة تذكرة اي عظة يتذكر بها اولو الالباب ولهذا قال فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي من شاء الله هدايته اتخذ الى الايمان بربه وطاعته سبيلا ثم قال ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك اي تارة هكذا وتارة هكذا وذلك كله من غير قصد منكم ولكن لا تقدرون على المواظبة على ما امركم به من قيام الليل لانه يشق عليكم ولهذا قال والله يقدر الليل والنهار اي تارة تعتدلان وتارة تتفاوتان علم ان لن تحصوه اي لن تطيقوا الفرض الذي اوجبه عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن اي من غير تحديد بوقت ولكن قوموا من الليل ما تيسر وعبر عن الصلوة بالقراءة واستدل اصحاب ابي حنيفة بهذه الآية انه لا يتعين قراءة الفاتحة في الصلوة بل لو قرأ غيرها من القرآن ولو بآية اجزأه واعتضدوا بحديث الصحيحين ايضا ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن واجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت في الصحيحين ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلوة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل صلوة لا يقرأ فيها بام القرآن فهي خداج فهي خداج فهي خداج غير تمام وقوله علم ان سيكون منكم مرضى اي علم ان سيكون من هذه الامة ذوو اعذار في ترك قيام الليل من مرضى لا يستطيعون ذلك ومسافرين في الارض يبتغون من فضل الله في المكاسب والمتاجر وآخرين مشغولين بما هو الاهم في حقهم من الغزو في سبيل الله وهذه الآية بل السورة كلها مكية ولم يكن القتال شرع بعد فهي من اكبر دلائل النبوة لانه من باب الاخبار بالمغيبات المستقبلة ولهذا قال فاقرءوا ما تيسر منه اي قوموا بما تيسر عليكم منه وعن ابي رجاء قال قلت للحسن يا ابا سعيد ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ولا يقوم به انما يصلي المكتوبة قال يتوسد القرآن لعن الله ذاك قال الله تعالى للعبد الصالح وانه لذو علم لما علمناه وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم قلت يا ابا سعيد قال الله فاقرءوا ما تيسر من القرآن قال نعم ولو خمس آيات وهذا ظاهر من مذهب الحسن انه كان يرى حقا واجبا على حملة القرآن ان يقوموا ولو بشيء منه في الليل ولهذا جاء في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن رجل نام حتى اصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان في اذنه فقيل معناه نام عن المكتوبة وقيل نام عن قيام الليل وفي السنن اوتروا يا اهل القرآن

عن انس بن مالك انه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ خمسين
آية في يوم لم يكتب من الغافلين ومن
قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن
قرأ مائتي آية لم يحاجه القرآن يوم القيمة
ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار
من الاجر

عن ابن مسعود

وقوله واقيموا الصلوة اي اقيموا صلاتكم الواجبة عليكم وآتوا الزكوة المفروضة وهذا يدل لمن قال ان فرض الزكوة نزل بمكة لكن مقادير النصاب والمخرج لم تبين الا في المدينة والله اعلم وقال ابن عباس وغير واحد ان هذه الآية نسخت الذي كان الله قد اوجبه على المسلمين اولا من قيام الليل وقد ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لذلك الرجل سأل عن الاسلام خمس صلوات في اليوم والليلة فقال هل علي غيرهن قال لا الا ان تطوع وقوله واقرضوا الله قرضا حسنا يعني من الصدقات فان الله يجازي على ذلك احسن الجزاء واوفره كما قال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا الآية وقوله وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله اي جميع ما تقدموه بين ايديكم فهو لكم حاصل وهو خير مما ابقيتموه لانفسكم في الدنيا وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم ماله احب اليه من مال وارثه قالوا يا رسول الله ما منا من احد الا ماله احب اليه من مال وارثه قال اعلموا ما تقولون قالوا ما نعلم الا ذلك يا رسول الله قال ما منكم رجل الا مال وارثه احب اليه من ماله قالوا كيف يا رسول الله قال انما مال احدكم ما قدم ومال وارثه ما اخر رواه البخاري والنسائي ثم قال تعالى واستغفروا الله ان الله غفور رحيم اي اكثروا من ذكره واستغفاره في اموركم كلها فانه غفور رحيم لمن استغفره

تفسير سورة المدثر وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير في صحيح البخاري عن جابر انه كان يقول اول شيء نزل من القرآن يا ايها المدثر وخالفه الجمهور فذهبوا الى ان اول القرآن نزولا قوله تعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق كما سيأتي في سورته فقال جابر حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم ار شيئا ونظرت عن شمالي فلم ار شيئا ونظرت امامي فلم ار شيئا ونظرت خلفي فلم ار شيئا فرفعت رأسي فرأيت شيئا فاتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماء باردا فدثروني وصبوا علي ماء باردا قال فنزلت يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر هذا سياق البخاري وفي الصحيحين ايضا عن جابر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي فبينا انا امشي سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري قبل السماء فاذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والارض فجئثت منه رعبا حتى هويت الى الارض فجئت الى اهلي فقلت زملوني زملوني فزملوني فانزل الله يا ايها المدثر قم فانذر الى فاهجر قال ابو سلمة والرجز الاوثان ثم حمي الوحي وتتابع هذا السياق هو المحفوظ فيما وهو يقتضي انه قد نزل الوحي قبل هذا لقوله فاذا الملك الذي جاءني بحراء وهو جبريل حين اتاه بقوله اقرأ باسم ربك الذي الى ما لم يعلم ثم انه حصل بعد هذا فترة ثم نزل الملك بعد ذلك ووجه الجمع ان اول شيء نزل بعد فترة الوحي هذه السورة وعن ابن عباس قال ان الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاما فلما اكلوا قال ما تقولون في هذا الرجل فقال بعضهم ساحر وقال بعضهم ليس بساحر وقال بعضهم كاهن وقال بعضهم ليس بكاهن وقال بعضهم شاعر وقال بعضهم ليس بشاعر وقال بعضهم سحر يؤثر فاجمع رأيهم على انه سحر يؤثر فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحزن وقنع رأسه وتدثر فانزل الله يا ايها المدثر قم فانذر الى قوله ولربك فاصبر رواه الطبراني وقوله قم فانذر اي شمر عن ساق العزم وبهذا حصل الارسال كما حصل بالاول النبوة وربك فكبر اي عظمه عما يقول المشركون وثيابك فطهر سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال لا تلبسها على معصية ولا على غدرة ثم قال اما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي

اني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة اتقنع

وعنه ايضا اي نق الثياب فطهر من الذنوب والآثام وقال مجاهد اي نفسك فطهر يعني عملك فاصلح وفي رواية لست بكاهن ولا ساحر فاعرض عما قالوا وقال قتادة وغيره طهرها عن المعاصي ولا تلبسها على معصية كما قال الشاعر

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

وقيل اي غسلها بالماء قال ابن زيد وكان المشركون لا يتطهرون

فامر الله ان يتطهر ويطهر ثيابه وهو اختيار ابن جرير وقد يشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب فان العرب تطلق الثياب
عليه كما قال امرؤ القيس افاطم مهلا بعض هذا التدلل وان كنت قد ازمعت هجري فاجملي وان كنت قد
ساءتك مني خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل وقيل خلقك فحسن وقوله والرجز فاهجر اي الاصنام والاوثان
فاترك وابعد عنها وقيل اترك المعصية ولا تلزم تلبيسه بشيء منها كقوله يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين
وقال موسى لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين وقوله ولا تمنن تستكثر قال ابن عباس لا تعط العطية تلتمس اكثر منها وبهذا
قال كثيرون وقال الحسن لا تمنن عملك على ربك تستكثر واختاره ابن جرير وروى عن ابن مسعود انه قرا ولا تمنن ان
تستكثر وقال مجاهد اي لا تضعف ان تستكثر من الخير على ان تمنن بمعنى تضعف وقال ابن زيد لا تمنن بالنبوة على الناس
تستكثرهم بها تاخذ عليه عوضا من الدنيا وان الاظهر القول الاول والله اعلم وقوله ولربك فاصبر اي اجعل صبرك على اذاهم
لوجه الله قاله مجاهد وقيل فاصبر على طاعة الله لاجل ثوابه وقوله فاذا نقر في الناقور قال ابن عباس وكثيرون الناقور
هو الصور قال مجاهد هو كهيئة القرن عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انعم وصاحب القرن
قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ فقالوا يا رسول الله فما تامرنا قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل
على الله توكلنا رواه ابن ابي حاتم وابن جرير وهكذا رواه احمد وقوله فذلك يومئذ يوم عسير اي شديد على الكافرين غير يسير اي
غير سهل عليهم وروى عن زرارة بن اوفى قاضي البصرة انه صلى الصبح فقرا هذه السورة فلما وصل الى قوله فاذا نقر في الناقور
فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير شهق شهقة ثم خر ميتا ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا
ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سارهقه
صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا
سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر سأصليه سقر وما ادراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها
تسعة عشر قال تعالى متوعدا لهذا الخبيث الذي انعم الله عليه بنعم الدنيا فكفر بانعم الله وبدلها بالكفر وقابلها
بالجحود بآيات الله والافتراء عليها وجعلها من قول البشر وقد عدد الله نعمه عليه حيث قال ذرني اي دعني ومن خلقت
وحيدا اي خرج من بطن امه وحده لا مال له ولا ولد ثم رزقه مالا ممدودا اي واسعا كثيرا قيل الف دينار وقيل مائة
الف دينار وقيل ارضا يستغلها وقيل غير ذلك وجعل له بنين شهودا اي حضورا عنده لا يسافرون في التجارات بل مواليهم
واجراؤهم يتولون ذلك عنهم وهم قعود عند ابيهم يتمتع بهم وكانوا فيما ذكره السدي وغيره ثلاثة عشر وقال ابن عباس
عشرة وهذا ابلغ في النعمة ومهدت له تمهيدا اي مكنته من صنوف المال والاثاث وغير ذلك ثم يطمع ان ازيد كلا انه
كان لآياتنا عنيدا اي معاندا وهو الكفر على نعمه بعد العلم قال تعالى سارهقه صعودا عن ابي سعيد عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره والصعود جبل من نار يتصعد فيه
سبعين خريفا ثم يهوي به كذلك فيه ابدا رواه احمد والترمذي وعن ابي سعيد ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم سارهقه
صعودا قال هو جبل في النار من نار يكلف ان يصعده فاذا وضع يده ذابت واذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت
فاذا رفعها عادت رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وقال ابن عباس صعود صخرة في جهنم يسحب عليها على وجهه قال مجاهد
ماده اي مشقة العذاب وعذابا لا راحة فيه واختاره ابن جرير وقوله انه فكر وقدر اي انما ارهقناه صعودا اي قربناه من
العذاب الشاق لبعده عن الايمان لانه فكر اي تروى ماذا يقول في القرآن حين سئل عن القرآن ففكر ماذا يختلق من المقال وقدر

اى تروى

وقال الربيع لا تكثر عملك في عينيك فانه فيما انعم الله تعالى به عليك قليل

اي تروى فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر دعاء عليه ثم نظر اي اعاد النظر والتروي ثم عبس اي قبض بين عينيه
وبسر اي كلح وكره وجهه ومنه قول الشاعر وقد راني منها صدود رايته واعراضها عن حاجتي وبسورها
وقوله ثم ادبر واستكبر اي صرف عن الحق ورجع القهقرى مستكبرا عن الانقياد للقرآن فقال ان هذا الا سحر يؤثر اي
هذا سحر ينقله محمد عن غيره ممن قبله ويحكيه عنهم ولهذا قال ان هذا الا قول البشر اي ليس بكلام الله وهذا المذكور في
هذا السياق هو الوليد بن المغيرة احد رؤساء قريش لعنه الله وكان من خبره هذا ما قال ابن عباس ان الوليد بن المغيرة
دخل على ابي بكر بن ابي قحافة فساله عن القرآن فلما اخبره خرج على قريش فقال لما يقول ابن ابي كبشة فوالله ما هو بشعر
ولا بسحر ولا بهذي من الجنون وان قوله لمن كلام الله فلما سمع ذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا والله لئن صبا الوليد
لتصبون قريش فلما سمع بذلك ابو جهل بن هشام قال انا والله اكفيكم شانه فانطلق حتى دخل عليه بيته فقال للوليد
الم تر قومك قد جمعوا لك الصدقة فقال الست اكثرهم مالا وولدا فقال له ابو جهل يتحدثون انك انما تدخل على ابن ابي
قحافة لتصيب من طعامه فقال الوليد قد تحدثت به عشيرتي فلا والله لا اقرب ابن ابي قحافة ولا عمر ولا ابن ابي كبشة
وما قوله الا سحر يؤثر فانزل الله فقتل اي قاتله الله ولعنه كيف قدر وهذا على طريق التعجب والانكار وزعم السدي
انهم لما اجتمعوا في دار الندوة ليجمعوا رايهم على قول يقولونه فيه قبل ان يقدم عليهم وفود العرب للحج ليصدوهم عنه فقال
قائلون شاعر وقال آخرون ساحر وقال آخرون كاهن وقال آخرون مجنون كما قال تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال
فضلوا فلا يستطيعون سبيلا كل هذا والوليد يتفكر فيما يقوله فيه ففكر وقدر وعبس وبسر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان
هذا الا قول البشر قال تعالى سأصليه سقر اي سأغمره فيها من جميع جهاته ثم قال وما ادراك ما سقر وهذا تهويل
لامرها وتفخيم ثم فسر ذلك بقوله لا تبقي ولا تذر اي تاكل لحومهم وعروقهم واعصابهم وجلودهم ثم تبدل غير ذلك وهم
في ذلك لا يموتون ولا يحيون قاله ابن بريدة وابو سنان وغيرهما وقوله لواحة للبشر اي مغيرة للجلد حتى تجعله اسود وقال
ابن زيد تلفح الجلد لفحة فتدعه اسود من الليل يعني تلفح اجسادهم عليها وقال قتادة اي حراقة للجلد وبشرة الانسان وقوله
عليها تسعة عشر اي من مقدمي الزبانية عظيم خلقهم غليظ خلقهم عن جابر قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد غلب
اصحابك اليوم فقال باي شيء قال سالهم يهود هل اعلمكم نبيكم عدة خزنة اهل النار قالوا لا نعلم حتى نسال نبينا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم افغلب قوم سئلوا عما لا يدرون فقالوا لا ندري حتى نسال نبينا علي باعداء الله لكنهم قد سالوا نبيهم ان يريهم الله
جهرة فارسل اليهم فدعاهم فقالوا يا ابا القاسم كم عدة خزنة اهل النار قال هكذا وطبق كفيه ثم طبق كفيه مرتين وعقد واحدة
وقال لاصحابه ان سئلتم عن تربة الجنة فهي الدرمك فلما سالوه فاخبرهم بعدة خزنة اهل النار قال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما تربة الجنة فنظر بعضهم الى بعض فقالوا خبزة يا ابا القاسم فقال الخبز من الدرمك هكذا رواه الترمذي عند هذه
الآية ورواه احمد بقصة الدرمك فقط وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين
كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب
والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله
من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر كلا والقمر والليل
اذ ادبر والصبح اذا اسفر انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر قال تعالى وما
جعلنا اصحاب النار اي خزانها الا ملائكة يعني زبانية غلاظا شدادا وذلك رد على مشركي قريش حين ذكر عدد الخزنة فقال

لا رجالا آدميين
فمن ذا يغلب الملائكة

لما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم
الى قوله اليه المصير قام النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد يصلي
والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي
لاستماعه اعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتى اتى
مجلس قومه من قريش فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا
كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة
وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله
لمغدق وانه يعلو وما يعلى ثم انصرف الى منزله
فقالت قريش صبا والله الوليد ولتصبون
قريش كلهم فقال ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق
حتى جلس الى جنب الوليد فقال له الوليد ما لي اراك
حزينا يا ابن اخي فقال وما يمنعني ان لا احزن
وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينوك على كبر
سنك ويزعمون انك زينت كلام محمد
وانك تدخل على ابن ابي كبشة وابن ابي قحافة
لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد و
قال الم تعلم قريش اني اكثرهم مالا وولدا وهل
شبع محمد واصحابه حتى يكون لهم فضل من الطعام
ثم قام مع ابي جهل حتى اتى مجلس قومه
فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه
يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه
كاهن فهل رايتموه تكهن قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه
شاعر فهل رايتموه ينطق بشعر قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب
فهل جربتم عليه شيئا من الكذب قالوا لا وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يسمى الامين قبل النبوة لصدقه فقالت
قريش للوليد فما هو ففكر في نفسه ثم قال ما هو
الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده
ومواليه [illegible]

ابو جهل يا معشر قريش اما تستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبونهم فقال الله وما جعلنا اصحاب النار الا ملئكة اى شديدى
الخلق لا يقاومون ولا يغالبون وقد قيل ان كلدة بن اسيد قال يا معشر قريش اكفونى منهم اثنين وانا اكفيكم سبعة عشر
اعجابا منه بنفسه وكان قد بلغ من القوة فيما زعموا انه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينتزعوه من تحت قدميه
فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه قال السهيلى وهو الذى دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المصارعة فقال ان صرعتنى آمنت
بك فصرعه النبى صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن وقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة اي انما ذكرنا عدتهم انهم تسعة عشر
اختبارا منا للناس ليستيقن الذين اوتوا الكتاب اي ليعلموا يقينا ان هذا الرسول حق فانه نطق بمطابقة ما بايديهم
من الكتب السماوية المنزلة على الانبياء قبله ويزداد الذين امنوا ايمانا اي الى ايمانهم لما يشهدون من صدق اخبار نبيهم محمد صلى
الله عليه وسلم ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمومنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض اي من المنافقين والكافرون
ماذا اراد الله بهذا مثلا اى يقولون ما الحكمة فى ذكر هذا ههنا قال تعالى كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء اي من مثل
هذا واشباهه يتاكد الايمان فى قلوب اقوام ويتزلزل عند آخرين وله الحكمة البالغة وقوله وما يعلم جنود ربك الا هو اي
ما يعلم عددهم وكثرتهم الا هو لئلا يتوهم انما هم تسعة عشر فقط كما قاله طائفة من اهل الضلال والجهالة من الفلاسفة الانجاس
ومن شايعهم من الذين سمعوا هذه الآية فارادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة التى اخترعوا دعواها وعجزوا
على اقامة الدليل على مقتضاها فافهموا صدر الآية وقد كفروا باخرها وهو قوله وما يعلم جنود ربك الا هو وقد ثبت فى
الصحيحين وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال فى صفة البيت المعمور الذى فى السماء السابعة فاذا هو يدخله فى كل يوم
سبعون الف ملك لا يعودون اليه آخر ما عليهم وعن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى ارى ما لا ترون و
اسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وعليه ملك ساجد لو علمتم ما اعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا ولا تلذذتم بالنساء فى الفرشات ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله فقال ابو ذر والله لوددت انى
شجرة تعضد رواه احمد والترمذى وابن ماجه ولهذا الحديث طرق وروايات مرفوعا وموقوفا وعن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما فى السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف الا وفيه ملك قائم او ملك ساجد او ملك راكع فاذا كان
يوم القيمة قالوا جميعا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك الا انا لم نشرك بك شيئا رواه الطبرانى وقوله وما هى الا ذكرى للبشر
اي ما النار التى وصفت الا ذكرى للبشر ثم قال كلا والقمر والليل اذ ادبر اى ولى والصبح اذا اسفر اي اشرق انها لاحدى
الكبر اي العظائم يعنى النار قاله ابن عباس وغير واحد نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر اي لمن شاء ان يقبل
النذارة ويهتدى للحق او يتاخر عنها ويردها وانكرها كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين فى جنات
يتساءلون عن المجرمين ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض
مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن
التذكرة معرضين كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة
كلا بل لا يخافون الآخرة كلا انه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله هو اهل
التقوى واهل المغفرة اخبر تعالى ان كل نفس بما كسبت رهينة اى مرهونة ماخوذة بعملها يوم القيمة قاله ابن عباس
الا اصحاب اليمين فانهم فى جنات يتساءلون عن المجرمين اي يسالون المجرمين وهم فى الغرفات واولئك فى الدركات قائلين لهم
ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين اي ما عبدنا ربنا ولا احسنا الى الخلق من جنسنا وكنا نخوض

مع الخائضين

مع الخائضين اى نتكلم فيما لا نعلم وقال قتادة كلما غوى غاو غوينا معه وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين وهو الموت
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شان عثمن بن مظعون حين توفى اما هو فقد جاءه اليقين من ربه قال تعالى فما
تنفعهم شفاعة الشافعين اى من كان متصفا بمثل هذه الصفات فانه لا تنفعه يوم القيمة شفاعة شافع فيه لان الشفاعة انما
تنجع اذا كان المحل قابلا فاما من وافى الله كافرا يوم القيمة فانه له النار لا محالة خالدا فيها قال تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين
اى فما لهؤلاء الكفرة الذين قبلك عما تدعوهم اليه وتذكرهم به معرضين كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة اى كانهم فى نفارهم
عن الحق واعراضهم عنه حمر من حمر الوحش اذا فرت ممن يريد صيدها من اسد ونحوه قاله ابن عباس وكثيرون وعليه الجمهور
والقسورة اسم من اسامى الاسد وقوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة اى بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين
ان ينزل عليه كتاب كما انزل على النبى صلى الله عليه وسلم قاله مجاهد وغيره والصحف الكتب جمع صحيفة والمنشرة المنشورة وقوله
كلا بل لا يخافون الآخرة اى انما افسدهم عدم ايمانهم بها وتكذيبهم بوقوعها ثم قال تعالى كلا انه تذكرة اى حقا ان القرآن
تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله وقوله هو اهل التقوى واهل المغفرة اى هو اهل ان يخاف منه وهو اهل ان
يغفر ذنب من تاب اليه واناب قاله قتادة وعن انس قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية هو اهل التقوى واهل
المغفرة فقال قال ربكم انا اهل ان اتقى فلا يجعل معى اله فمن اتقى ان يجعل معى الها كان اهلا ان اغفر له رواه احمد والترمذى وابن ماجه
وهكذا رواه غيرهم والله اعلم

تفسير سورة القيمة وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم
القيمة ولا اقسم بالنفس اللوامة ايحسب الانسان الن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوى بنانه
بل يريد الانسان ليفجر امامه يسئل ايان يوم القيمة فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر
يقول الانسان يومئذ اين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم
واخر بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره قد سبق غير مرة ان المقسم عليه اذا كان منفيا جاز الاتيان
بلا قبل القسم والمقسم عليه ههنا هو اثبات المعاد والرد على منكرى بعث الاجساد ولهذا قال لا اقسم بيوم القيمة ولا اقسم بالنفس
اللوامة وقال الحسن اى اقسم بيوم القيمة ولم يقسم بالنفس اللوامة وقال قتادة بل اقسم بهما جميعا وهو الصحيح المروى عن ابن عباس
واختاره ابن جرير ويوم القيمة معروف والنفس اللوامة فهى الفاجرة وقال الحسن ليس احد من اهل السموات والارض الا يلوم نفسه
يوم القيمة وسئل عكرمة عنها قال يلوم على الخير والشر ولا تصبر على السراء والضراء وقال الفراء ليس من نفس برة ولا فاجرة الا
وهى تلوم نفسها ان كانت عملت خيرا قال هلا زدت وان عملت شرا قالت يا ليتنى لم افعل وقوله ايحسب الانسان الن نجمع
عظامه اى ايظن الانسان الضال انا لا نقدر على اعادة عظامه وجمعها من اماكنها المتفرقة يوم القيمة بلى قادرين على ان نسوى
بنانه قال ابن عباس وغير واحد اى نجعله خفا او حافرا ووجهه ابن جرير بانه تعالى لو شاء لجعل ذلك فى الدنيا والظاهر ان
قوله قادرين حال من قوله نجمع اى يظن الانسان ان لا نجمع عظامه بلى سنجمعها قادرين على ان نسوى بنانه اى قدرتنا صالحة
لجمعها ولو شئنا لبعثناه ازيد مما كان فنجعل بنانه وهى اطراف اصابعه مستوية كما قاله ابن قتيبة والزجاج وقوله بل يريد الانسان
ليفجر امامه قال ابن عباس يعنى الامل اى يعمل ثم يتوب قبل يوم القيمة وقيل هو الكفر بالحق بين يدى القيمة وقال مجاهد وغير واحد
اى يمضى قدما على معاصى الله ما عاش راكبا راسه لا ينزع عنها ولا يتوب وقال ابن جرير وغير واحد هو الذى يعجل الذنوب
ويسوف التوبة حتى ياتيه الموت على شر احواله وسوء اعماله وقيل هو الكافر مكذب بيوم الحساب كما قاله ابن زيد وهو الاظهر
ولهذا قال بعده يسال ايان يوم القيمة اى يقول متى يكون يوم القيمة استبعادا لوقوعه وتكذيبا لوجوده كما قال تعالى ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين الآية فاذا برق البصر قرا ابو عمرو بكسر الراء اى حار كما فى قوله تعالى لا يرتد اليهم طرفهم اى بل ينظرون

اى شخص وتحير من شدة الفزع واصله من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره

من الفزع هكذا وهكذا لا تستقر لهم نفس على شيء من شدة الرعب وقرأ آخرون بالفتح وهو قريب من الأول والمقصود أن
الأبصار تحار يوم القيمة وتخشع وتذل من شدة الأهوال ومن عظم ما تشاهده هناك وقوله وخسف القمر أي ذهب
ضوءه وجمع الشمس والقمر قال مجاهد أي كورا وقال عطاء يجمعان يوم القيمة فيقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى
وقوله يقول الانسان يومئذ أين المفر أي اذا عاين ابن آدم هذه الأهوال يوم القيمة حينئذ يريد أن يفر ويقول أين المفر
أي هل من ملجإ او موئل قال الله كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر وقال ابن عباس وغير واحد لا نجاة كقوله ما لكم من
ملجإ يومئذ وما لكم من نكير أي مكان تتنكرون فيه فقوله لا وزر أي ليس لكم مكان تعتصمون فيه ولهذا قال الى ربك يومئذ
المستقر أي المرجع والمصير ثم قال ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم وأخر أي يخبر بجميع أعماله قديمها وحديثها أولها وآخرها
وصغيرها وكبيرها كما قال ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا وقوله بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره أي هو شهيد
على نفسه عالم بما فعله ولو اعتذر وأنكر كما قال تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وعن ابن عباس سمعه وبصره ويديه ورجليه
وجوارحه وقال قتادة اذا شئت والله رأيته بصيرا بعيوب الناس وذنوبهم غافلا عن ذنوبه وكان يقال ان في الانجيل مكتوبا يا ابن
آدم تبصر القذاة في عين أخيك وتترك الجذع في عينك لا تبصره ولو ألقى معاذيره قال مجاهد ولو جادل عنها فهو بصير عليها وقال
ابن زيد بعيره واحد ولو ألقى معاذيره أي حجته واختاره ابن جرير وقال ابن عباس هي الاعتذار ألم تسمع أنه قال يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم

لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة

هذا تعليم من الله تعالى لرسوله عليه الصلوة والسلم في كيفية تلقيه الوحي من الملك فانه كان يبادر الى أخذه و
يسابق الملك في قراءته فأمره الله اذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له وتكفل له أن يجمعه في صدره وأن ييسره لأدائه على الوجه
الذي ألقاه اليه وأن يبينه له ويوضحه ويفسره فالحالة الأولى جمعه في صدره والثانية تلاوته والثالثة تفسيره وايضاح معناه
ولهذا قال لا تحرك به لسانك لتعجل به أي بالقرآن كما قال ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه ثم قال ان علينا جمعه أي
في صدرك وقرآنه أي أن تقرأه فاذا قرأناه أي اذا تلاه عليك الملك عن الله تعالى فاتبع قرآنه أي فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك ثم ان
علينا بيانه أي بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا وفي الصحيحين عن ابن عباس قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك شفتيه فأنزل الله لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه و
قرآنه قال جمعه في صدرك ثم تقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه فاستمع له وأنصت ثم ان علينا بيانه فكان بعد ذلك اذا انطلق جبريل
قرأه كما أقرأه وقوله كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة أي انما يحملهم على التكذيب بيوم القيمة ومخالفة الحق والقرآن العظيم أنهم
انما همتهم الى الدنيا العاجلة وهم لاهون متشاغلون عن الآخرة ثم قال وجوه يومئذ ناضرة من النضارة أي حسنة مشرقة مسرورة
الى ربها ناظرة أي تراه عيانا كما في صحيح البخاري انكم سترون ربكم عيانا وقد ثبتت رؤية المؤمنين الله عز وجل في الدار الآخرة
في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها لحديث أبي هريرة وأبي سعيد وهما في الصحيحين أن ناسا
قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة فقال هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب قالوا لا قال فانكم ترون
ربكم كذلك وفيهما أيضا عن جرير قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القمر ليلة البدر فقال انكم ترون ربكم كما ترون هذا
القمر فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلوة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا وفي أفراد مسلم عن صهيب عن النبي صلى الله عليه و
سلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار
قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم وهي الزيادة ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وفيها

وفيهما عن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم عيانا

قوله ان لا تغلبوا أصله لا تصيروا مغلوبين بالاشتغال
عن صلوتي الفجر والعصر وانما خصهما بالحث
لما في الصبح من الميل الى الاستراحة والنوم
والعصر قيام الأسواق والاشتغال
بالمعاملات في الصلوة مع ما لهما من قوة المانع فلا تحرى ان لا تفوته في غيرها

أيضا عن جابر أن الله يتجلى للمؤمنين يضحك يعني في عرصات القيمة ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون الى ربهم تعالى في
العرصات وفي روضات الجنات وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي
سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر الى أزواجه وخدمه وان أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله كل يوم مرتين رواه أحمد و
الترمذي والأحاديث في هذا كثيرة وقد سبق في مواضع من هذا التفسير وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وأئمة الاسلام
وهداة الأنام ومن تأول ذلك بأن المراد بالى مفرد الآلاء وهي النعم كما قال بعضهم الى ربها ناظرة أي تنتظر الثواب من
ربها فقد أبعد النجعة وأبطل فيما ذهب اليه وأين هو من قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الشافعي ما حجب الفجار
الا وقد علم أن الأبرار يرونه ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما دل عليه سياق الآية الكريمة وهي قوله الى ربها
ناظرة قال ابن جرير حدثنا محمد بن اسمعيل البخاري حدثنا آدم حدثنا المبارك عن الحسن وجوه يومئذ ناضرة قال الحسنة الى ربها ناظرة قال
تنظر الى الخالق وحق لها أن تنضر وهي تنظر الى الخالق وقوله ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة هذه وجوه الفجار
تكون يوم القيمة باسرة قال قتادة كالحة متغيرة قال ابن زيد عابسة تظن أي تستيقن أن يفعل بها فاقرة قال مجاهد داهية وقال
ابن زيد تظن أن ستدخل النار وهذا كقوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وأشباه هذه الآية كثيرة

كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى أهله يتمطى أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى

يخبر تعالى عن حالة الاحتضار وما عنده من الأهوال ثبتنا الله هنالك بالقول الثابت
فقال كلا اذا بلغت التراقي ان جعلنا كلا رادعة فمعناها لست يا ابن آدم هناك تكذب بما أخبرت به بل صار ذلك عندك عيانا و
ان جعلنا بمعنى حقا فظاهر أي حقا اذا بلغت التراقي أي انتزعت روحك من جسدك وبلغت تراقيك والتراقي جمع ترقوة وهي العظام
التي بين ثغرة النحر والعاتق كقوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون وقيل من
راق قال ابن عباس أي من راق يرقي وقيل أي من طبيب شاف وقيل من يرقى بروحه ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب والتفت
الساق بالساق قال ابن عباس التفت عليه الدنيا والآخرة آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة فتلتقي الشدة بالشدة
الا من رحم الله وقال عكرمة بلاء ببلاء وقال الحسن ماتت رجلاه فلم تحملاه وعنه هو لفهما بالكفن وقال الضحاك اجتمع
عليه أمران الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وقوله الى ربك يومئذ المساق أي المرجع والمآب
وذلك أن الروح ترفع الى السموات فيقول الله ردوا عبدي الى الأرض فاني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها
أخرجهم تارة أخرى وقوله فلا صدق ولا صلى هذا اخبار عن الكافر الذي كان في الدنيا مكذبا للحق بقلبه متوليا عن العمل بقالبه
فلا خير فيه باطنا ولا ظاهرا ولهذا قال فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى أهله يتمطى أي جذلان أشرا بطرا كسلان
لا همة له ولا عمل وقال ابن عباس يتمطى أي يختال وقال قتادة يتبختر قال تعالى أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى وهذا تهديد و
وعيد شديد منه تعالى للكافر به المتبختر في مشيته أي يحق لك أن تمشي هكذا وقد كفرت بخالقك وبارئك كما يقال في مثل
هذا على سبيل التهكم والتهديد كقوله ذق انك أنت العزيز الكريم وقال قتادة وعيد على اثر وعيد كما تسمعون وزعموا أن عدو الله
أبا جهل أخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم بمجامع ثيابه ثم قال أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى فقال أبو جهل أتوعدني يا محمد
والله لا تستطيع ولا ربك شيئا واني لأعز من مشى بين جبليها وقوله أيحسب الانسان أن يترك سدى يعني لا يبعث ولا يؤمر ولا ينهى

وظن أنه الفراق

أي ابو جهل اول وجود انمي
بيكار سورت الى اذا احلته

ابو جهل روز بدر لشكر اسلام در پيش اول بود
كيف لسن اورا روز جهنم كس جدا را كابها بر شتند
الله تعالى دو بيم بود كانست ما او را محروم كوردند هم كشته
افتاده بود عبد الله مسعود مراد كاست واو را تمام كشته كرد

بل هو مأمور منهي في الدنيا محشور الى الله في الآخرة والمقصود اثبات المعاد والرد على من انكره ولهذا قال مستدلا على الاعادة
بالبداءة فقال الم يك نطفة من مني يمنى اي اما كان الانسان نطفة ضعيفة من ماء مهين يراق من الاصلاب في
الارحام ثم كان علقة فخلق فسوى اي فصار علقة ثم مضغة ثم شكل ونفخ فيه الروح فصار خلقا آخر سويا سليم الاعضاء
ذكرا او انثى باذن الله وتقديره ولهذا قال فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ثم قال اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى اي اما
هذا الذي انشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقادر على ان يعيده كما بدأه وتناول القدرة للاعادة اما
بطريق الاولى بالنسبة الى البداءة واما مساوية على القولين في قوله وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه والاول
اشهر كما سبق بيانه في سورة الروم وفي سنن ابي داود ان رجلا كان يصلي فوق بيته فكان اذا قرأ اليس ذلك بقادر على ان يحيي
الموتى قال سبحانك فبلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية ابن ابي حاتم سبحانك اللهم
فبلى وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى الى آخرها اليس الله باحكم الحاكمين
فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا اقسم بيوم القيمة فانتهى الى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فليقل بلى و
من قرأ والمرسلات فبلغ فباي حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله رواه احمد وابو داود والترمذي تفسير سورة الانسان
وهي مكية عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلوة الصبح يوم الجمعة الم تنزيل السجدة وهل اتى على الانسان
رواه مسلم وروى مرسلا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه السورة هل اتى على الانسان حين من الدهر وقد انزلت عليه
وعنده رجل اسود فلما بلغ صفة الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج نفس صاحبكم او قال
اخيكم الشوق الى الجنة حديث غريب والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان
حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا
بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا اخبر تعالى عن حال الانسان انه اوجده بعد ان لم يكن شيئا مذكورا
يذكر لحقارته وضعفه فقال هل اتى على الانسان حين من الدهر اي قد اتى على آدم سنون وهو ملقى من طين قبل ان ينفخ فيه
الروح ولم يكن شيئا مذكورا اي لم يكن يذكر ولا يعرف ولا يدرى ما يراد به يعني كان شيئا ولم يكن مذكورا ثم بين ذلك فقال
انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه اي اخلاط والمشج والمشيج الشيء المختلط بعضه في بعض قال ابن عباس يعني ماء الرجل
وماء المرأة اذا اجتمعا واختلطا ثم ينتقل بعد من طور الى طور وحال الى حال ولون الى لون وبه قال اتباعه وقوله نبتليه
اي نختبره كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا فجعلناه سميعا بصيرا اي جعلنا له سمعا وبصرا يتمكن بهما من الطاعة والمعصية وقوله
انا هديناه السبيل اي بيناه ووضحنا له سبيل الحق والباطل وعرفناه طريق الخير والشر وعن مجاهد وغير واحد يعني خروجه من
الرحم والصحيح الاول وقوله اما شاكرا واما كفورا منصوب على الحال من الهاء في قوله انا هديناه السبيل تقديره فهو في ذلك اما
شقي واما سعيد كما روى ابو مالك الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها او معتقها
رواه مسلم وعن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة اعاذك الله من امارة السفهاء قال وما امارة السفهاء
قال امراء من بعدي لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي فمن صدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم فاولئك ليسوا مني ولست
منهم ولا يردون على حوضي ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فاولئك مني وانا منهم وسيردون على حوضي يا كعب بن
عجرة الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة والصلوة قربان او قال برهان يا كعب بن عجرة انه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت
النار اولى به الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها وبائع نفسه فموبقها رواه احمد وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما

صدق م

خارج

من خارج يخرج الا ببابه رايتان راية بيد ملك وراية بيد شيطان فان خرج لما يحب الله اتبعه الملك برايته فلم يزل تحت
راية الملك حتى يرجع الى بيته وان خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع الى
بيته رواه احمد انا اعتدنا للكافرين سلاسلا واغلالا وسعيرا ان الابرار يشربون من كاس كان
مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان
شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا
نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقيهم الله شر ذلك اليوم و
لقيهم نضرة وسرورا وجزيهم بما صبروا جنة وحريرا اخبر تعالى عما ارصده للكافرين من خلقه من السلاسل
والاغلال والسعير وهو اللهب والحريق في نار جهنم كما قال تعالى اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في
النار يسجرون ثم قال بعده ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة
مع ما يضاف الى ذلك من اللذة في الجنة قال الحسن برد الكافور في طيب الزنجبيل ولهذا قال عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها
تفجيرا اي هذا الذي مزج لهؤلاء الابرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صرفا بلا مزاج ويروون بها و
لهذا ضمن يشرب يروي حتى عداه بالباء ونصب عينا على التمييز قال بعضهم هذا الشراب في طيبه كالكافور وقيل هو من عين
كافور وقيل يجوز ان يكون منصوبا بيشرب وقوله يفجرونها تفجيرا اي يتصرفون فيها حيث شاؤا واين شاؤا من قصورهم
ودورهم ومجالسهم والتفجير هو الانباع كما قال تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وقال مجاهد اي يقودونها
حيث شاؤا وقال الثوري اي يصرفونها حيث شاؤا وقوله يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا اي يتعبدون لله
فيما اوجبه عليهم من الطاعات وما اوجبوه على انفسهم بطريق النذر وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه رواه البخاري ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من
سوء الحساب يوم المعاد وهو اليوم الذي شره مستطير يعني منتشرا فاشيا عام على الناس الا من رحم الله وقال قتادة استطار
والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والارض وقوله ويطعمون الطعام على حبه قيل اي على حب الله لدلالة السياق عليه و
الاظهر ان الضمير عائد على الطعام اي ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له قاله مجاهد وغيره واختاره ابن جرير كما قال وآتى
المال على حبه وفي الصحيح افضل الصدقة ان تصدق وانت صحيح شحيح تامل الغنى وتخشى الفقر اي في حال محبتك للمال وحرصك عليه و
حاجتك اليه قال بعضهم الاسير من اهل القبلة وقال ابن عباس كان اسراؤهم يومئذ مشركين ويشهد لهذا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم امر اصحابه يوم بدر ان يكرموا الاسراء فكانوا يقدمونهم على انفسهم عند الغداء وقال عكرمة هم العبيد واختاره ابن جرير
لعموم الآية للمسلم والكافر وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحسان الى الارقاء في غير ما حديث حتى انه كان آخر ما اوصى ان
جعل يقول الصلوة وما ملكت ايمانكم اي يطعمون لهؤلاء الطعام وهم يشتهونه ويحبونه قائلين بلسان الحال انما نطعمكم لوجه الله
اي رجاء ثواب الله ورضاه لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اي لا نطلب منكم جزاء ولا شكورا اي لا نطلب منكم مجازاة تكافئونا
بها ولا ان تشكرونا عند الناس قال مجاهد وابن جبير اما والله ما قالوا بالسنتهم ولكن علم الله به من قلوبهم فاثنى
عليهم به ليرغب راغب انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا اي انما نفعل هذا لعل الله ان يرحمنا و
يتلقانا بلطفه في اليوم العبوس القمطرير قال ابن عباس عبوسا ضيقا قمطريرا طويلا وقال عكرمة وغيره يعبس الكافر يومئذ
حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وقال سعيد بن جبير وقتادة يعبس فيه الوجوه من الهول قمطريرا تقليص الجبين

مسكينا ويتيما واسيرا

وما بين العينين من الهول وافصح العبارات في ذلك واجلاها واعلاها قول ابن عباس قال ابو حيان القمطرير هو الشديد
وذلك اشد الايام في البلاء والشدة قال تعالى فوقيهم الله شر ذلك اليوم ولقيهم نضرة وسرورا هذا من باب التجانس البليغ
فوقيهم شر ذلك اليوم اي آمنهم مما خافوا منه ولقيهم نضرة اي في وجوههم وسرورا اي في قلوبهم قاله الحسن وغير واحد
وهذا كقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وذلك ان القلب اذا سر استنار الوجه قال كعب بن مالك في حديثه
الطويل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه كانه فلقة قمر وقوله وجزاهم بما صبروا اي بسبب صبرهم
اعطاهم ونولهم وبواهم جنة وحريرا اي منزلا رحيبا وعيشا رغدا ولباسا حسنا وروى الحافظ ابن عساكر قال قرئ
على ابي سليمن الداراني سورة هل اتى على الانسان فلما بلغ القارئ قوله وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا قال بما صبروا على ترك الشهوات
في الدنيا ثم انشد كم قتيل لشهوة واسير اف من مشتهي خلاف جميل شهوات الانسان تورثه الذل وتلقيه في البلاء الطويل

متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها
تذليلا ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قواريرا قواريرا من فضة قدروها تقديرا
ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا ويطوف عليهم ولدان
مخلدون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا عاليهم
ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة وسقيهم ربهم شرابا طهورا ان هذا
كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا

اخبر تعالى عن اهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم وما اسبغ عليهم من الفضل
العميم فقال متكئين على الارائك وقد سبق الكلام على ذلك في سورة الصافات وان الاتكاء هل هو الاضطجاع او التربع او التمكن
في الجلوس وان الارائك هي السرر تحت الحجال وقوله لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا اي ليس لهم حر مزعج ولا برد
مولم بل هي مزاج واحد دائم لا يبغون عنها حولا ودانية عليهم ظلالها اي قريبة اليهم اغصانها وذللت قطوفها تذليلا
اي متى تعاطاه دنى القطف اليه وتدلى من اعلى غصنه كانه سامع طائع كما قال وجنى الجنتين دان وقال قطوفها دانية
وقال مجاهد ان قام ارتفعت بقدره وان قعد تذللت حتى ينالها وذلك قوله تذليلا وقال ايضا ارض الجنة من ورق وترابها
المسك واصول شجرها من ذهب وفضة وافنانها من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والثمر والورق بين ذلك فمن اكل منها
قائما لم يؤذه ومن اكل منها قاعدا لم يؤذه ومن اكل منها مضطجعا لم يؤذه وقوله ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب اي
يطوف عليهم الخدم باواني الطعام وهي من فضة واكواب الشراب وهي الكيزان التي لا عرى لها ولا خراطيم وهذه قوارير
قوارير من فضة فالاول منصوب بخبر كان والثاني منصوب اما على البدلية او التمييز لانه بينه بقوله من فضة قال ابن عباس
وغير واحد بياض الفضة في صفاء الزجاج والقوارير لا يكون الا من زجاج فهذه الاكواب هي من فضة وهي مع هذا شفافة
يرى ما في باطنها من ظاهرها وهذا مما لا نظير له في الدنيا قال ابن عباس وليس في الجنة شيء الا قد اعطيتم في الدنيا شبهه
الا قوارير من فضة وقوله قدروها تقديرا اي على قدر ريهم لا تزيد عليه ولا تنقص منه بل هي معدة لذلك مقدرة بحسب ري
صاحبها وبه قال ابن جبير وهذا ابلغ في الاعتناء والشرف والكرامة وقيل قدروها تقديرا اي على قدر الكف وهذا قريب
من ذلك فانها مقدرة في القدر والري وقوله ويسقون فيها كاسا يعني ويسقى الابرار في هذه الاكواب كاسا اي خمرا كان
مزاجها زنجبيلا فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد وتارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الامر وهؤلاء يمزج لهم من هذا
تارة ومن هذا اخرى واما المقربون فانهم يشربون من كل منهما صرفا كما قاله قتادة وغير واحد وقد سبق قوله تعالى عينا يشرب بها

تعددا وانقطع

كانت قوارير اوانيها من فضة

معنى قوله قواريرا
من فضة انها مخلوقة
من فضة وانها مع بياض
الفضة وحسنها في صفاء القوارير
وشفيفها [illegible]

عباد الله وقال ههنا عينا فيها تسمى سلسبيلا اي الزنجبيل عين في الجنة تسمى سلسبيلا قال مجاهد سميت بذلك لسلاسة سيلها
وحدة جريها وقيل لسلاستها في الحلق وقوله ويطوف عليهم ولدان مخلدون اي يطوف على اهل الجنة للخدمة ولدان من
ولدان الجنة مخلدون اي على حالة واحدة مخلدون عليها لا يتغيرون عنها لا يزيد اعمارهم عن تلك السن ومن فسرهم بانهم
مخرصون في آذانهم الاقرطة فانما عبر عن المعنى بذلك لان الصغير هو الذي يليق له ذلك دون الكبير وقوله اذا رايتهم حسبتهم
لؤلؤا منثورا اي اذا رايتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة وكثرتهم وصباحة وجوههم وحسن الوانهم وثيابهم
وحليهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ولا يكون في التشبيه احسن من هذا اذ ليس في المنظر احسن من اللؤلؤ المنثور في المكان الحسن
قال عبد الله بن عمرو ما من اهل الجنة من احد الا يسعى عليه الف خادم كل خادم على عمل ما عليه صاحبه وقوله واذا رايت ثم
اي واذا رايت يا محمد ثم اي هنالك يعني الجنة ونعيمها وسعتها وارتفاعها وما فيها من الحبرة والسرور رايت نعيما وملكا
كبيرا اي مملكة لله هنالك عظيمة وسلطانا باهرا وثبت في الصحيح ان الله يقول لآخر اهل النار منها وآخر اهل الجنة دخولا
اليها ان لك مثل الدنيا وعشرة امثالها فاذا كان هذا عطاؤه لادنى من يكون في الجنة وهو آخرهم دخولا فما ظنك بمن هو
اعلى منزلة واحظى عنده تعالى وقوله عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق اي لباس اهل الجنة فيها الحرير ومنه سندس وهو
رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي الابدان والاستبرق منه ما فيه بريق ولمعان وهو مما يلي الظاهر كما هو المعهود في اللباس
وحلوا اساور من فضة وهذه صفة الابرار واما المقربون فكما قال يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها
حرير ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلي قال بعده وسقيهم ربهم شرابا طهورا اي يطهر بواطنهم من الحسد والغل
والاذى وسائر الاخلاق الردية كما قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اذا انتهى اهل الجنة الى باب الجنة وجدوا هنالك عينين
فكانما الهموا ذلك فشربوا من احديهما فاذهبت ما في بطونهم من الاذى ثم اغتسلوا من الاخرى فجرت عليهم نضرة النعيم وقوله
ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا اي يقال لهم تكريما لهم واحسانا اليهم كما قال كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام
الخالية وقوله وكان سعيكم مشكورا اي جزاكم الله على القليل بالكثير

انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربك
ولا تطع منهم آثما او كفورا واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا
ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا
بدلنا امثالهم تبديلا ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤن الا ان يشاء الله ان
الله كان عليما حكيما يدخل من يشاء في رحمته والظالمين اعد لهم عذابا اليما

يقول تعالى ممتنا على رسوله عليه
الصلوة والسلام بما انزله عليه من القرآن العظيم تنزيلا فاصبر لحكم ربك اي كما اكرمتك بما انزلت عليك فاصبر على قضائه وقدره واعلم انه
سيدبرك بحسن تدبيره ولا تطع منهم آثما او كفورا اي لا تطع الكافرين والمنافقين ان ارادوا صدك عما انزل اليك بل بلغ ما
انزل اليك من ربك وتوكل على الله ان الله يعصمك من الناس فالآثم هو الفاجر في افعاله والكفور هو الكافر قلبه واذكر اسم ربك
بكرة واصيلا كقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك الآية ثم قال تعالى منكرا على الكفار ومن شابههم في حب الدنيا والاقبال اليها
وترك الآخرة وراء ظهورهم ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا يعني يوم القيمة ثم قال نحن خلقناهم وشددنا
اسرهم قال ابن عباس وغير واحد يعني خلقهم تقال بجل حسن الاسر اي الخلق يعني قوينا واحكمنا خلقهم واذا شئنا بدلنا
امثالهم تبديلا اي واذا شئنا بعثناهم يوم القيمة وبدلناهم فاعدناهم خلقا جديدا وهذا استدلال بالبداءة على الرجعة وقال
ابن زيد وابن جرير اي واذا شئنا اتينا بقوم آخرين غيرهم كقوله ان يشا يذهبكم ايها الناس ويات بآخرين وقوله ان يشا يذهبكم و

هذا المعنى

قال عطا يريد في بياض اللؤلؤ وحسنه
واللؤلؤ اذا نثر من الخيط على البساط
كان احسن منه منظوما قال اهل المعاني
انما شبهوا بالمنثور لانتشارهم في الخدمة
فلو كانوا صفا لشبهوا بالمنظوم

ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا

يات بخلق جديد ثم قال تعالى ان هذه يعني السورة تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي طريقا ومسلكا اي من شاء اهتدى
بالقرآن ثم قال وما تشاؤن الا ان يشاء الله اي لا يقدر احد ان يهدي نفسه ولا يدخل في ايمان ولا يجر لنفسه نفعا الا
ان يشاء الله ان الله كان عليما حكيما اي انه علم بمن يستحق الهداية فييسرها له ويقيض له اسبابها وبمن يستحق الغواية فيصرفه
عن الهدى وله الحكمة البالغة في ذلك ثم قال يدخل من يشاء في رحمته والظالمين اعد لهم عذابا اليما اي يهدي من يشاء و
يضل من يشاء ومن يهده فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له

تفسير سورة المرسلات وهي مكية

في الصحيحين عن ابن
مسعود قال بينما نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار بمنى اذ نزلت عليه والمرسلات فانه ليتلوها واني لاتلقاها من فيه و
ان فاه لرطب بها اذ وثبت علينا حية فقال النبي عليه الصلوة والسلام اقتلوها فابتدرناها فذهبت فقال النبي صلى الله
عليه وسلم وقيت شركم كما وقيتم شرها وفيهما ايضا عن ابن عباس ان ام الفضل سمعته يقرأ والمرسلات عرفا فقالت يا بني ذكرتني
بقراءتك هذه السورة انها لآخر ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في المغرب بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات
عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا انما
توعدون لواقع فاذا النجوم طمست واذا السماء فرجت واذا الجبال نسفت واذا الرسل اقتت
لاي يوم اجلت ليوم الفصل وما ادراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين قال ابو هريرة وغير واحد
والمرسلات عرفا يعني الملئكة وعن ابي صالح هي الرسل ايضا وقال ابن مسعود هي الريح وكذا في العاصفات والناشرات انها الريح و
هكذا عن ابن عباس وغير واحد وتوقف ابن جرير في المرسلات عرفا هل هي الملئكة اذا ارسلت بالعرف او كعرف الفرس يتبع
بعضهم بعضا او هي الرياح اذا هبت شيئا فشيئا وقطع بان العاصفات هي الرياح وبه قال علي بن ابي طالب وتوقف في الناشرات
هل هي الملئكة او الرياح كما سبق وعن ابي صالح انها المطر والاظهر ان المرسلات هي الرياح كما قال تعالى وارسلنا الرياح لواقح وكذا
العاصفات يقال عصفت الريح اذا هبت بتصويت وكذا الناشرات هي الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء وقوله فالفارقات
فرقا فالملقيات ذكرا قال ابن مسعود وابن عباس وغير واحد هي الملئكة بلا خلاف فانها تنزل بامر الله على الرسل تفرق بين الحق
والباطل والهدى والغي والحلال والحرام وتلقي الى الرسل وحيا فيه اعذار الى الخلق وانذار لهم عقاب الله ان خالفوا امره
وقوله عذرا او نذرا على قراءة العامة بسكون الذال في موضع مصدر بمعنى الاعذار والانذار وقوله انما توعدون لواقع هذا هو
المقسم عليه بهذه الاقسام ان ما وعدتم به من قيام الساعة والنفخ في الصور وبعث الاجساد وجمع الاولين والآخرين في صعيد واحد
ومجازاة كل عامل بعمله لكائن لا محالة ثم قال فاذا النجوم طمست اي ذهب ضوءها وانكدرت واذا السماء فرجت اي انفطرت
وانشقت وتدلت ارجاؤها ووهت اطرافها واذا الجبال نسفت اي ذهب بها فلا يبقى لها عين ولا اثر كقوله ويسئلونك
عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا الآية وقوله واذا الرسل اقتت قال ابن عباس اي جمعت كقوله يوم يجمع الله الرسل وقيل اي اجلت
وقيل اوعدت كقوله وجيء بالنبيين والشهداء الآية ثم قال لاي يوم اجلت اي اخرت وهذا تعجيب للعباد وتهويل لهم من ذلك
اليوم ثم بين فقال ليوم الفصل قال ابن عباس يوم يفصل الرحمن بين الخلائق ثم قال معظما لشانه وما ادراك ما يوم الفصل ويل
يومئذ للمكذبين اي ويل لهم من عذاب الله غدا الم نهلك الاولين ثم نتبعهم الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين
ويل يومئذ للمكذبين الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم
القادرون ويل يومئذ للمكذبين الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسي
شامخات واسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين يعني الم نهلك المكذبين للرسل المخالفين لما جاؤهم به سابقا

الاولين يعني الامم الماضية بالعذاب
في الدنيا حين كذبوا الرسل
مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم

ثم نتبعهم

نتبعهم الآخرين اي ممن اشبههم لاحقا وهنا قال كذلك نفعل بالمجرمين قاله ابن جرير ثم قال ممتنا على خلقه ومحتجا على الاعادة
بالبداءة الم نخلقكم من ماء مهين اي ضعيف حقير بالنسبة الى قدرة الباري كما سبق في سورة يس في حديث بسر بن جحاش يا ابن آدم
انى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه فجعلناه في قرار مكين يعني جمعناه في الرحم وهو قرار الماء من الرجل والمراة والرحم معد
لذلك حافظ لما اودع فيه من الماء بامر الله وقوله الى قدر معلوم يعني الى مدة معينة من ستة اشهر او تسعة اشهر ثم قال الم نجعل
الارض كفاتا احياء وامواتا معنى الكفت الضم والجمع قال مجاهد يكفت الميت فلا يرى منه شيء وعن الشعبي بطنها لامواتكم و
ظهرها لاحيائكم وبه قال قتادة وغيره وجعلنا فيها رواسي يعني الجبال العالية رسا بها الارض لئلا تميد وتضطرب واسقيناكم
ماء فراتا اي عذبا زلالا من السحب ومما انبعه من عيون الارض ويل لمن تامل هذه المخلوقات الدالة على عظمة خالقهم ثم بعد هذا
يستمر على تكذيبه وكفره انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ظل ذي ثلث شعب لا ظليل ولا يغني
من اللهب انها ترمي بشرر كالقصر كانه جمالات صفر ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون و
لا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين فان كان لكم
كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين خاطب تعالى الكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار انهم يقال لهم يوم
القيمة انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون اي في الدنيا انطلقوا الى ظل ذي ثلث شعب يعني لهب النار اذا ارتفع وصعد معه دخان فمن
شدته وقوته ان له ثلث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب اي لا يظل من الحر ولا يرد لهب جهنم عنكم يعني انهم اذا استظلوا بذلك
الظل لم يدفع عنهم حر اللهب وقوله انها ترمي بشرر كالقصر اي يتطاير الشرر من لهبها كالقصر اي كالبناء العظيم كالحصون
وعن ابن عباس وجماعة هي الخشب العظام المقطعة كاصول الشجر كانها جمالات صفر اي كالابل قاله مجاهد والحسن وقتادة
واختاره ابن جرير وعن ابن عباس وغيره يعني حبال السفن وعنه ايضا قطع النحاس وفي البخاري عن ابن عباس قال كنا نعمد
الى الخشبة ثلثة اذرع وفوق ذلك نرفعه للشتاء نسميه القصر كانه جمالات صفر حبال السفن تجمع حتى تكون كاوساط
الرجال ثم قال تعالى هذا يوم لا ينطقون اي لا يتكلمون ولا يؤذن لهم فيعتذرون اي لا يقدرون على الكلام ولا يؤذن لهم فيه
ليعتذروا بل قد قامت عليهم الحجة ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ولعرصات القيمة حالات والرب تعالى يخبر
عن هذه الحالة تارة وعن هذه اخرى ليدل على شدة الاهوال والزلازل يومئذ ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام ويل
يومئذ للمكذبين وقوله هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين هذه مخاطبة من الخالق لعباده يقول لهم هذا يوم الفصل جمعناكم
والاولين يعني انه جمعهم بقدرته في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وقوله فان كان لكم كيد فكيدون تهديد
شديد ووعيد اكيد اي ان قدرتم على ان تتخلصوا من قبضتي وتنجوا من حكمي فافعلوا فانكم لا تقدرون على ذلك كما قال تعالى
يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض الآية وفي الحديث الصحيح يا عبادي انكم لن تبلغوا
نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني وعن ابي عبد الله الجدلي قال اتيت بيت المقدس فاذا عبادة بن الصامت
وعبد الله بن عمرو وكعب الاحبار يتحدثون فيها فقال عبادة اذا كان يوم القيمة جمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد
ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي ويقول الله هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين فان كان لكم كيد فكيدون اليوم لا ينجو
مني جبار عنيد ولا شيطان مريد فقال عبد الله بن عمرو فانا نحدث يومئذ انها تخرج عنق من النار فتنطلق حتى اذا
كانت بين ظهراني الناس نادت ايها الناس اني بعثت الى ثلثة انا اعرف بهم من الاب بولده ومن الاخ باخيه لا يغيبهم
عني وزر ولا تخفيهم عني خافية الذي جعل مع الله الها آخر وكل جبار عنيد وكل شيطان مريد فينطوي عليهم فيقذفهم

المهين اي نتن

فقدرنا فنعم القادرون [illegible]

الى النار قبل الحساب باربعين سنة رواه ابن ابي حاتم ان المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون
كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون انا كذلك نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا و
تمتعوا قليلا انكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ
للمكذبين فباي حديث بعده يؤمنون اخبر تعالى عن عباده المتقين الذين عبدوه باداء الواجبات وترك المحرمات
انهم يوم القيمة يكونون في جنات وعيون اي بخلاف ما اولئك الاشقياء فيه من ظل اليحموم وهو الدخان الاسود المنتن وفواكه مما
يشتهون اي ومن سائر انواع الثمار مهما طلبوا وجدوا كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك على سبيل الاحسان اليهم
ثم قال تعالى مخبرا مستانفا انا كذلك نجزي المحسنين اي هذا جزاؤنا لمن احسن العمل ويل يومئذ للمكذبين وقوله كلوا وتمتعوا قليلا
انكم مجرمون خطاب للمكذبين بيوم الدين امرهم امر تهديد ووعيد اي هذه قليلة قريبة الزوال ثم تساقون الى نار جهنم بكفركم
عنادكم كما قال تعالى نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ وقوله واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون اي اذا امر هؤلاء الجهلة من
الكفار ان يكونوا من المصلين مع الجماعة امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه ولهذا قال ويل يومئذ للمكذبين ثم قال فباي حديث
بعده يؤمنون اي فباي كلام بعد القرآن يؤمنون وعن ابي هريرة رواية اذا قرا والمرسلات عرفا فقرا فباي حديث بعده يؤمنون
فليقل آمنت بالله وبما انزل رواه ابن ابي حاتم وقد سبق هذا الحديث مستوفى في آخر سورة القيمة والله اعلم تفسير سورة

النبا وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون عن النبا العظيم الذي هم فيه
مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم
ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا
وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا قال تعالى منكرا على المشركين في تساؤلهم عن يوم القيمة
انكارا لوقوعها عم يتساءلون اي عن اي شيء يتساءلون من امر القيمة وهو النبا العظيم يعني الخبر الهائل المفظع وقال قتادة وابن
زيد النبا العظيم البعث بعد الموت وقال مجاهد هو القرآن والاظهر الاول لقوله الذي هم فيه مختلفون يعني الناس فيه على
قولين مؤمن به وكافر ثم قال متوعدا لمنكري القيمة كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون كلا نفي لقولهم وسيعلمون اي عاقبة تكذيبهم حين
تنكشف والثاني وعيد لهم على اثر وعيد ثم شرع تعالى يبين قدرته العظيمة على خلق الاشياء الغريبة والامور العجيبة الدالة على
كمال قدرته فقال الم نجعل الارض مهادا اي ممهدة للخلائق وفراشا لهم قارة ساكنة ثابتة والجبال اوتادا اي جعلها لها اوتادا ارساها
بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها ثم قال وخلقناكم ازواجا يعني ذكرا وانثى يستمتع كل منهما بالآخر
ويحصل التناسل بذلك كقوله ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وقوله وجعلنا نومكم سباتا اي قطعا للحركة
لتحصل الراحة من كثرة الترداد والسعي في المعايش في عرض النهار كما سبق مثله في سورة الفرقان وجعلنا الليل لباسا اي يغشى الناس
ظلامه وسواده كما قال والليل اذا يغشاها وقال قتادة اي سكنا وقوله وجعلنا النهار معاشا اي جعلناه مشرقا نيرا مضيئا
ليتمكن الناس من التصرف فيه والذهاب والمجيء للمعايش والتكسب والتجارات وغير ذلك وقوله وبنينا فوقكم سبعا شدادا يعني
السموات السبع في اتساعها وارتفاعها واحكامها واتقانها وتزيينها بالكواكب الثوابت والسيارات ولهذا قال وجعلنا سراجا
وهاجا يعني الشمس المنيرة على جميع العالم التي يتوهج ضوؤها لاهل الارض كلهم وقوله وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا قال ابن عباس
المعصرات الرياح وبه قال غير واحد يعني انها تستدر المطر من السحاب و المعصرات السحاب هي التي تتحلب بالمطر ولم تمطر بعد كما
يقال امراة معصرة اذا دنا حيضها ولم تحض قاله الفراء وهو اختيار ابن جرير قال قتادة وغيره هي السموات والاول اظهر كما قال تعالى

الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء الآية وقوله ماء ثجاجا اي منصبا متتابعا كثيرا وقوله لنخرج به حبا
ونباتا وجنات الفافا اي لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك حبا يدخر للاناسي والانعام ونباتا اي خضرا
يؤكل رطبا وجنات اي بساتين وحدائق من ثمرات متنوعة والوان مختلفة وطعوم وروائح متفاوتة وان كان ذلك في
بقعة واحدة من الارض مجتمعا ولهذا قال وجنات الفافا قال ابن عباس وغيره اي مجتمعة ان يوم الفصل كان ميقاتا
يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا وفتحت السماء فكانت ابوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا
ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مابا لابثين فيها احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا
حميما وغساقا جزاء وفاقا انهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا باياتنا كذابا وكل شيء احصيناه
كتابا فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا اخبر تعالى عن يوم الفصل وهو يوم القيمة انه مؤقت باجل معدود لا يزاد عليه ولا
ينقص منه ولا يعلم وقته على التعيين الا الله كما قال وما نؤخره الا لاجل معدود يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا قال مجاهد
اي زمرا زمرا قال ابن جرير يعني تاتي كل امة مع رسولها كقوله يوم ندعو كل اناس بامامهم وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا اربعون يوما قال ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابيت قالوا
اربعون سنة قال ابيت قال ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظما
واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيمة وفتحت السماء فكانت ابوابا اي طرقا ومسالك لنزول الملئكة
وسيرت الجبال فكانت سرابا كقوله وتكون الجبال كالعهن المنفوش اي يخيل للناظر انها شيء وليست بشيء وبعد ذلك يذهب
بالكلية فلا عين ولا اثر كما قال ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا الآية وقال ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وقوله
ان جهنم كانت مرصادا للطاغين اي مرصدة معدة للعصاة المتمردين مابا اي مرجعا ومنقلبا ومصيرا وقال الحسن وقتادة
يعني لا يدخل احد الجنة حتى يجتاز بالنار فان كان معه جواز نجا والا احتبس وقال سفين الثوري عليها ثلث قناطر وقوله
لابثين فيها اي ماكثين فيها احقابا جمع حقب وهو المدة من الزمان وقد اختلفوا في مقداره قال علي بن ابي طالب لهلال
الهجري ما تجدون الحقب في كتاب الله المنزل قال نجده ثمانين سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلثون يوما كل يوم الف
سنة وهكذا روي عن ابن عباس وابي هريرة وجماعة رواه ابن جرير وعن ابن ابي حاتم قال عبد الله بن عمرو الحقب اربعون
سنة كل يوم منها كالف مما تعدون وقال بشير بن كعب ذكر لي ان الحقب الواحد ثلثمائة سنة وستون يوما كل يوم
الف سنة رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وقال السدي سبعمائة حقب كل حقب سبعون سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما
كل يوم كالف سنة مما تعدون وروى مقاتل بن حيان ان هذه الآية منسوخة بقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا وقال خالد بن
معدان هذه الآية وقوله الا ما شاء ربك في اهل التوحيد رواهما ابن جرير ثم قال ويحتمل ان يكون قوله لابثين فيها احقابا متعلقا
بقوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا ثم يحدث الله لهم بعد ذلك عذابا من شكل آخر ونوع آخر والصحيح انها لا انقضاء لها وقال قتادة
لا يعلم عدة هذه الاحقاب الا الله وقال الحسن ليس لها عدة الا الخلود في النار رواهما ابن جرير وقوله لا يذوقون فيها بردا ولا
شرابا اي لا يجدون في جهنم بردا لقلوبهم ولا شرابا طيبا يتغذون به ولهذا قال الا حميما وغساقا قال ابو العالية استثنى
من البرد الحميم ومن الشراب الغساق فاما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره وحموه والغساق هو ما اجتمع من صديد اهل النار
وعرقهم ودموعهم وجروحهم فهو بارد لا يستطاع من برده ولا يواجه من نتنه وقد سبق البحث عنه في سورة
ص وقيل المراد بقوله بردا النوم والنعاس يقول العرب منع البرد البرد اي اذهب البرد النوم وقوله جزاء وفاقا اي
هذا الذي صاروا اليه من هذه العقوبة وفق اعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا قاله مجاهد وغير واحد ثم قال انهم

كانوا لا يرجون حسابا اى لم يكونوا يعتقدون ان ثم دارا يجازون فيها ويحاسبون وكذبوا بآياتنا كذابا اي تكذيبا وهو مصدر من غير الفعل قال الفراء هي لغة يمانية فصيحة يقولون في مصدر التفعيل فعالا وقال لي اعرابي منهم على المروة يستفتيني الحلق احب اليك ام القصار اي بالتشديد في مصدر التقصير وقوله وكل شيء احصيناه كتابا اي وقد علمنا اعمال العباد كلهم وكتبناها عليهم وسنجزيهم على ذلك وقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا اي يقال لاهل النار ذوقوا ما انتم فيه فلن نزيدكم الا عذابا الا من جنسه وآخر من شكله ازواج فهم في مزيد من العذاب ابدا وعن الحسن قال سألت ابا برزة الاسلمي عن اشد آية في كتاب الله على اهل النار قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا فقال هلك القوم بمعاصيهم الله عز وجل حديث ضعيف رواه ابن ابي حاتم ان للمتقين مفازا حدائق واعنابا وكواعب اترابا وكاسا دهاقا لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا اخبر تعالى عن السعداء وما اعد لهم من الكرامة والنعيم المقيم فقال ان للمتقين مفازا قال ابن عباس اي متنزها وقال مجاهد وقتادة فازوا فنجوا من النار والاظهر الاول لانه قال بعده حدائق وهي البساتين من النخيل وغيرها واعنابا وكواعب اترابا اي وحورا كواعب اي نواهد قاله ابن عباس وغيره يعني ان ثديهن نواهد لم يتدلين لانهن ابكار عرب اتراب اي في سن واحدة كما سبق في سورة الواقعة وعن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان قمص اهل الجنة لتبدو من رضوان الله وان السحابة لتمر بهم فتناديهم يا اهل الجنة ماذا تريدون ان امطركم حتى انها لتمطرهم الكواعب الاتراب رواه ابن ابي حاتم وقوله كاسا دهاقا قال ابن عباس مملوءة متتابعة صافية وقوله لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا كقوله لا لغو فيها ولا تاثيم اي ليس فيها كلام لاغ عار عن الفائدة ولا اثم كذب بل هي دار السلام وكل كلام فيها سالم من النقص وقوله جزاء من ربك عطاء حسابا اى هذا الذى ذكرناه جازاهم الله به واعطاهموه بفضله ومنه واحسانه عطاء حسابا اى كافيا وافيا سالما كثيرا تقول العرب اعطاني فاحسبني اي كفاني ومنه حسبي الله اى الله كافي رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مابا انا انذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا اخبر تعالى عن عظمته وجلاله وانه رب السموات والارض وما فيهما وما بينهما وانه الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء وقوله لا يملكون منه خطابا اي لا يقدر احد على ابتداء مخاطبته الا باذنه كقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وكقوله يوم يات لا تكلم نفس الا باذنه وقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا اختلفوا في المراد بالروح ههنا على اقوال احدها عن ابن عباس انهم ارواح بني آدم الثاني هم بنو آدم قاله الحسن وقتادة وقال وهذا مما يكتمه ابن عباس الثالث انهم خلق من خلق الله على صورة بني آدم وليسوا ملائكة ولا بشر وهم ياكلون ويشربون قاله ابن عباس وغيره الرابع هو جبريل قاله ابن جبير وغيره مستشهدا بقوله نزل به الروح الامين على قلبك الآية وقال مقاتل بن حيان الروح اشرف الملائكة واقرب الى الرب تعالى وصاحب الوحي الخامس انه القران قاله ابن زيد لقوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا الآية السادس انه ملك من الملائكة بقدر جميع المخلوقات وعن ابن عباس ايضا انه ملك عظيم من اعظم الملائكة خلقا وقال ابن مسعود الروح في السماء الرابعة وهو اعظم من السموات والجبال ومن الملائكة يسبح كل يوم اثني عشر الف تسبيحة يخلق من كل تسبيحة ملك من الملائكة يجيء يوم القيمة صفا وحده وهذا قول غريب جدا وتوقف ابن جرير فلم يقطع بواحد من هذه الاقوال والاشبه والله اعلم انه بنو آدم وقوله الا من اذن له الرحمن كقوله لا تكلم نفس الا باذنه وكما ثبت في الصحيح ولا يتكلم يومئذ الا الرسل وقوله وقال صوابا اى حقا ومن الحق لا اله الا الله كما قاله ابو صالح وعكرمة وقوله ذلك

من الاعمال صغيرا وكبيرا في اللوح المحفوظ

وفوزا بالجنة ونجاة من النار

مستويات في السن

ولجنها على طريقة الالتفات شاهدا على ان الغضب قد بلغ الغاية ۹

اليوم الحق

اليوم الحق اى الكائن لا محالة فمن شاء اتخذ الى ربه مابا اى سبيلا وطريقا يهتدي اليه ومنهجا يمر عليه وقوله انا انذرناكم عذابا قريبا يعني يوم القيمة لتاكيد وقوعه صار قريبا لان كل ما هو آت فهو آت يوم ينظر المرء ما قدمت يداه اى يعرض عليه جميع اعماله خيرها وشرها كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا وكقوله ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم واخر ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا اى يود الكافر يومئذ انه كان في الدنيا ترابا ولم يكن خلق ولا خرج الى الوجود وذلك حين عاين عذاب الله ونظر الى اعماله الفاسدة قد سطرت عليه بايدي الملائكة السفرة الكرام البررة وقيل انما يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا فيفصل بينها بحكمه العدل حتى انه ليقتص للشاة الجماء من القرناء فاذا فرغ من الحكم بينها قال لها كوني ترابا فتصير ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا اي كنت حيوانا فارجع الى التراب وقال عبد الله بن عمرو اذا كان يوم القيمة مدت الارض مد الاديم وحشر الدواب والبهائم والوحش ثم يجعل القصاص بين البهائم حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها فاذا فرغ من القصاص قيل لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ومثله عن مجاهد رواه البغوي

تفسير سورة والنازعات وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة ابصارها خاشعة يقولون ائنا لمردودون في الحافرة ائذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة قال ابن عباس ومسروق وابن جبير وغير واحد النازعات غرقا يعنون الملائكة حين تنزع ارواح بني آدم فمنهم من تاخذ روحه بعسر فتغرق في نزعها ومنهم من تاخذ روحه بسهولة وكانما حلته من نشاط وهو قوله والناشطات نشطا وعن ابن عباس النازعات هي انفس الكفار تنزع ثم تنشط ثم تغرق في النار رواه ابن ابي حاتم وقال مجاهد يعني الموت تنزع النفوس وقوله والناشطات نشطا هي الملائكة تنشط نفس المؤمن اى تحل حلا رفيقا فتقبضها كما تنشط العقال من يد البعير اى تحل برفق حكاه الفراء وقال ابن عباس هي انفس المؤمنين تنشط للخروج عند الموت لما ترى من الكرامة وقال علي رضي الله عنه هي الملائكة تنشط ارواح الكفار ما بين الجلد والاظفار حتى تخرجها من افواههم بالكرب والغم والنشط الجذب والنزع يقال نشطت الدلو اذا نزعتها والسابحات سبحا هي الملائكة قاله ابن مسعود يعني يتصرفون ارواح المؤمنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح كالسابح بالشيء في الماء يرفعه وقال قتادة هي النجوم والشمس والقمر كما قال تعالى كل في فلك يسبحون وقال عطاء هي السفن وقوله فالسابقات سبقا قال علي وغير واحد يعني الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح وقال الحسن سبقت الى الايمان والتصديق به وعن مجاهد الموت وعن قتادة النجوم وعن عطاء الخيل في سبيل الله فالمدبرات امرا قال الحسن وغير واحد هي الملائكة تدبر الامر من السماء الى الارض يعني بامر ربها ولم يقطع ابن جرير في شيء من ذلك ولا نفى وقوله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قال ابن عباس وغيره هما النفختان الاولى والثانية وقال مجاهد الاولى هي الراجفة كقوله يوم ترجف الارض والجبال والثانية هي الرادفة كقوله وحملت الارض والجبال وعن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه رواه احمد والترمذي وقال في رواية يا ايها الناس اذكروا الله وقوله قلوب يومئذ واجفة قال ابن عباس وغيره اي خائفة ابصارها خاشعة اي ابصار اصحابها وانما اضيف اليها للملابسة اي ذليلة حقيرة مما عاينت من الاهوال وقوله يقولون ائنا لمردودون في الحافرة يعني مشركي قريش ومن قال بقولهم في انكار المعاد يستبعدون وقوع البعث بعد المصير الى الحافرة وهي القبور قاله مجاهد وقيل هي النار وقيل الحافرة الحيوة بعد الموت بعد تفرق اجسادهم وتفتت عظامهم ونخورها ولهذا قالوا

حين تنشق السماء وتحمل الارض والجبال

تتزلزل الارض والجبال

وقيل سميت حافرة لانها مستقر الحوافر اي انا لمردودون الى الارض فنبعث خلقا جديدا نمشي عليها ۹

اول الحال وابتداء الامر فيقال رجع فلان في حافرته اي رجع من حيث جاء والحافرة عندهم اسم لابتداء الشيء واول الشيء

اسرافيل ينزل بالامر عليهم ۹

أئذا كنا عظاما نخرة قال مجاهد اي بالية قال ابن عباس هو العظم البالي تدخلت الريح فيه قالوا تلك اذا كرة خاسرة قال محمد بن كعب قالت قريش لئن احيانا الله بعد ان نموت لنخسرن قال تعالى فانما هي زجرة واحدة اي فانما هو امر من امر الله لا مثنوية فيه ولا تأكيد فاذا هم بالساهرة اي فاذا الناس قيام ينظرون وهو ان يأمر تعالى اسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث فاذا الاولون والآخرون قيام بين يدي الرب ينظرون والساهرة وجه الارض كما قال تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر وقال مجاهد زجرة اي صيحة من الغضب وهي النفخة الآخرة وقال ابرهيم التيمي اشد ما يكون الرب غضبا على خلقه يوم يبعثهم وقوله فاذا هم بالساهرة قال ابن عباس وغير واحد اي وجه الارض كلها وقال مجاهد كانوا باسفلها فاخرجوا الى اعلاها قال والساهرة المكان المستوي وقيل ارض الشام وقيل جبل الجانب بيت المقدس وقيل جهنم والصحيح الاول وقال سهل بن سعد هي ارض بيضاء عفراء كخبزة النقي وقيل هي ارض لم تعمل عليها خطيئة ولم يهرق عليها دم هل اتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى فقل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فاراه الآية الكبرى فكذب وعصى ثم ادبر يسعى فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال الآخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى اخبر تعالى رسوله عليه الصلوة والسلم عن موسى عليه السلم انه بعثه الى فرعون وايده بالمعجزات ومع هذا استمر على كفره وطغيانه حتى اخذه الله اخذ عزيز مقتدر وكذلك عاقبة من خالفك وكذب ما جئت به ولهذا قال في اخر القصة ان في ذلك لعبرة لمن يخشى فقوله هل اتاك حديث موسى اي هل سمعت بخبره اذ ناداه ربه اي كلمه نداء بالوادي المقدس اي المطهر طوى وهو اسم الوادي على الصحيح كما سبق في سورة طه فقال له اذهب الى فرعون انه طغى اي تجبر وتمرد وعتى فقل هل لك الى ان تزكى اي قل له هل لك ان تجيب الى طريقة ومسلك تزكى به اي تسلم وتطيع واهديك الى ربك فتخشى اي فيصير قلبك خاضعا له مطيعا خاشعا بعدما كان قاسيا خبيثا بعيدا من الخير فاراه الآية الكبرى يعني فاظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قوية ودليلا واضحا على صدق ما جاءه من عند الله فكذب وعصى اي فكذب الحق وخالف ما امره به من الطاعة وحاصله انه كفر قلبه فلم ينفعل لموسى لا بباطنه ولا بظاهره وعلمه بان ما جاء به حق لا يلزم منه انه مؤمن به لان المعرفة علم القلب والايمان عمله وهو الانقياد للحق والخضوع له وقوله ثم ادبر يسعى اي في مقابلة الحق بالباطل وهو جمعه السحرة ليقابلوا ما جاء به موسى من المعجزة الباهرة فحشر فنادى اي في قومه فقال انا ربكم الاعلى قال ابن عباس وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله ما علمت لكم من اله غيري باربعين سنة قال تعالى فاخذه الله نكال الآخرة والاولى اي انتقم منه انتقاما جعله به عبرة ونكالا لامثاله من المتمردين في الدنيا ويوم القيمة بئس الرفد المرفود كما قال تعالى وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ويوم القيمة لا ينصرون هذا هو الصحيح في معنى الآية وقيل المراد بذلك كلمتاه الاولى والثانية وقيل كفره وعصيانه وقوله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى اي لمن يتعظ وينزجر ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسويها واغطش ليلها واخرج ضحيها والارض بعد ذلك دحيها اخرج منها ماءها ومرعيها والجبال ارسيها متاعا لكم ولانعامكم قال تعالى محتجا على منكري البعث في اعادة الخلق بعد بدئه ءانتم ايها الناس اشد خلقا ام السماء يعني بل السماء اشد خلقا منكم كما قال تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فقوله بناها فسره بقوله رفع سمكها فسويها اي جعلها عالية البناء بعيدة الفناء مستوية الارجاء مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء وقوله واغطش ليلها واخرج ضحيها اي جعل ليلها مظلما اسود حالكا ونهارها مضيئا مشرقا نيرا واضحا ومعنى اغطش اظلم قاله ابن عباس وغير واحد واخرج ضحيها اي انار نهارها والارض بعد ذلك دحيها فسره بقوله اخرج منها ماءها ومرعيها وقد سبق في سورة حم السجدة ان الارض خلقت قبل السماء ولكن انما دحيت بعد خلق السماء بمعنى انه اخرج منها ما كان فيها بالقوة الى الفعل وهذا معنى قول ابن عباس وغير واحد واختاره ابن جرير وقوله والجبال ارسيها اي قررها واثبتها واكدها في اماكنها وهو الحكيم العليم الرؤف بخلقه الرحيم وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الارض جعلت تميد فخلق الجبال فقال بها عليها فاستقرت فعجبت الملائكة من شدة الجبال فقالوا يا رب هل من خلقك شيء اشد من الجبال قال نعم الحديد فقالوا يا رب هل من خلقك شيء اشد من الحديد قال نعم النار فقالوا يا رب هل من خلقك شيء اشد من النار قال نعم الماء فقالوا يا رب هل من خلقك شيء اشد من الماء قال نعم الريح فقالوا يا رب هل من خلقك شيء اشد من الريح قال نعم ابن آدم تصدق صدقة بيمينه يخفيها من شماله رواه احمد والترمذي وقال علي رضي الله عنه لما خلق الله الارض نقصت وقالت تخلق علي آدم وذريته يلقون علي نتنهم ويعملون علي بالخطايا فارسيها الله بالجبال فمنها ما ترون ومنها ما لا ترون وكان اول قرار الارض كلحم الجزور اذا نحر يختلج لحمه رواه ابن جرير وقوله متاعا لكم ولانعامكم اي دحا الارض فانبع عيونها واظهر مكنونها واجرى انهارها وانبت زروعها واشجارها وثمارها وثبت جبالها لتستقر باهلها ويقر قرارها كل ذلك متاعا لخلقه ولما يحتاجون اليه من الانعام التي ياكلونها ويركبونها مدة احتياجهم اليها في هذه الدار الى ان ينتهي الاجل فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى فاما من طغى واثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي الماوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها فيم انت من ذكريها الى ربك منتهيها انما انت منذر من يخشيها كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحيها الطامة الكبرى هو يوم القيمة قاله ابن عباس سميت بذلك لانها تطم على كل امر هائل كما قال تعالى والساعة ادهى وامر والطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع من الطم وهو الدفن والتقليب يوم يتذكر الانسان ما سعى اي حينئذ يتذكر ابن آدم جميع عمله خيره وشره وبرزت الجحيم لمن يرى اي اظهرت للناظرين فرآها الناس عيانا فاما من طغى اي تمرد وعتا واثر الحيوة الدنيا اي قدمها على امر دينه واخراه فان الجحيم هي الماوى اي فان مصيره الى الجحيم وان مطعمه من الزقوم ومشربه من الحميم واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى اي خاف القيام بين يدي الله تعالى وحكم الله فيه ونهى نفسه عن هواها وردها الى طاعة مولاها فان الجنة هي الماوى اي منقلبه ومصيره ومرجعه الى الجنة ثم قال يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها اي ظهورها ووقوعها فيم انت من ذكريها اي ليس علمها اليك ولا الى احد من الخلق بل مردها ومرجعها الى الله فهو الذي يعلم وقتها على التعيين كما قال في اية اخرى قل انما علمها عند الله وقال ههنا الى ربك منتهيها اي منتهى علمها عند الله ولهذا لما سال جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة قال ما المسئول عنها باعلم من السائل وقوله انما انت منذر من يخشيها اي انما بعثتك لتنذر الناس وتحذرهم من باس الله وعذابه فمن خشي الله وخاف مقامه ووعيده اتبعك فافلح وانجح والخيبة والخسار على من كذبك وخالفك وقوله كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحيها اي اذا قاموا من قبورهم الى المحشر يستقصرون مدة الحيوة الدنيا حتى كانها عندهم عشية من يوم او ضحى من يوم قال ابن عباس اما عشية فما بين الظهر الى غروب الشمس او ضحيها ما بين طلوع الشمس الى نصف النهار وقال قتادة وقت الدنيا في اعين القوم حين عاينوا الآخرة

تفسير سورة عبس وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة ذكر كثير من المفسرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما

يخاطب بعض عظماء قريش وقد طمع في اسلامه فبينما هو يخاطبه ويناجيه اذ اقبل ابن ام مكتوم وكان ممن اسلم
قديما فجعل يسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شي ويلح عليه وود النبي صلى الله عليه وسلم ان لو كف ساعته تلك ليتمكن
من مخاطبة ذلك الرجل طمعا ورغبة في هدايته وعبس في وجه ابن ام مكتوم واعرض عنه واقبل على الآخر فانزل الله
تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى اي يحصل له زكاة وطهارة في نفسه او يذكر فتنفعه الذكرى اي
يحصل له اتعاظ وانزجار عن المحارم اما من استغنى فانت له تصدى اي اما الغني فانت تتعرض له لعله يهتدي وما عليك
الا يزكى اي ما انت بمطالب به اذا لم يحصل له زكاة وهداية واما من جاءك يسعى اي يقصدك ويؤمك ليهتدي بما تقول
له فانت عنه تلهى اي تتشاغل ومن ههنا امر تعالى رسوله ان لا يخص بالانذار احدا بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف
والفقير والغني والسادة والعبيد والرجال والنساء والصغار والكبار ثم الله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وله الحكمة
والحجة وعن انس قال جاء ابن ام مكتوم الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يكلم ابي بن خلف فاعرض عنه فانزل الله عبس وتولى
ان جاءه الاعمى فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه قال انس فرايته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية
سوداء يعني ابن ام مكتوم رواه ابو يعلى في مسنده والمشهور ان ابن ام مكتوم عبد الله وقيل عمرو وقوله كلا انها تذكرة
اي هذه السورة او الوصية بالمساواة بين الناس في ابلاغ العلم بين شريفهم ووضيعهم وقال قتادة وغيره يعني القرآن
فمن شاء ذكره اي فمن شاء ذكر الله في جميع اموره او ذكر الوحي فيها وقوله في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة اي هذه السورة
او العظة او جميع آيات القرآن في صحف مكرمة اي معظمة موقرة مرفوعة اي عالية القدر مطهرة اي من الدنس والزيادة
والنقص وقوله بايدي سفرة قال ابن عباس وغيره هم الملائكة وقيل هم الصحابة رضي الله عنهم وقال قتادة هم القراء
قال ابن جرير والصحيح انهم الرسل من الملائكة فانهم السفرة بين الله وبين خلقه وواحدها السفير وهو الذي يسعى بين الناس
في الخير كما قال الشاعر ؞ وما ادع السفارة بين قومي ؞ وما امشي بغش ان مشيت ؞ وقال الامام البخاري سفرة الملائكة
سفرت اصلحت بينهم وجعلت الملائكة اذا نزلت بوحي الله وتاديته كالسفير الذي يصلح بين القوم وقوله كرام بررة اي خلقهم
كريم حسن شريف واخلاقهم وافعالهم بارة طاهرة كاملة ومن ههنا ينبغي لحامل القرآن ان يكون في افعاله واقواله على
السداد والرشاد وفي الصحيحين عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة
والذي يقرا القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران قتل الانسان ما اكفره من اي شي خلقه من نطفة
خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره كلا لما يقض ما امره فلينظر الانسان
الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا و
زيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم قال تعالى ذاما لمن انكر البعث والنشور
من بني آدم قتل الانسان ما اكفره اي لعن الانسان والمراد جنس الانسان المكذب لكثرة تكذيبه بلا مستند بل بمجرد الاستبعاد
وعدم العلم قال ابن جريج ما اكفره اي ما اشد كفره تعجبا ويحتمل ان يكون المراد اي شي جعله كافرا يعني ما حمله على التكذيب بالمعاد
وقال قتادة ما اكفره ما العنه ثم بين تعالى كيفية خلقه من الشي الحقير وانه قادر على اعادته كما بداه فقال من اي شي خلقه
من نطفة خلقه فقدره اي قدر اجله ورزقه وعمله وشقي او سعيد ثم السبيل يسره قال ابن عباس اي يسر عليه خروجه
من بطن امه وبه قال عكرمة وغير واحد واختاره ابن جرير وقال مجاهد هذه كقوله انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا
اي بيناه له واوضحناه وسهلنا عليه عمله وبه قال الحسن وابن زيد وهذا هو الراجح والله اعلم وقوله ثم اماته فاقبره اي انه بعد

خلقه له اماته فاقبره اي جعله ذا قبر والعرب تقول قبرت الرجل اذا وليت ذلك منه واقبره الله اي جعله مقبورا قال
الاعشى ؞ لو اسندت ميتا الى نحرها ؞ عاش ولم ينقل الى قابر ؞ وقوله ثم اذا شاء انشره اي بعثه بعد موته ومنه يقال
البعث والنشور كقوله وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ياكل التراب
كل شي من الانسان الا عجب ذنبه قيل وما هو يا رسول الله قال حبة خردل منه تنشؤون رواه ابن ابي حاتم وهذا الحديث
ثابت في الصحيح عن ابي هريرة بدون هذه الزيادة ولفظه كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب وقوله كلا
لما يقض ما امره قال ابن جرير اي كلا ليس الامر كما يقول هذا الانسان الكافر من انه قد ادى حق الله عليه في نفسه وماله
لما يقض ما امره يقول لم يؤد ما فرض عليه ربه من الفرائض قال مجاهد اي لا يقضي احد ابدا كل ما افترض عليه والذي
يناسب معناه والله اعلم ان المعنى ثم اذا شاء انشره اي بعثه كلا لما يقض ما امره اي لا يفعله الآن حتى تنقضي المدة
ويفرغ القدر من بني آدم ممن كتب تعالى ان سيوجد منهم ويخرج الى الدنيا وقد امر به تعالى كونا وقدرا فاذا تناهى
ذلك انشر الله تعالى الخلائق واعادهم كما بداهم وقد روى ابن ابي حاتم عن وهب بن منبه قال قال عزير عليه السلم
قال الملك الذي جاءني ان القبور هي بطن الارض وان الارض هي ام الخلق فاذا خلق الله ما اراد ان يخلق وتمت
هذه القبور التي مد الله لها انقطعت الدنيا ومات من عليها ولفظت الارض ما في جوفها واخرجت القبور ما فيها وهذا
شبيه بما قبله من معنى الآية وقوله فلينظر الانسان الى طعامه فيه امتنان وفيه استدلال باحياء النبات من الارض الهامدة
على احياء الاجساد بعدما كانت عظاما بالية وترابا متمزقا انا صببنا الماء صبا اي انزلناه من السماء الى الارض ثم شققنا
الارض شقا اي اسكناه فيها فيدخل في تخومها وتخلل في اجزاء الحب المودع فيها فنبت وارتفع وظهر على وجه الارض
فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا فالحب كل ما يذكر من الحبوب والعنب معروف والقضب هو القت الرطب
سمي بذلك لانه يقضب في كل ايام اي تقطع وقال الحسن هو علف الدواب مطلقا والزيتون معروف وهو ادم وعصيره ادم
ويستصبح به ويدهن ونخلا يوكل بلحا وبسرا ورطبا وتمرا ومطبوخا ويعتصر منه رب وخل وحدائق غلبا اي وبساتين نخل غلاظ
كرام قال ابن عباس هو كل شجر ملتف مجتمع والذي يستظل به وقال عكرمة غلبا اي غلاظ الاوساط والرقاب الم تر الى الرجل
اذا كان غليظ الرقبة قيل والله انه لاغلب رواه ابن ابي حاتم وقوله وفاكهة وابا اما الفاكهة فهو كل ما يتفكه به من الثمار
قال ابن عباس الفاكهة كل ما اكل رطبا والاب ما انبتت الارض مما ياكله الدواب ولا ياكله الناس وفي رواية عنه هو
الحشيش للدواب وقيل هو الكلاء وقال مجاهد وغيره الاب للبهائم كالفاكهة لبني آدم وقال عطاء كل شي نبت على وجه
الارض فهو اب وقيل كل شي ينبت الارض سوى الفاكهة فهو اب وقال ابو السائب هو ما انبت الارض مما ياكل الناس
وياكل الانعام قيل سئل ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى وفاكهة وابا قال واي سماء تظلني واي ارض
تقلني ان قلت في كتاب الله ما لا اعلم اسناده منقطع فاما ما رواه ابن جرير عن انس قال قرا عمر بن الخطاب عبس وتولى
فلما اتى على هذه الآية وفاكهة وابا قال قد عرفنا الفاكهة فما الاب فقال ان هذا لهو التكلف فهو صحيح ومحمول على انه اراد
ان يعرف شكله وجنسه وعينه والا فهو وكل من قرا هذه الآية يعلم انه من نبات الارض وقوله متاعا لكم ولانعامكم
وهذه الدار الى يوم القيمة فاذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه
لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ
عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة قال ابن عباس الصاخة اسم من اسماء يوم القيمة قال

ابن جرير لعله اسم للنفخة في الصور وقال البغوي الصاخة يعني صيحة يوم القيمة سميت بذلك لانها تصخ الاسماع اي تبالغ في اسماعها حتى تكاد يصمها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه اي تراهم ثم يفر كل منهم ويتبعد كل منهم لان الهول عظيم والخطب جسيم يلقى احدهم الاخر فيقول هب لي حسنة واحدة لعلي انجو بها مما ترى فيقول لا اطيق ذلك فاني اتخوف مما تخاف منه وفي الحديث الصحيح في امر الشفاعة انه اذا طلب الخلائق من اولي العزم ان تشفع عند الله في الخلائق يقول نفسي نفسي نفسي لا اسالك اليوم الا نفسي حتى ان عيسى بن مريم يقول لا اسال اليوم الا نفسي لا اساله مريم التي ولدتني ولهذا قال يوم يفر المرء من اخيه الاية وقوله لكل امرء منهم يومئذ شان يغنيه اي هو في شغل شاغل عن غيره وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امراة ايبصر او يرى بعضنا عورة بعض قال يا فلانة لكل امرء منهم يومئذ شان يغنيه رواه الترمذي وصححه وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبعث الناس يوم القيمة حفاة عراة غرلا فقالت عائشة يا رسول الله فكيف بالعورات فقال لكل امرء منهم يومئذ شان يغنيه رواه النسائي وقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة اي مشرقة فرحة من سرور قلوبهم قد ظهر البشر على وجوههم وهؤلاء اهل الجنة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اي يعلوها ويغشيها سواد وكآبة للهم وذلة قال ابن زيد الفرق بين الغبرة والقترة ان القترة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء والغبرة ما كان اسفل في الارض وقوله اولئك هم الكفرة الفجرة اي الكفرة قلوبهم الفجرة في اعمالهم كما قال تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا

تفسير سورة التكوير وهي مكية

عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان ينظر الى يوم القيمة كانه راي عين فليقرا اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت رواه احمد والترمذي

بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت واذا النفوس زوجت واذا الموؤدة سئلت باي ذنب قتلت واذا الصحف نشرت واذا السماء كشطت واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت

قال ابن عباس كورت يعني اظلمت وقيل ذهبت وقيل اضمحلت وذهب ضوؤها وقيل غورت وقيل رمي بها الى الارض قال ابن جرير والصواب ان التكوير جمع الشيء بعضه على بعض ومنه تكوير العمامة وجمع الثياب بعضها على بعض فمعنى كورت جمع بعضها الى بعض ثم لفت فرمي بها واذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها وقال ابن عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيمة في البحر ويبعث الله ريحا دبورا فيضرمها نارا رواه ابن ابي حاتم وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر مكوران يوم القيمة رواه البخاري وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر ثوران في النار يوم القيمة رواه الحافظ البزار وقوله واذا النجوم انكدرت اي انتثرت كما قال تعالى واذا الكواكب انتثرت واصل الانكدار الانصباب وعن ابي بن كعب قال ست آيات قبل يوم القيمة بينا الناس في اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت واختلطت ففزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحش فماجوا بعضهم في بعض واذا الوحوش حشرت قال اختلطت واذا العشار عطلت قال اهملها اهلها واذا البحار سجرت قال قالت الجن نحن نأتيكم بالخبر قال فانطلقوا الى البحر فاذا هو نار تأجج فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا قال فبينما هم كذلك اذ

فذلك قوله

جاءتهم

جاءتهم الريح فاماتتهم رواه ابن جرير وقال ابن عباس انكدرت اي تغيرت وقال يزيد بن ابي مريم عن النبي صلى الله عليه وسلم واذا النجوم انكدرت قال انكدرت في جهنم وكل من عبد من دون الله فهو في جهنم الا ما كان من عيسى وامه ولو رضيا ان يعبدا لدخلاها رواه ابن ابي حاتم واذا الجبال سيرت اي زالت عن اماكنها ونسفت وتركت الارض قاعا صفصفا وقوله واذا العشار عطلت قال مجاهد اي عشار الابل تركت واهملت يعني اهملها اهلها واحدتها عشراء وهي التي اتت على حملها عشرة اشهر وهي انفس مال العرب ومع هذا عطلت وتركت بلا راع من اهوال يوم القيمة ووقوع مقدماتها وقيل بل يكون ذلك يوم القيمة يراها اصحابها كذلك ولا سبيل لهم اليها وقد قيل في العشار انها السحاب يعطل عن السير بين السماء والارض لخراب الدنيا وقيل انها الارض التي تعشر وقد قيل انها الديار التي كانت تسكن تعطل لذهاب اهلها وقد قيل انها الديار التي كانت حكى هذه الاقوال القرطبي في كتابه التذكرة ورجح انها الابل وهو القول الاول وقوله واذا الوحوش حشرت اي جمعت كما قال تعالى ثم الى ربهم يحشرون قال ابن عباس يحشر كل شيء حتى الذباب وقال حشر الدواب موتها وحشر كل شيء الموت الا الجن والانس فانهما يوقفان يوم القيمة والراجح ان معناها جمعت كما قال تعالى والطير محشورة اي مجموعة وقوله واذا البحار سجرت قال علي ليهودي اين جهنم قال البحر فقال ما اراه الا صادقا واذا البحار سجرت وقد سبق عن ابن عباس انها تصير نارا تاجج وفي سنن ابي داود لا يركب البحر الا حاج او معتمر او غاز فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا كما سبق في سورة فاطر وقال مجاهد سجرت اوقدت وقال الحسن يبست وقال قتادة والضحاك غاض ماؤها فذهب فلم يبق فيها قطرة وقال السدي فتحت وسيرت وقوله واذا النفوس زوجت اي جمع كل شيء الى نظيره كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وعن النعمان بن بشير قال ان عمر خطب الناس فقرا واذا النفوس زوجت فقال تزوجها ان تؤلف كل شيعة الى شيعتهم وفي رواية هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة او النار وفي رواية عنه قال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار وذلك تزويج الانفس ومن هنا قال مجاهد وغير واحد هي الامثال من الناس جمع بينهم واختاره ابن جرير وهو الصحيح وقال ابن عباس وغير واحد يسيل واد من اصل العرش من ماء فيما بين الصيحتين ومقدار ما بينهما اربعون عاما فينبت منه كل خلق بلي من الانسان او طير او دابة ولو مر عليهم مار قد عرفهم قبل ذلك لعرفهم على وجه الارض قد نبتوا ثم يرسل الارواح فتزوج الاجساد فذلك قوله تعالى واذا النفوس زوجت اي بالابدان وقيل زوج المؤمنون بالحور العين وزوج الكافرون بالشياطين حكاه القرطبي وقوله واذا الموؤدة سئلت باي ذنب قتلت هكذا قراءة الجمهور والموؤدة هي التي كان اهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية للبنات يوم القيمة تسال الموؤدة على اي ذنب قتلت ليكون ذلك تهديدا لقاتلها فانه اذا سئل المظلوم فما ظن الظالم اذا وقال ابن عباس وغيره اي طلبت وسئلت بدمها وعن جذامة بنت وهب اخت عكاشة قالت حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم في اناس وهو يقول لقد هممت ان انهى عن الغيلة فنظرت في الروم وفارس فاذا هم يغيلون اولادهم ولا يضر اولادهم ذلك شيئا ثم سالوه عن العزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك الواد الخفي وهو الموؤدة سئلت رواه مسلم وبعض اهل السنن وعن سلمة بن يزيد الجعفي قال انطلقت انا واخي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله ان امنا مليكة كانت تصل الرحم وتقري الضيف وتفعل هلكت في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئا قال لا قلنا فانها كانت وادت اختا لها في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئا قال الوائدة والموؤدة في النار الا ان يدرك الوائدة الاسلام فيعفو الله عنها رواه احمد والنسائي وسئل النبي صلى الله عليه وسلم من في الجنة قال النبي في الجنة والشهيد في الجنة والموؤدة في الجنة والموؤدة

في الجنة م

من دون الله

اذا اتيت امه وهي ترضعه وكذلك اذا حملت امه وهي ترضعه وفي الحديث لقد هممت ان انهى عن الغيلة والغيل اسم ذلك اللبن واغال فلان ولده اذا غشي امه وهي ترضعه صحاح

في الجنة رواه احمد وقال ابن عباس الموؤدة هي المدفونة وعن عمر بن الخطاب قال جاء قيس بن عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله وأدت ثمان بنات لي في الجاهلية فقال اعتق عن كل واحدة منهن رقبة قال يا رسول الله اني صاحب ابل قال فانحر عن كل واحدة بدنة رواه الحافظ البزار قال فلما كان في العام المقبل جاء بمائة ناقة فقال يا رسول الله هذه صدقة قومي على اثر ما صنعت بالمسلمين قال علي رضي الله عنه فكنا نريحها ونسميها القيسية وقوله واذا الصحف نشرت قال الضحاك اعطي كل انسان صحيفته بيمينه او بشماله وقيل المراد صحائف الاعمال تنشر للحساب وقوله واذا السماء كشطت قيل اي نزعت فطويت وقال مقاتل يكشف عمن فيها ومعنى الكشط رفعك شيئا عن شيء قد غطاه كما يكشط الجلد عن السنام واذا الجحيم سعرت اي احميت واوقدت وانما يسعرها غضب الله وخطايا بني آدم وقوله واذا الجنة ازلفت اي قربت الى اهلها وقوله علمت نفس ما احضرت هذا هو الجواب اي اذا وقعت هذه الامور حينئذ يعلم كل نفس ما عملت واحضرت ذلك لها كما قال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وما صاحبكم بمجنون ولقد راه بالافق المبين وما هو على الغيب بظنين وما هو بقول شيطان رجيم فاين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين عن عمرو بن حريث قال صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم الصبح فسمعته يقرا فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس رواه مسلم وعن علي قال فلا اقسم بالخنس هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل اي ترجع وراءها واصل الخنوس الرجوع والتاخر وقال بكر بن عبد الله هي النجوم الدراري التي تجري تستقبل الشمس وقال بعض الائمة انما قيل للنجوم الخنس اي في حال طلوعها ثم هي جوار في فلكها وفي حال غيبوبتها يقال لها كنس من قول العرب اوى الظبي الى كناسه اذا تغيب فيه وقال ابن مسعود الخنس بقر الوحش وقال ابن عباس الجوار الكنس البقر تكنس الى الظل وعنه الظباء كذا قاله ابن جبير وغيره وقال جابر بن زيد هي الظباء والبقر وقال مجاهد كنا نسمع انها بقر الوحش حتى يكنس في حجرها يعني تاوي الى مكانها وتستتر فيه ويحتمل ان الجميع مرادا وقوله والليل اذا عسعس فيه قولان احدهما اقباله بظلامه قال مجاهد اي اظلم وقال سعيد اذا نشا وقال الحسن اذا غشي الناس وعن ابن عباس وغيره اذا ادبر وقال زيد بن اسلم اذا ذهب فتولى وهو اختيار ابن جرير لقوله والصبح اذا تنفس اي اضاء مستشهدا بقول الشاعر

حتى اذا الصبح له تنفسا
وانجاب عنها ليلها وعسعسا

اي ادبر وذهب ثم قال الشيخ رحمه الله وعندي ان المراد بقوله عسعس اذا اقبل وان كان يصح استعماله في الادبار ايضا لكن الاقبال ههنا انسب كانه اقسم تعالى بالليل وظلامه اذا اقبل وبالفجر وضيائه اذا اشرق كما قال والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وقال اهل الاصول لفظة عسعس تستعمل في الاقبال والادبار على وجه الاشتراك فعلى هذا يصح ان يراد كل منهما والله اعلم وقوله والصبح اذا تنفس اي اذا طلع وقال قتادة اذا اضاء واقبل وعن علي رضي الله عنه اذا نشا قال ابن جرير يعني وضوء النهار اذا اقبل وتبين وقوله انه لقول رسول كريم يعني ان هذا القرآن لتبليغ ملك رسول شريف حسن الخلق بهي المنظر وهو جبريل عليه السلم قاله ابن عباس وغير واحد وقوله ذي قوة كقوله علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى اي شديد الخلق شديد البطش والفعل عند ذي العرش مكين اي له مكانة عند الله تعالى ومنزلة رفيعة وعن ابي صالح في قوله عند ذي العرش مكين قال جبريل يدخل في سبعين حجابا من نور بغير اذن

وكانت من قوته انه اقتلع قريات قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وانه ابصر ابليس يكلم عيسى على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة القاه الى اقصى جبل بالهند وانه صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وانه يهبط من السماء الى الارض ويرجع في اسرع من الطرف ٥ معالم

مطاع

مطاع ثم امين اي له وجاهة وهو مسموع القول مطاع في الملاء الاعلى وقال قتادة مطاع ثم اي في السموات يعني هو من سادة الملكة واشرافهم ومقربيهم منتجب لهذه الرسالة العظيمة وقوله امين صفة لجبريل بالامانة وهذه مرتبة عظيمة له جدا حيث زكاه الله كما زكى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله وما صاحبكم بمجنون يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقوله ولقد راه بالافق المبين يعني ولقد راى محمد جبريل الذي ياتيه بالرسالة عن الله تعالى على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح بالافق المبين اي البين وهي الرؤية التي كانت بالبطحاء وهي مذكورة في قوله علمه شديد القوى الى قوله فاوحى الى عبده ما اوحى كما سبق تفسيره وان المراد بذلك جبريل والظاهر ان هذه السورة نزلت قبل سورة الاسراء لانه لم يذكر فيها الا هذه الرؤية وهي الاولة واما الثانية وهي المذكورة في قوله ولقد راه نزلة اخرى فتلك انما ذكرت في سورة النجم وقد نزلت بعد الاسراء وقوله وما هو على الغيب بظنين اي وما محمد على ما انزله الله عليه بمتهم ومنهم من قرا ذلك بالضاد اي ببخيل بل يبذله لكل احد قال سفين بن عيينة ظنين وضنين سواء اي ما هو بكاذب وما هو بفاجر قال قتادة وغير واحد كان القرآن غيبا انزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم فما ضن به على احد بل بلغه ونشره وبذله لكل من اراده واختاره ابن جرير وكلاهما سواء ومعناه صحيح كما سبق وقوله وما هو بقول شيطان رجيم اي وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم اي لا يقدر على حمله ولا يريده ولا ينبغي له كما قال وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم الآية وقوله فاين تذهبون اي واين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن مع ظهوره ووضوحه وبيان كونه حقا من الله كما قال الصديق لوفد بني حنيفة حين قدموا مسلمين وامرهم فتلوا عليه شيئا من قرآن مسيلمة وهو في غاية الهذيان والركاكة ويحكم اين يذهب عقولكم والله ان هذا الكلام لم يخرج من ال اي من اله وقال قتادة اي عن كتاب الله وطاعته وقوله ان هو الا ذكر للعالمين اي ان هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون به ويتعظون لمن شاء منكم ان يستقيم اي من اراد الهداية فعليه بهذا القرآن فانه منجاة له وهداية ولا هداية فيما سواه وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين اي ليست المشيئة موكولة اليكم فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل بل ذلك كله تابع لمشيئة الله رب العالمين قال سليمن بن موسى لما نزلت هذه الآية لمن شاء منكم ان يستقيم قال ابو جهل الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم فانزل الله وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين وفيه اعلام بان احدا لا يعمل خيرا الا بتوفيق الله ولا شرا الا بخذلانه

تفسير سورة الانفطار

وهي مكية في سنن النسائي عن جابر قال قام معاذ فصلى العشاء الآخرة فطول فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتان انت يا معاذ اين كنت عن سبح اسم ربك الاعلى والضحى واذا السماء انفطرت اصل الحديث في الصحيحين ولكن ذكر اذا السماء انفطرت من افراد النسائي وقد سبق ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره ان ينظر الى القيمة راي عين فليقرا اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت واخرت يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسويك فعدلك في اي صورة ما شاء ركبك كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون

اي اذا السماء انشقت كما قال السماء منفطر به واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت واذا البحار فجرت قال ابن عباس فجر الله بعضها في بعض وقال الحسن وذهب ماؤها وقال قتادة اختلط مالحها بعذبها وقيل ملئت وفاضت واذا القبور بعثرت قال ابن عباس اي بحثت فيخرج من فيها علمت نفس ما قدمت واخرت

ما قدمت من عمل صالح او سيئ وما اخرت من سنة حسنة او سيئة وقيل ما قدمت من الصدقات واخرت من الزكوات

وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى احياء

اي بحثت واثيرت

أي إذا كان هذا حصل هذا وقوله يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم هذا تهديد لا كما توهمه بعض الناس من أنه
إرشاد إلى الجواب حيث قال الكريم حتى يقول قائلهم غره كرمه بل المعنى في هذه الآية ما غرك يا ابن آدم بربك
الكريم أي العظيم حتى أقدمت على معصيته وقابلته بما لا يليق كما جاء في الحديث يقول الله يوم القيمة ابن آدم ما
غرك بي ابن آدم ماذا أجبت المرسلين وعن سفين قال سمع عمر رجلا يقرأ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم
فقال عمر الجهل وفي رواية غره والله جهله رواه ابن أبي حاتم وعن ابن عباس وغيره مثل ذلك وقال قتادة غره
عدوه المسلط عليه يعني الشيطان وقال الفضيل بن عياض لو قال لي ما غرك بي لقلت ستورك المرخاة وقال أبو بكر
الوراق لو قال لي ما غرك بربك الكريم لقلت غرني كرم الكريم وقال بعض أهل الإشارة إنما قال بربك الكريم دون سائر
صفاته وأسمائه كأنه لقنه الإجابة وليس بشيء رحمه الله وهذا الذي تخيله هذا القائل ليس بطائل لأنه إنما أتى باسمه
الكريم لينبه على أنه لا ينبغي أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال السوء وحكى البغوي عن الكلبي ومقاتل أنهما قالا نزلت
هذه الآية في أبي الأشرين ضرب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله فأنزل الله هذه الآية يقول ما الذي غرك بربك الكريم المتجاوز
عنك إذ لم يعاقبك بكفرك قال مقاتل غره عفو الله حين لم يعاقبه في أول مرة وقال السدي غره رفق الله به وقوله الذي
خلقك فسواك فعدلك أي ما غرك بالرب الكريم الذي خلقك سويا مستقيما معتدل القامة منتصبا في أحسن الهيئات
والأشكال وعن بسر بن جحاش قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما في كفه فوضع عليها أصبعه ثم قال قال
الله ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد
فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة رواه أحمد وابن ماجه وقوله في أي صورة
ما شاء ركبك قال مجاهد في أي شبه أب أو أم أو خال أو عم وجاء في الحديث المرفوع أن النطفة إذا استقرت في الرحم
أحضرها الله كل نسب وفي رواية كل عرق منها وبين آدم ثم قرأ في أي صورة ما شاء ركبك رواه ابن جرير وابن أبي حاتم
وقال عكرمة وغيره إن شاء في صورة إنسان وإن شاء في صورة دابة أو حيوان آخر فإنه قادر على ذلك يعني أنه تعالى قادر
على أن يخلق من النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق ولكن بقدرته ولطفه يخلقه على شكل حسن مستقيم معتدل
حسن الهيئة والمنظر كلا بل تكذبون بالدين أي بل إنما يحملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي تكذيب في قلوبكم
بالمعاد والجزاء والحساب وقوله وإن عليكم لحافظين أي وإن عليكم لملائكة حفظة كراما فلا تقابلوهم بالقبائح فإنهم
يكتبون عليكم جميع أعمالكم وعن مجاهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم
إلا عند حالتين الجنابة والغائط وإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجرم حائط أو ببعيره أو ليستره أخوه رواه ابن أبي
حاتم ورواه الحافظ البزار عن مجاهد عن ابن عباس متصلا وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من حافظين
يرفعان إلى الله تعالى ما حفظا في يوم فيرى في أول الصحيفة وفي آخرها استغفارا إلا قال الله قد غفرت لعبدي ما
بين طرفي الصحيفة حديث ضعيف رواه الحافظ أبو بكر البزار وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن
ملائكة الله يعرفون بني آدم وأحسبه قال ويعرفون أعمالهم فإذا نظروا إلى العبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم و
سموه وقالوا أفلح الليلة فلان نجا الليلة فلان وإذا نظروا إلى العبد يعمل بمعصية الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا هلك
الليلة فلان رواه البزار إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها
بغائبين وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا
والأمر يومئذ لله أخبر تعالى عما يصير الأبرار إليه من النعيم وهم الذين أطاعوا الله ولم يقابلوه بالمعاصي كما روى الإمام

ابن آدم ماذا عملت فيما علمت صح

كاتبين يعلمون ما تفعلون من خير وشر لا يخفى عليهم شيء من أعمالكم ه

الذين بروا وصدقوا في إيمانهم ه

الحافظ

الحافظ ابن عساكر عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنما سماهم الله الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء
وذكر ما يصير الفجار من الجحيم والعذاب المقيم ولهذا قال يصلونها يوم الدين أي يدخلونها يوم الحساب والجزاء والقيمة
وما هم عنها بغائبين أي لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يجابون إلى ما يسألون من
الموت أو الراحة ولو يوما واحدا وقوله وما أدراك ما يوم الدين تعظيم لشأن يوم القيمة وقوله ثم أكده بقوله ثم ما أدراك
ما يوم الدين ثم فسره بقوله يوم لا تملك نفس لنفس شيئا أي لا يقدر أحد على نفع أحد ولا خلاصه عما هو فيه إلا أن يشاء الله
لمن يشاء ويرضى وقد سبق عند تفسير وأنذر عشيرتك الأقربين حديث أبي هريرة في الصحيحين أنه عليه الصلوة دعا قريشا
فاجتمعوا فعم وخص فقال يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار إلى أن قال يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم
من الله شيئا الحديث ولهذا قال والأمر يومئذ لله كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وكقوله الملك يومئذ الحق للرحمن وقال قتادة
وهذه الآية والله اليوم لله ولكنه يومئذ لا ينازعه أحد

تفسير سورة المطففين وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس
يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم
يوم يقوم الناس لرب العالمين عن ابن عباس لما قدم نبي الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس
كيلا فأنزل الله ويل للمطففين فحسنوا الكيل بعد ذلك رواه النسائي وعن ابن مسعود أنه قال له رجل يا أبا عبد الرحمن إن
أهل المدينة ليوفون الكيل قال وما يمنعهم أن يوفوا الكيل وقد قال الله ويل للمطففين حتى بلغ لرب العالمين رواه ابن جرير
والمراد بالتطفيف ههنا البخس في المكيال والميزان إما بالازدياد إن اقتضى من الناس وإما بالنقصان إن قضاهم
ولهذا فسر تعالى المطففين الذين وعدهم بالخسار والهلاك وهو الويل بقوله الذين إذا اكتالوا على الناس أي من الناس
يستوفون أي يأخذون حقهم بالوافي والزائد وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون أي ينقصون والأحسن أن يجعل
كالوا ووزنوا متعديا ويكون هم في محل نصب ومنهم من جعلها ضميرا مؤكدا للمستتر في قوله كالوا ووزنوا ويحذف
المفعول لدلالة الكلام عليه وكلاهما متقارب وقد أمر الله تعالى بالوفاء في الكيل والميزان فقال وأوفوا الكيل إذا كلتم
الآية وأوفوا الكيل والميزان بالقسط الآية ثم قال متوعدا لهم ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم أما يخاف أولئك
من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر في يوم عظيم الهول كثير الفزع من خسر فيه أدخل النار وقوله يوم
يقوم الناس لرب العالمين أي يقومون حفاة عراة غرلا في موقف صعب ضيق شديد على المجرم ويغشاهم من أمر الله ما
تعجز القوى والحواس عنه في الصحيحين عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين
حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه وفي مسند أحمد يوم يقوم الناس لرب العالمين لعظمة الرحمن عز وجل
يوم القيمة حتى إن العرق ليلجم الرجال إلى أنصاف آذانهم وعن المقداد بن الأسود قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول إذا كان يوم القيمة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قيد ميل أو ميلين قال فتصهرهم الشمس
فيكونون في العرق بقدر أعمالهم منهم من يأخذه إلى عقبيه ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه ومنهم من يأخذه إلى حقويه
ومنهم من يلجمه إلجاما رواه مسلم واللفظ لأحمد وفي الحديث أنهم يقومون سبعين سنة لا يتكلمون وقيل يقومون ثلثمائة
سنة وقيل يقومون أربعين ألف سنة ويقضى بينهم في مقدار عشرة آلاف سنة كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعا في يوم
كان مقداره خمسين ألف سنة وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبشير الغفاري كيف أنت صانع في

الذين يفعلون ذلك

روي أن سليمان بن عبد الملك قال لأبي حازم ليت شعري ما لنا عند الله قال اعرض عملك على كتاب الله فإنك تعلم ما لك عند الله قال فأين أجده قال عند قوله إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم قال سليمان فأين رحمة الله قال قريب من المحسنين ه

[illegible]

مقداره

يوم يقوم الناس لرب العالمين من ايام الدنيا لا ياتيهم فيه خبر من السماء ولا يومرهم بامر قال بشير المستعان هو الله
قال اذا آويت الى فراشك فتعوذ بالله من كرب يوم القيمة وسوء الحساب رواه ابن ابي حاتم وابن جرير وفي سنن
ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من ضيق يوم القيمة كلا ان كتاب الفجار لفي سجين
وما ادريك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما
يكذب به الا كل معتد اثيم اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي
كنتم به تكذبون يعني حقا ان كتاب الفجار لفي سجين اي مصيرهم وماواهم لفي سجين فعيل من السجن وهو الضيق كما
يقال فسيق وشريب وخمير ولهذا عظم امره فقال وما ادريك ما سجين اي هو امر عظيم وسجن مقيم وعذاب اليم
ثم قال بعضهم هي تحت الارض السابعة كما سبق في حديث البراء بن عازب يقول الله في روح الكافر اكتبوا كتابه في سجين
وهي تحت الارض السابعة وقيل بئر في جهنم وقيل صخرة تحت الارض السابعة خضراء يجعل كتاب الفجار تحتها وعن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الفلق جب في جهنم مغطى والسجين جب في جهنم مفتوح رواه ابن جرير والصحيح ما تقدم
من انه من السجن وهو الضيق فان المخلوقات كل ما تسافل منها ضاق وكل ما تعالى منها اتسع فان الافلاك السبعة
كل واحد منها اوسع من التي دونه وكذا الارضون كل واحدة اوسع من التي تحتها حتى ينتهي السفول المطلق والمحل الاضيق
الى المركز في وسط الارض السابعة ولما كان مصير الفجار الى جهنم وهو اسفل السافلين كما قال تعالى ثم رددناه اسفل سافلين
الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال ههنا كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادريك ما سجين وهو يجمع الضيق والسفول
كما قال واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا وقوله كتاب مرقوم تفسير لما كتب لهم من المصير الى سجين
لا انه تفسير لقوله فما ادريك ما سجين اي مرقوم مكتوب مفروغ منه لا يزاد فيه احد ولا ينقص منه احد قاله القرظي
ثم قال ويل يومئذ للمكذبين اي اذا صاروا يوم القيمة الى ما اوعدهم الله من السجن والعذاب المهين وقد سبق ان المراد
بالويل الهلاك والدمار كما في السنن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويل للذي يحدث فيكذب فيضحك الناس ويل له
ويل له ثم قال تعالى مفسرا للمكذبين الفجار الكفرة الذين يكذبون بيوم الدين اي لا يصدقون بوقوعه ولا يعتقدون كونه
مستبعدين امره قال تعالى وما يكذب به الا كل معتد اثيم اي معتد في افعاله من تعاطي الحرام والمجاوزة في تناول المباح
والاثيم في اقواله ان حدث كذب وان وعد اخلف وان خاصم فجر وقوله اذا تتلى عليه آياتنا اي اذا سمع كلام الله من
الرسول يكذب به ويعتقد انه مفتعل مجموع من كتب الاوائل كما قال تعالى واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين
قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اي ليس الامر كما زعموا ولا كما قالوا ان هذا القرآن اساطير الاولين
بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله صلى الله عليه وسلم وانما حجب قلوبهم عن الايمان به ما عليها من الرين الذي
قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا فالرين يعتري قلوب الكافرين والغيم للابرار والغين للمقربين وعن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا اذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب منها صقل
قلبه وان زاد زادت فذلك قول الله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون رواه الترمذي وصححه والنسائي نحوه
قال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت وبه قال مجاهد وغير واحد وقوله كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون اي لهم يوم القيمة منزل ونزل سجين ثم هم مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم قال الامام الشافعي وفي

فيه ثلثمائة سنة

كلا ردع اي ليس الامر على ما هم عليه
فليرتدعوا وتم الكلام ههنا
وقال الحسن كلا ابدا يتصل الى
ما بعده على معنى حقا واختاره
الكسائي

قال شمر بن عطية جاء ابن عباس الى كعب
الاحبار فقال اخبرني عن قول الله عز وجل
ان كتاب الفجار لفي سجين قال ان روح الفاجر
يصعد بها الى السماء فتابى السماء ان تقبلها
ثم يهبط الى الارض فتابى الارض ان تقبلها
فتدخل تحت سبع ارضين حتى ينتهي الى سجين
وهو موضع جند ابليس فيخرج لها من سجين رق
فيرقم ويختم فيوضع تحت جند ابليس لمعرفتها
الهلاك لحساب يوم القيمة والزجر
سعيد بن جبير

هذه الاية دليل على ان المؤمنين يرونه تعالى يومئذ عيانا وهذا في غاية الحسن فهو استدلال بمفهوم هذه الاية كما دل
عليه منطوق قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وكما دل على ذلك الاحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم
عز وجل في الدار الآخرة رؤية بالابصار في عرصات القيمة وفي روضات الجنات وقال الحسن في هذه الاية يكشف الحجاب فينظر
اليه المؤمنون والكافرون ثم يحجب عنه الكافرون وينظر اليه المؤمنون كل يوم غدوة وعشية رواه ابن جرير وقوله ثم انهم
لصالوا الجحيم اي ثم هم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن من اهل النيران وداخلوها ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون اي
يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ والتصغير والتحقير كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادريك ما
عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم
نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون يعني حقا ان كتاب الابرار وهم بخلاف الفجار لفي عليين اي
مصيرهم الى عليين وهو بخلاف سجين وسال ابن عباس كعبا عن سجين قال هي الارض السابعة وفيها ارواح الكفار و
ساله عن عليين فقال هي السماء السابعة وفيها ارواح المؤمنين وعن ابن عباس في رواية اعمالهم في السماء عند الله وقال
قتادة عليون ساق العرش اليمنى وقال غيره عليون عند سدرة المنتهى والظاهر ان عليين ماخوذ من العلو وكل ما علا الشيء و
ارتفع عظم واتسع ولهذا قال تعالى معظما امره ومفخما شانه وما ادريك ما عليون ثم قال موكدا لما كتب لهم كتاب مرقوم
يشهده المقربون قال قتادة هم الملائكة وقال ابن عباس يشهده من كل سماء مقربوها ثم قال ان الابرار لفي نعيم اي يوم القيمة
هم في نعيم مقيم وجنات فيها فضل عظيم على الارائك وهي السرر تحت الحجال ينظرون قيل معناه ينظرون في ملكهم وما
اعطاهم من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبيد وقيل اي ينظرون الى الله تعالى وهذا في مقابلة ما وصف به اولئك الفجار
من انهم محجوبون يومئذ عن رؤيته تعالى وذكر عن هؤلاء انهم يباحون النظر الى الله تعالى وهم على سررهم وفرشهم
كما سبق وحديث ابن عمر ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة الفي سنة يرى اقصاه كما يرى ادناه وان
اعلاه لمن ينظر الى الله في اليوم مرتين وقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم اي تعرف اذا نظرت اليهم في وجوههم صفة
الحشمة والسرور والدعة لما فيه من النعيم المقيم وقوله يسقون من رحيق مختوم اي يسقون من خمر الجنة والرحيق من اسماء
الخمر قاله كثيرون وعن ابي سعيد الخدري رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ايما مؤمن سقى مؤمنا شربة على ظماء
سقاه الله يوم القيمة من الرحيق المختوم وايما مؤمن اطعم مؤمنا على جوع اطعمه الله من ثمار الجنة وايما مؤمن كسى مؤمنا
ثوبا على عري كساه الله من خضر الجنة رواه احمد وقال ابن مسعود اي خليطه مسك وقال ابو الدرداء ابن عباس
طيب الله لهم المسك وكان آخر شيء جعل فيها مسك ختم بمسك وقال الحسن اي عاقبته مسك وقال ابو الدرداء شراب ابيض
مثل الفضة يختمون به شرابهم ولو ان رجلا من اهل الدنيا ادخل اصبعه فيه ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد طيبها و
عن مجاهد طيبه مسك وقوله وفي ذلك فليتنافس المتنافسون اي وفي مثل هذا الحال فليتفاخر المتفاخرون وليتباهى
ويكاثر ويستبق الى مثله المستبقون كقوله لمثل هذا فليعمل العاملون وقوله ومزاجه من تسنيم اي ومزاج هذا الرحيق
الموصوف من تسنيم اي من شراب يقال له تسنيم وهو اشرف شراب اهل الجنة واعلاه قاله ابو صالح والضحاك ولهذا قال عينا
يشرب بها المقربون اي يشربها المقربون صرفا ويمزج لاصحاب اليمين قاله ابن عباس وابن مسعود وغير واحد ان الذين اجرموا

كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مرّوا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فاكهين وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون أخبر تعالى عن المجرمين أنهم كانوا يضحكون من المؤمنين أي يستهزئون بهم ويحتقرونهم وإذا مرّوا بالمؤمنين يتغامزون أي يشيرون إليهم بالأعين استهزاء واحتقارا أو الغمز الإشارة بالجفن والحاجب وإذا انقلبوا إلى أهلهم أي وإذا رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم انقلبوا فاكهين أي معجبين بما هم فيه يتفكهون أي مهما طلبوا وجدوا فمع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم بل الغوا في الكفر وتحسدوا المؤمنين وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون أي لكونهم على غير دينهم قال تعالى وما أرسلوا عليهم حافظين أي وما بعث هؤلاء المجرمون حافظين على هؤلاء المؤمنين أي لم يوكلوا بحفظ أعمالهم وأقوالهم فلا كلّفوا بهم فلم اشتغلوا بهم وجعلوهم نصب أعينهم كما قال تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون إلى قوله هم الفائزون ولهذا قال ههنا فاليوم يعني يوم القيمة الذين آمنوا من الكفار يضحكون أي في مقابلة ما ضحك بهم أولئك على الأرائك ينظرون أي إلى الله عز وجل في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون وليس بضالين بل هم من أولياء الله المقربين ينظرون إلى ربهم في دار كرامته وقوله هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون أي هل جوزي الكفار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقص أم لا يعني قد جوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله استفهام تقرير وثوب وأثاب بمعنى واحد

تفسير سورة الانشقاق

وهي مكية في الصحيحين عن أبي رافع قال صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ إذا السماء انشقت فسجد فقلت له قال سجدت خلف أبي القاسم صلى الله عليه وسلم فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه وعنه أيضا قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في إذا السماء انشقت واقرأ باسم ربك الذي خلق رواه مسلم وأهل السنن

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا إنه كان في أهله مسرورا إنه ظن أن لن يحور بلى إن ربه كان به بصيرا قال تعالى إذا السماء انشقت وذلك يوم القيمة وأذنت لربها أي استمعت لربها من الأذن وهو الاستماع وأطاعته فيما أمرها به من الانشقاق وحقت وحق لها أن تطيع أمره لأنه العظيم الذي لا يمانع ولا يغالب ثم قال وإذا الأرض مدت أي بسطت وفرشت ووسعت وعن علي بن الحسين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا كان يوم القيمة مد الله الأرض مد الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه فأكون أول من يدعى وجبريل عن يمين الرحمن والله ما رآه قبلها فأقول يا رب إن هذا أخبرني أنك أرسلته إلي فيقول الله عز وجل صدق ثم أشفع فأقول يا رب عبادك عبدوك في أطراف الأرض قال وهو المقام المحمود رواه ابن جرير وقوله وألقت ما فيها أي في بطونها من الأموات وتخلت منهم قاله مجاهد وغيره وأذنت لربها وحقت سبق تفسيره وقوله يا أيها الإنسان إنك كادح أي ساع إلى ربك كدحا سعيا وعملا فملاقيه ثم إنك ستلقى ما عملت من خير أو شر ويشهد ما رواه الطيالسي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل يا محمد عش ما شئت فإنك ميت وأحبب ما شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك ملاقيه ومن الناس من يعيد الضمير إلى قوله ربك أي ملاق ربك ومعناه فيجازيك بعملك ويكافئك على سعيك فعلى هذا كلا القولين متلازمان وقال قتادة يا ابن آدم إن كدحك لضعيف فمن استطاع أن يكون كدحه في طاعة الله فليفعل ولا قوة إلا بالله ثم قال فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا أي سهلا بلا تعسير أي لا يحقق عليه جميع دقائق أعماله فإن من حوسب كذلك هلك لا محالة كما في الصحيحين عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نوقش الحساب عذب قالت فقلت أليس قال الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ليس ذلك بالحساب ولكن ذلك العرض من نوقش الحساب عذب قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلاته اللهم حاسبني حسابا يسيرا فلما انصرف قلت ما الحساب اليسير قال أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه من نوقش يومئذ الحساب يا عائشة يومئذ هلك رواه أحمد وصحح على شرط مسلم وقوله وينقلب إلى أهله مسرورا أي ويرجع إلى أهله في الجنة فرحانا مغتبطا بما أعطاه الله وعن ثوبان أنه قال إنكم تعملون أعمالا لا يعرف ويوشك الغائب أن يثوب إلى أهله فمسرور ومكظوم رواه الطبراني وقوله وأما من أوتي كتابه وراء ظهره أي بشماله من وراء ظهره يثنى يده من ورائه ويعطى كتابه بها كذلك فسوف يدعو ثبورا أي خسارا وهلاكا ويصلى سعيرا أي يحرق بالنار إنه كان في أهله مسرورا أي فرحا باتباع هواه وإسرافه على نفسه ولم يتفكر في عاقبة حاله فأعقبه ذلك الحزن طويلا وعذابا أليما إنه ظن أن لن يحور أي كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله ولا يعيده بعد موته قاله ابن عباس وغير واحد والحور هو الرجوع قال الله بلى إن ربه كان به بصيرا يعني بلى سيعيده الله كما بدأه ويجازيه على أعماله خيرها وشرها أنه كان به بصيرا من يوم خلقه إلى إلى يوم بعثه

فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر إذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق فما لهم لا يؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون بل الذين كفروا يكذبون والله أعلم بما يوعون فبشرهم بعذاب أليم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون

عن علي وابن عباس وكثير من الصحابة والتابعين وتبعهم أن الشفق هو الحمرة وقال بعضهم الشفق هو البياض فالشفق هو حمرة الأفق إما قبل طلوع الشمس كما قاله مجاهد وإما بعد غروبها كما هو المعروف عند أهل اللغة قال الخليل الشفق الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة فإذا ذهب قيل غاب الشفق وقال الجوهري الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل إلى قرب العتمة وكذا قال عكرمة الشفق الذي يكون بين المغرب والعشاء وفي صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقت المغرب ما لم يغب الشفق ففي ذلك دليل على أن الشفق هو كما قاله الجوهري والخليل ولكن صح عن مجاهد أنه قال في هذه الآية فلا أقسم بالشفق هو النهار كله وعنه أيضا الشفق الشمس رواهما ابن أبي حاتم وإنما حمله على هذا قوله تعالى والليل وما وسق أي جمع كأنه أقسم بالضياء والظلام وقال ابن جرير أقسم الله بالنهار مدبرا وبالليل مقبلا وقال غيره الشفق اسم للحمرة والبياض وهو من الأضداد وقوله وما وسق قال ابن عباس أي وما جمع وضم يقال وسقته يسقه وسقا أي جمعته واستوسق الإبل إذا اجتمعت وانضمت قال الشاعر مستوسقات لو يجدن سائقا وذلك أن الليل إذا أقبل أوى كل شيء إلى مأواه وقوله والقمر إذا اتسق أي إذا اجتمع واستوى وبه قال غير واحد يعني أنه إذا تكامل نوره واستدار جعله مقابلا لليل وما وسق وقوله لتركبن طبقا عن طبق قال ابن عباس أي حالا بعد حال قال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم رواه البخاري واحتمل أن ابن عباس سند هذا التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم كأنه قال سمعت هذا من نبيكم صلى الله عليه وسلم فيكون قوله نبيكم مرفوعا على الفاعلية من قال وهو الأظهر والله أعلم وفي رواية ابن جرير أن ابن عباس كان يقول لتركبن طبق عن طبق قال يعني نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول حالا بعد حال وبه قال آخرون ويحتمل معناه أن المراد بهذا نبيكم صلى الله عليه وسلم فيكون هذا نبيكم مبتدأ وخبرا ولعل هذا فيكون هو المتبادر إلى كثير من الرواة كما هو قراءة عمر وابن مسعود وابن عباس وعامة أهل مكة والكوفة لتركبن بفتح التاء والباء وقال الشعبي لتركبن يا محمد سماء بعد سماء

ازججت وانصدعت لنزول الملئكه او انشقت بالغمام قاله ابن عباس وجواب اذا محذوف دل عليه قوله فملاقيه اي اذا انشقت السماء لاقي الانسان كدحه

عامله

انك كادح الى ربك [illegible] الى لقاء ربك [illegible] قال ابن عباس انك كادح اي راجع الى ربك كدحا اي رجوعا لا محالة الى ملاقيه [illegible] وذكره القرطبي

وعنهام

هو ما رواه ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن

وهكذا عن ابن مسعود وغير واحد يعني ليلة الاسراء وعن ابن عباس ايضا مرة على مرة وامرا بعد امر وقال السدي
اي لتركبن سنن من كان قبلكم من اعمالهم مرة عن منزل كما نطق به الحديث الصحيح المشهود وقال مكحول اي يحدثون
في كل عشرين سنة امرا لم تكونوا عليه وعن ابن مسعود السماء تنشق ثم تحمر ثم تكون لونا بعد لون ومرة يكون
كالدهان وقال سعيد بن جبير قوم كانوا في الدنيا خسيس امرهم فارتفعوا في الاخرة واخرون كانوا اشرافا في الدنيا
فاتضعوا في الاخرة وقال عكرمة حالا بعد حال فطيما بعد ما كان رضيعا وشيخا بعد ما كان شابا وقال الحسن رخاء
بعد شدة وشدة بعد رخاء وغنى بعد فقر وفقر بعد غنى وسقم بعد صحة وصحة بعد سقم ثم قال ابن جرير بعد ما حكى
اقوال المفسرين والصواب قول من قال لتركبن يا محمد حالا بعد حال وامرا بعد امر من الشدائد والمراد بذلك وان كان الخطاب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم توجيها جميع الناس انهم يلقون من شدائد يوم القيمة واهواله اهوالا وقوله فما لهم لا يؤمنون
اي فماذا يمنعهم من الايمان بالله ورسوله واليوم الاخر وما لهم اذا قرئت عليهم ايات الرحمن وكلامه وهو هذا القران
لا يسجدون اعظاما واكراما وقوله بل الذين كفروا يكذبون اي من شانهم التكذيب والعناد والمخالفة للحق والله اعلم
يضمرون في قلوبهم من الكفر والحسد والبغي والتكذيب [illegible]
بما يوعون اي يكتمون في صدورهم قاله مجاهد وقتادة فبشرهم بعذاب اليم اي فاخبرهم يا محمد ان الله عز وجل قد اعد لهم
عذابا اليما وقوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات هذا استثناء منقطع يعني لكن الذين امنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات
بجوارحهم لهم اجر اي في الدار الاخرة غير ممنون قال ابن عباس وغيره اي غير منقوص ولا محسوب اي غير مقطوع وقال
عطاء غير مجذوذ وقال بعضهم غير ممنون عليهم وهذا غير مقبول فان الله تعالى له المنة على اهل الجنة في كل حال
واوان ولحظة وانما دخلوها بفضله ورحمته لا باعمالهم فله المنة عليهم دائما سرمدا ولهذا يلهمون تسبيحه و
تحميده كما يلهمون النفس واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين تفسير سورة البروج وهي مكية
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرا في العشاء الاخرة بالسماء ذات البروج والسماء والطارق
رواه احمد بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد
ومشهود قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين
شهود وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والارض والله على
كل شي شهيد ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق
اقسم تعالى بالسماء وبروجها وهي النجوم العظام كما سبق بيانها في قوله تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا
وقمرا منيرا قال ابن عباس وغير واحد البروج النجوم وعن مجاهد ايضا البروج التي فيها الحرس وقال ابن رافع هي قصور في
السماء وقيل هي الخلق الحسن واختار ابن جرير انها منازل الشمس وهي اثنا عشر برجا تسير الشمس في كل واحد منها شهرا ويسير القمر
في كل واحد منها يومين وثلثا فذلك ثمانية وعشرون منزلة ويستتر ليلتين وقوله واليوم الموعود وشاهد ومشهود اختلفوا
في ذلك روى ابن جرير وابن ابي حاتم باسنادهما الى ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واليوم الموعود يوم القيمة و
شاهد يوم الجمعة وما طلعت شمس ولا غربت على يوم افضل من يوم الجمعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله
فيها خيرا الا اعطاه اياه ولا يستعيذ فيه من شر الا اعاذه ومشهود يوم عرفة حديث ضعيف وقال ابو هريرة وغير واحد
اليوم الموعود يوم القيمة كما روى ابو مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيمة وان الشاهد
يوم الجمعة وان المشهود يوم عرفة ويوم الجمعة ذخره الله لنا رواه ابن جرير ثم روى عن ابن عباس قال الشاهد هو محمد صلى الله عليه

يعني ويكبت كفار قريش والمعنى اي عذرهم في ترك الايمان و [illegible]

[illegible]

وسلم

وسلم والمشهود يوم القيمة ثم قرا ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وعن علي رضي الله عنه مثله وعن ابن عباس ايضا
الشاهد الله والمشهود يوم الجمعة وعنه ايضا الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم القيمة وقال بعضهم المشهود يوم الجمعة
[illegible]
لما روى ابو الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا علي من الصلوة يوم الجمعة فانه مشهود تشهده الملئكة
رواه ابن جرير والاكثرون على ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وقوله قتل اصحاب الاخدود جمعه اخاديد
وهي الحفير وهو الشق المستطيل في الارض اي لعن اصحاب الاخدود وهذا حين عزم قوم من الكفار عمدوا الى من عندهم
من المؤمنين بالله فقهروهم وارادوهم ان يرجعوا عن دينهم فابوا عليهم فحفروا لهم في الارض اخدودا واججوا فيه نارا
واعدوا لها وقودا يسعرونها به ثم ارادوهم فلم يقبلوا منهم فقذفوهم فيها ولهذا قال تعالى قتل اصحاب الاخدود النار ذات
الوقود اذ هم عليها قعود قال مجاهد كانوا قعودا على الكراسي عند الاخدود ويعذبون المؤمنين وهم على ما يفعلون بالمؤ
منين شهود اي شاهدون لما يفعل باولئك المؤمنين قال تعالى وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد اي وما كان
لهم عندهم ذنب الا ايمانهم بالله العزيز الذي لا يضام من لاذ بجنابه المنيع الحميد في جميع افعاله واقواله وشرعه وقدره
ثم قال الذي له ملك السموات والارض من تمام الصفة انه المالك لجميع السموات والارض وما فيهما وما بينهما والله على كل شي شهيد
اي لا يغيب عنه شي في جميع السموات والارض ولا يخفى عليه خافية واختلف المفسرون في اهل هذه القصة من هم فعن علي
رضي الله عنه انهم اهل فارس حين اراد ملكهم تحليل تزويج المحارم فامتنع عليه علماؤهم فعمد الى حفر اخدود فقذف
فيه من انكر عليه منهم واستمر فيهم تحليل المحارم الى اليوم وعنه انهم كانوا ناسا من اهل الحبشة ونبيهم حبشي وقال ابن عباس
هم ناس من بني اسرائيل خدوا اخدودا في الارض ثم اوقدوا فيه نارا ثم اقاموا على ذلك الاخدود رجالا ونساء
فعرضوا عليها وزعم انه دانيال واصحابه وبه قال الضحاك وقيل غير ذلك وفي صحيح مسلم ومسند احمد عن صهيب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك اني قد كبرت سني وحضر اجلي فادفع
الي غلاما فلاعلمه السحر فدفع اليه غلاما كان يعلمه السحر وكان بين الساحر وبين الملك راهب فاتى الغلام على الراهب فسمع من
كلامه فاعجبه فكان اذا اتى الساحر مر بالراهب وقعد اليه فاذا اتى الساحر ضربه واذا رجع من عند الساحر
قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا اتى اهله ضربوه فشكا الى الراهب فقال اذا اراد الساحر ان يضربك فقل حبسني
اهلي واذا اراد اهلك ان يضربوك فقل حبسني الساحر قال فبينما هو ذات يوم اذ اتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست
الناس فلا يستطيعون ان يجوزوا فقال اليوم اعلم امر الراهب احب الى الله ام امر الساحر قال فاخذ حجرا فقال
اللهم ان كان امر الراهب احب اليك وارضى من امر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس ورماها فقتلها
ومضى الناس فاخبر الراهب بذلك فقال اي بني انت اليوم افضل مني وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل علي فكان
الغلام يبرئ الاكمه والابرص وسائر الادواء ويشفيهم وكان جليس للملك فعمي فسمع به فاتاه بهدايا كثيرة فقال
اشفني ولك ما هاهنا اجمع فقال ما انا اشفي احدا انما يشفي الله عز وجل فان امنت به دعوت الله فشفاك فامن فدعا
الله فشفاه ثم اتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس فقال له الملك يا فلان من رد عليك بصرك فقال ربي فقال انا
قال لا ربي وربك الله قال ولك رب غيري قال نعم ربي وربك الله فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فبعث اليه فقال اي بني
قد بلغ من سحرك ان تبرئ الاكمه والابرص وهذه الادواء قال ما انا اشفي احدا انما يشفي الله عز وجل قال انا قال لا قال ولك
رب غيري قال ربي وربك الله فاخذه ايضا بالعذاب فلم يزل به حتى دل على الراهب فاتي بالراهب فقال ارجع عن دينك
فابى فوضع المنشار في مفرق راسه حتى وقع شقاه وقال للاعمى ارجع عن دينك فابى فوضع المنشار في مفرق راسه

قال [illegible] الدابة التي حبست الناس كانت اسدا

قد بلغ من امرك ما ارى

[illegible]

حتى وقع شقاه الى الارض وقال للغلام ارجع عن دينك فابى فبعث به مع نفر الى جبل كذا وكذا وقال اذا بلغتم ذروته
فان رجع عن دينه والا فدهدهوه فذهبوا به فلما علوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فدهدهوا
اجمعون وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال ما فعل اصحابك قال كفانيهم الله فبعث به مع نفر في قرقور
فقال اذا لججتم البحر فان رجع عن دينه والا فغرقوه في البحر فلججوا به البحر فقال الغلام اللهم اكفنيهم بما شئت فغرقوا
اجمعون وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال ما فعل اصحابك قال كفانيهم الله ثم قال للملك انك لست بقاتلي حتى تفعل
ما آمرك به فان انت فعلت ما آمرك به قتلتني والا فانك لا تستطيع على قتلي قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد
ثم تصلبني على جذع وتاخذ سهما من كنانتي ثم قل بسم الله رب الغلام فانك اذا فعلت ذلك قتلتني ففعل ووضع
السهم في كبد قوسه ثم رماه وقال بسم الله رب الغلام فوقع السهم في صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم
ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك اريت ما كنت تحذر فقد والله نزل بك قد آمن الناس كلهم فامر بافواه
السكك فخددت فيها الاخاديد واضرمت فيها النيران وقال من رجع عن دينه فدعوه والا فاقحموه فيها قال فكانوا
يتعادون فيها ويتدافعون فجاءت امراة ومعها صبي ترضعه فكانها تقاعست ان تقع في النار فقال الصبي اصبري
يا اماه فانك على الحق وروى الترمذي في تفسير هذه السورة عن صهيب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى
العصر همس والهمس في بعض قولهم تحريك شفتيه كانه يتكلم فقيل له يا رسول الله اذا صليت العصر همست قال ان نبيا
من الانبياء كان اعجب بامته فقال من يقوم لهولاء فاوحى الله اليه ان خيرهم بين ان انتقم منهم وبين ان اسلط
عليهم عدوهم فاختاروا النقمة فسلط عليهم الموت فمات منهم في يوم سبعون الفا قال وكان اذا حدث بهذا الحديث
حدث بهذا الحديث الآخر قال كان ملك من الملوك وكان لذلك الملك كاهن يتكهن له فقال الكاهن انظروا الي غلاما فهما
لقنا فاعلمه علمي هذا فذكر القصة بتمامها وقال في آخره يقول قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود حتى بلغ العزيز الحميد
قال فاما الغلام فانه يدفن فيذكر انه اخرج في زمان عمر بن الخطاب واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل ثم قال
الترمذي حسن غريب وهذا السياق ليس فيه صراحة ان سياق هذه القصة من كلام النبي صلى الله عليه وسلم قال شيخنا الحافظ
ابو الحجاج المزي فيحتمل ان يكون من كلام صهيب الرومي فانه كان عنده علم من اخبار النصارى والله اعلم وذكر محمد بن اسحاق
هذه القصة مبسوطة في السيرة بسياق آخر فيه مخالفة لما سبق وانها كانت بنجران ومنها ان اسم الغلام عبد الله بن الثامر
والملك الذي قتل اصحاب الاخدود يقال له ذو نواس واسمه زرعة ويسمى في زمان مملكته يوسف فقتل في غداة واحد
عشرين الفا وعن مقاتل كانت الاخدود ثلثة واحدة بنجران باليمن والاخرى بالشام والاخرى بفارس حرقوا بالنار
اما التي بالشام فهو انطنانوس الرومي واما التي بفارس فهو بخت نصر واما التي بارض العرب فهو يوسف ذو نواس
فاما التي بفارس والشام فلم ينزل الله فيهم قرآنا وانزل في التي كانت بنجران وعن الربيع بن انس في قوله قتل اصحاب
الاخدود قال سمعنا انهم كانوا قوما في زمان الفترة فلما راوا ما وقع في الناس من الفتنة والشر وصاروا احزابا
كل حزب بما لديهم فرحون اعتزلوا الى قرية يسكنونها واقاموا على عبادة الله مخلصين له الدين فكان هذا امرهم
اذ سمع بهم جبار من الجبابرة وحدث حديثهم فارسل اليهم فامرهم ان يعبدوا الاوثان التي اتخذوها آلهة فابوا
عليه كلهم وقالوا لا نعبد الا الله وحده لا شريك له فقال لهم ان لم تعبدوا هذه الآلهة التي عبدت فاني قاتلكم
فابوا فخد اخدودا من نار وقال لهم الجبار ووقفهم عليها اختاروا هذه او الذي نحن فيه فقالوا هذه احب
الينا وفيهم نساء وذرية ففزعت الذرية فقالوا لهم لا نار من بعد اليوم فوقعوا فيها فقبضت ارواحهم من قبل

فانكفأت بهم السفينة

ان يمسهم

ان يمسهم حرها وخرجت النار من مكانها فاحاطت بالجبارين فاحرقهم الله بها ففي ذلك انزل الله عز وجل قتل
اصحاب الاخدود الى قوله شهيد رواه ابن جرير وقوله ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات قال ابن عباس وغيره
اي حرقوهم ثم لم يتوبوا اي عما فعلوا ولم يندموا على ما اسلفوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق بان الجزاء من جنس
العمل قال الحسن البصري انظروا الى الكرم والجود قتلوا اولياءه وهو يدعوهم الى التوبة والمغفرة ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير ان بطش ربك لشديد
انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد هل اتاك حديث الجنود
فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ
اخبر تعالى عن عباده المؤمنين ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار بخلاف ما اعد لاعدائه من الحريق والجحيم ولهذا
قال ذلك الفوز الكبير ثم قال ان بطش ربك لشديد اي ان بطشه وانتقامه لاعدائه الذين كذبوا رسله وخالفوا
امره لشديد عظيم قوي فانه تعالى ذو القوة المتين الذي ما شاء كان كما يشاء في مثل لمح البصر او اقرب ولهذا قال انه هو
يبدئ ويعيد اي من قوته وقدرته التامة انه يبدئ الخلق ثم يعيده كما بداه بلا ممانع ولا مدافع وهو الغفور الودود اي
يغفر ذنب من تاب اليه وخضع لديه ولو كانت الذنب من اي شي كان والودود هو الحبيب قاله ابن عباس ذو العرش
اي صاحب العرش العظيم العالي على جميع الخلائق والمجيد فيه قراءتان الرفع على انه صفة للرب تعالى والجر على انه صفة للعرش
وكلاهما صحيح فعال لما يريد اي مهما اراد فعله لا معقب لحكمه ولا يسال عما يفعل لعظمته وقهره وحكمته وقوله هل اتاك
حديث الجنود فرعون وثمود اي هل بلغك ما احل الله بهم من الباس وانزل عليهم من النقمة التي لم يردها عنهم احد
هذا تقرير لقوله ان بطش ربك لشديد اي اذا اخذ الظالم اخذه اخذا اليما شديدا اخذ عزيز مقتدر وقوله بل الذين كفروا
في تكذيب اي هم في شك وريب وكفر وعناد والله من ورائهم محيط اي هو قادر عليهم قاهر لا يفوتونه ولا يعجزونه
بل هو قرآن مجيد اي عظيم كريم في لوح محفوظ اي هو في الملا الاعلى محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل
وقال انس بن مالك ان اللوح المحفوظ الذي ذكر الله بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ في جبهة اسرافيل رواه ابن جرير
وقال ابن عباس ان في صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله وصدق
بوعده واتبع رسله ادخله الجنة قال واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب
وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه نور وكلامه معقود بالعرش واصله في حجر ملك رواه البغوي
وروى الطبراني نحوه مرفوعا

تفسير سورة الطارق

وهي مكية عن جابر قال صلى معاذ المغرب فقرا البقرة و
النساء فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتان يا معاذ ما يكفيك ان تقرا بالسماء والطارق والشمس وضحاها ونحو هذا رواه
النسائي بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق
النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين
الصلب والترائب انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر اقسم تعالى بالسماء وما جعل
فيها من الكواكب النيرة ولهذا قال والسماء والطارق ثم قال وما ادراك ما الطارق ثم فسره بقوله النجم الثاقب قال قتادة
وغيره انما سمي النجم طارقا لانه انما يرى بالليل ويختفي بالنهار ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نهى ان يطرق الرجل اهله طروقا اي يجيئهم فجاة بالليل وقوله الثاقب قال عكرمة هو المضيء والمحرق للشيطان وقوله

ان كل نفس لما عليها حافظ اى كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات كما قال تعالى له معقبات من بين يديه
ومن خلفه يحفظونه من امر الله وقوله فلينظر الانسان مم خلق تنبيه للانسان على ضعف اصله الذي خلق منه
وارشاد له الى الاعتراف بالمعاد لان من قدر على البداءة فهو قادر على الاعادة بطريق الاولى كما قال وهو الذى يبدؤ
الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وقوله من ماء دافق يعنى المنى دفقا من الرجل ومن المرأة فيتولد منهما الولد باذن الله
ولهذا قال يخرج من بين الصلب والترائب يعنى صلب الرجل وترائب المرأة والترائب جمع التريبة وهى عظام النحر والصدر
قال ابن عباس هى موضع القلادة من الصدر فماء الرجل غليظ ابيض وماء المرأة رقيق اصفر ولا يكون الولد الا منهما و
به قال ابن جبير وغير واحد وعن مجاهد الترائب ما بين المنكبين الى الصدر وقال الضحاك الترائب بين الثديين والرجلين و
العينين وقيل هو عصارة القلب من هناك يكون الولد وقوله انه على رجعه لقادر اى على رجع هذا الماء الدافق الى مقره
الذى خرج منه لقادر قاله مجاهد وغيره اى على رجع هذا الانسان المخلوق من ماء دافق واعادته وبعثه فى الآخرة لقادر
لان من قدر على البداءة قدر على الاعادة كما سبق هذا الدليل فى القرآن الجليل فى غير موضع قاله الضحاك واختاره ابن جرير
ولهذا قال يوم تبلى السرائر اى يوم القيمة تبلى فيه السرائر اى تظهر وتبدى ويبقى السر علانية والمكنون مشهورا وفى الصحيحين
عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرفع لكل غادر لواء عند استه يقال هذه غدرة فلان بن فلان وقوله فما له
من قوة ولا ناصر اى من خارج منه نعنى لا يقدر على ان ينقذ نفسه من عذاب ولا يستطيع له احد ذلك والسماء ذات الرجع
والارض ذات الصدع انه لقول فصل وما هو بالهزل انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل
الكافرين امهلهم رويدا قال ابن عباس الرجع المطر او السحاب فيه المطر يمطر ثم يمطر وقال قتادة ترجع رزق
العباد كل عام ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم وقال ابن زيد ترجع نجومها وشمسها وقمرها يأتين من ههنا والارض
ذات الصدع قال ابن عباس وغير واحد هو انصداعها اى انشقاقها عن النبات وقوله انه لقول فصل اى حق وحكمة عدل
وما هو بالهزل اى بل هو صدق وجد وحق ثم اخبر عن الكافرين بانهم يكذبون به ويصدون عن سبيله فقال انهم يكيدون
كيدا اى يمكرون بالناس فى دعوتهم الى خلاف القرآن ثم قال فمهل الكافرين اى انظرهم ولا تستعجل لهم امهلهم رويدا
اى قليلا فانك ترى ماذا يحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة كما قال نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ
تفسير سورة سبح اسم وهى مكية والدليل على ما ذكر ما رواه البخارى عن البراء بن عازب قال اول من قدم علينا من
اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن ام مكتوم فجعلا يقرآننا القرآن ثم جاء عمار وبلال وسعد ثم جاء
عمر بن الخطاب فى عشرين من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ثم جاء النبى صلى الله عليه وسلم فما رأيت اهل المدينة فرحوا بشىء فرحهم
به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون هذا رسول الله قد جاء فما جاء حتى قرأت سبح اسم ربك الاعلى فى سور مثلها وعن
على قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب هذه السورة سبح اسم ربك الاعلى تفرد به احمد وعن النعمن بن بشير ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قرا فى العيدين بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتيك حديث الغاشية وان وافق يوم الجمعة قرأهما جميعا رواه
احمد ومسلم واكثر اهل السنن كان يقرا فى العيدين ويوم الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتيك حديث الغاشية وربما اجتمعا
فى يوم واحد فقرأهما وعن عائشة ام المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرا فى الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا
ايها الكافرون وقل هو الله احد والمعوذتين رواه احمد وابو داود والترمذى ورواه غير واحد من الصحابة كابن مسعود
وجابر رضى الله عنهم بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى

والذى قدر فهدى والذى اخرج المرعى فجعله غثاء احوى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه
يعلم الجهر وما يخفى ونيسرك لليسرى فذكر ان نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى
الذى يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى قد افلح عن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال
لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم رواه احمد وابو داود
وابن ماجه وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا سبح اسم ربك الاعلى قال سبحان ربى الاعلى رواه
احمد وابو داود ايضا وقوله الذى خلق فسوى اى خلق الخليقة وسوى كل مخلوق فى احسن هيئة وقوله والذى قدر فهدى
قال مجاهد هدى الانسان للسعادة وللشقوة وهدى الانعام لمراتعها وهذه الاية كما اخبر تعالى عن موسى انه قال لفرعون
ربنا الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى اى قدر قدرا وهدى الخلائق اليه كما فى صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله قدر مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء وقوله والذى
اخرج المرعى اى من صنوف النباتات والزروع فجعله غثاء احوى قال ابن عباس وغيره اى هشيما متغيرا وقال بعضهم
فيه تقديم وتأخير اى والذى اخرج المرعى احوى اى اخضر الى السواد فجعله غثاء بعد ذلك رواه ابن جرير ثم قال هذا وان كان
محتملا الا انه غير صواب لمخالفته اقوال اهل التأويل وقوله سنقرئك اى يا محمد فلا تنسى وهذا اخبار من الله تعالى ووعد منه له
بان سيقرئه قراءة لا ينساها الا ما شاء الله واختاره ابن جرير وقيل المراد بقوله فلا تنسى طلب وجعلوا معنى الاستثناء ما يقع من
النسخ اى لا تنسى ما نقرئك الا ما يشاء الله رفعه فلا عليك ان تتركه وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اى يعلم ما يجهر به العباد
وما يخفونه من اقوالهم وافعالهم لا يخفى عليه من ذلك شىء وقوله ونيسرك لليسرى اى نسهل عليك افعال الخير واقواله و
نشرع لك شرعا سهلا سمحا مستقيما عدلا لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر وقوله فذكر ان نفعت الذكرى اى ذكر حيث ينفع
وفيه الادب فى نشر العلم فلا تضعه عند غير اهله كما قال على رضى الله عنه ما انت بمحدث قوما حديثا لا يبلغه عقولهم
الا كان فتنة لبعضهم وقال حدث الناس بما يعرفون اتحبون ان يكذب الله ورسوله وقوله سيذكر من يخشى اى سيتعظ بما
تبلغه يا محمد من قلبه يخشى الله ويعلم انه ملاقيه ويتجنبها الاشقى اى الذكرى ويتباعد عنها الاشقى اى الشقى فى علم الله الذى يصلى
النار الكبرى اى العظيمة القطيعة ثم لا يموت فيها ولا يحيى اى لا يموت فيستريح ولا يحيى حيوة ينفعه بل هى مضرة عليه لان بسببها
يشعر بما يعاقبه من اليم العذاب وانواع النكال عن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اهل النار الذين هم اهلها
فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن اناس او كما قال تصيبهم النار بذنوبهم او بخطاياهم فيميتهم اماتة حتى اذا صاروا فحما اذن
فى الشفاعة فجىء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على انهار الجنة فيقال يا اهل الجنة افيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل
السيل فقال رجل من القوم حينئذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالبادية رواه مسلم وفى رواية لاحمد عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال ان اهل النار الذين لا يريد الله اخراجهم لا يموتون فيها ولا يحيون وان اهل النار الذين يريد الله اخراجهم يميتهم فيها
اماتة حتى يصيروا فحما فيخرجون ضبائر فيلقون على انهار الجنة فيرش عليهم من انهار الجنة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل وقد
قال تعالى حاكيا عن اهل النار لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور قد افلح من تزكى وذكر
اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابرهيم
وموسى قال تعالى قد افلح من تزكى اى طهر نفسه من الرذائل وتابع ما انزله على الرسول عليه الصلوة والسلام وذكر اسم ربه فصلى
اى اقام الصلوات فى اوقاتها ابتغاء رضوان الله وطاعة لامره وامتثالا للشريعة وعن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قد افلح

من تزكى قال من شهد ان لا اله الا الله وخلع الانداد وشهد اني رسول الله وذكر اسم ربه فصلى قال هي الصلوات الخمس
والمحافظه عليها والاهتمام بها رواه الحافظ ابو بكر البزار وكذا قال ابن عباس المراد بذلك الصلوات الخمس واختاره
ابن جرير وقيل المراد به صدقة عيد الفطر وبه قال عمر بن عبد العزيز وقال قتاده هو ان زكى ماله وارضى خالقه ثم قال تعالى
بل تؤثرون الحيوة الدنيا اي بل تقدمونها على امر الآخره وتبدلونها على ما فيه نفعهم وصلاحهم في معاشهم ومعادهم و
الآخره خير وابقى اي ثواب الله في الدار الآخره خير من الدنيا وابقى فان الدنيا دنيه فانية والآخره شريفه باقيه فكيف يؤثر عاقل
ما يفنى على ما يبقى ويهتم بما يزول عنه قريبا ويترك الاهتمام بما يبقى ابدا وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعن عرفجة الثقفي قال استقرات ابن مسعود سبح اسم ربك
الاعلى فلما بلغ بل تؤثرون الحيوة الدنيا ترك القراءة واقبل على اصحابه فقال آثرنا الدنيا على الآخره لانا راينا زينتها ونساءها
وطعامها وشرابها وزويت عنا الآخره فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل رواه ابن جرير وهذا منه على مقام الانصاف و
التنبيه والتحذير منه وعن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب دنياه اضر باخرته ومن احب آخرته
اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى تفرد به احمد وقوله ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى يعني ان ما ذكر
من قوله قد افلح من تزكى الى اربع آيات لفي الكتب الاولى التي انزلت قبل القرآن فانه ذكر فيها فلاح المتزكي والمصلي
وايثار الخلق الحيوة الدنيا وان الآخره خير وابقى ثم فسر الصحف الاولى بقوله صحف ابرهيم وموسى وقيل هذه السوره في صحف
ابرهيم وموسى والمختار الاول وبه قال ابن جرير وقال اي مضمون الكلام لفي الصحف الاولى كما سبق آنفا وهذا الذي اختاره
حسن قوي والذي رواه الحافظ البزار عن ابن عباس مرفوعا كان كل هذا في صحف ابرهيم وموسى محمول على ذلك وعن قتادة
وابن زيد نحوه **تفسير سورة الغاشيه وهي مكيه** عن النعمن بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرا بسبح اسم
والغاشيه في صلوة العيد ويوم الجمعه كما سبق وفي روايه سئل عنه ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في الجمعة مع
سورة الجمعه قال هل اتيك حديث الغاشيه رواه مسلم وغيره من الائمة بسم الله الرحمن الرحيم هل اتيك حديث الغاشيه
وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام الا من
ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع قال ابن عباس وغير واحد الغاشيه من اسماء يوم القيمه تغشى الناس وتعمهم
وعن عمرو بن ميمون قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على امراة تقرا هل اتيك حديث الغاشيه فقام يستمع ويقول نعم قد جاءني
وقوله وجوه يومئذ خاشعه اي ذليله قال ابن عباس تخشع ولا ينفعها عملها وقوله عاملة ناصبة اي قد عملت عملا
كثيرا ونصبت فيه وصليت يوم القيمه نارا حاميه وعن ابي عمران الجوني قال مر عمر بن الخطاب بدير راهب فناداه يا
راهب يا راهب فاشرف قال فجعل عمر ينظر اليه ويبكي فقيل له يا امير المؤمنين ما يبكيك من هذا قال ذكرت قول الله تعالى
في كتابه عاملة ناصبة تصلى نارا حامية فذاك الذي ابكاني رواه البرقاني وقال ابن عباس هم النصارى وقال عكرمة و
السدي عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في النار بالعذاب والاغلال قال ابن عباس وغيره نارا حامية اي حارة شديدة الحر
تسقى من عين آنية اي قد انتهى حرها وغليانها وقوله ليس لهم طعام الا من ضريع هو شجر في النار يسميه قريش في الربيع الشبرق وفي
الصيف الضريع قاله قتاده وعن عكرمة ذات شوك لاطية بالارض وقال البخاري الضريع نبت يقال له الشبرق يسميه
اهل الحجاز الضريع اذا يبس وهو سم قال قتادة وهو من شر الطعام وابشعه واخبثه وقوله لا يسمن ولا يغني من جوع
يعني لا يحصل به مقصود ولا يندفع به محذور وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية لا تسمع فيها

فقال انا اتدرون لم آثرنا الحيوة الدنيا على الآخره قلنا لا قال لان الدنيا احضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها وان الآخره نعتت لنا وزويت عنا

لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة
لما ذكر حال الاشقياء ثنى بذكر السعداء فقال وجوه يومئذ اي يوم القيمه ناعمه اي يعرف النعيم فيها وانما حصل لها ذلك
بسعيها وقال سفين اي قد رضيت عملها وقوله في جنة عاليه اي رفيعة بهية في الغرفات آمنون لا تسمع فيها لاغية
اي لا تسمع في الجنة كلمة لغو كما قال لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وقال لا لغو فيها ولا تاثيم فيها عين جاريه وهذه نكرة
في سياق الاثبات وليس المراد بها عينا واحدة وانما هو جنس يعني فيها عيون جاريات عن ابي هريرة قال النبي صلى الله عليه
وسلم انهار الجنة تفجر من تحت تلال او تحت جبال المسك رواه ابن ابي حاتم فيها سرر مرفوعة اي ناعمة عالية كثيرة الفرش
مرتفعه السمك عليها الحور العين قالوا فاذا اراد ولي الله ان يجلس على تلك السرر العاليه تواضعت له واكواب موضوعة
يعني اواني الشراب معدة مرصدة لمن ارادها من اربابها ونمارق مصفوفه يعني الوسائد والمخاد بعضها بجنب بعض
وقوله وزرابي مبثوثه قال ابن عباس وغير واحد اي البسط ومعنى مبثوثه متفرقه لمن اراد الجلوس عليها وعن اسامة بن
زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا هل مشمر للجنة فان الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلالا وريحانة
تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجه وزوجه حسناء جميله وحلل كثيره ومقام في ابد في دار سليمة وفاكهة
خضرة وحبرة ونعمة في محلة عالية بهية قالوا نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها قال قولوا ان شاء الله قال القوم ان شاء
الله رواه ابن ماجه وابن ابي داود افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى
الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر الا من تولى
وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم امر تعالى عباده بالنظر في مخلوقاته
الداله على قدرته وعظمته فقال افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت فانها خلق عجيب وتركيبها غريب فانها في غاية القوة والشدة ومع
ذلك تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف ويؤكل لحمها وينتفع بوبرها ويشرب لبنها ونبهوا بذلك لان العرب غالب دوابهم
كانت الابل وكان شريح القاضي يقول اخرجوا بنا حتى ننظر الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت اي كيف رفعها الله
تعالى عن الارض هذا الرفع العظيم كما قال افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والى الجبال
كيف نصبت اي جعلت منصوبه قائمة ثابتة راسيه لئلا تميد الارض باهلها وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن و
الى الارض كيف سطحت اي كيف بسطت ومدت ومهدت فنبه البدوي على الاستدلال بما شاهده من بعيره الذي هو
راكب عليه والى السماء التي فوق راسه والجبل الذي تجاهه والارض التي تحته على قدرة خالق ذلك وصانعه وانه الرب
العظيم الخالق المتصرف المالك وانه الاله الذي لا يستحق العبادة سواه وقوله فذكر انما انت مذكر اي فذكر يا محمد الناس وعظهم
بما ارسلت به اليهم فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب ولهذا قال لست عليهم بمسيطر قال ابن عباس وغيره اي لست عليهم بجبار و
قال ابن زيد اي لست بالذي تكرههم على الايمان وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى
يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله ثم قرا انما انت مذكر لست عليهم
بمسيطر رواه احمد وهكذا رواه مسلم في كتاب الايمان وقوله الا من تولى وكفر اي اعرض وتولى عن العمل باركانه وكفر بالحق بجنانه
ولسانه فيعذبه الله العذاب الاكبر اي عذاب جهنم لانهم عذبوا في الدنيا بالقحط والقتل والاسر وعن ابي امامه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا كلكم يدخل الجنة الا من شرد على الله شراد البعير على اهله تفرد باخراجه احمد وقوله ان
الينا ايابهم اي مرجعهم ومنقلبهم ثم ان علينا حسابهم اي نحن نحاسبهم على اعمالهم ونجازيهم بها بحسبها **تفسير سورة الفجر**

وهي مكية وفي سنن النسائي عن جابر قال صلى معاذ صلاة فجاء رجل فصلى معه فطول فصلى في ناحية المسجد ثم انصرف فبلغ ذلك معاذا فقال منافق فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل الفتى فقال يا رسول الله جئت اصلي معه فطول فانصرفت وصليت في ناحية المسجد فعلفت ناضحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتان انا يا معاذ اين انت من سبح اسم ربك الاعلى والشمس وضحاها والفجر والليل اذا يغشى

بسم الله الرحمن الرحيم والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الاوتاد الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد

اما الفجر فمعروف وهو الصبح قاله علي وابن عباس رضي الله عنهم وقال مجاهد وغيره المراد به فجر يوم النحر خاصة وهو خاتمة الليالي العشر وقال عكرمة المراد بذلك الصلوة التي تفعل عنده وقيل المراد به جميع النهار وهو رواية عن ابن عباس والليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة كما قاله ابن عباس وغير واحد وقد ثبت في البخاري عن ابن عباس مرفوعا ما من ايام العمل الصالح احب الى الله فيهن من هذه الايام يعني عشر ذي الحجة قالوا ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله الا رجلا خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء وقيل المراد بذلك العشر الاول من المحرم حكاه ابن جرير وعن ابن عباس في رواية هو العشر الاول من رمضان والصحيح الاول وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العشر عشر الاضحى والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر رواه احمد والنسائي وقوله والشفع والوتر قد سبق آنفا ان الوتر يوم عرفة لانه التاسع وان الشفع يوم النحر لانه العاشر قاله ابن عباس وقال عطاء الشفع يوم عرفة والوتر ليلة الاضحى وقال عبد الله بن الزبير الشفع قول الله فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه والوتر قوله ومن تاخر فلا اثم عليه وعنه ايضا الشفع اوسط ايام التشريق والوتر اخر ايام التشريق رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وابن جرير مال اليه وقال مجاهد الشفع الزوج والوتر الله تعالى وعنه خلقه الشفع الذكر والانثى وعن الحسن هو العدد منه شفع ومنه وتر وقال ابو العالية والربيع بن انس هي الصلوة منها شفع كالرباعية والثنائية ومنها وتر كالمغرب وهي وتر النهار وكذلك آخر التهجد من الليل وبه قال عمران بن حصين كما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر فقال هي الصلوة بعضها شفع وبعضها وتر رواه احمد والترمذي وابن جرير وابن ابي حاتم وقوله والليل اذا يسر اي اذا ذهب قاله ابن عباس وقال ابن الزبير حتى يذهب بعضه بعضا وقال مجاهد وغير واحد اي اذا سار وهذا يمكن حمله على قول ابن عباس ويحتمل ان يكون معناه اقبل ويقال هذا انسب لانه في مقابلة قوله والفجر فان الفجر هو اقبال النهار وادبار الليل فاذا حمل على اقباله كان قسما باقبال الليل وادبار النهار وبالعكس كقوله والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس وقال عكرمة يعني ليلة جمع مزدلفة وقوله هل في ذلك قسم لذي حجر اي لذي عقل ولب وحجى وانما سمي العقل حجرا لانه يمنع الانسان عن تعاطي ما لا يليق به من الافعال والاقوال ومنه حجر البيت لانه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشامي وحجر الحاكم على فلان اذا منعه من التصرف وهذا القسم هو باوقات العبادة وبنفس العبادة من حج وصلوة وغير ذلك من انواع القرب التي يتقرب بها اليه عباده المتقون المطيعون له الخاشعون لوجهه الكريم ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم قال بعده الم تر كيف فعل ربك بعاد وهؤلاء كانوا متمردين عتاة جبارين مكذبين لرسله جاحدين لكتبه فذكر تعالى كيف اهلكهم وجعلهم عبرا فقال الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد وهؤلاء عاد الاولى اولاد عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح قاله ابن اسحق وهم الذين بعث فيهم رسولهم هود عليه السلام

جواب القسم محذوف وهو ليعذبن دل عليه قوله الم تر كيف فعل ربك الى قوله سوط عذاب

وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخرة

فكذبوه

فكذبوه وخالفوه فانجاه الله ومن آمن معه منهم من بين اظهرهم واهلكهم بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فترى القوم فيها صرعى وقد ذكر الله قصتهم في غير موضع من القرآن ليعتبر بمصرعهم المؤمنون فقوله بعاد ارم ذات العماد عطف بيان زيادة تعريف بهم وانما قال ذات العماد لانهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالاعمدة الشداد وقد كانوا اشد الناس في زمانهم خلقة واقواهم بطشا ولهذا ذكرهم هود تلك النعمة وارشدهم الى ان يستعملوها في طاعة ربهم الذي خلقهم فقال واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح الآية وقال تعالى فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق الآية وقال ههنا التي لم يخلق مثلها في البلاد اي لم يخلق مثل تلك القبيلة في بلادهم لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبهم وهذا هو الصواب الذي اختاره ابن جرير قال مجاهد وغيره ارم امة قديمة يعني عادا الاولى واعاد ابن زيد الضمير في مثلها الى العماد لارتفاعها وقال بنوا عمدا بالاحقاف لم يخلق مثلها في البلاد واما قتادة وابن جرير فاعاد الضمير على القبيلة كما سبق ولو كان كما قال ابن زيد لقال لم يعمل مثلها في البلاد وعن المقدام عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر ارم ذات العماد فقال كان الرجل منهم ياتي على الصخرة فيحملها على الحي فيهلكهم رواه ابن ابي حاتم قال الشيخ رحمه الله فعلى كل قول سواء كانت العماد ابنية بنوها او اعمدة بيوتهم للبدو او سلاحا يقاتلون به او طول القامة منهم فهم قبيلة وامة من الامم وهم المذكورون في القرآن في غير موضع المقرونون بثمود كما ههنا والله اعلم ومن زعم ان المراد بقوله ارم ذات العماد مدينة اما دمشق او اسكندرية كما روي عن بعض السلف ففيه نظر فانه كيف يلتئم الكلام هذا الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد ان جعل ذلك بدلا او عطف بيان فانه لا يتسق الكلام حينئذ ثم المراد انما هو الاخبار عن اهلاك القبيلة المسماة بعاد وما احل الله بهم من باسه الذي لا يرد لا ان المراد الاخبار عن مدينة او اقليم وانما نبهت على هذا لئلا يغتر بما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها ارم ذات العماد مبنية بلبن الذهب والفضة قصورها ودورها وبساتينها وحصباؤها لآلي وجواهر وترابها بنادق المسك وانهارها سارحة وثمارها ساقطة ودورها لا انيس بها وسورها وابوابها تصفر ليس بها داع ولا مجيب وانها تنتقل فتارة تكون بارض الشام وتارة باليمن وتارة بالعراق وتارة بغير ذلك من البلاد فان هذا كله من خرافات الاسرائيليين من وضع بعض زنادقتهم ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس وذكر الثعلبي وغيره ان رجلا من الاعراب اسمه عبد الله ابن قلابة في زمان معوية ذهب في طلب اباعر له شردت فبينما هو يتيه في ابتغائها اذ طلع على مدينة عظيمة لها سور وابواب فدخلها فوجد فيها قريبا مما ذكرناه من صفات المدينة الذهبية التي سبق ذكرها وانه رجع فاخبر الناس فذهبوا معه الى المكان الذي قال فلم يروا شيئا فهذه الحكاية ليس يصح اسنادها ولو صح الى هذا الاعرابي فقد يكون قد اختلق ذلك او اصابه نوع خبال وتصور ان ذلك له حقيقة في الخارج وليس كذلك وهذا مما يقطع بعدم صحته وقول ابن جرير يحتمل ان يكون المراد بقوله ارم قبيلة او بلدة كانت عاد تسكنها فلذلك لم يصرف فيه نظر لان المراد من السياق انما هو الاخبار عن القبيلة ولهذا قال بعده وثمود الذين جابوا الصخر بالواد يعني يقطعون الصخر بالواد قال ابن عباس ينحتونها ويخرقونها كذا قاله مجاهد وغيره ومنه قول مجتابي النمار اذا خرقوها وقال تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين وانشد ابن جرير وابن ابي حاتم ههنا قول الشاعر

الا كل شيء ما خلا الله بائد … كما باد حي من ثقيف ومايد
هم ضربوا في كل صماء صعدة … بايد شداد ايدات السواعد

وقال ابن اسحق كانوا عربا وكان منزلهم بوادي القرى وقد سبق قصتهم في سورة الاعراف وقوله وفرعون ذي الاوتاد قال ابن عباس الاوتاد الجنود يشدون له امره ويقال كان فرعون يوتد ايديهم وارجلهم في اوتاد من حديد يعلقهم بها قاله

ذي الجنود والجموع الكثيرة وكانت لهم مضارب كثيرة يوتدونها في اسفارهم

مجاهد وغير واحد قال السدي كان يربط الرجل في كل قائمة من قوائمه في وتد ثم يرسل عليه صخرة عظيمة فيشدخه وقال قتادة بلغنا انه كانت له مظال وملاعب يلعب له تحتها من اوتاد وحبال وقال ابو رافع قيل لفرعون ذي الاوتاد لانه ضرب لامراته اربعة اوتاد ثم جعل على ظهرها رحى عظيمة حتى ماتت وقوله الذين طغوا في البلاد يعني عادا وثمود وفرعون علوا في الارض بالمعاصي وانواع الطغيان والجبروت والعناد ولهذا قال فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب اي انزل عليهم رجزا من السماء واحل بهم عقوبة لا يردها عن القوم المجرمين وقوله ان ربك لبالمرصاد يعني يرصد خلقه فيما يعملون يسمع ويرى ويجازي كلا بعمله بما يستحقه وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه يا معاذ ان المؤمن لدى الحق اسير يا معاذ ان المؤمن لا يسكن روعه ولا يامن اضطرابه حتى يخلف جسر جهنم خلف ظهره يا معاذ ان المؤمن قيده القرآن عن كثير من شهواته وعن ان يهلك فيها هو باذن الله تعالى فالقرآن دليله والخوف محجته والشوق مطيته والصلوة كهفه والصوم جنته والصدقة فكاكه والصدق اميره والحياء وزيره وربه عز وجل من وراء ذلك كله بالمرصاد رواه ابن ابي حاتم والحديث غريب جدا وفي صحته نظر فاما الانسان اذا ما ابتليه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتاكلون التراث اكلا لما وتحبون المال حبا جما انكر تعالى على الانسان في اعتقاده اذا اوسع الله عليه في الرزق ليختبره في ذلك فيعتقد ان ذلك من الله اكرام له ولهذا قال فيقول ربي اكرمن وكذا ليس كذلك بل هو ابتلاء وامتحان وكذلك في الجانب الاخر اذا ابتليه فامتحنه وضيق عليه في الرزق يعتقد ان ذلك من الله اهانة له كما قال فيقول ربي اهانن قال الله كلا ليس الامر كما زعم لا في هذا ولا في ذاك فان الله يعطي المال لمن يحب ومن لا يحب ويضيق على من يحب ومن لا يحب وانما المدار في ذلك على طاعة الله في كل من الحالين اذا كان غنيا بان يشكر الله على غناه وان كان فقيرا يصبر وقوله بل لا تكرمون اليتيم فيه امر بالاكرام له كما روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه رواه ابن ماجه وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم له ولغيره في الجنة هكذا واشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا رواه البخاري ولا تحاضون على طعام المسكين اي لا يامرون بالاحسان الى الفقراء والمساكين ولا يحث بعضهم على بعض في ذلك وتاكلون التراث اي الميراث اكلا لما اي من اي جهة حصل لهم من حلال او حرام وتحبون المال حبا جما اي كثيرا زاد بعضهم فاحشا كلا اذا دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى يقول يا ليتني قدمت لحياتي فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي اخبر تعالى عما يقع يوم القيمة من الاهوال العظيمة فقال كلا اي حقا اذا دكت الارض اي وطئت ومهدت وسويت الارض والجبال دكا مرة بعد مرة فلم يبق عليها شيء وقام الخلائق من قبورهم لربهم وجاء ربك يعني لفصل القضاء بين خلقه وذلك بعدما يستشفعون اليه بسيد العالمين وشفيع المذنبين محمد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بعد ما يسألون اولي العزم واحدا بعد واحد وكلهم يقول لست بصاحب ذاكم حتى تنتهي النوبة الى محمد صلى الله عليه وسلم فيقول انا لها انا لها فيذهب ويشفع عند الله في ان ياتي لفصل القضاء فيشفعه الله في ذلك وهو اول الشفاعات وهي المقام المحمود كما سبق في سورة سبحان فيجيء الرب تعالى لفصل القضاء كما يشاء والملئكة يجيئون بين يديه صفوفا صفوفا وقوله وجيء يومئذ بجهنم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله

حديث شريف في اليتيم

عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها رواه مسلم وقوله يومئذ يتذكر الانسان اي عمله وما كان اسلفه في قديم دهره وحديثه وانى له الذكرى اي وكيف تنفعه الذكرى يقول يا ليتني قدمت لحياتي يعني يندم على ما كان سلف منه من المعاصي ان كان عاصيا ويود لو كان ازداد من الطاعات ان كان طائعا قال الله تعالى فيومئذ لا يعذب عذابه احد اي ليس احد اشد عذابا من تعذيب الله من عصاه ولا يوثق وثاقه احد اي وليس احد اشد قبضا ووثقا من الزبانية لمن كفر بربهم هذا في حق المجرمين فاما النفس الزكية المطمئنة وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق فيقال لها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك اي الى جواره وثوابه وما اعد لعباده الصالحين في الجنة راضية اي في نفسها مرضية اي قد رضيت عن الله ورضي عنها وارضاها فادخلي في عبادي اي في جملتهم وادخلي جنتي وهذا يقال لها عند الاحتضار وفي يوم القيمة ايضا كما ان الملئكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره وكذلك هيهنا ثم اختلفوا فيمن نزلت هذه الاية فعن ابن عباس انها نزلت في عثمان بن عفان وعن بريدة بن الحصيب انها نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقال ابن عباس يقال للارواح المطمئنة يوم القيمة يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك يعني صاحبك وهو بدنها الذي كانت تعمره في الدنيا راضية مرضية وروي عنه انه كان يقرؤها فادخلي في عبدي وادخلي جنتي وكذا قال عكرمة والكلبي واختاره ابن جرير وهو غريب والظاهر الاول لقوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق وان مردنا الى الله اي الى حكمه والوقوف بين يديه وعن ابن عباس في قوله يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية قال نزلت وابو بكر جالس فقال يا رسول الله ما احسن هذا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اما ان الملك سيقول لك هذا عند الموت رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وعن سعيد بن جبير قال مات ابن عباس بالطائف فجاء طير لم ير مثله على خلقته فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الاية على شفير القبر لا يدرى من تلاها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي رواه ابن ابي حاتم والطبراني وذكر الحافظ ابن المنذر المعروف بشكر في كتاب العجائب ان فتات بن رزين ابي هاشم قال اسرت في بلاد الروم فجمعنا الملك وعرض علينا دينه على ان من امتنع ضربت عنقه فارتد ثلثة وجاء الرابع فامتنع فضربت عنقه والقي راسه في نهر هناك فرسب في الماء ثم طفا على وجه الماء ونظر الى اولئك الثلثة فقال يا فلان ويا فلان ويا فلان ينادبهم باسمائهم قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ثم غاص في الماء قال فكادت النصارى ان يسلموا ووقع سرير الملك ورجع اولئك الثلثة الى الاسلام قال وجاء الفداء من عند الخليفة ابي جعفر المنصور فخلصنا وروى الحافظ ابن عساكر عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل قل اللهم اني اسالك نفسا بك مطمئنة تؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك

تفسير سورة البلد وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان في كبد ايحسب ان لن يقدر عليه احد يقول اهلكت مالا لبدا ايحسب ان لم يره احد الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين هذا قسم من الله تعالى بمكة ام القرى في حال كون الساكن فيها حلالا لينبه على عظمة قدرها في حال احرام اهلها قال مجاهد لا اي ولا اقسم رد عليهم اقسم بهذا البلد يعني مكة وانت حل اي انت يا محمد يحل لك ان تقاتل به كذا روي عن ابن جبير وغير واحد وقال مجاهد ما اصبت فيه فهو حلال لك وقال قتادة اي انت به حلال من غير حرج ولا اثم وقال الحسن احلها الله له ساعة من نهار وقد ورد بمعناه الحديث المتفق على صحته ان هذا البلد

للنبي يوم فتح مكة
حتى قاتل وقتل من شاء

حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيمة لا يعضد شجره ولا يختلى خلاه وانما احلت لي
ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس الا فليبلغ الشاهد الغائب وفي لفظ فان احد
ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ان الله اذن لرسوله ولم ياذن لكم وقوله ووالد وما ولد قال
ابن عباس الوالد الذي يلد وما ولد العاقر الذي لا يولد له وعن عكرمة عكس ذلك وقال مجاهد وكثيرون الوالد
آدم وما ولد ولده وهذا حسن قوي لانه تعالى لما اقسم بام القرى وهي المساكن اقسم بعده بالساكن وهو آدم ابو البشر
وولده وقيل بهم وذريته واختار ابن جرير انه عام في كل والد وولده وهو محتمل وقوله لقد خلقنا الانسان في كبد
قال ابن مسعود وغير واحد يعني منتصبا وزاد ابن عباس منتصبا في بطن امه والكبد الاستواء والاستقامة
يعني خلقناه سويا مستقيما كقوله الذي خلقك فسواك فعدلك في اي صورة وقال ابن عباس اي في شدة خلق المرء
اليه وذكر مولده ونبات اسنانه وقال مجاهد هو كقوله حملته امه كرها ووضعته كرها فارضعته كرها و
معيشته كرها فهو يكابد ذلك وقال ابن جبير اي في شدة وطلب معيشته ومشقة وقال الحسن مكابد امرا من امر الدنيا وامرا
من امر الآخرة وفي رواية مكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة واختار ابن جرير المراد بذلك مكابدة الامور ومشاقها وقوله
ايحسب ان لن يقدر عليه احد اي ايحسب الانسان ان لن يقدر عليه احد ياخذ ماله قاله الحسن وقال قتادة ابن آدم يظن ان
لا يسال عن هذا المال من اين اكتسبه واين انفقه وقوله يقول اهلكت مالا لبدا اي يقول ابن آدم انفقت مالا كثيرا قاله
مجاهد وغيره ايحسب ان لم يره احد اي ايحسب ان لم يره الله عز وجل كيف يكسب واين ينفق ثم ذكر نعمه ليعتبر فقال الم نجعل
له عينين اي يبصر بهما ولسانا اي ينطق به فيعبر عما في ضميره وشفتين يستعين بهما في الكلام واكل الطعام وجمالا لوجهه وفيه
وقد روى الحافظ ابن عساكر عن مكحول قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله يا ابن آدم قد انعمت عليك نعما عظاما لا تحصي
عددها ولا تطيق شكرها وان مما انعمت عليك ان جعلت لك عينين تنظر بهما وجعلت لهما غطاء فانظر بعينيك الى ما
احللت لك فان رايت ما حرمت عليك فاطبق عليهما غطاءهما وجعلت لك لسانا وجعلت له غلافا فانطق بما امرتك و
احللت لك فان عرض لك ما حرمت عليك فاغلق عليك لسانك وجعلت لك فرجا وجعلت لك سترا فاصب بفرجك
ما احللت لك فان عرض لك ما حرمت عليك فارخ عليك سترك ابن آدم لا تحمل سخطي ولا تطيق انتقامي وقوله وهديناه
النجدين قال ابن مسعود وغير واحد يعني الخير والشر والنجد طريق في ارتفاع قالوا اي طريق الخير والشر والحق والباطل
والهدى والضلالة كما جاء في الحديث المرفوع هما نجدان فما جعل نجد الشر احب اليكم من نجد الخير رواه ابن جرير وغيره
وعن ابن عباس اي الثديين والصواب الاول وهو كقوله انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا فلا اقتحم العقبة
وما ادراك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا
ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اولئك اصحاب الميمنة
والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشئمة عليهم نار مؤصدة قال ابن عمر العقبة ههنا جبل في جهنم
ازلق وقال كعب الاحبار هي سبعون درجة في جهنم وقال قتادة انها عقبة شديدة فاقتحموها بطاعة الله تعالى وقوله وما
ادراك ما العقبة تاكيد لفخامتها واخبار عن اقتحامها اي افلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير ثم بينها فقال فك
رقبة او اطعام في يوم قرئ بالاضافة وقرئ على انه فعل وفيه ضمير الفاعل والرقبة مفعوله ومعناهما متقاربان وعن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل ارب منها اربا منه من النار حتى انه ليعتق

باليد اليد وبالرجل الرجل وبالفرج الفرج رواه احمد واصل الحديث ثابت في الصحيحين وعن ابي نجيح وهو عمرو بن عبسة قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما مسلم اعتق مسلما فان الله جاعل وفاء كل عظم من عظامه عظما من عظامه محررة من
النار وايما امراة مسلمة اعتقت امراة مسلمة فان الله جاعل وفاء كل عظم من عظامها عظما من عظامها من النار رواه
ابن جرير وعن عمرو ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من بنى مسجدا لله ليذكر الله فيه بنى الله له بيتا في الجنة ومن اعتق
نفسا مسلمة كانت فديته من جهنم ومن شاب شيبة في الاسلام كانت له نورا يوم القيمة رواه احمد وبعض اهل السنن
وعن واثلة بن الاسقع قال اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا قد اوجب يعني النار بالقتل فقال اعتقوا
عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار رواه ابو داود والنسائي وفي الباب احاديث كثيرة وقوله او اطعام في
يوم ذي مسغبة قال ابن عباس وغيره اي ذي مجاعة والسغب هو الجوع وقال ابراهيم النخعي اي في يوم الطعام فيه عزيز وقال
قتادة في يوم يشتهى فيه الطعام وقوله يتيما اي اطعم في مثل هذا اليوم يتيما ذا مقربة اي ذا قرابة منه قاله ابن عباس وغيره كما في الحديث
الذي رواه سلمان بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة
وصلة رواه احمد والترمذي والنسائي وقوله او مسكينا ذا متربة اي فقيرا مدقعا لاصقا بالتراب وهو الدقعاء ايضا قال
ابن عباس ذا متربة هو المطروح بالطريق الذي لا بيت له ولا شيء يقيه من التراب وفي رواية هو الذي لصق بالدقعاء من
الفقر والحاجة ليس له شيء وفي رواية عنه هو البعيد التربة قال ابن ابي حاتم يعني الغريب عن وطنه وقيل هو الفقير المحتاج
ذو العيال الذي لا احد له وكل هذه قريبة المعنى وقوله ثم كان من الذين آمنوا اي ثم هو مع هذه الاوصاف الجميلة الطاهرة
مؤمن بقلبه محتسب ثواب ذلك عند الله كما قال تعالى ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم
مشكورا وقال من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن الآية وقوله وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اي كان من المؤمنين
العاملين صالحا المتواصين بالصبر على اذى الناس وعلى الرحمة بهم كما جاء في الحديث الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض
يرحمكم من في السماء رواه ابو داود والترمذي وفي الحديث الآخر في الصحيحين لا يرحم الله من لا يرحم الناس وعن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا رواه الترمذي وفي رواية عبد الله بن عمرو من لم يرحم
صغيرنا ولم يعرف حق كبيرنا فليس منا رواه ابو داود وقوله اولئك اصحاب الميمنة اي المتصفون بهذه الصفات من اصحاب اليمين
ثم قال والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشئمة اي اصحاب الشمال عليهم نار مؤصدة اي مطبقة عليهم فلا محيص لهم عنها ولا خروج
لهم منها قال ابن عباس وكثيرون مؤصدة اي مطبقة مغلقة الابواب وقال مجاهد اصد الباب بلغة قريش اي اغلقه وقال
قتادة مؤصدة مطبقة فلا ضوء فيها ولا فرج ولا خروج منها آخر الابد وقال ابو عمران الجوني اذا كان يوم القيمة امر الله
بكل جبار وكل شيطان وكل من كان يخاف الناس في الدنيا شره فاوثقوا في الحديد ثم امر بهم الى جهنم ثم اوصدوها عليهم
اي اطبقوها قال فلا والله لا تستقر اقدامهم على قرار ابدا ولا والله لا ينظرون فيها الى اديم سماء ابدا ولا والله لا يلتقي
جفون اعينهم على غمض نوم ابدا ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب ابدا رواه ابن ابي حاتم تفسير سورة والشمس
وضحاها وهي مكية تقدم حديث جابر الذي في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ هلا صليت بسبح اسم
ربك الاعلى والشمس وضحاها والليل اذا يغشى بسم الله الرحمن الرحيم والشمس و
ضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها والارض
وما طحاها ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها

قال مجاهد وضحاها اي وضوءها وقال قتادة النهار كله قال ابن جرير والصواب ان يقال اقسم الله تعالى بالشمس ونهارها
لان ضوء الشمس الظاهر النهار والقمر اذا تلاها اي تبعها وقال ابن عباس يتلو النهار وقال قتادة ليلة الهلال اذا
سقطت الشمس رؤي الهلال وقال ابن زيد هو يتلوها في النصف الاول من الشهر ثم تتلوه وهو يتقدمها في النصف
الآخر من الشهر وقيل هي ليلة القدر وقوله والنهار اذا جلاها قال مجاهد اضاء وقال قتادة اذا غشيها النهار
قال ابن جرير وكان بعض اهل العربية يتاول ذلك بمعنى والنهار اذا جلى الظلمة لدلالة الكلام عليها قال الشيخ رحمه الله
ولو ان هذا القائل تاول ذلك بمعنى والنهار اذا جلاها اي البسيطة لكان اولى ولصح تاويله في قوله والليل اذا يغشاها
فكان اجود واقوى والله اعلم ولهذا قال مجاهد والنهار اذا جلاها انه كقوله والنهار اذا تجلى واما ابن جرير فاختار عود
الضمير في ذلك كله على الشمس لجريان ذكرها وقالوا في قوله والليل اذا يغشاها يعني اذا يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق
وقال ابن ذي حمامة اذا جاء الليل قال الرب جل جلاله غشي عبادي خلقي العظيم فالليل مهابة والذي خلقه احق
ان يهاب رواه ابن ابي حاتم وقوله والسماء وما بناها يحتمل ان يكون ما ههنا مصدرية بمعنى والسماء وبنائها وهو قول
قتادة ويحتمل ان يكون بمعنى من بمعنى والسماء وبانيها وهو قول مجاهد وكلاهما متلازم والبناء هو الرفع كقوله والسماء
بنيناها بايد اي بقوة وهكذا قوله والارض وما طحاها قال مجاهد اي دحاها وعن ابن عباس اي وما خلق فيها وعنه ايضا
طحاها قسمها وقال مجاهد وغير واحد طحاها بسطها وهو اكثر الاقوال وعليه الاكثر قال الجوهري طحوته مثل دحوته اي بسطته
وقوله ونفس وما سواها اي خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة كما في الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من مولود الا يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون
فيها من جدعاء ثم تقول فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم وفي صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يقول الله عز وجل اني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وقوله فالهمها فجورها
وتقواها اي فارشدها الى فجورها وتقواها الذي قدر لها فقال ابن عباس وغيره اي بين لها الخير والشر وقال ابن زيد
جعل فيها فجورها وتقواها وعن عمران بن حصين قال ان رجلا من مزينة او جهينة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله ارايت ما يعملون الناس ويتكادحون فيه اشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر سبق ام شيء مما يستقبلون مما اتاهم
به نبيهم واكدت به عليهم الحجة قال بل شيء قضي عليهم قال ففيم نعمل قال من كان الله خلقه لاحدى المنزلتين يهيئه لها
وتصديق ذلك في كتاب الله ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها رواه احمد ومسلم وقوله قد افلح من زكاها
وقد خاب من دساها يمكن ان يكون المعنى قد افلح من زكى نفسه بطاعة الله وطهرها من الاخلاق الدنية والرذائل كما قال قتادة
وغيره وقد خاب من دساها اي اخملها ووضعها بايثارها عن الهدى وركوبها المعاصي وتركها طاعة الله ويمكن ان يكون المعنى
قد افلح من زكى الله نفسه وقد خاب من خذله الله نفسه كما نقل عن ابن عباس كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال افلحت
نفس زكاها الله عز وجل رواه ابن ابي حاتم وعن عائشة انها فقدت النبي صلى الله عليه وسلم من مضجعه فلمسته بيدها فوقعت
عليه وهو ساجد وهو يقول رب اعط نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها تفرد به احمد وعن زيد
ابن ارقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل والهرم والجبن والبخل وعذاب القبر
اللهم آت نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم اني اعوذ بك من قلب لا يخشع ونفس لا
تشبع وعلم لا ينفع ودعوة لا يستجاب لها رواه احمد ومسلم كذبت ثمود بطغواها اذ انبعث اشقاها فقال لهم

اي بطغيانها وبعدوانها
وخروجها عن الحق الى العصيان

رسول الله

رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف
عقباها اخبر تعالى عن ثمود انهم كذبوا رسولهم بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي قال محمد بن كعب بطغواها
اي باجمعها والاول اولى قاله مجاهد وقتادة وغيرهما فاعقبهم ذلك تكذيبا في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم من الهدى واليقين
اذ انبعث اشقاها اي اشقى القبيلة وهو قدار بن سالف عاقر الناقة وهو احيمر ثمود وهو الذي قال الله تعالى فنادوا صاحبهم
فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي ونذر وكان هذا الرجل عزيزا فيهم شريفا في قومه نسيبا رئيسا مطاعا كما في الصحيحين عن عبد الله
ابن زمعة قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال اذ انبعث اشقاها انبعث لها رجل
عارم عزيز منيع في رهطه مثل ابي زمعة وعن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي الا احدثك باشقى
الناس قال بلى قال رجلان احيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذا يعني قرنه حتى تبتل منه هذه يعني
لحيته رواه ابن ابي حاتم وقوله فقال لهم رسول الله يعني صالح عليه السلام ناقة الله اي احذروا ناقة الله ان تمسوها بسوء وسقياها
لا تعتدوا عليها في سقياها فان لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم قال الله فكذبوه فعقروها اي كذبوه فيما جاءهم به فاعقبهم
ذلك ان عقروا الناقة التي اخرجها من الصخرة آية لهم وحجة عليهم فدمدم عليهم ربهم بذنبهم اي غضب عليهم ربهم فاهلكهم فسواها
اي فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء قال قتادة بلغنا ان احيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى بايعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم
وانثاهم فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنبهم فسواها وقوله ولا يخاف وقرئ فلا يخاف عقباها قال ابن عباس و
غير واحد اي لا يخاف الله من احد تبعة وقال الضحاك والسدي اي لم يخف الذي عقرها عاقبة ما صنع والاول اولى لدلالة
السياق عليه

تفسير سورة والليل وهي مكية

تقدم قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ فهلا صليت بسبح اسم ربك الاعلى
والشمس وضحاها والليل اذا يغشى

بسم الله الرحمن الرحيم

والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى ان سعيكم لشتى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغني عنه ماله اذا تردى

عن علقمة انه قدم الشام فدخل مسجد دمشق فصلى فيه ركعتين وقال اللهم ارزقني جليسا صالحا فجلس الى ابي
الدرداء فقال له ابو الدرداء ممن انت قال من اهل الكوفة قال كيف سمعت ابن ام عبد يقرأ والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى
قال علقمة والذكر والانثى فقال ابو الدرداء لقد سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زال هؤلاء حتى شككوني ثم قال
الم يكن فيكم صاحب الوساد وصاحب السر الذي لا يعلمه احد غيره والذي اجير من الشيطان على لسان محمد صلى الله عليه وسلم
رواه احمد يعني بهم ابن مسعود وحذيفة وعمار بن ياسر رضي الله عنهم وفي البخاري انه قدم اصحاب عبد الله على ابي الدرداء
فطلبهم فوجدهم فقال ايكم يقرأ على قراءة عبد الله قال كلنا قال ايكم احفظ فاشاروا الى علقمة فقال كيف سمعته يقرأ
والليل اذا يغشى قال والذكر والانثى قال اشهد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هكذا وهؤلاء يريدوني على ان اقرأ
وما خلق الذكر والانثى والله لا اتابعهم وفي مسلم نحوه وهكذا قراءة ابن مسعود وابي الدرداء كما رفعه واما الجمهور فقرؤوا
وما خلق الذكر والانثى كما هو مثبت في المصحف الامام العثماني المشهور في الآفاق فاقسم تعالى بالليل اذا يغشى اي اذا غشي
الخليقة بظلامه والنهار اذا تجلى اي بضيائه واشراقه وما خلق الذكر والانثى كقوله وخلقناكم ازواجا وكقوله
ومن كل شيء خلقنا زوجين وقيل ما مصدرية اي وخلق الذكر والانثى يعني آدم وحواء ولما كان القسم بهذه الاشياء
المتضادة كان المقسم عليه ايضا متضادا كما قال ان سعيكم لشتى اي اعمال العباد التي اكتسبوها متضادة ومتخالفة ايضا

اي ان مساعيكم اشتات مختلفة
وشتى جمع شتيت

وساع في فكاك نفسه
وساع في حطبها في الهلاك
[illegible]

فمن فاعل خيرا ومن فاعل شرا قال تعالى فاما من اعطى اى ما امر باخراجه واتقى الله فى اموره وصدق بالحسنى اى المجازاة
على ذلك قاله قتادة وقيل بالثواب وقال ابن عباس وغيره اى بالخلف وقال الضحاك اى بلا اله الا الله وقال عكرمة اى
بما انعم الله عليه وقيل اى بالصلوة والزكوة والصوم وعن ابى بن كعب سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحسنى قال
الحسنى الجنة رواه ابن ابى حاتم وفيه ان سبق القدر بالسعادة والشقاوة لا يقتضى ترك العمل بل يقتضى الاجتهاد و
الحرص وقوله فسنيسره لليسرى قال ابن عباس وغيره اى للخير والجنة وقال بعضهم من ثواب الحسنة الحسنة ومن جزاء
السيئة السيئة بعدها ولهذا قال واما من بخل اى بما عنده واستغنى قال ابن عباس اى بخل بماله واستغنى عن ربه تعالى
وكذب بالحسنى اى بالجزاء فى الآخرة فسنيسره للعسرى اى لطريق الشر كما قال ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا
به اول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ونحوه من الآيات البينات فانه تعالى يجازى من قصد الخير بالتوفيق له ومن قصد
الشر بالخذلان وكل ذلك بقدر مقدر وفى الصحيحين عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من
احد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة قالوا يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا وندع العمل قال اعملوا فكل
ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فسييسر لعمل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فسييسر لعمل الشقاوة
ثم قرا فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى الآية وعن جابر بن عبد الله انه قال يا رسول الله انعمل لامر قد فرغ منه او
لامر نستانفه فقال لامر قد فرغ منه فقال سراقة ففيم العمل اذا فقال اعملوا ~~كل ميسر~~ رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عامل
ميسر لعمله رواه مسلم وفى رواية لابن جرير عن بشير بن كعب العدوى قال سال غلامان شابان النبى صلى الله عليه وسلم
فقالا يا رسول الله انعمل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير او فى شئ يستانف فقال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به
المقادير قالا ففيم العمل اذا قال اعملوا فكل ميسر لعمله الذى خلق له قالا فالآن نجد ونعمل وقوله وما يغنى عنه ماله اذا تردى اى
اذا مات وتردى فى النار قاله مجاهد وغيره ان علينا للهدى وان لنا للآخرة والاولى فانذرتكم نارا
تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما
لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى قال قتادة ان علينا للهدى اى نبين
الحلال والحرام وقال غيره من سلك طريق الهدى وصل الى الله وجعله كقوله وعلى الله قصد السبيل حكاه ابن جرير وقوله
وان لنا للآخرة والاولى اى الجميع ملكا وانا المتصرف فيهما وقوله فانذرتكم نارا تلظى اى توهج قاله مجاهد وعن النعمن بن
بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يقول انذرتكم النار حتى لو ان رجلا كان بالسوق لسمعه من مقامى
هذا قال حتى وقعت خميصة كانت على عاتقه عند رجليه رواه احمد وعنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اهون اهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل ما يرى ان احدا اشد منه
عذابا وانه لاهونهم عذابا رواه مسلم وللبخارى نحوه وقوله لا يصلاها الا الاشقى اى لا يدخلها دخولا يحيط به
من جميع جوانبه الا الاشقى ثم فسره فقال الذى كذب اى بقلبه وتولى اى عن العمل بجوارحه واركانه وعن ابى هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار الا شقى قيل ومن الشقى قال الذى لا يعمل بطاعة ولا يترك لله معصية
رواه احمد وقوله وسيجنبها الاتقى اى وسيزحزح عن النار التقى النقى الاتقى ثم فسره بقوله الذى يؤتى ماله يتزكى اى يصرف ماله
فى طاعة ربه ليزكى نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا وما لاحد عنده من نعمة تجزى اى ليس بذله فى مكافاة
من اسدى اليه معروفا فهو يعطى فى مقابلة ذلك وانما دفعه ذلك ابتغاء وجه ربه الاعلى اى طمعا فى ان يحصل له

رؤيته فى الدار الآخرة قال الله تعالى ولسوف يرضى اى ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات واكثر المفسرين
على ان هذه الآية نزلت فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه وان كان ظاهرها العموم ولا شك انه داخل فيها لانه مقدم
الامة وسابقهم فى جميع هذه الاوصاف فانه كان صديقا تقيا كريما جوادا باذلا لامواله فى طاعة مولاه ونصرة
رسوله عليه الصلوة والسلام ولم يكن لاحد من الناس عنده منة يحتاج الى ان يكافئه بها ولهذا قال تعالى وما لاحد
عنده من نعمة تجزى اى من يد يكافيه عليها الا ابتغاء وجه ربه الاعلى اى لكنه يفعل ذلك لطلب الرضى لله تعالى ولسوف
يرضى اى بما يعطيه الله فى الآخرة من الجنة والكرامة جزاء على ما فعله وفى الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من انفق زوجين فى سبيل الله دعته خزنة الجنة يا عبد الله هذا خير فقال ابو بكر يا رسول الله ما على من يدعى منها ضرورة
فهل يدعى منها كلها احد قال نعم وارجو ان تكون منهم

تفسير سورة الضحى وهى مكية

عن مجاهد انه قرا
الضحى على ابن عباس فقال له كبر واخبره انه قرا على ابى بن كعب وامره بذلك واخبره انه قرا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فامره بذلك واختلفوا فى موضع هذا التكبير وكيفيته فقال بعضهم يكبر من آخر والليل اذا يغشى وقال آخرون من آخر
والضحى وكيفيته عند بعضهم ان يقول الله اكبر فقط ومنهم من يقول الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر وذكروا فى مناسبة
هذا التكبير ههنا انه لما تاخر الوحى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتر تلك المدة ثم جاء الملك فاوحى اليه والضحى
الى تمام السورة كبر فرحا وسرورا والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم والضحى والليل
اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك
فترضى الم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فاغنى فاما اليتيم فلا تقهر
واما السائل فلا تنهر واما بنعمة ربك فحدث

فى الصحيحين عن جندب البجلى انه قال اشتكى النبى صلى الله عليه و
سلم فلم يقم ليلة او ليلتين فاتت امراة فقالت يا محمد ما ارى شيطانك الا قد تركك فانزل الله والضحى والليل اذا سجى
ما ودعك ربك وما قلى قيل هذه المراة هى ام جميل امراة ابى لهب وعن عروة بن الزبير قال ابطا جبريل على النبى صلى الله عليه
وسلم فجزع جزعا شديدا فقالت خديجة انى ارى ربك قد قلاك مما يرى من جزعك قال فنزلت والضحى والليل اذا سجى الى
آخرها رواه ابن جرير وهو حديث مرسل ولعل ذكر خديجة ليس محفوظا او قالته على وجه التاسف والتحزن والله اعلم وقال
ابن عباس لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ابطا عنه جبريل اياما فتغير بذلك فقال المشركون ودعه ربه وقلاه
فانزل الله ما ودعك ربك وما قلى وهذا قسم منه تعالى بالضحى وما جعل فيه من الضياء والليل اذا سجى اى سكن فاظلم وادلهم
قاله مجاهد وغيره واحد وذلك دليل ظاهر على قدرة خالق هذا وهذا كما قال والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وقوله ما ودعك
ربك اى ما تركك ربك وما قلى اى وما ابغضك وللآخرة خير لك من الاولى اى وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار ولهذا كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ازهد الناس فى الدنيا واعظمهم لها اطراحا كما هو معلوم بالضرورة من سيرته وعن ابن مسعود قال
اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فاثر فى جنبه فلما استيقظ جعلت امسح جنبه وقلت يا رسول الله الا آذنتنا
حتى نبسط لك على الحصير شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالى وللدنيا انما مثلى ومثل الدنيا كراكب استظل تحت شجرة
ثم راح وتركها رواه احمد والترمذى وصححه وقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى اى فى الآخرة يعطيه حتى يرضيه فى امته
وفيما اعده له من الكرامة وعن ابن عباس قال عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو مفتوح على امته من بعده كنزا كنزا فسر
بذلك فانزل الله ولسوف يعطيك ربك فترضى فاعطاه فى الجنة الف قصر فى كل قصر ما ينبغى من الازواج والخدم وقال من

لم اره قربك منذ ليلتين او ثلاث

رضى محمد عليه الصلوة والسلام ان لا يدخل احد من اهل بيته النار رواه ابن جرير وابن ابي حاتم قال الحسن يعني بذلك
الشفاعة وهكذا قال ابو جعفر الباقر وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اهل بيت اختار الله لنا
الآخرة على الدنيا ولسوف يعطيك ربك فترضى ثم قال تعالى معددا نعمه على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم الم يجدك يتيما
فآوى وذلك ان اباه توفي وهو حمل في بطن امه وقيل بعد ان ولد عليه الصلوة والسلام ثم توفيت امه آمنة بنت وهب
وله من العمر ست سنين ثم كان في كفالة جده عبد المطلب الى ان توفي وله من العمر ثمان سنين فكفله عمه ابو طالب ثم لم يزل
يحوطه وينصره ويوقره ويكف عنه اذى قومه بعد ان ابتعثه الله على اربعين سنة من عمره هذا وابو طالب على دين قومه
من عبادة الاوثان وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره الى ان توفي ابو طالب قبل الهجرة بقليل فاقدم عليه سفهاء قريش
وجهالهم فاختار الله له الهجرة من بين اظهرهم الى بلد الانصار من الاوس والخزرج كما اجرى الله سنته على الوجه
الاتم الاكمل فلما وصل اليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه وكل هذا من حفظ الله له وكلائته وعنايته به
وقوله ووجدك ضالا فهدى قال الحسن وغيره يعني ضالا عن معالم النبوة واحكام الشريعة فهداك اليها وقيل المراد بهذا
انه عليه الصلوة والسلام ضل في شعاب مكة وهو صغير ثم رجع وقيل انه ضل وهو مع عمه في طريق الشام وكان راكبا ناقة في الليل
فجاء ابليس فعدل عن الطريق فجاء جبرئيل فنفخ ابليس نفخة ذهب بها الى الحبشة ثم عدل بالراحلة الى الطريق حكى ذلك البغوي
وقوله ووجدك عائلا فاغنى اي كنت فقيرا ذا عيال فاغناك الله عمن سواه فجمع له مقامي الفقير الصابر والغني الشاكر صلوات
الله وسلامه عليه وقال قتادة في قوله الم يجدك يتيما فآوى الى قوله فهدى كانت هذه منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعثه الله
تعالى رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن
الغنى غنى النفس وقال عليه الصلوة والسلام قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه رواه مسلم ثم قال اما اليتيم فلا تقهر
اي كما كنت يتيما فآواك الله فلا تقهر اليتيم اي لا تذله ولا تنهره ولا تهنه ولكن احسن اليه وتلطف به قال قتادة كن لليتيم
كالاب الرحيم واما السائل فلا تنهر اي وكما كنت ضالا فهداك الله فلا تنهر السائل في العلم المسترشد اي لا تنحره اذا سألك
قال ابن اسحق اي فلا تكن جبارا متكبرا ولا فحاشا ولا فظا على الضعفاء من عباد الله وقال قتادة يعني رد المسكين
برحمة ولين واما بنعمة ربك فحدث اي وكما كنت عائلا فقيرا فاغناك الله فحدث بنعمة الله عليك كما جاء في الدعاء المأثور النبوي
واجعلنا شاكرين لنعمتك وعن ابي نضرة قال كان المسلمون يرون ان من شكر النعم ان يحدث بها وعن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال لا يشكر الله من لا يشكر الناس رواه ابو داود والترمذي وصححه وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من اعطي عطاء فوجد فليحمد الله فان لم يجد فليثن فمن اثنى به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره رواه ابو داود و
قال مجاهد يعني النبوة التي اعطاك ربك والقرآن ايضا وعن علي قال ما عملت من خير فحدث اخوانك وقال محمد بن اسحق ما
جاءك الله من نعمة وكرامة من النبوة فحدث بها واذكرها وادع اليها قال فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما انعم الله
به عليه من النبوة سرا الى من يطمئن اليه من اهله وافترضت عليه الصلوة فصلى سورة الم نشرح وهي مكية

فليجز به

سورة الم نشرح لك

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي
انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فاذا فرغت فانصب
والى ربك فارغب اي انا شرحنا لك صدرك اي نورناه وجعلناه فسيحا رحيبا واسعا كقوله افمن شرح الله صدره
للاسلام وقيل يعني شرح صدره ليلة المعراج كما سبق في حديث الاسراء وايضا حين شق صدره في حالة الصبي ولا منافاة فان من

جملة شرح صدره الذي فعل بصدره ليلة الاسراء وما نشأ عنه من الشرح المعنوي ايضا وعن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتاه جبرئيل وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ
الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه واعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون الى امه يعني
ظئره فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال انس وكنت ارى اثر المخيط في صدره رواه مسلم وقوله ووضعنا
عنك وزرك يعني الذي ما سلف عنك في الجاهلية كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل ذنوب امتك فاضافها
اليه لاشتغال قلبه بهم الذي انقض ظهرك اي اثقل حمله والانقاض الصوت يعني اوهنه حتى سمع له نقيض اي صوت
وقوله ورفعنا لك ذكرك قال مجاهد يعني لا اذكر الا ذكرت معي اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وقال
قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد الا ينادي بها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتاني جبرئيل فقال ان ربي وربك يقول كيف رفعت ذكرك قال الله
اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغت
مما امرني به من امر السموات والارض قلت يا رب انه لم يكن نبي قبلي الا وقد كرمته جعلت ابرهيم خليلا وموسى كليما وسخرت
لداود الجبال ولسليمن الريح والشياطين واحييت لعيسى الموتى فما جعلت لي قال اوليس قد اعطيتك افضل من ذلك كله
اني لا اذكر الا ذكرت معي وجعلت صدور امتك يقرؤون القرآن ظاهرا ولم اعطها امة واعطيتك كنزا من كنوز
عرشي لا حول ولا قوة الا بالله رواه ابو نعيم في دلائل النبوة وعن ابن عباس ومجاهد ان المراد بذلك الاذان يعني ذكره
فيه كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه ∴ الم تر ان الله ارسل عبده ∴ ببرهانه والله اعلى وامجد ∴ اغر عليه للنبوة خاتم
من الله مشهود يلوح ويشهد ∴ وضم الاله اسم النبي الى اسمه ∴ اذا قال في الخمس المؤذن اشهد ∴ وشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد ∴ حكاه البغوي وقال آخرون رفع الله له ذكره في الاولين والآخرين ونوه به حين اخذ الميثاق على جميع
النبيين ان يؤمنوا به وان يأمروا اممهم بالايمان به ثم شهر ذكره في امته فلا يذكر الله الا ذكر معه ثم وعده تعالى
اليسر والرخاء بعد الشدة فقال فان مع العسر يسرا اي مع هذه الشدة التي انت فيها من معاناة المشركين وايذائهم
اياك يكون يسر ورخاء بان يظهرك عليهم فاكد هذا الخبر وقال ان مع العسر يسرا تعظيما لذلك وتحقيقا للرجاء
وعن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا وحياله حجر فقال لو جاء العسر فدخل هذا الجحر
لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه فانزل الله فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا رواه ابن ابي حاتم وعن ابن مسعود
مثله موقوفا وعن الحسن قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوما مسرورا فرحا وهو يضحك وهو يقول لن يغلب عسر يسرين
لن يغلب عسر يسرين ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا رواه ابن جرير وقال قتادة ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بشر اصحابه بهذه الآية فقال لن يغلب عسر يسرين يعني ان العسر معرف في الحالين فهو مفرد واليسر منكر فتعدد
فالعسر واحد واليسر اثنان وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تنزل المعونة من السماء على قدر المؤنة
وتنزل الصبر على قدر المصيبة وللشافعي رضي الله عنه صبرا جميلا ما اقرب الفرجا من راقب الله في الامور نجا
من صدق الله لم ينله اذى ومن رجاه يكون حيث رجا وقوله فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب اي اذا
فرغت من امور الدنيا واشغالها وقطعت علائقها فانصب للعبادة وقم اليها نشيطا فارغ البال واخلص

[illegible]

لربك النية و الرغبة و قال مجاهد اذا فرغت من امر الدنيا فقمت الى الصلوة فانصب الى ربك في الدعاء و ارغب
اليه في المسئلة يعطك و قال زيد بن اسلم و الضحاك اذا فرغت من الجهاد فانصب في عبادة ربك والى ربك فارغب
قال الثوري اي اجعل نيتك و رغبتك الى الله في جميع احوالك تفسير سورة والتين وهي مكية عن البراء بن عازب
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فقرا في احدى الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت احدا احسن صوتا او قراءة منه رواه
الجماعة في كتبهم بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون وطور سينين وهذا
البلد الامين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا و
عملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين اليس الله باحكم الحاكمين اختلفوا ههنا
على اقوال كثيرة قيل المراد بالتين مسجد دمشق وقيل هي نفسها وقيل الجبل الذي عندها وقيل هو مسجد اصحاب الكهف وعن ابن عباس
انه مسجد نوح عليه السلم الذي على الجودي وقال مجاهد هو تينكم هذا والزيتون قال قتادة وغيره هو مسجد بيت المقدس وقيل
هو الزيتون الذي تعصرونه و كل وطور سينين قال كعب الاحبار وغير واحد هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى وهذا البلد الامين
يعني مكة قاله ابن عباس وغير واحد وقال بعضهم هذه اماكن ومحال لانه بعث الله في كل واحد منها نبيا مرسلا من اولي العزم
اصحاب الشرائع الكبار فالاول محلة التين والزيتون وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى بن مريم والثاني طور سينا وهو
الذي كلم الله عليه موسى بن عمران والثالث مكة وهو البلد الامين الذي من دخله كان امنا وهو الذي ارسل فيه محمدا صلى الله
عليه وسلم قالوا وفي اخر التورية ذكر هذه الاماكن الثلثة جاء الله من طور سيناء يعني الذي كلم الله عليه موسى واشرق من
ساعير يعني جبل بيت المقدس الذي بعث منه عيسى واستعلن من جبال فاران يعني جبال مكة التي ارسل الله منها محمدا صلى
الله عليه وسلم فذكرهم مخبرا عنهم على الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان ولهذا اقسم بالاشرف ثم الاشرف منه
ثم بالاشرف منهما وقوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم هذا هو المقسم عليه وهو انه تعالى خلق الانسان في احسن
صورة وشكل منتصب القامة سوي الاعضاء حسنها ثم رددناه اسفل سافلين اي الى النار قاله مجاهد وغير واحد
اي ثم بعد هذا الحسن والنضارة مصيره الى النار ان لم يطع الله ولم يتبع الرسل ولهذا قال الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات وقيل ثم رددناه الى ارذل العمر وقال عكرمة ليس المراد هذا وانما ابن جرير فانه لو كان المراد هذا لما حسن
استثناء المؤمنين من ذلك لان الهرم قد يصيب بعضهم وانما المراد ما ذكرناه وقوله فلهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع
كما سبق ثم قال فما يكذبك بعد بالدين اي بالجزاء في المعاد وقد علمت البداءة وعرفت ان من قدر على البداءة فهو قادر
على الرجعة بطريق الاولى فاي شيء يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا وقوله اليس الله باحكم الحاكمين اي اما هو احكم
الحاكمين الذي لا يجور ولا يظلم احدا ومن عدله ان يقيم القيمة فينصف للمظلوم في الدنيا ممن ظلمه وقد سبق في حديث
ابي هريرة مرفوعا فاذا قرا احدكم والتين والزيتون فاتى على اخرها اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك
من الشاهدين تفسير سورة اقرا وهي اول شي نزل من القران بسم الله الرحمن الرحيم
اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم
علم الانسان ما لم يعلم في الصحيحين و في مسند احمد عن عايشة قالت اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء وكان
ياتي حراء فيتحنث وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فتزوده لمثلها حتى فجاءه الحق

يعني ابن ادم

الرجا الوحي بغتة

قبل ان يرجع الى اهله م

معنى يتحنث يتجنب الحنث فكانه بعبادته يمنع نفسه من الاثم

بوصيا و وانما يقال هكذا في الشي الواقع البين

وهو

وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما انا بقارئ قال فاخذني
فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا قلت ما انا بقارئ فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد فارسلني
فقال اقرا باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم قال فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال زملوني
زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة ما لي واخبرها الخبر وقال قد خشيت على فقالت له كلا
ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب
الحق ثم انطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة
اخي ابيها وكان امرا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي ويكتب بالعربية من الانجيل ما شاء الله ان يكتب
وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت خديجة اي ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال ورقة ابن اخي ما ترى فاخبره رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما راى فقال ورقة هذا الناموس الذي انزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعا يا ليتني اكون
حيا حين يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم فقال ورقة نعم لم يات رجل قط بما
جئت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي فترة حتى
حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤس شواهق الجبال فلما اوفى بذروة
جبل لكي يلقي نفسه منه تبدا له جبرئيل فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن بذلك جاشه وتقر نفسه فيرجع فاذا
طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة جبل تبدا له جبرئيل فقال له مثل ذلك فاول شي نزل من القران هذه
الايات الكريمات وهي اول رحمة رحم الله بها العباد واول نعمة انعم بها عليهم وفيها التنبيه على ابتداء خلق الانسان
من علقة وان من كرمه تعالى ان علم الانسان ما لم يعلم فشرفه وكرمه بالعلم وهو القدر الذي امتاز به ابو البشر ادم
على الملئكة والعلم تارة يكون في الاذهان وتارة يكون في اللسان وتارة يكون في الكتابة بالبنان ذهني ولفظي ورسمي فالرسمي
يستلزمهما من غير عكس فلهذا قال اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وفي الاثر قيدوا العلم
بالكتابة وفيه ايضا من عمل بما علم اورثه الله علم ما لم يكن يعلم كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى ان
الى ربك الرجعى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى
ارايت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية
كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب يخبر تعالى
عن الانسان انه ذو فرح واشر وبطر وطغيان اذا راى نفسه ان اكثر ماله واستغنى ثم هدده عليه ووعظه
فقال ان الى ربك الرجعى اي الى الله المصير والمرجع وسيحاسبه على ماله من اين جمعه وفيم صرفه قال ابن مسعود
منهومان لا يشبعان صاحب العلم وصاحب الدنيا ولا يستويان فاما صاحب العلم فيزداد رضى الرحمن واما صاحب
الدنيا فيتمادى في الطغيان ثم قرا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء رواه
الدارمي وابن ابي حاتم وقد روى البيهقي هذا مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم في العلم
لا يشبع منه ومنهوم في الدنيا لا يشبع منه ثم قال تعالى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى نزلت في ابي جهل لعنه الله كان توعد
النبي صلى الله عليه وسلم على الصلوة عند البيت فوعظه تعالى بالتي هي احسن اولا فقال ارايت ان كان على الهدى اي فما ظنك
ان كان هذا الذي تنهاه على الطريق المستقيم في فعله او امر بالتقوى اي بالاخلاص والتوحيد بدل على تزجره عن الصلوة والوعيد

فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا قلت ما انا بقارئ فاخذني صح

قال العلماء والحكمة في الغط شغله من الالتفات والمبالغة في امره باحضار قلبه لما يقوله وكرره ثلثا مبالغة في التنبيه فينبغي للمعلم ان يحتاط في تنبيه المتعلم وامره باحضار قلبه والله اعلم كذا في شرح صحيح مسلم

البوادر من الانسان وغيره اللحمة التي بين المنكب والعنق ح ما ٩

[illegible] فرخ الانسان

بالعبرانية

ولهذا قال الم يعلم بان الله يرى اى اما علم هذا الناهى لهذا المهتدى ان الله يراه ويسمع كلامه وسيجازيه عليه ثم قال متوعدا ومتهددا كلا لئن لم ينته اي لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد لنسفعا بالناصيه اي لنا خذن بناصيته فليجرنه الى النار يوم القيمه يقال سفعت بالشئ اذا اخذته ثم قال على سبيل البدل تاكيدا ناصية كاذبة خاطئة يعنى ناصية ابى جهل كاذبة فى مقالها خاطئة فى فعالها فليدع ناديه اى قومه وعشيرته فليستنصر بهم سندع الزبانية وهم ملائكة العذاب حتى تعلم من يغلب احزبنا ام حزبه عن ابن عباس قال قال ابو جهل لئن رايت محمدا يصلى عند الكعبة لاطان على عنقه فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال لئن فعله لاخذته الملئكة رواه البخارى وفى مسند احمد عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عند المقام فمر به ابو جهل فقال يا محمد الم انهك عن هذا وتوعده فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد باى شئ تهددنى اما والله انى لاكثر اهل الوادى ناديا فانزل الله فليدع ناديه سندع الزبانيه قال ابن عباس لو دعا ناديه لاخذته ملائكة العذاب من ساعته رواه الترمذى وصححه وعن ابى هريرة قال قال ابو جهل هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم فقال واللات والعزى لئن رايته يصلى كذلك لاطان على رقبته ولاعفرن وجهه فى التراب فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ليطا على رقبته قال فما فجئهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه فقيل له ما لك فقال ان بينى وبينه خندقا من نار وهولا واجنحة قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا منى لاختطفته الملئكة عضوا عضوا رواه احمد ومسلم وقوله كلا لا تطعه فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وصل حيث شئت ولا تباله فان الله حافظك وناصرك وهو معك واسجد واقترب وقد روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا الدعاء رواه مسلم وقد سبق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسجد فى اذا السماء انشقت واقرا باسم ربك الذى خلق والله اعلم

تفسير سورة القدر وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه فى ليلة القدر وما ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر تنزل الملئكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام هى حتى مطلع الفجر اخبر تعالى انه انزل القرآن ليلة القدر وهى الليلة المباركة التى قال الله انا انزلناه فى ليلة مباركة وهى ليلة القدر من شهر رمضان كما قال شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن قال ابن عباس وغيره انزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع فى ثلث وعشرين سنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى معظما لشان القدر التى اختصها بانزال القرآن العظيم فيها فقال وما ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر وعن مجاهد ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بنى اسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله الف شهر فعجب المسلمون من ذلك فانزل الله انا انزلناه فى ليلة القدر وما ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر اي التى لبس ذلك الرجل السلاح فى سبيل الله الف شهر وروى ابن جرير ان مجاهدا قال كان فى بنى اسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسى ففعل ذلك الف شهر فانزل الله هذه الاية ليلة القدر خير من الف شهر قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل قال ليس فى تلك الشهور ليلة القدر هكذا قال قتادة والشافعى وغير واحد وهو اختيار ابن جرير وهو الصواب وعن ابى هريرة قال لما حضر رمضان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه

سميت ليلة القدر لانها ليلة تقدير الامور والاحكام يقدر الله فيها امر السنة فى عباده وبلاده الى السنة المقبلة كقوله فيها يفرق كل امر حكيم وهو مصدر قولهم قدر الله الشئ بالتخفيف قدرا وقدرا كالنهر والنهر وقدره بالتشديد تقديرا بمعنى واحد قيل للحسين بن الفضل اليس قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارض قال نعم قيل فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدره وقال الازهرى فى ليلة العظمة والشرف من قول الناس لفلان عند الامير قدر اى جاه ومنزلة وقيل لان العمل الصالح فيها يكون ذا قدر عند الله لكونه مقبولا ه قاله اسمعيل بن احمد سميت ليلة القدر لان الارض تضيق فيها بالملئكة [illegible]

[illegible]

تفتح فيه ابواب الجنة وتغلق فيه ابواب الجحيم وتغل فيه الشياطين فيه ليلة خير من الف شهر من حرم خيرها فقد حرم رواه النسائى ولما كانت ليلة القدر يعدل عبادتها عبادة الف شهر ثبت فى الصحيحين عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وقوله تنزل الملئكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر اى يكثر تنزل الملئكة فى هذه الليلة لكثرة بركتها والملئكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر ويضعون اجنحتهم رضى لطالب العلم تعظيما له واما الروح فقيل المراد به ههنا جبرئيل فيكون من باب عطف الخاص على العام وقيل هم نوع من الملئكة كما سبق فى سورة النبا من كل امر قال قتادة وغيره يقضى فيها الامور وتقدر الاجال والارزاق كما قال تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وقوله سلام هى حتى مطلع الفجر قال مجاهد اى سلام هى من كل امر وهى سالمة لا يستطيع الشيطان التصرف فيها وقال الشعبى هو تسليم الملئكة ليلة القدر على اهل المساجد حتى تطلع الفجر وحصول البركة وعن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى ليلة القدر انها ليلة سابعة او تاسعة وعشرين وان الملئكة تلك الليلة فى الارض اكثر من عدد الحصى رواه ابو داود والطيالسى وقال قتادة وابن زيد سلام هى يعنى هى خير كلها ليس فيها شر الى مطلع الفجر كما روى عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليلة القدر فى العشر البواقى من قامهن ابتغاء حسبتهن فان الله يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وهى ليلة وتر تسع او سبع او خمس او ثالثة او آخر ليلة رواه احمد مع ما بعده وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امارة ليلة القدر انها صافية بلجة كان فيها قمرا ساطعا ساكنة ساجية لا برد فيها ولا حر ولا يحل لكوكب يرمى بها حتى يصبح وان امارتها ان الشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ولا يحل للشيطان ان يخرج معها يومئذ هذا حديث غريب المتن وفى بعض الفاظه نكارة وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى ليلة القدر ليلة سمحة طلقة لا حارة ولا باردة وتصبح شمسها صبيحتها ضعيفة حمراء رواه الطيالسى

فصل

اختلفوا هل كانت ليلة القدر فى الامم السالفة او هى من خصائص هذه الامة على قولين عن مالك انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارى اعمار الناس قبله او ما شاء الله من ذلك فكانه تقاصر اعمار امته ان لا يبلغوا من العمل الذى بلغ غيرهم فى طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر خير من الف شهر وهذا الذى قاله مالك يقتضى تخصيص هذه الامة بليلة القدر وقد نقله صاحب العدة احد ائمة الشافعية عن الجمهور وحكى الخطابى عليه الاجماع والذى دل عليه الحديث انها كانت فى الامم الماضية كما هى فى امتنا لما فى مسند احمد ان مرثد بن عبد الله قال سالت ابا ذر قلت كيف سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر قال قلت يا رسول الله اخبرنى عن ليلة القدر افى رمضان هى او فى غيره قال بل هى فى رمضان قلت اكان مع الانبياء ما كانوا فاذا قبضوا رفعت ام هى الى يوم القيمة قال بل هى الى يوم القيمة قلت فى اى رمضان هى قال التمسوها فى العشر الاول والعشر الاواخر ثم حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدث ثم اهتبلت غفلته قلت فى اى العشرين هى قال ابتغوها فى العشر الاواخر لا تسالنى عن شئ بعدها ثم حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اهتبلت غفلته فقلت يا رسول الله اقسمت عليك بحقى عليك لما اخبرتنى فى اى العشر هى فغضب على غضبا لم يغضب مثله قبل صحبته وقال التمسوها فى السبع الاواخر لا تسالنى عن شئ بعدها رواه النسائى وفى الحديث دلالة على ما ذكرناه وانها تكون باقية الى يوم القيمة فى كل سنة بعد النبى صلى الله عليه وسلم للاحاديث الصحيحة فى ذلك لا كما زعمه بعض الشيعة الضالة من رفعها بالكلية على ما فهموه من الحديث من قوله عليه الصلوة والسلام فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم لان المراد رفع علم وقتها عينا وفيه دلالة على ان ليلة القدر تختص بوقوعها بشهر رمضان من بين سائر الشهور لا كما قال بعض اهل الكوفة من انها توجد فى جميع السنة وترتجى فى جميع الشهور على السواء كما روى عن ابن مسعود

من اجل كل امر قضاه الله [illegible] السنة الى قابل

اى ما هى الا سلامة والخير [illegible] لا يقدر الشيطان [illegible] البلاء والسلامة

قوله سلام هى اى سلام الله على اوليائه واهل طاعته قال الشعبى هو تسليم الملئكة فى ليلة القدر على اهل المساجد من حين تغيب الشمس الى ان يطلع الفجر وقيل الملئكة يمرون فيها كلما لقوا مؤمنا او مؤمنة سلموا عليه من ربه ه

اذا كان ليلة القدر يامر الله تعالى جبرئيل عليه السلام ان يهبط فى كبكبة من الملئكة الى الارض ومعه لواء اخضر فيركزه على ظهر الكعبة وله ستمائة جناح منها جناحان لا ينشرهما الا فى ليلة القدر فينشرهما فى تلك الليلة فيجاوزان المشرق والمغرب فيبعث جبرئيل الملئكة فى هذه الليلة فيسلمون على كل قائم وقاعد ومصل وذاكر ويصافحونهم ويؤمنون على دعائهم حتى يطلع الفجر فاذا طلع الفجر نادى جبرئيل يا معشر الملئكة الرحيل الرحيل فيقولون يا جبرئيل ما صنع الله فى حوائج المؤمنين من امة محمد صلعم فيقول ان الله تعالى نظر اليهم وعفى عنهم وغفر لهم الا اربعة قالوا ومن هؤلاء الاربعة قال هو مدمن الخمر وعاق لوالديه وقاطع رحم ومشاحن قيل وما المشاحن قال هو المصارم الذى لا يكلم اخاه فوق ثلثة ايام فاذا كانت ليلة الفطر سميت تلك الليلة ليلة الجائزة فاذا كانت غداة الفطر بعث الله تعالى الملئكة فى كل بلاد فيهبطون الى الارض فيقومون على افواه السكك فينادون بصوت يسمعه جميع خلق الله الا الجن والانس فيقولون يا امة محمد اخرجوا الى رب كريم يعطى الجزيل ويغفر الذنب العظيم فاذا برزوا الى مصلاهم يقول الله تعالى للملئكة ما جزاء الاجير اذا عمل عمله تقول الملئكة الهنا وسيدنا جزاؤه ان توفيه اجره فيقول الله تعالى انى اشهدكم ملئكتى انى قد جعلت ثوابهم من صيامهم شهر رمضان وقيامهم رضائى ومغفرتى ويقول الله تعالى يا عبادى سلونى فوعزتى وجلالى لا تسالونى اليوم شيئا لاخرتكم ودنياكم الا اعطيتكم ه رواه ابن عباس

وقد روى ابن عمر انه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اسمع عن ليلة القدر قال هي في كل رمضان رواه ابو داود
وقد حكي عن ابي حنيفة رواية انها ترتجى في جميع شهر رمضان وهو وجه حكاه الغزالي واستغربه الرافعي جدا ثم قد قيل
انها تكون في اول ليلة من رمضان يحكى هذا عن ابي رزين وقيل انها تقع ليلة سبع عشرة روى فيه ابو داود حديثا مرفوعا
عن ابن مسعود وروي موقوفا عليه وعلى بعض الصحابة وهو قول عن الشافعي ويحكى عن الحسن البصري ووجهوه بانها
ليلة غزوة بدر وكانت ليلة جمعة هي السابعة عشرة من شهر رمضان وفي صبيحتها كانت وقعة بدر وهو اليوم الذي
قال الله فيه يوم الفرقان وقيل ليلة تسع عشرة كما حكي عن علي وابن مسعود وقيل ليلة احدى وعشرين كما في الصحيحين عن ابي سعيد
قال اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر الاول من رمضان واعتكفنا معه فاتاه جبريل فقال ان الذي تطلب
امامك ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا صبيحة عشرين من رمضان فقال من كان اعتكف معي فليرجع فاني رايت ليلة القدر
واني انسيتها وانها في العشر الاواخر في وتر واني رايت كاني اسجد في طين وماء وكان سقف المسجد جريدا من النخل
وما نرى في السماء شيئا فجاءت قزعة فمطرنا فصلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم حتى رايت اثر الطين والماء على جبهة رسول الله
صلى الله عليه وسلم تصديق رؤياه وفي لفظ من صبح احدى وعشرين قال الشافعي وهذا الحديث اصح الروايات
وقيل ليلة ثلث وعشرين لحديث عبد الله بن انيس في صحيح مسلم وهو قريب من حديث ابي سعيد وقيل ليلة اربع وعشرين لما روى
عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليلة القدر ليلة اربع وعشرين رواه الطيالسي وعن احمد نحوه وعن بلال بن
رباح انها اول السبع من العشر الاواخر وهكذا عن ابن مسعود وغير واحد وقد سبق في سورة البقرة ان القرآن انزل
ليلة اربع وعشرين وقيل تكون ليلة خمس وعشرين لما روى البخاري عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
التمسوها في العشر الاواخر من رمضان في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى وفسره كثيرون بليالي الاوتار وهو
اظهر واشهر وحمله اخرون على الاشفاع كما رواه مسلم عن ابي سعيد انه حمله على ذلك وقيل انها تكون ليلة سبع وعشرين
لما رواه ابو مسلم عن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها ليلة سبع وعشرين وعن زر بن حبيش قال سالت
ابي بن كعب قلت يا ابا المنذر ان اخاك ابن مسعود يقول من يقم الحول يصب ليلة القدر قال رحمه الله لقد علم انها
في شهر رمضان وانها ليلة سبع وعشرين ثم حلف قلت وكيف تعلمون ذلك قال بالعلامة او بالآية التي اخبرنا بها انها
تطلع ذلك اليوم لا شعاع لها يعني الشمس رواه احمد ومسلم نحوه وفي الباب عن ابن عمر وابن عباس ومعاوية وغيرهم عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انها ليلة سبع وعشرين وبه قال بعض السلف وهو الجادة من مذهب احمد وهو رواية عن
ابي حنيفة ايضا وقد حكي عن بعض السلف انه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من القرآن من قوله هي لانها الكلمة
السابعة والعشرون من السورة وقيل انها ليلة تسع وعشرين لما روى عبادة بن الصامت انه سال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ليلة القدر فقال عليه الصلوة والسلام في رمضان فالتمسوها في العشر الاواخر فانها في وتر احدى وعشرين او
ثلاث وعشرين او خمس وعشرين او سبع وعشرين او تسع وعشرين او في آخر ليلة رواه احمد وقيل انها تكون في آخر ليلة لما
سبق في الحديث من قوله او في آخر ليلة ولما روى ابو بكرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في تسع تبقين او سبع تبقين
او خمس تبقين او ثلاث او آخر ليلة يعني التمسوا ليلة القدر رواه النسائي والترمذي وصححه قال الشافعي في هذه الروايات
التي صدرت من النبي صلى الله عليه وسلم جوابا للسائل اذا قيل له التمس ليلة القدر في الليلة الفلانية يقول نعم وانما ليلة القدر
ليلة معينة لا تنتقل نقل الترمذي هذا المعنى وروي عن ابي قلابة انه قال ليلة القدر تنتقل في العشر الاواخر وبه قال مالك

والثورى

ويروى عن [illegible] لو كنت [illegible] السابع
والعشرين [illegible]
عذبا

واحد وكثيرون وهو محكي عن الشافعي ايضا وهو الاشبه مستانسين بما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر ان رجالا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم اروا ليلة القدر في المنام في السبع الاواخر من رمضان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارى رؤياكم قد تواطات في السبع الاواخر فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الاواخر وفيهما ايضا عن عائشة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الاواخر من رمضان ولفظه للبخاري وقد حكي
عن مالك ان جميع ليالي العشر في تطلب ليلة القدر على السواء لا يترجح منها ليلة على الاخرى هكذا في شرح الرافعي ويستحب
الاكثار من الدعاء في جميع الاوقات وفي شهر رمضان اكثر وفي العشر الاخير منه ثم في اوتاره اكثر وان يكثر من هذا
الدعاء اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني لما روت عائشة قالت قلت يا رسول الله ارايت ان علمت اي ليلة ليلة
القدر ما اقول فيها قال قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني رواه الترمذي والنسائي ولاحمد مثله وقال الحاكم
هذا صحيح على شرط الشيخين وفي الاصل هاهنا اثر غريب ونبا عجيب عن كعب الاحبار رما طولنا الكتاب به

تفسير سورة لم يكن

عن ابي حبة البدري الانصاري قال لما نزلت لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب الى آخرها قال جبريل يا رسول الله
ان ربك يامرك ان تقراها ابيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي ان جبريل امرني ان اقرئك هذه السورة قال ابي
وقد ذكرت ثم يا رسول الله قال نعم قال فبكى ابي رواه احمد وفي الصحيحين عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لابي بن كعب ان الله امرني ان اقرا عليك لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب قال وسماني لك قال نعم فبكى
وعن ابي بن كعب قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ان الله امرني ان اقرا عليك القرآن قال فقرا لم يكن الذين كفروا
من اهل الكتاب قال فقرا فيها ولو ان ابن آدم سال واديا من مال فاعطيته لسال ثانيا ولو سال ثانيا فاعطيته لسال ثالثا
ولا يملا جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وان ذات الدين عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا
النصرانية ومن يفعل خيرا فلن يكفره رواه احمد والترمذي وصححه وانما قرا عليه الصلوة والسلام هذه السورة تثبيتا له وزيادة
لايمانه قراءة ابلاغ وتثبيت وانذار لا قراءة تعلم واستذكار ولان فيها من قوله عز وجل رسول من الله يتلو صحفا مطهرة
فيها كتب قيمة وهذا كما ان عمر بن الخطاب لما سال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية عن تلك الاسولة وقال فيما
قال او لم يكن يخبرنا انا سناتي البيت ونطوف به قال بلى فاخبرتك انك تاتيه عامك هذا قال لا قال فانك آتيه ومطوف به
فلما رجعوا من الحديبية وانزل على النبي صلى الله عليه وسلم سورة الفتح دعا عمر بن الخطاب فقراها عليه ومنها قوله لقد صدق الله
رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين الاية كما سبق نقوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم

**لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة رسول من الله يتلو
صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وما
امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك
دين القيمة**

اما اهل الكتاب فهم اليهود والنصارى والمشركون عبدة الاوثان والنيران من العرب والعجم قال مجاهد و
قتادة لم يكونوا منفكين اي منتهين حتى يتبين لهم الحق حتى تاتيهم البينة يعني القرآن ثم فسر البينة بقوله رسول من الله
يتلو صحفا مطهرة يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما يتلوه من القرآن العظيم الذي هو مكتتب في الملا الاعلى في صحف مطهرة
اي من الباطل والكذب فانه عليه الصلوة والسلام كان يتلو القرآن عن ظهر قلبه لا عن كتاب وقوله فيها كتب قيمة قال
ابن جرير اي في الصحف المطهرة كتب من كتب الله قيمة عادلة مستقيمة ليس فيها خطا لانه من عند الله تعالى قال قتادة يتلو صحفا

[illegible]

وعمى الحكمة في ابهام هذه الليلة على الامة
ليجتهدوا في العبادة ليالي رمضان طمعا
في ادراكها كما اخفى ساعة الاجابة في يوم
الجمعة واخفى الصلوة الوسطى في الصلوات
الخمس واسمه الاعظم في الاسماء ورضاه
في الطاعات ليرغبوا في جميعها وسخطه في
المعاصي لينتهوا عن جميعها واخفى قيام
الساعة ليجتهدوا في الطاعات حذرا
من قيامها

وهي بكل خير

[illegible]

قوله تعالى منفكين عما كانوا
عليه من دينهم او الوعد باتباع الحق
اذا جاءهم الرسول
قاضي

[illegible]

مطهرة اي يذكر القرآن باحسن الذكر ويثني عليه باحسن الثناء وقال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم
البينة يعني بذلك اهل الكتب المنزلة على الامم قبلنا بعدما اقام الله عليهم الحجج والبينات فانهم تفرقوا واختلفوا في الذي
اراده الله من كتبهم واختلفوا اختلافا كثيرا كما جاء في الحديث من طرق ان اليهود اختلفوا على احدى وسبعين فرقة و
ان النصارى اختلفوا على ثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة قالوا
من هم يا رسول الله قال ما انا عليه واصحابي وقوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين قال ابن عباس يعني
ما امروا في التورية والانجيل الا باخلاص العبادة لله وحده وهو كقوله وما ارسلنا قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله
الا انا فاعبدون ولهذا قال حنفاء اي مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام والتوحيد وقد سبق تقرير الحنيف في
سورة الانعام ويقيموا الصلوة اي المكتوبة في اوقاتها وهي اشرف عبادات البدن ويؤتوا الزكوة وهي الاحسان الى الفقراء
والمستحقين وذلك دين القيمة اي الملة القائمة العادلة او الامة المستقيمة المعتدلة وقد استدل كثير من الائمة كالزهري و
الشافعي بهذه الآية على ان الاعمال داخلة في الايمان ولهذا قال وما امروا الا ليعبدوا الله الآية ان الذين كفروا من
اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه اخبر تعالى عن عاقبة الفجار من كفرة اهل الكتاب والمشركين
المخالفين لله ورسله انهم يوم القيمة في نار جهنم ماكثين فيها لا يحولون عنها ولا يزولون اولئك هم شر الخليقة التي براها
الله وذراها ثم اخبر عن حال الابرار الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بابدانهم بانهم خير البرية وقد استدل بهذه
الآية ابو هريرة وطائفة من العلماء على تفضيل البشر على الملائكة لعموم البرية ثم قال جزاؤهم عند ربهم اي يوم القيمة جنات
عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا اي بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ رضي الله عنهم ورضوا عنه
ومقام رضاه عنهم اعلى مما اوتوه من النعيم المقيم ورضوا عنه فيما منحهم من الفضل العظيم وقوله ذلك لمن خشي ربه اي هذا
الجزاء حاصل لمن خشي الله واتقاه حق تقواه وعبده كانه يراه وعلم انه ان لم يره فانه يراه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بخير البرية قالوا بلى يا رسول الله قال رجل اخذ بعنان فرسه في سبيل الله كلما كانت هيعة استوى
عليه الا اخبركم بخير البرية قالوا بلى يا رسول الله قال رجل في ثلة في غنمه يقيم الصلوة ويؤتي الزكوة الا اخبركم بشر البرية
قالوا بلى يا رسول الله قال الذي يسال بالله ولا يعطي به رواه احمد قال السري اذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تساله الرضا
عنك تفسير سورة اذا زلزلت وهي مكية عن عبد الله بن عمرو قال اتى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرئني يا رسول
الله قال له اقرا ثلاثا من ذوات الراء فقال الرجل كبرت سني واشتد قلبي وغلظ لساني فقال اقرا من ذوات حم فقال مثل
مقالته الاولى فقال اقرا ثلاثا من المسبحات فقال مثل مقالته فقال الرجل ولكن اقرئني يا رسول الله سورة جامعة فاقراه
اذا زلزلت الارض زلزالها حتى اذا فرغ منها قال الرجل والذي بعثك لا ازيد عليها ابدا ثم ادبر الرجل فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم افلح الرويجل افلح الرويجل الحديث رواه احمد وابو داود والنسائي وعن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن رواه الترمذي وغربه بسم الله الرحمن الرحيم
اذا زلزلت الارض زلزالها واخرجت الارض اثقالها وقال الانسان ما لها يومئذ تحدث اخبارها
بان ربك اوحى لها يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره

ومن يعمل

قال المفسرون لم يزل اهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله فلما بعث تفرقوا في امره واختلفوا فآمن به بعضهم وكفر آخرون

سئل خليل بن احمد عن قوله وذلك دين القيمة فقال القيمة جمع القيم والقيم والقائم بمعنى واحد ومجاز الآية وذلك دين القائمين لله بالتوحيد

خير الناس رجل ممسك

زلزالها تحريكها

[illegible]

ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال ابن عباس اذا زلزلت الارض اي تحركت من اسفلها واخرجت الارض
اثقالها يعني القت ما فيها من الموتى قاله غير واحد وهو كقوله والقت ما فيها وتخلت وعن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تقيء الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت ويجيء
القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا ياخذون منه شيئا رواه
مسلم وقوله وقال الانسان ما لها اي استنكر امرها بعد ما كانت قارة ثابتة ساكنة وهو مستقر على ظهرها اي تقلبت
الحال فصارت متحركة مضطربة قد جاءها من امر الله ما قد اعده لها من الزلزال والقت ما في باطنها من الذهب و
الاموات فحينئذ استنكر الناس امرها وتبدلت الارض غير الارض ويومئذ تحدث اخبارها اي تحدث بما عمل العاملون
على ظهرها وعن ابي هريرة قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا
الله ورسوله اعلم قال ان تشهد على كل عبد او امة بما عمل على ظهرها ان تقول عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا قال فهذه اخبارها
رواه احمد والنسائي والترمذي وصححه وقوله بان ربك اوحى لها قال البخاري اوحى لها واوحى اليها ووحى لها ووحى اليها
واحد كما قال ابن عباس اوحى لها اي اوحى اليها والظاهر ان هذا مضمن بمعنى اذن لها اي قال لها ربها قولي فقالت و
قال مجاهد اي امرها اي ان تحدث عنهم وقوله يومئذ يصدر الناس اشتاتا اي يرجعون عن موقف الحساب اشتاتا اي
انواعا وفرقا واصنافا ما بين شقي وسعيد وما مور به الى الجنة وما مور به الى النار فلا يجتمعون اخرها عليهم وقوله ليروا
اعمالهم اي ليعملوا ويجازوا بما عملوه في الدنيا والآخرة من خير وشر ولهذا قال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره وفي الصحيحين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل لثلثة لرجل اجر ولرجل ستر ولرجل وزر
فاما الذي له اجر فرجل ربطها في سبيل الله فاطال طيلها في مرج او روضة فما اصابت في طيلها ذلك في المرج والروضة
كانت له حسنات ولو انها قطعت طيلها فاستنت شرفا او شرفين كانت آثارها وارواثها حسنات له ولو انها مرت
بنهر فشربت منه ولم يرد ان يسقيه وهي لذلك الرجل اجر ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله في رقابها
ولا ظهورها فهي له ستر ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء فهي على ذلك وزر فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الحمر فقال ما انزل الله فيها شيئا الا هذه الآية الفاذة الجامعة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره اي
مثقال وزن نملة صغيرة اصغر ما يكون من النمل قال ابن عباس ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا في الدنيا الا اراه الله يوم
القيمة فاما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر الله سيئاته ويثيبه بحسناته واما الكافر فيرد حسناته ويعذب بسيئاته
وعن صعصعة بن معوية عم الفرزدق انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقرا عليه فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا
يره قال حسبي لا ابالي ان لا اسمع غيرها رواه احمد والنسائي وعن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول يا عائشة اياك و
محقرات الذنوب فان لها من الله طالبا رواه احمد والنسائي وابن ماجة وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اياكم ومحقرات الذنوب فانهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلا كمثل قوم
نزلوا ارض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سوادا واججوا نارا وانضجوا
ما قذفوا فيها رواه احمد وعن سعيد بن جبير قال لما نزلت هذه الآية ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا كان
المسلمون يرون انهم لا يوجرون على الشيء القليل اذا اعطوه فيجيء المسكين الى ابوابهم فيستقلون ان يعطوه التمرة والكسرة
والجوزة ونحو ذلك فيردونه ويقولون ما هذا بشيء انما نوجر على ما نعطي ونحن نحبه وكان آخرون يرون انهم لا يلامون

الطيل الذي يطول للدابة فترعى فيه والمرج الموضع الذي ترعى فيه الدواب والروضة من البقل والعشب والجمع روض ورياض صح

[illegible] صح

على الذنب اليسير الكذبة والنظرة والغيبة واشباه ذلك يقولون انما وعد الله النار على الكبائر فرغبهم في القليل من الخير ان يعملوه فانه يوشك ان يكثر وحذرهم اليسير من الشر فانه يوشك ان يكثر فنزلت فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره يعني وزن اصغر النمل خيرا يره يعني في كتابه ويسره ذلك قال يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة وبكل حسنة عشر حسنات فاذا كان يوم القيمة ضاعف الله حسنات المؤمنين ايضا بكل واحدة عشرا ويمحوا عنه بكل حسنة عشر سيئات فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة دخل الجنة رواه ابن ابي حاتم والله اعلم سورة والعاديات وهي مكية بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا ان الانسان لربه لكنود وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور ان ربهم بهم يومئذ لخبير اقسم تعالى بالخيل اذا اجريت في سبيله فعدت وضبحت وهو الصوت الذي يسمع من الفرس حين يعدو فالموريات قدحا يعني اصطكاك نعالها بالصخر فتقدح منه النار فالمغيرات صبحا يعني الاغارة وقت الصباح كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغير صباحا ويتسمع فان سمع اذانا امسك والا اغار وقوله فاثرن به نقعا يعني غبارا في مكان معترك الخيول فوسطن به جمعا اي توسطن ذلك المكان كلهن جمع وقال علي وابن مسعود والعاديات ضبحا هي الابل وقال ابن عباس هي الخيل فبلغ عليا قول ابن عباس فقال ما كان لنا خيل يوم بدر قال ابن عباس انما كان في سرية بعثت فقال علي والله لئن كان اول غزوة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد فكيف تكون العاديات ضبحا انما العاديات ضبحا من عرفة الى مزدلفة ومن مزدلفة الى منى فرجع ابن عباس الى الذي قال علي رواه ابن جرير وابن ابي حاتم واختار ابن جرير انها الخيل قال ابن عباس ما ضبحت دابة قط الا فرس او كلب وقال عطاء سمعت ابن عباس يصف الضبح اح اح وقال الاكثر في قوله فالموريات قدحا يعني بحوافرها وقيل يعني مكر الرجال في الحرب والعرب تقول اذا ارادت ان تمكر بصاحبه اما والله لاقدحن لك ولاورين وقيل هو ايقاد النار اذا رجعوا الى منازلهم بالليل قال ابن جرير والصواب الاول انه الخيل حين تقدح بحوافرها وقوله فالمغيرات صبحا قال ابن عباس وغيره يعني اغارة الخيل صبحا في سبيل الله ومن فسرها بالابل قال هو الدفع صبحا من المزدلفة الى منى وقالوا كلهم فاثرن به نقعا هو المكان الذي حلت فيه اثارت به الغبار اما في حج او غزو وقوله فوسطن به جمعا قال ابن عباس وغيره يعني جمع الكفار من العدو ويحتمل ان يكون فوسطن بذلك المكان جميعهن ويكون جمعا منصوبا على الحال المؤكدة وعن ابن عباس ايضا قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا فاشهرت شهرا لا ياتيه منها خبر فنزلت والعاديات ضبحا ضبحت بارجلها فالموريات قدحا قدحت بحوافرها الحجارة فاورت نارا فالمغيرات صبحا صبحت القوم بغارة فاثرن به نقعا اثارت بحوافرها التراب فوسطن به جمعا قال صبحت القوم جمعا حديث غريب رواه البزار وقوله ان الانسان لربه لكنود هذا هو المقسم عليه يعني انه لنعم ربه لجحود كفور قال الاكثر الكنود الكفور وقال الحسن هو الذي يعد المصائب وينسى نعم ربه وعن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الانسان لربه لكنود قال الكنود الذي ياكل وحده ويضرب عبده ويمنع رفده رواه ابن ابي حاتم وهو ضعيف والراجح انه موقوف كما رواه ابن جرير وقوله وانه على ذلك لشهيد قال قتادة وسفين الثوري اي وان الله على ذلك لشهيد ويحتمل ان يعود الضمير على الانسان قاله محمد بن كعب القرظي فيكون تقديره وان الانسان على كونه كنودا لشهيد اي بلسان حاله يعني ظاهر ذلك في اقواله وافعاله كما قال تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر وقوله وانه لحب الخير لشديد اي وانه لحب المال لشديد يعني لشديد

ضبحا انتصابه على المصدر بتضمين ضبحا

عن ابن عباس كنت جالسا في الحجر فجاءني رجل فسالني عن العاديات ضبحا ففسرتها بالخيل فذهب الى علي عليه السلم وهو تحت سقاية زمزم وساله وذكر له ما قلت فقال ادعه لي فلما وقفت على راسه قال تفتي الناس بما لا علم لك به والله ان كانت لاول غزوة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد والعاديات الابل من عرفة الى المزدلفة الى منى [illegible] النقل [illegible] الضبح للابل كما استعير المشافر للانسان والحكم للكنود

المحبة للمال او لحريص بخيل من محبة المال وكلاهما صحيح ثم قال تعالى مزهدا في الدنيا ومرغبا في الاخرة ومنبها على ما هو كائن بعد هذه الحال وما يستقبله الانسان من الاهوال افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور اي اخرج ما فيها من الاموات وحصل ما في الصدور قال ابن عباس يعني ابرز واظهر ما كانوا يسرون في نفوسهم ان ربهم بهم يومئذ لخبير اي لعالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون ويجازيهم عليه اوفر الجزاء تفسير سورة القارعة وهي مكية بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية واما من خفت موازينه فامه هاوية وما ادريك ما هيه نار حامية القارعة من اسماء يوم القيمة كالحاقة والطامة والصاخة والغاشية وغير ذلك ثم قال معظما امرها ومهولا لشانها وما ادريك ما القارعة ثم فسر ذلك بقوله يوم يكون الناس كالفراش المبثوث اي في انتشارهم وتفرقهم وذهابهم ومجيئهم من حيرتهم بما هم فيه كانهم فراش مبثوث وهو شبه الجراد الصغير يطير حول النار ويتهافت فيها كما قال في اية اخرى كانهم جراد منتشر وقوله وتكون الجبال كالعهن المنفوش يعني تصير كانها الصوف المنفوش الذي تمزق ثم اخبر تعالى عما يؤول اليه عمل العاملين وما يصيرون اليه من الكرامة والاهانة بحسب اعمالهم فقال فاما من ثقلت موازينه اي رجحت حسناته على سيئاته فهو في عيشة راضية يعني في الجنة واما من خفت موازينه اي رجحت سيئاته على حسناته وقوله فامه هاوية قيل اي ساقط هاو بام راسه في نار جهنم وعبر عنه بامه يعني دماغه وقال قتادة يهوي في النار على راسه وقيل معناه فامه التي يرجع اليها في المعاد هاوية وهي اسم من اسماء النار قال ابن جرير انما قيل للهاوية امه لانه لا ماوى له غيرها وقال ابن زيد الهاوية النار وهي امه وماواه التي يرجع اليها ويأوي وقرا وماويهم النار ولهذا قال تعالى مفسرا لها وما ادريك ما هيه نار حامية اي حارة شديدة الحر قوية اللهب والسعير وعن الاشعث بن عبد الله قال اذا مات المؤمن ذهب بروحه الى ارواح المؤمنين فيقولون روحوا اخاكم فانه كان في غم الدنيا قال ويسالونه ما فعل فلان فيقول مات اوما جاءكم فيقول ذهب به الى امه الهاوية وقد رواه ابن مردويه من طريق انس بن مالك مرفوعا وفي الصحيحين عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نار بني ادم التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا يا رسول الله ان كانت لكافية فقال انها فضلت بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها وفي رواية احمد و ضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لاحد وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة رواه الترمذي وابن ماجه وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اشتكت النار الى ربها فقالت يا رب اكل بعضي بعضا فاذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فاشد ما تجدون في الشتاء من بردها واشد ما تجدون في الصيف من حرها بسم الله الرحمن الرحيم الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسالن يومئذ عن النعيم يعني تعالى اشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الاخرة وابتغائها وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر فصرتم من اهلها وقال زيد بن اسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الهيكم التكاثر عن الطاعة حتى زرتم المقابر حتى ياتيكم الموت رواه ابن ابي حاتم وفي البخاري عن ابي بن كعب قال كنا نرى هذا من القران حتى نزلت الهيكم التكاثر يعني لو كان لابن ادم واد من ذهب وهذا يوهم ان تكون السورة مدنية وعن عبد الله

العهن الصوف المصبوغ الوان شبهها بالمنفوش لتفرق اجزائه

حاصل ما ذكر ان اعمال المؤمنين من ثقلت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن ثقلت سيئاته على حسناته دخل النار فيعذب منها على قدرها ثم يخرج منها فيدخل الجنة او يعفو الله عنه فيدخل الجنة قال الصديق رضي الله عنه انما ثقل موازين من ثقلت موازينه يوم القيمة باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيمة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا

ابن الشخير قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول الهكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك
من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت رواه احمد وعن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول العبد مالي مالي وانما له من ماله ثلاث ما اكل فافنى او لبس فابلى او تصدق فاقتنى وما سوى
ذلك فذاهب وتاركه للناس رواه مسلم وفي الصحيحين عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاث
فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه اهله وماله وعمله فيرجع ماله واهله ويبقى عمله وعن بريدة في قوله الهكم التكاثر
قال نزلت في قبيلتين من الانصار من بني حارثة وبني الحرث تفاخروا وتكاثروا فقالت احديهما فيكم مثل فلان و
فلان وفلان وقال الاخرى مثل ذلك تفاخروا بالاحياء ثم قالوا انطلقوا بنا الى القبور فجعلت احدى الطائفتين تقول
فيكم مثل فلان يشيرون الى القبر ومثل فلان وفعل الآخرون مثل ذلك فانزل الله الهكم التكاثر حتى زرتم المقابر كان لكم
يقولون نحن اكثر من بني فلان ونحن اعد من بني فلان وهم كل يوم يتساقطون الى آخرهم والله ما زالوا كذلك حتى
صاروا من اهل القبور كلهم رواه ابن ابي حاتم وهذا دليل آخر على ان السورة مدنية والصحيح ان المراد بقوله زرتم المقابر
اي صرتم اليها ودفنتم فيها كما جاء في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على رجل من الاعراب يعوده فقال لا باس
طهور ان شاء الله فقال قلت طهور بل هي حمى تفور على شيخ كبير تزيره القبور قال فنعم اذا وعن علي رضي الله عنه قال
ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت الهكم التكاثر حتى زرتم المقابر رواه الترمذي قال عمر بن عبد العزيز ما للزائر
بد من ان يرجع الى منزله يعني الى الجنة او الى النار قاله ابن ابي حاتم وقوله كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون قال
الحسن البصري هذا وعيد بعد وعيد وقال الضحاك كلا سوف تعلمون يعني الكفار ثم كلا سوف تعلمون ايها المؤمنون وقوله
كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو علمتم حق العلم لما الهكم التكاثر عن طلب الآخرة حتى صرتم الى المقابر ثم قال لترون الجحيم ثم لترونها
عين اليقين هذا تفسير الوعيد المتقدم توعدهم بهذا الحال وهو رؤية النار التي اذا زفرت زفرة خر كل ملك مقرب
ونبي مرسل على ركبتيه من المهابة والعظمة ومعاينة الاهوال على ما جاء به الاثر المروي في ذلك وقوله ثم لتسالن
يومئذ عن النعيم اي عن شكر ما انعم الله به عليكم من الصحة والامن والرزق وغير ذلك ما اذا قابلتم نعمه من شكره و
عبادته وعن ابي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم او ليلة فاذا هو بابي بكر وعمر فقال ما اخرجكما
من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع قال وانا والذي نفسي بيده لاخرجني الذي اخرجكما قوموا فقاموا معه فاتى رجلا من
الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما راته المراة قالت مرحبا واهلا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اين فلان قالت
ذهب يستعذب لنا من الماء اذ جاء الانصاري فنظر الانصاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما
احد اليوم اكرم اضيافا مني قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب وقال كلوا من هذه واخذ المدية فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم فاكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما ان شبعوا و
رووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسالن عن هذا النعيم يوم القيمة اخرجكم من
بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى اصابكم هذا النعيم رواه مسلم وقد رواه الائمة الاربعة وابن جرير بنحو هذا السياق والرجل الانصاري
هو ابو الهيثم التيهان وعن محمود بن الربيع قال لما نزلت الهكم التكاثر فقرا حتى بلغ لتسالن يومئذ عن النعيم قالوا
يا رسول الله عن اي نعيم نسال وانما هو الاسودان الماء والتمر وسيوفنا على رقابنا والعدو حاضر فعن اي نعيم نسال
قال اما ان ذلك سيكون رواه احمد وللترمذي نحوه وفيه ان قائلا عن اي نعيم نسال هو الزبير وكذا لابن ماجه وعن ابي هريرة

قال قال

قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اول ما يسال عنه يعني يوم القيمة العبد النعيم ان يقال له الم نصح جسمك ونروك
من الماء البارد تفرد به احمد الترمذي وقال زيد بن اسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لتسالن يومئذ عن النعيم يعني
شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم رواه ابن ابي حاتم وقال مجاهد عن كل
لذة من لذات الدنيا وقال الحسن النعيم الغداء والعشاء وقول مجاهد اعم هذه الاقوال وقال ابن عباس النعيم صحة
الابدان والاسماع والابصار يسال الله العباد فيما استعملوها وهو اعلم بذلك منهم وهو قوله تعالى ان السمع والبصر
والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس
الصحة والفراغ رواه البخاري يعني انهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين لا يقومون بواجبهما ومن لا يقوم بحق ما وجب
عليه فهو مغبون وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل يوم القيمة يا ابن آدم حملتك على الابل والخيل
وزوجتك النساء وجعلتك تربع وترأس فاين شكر ذلك رواه احمد

تفسير سورة العصر وهي مكية

ذكروا ان عمرو بن العاص وفد على مسيلمة الكذاب وذلك بعد ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل ان يسلم عمرو فقال
له مسيلمة ماذا انزل على صاحبكم في هذه المدة فقال لقد انزل عليه سورة وجيزة بليغة فقال وما هي قال والعصر ان الانسان
لفي خسر الى آخرها ففكر مسيلمة هنيهة ثم قال وقد انزل علي مثلها فقال له عمرو والله انك لتعلم اني اعلم انك تكذب والوبر
دويبة تشبه الهر اعظم شيء منه اذناه وصدره وباقيه لطيف دميم فاراد مسيلمة ان يركب من هذا الهذيان ما يعارض
به القرآن فلم يرج ذلك على عابدي الاوثان في ذلك الزمان وقال الشافعي لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم

بسم الله الرحمن الرحيم والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر العصر الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر وقيل
هو الوقت الذي يلي المغرب من النهار وقيل هو صلوة العصر والمشهور الاول فاقسم تعالى بذلك على ان الانسان لفي خسارة
وهلاك الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فاستثنى هم عن جنسهم بالايمان بقلوبهم والعمل الصالح بجوارحهم وتواصوا
بالحق اي اوصى بعضهم بعضا بالايمان والقرآن وهو اداء الطاعات وترك المحرمات وتواصوا بالصبر اي على المصائب
والاقدار واذى من يؤذي ممن يامرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر

تفسير سورة ويل لكل همزة لمزة وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده يحسب
ان ماله اخلده كلا لينبذن في الحطمة وما ادريك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على
الافئدة انها عليهم موصدة في عمد ممددة الهماز بالقول واللماز بالفعل يعني الذي يزدري بالناس
وينتقصهم وقد تقدم ذلك في هماز مشاء بنميم قال ابن عباس همزة لمزة طعان معياب وقال الربيع الهمزة يهمزه في وجهه
ويلمزه من خلفه وقال قتادة يهمزه ويلمزه بلسانه وعينه وياكل لحوم الناس ويطعن عليهم وقال مجاهد الهمزة
باليد والعين واللمزة باللسان وهي عامة وقوله الذي جمع مالا وعدده اي جمعه بعضه على بعض واحصى عدده
كقوله وجمع فاوعى قاله السدي وابن جرير وقال محمد بن كعب الهاه ماله بالنهار هذا الى هذا فاذا كان الليل نام كانه
جيفة وقوله يحسب ان ماله اخلده اي يظن ان جمعه المال يخلده في هذه الدار كلا اي ليس الامر كما زعم ولا كما حسب
ثم قال لينبذن في الحطمة اي ليلقين هذا الذي جمع مالا فعدده في الحطمة وهي اسم من اسماء النار يصفها بها لانها تحطم
من فيها ولهذا قال وما ادريك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة قال ثابت البناني اي تحرقهم الى

وما هي قال يا وبر يا وبر انما
انت اذنان وصدر وسائرك
حفر نقر ثم قال كيف ترى يا
عمرو

قال ابن عباس هم المشاؤن بالنميمة المفرقون
بين الاحبة

الافئدة وهم احياء وقال محمد بن كعب ياكل كل شي من جسده حتى تبلغ فؤاده ثم يجدد خلقه فيرجع على جسده وقوله انها
عليهم موصدة في عمد ممددة قال ابن عباس يعني الابواب هي الممدودة وقال العوفي في عمد من حديد وقال السدي من نار وقال
ابن عباس ادخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد في اعناقهم السلاسل فسدت بها الابواب وقال قتادة كنا نحدث انهم
يعذبون بعمد في النار واختاره ابن جرير وقال ابو صالح يعني القيود الطوال والله اعلم

تفسير سورة الفيل وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل
كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ماكول

هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش فيما صرف عنهم من اصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو اثرها
من الوجود فاباده الله وارغم انوفهم وخيب سعيهم واضل عملهم وكانوا قوما نصارى وكان دينهم اذ ذاك
اقرب حالا مما كان عليه قريش من عبادة الاوثان ولكن كان هذا من باب الارهاص والتوطئة لمبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانه في ذلك العام ولد على اشهر الاقوال ولسان الحال يقول لم ننصركم يا معشر قريش على الحبشة لخيريتكم
عليهم ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الامي خاتم الانبياء صلوات الله وسلامه
عليه وقصة اصحاب الفيل على وجه الاختصار ان ذا نواس وكان اخر ملوك حمير وكان مشركا وهو الذي قتل اصحاب
الاخدود وكانوا نصارى قريبا من عشرين الفا فلم يفلت منهم الا دوس ذو ثعلبان فذهب فاستغاث بقيصر ملك الشام
وكان نصرانيا فكتب له الى النجاشي ملك الحبشة لكونه اقرب اليهم فبعث معه اميرين ارياط وابرهة بن الصباح ابا يكسوم
في جيش كثيف فدخلوا اليمن فجاسوا خلال الديار واستلبوا الملك من حمير وهلك ذو نواس غريقا في البحر واستقل الحبشة
بملك اليمن وعليه هذان الاميران ارياط وابرهة فاختلفا في امرهما وتصاولا وتقاتلا وتصافا فقال احدهما للاخر
انه لا حاجة بنا الى اصطلام الجيشين بيننا ولكن ابرز الي وابرز اليك فايما قتل الاخر استقل بعده بالملك فاجابه الى ذلك
فتبارزا وخلف كل واحد منهما قناة فحمل ارياط على ابرهة فضربه بالسيف فشرم انفه وشفته وشق وجهه وحمل عتودة
مولى ابرهة جريحا فلما براء واستقل بتدبير الحبشة باليمن كتب اليه النجاشي يلومه على ما كان منه ويتوعده ويحلف ليطان
بلاده ويجزن ناصيته فارسل اليه ابرهة يترقق له ويصانعه وبعث مع رسوله بهدايا وتحف وبجراب فيه من تراب
اليمن وجز ناصيته فارسلها معه وكتب اليه ليطا الملك على هذا الجراب فيبر قسمه وهذه ناصيتي قد بعثت بها اليك
فلما وصل ذلك اليه اعجبه منه ورضي عنه واقره على عمله وارسل ابرهة الى النجاشي يقول اني سابني لك كنيسة بارض
اليمن لم يبن قبلها مثلها فشرع في بناء كنيسة هائلة بصنعاء رفيعة البناء عالية الفناء مزخرفة الارجاء سمتها العرب
القليس لان الناظر اليها يكاد تسقط قلنسوته عن راسه لارتفاع بنائها وعزم ابرهة الاشرم على ان يصرف حج العرب اليها
كما يحج الى الكعبة بمكة ونادى بذلك في مملكته فكرهت العرب العدنانية والقحطانية ذلك وغضبت قريش غضبا شديدا
حتى قصدها بعضهم وتوصل الى ان دخلها ليلا فاحدث فيها وكر راجعا فلما راى السدنة ذلك الحدث رفعوا امره الى
ملكهم ابرهة وقالوا انما صنع هذا بعض قريش غضبا لبيتهم الذي ضاهيت هذا به فاقسم ابرهة ليسيرن الى بيت مكة و
ليخربنه حجرا حجرا وذكر مقاتل بن سليمان ان فتية من قريش دخلوها فاججوا فيها نارا وكان يوما فيه هواء شديد
فاحرقت وسقطت الى الارض فتاهب الملك وسار في جيش كثيف عرمرم لئلا يصده احد عنه واستصحب معه فيلا عظيما
كبير الجثة لم ير مثله يقال له محمود وكان قد بعثه اليه النجاشي ملك الحبشة لذلك ويقال كان معه ايضا ثمانية افيال وقيل

اثنا عشر

اثنا عشر فيلا والله اعلم يعني ليهدم به الكعبة بان يجعل السلاسل في الاركان وتوضع في عنق الفيل ثم يزجر ليلقي الحائط
جملة واحدة فلما سمعت العرب بمسيره اعظموا ذلك جدا وراوا ان حقا عليهم المحاجفة دون البيت ورد من اراده
بكيده فخرج اليه رجل كان من اشراف اليمن وملوكها يقال له ذو نفر فدعا قومه ومن اجابه من سائر العرب الى
حرب ابرهة وجهاده عن بيت الله وما يريده من هدمه واخرابه فاجابوه وقاتلوا ابرهة فهزمهم لما يريده الله
من كرامة البيت وتعظيمه واسر ذا نفر فاستصحبه معه ثم مضى لوجهه حتى اذا كان بارض خثعم عرض له
نفيل بن حبيب الخثعمي في قومه شهران وناهس فقاتلوه فهزمهم ابرهة واسر نفيل بن حبيب فاراد قتله ثم عفا
عنه واستصحبه معه ليدله في بلاد الحجاز فلما اقترب من ارض الطائف خرج اليه اهلها وصانعوه خيفة على بيتهم
الذي عندهم الذي يسمونه اللات فاكرمهم وبعثوا معه ابا رغال دليلا فلما انتهى ابرهة الى المغمس وهو قريب من مكة
نزل به واغار جيشه على سرح اهل مكة من الابل وغيرها فاخذوه وكان في السرح مائتا بعير لعبد المطلب وكان الذي اغار
على السرح بامر ابرهة امير المقدمة يقال له الاسود بن مقصود وبعث ابرهة حناطة الحميري الى مكة وامره ان ياتيه
باشرف قريش وان يخبره ان الملك لم يجئ لقتالكم الا ان تصدوه عن البيت فجاء حناطة فدل على عبد المطلب بن هاشم
وبلغه عن ابرهة ما قال فقال له عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام و
بيت خليله ابرهيم فان يمنعه منه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه فقال له حناطة
فاذهب معي اليه فذهب معه فلما راه ابرهة اجله وكان عبد المطلب رجلا جميلا حسن المنظر ونزل ابرهة عن سريره
وجلس معه على البساط وقال لترجمانه قل له حاجتك فقال للترجمان حاجتي ان يرد علي الملك مائتي بعير اصابها لي فقال
ابرهة لترجمانه قل له لقد كنت اعجبتني حين رايتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتني اتكلمني في مائتي بعير اصبتها لك وتترك
بيتا هو دينك ودين ابائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه فقال له عبد المطلب اني انا رب الابل وان للبيت ربا
سيمنعه قال ما كان ليمتنع مني قال انت وذاك ويقال انه ذهب مع عبد المطلب جماعة من اشراف العرب فعرضوا على ابرهة
ثلث اموال تهامة على ان يرجع الى البيت فابى عليهم ورد ابرهة على عبد المطلب ابله ورجع عبد المطلب الى قريش فامرهم
بالخروج من مكة والتحصن في رؤس الجبال متخوفا عليهم من معرة الجيش ثم قام عبد المطلب فاخذ بحلقة الباب وقام
معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على ابرهة وجنده وقال عبد المطلب وهو اخذ بحلقة الباب
لاهم ان المرء يمنع رحله ٭ وحلاله فامنع حلالك لا يغلبن صليبهم ٭ ومحالهم عدوا محالك قال ابن اسحق ثم ارسل

المحال العقوبة والنكال

عبد المطلب حلقة الباب وخرجوا الى رؤس الجبال فلما اصبح ابرهة تهيا لدخول مكة وهيا فيله وكان اسمه محمودا وعبا جيشه
فلما وجهوا الفيل نحو مكة اقبل نفيل بن حبيب حتى قام الى جنبه ثم اخذ باذنه وقال ابرك محمود وارجع راشدا من حيث
جئت فانك في بلد الله الحرام ثم ارسل اذنه فبرك الفيل وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى اصعد في الجبل وضربوا
الفيل وضربوا الفيل ليقوم فابى فضربوا في راسه بالطبرزين وهو الذي يضرب به راس الفيل وادخلوا محاجن لهم
في مراقه فبزغوه بها ليقوم فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق
ففعل مثل ذلك ووجهوه الى مكة فبرك وارسل الله طيرا من البحر امثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلثة
احجار يحملها حجر في منقاره وحجران في رجليه امثال الحمص والعدس لا يصيب منهم احدا الا هلك وليس كلهم اصابت
وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق ويسالون عن نفيل ليدلهم على الطريق هذا ونفيل على راس الجبل مع قريش وعرب

الحجار ينظرون ماذا انزل الله باصحاب الفيل من النقمة وطفق نفيل يقول ∴ اين المفر والاله الغالب ∴ والاشرم المغلوب غير الغالب ∴ و في رواية للواقدي فبينا هم كذلك اذ بعث الله عليهم طيرا ابابيل اي قطعا قطعا صفر دون الحمام و ارجلها حمر ومع كل طائر ثلث احجار وجاءت وارسلت تلك الاحجار عليهم فهلكوا وقال وهب بن منبه فربض الفيل المحمود ليقتدي به بقية الفيلة وكان فيها فيل تشجع فحصب فهربت بقية الفيلة قال عطاء و غيره وليس كلهم اصابه العذاب في الساعة بل منهم من هلك سريعا ومنهم من جعل يتساقط عضوا عضوا وهم هاربون وكان ابرهة ممن يتساقط عضوا عضوا حتى مات ببلاد خثعم قال ابن اسحق فخرجوا يتساقطون بكل طريق و يهلكون على كل منهل و اصيب ابرهة في جسده فخرجوا به معهم تسقط انملة انملة حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعموا و ذكر مقاتل بن سليمان ان قريشا اصابوا مالا جزيلا من اسلابهم و ما كان معهم وان عبد المطلب اصاب يومئذ من الذهب ما ملأ حفرة قال ابن اسحق فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كان فيما يعدد به على قريش من نعمته عليهم و فضله ما رد عنهم عن امر الحبشة لبقاء امرهم و مدتهم فقال تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الى آخره لايلاف قريش ايلافهم الى آخره اي لئلا يغير شيئا من حالهم التي كانوا عليها لما اراد الله بهم من الخير لو قبلوه قال ابن هشام الابابيل الجماعات و لم يتكلم العرب بواحده قال فاما السجيل فهو عند العرب الشديد الصلب قاله يونس النحوي و ابو عبيدة و ذكر بعضهم انهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة و انما هو سنك وكل يعني الحجر و الطين اي الحجارة كانت من هذين الجنسين الحجر و الطين و العصف ورق الزرع الذي لم يقصب واحده عصفة و قال ابن عباس وغيره ابابيل الفرق يتبع بعضها بعضا و قال الحسن وقتادة الابابيل المختلفة ياتي من ههنا ومن ههنا اتتهم من كل مكان وقال بعض النحويين و احد الابابيل ابيل وقيل هي الاقاطيع كالابل المؤبلة وقال ابن عباس كانت لها خراطيم كخراطيم الطير و اكف كاكف الكلاب و قال عكرمة كانت طيرا خضرا خرجت من البحر لها رؤس كرؤس السباع و قيل طير سود بحرية في مناقيرها و اظافيرها الحجارة و قال عطاء هي مثل التي يقال عنقاء المغرب و قال عبيد بن عمير لما اراد الله ان يهلك اصحاب الفيل بعث عليهم طيرا انشئت من البحر امثال الخطاطيف كل طير منها يحمل ثلثة احجار مجزعة حجرين في رجليه وحجرا في منقاره فجاءت حتى صفت على رؤسهم ثم صاحت و القت ما في رجلها و مناقيرها فما يقع حجر على راس رجل الا خرج من دبره و لا يقع على شيء من جسده الا خرج من الجانب الآخر وبعث الله ريحا شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة فاهلكوا جميعا رواهما ابن ابي حاتم و قوله فجعلهم كعصف ماكول قال ابن جبير يعني التبن الذي تسميه العامة هبور او ورق الحنطة وعن ابن عباس العصف القشرة التي على الحبة كالغلاف على الحنطة و المعنى ان الله سبحانه اهلكهم و ردهم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيرا او لم يرجع منهم مخبر الا وهو جريح كما جرى لملكهم ابرهة فانه انصدع صدره عن قلبه حين وصل صنعاء واخبرهم بما جرى لهم ثم مات ثم ملك بعده ابنه يكسوم ثم من بعده اخوه مسروق بن ابرهة ثم خرج سيف بن ذي يزن الحميري الى كسرى فاستغاثه على الحبشة فانفذ معه من جيوشه و قاتلوا معه فرد الله اليه الملك فجاءته وفود العرب للتهنئة وعن عائشة قالت لقد رايت قائد الفيل و سائسه بمكة اعميين مقعدين يستطعمان قاله ابن اسحق و الواقدي عنها وعن اسماء بنت الصديق قالت كانا مقعدين يستطعمان الناس عند اساف ونائلة حتى ذبح المشركون ذبائحهم ومما قيل في قصة الفيل شعر عبد الله بن الزبعرى ∴ تنكلوا عن بطن مكة انها

كانت قديما لا يرام حريمها ∴ لم يخلق الشعرى ليالي حرمت ∴ اذ لا عزيز من الانام يرومها ∴ سائل امير الجيش عنها ما راى ∴ فلسوف ينبي الجاهلين عليمها ∴ ستون الفا لم يؤوبوا ارضهم ∴ بل لم يعش بعد الاياب سقيمها ∴ كانت بها عاد و جرهم قبلهم ∴ والله من فوق العباد يقيمها ∴ و في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ان الله حبس عن مكة الفيل و سلط عليها رسوله و المؤمنين و انه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس الا فليبلغ الشاهد الغائب

تفسير سورة لايلاف وهي مكية

عن ام هاني بنت ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضل الله قريشا بسبع خلال اني فيهم وان النبوة فيهم والحجابة والسقاية فيهم وان الله نصرهم على الفيل وانهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبده غيرهم وان الله انزل فيهم سورة من القرآن ثم تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة لايلاف قريش الى آخرها حديث غريب رواه البيهقي في كتاب الخلافيات والله اعلم بصحتها بسم الله الرحمن الرحيم

لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف

هذه السورة مفصولة عن التي قبلها في المصحف الامام كتبوا بينهما بسم الله الرحمن الرحيم وان كانت متعلقة بما قبلها كما صرح به ابن اسحق وابن زيد لان المعنى عندهما حبسنا عن مكة الفيل و اهلكنا اصحابه لايلاف قريش لائتلافهم و اجتماعهم في بلدهم آمنين وقيل المراد بذلك ما كانوا يالفونه من الرحلة في الشتاء الى اليمن و في الصيف الى الشام في المتاجر وغير ذلك ثم يرجعون الى بلدهم آمنين لعظمتهم عند الناس لكونهم اهل حرم الله من عرفهم اكرمهم هذا حالهم في اسفارهم و في حلتهم في شتائهم وصيفهم و اما في حال اقامتهم في بلدهم فكما قال الله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم و لهذا قال لايلاف قريش ايلافهم وهو بدل من الاول مفسرا و لهذا قال رحلة الشتاء والصيف وقال ابن جرير الصواب ان اللام لام التعجب كانه يقول اعجبوا لايلاف قريش ونعمتي عليهم في ذلك قال وذلك لاجماع المسلمين على انهما سورتان منفصلتان مستقلتان ثم ارشدهم الى شكر هذه النعمة العظيمة فقال فليعبدوا رب هذا البيت اي فليوحدوه بالعبادة كما جعل لهم حرما آمنا و بيتا محرما كما قال تعالى قل انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة التي حرمها الآية و قوله الذي اطعمهم من جوع اي هو رب البيت وهو الذي اطعمهم من جوع و آمنهم من خوف اي تفضل عليهم بالامن من الآفات و العاهات و بالرخص فليفردوه وحده لا شريك له ولا يعبدوا من دونه صنما ولا ندا ولا وثنا و لهذا من استجاب لهذا الامر جمع الله له من امن الدنيا و امن الآخرة ومن عصاه سلبهما منه كما قال تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان الى قوله وهم ظالمون وعن اسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء و الصيف ويحكم يا معشر قريش اعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمكم من جوع وآمنكم من خوف رواه ابن ابي حاتم وذكر البغوي عن ابن عباس انهم كانوا في ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين وكانوا يقتسمون ربحهم بين الفقير والغني حتى كان فقيرهم كغنيهم قال الكلبي واول من حمل السمراء من الشام ورحل اليها الابل هاشم بن عبد مناف و فيه قال الشاعر ∴ قل للذي طلب السماحة و الندى ∴ هلا مررت بآل عبد مناف ∴ هلا مررت بهم تريد قراهم ∴ منعوك من ضر ومن اكفاف ∴ الرائشين وليس يوجد رائش ∴ و القائلين هلم للاضياف ∴ والخالطين غنيهم بفقيرهم ∴ حتى يكون فقيرهم كالكافي ∴ والقائمين بكل وعد صادق ∴ والراحلين برحلة الايلاف ∴ عمرو العلى هشم الثريد لقومه ∴ و رجال مكة مسنتون عجاف ∴ سفرين سنهما له و لقومه ∴ سفر الشتاء و رحلة الاصياف ∴

تفسير سورة الماعون وهي مكية

اي جعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل والمعنى انه اهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامر في رحلتيهم فلا يجترئ احد عليهم
ه كشاف

فان قلت اى فرق بين قوله عن صلوتهم وبين قولك فى صلوتهم قلت معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين او الفسقة الشطار من المسلمين ومعنى فى ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان او حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو فى صلوته فضلا عن غيره ومن ثم اثبت الفقهاء باب سجود السهو فى كتبهم كشاف

اى هل عرفت الذى يكذب بالجزاء والحساب وينكر البعث من هو ان لم تعرفه فذلك الذى يكذب بالجزاء هو الذى يدع

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم ارايت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذينهم عن صلوتهم ساهون الذينهم يراؤن ويمنعون الماعون يعنى ارايت يا محمد الذى يكذب بالدين وهو المعاد والجزاء والثواب فذلك الذى يدع اليتيم اى يقهره ويدفعه عن حقه والدع الدفع بالعنف كما قال تعالى كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين اى لا يامر باطعامه ولا يحث على ذلك ثم قال فويل للمصلين الذينهم عن صلوتهم ساهون قال ابن عباس وغيره يعنى المنافقين الذين يصلون فى العلانية ولا يصلون فى السر ولهذا قال للمصلين اى الذين هم من اهل الصلوة وقد التزموا بها ثم هم عنها ساهون اما عن فعلها بالكلية كما قاله ابن عباس واما عن فعلها فى الوقت المقدر له شرعا فيخرجها عن وقتها بالكلية كما قاله مسروق وغيره الحمد لله الذى قال عن صلوتهم ساهون ولم يقل فى صلوتهم ساهون واما عن وقتها الاول فيؤخرونها الى آخره دائما او غالبا واما عن ادائها باركانها وشروطها على الوجه المامور به واما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها فاللفظ هنا يشمل كله ولكل من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم نصيبه منها وكمل له النفاق العملى كما فى الصحيحين عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تلك صلوة المنافق تلك صلوة المنافق تلك صلوة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى اذا كانت بين قرنى شيطان قام فنقر اربعا لا يذكر الله فيها الا قليلا فهذا اخر صلوة العصر التى هى الوسطى كما ثبت به النص الى آخر وقتها وهو وقت كراهة ثم قام اليها فنقرها نقر الغراب بلا طمانينة ولا خشوع ولهذا قال ولا يذكرون الله الا قليلا ولعله انما حمله على القيام اليها مراءاة للناس لا ابتغاء وجه الله فهو كما اذا لم يصل بالكلية قال تعالى واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وقال ههنا الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع الناس بعمله سمع الله به اسامع خلقه وحقره وصغره رواه احمد والبيهقى ومما يتعلق بهذه الآية ان من عمل عملا فاطلع عليه الناس فاعجبه ذلك ان هذا لا يعد رياء بدليل ما روى عن ابى هريرة قال كنت اصلى فدخل على رجل فاعجبنى ذلك فذكرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كتب لك اجران اجر السر واجر العلانية رواه الحافظ ابو يعلى الموصلى قال ابن المبارك نعم الحديث للمرائين وفى رواية عن ابى هريرة قال رجل يا رسول الله الرجل يعمل العمل يسره فاذا اطلع عليه اعجبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم له اجران اجر السر واجر العلانية رواه الترمذى وغيره وعن سعد بن ابى وقاص قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلوتهم ساهون قال هم الذين يوخرون الصلوة عن وقتها رواه ابن جرير وتاخير الصلوة عن وقتها او تركها بالكلية او صلاها بعد وقتها او تاخرها عن اول الوقت قال البيهقى والحاكم الصحيح انه موقوف وقوله ويمنعون الماعون اى لا احسنوا عبادة ربهم ولا احسنوا الى خلقه حتى ولا باعارة ما ينتفع به من الاثاث وما يستعان به من الآلات مع بقاء العين لهم والرد عليهم قال على وغير واحد الماعون الزكوة وقال الحسن ان صلى رايا وان فاته لم ياس عليها ويمنع زكوة ماله وسئل ابن مسعود عن الماعون قال هو ما يتعاطاه الناس بينهم من الفاس والقدر والدلو واشباه ذلك مما لا يستغنى عنه كما رواه ابو داود والنسائى عن عبد الله بن مسعود قال كل معروف صدقة كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية القدر والدلو وقال مجاهد وغيره انها العارية للامتعة وقال عكرمة راس الماعون زكوة المال وادناه المنخل والدلو والابرة رواه ابن ابى حاتم وهذا الذى قاله عكرمة حسن فانه يشمل الاقوال كلها وترجع كلها الى شيء واحد وهو ترك المعاونة بمال او منفعة ولهذا قال القرظى الماعون المعروف وذكرا فى الآثار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اخو المسلم اذا لقيه حياه بالسلام ويرد عليه بما هو خير منه لا يمنع الماعون قيل يا رسول الله ما الماعون قال الحجر والحديد والماء واشباه ذلك والمراد بالحجر البرمة وبالحديد القدر وما ينتفع به الناس من الآلات والحديث غريب جدا والله اعلم

تفسير سورة الكوثر وهى مدنية وقيل مكية

بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر عن انس بن مالك قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا فى المسجد اذ اغفى اغفاءة ثم رفع راسه متبسما قلنا ما اضحكك يا رسول الله قال انزلت على آنفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربى عز وجل عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه امتى يوم القيمة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من امتى فيقول انك لا تدرى ما احدث بعدك رواه مسلم وقد استدل كثير من القراء على ان هذه السورة مدنية وكثير من الفقهاء على ان البسملة من السورة وانها منزلة معها فاما تفسير انا اعطيناك الكوثر فقد مر آنفا انه نهر فى الجنة وعن انس ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت الكوثر فاذا هو نهر يجرى ولم يشق شقا واذا حافتاه قباب اللؤلؤ فضربت بيدى الى تربته فاذا مسكة ذفرة واذا حصاه اللؤلؤ رواه احمد وفى رواية عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فاذا انا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدى الى ما يجرى فيه الماء فاذا مسك اذفر قلت ما هذا يا جبرئيل قال هذا الكوثر الذى اعطاكه الله رواه احمد وفى الصحيحين مثله وعن انس ايضا ان رجلا قال يا رسول الله ما الكوثر قال نهر فى الجنة اعطانيه ربى لهو اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيه طيور اعناقها كاعناق الجزر قال عمر يا رسول الله انها لناعمة قال آكلها انعم يا عمر رواه احمد والترمذى وابن جرير وقال ابن عباس الكوثر نهر فى الجنة حافتاه ذهب وفضة يجرى على الياقوت والدر ماؤه ابيض من الثلج واحلى من العسل وعن ابن عمر نحوه رواه ابن جرير وكذا رواه الترمذى موقوفا واصل حديث الكوثر كما سبق متواتر عند ائمة الحديث يفيد القطع وكذلك احاديث الحوض وقد روى كثيرون من السلف ان الكوثر نهر فى الجنة وقال عطاء هو حوض فى الجنة وقوله فصل لربك وانحر اى كما اعطيناك الخير الكثير فى الدنيا والآخرة ومن ذلك النهر الذى سبق ذكره فاخلص لربك صلوتك المكتوبة والنافلة ونحرك فاعبده وحده لا شريك له وانحر على اسمه وحده لا شريك له كما قال تعالى قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين قال ابن عباس وغير واحد يعنى بذلك نحر البدن ونحوها وقيل المراد وضع اليد اليمنى على اليسرى تحت النحر وقال ابو جعفر الباقر يعنى ارفع اليدين عند افتتاح الصلوة وقيل اى استقبل بنحرك القبلة ذكر هذه الاقوال الثلثة ابن جرير وقال عطاء اى ارفع صلبك بعد الركوع واعتدل وابرز نحرك يعنى به الاعتدال رواه ابن ابى حاتم والصحيح القول الاول ان المراد بالنحر ذبح المناسك ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى يوم العيد ثم ينحر نسكه ويقول من صلى صلوتنا ونسك نسكنا فقد اصاب النسك وفى الصحيحين نحوه وعن ابن عمر قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يذبح وينحر بالمصلى رواه البخارى وقوله ان شانئك هو الابتر اى ان مبغضك يا محمد ومبغض ما جئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين هو الابتر الاقل الاذل المنقطع ذكره قال ابن عباس وغير واحد نزلت فى العاص بن وائل وذلك انه كان اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دعوه فانه رجل ابتر لا عقب له فاذا هلك انقطع ذكره فانزل الله هذه

اغفيت اغفاءة
نمت

روى الدارقطنى وغيره عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطانى نهرا يقال له الكوثر فى الجنة لا يدخل احد اصبعيه فى اذنيه الا سمع خرير ذلك النهر قالت فقلت يا رسول الله وكيف ذلك قال ادخلى اصبعيك فى اذنيك وشدى فالذى تسمعين فيها من خرير الكوثر وهو النهر خاص للنبى صلى الله عليه وسلم يتشعب منه جميع انهار الجنة

[illegible]

السورة وعن ابن عباس ايضا انها نزلت في كعب بن الاشرف وجماعة من كفار قريش وقال قدم كعب بن الاشرف مكة فقالت له قريش انت سيدهم الا ترى الى هذا المصنبي المتبتر من قومه يزعم انه خير منا ونحن اهل الحجيج واهل السدانة واهل السقاية فقال انتم خير منه فنزلت ان شانئك هو الابتر رواه الحافظ البزار وهذا يعم جميع من اتصف بذلك ممن ذكر وغيرهم وقال عكرمة الابتر الفرد وقال السدي اذا مات ذكور الرجل قالوا بتر فلما مات ابناء رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ابتر محمد فانزل الله ان شانئك هو الابتر وهذا كما سبق ان الابتر الذي اذا مات انقطع ذكره فتوهموا بجهلهم اذا مات بنوه ينقطع ذكره وحاشا وكلا بل قد ابقى الله ذكره على رؤس الاشهاد واوجب شرعه على رقاب العباد مستمرا على دوام الآباد الى يوم الحشر والمعاد صلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم التناد **تفسير سورة قل يا ايها الكافرون وهي مكية** عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا بهذه السورة وبقل هو الله احد في ركعتي الطواف وعن ابي هريرة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا بهما في ركعتي الفجر والركعتين بعد المغرب بضعا وعشرين مرة او بضع عشرة مرة قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وفي رواية اربعا وعشرين او خمسا وعشرين مرة رواه احمد وفي رواية عنه قال رمقت النبي صلى الله عليه وسلم شهرا فكان يقرا في الركعتين قبل الفجر بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد رواه احمد والنسائي والترمذي وحسنه وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل هو الله احد تعدل ثلث القرآن وقل يا ايها الكافرون تعدل ربع القرآن رواه الترمذي وعن فروة بن نوفل قال قلت يا رسول الله علمني شيئا اقوله عند منامي قال اذا اخذت مضجعك من الليل فاقرا قل يا ايها الكافرون فانها براءة من الشرك رواه احمد **بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين** هذه سورة البراءة من الشرك في العمل وهي آمرة بالاخلاص فيه فقوله قل يا ايها الكافرون شمل كل كافر على وجه الارض ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قريش وقيل انهم من جهلهم دعوا رسول الله الى عبادة اوثانهم سنة ويعبدون معبوده سنة فانزل الله هذه السورة وامر رسوله عليه الصلوة والسلام ان يتبرا من دينهم بالكلية فقال لا اعبد ما تعبدون يعني من الاصنام والانداد ولا انتم عابدون ما اعبد وهو الله وحده لا شريك له فما ههنا بمعنى من ثم قال ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد اي ولا اعبد عبادتكم ولا اقتدي بها وانما اعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه ولهذا قال ولا انتم عابدون ما اعبد اي لا تقتدون باوامر الله في عبادته بل اخترعتم شيئا من تلقاء انفسكم كما قال ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى فتبرا منهم في جميع ما هم فيه فان العابد لا بد له من معبود يعبده وعبادة يسلكها اليه فالرسول عليه الصلوة والسلام واتباعه يعبدون الله بما شرعه ولهذا كان كلمة الاسلام لا اله الا الله محمد رسول الله اي لا مقصود الا الله ولا طريق اليه الا بما جاء به الرسول عليه الصلوة والسلام لكم دينكم ولي دين كما قال تعالى وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون وقال لنا اعمالنا ولكم اعمالكم وقال البخاري يقال لكم دينكم الكفر ولي دين الاسلام ولم يقل ديني لان الايات بالنون فحذف الياء كما قال فهو يهدين ويشفين وقال غيره لا اعبد ما تعبدون الآن ولا اجيبكم فيما بقي من عمري ولا انتم عابدون ما اعبد وهم الذين قال وليزيدن كثيرا مما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا وعن بعض اهل العربية ان ذلك من باب التاكيد كقوله ان مع العسر يسرا ان مع العسر

والمشركون يعبدون غير الله وعبادة لم يأذن بها الله ولهذا قال لهم الرسول عليه الصلوة والسلم

[illegible]

يسرا وكقوله لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين وقيل المراد بقوله لا اعبد ما تعبدون نفي الفعل لانها جملة فعلية ولا انا عابد ما عبدتم نفي قبوله لذلك بالكلية لان النفي بالجملة الاسمية آكد فكانه نفى الفعل وكونه قابلا لذلك ومعناه نفي الوقوع ونفي الامكان الشرعي ايضا وهو قول حسن ايضا وقد استدل الامام الشافعي وغيره بهذه الآية ان الكفر كله ملة واحدة فورث اليهودي من النصراني وبالعكس اذا كان بينهما نسب او سبب يتوارث به لان الاديان ما عدا الاسلام كلها كالشيء الواحد في البطلان وذهب احمد ومن وافقه الى عدم توريث النصارى من اليهود وبالعكس بحديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتوارث اهل ملتين شتى والله اعلم **تفسير سورة اذا جاء نصر الله والفتح وهي مدنية** عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من اصحابه هل تزوجت يا فلان قال لا والله يا رسول الله ولا عندي ما اتزوج قال اليس معك قل هو الله احد قال بلى قال ثلث القرآن قال اليس معك اذا جاء نصر الله والفتح قال بلى قال ربع القرآن قال اليس معك قل يا ايها الكافرون قال بلى قال ربع القرآن قال اليس معك اذا زلزلت الارض قال بلى قال ربع القرآن تزوج تفرد به الترمذي وحسنه وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال قال لي ابن عباس يا ابن عتبة اتعلم آخر سورة من القرآن نزلت قلت نعم اذا جاء نصر الله والفتح قال صدقت رواه النسائي وعن ابن عمر قال انزلت هذه السورة آخر ايام التشريق فعرف انه الوداع فامر براحلته القصواء فرحلت ثم قام فخطب الناس خطبته المشهورة رواه الحافظ البزار والبيهقي فبهذا التقدير تكون السورة مكية وعن ابن عباس لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وقال انه نعيت الي نفسي فبكت ثم ضحكت وقالت اخبرني انه نعيت اليه نفسه فبكيت ثم قال اصبري فانك اول اهلي لحاقا بي فضحكت رواه البيهقي والنسائي مختصرا **بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا** عن ابن عباس قال كان عمر يدخلني مع اشياخ بدر فكان بعضهم وجد في نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا ابناء مثله فقال عمر انه ممن علمتم فدعاهم ذات يوم فادخله معهم فما رايت انه دعاني فيهم يومئذ الا ليريهم فقال ما تقولون في قول الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح فقال بعضهم امرنا ان نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لي اكذاك تقول يا ابن عباس فقلت لا فقال ما تقول فقلت هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه له فقال اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة اجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر بن الخطاب لا اعلم منها الا ما تقول رواه البخاري وقال ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيت الي نفسي فانه مقبوض في تلك السنة رواه احمد وبه قال مجاهد وغير واحد انها اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم نعي اليه وعن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح حتى ختم السورة قال نعيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه حين نزلت قال فاخذ باشد ما كان قط اجتهادا في امر الآخرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الفتح ونصر الله وجاء اهل اليمن فقال رجل يا رسول الله وما اهل اليمن قال قوم رقيقة قلوبهم لينة قلوبهم الايمان يمان والفقه يمان رواه النسائي والطبراني ولابن جرير نحوه فالذي فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر رضي الله عنهم من انه قد امرنا اذا فتح الله علينا المدائن والحصون ان نحمد الله ونشكره يعني نصلي له ونستغفره معنى مليح صحيح وقد ثبت له شاهد من صلوة النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وقت الضحى ثماني ركعات فقال قائلون هي صلوة الضحى

واجيبوا بانه لم يكن يواظب عليها فكيف صلاها ذلك اليوم وقد كان مسافرا لم ينو الاقامة بمكة ولهذا اقام فيها الى آخر شهر رمضان قريبا من تسع عشر يوما يقصر الصلوة و يفطر هو وجميع الجيش وكانوا نحوا من عشرة آلاف قال هؤلاء انما كانت صلوة الفتح فتستحب لامير الجيش اذا فتح بلدا ان يصلي فيه اول ما يدخل ثماني ركعات و هكذا فعل سعد بن ابي وقاص يوم فتح المداين ثم قال بعضهم فصلّيها كلها بتسليمة واحدة والصحيح انه يسلم عن كل ركعتين كما ورد في سنن ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين واما ما فسره ابن عباس وعمر رضي الله عنهم من ان هذه السورة نعي فيها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم روحه الكريمة واعلم انك اذا فتحت مكة وهي قريتك التي اخرجت منها فادخل الناس في دين الله افواجا فقد فرغ شغلنا بك في الدنيا فتهيأ للقدوم علينا والوفود الينا فالآخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى ولهذا قال فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن رواه البخاري واكثر اصحاب السنن وعنها ايضا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر في آخر امره من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه وقال ان ربي اخبرني اني سأرى علامة في امتي وامرني اذا رأيتها ان اسبح بحمده واستغفره انه كان توابا فقد رأيتها اذا جاء نصر الله والفتح الى آخر السورة رواه مسلم وعن ابن مسعود قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاء نصر الله والفتح كان يكثر اذا قرأها وركع ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي انك انت التواب الرحيم تفرد به احمد والمراد بالفتح ههنا فتح مكة قولا واحدا فان احياء العرب كانت تتلوم باسلامها فتح مكة يقولون ان ظهر على قومه فهو نبي فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله افواجا فلم يمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب في سائر القبائل الا مظهر الاسلام وعن عمرو بن سلمة قال لما كان الفتح بادر كل قوم باسلامهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الاحياء تتلوم باسلامها فتح مكة يقولون دعوه وقومه فان ظهر عليهم فهو نبي الحديث رواه البخاري وعن جابر لجابر بن عبد الله قال قدمت من سفر فجاء جابر بن عبد الله يسلم علي فجعلت احدثه عن افتراق الناس وما احدثوا فجعل جابر يبكي ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس يدخلون في دين الله افواجا وسيخرجون افواجا رواه احمد

تفسير سورة تبت وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى البطحاء فصعد الجبل فنادى يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش فقال ارأيتم ان حدثتكم ان العدو مصبحكم او ممسيكم اكنتم تصدقوني قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب الهذا جمعتنا تبا لك فانزل الله تبت يدا ابي لهب وتب رواه البخاري والاول دعاء عليه والثاني خبر عنه وابو لهب هذا احد اعمام النبي صلى الله عليه وسلم واسمه عبد العزى بن عبد المطلب وكنيته ابو عتبة وانما سمي ابا لهب لاشراق وجهه وكان كثير الاذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والبغض له والازدراء به والتنقص له ولدينه وعن ربيعة بن عباد الديلي وكان جاهليا فاسلم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضيء الوجه احول ذو غديرتين يقول انه صابئ كاذب يتبعه حيث ذهب فسألت عنه فقال هذا عمه ابو لهب تفرد به احمد فقوله تعالى تبت يدا ابي لهب اي خسرت وخابت وضل عمله وسعيه وتب اي وقد تب تحقق خسارته وهلاكه

ابو لهب اي كان كذا
وحصل ٥

والتباب الخسران المودي الى الهلاك
والمعنى خسرت يداه وهلكت
والمراد هلاك جملته كما عادة
العرب في التعبير ببعض الشيء
عن كله وقيل الاول
وملكه ٥

صاحبيه
جبهة و
صنتوا اي
ال الي الجمل
والفتوه ٥

الغديرة واحدة الغدائر
وهي الذوائب ٥ ص

ووزن اغنى

وقوله ما اغنى عنه ماله وما كسب قال ابن عباس وغير واحد وما كسب يعني ولده اي ما دفع عنه عذاب الله ما جمع من المال والولد لان ولد الانسان من كسبه قال ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا قومه الى الايمان قال ابو لهب ان كان ما تقول حقا فاني افتدي نفسي يوم القيمة من العذاب بمالي وولدي فانزل الله ما اغنى عنه ماله وما كسب وقوله سيصلى نارا ذات لهب اي ذات شرر ولهب وحريق شديد وامرأته حمالة الحطب اي كانت زوجته من سادات نساء قريش وهي ام جميل واسمها اروى بنت حرب بن امية اخت ابي سفيان وكانت عونا لزوجها على كفره وجحوده وعناده فلهذا تكون يوم القيمة عونا عليه في عذابه في نار جهنم ولهذا قال حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد يعني تحمل الحطب تلقي على زوجها لتزداد على ما هو فيه وهي مهيأة لذلك مستعدة له في جيدها حبل من مسد قال مجاهد وعروة اي من نار وقالوا وكانت تمشي بالنميمة واختاره ابن جرير قال ابن عباس وغيره كانت تضع الشوك في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر وكانت تحتطب فعيرت بذلك والصحيح الاول قال ابن المسيب كانت لها قلادة فاخرة فقالت لانفقنها على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم فاعقبها الله منها حبلا في جيدها من مسد النار والمسد الليف وحبله او من خوص وقد تكون من جلود الابل واوبارها قاله الجوهري وقال عروة المسد سلسلة ذرعها سبعون ذراعا قال الثوري هو قلادة من نار طولها سبعون ذراعا وقال مجاهد اي طوق من حديد الا ترى ان العرب يسمون البكرة مسدا وعن اسماء بنت ابي بكر قالت لما نزلت تبت يدا ابي لهب اقبلت العوراء ام جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول مذمما ابينا ودينه قلينا وامره عصينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد ومعه ابو بكر فلما رآها ابو بكر قال يا رسول الله انها قد اقبلت وانا اخاف ان تراك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لن تراني وقرأ قرآنا اعتصم به كما قال تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا فاقبلت حتى وقفت على ابي بكر ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اني اخبرت ان صاحبك هجاني قال لا ورب هذا البيت ما هجاك فولت وهي تقول قد علمت قريش اني بنت سيدها رواه ابن ابي حاتم وفي رواية الحافظ البزار عن ابن عباس لما نزلت تبت يدا ابي لهب جاءت امرأة ابي لهب ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه ابو بكر فقال له ابو بكر لو تنحيت لا تؤذيك بشيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيحال بيني وبينها فاقبلت حتى وقفت على ابي بكر فقالت يا ابا بكر هجانا صاحبك فقال ابو بكر لا ورب هذا البيت ما ينطق بالشعر ولا يتفوه به فقالت انك لمصدق فلما ولت قال ابو بكر ما رأتك قال لا ما زال ملك يسترني حتى ولت وقال بعضهم اي في عنقها حبل من نار جهنم يرفع به الى شفيرها ثم يرمى بها الى اسفلها ثم كذلك دائما وعبر بالمسد عن حبل الدلو كما قال ابو حنيفة الدينوري في كتاب النبات كل مسد رشا وانشد في ذلك وبكرة ومحورا صرارا ومسدا من ابق مغارا والابق القنب قال العلماء وفي هذه السورة معجزة ظاهرة بانه منذ نزلت سيصلى نارا ذات لهب الى آخرها اخبر عنهما بالشقاء وعدم الايمان ولم يقيض لهما ان يؤمنا ولا واحد منهما لا ظاهرا ولا باطنا ولا سرا ولا علنا فكان هذا من اقوى الادلة على النبوة الظاهرة

تفسير سورة الاخلاص وهي مكية

وسبب نزولها ما روى ابي بن كعب ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد انسب لنا ربك فانزل الله قل هو الله احد الله الصمد الى آخرها رواه احمد والترمذي وابن جرير وزادوا والترمذي الصمد الذي لم يلد ولم يولد لانه ليس شيء يولد الا سيموت وليس شيء يموت الا سيورث وان الله لا يموت ولا يورث

والمعنى الذي سألتموني وصفه هو الله احد والاحد الواحد

الصمد فعل بمعنى مفعول اي الذي يصمد اليه في الحوائج اي قصد والمعنى هو الله تعرفونه وتقرون به انه خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد متوحد بالالهية لا يشاركه فيها غيره وهو الذي يصمد اليه في الحوائج لا يستغني عنه احد من المخلوقين وهو الغني عن جميعهم لم يلد لانه لا يجانس حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا ولم يولد لان كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا اول لوجوده وليس بجسم ولم يكن له كفوا اي شكلا ومثلا احدا اي لم يكافئه احد ولم يماثله وقرنت السورة محتوية على صفاته عز اسمه لان قوله هو الله اشارة لهم الى من هو خالق الاشياء ومنشئها وفي ضمن ذلك وصفه بانه قادر عالم لان الخلق والانشاء لا يصح الا من قادر عالم لوقوعه على غاية الاحكام والاتساق والانتظام

رفعت امرأته عطفا على الضمير في سيصلى اي سيصلى
هو وامرأته [illegible] على الحال
او امرأته مبتدا وخبرها في جيدها وحمالة الحطب
قرئ بالرفع على الوصف والنصب على
الذم ٥

يعني الحبل الذي فتل فتلا
شديدا [illegible]

العقد الحجر علا الكف وكرو ونت
وجمع افناد سو ٤٦٥

[illegible]

ولم يكن له كفوًا احد ولم يكن له شبيه ولا عدل وعن ابن مسعود وجابر مثله في السبب وعن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لكل شي نسبة ونسبة الله قل هو الله احد الله الصمد والصمد ليس باجوف رواه الطبراني واما فضلها
ففي الصحيحين عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية وكان يقرا لاصحابه في صلوتهم فيختم بقل هو الله
احد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لاي شي يصنع ذلك فسالوه فقال لانها صفة الرحمن وانا
احب ان اقرا بها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخبروه ان الله يحبه وعن انس قال كان رجل من الانصار يؤمهم في مسجد
قباء فكان كلما افتتح سورة فقرا بها لهم في الصلوة مما يقرا به افتتح بقل هو الله احد حتى يفرغ منها ثم يقرا سورة اخرى
معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلمه اصحابه فقالوا انك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى انها يجزئك حتى تقرا بالاخرى
فاما ان تقرا بها واما ان تدعها وتقرا باخرى فقال ما انا بتاركها ان احببتم ان اؤمكم بذلك فعلت وان كرهتم تركتكم
وكانوا يرون انه من افضلهم وكرهوا ان يؤمهم غيره فلما اتاهم النبي صلى الله عليه وسلم اخبروه الخبر فقال يا فلان
ما يمنعك ان تفعل ما يامرك به اصحابك وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة قال اني احبها قال حبك اياها ادخلك
الجنة رواه البخاري وعن انس قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني احب هذه السورة قل هو الله احد
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك اياها ادخلك الجنة رواه احمد والترمذي وعن ابي سعيد ان رجلا سمع رجلا يقرا
قل هو الله احد يرددها فلما اصبح جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن رواه البخاري وعنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه و
سلم لاصحابه ايعجز احدكم ان يقرا ثلث القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم فقالوا اينا يطيق ذلك يا رسول الله فقال قل هو الله احد
الله الصمد ثلث القرآن تفرد به البخاري وفي رواية لاحمد عنه ايضا انه عليه الصلوة والسلام قال والذي نفسي بيده انها
لتعدل نصف القرآن وثلثه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احشدوا اجمعوا فاني ساقرا عليكم ثلث القرآن
فحشد من حشد ثم خرج نبي الله فقرا قل هو الله احد ثم دخل فقال بعضنا لبعض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني
ساقرا عليكم ثلث القرآن اني لارى هذا خبرا من السماء ثم خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال اني قلت ساقرا عليكم
ثلث القرآن الا وانها لتعدل ثلث القرآن رواه مسلم وعن ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايعجز احدكم
ان يقرا كل يوم ثلث القرآن قالوا نعم نحن اضعف عن ذلك واعجز قال فان الله جزء القرآن ثلثة اجزاء فقل هو الله احد
ثلث القرآن رواه مسلم والحديث انها تعدل من ثلث القرآن طرق كثيرة وروايات متعددة في الصحاح والسنن والمسانيد
بحيث يقرب الى التواتر وعن ابي هريرة قال اقبلت مع النبي صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرا قل هو الله احد فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجبت قلت وما وجبت قال الجنة رواه مالك والنسائي والترمذي وصححه وعن تميم الداري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله واحدا احدا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له كفوا احد عشر مرات
كتب له اربعين الف حسنة تفرد به احمد وعن معاذ بن انس الجهني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا قل هو الله
احد حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرا في الجنة فقال عمر اذا نستكثر يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الله اكثر واطيب رواه احمد والدارمي وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا كل يوم مائتي مرة
قل هو الله احد محي عنه ذنوب خمسين سنة الا ان يكون عليه دين رواه الترمذي وقال بهذا الاسناد عن النبي صلى الله
عليه وسلم من اراد ان ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرا قل هو الله احد مائة مرة فاذا كان يوم القيامة يقول له الرب

عبدي

يا عبدي ادخل عن يمينك الجنة وعن بريدة انه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فاذا رجل يصلي يدعو
يقول في دعائه اللهم اني اسئلك باني اشهد ان لا اله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا
احد قال والذي نفسي بيده لقد ساله باسمه الاعظم الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي به اجاب رواه النسائي
وبقية اصحاب السنن وحسنه الترمذي وعن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا قل هو الله
احد حين يدخل منزله نفت الفقر عن ذلك المنزل رواه ابو القسم الطبراني وعن انس قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه
وسلم فقال معوية بن معوية الليثي فتحب ان تصلي عليه قال نعم فضرب بجناحه الارض فلم تبق شجرة ولا اكمة الا ت
تضعضعت فرفع سريره فنظر اليه فكبر عليه وخلفه صفان من الملائكة في كل صف سبعون الف ملك فقال النبي صلى الله عليه
وسلم يا جبريل بما نال هذه المنزلة من الله قال بحبه قل هو الله احد وقراءته اياها ذاهبا وجائيا وقائما وقاعدا وعلى كل
حال رواه البيهقي في دلائل النبوة وابو يعلى الموصلي في مسنده وعن عقبة بن عامر قال لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فابتدأته فاخذت بيده فقلت يا رسول الله ما نجاة المؤمن قال يا عقبة اخرس لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك
قال ثم لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأني فاخذ بيدي فقال يا عقبة بن عامر الا اعلمك خير ثلاث سور انزلت في
التورية والانجيل والزبور والفرقان العظيم قال قلت بلى جعلني الله فداك قال فاقراني قل هو الله احد و
قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم قال يا عقبة لا تنساهن ولا تبيت ليلة حتى تقراهن قال فما نسيتهن
منذ قال فلا انساهن وما بت ليلة قط حتى اقراهن قال ثم لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأته فاخذت
بيده فقلت يا رسول الله اخبرني بفواضل الاعمال فقال يا عقبة صل من قطعك واعط من حرمك واعرض عمن ظلمك
تفرد به احمد وروى الترمذي بعضه في الزهد وحسنه وعن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اوى الى فراشه
كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرا فيهما قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع
من جسده يبدا بهما على راسه ووجهه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلث مرات رواه البخاري واهل السنن والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد

ولم يكن له كفوا احد قال عكرمة لما قالت اليهود نحن نعبد عزيرا ابن الله وقالت النصارى نحن نعبد المسيح ابن الله
وقالت المجوس نحن نعبد الشمس والقمر وقالت المشركون نحن نعبد اللات والعزى انزل الله على رسوله صلى الله
عليه وسلم قل هو الله احد الله يعني هو الواحد الاحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا شبيه ولا عديل ولا يطلق هذا اللفظ
احد في الاثبات الا على الله تعالى لانه الكامل في جميع صفاته وافعاله وقوله الله الصمد قال ابن عباس يعني الذي
يصمد الخلائق اليه في حوائجهم وعنه هو السيد الذي قد كمل في سؤدده والشريف الذي قد كمل في شرفه والعظيم
الذي قد كمل في عظمته والحليم الذي قد كمل في حلمه والعليم الذي قد كمل في علمه والحكيم الذي قد كمل في حكمته وهو
الذي قد كمل في انواع الشرف والسؤدد وعن ابن مسعود مثله وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغي الا له ليس له
كفو وليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار وقال قتادة والحسن الصمد الحي القيوم الذي لا زوال له وهو
الباقي بعد خلقه وقال الربيع بن انس هو الذي لم يلد ولم يولد فجعل ما بعده تفسيرا له وهو جيد صحيح فيه وعن
ابن مسعود وابن عباس وخلائق الصمد المصمت الذي لا جوف له الصمد نور يتلالا
وفي كتاب السنة له بعد ايراده كثيرا من الاقوال في تفسير الصمد وكل هذه صحيحة وهي صفات ربنا عز وجل وهو الصمد الذي

نفثت القدر تنفث نفثا
اذا كانت ترمي مثل السهام
من الغلي [illegible]

الاحد الذي لا يركب [illegible]
والواحد الذي لا [illegible]
[illegible]
الفرق بين الواحد والاحد ان الاحد [illegible]
[illegible]

يصمد اليه في الحوائج وهو الذي قد انتهى سودده وهو الذي لا جوف له ولا ياكل ولا يشرب وهو الباقي بعد خلقه و
قال البيهقي نحو ذلك ايضا وقوله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد اي ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة وهذا كما
قال تعالى بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء اي هو مالك كل شيء وخالقه فكيف يكون له
من خلقه نظير يساميه او قريب يدانيه تعالى وتقدس وتنزه قال الله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا
الى قوله فردا وقال وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون الاية وفي الصحيحين عن ابي موسى الاشعري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احد اصبر على اذى يسمعه من الله يدعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني
كما بداني وليس اول الخلق باهون علي من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم الد
ولم اولد ولم يكن لي كفوا احد وفي رواية ابن عباس واما شتمه اياي فقوله لي ولد فسبحاني ان اتخذ صاحبة او ولدا رواه
البخاري والله اعلم **تفسير سورتي المعوذتين وهما مدنيتان** عن زر بن حبيش قال قلت لابي بن كعب ان
ابن مسعود لا يكتب المعوذتين في مصحفه فقال اشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرني ان جبريل قال له قل اعوذ برب الفلق
فقلتها فنحن نقول ما قال النبي صلى الله عليه وسلم رواه احمد وعن زر قال سالت ابي بن كعب فقلت يا ابا المنذر ان اخاك
ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال اني سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قيل لي فقلت فنحن نقول كما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم رواه البخاري وهذا مشهور عند كثير من القراء والفقهاء ان ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه فلعله لم
يسمعها من النبي صلى الله عليه وسلم فلم تتواتر عنده ثم لعله قد رجع عن قوله ذلك الى قول الجماعة فان الصحابة رضي الله عنهم اثبتوهما
في المصاحف الائمة ونفذوها الى سائر الآفاق والاقطار كذلك ولله الحمد والمنة وروى مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم تر آيات انزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب
الناس رواه احمد والنسائي والترمذي وصححه وعن عقبة بن عامر قال انا اقود برسول الله صلى الله عليه وسلم في نقب من تلك
النقاب اذ قال لي يا عقبة بن عامر قلت لبيك يا رسول الله قال الا اعلمك سورتين قلت بلى
يا رسول الله فاقرأني قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم اقيمت الصلوة فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأهما
ثم مر بي فقال كيف رايت يا عقيبة اقراهما كلما نمت وكلما قمت رواه احمد وابو داود والنسائي وعن عقبة ايضا قال
امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقرأ المعوذات في دبر كل صلوة رواه احمد وابو داود والترمذي والنسائي وعن عقبة
ايضا قال كنت امشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عقيبة قل فقلت ماذا اقول فسكت عني ثم قال قل فقلت ماذا
اقول يا رسول الله فقال قل اعوذ برب الفلق فقراتها حتى اتيت على آخرها ثم قال قل فقلت ماذا اقول يا رسول الله قال
قل اعوذ برب الناس فقراتها حتى اتيت على آخرها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سال سائل بمثلها ولا استعاذ
مستعيذ بمثلها رواه النسائي وعن جابر بن عبد الله قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ يا جابر قلت وما اقرأ
بابي انت وامي قال اقرأ قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق وقل اعوذ برب الناس فقراتهما فقال اقرأ بهما ولن تقرأ بمثلهما
رواه النسائي وقد سبق في سورة الاخلاص حديث عقبة بن عامر في فضله قل هو الله احد والمعوذتين وعن ابن عابس
الجهني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا ابن عابس الا ادلك او الا اخبرك بافضل ما يتعوذ المتعوذون قال بلى يا رسول الله
قال قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس هاتان السورتان وما روى عقبة في المعوذتين بطرق قد نقلها الائمة كالمتواتر

قال قل اعوذ برب
الناس فقلتها م

عنه يفيد

عنه يفيد القطع عند كثير من المحققين في الحديث وقد سبق حديث عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بهن
عند منامه وينفث في كفيه ويمسح بهما راسه ووجهه وما اقبل من جسده وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ
على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت اقرأ عليه وامسح بيده عليه رجاء بركتها رواه البخاري وسبق عن
عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من اعين الجان وعين الانسان فلما نزلت المعوذتان اخذ بهما
وترك ما سواهما رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه **بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ
برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن
شر حاسد اذا حسد** قال ابن عباس وجابر وغير واحد الفلق الصبح وقال ابن جرير هو كقوله فالق الاصباح
وقال الضحاك الفلق الخلق امر الله رسوله ان يتعوذ من الخلق كله وقال كعب الاحبار الفلق بيت في جهنم اذا فتح صاح
جميع اهل النار من شدة حره وفي رواية عن ابن عباس وعمرو بن عبسة وغير واحد الفلق جب في قعر جهنم عليه غطاء فاذا
كشف عنه خرجت منه نار تضج منه من شره مما يخرج منه والصواب القول الاول انه فلق الصبح وهو اختيار البخاري وقوله من شر ما خلق
اي من شر جميع المخلوقات وقال ثابت والحسن جهنم وابليس وذريته مما خلق ومن شر غاسق اذا وقب قال ابن عباس
الغاسق الليل اذا اقبل بظلمته من المشرق ودخل في كل شيء واظلم والغسق الظلمة وقال مجاهد غاسق اذا وقب
غروب الشمس حكاه البخاري عنه وقال الحسن وغير واحد انه الليل اذا اقبل بظلامه وقال الزهري اذا وقب غرب
وذهب وعن ابي هريرة اذا وقب كوكب وقال ابن زيد كانت العرب تقول الغاسق سقوط الثريا وكانت الوباء والطواعين
كثر عند وقوعها وعن عائشة قالت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فاراني القمر حين طلع وقال تعوذي بالله
من شر هذا فان هذا الغاسق اذا وقب رواه النسائي والترمذي وصححه وهذا لا ينافي ما سبق فان القمر آية الليل ولا يوجد
له سلطان في النهار وكذلك النجوم لا يضيء الا بالليل فرجع الى ذلك وقوله من شر النفاثات في العقد قال مجاهد وغير واحد
يعني السواحر اذا رقين ونفثن في العقد وقال طاوس ما من شيء اقرب الى الشرك من رقية الحية والمجام وجاء في
الحديث ان جبريل جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت فقال نعم قال بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك
من كل نفس وعين حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك رواه مسلم عن ابي سعيد ولعل هذا كان من شكواه حين
سحر ثم عافاه الله وشفاه ولم يتاثر في ذلك احدا كما روت عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يرى انه ياتي
النساء ولا ياتيهن قال سفيان بن عيينة وهذا اشد ما يكون من السحر اذا كان كذا فقال يا عائشة اعلمت ان الله تعالى قد
افتاني فيما استفتيته فيه اتاني رجلان فقعد احدهما عند راسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند راسي للآخر ما بال الرجل
قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن الاعصم رجل من بني زريق حليف ليهود كان منافقا قال وفيم قال في مشط و
مشاطة قال وفي جف طلعة ذكر تحت رعوفة في بئر ذروان قال فاتى البئر حتى استخرجه فقال هذه البئر التي اريتها وكان
ماءها نقاعة الحناء وكان نخلها رؤس الشياطين فاستخرج فقلت افلا اي تنشرت قال اما الله فقد شفاني واكره ان
اثير على احد من الناس شرا وفي رواية فامر بالبئر فدفنت هذا سياق البخاري ولمسلم مثله ولاحمد نحوه عن عائشة قالت
لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة اشهر يرى انه ياتي ولا ياتي فاتاه ملكان فجلس احدهما عند راسه والآخر عند رجليه
فقال احدهما للآخر ما باله قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن الاعصم الحديث بتمامه **بسم الله الرحمن الرحيم
قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في**

اسـ قل اعتصم واستجر برب الصبح ويروى
ومطلعه وفلق كل ما يفلق الله كالارض
عن النبات والجبال عن العيون والسحاب
عن المطر والارحام عن الاولاد ه

الطب السحر استعير له من الطب الذي هو معنى
الفطانة لما فيه من دقة وخفاء معنى فعقد
ظفر اليهودي بشعرات من شعر رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنسيها وجعلها في جف وهو
غشاء الطلع وشد ذلك بوتر وعقد عليه
احدى عشرة عقدة وجعل مجموع ذلك تحت
حجر في بير ذروان فصار ماء البير مثل ماء
الحناء وصار طلع النخل التي شربت من
ماء تلك البير مثل المنظر فلما استخرج من
تحت الحجر ونزل المعوذتان انحلت
بكل آية عقدة وشفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ه

[illegible]

برب الناس اى بخالقهم ومنشئهم و مدبرهم ملك الناس اى سيدهم والقادر عليهم اله الناس اى معبودهم الذى يحق له العبادة دون غيره وملك الناس و اله الناس كلاهما عطف بيان لرب الناس

صدور الناس من الجنة والناس هذه ثلث صفات من صفات الرب تعالى الربوبية والملك والالهية فهو رب كل شئ ومليكه والهه فجميع الاشياء مخلوقة له مملوكة له عبيد له فامر المستعيذ ان يتعوذ بهذه الصفات من شر الوسواس الخناس وهو الشيطان الموكل بالانسان لانه ما من احد من بنى آدم الا وله قرين يزين له الفواحش ولا يقصر جهدا فى اغوائه والمعصوم من عصمه الله وقد ثبت فى الصحيح ما منكم من احد الا قد وكل به قرينه قالوا وانت يا رسول الله قال نعم الا ان الله تعالى اعاننى عليه فاسلم فلا يامرنى الا بخير رواه مسلم عن ابن مسعود وثبت فى الصحيحين عن انس فى قصة زيارة صفية للنبى صلى الله عليه وسلم وهو معتكف وخروجه معها ليلا ليردها الى منزلها فلقيه رجلان من الانصار فلما رايا رسول الله صلى الله عليه وسلم اسرعا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلكما انها صفية بنت حيى فقالا سبحان الله يا رسول الله فقال ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وانى خشيت ان يقذف فى قلوبكما شيئا او قال شرا وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خرطمه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس وان نسى التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس غريب رواه الحافظ الموصلى وعن ابى تميمة يحدث عن رديف النبى صلى الله عليه وسلم قال عثر بالنبى صلى الله عليه وسلم حماره فقلت تعس الشيطان فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تقل تعس الشيطان فانك اذا قلت تعس الشيطان تعاظم وقال بقوتى صرعته واذا قلت بسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب باسناد قوى وفيه دلالة على ان العبد اذا ذكر الله تصاغر وان غفل تعاظم وثبت وقال ابن عباس ان الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فاذا سها وغفل وسوس واذا ذكر الله خنس وقال مثل ذلك عن مجاهد وقتادة وقوله الذى يوسوس اى الكلام الخفى الذى يصل مفهومه الى القلب من غير سماع فى صدور الناس هل يختص هذا ببنى آدم كما هو الظاهر او يعم بنى آدم والجن فيه قولان ويكونون داخلين فى لفظ الناس تغليبا وقال ابن جرير وقد استعمل فيهم رجال من الجن فلا بدع فى اطلاق الناس عليهم وقوله من الجنة والناس هل هو تفصيل لقوله الذى يوسوس فى صدور الناس ثم بينهم فقال من الجنة والناس وهذا يقوى القول الثانى وقيل من الجنة والناس تفسير للذى يوسوس فى صدور الناس من شياطين الانس والجن كما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول الاية وكما قال ابو ذر رضى الله عنه اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد فجلست فقال يا ابا ذر هل صليت قلت لا قال قم فصل فقمت فصليت ثم جلست فقال يا ابا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الانس والجن قلت يا رسول الله وللانس شياطين قال نعم رواه احمد وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احدكم اذا كان فى المسجد جاء الشيطان فابس به كما يبس الرجل بدابته فاذا سكن له زنقه او الجمه قال ابو هريرة وانتم ترون ذلك اما المزنوق فتراه مائلا كذا لا يذكر الله واما الملجم ففاتح فاه لا يذكر الله عز وجل تفرد به احمد وعن ابن عباس قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى احدث نفسى بالشئ لان اخر من السماء احب الى من ان اتكلم به فقال النبى صلى الله عليه وسلم الله اكبر الله اكبر الحمد لله الذى رد كيده الى الوسوسة رواه احمد وابو داود والنسائى آخر التفسير

والحمد لله رب العالمين حمدا يوافى نعمه ويكافئ مزيده والصلوة والسلام على رسوله محمد المصطفى سيد المرسلين وآل كل وعباد الصالحين غاية ما ينبغى ان يسأله السائلون كلما ذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذكره الغافلون اللهم صل عليه وعلى آله وسائر النبيين واغفر اللهم لآبائنا وامهاتنا ولاستاذينا ولمشايخنا ولمن احسن الينا واعلى مراتب من ارشدنا اليه من اهل الولاية والعرفان فى الدارين وانعم درجات من حرضنا عليه من ذوى المعرفة والايقان فى المنزلين فان الدال

من الجنة والناس اى يدخل فى الجنى كما يدخل فى الانسى ويوسوس الجنى كما يوسوس الانسى

النبس السوق
اللين ٩٥٥

على

على الخير كفاعله والمعاون على البر كفاعله انك رؤف رحيم جواد كريم
وقد تم الكتاب على انامل اذل عباد الله الغنى محمد بن شيخ ابرهيم بن محمد الحافظ الجولى
محتدا الجهرمى مولدا يوم عشرين خلت من ثانى جمادى سنة ثمان وعشرين وثمانه
بجهرم صانها الله عن التصرم احسن الله عواقبه فى الدارين وغفر له ولوالديه
بحرمة جاه محمد خاتم النبيين واصحابه الاكرمين والحمد لله رب العالمين

وهو حقوق الوالدين زيارة قبرهما فان الملئكة الحفظة يومنون على دعائك عن انس بن مالك رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل وكل بعبده ملكين يكتبان عمله فاذا مات قال الملكان اللذان وكلا به ربنا عبدك فلان بن فلان قد مات فتاذن لنا ان نصعد الى السماء فيقول عز وجل سمائى مملوة من ملئكتى فيقولان ربنا فنقيم فى الارض فيقول سبحانه وتعالى ارضى مملوة من خلقى فيقولان ربنا فاين قال عز من قائل قوما عند قبر عبدى فسبحانى واحمدانى وكبرانى وهللانى واكتبا ذلك لعبدى الى يوم يبعثون ٩

عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن فى مسجد المدينة فقال صلى الله عليه وسلم انى رايت البارحة عجبا رايت رجلا من امتى جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرده عنه ٩

فى بعض الكتب الالهية يقول يا عبدى انى لا اعلم مالك [illegible] علمه امراتك [illegible] بطلب منك الذى [illegible] اذا [illegible] ثوبك [illegible] اضطرت [illegible] ٩

يكتب هذه الاحرف فى ورقة ويطوى مربعة ويجعل فى ملعقة ثم يجعل مقابل الطحال اخارج الثياب ملاصقه ثم يجعل النار على الورقة ويقرا عليها هذه الايات
ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا
فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا
فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت فاحترقت فاحترقت
فيحترق الطحال باذن الله تعالى ٩

وهذه كتابة الشكل

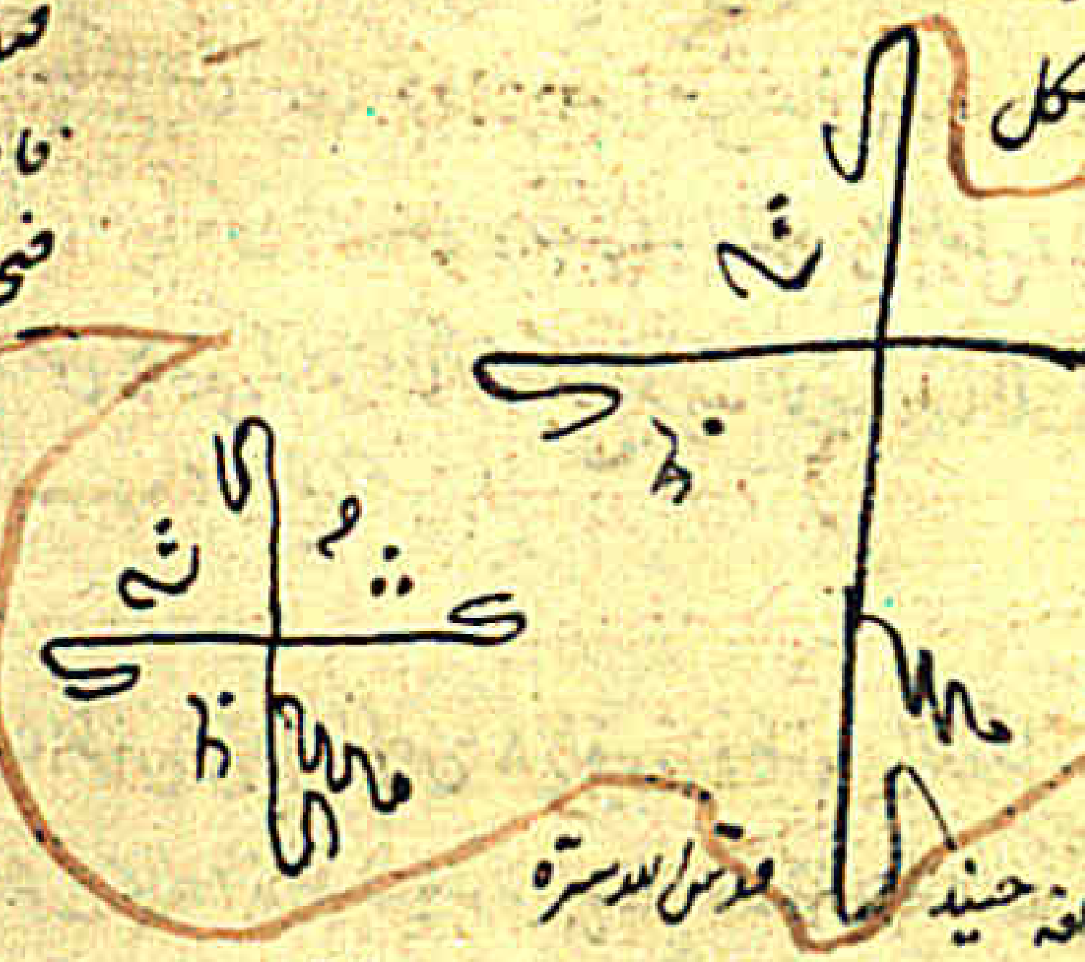

لسيد الطائفة جنيد قدس الله سره

تعويذ جهت حبل بزرگ

١	١٥	١٤	٤
١٢	٦	٧	٩
٨	١٠	١١	٥
١٣	٣	٢	١٦

اگر بدرت خواب جای براى كند و بيمار
اذا زلزلت بران خواند و باد بران دمد
و بر بالين نهند بحمد الله ان حوالى كنيك باشد
و بلند خواند [illegible] دراى آب افكنند و
اين معجزه اين سوره است ٩

عينان عينان لم ياخذهما رمد فى كل عين من العينين نونان
نونان نونان لم يكتبهما قلم فى كل نون من النونين عينان

الظاهر ان هذا من باب الالغاز وكلمات التاويل مفتوح فعلى الاول معناه انه اراد بالعينان عينى الماء ولاشك ان الرمد لا يكون لعينى الماء وفى كل عين من العينين نونان اى حوتان ولاشك ان الحوت الذى فى الماء لم يكتبهما قلم ناسخ وفى كل من النونين اى الحوتين عينان اى العينان اللذان هما البصران واما على الثانى الذى هو التاويل فيقول اراد بالعينين الاولين عين النبوة الحقيقية وعين الولاية المطلقة واراد بالنونان علمان لان العلوم اللدنية تنكشف فى صورة الحيتان فى الماء الصافى واراد بالعينين الاخيرتين ينبوعين لان كل علم منبع لعلم آخر وذلك لعلم آخر وهلم جرا ٩

عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر و قال رضينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكى قال رايت جبرئيل وهو يبكى قال يا محمد لن يصعد الملئكة من الارض الى الله عز وجل بافضل من بكاء العباد وبوحهم على انفسهم بالاستغفار ٩

عن قتادة قال سالت انس بن مالك عن عرش رب العزة فقال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عرش رب العزة فقال سالت جبرئيل عن عرش رب العزة فقال سالت ميكائيل عن عرش رب العزة فقال سالت اسرافيل عن عرش رب العزة فقال سالت الرفيع عن عرش رب العزة فقال سالت اللوح عن عرش رب العزة فقال ان للعرش ثلثمائة الف قائمة وستين الف قائمة كل قائمة من قوائمه كما طباق الدنيا ستون الف مرة وتحت كل قائمة ستون الف مدينة فى كل مدينة ستون الف صحراء فى كل صحراء ستون الف عالم مثل الثقلين الجن والانس ستون الف مرة لا يعلمون ان الله خلق آدم ولا ابليس قد الهمهم الله عز وجل ان يستغفروا لابى بكر وعمر وعثمان وعلى ومحبيهم فاستوصوا بهم جزاه واذا قرؤهم منى السلام ٩

عن بكر بن سعيد قال دخلنا على الحسن البصرى فى مرضه الذى مات فيه فوجدناه يبكى فقلنا له ما يبكيك يرحمك الله قال دخلنا على ابى هريرة فى مرضه الذى مات فيه فوجدناه يبكى فقلنا له ما يبكيك يرحمك الله قال دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه فوجدناه يبكى فقلنا له ما يبكيك يا رسول الله قال ذكرت قوما من بعدى ٩

عن وهب بن منبه قال تصور ابليس لعنه الله
لسليمن بن داود عليه السلم على صورة شيخ فقال له
سليمن اخبرني ما انت صانع بامة الروح
عيسى بن مريم قال لادعنهم في الدنيا يتخذون
الهين من دون الله قال فما انت صانع بامة محمد
صلى الله عليه وسلم قال لاضرنهم بالدراهم والدنانير
فاحاله عليهم اشهى مني لا اله الا الله فقال له
اعوذ بالله منك فنظر فاذا هو قد ذهب ٥
تمت

روى الحسن البصري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
يؤتى بالعبد يوم القيمة فيعتذر الله اليه كما يعتذر الرجل
الى الرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي
ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي ولكن
اعددت لك من الكرامة والفضيلة عوضا عنه
ذلك اخرج يا عبدي الى هذه الصفوف فانظر
من اطعمك في او كساك في تريد بذلك وجهي
فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ قد الجمهم العرق
فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به
فياخذ بيده فيدخله الجنة ٥
تمت

اعلم ان من حفظ اوامر الله عز وجل في صحته حفظه الله في شدته قال صلى الله عليه وسلم احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده اماما تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة الا ترى ان يونس عليه السلم لما وقع في تلك الشدة وكانت له اعمال صالحة متقدمة اخذت بيده فنجي ولما لم يكن لفرعون عمل خير لم يجد متعلقا وقت الشدة فقيل له الآن وكان عبد الصمد الزاهد يقول عند الموت سيدي لهذه الساعة خباتك ٥

ارحفظتك
عاملني حفظ الله
تحفظك

من كتاب الزهد لعبد الله المبارك رحمه الله   عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلكم يحب ان يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال فاقصروا من الامل واثبتوا آجالكم بين ابصاركم واستحيوا من الله حق الحياء قالوا يا رسول الله كلنا نستحي من الله حق الحياء قال ليس كذلك الحياء من الله ولكن الحياء من الله ان لا تنسوا المقابر والبلى وان لا تنسوا الجوف وما وعى وان لا تنسوا الراس وما احتوى ومن يشتهي كرامة الآخرة يدع زينة الدنيا هنالك استحى العبد من الله تعالى وهنالك اصاب ولاية الله تعالى ٥   اورده عماد الدين عبد الكريم الغالي

اكر الله ولي الذر
احيوا

عن ابي هريرة لا تفضحوا موتاكم بسيئات اعمالكم فانها تعرض على اوليائكم من اهل القبور وكان ابو الدرداء يقول اللهم اني اعوذ بك ان اعمل عملا اخزى به عند عبد الله بن رواحة   وقال مجاهد انه ليبشر المؤمن بصلاح ولده من بعده لتقر بذلك عينه ٥

في البخاري قيل لوهب اليس مفتاح الجنة لا اله الا الله قال بلى ولكن ليس مفتاح الا وله اسنان فان جئت بمفتاح له اسنان فتح لك والا لم يفتح لك   وفي رواية عطاء ان ابن عباس رضي الله عنهما ذكر له قول وهب فقال صدق ولكن انا اخبركم عن الاسنان ما هي ذكر الصلوة والزكوة وشرائع الاسلام   وفي كلمة لا اله الا الله اسرار منها ان جميع حروفها جوفية ليس فيها حرف شفهي اشارة الى الاتيان بها من خالص الجوف وهو القلب   ومنها انه ليس فيها حرف معجم اشارة الى التجرد عن كل معبود سواه   ومنها اثنى عشر حرفا كشهور السنة منها اربعة حرم وهي الجلالة حرف فرد وثلثة سرد وهي افضل كلماتها كما ان الحرم افضل السنة فمن قالها مخلصا غفرت عنه ذنوب سنة   ومنها ان الليل و النهار اربعة وعشرون ساعة وهي حروف محمد رسول الله اربعة وعشرون حرفا كل حرف منها يكفر ذنوب ساعة ٥

روي عن شقيق البلخي رحمه الله انه قال
اخترت اربع الف حديث واخترت
من الاربع الف اربعمائة واخترت
اربع احاديث اولها لا تعقد قلبك مع الدنيا
واخترت من الدعاء
فانها اليوم لك وغدا لغيرك وان اطعتها
ادخلتك النار والثاني لا تعقد قلبك
مع المال فانه عارية اليوم لك وغدا لغيرك
ولا تتعب نفسك بمال غيرك فان المهنى
لغيرك والوزر عليك فالثالث اذا عقدت قلبك
بالمال منعت منه حق الله واوجبت عليك خشيته
النفر والطمع الشيطان والرابع اترك
ما حاك في صدرك فان قلب المؤمن بمنزلة
الشاهد يضطرب عند الشبهة ويهرب من
الحرام ويسكن عند الحلال والرابع لا تعمل
شيا حتى تعلم الاجابة ٥

وعن وهب بن منبه قال كان عابد في بني اسرائيل واراد الشيطان ان يضله فلم يستطع فخرج العابد ذات يوم لحاجته فخرج الشيطان معه لكي يرى فرصة فاراده من قبل الغضب والشهوة فلم يستطع محاورته من قبل الخوف ودلى صخرة من الجبل فاذا بلغته ذكر الله تعالى فبرزت عنه ثم جعل يتمثل له كالاسد واذا ذكر الله تعالى فلم يلتفت ثم تمثل له وهو ساجد في صورة حية وهو يصلي فيلتوي على قدميه وجسده حتى يبلغ راسه وكان اذا اراد السجود التوى في موضع سجوده فلما وضع راسه للسجود فتح فاه ليلتقم راسه فجعل ينحيه بيده حتى استمكن من الارض للسجود فلما فرغ من صلوته وذهب جاء اليه الشيطان فقال له انا فعلت بك كذا وكذا وما قدرت منك على شي وقد رغبت في صداقتك وبدا لي عن ضلالتك بعد هذا اليوم فقال له العابد لا اليوم الذي خوفتني فيه خفت منك ولا لي اليوم حاجة الى صداقتك فقال له الا تسئلني عن اهلك ما الذي اصابهم بعدك فقال له العابد انا مت قبلهم فقال له الا تسئلني بما الذي اضل به بني اسرائيل قال بلى اخبرني بالذي تضل به الضلال بني ادم فقال بثلثة اشياء بالشح والحدة والسكر فان الانسان اذا كان شحيحا قللنا ماله في عينه فيمنع منه الحقوق ويرغب في اموال الناس واذا كان الرجل حادا ادرناه بيننا كما يدير الصبيان الكرة بينهم ولو كان من الذين يحيي الموتى بدعوته لم يبال منه وانما يبني ويهدم في كلمة واحدة واذا سكر قدناه الى كل سوء كما تقاد العنز باذنها كيف نشاء فقد اخبره الشيطان ان الذي يغضب يكون في يد الشيطان كالكرة في يد الصبيان فينبغي للمؤمن ان يصبر كي لا يصير اسير الشيطان ٥

روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قلت يا رسول الله من اسعد الناس بشفاعتك
يوم القيمة قال صلى الله عليه وسلم لقد ظننت ان لا يسالني عن هذا
احد اول منك لما رايت من حرصك على الحديث اسعد الناس بشفاعتي
يوم القيمة من قال لا اله الا الله خالصا مخلصا من قلبه
في صحيحه عنه ٥
وقيل اول [illegible] افضل

في البخاري عن ابي هريرة
ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم
اوصني ايضا قال لا
تغضب قال اوصني قال لا
فردد مرارا قال لا
قال اوصني في الحرب
فاوصني علما قال لا
ادنى [illegible] عند الغضب
يا عبد الله لم [illegible]
ضع في وجهه ماء
وكان رجال النبيين

ذكر في الخبر ان مؤمنا وكافرا في الزمن الاول انطلقا يصيدان السمك فاخذ الكافر يذكر آلهته فامتلأت الشبكة سمكا كثيرا وجعل المؤمن يذكر الله تعالى فلم يصد له شي ثم اصاب سمكة عند الغروب فاضطربت فوقعت في الماء فرجع ذلك المؤمن وما معه شي ورجع الكافر وقد امتلأت شبكته فانصرف ملك المؤمن الموكل به الى السماء فاراه الله مسكن المؤمن ومنزلته في الجنة فقال والله لا يضره ما اصابه من الدنيا بعد ان يصير الى هذا واراه مسكن الكافر فقال والله لا يغني عنه ما اصابه من الدنيا بعد ان يصير الى هذا العذاب   وقال ابن المبارك وقال يحتج باربعة على اربع نفر يحتج على الاغنياء بسليمن بن داود اذا قال الغني الغنا شغلني عن عبادتك فاحتج عليه بسليمن ويقول له لم تكن باغنى من سليمن ولم يمنعه غناه عن عبادتي ويحتج على العبيد بيوسف فيقول العبد كنت عبدا والرق منعني عن عبادتك فيقول الله له ان يوسف لم يمنعه رقه عن عبادتي   وعلى الفقير بعيسى بن مريم عليه السلم فيقول الفقير ان حاجتي منعتني عن عبادتك فيقول انت احوج ام عيسى بن مريم ولم يمنعه فقره عن عبادتي وعلى المريض بايوب عليه السلم فاذا قال المريض منعني المرض عن عبادتك قال الله له مرضك كان اشد ام مرض ايوب ولم يمنعه ذلك عن عبادتي   ومعنى ذلك ان لا يكون لاحد عند الله عذر يوم القيمة ٥   روى مجاهد عن ابي هريرة قال والذي لا اله الا هو لقد كنت الصق كبدي على الارض من الجوع ولقد كنت اشد الحجر على بطني من الجوع ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه فمر ابو بكر الصديق رضي الله عنه فسالته عن اية من كتاب الله ما سالته عنها الا ليشبعني فمضى لكي يذهب بي الى منزله فمر و لم يفعل فمر بي عمر رضي الله عنه فسالته عن اية من كتاب الله وما سالته عنها الا ليشبعني فمر ولم يفعل ثم مر بي النبي صلى الله عليه وسلم حين رآني تبسم وعرف ما بي وما في نفسي ثم قال يا ابا هريرة قلت لبيك يا رسول الله قال الحق ~~الى اهل الصفة فادعهم لي~~ بي ومضى فاتبعته واستاذنت عليه فاذن لي فدخلت فوجدت لبنا في قدح فقال من اين هذا قالوا اهداه لك فلان او فلانة قال يا ابا هريرة قلت لبيك يا رسول الله قال الحق الى اهل الصفة فادعهم الي فساءني ذلك فقلت وما هذا اللبن حتى يكفي اهل الصفة كنت احق ان اصيب من هذا القدح شربة اتقوى بها ولكن لم يكن من طاعة الله ورسوله بد فاسرعت فدعوتهم فاقبلوا حتى استاذنوا فاذن لهم فاخذوا مجالسهم فقال يا ابا هريرة خذ فاعطهم فاخذت القدح فجعلت اعطي الرجل فيشرب حتى يروى فلما انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي القوم كلهم فاخذ القدح فوضعه على يده وقال يا ابا هريرة قلت لبيك يا رسول الله قال بقيت انا وانت قلت نعم صدقت يا رسول الله قال اقعد فاشرب قال فقعدت فشربت فما زال صلى الله عليه وسلم يقول لي اشرب وانا اشرب حتى قلت له والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكا فاعطيته القدح فحمد الله تعالى فشرب النبي صلى الله عليه وسلم الفضلة

عن مسلم بن كيسان قال قدمت البحرين فاضافتني امراة لها بنون ورقيق ومال ويسار وكنت اراها محزونة فلما خرجت من عندها قلت لها الك حاجة قالت نعم اذا انت قدمت بلدا فيها هذه ان تنزل علي فغبت عنها كذا وكذا سنة ثم اتيتها فلم ار ببابها احدا فاستاذنت عليها فاذا هي ضاحكة مسرورة فقلت لها ما شانك قالت انك لما غبت عنا ما ارسلنا في البحر شيئا الا غرق وذهب الرقيق ومات البنون فقلت لها يرحمك الله رايتك محزونة في ذلك اليوم ومسرورة في هذا اليوم قالت نعم اني لما كنت فيه من سعة الدنيا خشيت ان يكون الله قد عجل حسناتي في الدنيا فلما ذهب مالي ورقيقي وولدي رجوت ان يكون الله قد ادخر لي خيرا عنده ٥

دل اگر کوی تو خواهد [illegible]
والله خاک در کوی تو [illegible]
گر ز زلف تو [illegible]
دل که در سلسله زلف تو [illegible]
[illegible]
که نکو بی که تا میل سوی [illegible]
[illegible]
[illegible]
هیچ کس [illegible]

[illegible]

فقیر حقیر جنید جمال الدین محمد یک جلد تفسیر مذکور

بمبلغ یکتومان تبریزی از حضرت مولانا فتح الله [illegible] خواجه

در کرمان [illegible] حسن [illegible] پنج هزار دینار باز [illegible] کردم

[illegible] از حضرت [illegible]

و پنج هزار دینار [illegible] فرزند نظام الدین محمد [illegible]

علوم مشغول است [illegible] و الحال [illegible]

سنه ۹۶۶

نهم محرم الحرام

فقیر نظام [illegible] محمد بن [illegible]

از قیمت تفسیر از جمله پنج هزار [illegible]

رسید دو هزار و سیصد و [illegible] دینار

نقد صد دینار	زر نقد هزار دینار	از [illegible] نه صد دینار

از حواله مرشد علی خیاط
هزار دینار رسید

[illegible] امیر [illegible] سیصد و پنجاه دینار

از حواله [illegible] دیگر صد دینار
هزار دینار رسید

از قیمت [illegible] دیگر صد دینار

چهار صد و پنجاه دینار

این جمله پنج هزار دینار [illegible] رسید

[illegible] نظام الدین جمشید

[illegible] محمد بن [illegible]

قوام الدین

خواجه محمد

[illegible]

امیر ناصر الدین [illegible]